



سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

المجلد الرابع عشر:
(140 - 131)

الوجه الآخر ..
محمد علي التسخيري

الحزب الجمهوري في السودان..
الواقع ومحاولات التأثير

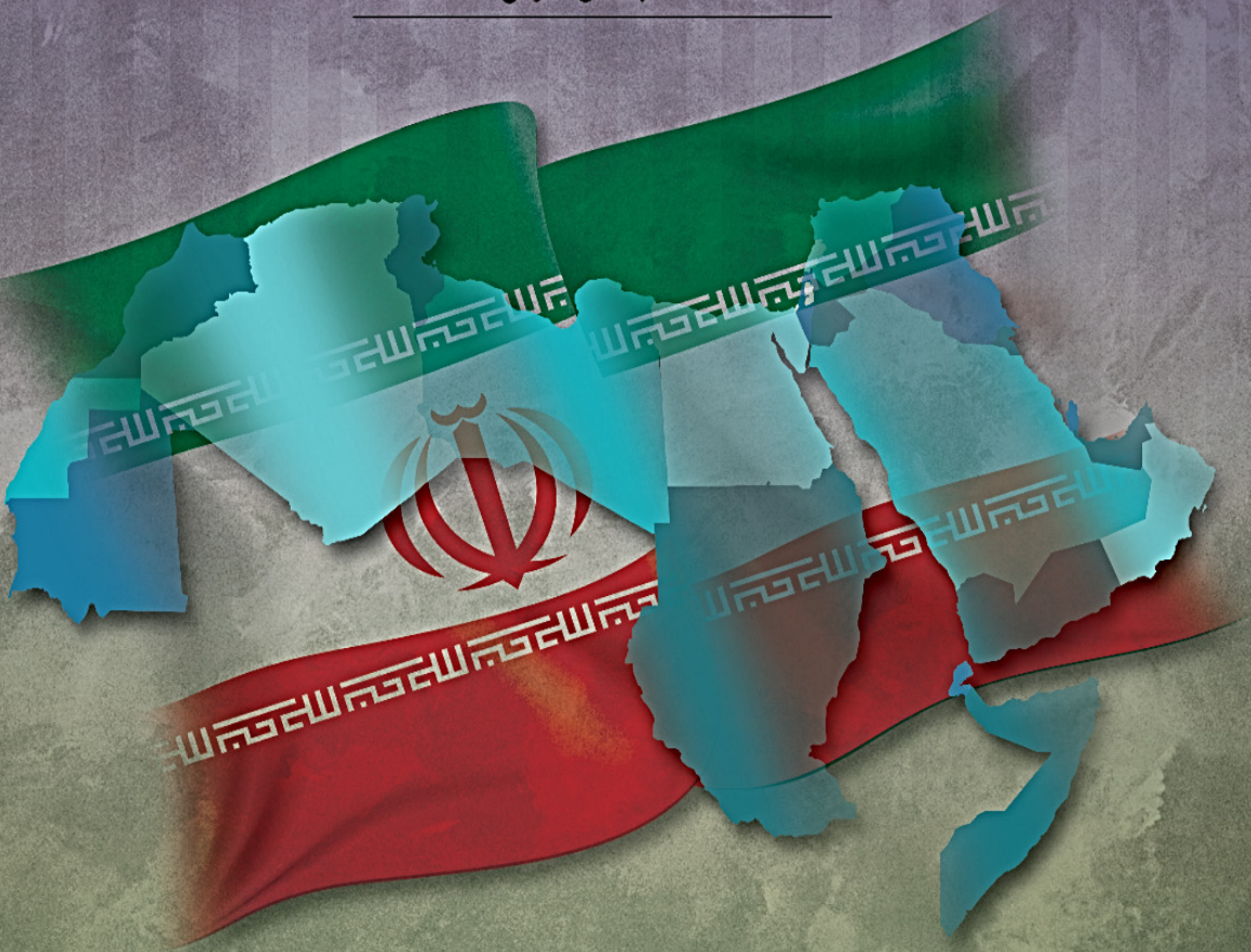
١٠ مخاطر للانفتاح العربي
السياسي على إيران

مرآة الراسد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٣١ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ



الخطة الإيرانية
في نسختها الجديدة!!



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٣١)**

جمادى الأولى - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ❖ الخطة الإيرانية في نسختها الجديدة!! ٢

فرق ومذاهب

- ❖ «خدام المهدي»...هيئة شيطانية بصبغة شيعية..... معتر بالله محمد ٤
- ❖ الحزب الجمهوري في السودان... الواقع ومحاولات التأثير..... محمد خليفة صديق ٧

سطور من الذاكرة

- ❖ الوجه الآخر: ع. محمد علي التسخيري..... هيثم الكسواني ١٧

دراسات

- ❖ مخاطر للانفتاح العربي السياسي على إيران..... أسامة شحادة ٢٢
- ❖ التقاطعات الاستراتيجية بين إيران وإسرائيل: إثيوبيا نموذجا..... بوزيدي يحيى ٢٥
- ❖ العلاقات المصرية - الإيرانية .. إظهار الحق وكشف الأستار..... أسامة الهتمي ٣١
- ❖ طائفة المالكي في نظر صحابة الغرب وساستهم..... سعيد السويدي ٣٦
- ❖ قراءة في سياسات المالكي في العراق..... عبد الهادي علي ٣٩
- ❖ الحركة النسوية في السودان وصراع المستقبل..... فاطمة عبد الرؤوف ٤٣

كتاب الشهر

- ❖ النشاط التنصيري في أفريقيا دراسة تحليلية حول أنشطة الكنيسة في أفريقيا... أسامة شحادة.... ٤٧
- ❖ صورة الإسلاميين على الشاشة..... د. إبراهيم السكران ٤٩

قالوا

- ٥٢

جولة الصحافة

- ❖ الأسد و«داعش»... والسوريون المسيحيون..... منار الرشوان ٥٤
- ❖ الخلاف العقائدي اليهودي بشأن «الأقصى»..... برهوم جرابسي ٥٥
- ❖ العدد الحقيقي للشيعنة بتونس... وهذه خارطة انتشارهم..... هدى هواشي ٥٧
- ❖ العوامية... الدفاع عن الأسد بالمكان الخطأ..... طارق الحميد ٥٧
- ❖ إيران تسعى إلى نفوذ من غرب العراق إلى المتوسط!..... هدى الحسيني ٥٨
- ❖ إيران واستغلال الورقة الفلسطينية..... محمد السلمي ٦١
- ❖ إيرانيون في الجيش الإسرائيلي..... صباح الموسوي ٦٣
- ❖ رسالة إلى الائتلاف السوري..... د. محمد العبدية ٦٤
- ❖ غياب الموضوعية في حالة الانقسام..... إسماعيل باشا ٦٥
- ❖ كيف نفهم إطلاحة فرنسا برئيس إفريقيا الوسطى «المسلم»؟..... أمير سعيد ٦٧
- ❖ العراق... الصراع بين عمامة الصدر ووصولجان الطاغية..... د. مثنى عبد الله ٦٩
- ❖ يا سنة البحرين استعدوا للجولة الرابعة..... مدونة عمر خليفة راشد ٧١

وللأسف أن كثير مما جاء في الخطة السرية

تم تطبيقه وجنى ثمرته، بحيث أصبح النفوذ والهيمنة الإيرانية أمراً واقعاً في لبنان وسوريا والعراق واليمن، أما في البحرين والكويت والسعودية ومصر والأردن والإمارات والسودان والمغرب العربي وتركيا وأفريقيا فهو نفوذ متفاوت القوة والإنساع بين الإستيلاء على القوى المجموعات الشيعية كما في البحرين، أو عبر التغلغل التجاري كما في الإمارات وتركيا وعدد من دول إفريقيا، أو عبر تأسيس خلايا نائمة متشعبة أو تابعة لليسار والإشتراكية حلفاء نظام الأسد كما في الأردن ومصر، أو لها علاقات قوية مع بعض الأنظمة الضعيفة بسبب احتياجها للدعم الإيراني كالسودان، وهكذا.

وكان من بنود الخطة الخمسينية فقررة حول

تخريب العلاقة بين القوى الإسلامية السنية وحكوماتها وأنظمتها، وضرورة العمل على إيقاع القطيعة والعداوة بينهما، وتقديم القوى الشيعية والمتحالفة مع إيران للوقوف مع الحكومات والأنظمة، حيث تقول الخطة:

«أما في النصف الثاني فيركز على الوقعية

بين علماء السنة «الوهابيين» والدولة من خلال تحريض العلماء على المفاصد القائمة وتوزيع المنشورات باسمهم! ووقوع أعمال مريبة! وإثارة الاضطرابات بسبب ذلك، ثم تحريض الدولة عليهم. والذي يراد التوصل إليه هو إثارة أهل السنة على الحكومات حتى تقمع تلك الحكومات أهل السنة. فيتحقق لهم ما يلي:

الخطة الإيرانية في نسختها الجديدة!!

عقب تسلم محمد خاتمي رئاسة الجمهورية الإيرانية في عام ١٩٩٧م بعدة أشهر كشفت رابطة أهل السنة مكتب لندن عن وثيقة سياسية إيرانية سرية عرفت باسم (الخطة السرية أو الخطة الخمسينية)، تناولت الوثيقة خطة إيرانية للتعامل مع دول الجوار مقسمة على ٥ مراحل، كل مرحلة تستغرق ١٠ سنوات، وذلك من أجل الوصول للسيطرة والتسلل للدول المجاورة والهيمنة على المنطقة والإقليم.

وكانت الخطة تقوم على تكتيكات غير

عسكرية وإرهابية، كتلك التي استخدمت عقب قيام جمهورية الملالي والتي عرفت باسم تصدير الثورة، وكان من تطبيقاتها محاولة الانقلاب في البحرين واستيلاء الشيعة على الحكم فيها، وتفجيرات ومحاولة اغتيال أمير الكويت، والتفجير في مكة في مواسم الحج أكثر من موسم، والتفجيرات والإختطاف في لبنان، وقتل عدد من الدبلوماسيين الخليجيين في عدة دول، وهكذا.

ولكن مع هزيمة الخميني في حربه مع

العراق، وتزعزع الأوضاع في إيران، اضطرت إيران للجوء للهدوء وتغيير التكتيك، فوضعت الخطة السرية وتسلم خاتمي الرئاسة، وفعلاً شهدت تلك المرحلة نجاح خاتمي في تبريد الملفات الساخنة والانفتاح على الدول المجاورة والعالم، وتنفيذ الخطة السرية بدون ضجيج واحتجاجات.

- ١ - سوء ظن الحكام بكل المتدينين من أهل السنة وكل أنشطتهم.
- ٢ - نمو الحقد والعداء بين الطرفين.
- ٣ - ضياع مكانة أهل السنة وسلطتهم المادية والمعنوية.
- ٤ - إجحام الحكام عن المساعدة في نشر الدين».

وفعلا استطاع الإيرانيين تنفيذ ذلك بدقة شديدة من خلال اختراق تنظيم القاعدة وأشبابه من التنظيمات، والتي قامت بمهاجمة الدول السنية والعالم، فأصبح الإرهاب السني هو العدو رقم واحد للدول السنية، خاصة مع تواطؤ الإعلام اليساري العلماني في هذه الدول بتضخيم الأمور والتغطية على أي أعمال إرهابية مماثلة من القوى الشيعية، ويكفى مثلاً مقارنة التغطية الإعلامية لجرائم القاعدة تجاه رجال الشرطة في البحرين والسعودية بجرائم الشيعة تجاه رجال الشرطة في البحرين والسعودية، ستجد أن التعامل الإعلامي اليساري العلماني يضخم جرائم القاعدة ويهون من جرائم الشيعة إما بالتغافل عنها أصلاً أو بعدم تكرار تناولها لتموت أو عبر تبريرها وأنها نتاج مظالم وقصور من الدولة تجاههم، وللأسف أن أجهزة الدولة أيضاً تكون مستتفرة تجاه جرائم القاعدة أكثر من جرائم الشيعة، ويتبدى ذلك في قبول الدولة للاسترحامات والمناشدات بخصوص المجرمين الإرهابيين الشيعة فيتم الإفراج عنهم سريعاً بينما مجرمي القاعدة لا يخرجون غالباً.

وساهم الليبراليين في تشويه الإسلاميين عبر اتهامهم بالتشدد والغلو والتخلف والرجعية، لتمرير أجندتهم لتغريب المجتمع وتمييع عقائده وأخلاقه ومعاملاتهم، فأصبحت العلاقة متوترة بين الأنظمة السنية وبين العلماء والدةاء وأهل الإستقامة، واختلطت الأوراق فأصبح جميع الأبرار قاعدة، وأصبح جميع المسؤولين ليبراليين وعلمانيين، وفقدت البوصلة التي تأشر على الخطر الإيراني، ونجحت إيران في مسعاها.

واليوم طورت إيران خطتها السرية لتعمم التهمة بالإرهاب على الدول السنية المعارضة لها وخاصة السعودية بعد أن عممتها على جميع علماء ودعاة أهل السنة، ولذلك نجد سيل من تصريحات رموز المحور الإيراني نحو اتهام السعودية بتمويل ودعم القاعدة، مثل: اتهام قناة العالم للسعودية بدعم القاعدة في اليمن، وحسن نصر اتهام السعودية بتدبير ودعم تفجيرات كتائب عبد الله عزام في لبنان، ونورى المالكي اتهام السعودية مؤخراً بدعم الإرهاب والقاعدة، واتهمت وكالة فارس السعودية بارسال شحنات أسلحة لتنظيم القاعدة في سوريا.

ثم وجدنا التيار اليساري في الأردن والمغرب ومصر يتنادى للتصدي للفكر الإرهابي المتطرف والمتمثل في السعودية والسلفية ومناصرة الثورة السورية!

وفي لبنان كان تطوير الخطة السرية من خلال الوقعة بين الجيش اللبناني والشيخ أحمد الأسير، فبعدما قام حالش (حزب الله) باستفزاز الأسير وأنصاره لفترات طويلة، نجحوا في اقتعال صدام بين الأسير والجيش، وهكذا تم الإيقاع بالأسير وأنصاره وتشيتيت صفهم تحت غطاء وحدة الجيش اللبناني، ومن ثم طلب القضاء معاقبتهم بعقوبة الإعدام!

وأيضاً في لبنان تم تطوير الخطة السرية ليصبح حزب الله والمؤسسات الإيرانية هي الضحية التي تتلقى التفجيرات والإرهاب، الذي يطال أسوارها فقط لكنه يطال أرواح الأبرياء من الأطفال والمارة والجيش، بينما في سوريا والعراق لا تتعرض المؤسسات الإيرانية لأذى برغم كل الحرب المشتعلة هناك!

إنها تطوير في الخطة السرية، وللأسف تلقى نجاحاً وتقدماً بسبب سذاجتنا وغفلتنا، وتفرق صفنا وتشتته، الخلاصة قوة إيران في ضعفنا الفكري والمادي والسياسي، ومن تقوية هذا الضعق يبدأ نصرنا وتقدمنا، فهل نبداً؟؟

ديوانية باسم «ديوان خدام المهدي» على إبراز نقاط الخلاف الحساسة بين الشيعة والسنة، والهجوم على الصحابة رضي الله عنهم، لاسيما أبو بكر وعمر بن الخطاب ويضاف إليهم عائشة بنت أبي بكر، وغيرهم ممن يعتبرهم الشيعة قتلوا فاطمة الزهراء.

وتعتبر ما تسمى بـ «هيئة خدام المهدي» الصوت الشيعي الأكثر تطرفاً لآرائها المتطرفة وقدحها المستمر في صحابة النبي ﷺ، وهو ما بدى جلياً في إصداراتها المختلفة، الأمر الذي تمخض عنه اعتقال الحبيب في الكويت، ومن ثم إغلاق مكتب الهيئة هناك عام ٢٠٠٤.

أمريكا كشفت آنذاك عن وجهها الحقيقي الرامي إلى إثارة النزعات الطائفية في بلاد السنة، وتبني إيجاد كيانات شيعية متطرفة في تلك البلدان، تحت مسمى حرية التعبير والاعتقاد، حيث أدانت منظمة العفو الدولية وبشدة اعتقال مؤسس «خدام المهدي» وإغلاق مكاتب الهيئة في الكويت، على اعتبار أن عملها يندرج تحت بند «الخصوصية الدينية والثقافية».

الهروب

في مايو ٢٠٠٤ أدين الحبيب - الذي درس عام ١٩٩٦ في قم، تحت إشراف محمد رضا الحسيني الشيرازي - بالسجن لعشر سنوات، لكنه قضى في السجن ثلاثة أشهر فقط؛ ثم أطلق سراحه بعضو أميري وُصف رسمياً فيما بعد بأنه «خطأ إداري» لكن الغريب أنه أصر على أن ذلك حدث استجابة

«خدام المهدي»... هيئة شيطانية بصبغة شيعية

معتز بالله محمد^(٥) - خاص بالراصد

تأسست (هيئة خدام المهدي) على يد الكويتي ياسر الحبيب عام ٢٠٠٠ ثم ما لبثت مكاتبها أن انتشرت في البحرين وبيروت وكربلاء وطهران ولندن.

ظهرت لتروج لفلسفة مؤسسها حول التاريخ الإسلامي والتي لم تكن محل خلاف أهل السنة فحسب، بل لم تحظ أفكاره بإجماع البيت الشيعي نفسه، فله الكثير من المواقف السلبية من الكثير من أعلام الشيعة إذ اعتبرهم شخصيات ساعية لتقديم التنازل العقائدي بما يؤدي لطمس الموروثات الشيعية التي تميز الشيعة عن السنة.

ومن هذا المنطلق شن الحبيب هجوماً شنيعاً على محمد حسين فضل الله وأحمد الوائلي وحسن الصفار وعلي خامنئي، كذلك أعلن عدم اعترافه بكافة علماء الدين الشيعة العاملين تحت إطار تأييد النظام الإيراني، الأمر الذي جعله في مرمى نيران الكثير من الشخصيات الشيعية التي اعتبرته خطراً على المشروع الشيعي بشكل عام.

وارتكزت مقالات ياسر الحبيب ومحاضراته الأسبوعية بالكويت والتي كان يلقيها في

(❖) كاتب مصري.

لدعائه وتوسله بالعباس بن علي بن أبي طالب.

بعد صدور مذكرة اعتقال ثانية بحقه تمكن من الهجرة غير الشرعية إلى العراق ومن ثم إلى إيران قبل أن يسافر ويستقر في إنجلترا بعد حصوله على حق اللجوء إليها.

«علي ولي الله»

وترفع الهيئة شعار «القوة في زمن الضعف» وقد أطلقت مشروعاً يسمى «علي ولي الله» يرمي إلى نشر التشيع وتوصيله إلى غير المسلمين أو المسلمين السنة، انطلاقاً من مزاعم المؤسس بأن «الإسلام الشيعي يمكن قبوله من العالم كله إذا استوفى ذلك حملات إعلامية قوية توضح الشبهات للمخالفين له والذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام الشيعي».

وبناء على ذلك قامت الهيئة من خلال هذا المشروع بتجهيز العديد من المواد الإعلامية مثل طباعة الكتب العقائدية ونسخ أقراص الكمبيوتر المدمجة والأشرطة للتعريف بالتشيع.

وتزعم الهيئة أنها استطاعت تشييع عشرات العوائل، وزيادة المد الشيعي في دول سنية مثل مصر والسودان وبلاد المغرب العربي، عن طريق إرسال كميات كبيرة من الكتب وإدخالها إلى تلك الدول.

«نور محمد»

وكغيرها من الجهات الشيعية عملت الهيئة على الدخول إلى الدول السنية من باب الفقر والحاجة، فأنشأت مركزاً حمل اسم «نور محمد» يختص بالمشاريع الخيرية التي تعنى بـ «الإقراض الخيري» وتزويد الفقراء بما يحتاجونه من طعام ودواء، ومساعدة اليتامى والأرامل على تكبد عناء المعيشة وبناء الحسينيات وحفر آبار المياه.

أثار ياسر الحبيب بؤادر فتنة طائفية كادت أن تشعل منطقة الخليج لولا حظر السلطات الكويتية نشاط الهيئة وملاحقة ناشطيها، حيث قام مؤسس الهيئة بتسجيل الكثير من الشرائط يكفر فيها

الصحابه رضوان الله عليهم ويصفهم بأبشع الألفاظ.

تقويم الكساء

وأصدرت الهيئة تقويماً تحت اسم «تقويم الكساء» احتوى سيلاً من اللعنات بحق صحابة النبي ﷺ وزوجاته الطاهرات، وتكفير أهل السنة، وغير ذلك من البدع والمنكرات.

مجلة الفرقان الكويتية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٧ فضحت ما جاء في هذا التقويم من تكفير لأهل السنة، فتحت عنوان «لا فائدة من عبادتهم» ينسب التقويم إلى الإمام الصادق قوله: «من خالفكم وإن عبد وإن اجتهد منسوب إلى هذه الآية: «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية»، وهو ما يعد تكفيراً واضحاً لكل من خالفهم الرأي والعقيدة. كذلك تكرر في تقويمهم لعام ٢٠٠٥ في أكثر من صفحة عبارات محرضة مثل: «يا زهراء .. قَسَمًا سنثأر».

كما اشتمل التقويم على الشتم والقذح في كل من الفاروق عمر بن الخطاب والصدّيق أبي بكر ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

مجلة المنبر

كانت هذه المجلة هي البوق الأول للهيئة، وحملت شعار «شمعة الشجاعة في زمن ظلام الخوف» وكانت تصدر بداية كل شهر من شهور السنة الهجرية، وأثارت ردود أفعال عنيفة داخل الأوساط السنية نظراً لما حوته من مواد شاذة تتعارض مع كل القيم والثوابت الإسلامية.

وتعرضت المجلة التي صدرت في الكويت إلى ثوابت العقيدة الإسلامية وإلى زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى أن قررت السلطات وقف طباعتها وتجريم عملها.

في المملكة المتحدة

بعد أن استقر ياسر الحبيب في المملكة المتحدة إثر قبول طلب لجوئه إليها، استقر لعاميين في مدينة بيتبرا شمال البلاد قبل انتقاله إلى العاصمة لندن، حيث عمل هناك على إعادة تأسيس «خدام المهدي»

بعد إغلاق كافة فروعها في إيران والعراق والبحرين وقبلها الكويت، فأتخذ مكتباً مؤقتاً لها وأصدر جريدة شيعية بالإنجليزية (Shia Newspaper) وأشرف على تحريرها بنفسه.

أسس كذلك ما تسمى بـ «حوزة الإمامين العسكريين» في إشارة إلى الإمامين الهادي والعسكري وذلك لبث أفكاره، حيث يشرف عليها بنفسه، ويلقي محاضرات حوزوية خاصة بطلبة العلم وتتمحور اجتهاداته فيها حول علم الفقه الاستدلالي، وعلم الكلام.

«فدك والعتر»

في شهر سبتمبر ٢٠١٠ وبعد حملة موسعة لجمع التبرعات من الشيعة أطلق ياسر الحبيب قناة (فدك)، لكن بثها لم يستمر في البداية، فعلى خلفية ورود تهديدات، قامت شركة البث على القمر أتلانتيك بيرد بقطع البث، لكن القناة ظهرت من جديد على قمر (هوت بيرد) بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠١١، حاملة شعار «لا راية تبقى أمام راية آل محمد».

ويلقي مؤسسها على شاشتها محاضرة مساء كل جمعة ثم يتلقى اتصالات ومداخلات المشاهدين. كذلك يقوم بإلقاء محاضرة أسبوعية مساء كل سبت في حسينية «سيد الشهداء» تبث على «فدك» مباشرة.

وتبث القناة برامجها باللغات العربية والإنجليزية والفارسية. وجاءت تسميتها نسبة إلى واحة تقع في أطراف الحجاز قرب مدينة خيبر، ويعتقد الشيعة بأن فدك ميراث لفاطمة الزهراء من أبيها النبي محمد ﷺ.

وفي عام ٢٠١٣ ونظراً لمنع القناة من الإرسال على قمر النايلسات، قام ياسر الحبيب بإطلاق قناة جديدة حملت اسم «صوت العتر» على النايلسات.

وفاة أم المؤمنين

لكن الجدل الذي خلفه رئيس «خدام المهدي» في لندن كاد أن يعصف به، إذ تعرض لهجوم لاذع ليس من السنة فحسب، بل من الشيعة أنفسهم

الذين تبرؤوا منه وتكروا له.

فبتاريخ ١٧ رمضان ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م أقام الحبيب بمقر الهيئة الجديد بلندن الحفل الأول بمناسبة ذكرى وفاة السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو ما يسمى عند الشيعة بعيد «فرحة الحسن» وقد تضمن الاحتفال كلمة له تعرض فيها بالسب لأم المؤمنين، الأمر الذي خلف ردود فعل واسعة في العالم الإسلامي.

ونظراً لفرض منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) طلب الحكومة الكويتية بإلقاء القبض عليه، بحجة أن قضيته تخرج عن نطاق اختصاصها، لم تجد الكويت أمامها سوى اتخاذ إجراء سحب الجنسية الكويتية التي يحملها الحبيب ومن أبنائه الذين اكتسبوا الجنسية منه بالتبعية.

لكن نيران ذلك الشيعي لم تهدأ حيث أقام احتفالاً آخر بنفس الذكرى في العام التالي ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، حيث قامت قناة فدك بتغطية الاحتفال حيث ظهر وهو يقوم بتقطيع كعكة كتب عليها «عائشة في النار» فيما بدت على ملامحه علامات الفرح والسرور.

مواقف شيعية

المنهج المتطرف لـ «خدام المهدي» ومؤسسها لم يترك مجالاً للمناورة أمام زعماء الشيعة في العالم الذين صاروا في موقف محرج للغاية، فقاموا بالتبرؤ منه، حيث أصدر علي خامنئي المرشد الأعلى في إيران فتوى سياسية بتحريم الإساءة لعائشة وأي فرد من الصحابة.

كذلك وصف حسن نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله» اللبناني احتفال «خدام المهدي» بأنه جاء من «شخص شيعي غير معروف عند الشيعة أساساً» في إشارة إلى ياسر الحبيب.

وأثنى نصر الله على فتوى خامنئي الموجهة ضد كل من يسيء لعائشة، واختتم حديثه بدعوته للالتفاف حول الحكومة الإيرانية معتبراً إياها ضماناً لوأد الفتن على حد وصفه.

الحزب الجمهوري في السودان.. الواقع ومحاولات التأثير

محمد خليفة صديق^(*) - خاص بالرائد

مقدمة:

الفكرة الجمهورية، أو الحزب الجمهوري هو حزب سوداني أسسه المهندس محمود محمد طه ليدعو إلى قيام حكومة فيدرالية ديمقراطية اشتراكية تحكم بالشريعة الإسلامية وفق رؤيته الخاصة، ومبادئ الحزب عبارة عن مزيج من الأفكار الصوفية الغالية والفلسفات المختلفة مع شيء من الغموض والتعقيد المقصود بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً، ولجذب أنظار المثقفين ثانياً.

ومؤسس الحزب محمود محمد طه مولود عام ١٩٠٩م بمدينة رفاعة وسط السودان، وهو سليل أسرة متصوفة موغلة في التصوف. درس محمود محمد طه بالخلوة (الكتاب)، وأتم المدرسة الوسطى، ثم التحق بقسم المهندسين بكلية غردون التذكارية «جامعة الخرطوم فيما بعد»، وتخرج منها في سنة ١٩٣٦م، حيث عمل بالهندسة في رئاسة السكة الحديد في مدينة عطبرة بشمال السودان. وفي خلال ذلك وبعده واصل محمود اطلاعه العلمي واغترف كثيراً من تراث الفلاسفة الغربيين، ورجال التصوف الفلسفي.

بدايات ظهور الحزب:

اشترك محمود في الحملة الوطنية ضد الاستعمار البريطاني، وأصدر عدة منشورات ضد الحكم الاستعماري في السودان، تركزت تلك المنشورات حول قضية (الخفاض الفرعوني) وهو نوع

(*) كاتب سوداني.

من الختان المنهك الذي لا يزال المجتمع السوداني في بعض قطاعاته يتمسك به، كعادة قديمة، وقد أصدر الاستعمار قانوناً يمنع عملية الخفاض الفرعوني للفتيات، ويعاقب القابلة التي تجري تلك العملية بخمسة أعوام سجنًا، وكان محمود في الصف المعارض لمنع الخفاض، وقد اعتقل محمود عدة مرات جراء معارضته لذلك، وقيادته للمظاهرات، وقُدِّمَ لمحكمة قضت عليه بالسجن مدة عامين.

قضى محمود فترة السجن في التحنُّ والتَّصوُّف والاطلاع والتأمل الفكري، وكانت تلك الفترة هي نقطة التحول الكبرى في فكر زعيم الحزب، وبداية لاتصاله بالفكر الباطني خاصة فكر محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ثم أتبع تلك الفترة، بفترة خلوة أخرى مدتها ثلاثة أعوام، قضاها في مدينة رفاعة، وتمكن خلال هذه الفترة من مراجعة أفكاره السابقة، ثم قام بصياغتها صياغة جديدة وأطرها في منهج يزاوج بين العمل السياسي والفكر الصوفي.

وفي أواخر سنة ١٩٥١م خرج محمود من عزلته ليواصل نشاطه العام من جديد، وأصدر كتاباً سماه «قل هذه سبيلي» دعا فيه إلى حكومة عالمية، ودافع فيه من جديد عن عادة الخفاض الفرعوني المستهجنة. وفي عام ١٩٥٥م، قبيل استقلال السودان، وإبان معركة الدستور وسؤال الهوية، واختلاف المشروعات المطروحة ما بين داع إلى دستور إسلامي، وآخر داع إلى دستور علماني، وما بين ذلك، حدد محمود تصوره الخاص في كتاب أخرجه بعنوان: «أسس دستور السودان» سجّل فيه مقترحات كثيرة لأسس الحكم الصالح، ولمعالجة مشكلات المجتمع السوداني في نواحي الاقتصاد والتعليم والاجتماع. وقد برزت ملامح الفكر الباطني للرجل لأول مرة ظاهرة في صياغات هذا

وقد أعلنوا جميعاً توبتهم بعد يومين وأنقذوا بذلك رقابهم من حبل المشنقة.

أفكار ومعتقدات الجمهوريين:

يقول محمود طه عن القرآن الكريم: «القرآن موسيقى علوية، هو يعلمك كل شيء ولا يعلمك شيئاً بعينه، هو ينبه قوى الإحساس ويشحذ أدوات الحس ثم يخلي بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك الخاص، هذا هو القرآن». كما لا يلتزم الجمهوريون في تفسير القرآن بالمأثور في شتى أنواعه من تفسير القرآن بالقرآن أو بأقوال الرسول ﷺ أو أقوال الصحابة أو أقوال التابعين، ويفسرون القرآن بما يخالف قواعد اللغة العربية وأحياناً بما يتعارض معها.

كما يقول محمود محمد طه وأتباعه بالتفسير الباطني للقرآن، ويأتي من المعاني لآيات القرآن على ضوء هذا المعنى عنده بما لا يستند إلى كتاب ولا إلى سنة ولا إلى لغة، ويستشهد بأقوال غلاة الصوفية ويورد أقوالهم ويعتقد بوحدة الوجود .

فالاتجاه الجمهوري في تفسير القرآن الكريم وفي شرح السنة النبوية هو اتجاه باطني منحرف عن النهج القويم لتفسير القرآن الكريم أو شرح السنة النبوية، والتأويل الباطني عند الجمهوريين يخرج بالقرآن الكريم عن هدفه الذي يرمي إليه، فالقرآن الكريم يقصد هدفاً معيناً بتأويلاتهم الفاسدة، وبين الهدفين تناقض وتضاد فيأبى الجمهوريون إلا أن يحولوا الإسلام عن مقصده وهدفه إلى مقصدهم وهدفهم فيقيمون مذهبهم ويروجون له على حساب القرآن الكريم والسنة النبوية.

فهدفهم أن يقيموا مذهبهم في ظاهره على أساس من تفسيرهم لكتاب الله وبهذا الصنيع يكون الجمهوريون قد خدموا هدفهم ولم يقدموا للقرآن شيئاً إلا هذا التأويل الفاسد، الذي كله شر

أصدر في ١٩٦٢م كتاباً جديداً يؤصل فيه للملامح فكر الحزب، بشكل أوضح وأصرح، وهو كتاب «الرسالة الثانية من الإسلام»، وقد سمع الناس لأول مرة في هذا الكتاب أن الإسلام رسالتان، وأن الحرية في الإسلام مطلقة لا قيد عليها، وأن الإسلام دين يدعو إلى الاشتراكية التي تصل إلى الشيوعية العامة في كل شيء. وقد ذكر المفكر الماركسي د. سمير أمين، في تقديمه للترجمة الفرنسية لكتاب «الرسالة الثانية من الإسلام»: أن اشتراكية محمود محمد طه هي الدعوة الاشتراكية الأقرب إلى الشيوعية، وقال: «إن الاشتراكية وفقاً لمحمود محمد طه هي رديفٌ لتمكُّن البشر جميعهم من أخذ نصيبهم المتساوي من الثروة المادية التي استطاعت أن تنتجها عبقرية الإنسان». وبذلك، فإن هذا التعريف يجعله في واقع الأمر أكثر قرباً لمفهوم الشيوعية من تجارب وبرامج الاشتراكية التاريخية الحديثة.

تعرّض للسجن في الفترة الأخيرة من حياته، ثم أُفرج عنه بعد ذلك، لكنه قاد نشاطاً محموداً فور خروجه من السجن معترضاً على تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، مما أدى إلى صدور حكم بالإعدام ضده مع أربعة من أنصاره بتهمة الردّة ومعارضة تطبيق الشريعة الإسلامية، وأمهل ثلاثة أيام ليتوب خلالها، لكنه لم يتب، وقد أعدم شنقاً صباح يوم الجمعة ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ، الموافق ١٩٨٥/١/١٨م وعلى مرأى من أتباعه الأربعة وهم:

- (١) تاج الدين عبد الرزاق، ٣٥ سنة، العامل بإحدى شركات صناعة النسيج.
- (٢) خالد بكير حمزة، ٢٢ سنة، طالب بجامعة القاهرة - فرع الخرطوم.
- (٣) محمد صالح بشير، ٣٦ سنة، مستخدم بشركة الجزيرة للتجارة.
- (٤) عبد اللطيف عمر، ٥١ سنة، صحفي

وعلى الدين والحد في آيات الله. وقد اتبع محمود في تأويله المنهج المذموم في التفسير، وعارض النصوص الصريحة في القرآن الكريم، وقال بمرحلية الآيات المعارضة لمذهبه والتي لم يستطع تأويلها لصراحتها، وتأويلاته للآيات القرآنية والأحاديث النبوية تأويلات باطلة متكلفة يمجها الذوق السليم، ولا تتفق في قليل أو كثير مع قواعد الدين وبلاغة القرآن الكريم وفصاحة الرسول الكريم ﷺ.

ويقول بأن مستوى شريعة الأصول هو مستوى الرسالة الثانية من الإسلام وهي الرسالة التي وظف حياته للتبشير بها والدعوة إليها. ويزعم أن محمداً ﷺ هو وحده الإنسان في سائر أمته إذ كانت له شريعة خاصة قامت على أصول الإسلام وكانت شريعة أمته تقوم على الفروع.

وكان الجمهوريون يحرصون على خروج الأخوات الجمهوريات في تشييع الجنائز، وإذا اضطروا للصلاة فإن المرأة الجمهورية هي التي تؤذن في حضور الرجال! ولا يولم الجمهوريون في الزواج الجمهوري، ولا يضحون في مناسبة عيد الأضحى، مخالفة للسنة.

والصلاة عندهم، الصلاة بالمعنى القريب: هي الصلاة الشرعية ذات الحركات المعروفة، والصلاة بالمعنى البعيد: هي الصلة مع الله بلا واسطة، أو هي صلاة الأصالة. ويرون بأن التكليف في مرحلة من المراحل يسقط عن الإنسان لاكتمال صلاحه، إذ لا داعي للعبادة حينذاك، على نحو ما يقول غلاة الصوفية، يقول محمود محمد طه: «... ويومئذ لا يكون العبد مسيراً، إنما مخير قد أطاع الله حتى أطاعه الله معارضة لفعله، فيكون حيًّا حياة الله، وقادراً قدرة الله، ومريداً إرادة الله، ويكون الله» - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ويقول: «إن جبريل تخلف عن النبي ﷺ، وسار

يؤمنون بفكرة ثنائية الإله، حيث يعتقدون أن الرحمن هو إله الأرض وأن الله هو إله السماء وهما إله واحد، يقول محمود محمد طه في تفسير قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ

الْعَلِيمُ﴾ (٨٤) [الزخرف: ٨٤] فإنه الأرض إله الإرادة، وإله السماء إله الرضا، وإله الأرض الرحمن، وإله السماء الله وإنما هو إله واحد.

ويزعم محمود محمد طه أن الأصل في الإسلام السفور وليس الحجاب ويقول: (الحجاب ليس أصلاً في الإسلام، والأصل في الإسلام السفور لأن مراد الإسلام العفة وهو يريد بها عفة تقوم في صدور النساء والرجال لا عفة مضروبة بالباب المقفول والثوب المسدول)، ويفسر قوله تعالى عن آدم وحواء - عليهما السلام - لما أكلا من الشجرة وبدت لهما سواتهما: «وظفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة» بقوله الذي نقلناه آنفاً (إشارة إلى الحجاب الذي أملاه الخزي الذي صاحب الخطيئة وقد تحدثنا عن ذلك في موضعه من كتابنا (الرسالة الثانية من الإسلام) تحت عنوان (الحجاب ليس أصلاً في الإسلام)، وفيه يقول: «فأخذوا يستتران عوراتهما بورق التين، يومئذ بدأ الحجاب فهو نتيجة الخطيئة وسيلازمها حتى يزول بزوالها إن شاء الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَكْبَتِ آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا

عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ تَكُمُ﴾ (١٦) [الأعراف: ٢٦] وهو يعني قد خلقناكم وفرضنا عليكم لبس ثياب القطن والصوف

بدلاً عن الله، وقد أخذ أفكاره من كتاب (الإنسان الكامل) لمؤلفه عبد الكريم الجبلي. واعتمد طه على الأفكار الاشتراكية الماركسية في تحديد معالم فكرة الدولة القادمة التي يدعو إليها، ويلتقي الجمهوريون في كثير من أفكارهم مع البهائية والقاديانية.

أهداف الحزب الجمهوري:

حدد زعيمهم الأهداف التي يسعون إليها بما يلي:

- ١- إيجاد الفرد البشري الحر «الذي يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر ويعمل كما يقول».
 - ٢- إقامة ما يسمى بالمجتمع الصالح «وهو المجتمع الذي يقوم على المساواة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية».
 - ٣- المساواة الاقتصادية: وهي تبدأ بالاشتراكية، وتتطور نحو الشيوعية.
 - ٤- المساواة السياسية: وهي تبدأ بالديمقراطية النيابية المباشرة وتنتهي بالحرية الفردية المطلقة، حيث يكون لكل فرد شريعته الفردية.
 - ٥- المساواة الاجتماعية: حيث تمحى فوارق الطبقة واللون والعنصر والعقيدة.
 - ٦- محاربة الخوف.. «والخوف من حيث هو الأب الشرعي لكل آفات الأخلاق ومعايب السلوك (ويعنى هنا مخافة الله) ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهي خائفة في أي مستوى من الخوف وفي أي لون من ألوانه، فالكمال والسلامة من الخوف» كما ذكر طه في كتابه رسالة الصلاة، ص ٦٢.
- فالحزب الجمهوري في السودان حزب منحرف عن الإسلام، عمد مؤسسه إلى إفراغ المصطلحات الإسلامية من مدلولاتها الشرعية ووظف حياته لهدم الإسلام وتحريف أصوله وسلك طريقاً ينأى بأتباعه عن الدين الصحيح بتلبيس الحق بالباطل مستفيداً من أفكاره ومستعيناً بمصادر أخرى غير إسلامية

المعصوم بلا واسطة لحضرة الشهود الذاتي، لأن الشهود الذاتي لا يتم بواسطة.. والنبي الذي هو جبريلنا نحن يرقى بنا إلى سدرة منتهي كل ممّا، ويقف هناك كما وقف جبريل حتى يتم اللقاء بين العابد المجرد وبين الله بلا واسطة، فيأخذ كل عابد مجرد، من الأمة الإسلامية المقبلة شريعته الفردية بلا واسطة فتكون له شهادته، وتكون له صلاته وصيامه وزكاته وحجه ويكون في كل أولئك أصيلاً.

وكان محمود محمد طه يرى «بأن اللطائف تخرج من الكثائف، وعلى هذه القاعدة المطردة فإن الإنجيل قد خرج من التوراة، كما ستخرج أمة المسلمين من المؤمنين، كما ستخرج الرسالة الأحمدية (أي الجمهورية) من الرسالة المحمدية، كما سيخرج الإخوان من الأصحاب».

ويعتقد الجمهوريون بأن الذين كانوا حول النبي هم أصحابه، أما الأتباع الذين يتبعون الدعوة الجمهورية فهم الإخوة معتمدين في ذلك على الحديث الذي رواه ابن ماجة في كتاب الزهد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لوددنا أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: يا رسول الله: أولسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي، وأنا فرطكم على الحوض..».

عموماً جاءت أفكار هذا الحزب مزيجاً مشوشاً مضطرباً من أديان وآراء ومذاهب كثيرة حديثة وقديمة، فقد اعتمد مؤسس هذا الحزب على آراء محيي الدين بن عربي في كتابه (فصوص الحکم) مما حمل بعض النقاد على الاعتقاد بأنهم حركة صوفية باطنية، يضاف إلى ذلك أنهم يطلقون البخور ويرقصون في الشوارع على الأنغام الإيقاعية في حلقات الذكر الجمهوري، ويصدر زعيم الحزب في كثير من آرائه عن فرويد، وداروين، كما يرى البعض أنه متأثر بالنصرانية من خلال مناقشته لفكرة الإنسان الكامل الذي سيجاسب الناس

من الفلسفات الإغريقية، وتابع غلاة الصوفية في المناداة بوحدة الوجود وألبسها طابعاً علمياً لتجد سبيلها إلى نفوس الشباب وبعض المنبهرين ببريق العلم، وانتهى أمره بأن غالى فيه أتباعه واعتقدوا بأنه المسيح المنتظر وأقهرهم على ذلك ولم يعترض عليه.

وضع الحزب بعد إعدام زعيمه:

نشأ هذا الحزب وترعرع في السودان، وأنصاره بلغوا بضع عشرات من الألوف، لكن عددهم انحسر وتقلص كثيراً جداً عقب إعدام زعيمهم، ويرى كثير من المراقبين أن إعدامه أسدل الستار على نشاطات أكثر الطوائف الأيديولوجية نشاطاً وحيوية في ذلك الوقت بالسودان، ومن أكثرها اهتماماً بالطرح الفكري والجدل، فقد كانوا يواصلون دعوتهم بلا كلل ولا ملل، وفي صبر واحتمال عجيبين، ولا شك أن جهد الواحد منهم كان يساوي جهد عشرين عاملاً في الحركات الأيديولوجية الأخرى، ولكن الآن اختفى هذا النشاط، ولكنه بدأ يظهر من جديد، بعد البدء في مراسم تدشين الحزب الجمهوري من جديد رسمياً بالسودان.

كان الجمهوريون يراهنون علناً أن زعيمهم لن يموت حتى يقيم دولته، وتعم فكرته الآفاق، وقد زحرت أشعارهم وأفكارهم بهذا المعنى، ولذلك فقد أصيبوا بصدمة عنيفة من جراء الإعدام، وبدوا مذهولين وكأنهم غير مصدقين لما وقع، رغم أنهم رأوه رأي العين، وقد توقفوا عن الجدل العلني منذ ذلك اليوم وأعلن بعضهم عن رده عن الفكر الجمهوري، كما أعلن بعضهم أنه قد بدأ يعيد النظر في إيمانه وولائه لتلك الأفكار.

وقد رأى مراقبون آخرون أن إعدام محمود محمد طه، في سبيل مذهب، ربما زاد من قداسته في نظر أتباعه، وربما زادت هذه الحادثة من إيمان الجمهوريين بالفكرة والزعيم، ولا سيما أن الزعيم

لم يتزعزع قط، لا في المحكمة التي رفض التعاون معها، وابتسم لها ساخراً حينما نطقت بالحكم، ولا في منصة الإعدام التي تقدم إليها رابط الجأش.

ومن غريب معتقدات بعض الجمهوريين أنهم يرون أن زعيمهم دبّر عملية إعدامه، فتقول ابنته أسماء: «أنا أعتقد أن الأستاذ دبر كل هذه المسائل، وهو هيأنا لذلك، فحينما حكمت عليه المحكمة كانت لديه فرصة للاستتابة والرجوع، إلا أنه رفض ذلك. وابتسامته على مقصلة الإعدام خير دليل على ذلك، كما أنه ترك لنا وصية منذ الخمسينات، وهي (لا أكفن ولا يُنَاح عليّ، ولا توضع على قبري علامة)، وهذه أشياء توضح إلى أي مدى ذهب.

وقد ذكر البروفيسور شوقي بشير المتخصص في الفكر الجمهوري، أن الجمهوريين انطلاقاً من إيمانهم بنظرية التطور وعقيدتهم في وحدة الوجود المادي، ربما رأوا في موت الزعيم مرحلة من مراحل السعي في سلسلة الوجود، وبداية لدورة جديدة لجسمه حيث تسعى أجزاؤه للوصول للكمال المطلق.

فالجمهوريين يؤمنون بأن عمل الإنسان لا ينقطع بالموت، وأن الإنسان قد يصل إلى نقطة «الوصول»، في خلال حياته، أو عند موته، أو بعد الموت. وفي هذه الحالة فإن اختفاء الزعيم لن يحدث تأثيراً سلبياً على دعوته، وسيظل هو يكافح وهو ميت، كما سيواصلون هم الكفاح في كل الأحوال!

من أبرز رموز الجمهوريين داخل السودان وخارجه:

يلاحظ الوجود المكثف للجمهوريين في الولايات المتحدة الأميركية، والتي لجأ إليها كثير منهم بعد إعدام زعيمهم محمود محمد طه، وقد فتحت لهم الجامعات الأميركية أبوابها، فنالوا فيها الشهادات العالية، وكشف الأستاذ الصحفي الطيب مصطفى أن عدداً من الجمهوريين عملوا مترجمين ضمن

القوات الأمريكية العاملة في العراق إبان الاحتلال، وقد تمّ استقطاب العديد من أتباع محمود محمد طه في الولايات المتحدة، وكشف بعض الصحفيين السودانيين أن الوقف الوطني للديمقراطية الذي توفر ميزانيته الحكومة الأمريكية الفيدرالية، عبر وزارة الخارجية، والذي أنشئ عام ١٩٨٣م في عهد الرئيس رونالد ريغان، حيث أوكل إليه أن يقوم علناً بتنفيذ العمليات التي كانت (CIA) تنفذها سراً، قد مول هذا الوقف منظمات ومراكز وشخصيات سودانية ذات صلة بالحزب الجمهوري منها مركز الخاتم عدلان بالخرطوم الذي كان يديره د. الباقر العفيف المعروف بانتمائه للجمهوريين.

يرى د. شوقي بشير أن دعوة بهذا التعقيد الفكري، والتصميم الحركي، جديدة بأن تصبح محط أنظار أعداء الإسلام في كل مكان، ولذلك فقد رشحوها بديلاً لحركات الدعوة الإسلامية في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وعملوا على تلميعها وانتزاع شهادات التزكية لها من مختلف الأوساط الفكرية الاستشراقية وأوساط عملاء اليسار الماركسي المستخدمين أمريكياً في الوقت الحالي.

وظل معظم الجمهوريين بالخارج على ارتباط بالسودان، سواء عبر الكتابات أو الزيارات، ومن أبرز هؤلاء:

١- أسماء محمود محمد طه: وهي ابنة صاحب الفكرة الجمهورية، تخرجت من كلية القانون بجامعة الخرطوم وعملت مستشارة بديوان النائب العام، وهي متزوجة من الجمهوري د. النور حمد، وكانت تعيش بالولايات المتحدة، قبل أن تستقر حالياً بالسودان، وتسعى لتسجيل الحزب الجمهوري كحزب سياسي، وهي التي يتوقع أن تقود الحزب الجمهوري في السودان بعد تسجيله رسمياً.

٢- د. النور حمد: حاصل على دكتوراه التربية

في التربية الفنية من جامعة إلينوى، ومجستير التربية الفنية من جامعة ميامي، ودبلوم الفنون الجميلة من كلية الفنون الجميلة والتطبيقية في السودان. درس في جامعات شرق واشنطن، ومانسفيلد، في الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل رئيساً لقسم التربية الفنية في جامعة قطر. نشرت له دراسات متنوعة في الدوريات الأكاديمية المحكمة في الفكر والتعليم والسياسة. وقد ألف عدة كتب في الفكر والثقافة والسياسة وحرر كتباً أخرى.

وهو عضو في عدة منظمات علمية وثقافية، وتتركز اهتمامات حمد البحثية في تيارات الروحانية المماثلة للتصوف الإسلامي، كما تشمل اهتماماته البحثية الخصائص الثقافية للسودان.

يعمل الدكتور النور حمد باحثاً في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة، ومشرفاً علمياً على الموقع الإلكتروني للمركز، ومسؤولاً عن قسم التحرير، ومديراً لتحرير مجلة «سياسات عربية» التي يصدرها المركز، وهو متزوج من الابنة الكبرى لمحمود محمد طه (أسماء).

٣- د. محمد أحمد محمود: المحاضر في قسم الأديان المقارنة بجامعة تفتز الأمريكية، بوستون، وهو صاحب كتاب:

(Quest for Divinity - A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha, Syracuse University Press, 2006) وترجمته: «في السعي إلى الذات العليا..

دراسة نقدية في فكر محمود محمد طه»، عن مطبعة جامعة سيراكيوز، في ديسمبر ٢٠٠٦، ضمن سلسلة التاريخ الفكري والسياسي الحديث للشرق، ويقع في ٢٩٦ صفحة من القطع المتوسط، تناول فيه حياة محمود محمد طه، حيث كشف عن علاقة الاستمرار والانقطاع بين مشروع طه الفكري والمصادر التراثية (خاصة الصوفية) والحديث التي تأثر بها. وتناول نظريته الصوفية عن الصلاة ومنهجه في تفسير القرآن، وموقفه في مسألة

التخيير والتسيير، وبرنامجه الحداثي في ما يدعي أنه إصلاح جذري لرسالة الإسلام السياسية والاجتماعية (ما أطلق عليه الرسالة الثانية من الإسلام)، ورؤاه في تحديث الشريعة وموقف الإسلام من العلم (خاصة نظرية التطور) ومن الفنون.

٤- د. أحمد المصطفى دالي: ولد عام ١٩٥١ بالحدبية بوسط السودان، دخل كلية العلوم بجامعة الخرطوم في عام ١٩٦٩، وتخرج منها في عام ١٩٧٥، أما دراساته العليا فكانت بالولايات المتحدة، حيث تحصل على ماجستير العلاقات الدولية بجامعة أوهايو عام ١٩٩٣، ثم نال شهادة الدكتوراه عن مناهج وطرق التدريس بالجامعة نفسها عام ١٩٩٧.

كان يلقب بخليفة محمود محمد طه، وكان من أبرز المتحدثين الجمهوريين في الجامعات السودانية في حقبة الثمانينيات من القرن الماضي إبان دراسته الجامعية، قبل انتقاله للولايات المتحدة الأمريكية، وقد جاء في التسعينيات إلى واشنطن العاصمة، وأقام في منطقة جامعة جورجتاون، ثم غادر إلى ولاية تكساس، وهو متزوج من ابنة محمود محمد طه الصغرى (سمية).

٥- الدكتور عبدالله أحمد النعيم: يعمل حالياً أستاذاً للقانون في كلية الحقوق بجامعة (إيموري) بمدينة أتلانتا بولاية جورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو الذي ترجم كتاب (الرسالة الثانية) لمحمود محمد طه إلى الإنجليزية، وله العديد من المؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية. وكانت حصيلة مشروعه البحثي عن علاقة الدين بالدولة والسياسة محل جدل وحوار في العديد من الأوساط الأكاديمية المعنية، وقد تضمن كتابه الذي صدر عن دار ميريت بالقاهرة تحت عنوان «الإسلام وعلمانية الدولة» بعض الآراء الغربية للنعيم، مثل أنه يرى أن الشريعة الإسلامية إيجابية

ولها مستقبل زاهر، ويعبر عن ذلك بقوله: «إن الشريعة لها مستقبل، وهذا المستقبل يكمن في الدولة العلمانية وليس في الدولة الإسلامية. ونظيرتي في ذلك أن فكرة الدولة الإسلامية ما هي إلا فكرة نشأت بعد الاستعمار وكانت نتاج العلوم السياسية الأوروبية والقضاء الأوروبي. وهذا ما لا يتماشى مع طبيعة الشريعة الإسلامية ولا مع تاريخ المجتمع الإسلامي».

حيث يرى أن الشريعة التي ولدت في القرن السابع الميلادي لا تتماشى صورتها الأصلية بكل بساطة مع واقع الحياة في القرن الحادي والعشرين. وعلى المرء أن يعيد صياغتها من جديد، لأن تطبيق الشريعة الذي ينادي به المتشددون في الوقت الحاضر يتعارض مع القانون الدولي المعاصر، وهو عين ما يراه محمود محمد طه صاحب الفكرة الجمهورية.

وللنعيم كذلك كتاب بعنوان «مستقبل الشريعة الإسلامية» يفرض فيه فكرة الدولة الإسلامية في الوقت الحاضر رفضاً باتاً، ويرى أنها تناقض التقاليد الإسلامية، ويقول عن ذلك: «لقد كان هناك فصل دائم بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، حيث كان الأمراء والسلطين حكاماً سياسيين ولم تكن لهم سلطة دينية. كما أن الشريعة تطورت في ميادين الفقهاء المستقلة وكان هذا التطور بعيداً عن نفوذ الدولة. وكانت الدولة كلما تحاول استقطاب رجال الدين كانت تفسد عليهم أخلاقهم، وكانت تخلق صراعاً واضطهاداً للأقليات الدينية من المسلمين والديانات الأخرى».

٦- د. عمر أحمد القراري: من مواليد مدينة عطبرة، بشمال السودان، تخرج من جامعة الخرطوم في الاقتصاد والاجتماع، وحصل على درجة الماجستير في الاقتصاد الزراعي من جامعة الخرطوم، كما حصل على ماجستير آخر في الدراسات الدولية من جامعة أوهايو بالولايات

المتحدة، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة أوهايو في التربية - تخصص علم المناهج، وكان عنوان رسالته للدكتوراه «مشاكل وآفاق تعليم حقوق الإنسان في العالم العربي الإسلامي- مصر حالة دراسة» وحصل عليها عام ٢٠٠٠م.

عمل بوزارة المالية والتخطيط وبنك الادخار السوداني ومركز القاهرة لحقوق الإنسان، ودرّس في معاهد وجامعات أمريكية، وعمل كأستاذ مشارك بجامعة الأحفاد للبنات بالسودان، حيث كان يدرّس طالبات الماجستير في معهد دراسات المرأة والنوع، كما عمل في منظمات عالمية وتعاون مع مراكز دراسات وبحوث ومنظمات نسوية داخل وخارج السودان. يعمل الآن مستشاراً خاصاً في مجال التعليم والمرأة وحقوق الإنسان ويسكن حالياً في الخرطوم.

من أقوال عمر القراري: «وليس في الشريعة الإسلامية دستور، لأنها لا توفر حق الحياة وحق الحرية لكل مواطن، فقد أحكمت الشريعة القتل في المشركين، لا يدفع عنهم إلا إذا قبلوا الدخول في الإسلام .. ويقول أيضاً: ولما كان ذلك المجتمع يقوم على عرف حكم شيخ القبيلة فقد جاءت الشريعة بحكم الفرد - الخليفة - مجارة للواقع».

٧- د. الباقر العفيف: تخرج من جامعة الخرطوم، ثم أكمل تعليمه فوق الجامعي بالملكة المتحدة، وعمل أستاذاً للغة الإنكليزية بجامعة الجزيرة بوسط السودان في الفترة (١٩٨٨- ١٩٩٠م)، وعمل في كثير من المنظمات العالمية بأمريكا وبريطانيا، كما كان المسئول الإقليمي للحملات بمنطقة الشرق الأوسط بالأمانة الدولية لمنظمة العفو الدولية بلندن (٢٠٠١- ٢٠٠٥م)، وأيضا عمل خبيراً بمعهد السلام الأمريكي (٢٠٠٥- ٢٠٠٦م)، وعمل أستاذاً لعلوم الشرق الأوسط بجامعة الميتروبوليتان بمانشستر (١٩٩٦- ١٩٩٧م).

(٢٠٠١م)، شارك بالكتابة في عدد من الدوريات العربية والمراكز الحقوقية فنشرت له مجلة رواق عربي، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ودعي لعدد كبير من المؤتمرات العالمية التي تناقش قضايا حقوق الإنسان وتقارب الأديان. ومنذ العام ٢٠٠٧م يعمل مديراً لمركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية بالخرطوم.

من مؤلفاته: كتاب ما وراء دارفور: الهوية والحرب الأهلية في السودان، باللغة الإنكليزية، ترجمة: محمد سليمان، ونشره مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، بجانب كتاب حقوق الإنسان في فكر الإسلاميين، ونشره مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان كذلك.

مستقبل الجمهوريين في السودان:

ظل الجمهوريون في حالة بيئات منذ مقتل زعيمهم، وظل معظم نشاطهم يتركز حول الاحتفال بذكرى إعدامه، مع بعض المقالات الصحفية وعلى المواقع الإلكترونية، وخرجت القيادات الجمهورية المعروفة من السودان واستقر معظمهم بالولايات المتحدة الأميركية، ولكن بدأ الجمهوريون هذه الأيام تأسيس حزبهم السياسي من جديد رسمياً، حيث أعلن مجلس شؤون الأحزاب السياسية في السودان، الجهة المسؤولة عن تسجيل الأحزاب السياسية، بتاريخ ١٠ فبراير ٢٠١٤م عن تأسيس حزب سياسي بموجب المادة ١٥ (٤) من قانون الأحزاب السياسية لعام ٢٠٠٧م، والمادة ١١ (١) من لائحة تسجيل الأحزاب السياسية، تعديل لسنة ٢٠١٢م، تحت مسمى الحزب الجمهوري.

ولخص مجلس شؤون الأحزاب السياسية في السودان أهداف الحزب في تغيير البيئة السياسية من الصراع حول السلطة إلى بيئة تتحاور فيها الأفكار من أجل الوصول لرأى عام مستتير ومذهبية رشيدة للحكم، ونشر ثقافة السلام ونبذ العنف، وترسيخ قيم الحوار، والجمع بين

الاشتراكية والديموقراطية في نظام حكم واحد ، بجانب محو الفوارق الحضارية والثقافية بين الريف والمدن.

ويتوسل الحزب لتنفيذ أهدافه بجملة وسائل منها: إشاعة الفكر ليكون وقوداً لتطويع المجتمع وهو ما يطلق عليه الحزب (الثورة الفكرية) ، والدعوة للأخلاق الكريمة لتكون مرادفة للعمل المجود (الثورة الثقافية) ، واستخدام كل أنواع المناابر الحرة المسموعة والمرئية والمقروءة.

وتصدرت ابنة مؤسس الفكرة الجمهورية (أسماء محمود محمد طه) أسماء الذين تقدموا بطلب تسجيل الحزب الجمهوري ، ويلاحظ على الأسماء أن عدداً كبيراً منها يضم أشخاصاً من أسرة واحدة ، وقد وصل عددهم إلى ٦٨٢ شخصاً ، ويمثلون عدة ولايات سودانية ، تركزت على الخرطوم ، والجزيرة ونهر النيل والبحر الأحمر.

وترى أسماء محمود محمد طه أن هذا هو الوقت المناسب لفكر والدها ، لأن المجتمع نضج أكثر ، كما أن التجربة الدينية في فترة الحكم الحالي (الإنقاذ) ، وسقوط (الإخوان المسلمين) في العالم ، هذه كلها أشياء توضح أن الناس باتوا في حيرة تحتاج إلى مخرج ، والناس لن يتخلوا عن دينهم ، فهم يحتاجون للإسلام ، فهل يوجد طرح الآن يمكن أن يستوعب حاجة الناس ويحل مشكلتهم؟ هنا يبرز فكر الأستاذ «محمود» ، فهذا زمانه والوقت الذي يمكن أن يتقبله فيه الناس.

وقد خالف بعض الجمهوريين فكرة تسجيل الحزب من جديد كحزب سياسي ، حيث يرى الجمهوري خالد الحاج عبد المحمود ، في مقاله: (التغيير بين الأستاذ محمود وأسماء وحزبها) أن الحزب الجمهوري الذي تأسس في عام ١٩٤٥ ورئيسه الأستاذ محمود ، هو الحزب السياسي ، وتوقفت مسيرته بعد ١٩٥١ أي بعد ظهور الفكرة الجمهورية.. وكانت مسيرته الأساسية ، تقوم على

ملء فراغ الحماس الوطني ضد الإنجليز ، مشيراً إلى أن المسيرة بعد ١٩٥١ مسيرة دينية ، وليست سياسية ، والمسيرة الدينية نهجها يختلف بصورة جذرية عن المسيرة السياسية السابقة.

ويرى عبد المحمود أن هنالك خلطاً واضحاً جداً ، ومتعمداً ، في أقوال (أسماء وحزبها) .. فهم يتحدثون عن حزب سياسي ، ومسيرة سياسية ، ثم يقومون بتغطية أغراضهم السياسية ، بالجانب الديني للفكرة الجمهورية ، مع الإبعاد التام للمنهج الديني الذي تقوم عليه الفكرة ، وهو (طريق محمد) ﷺ .. بمعنى آخر ، هم يتحدثون عن الجانب السياسي للفكرة ، مع فصله من الجانب الديني ، مع استخدام عبارات الجانب الديني بصورة مضللة. هم يزعمون أنهم يهدفون إلى إحداث تغيير جذري في حياة أفراد المجتمع السوداني ، وأنهم سيعملون جاهدين من أجل تحقيق هذا المجتمع الصالح.. يضخمون من ذواتهم بصورة محيرة ، ويزعمون لأنفسهم أنهم سيحققون ما لم يحققه الأستاذ محمود!!

ويرى عبد المحمود أن دعوة (أسماء وحزبها) ، ومن يلف لفهم ، هي مجرد (إسلام سياسي) ، في الوقت الذي فشلت فيه تجربة الإسلام السياسي ، في العالم بصورة نهائية.. والشعارات السياسية التي يأخذونها من الفكرة ويرفعونها ، هي ليست أكثر من شعارات.. وهي نفسها موجودة في الفكر السياسي العلماني.. وقد فشل الفكر السياسي العلماني في تحقيقها بصورة نهائية ، لخلل أساسي في تصوراته لطبيعة الوجود والطبيعة البشرية ومعرفة الغايات ، والأهداف الكلية.. فما تقدمه الفكرة ، تعجز عنه العلمانية.. شعارات السياسة ، هذه سطحية شديدة جداً ، في فهم الفكرة ، وتحريف لها وانحراف عنها.

ويصف الجمهوري عبد المحمود أعضاء الحزب

تأثير كبير لهذا الحزب، وقد يحدث تقارب بينه وبين بعض التيارات العلمانية واليسارية، فهناك روابط قديمة معهم، وكانوا يشاركون في احتفالات إعدام زعيمهم ويسمونه شهيد الفكر الحر.

المراجع:

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، نسخة إلكترونية بموقع الكاشف: www.alkashf.net.

٢- قيصر موسي الزين، حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات، ورقة قدمت في ورشة مستقبل الحركات الإسلامية، مركز التنوير المعرفي، الخرطوم، مارس ٢٠٠٧م.

٣. موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت :

<http://www.alfikra.org/index.php>

٤- عبد الحمود نور الدائم، مقال بعنوان: المخابرات الأمريكية وتمويل العمل السياسي المعارض في السودان، صحيفة الانتباهة السودانية، بتاريخ: ٢٥ أبريل ٢٠١٣م.

٥- موقع مركز محمود محمد طه الثقافي على الإنترنت:

<http://alustadhcenter.org/index.php>

٦- شوقي بشير عبد المجيد، التأويل الباطني عند فرقة الجمهوريين بالسودان، مجلة دراسات دعوية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، العدد ٩، فبراير ٢٠٠٥م.

٧- صحيفة الأهرام اليوم السودانية، بتاريخ: ٢٣ فبراير ٢٠١٤م، إعلان بأسماء الأعضاء المؤسسين للحزب الجمهوري.

الجديد بمن فيهم ابنة الزعيم: «أنتم أساساً علمانيون مهما قلتم خلاف ذلك، ومهما لبستم أقوالكم عبارات الفكرة.. العبرة ليست بالعبارات وإنما بالمحتوى.. والعبرة ليست بالنص، وإنما بفهم النص. ثم يقول: وأكرر أنه من المستحيل أن يتم تطبيق الفكرة على مستوى الدولة، في أي بلد من البلدان.. كما أنه من المستحيل نشر الفكرة على مستوى العالم، في المستوى الذي تبشر به، ما لم يأت الإذن الإلهي والمأذون، كما ذكر الأستاذ محمود، فالموضوع هو أكبر بعث ديني، في تاريخ البشرية، وتتويج لجميع حركة التطور، ولجميع الحضارات الإنسانية، بمدينة الإنسان، ولأول مرة في التاريخ. ثم يصف قيام الحزب من جديد بأنه: مفارق لجوهر الفكرة، وهو عمل، مع حسن الظن، يدل على اليأس من أمر الله».

يمكن أن نتوقع أن يستقطب هذا الحزب بعض الأنصار، ولكنه لن يكون مؤثراً على المدى البعيد، وقد يكون له أثر فكري وثقافي لاهتمام الجمهوريين بالثقافة، سيما الثقافة المرتبطة بالحدثة وما بعد الحدثة، فقد أسسوا (مركز محمود محمد طه الثقافي) بأم درمان، وتم افتتاحه رسمياً في ١٨ يناير ٢٠١٠م، ليتوافق مع الذكرى الخامسة والعشرين لإعدام محمود محمد طه، ويهدف المركز لإشاعة ما يسميه (الفكر الإنساني المتقدم) عن طريق ترسيخ المنابر الحرة، المسموعة، والمقروءة، والمرئية، والمساهمة في ترسيخ التنوع الثقافي، والفكري.. وترسيخ ثقافة السلام، و(اللاعنف) بحسب رؤيتهم، ونشر ثقافة الاهتمام بتنمية الطفل، والمرأة، والأسرة، ونشر ثقافة الدفاع عن حقوقهم. وقد نشط هذا المركز في نشر المؤلفات، والدراسات، والأبحاث التي تدور حول الفكر الجمهوري، ونظم عدداً من الندوات، والمحاضرات، والمنتديات الثقافية وغيرها.

على الجانب السياسي لا يُتوقع أن يكون هناك

أولاً: حياته ونشأته

ولد الشيخ محمد علي أكبر التسخيري في مدينة النجف بالعراق في سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٤ م)، وهو ينحدر من محافظة مازندران في شمال إيران. وفي النجف، درس في حوزتها على يد عدد من علماء الشيعة آنذاك مثل: محمد باقر الصدر وأبي القاسم الخوئي ومحمد تقى الحكيم وجواد التبريزي ومجتبى اللنكراني. وحصل على شهادة الليسانس في العلوم العربية والفقه.

وفي شبابه، انضم التسخيري إلى حزب الدعوة الإسلامية، وكان من مسؤولي التنظيم الحوزوي والطلابي للحزب في النجف. ولأن السلطات العراقية - آنذاك - كانت تحظر الحزب وتعاديته، فقد تم اعتقال تسخيري، ثم إبعاده إلى إيران في سنة ١٩٧٠ م، كونه يحمل جنسيتها. وبعد سنوات من ترحيله صدر بحقه حكمٌ غيابي بالإعدام.

وهناك، في إيران، سكن تسخيري في مدينة قم، وواصل الدراسة في حوزتها على يد عدد من علمائها، مثل: الكلبيكاني، والوحيد الخراساني، وهاشم الآملي، كما أصبح عضواً في مجلس الفقهاء المركزي لحزب الدعوة، الذي تأسس هناك، لكنه انسحب من المجلس، في سنة ١٩٨٤ م، ليتفرغ للمسؤوليات الحكومية و«الدعوية»



الوجه الآخر

٤- محمد علي التسخيري

هينم الكسواني^(*) - خاص به «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة انتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر محمد علي التسخيري الوجه الإيراني

والشيعي الأبرز حالياً في

الدعوة إلى التقريب بين

السنة والشيعة، بل وعضوا

بارزا في عدد من الهيئات

الإسلامية السنية، وضيافا

دائما على الدول السنية التي

يشارك في مؤتمراتها

وندواتها، خاصة تلك التي

تتناول قضية التقريب

والوحدة الإسلامية،

والتحديات التي تواجه المسلمين، ما يستدعي تناول شخصيته بشيء من التفصيل، لمعرفة حقيقة التزامه بالتقريب، لا سيما وأن الإعلام (الشيعي والسني على حد سواء) دائما ما يقدمه بمظهر المعتدل والمنفتح تجاه السنة، والحريص على الوحدة الإسلامية.

(*) كاتب أردني.

في النظام الإيراني الخميني الذي تأسس في أعقاب الثورة على نظام الشاه سنة ١٩٧٩م^(١).

ثانياً: مكانته في إيران

تقلد تسخيري عدداً كبيراً من المناصب في إيران بعد قيام الثورة، منها:

١. عضو في مجلس الخبراء ممثلاً فيه أهالي محافظة گیلان/ رشت.

٢. مستشار مرشد الثورة علي خامنئي للشؤون الثقافية في العالم الإسلامي.

٣. معاون مكتب القيادة الإسلامية للعلاقات الدولية.

٤. المشاور الأعلى للشؤون الدولية لبعثة مرشد الثورة للحج ومعاون العلاقات الدولية لها.

٥. رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية.

٦. مستشار وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي للعلاقات الدولية ووكيل وزيرها.

٧. معاون العلاقات الدولية لمنظمة الإعلام الإسلامي.

٨. عضو في هيئة أمناء الشورى الدولية وشورى الكتاب لمنظمة الإعلام الإسلامي.

٩. مسؤول اللجنة المشرفة على تعليم الطلاب الأجانب، داخل وخارج إيران.

١٠. أمين عام المجمع العالمي لأهل البيت. وعضو لجنة الشورى العليا لهذا المجمع.

١١. عضو لجنة الشورى العليا لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية ثم الأمين العام له.

١٢. عضو لجنة الشورى في مجمع فقه أهل البيت في قم ونائب رئيسها.

١٣. رئيس اللجنة الثقافية في مؤتمر القمة الثامن للدول الإسلامية في طهران.

١٤. رئيس لجنة العمل الإسلامي المشترك في منظمة المؤتمر الإسلامي.

١٥. عضو فخري لبعض المعاهد العلمية الجامعية في سوريا والسودان.

١٦. عضو هيئة أمناء منظمة الحوزات والمدارس الدينية والأكاديمية خارج القطر.

١٧. عضو الهيئة المشرفة على كلية أصول الدين للعلامة العسكري في طهران.

١٨. رئيس الهيئة العليا لجامعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران.

١٩. ممثل إيران في كثير من المؤتمرات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية خارج إيران.

٢٠. عضو (مجمع الفقه الإسلامي) الدولي مندوباً فيه عن الحوزة الإيرانية.

٢١. استاذ الدراسات العليا لجامعة الإمام الصادق (ع) في الفقه المقارن.

٢٢. استاذ الدراسات العليا في جامعة إعداد المدرسين في (الاقتصاد الإسلامي) سابقاً.

٢٣. مشرف على مجلة التوحيد العربية التي تصدر في (قم/ إيران) ومجلات أخرى.

٢٤. عضو اللجنة الفقهية لبنك التنمية الإسلامي - جدة.

٢٥. عضو لجنة خبراء منظمة المؤتمر الإسلامي لدراسة تحديات القرن ٢١.

٢٦. عضو مجمع اللغة العربية - دمشق.

٢٧. عضو لجنه - الشخصيات البارزة المشكّلة لدراسة وضع منظمه المؤتمر الإسلامي بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأسيسها^(٢).

ومن المناصب التي تقلدها تسخيري خارج بلده: إشرافه، بدءاً من عام ٢٠٠٤م، على عمل مؤسسة آل البيت في النجف، والتي تستثمر عشرات الملايين من الدولارات في مشاريع البناء في جنوب العراق، وتروج لروابط ثقافية بين العراق وإيران، حيث يمارس تسخيري تأثيراً كبيراً على سياسة

(١) الموقع الإلكتروني للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وموقع موسوعة ويكيبيديا.

(٢) الموقع الإلكتروني للمجمع العالمي للتقريب.

ثالثاً: تواجده في الهيئات السنية

ويلاحظ من قائمة المناصب السابقة، عضوية تسخيري في بعض الهيئات السنية أو التي تستضيفها الدول السنية، كممثل لإيران، وحتى فترة قريبة، كان التسخيري نائباً لرئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الذي يرأسه الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، وهو من المناصب المهمة التي تولّاها في الهيئات السنية، ما يعكس الثقة التي توليها بعض هذه الهيئات للتسخيري، وقد جاء اختياره لهذا المنصب بترشيح ودعم شخصي من الدكتور القرضاوي، حيث يقول:

«وحين سعتُ إلى تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، دعوتُ فيه ممثلين لكل الفرق والمذاهب المتبعة والمعروفة في الأمة، التي لم تتشق عن الأمة تماماً، ولم تمرق من الإسلام وعقائده الأساسية.

فدعوتُ إخوة يمثلون كل الطوائف والمذاهب الإسلامية: من الزيدية، ومن الإمامية الإثني عشرية، ومن الإباضية، وكان من الذين دعوتهم: آية الله محمد علي تسخيري، الذي عرفته منذ سنين طويلة، وجّهتُ إليه الدعوة، ورشحته لمجلس الأمناء، ثم للمكتب التنفيذي، بل رشحته ليكون أحد نوابي، وأوصيتُ بانتخابه، وهذا كله في إطار حرصي على التقريب، والتوحيد...»^(٢).

وينظر تسخيري بأهمية كبيرة إلى مشاركته (كممثل لإيران) في الهيئات والمؤتمرات المختلفة، وخاصة في مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الإسلامية، حيث يعتبرها فرصة لـ «عرض وجهة النظر الإيرانية في مختلف القضايا»، و«عقد لقاءات

مع كثير من وزراء الخارجية ورؤساء الوفود»، و«اللقاءات الصحفية»^(٣).

رابعاً: وجهه الآخر

عند دراسة شخصية تسخيري، يتبين أنه لم يقم بأي جهد لتتقية التشيع مما به من انحراف وغلو، كما فعل عدد من علماء الشيعة ومفكرهم كمحمد مهدي الخالصي وعلي شريعتي، اللذين تحدثنا عنهما في الحلقتين السابقتين من هذه السلسلة، أو غيرهم، إذ أن جلّ ما يفعله التسخيري هو إصدار تصريحات عامة حول ضرورة الوحدة بين السنة والشيعة، والقول إن ما بينهما من خلافات إنما هي بسبب أعداء الإسلام من الصهاينة والأمريكان، والسعي الحثيث لتقبل السنة للتشيع على ما هو عليه من انحراف.

وفيما يلي تفصيل في «الوجه الآخر» لتسخيري:

١- ارتباطه بالنظام الإيراني

تبدأ علاقة تسخيري بالنظام الإيراني من إيمانه بولاية الفقيه، التي تجعل من مرشد الثورة الإيرانية نائباً عن المهدي المنتظر في فترة غيبته، ومسؤولاً عن الشيعة أيّا كانت جنسياتهم وأصولهم، بل وولياً لأمر المسلمين، تجب طاعته واتباعه. ويرى تسخيري هنا أن هذه النظرة إلى ولاية الفقيه يشترك فيها المحافظون والإصلاحيون على حد سواء (والصنف الثاني يفترض أن تسخيري ينتمي إليهم)، حيث يقول: «إن كلا الخطين يؤمنان بالثورة الإسلامية ويؤمنان بمبادئ الإمام الخميني ويؤمنان بالدستور ويؤمنان بأهم مادة في هذا الدستور وهي لزوم أن يكون القائد فقيهاً أو ما يعبر عنه بولاية الفقيه، وإنهما معاً يؤمنان بهذه المبادئ ويختلفان في أساليب التطوير وآلياته»^(٤).

(٣) محمد علي تسخيري، «مع بعض المؤتمرات الإسلامية لوزراء

الخارجية»، ص ١١٨، ومواقع أخرى.

(٤) صحيفة اللواء الأردنية، ٢٥/٤/٢٠١١.

(١) مجلة مختارات إيرانية، الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات بالقاهرة، العدد ٧٤، سبتمبر/أيلول ٢٠٠٦.

(٢) من رسالة وجهها د. القرضاوي إلى د. أحمد كمال أبو المجد بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٩.

وسبق القول إن تسخيري تقلد، ولا يزال، مناصب مهمة في إيران، وهو ما يجعله مسؤولاً بشكل أو بآخر عن جرائمها وخطاياها بحق المسلمين من أهل السنة، الذين دأب تسخيري على دعوتهم للوحدة مع الشيعة.

إذ بدلاً من الاعتراف بالأخطاء الإيرانية، ومحاولة تصويبها، كي يكون التقريب الذي يسعى إليه التسخيري بين السنة والشيعة ممكناً، يقوم بالترويج للسياسة الإيرانية، والتغطية على جرائمها، من ذلك نفيه لأي دور سلبي لبلاده في العراق حالياً، أو أن تكون هي صاحبة السيطرة عليه، وبالتالي تتحمل ما يحل به من مأس، أو أن يكون جيش المهدي، الذي ارتكب الكثير من المجازر بحق أهل السنة، مآتماً بأمر إيران، وزعمه بأن «إيران لا تحمل إلا حباً خالصاً للعراقيين»^(١).

ومن مظاهر تغطيته على الجرائم الإيرانية، موقفه من اعتداءات بلاده على الحرم المكي الشريف، وعلى الحجاج، خاصة في موسم الحج لعام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م)، وإيجاده العذر للخميني في ذلك، وهو ما يتجلى في الحوار الذي دار بين الدكتور عبد المنعم النمر، وزير الأوقاف المصري الأسبق، وبين تسخيري خلال أحد المؤتمرات التي عُقدت في سلطنة عمان، يقول د. النمر:

«.. فقلت له: موضوع الحرم، كيف تفعلون فيه

هذا الذي لم يقبله أحد من المسلمين؟

قال: إن الإمام الخميني يحتاج إلى فتوى شرعية من علماء المسلمين وهو يستجيب لها فوراً..

قلت له: وهل موضوع أمن الحرم في حاجة إلى فتوى منا بعد النصوص الصريحة التي تؤكد ضرورة الأمن في الحرم.. هل بعد قوله تعالى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ﴿١٧﴾ آل

عمران: [٩٧] وبعد أن أمّن الله كل ما في الحرم حتى الطير والشجر، وحرم مجرد الجدل فيه، هل بعد هذا نحتاج إلى فتوى من أحد؟ وهل جلب المتفجرات مع حجاج

(١) صحيفة الحياة، ١٢/٧/٢٠٠٦.

إيران، وتسيير المظاهرات تهتف باسم خميني، تسد الشوارع، وتؤدي المارة فيها، وتتجه إلى دخول الحرم، وهو مزدحم غاية الازدحام، وهي تضم عشرات الآلاف من المتحمسين الثائرين، ونتيجة هذا كله معلومة، هل يتفق هذا مع الأمن الذي طلب الله منا أن نوفره للحرم؟^(٢).

إن التسخيري مُطالب - إن كان حريصاً على الوحدة بين المسلمين - بالعمل على تصويب مسار السياسة الإيرانية، وبيان ما فيها من عوار، يقول: د. طه الدليمي: «والتسخيري مسؤول كبير في دولة تتعمد دائماً وأبداً مخالفة الأمة في صيامها وأعيادها وجميع توقيتاتها. فإن كان صادقاً فيما يدعيه فليقنع حكومته بالكف عن هذه المخازي. وإلا فهو وصاحبه وأمثالهم وكاذبون فليذهبوا ينفقون بضاعتهم في غير سوقنا»^(٣).

٢- سياسة الإنكار والتدليس

يتبنى تسخيري منهج «الإنكار»، فبدلاً من الاعتراف بما عند الشيعة من انحرافات ومنكرات، والعمل على تصويبها، ينفي وجود هذه المنكرات عند الشيعة أو أن أحداً منهم يقول بها، ومن الأمثلة على ذلك:

- إنكاره اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن، وأن الصحابة الذين جمعوه، أسقطوا منه سوراً وكلمات، تثبت حق علي رضي الله عنه في الإمامة بعد الرسول ﷺ^(٤).

- إنكاره اعتقادهم بأن هناك مصحفاً يقال له «مصحف فاطمة»^(٥) ونزول الوحي عليها.

- واعتباره أن كتاب «فصل الخطاب في

(٢) الدكتور عبد المنعم النمر، «الشيعة - المهدي - الدروز تاريخ.. ووثائق»، مقدمة الطبعة الرابعة.

(٣) مقال: قراءة في بيان الشيخ القرضاوي عن هجوم وكالة أنباء (مهر) الإيرانية ضد شخصه الكريم، مجلة الراصد، العدد ٦٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الذي ألفه حسين النوري الطبرسي «لا يساوي شيئاً»، وكذلك كتاب (الكافي) للكليني، الذي هو أهم كتبهم في الحديث وأوثقها اعتبره من الكتب التي لا قيمة لها، ولا يوثق بها^(١)، وذلك كي يتصل التسخيري مما في هذين الكتابين وغيرهما من انحراف وكفر صريح.

- إنكاره لوجود مقام لأبي لؤلؤة المجوسي الذي قتل الفاروق عمر رضي الله عنه، في إيران، ثم انتقاله للاعتراف بوجود المقام، مع الزعم بأن القبر الموجود في إيران هو قبر لدرويش من الدراويش لا قيمة له ولا يهتم به أحد، وأن السلطات الإيرانية قامت بإغلاقه نهائياً ومنعت زيارته ما دام أنه يخلق كل هذه الحساسية بالنسبة إلى الشارع السني^(٢). رغم أنه من المعروف وجود مقام منسوب لأبي لؤلؤة في كاشان في إيران يعظمه الشيعة، ولم تقم السلطات بإغلاقه كما يزعم تسخيري.

٣- موقفه من نشر التشيع

اتخذ التسخيري دعوة التقريب ستارا لنشر التشيع، مستغلا غفلة أهل السنة، فمن خلال المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، الذي تناوب التسخيري على رئاسته مع محمد واعظ زاده الخراساني، تم نشر مجموعة كبيرة من الكتب التي تروج للتشيع، وتمدح علماء، وفي دراسة للباحث أسامة شحاده حول الكتب التي طبعها المجمع، فإنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب سنية اختيرت بعناية لترسيخ فكرة صواب الفكر الشيعي وأحقيته، من خلال ترسيخ فكرة أن السنة أنفسهم يرددون مفاهيم

شيعة مثل تعظيم واحترام آل البيت (كتب العقاد وتوفيق أبو علم وأحاديث فضائل آل البيت من مسند الإمام أحمد)، ونشر كتب سنية لكنها لا ترسخ أصول أهل السنة التي يخالفون الشيعة فيها (مثل بداية المجتهد للقرطبي، وتفسير الشيخ شلتوت). القسم الثاني: وهو الأكبر، ويتعلق بالكتب الشيعة التي تشرح وتروج للفكر الشيعي والثورة الخمينية بقوة ووضوح، وتعرف ببعض الشخصيات الشيعة.

القسم الثالث: مقالات وأبحاث ومؤتمرات المجمع ومجلته. ولكون هذه الكتب هي أبحاث ومؤتمرات المجمع ومجلته فالغالب عليها أنها دعاية للتشيع^(٣).

كما تتصل التسخيري من الجهود الشيعة الكبيرة التي تبذل لتشجيع المجتمعات السنية، قائلا: «أنا استغربت جدا من الشيخ القرضاوي أن يتصور أن هناك تبشيرا شيعيا منظما في الخارج... إننا في إيران لسنا مسؤولين مطلقا عن ما يصدر من كتب هنا وهناك، ولا يجب تحميل الشيعة ولا قيادة الجمهورية الإسلامية هذه الأمور، ...»^(٤).

٤- موقفه من السنة

للتسخيري موقف مشهور برفض إقامة مسجد للسنة في العاصمة الإيرانية طهران رغم وجود ما يزيد عن مليون مسلم سني فيها، معتبرا أن الظرف غير مناسب لإقامة مساجد لأهل السنة، وردا على سؤال عن الوقت المناسب لإقامة مسجد لأهل السنة قال: «هذه الظروف تدرسها كل حكومة وتقوم بما يملئ عليها الموقف»^(٥).

(٣) جوانب من فكر آية الله محمد واعظ خراساني، نائب رئيس اتحاد علماء المسلمين، مجلة الراصد، العدد ٨٧.

(٤) العربية نت، ٢٤/١/٢٠٠٧.

(٥) المصريون، ٢٤/١٠/٢٠٠٨.

(١) المصدر السابق.

(٢) العربية نت، ٢٤/١/٢٠٠٧.

مخاطر للانفتاح العربي السياسي على إيران

أسامة شحادة^(١) - خاص بالرائد

بعد انفضاح طائفية ووحشية النظام الإيراني

في الثورة السورية، وسقوط مسرحية التقريب بين السنة والشيعة، لجأت إيران إلى بعض الخطوات لتستدرك بها شعبيتها ومكاسبها السابقة التي بنتها على شعارات المقاومة والممانعة والوحدة الإسلامية.

من هذه الخطوات: استبدال مؤتمرات التقريب

بمؤتمرات الصحوة الإسلامية، لتحاول التواصل مع بعض الجماعات السنية والشخصيات الهامشية لخلق دعاية نفوذ وقوة لإيران بأنها هي راعية الصحوة الإسلامية، هذا على المستوى الشعبي والحركات الإسلامية.

أما على مستوى الدول والحكومات، فقد

لجأت إيران مع تبديل الواجهة الرئاسية بروحاني بدلا من نجاد، إلى الترويج لمصالحة وتحالف بين إيران وجيرانها والعالم في وجه الإرهاب (السنّي/ الوهابي/ القاعدي)!

والغريب أن إيران تمارس الإرهاب هي

ووكلائها في العراق وسوريا ولبنان، وهم في

(♦) كاتب أردني.

هذه اللحظة التاريخية قد انكشف للعالم أجمع أنهم أبرع من تلاعب بورقة القاعدة طوال عقد كامل، عبر احتواء قياداتهم في طهران، وتسهيل مرورهم من دمشق للعراق، ومن ثم تسهيل هروبهم المتكرر من سجون العراق، ومن ثم تسهيل مرورهم لسوريا، ومن ثم تجنب قصف مواقعهم من قبل جيشي بشار والمالكي، وحين قبض على ماجد الماجد، أحد قيادات كتائب عبد الله عزام، في بيروت، مات في السجن خلال يومين قبل أن يفضح الأسرار، لهذا كله ما عادات حكاية عداا القاعدة وإيران أو إيران والقاعدة تنطلي على أحد.

المهم أن إيران اليوم ترسل رسائل إيجابية

تجاه العديد من الدول العربية، فهي قد نجحت في إعادة العلاقات مع المغرب بعد قطيعة دامت عدة سنوات بسبب سياسات إيران في دعم التشيع في المغرب وجبهة البوليساريو والاضطرابات في البحرين.

وهي تسعى جاهدة لتقوية علاقاتها بالأردن،

عبر التلويح له بجزرة البترول والغاز إن كان من إيران أو العراق، ولا يزال ساسة إيران يرسلون رسائل الود والانفتاح على الأردن، لدرجة المبالغة الفجة بأن العلاقة بآل البيت تجمع بين النظامين الإيراني والأردني، وهي كذبة مفضوحة، فإيران والشيعة لا يقدّرون ولا يحترمون الفرع الحسني من آل البيت الذي تنتسب له العائلة الهاشمية في الأردن،

كما أن الأردن يفتخر بسنيته وعروبته القرشية التي تسعى إيران بكل طاقتها لهدمها، ولإدراك الملك الراحل الحسين بن طلال لخطورة السياسة الإيرانية شارك بنفسه في إطلاق القذائف الصاروخية على إيران إبان حرب الخليج الأولى.

وأيضاً تسعى إيران للانفتاح على دول

الخليج، فقد نجحت في بناء علاقة تعاون كبيرة مع عُمان، نتج عنها عقد صفقة جنيف بين إيران وأمريكا، وها هي إيران تسعى لضخ ٤ مليارات دولار في عُمان لبناء جسر بين إيران وعُمان!

وهي تسعى لتحديد الرياض على الأقل إن لم

تكسبها لصفها، على اعتبار أن إيران هي الدولة المحورية في المنطقة، ويجب أن تكون لها الكلمة العليا في شؤون المنطقة.

ومع هذه الرسائل السياسية التي ترسلها

إيران، يقوم فريق متنوع من الصحفيين والإعلاميين والسياسيين بالتسويق لضرورة الانفتاح على إيران وعقد شراكات معها، وأنها قوة لا تقهر ووو.....

ولذلك وجب التذكير بمخاطر الانفتاح

السياسي على إيران من خلال استذكار الأدوار التي قامت بها إيران وسفاراتها في المنطقة والعالم، وتتمثل في:

١- سعي إيران الدائم لصناعة لوبي شيعي أو (متأيرن) من أهل البلد يرتبط بإيران قلباً وقالباً، بواسطة التبشير الديني الشيعي كما حصل في دول الخليج واليمن والعراق ولبنان ومصر والمغرب وتونس.

أو عبر الدعم المالي وتقديم المساعدات كما حصل في فلسطين مع حركة الجهاد وبشكل أقل مع حركة حماس وحكومة البشير بالسودان.

٢- لا تتورع إيران من محاولة استقطاب المعارضة في أي بلد إذا يؤسست من استمالة النظام، ففي الأردن سعى السفير الإيراني قبل سنوات لدعم

تنظيم مسلح ولذلك طلب الأردن إبعاده، واستضافه السفير الإيراني قبل أشهر وفدا من وجهاء محافظة معان ودعاهم لزيارة طهران، وفي مصر قامت إيران بترتيب زيارات متكررة للمعارضة المصرية في زمن مبارك ومرسي وعلى رأس هؤلاء حمدين صباحي، وفي الجزائر دعمت إيران مجموعات مسلحة من جبهة الإنقاذ، وفي المغرب دعمت البوليساريو وفي اليمن رعت الحوثيين وسلحتهم وفي البحرين قادت حركة التمرد في دوار اللؤلؤة.

٣- من المعروف للجميع أن السفارات الإيرانية هي فروع للاستخبارات الإيرانية، وأن كثيراً من أعضائها هم ضباط مخابرات، وأن من مهماتها الرئيسية التجسس على الدول التي تعمل بها، «ولقد قدرت مصادر استخباراتية غربية في العاصمة الألمانية عدد عملاء إيران في دول مجلس التعاون الخليجي الست وحدها بما يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠، غالبيتهم من «حزب الله» اللبناني، فيما يمتلك النظام في طهران نحو ٨٠٠ عميل إيراني، معظمهم يعمل في السفارات والقنصليات الإيرانية في الخليج تحت حصانات دبلوماسية، وفقاً لتقرير نشر عام ٢٠٠٩». (جريدة مكة المكرمة ٢٢/١/٢٠١٤).

وقد أدين عدد من هؤلاء الدبلوماسيين في الكويت واليمن ومصر والبوسنة بقضايا تجسس وجرى إبعادهم.

٤- تقوم إيران سواء عبر حرسها الثوري أو سفاراتها بتهريب الأسلحة للموالين لها عقدياً أو سياسياً، فتوردها للسلح لميليشيات حزب الله في لبنان مشهور ومعلوم، وكذلك للميليشيات الطائفية الشيعية في العراق ولتنظيم القاعدة، وللمعارضة البحرينية ولتمرد الحوثيين باليمن وكما حدث في عملية تهريب أسلحة لغامبيا عبر نيجيريا سنة ٢٠١٠.

٥- ما كشفت عنه وثائق ويكيليكس من أن إيران أكبر مشتر للمخدرات في أفغانستان والتي

تعيد تصديرها للدول الأخرى بإشراف الحرس الثوري، كما أنه من المعلوم إشراف ميلشيات حزب الله على مزارع المخدرات في البقاع.

٦- تورط إيران في كثير من العمليات الإرهابية تجاه الدول العربية، بداية بتفجيرات مكة المكرمة في موسم حج عام ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٩، وفي تفجيرات الكويت المتكررة في الثمانينيات والتي توجت محاولة اغتيال الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت السابق، ومحاولة الانقلاب على آل خليفة في البحرين عقب الثورة الإيرانية، والمحاولات المتكررة لليوم، واحتلال الجزر الإماراتية الثلاث.

فضلاً عن اغتيال عدد من الدبلوماسيين السعوديين والكويتيين في أوروبا وآسيا وأمريكا.

٧- رعاية المعارضة واحتضانها في طهران ودعمها مالياً وتدريبها عسكرياً، وهذا تم مع جميع المعارضات الشيعية الخليجية، والمعارضة العراقية التي استولت على الحكم اليوم، وتمرد الحوثي، وقيادات القاعدة.

حيث تم إعداد الكثير من الخطط الإرهابية وتنفيذها عبر خلايا وقيادات تدربت وتمولت من طهران.

٨- إيران لا تخفي قناعتها بعدم شرعية كل الأنظمة القائمة، وأنها يجب أن تزول وتخضع لحكم إيران بوصفها قيادة المسلمين، وهناك التصريح المشهور لمساعد وزير خارجية إيران لشؤون الأبحاث منوشهر محمدي سنة ٢٠٠٨ حين قال: «الأزمة المقبلة التي ستصيب منطقة الخليج بالشلل قريباً تتعلق بشرعية الأنظمة الملكية والتقليدية التي لن يكون في إمكانها البقاء في ظل الأوضاع الراهنة».

وعدم اعتراف إيران بشرعية الأنظمة الأخرى يعود لعقيدة الإمامة الشيعية التي تحصر الحكم اليوم في الإمام المهدي المزعوم الذي يحكم باسمه الملالي منذ أكثر من ٣٠ سنة!

وبسبب عدم اعترافهم بشرعية الأنظمة العربية القائمة تتكرر دورياً حملات الهجوم والسباب للقيادات العربية في الصحافة الإيرانية والمظاهرات التي تنظمها أجنحة نظام الملالي ووكلاؤهم في إيران وخارجها.

٩- إن ما تقوم به السياسة الإيرانية اليوم في العراق ولبنان وسوريا واليمن من حرب طائفية علنية على جمهور الشعوب والتي لم تتورع إيران عن استخدام أفتك أنواع الأسلحة حتى وصلت للسلاح الكيماوي في سوريا، فضلاً عن البراميل المتفجرة والقصف الأعمى الذي لا يستبعد المدنيين، حتى بلغ القتل مئات الألوف والجرحى أضعاف ذلك، أما المهجرون فهم بالملايين، أما من وقع في الأسر فيتمنى لو كان مات بالقصف من شدة التعذيب والذي فُضح بتسرب ١١ ألف صورة من سجون بشار، وقصص الاغتصاب البشعة للحرائر في سجون المالكي.

إن هذه السياسات الطائفية هي الوجه الحقيقي لإيران وسياساتها، ولتجهز الأنظمة العربية نفسها لهذا المصير إن تساهلت وتغافلت عن خطورة الأطماع الإيرانية.

١٠- لا تتورع إيران عن تطويع كل العلاقات الاقتصادية والسياحية والتعليمية لتمرير تسلسلها للدول الأخرى، فآلاف الشركات الإيرانية في الإمارات وتركيا ما هي إلا واجهة للحرس الثوري والنظام الإيراني، وهي تقوم برعاية مصالح إيران والالتفاف على العقوبات الدولية المفروضة عليها، وأيضاً هي شبكة صيد للعملاء وجزرة تجذب ضعاف النفوس لتمرير مخططات إيران.

أما السياحة الدينية فهي وسيلة لإنشاء وترسيخ مستوطنات إيرانية في الدول الأخرى، وأكبر مثال لذلك: حي السيدة زينب، الذي تحول إلى قطعة من إيران بلافتاته وسكانه واللهجة الدارجة والتي

التقاطعات الاستراتيجية بين إيران وإسرائيل: إثيوبيا نموذجاً

بوزيدي يحيى^(*) - خاص بالرائد

تقدم إيران نفسها للعالم العربي باعتبارها دولة إسلامية تشارك الأمة همومها ، وتعاون معها لمجابهة كل التحديات والمؤامرات التي يحيكها الأعداء. لكن السياسات الإيرانية خلال العقود الثلاثة الماضية كشفت عن استمرارية في الغايات الإستراتيجية التي كان ينتهجها الشاه محمد رضا بهلوي ، وأن التحول لم يتجاوز الآليات والجهة المستفيدة وهي جماعة الملالي بدلاً من عائلة الشاه ، والتي أصبحت توظف القوة الناعمة مما مكنها من تحقيق الكثير مما كان يصبو إليه الشاه على يد الملالي.

والتطور الذي تشهده العلاقات الإيرانية الأمريكية والتسليم والاعتراف بدور إقليمي لها في العديد من القضايا كتقاسم النفوذ في العراق ، والاتفاق حول برنامجها النووي وتخفيف العقوبات ، يعكس الدور الإيراني المتطابق تماماً مع دور الشاه في ستينات وسبعينات القرن الماضي ، وهذا ما يؤكد عدم تغير النظر لإيران كدولة «محيط» يستغل موقعها للضغط على الأمن القومي العربي في التصور الإستراتيجي الإسرائيلي.

وعند النظر خارج الدائرة العربية تكشف السياسات الإيرانية في المحيط الإقليمي بوضوح حقيقة الدور الإيراني المقلد للإستراتيجيات الغربية والإسرائيلية في مقدمتها ، والمتعارض كلياً مع الأمن القومي العربي ، وأهم هذه المناطق

جميعها تهيمن عليها القومية الفارسية! حتى أصبحت هذه المستوطنة الإيرانية في قلب دمشق مبرراً لتدخل الميلشيات الشيعية العراقية واللبنانية والباكستانية واليمنية لحماية المقدسات الشيعية ، وهو الأمر عينه الذي حدث مع النجف وكربلاء بالعراق الذي غزاه الحجاج الإيرانيون حتى طلب الإيرانيون ترخيص شركات إيرانية للحماية المسلحة لحماية الحجاج الإيرانيين!

أما المدارس الإيرانية والشيعية فهي بؤر لنشر التبشير الشيعي كما حصل في المغرب من سنوات قليلة.

الخلاصة: هذه هي أهم المخاطر لسياسة إيران الملالي عبر مسيرتها طيلة أكثر من ثلاثين عاماً ، وإن دعوات الانفتاح المحمومة اليوم على إيران بحجة محاربة الإرهاب التي تلوح بها إيران هي مجرد كذبة كبيرة ، إذ أن إيران هي راعية الإرهاب السني (القاعدة) ورائدة الإرهاب الشيعي.

أما ما يحذر منه عملاء إيران من الإعلاميين والسياسيين بأن إيران اليوم لاعب قوي في المنطقة وقد هزمت العالم وجعلته يرضخ لشروطها في سوريا والملف النووي فهي أيضاً كذبة كبرى ، فإيران الملالي على شفير الانهيار على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لكن ما يطيل من بقائها ويمد في عمرها في الحقيقة هو غياب السياسات العربية والعالمية وتخطيها في التعاطي مع إيران.

وعليه يجب الحذر من هذا الانفتاح بدون ضوابط ومحددات وتنازلات إيرانية ويجب أيضاً أن يكون هذا الانفتاح تحت المراقبة الدقيقة ولا يتعد العلاقات البروتوكولية والقضايا الضرورية ، كما هو حال سفاراتنا في طهران التي تقبع تحت الحصار المشدد.

(*) كاتب جزائري.

هي القرن الإفريقي، وتحديدًا إثيوبيا الدولة الأخرى في «المبدأ المحيطي» الإسرائيلي، فكيف يتجلى ذلك؟

إثيوبيا والأمن العربي

الانطلاق من إثيوبيا لقراءة حقيقة مواقف طهران من القضايا العربية يستند إلى الإجماع العربي الكامل على تعارض الدور الإثيوبي مع المصالح العربية، وخطورة علاقات أديس أبابا الجيدة مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية على الأمن القومي العربي، فهي تحرص على إبراز دورها كقوة إقليمية قادرة على خدمة المصالح الأمريكية - الغربية في القرن الإفريقي والشرق الأوسط، لا سيما المصالح الخاصة بمحور واشنطن - تل أبيب، مع العمل في الوقت ذاته على استثمار المنافسة بين أقطاب النظام الدولي في خدمة المصالح الوطنية الإثيوبية^(١).

كما اتخذت من نفسها أيضاً خط دفاع أول ضد انتشار ما يوصف بالإسلام الراديكالي في شرق القارة السمراء، ويعتبرها الغرب «متراساً» ضد التشدد الإسلامي في منطقة القرن الإفريقي^(٢).

وعزمها على بناء سد النهضة يعد أكبر خطر يواجه مصر والسودان حالياً، وبكل تأكيد فإن تل أبيب ليست بعيدة عن الموضوع كما لم تكن بعيدة عن موضوع تقسيم السودان، إذ تطمح للحصول على مياه نهر النيل حيث تسيطر إثيوبيا على ٨٠ بالمائة من مياهه، وهي تلعب دوراً غير مباشر في صراع المياه بين دول الحوض مستفيدة من نفوذها الكبير في إثيوبيا^(٣). وقد حافظت على وجودها

دائماً هناك بغض النظر عن طبيعة النظام الحاكم^(٤).

المسؤولية الإيرانية

قد يبدو للوهلة الأولى ربط إيران بالتهديدات الإثيوبية للأمن القومي العربي مبالغة وابتعاداً عن منطق التحليل السياسي للعلاقات الدولية والمرتبطة أساساً بمصالح الدول، خاصة مع وجود علاقات جيدة بينها وبين دول عربية مثل المملكة العربية السعودية التي لديها استثمارات كبيرة هناك. ولكن معالجة الموضوع من هذه الزاوية يتأسس على الخطاب الرسمي الإيراني، الذي يجعل من مصالح الدول العربية وأمنها جزءاً من أمن إيران، وكذلك المدافعون عن السياسات الإيرانية الذين يعتبرونها جزءاً من الأمة وقائدة قطار الممانعة والمقاومة.

فالرئيس الإيراني السابق أحمدني نجاد أكد على سبيل المثال لا الحصر أن إيران ستقف إلى جانب مصر في طريق التقدم والعزة، وأشار إلى أن لهما أعداء مشتركين لا يريدون الخير والتقدم لشعبي البلدين، وهم المستعمرون التاريخيون من خارج المنطقة، والذين يعارضون بقاء إيران ومصر جنباً إلى جنب^(٥).

(٤) فمع تنامي المخاوف الإثيوبية خلال عهد هيللا سيلاسي من «ثورية» النظام الناصري في مصر الذي تعهد بطرد إسرائيل من إفريقيا، سعت الدولة العبرية إلى تدعيم تواجدها في إثيوبيا، وأرسلت عملاء الموساد لتدريب قوات الشرطة الإثيوبية. ومع سقوط نظام هيللا سيلاسي ومجيء نظام منجستو ظلت إسرائيل على علاقة وثيقة بإثيوبيا، ولا أدل على ذلك من أن إثيوبيا امتنعت عن التصويت على قرار الأمم المتحدة عام ١٩٧٥م الذي يقضي بمساواة الصهيونية بالعنصرية، وبدخول القرن الإفريقي في آتون الصراعات الإثنية والسياسية حيث انقسمت الصومال إلى دويلات وفقاً لمنطق حرب الكل ضد الكل، وانهمكت كل من أرتيريا وإثيوبيا في صراع مرير تم فتح المجال واسعاً أمام تدخل أطراف أجنبية من بينها إسرائيل، لتفاصيل أكثر انظر: حمدي عبد الرحمن، إسرائيل في إفريقيا، مركز الرأي للدراسات، ٢٠٠٧/٧، على الرابط: http://www.alraicenter.com/index.php?option=com_content&view=article&id=160:2010-11-04-13-50-59&catid=14:2010-11-03-16-58-11&Itemid=4

(٥) أحمدني نجاد: إيران ستقف إلى جانب مصر، موقع قناة العالم الإخبارية، ٢٠١٣/٠٤/٢٨، على الرابط: <http://www.alalam.ir/news/1469123>

(١) أيمن شبانة، الظهور الإثيوبي في جنوب الشرق الأوسط، الأهرام الرقمي، ٢٠١١/٠١/٠٧، على الرابط: <http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=643503>

(٢) رشا عبد الوهاب، «الأحباش» عنوان الغضب للمسلمين في إثيوبيا، الأهرام الرقمي، ٢٠١٢/٠٨/٠٤، على الرابط: [HTTP://DIGITAL.AHRAM.ORG.EG/ARTICLES.ASPX?SERIAL=985495&EID=3409](http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=985495&EID=3409)

(٣) خالد وليد محمود، التغلغل الإسرائيلي في القارة السمراء.. إثيوبيا دراسة حالة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٢/٠١/٢٤، ص ٠٩.

على هذا الأساس يمكن القول إن العلاقات الإثيوبية الإيرانية نافذة لاختبار صدقية الشعارات الإيرانية تجاه الأمن القومي العربي. إذ لا يختلف اثنان في العالم العربي على أن إسرائيل انتهجت سياسة الذراع الطويلة بالالتفاف على الأمن القومي العربي وتوطيد علاقاتها مع الدول المحيطة، وهنا كانت إثيوبيا مرتكزا للسياسات الصهيونية ولا زالت، وتقسيم السودان ومشروع سد النهضة كلها مشاريع للصهاينة، ويد واضحة للعيان كما سبق الإشارة.

وبينما أصدرت المملكة العربية السعودية بياناً عبرت فيه عن رفضها للمشروع واصفة إياه بالمؤامرة ضد مصر والسودان، وتهديداً لأمنهما القومي، واتهمت إثيوبيا بأنها تسعى لإلحاق الأذى بالدول العربية^(١). لم يصدر عن إيران أي رد فعل، بل على العكس بعد زيارة نجاد لأديس أبابا في إطار قمة الاتحاد الإفريقي عام ٢٠١٢، استمرت العلاقات في التحسن مع خلفه حسن روحاني، حيث زار وفد برلماني إيراني إثيوبيا، بحث خلالها مع برلمانيين إثيوبيين سبل دعم العلاقات الثنائية وتنسيق السياسات بشأن القضايا والتطورات الإقليمية والدولية، وبكل تأكيد مشروع سد النهضة ليس من بينها. مع العلم أن شركات إيرانية تقوم بتنفيذ بعض المشروعات في إثيوبيا، وبخاصة في مجالات الطاقة^(٢).

الأبشاش وتطبيقهات الإستراتيجية الإسرائيلية:

تهدف الإستراتيجية الإسرائيلية في مناطق القرن الإفريقي وحوض النيل والبحيرات العظمى،

(١) خالد بن سلطان: أصابع تعبت بالمقدورات المائية العربية، العربية نت، ٢٠١٣/٠٢/٢٨، على الرابط:

<http://www.alarabiya.net/articles/2013/02/28/268877.html>

(٢) وفد برلماني إيراني يزور إثيوبيا، المصري اليوم، ٢٠١٣/١٢/٠٤، على الرابط:

<http://www.almasryalyoum.com/News/details/352062>

إلى إضعاف الخصم موضع التعامل، بمساندة ما يسمى بجيل الزعماء الجدد في إفريقيا، وتشجيع ومساندة جماعات الأقليات، بتقديم المعونة المادية والخبرة، بل وتتولى تدريب رجالها على حركات العنف المسلح. على غرار المحاولات الإسرائيلية الدؤوبة لنشر الفتن بين الأقليات غير العربية في شمال إفريقيا وجنوب السودان^(٣).

وتتجسد هذه الإستراتيجية في إثيوبيا بدعم رئيس الوزراء ميليس زناوي الذي توفي قبل أشهر، والاستعانة بفرقة الأحباش التي أصبحت ذراع إسرائيل والنظام الإثيوبي لمحاربة الصحوة الإسلامية تحت غطاء محاربة التطرف والإرهاب^(٤).

فحسب تقارير مؤسسة «راند» والسفارة الأمريكية في إثيوبيا، ودراسات الباحث الصهيوني البروفيسور «هغاي إنريج» في كتاباته وأطروحاته، والذي أعد دراسة نشر ملخصها في مؤتمر عُقد في جامعة «أديس أبابا»، خلص فيه إلى أن جلب فرقة الأحباش يعتبر خطوة لغرس الوسطية، ومدافعة

(٣) حمدي عبد الرحمن، المرجع السابق.

(٤) الأحباش: جماعة دينية أسسها الشيخ عبد الله بن محمد العبدري الهرري الحبشي ولد عام ١٩١٠، لذلك تنسب إليه، بدأ نشاطها في الثلاثينات من القرن الماضي في إثيوبيا حيث تحالف زعيمها مع نظام الإمبراطور الإثيوبي «هيلي سلاسي» ضد المسلمين، لينتقل في سنة ١٩٥٠ إلى لبنان، وفي عام ١٩٨٣ م استولى الأحباش على رئاسة جمعية المشاريع التي تأسست عام ١٩٣٠ م بعد أن تنازل عن رئاستها الشيخ أحمد العجوز لهم.

ولخطر هذه الفرقة وضلالها أجمع العلماء من هيئة كبار العلماء وعلماء الأزهر الشريف بأن (هذه الجماعة ضالة مضلة لا صلة لها بالإسلام البتة، نظراً لمعتقداتها الباطلة، فهي مثلاً لا ترى وجوب الزكاة في غير الذهب والفضة، وتدعو إلى عبادة القبور، وتشجع السفور والتبرج، وتتناول بالسب والشتم على أصحاب رسول الله ﷺ وأمّهات المؤمنين). وإن كانت ترفع شعار نشر دعوة أهل السنة والجماعة (مذهب الأشاعرة) وحماية أولياء الله وعلماء الطرق الصوفية من الوهابية والفرق المبتدعة حسب زعمهم، ويقصدون بذلك (العقيدة السلفية) ويدعون أنهم الخط الإسلامي المعتدل في مواجهة الدعوة السلفية والجماعات الإسلامية التي يسمونها الإسلام السياسي. لتفاصيل أكثر انظر، فرق باطنية الأحباش، مجلة الراصد، العدد ١٤، ٢٠٠٦/٠٨/١٦، على الرابط:

http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5220

التطرف في البلاد، بل أكد أنه أمر لازم على الدولة، إن أرادت النجاح في قلع جذور الإرهاب والتطرف^(١).

وهذا الرجل اليهودي له علاقة خاصة وسرية مع أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى في إثيوبيا، وفي مقدمتهم أحمد الدين عبد الله، رئيس المجلس الذي تسلم هدية تذكارية منه في بعض المناسبات واللقاءات السرية التي تمت بينهما، وقد تم نشر هذا الحدث في عدد من القنوات الإخبارية والصحف اليومية، وهو نفس الأمر الذي تقوم به المخابرات الأمريكية التي لا تتردد ولا تخجل من دعم قيادة المجلس الإسلامي ذات الاتجاه الصوفي المنحرف بل وتشجيعه على ضرب المسلمين الإثيوبيين من اتجاهات أهل السنة والجماعة، وقد بدأت تعمل بنشاط في هذا المجال منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١^(٢).

وتلقي معهم في ذلك جمعية القديسين «ماهر قدوسان» الأرثوذكسية في إثيوبيا التي عرفت بكثرة تهيجها ضد المسلمين، كما عرفت بالترويج لفكرة «إثيوبيا جزيرة النصاري»، وأن المسلمين فيها ضيوف لا وطن لهم بها، وتبث الكراهية والعدوان في أوساط النصاري وتكريسها^(٣).

وبالفعل عملت الحكومة الإثيوبية على تنفيذ تلك التوصيات حيث قامت باستقدام قيادات جماعة الأحباش من لبنان وفتح المجال لهم لنشر أفكارهم في البلاد مستغلين الخلفية التاريخية لمؤسس الفرقة الذي ينحدر من إقليم هرر الإثيوبي، فعقدت

(١) أبو سالم عبد الله بن يوسف الإثيوبي، تقرير عن أهل السنة في إثيوبيا، شبكة الألوكة، ٢٠١٢/٠٦/١٧، على الرابط: http://www.alukah.net/world_muslims/0/41894

(٢) الشبكة الإعلامية لاحتجاجات مسلمي إثيوبيا، احتجاجات مسلمي إثيوبيا.. الأسباب والنتائج، قراءات إفريقية، ٢٠١٢/١٠/٠٣، على الرابط: <http://www.qiraatafrican.com/view/?q=831>

(٣) أبو سالم عبد الله بن يوسف الإثيوبي، المرجع السابق.

الجمعية الكثير من المؤتمرات والدورات العلمية في مختلف الولايات الإثيوبية، وتجدر الإشارة إلى أن الملحق الثقافي للسفارة الإسرائيلية في أديس أبابا كان من بين ضيوف مؤتمر هرر العام في ٢٠١١/٦/١٤ والذي كان الدكتور سمير الرفاعي رئيس بعثة الأحباش من لبنان المسئول على تحضيره^(٤).

كما سعت الحكومة لتمكينها من خلال تسخير المجلس الإسلامي الأعلى لصالحها، هذا الأخير هو الإطار الرسمي القانوني الوحيد الممثل للمسلمين، وقد تم اختراقه على مستويات متعددة من طرف رجال الجماعة ومؤيديهم، وأكثر من ذلك حاولت الجمعية من خلال هذا الغطاء القانوني والدعم المباشر إزاحة القيادات السنية بتغيير أئمة المساجد.

وبلغ بالحكومة الأمر تسليم مقر هيئة الإغاثة الإسلامية المعروف بـ «أوليا» للجماعة، مما أدى إلى رد فعل من طرف مسلمي إثيوبيا الذين قاموا بتنظيم مظاهرات على مدى أشهر عديدة، عبروا من خلالها عن رفضهم لسياسات الحكومة ومعارضتهم لنشاط الجمعية ودعوا الحكومة للالتزام بالدستور الذي يمنعها من التدخل في شؤون أي ديانة، ولكن الأخيرة قامت بحملة قمع ضد المتظاهرين واعتقلت ممثلهم بحجة مكافحة التطرف والإرهاب^(٥).

الأحباش وإيران

إذا كان صمت إيران على مشروع سد النهضة وعدم اعتراضها عليه كحد أدنى يفرضه التضامن الإسلامي حسب خطابها المعلن أو التدخل واستثمار علاقتها مع الحكومة الإثيوبية والتوسط دبلوماسيا

(٤) إبراهيم كنتا، إثيوبيا بين مطرقة فرقة الأحباش وسندان التشيع، موقع المسلم، ١٤٣٣/٠٧/٢٦، على الرابط: <http://www.almoslim.net/node/166666>

(٥) مسلمو إثيوبيا والحكومة يتبادلون الاتهامات، الجزيرة نت، ٢٠١٢/٠٧/٢٦، على الرابط: <http://www.aljazeera.net/news/pages/ff33bdb1-152c-497c-a6c3-8ee993ded8f2>

لحل القضية يعكس عدم اهتمامها بالأمن المصري، وأن خطاب نجاد وغيره من المسؤولين الإيرانيين الذي روج على مدار العقود الماضية مجرد «بيع كلام»، فإن علاقة جمعية الأحباش بإيران تكشف التواطؤ المباشر أو الضمني أو تبادل الأدوار بين إسرائيل وإيران، نقيض ما تدعي طهران تماماً.

فالعلاقات بينهما تتجلى في أشكال مختلفة، جزؤها الأول يظهر في لبنان وسوريا حيث من المعروف تاريخياً ولاء هذه الجماعة للنظام السوري^(١)، لدرجة رفع أنصارها السواطير خلال مظاهرة في أبريل عام ٢٠٠١ مهددين معارضي الوجود السوري في لبنان اشتهرت بـ «مظاهرة السواطير»^(٢).

وعلاقة النظام السوري بطهران بعد ثلاث سنوات على الثورة السورية والدور الإيراني إلى جانبه يكشفان أن الجماعة وكيل لوكيل الملالى في دمشق لا أكثر، وقد سبق أن تصادم وكيل

(١) فزعيمها كان يعارض قتال الجيش السوري في شمال لبنان، وفي مرحلة سيطرة سوريا على البلد تزايدت قوة هذا التيار، وتصادم مع المرجعية السنية الحقيقية كدار الإفتاء حيث استولى الأحباش على بعض المساجد التابعة للدار، وقد طالب مفتي لبنان الشيخ رشيد قباني بعودة هذه المساجد بعد زوال قبضة سوريا حتى طمع الأحباش في منصب مفتي لبنان، ودخلوا في صراع مع المفتي السابق الشيخ حسن خالد رحمه الله أنهى بقتله، وذلك بعد أن قتل مفتي لبنان السابق الشيخ حسن خالد بعد صدامه مع سوريا والأحباش، وقد رشحو لذلك زعيمهم نزار حليبي ولم ينته هذا الترشيح إلا بقتله من قبل عصبة الأنصار، ويقوم الأحباش بالاحتفال بكافة المناسبات الوطنية السورية، ويزورون كبار المسؤولين السوريين بشكل دوري. ويعادون كل التيارات والجماعات الإسلامية مع حسن علاقاتهم بكل الموالين لسوريا في لبنان من أمل وحزب الله والرئيس اللبناني المسيحي كائناً من كان ورئيس الوزراء إذا كان من الموالين لسوريا، ولذلك يتواجد دوماً مندوب عن الرؤساء الثلاثة في كافة نشاطاتهم. وهنا قضية غريبة وهي مع كل هذا فالأحباش لا وجود لهم في سوريا!! وهذا يؤكد أن الأحباش لعبة سورية تستخدمها لمصالحها الخاصة. الأحباش وقتل الحريري، ملف الأحباش وقتل الحريري، مجلة الراصد، العدد ٢٨، ٢٠٠٦/٠٥/١٣ على الرابط: http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5402

(٢) يوسف خازم، أحباش بيروت .. وأحباش الحبشة، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٨٣٨، ٢٠٠٥/١١/٠٤، على الرابط: <http://www.aawsat.com/details.asp?article=331644&issue=9838#UwjfLeN5NrM>

الأسد مع وكيل خامنئي في بيروت سابقاً حيث نشبت مواجهات مسلحة بين الأحباش وحزب الله في أواخر شهر أوت/ أغسطس ٢٠١٠. ولكن التعاون بينهما سرعان ما عاد في سوريا حالياً حيث أزيحت الخلافات جانباً كما بين القوى الشيعية في الساحة العراقية التي سرعان ما تتلاشى خلافاتها في مواجهة أهل السنة، وهي تتقاسم مجتمعة أعباء الدفاع عن نظام بشار الأسد، فقد تحدثت تقارير إعلامية عن حشد ٣ آلاف مقاتل من جماعة «الأحباش» اللبنانية إلى جانب قوات حزب الله لاجتياح القلمون في نوفمبر ٢٠١٣^(٣).

وفي إثيوبيا قام الملحق الثقافي لدى السفارة الإيرانية بافتتاح مركز ثقافي، وأبرم اتفاقية تعاون مع «المجلس الأعلى الإسلامي الإثيوبي»، وبموجب هذه الاتفاقية يتلقى المجلس من السفارة سنوياً دعماً مادياً كبيراً كما يقدم لها حزب الله اللبناني وأغنياء الشيعة من دول الخليج دعماً.

وفي اتجاه آخر تحاول إيران الحصول على ترخيص من قبل الحكومة لافتتاح قسم فارسي لدى الجامعة وبمغريات متنوعة! بل وتسعى السفارة لتبني القسم العربي نفسه^(٤). إضافة إلى نشاط جمعية الأحباش بالمنطقة الصومالية في إثيوبيا، ونظراً لقرب مقر أصل الفرقة (مدينة هرر) من الإقليم الصومالي؛ فإن الجماعات الصوفية الصومالية في الإقليم لها علاقات قديمة مع أتباع الشيخ عبد الله الهرري زعيم الجماعة^(٥).

(٣) بمعاونة جماعة «الأحباش» اللبنانية.. أنباء عن حشد ٢٥ ألفاً من حزب الله لافتحام القلمون، مفكرة الإسلام، ٢٠١٣/١١/٠٢، على الرابط:

<http://www.islammemo.cc/akhbar/syria-althawra/2013/11/02/185868.html>

(٤) إبراهيم كنتا، المرجع السابق.

(٥) سيدو غاشي، قبل أن ينتشر التشيع في الصومال الغربي، شبكة الصومال اليوم، ٢٠١٢/٠١/٠٩، على الرابط:

<http://www.somaliatodaynews.com/port/2010-01-04-21-40-35/2-2010-01-04-21-38-42/2587-2012-01-05-09-47-05.html>

الإمبريالية تماما في إثيوبيا ويصبح الأحباش حلفاء بشار الأسد وعلي خامنئي في نفس الوقت حلفاء وأدوات بيد النظام الإثيوبي المتحالف مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

وهذا التناقض تزول عنده مفارقة تقديم الجماعة في إثيوبيا من طرف الحكومة وحتى الغرب على أنها جماعة معتدلة، وهي المعروفة بتطرفها في لبنان حيث تتهم بالعديد من الاغتيالات مثل الشيخ د.صباحي الصالح، والشيخ أسامة قصاص، والشيخ زهير جنين، والهجوم على بعض المساجد وقتل المصلين وهم يصلون، والاستيلاء على بعض مساجد الأوقاف في بيروت كما أنهم قيادات فيها وهم الشيخ أحمد عبد العال وشقيقه وليد عبد العال ومحمود عبد العال، بالتورط في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، ولا حاجة لتكرار مظاهرة السواطير وجبهات القتال في سوريا.

الخاتمة

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بعد عقود طويلة تقسيم السودان، وكان تعاونها مع الجنوبيين واضحا بما لا يدع أي مجال للشك عن حقيقة أهدافها في المنطقة، وسعي إثيوبيا لبناء سد النهضة بما يحمله من مخاطر على مصر والسودان هو الآخر مشروع لا يخرج عن إطار عدااء أديس أبابا للدول العربية، واستقدام النظام لجماعة الأحباش وحملته ضد أهل السنة لا تخرج عن هذا الإطار بالمجمل، وكل هذا يتناغم مع الإستراتيجية الإسرائيلية في منطقة القرن الإفريقي وحزامها المحاذي للدول العربية لخنقها، وهذه مخاطر معلومة ولا جدل حولها، غير أن الخطورة تكمن في السياسات الإيرانية المتقاطعة مع الإستراتيجية الإسرائيلية.

والأسوأ من ذلك توظيف الطرفين لنفس الأدوات في مناطق مختلفة، وهي هنا ممثلة في جماعة

غالب ما يتهم أهل السنة بإثارة النزعات الطائفية خدمة للمصالح الصهيونية والأمريكية، رغم وجودهم دائما في حالة دفاع عن معتقداتهم وليس الهجوم، ولما كانت شعارات المقاومة والممانعة غطاء لإيران لتبرير هذا الخطاب في المنطقة العربية خاصة في ظل تماهي سياسات بعض الدول كليا أو نسبيا مع السياسات الأمريكية ساهم ذلك في ترسيخ مثل هذه التصورات. غير أنه في الحالة الإثيوبية هناك نموذج واضح وصارخ للسياسات الطائفية الممنهجة التي يقوم بها الشيعة والفرق الموالية لهم ممثلة في الأحباش.

وبكل تأكيد فإن اختيار فرقة الأحباش للانتقال من لبنان إلى إثيوبيا دون غيرها لم يأت من فراغ وإنما هو محاولة استثمار البلد الأصل لمؤسستها عبد الله العبدلي الهرري كأرضية مسهلة لانتشار الفرقة في البلاد ومواجهة ما يعتبرونه خطرا سنيا يرمزون له بالوهابية واتهامها بالتكفير والتطرف، وهذا التقاطع هو الذي نشهده في العديد من المناطق، بدءا بالعراق وسوريا وانتهاء بإثيوبيا.

وقد يُستفهم بشكل أو آخر تبرير السلطات الإثيوبية أن الخطوات التي أقدمت عليها، وقمعها للمظاهرات التالية كانت بغرض محاربة التطرف والتشدد القادم من الصومال والسودان، ولكن عندما يكون البديل هو فرقة الأحباش وتمكينها واستقدام رجال دين لبنانيين، فلأمر دلالته دون شك. وقد سبق الإشارة للتقارير الأمريكية والإسرائيلية التي أوصت باستقدام الفرقة.

والملفت للانتباه بالنسبة لفرقة الأحباش أن نشاطها الحالي في إثيوبيا انطلق بالأساس من لبنان وقياداتها اللبنانية هي التي تتصدر الواجهة في إثيوبيا وتملك زمام المبادرة، وخطوة مثل هذه يستحيل أن تكون دون تنسيق أو على الأقل ضوء أخضر سوري - إيراني، وهنا تختفي محاربة

وكان من أبرز أشكال هذا السجل الحلقة التي خصصها مؤخراً برنامج «أجرأ الكلام» الذي تبثه قناة «القاهرة والناس» - إحدى القنوات المصرية الخاصة - ويقدمه الإعلامي اللبناني المعروف «طوني خليفة» وهي الحلقة التي استضافت ثلاثة من الوجوه السياسية والثقافية والإعلامية المعروفة في مصر وهم الأستاذ الدكتور جمال زهران أستاذ العلوم السياسية بجامعة قناة السويس - شمال مصر - والكاتب الصحفي أحمد السيوفي مدير مكتب قناة العالم الإيرانية في القاهرة والأستاذ علاء سعيد الأمين العام لهيئة الدفاع عن الصحابة وآل البيت.

ولا تأتي أهمية هذه الحلقة من كونها الحلقة الأولى التي تتناول بالنقاش مسألة ما يسمى بالوفد الشعبي المصري الذي سافر إلى إيران والتقى بعدد من مسؤولي الدولة الإيرانية فقد سبقها العديد من الحلقات بقنوات مختلفة، لكن أهميتها تعود بالأساس إلى أنها لم تكن معبرة عن صوت واحد يدافع عن اتجاه واحد سلباً أو إيجاباً، بل طرحت وجهتي نظر متباينتين.

ويجدر بنا وقبل تناول بعض ما جاء في الحلقة التلفزيونية أن نؤكد على أن الموقف المنطقي يقول إن الرفض المطلق لإقامة علاقة مع الدولة الإيرانية هو من قبيل التجاوز في فهم الواقع وإدراك مسارات التفاعلات السياسية الدولية وتلمس مصالح الأمة الإسلامية وعليه فإن خلافاً مع دعاوى العلاقات المصرية - الإيرانية يركز بالأساس حول الإطار الخاص الذي يجب أن تدور داخله هذه العلاقة والتي يفترض أنها تقوم تبعاً لحسابات المصلحة والمنفعة وفق نسق شرعي وأخلاقي يراعي المصالح السياسية والاقتصادية الخاصة بالجماهير السنية التي تمثل الدعم

الأحباش التي تنفذ الإستراتيجية الإيرانية في سوريا ولبنان والإستراتيجية الإثيوبية والإسرائيلية في إثيوبيا. فهل يمكن عزل دورها في سورية عن مصالح تل أبيب؟ وفي الاتجاه المعاكس هل يمكن عزل دورها في إثيوبيا عن مصالح طهران؟ ومن جانب آخر إذا كانت إسرائيل تعتبر إيران والقوى الشيعية أو الموالية لها تهديداً حقيقياً فكيف تمكنها من مد أذرعها في إثيوبيا؟

العلاقات المصرية - الإيرانية..

إظهار الحق وكشف الأستار

أسامة الهتمي^(*) - خاص بالرائد

ليس مستغرباً أن يتواصل الجدل بشأن العلاقات المصرية - الإيرانية إذ كانت وستظل هذه العلاقات واحدة من أهم محددات استشراف مستقبل المنطقة برمتها، كون مصر تمثل، وبغض النظر عن الأحداث السياسية التي تشهدها خلال هذه الفترة الحالية، أحد أهم مكونات المحور السني، فيما تجسد الدولة الإيرانية الخمينية القوة الشيعية الرئيسية في المنطقة أيضاً، ومن ثم فإن واقع هذه العلاقة وشكلها يعكس إلى أين تتجه دفة الصراع الإقليمي الذي تؤججه طموحات الدولة الإيرانية التي لا تتوقف للحظة واحدة عن إثارة بؤر التوترات الطائفية في العديد من البلدان، ما يجعلها أوراق ضغط بيد طهران ضد هذه البلدان ومعها بعض القوى الدولية لترسيخ المزيد من هيمنتها واحتلال مكانة إقليمية ربما لا تتواز مع القدرات الحقيقية للدولة الإيرانية سواء على المستوى السكاني أو على المستوى الاقتصادي الذي تتفوق عليه بعض الدول السنية مثل

(*) كاتب مصري.

الأساسي والحقيقي للدولة المصرية ومن ثم فإن خروج هذه العلاقة أو محاولة استغلالها من طرف طهران لتكون شوكة في حلق معسكر أهل السنة يمثل بلا أي جدال دعما مباشرا لضرب الأمن القومي المصري والعربي والإسلامي.

وما سبق لا يعني أننا نحاول ترسيخ الطائفية أو تجذير الخلاف داخل الصف الإسلامي بقدر ما هو دفاع مشروع - بل واجب - عن هوية الأمة الإسلامية وسبيل ضروري لحماية مصالح شعوبها ضد أحلام قومية متعصبة اتخذت من الدين الحنيف ستارا كما اتخذت من الشعارات البراقة - التي ليس لها أدنى انعكاس عملي على أرض الواقع - مجرد وسيلة لاستمالة الجماهير لتحقيق مآرب وأغراض نرى وبكل أسف أثر خطواتها في دول عدة مثل الإمارات العربية واحتلال جزرها الثلاث، وفي العراق الذي أصبح بفعل الطابور الإيراني ساحة إبادة طائفية لأهل السنة، وفي اليمن الذي بات مهددا لا تستقر له عين، وفي لبنان المهدد دائما بالتشتت والتجزئة، وفي البلدان الإفريقية التي يتعرض مسلموها لمحاولة إفساد عقائدهم، بل وفي مصر ذاتها بعد ما ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن لطهران دورا كبيرا ويدا فاعلة فيما حدث في ٣٠ يونيو و٣ يوليو إذ أكدت المصادر الشيعية نفسها أن مؤسس حركة (تمرد) المدعو محمود بدر وهي الحركة التي كان لها الإسهام الأكبر في حشد وتوجيه الجماهير ضد الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي هو أحد الشيعة وأن اجتماعات الحركة في بداية تأسيسها كانت تتم في مقر جمعية مصر الفاطمية.

منطلقات الدفاع

وحتى يكون لحديثنا صفة الموضوعية فإننا سننقل بقدر ما نستطيع خلال هذه السطور بعضا من أهم ما تناوله الدكتور جمال زهران في الحلقة بحرفيته ثم نعقب بعد ذلك بإبداء ملاحظاتنا

وتعليقاتنا على ما تضمنه كلام زهران. في بداية الحلقة لم يتردد زهران في أن يؤكد أن زيارة الوفد الشعبي لإيران والتي تمت في الفترة من ٥ - ١٥ ديسمبر ٢٠١٣م وجاءت بعد شهور قليلة من أحداث ٣٠ يونيو والتي تعد الثانية بعد الزيارة التي تمت في أعقاب ثورة يناير ٢٠١١م على أنها تأكيد للعادة بزيارة طهران عقب كل ثورة ذلك انطلاقا من الرغبة في أن تخرج مصر من حصارها وكبوتها وأن تلعب دورها الإقليمي وأن يكون لها جسور مع كل الدول بلا تمييز خصوصا الدول الركائز في المنطقة كإيران وتركيا وإثيوبيا فيما رفض زهران رفضا قاطعا أن يعتبر دولة قطر دولة محورية واصفا أن دورها في المنطقة يتم لصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

كما رفض زهران مقارنة قطر بتركيا معتبرا أن قطر تقوم بالوكالة عن أمريكا فيما أن تركيا تلعب لصالحها بنسبة تتراوح ما بين ٧٠ إلى ٨٠٪ فضلا عن أن قطر تدخل في تصنيف الدول المنمنمة.

وتطرق زهران لزيارة الوفد الأولى والتي شارك فيها أيضا رغم أنه كان هناك وفدان آخران أحدهما اتجه إلى تركيا والآخر إلى إثيوبيا وأن حظه - وفق قوله - كان المشاركة في الوفد المتجه إلى إيران مشيرا إلى أن هذه الزيارة وما تلتها من زيارة أخرى في ٢٠١٣ كانا يستهدفان بالأساس كسر استمرار قطع العلاقات المصرية - الإيرانية الذي اعتبره في غير صالح الأمن القومي المصري .. متسائلا لماذا لا يتم التواصل المصري - الإيراني ولماذا لا تعود العلاقات لسابق عهدها ولماذا لا يستفيد الطرف المصري والطرف الإيراني كل من بعضه ولماذا لا يعاد تشكيل كل المنطقة بحيث تحافظ على استقلالها الذاتي؟

وأصر زهران على القول بأن الوفد المتجه لإيران لم يقم باستئذان أي جهة حكومية أو نظامية قبل القيام بزيارته وأن الزيارة جاءت بتنسيق من التجمع

العربي لدعم خيار المقاومة الذي يدعم فكرة المقاومة ضد إسرائيل والاستبداد والفساد والتبعية.

وفي رد على سؤال لمقدم البرنامج .. وهل إيران هي من تدعم فكرة المقاومة؟ رد زهران إنه ليس بالضرورة أن تكون إيران وحدها ولكنها من الدول الممانعة.. فسأله المقدم: وحماس أيضا - يقصد من الدول الممانعة - .. فرد زهران قائلا وحماس أيضا لكن حتى ١١ فبراير ثم أضاف أن النظام السوري ممانع وحزب الله أيضا ممانع ونحن ممانعون فنحن جزء من الشعب المصري.

ولفت زهران إلى أن من حقه أن يتكلم باسم الشعب المصري كونه نائباً وأنه جزء من الثورة وأنه يحيا وسط الشعب يوميا ولا يعيش في برج عاجي.

ثم يحدد زهران أهداف زيارته لإيران قائلا إن ذلك جاء لشرح تطورات الوضع في مصر للإيرانيين وتوضيح خارطة المستقبل بعد ٦/٣٠ مشيرا إلى أنهم من حقهم كشعبيين أن يتحاوروا مع قيادات كبيرة داخل النظام الإيراني معتبرا أن السفير الإيراني في القاهرة مجرد أداة منفذة للسياسات في حين أراد الوفد أن يناقش صناع هذه السياسات.

وقال زهران إن الوفد قابل مجموعة من القيادات بينهم رئيس مجلس الشورى الإيراني حيث استمرت هذه الحوارات لأكثر من عشر ساعات.

وأضاف أن الوفد كان لديه انطباع بأن الإيرانيين داعمون لجماعة الإخوان المسلمين غير أنهم اكتشفوا أنهم غير داعمين للجماعة.

ثم يعود زهران ليقول إن الوفد قال للقيادات الإيرانية إنكم بهذا - يقصد دعم الإخوان - تساندون الإرهاب فلا بد أن يكون معياركم هو التعامل مع المعطيات في مصر بنفس تعاملكم مع المعطيات التي في سوريا وألا يكون لديكم ازدواجية.

وأوضح زهران أن الفريق المشارك في الزيارة تم تكوينه من ٢٥ شخصية وقد أعلم رئاسة الجمهورية

بالزيارة فيما أبلغ وزارة الخارجية والتقى بالمتحدث الرسمي للخارجية السفير بدر عبد العاطي لأن الوزير لم يكن موجودا بالقاهرة آنذاك حيث قام الوفد بشرح الوضع للسفير عبد العاطي فضلا عن أن السفير المصري بطهران كان في استقبال الوفد واستضافهم في منزله كما نسق لهم لقاءات مع فعاليات شعبية إيرانية لا حصر لها.

وفي محاولة لتبرير وصف الإيرانيين للأحداث في مصر باعتبارها انقلابا قال زهران إن الثورة في اللغة الفارسية تعني انقلاب أما المرادف لكلمة انقلاب بمفهومها العربي لدينا فهو كلمتي «انقلاب عسكري».

ولم ينس زهران أن يلفت النظر إلى أن أحد الأدوات الاستعمارية لتمزيق المنطقة وإفقادها لعروبيتها التي هي الأساس لجمع شمل هذه الدول هو الفتن السياسية كالصراع السني الشيعي مضيفا أنه حين تقيم مصر علاقة مع الصين التي يدين ٩٠٪ منها بأديان غير سماوية لا يعلق أحد على هذه العلاقة في حين إذا أرادت مصر أن تقيم علاقة مع إيران يقولون إن إيران دولة شيعية وأن ذلك يعد ترويجا للمذهب الشيعي ولهؤلاء أقول إن مصر عصية على أي أحد يريد أن ينتهك انتماءاتها.

وفي مقطع آخر من الحلقة التي يمكن مشاهدتها بالكامل على موقع «يوتيوب» يقول زهران إنه لا بد من تكوين تحالف مصري إيراني ضد تركيا لافتا إلى أنه لو عرض عليه السفر لتركيا ما كان ليوافق إذ القيادة التركية اليوم هم إخوان مسلمون ويساندون اللاشرعية - يقصد الرئيس محمد مرسي - .

تهافت وتناقض

يجدر بنا في بداية الرد على ما سرده الدكتور زهران أن نلفت نظره فضلا عن نظر القارئ الكريم إلى أن الأهمية التي حاول أن يضفيها على

طبيعة المهمة التي من أجلها اتجه الوفد لزيارة إيران هي من قبيل المبالغة القصوى ذلك أنه وعلى مدار نحو ثلاث سنوات والوفود المصرية - غير الرسمية - المتجهة إلى إيران لم تتقطع حيث سارعت الحكومة الإيرانية وفي أعقاب ثورة يناير إلى التواصل مع الإعلاميين والمثقفين المصريين وتنظيم زيارات خاصة لهم عبر سفارتها بالقاهرة وقد كان لصاحب هذه السطور نصيب من ذلك إذ تلقيت وعبر أحد الإعلاميين المصريين دعوة بالسفر غير أنني قابلتها بالرفض لأنني استشعرت أن الهدف منها محاولة إثنائي عن مقالتي لكشف حقيقة أهداف السياسات الإيرانية في المنطقة أو على أقل تقدير محاولة لتصوير إيران وكأنها دولة ديمقراطية تقبل بالرأي الآخر وهو الأمر الذي يجافي الحقيقة تماما إذ لو كانت كذلك بالفعل فلماذا إذن تستمر المظالم والانتهاكات التي تجري بحق أهل الأحواز الذين يواجهون الإعدام والاعتقال ليس إلا لأنهم من أهل السنة الذين يطالبون ببعض حقوقهم المسلوبة؟.. بل ولماذا تتواصل الانتهاكات بحق المختلفين سياسيا مع الحكومة الإيرانية؟.. إن المسألة لا تعدو عن كونها وكعادة الدولة الإيرانية ممارسة للدعاية السياسية التي وبكل أسف انطلت على البعض ممن لا يتعلق أو يتشبه بمبدأ فيكون كل ما يشغلهم هو الاستجابة لرغباتهم الشخصية تحت دعوى التعرف على بلد جديد وثقافة جديدة وغير ذلك مما سمعته من بعض ممن قبلوا بالسفر لإيران.

أما فيما يخص حديث زهران عن أن الوفد لا تربطه بالحكومة المصرية أية رابطة فإن ذلك يمكن أن يطابق الحقيقة إلى حد كبير غير أن الذي لا يمكن قبوله اعتباره وفدا شعبيا يعبر عن توجهات الشعب المصري إذ الأدق أن الوفد لا يعبر عن بدقة عن التوجه العام للنظام كما لا يعبر عن الموقف الشعبي العام أيضا والذي هو رافض تماما للسلوك الإيراني في المنطقة ومن ثم فإن الأكثر

منطقية هو اعتبار أن الوفد يعبر عن مجموعة نخبوية تتواصل مع إيران لمصالح خاصة بها وأنها وفور وقوع ثورة يناير وحدث حالة من السيولة على مختلف المستويات خاصة السياسية والأمنية سارعت هذه المجموعة إلى تسويق نفسها على أنها قادرة على تحقيق ما طمحت إليه طهران طيلة عقود وفشلت فيه ألا وهو توثيق العلاقة مع مصر.

وبالطبع كان يجب أن يتم تحقيق هذا المطلب أو التقدم نحوه من خلال ما يمكن أن يستسيغه المجتمع المصري الناقم كما أشرنا على ممارسات إيران فكان أفضل السبل هو اتباع نفس اللعبة التي لا تمل إيران من لعبها وهي حكاية المقاومة والممانعة فتكون الزيارة عبر ما يسمى «بالتجمع العربي الإسلامي لدعم خيار المقاومة» الذي يضم في عضويته وقيادته عددا من الشيعة أو المتعاطفين مع الدولة الإيرانية في مصر وبعض البلدان العربية والإسلامية فيما لم يضم في عضويته عناصر أخرى من المختلفين مع إيران وسياساتها وكأن كل المختلفين مع إيران لا يدعمون المقاومة أو ليسوا من الرافضين للكيان الصهيوني المحتل.

وهنا نسأل الدكتور زهران الذي يصنف إيران باعتبارها واحدة من دول الممانعة.. ماذا تقصد بالممانعة وأين مظاهر تلك الممانعة؟ ولأننا لا ننتظر إجابته نقول له إن كنتم تقصدون بالممانعة الوقوف كحائط صد ضد مخططات الإمبريالية الغربية والصهيونية لفرض هيمنتها على بلدان المنطقة فإننا نذكره بأن إيران كانت إحدى أهم الأدوات التي استخدمتها هذه الإمبريالية في كسر إرادة وقوة الشعوب العربية والإسلامية عندما ساعدت الاحتلال الأمريكي على احتلال كل من أفغانستان والعراق بل وعندما ظلت تمارس وتلعب دورا قذرا في العراق بل وعندما دعمت بكل ما تملك نظام الرئيس السوري بشار الأسد في مواجهته للثورة السورية.

وينقلنا ذلك إلى حديث زهران عن توصيفه أيضا للنظام السوري باعتباره من الممانعين وهو الأمر الذي يثير الضحك الباكي إذ كيف بك يا دكتور زهران وأنت من تقول عن نفسك أنك من الثورة المصرية تحرّم على غيرك ما تحله لنفسك فكيف تعتبر الثورة السورية إرهابا يجب مواجهته؟ .. أليس من حق السوريين أن ينتفضوا ضد نظام حرّمهم من أبسط حقوقهم السياسية وقتل آمالهم في حدوث أي تغيير يعكس إرادة هذا الشعب؟ أليس من حق الشعب السوري أن يتطلع لبناء دولة قوية يتحقق فيها تكافؤ الفرص وأن ينهي مرحلة من سيطرة الأقلية الطائفية على أغلبية ليس لها حتى أن تعبر عن المفهوم الحقيقي للمقاومة القائم على الجهاد ضد محتل صهيوني يحتل أرض الجولان لعقود دون أن يطلق النظام الأسدي «العنتري» طلقة واحدة باتجاهه فيما اكتفى هو بخطب وشعارات هي في حقيقتها جزء من مخطط إجهاض المقاومة وامتصاص حماس الجماهير؟

بل إن الأسوأ والصادم فيما طرحه الدكتور زهران أن يعتبر حزب الله ممانعا وهو ما يمثل قمة التناقض في مواقف الدكتور زهران إذ تشهد أروقة بعض المحاكم المصرية في الوقت الحالي محاكمات لبعض عناصر حزب الله المتهمين بالتواطؤ مع قيادات جماعة الإخوان المسلمين فيما عرف بقضية وادي النطرون فضلا عن مشاركة بعض عناصره في التخطيط لارتكاب أعمال إجرامية بحق مصر والمصريين ووصفهم بأنهم حزب ممانعة يعني أن مثل هذه الأعمال هي جزء من المقاومة التي يتبناها الحزب وهو ما يتعارض تماما مع الموقف الذي يتبناه النظام الذي يدافع عنه زهران وذهب لإيران ليروج له ويدافع عنه.

كذلك يعني هذا التوصيف أن يتجاهل الدكتور زهران تماما مشاركة حزب الله بقواته وعناصره في الحرب البشعة التي يشنها الأسد ضد

الشعب السوري وهي المشاركة التي عكست طائفية هذا الحزب فما حركه هو أن نظام الأسد نظام علوي شيعي يحظى برضى ساداته في طهران ومن ثم فإن التكليف بالمشاركة لم يأت وفق حسابات مصلحة الحزب أو حتى الدولة اللبنانية التي ينتمي لها الحزب جغرافيا وإنما جاء بأوامر من «قم» ولحسابات طائفية بحتة.

والمضحك أيضا أنه وفي الوقت الذي نسي أو تناسى كل ذلك لحزب الله لم ينس أن حركة المقاومة الفلسطينية الإسلامية «حماس» كانت أحد رافضي ما حدث في مصر وإقالة الرئيس مرسي فكانت عنده ضمن تيار الممانعة حتى تاريخ بعينه وأما بعد ذلك التاريخ فقد سقط عنها وصف الممانعة لتبدو الصورة وكأن تيار الممانعة والمقاومة ينحصر فقط على الشيعة.

وهنا أجدني مدفوعا إلى الإشارة لشيء له دلالاته التي تؤكد لدي أن كل ما يشغل رجال إيران هو تحقيق مصالحها بغض النظر عن الانتماءات والولاءات وما شابه ذلك إذ لاحظت من قائمة أسماء أعضاء اللجنة التنفيذية للتجمع العربي والإسلامي لدعم خيار المقاومة والذي تم إطلاق مؤتمره التأسيسي في العاصمة المصرية «القاهرة» يومي ٢٤ و ٢٥ يوليو اسم المهندس أبو العلا ماضي، رئيس حزب الوسط المصري، الذي هو أحد رموز الرفض لما حدث في الثلاثين من يونيو وأحد الذي يتعرضون في الوقت الحالي للمحاكمة لموقفه من هذه الأحداث والذي لو قدر له أن يظل خارج السجن لمارس دوره داخل التجمع متمسكا بموقفه المختلف فيه مع النظام المصري الحالي في حين أن موقف الأمين العام للتجمع وهو لبناني شيعي يدعى الدكتور يحيى غدار قال إن الاستفتاء الذي جرى على الدستور المصري الذي تم إجراؤه عقب إقالة الدكتور مرسي قضى على المشاريع المعادية للأمة.. والشاهد في ذلك أن الأمر لا يتعلق بقضية ثورة أو

غير ذلك في مصر أو في غيرها إنما يتعلق الأمر جملة وتفصيلاً بتنفيذ أجندة مصالح طهران.

يؤكد ذلك أيضاً التناقض الواضح الذي وقع فيه زهران أيضاً والمتعلق بنفيه القاطع بأن يكون الوفد قد استأذن أياً من المرجعيات السياسية في مصر قبل توجهه إلى إيران حيث لم تمر دقائق ليعيد مقدم البرنامج السؤال مرة أخرى بصيغة مختلفة فيجيب زهران بأن الوفد تواصل مع الرئاسة ومع الخارجية التي كلفت السفير بدر عبد العاطي المتحدث باسمها بالجلوس مع أعضاء الوفد والاستماع لهم فيما كان السفير المصري في إيران في استقبالهم حيث نظم لهم لقاءات مع فعاليات شعبية وهي إشارة جديدة على أن الأهم هو «الهدف».. الذي أعتقد أنه أصبح واضحاً للجميع.

ومما يثير العجب أيضاً هو ما أشار إليه علاء سعيد الذي كان في مواجهة زهران خلال الحلقة من أن زهران قال في بعض الصحف إنه يجب تكوين تحالف مصري إيراني ضد تركيا وهو الاتهام الذي لم ينفه أو يرد عليه زهران ما كان كاشفاً عن حقيقة نواياه رغم أننا كنا نود لو كانت دعوته لتكوين تحالف عربي إسلامي ضد «إسرائيل» كون أن هذا هو معنى المقاومة والممانعة الحقيقية فعلى الرغم من ملاحظاتنا على بعض السياسات التركية إلا أنها لم ترق لتشكل تهديداً للأمن القومي العربي أو الإسلامي كما لم تكن عنصراً يهدد الأمن والاستقرار في البلدان العربية وهي الخطايا التي ارتكبتها وما زالت ترتكبها الدولة الإيرانية.

المسألة برمتها هي محاولة للحد من الدور الإقليمي لأية قوة بخلاف الدولة الإيرانية التي تدرك أن تنامي قوتها واتساع دورها لا يتحقق في المنطقة إلا بالتحالف مع قوة سنية أخرى كون أن المنطقة سنية الهوية وهو ما يستدعي حدوث تقارب مع أحد دولتين إما المملكة العربية السعودية أو مصر ولأن

طهران تعلم جيداً صعوبة تحقيق هذا الهدف فيما يخص المملكة فليس من سبيل لتحقيقه إلا مع القاهرة.

وفي الختام فإن من الموضوعية أن نعترف بصعوبة التفريق بين من يقومون بدور وظيفي أو «العمالة» لصالح دولة أو جهة معينة وبين أولئك الذين يتحركون انطلاقاً من حسن النية واجتهادات جائبها الصواب غير أن الذي نرى أنه بالأهمية بمكان هو أن يسعى الجميع لتحقيق الاتساق مع ما يطرحه المرء من أفكار وشعارات وبين ما يصدر عنه من سلوك أو خطوات يصير على صوابها فإن كانت المقاومة هي شعارنا فليتحسس جميعنا تلك الأطراف الحقيقية الداعمة للمقاومة دون الانجرار أو الانسحاق أمام المزيفين المتاجرين.

طائفية المالكي

في نظر صحافة الغرب وساستهم

سعيد السويدي^(*) - خاص بالراصد

رغم ما يحظى به رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي من دعم أمريكي وغربي، إلا أن هذا لا يعني أن الرأي العام الغربي يصدق مزاعم حكوماته أو مزاعم المالكي بمواجهة الإرهاب، وهذا الوعي الشعبي الغربي مهما كان حجمه ومدى انتشاره فهو في صالح القضية السنية، فهو يؤكد على أمرين:

١- أن الاهتمام بالشأن العراقي عند بعض الغربيين يفوق نظيره عند بعض القوميين والإسلاميين.

٢- ضرورة التواصل مع كل الجهات الواعية التي لا تصدق مزاعم الإدارة الأمريكية أو السياسات الرسمية لحكوماتها بشأن العراق (♦) كاتب عراقي.

وحكومته الحالية، وهذا التواصل يعزز قناعاتهم ويساهم في إبقاء القضية في مأمن من طمس حقيقتها وواقعها.

سنستعرض هنا بعض ما نشر في المجلات أو صرح به محللون وسياسيون غربيون حول المالكي وسياساته:

١- يقول مايكل نايتس المحلل في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: (يرى بعض المراقبين المحنكين، مثل السفير الأمريكي السابق لدى العراق رايان كروكر، أن الفترة الحالية تعتبر بمثابة عودة إلى ظروف عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، عندما انغمست العراق في أعمال عنف مشابهة لحرب أهلية. لكن هناك مقارنة بديلة يمكن أن توازي على الأقل الاهتمام الخاص بنظيرتها - وبالتحديد الفترة المبتدئة في ٢٠٠٣، عندما تسببت أخطاء الائتلاف الدولي في فتح الباب أمام الجماعات العراقية المتمردة للتمرد في المقام الأول. والآن تقع الحكومة العراقية في العديد من نفس الأخطاء التي وقعت فيها الولايات المتحدة في تلك الأثناء: فهي تقوم بعزل السنة واحتلال مجتمعاتهم مع تبني نهج عسكري قاس لا يميز بين المحاربين المتطرفين وجمهور المدنيين المسلمين) ويؤكد نايتس بأن الذي أذكى نار الطائفية هو (عدم رغبة حكومة بغداد في تلبية المطالب الخاصة بإنهاء العقاب الجماعي للسنة عن الجرائم التي ارتكبتها نظام البعث).

ويرى نايتس كذلك أن المحرك الرئيسي للعنف في العراق هو الإفراط في مركزية سلطة بغداد (في بداية عام ٢٠٠٨، أعاد المالكي مركزية الحكم معولاً في ذلك على دائرة ضيقة بشكل متزايد من المعارضين الشيعة للنظام الدكتاتوري السابق. ومثلها مثل جميع الثورات الناجحة، أصاب هذه المجموعة الريبة والشك من الثورة المضادة، وبدأت في إعادة بناء نسخة من النظام السلطوي التي سعت

لإسقاطه على مدار عقود. وتهيمن الدائرة المقربة من المالكي على اختيار القادة العسكريين وصولاً إلى مستوى الألوية وتسيطر على المحكمة الفيدرالية كما سيطرت على البنك المركزي. كما طمست السلطة التنفيذية بشكل سريع جميع الضوابط والموازن التي وضعت قيد التنفيذ لضمان عدم ظهور أي حكم استبدادي جديد^(١).

٢- وجه مجموعة من نواب مجلس الشيوخ الأمريكي رسالة إلى الرئيس باراك أوباما بالتزامن من زيارة المالكي لواشنطن، ذكروا فيه أن سوء إدارة المالكي وأجندته الطائفية السلطوية تساهم في زيادة العنف، وتدفع السنة إلى أحضان القاعدة والتطرف.

كما طالبوا أوباما بالتأكيد على المالكي بأن النفوذ الإيراني في حكومته يؤثر على العلاقة الثنائية بين العراق والولايات المتحدة، وأن حل مشاكل الحكم في العراق يتضمن إشراك السنة في الحكم وإنهاء قانون اجتثاث البعث والتوافق مع الزعماء السنة، وأن استمرار المالكي بمعاملة السنة كإرهابيين لن يحقق الاستقرار في حال تم دعمه بمساعدات أمنية من أمريكا، وهذه المساعدات لن تخدم المصالح القومية لأمريكا^(٢).

٣- الباحث الأمريكي (أنثوني كوردسمان) بمركز الدراسات الدولية الاستراتيجية أشار إلى أن سياسات المالكي القمعية والإقصائية ليست بأقل من خطر القاعدة^(٣).

٤- وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت غيتس بدأ بنشر مذكراته منتقداً سياسات

(١) موقع المعهد بتاريخ (٢٠١٣/٥/١٥) تحت عنوان (نعم، العراق يتفكك) (Yes, Iraq Is Unraveling).

(٢) نشرت الرسالة على موقع النائب جون ماكين <http://www.mccain.senate.gov> أحد الستة الموقعين عليها، بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٢٩.

(٣) تحليل منشور على موقع [realclearworld](http://realclearworld.com) تحت عنوان (Maliki Is as Big a Threat as al-Qaeda).

المالكي تجاه السنة في العراق، ونقل الكاتب سرمد الطائي بعض ما جاء فيها.

يقول غيتس: (إن نوري المالكي فوّت على نفسه وعلى العراقيين، فرصة كبيرة وفرتها أميركا بين ٢٠٠٩ و٢٠١٠، وكان يحسن به أن يتعامل بطريقة تصالحية حينها مع سنة العراق، ليدعم التسويات السياسية والأمنية، التي وفرت أمنا نسبيا معقولا يومذاك. لكن المالكي حسب غيتس، فعل العكس وراح يبدي عداا حادا للسنة، ووفر مدخلا لأسوأ ما حصل لاحقا، ولما نعيشه اليوم من انتعاش جديد لتنظيم القاعدة.

ومن الجيد أن غيتس لم ينس أن القاعدة «استغلت بشكل بالغ القساوة، عداا المالكي الحاد للسنة» في إشارة الى أجواء الخوف التي خلقها رئيس الوزراء واستثمرتها تنظيمات الموت التي تريد أن تنصب نفسها حاميا لأهل السنة المغضوب عليهم.

غيتس راقب المالكي بدقة وتعامل معه في أكثر اللحظات حرجا، في الأنبار وبغداد بشكل خاص، ولمس بيديه ثمار الخطة التصالحية التي رعاها قائد الجيوش ديفيد بترايوس، كما واصل الإشراف على الترتيبات النهائية لسحب القوات، ولصفقات التسليح والتعاون العسكري، وكان متحمسا لدفع مليار دولار سنويا كمساعدات عسكرية لحكومة بغداد. أي أنه كان من أبرز الداعمين للمالكي ولمسار التهدة والاستقرار، الذي كان منصة صعد عليها المالكي سياسيا. لكن وزير دفاع أميركا يعترف بشيء من ذلك الألم الذي ينتابك حين تدرك الأشياء متأخرا، فيقول: لقد صار المالكي أكثر طائفية مما كنا نتوقع!^(١)

٥- أما مجلة كومنتراري الأمريكية فقالت إن (خطة بيع معدات عسكرية للقوات العراقية بدون أي شرط مسبق فكرة سيئة، وإن إعطاء المالكي

(١) مقال (المالكي في مذكرات غيتس) صحيفة المدي (١٦/١/٢٠١٤).

شيكا عسكريا على بياض، بدون وقفه الحرب التي يشنها على السنة، قد يعطي نتائج عكسية)^(٢).

٦- مسؤول العلاقات مع العراق في البرلمان الأوروبي ستروان ستيفنسون اتهم المالكي بشن حملة إبادة ضد العرب السنة في العراق، وقال إن الغرب لا يجب أن يقف موقف المتفرج على حملات المالكي ضد سنة العراق، وأن الحل الوحيد في استبدال المالكي بحكومة غير طائفية تضم كافة مكونات المجتمع تحترم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

٧- أما الصحفية رولا خلف فقد أكدت في مقال نشرته في فاينانشال تايمز أن «ما يحدث في الفلوجة يجسد مشكلة سياسية أوسع تتمثل في تهمة السنة، وهو ما لا يمكن وضع حل له باستخدام الدبابات والمدفعية)^(٣).

٨- صحيفة الغارديان البريطانية ذكرت أن المالكي حينما سئل عن انتمائه وفكره أجاب بأنه شيعي أولاً، وعراقي ثانياً، وعربي ثالثاً ثم عضو في حزب الدعوة، وتساءلت الصحيفة عن حال العراق إن كان رئيس وزرائه يغلب انتماءه المذهبي على الوطني^(٤).

٩- الكاتبة البريطانية راشيل شابي، رأت أن القيادة العراقية غير جديرة بإدارة شؤون العراق، بوجود رئيس وزراء معاند بلا كفاءة، وقالت راشيل في مقال لها بصحيفة الغارديان البريطانية: مع ارتفاع حصيلة القتل إلى حوالي نصف مليون شخص منذ العام ٢٠٠٣، يستحق العراق أن تكون له قيادة تستطيع وضع الوحدة الوطنية فوق المكاسب

(٢) مقال بعنوان (No Blank Check for Maliki) (8/1/2014) (commentarymagazine.com)

(٣) مقال (9) (Maliki fights fire in Iraq he helped to start) (1/2014).

(٤) افتتاحية الغارديان (14/12/2011) (Iraq: retreat from Baghdad).

وكل سياساته الداخلية والخارجية تدور في هذين الفلكين.

ومن أجل ذلك؛ سخر المالكي كل موارد العراق المالية الهائلة من النفط وغيره، وترك البلاد في أسوأ حال، على كافة المستويات، من تفشي الفساد وسوء المعيشة والخدمات، وانعدام الأمن وتصدير الإرهاب وانتعاش المليشيات.

تردي الوضع الأمني هو أكثر مظاهر التردي، بالرغم من أن العراق يحوي عددا كبيرا من قوات الدفاع والأمن يصل إلى مليون عنصر (كلهم من الشيعة)، والشماعة التي يعلق عليها إعلام المالكي هذا التردي هو عمليات تنظيم القاعدة، فما هي يا ترى حقيقة تنظيم القاعدة وصلته بالمالكي؟

المالكي والقاعدة:

ليس مقصودنا هنا التعريف بتنظيم القاعدة، بل فحص علاقة تنظيم القاعدة بالمالكي، فإن الحقيقة التي ينتهي لها كل دارس لأعمال هذا التنظيم هي: أن أكثر ما يجري في العراق من فوضى في المناطق السنية والشيعة - بل حتى الكردية أحيانا - هو من صناعة المالكي وأجهزته الأمنية، إما بشكل مباشر أو غير مباشر، ويشاركه في المسؤولية عن ذلك إيران وأمريكا أحيانا، فالعراق لم يستقر أمنيا منذ الاحتلال، والتفجيرات مستمرة وستستمر؛ لأن إستراتيجية إيران هي إثارة المشاكل في العراق والمنطقة وعدم الاستقرار^(٢)؛ لذلك حرص المالكي على الإمساك بالملف الأمني لتوجيهه حسب سياسته، فاستطاع أن يقيم علاقة جيدة مع القاعدة بعد أن كان قسم منها موظفا ومخترقا من قبل أمريكا وإيران، وبقي قسم منها حراً دون ولاء لأحد إلا لنفسه.

(٢) هذه الصفة تشترك فيها في منطقة الشرق الأوسط إيران وإسرائيل فهم يفتعلون الأزمات والمشاكل والحروب لتبقى المنطقة غير مستقرة ويمضون في تمرير سياساتهم وعدوانهم.

قراءة في سياسات المالكي في العراق

عبد الهادي علي^(٣) - خاص بالرائد

يعيش العراقيون مع المالكي وحكومته

اليوم قصة تشبه قصة (أليس في بلاد العجائب)؛

فالبلد لا يوجد فيها رئيس للجمهورية (لأنه في غيبوبة منذ أكثر من سنة)، ووزارات الدفاع، والداخلية، والأمن الوطني، والمخابرات يرأسها المالكي وكالة بالإضافة إلى كونه رئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة، أي الحاكم الفعلي والمطلق، مما فتح له المجال ليصول ويجول في العراق كما يشاء دون حسيب ولا رقيب، خاصة بعد أن أفقد البرلمان دوره من خلال سيطرته عليه بواسطة نواب كتلته، أو تهديد وإزاحة من يخالفه من النواب والمسؤولين كما فعل مع نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي.

لفهم سياسة المالكي (٢٠٠٦ - ٢٠١٤) يمكن

أن نختصرها في محاولته تحقيق هدفين هما:

- البقاء في السلطة لأجل غير مسمى

(الديكتاتورية).

- تعزيز الحكم الشيعي الديني، من خلال

الوجود الشكلي لبقية الأطراف (الطائفية).

فهو يسعى للبقاء بأي وسيلة، وما أن يأخذ الحكم لولاية حتى يخطط لولاية جديدة، حتى لو اضطر للصدام مع بعض الشيعة فهو صدام من منطلق التنافس على الكرسي، أما حربه الدائمة فهي ضد السنة والتي منطلقها طائفي بالدرجة الأولى ثم سياسي (الخوف من عراق ما قبل ٢٠٠٣)،

(١) المقال بعنوان (Iraq needs leadership worthy of its people) (24/10/2013).

(٢) كاتب عراقي.

لقد استطاع المالكى أن ينافس إيران على اختراقها للقاعدة وتوظيفها؛ لذلك كثر في عام ٢٠١٣ هروب قيادات القاعدة وعناصرها من سجون المالكى وبكل سهولة!

ولكى يحقق هدفه الثاني (المحافظة على شيعية الحكم) فإنه يعتمد إبقاء المناطق السنيّة مختلة ضعيفة إلا من سيطرة الجماعات المتطرفة بشقيها (داعش والقاعدة) المدانة بالإرهاب عالمياً، تنفذ ضرباتها ضد السنة والشيعية لتبقى مناطق السنة غير مستقرة، وبسبب ضرباتها العشوائية في مناطق الشيعة تزيد من تلاحم الشيعة بإيجاد عدو مشترك لهم (السنة)، فكل ما تقوم به القاعدة يصب لصالح المالكى في النهاية.

إن مبرر ظهور الميليشيات الشيعية اليوم هو وجود القاعدة وأخواتها، ويتكامل دور الميليشيات مع عمل الحكومة، حيث تتولى التصفية والتهجير لأهل السنة، بينما يقوم المالكى بالاعتقال والتعذيب والإعدام باسم القانون (دولة القانون!).

القضية السورية والمالكى:

بعد اندلاع الثورة السورية واجه المالكى مشاكل جدية، فقد شعر أن مصيره مرتبط بمصير صاحبه في دمشق (بشار الأسد) وشعر كذلك هو وإيران أن الدائرة بدأت تدور بعكس اتجاههم وأهدافهم؛ وأنه لابد من بقاء المنطقة تحت هيمنة الشيعة، فكانت سياسة المالكى (بأمر إيراني وإرادة ذاتية منه) تجاه الثورة تتمثل بعدة أمور:

- دعم سوريا مادياً، بالمال والنفط.
- الدعم بالرجال والميليشيات وتسهيل مرور الإيرانيين.

- ساهم بشكل مباشر بتشكيل وتقوية داعش داخل سوريا بالتنسيق مع إيران.

وحول النقطة الأخيرة؛ فقد نسقت أجهزته الأمنية قبل اندلاع الثورة السورية مع بعض قيادات القاعدة، وسهّلت أجهزته لهؤلاء الهروب عدة مرات

من عدة سجون، والتوجه إلى سوريا.

ومن يرغب بفهم حقيقة ظهور داعش فليدرس ويفحص تسلسل أخبار العراق الأمنية وهروب عناصر القاعدة؛ في السنة الماضية ليجد أنه أمر متزامن تماماً.

وليست هذه المرة الأولى التي ينسق فيها المالكى مع القاعدة، فقد نسق قديماً مع الأكراد على زعزعة أكبر منطقة للسنة (محافظة نينوى) لتغدو مرتعاً خصباً لهؤلاء المتطرفين، ورغم الوجود الكبير والمكثف لقوات المالكى في المحافظة، فالقاعدة تسيطر على المحافظة وتجمع القاعدة أتوات من أهالي المحافظة تُقدر بـ ٧ ملايين دولار شهرياً، كما غنض المالكى الطرف عن معسكراتهم في منطقة الجزيرة (المنطقة المحصورة بين شمال العراق وسوريا)، وعن انتشار وتواجد هؤلاء في محافظة صلاح الدين السنية.

المالكى والسياسيون السنة

بعد انتخابات آذار ٢٠١٠ شعر المالكى أن السياسيين السنة أداة يمكن استخدامها في أجندته الطائفية لاسيما أن أكثرهم معروف بفساده المالي، فتمكن من شراء عدد لا بأس به منهم، محققاً بذلك عدة مكاسب:

الأول: كسب ساحة سنية جديدة بديلاً عما فقدته من الساحات الشيعية.

الثاني: في مناطق التوتر بين العرب السنة مع الأكراد، يعتمد إثارة صراع عربي كردي، ويوسعه ليلجأ السنة للحكومة المركزية (الشيعية) لحل مشكلتهم مع الأكراد.

الثالث: تفتيت الصف السني، فالسنة كلما أسسوا كتلة لهم اخترقها المالكى، وأوجد فيها مكونات تابعة له؛ وقد فعل ذلك في الصحوات بعد أن كانت صلتها بأمريكا وكانت تمثل أكبر تهديد للمالكى، فأصبح كثير من مستشاري الصحوات تابعين له، بل تحولت إلى ضرب السنة في

حرب الأنبار الأخيرة. وفتت القائمة العراقية، واليوم يعمل هذا مع قائمة (متحدون).

الرابع: الترويج الإعلامي بأنه غير طائفي وأن نظامه وسياسته لا تفرق بين السنة والشيعة.

وقد رصدت ذلك مؤسسة عالمية معروفة وهي «مجموعة الأزمات الدولية» في تقريرها «سنة العراق والدولة: فرصة كبرى أو خسارة فادحة» حيث تقول: «المالكي قد أثبت نجاحاً نسبياً في استمالة وتقسيم جزء من العرب السنة، فإنه لم يعالج القضية المحورية المتعلقة بتمثيلهم السياسي؛ كما أنه لم يلغ الشعور الواسع الانتشار بالإقصاء، على العكس تماماً، ففي جميع المؤسسات العربية السنة، نشأ صراع على السلطة بين أولئك المقربين من رئيس الوزراء والأغلبية التي شعرت بتهميش مزدوج، أولاً من قبل المالكي الذي كان يتدخل في السياسات السنة الداخلية ومن ثم من قبل حلفائه السنة، الذين يُنظر إليهم على أنهم عملاء»^(١).

ونتيجة لممارسات المالكي الطائفية الجائرة تجاه أهل السنة، وعجز أهل السنة الشرفاء من الخروج بحلّ تجاه قضاياهم ومطالبهم ولدت هذه الأمور ضغطاً على أهل السنة اضطر الكثير منهم لقبول خيار القاعدة كحل أخير أو كمخرج مما يتعرضون له من اضطهاد، فقد عادت القاعدة إلى بعض المناطق السنة بفضل سياسة المالكي الطائفي الإقصائية وما تمارسه أجهزته من قتل واعتقال بحجة مقاتلة القاعدة.

الولاء المتأرجح بين إيران وأمريكا:

على المستوى الدولي لعب المالكي على عدة أوراق، منها:

إيران: فهي مضطرة للتعامل والتعاون معه لأنه الأقوى في الساحة الشيعية – وإن لم يكن على وئام

وتبعية تامة لها أيام المعارضة-^(٢)؛ ما يزعج إيران من المالكي أنه ليس تابع لها بشكل مطلق، فلأمريكا نصيب منه ولمصلحته وطموحه الخاص نصيب، لكنه لعب دور الوسيط الجيد بينها وبين الولايات المتحدة، كما أن إيران بحاجة لدعم المالكي للنظام السوري وقد قدم المالكي لإيران تجاه سوريا الكثير، وهو لا يمانع وجود إيران وتحركاتها في العراق، كما كان يفعل سابقاً لصالح أمريكا.

أما أمريكا فتتظر للمالكي باعتباره الرجل الشيعي الأقوى، ومؤخراً أحست بضرورة استبداله، ولمحت بذلك له. لكنها أرادت استعماله لبعض ما تريد مستغلة نهمه للبقاء لولاية ثالثة، وأنه من الشيعة القلائل^(٣)؛ الذين ملكوا ازدواجية الولاء بينها وبين إيران، بينما الجعفري، وصولاغ، وعلي الأديب ولاؤهم خالص لإيران.

وقد طلبت أمريكا منه مؤخراً أن ينفذ عملية ضد داعش؛ لأن الأخيرة كبر حجمها المراد لها وتغولت. فكانت عمليات الأنبار الأخيرة.

لكن المالكي بدأ يشعر أن أمريكا من الممكن أن تخدعه وتستعمله وتزيحه من ساحة الحكم فيما بعد، فكان لا بد من أن يفتح خطأً ثالثاً لمصلحته مع روسيا، لقد كان أداء روسيا لحماية بشار من السقوط واضحاً، ولروسيا رغبة في إيجاد موطن قدم في العراق والتي كان قبل ٤٠ سنة هو مجالها الرحب في الاستثمار الاقتصادي، إضافة إلى نفوذ مخابراتها ومافياتها في المنطقة، وروسيا بحاجة لموطن قدم في العراق لتلعب مع أمريكا لعبة الحرب الباردة من جديد.

(٢) استخدمت إيران ذراعها الأول (المجلس الأعلى وفيلق بدر) منذ سنة ٢٠٠٣ لغاية ٢٠٠٥، ثم استعملت جيش المهدي لتنفيذ مذابح ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ بعد أن شعرت بضعف المجلس الأعلى شعبياً في العراق، ومن ثم استخدمت المالكي.

(٣) ينافسه بذلك عادل عبد المهدي.

(١) صدر هذا التقرير سنة ٢٠١٣ شهر آب، ص ٩.

شعرت روسيا اليوم بحاجة المالكي للسلاح، وأن الأمريكان تأخروا عليه بصفقات كثيرة، أو تعمدوا التأخير؛ لذا طلب منها المالكي قبل أيام عقد صفقة أسلحة سريعة التسليم، ليفتح مجالاً جديداً للعمل معها، تمهيداً لمساعدته في نيل الولاية الثالثة.

معركة الأنبار الأخيرة

يمر المالكي بظروف عصيبة قد تؤثر على مستقبله السياسي، ومع اقتراب موعد الانتخابات (٢٠١٤/٤) فإن خياراته تتضاءل لا سيما بعد زيارته الفاشلة لأمريكا.

وقد كان يخطط للخروج من الأزمة بافتعال أزمات أمنية بعدة سيناريوهات، كي يعلن حالة الطوارئ لتأجيل الانتخابات لحين ترتيب أوراقه مع إيران وأمريكا وترتيب أوراقه الداخلية، لكن جاءت انتخابات مجالس المحافظات لتعطيه إشارة على بواكير فشله في الانتخابات النيابية، بينما منافسوه من الشيعة (الحكيم - الصدر) تزداد شعبيتهم وأوراقهم داخل المكون الشيعي.

أما السنة فقد مرّ على حراكهم أكثر من سنة، ولا نتيجة ولا أمل في أن يستجيب المالكي لشيء مما يطلبونه، رغم أن الحراك هزّ من كيان المالكي، لكن إيران لن توافق على منح السنة حقوقهم؛ لأن ذلك نوع من الانكسار للمالكي ولحكومته الشيعية، وبقي يماطل معهم ليكسب الزمن من أجل أن يقسم الحراك ويخرقه؛ ونجح المالكي نجاحاً نسبياً في ذلك، فتقسم الحراك إلى ثلاثة أقسام:

- الإخوان (الحزب الإسلامي).

- حراك العشائر والمستقلين.

- حزب البعث وهيئة علماء المسلمين،

وحصل تبعاً لذلك الانقسام بشأن الإقليم السني.

شعر السنة أنه لا ضوء في نهاية النفق من حراكهم، وأن المواجهة مع المالكي قادمة لا

محالة، وبدأت تحركات السنة الدولية تنجح في الحصول على دعم خفي، وأصبحت الوفود السننية تجوب دولاً في المنطقة كدول الخليج وتركيا^(١).

كانت فكرة بعض أهل السنة الجديدة هي بلورة مشروع سني، لكن اختلاف أهل السنة فيما بينهم وتضارب مصالح الشخصيات السياسية حال دون توحيد السنة والاستعداد للانتخابات، ومع ذلك فقد تكونت كتلتا (متحدون) و(كرامة) على أساس الانتماء السني، والدعوات تتزايد يوماً بعد يوم نحو تشكيل كتلة سنية أكبر.

كل هذه الأشياء والتحركات شكلت مأزقاً وتحدياً للمالكي ومستقبله، وكان لابد للمالكي للخروج من مجموع هذه المأزق أن يفعل شيئاً.

فبدأ المالكي بافتعال أزمة أمنية، فكثرت الانفجارات، وأصبح الوضع الأمني لاسيما في بغداد في حالة أثرت على هيبة المالكي أمام أصدقائه، علماً أن بعض هذه العمليات خارجة عن سيطرته^(٢)، وجير المالكي الوضع لصالحه وشنّ حملة في ضواحي بغداد السننية للتصفية والاعتقالات سماها حملة (ثأر الشهداء) قتل فيها العشرات واعتقل الآلاف من أهل السنة.

لكن هذا الأمر انتهى ولم يحقق المالكي ما كان يصبو إليه. فكان لابد من عمل أكبر، وجاءته الفرصة من الأمريكان، فقد طلبوا منه شن حملة ضد داعش في العراق، وأجبرته على هذه الحرب فشن حملة رمزية لكنه نجح بتحويلها نحو أعدائه في الأنبار وأولهم النائب الدكتور أحمد العلواني الذي تحرك كثيراً ولم يكن محسوباً على

(١) بدأت تركيا تحاول كسب سنة العراق كورقة لها في صراعها مع إيران وسوريا، ولتخفيف ورقة حزب العمال الكردستاني (بيد إيران).

(٢) بعضها لصالح إيران وبعضها القليل لصالح أمريكا، فقد جرى تصفية مساعد قاسم سليمان، علي بهارزاده بتاريخ ٢٠١٤/١/٣٠م. والبقية لصالح الثلث غير المخترق وهو يعمل لحساب نفسه ولجهات سنية كحزب البعث وغيره.

جهة ما ، لذلك كانت البداية به فقتل أخاه واعتقله ، وشن حرباً لا زالت مستمرة ، واستطاع المالكي أن يقسم السنة^(١) إلى قسمين:

- قسم سمي بالصحوات بحجة مقاتلة داعش.
- وقسم يحارب المالكي؛ وهم مجموعة من المقاومة القديمة ، والعشائر ، وضباط قدامى وولاؤهم وأهدافهم مختلفة.

لكن المالكي خذله جيشه في المعركة وتكبد خسائر كثيرة^(٢) ، لذلك سارع ليعقد صفقته مع روسيا كي تكون عاملاً جديداً لإبقائه في السلطة لولاية ثالثة.

لكن لا تزال عنده أوراق كثيرة يلعب بها ، نذكر منها:

- لا ننسى أن المالكي لا يلعب شيئاً بدون النظر إلى مصالح أمريكا وإيران ، حيث كانت إيران في الأيام السابقة في مفاوضات تريد تحسين الوضع مع أمريكا ، فقدمت تنازلات: مررت الحكومة اللبنانية ، وطلب الأمريكان من المالكي أن يهدئ الوضع في الأنبار ، فذهب إلى قاعدة عين الأسد غرب الأنبار واجتمع ببعض العشائر وأبو ريشة (الصحة) وأوجد صراعاً حول: فيما إذا تكون الأقليم من يحكمه^(٣)؟ واتخذ قراراً احتياطياً فضم ناحية النخيب إلى محافظة كربلاء كي يهشم محافظة الأنبار قبل إعلانها الإقليم ، هذا إن تم الإعلان.

- لقد اضطر كثير من السنة لعدم ضرب

القاعدة لأنها تمثل يداً ضاربة ضد المالكي ، والمالكي يريد ذلك ليبرر حربه ضد السنة دولياً ، واستطاع بإعلامه وعملائه أن يكسب المعركة إعلامياً.

لكن هل نجح المالكي بتأجيل الانتخابات؟ يبدو أن هناك ضغطاً أمريكياً جديداً ضده ومن خصومه الشيعة (الصدرين - والحكيم) لذلك اضطر أن يعلن عدم التأجيل.

الخاتمة:

تشن اليوم حرب شرسة لإخضاع الأنبار من قبل حكومة المالكي ، فقد هُجّر قسم كبير من أهالي مدينة الفلوجة (أكثر من نصف سكان المدينة غادرها) ، والقصف العشوائي مستمر ، وأصبح في هذه الحرب له عدة أعوان من السنة ، ربطوا مصيرهم بمصيره ، والقضية معقدة بها عدة إرادات وصراعات داخلية وخارجية.

ويبدو أن رهان إسقاط المالكي هو رهان إستراتيجي لأهل السنة في المنطقة ، ومخطئ من يظن أن إسقاطه هو إسقاط حاكم شيعي ، وسيأتي غيره مثله أو أسوأ منه.

إن إسقاطه هو إسقاط دكتاتور امتلك أدوات عدة للعمل بها دولياً ومحلياً ، ويده عراق غني يستطيع أن يشتري ولاء دول وجماعات.

الحركة النسوية في السودان وصراع المستقبل

فاطمة عبد الرؤوف^(٤) - خاص بالرائد

لا شك أن الحديث عن الحركة النسوية في السودان له نكهة ومذاق مختلف تماماً عن باقي البلاد فالبلد الأفريقي ذو المساحة الشاسعة والثقافات المتنوعة والأحداث الساخنة جداً يشهد

(♦) كاتبة مصرية.

(١) كثير من قيادات السنة السياسيين عنده استعداد للتعاون مع المالكي مقابل مكاسب مادية وسياسية.

(٢) خلال شهر تكبد المالكي ومليشياته حسب بعض المصادر أكثر من ٥٠٠٠ قتيل ، و٩٠٠٠ جريح و١٣ ألف هارب ، وهي أعداد كبيرة بالقياس للمدة الزمنية.

(٣) تشعر إيران والمالكي أن الأقليم السني ممكن أن يُفرض لذا فالحل هو إيجاد إقليم هزيل بيد صحوات أبو ريشة ، وجيشه وبعض وجهاء العشائر الذين أغراهم بالمال ، وبعد ذلك يتولد صراع سني سني.

جدلا واسعا وتناقضات كبيرة جدا على ساحته الثقافية والسياسية والاجتماعية.

السودان رقم مهم جدا في معادلة الصراع الموجود في المنطقة وهو ساحة مفتوحة لكثير من اللاعبين، وليس من المبالغة في شيء القول إن السودان هو المفتاح الحقيقي لأفريقيا وإن شكل وطبيعة الثقافة فيه لها تأثير كبير على جيرانه، فكما أن أمنه واستقراره يجعلان منه لاعبا محوريا في أفريقيا فإن شكل الثقافة فيه يعد رسالة حضارية للقارة البكر بأكملها.

ولا يمكن الحديث عن ثقافة السودان وهويته دون التطرق لموقع المرأة منها وطبيعة الأفكار الحاكمة فيها .. هل هي نابعة من طبيعة السودان العربي المسلم أم أن رياح وافدة قد عبثت فيها، أعني تحديدا الحركة النسوية العالمية، هل استطاعت اختراق المجتمع السوداني خاصة وأن هناك مشكلات ضخمة لا سيما بالنسبة للنساء السودانيات أم أنها (أي الحركة النسوية) في طور المحاولة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في السطور التالية:

رفض التوقيع

السودان واحدة من ست دول رفضت التوقيع على اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، ولم تنجح الحركة النسوية فيها (بشقيها: الشيوعي الذي له التأثير الأكبر، أو الليبرالي المدعوم من الغرب) من إجبار الحكومات المتتابة على التوقيع على اتفاقية سيداو.

فالاتفاقية طرحت في عام ١٩٧٩ حيث كان يرأس السودان جعفر النميري، الذي كان يريد أن يصبغ حكمه بصبغة إسلامية ولو صوريا ولا ننسَ التذكير في هذا الصدد بتجربته في إعلان تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في عام ١٩٨٣

ثم خلفه المشير عبد الرحمن سوار الذهب ذو الحس الإسلامي والذي يشغل الآن منصب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية، والذي سلم السلطة لحكومة السيد أحمد الميرغني (رئيس مجلس السيادة) وهو نجل السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية، ومن ثم لم يحاول التصديق على اتفاقية السيداو سيئة السمعة، حتى وصل للحكم حكومة الإنقاذ العسكرية ذات التوجه الإسلامي بقيادة المشير البشير والتي رفضت الإذعان للضغوط التي تطالبها بالتوقيع على الاتفاقية المعيبة وربما كان ذلك من الأسباب الهامة التي تقف وراء الموقف الغربي الرافض لحكومة الإنقاذ وللبشير.

نظرة تاريخية

المتابع لجذور الحركة النسوية في السودان يرى تشابها ملحوظا مع الحركة النسوية المصرية وإن كانت الحركة السودانية تالية بخطوة (فمرحلة التبشير بالوعي النسوي - وهي المرحلة الأولى في مراحل نشأة المنظمات النسوية - التي بدأها مفكرون رجال، من أمثال الشيخ محمد عبده ورفاعة رافع الطهطاوي وقاسم أمين (١٨٩٩) في مصر، وجدت صداها في السودان ودفعت أحد رجال المجتمع السوداني المعروف بتاريخه النضالي الناصع في مناصرة الثورة المهدية والقتال في صفوفها ضد الاستعمار العثماني، وهو الشيخ بابكر بدري، لأن يفتح أول مدرسة لتعليم البنات في ١٩٠٦م، في مدينة رفاعية بوسط السودان)^(١)، ولعل من الأهمية بمكان ملاحظة أن جميع الحركات النسوية بدأت بقضية التعليم الذي أصبح أداة التواصل مع النساء والفتيات، وعن طريقه يتم خلخلة أفكارهن وزرع

(١) بروز حركة نسوية جديدة في السودان والتحديات التي تواجهها، وليد عثمان النقر، موقع الحوار المتمدن.

أفكار دخيلة وكان الأولى أن يتبّه الإسلاميون لأهمية التعليم لأمة كانت أول كلمات كتابها الموجه للرجال والنساء جميعاً «اقرأ».

صحيح أن الجهل كان متفشياً بين الرجال والنساء جميعاً وأن طريقة الخلوي المنتشرة في السودان لم تكن تناسب الفتيات إلا أن هذا لا يمنعنا من التقييم الموضوعي لجهود الإسلاميين في هذا المضمار .. لا يمنع من ذلك أن من قام بالدعوة للتعليم هم من المشايخ أو ممن يربطون بين الدعوة لتعليم الفتيات وتعاليم الدين إلا أن الموجة قد ركبتها في النهاية النسويات والعلمانيون.

بين الشيوعية والليبرالية

ومن الملاحظات التاريخية أيضاً أن الحركة النسوية الشيوعية كان لها التأثير الأكبر في الحركة النسوية في السودان، فمنذ نشأة الحركة الشيوعية في السودان في أربعينيات القرن الماضي وهي تسيطر على مجمل الحركة النسوية السودانية مستغلة ظروف الفقر المدقع الذي تعيشه قطاعات واسعة من النساء.

ولفهم منهجية الشيوعيين في التعامل مع قضايا النساء نستعرض بيانهم الجماهيري الذي أصدرته سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني بمناسبة ٨ مارس (يوم المرأة العالمي)، فبعد أن تحدث البيان عن المرأة والطفل ضحايا التهجير الناتج عن الحرب والجفاف والتصحر تحدث البيان عن الفئات المهمشة والفقيرة من صانعات الأطعمة والشاي وبيع الملابس المستعملة والأدوات المنزلية زهيدة السعر حيث ذكروا أن هذه الفئة تشكل ٨٥٪ من الباعة في بعض أسواق أطراف العاصمة وأن أغليبتهم بين سن: ٢٠ - ٢٥ سنة وأن بناتهن الصغار حتى سن ١٥ سنة يساعدن ويشاركن في البيع وأن هاجس هؤلاء النساء

الرسوم اللاتي يطالبن بها ومصادرة الأواني وما فيها، كما تحدث البيان عن ظاهرة النساء السجينات وذلك الجيل الجديد من المواليد في السجون^(١).

من الملاحظ أن الشيوعيين يتلاعبون بمشاعر البسطاء والمهمشين كصانعة الشاي السودانية الذي تصنعه على الطريق ويناقش مشاعر الخوف الذي ينتابها من الإتاوة التي قد تفرض عليها أو طردها من المكان أو الاستيلاء على عدتها البسيطة وهم يعطون دورات متخصصة للكوادر النسائية الشيوعية للتعامل مع هذه الفئات وتجنيداً.

ومن المعلوم أن الاتحاد النسائي السوداني يسيطر عليه الشيوعيون، بينما تجادل النسويات الليبراليات أن الحركة النسوية السودانية بدأت مستقلة في أربعينيات القرن الماضي، أما أجندتهم فهي تبدو كصدى واضح للفكر النسوي الغربي بعيداً عن قضية الطبقة التي تحتل المرتبة الأولى لدى الشيوعيين الذين لا يزالون قوة لا يستهان بها حتى بعد سقوط المعسكر الشرقي.

تطالب الحركة النسوية المدعومة من الغرب بالآتي^(٢):

❖ منع ومحاربة كافة أشكال الاعتداء على جسد المرأة؛ من ممارسات الختان وضرب المرأة والاغتصاب وغيرها؛ وتحريمها ومحاربتها بمباشرة؛ بقوة القانون وبتنظيم حملات تعليمية واجتماعية مكثفة ومتواصلة.

(١) تتوفر على شبكة الإنترنت بيانات ووثائق الحزب الشيوعي السوداني تجاه قضية المرأة.

(٢) في يوم المرأة العالمي لتتحول إرهابات الثورة النسوية السودانية إلى برنامج مستقل للعمل والتغيير، مجموعة نساء ليبراليات.

• إجازة قانون ديمقراطي مدني للأحوال الشخصية؛ يضمن حقوق المرأة المتساوية مع الرجل داخل الأسرة؛ بما فيها منع تعدد الزوجات؛ والتقنين والمساواة فيما يتعلق بالطلاق وحقوق رعاية الأطفال والوراثة؛ وبما ينسجم مع المعاهدات الدولية.

• ضمان مساواة المرأة والرجل أمام القانون؛ والنص غير المشروط على ذلك في الدستور؛ وفي كل القوانين؛ بما يتفق مع الاتفاقات الدولية؛ وخصوصا اتفاقية إنهاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو).

وهي نفس النغمات المعهودة من جميع المنظمات النسوية المدعومة غريباً: منع تعدد الزوجات، المساواة في الميراث، التوافق مع السيداو.

التحالف المر

ولكن هذا لا يمنع من تحالف الشيوعيين والليبراليين معا رغم كل الخلافات الظاهرة حتى يكسب قضية المرأة (على رغم الحدود الفاصلة بين وجهة نظر الشيوعيين في تحرير المرأة ووجهة نظر البورجوازيين، إلا أنه في حركة النضال من أجل حقوق المرأة يوجد منبر مشترك لهذا العمل ولفترة طويلة، وأن الاتحاد النسائي عبر عن جبهة واسعة هدفها النضال من أجل إعلان حقوق المرأة في حيز الحقوق الديمقراطية البورجوازية)^(١).

إن الحركة النسوية السودانية ليست على استعداد للتحالف فقط بين الشيوعيين والليبراليين، إنها على أتم الاستعداد للتحالف مع الإسلاميين، أو من يطلقون على أنفسهم هكذا، بينما هم يقدمون تبريرات شرعية - إن جاز التعبير - للفكر النسوي باعتباره لا يتعارض مع الإسلام، ومن المعلوم أن هذا

الغطاء الشرعي قد يحقق نتائج أسرع بكثير مع مجتمع متدين بالفطرة كالمجتمع السوداني (والوجه الآخر لهذه المشكلة، هو استكمال معرفتنا ودراستنا لتيار النهضة والإصلاح الإسلامي الذي قاده عدد من المفكرين الوطنيين في مصر والشام ضد الجمود السلفي في قضية تحرير المرأة، ولا نكتفي فقط بالاستشهاد والمقتطفات من أعمالهم، بل نواصل ونطور في الصراع ضد الجمود السلفي في السودان، والاقتراب من الساسة ورجال الدين الإسلاميين الذين ينطلقون من تيار النهضة والتجديد، ويحاولون بإخلاص أن يجدوا حلاً إسلامياً لمشاكل مجتمعنا وعصرنا بما في ذلك قضية تحرر المرأة، وقد ساعد نفر من هؤلاء كثيراً في بداية تنظيم حركة النساء في السودان وتصدوا بشجاعة للجمود السلفي)^(٢).

إنهم يريدون دراسة الحركة الإسلامية دراسة متعمقة لا قراءة سطحية تعتمد على النقول والمقتطفات حتى يكتشفوا من يلبس معتقداتهم ثياب الدين وغالباً فإن هؤلاء المفكرين المنشودين سيكونون في مصر والشام بالتأكيد كالدكتور نصر حامد أبو زيد وسيد القمني بحيث يقيمون تحالفا معهم ضد من أطلقوا عليهم السلفيين في السودان، فهل كل اجتهادات الدكتور الترابي وما أثارته من جدل لا تشبع شهيتهم أم أن الدكتور الترابي مثلاً من هؤلاء السلفيين؟!

(٢) الحزب الشيوعي السوداني وقضية المرأة (٢)، السابق.

(١) الحزب الشيوعي السوداني وقضية المرأة (١) تاج السر عثمان، مركز دراسات وأبحاث الماركسية واليسار.

دول جنوب أفريقيا، وتضم: جنوب أفريقيا، ناميبيا، ليسوتو، بوتسوانا، سوازيلاند، زامبيا، زيمبابوي، أنغولا، موزامبيق، مالاوي، موريشس، جزر القمر، مدغشقر.

ثم في الفصل الثاني دراستان عامتان، الأولى عن التنصير عبر منظمات المجتمع المدني الخيرية الدولية، والثانية توضح قائمة الكنائس العاملة في التنصير في أفريقيا وتاريخها.

والفصل الثالث يختص ببيان دور الكنائس السودانية أثناء محادثات السلام بين الحكومة السودانية وحركة جنوب السودان، والتي توجت أخيراً بالانفصال!!

تتبع أهمية الكتاب من كونه متخصصاً في قضية مهمة وهي التنصير، وكونه يشمل كافة القارة الأفريقية، ومن إعداد أبناء أفريقيا، ولعله الوحيد بهذا الوصف، كما أنه حديث الصدور.

وهو يحتوي على معلومات قيمة للقارئ والباحث في هذا

الباب، تساعده على تكوين رؤية أولية لها طابع شمولي لقضية التنصير في أفريقيا.

وتعود محاولات التنصير في أفريقيا للقرن الرابع عشر الميلادي تقريباً، وتساعدت مع الأيام، ثم شهدت مراحل ركود بسبب رفض

النشاط التنصيري في أفريقيا دراسة تحليلية حول أنشطة الكنيسة في أفريقيا

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالبراصد

هذا الكتاب هو أحد إصدارات معهد مبارك

قسم الله، التابع لمنظمة الدعوة الإسلامية، ومقره

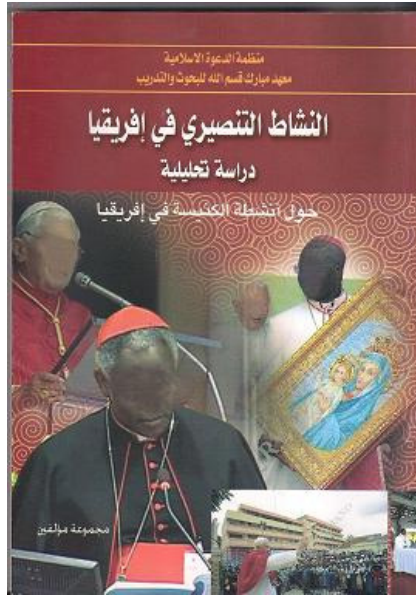
بالسودان، وقد صدر في عام ٢٠١٠، لعدد من المؤلفين ويقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير.

يتكون الكتاب من ثلاثة

فصول، الأول يتناول تاريخ التنصير وواقعته في دول أفريقيا، وهو مقسم إلى أربعة أقسام: دول شمال أفريقيا، وتضم: مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا.

دول شرق أفريقيا، وتضم: أثيوبيا، إرتيريا، جيبوتي، الصومال، كينيا، تنزانيا.

دول غرب أفريقيا، وتضم: بنين، بوركينا فاسو، توغو، الغابون، ساحل العاج، السنغال، سيراليون، غامبيا، غانا، غيانا، غينيا بيساو، الكاميرون، ليبيريا، مالي، النيجر، نيجيريا.



(*) كاتب أردني.

الأفارقة لها، لكن المنصرين لم ييأسوا، ونوعوا أساليبهم وطوروها.

وفي العصر الحاضر امتزج التصير مع

الاستعمار، فمنذ مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥م الذي قسم أفريقيا بين دول أوروبا الاستعمارية الكاثوليكية (إسبانيا، البرتغال، إيطاليا، فرنسا، بلجيكا)، مما أشعل حماس الكنيسة البروتستانتية فتحركت من (إنجلترا، سويسرا، ألمانيا، والدول الاسكندنافية، والولايات المتحدة)، ولذلك عرف التصير على أنه «حركة دينية سياسية استعمارية»، ولذلك تتصاعد نسب التصير مع الاستعمار والحروب والمجاعات.

وقضية التصير في أفريقيا قضية لها أولوية

على أجندة الكنائس المختلفة، فبابا الفاتيكان السابق يوحنا بولس الثاني كان قد أعلن في عام ١٩٨٥ عن خطة لتصير أفريقيا سنة ٢٠٠٠، ولذلك من بين ٢٢٠ ألف منصر في العالم يوجد ١١٩ ألفاً منهم في أفريقيا!! ولأفريقيا الحصة الأكبر من ترجمات الإنجيل حيث ترجم إلى ٤٩٨ لغة ولهجة أفريقية من مجموع ١٨٠٨ ترجمات للغة ولهجة في العالم!!

والتصير في أفريقيا تشارك به كل

الكنائس الرئيسية في العالم وكثير من تفرعاتها:

الأقباط، الأرثوذكس، الكاثوليك، الرهبان الفرنسيون والدومنيكان واليسوعيون، الآباء البيض والكبوتشيون، البروتستانت، الإنجليكان، الميثودست، البريتيتان، اللوثرية، الباتست والأدفنتست وشهود يهوه.

ولإنجاح عمليات التبشير قام المنصرون

والكنائس بجهود ضخمة لدراسة البيئة الاجتماعية والطبيعية وكذلك دراسة اللغات واللهجات المحلية والديانات التقليدية الأفريقية، من أجل وضع أفضل الطرق والأساليب للتصير.

ولذلك قام فرانك جراي بوضع مصفوفة

للتصير عرفت باسم مصفوفة جراي، حيث قسم الناس تجاه التصير إلى أربع مجموعات:

مَن يعلم عن الإنجيل وله موقف إيجابي من

المسيحية، وعكسه من يعلم عن الإنجيل وله موقف سلبي، ومن يجهل الإنجيل وله موقف إيجابي من المسيحية، وعكسه من يجهل الإنجيل وله موقف سلبي، ثم جعل لكل مجموعة برنامجاً تصيرياً يناسبها.

وبرغم كل هذه الجهود والخطط وتسخير

الاستعمار المباشر قديماً، وغير المباشر حالياً عبر الحكام التابعين لأوروبا أو الخاضعين للمعونات والمنظمات الدولية، أو عبر محاربة الجهود الدعوية الإسلامية بفزاعة الإرهاب وفتح الباب على مصراعيه للتصير، إلا أن الإسلام هو الدين الأول لمجمل سكان القارة الأفريقية بنسبة تفوق ٥٠٪ من سكانها، ونسبة المسيحية في أحسن حالاتها لا تزيد عن ٣٨٪ من السكان.

ولكن لابد من التيقظ لهذه القضية وعدم

الاكتفاء بما هو قائم اليوم، فالمنصرون يعملون بجد وعندهم إمكانيات ضخمة، والدعوة الإسلامية تملك الحق ويلزمها القوة المالية والعلمية والإدارية والسياسية.

والكتاب على أهميته وفائدته يحتاج إلى

طبعة جديدة تكون أكثر تحريراً، وترتيباً، وأن يُدعم أكثر بالخرائط والجدول الواضحة أو الملونة، ويقدم له باستعراض للكنائس العاملة في أفريقيا وتنوعاتها، وملخصاً عن قصة التصير ومداخله على مستوى القارة، ثم يستعرض الواقع في بلد بلد بحسب التقسيمات الجغرافية للقارة، مع إعادة ترتيب المادة بحسب كل دولة بشكل يكون أيسر للفهم مما هو عليه، وعموماً هذه هي طبيعة الأعمال الأولية في ميدان واسع كالتصير وبحجم قارة كقارة أفريقيا، وهذا لا يبخل المعهد والمؤلفين حقهم في الشكر والتقدير، على وضع اللجنة الأولى في هذا الباب.

صورة الإسلاميين على الشاشة

مراجعة: د. إبراهيم السكران

- بيانات الكتاب: أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة،
مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ٢٧٠ صفحة.

الحمد لله وبعد ، ،

يتحدث بعض مؤرخي الأفكار عن دور الإعلام والسينما في الدعاية السياسية ضد الاتجاهات الإسلامية بأساليب غير مباشرة، لكنك لا تكاد تجد دراسة مبرهنة مفصلة على

ذلك، وهذا ما أرادت هذه الدراسة الصادرة حديثاً في معرض الكتاب ١٤٣٥هـ إنجازها، وهي لمؤلفها متعدد التخصصات أحمد سالم.

وحول مدى الدائرة الإسلامية التي يستهدفها هذا التتميط الإعلامي يذهب المؤلف إلى أنه عمل لا يقتصر على مستوى ديني دون آخر، بل يفتح نار التتميط على كامل الاتجاه الإسلامي الرافض

للعلمنة الفكرية والتبعية السياسية، أي كل من يرفض الاستعمار الثقافى والاستعمار السياسى، أو يرفض أحدهما ويقبل الآخر.

والحقيقة أن جذر المشكلة في قوة تأثير السينما هو نمط التعامل غير المحترس معها باعتبارها مجرد لون من الترفيه، دون مراقبة للأفكار التي تحقنها بعقل المشاهد، وينقل المؤلف عن بعض المتخصصين شدة تأثير السينما

بسبب جمعها بين الصور المتحركة والأصوات الناطقة والمؤثرات الموسيقية، وأنه من المحتمل أن تكون لاحقاً الوسيلة الوحيدة للتأثير في العالم! كما ينقل المؤلف عن ريتشارد دريفوس قوله (هناك فنانون سينمائيون أثروا في أكثر من أي كتاب مقرر، أو معلم، أو حتى الكثير مما علمه لي أبي وأمي).

وذكر المؤلف أنه في اختياره لعينة الأفلام محل الفحص راعى فيها شهرة هذه الأفلام وتداولها الجماهيري لتكون ممثلاً نموذجياً وعينة دالة، ويتعد عن ثغرة الاختزال والأمثلة الاستثنائية.

كما شرح المؤلف في الفصل الأول العلاقات المضمرة بين تغطية الإسلاميين على الشاشة وبين المفاهيم الصراعية السياسية والحضارية في الفكر الغربي.

ومن أجل فحص عينة دالة من المواد السينمائية فإن الباحث يحتاج إلى عدة مفهومية وأدوات منهجية

للفحص، وقد شرح الباحث في الفصل الثاني حزمة من الأدوات التي استعملها كالمناهج الوصفية وسيميولوجيا السينما وتحليل الخطاب، وأشار إلى أنه يوظفها بطريقة تخصيبية بما ينسجم مع موضوعه واحتياجاته ولا يلتزم فيها بكامل شروطها الفنية التقنية، وهذا الفصل فصل تنظيري غني يطور إمكانيات القارئ في تأويل المشهد الإعلامي الفني، وأشار فيه المؤلف



في صورة البطل الذي لا يقهر، ويقارن المؤلف بإشارات عابرة صورة المثاليات الأمريكية بالوقائع الدموية المروعة التي ارتكبت فظائعها الجنود الأمريكيون كتراجيديا عبير الجنابي رحمها الله، أو أهوال تعذيب السجناء على يدي المحققين الأمريكيين.

وجعل المؤلف المبحث الرابع في هذا الفصل
لمناقشة الحجة التي تقول أن (الأفلام الأمريكية
متنوعة وفيها ما ينقد السياسة الأمريكية).

وبعد أن انتهى المؤلف من تحليل (السينما
الأمريكية) في الفصل الثالث، انتقل المؤلف إلى الفصل الرابع وهو عن (السينما المصرية)، وأول ملمح كثف المؤلف الضوء عليه هو أن هناك فارقاً صارخاً بين السينما الأمريكية التي تعرض الرسائل بطريقة (الحقن غير المباشر) والسينما المصرية التي تعرضها بطريقة مكشوفة فجأة معدومة الرمزية والإيحاء، وبمسحة من السذاجة الفنية، ولكن المؤلف نقل معلومة مثيرة للدهشة، حيث يقول المؤلف (أشار الممثل المصري/الأمريكي سيد بدرية إلى أن صانعي السينما الأمريكية قد أخذوا صورة الإرهابي المسلم من أفلام عادل إمام) وإن كان المؤلف لا يجزم بدقتها.

ويذكر المؤلف أنه قبل انتصاف التسعينات
ظهر عملان فنيان في مصر هما أهم الأعمال
المؤثرة في هذه البيئة، وهما: فيلم الإرهابي
(١٩٩٤م)، ومسلسل العائلة (١٩٩٤م). ثم قام المؤلف
بتحليل مضامينهما التشويهية للاتجاه الإسلامي
والمفاهيم الشرعية، وحلل تفصيلاً أيضاً فيلم (طيور
الظلام)، كما قارن المؤلف ووازن بأفلام أخرى
مثل: فيلم عمارة يعقوبيان، وفيلم دم الغزال، وفيلم
الإرهاب والكباب، ومسلسل الداعية، وفيلم

إلى مفاهيم الصورة النمطية ونظرية دوامة الصمت ومفهوم الفيلم كنص ونظريات علائق السلطة بالمعرفة وغيرها، وناقش المؤلف ظواهر أشد تعقيداً، ومنها: كيف يكون كاتب النص السينمائي هو ذاته ضحية تزييف وعي مسبق؟ وتفسير ذلك.

وأما (السينما الأمريكية) التي خصص لها
الباحث الفصل الثالث فقد اختار مجموعة أفلام أنتجت كلها بعد أحداث سبتمبر، ونقل المؤلف عن مجلة فاريتي خبر اجتماع مسؤولين من البيت الأبيض بتنفيذيين في هوليوود لتجنيد الإعلام في التحديات السياسية الجديدة لإدارة بوش.

والأفلام الأمريكية الثلاثة التي حللها
الباحث تفصيلاً هي: فيلم المملكة (The
Kingdom) وفيلم «كتلة أكاذيب» (Body of
Lies) وفيلم الناجي الوحيد (Lone Survivor).

كما أشار في هذا الفصل إلى مقارنات
وموازنات بأفلام أخرى مثل: فيلم التسليم
(Rendition) وفيلم اللامعقول (Unthinkable)
وفيلم سريانا (Syriana) وفيلم «منقح» (Redacted)
وفيلم عين النسر (Eagle Eye) ونحوها.

وأشار الباحث إلى نمط عرض هذه الأفلام
لصورة الإسلامي والوهابية والجهاد والعمليات
الاستشهادية والحوار العنيد واللحية والخليجي والمرأة
الخليجية والأجهزة الأمنية المحلية، وصولاً إلى
وحدات محلية صغيرة كتصوير الفيلم الأمريكي
لحي السويدي بالرياض!

وفي مقابل ذلك كيف تعرض الأفلام
الأمريكية الصورة الوردية للجندي
الأمريكي، أو إظهار النقد بدهاء عبر تصوير
الخطأ باعتباره خطأ فردي شاذ عن قيم الجندية
الأمريكية المثالية، وإظهار الجندي الأمريكي

الثلاثة يشتغلونها. ويذكر المؤلف أن السينما المصرية تركّز على فكرة الشبق الجنسي لدى المتدين، وتوحي دوماً أن الفقر والفشل هو سبب الانضمام للجماعات الدينية، ويقارن المؤلف هذه الفكرة الثانية بالأطروحة البحثية التي تؤكد انتماء شباب الحركات الإسلامية إلى الطبقة الوسطى اجتماعياً!

وينقل المؤلف في هذا الفصل تجربة شخصية له حين تم التحقيق معه سابقاً في مباحث أمن الدولة كإجراء روتيني في تلك المرحلة، وهي تجربة لافتة تكشف نمط تفكير العقلية الأمنية تجاه الحركات الإسلامية، حيث يقول المؤلف أنه سأل الضابط المحقق: لماذا اعتقلتكم جاري الذي ينتمي للتبليغ برغم أن التبليغ لا يهدد أي نظام سياسي؟ فقال الضابط (كلكم قريين من بعض، التبليغ بيقوموا الواد من على القهوة، والسلفيين بيعلموه، والجهاديين يسفروه)!

ثم حاول المؤلف في الفصل الأخير الذي سماه (اللبن المغشوش؟) أن يجيب على سؤال: ما هو النموذج الديني الذي تريده القوى المحركة واللاعبون الكبار؟ وانتقد المؤلف الإجابات الشائعة، حيث يرى أن الصيغة المقبولة لهم فقط هو من يتنازل عن الأصول الدينية ويتنازل عن الاستقلال السياسي، بشرطين: أن يكون التنازل عنهما كليهما، وأن يكون عن «فتاعة» وليس براجماتية سياسية، ثم أسس على رأيه هذا تفسير سبب تفاوت المواقف الغربية تجاه الحراك السياسي في العالم العربي والإسلامي.

والحقيقة أن المؤلف من الشخصيات الفريدة في تنوع التخصصات، ولو طالع القارئ كتابه التاريخي (اختلاف الإسلاميين)، وسلسلة أبحاثه حول لبرلة الإسلام (خارطة التنوير، المشروعية السياسية، الجريمة والعقوبة)، وكتابه التأصيلي (السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية)، وأبحاثه الأصولية والعقدية المتناثرة في ملتقى أهل الحديث، لشرق بالوجوم من هذه القدرة على التأليف المبدع في تخصصات متفارقة.

وهذا الكتاب، وهذه المراجعة، غرضها الأساس رصد المكر الكبار الذي قال الله عنه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَمَكُرُوا فِيهَا﴾ (١٢٣) ﴿[الأنعام: ١٢٣] وقال سبحانه عنه أيضاً ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٦١) ﴿[إبراهيم: ٤٦] وقال سبحانه عنه ﴿بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ﴾ (٣٢) ﴿[سبأ: ٣٢].

وليس الغرض من هذا الكتاب، ولا هذه المراجعة، تطبيع مشاهدة هذه القاذورات السينمائية، بل أوصي أخي الذي سلمه مولاه من البلوى بمثل هذا النتق الفني أن يستمر في صيانة نفسه، ويتذكر قول الله ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (٣٠) ﴿[النور: ٣٠] وقول الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٦) ﴿[القمان: ٦]، والحياة قصيرة، ولقاء الله قريب، والأمر لا يستحق المغامرة.

أدركوا جزر المالديف

قالوا: تواجه جزر المالديف الواقعة في المحيط الهندي، محاولات صوفية للتغلغل إلى هذا البلد السني ١٠٠٪، وقاوم على مدى سنين كل ضغوط ومحفزات التبشير بين سكانه البالغ عددهم نحو ٣٠٠ ألف نسمة.

أولى محاولات المد الصوفي كانت عن طريق شيعة الهند التي لا تبعد كثيراً عن المالديف، وقد أثرت في مناسبات عدة قضية محورية لدى السكان، وهي محاولة تزوير هوية الرجل الذي كان له الفضل بعد الله في نشر الإسلام في أنحاء جزر المالديف، وهو داعية من المغرب العربي يُعرف باسم الشيخ الحافظ أبو البركات يوسف البربري، والادعاء بكونه فارسي الأصل.

وتتشط المنظمات والوفود التي تتضوي تحت اللواء الصوفي بذريعة التعاون الاقتصادي والإنمائي مع المالديف وبشعارات أخرى، ولها أذرع تجارية تحت مظلة شركات كبرى بعضها في إيران تعمل في قطاعات البناء والتشييد والنقل، والصناعة والاستشارات الهندسية، وتهدف على وجه الخصوص إلى تأسيس موطئ قدم لها في أهم المجالات وهو القطاع السياحي.

جريدة سبق الإلكترونية ٢٧/٢/٢٠١٤

أكلت يوم أكل النور الأبيض!

قالوا: سقط نحو ٢٤ شخصاً في المواجهات وجرح عدد آخر في اشتباكات وقعت بين قوات من الجيش اليمني وميليشيات مسلحة تابعة لجماعة الحوثي في منطقة الحزم بمحافظة الجوف، شرق العاصمة صنعاء، بعد محاولة لجماعة الحوثي اقتحام مجمع حكومي.

من جهتها، نفت جماعة الحوثيين وقوع اشتباكات مع الجيش، وأوضحت مصادر مقربة من الجماعة أن ما حصل

أن ميليشيات تتبع جماعة الإخوان قامت عند نقطة عسكرية يديرونها بالقرب من المجمع الحكومي في الحزم بالاعتداء على مسيرة سلمية تطالب بإسقاط الحكومة وأدى الاعتداء إلى سقوط قتيل وجرحين، قبل أن تتطور الاشتباكات إلى مواجهات استخدمت فيها الأسلحة الثقيلة مما أدى إلى سقوط العشرات بين قتيل وجريح.

الوطن أون لاين - ٢٨/٢/٢٠١٤

خطوة طال انتظارها

قالوا: تم القبض على أربعة من مستخدمي إنترنت، بعد نشرهم تعليقات وصور مسيئة للصحابة رضوان الله عليهم في البحرين.

وأكدت المصادر، أن المتهمين وضعوا على موقع انسجرام، للتواصل الاجتماعي عبارات وصور تسيء إلى الخلفاء الراشدين وصحابة الرسول ﷺ، مضيفة أن الشرطة ألقت القبض عليهم بعد التحقق بشأن حسابهم على انسجرام، وجار استكمال إجراءات ملاحقتهم قضائياً.

موقع الامة ٢٧/٢/٢٠١٤

إرهاب القاعدة الشيعية إلى متى؟

قالوا: تعرض عدد من رجال الأمن أمام مقر شرطة العوامية بمحافظة القطيف لإطلاق نار كثيف من مصدر مجهول من إحدى المزارع المجاورة للمقر، مما أسفر عن إصابة ثلاثة من رجال الأمن وصفت حالة أحدهم بالحرية. وكانت مواجهة مسلحة وقعت الأسبوع الماضي في أحد الأحياء الشعبية في محافظة القطيف، أسفرت عن استشهاد رجلي أمن ومقتل مطلوبين للأجهزة الأمنية من خارج القائمة التي أعلنت عنها وزارة الداخلية قبل أكثر من عامين، كما أدت المواجهة إلى إصابة اثنين من رجال الأمن.

وعثر رجال الأمن في الموقع الذي كان يختبئ فيه المطلوبان على سلاحين ناريتين، وكمية كبيرة من الذخيرة، وواق من الرصاص، ونواظير مخصصة للتركيب على الأسلحة.

اليوم السعودية ٢٥/٢/٢٠١٤

خطأ يتكرر

قالوا: اعترفت السلطات المغربية مؤخرا بتيار شيعي مغربي، ممثلاً في «الخط الرسالي بالمغرب»، وذلك بعد صدور الاعتراف القانوني بمركز بحثي تابع للشريعة المغاربة، تحت اسم «مؤسسة الخط الرسالي للدراسات والنشر» حسب ما أفاد به موقع «إسلام مغربي».

ويأتي هذا الاعتراف بعد التقارب الذي صار بادياً بعد التصالح الغربي مع إيران، وبعد المكالمات التي أجراها وزير الخارجية الإيراني مع نظيره المغربي؛ الذي اشترط لعودة العلاقات بين البلدين احترام ثوابت المملكة.

موقع هوية بريس ١٦/٢/٢٠١٤

لم يتحملوا صوت منشد!

قالوا: خرج مروان دمشقية من منزله لأداء فريضة الصلاة على عادته، إلا أنه لم يعد إلى المنزل الذي غادره. وبعد أن قامت العائلة بإبلاغ الشرطة بأن ابنها مفقود، عثر على جثته على طريق نهر الكلب وقد أصيب برصاصة في رأسه دون وجود أي آثار لتعذيب أو اقتياد.

الجريمة التي قد تبدو حتى الآن كأي جريمة أخرى أحدثت بلبلة في بيروت وأثارت موجة من الإشاعات خاصة وأن القتيل ينتمي إلى «الجماعة الإسلامية».

وعقب مقتله بدأت حملة إلكترونية تروج بأن الدافع وراء مقتل دمشقية مرتبط بكونه منشدًا أو كاتب أنشودة «احضر قبرك في يبرود» التي تتوعد لحزب الله بهزيمة تطاله في سوريا.

العربية نت ٢٧/٢/٢٠١٤

جمهورية فرنسا الإسلامية

قالوا: والحقيقة التي أذهلت المؤسسة الكنسية هو ارتفاع معدل الزيادة للمسلمين في أوروبا الذي يبلغ في فرنسا ٨,١ في المائة، مقابل ١,٨ في المائة لبقية الفرنسيين

مما ترتب عليه زيادة عدد المساجد في جنوب فرنسا على عدد الكنائس، وتبلغ نسبة الأطفال المسلمين إلى بقية الفرنسيين ٢٠ في المائة وتساعد هذا الرقم إلى ٤٥ في المائة في مدن مثل نيس ومارسي وباريس، وعليه فسيكون من كل خمسة فرنسيين مسلم واحد بحلول عام ٢٠٢٥، مما يعني أنه بعد ٣٩ عاما ستتحول فرنسا إلى «جمهورية فرنسا الإسلامية» كما تقول المؤسسة الكنسية في تحذيرها.

حمد الماجد - الشرق الأوسط ٩/٢/٢٠١٤

النار من مستنصر الشر

قالوا: ظهر إلى العلن لأول مرة، شعبة جزائريون من خلال مقاطع فيديو تم تداولها بكثافة في موقع يوتيوب وصفحات الفيسبوك بالجزائر، تتضمن مشاهد لشعبة من مدينة وهران يؤدون طقوس اللطم. ويظهر في شريط الفيديو الذي يتجاوز وقته خمس دقائق حوالي ٤٠ من الشيعة الجزائريين داخل بيت وهم يمارسون الطقوس التي يقوم بها الشيعة في الحسينيات، حيث بدأ المجتمعون في البيت الذي علقت به صورة الأمين العام لحزب الله اللبناني الشيعي، حسن نصر الله، يرفعون المصاحف على رؤوسهم ويرددون أسماء «الحسين» و«علي بن الحسين» و«محمد بن علي».

موقع مجلة البيان ١٢/٢/٢٠١٤

لأنهم خالفوا الفطرة والشرع

قالوا: طالبت لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة اللجنة الأممية الفاتيكان بإزاحة أي مشتبته بالاعتداء الجنسي عن وظيفته وإحالة قضيته إلى السلطات القضائية للتحقيق. وانتقدت اللجنة الأممية بشدة الكرسي الرسولي بالفاتيكان، وأعربت عن قلقها من أن الفاتيكان تقاعس عن اتخاذ التدابير اللازمة مع حالات الإساءة للأطفال وحمايتهم وبما أدى إلى إفلات الجناة من العقاب، كما أدانت اللجنة نقل الراعي من بلد إلى بلد أو لكنائس أخرى في نفس البلد لإخفاء هذه الجرائم وبما سمح لمثل هؤلاء الجناة بالاستمرار في الاتصال مع الأطفال والاستمرار في عمليات الاعتداء عليهم.

المصريون ٥/٢/٢٠١٤

الأخير من تنفيذ أجندته التي تخدم النظام فقط. إذ هي تسمح بتأكيد ما أصر الأسد على تردادده على مسامع الغرب أساساً، كما بعض السوريين، بأن إرهاب نظامه يظل أفضل من إرهاب تنظيمات تمكنت باسم الثورة أو بسببها، علماً أن النظام وحلفاءه وشبيحته يصورون تلك التنظيمات على أنها هي كل الثورة.

لكن بين التفسيرين، يظل واضحاً أن الأسد هو المسؤول عن معاناة كل السوريين، مسيحيين أو سواهم، على يد «داعش» وسواها من التنظيمات المتطرفة الإرهابية، والعصابات الإجرامية. ولتؤكد مرة أخرى حقيقة أن نظام الأسد إنما يتخذ المواطنين المسيحيين، وسواهم من أبناء الطوائف السوريين، محض دروع بشرية لإطالة أمد بقائه. إذ لو كان هذا النظام يحارب التكفيريين فعلاً، فعدا عن استهدافه «داعش»، لكان أطلق سراح معتقلين سياسيين أفنوا عمرهم مطاردين قبل أن يُزجوا في السجون، بينهم العلوي من مثل د.عبدالعزیز الخیر، والمسيحي من مثل وسام فايز سارة الذي قضى قبل أيام تحت التعذيب في سجون النظام؛ وبينهم قوميون وشيوعيون. من جانب آخر، وفيما يتعلق بأصحاب النوايا الصادقة بالخوف على تنوع الوطن السوري دينياً ومذهبياً، فإن التركيز على معاناة السوريين المسيحيين خصوصاً، إضافة إلى السوريين من أتباع

الأسد و«داعش»... والسوريون المسيحيون

منار الرشوان - الغد ٢٠١٤/٣/١

إضافة إلى الانسجام مع تاريخ طويل من الاستبداد بأبشع صوره، يتمثل أحد التفسيرات المنطقية تماماً لسياسة الأرض المحروقة والمذابح الجماعية التي يرتكبها نظام بشار الأسد بحق المدنيين في المناطق الخارجة عن سيطرته، في السعي إلى منع وجود حياة وإدارة مستقرتين في تلك المناطق. وهو ما يفسر بدوره استهداف حتى مدارس أطفال هناك، وتجمعات مواطنين يحاولون شراء الخبز أو سواه من الاحتياجات الأساسية.

ومن ثم، يمكن القول مبدئياً إن غياب أي استهداف من قبل نظام الأسد للمناطق التي يسيطر عليها تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش)، هو ما يسمح لهذا التنظيم، في المقابل، بإنشاء إدارته المستقرة جداً، حد إقدامه، يوم الأربعاء الماضي، على فرض ما سماه «جزية»، يجب أن تكون من الذهب الخالص، على المسيحيين من مواطني مدينة الرقة! أما إذا لم يكن ثمة تحالف وتواطؤ بين النظام و«داعش»، فيكون التفسير الآخر لـ«تسامح» الأسد مع التنظيم هو تمكين

الأديان والمذاهب والطوائف الأخرى من غير الأغلبية السُّنية، إنما يُضر المسيحيين كمواطنين سوريين وليس العكس.

فالحقيقة أن «داعش» تمارس أبشع الجرائم بحق السوريين عمومًا في المناطق الخاضعة للمعارضة فقط، بما في ذلك استهداف المواطنين الموجودين في أسواق بسيارات مفخخة. لكن التركيز على المسيحيين فقط، يعزلهم عن مواطنيهم ويجعلهم في أفضل الأحوال «الضحايا المحظوظين»؛ إذ ينالون التغطية الإعلامية، والتعاطف، وحتى اللجوء اللائق في دول أوروبا، هذا في مقابل التعامل بشديد عادية وحتى لامبالاة مع قتل آلاف السوريين على يد قوات النظام، واعتقال أضعافهم في سجون يسامون فيها سوء العذاب، بلا جريمة ولا حتى تهمة، سوى الانتماء للأغلبية! وهو ما ينطبق أيضاً على الموقف من تدمير نظام الأسد للمساجد، وصولاً إلى تهجير الملايين، ليعيشوا في خيام، وبلا أدنى متطلبات البقاء على قيد الحياة في حالات كثيرة.

مرة أخرى، لا بد من التذكير بالحقائق التي لا يأتي على ذكرها أنصار الاستبداد، المتاجرين بأرواح المواطنين وكرامتهم أياً كان دينهم وطائفتهم، وهي أن الهجرات الكبرى للمواطنين العرب المسيحيين من أرضهم تمت في عهد الاستبداد العربي القومي العلماني، والذي في عهده أيضاً نشأ كل التطرف وتجذر وازدهر. وليس عذراً حتماً الجهل بهذه الحقائق أو تجاهلها.

الخلاف العقائدي اليهودي بشأن «الأقصى»

برهوم جرابسي - الغد ٢٠١٤/٣/١

أبرز النقاش الذي شهدته الهيئة العامة للكنيست، مساء الثلاثاء الماضي، بشأن السيادة على المسجد الأقصى المبارك، أوجه الخلاف العقائدي بين التيارات الدينية اليهودية، أكثر من الخلاف السياسي المعروف بين يمين ويسار صهيونيين؛ ما يؤكد مجدداً أن ركوب الحركة الصهيونية على مزاعم دينية لدى نشوئها، إنما كان لأغراض استعمارية.

فقد كان المبادر إلى هذا النقاش الاستفزازي، النائب المتطرف الشرس موشيه فيغلين، من التيار «الديني الصهيوني» الذي يضع تفسيرات توراتية بما يخدم المشروع الصهيوني الاستعماري، ويحاول تبرير وجود الصهيونية «دينيا». بينما التيار الديني المتزمت «الحريديم»، ورغم المواقف اليمينية المتشددة لغالبية جمهوره في إسرائيل، يتمسك بما تنص عليه التوراة، ويناهض الصهيونية في تفسيراتها لها (التوراة).

تقول التوراة إن «مملكة إسرائيل» ستقوم حينما يأتي المسيح لأول مرة إلى العالم، ويقيم «الهيكل الثالث». وهذا ما يتمسك به «الحريديم». لكن غالبيتهم في إسرائيل يتعاملون سياسياً ومدنياً معها ككيان عابر، يضمن على الأقل في هذه المرحلة وجود اليهود. إلا أنهم في الوقت نفسه يرفضون الحديث عن مشاريع بناء «الهيكل الثالث»، ويرفضون اقتحامات المسجد الأقصى، لأن هذا في نظرهم اعتداء على تعاليم التوراة، وفيه

«تدنيس للآثار تحت الأرض». ويبرز الأمر في الفتاوى

الدينية المتناقضة بين التيارين الدينيين.

وكما يبدو، فقد أوعز من أوعز لعصابات

المستوطنين المتطرفة، التي منها فيغلين، باتباع الحذر في خطاباتهم في الهيئة العامة للكنيسة، وأن لا يطلقوا دعوات واضحة لتدمير المسجد الأقصى وبناء «الهيكل» المزعوم، والاكتفاء بعبارة «إلى حين يأتي الخلاص»، ودعوا للسماح لليهود بتأدية صلوات يهودية في باحات الحرم القدسي الشريف، طبعاً إلى جانب الدعوات بفرض ما يسمى «السيادة الإسرائيلية» على الحرم، ونزع الوصاية الأردنية عن الحرم والأوقاف الإسلامية في القدس. وانضم إلى هذه الجوقة المتطرفة نواب اليمين المتطرف العلمانيون؛ فهم يركبون المزاعم الدينية لأغراضهم السياسية.

في المقابل، فقد لاحظنا أن رئيس الكنيسة دعا لإلقاء الخطابات نواباً من كتلة «الحريديم» الأكثر تشدداً دينياً؛ «يهود هتورا» التي تمثل «الحريديم» الأشكناز، أي اليهود الغربيين، والذين رغم تسجيل أسمائهم إلا أنهم غادروا القاعة قبل ذلك. وهذا ليس صدفة، بل لأنهم يرفضون أي مناقشة لمسألة بناء «الهيكل»؛ فهذه قضية «إلهية» من جانبهم. إلا أن زملاءهم «الحريديم» الشرقيين، من كتلة «شاس»، شاركوا في النقاش، وأبرزوا وجه الخلاف العقائدي. وليس هذا فحسب؛ بل أجرى عدد من نواب «شاس» حساباً عسيراً مع نواب التيار «الديني الصهيوني»، ليس من منطلقات سياسية، بل منطلقات دينية، وأبرزوا الفتاوى الراضية لاقتحام الحرم القدسي الشريف، وقالوا إنهم يتلقون الفتاوى من كبار حاخاماتهم وليس من غيرهم. وقد قال أحدهم: «إن دراسة التوراة اليوم

أهم من الانشغال في بناء الهيكل».

لكن الجانب الآخر لغضب نواب «شاس»،

هو انخراط نواب التيار «الديني الصهيوني» في مبادرة فرض الخدمة العسكرية الإلزامية على شبان «الحريديم»، والذين يُمضون في غالبيتهم الساحة، إن لم يكن كلهم، سنوات الشباب، بعد المرحلة الدراسية في مدارسهم الدينية، يدرسون التوراة في المعاهد الدينية، ويعتبرون الانخراط في الجيش مساً بعقائدهم الدينية. ولهذا، سنرى في الأيام المقبلة مظاهرات ضخمة يستعد لها «الحريديم»، لمناهضة القانون الذي سيفرض عليهم.

وإلى جانب الطروحات الدينية لرفض

الانخراط في الجيش، فإن «الحريديم» وقياداتهم يتخوفون من أن الانخراط في الجيش سيكون فاتحة لانخراط أكبر في المجتمع العلماني. ومن هناك تكون الطريق أقصر لكثير منهم، للتخلي عن مجتمع «الحريديم» والانتقال إلى تيارات دينية أقل تشدداً، أو الطلاق التام من عالم التدين.

في الجانب السياسي، كان واضحاً الخلاف

بين التيار اليميني المتشدد المهيمن على سدة الحكم، وبين تيار اليسار الصهيوني الذي «يُقر» بمزاعم أن الحرم القدسي الشريف قائم على ما يسمى «جبل الهيكل» المزعوم، لكن اقتحامات اليهود هي استفزاز للمسلمين والعرب، ولهذا فإنهم يعارضون الأمر.

على الأغلب، طوت إسرائيل الرسمية جولة

جديدة من استفزاز مشاعر العرب والمسلمين في فلسطين والأردن والعالم. وكانت جولة حركتها بجهاز تحكم عن بُعد بنيامين نتياهو. وقد نشهد جولات أخرى مستقبلاً، بتوقيت يختاره نتياهو، ليخدم بها أجندته العدائية.

اليوم يجاهرون بسبب الصحابة وتكفيرهم وسبب زوجات الرسول ﷺ.

ومن هذا المنطلق، يدعو مصدرنا إلى إيلاء هذا الموضوع الأهمية القصوى وإيقاف المخطط الإيراني والمبادرة بغلق المركز الثقافي الإيراني والتبنيه على إيران بعدم التدخل في شؤون بلادنا واحترام سيادتها، وإن لم تستجب لذلك يطالب محدثنا الدولة التونسية بالمبادرة مثل المغرب بقطع العلاقات الديبلوماسية مع إيران، حتى لا تصبح تونس حلبة لنشر المعتقدات بالأموال، وحتى تحافظ على السلم الاجتماعي.

وعن سبب تركز الشيعة في الجنوب، أكد محدثنا أن شيوخ الشيعة الكبار أصيلي ولايات قابس وقفصة وقبلي، ولهذا السبب تتمركز هذه الفئة في مناطق الجنوب.

العوامية... الدفاع عن الأسد بالمكان الخطأ

طارق الحميد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٣/١

بعد أقل من أسبوع على مصرع رجلي أمن بعملية إرهابية في بلدة العوامية، شرق السعودية، عادت الداخلية السعودية لتصدر بياناً آخر تكشف فيه عن تعرض ثلاثة رجال أمن آخرين لجروح جراء عملية إرهابية جديدة ضدهم هناك!

واللافت في بيان الداخلية السعودية هو القول إن «مثل هذه الاعتداءات الإرهابية التي تتدثر بالجبن والعمالة وتتستر بالمواطنين الأبرياء، لن تزيد رجال الأمن إلا إصراراً على القيام بواجبهم المقدس في حفظ الأمن ومواجهة هؤلاء الإرهابيين ومن يساندتهم مادياً أو معنوياً وتطبيق الأنظمة بحقهم». وهذا تصريح واضح لا لبس فيه، خصوصاً الحديث

العدد الحقيقي للشيعة بتونس...

وهذه خارطة انتشارهم

هدى هواشي - موقع الإخبارية التونسية ٢٠١٤/٢/١٢

أكد أحمد بن حسانة رئيس الرابطة التونسية لناهضة المدّ الشيعي أنّ المدّ الشيعي في تونس ارتفع بشكل ملحوظ بعد الثورة، مثله مثل المدّ الوهابي والمدّ التصيري والمدّ الجهادي التكفيري، مضيفاً أنّه رغم عدم وجود إحصائيات في هذا المجال، إلا أنّ عدد الشيعيين في تونس بعد الثورة قد يكون في حدود بعض المئات، غير أنّ عددهم بلغ اليوم في حدود ألفين شخص.

وعن الجهة التي تنظم هذا المدّ، أوضح نفس المصدر أنّ المركز الثقافي الإيراني في تونس هو الجهة المسؤولة عن تمويل وتنظيم وتمويل هذا المدّ، مضيفاً أنّها توجد بعض الجمعيات والأحزاب والصحف الشيعية المندسة في المجتمع المدني على غرار الرابطة التونسية للتسامح وحزب الوحدة وجريدة الصّحوة. وفي هذا الإطار، بيّن محدثنا أنّ الشيعة يريدون الوصول إلى مواقع في السّلطة لتنفيذ مخططاتهم (تركيز التوجّهات والتّصورات الإيرانية في تونس) من جهة أخرى، أبرز محدثنا أنّ الشيعة في تونس، ولاءهم لإيران وليس لتونس، ويقومون بالمتاجرة بالقضية الفلسطينية وبالقوميّة العربيّة لاستقطاب أكثر عدد ممكن من الأشخاص للانخراط في هذا المدّ مع استغلال الأحزاب القوميّة التونسيّة في هذه القضايا. وفي سياق آخر، أشار أحمد بن حسانة إلى أنّ المدّ الشيعي يمكن أن يتسبّب في فتنة قبي بلادنا، خاصّة وأنّ السلفيّة تعدّ العدو الأكبر للشيعة، مبرزاً أنّ الشيعة أصبحوا

عن «الاعتداءات الإرهابية التي تتدثر بالجبن والعمالة..»، فما يحدث بالعوامية، ومنذ فترة، هو عمل إرهابي يتدثر بالعمالة لا شك، خصوصا أن الجرائم الإرهابية هناك ليست جديدة، بل متكررة، وإن كانت متقطعة، ولذلك أسباب بالطبع، وأهمها الانضباط المذهل الذي تمارسه الداخلية السعودية مما أدى إلى تفويت فرصة التآجيج الذي يهدف إليه الإرهابيون هناك، ومن يقف خلفهم.

والواضح من عمليات التصعيد الأخيرة بالعوامية هو أن هناك محاولات لاستباق زيارة الرئيس الأميركي للسعودية من أجل توتير الزيارة، وهي لعبة مكشوفة، وقديمة جديدة، لكن الجميع يعلم أن السعودية منفتحة على جميع أطراف مواطنيها، وقبل ما يعرف بالربيع العربي، وهو أمر مثبت ومعلوم. كما أن السبب الآخر لهذا التصعيد هو المحاولة اللئيمة للدفاع عن بشار الأسد، اعتقادا من البعض أنهم بذلك يناصرون طائفتهم. والحقيقة، أن هذا هو العبث بعينه، وهنا بيت القصيد، فأفضل نصر للطائفة الشيعية بكل المنطقة ليس حمل السلاح وتشويه مفهوم المواطنة، بل إن الدفاع الحقيقي عن الطائفة يكمن في ضرورة وقوف عقلاء الشيعة بكل المنطقة في وجه إيران التي تتاجر بشبابهم، وتستخدمهم طوبا لنار معركة خاسرة.

الدفاع الحقيقي عن الطائفة الشيعية يكمن في إعلاء قيمة الوطن والمواطنة وليس الانسياق وراء أجندات يضعها متطرفون هنا وهناك، وإلا فما الفرق بين متطري الشيعة، ومتطري السنة المنتمين لـ«القاعدة»، والذين يخرجون على دولهم، ويكفرونها، نصر لقيادات خارجية؟ بالطبع لا فرق، ولذا فإن أفضل معركة تخاض دفاعا عن

الطائفة ليس بالقتال دفاعا عن الأسد، وفي المكان الخطأ، أي السعودية، بل يجب أن تكون مواجهة عقلاء الشيعة مع إيران نفسها لمنعها من استغلال شباب الطائفة بالمنطقة، ومن أجل أن تكف إيران أيضا عن دعم الأسد الذي يقوم بقتل شعبه، وهو ما سيعود بالبلاء على عقلاء الشيعة، عاجلا أو آجلا، سواء في سوريا أو لبنان، وخصوصا مع تورط حزب الله بالدم السوري، والأمر نفسه ينطبق على العراق بالطبع.

وعليه، فإن المملكة العربية السعودية آمنة وراسخة، والأسد قاتل زائل، والمواجهة الحقيقية التي يجب أن يخوضها عقلاء الشيعة يجب أن تكون مع إيران نفسها دفاعا عن شرفاء الطائفة بكل مكان، لا أن يُسمح للمتطرفين بخوض معركة في المكان الخطأ، فهل يستوعب العقلاء ذلك؟ هذا ما نرجوه.

إيران تسعى إلى نفوذ من غرب العراق إلى المتوسط!

هدى الحسيني - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٢/١٣

في شهادة أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، وقفت ويندي شيرمان، وكييلة وزارة الخارجية للشؤون السياسية، لتقول إن الاتفاق المؤقت مع إيران «ليس مثاليا» لكننا «لا نعتبر الثغرات الموجودة ثغرات».

عملت شيرمان في إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون، حيث توصلت مع كوريا الشمالية عام ١٩٩٤ إلى «اتفاق متفق عليه» لكبح جماح البرنامج النووي هناك، لكنه فشل فشلا ذريعا.

مساء السبت الماضي قال قائد سلاح البحرية الإيرانية الأدميرال افشين رضائي حداد إن

في طهران)، يقفز الحذاء إلى فم الكلب الذي يبتلعه ويتوقف عن العواء.

وكانت «العربية نت» نقلت يوم الأحد

الماضي فيلما وثائقيا، عن التلفزيون الإيراني «كابوس النسر»، عن قصف إيراني محاكاتي لحاملة الطائرات أبراهام لنكولن ومياه الخليج تبتلعها من قوة الصواريخ الإيرانية التي تقصف أيضا مطار بن غوريون وتل أبيب وحيفا ومفاعل ديمونة، وكأنه لن يكون هناك من رد. مقدمة لتفاصيل النظرة الإيرانية إلى أميركا، قال حسين موسويان، السفير الإيراني السابق لدى ألمانيا والباحث حاليا في جامعة برنستون في أميركا: «الاتفاق النووي النهائي، إذا تم توضيحه، يجب أن يستمر من ثلاث إلى خمس سنوات فقط، بعدها يواصل البرنامج النووي الإيراني طريقه الروتيني».

وكان خامنئي اتهم أميركا بالنفاق «في

الاجتماعات المغلقة يتكلمون مع ممثلينا بلغة تختلف عن تلك التي خارج الاجتماعات». لكن شكوى خامنئي هي شكوى المتأكد من أن الإدارة الأميركية، التي رفضت التصدي لنظام مهترئ كالنظام السوري، تعمل بنمط يعكس تفكير الرئيس باراك أوباما في ما يعتبره عدم تورط أميركا في صراع مفتوح في الشرق الأوسط، فهو يعتزم أن تكون «تركته» وضع حد لهذا التوجه، لا بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك في تصويره إيران كقوة بناءة في الأمن الإقليمي حيث قال في مقابلة مع ديفيد ريمنيك رئيس تحرير «نيويورك» الشهر الماضي: «إذا استطعنا إقناع إيران بالعمل بطريقة مسؤولة، فسوف نرى التوازن يتطور بين دول الخليج العربي، وإيران، إلى نوع من التناقص - فيه بعض الشكوك - إنما ليس إلى حرب مفتوحة».

ربما انطلاقا من هذه النظرة ترى الإدارة

الأسطول البحري الإيراني المتجه إلى المياه الإقليمية الأميركية «يحمل رسالة». ويوم الاثنين الماضي أعلنت إيران أنها أجرت اختبارا على صاروخين أحدهما من فئة الباليستي.

«الرسالة» تعني بالطبع إذا كان الأسطول

الأميركي «يهدد بحرنا وحدودنا، فنحن بدورنا قادرون على تهديد الأميركيين - أي الند للند». بالطبع سيهزأ الأميركيون لأنهم يمكنهم إغراق هذه السفن بصاروخ، ثم إنها لن تصل إلى المياه الإقليمية الأميركية، لكن نوايا إيران هي المهمة في هذا المجال، فإذا كانت السفن لا تصل فإن الإرهاب يمكنه الوصول عبر المكسيك مثلا أو كندا، كما حصل في السابق مع محاولة اغتيال عادل الجبير السفير السعودي في واشنطن. أما بالنسبة إلى الصواريخ فإن إيران تؤكد أن الاتفاق النووي المؤقت لا يشمل أي نشاط عسكري رغم أنها تعمل على تزويد الصواريخ برؤوس نووية، إذن هذه الرسالة موجهة إلى دول الجوار العربي حتى قبل إسرائيل.

أيضا الأحد الماضي استشهد المرشد الأعلى

بعبارة قالها آية الله الخميني: «إن احتلال السفارة الأميركية - عش الجواسيس - كان ثورة أعظم من الثورة الأولى». ثم أضاف أن مبادئ وقيم الثورة التي وضعها الخميني تتمثل في العداء لأميركا. ثم نصح المنتقدين بإعطاء الحكومة الإيرانية فرصة التوصل إلى اتفاق مع الغرب، وهذا يعني الحصول على أكبر قدر من التنازلات مع الاحتفاظ بمبدأ العداء. في ذلك اليوم خرجت الصحف الإيرانية بمجموعة من رسوم الكاريكاتير، إحداها لكلب يعوي: «كل الخيارات مفتوحة». ثم يأتي حذاء «٢٢ بهمان» (١١ فبراير/ شباط، ذكرى احتلال السفارة الأميركية

الأميركية أن مواجهة حكومة نوري المالكي للمسلحين السنة في الأنبار إنما هي مواجهة حكومة منتخبة لمتطرفين معارضين.

ترفض الإدارة الأميركية الاعتراف بأن حرباً مذهبية مفتوحة دائرة في الشرق الأوسط وقد تبتلع المنطقة كلها. ثم إن بروز الصراع المذهبي واضح في العراق وسوريا ويهدد لبنان وبعض دول الخليج.

المشكلة أن الإدارة اختصرت العقيدة

الإيرانية بالبرنامج النووي. حتى أوباما نفسه اعترف بأنه ليس متفائلاً بالنسبة إلى الجولة الثانية من المفاوضات مع إيران، وفي مقابلته مع ريمنيك رأى أن فرص النجاح أقل من النصف: «أقل من ذلك».. حتى إن غاري سامور الذي شغل حتى العام الماضي منصب المسؤول في البيت الأبيض عن الحد من التسليح قال: «أعتقد أنه من الصعب التوصل إلى اتفاق نهائي في ستة أشهر (...) إنها عملية من المداولات التي لا نهاية لها».

بموازاة الحرص الإيراني على البرنامج

النووي، هناك حرصها على التحالف الإقليمي الذي تقوده وينتمي إليه نظام الرئيس بشار الأسد وحزب الله. لم تعد إيران تنفي تقديمها المساعدات الهائلة لحماية النظام السوري. هي حشدت وجندت كل استثماراتها الإقليمية لحمايته. ثم إن قاسم سليمانني قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري توجه بنفسه إلى دمشق وبيروت من أجل تنسيق هذه الجهود. وكان اللافت أن الإيرانيين بدأوا في منتصف عام ٢٠١٢ تدريب قوات مشاة خفيفة لمساعدة الأسد أطلقوا عليها قوات الدفاع المدني التي يقول «حزب الله» إنه يثق بها أكثر من ثقته بالجيش النظامي، إنها بمثابة فرق الباسيج السورية. أيضاً، أن للعراق دوره القوي في دعم النظام السوري، وهذا يعكس تقارب النظام العراقي من

إيران، فهو سمح لإيران باستعمال مجاله الجوي والبري لنقل أسلحة للقوات النظامية السورية (يوم الاثنين قالت بغداد إنها عندما تتسلم الآلات العسكرية المطلوبة ستقوم عشوائياً بتفتيش الطائرات الإيرانية المتجهة إلى سوريا). وإضافة إلى دعم الحكومة العراقية هناك الميليشيات الشيعية العراقية التي تقاتل إلى جانب النظام السوري: ألوية أبو الفضل العباس، كتائب حزب الله، ومجموعة أهل الحق. في دورها هذا في العراق وسوريا، ورغم أن الجانب الذي تقوده إيران في الصراع الإقليمي برز كتحالف منظم بإحكام، وقادر على العمل بطريقة منسقة - لأن إيران تريد نفوذاً ممتداً من غرب العراق وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط - إلا أن التأثير من الناحية العملية كان مدمراً، إذ إن سوريا انقسمت فعلياً إلى ثلاث مناطق: سنية، وعلوية/ شيعية، وأكراد، وينسحب الأمر كذلك على العراق الذي انقسم إلى منطقتين عربية وكردية، وفي المنطقة العربية يتصارع السنة والشيعية.

منذ بدء «الربيع العربي» وصولاً إلى الاتفاقية

المؤقتة بين إيران والغرب، أعطت الولايات المتحدة الانطباع بأنها «تستغني» عن منطقة الشرق الأوسط، لا بل تسعى إدارة أوباما للتقارب مع إيران.

إن هدف إيران الرئيسي هو السيطرة على

إمدادات الطاقة في الخليج العربي لتحل محل الولايات المتحدة كضامن للموارد التي يعتمد عليها العالم، إذ تدرك طهران أن الخليج هو مصدر القوة الحقيقية في المنطقة. ولتحقيق ذلك تحاول أن تغري دول الخليج (قول حسن روحاني خلال استقباله سفير قطر الجديد في طهران: يمكن لطهران والدوحة الإسهام في تعزيز أمن واستقرار المنطقة، وإعلان سفير إيران في مسقط عن أن إيران ستستثمر مبلغ ٤ مليارات دولار في مرفأ عمان

تعاملات مباشرة مع إسرائيل، وحذرت السعودية آنذاك شركات الداخل من التعامل معها. فيما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي، كان موقف إيران البهلوية في بداية المطاف محايدا إلى حد كبير وحاولت تجنب أن تكون طرفا في ذلك. هذا الموقف تغير نسبيا خلال فترة الحروب التي خاضها العرب ضد إسرائيل واتخذت جانبا مناصرا - إلى حد كبير - للجانب الإسرائيلي، مما أدى إلى توتر في العلاقات العربية الإيرانية، خصوصا العلاقة بين الرياض وطهران. فعندما أعلن الملك فيصل بن عبد العزيز وقف تصدير النفط إلى الغرب بسبب القضية الفلسطينية، رفض شاه إيران الانضمام إلى السعودية في هذا الصدد، مؤكدا أن بلاده لن تستخدم سلاح الطاقة كردة فعل لمواقف سياسية بحتة.

بعد انتصار الثورة الإيرانية والإطاحة بالسلالة البهلوية، سارع النظام الجديد في طهران إلى رفع شعار القضية الفلسطينية، وسلم مفاتيح السفارة الإسرائيلية في طهران إلى الراحل ياسر عرفات، لتصبح سفارة دولة فلسطين. أدرك نظام الملالي أن بوابة القضية الفلسطينية ستؤمن ممرا آمنا إلى الداخل العربي، واستخدمت «التقية السياسية» في سبيل إنجاح هذه الخدعة، التي انطلت على الشعوب العربية المتعطشة لانتصارات حتى وإن كانت مجرد شعارات. قد يقول البعض: لماذا هذا التشكيك في نيات إيران؟ نقول إن الحقائق والشواهد المتاحة تثبت ذلك، وتقود كل من يسعى إلى فهم دوافع إيران لرفع الورقة الفلسطينية في جميع المناسبات، وكذلك في خلافاتها مع الغرب إلى هذه الحقيقة المرة، ولكن طهران لا ترغب مطلقا في حل هذه القضية، حتى لا تخسر هذه الأداة التي تؤهلها بقوة للتدخل في الشأن

الصناعي «الدقم» الذي سيكون نقطة وصل ما بين إيران ودول الخليج وعدة دول آسيوية، كما أن العمل جارٍ لمد أنبوب غاز ما بين السلطنة وإيران).

والدول التي لن تجذبها الإغراءات الإيرانية تعتقد إيران أنها قادرة على دفعها بعيدا عن الولايات المتحدة للتحالف معها، والمفارقة الكبرى أن ضعف أميركا في مواجهة السعي النووي الإيراني يجعل طهران تعتقد أن كل شيء ممكن، وليس من يواجهها، كما الفيلم الوثائقي الذي عرضه التلفزيون الإيراني مساء الجمعة الماضي «كابوس النسر».

قبل سنوات كانت حرب باردة دائرة في المنطقة بين إيران وحلفائها من دول وأحزاب «الممانعة» والدول الأخرى، والآن، انقلبت هذه الحرب من باردة إلى ساخنة جدا قد تتضمن إليها قريبا دول أخرى مثل باكستان واندونيسيا وماليزيا.

إيران واستغلال الورقة الفلسطينية

محمد السلمي - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٢/٢٨

تاريخ إيران مع فلسطين والقضية الفلسطينية قديم بقدم القضية ذاتها. في عصر الدولة البهلوية، والشاه محمد رضا بهلوي تحديدا، كان موقف إيران مخالفا لما نراه، في الظاهر، بعد ثورة عام ١٩٧٩. كانت إيران «الشاهنشاهية» في مقدمة الدول التي اعترفت بإسرائيل وقد شجعت الصحف الإيرانية يهود إيران على الهجرة لإسرائيل. في منتصف عام ١٩٥٣ نشرت صحيفة «البلاد» السعودية قائمة تضم ٧٧ شركة إيرانية، مملوكة لتجار يهود إيرانيين أو يهود مقيمين في إيران، لها

نعد إلى بداية الثمانينات من القرن الميلادي

الماضي، عندما تقدم الملك فهد بن عبد العزيز في عام ١٩٨٢ بمبادرة سعودية لحل القضية الفلسطينية.

تحدثت وسائل الإعلام الإقليمية والدولية عن

أن الجامعة العربية سوف تتبنى هذه المبادرة خلال اجتماعها المزمع عقده في مدينة فاس المغربية في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢. حينئذ أطلقت الجمهورية الإسلامية في إيران حملة إعلامية تستهدف إجهاض هذه المبادرة. ما يهمنا هنا هو موقف إيران الرافض لتلك المبادرة ووصفها بأنها مشروع غربي - إسرائيلي لتميع القضية الفلسطينية أو نسفها، فكيف تكون كذلك وقد رفضها الغرب وإسرائيل معا؟!

هذا النموذج الرافض لحل القضية

الفلسطينية تكرر مع كل مبادرة عربية تهدف إلى وضع حد لمعاناة الشعب الفلسطيني وإقامة دولته وعاصمتها القدس الشريف. الجانب الآخر في سعي إيران لإبقاء القضية الفلسطينية من دون حل يكمن في محاولة استمرار الشرخ بين الفلسطينيين أنفسهم، من خلال دعمها لحركة حماس لعدة عقود والحيولة دون توصل الفريقين الفلسطينيين إلى توافق وطني يوحد كلمتهم في مواجهة المحتل.

يملك النظام الإيراني ورقتين رئيسيتين

يستخدمهما للتدخل في الشأن العربي؛ إحداها مزاعم الدفاع عن الأقليات الشيعية في العالم العربي، بينما يضطهد السنة في الداخل لأسباب عرقية، والأخرى ورقة القضية الفلسطينية التي يفضل عرقلة حلها لضمان استمرار تدخله في الشأن العربي. لماذا لم تبادر بتقديم مقترحات لإنهاء معاناة الشعب الفلسطيني؟ أليست طهران هي من ترفع في كل مناسبة راية الوحدة الإسلامية وحل القضية

الفلسطينية؟ لماذا، إذن، تكتفي بهذه الشعارات من دون تحويلها إلى فعل ملموس حتى يثبت للشارع العربي والإسلامي صدق نياتها، ولماذا، إن كانت عاجزة عن تقديم حلول أو مقترحات، لا تبارك المبادرات العربية أو تقترح تعديلا عليها إذا كان حل هذه القضية أولى اهتماماتها كما تزعم؟!

الواقع يقول كما أن إسرائيل تسعى إلى

استمرار الخلافات بين العرب وإيران لإشغال

الطرفين بعضهما ببعض، وبالتالي يخبو التركيز على القضية الأهم، وأعني هنا القضية الفلسطينية، فإن إيران، بدورها، تفضل عدم حل هذه القضية لضمان استمرار إحدى قنواتها الرئيسية للتدخل في شؤون العرب والعمل على شق الصف العربي، كما تفعل من خلال تحريكها بعض المنتسبين للأقليات الشيعية في الدول العربية لإثارة الفتن وزعزعة الأمن في تلك الدول.

إن العلاقات بين إيران وإسرائيل لم تقطع

تماما بعد ثورة ١٩٧٩، وصفقات الأسلحة خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية خير شاهد على ذلك، ولعل آخر ذلك التعاون ما كشفت عنه صحيفة «الديلي تلغراف» البريطانية مؤخرا من محاولة بعض تجار الأسلحة الإسرائيليين بيع قطع غيار طائرات مقاتلة لإيران. إذن، فالفرق بين الدولة البهلوية والدولة الحالية، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، يكمن في تغير الأدوات والأساليب مع بقاء الأهداف والتوجهات، كما أن العلاقة تحولت من العلانية إلى الخفاء لا أكثر، وكما بدأت إيران الحالية تتخلى عن شعار «الشيطان الأميركي» وأعدت علاقاتها - تدريجيا - معه، فإنها لن تتردد في فعل الأمر ذاته مع إسرائيل متى ما كان ذلك يخدم مصالحها وأهدافها السياسية.

إيرانيون في الجيش الإسرائيلي

صباح الموسوي - المصريون ٢٠١٤/٢/٨

عنوان قد يرى فيه ضحايا الشعارات الإيرانية البراقة التي تظهر العداء للكيان الاسرائيلي امرا يثير الاستغراب ولا يمكنهم تقبل مجرد التفكير فيه. غير ان الواقع لا ينتظر من هؤلاء المخدوعين اذنا بالموافقة او الرفض فهم ليسوا سوى ضحايا اكلت عقولهم مكانة الاعلام الايراني وجعلت منهم ابواق تردد ما ينفع فيها من شعارات جوفاء. ان النظام الايراني قد استطاع خلال ثلاثة عقود ونيف من الزمن من استثمار الشعارات المعادية للكيان الاسرائيلي عبر توظيف شرائح واسعة خارج ايران، شيعة وسنية، عربية واعجمية، اسلامية وقومية، علمانية و ليبرالية لصالح مشروعه السياسي وذلك بأقل الأثمان حيث كانت وسيلته الوحيدة لخداع هذه الفئات والشرائح هو مجرد شعار (الموت لإسرائيل) وقليل من المال الذي اغلبه يأتي من تجارة المخدرات وفوائد غسيل الاموال المجهولة المصدر التي تنقل من والى افغانستان وباكستان بواسطة شبكات المافيا الدولية التي تستخدم ايران محطة ترانزيت له بموافقة اقطاب في النظام وبهذه الاموال يتم تمويل بعض ما يعرف بحركات التحرر والجماعات المسماة بالمقاومة، والأحزاب والمؤتمرات القومية والاسلامية في لبنان وفلسطين والأقطار العربية والإسلامية الاخرى. وفي المقابل تقوم هذه الجماعات والمؤتمرات بترويج الشعارات الايرانية المعادية (للكيان الاسرائيلي) في الساحات العربية والاسلامية رغم علم هذه الجماعات بأنها مجرد شعارات جوفاء لا صحة لها . لقد اعتاد النظام الايراني خلال العشرين عاما

الماضية ومع كل رئيس جديد على تغيير خطاب سياسته الخارجية وفقا للظروف السياسية الاقليمية والدولي. ففي عهد رئاسة رفسنجاني (١٩٨٩- ١٩٩٧) مارس سياسة البراغماتية بأبشع صورها النفاقية حيث عمل على استثمار حرب الخليج الثانية وترك الحديث عن خطر الوجود الامريكي في المنطقة التي طالما عارضه بشدة . وفي عهد رئاسة خاتمي ((١٩٩٧- ٢٠٠٥م تماها كليا مع مشروع ما يسمى بعملية السلام وأيد غزو افغانستان والعراق من قبل امريكا التي دأب على وصفها بالشیطان الاكبر. وعندما توقفت مفاوضات السلام ودخلت المنطقة في ازمة صراعات جديدة نتيجة تصاعد اعمال المقاومة الافغانية والعراقية اتجه النظام الايراني الى تغيير الخطاب الاصلاحي في سياسته الخارجية من اجل ركوب الموجة ولهذا جاء بالمحافظ المتطرف حمدي نجاد الذي ترك الحديث عن امريكا التي احتلت بلدين مسلمين (افغانستان والعراق) واخذ بتصعيد خطابه الهجومي ضد اسرائيل التي لم تشارك عمليا في احتلال أين من افغانستان والعراق ، وذلك للتغطية على مساندة ايران الفعلية لأمريكا في احتلال هذين الدولتين المسلمتين. ورغم كل ما كانت تروجه ماكينة الاعلام نظام جمهورية الولي الفقيه عن العداء الايراني لإسرائيل إلا ان هذا الخطاب كان بعيدا كل البعد عن الموقف الايراني من اسرائيل فعلى سبيل المثال جرت عدة مشاركات ايرانية في مؤتمرات وندوات اقليمية ودولية ، اقتصادية و سياسية ، حضرها الجانب الاسرائيلي وجرت لقاءات وجه لوجه بين مندوبي الطرفين وتم فيها التقاط الصور التذكارية .هذا ناهيك عن الصفقات التجارية التي جرت بينهما ومنها صفقت برتقال يافا وصفقات الاسلحة وغيرها. كما ان النظام الايراني

الاسرائيلي. فما هو تفسير دعاة الممانعة و اتباع
الولي الفقيه لهذا الموقف الايراني المخادع ٥.

رسالة إلى الائتلاف السوري

د. محمد العبدية - موقع المسلم ١٤٣٥/٤/٢٣هـ

كتبت سابقا مخاطبا أعضاء الائتلاف

السوري، وذلك قبل مؤتمر جنيف وقلت يومها :
الحل ليس في جنيف (١) وليس في جنيف (٢)
وأقول الآن : وليس في جنيف (٣) وإنما الحل عند
الشعب السوري ، عند الثوار الذين خرجوا في
الشوارع يتحدثون النظام والذين يقاتلونهم دفاعا عن
الدين وعن بلد إسلامي محتل ، وعن كرامة
الإنسان وحرية ، وعندما نقول عند الشعب السوري
فهذا يعني أن يكون هناك تلاحم وتوافق مع كل
المخلصين الأوفياء ومع كل المقاتلين الصادقين ،
لأن هذا النظام مكشوف لأبسط رجل في سورية ،
إنه لا يفهم إلا لغة القوة ، وأنه قد تمرس
بالماطلات ونقض العهود والوعود . هذا النظام لا
يستطيع أن يفاوض ، فتركيبته الأساسية تخالف
أي منطق وأي سياسة عقلانية ، إنه يعلم أن
تفكيك أي جزء منه هو انهيار الكل .

**هل يمكن التفاوض مع نظام يعتبر كل
مقاوم له سواء بالمظاهرات أو المعارضة بالرأي أو
بالاعلام هو عمل إرهابي** ، بل كل مسلم ملتزم
بدينه لا يحب الفساد في الأرض هو إرهابي ، بل
كل شريف معارض له سيخترع له تهمة ما وهنا
سؤال : كيف تفاوضون نظاما يعتبركم ارهابيين
ويصادر أملاككم في سورية .

**وأما الغرب وموقفه من المؤتمر والقضية
السورية** ، فإن أوروبا كما قيل عنها هي عملاق
اقتصادي وقزم سياسي وهي لم تستطع أن تساعد

لم يمنع الايرانيين اليهود من السفر الى الكيان
الاسرائيلي ، بل بلغ الامر حد السماح لليهود
الايرانيين بالتطوع في جيش هذا الكيان. فوفقا
لمجلة «بمكانيه» الأسبوعية الصادرة عن الجيش
الإسرائيلي ، أن أكثر من ٥٠ يهوديا من أصل
إيراني ينضمون سنويا للجيش الإسرائيلي ، منهم من
ينض إلى شعبة الاستخبارات الإسرائيلية. وأكدت
المعطيات التي أوردتها ونقلتها وكالة أنباء
«الأناضول» ، أن «٦٠٪ من الشبان المولودين في إيران
والقادمين إلى إسرائيل يخدمون في الجيش
الإسرائيلي وبالمقابل فانه فقط ٢٣٪ من الإناث
يلتحقن بالخدمة في الجيش الإسرائيلي وقالت
المجلة «تعتبر هذه النسبة عالية إذا ما قورنت مع
معدلات المجندين في الخدمة العسكرية
الإسرائيلية من الفئات الأخرى في المجتمع». ورغم
التكتم المفروض على اعداد اليهود الايرانيين الذين
يصلون إلى الكيان إسرائيلي سنويا ، أو عددهم
حاليا في إسرائيل ألا ان مجلة «بمكانيه» قالت ان
عدد اليهود الايرانيين الذين وصلوا الى الكيان
الاسرائيلي العام الماضي بلغ ١١٠ اشخاص. علما ان
هناك يهود ايرانيين اعتلوا مناصب في جيش الحرب
الاسرائيلي وفي هرم السلطة السياسية للكيان
منهم الرئيس الاسرائيلي السابق «موشيه كساف»
المولود في مدينة يزد وزميل الدراسة في المرحلة
الابتدائية لرئيس الايراني الاسبق محمد خاتمي . و
منهم ايضا الرئيس السابق لهيئة أركان جيش
الحرب الإسرائيلي ووزير الدفاع الأسبق «شاؤول
موفاز» المولود في مدينة أصفهان المركز الرئيس
لليهود في إيران . وعلى الرغم من ان هؤلاء اليهود
الايرانيين يخدمون في جيش يفترض انه معاديا
لإيران من وجهة نظر نظام جمهورية ولاية الفقيه إلا
ان هذا النظام لم يسقط الجنسية الايرانية عن اياً
من اليهود الايرانيين المجندين في جيش الحرب

والاستعانة بالخبرات العسكرية والسياسية والإعلامية هو من سنن الله تعالى في النصر .

لا بد من التنسيق والتشاور والتعاون مع

الكتائب التي تنتهج الوسطية ، ولا بد من التنسيق والتشاور مع قادة الرأي والعقلاء ، عندئذ تكون الكلمة لها أهمية ولها وزن ، وتكون ثقة الشعب عاملاً قوياً لدعم الحراك السياسي وتضطر الدول الصديقة لزيادة الدعم ، عندما ترى الدعم الداخلي.

قد يقول بعض أفراد الائتلاف هذا الذي

نستطيع عليه أو هذا المتاح أمامنا ، ذلك لأنهم لم يقوموا بالأمور الأخرى ، لم يجربوا وقفة شجاعة مع كل الذين يتعاملون معهم ، لا تنجح الثورة إذا لم يكن هناك ثوار بقيادة واحدة ولها أهداف محددة واضحة أصبح في هذه الظروف الصعبة والعدو يزود بأحدث الأسلحة الروسية وبالمال والرجال من إيران ، أصبح أن لا نفكر في عمل كبير يستحقه الشعب السوري ، وحتى لا نتحول إلى لاجئين تتصدق عليهم الأمم المتحدة .

غياب الموضوعية في حالة الانقسام

إسماعيل باشا - العرب القطرية ٢٠١٤/٢/٢

الانقسام الحاد والاصطفاف خلف الجماعات والأحزاب من أخطر العوامل التي تهدد النسيج الاجتماعي والسلم الأهلي ، وتؤدي إلى التعصب الحزبي وتقديس الأشخاص ، وتجاهل الحقائق مع غياب الموضوعية والإنصاف. ويشعر كثير من الكتاب والمثقفين في حالة الانقسام الحاد بالحاجة إلى التخندق مع طرف أو آخر ، وسط التراشق بين الطرفين والاتهامات المتبادلة.

وفي حالة الانقسام والاصطفاف يصعب

الشعب الأوكراني مساعدة قوية في احتجائه وانتفاضته ضد التسلط الروسي وإن حاولت ولكن بضعف ، وقد عقلت بعض الصحف الأمريكية والفرنسية على هذا الضعف الأوروبي وإذا كان هذا مع الجار القريب فبالأولى أن تتخاذل تجاه القضية السورية أيضاً ، وإذا كان الموقف الأوروبي بهذا الضعف فإن الموقف الأمريكي أضعف ، ليس لأن أمريكا ضعيفة ولكن لأنه لا يوجد قرار ولا توجد إرادة ، واللوبي الصهيوني حاضراً هناك ، والعلاقات مع إيران جيدة . وهكذا أصبحت روسيا لاعباً أساسياً في الشأن السوري ، وهي التي تحدد من الإرهابي وغير الإرهابي ، وهي التي تعارض أي قرار للأمم المتحدة ولو كان يتعلق بالشأن الإنساني ، وتقمص بوتين شخصية القيصر الذي يريد إعادة مجد روسيا التي حاربت المسلمين واستولت على أقاليمهم في القرن التاسع عشر ، ولاتزال محتلة للشيشان وداغستان وغيرها . وقد كان غريباً من الائتلاف الذهاب إلى موسكو ، وروسيا هي العدو الأول للثورة السورية ، ماذا يرجون منها وماذا حققوا من هذه الزيارة ، ومن الذي أشار عليهم بهذه الزيارة التي رجعوا منها بخفي حنين .

النظام يماطل ويستفيد من الوقت وأمريكا

لا تريد أن تتدخل ولو إنسانياً وأوروبياً لم تحل مشكلة من المشاكل العالمية في العصر الحديث والدول الصديقة تدعم الثورة ولكن (بالقطارة) كما يقال ، ولا ينفع في هذه الأحوال التفجع والرثاء لحالنا ، ونبدأ بالكلام على دماء المسلمين الرخيصة ، وأنه لو قتلت مجموعة من الحيوانات في مكان ما في الأرض لهاجت جماعات الرفق بالحيوان وتدخلت الدول . كل هذا لا ينفع ، ولكن الذي ينفع هو الرجوع إلى سنن الله في النصر والهزيمة ، واتحاد الكلمة والتعاون الصادق

إنك الآن أصبحت مستحقاً للتكريم من قبل الجماعة. وفي هذا الجو المشحون، يصعب النقد مع الأسف الشديد مهما كان بناءً وضرورياً للمراقبة وتصحيح المسار.

ومن الانتقادات التي توجهها جماعة كولن إلى حكومة أردوغان «محاباة إيران» والتساهل في التعامل مع الملف الإيراني. قد يكون في هذه الانتقادات شيء من المبالغة، ولكن زيارة رئيس الوزراء التركي الأخيرة لطهران تشير إلى «خصوصية» إيران لدى الحكومة التركية ورئيسها الذي رفض الانقلاب العسكري في مصر وانتقد الدول الداعمة للانقلاب بشدة، ولكنه عبّر عن ارتياحه لحسن الضيافة التي حظي بها في العاصمة الإيرانية، قائلاً إنه «يشعر بأنه في بيته الثاني»، مع أن إيران هي المسؤولة مع النظام السوري عن جميع المجازر التي ارتكبت في سوريا وعن البراميل المتفجرة، وحتى عن الذين يموتون من الجوع في مخيم اليرموك، لأن إشارة واحدة من طهران تكفي لفك الحصار وإنهاء معاناة سكان المخيم.

وكالة الأناضول التركية نشرت قبل أيام ٥٥ ألف صورة مروعة لنحو ١١ ألف معتقل تمت تصفيتهم بالتعذيب في سجون النظام السوري. وقال أردوغان في تعليقه إن «الصور المسربة تعكس بشكل صارخ أبعاد الوحشية والمجازر والتطهير العرقي في سوريا»، ولكن الجميع يعرف أن هذه الوحشية والجريمة ضد الإنسانية تم ارتكابها بضوء أخضر من طهران وربما بإشراف مباشر من ضباط الحرس الثوري الإيراني.

قد يقول قائل إن تعامل أردوغان مع إيران مبني على البراجماتية ويخدم مصلحة تركيا، أو يرى أن أنقرة تحاول إقناع طهران بالتخلي عن الأسد وتبحث معها سبل إنهاء معاناة الشعب

الوقوف محايداً، ويسهل التصنيف، ويرفع كل من الطرفين شعار «إما معنا وإما مع عدونا»، ويطلب الانحياز له سواء أصاب أو أخطأ. وإن حاول أحد تأييد ما يراه صواباً ورفض ما يراه خاطئاً لدى كلا الطرفين فقد يتهم بأنه «ينافق» وأنه «يحاول إرضاء الجميع»، ويُنظر إليه بعين الريبة، ولا يرضى عنه أحد من الطرفين إلا إن كان مرتعياً إلى أحضانه ومطبلاً له.

هذه الحالة غير الطبيعية هي التي يتجه إليها الوضع في تركيا هذه الأيام في ظل المعركة الشرسة التي تجري بين حكومة أردوغان وجماعة فتح الله كولن، ويتخذ كثير من الناس موقفاً مؤيداً للحكومة أو للجماعة وسط عاصفة من الاتهامات التي تحجب رؤية الحقائق. ويشكل استمرار هذه الحالة خطراً كبيراً على النظام الديمقراطي، لأن الانتقادات للسياسات الفاشلة والمواقف الخاطئة ضرورية لسلامة النظام الديمقراطي، ولأن التأييد أو المعارضة على أساس التعصب الأعمى يتعارض مع مبادئ الديمقراطية.

محاولة جماعة كولن للسيطرة على الدولة من خلال التغفل في المؤسسات الحكومية لتؤسس دولة داخل الدولة غير مقبولة بأي حال من الأحوال في النظام الديمقراطي، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: «هل جميع الانتقادات التي توجهها الجماعة إلى حكومة أردوغان لا أصل لها؟»، وبمعنى آخر، «ألا يمكن رفض ما تقوم به الجماعة لتحل محل «الدولة العميقة» وانتقاد السياسات الخاطئة للحكومة في آن واحد؟».

إذا استتكرت محاولة الجماعة فرض الوصاية على الإرادة الشعبية يصنفك أنصار الجماعة مطبلاً للحكومة، وإذا انتقدت أياً من مواقف الحكومة وسياساتها يقول لك أنصارها

استنزاف ثروات تلك الدول، والحوّل دون سعيها نحو هويتها واستقلالها..

وفي التفاصيل؛ فإن تلك الجمهورية التي تتوسط إفريقيا وتعد مركزاً فاصلاً لشرق القارة عن غربها، وشمالها عن جنوبها، ويسكنها أقل من خمسة ملايين نسمة، وتعاني الفقر رغم توفرها على كنوز من الألماس والذهب واليورانيوم والنفط، ويشغل قطاع كبير من سكانها بالزراعة وخدمة الشركات الغربية الكبرى للمناجم وغيرها، مرت بتجربة مريعة من الاستنزاف الفرنسي لثرواتها، وهيمتها على القرار فيها، للحد الذي جعلها مع «صرعة الاستقلالات الوهمية» التي مرت بها الدول الإسلامية تخديراً لشعوبها، تعاني من آثار ستة انقلابات ناجحة فيها على مدى نصف قرن فقط، تتخللها عمليات «دمقرطة» وهمية ذرا للرماد في العيون، آلت بنهايتها لتكريس حكم الانقلابيين، أو جلب آخرين تحت مسمى انتخابي لم يرق أبداً فوق مستوى الشبهات في أي تجربة مر بها..

آخر تلك الانقلابات تم بشكل «أنيق» بإطاحة الرئيس ميشيل جوتوديا «المسلم» (والذي كان يحمل اسم «محمد ضحية» قبل أن يغير اسمه) بعد إرغامه إثر حصار قصره على الاستقالة هو ورئيس وزرائه نيكولا تيانجاي وعقب اجتماع للدول الإقليمية بضغط فرنسي لحمله على اتخاذ قرار ينهي فترة حكمه التي بدأها بإطاحة سلفه فرانسوا بوزيزي في أعقاب حملة قاد بها ميليشيات سيليكما التي يغلب عليها المسلمون إلى الزحف إلى العاصمة بانغي، ومن ثم عين نفسه رئيساً انتقالياً لحين إجراء انتخابات جديدة.. في التفاصيل أيضاً، أن التدخل كان لمنع تفاقم صراع «ديني» بين قوات جوتوديا و«مناهضي السواطير» المسيحية أدى لمقتل المئات على الأقل من المسلمين! لكن في العمق، لا بد

السوري، ولكن هذا التحليل يتعارض مع ما قالته الحكومة التركية بأن موقفها من الانقلاب في مصر مبني على المبدأ وليس موقفاً براجماتياً. وأما ما يتعلق بالملف السوري وضرورة رحيل الأسد، فلم نسمع حتى الآن غير حديث الإيرانيين عن التحول في الموقف التركي واقترابه من الموقف الإيراني، وسط التكتّم التركي على نتائج مباحثات أردوغان مع المسؤولين الإيرانيين في طهران بشأن الأزمة السورية.

الشاهد، أن هناك من لا يؤيد زيارة أردوغان لإيران وما قاله في طهران، ولكنه يرى أن السكوت أولى في الوقت الذي تتعرض فيه حكومة أردوغان لمؤامرة من الداخل والخارج. وقد تكون هذه الحالة مؤقتة ولكنها إن طال وطال معها السكوت على الأخطاء فحينئذ تقع الكارثة.

كيف نفهم إطاحة فرنسا برئيس إفريقيا الوسطى «المسلم»؟

أمير سعيد - موقع المسلم ١٤٣٥/٣/١٠هـ

من الصعب أن تدير الأعين عن صراعات استراتيجية مصيرية في قلب العالم الإسلامي، وفي محور التأثير العربي إلى صراع يبدو نمطياً في جمهورية إفريقيا الوسطى القليلة العدد والمحدودة التأثير الإقليمي والإفريقي، لكن ربما كان في ذاك الصراع نموذجية لما يسهل تطبيقه في أحوال وأنساق متشابهة في العالم الإسلامي كله بما يمكن من تلمسه في بلدان بعيدة هنا أو هناك. باختصار، تتمثل طبيعة الصراع في جمهورية إفريقيا الوسطى في رغبات دول غربية ظلت تهيمن على الدول الإفريقية منذ بدء احتلالها قبل أكثر من قرن من الزمان (والسبع قرون) في استمرار

من ملاحظة الخطوط العريضة للسياسة الاحتلالية الغربية عموماً، والفرنسية خصوصاً في إفريقيا، وفي هذا المثال الإفريقي يبدو جلياً ما يلي:

— أن الغرب حينما بدأ تقسيم بلدان العالم الإسلامي، تعتمد أن يضع حدوداً اعتسافية تجعل في البلد الواحد أكثر من ديانة وإثنية، وهو يتخذ سياسة داخلية تالية تضمن سيادة لغير المسلمين على المسلمين ضماناً لاستمرار نفوذه.

— أن تلك السياسة تعتمد كلياً على الحفاظ على ضبابية نسب المسلمين في كل بلد ضماناً لإبعادهم عن السلطة؛ فهو دائم الحرص على المبالغة في نسب المسيحيين أو الوثنيين أو غيرهم لشرعنة حشر المسلمين في زاوية الأقلية، ومن هنا لا بد من التنبه إلى أن النسب التي تتردد كثيراً عن أن المسلمين في جمهورية إفريقيا الوسطى لا تزيد وفقاً لأعلى التقديرات عن ٢٠٪ من تعداد سكان الجمهورية هي أرقام مشكوك بشدة في صحتها بالنظر إلى طبيعة المحيط الإقليمي، وبالنظر إلى تجارب «مريرة جداً» مشابهة، وهنا يبدو أن وصول حاكم مسلم (دون النظر عن مدى التزامه الديني) لسدة الحكم، وإن كان بطريقة عسكرية مجردة، يدل على الحضور الإسلامي في الجمهورية مهما قيل عن الطريقة التي جاء بها للحكم.

— أن مجرد محاولة بعث «الشعور» الديني الإسلامي من خلال ديانة الحاكم أو بعض الشعائر كأداة صلاة في مسجد جامع في مناسبة ما هو مبرر قوي لإطاحته، في بلد كإفريقيا الوسطى، كونه يحيي شعوراً ما لدى المسلمين هناك، ويرفع من سقف تطلعاتهم بالعودة إلى طبيعتهم وحجمهم الحقيقي «المعمر»، وهو ما يجسد على المدى البعيد خطورة لدى الدول المسيحية الكبرى المهيمنة على إفريقيا، والأمر لا يقتصر على الأحقاد الدينية وحدها، بل لإدراك أن لدى الإسلام ما ليس لغيره

من القدرة على الانبعاث مجدداً، ورفض الظلم، وانتهاب الثروات التي تقوم بها تلك القوى، بما يتوافر له من رصيد عقدي وتاريخي يحمل الذاكرة الغربية على القلق.

— أن الغرب حريص كل الحرص على جعل معظم تحركاته لتغيير بعض النظم التي لا تروق له بإفريقيا محاطة بغطاء إقليمي من دول إفريقية جعل زمام أمورها بأيدي عملائه، وجعل من رؤوس قياداتها الإقليمية أنظمة يحكمها «مسيحيون» كإثيوبيا ونيجيريا، وهما بالمناسبة دولتان يغلب المسلمون على سكانهما لكن تحكمهما الأقلية المسيحية. — أن تلك السياسة تعتمد على تكرار التجارب «الناجحة» للغرب «الاستعماري»؛ ولقد تكررت تلك التجارب في العديد من الدول التي يتجاور فيها مسلمون و«مسيحيون»، ولعل آخرها في نيجيريا التي كان نظامها يعتمد «عرفياً» على تبادل الرؤساء من المسلمين و«المسيحيين» كل دورة رئاسية، لكن الغرب حرص مؤخراً على الإخلال بتلك القاعدة، وأطاح برئيسها المسلم (رغم ضعفه وفساده) وإحلال جودلاك جوناثان بدلاً منه، وقد جرى تكرار التجربة مع تغيير في «الرتوش» في إفريقيا الوسطى..

— أن السياسة التدخلية تتركن على تفجير صراع شكلي أو حقيقي (لم يكن تاريخياً حقيقة موجوداً — على هذا النحو على الأقل — قبل «الاستعمار») بين مسلمين وغيرهم توطئة لتدخله، ومن هنا كان الحل في تفجير الصراع الديني في جمهورية إفريقيا الوسطى كتكأة للتدخل الدولي والإقليمي، وتحويل العدوان من ميليشيات تابعة للنظام السابق إلى مجزرة ترتكب بحق مسيحيين! وتصدير هذا للإعلام، مع أن بقر بطون الحوامل واستهداف الأطفال كان «حرفة» ميليشيات

— أن الآلة الإعلامية العالمية وحتى المحلية —
كرجع صدى — جاهزة دوماً لدمغ المسلمين
بـ«الإرهاب» وعدم الوطنية؛ فسرعان ما تم الترويج
لفكرة «أممية» قوات السيليكما المحلية؛ فقليل على
الفور إن «محمد ضحية» قد جلب قوات من السودان
وتشاد وغيرها للقتال، فيما لم تتهم ميليشيات
«مناهضي السواطير» أو «الدفاع الذاتي» بمثل هذا،
مع أنها حظيت بدعم دولي وأمني ولوجيستي! هل ثمة
مبالغة هنا في «دينية» الصراع؟!

كلا، فليس المقصود سوى إماطة اللثام عن
وجه يخفى عمداً في معظم الصراعات، التي
يتشاطر فيها المسلمون وغيرهم ميادينها، وإلا
فيمكن أن ننخرط في «الرتابة» لنفسي إلى
«اقتصاديات» الصراع و«عسكرته»، وهي هنا
تتعلق بلجم نفوذ يتسلل حثيثاً من الصينيين لمناطق
نفوذ غربية تضرر فيها أكثر من تضرر الفرنسيون..

يمكن أن نتحدث عن الماس وعن اليورانيوم،
وربما عن القواعد العسكرية..

وقد نصل تاريخياً لفاشودا وعقدة
الفرنسيين من توقف نفوذهم عند تلك الحدود
مع النفوذ البريطاني، ومسعى الأمريكين الذين
ورثوا كثيراً من مستعمرات بريطانيا للتمدد غرباً..
الخ.. غير أن هذا ليس مكن الصراع، ولا تلك
دوافعه الأصلية لإدارته.. فجذر القضية أن الإسلام
الذي هيمن على إفريقيا لقرون وممالكه البائدة في
دول إفريقيا، القرن، والساحل، والشمال، الخليج
الغربي.. الخ، حتماً لأبد ألا يعود.. هذا أصل
الصراع، والمصالح فروع..

العراق... الصراع بين عمامة الصدر وصولجان الطاغية

د. مثنى عبد الله - القدس العربي ٢٠١٤/٢/٢٤

عشية الاتفاق على تعيين المالكي رئيساً
لمجلس الوزراء لولاية ثانية بموجب تقاسم
السلطات الذي تمخض عن اتفاقية أربيل في عام
٢٠١٠، سأل أحد أتباع التيار الصدري زعيمهم عن
جدوى موافقته على ذلك، وهو الذي قال بأن ما
تعرض له التيار من قتل واعتقالات على يد المالكي
يفوق ما تعرض له على يد النظام السياسي السابق،
على حد وصفه. كان جواب الصدر، نعم أعلم ذلك
لكن دعونا نعمل معه لعلنا نهديه الى طريق
الصواب.

فهل شعر الصدر بوزر ذلك القرار الخاطئ
فأثر دفع الثمن تطوعاً كي يبقى زعيماً روحياً
لاتباعه المحبطين؟ أم أنه هروب مسؤول من
ضغوطات دينية عليا في قم وطهران، باتت تدفعه
كي يتخلى عن النقد اللاذع لرئيس الوزراء، الذي
مهما فعل فهو ابن البيت السياسي الشيعي؟ يقينا
لقد شعر الصدر بالاحباط الشديد منذ أن تولى
المالكي السلطة في الولاية الاولى وحتى اليوم، وأن
مصدر الاحباط هو شعوره بأن الاقلية تتحكم في
الاكثرية في البيت السياسي الشيعي، وأن الزعامة
السياسية هي من تقود الزعامة الدينية في هذا
البيت.

فعلى الرغم من أن مقاعده الاربعين في
البرلمان وحجمه السياسي الآتي من شعبية تياره
الاكثر بين الآخرين، كان لها الاثر الفاعل في
وصول المالكي، الذي كان مجهولاً في ما سبق،

الى السلطة، لكن الاخير يسعى جاهدا الى تجاهله وتفضيل خصومه المنشقين عنه، 'عصائب اهل الحق' كي يكونوا الاقرب اليه نكاية به.

كما أن عمامته الموروثة من عائلة دينية معروفة لم يجد الصدر أنها أعطته امتيازاً أو

هبة أكثر من ربطة عنق المالكى، بدليل أن رئيس الوزراء وعددا من أعضاء كتلته تهاجموا على التيار وزعيمه بكلمات لم يجروء أحد من الساسة الآخرين على قولها مرات عديدة. ففي أغسطس/آب من العام الماضي أعلن عن اعتكاف الصدر واعتزاله الحياة السياسية، والغائه الدوائر المرتبطة به وعدم المشاركة بأي عمل سياسي مباشر، وبينما هبّ الآخرون لمناشدته للعودة لمزاولة العمل السياسي، دعاه المالكى الى «الاعتزال وأجراء إصلاحات كبيرة في التيار الصدري»، وتحدث بشكل مباشر عن تحول «التيار الصدري الى وسيلة للاساءة لمدرسة الصدرين الاول والثاني»، على حد تعبيره، بل ان تصريحات احدى النائبات عن دولة القانون في ذلك الوقت بأن «اعتزال الصدر كـشخص لا يعني شيئا للعملية السياسية»، وتساؤلها عن «ما معنى اعتزال السيد مقتدى الصدر العمل السياسي وهل هو رئيس جمهورية أو رئيس وزراء أو حتى وزير ليعتزل»، كانت قد أعتبرت اهانة كبرى له ولتياره، مما أشعره بأن المركز الاول في السلطة وحزب الدعوة يحاولون بكل الوسائل تسقيطه في عيون اتباعه، وأظهره بمظهر العاجز عن الثأر حتى لنفسه من المتقوّلين بهذه التصريحات، خاصة بعد أن فشلت محاولاته السابقة بسحب الثقة عن المالكى في تحالف أربيل مع الاكراد والقائمة العراقية، وعدم مقدرته على الايفاء بوعوده باقناع السلطة باطلاق سراح العديد

من أتباع التيار المعتقلين منذ سنوات، وكذلك استمرار التفجيرات التي تحصد الكثير من البشر في المناطق التي تعتبر معاقل له، مضافا اليها ذهاب العديد من مبادراته على الصعيد العربي والاقليمي والداخلي أدراج الرياح، مثل قضية الاعتصامات في المحافظات المتفضة، لذلك كان لابد من اتخاذه موقفا يحسم لعبة الوجود غير الفاعل في المشهد السياسي، بعد أن أدرك أن استحقاقات الوجود المشلول يُرتب عليه خسائر كبرى في المركز الروحي الذي يحتله في نفوس أتباعه، وقد لمس ذلك عندما بدأ بعض نوابه ينزلقون الى نفس المزالق التي كان يحذر منها الآخرين.

ففي الوقت الذي كان يهاجم السلطة وبعض

القوى السياسية الاخرى التي تُمرر قوانين امتيازات النواب وكبار المسؤولين في الدولة،

تبين أن البعض من نوابه ووزرائه هم مشاركون أيضا في تمرير تلك القوانين، كما حصل في قانون التقاعد الاخير الذي أقره البرلمان والذي تضمن امتيازات كبرى للطبقة السياسية، مضافا الى ذلك تهم الفساد التي طالت بعض المحسوبين عليه في الوزارة والبرلمان والمؤسسات الاخرى، لكن ذلك ليس المشهد الوحيد في صورة انسحاب الصدر من العمل السياسي، بل نرى أن الوضع السياسي الراهن في المنطقة وتحولات الموقف الاقليمي والدولي من القضية السورية، والانفتاح المتبادل الايراني - الغربي، وحرب المالكى المدعوم من الولايات المتحدة والغرب في الانبار، كلها عوامل اعادة انتاج فيلم استحقاق المالكى لولاية ثالثة. ولان الصدر بات من أشرس الداعين الى قطع دابر هذا الموضوع بعدم التجديد له، فقد عادت المرجعيات الدينية - السياسية في ايران - خاصة من يقلدهم الصدر - الى الضغط على الرجل للكف عن الاعتراض، كي يبقى الموقف السياسي للاسلام

يا سنة البحرين استعدوا للجولة الرابعة

مدونة عمر خليفة راشد - ٢٠١٤/٢/٢٤م

إدمان الغفلة مرض عضال ووباء قاتل انتشر بين أهل السنة في كل مكان، فأدى ذلك كله إلى تفول الشيعة في البحرين، واستيلاء المليشيات الصفوية على مقاليد الأمور في العراق، وتمكن النصيرية في سوريا، واستيلاء الحوثية على كامل محافظة صعدة اليمنية..

منذ نجاح الثورة الكهنوتية في إيران، حاول الشيعة -لحد الآن- ثلاث مرات الوصول إلى الحكم في البحرين.

كانت المحاولة الأولى في بداية ثمانينيات القرن الميلادي العشرين. اعتمدت هذه المحاولة، التي قام بها التيار الشيرازي، على إحداث بلبلة وحالة من الفوضى، فتشغل قوى الأمن بمواجهة هذه الفوضى، مما يمكن لمسلحين شيعة من دخول البلد عن طريق البحر. فشلت هذه المحاولة وتمكنت أجهزة الأمن من القبض على مئات من المتورطين في الفتنة، وتم اكتشاف كميات من الأسلحة، بعضها خزنت في مناطق يسكنها السنة ! قاد هذه المحاولة آية الله هادي المدرسي، وهو ابن أخت المرجع المعروف السيد محمد الشيرازي.

وجرت المحاولة الثانية في أواسط التسعينيات، على يد حزب الدعوة هذه المرة، واعتمدت أسلوب الانتفاضة الشعبية، وجرى حرق العديد من المنشآت الأهلية، خاصة المحال التجارية التي يملكها أهل السنة حصراً ! هذه المحاولة انتهت أيضاً إلى الفشل. كان رؤوس الفتنة هذه المرة الشيخ عيسى قاسم والشيخ عبد الأمير الجمري

السياسي الشيعي موحداً من طهران حتى الضاحية الجنوبية في بيروت، مروراً بالعراق وسورية، لكن المواقف السياسية غالباً ما تكون لها مخالب وأنياب لا يستطيع السياسي الفكاك منها، فأما الجهال فانهم يتنازلون عنها من دون مقابل فيسقطون سقوطةً مدويةً، وأما غيرهم فيعرفون كيف يحصلون على ثمن أكبر مقابل التنازل كي يبرروا تبدل مواقفهم أمام جمهورهم.

فهل سيحصل الصدر على ثمن أكبر لو عاد المالكي الى ولاية الثالثة بتزكية منه؟ وكيف له أن يتنازل عما قال علناً، الى الحد الذي باتت أقواله شعارات يتغنى بها أتباعه؟ لا يظن الرجل ذلك اطلاقاً وهو الذي عرف المالكي جيداً بقدرته على التنصل من جميع تواقيعه ومواقفه وتعهداته مع الساسة الشيعة والسنة والاكراد وغيرهم، لذلك اتخذ قراره بترك العمل السياسي كي ينظف رداءه مما علق به من سوء تصرف بعض المحسوبين عليه، وكى يتجنب تصريحات بعض أطراف البيت السياسي الشيعي المسيئة اليه، خاصة حزب الدعوة وقائمة دولة القانون، ولعله اليوم يلوم نفسه كثيراً لان ابن عمه النائب السابق جعفر الصدر قد سبقه في فهم اللعبة السياسية، ولم يشأ أن يبقى شاهد زور على ما يحصل من محسوبية ومحاباة بين أطراف الطبقة السياسية، في وقت تُرك فيه المجتمع يواجه مصاعب جمّة، لذلك دعا الى امتلاك الشجاعة الادبية والصراحة في القول للشعب بأن السياسات الفاشلة منذ عام ٢٠٠٣ تتحمل مسؤولية ما وصل اليه الوضع، على حد قوله في بيان الاستقالة، لكن هل انتهى تماماً دور السيد مقتدى الصدر في العملية السياسية؟

والشيخ علي سلمان وعبد الوهاب حسين وحسن مشيمع.

أما المحاولة الثالثة فقد اندلعت ابتداء من فبراير عام ٢٠١١م، متزامنة مع أحداث الربيع العربي. وقامت على ثورة شعبية ترفع رايات السلمية، ولكن تمارس على أرض الواقع كل ألوان العنف، من قتل وإرهاب وخطف وحرق بحق رجال الأمن، والمواطنين من أهل السنة، والمقيمين الأجانب. حظيت المحاولة بدعم من إيران وكافة الشيعة في المنطقة، مع تعاطف ومساندة من أمريكا ! فشلت المحاولة الانفلاية الثالثة، وكانت أخطر المحاولات الثلاث، ولا زلنا نعيش إفرازاتها حتى هذه اللحظة.

الآن.. يجري حديث عن الصلح ونسيان الماضي، وهناك محاولات مستميتة من بعض أطراف السلطة السياسية في البلد للوصول إلى حل عن طريق الحوار والمفاوضات، وكثر القيل والقال حول ما يمكن التوصل إليه من فوق الطاولة، أو من أسفلها !

الجولة الرابعة قادمة لا محالة، فالشيعة لهم هدف واضح ومعلن، وهو حُكم البلد، وقد أغرتهم النجاحات التي حققوها في مناطق أخرى..

نوجه هذه النصائح إلى أهل السنة في البحرين:

لا تعتمدوا على قوة السلطة السياسية فقط، بل لا بد من القوة الشعبية والأهلية، التي تقف متعاونة ومتكاتفة مع السلطة السياسية ما دام الأمر يتعلق بالتصدي للمشروع الصفوي الطائفي البغيض.

لتكن كلمتكم مسموعة مدوية لدى أصحاب القرار، فنحن نتكلم عن مصير وطن، ولا يمكن ترك مثل هذا الأمر الخطير ليبت فيه فرد واحد أو عدة أفراد.

آن لنواب الشعب أن ينهوا بيّاتهم الشتوي

والصيفي والربيعة والخريفي ! وليكونوا في قلب المعركة لا في مؤخرتها. يا أهل السنة.. انتخبوا القوي الأمين، انتخبوا الأقدر على مواجهة العدو الصفوي، وليس الأقدر على الانبطاح للحكام والوزراء !

يجب الحرص على طهارة اليد والقلب، والعمل على تنظيف المجتمع من كل وجوه الرذيلة، من أوكار الدعارة والخمارات والجنس الثالث والرابع والعاشر ! يجب توجيه رسالة قوية وحاسمة للسلطة السياسية بهذا الخصوص، وإلا فلا تنتظروا أن ينصركم الله سبحانه وتعالى، والنصر الإلهي يتنزل على من يستحقه.

أحسنوا اختيار قياداتكم الشعبية، والتفوا حول المخلصين من ساسة ومشايخ، ولا تكرروا التجربة المرة التي أدت إلى ضعف وتردي (تجمع الفاتح)، حين سلمتم القيادة إلى أحد المشايخ من عشاق الزعامة، والذي حوّل التجمع إلى (مُلْك خاص) به !

المعركة ليست سياسية فقط، بل هناك جوانب أخرى فطن لها الصفويون وغفل أهل السنة عنها، سواء على المستوى الرسمي أم الشعبي. لقد حقق الشيعة نجاحات كبيرة في المجالات الإعلامية والحقوقية، فأسسوا الجمعيات والمراكز والأندية، وأقاموا روابط مع جهات دولية تهتم بالحريات وحقوق الإنسان، وأصبحت هذه الجهات الدولية لا تستمع إلا للطرف الشيعي، بل لا يصلها شيء إلا من الطرف الشيعي ! وهذا نقص خطير، سيؤثر سلباً - بلا شك - في طبيعة معركتكم مع العدو الصفوي.

وعليكم بوحدة الصف والعمل الجماعي المدروس، واحذروا بعض المحسوبين على أهل السنة، من عملاء ومرترقة، ممن يسعون إلى تمزيق الصف، وإضعاف القوى السننية المخلصة والمؤهلة للتصدي للصفوية.

السلفيون في جنوب السودان ..
الواقع والمستقبل

لوبي آية الله في
شارع كيبه في واشنطن

مؤتمر الصحوة السادس ..
متى يرى الآخرون ما تحت القناع؟

رصد الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٣٢ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ



١١ عاماً ..
بوجه المشاريع الطائفية



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٢٢)**

جمادى الثاني - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

❖ ١١ عاما بوجه المشاريع الطائفية ٢

فرق ومذاهب

❖ «شيعية رايتس ووتش» لحقوق الإنسان وجوه أخرى ٤

سطور من الذاكرة

❖ الوجه الآخر: ٥. حسن الصفار ٧

دراسات

❖ لوبي آية الله في شارع كيبه في واشنطن ١٢

❖ الحركة النسوية في مصر ولعبة عض الأصابع (١) ١٤

❖ مؤتمر الصحوة السادس ... متى يرى الآخرون ما تحت القناع؟ ١٧

❖ السلفيون في جنوب السودان ... الواقع والمستقبل ٢٠

❖ إيران وركوب الأمواج العالية: جنوب إفريقيا نموذجا ٣١

❖ حقيقة القانون الجعفري في العراق ٣٧

❖ خطايا قانون الأحوال الشخصية الجعفري ٣٩

❖ هل يزحف التشيع إلى المجتمع السني العراقي؟ ٤٥

❖ من مخططات المالكي للحصول على ولاية ثالثة ٤٨

كتاب الشهر

❖ العدوان الإيراني والشيعة على البحرين ... أسامة شحادة ... ٥١

قالوا

..... ٥٤

جولة الصحافة

❖ أحداث العوامية: البيانات وحدها لا تكفي!! ٥٦

❖ بعد سقوط يروود لتذكرك الكويت! ٥٧

❖ جيش لبنان في الميزان ٥٨

❖ «حوالش» البحرين ٥٩

❖ هل ثمة فرص لنشوء تحالف إقليمي عربي لمواجهة المشروع التوسعي الإيراني ٦٠

❖ المهودية وتوظيف النظام الإيراني لها ٦٢

❖ أميركا تتأهب لتسليم أفغانستان إلى طهران ٦٣

❖ معركة الإعلام بين العرب وإيران ٦٥

❖ انعكاسات فوز أردوغان ٧٠

❖ «جيرزاليم بوست»: فوز أردوغان «كارثي» لإسرائيل ٧١

❖ هل نعلن موت الديمقراطية عربياً؟ ٧٢

تتحقق إلا بعد أن سالت دماء مئات الآلاف من الأبرياء في العراق والبحرين واليمن ولبنان وسوريا والسعودية، والذين قتلتهم المليشيات الشيعية والإيرانية، وبعد أن هدمت مدن وقرى كثيرة هنا وهناك، وانتهكت أعراض الحرائر والعفيفات.

ويجب أن نحافظ على هذا الوعي لا يغيب، وعلى هذه الدماء والأعراض والممتلكات لا تضيع، بل يقتص لها ويأخذ بثأرها ويعاقب المعتدون عليها أشد العقاب. وأما الوعي بالمكر السياسي لهذه الفرق الضالة فهو في تحسن وتقدم، وإن كان المطلوب أكثر من هذا وأفضل.

فالمشروع الشيعي والمشروع الإيراني والمشروع الباطني، مشروع مدعوم من دول، إما تتبناه مثل إيران والعراق، أو توظفه كالنظام السوري، الذي يوظف الدولة السورية لصالح الطائفة الناصرية، وفي الوقت نفسه يقوم بتوظيف جماعة الأحباش لتفتيت الشارع السني في لبنان واختراق بعض الدول المجاورة عبرهم.

وكذلك نجد أن هناك مشاريع أمريكية وأوروبية لتوظيف مجموعات ومؤسسات صوفية لتنفيذ أجنداث تشل فاعلية المجتمعات الإسلامية أمام المؤامرات لنهب ثرواتها وخيراتها واستدامة حالة التبعية والذيلية للقوى الدولية؛ وأيضاً نجد إسرائيل توظف البهائية والقاديانية والدروز حتى تستأنس بهم بين الغالبية الإسلامية السنية. **وأيضاً هناك عدة دول وقوى تتلاعب وتوظف**

١١ عاماً بوجه المشاريع الطائفية

منذ بدأت مسيرة الراصد قبل ١١ سنة وهي تحمل ثلاثة أهداف وغايات تسعى لتحقيقها من خلال مقالاتها وإصداراتها، وهذه الأهداف الثلاثة هي:

١ - توعية الجمهور العام بخطورة الفرق الضالة عموماً، والشيعية خصوصاً، على أمتنا وأنها مصدر تهديد لوحدة الأمة وأمانها، وأن الانخداع بها يجلب الكوارث ويلحق بنا المصائب.

٢ - تنبيه الواعين بالخطر الديني العقدي والفكري للفرق الضالة لأهمية الوعي للممارسات السياسية التي تقوم بها هذه الفرق عبر دولها ومؤسساتها ورموزها، لاختراق نسيجنا والتغلغل بخبث بين جمهورنا الطيب والخداع لسااستنا ونخبنا السياسية والفكرية والإعلامية والثقافية.

٣ - المناداة بضرورة إيجاد مشروع مقاومة مكافئ للمشروع الباطني الضال الذي يعتدي بهدوء أحياناً وبوقاحة في أحيان أخرى على وحدتنا وديننا ورموزنا وأمننا الوطني والقومي وعلى أرواحنا وأعراضنا وأموالنا وأرضنا.

وبحمد الله أثمرت جهود موقع الراصد وأمثاله طيلة السنوات الـ ١١ الماضية ثماراً طيبة، فقد أصبح الوعي بالخطر الشيعي والباطني الداهم شعوراً عاماً يعرفه الكبير والصغير، العالم والجاهل، ولكن للأسف فإن هذه المعرفة لم

جماعات التطرف والغلو كداعش والقاعدة وأخواتهما، لتحقيق فوزى مضبوطة تقوم بعمل سائر دخاني يغطي على جرائمهم ومؤمراتهم.

ولهذا فإن الوعي الإسلامي السني بXBث السياسات الطائفية لم يصل بعد للحد الضروري والمطلوب، وهذا إما بسبب خلل في العلم والبناء العقدي عند بعض القوى الإسلامية كجماعة الإخوان المسلمين وما يماثلها من حركات وكثير من الشخصيات الإسلامية المستقلة، وحالة الجهل والخلل في فهم المكون العقدي لهذه الفرق الضالة وعلى رأسها الشيعة أشد لدى الجماعات والشخصيات الوطنية والليبرالية.

وأما يكون نقص الوعي السني بXBث السياسات الطائفية والشيوعية، بسبب ضعف الفهم السياسي أصلاً كما هو حال كثير من الجماعات والشخصيات السلفية، والذين رغم إدراكهم القوى لحجم التهديد الطائفي والشيوعي والإيراني إلا أنهم نوعاً ما مرتبكون ومترددون كيف يتصرفون، وهو ما يتضح من قدرة عملاء المشاريع الطائفية على تحقيق بعض الاختراقات بإنشاء مؤسسات وسن تشريعات ودعم خلايا نائمة وإشغال حروب أهلية متكررة وخطف دول وحكومات!!

وهذا الضعف في الوعي بXBث السياسات الطائفية أيضاً أصاب قطاعات كبيرة من القوى الغربية، ولذلك نجد أن هناك انقساماً بين ساسة الغرب في كيفية التعامل مع النظامين الإيراني والسوري، ومن بXBث المشروع الطائفي أنه يعتمد زيادة هذا الانقسام في صفوف خصومه المسلمين والعرب والعالم.

ولذلك فإن الحاجة أيضاً أضحت أكثر من ماسة لضرورة وجود مشروع مقاومة للعدوان الطائفي بعامة والشيوعي بخاصة والذي أصبح يشكل خطراً من بوابة التشيع وبوابة الغلو

والتطرف، بعد أن أصبحت (داعش) لعبة في يده يحركها بحسب ما يحقق انتصاره على الثورة السورية وثورة الأنبار.

ومشروع المقاومة المنشود يقوم على تزويد القوى السلفية بالوعي السياسي للخطر الطائفي، حتى نفعل وعيها إلى خطوات عملية وتتحوّل من قوى أفقية إلى قوى رأسية في المجتمع.

وتزويد القوى الإسلامية والوطنية بالوعي العقدي للخطر الطائفي، لقطع الطريق على منافذ تسلل الخطر الطائفي من خلالها، ولا بد من التكامل بين القوى الشعبية والجهات الرسمية.

ولما كان المشروع الطائفي والمشروع الإيراني متعدد الجبهات والمستويات فيجب أن يكون مشروع المقاومة كذلك، فلا يحصل في بلد أو جهة، ولا يحصل في مجال دون آخر، ولا يقتصر فيه على وسيلة دون أخرى.

ويجب أن تتعدد مداخل هذا المشروع بين الوقاية والتحصين للمناطق والفئات التي لم يطلها الخطر الطائفي، وبين العلاج والإصلاح للمناطق والفئات المتأثرة والمصابة، وبين الهجوم على الطائفيين في عقر دارهم لتفنيدهم وإبطال عدوانهم.

وبحمد الله فإن الجهود الموجودة والقائمة قد أفشلت كثيراً من خطط الطائفيين والشيعة والإيرانيين التي لا تضرر للأمة إلا الشر، فصدها وردّها وفضحتها، وإذا أمكن لها أن تتجمع وتآلف وتتسق فيما بينها ثم يردفها الآخرون من الإسلاميين والوطنيين، فإن العاقبة هي القضاء المبرم على هذا الشر المستطير وإطفاء نار الفتنة بأسرع طريق.

الإنسان، في محاولة لدفعها لممارسة ضغوط على الأنظمة المتهمة بانتهاك حقوق الشيعة.

ويرى مراقبون أن ظهور المنظمة في عام ٢٠١١ له الكثير من الدلالات، فهو العام الذي شهد اندلاع الثورات العربية، ما دفع محللين للقول إن فكرة إنشاء «شيعة رايتس» جاءت لمساندة الشيعة، لا سيما في البحرين التي شهدت إضرابات عنيفة سعى خلالها الشباب الشيعة إلى محاولة إسقاط النظام.

كذلك فإن حقيقة اختيار واشنطن مقرا للمنظمة وعدم اختيار إيران (معمل الشيعة) أو دول خليجية يشكل فيها الشيعة نسبة مرتفعة تنم عن حرص مؤسسيها على الابتعاد عن الشكوك، والأهم من ذلك اكتساب مصداقية عالمية وإعطاء المنظمة طابعا دوليا مميزا.

أهداف استخباراتية

لكن اختيار واشنطن مقرا للمنظمة لم ينجح في إخفاء وجهها الحقيقي، ففي حين أعلنت أن هدفها حقوقي، فإن تقارير صحفية تحدثت عن هدف سري استخباراتي للمنظمة.

شبكة الإعلام العربية (محيط)، كانت قد نشرت على موقعها الإلكتروني تقريرا مطولا في مايو ٢٠١٣ بعنوان «الشيعة الشيرازية تخترق النخب المصرية»، تحدثت فيه عن محاولة المنظمة تجنيد قيادات شيعية في مصر، والأدهى من ذلك قيام جهات أمريكية بتنظيم لقاءات سرية بين قيادات شيعية مصرية والمنظمة في

«شيعة رايتس ووتش»..

لحقوق الإنسان وجوه أخرى

معتز بالله محمد^(١) - خاص بالرائد

هي منظمة حقوقية، على غرار المنظمة الدولية «هيومن رايتس ووتش» لكنها تعنى فقط برصد أي انتهاكات لحقوق الشيعة الدينية في العالم. تأسست في واشنطن عام ٢٠١١م، وما لبثت أن تحولت إلى إحدى أدوات الضغط الشيعية الفاعلة.

وأنشئت «شيعة رايتس ووتش» بتوجيهات من المرجع الشيعي المعروف صادق الحسيني الشيرازي، وبالتنسيق مع مكتب مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية في واشنطن.

تقوم المنظمة بإصدار تقارير شهرية ترصد فيها ما تقول إنها انتهاكات وعمليات اضطهاد طائفي تتنوع بين ملاحقات أمنية وإلغاء شعائر وحتى تصفيات جسدية، فيما تجمع معلوماتها عبر شبكة من المندوبين الحقوقيين الميدانيين، ومن خلال متابعة الصحف العالمية والمحلية، وكذلك التواصل مع أفراد الأقليات الشيعية في مختلف الدول.

توظف المنظمة تقاريرها عبر الاتصال بالمنظمات والمؤسسات الدولية المختلفة الناشطة في حقوق

(١) كاتب مصري.

وتحمل تقارير المنظمة الدورية معلومات مفصلة عن تعرض الشيعة - دون غيرهم - في مناطق مختلفة لانتهاكات حقوقية، لكن ذلك قد لا يبدو منطقيًا في كثير من الأحيان، فلا يعقل أن تذكر المنظمة مثلاً أن ٣ قتلى شيعة سقطوا في العراق، وتصور هذا انتهاكاً فادحاً، في حين أن هؤلاء القتلى كانوا ضمن ميليشيا شيعية نفذت هجوماً على حي سني، أفضى إلى مقتل ٥٠ سنياً على سبيل المثال.

كذلك تتعامل المنظمة في أجزاء من تقاريرها بشكل افتراضي، فعلى سبيل المثال تتعامل مع إطلاق النار على قيادي شيعي في باكستان مثلاً على أنه انتهاك لحقوق الشيعة دون التأكد من مصدر النيران التي ربما تكون أطلقت من سلاح تنظيم شيعي منافس، أو أن يكون الحادث جنائياً لم تنفذه جماعة سنية مسلحة، كما تحاول «شيعية رايتس ووتش» أن تصور دون دلائل أو براهين.

وجاء التقرير الأخير للمنظمة عن شهر فبراير/ شباط ٢٠١٤ في أكثر من تسع صفحات واستعرض ما سماها «أبرز العمليات الإرهابية من هجمات مسلحة، وتفجيرات، إلى جانب أعمال قمع نظامية وتكيد في عدد من البلدان».

ورغم فقدان تلك التقارير للكثير من المصداقية للأسباب التي ذكرناها، وكذلك لعدم استيفاء المعلومات من مصادر مستقلة يتسم عملها بالحيادية والموضوعية، فإن المنظمة تحرص في معظم تقاريرها على كتابة الديباجة التالية: «ولفت تقرير المنظمة إلى عدم تمكن فرق المنظمة إلا من رصد بعض الانتهاكات المعلنة، بالتعاون مع بعض الأفراد الناشطين في مجال حقوق الإنسان وبعض المنظمات المدنية، مؤكدة على أن الكثير من الدلالات الميدانية تشير إلى وقوع انتهاكات تعذر تأكيدها بالقرائن والشهود».

وتحاول «شيعية رايتس ووتش» من خلال هذه الديباجة

حدث الاختراق عندما تجاهل نظام الإخوان المسلمين برئاسة محمد مرسي مطالب الشيعة الاعتراف بهم ومشاركتهم في وضع الدستور المصري السابق، فقرر عدد من القيادات الشيعية القيام برحلة من القاهرة إلى أمريكا في يوليو ٢٠١٢ للقاء شخصيات في الكونجرس وعرض المشكلة عليهم.

وهناك - بحسب التقرير - «التقى أحد قيادات الشيعة المصريين بمستر (برايت بشير) مدير قسم السياسة والأبحاث في (اللجنة الأمريكية للحريات الدينية الدولية)، والذي نظم اللقاء بين القيادي الشيعي المصري ومدير منظمة شيعة رايتس ووتش».

ويضيف التقرير «ورغم أن المخابرات والأجهزة الأمنية المصرية لم تكن على معرفة بتلك المقابلات السرية، ولا حتى شيعة مصر أنفسهم، إلا أن المقابلة تمت بين القيادي الشيعي ومستر (مصطفى أكوانت) رئيس منظمة شيعة رايتس ووتش، والذي ادعى أنه من أصل إيراني والذي طلب من القيادي المصري تعاون شيعة مصر مع المنظمة للدفاع عن حقوقهم كأقليات شيعية في العالم، وطلب بدوره كل التفاصيل عن شيعة مصر وبياناتهم الشخصية وما يثبت الاضطهاد المعرضين له في مصر على يد الإسلاميين أو السلطة، لتبنيها ورفعها للكونجرس للضغط على مصر، كما أبلغ (أكوانت) القيادي المصري بأنه متواصل مع شيعة دول الخليج بقوة، وأنه سيساعده في التواصل مع القنوات الدولية الشيعية».

ورغم أن المصادر الشيعية في مصر تحدثت للموقع أن القيادي المصري قرر فجأة عدم التعاون مع المنظمة «لشكوكه في مصادر تمويلها» إذ أخبروه أن التمويل يتم بشكل ذاتي واعتقاده بوقوف أجهزة استخبارات عالمية وراءها - فإن ذلك لا يعني أن المنظمة لم تنجح في تجنيد غيره من القيادات الشيعية داخل مصر، مثلما فعلت بالتأكيد في كافة الدول العربية والإسلامية التي تتطرق إليها تقاريرها.

الأنظمة الإسلامية

وتحظى الأنظمة الإسلامية المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين بهجوم عنيف من قبل «شيعية رايتس ووتش» حتى وإن لم تعرف بقمعها المنهج للشيعية داخل بلدانها، مما يدل على حجم الأطماع والانتهازية التي تحكم السياسات الشيعية، وكيف أن الإخوان ينخدعون بشعارات الوحدة فيما الشيعية يعملون للتمدد والإختراق في المجتمعات السنية عبرهم!

وهو ما حدث مع الرئيس المصري السابق محمد مرسي رجل الإخوان المسلمين، حيث وصفته المنظمة في أحد تقاريرها بـ «المجرم» عندما نقلت عن أحد مستشاريه قوله بأن «الشيعية يمثلون خطراً على المسلمين أكثر من اليهود».

كذلك وصفت المنظمة في بيان لها صدر مؤخراً رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بالشخصية العنصرية المقيتة، وذلك بعد حديث أردوغان عن التقية لدى الشيعية، عندما هاجم في أحد اللقاءات التلفزيونية، جماعة منافسه عبد الله كولن وقال: «لقد سبقوا الشيعية، حتى إن الشيعية لا يساؤون شيئاً أمامهم».

ولا تتورع المنظمة عن خلط الأوراق للتعبير عن كرهها الدفين للنظم الإسلامية السنية، حيث اتهمت أردوغان بأنه «كان ولا يزال مسؤولاً عن سفك الدماء والتناحر ودعم المجموعات الإرهابية التي تعيثُ فساداً وخراباً في الكثير من البلدان كما هو الحال في العراق وسوريا ومصر». وذلك في إشارة إلى دعمه للمعارضة السورية المسلحة التي تقاوم آلة القتل الأسدية وتأييده لجماعة الإخوان المسلمين التي أطيح بها من الحكم في مصر.

إيهام المجتمع الدولي والمنظمات الحقوقية بأن ما تنقله من انتهاكات بحق الشيعة لا يمثل سوى غيض من فيض إزاء ما يتعرض له الشيعة في تلك البلدان، وهي بذلك تسعى إلى دفع الدول الكبرى لا سيما أمريكا مقر المنظمة إلى ممارسة ضغوط على تلك الدول لمنح الشيعة مزيداً من الحقوق المزعومة، وترسيخ ما يسمى بمظلومية الشيعة في أذهان العالم.

وشمل التقرير الأخير «انتهاكات» لحقوق الشيعة في كل من باكستان والبحرين ولبنان ومصر وسوريا والسعودية وعمان والعراق وقطر.

واستعرض ما قال إنه «العديد من العمليات الإرهابية التي نفذتها الجماعات التكفيرية بحق أفراد من المسلمين الشيعة، إلى جانب عمليات القمع والتككيل الممارسة ضدهم من قبل بعض الأنظمة والحكومات الاستبدادية». كذلك يعتبر التقرير أي نشاطات لمواجهة التغلغل الشيعي في البلاد انتهاكاً فظاً لحقوق الشيعة الدينية، وهو ما أكدته لدى الحديث عن قيام ائتلاف «الدفاع عن الصاحب وآل البيت» بالتعاون مع الأزهر في طباعة كتب مجانية لمواجهة تغلغل الشيعة في مصر.

اصطياد الفرص

ولا يقتصر الدور المعلن للمنظمة على إعداد التقارير الدورية فحسب، وإنما تستغل مختلف الفرص لوصم الأنظمة السنية بممارسة التضييق وربما الإرهاب ضد الأقليات الشيعية.

فمثلاً انتهزت فرصة إعلان الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن نيته زيارة ماليزيا في أبريل المقبل بهدف تعزيز العلاقات الدبلوماسية ومناقشة بعض القضايا الدولية الأخرى، وطالبته في بيان لها بتناول «قضية الاضطهاد المستمر الذي يتعرض له المسلمون الشيعة خلال زيارته، والبحث مع المسؤولين الماليزيين في أسباب تلك الانتهاكات الطائفية والدفع باتجاه وقفها كونها تعد سياسة استبدادية عنصرية لا تراعي أبسط مقومات حقوق الإنسان في المجتمع الدولي».

عليه، وأفكاره، ونظرته إلى التراث الشيعي، وإلى أهل السنة والصحابة، وموقفه من إيران.

أولاً: حياته ونشأته

وُلد الشيخ حسن بن موسى الصفار في القطيف، في شرق السعودية، سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م)، وفيها درس المرحلة الابتدائية، لكنه (وكان لا يزال صغيراً) سرعان ما توجه إلى النجف في العراق، للدراسة في حوزتها، وكان ذلك في سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

وبعد سنتين قضاهما في النجف، انتقل إلى حوزة قُم بإيران سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) ثم التحق بمدرسة (الرسول الأعظم) في الكويت سنة ١٣٩٤ هـ، ولمدة ثلاث سنوات، ومثلها تقريباً في سلطنة عُمان التي ذهب إليها للتبليغ، حيث عمل مرشداً دينياً في عاصمتها مسقط، وأسس هناك عدداً من المشاريع، مثل: الصندوق الخيري الاجتماعي، ومكتبة الرسول الأعظم، ومجلة الوعي.

وفي سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) عاد الصفار إلى القطيف ليصبح إماماً لمسجد الفتح، ويُمارس نشاطه الديني، ومع قيام الثورة الخمينية في سنة ١٩٧٩ م، والتي رأى فيها الشيعة نموذجاً وأملاً، قام الصفار بالإشادة بالثورة في مجالس عاشوراء

الوجه الآخر

٥- حسن الصفار

هينم الكسواني (*) - خاص به «الرائد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبتست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الشيخ حسن الصفار من أبرز القيادات

الشيوعية في السعودية،

والمرشد الديني والسياسي الأعلى للشيعة هناك، وفي نفس الوقت يحظى بالقبول من قبل فئات من أهل السنة، تراه شخصية معتدلة، تغلب المصلحة الوطنية على الطائفية، وتسعى إلى الوحدة الوطنية والتقريب بين السنة والشيعة، وأصبحت هذه الفئات تفتح له مؤسساتها ومنابرها الإعلامية والثقافية، للكتابة وإلقاء المحاضرات والمشاركة في المؤتمرات، ما

يستدعي الاقتراب أكثر من شخصية الصفار، ودراسة نشاطه السياسي، والتحولت التي طرأت

(♦) كاتب أردني.



بشكل تحريضي على الحكومة السعودية، ما أدى إلى صدامات مع الشرطة، فغادر إلى إيران هرباً من الاعتقال.

وفي إيران واصل الصفار دراساته الدينية (إضافة إلى ممارسة أدوار أخرى سيأتي الحديث عنها) في العاصمة الإيرانية طهران من سنة ١٤٠٠ إلى سنة ١٤٠٨ هـ (١٩٨٠ - ١٩٨٨ م).

مارس الصفار الخطابة وعمره ١١ سنة، بتشجيع من والده، ويُعرف عنه إسهابه في التأليف والكتابة، فقد صدر له - حتى الآن - أكثر من مائة كتاب، منها: كيف نقرأ الآخر؟، السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، التنوع والتعايش، التعددية والحرية في الإسلام، المذهب والوطن، صلاة الجماعة: بحث فقهي اجتماعي، أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، علماء الدين: قراءة في الأدوار والمهام، وغير ذلك^(١).

ثانياً: نشاطه السياسي

تزعم الصفار المعارضة الشيعية السعودية، التي برزت بعد نجاح الثورة الإيرانية بقيادة الخميني، حيث تبنت إيران مبدأ (تصدير الثورة) إلى خارج حدودها، وكانت السعودية واحدة من البلدان التي سعت إيران إلى تصدير ثورتها إليها مستغلة الأقلية الشيعية التي تتركز في شرق المملكة.

تعود حكاية الصفار مع العمل السياسي إلى انتمائه إلى التيار الشيرازي، وهو تيار شيعي كبير، يتسم بالتطرف والغلو، وينشط في العراق وإيران وبلدان الخليج العربي، أسسه المرجع الشيعي محمد الشيرازي (١٩٢٨ - ٢٠٠١ م). والشيرازي كان من مؤسسي فكرة حزب الدعوة العراقي، لكنه رفض اسم (حزب) لأنه اسم غربي، وكان يؤمن بولاية الفقيه قبل الخميني، وقام طلابه بزعامة ابن أخته محمد تقى المدرسي وأخيه هادي المدرسي بإنشاء تنظيم سياسي في العراق عام ١٩٦٨ م، باسم

(١) معظم المعلومات السابقة عن حياته مستقاة من الموقع الرسمي للصفار على شبكة الإنترنت.

(حركة الطلائع الرساليين)^(٢).

وقد دخل هذا التيار إلى السعودية من خلال بعض الطلبة السعوديين الذين درسوا في حسينية الرسول الأعظم بالكويت، التي أسسها الشيرازي، مثل: توفيق السيف، وحسن الصفار، وأصبح لهؤلاء الطلبة نشاط ملموس في القطيف، وبعد نجاح الثورة في إيران، تحمس الشيرازيون لها كثيراً، خاصة أن الشيرازي كان على علاقة قوية بالخميني، وكان يظن نفسه شريكاً له في الثورة، ولذلك ذهبته قيادة الرساليين إلى طهران وأصبح لها معسكر خاص بها تستقبل فيه الشباب الخليجي التابع لها^(٣).

وقد مرّ بنا قبل قليل، أن الصفار ذهب إلى إيران، في المرة الثانية، بعد اصطدامه بالسلطات السعودية، وهناك طلبت منه الحركة تأسيس (منظمة الثورة الإسلامية بالجزيرة العربية) وقد ترأسها، إضافة إلى شخصين آخرين من السعودية هما: توفيق السيف وحمزة الحسن.

بقي الصفار والمنظمة يقودان المعارضة ضد المملكة حتى عام ١٩٨٦ م، حيث تم عزل نائب المرشد الإيراني حسين علي منتظري، الداعم لهما، وصعود خامنئي/رفسنجاني، اللذين قلصا نشاط الحركة، ثم جاء تورط الحركة بفضح صفقة (إيران غيت) ليسرع من إجبارها على الرحيل من طهران.

بعد الهجرة القسرية عن إيران حدثت مراجعات في التيار الشيرازي السعودي، فانفصل عن حركة الطلائع الرساليين، وتحول من العمل الثوري إلى العمل السياسي في لندن، وتغير اسمها إلى (الحركة الإصلاحية) واسم (مجلة الثورة الإسلامية) الناطقة باسم المنظمة إلى (مجلة الجزيرة العربية).

(٢) بدر الإبراهيم ومحمد الصادق، الحراك الشيعي في السعودية: تسييس المذهب ومذهبية السياسة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣ م، وانظر عرضاً للكتاب على موقع الراصد نت، بقلم أسامة شحادة، زاوية كتاب الشهر، العدد ١٢٩.

(٣) المصدر السابق

وفي أعقاب احتلال العراق للكويت في سنة ١٩٩٠م، واندلاع حرب الخليج الثانية، برزت معارضة سنية ضد الاستعانة بالقوات الدولية ما أدى إلى توجه الحكومة السعودية نحو إقامة حوار مع شيعتها، نتج عنه إصدار عفو ملكي في سنة ١٩٩٣، والسماح للقيادات المعارضة بالعودة إلى الوطن، ومنهم الصفار، الذي عاد إلى السعودية في سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥).

وعندها تبنى الصفار نهجا مغايرا لخطه الأول، إذ تخلص عن المطالبة بإسقاط النظام السعودي عسكريا، وصار يدعو إلى تحسين أوضاع الشيعة فيها، والمساواة بين المواطنين، وجرّ عليه هذا التغير سخط مجموعات متشددة من الشيعة اعتبرته مميعة لقضايا الشيعة ومتزلفا إلى السلطة.

وبعد وفاة المرجع الشيرازي في سنة ٢٠٠١م، طرح محمد تقى المدرسي وصادق الشيرازي نفسيهما مرجعين، لكن الصفار أعلن تقليده للمرجع الأعلى للشيعة في العراق، علي السيستاني، وبذلك قطع علاقته الدينية بالشيرازيين، كما سبق أن قطع علاقته السياسية بهم بالانسحاب من حركة الرساليين^(١).

ثالثا: الصورة الدارجة عن الصفار

تتلخص الصورة الدارجة حاليا عن الصفار بـ:

- الاعتدال في الطرح والممارسة.
- تغليب المصلحة الوطنية على الطائفية.
- السعي إلى الوحدة الوطنية والتقريب بين السنة والشيعة.

رابعا: وجهه الآخر

عند التمحيص في كتابات الصفار ومواقفه يتبين أن الصورة الدارجة عنه حاليا ليست دقيقة، كما يظهر عند دراسة الجوانب التالية:

١- نظرتة للتراث الشيعي

عند التدقيق في أفكار الصفار وموقفه من

(١) المصدر السابق.

العقائد والأفكار الشيعية، يتبين أنه لا يسعى لتقوية التشيع مما فيه من انحراف وغلو، كي يكون التقريب الذي يدعو إليه بين السنة والشيعة ممكنا، بل إنه كثيرا ما يدافع عن هذه العقائد وعن أصحابها، ويدعو لعدم المساس بها، ومن ذلك قوله: «ليس شرطاً لحسن العلاقة بين السنة والشيعة أن يتنازل أي طرف عن رأيه وقناعاته. فالشيعة لهم رؤية عن موضوع الخلافة والإمامة وأنها تكون بالنص من الرسول ﷺ، ولديهم أدلتهم التي يرونها ملزمة لهم بالإيمان بذلك، ولا يجدون أنه يمكنهم التنازل عما ثبت لديهم بالأدلة العقلية والشرعية»^(٢).

ويقول في موضع آخر: «نحن لنا قناعاتنا حول الإمامة والخلافة والخلفاء، وليس من حق أي جهة أن تحاكم الأخرى على قناعاتها ومعتقداتها، ما يحق فقط هو عدم الإساءة. يحق للسنة ألا يقبلوا من الشيعة الإساءة إلى رموزهم، أما رؤية الشيعة الداخلية وقناعاتهم فليس من حق أحد أن يحاسبهم عليها»^(٣).

وفيما يتعلق بعلماء الشيعة وكتبهم الذين يصدر عنهم مختلف صنوف المنكرات والشركيات، والحث على بغض أهل السنة، لا يصدر من الصفار شيء ذو بال في إدانتهم، أو بيان منكرهم، بل إيجاد الأعذار، والتقليل من محتويات كتبهم، بل الزعم أن بعضها (مزور) ومفترى على هؤلاء العلماء.

فمثلا، عندما سئل الصفار عن عالم الشيعة الكبير (نعمة الله الجزائري) الذي قال: «نحن لا نجتمع مع أهل السنة على إله واحد، ولا على نبي واحد، ولا على إمام واحد، لأن الإله الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس إلها، ولا ذلك النبي نبينا، ولا ذلك الإمام إمامنا» أجاب: «.. فنعمة الله الجزائري

(٢) حسن الصفار، السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ومؤسسة أطيايف، القطيف، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص ٥١.

(٣) حسن الصفار، كيف نقرأ الآخرة، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٧٢.

يعتمد على روايات غير مقبولة وغير صحيحة، وإن (مصحف فاطمة) عند الشيعة ليس قرآناً، وإنما هو تفسير لآيات القرآن، كانت تسمعه من أبيها ﷺ^(٤).

٢- الموقف من إيران

لا يرى الصفار -بداية- أي غرابة في أن يكون الشيعة موالين لإيران، فعندما سئل عن انتماء الشيعة العابر للحدود، وميلهم لإيران، أجاب: «في البداية، ليس الشيعة هم الذين يُسألون: لماذا لديهم تدفق عاطفي نحو إيران؟ وإنما الإخوة المعارضون يُسألون: لماذا هم لا تدفق عواطفهم نحو إيران؟ إيران شعب مسلم كان يعيش تحت ظل نظام غربي (نظام الشاه) يتعاطى مع إسرائيل ويتعاون مع إسرائيل. جاءت ثورة إسلامية بقيادة علماء الدين، وصنعت جمهورية إسلامية، وتبنّت القضية الفلسطينية ... السؤال من أساسه خطأ، والسؤال الصحيح: لماذا لا يتفاعل هؤلاء المعارضون مع دولة مسلمة كإيران؟ إيران شعب مسلم ويريد تطبيق الإسلام»^(٥).

ويعتبر الصفار أن عدم (تدفق العواطف) نحو إيران هو الذي يدل على الطائفية، إذ يقول: «فلا يُلام الشيعة على عواطفهم نحو إيران، وإنما يُلام الذين لا يبدون تعاطفاً مع إيران. هم يجب أن يُسألوا: هل هذا من منطلق طائفي؟ إذن هم طائفيون لأنهم لم يتعاطفوا مع إيران، أما الشيعة عندما تعاطفوا مع إيران فهم منسجمون مع وجدانهم ومع عواطفهم الدينية والإنسانية»^(٦).

ويرى الصفار - في معرض دفاعه عن إيران - أنها تراجعت عن فكرة تصدير الثورة، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وأغرب، عندما يعتبر أن تصدير الثورة لم يكن سياسة عامة، إنما «مجرد تصريحات خاطئة تراجعت عنها إيران»^(٧).

لم يكن مرجعاً للشيعة في أي عصر من العصور، وإنما هو مجرد عالم من علمائهم كتاباته فيها الصحيح والخطأ، فيها ما يُقبل وفيها ما يُرفض، وهذا الكلام مرفوض عند أغلب العلماء عملاً هم يرفضونه، لكن لا يعني ذلك أن نرفض كل شيء من السيد نعمة الله الجزائري، وهو عالم فيه الخطأ وفيه الصواب يؤخذ منه ويُرد عليه^(٨).

وكذلك بالنسبة لكتاب (كشف الأسرار) للخميني الذي يتهم فيه الصحابة بتحريف القرآن الكريم، ويتطاول فيه على رب العالمين، وغير ذلك، حيث يقول الصفار عن هذا الكتاب ومؤلفه: «أما كتاب (كشف الأسرار) للإمام الخميني أنا ما قرأته. ولذلك الإمام الخميني رفض طباعته والجمهورية الإسلامية لا تنشره، ولا تعترف به ولا تقبل بوجود هذا الكتاب أصلاً، ثم إن هناك منظمة رسمية لآثار الإمام الخميني وكتبه، تعتبر أن هذا الكتاب مزور ومشوّه، وهو في الأصل كتاب باللغة الفارسية كتبه الإمام الخميني في بداية شبابه، والذي ترجمه إلى اللغة العربية زوره وشوّه، وقد كشف كاتب مصري يدعى الدكتور إبراهيم دسوقي هذا التزوير»^(٩).

ولا يختلف موقف الصفار هذا إزاء الكتب الأربعة التي يعتبرها الشيعة أمهات كتبهم في الحديث (الكافي)، من لا يحضره الفقيه، تهذيب الأحكام والاستبصار) وفيها من الضلال الشيء الكثير، إذ يكفي بالقول إن فيها ما يُقبل سنده، وفيها ما يُرد، مؤكداً أن الشيعة لا يتبرؤون منها، ولن يتبرؤوا منها، إنما التبرؤ من الشيء الخطأ الذي فيها^(١٠).

وإضافة إلى رفضه القيام بجهد لتصحيح الانحراف في الفكر الشيعي، يقوم الصفار أحياناً بإنكار وجود مثل هذا الانحراف والغلو، كتبرئة الشيعة من القول بتحريف القرآن، والقول بأنه

(٤) المصدر السابق، ص ٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٥٧.

(٦) المصدر السابق، ص ٥٧.

(٧) المصدر السابق، ص ٥٧.

(١) المصدر السابق، ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٩.

٤- الشيعة وأوطانهم

كثيرا ما يقدم الصفار صورة مغلوطة عن علاقة الشيعة بأوطانهم، إذ يصور الشيعة بصورة المخلصين لأوطانهم، المستقلين في تفكيرهم، والذين لا يتبعون جهات خارجية، وهو ما يفنده الواقع المعاصر، حيث ظل الشيعة شوكة في حلق بلدانهم، وكثيرا ما كانوا يأتَمرون بأمر إيران لإحداث القلاقل في بلدانهم، والصفار في هذا الصدد يقول: «نحن ليس لدينا مشكلة مع أوطاننا أبدا. وانظر حولك هاهم الشيعة يعيشون في المملكة ولبنان والبحرين والكويت ومختلف المناطق ولم يحصل أن جاءهم أمر من الخارج يزعزع وضعهم السياسي في البلد»^(٣).

والصفار - وإن كان ينتقد أحيانا حمل السلاح ضد الدولة وأعمال العنف - إلا أنه عادة ما يحمل السلطات وحدها مسؤولية أعمال العنف التي تحدث في السعودية أو في البحرين، أو في غيرها، مبتعدا عن تحميل الشيعة المسؤولية، وغاضبا الطرف عن اعتداءاتهم وممارساتهم، بل إنه كثيرا ما يحمل السنة مسؤولية التوتر الذي يغلف علاقات السنة بالشيعة في بعض البلدان، ففي منطقته القطيف، يعتبر الصفار أن العلاقة ساءت بين الشيعة والسنة هناك «حينما انتشرت بعض الآراء المتشددة التعبوية ضد الشيعة ونسبت إليهم مختلف الاتهامات، وبدأت تدعو إلى مفارقة أهل البدع وإلى هجر المبتدعين والابتعاد عن الشيعة»^(٤).

الخلاصة: الصفار لعله يتقن التقية أكثر من غيره، وتحول من ثائر يريد قلب الأوضاع، لدبلوماسي يعمل على تخدير الخصم وخداعه، بتبرير الجرائم والخطايا والتهوين من غلوهم وانحرافهم.

وفي معرض دفاعه عن إيران أيضا، يقلل الصفار من شأن الأخطاء التي وقعت فيها إيران بعد نجاح ثورتها معتبرا أنها ناتجة عن قلة الخبرة السياسية. وفي المقابل يرى أن أهل السنة شاركوا الأمريكان والصهاينة في مؤامرتهم على إيران «هناك أخطاء حصلت عند الإيرانيين نحن لا ننزه الإيرانيين عند الأخطاء، وهم يعترفون بأنهم حينما جاءوا إلى الحكم لم تكن لديهم خبرة سياسية، لم توجد لديهم كذلك تجربة سابقة، هناك أخطاء. لكن المشكلة في الأساس تكمن في الدور الأمريكي والصهيوني من أجل محاصرة هذه الثورة ومن أجل العبث بخيرات هذه المنطقة ومع الأسف أن بعض السنة - ولا أقول الكل - مرّت عليهم هذه المؤامرة»^(١).

٣- الموقف من الصحابة

دأب الصفار على إنكار قيام الشيعة بسب الصحابة رضي الله عنهم، رغم ما تطفح به كتبهم وأشرطتهم وفضائياتهم ومواقعهم الإلكترونية، قديما وحديثا، من سب ولعن وانتقاص وتكفير، الأمر الذي لا يحتاج إلى كثير عناء لإثباته، فتكفير الشيعة للصحابة وأمّهات المؤمنين والتقرب إلى الله بلعنهم أمر معروف ومشتهر، لكن الصفار - أولاً - ينكر وجود سب بين الشيعة للصحابة حاليا، ويعتبر - ثانيا - أن السب إن وُجد، فهو في الكتب القديمة فقط، كما في قوله: «الشيعة عمليا لا يمارسون سب الصحابة ولا تكفيرهم، أما بشأن ما ذكرت فهذه الكتب المنشورة كلها كتب قديمة. انظر إلى الممارسة العملية وإلى واقع الشيعة الآن، ليس واقعهم سرّيا، انظر إلى شيعة البحرين ولبنان. بل انظر إلى شيعة العراق وهم يعيشون انفلاتا سياسيا وأمنيا، هل سمعتم منهم سبا للصحابة؟»^(٢).

(٣) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٣.

(١) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١.

المركزية الأمريكية وقابل وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون وممارس ضغوطا عليها. ويدّعي بارسي ومن معه أنهم الصوت الرسمي للمليون إيراني أمريكي في أمريكا بما يخص دعم وتطوير مصالح المجتمع الإيراني الأمريكي.

إذا كانت تكمن مهمة المجلس الوطني الأمريكي الإيراني الفعلية في خدمة وجلب أكبر قدر ممكن من المصالح للمجتمع الإيراني الأمريكي، فقد فشلت خصوصا في تحقيق أهدافها، ففي استطلاع أجري تبين أن ٩٩٪ من الأمريكيين الإيرانيين ممن دعموا المسار المؤيد للديمقراطية في إيران قد صرحوا بأن المجلس الوطني الأمريكي الإيراني لا يمثل أو يدعم مصالحهم بأي صورة كانت. وعلاوة على ذلك فإن من المذهل أن ٩٩٪ من المستجيبين للاستطلاع أيضا أبدوا اعتقادهم بأن المجلس الوطني الأمريكي الإيراني عبارة عن جماعة ضغط (لوبي) لصالح جمهورية آية الله الإسلامية.

كما قال محسن مخملباف - وهو أحد مؤسسي وقادة الحركة الخضراء في إيران - عن بارسي: «أشعر بأن الضغوطات التي يمارسها تمت بسرية، وتزايدت فيما يخص مصلحة الجمهورية الإسلامية». وقال أمير فخر فار - وهو سجين إيراني منشق وحائز على جائزة آني تايلور للصحافة - عن المجلس الوطني الأمريكي الإيراني: «لا نستطيع إيجاد أي فرق بين تصريحات

لوبي آية الله في شارع كيه في واشنطن

جوردان سكانشيل^(١) - موقع (American thinker.com)

٢٠١٤/٣/٥ ترجمة خاصة بموقع الراصد

هل أدرج المجلس الوطني الأمريكي الإيراني، بما في ذلك مؤسسه تريتا بارسي، في قضية فرض العقوبات على إيران بحجج واهية؟ هل قام بارسي ومن معه في ذلك المجلس والذين على ما يبدو أنهم حاولوا مناشدة المشاعر النبيلة والمثل في حزب اليسار، هل قاموا بخداع هذا الحزب والإضعاف من روحه وعزيمته؟

إنها نقاط ذات أدلة جوهريّة تضاف إلى أجندة المجلس الوطني الأمريكي الإيراني والتي هي بعيدة كل البعد عن مصالح المجتمع الإيراني الأمريكي ككل، وتكاد لا تظهر أية علاقة بينها وبين أجندة المرشد الأعلى للنظام الثيوقراطي.

لقد كتب بارسي ومن معه من المجلس الوطني الأمريكي الإيراني مقالات في عدة صحف سائدة لحزب اليسار بما في ذلك صحيفة نيويورك تايمز، وهافينجتون بوست وغيرها. وألقى بارسي مؤخرا محاضرة في مقر الاستخبارات

(١) رابط المقال الأصلي
http://www.americanthinker.com/2014/03/the_ayatollahs_lobby_on_k_street.html

ذلك المجلس من جهة، وتصريحات النظام الإيراني من جهة أخرى، إنها تتبع مسار ذلك النظام رسمياً أو غير رسمياً».

تأسس المجلس الوطني الأمريكي الإيراني ليؤتي ثماره عام ١٩٩٩ عندما كان بارسي يحضر مؤتمرا صحفيا في قبرص برعاية النظام الإيراني، فخلال المؤتمر قام بارسي بوضع خطته لإدخال مجموعة الضغط الموالية للنظام لمواجهة المشاعر والنفوذ التي يزرعها مؤيدو إسرائيل في أمريكا والجماعات المناهضة للنظام.

هناك وثائق داخلية تم كشف النقاب عنها كنتائج لدعوى التشهير الفاشلة للمجلس الوطني الأمريكي الإيراني ضد التحقيق الصحفي، وتكشف هذه الوثائق العلاقة الوثيقة بين بارسي ووزير الخارجية الإيراني جواد ظريف منذ عدة سنوات. تم مؤخرا تصوير ظريف وهو يضع إكليلا من الزهور تكريما للقائد السابق لحزب الله عماد مغنية الذي كان مسؤولا عن مقتل عدد كبير من الأمريكيين، كما أنه العقل المدبر لعملية تفجير ثكنات جنود المارينز في بيروت عام ١٩٨٣.

وذكرت وسائل الإعلام في طهران أن سياماك نامازي - الصديق الحميم لتريتا بارسي - التقى مرارا مع محسن رضائي، القائد السابق للحرس الثوري الإيراني، وكان رضائي على رأس منصبه في الحرس الثوري في عام ١٩٩٤ عندما لقي ٨٥ شخصا حتفهم في هجوم إرهابي تبنته إيران على مركز الجالية اليهودية في بيونس آيرس، الأرجنتين.

كان بارسي يشغل منصب مساعد لعضو الكونجرس الجمهوري والسجين السابق (بوب ناي) الذي أدين بتلقي رشاي من جماعات الضغط الخارجية. وفي الوقت الذي كان فيه اسم بارسي مدرجا في جدول رواتب أعضاء

الكونجرس، كان بوب ناي منخرطا في عملية تخفيف العقوبات على إيران. إن السجلات الفدرالية التي تم استدعاؤها من أجل مقاضاة ناي تقدم وثائق تشير إلى أن ناي قد ضغط شخصا على وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن باول من أجل تخفيف العقوبات عن إيران، حيث يتمكن عملاء الكونجرس في الخارج من بيع قطع غيار الطائرات أمريكية الصنع للحكومة الإيرانية.

في وقت مبكر من عام ٢٠٠٧، بدأ الصحفي الإيراني المنشق والمقيم في ولاية أريزونا حسن ضياء الإسلام بإثارة قضية أن المجلس الوطني الأمريكي الإيراني يعد مجلس ضغط لصالح إيران. وعندما أصبح المجلس الوطني الأمريكي الإيراني مدركا للأدلة المتزايدة المرتبطة بالاستبداد الإيراني، فقد أقام دعوى قضائية ضد ضياء الإسلام بتهمة التشهير.

ولم تسقط تلك الدعوى فحسب، بل اضطر المجلس الوطني الأمريكي الإيراني لدفع نفقات قانونية لضياء الإسلام. بعد ذلك، وفي محاولة يائسة لإسكات المعارضة المتنامية، اتهم مدير قسم الأبحاث في المجلس الوطني الأمريكي الإيراني - رضا مرعشي - ضياء الإسلام وأنصاره زورا بأنهم أبواق لحركة مجاهدي خلق الإيرانية (مجموعة المعارضة الشيوعية الإسلامية)، كما يعتبر المجلس حتى هذه اللحظة أي شخص يوجه اتهامات له أنه إما أن يكون من نشطاء المحافظين الجدد أو من أنصار مجاهدي خلق.

يزعم بارسي وأمثاله أن الحكومة الإيرانية ليست ثيوقراطية مستبدة وأنه لا يحكمها شخص واحد وهو آية الله خامنئي، لكنها ممثلة معتدلة للجيوستراتيجية. وبعد انتخاب حسن روحاني أشاد بارسي بنهج روحاني الأكثر اعتدالا وانفتاحا، في حين تجاهل حقيقة أن المالكي سمحوا فقط لثمانية مرشحين فقط من أصل ٦٨٠ مرشحا لخوض انتخابات الرئاسة الأخيرة. ولم يتم الحد من

انتهاكات حقوق الانسان في إيران تحت حكم روحاني، بل وصلت إلى مستويات قياسية، فقد تم إعدام أكثر من ٣٠٠ شخص منذ تولي روحاني السلطة في أغسطس، حيث أدين الكثير من المحكومين بالإعدام بتهمة محاربة الله.

لقد أبدى المجلس الوطني الأمريكي الإيراني قلقا واستياء من خلال رفضه لسياسات صانع القرار الإيراني آية الله خامنئي ومن خلال إدانته لتلك السياسات الوحشية التي يرتكبها خامنئي الذي تولى منصب المرشد الأعلى منذ عام ١٩٨٩، وفي نفس الوقت، فإن ذلك المجلس يشي على الرئيس روحاني ثناء كبيرا.

إن حقيقة أن روحاني لا يتمتع بقوة ونفوذ حقيقيين وأنه يعادل مسؤولا إعلاميا كثير السفر هي حقيقة يبدو أنه تم تجاهلها.

وعندما يرفض المجلس الوطني الأمريكي الإيراني إدانة من يقف خلف الكواليس ويمثل واحدا من أكبر رعاة الإرهاب في العالم، فإن هذا الأمر يزيد من الشكوك حول حقيقة الأجندة التي يحملها وتبعاتها.

الحركة النسوية في مصر

ولعبة عض الأصابع (١)

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

لعلها الحركة الأكثر جدلا والأشد تأثيرا على مستوى العالم العربي، فعلى أرضها البدايات الفكرية الأولى للحركة النسوية، وعلى أرضها أيضا بدأت الحركة الفعلية للحركة النسوية، وعلى صفحات جرائدها دار الجدل والحوار بين أنصار التغريب ودعاة الأصالة ومن ثم فقد حظيت بالقدر الأكبر من الدراسات والأبحاث، تلك هي الحركة النسوية في مصر.

(♦) كاتبة مصرية.

الحركة النسوية في مصر على الرغم من جذورها التاريخية وتعدد روافدها لم تستطع تحقيق النجاح الذي كانت تأمله وتطمح إليه فقد اصطدمت في البداية بمقاومة شديدة من التيار المحافظ عامة سواء على أسس إسلامية أو حفاظا على العادات والتقاليد؛ حيث نستطيع أن نفرق بين نوعين من المقاومة للفكر النسوي في مصر ففريق الحفاظ على العادات والتقاليد خاصة في الريف والصعيد كان يمثل رقما قويا في الصراع، ولكن وعلى الرغم من ذلك نجح التيار النسوي في إجبارة على التراجع خطوات واسعة للخلف.

أما الإسلاميون فكانوا - ولازالوا - العقبة الحقيقية في انتشار الفكر النسوي.

والحقيقة أن الإسلاميين طوروا منهجيتهم كثيرا فبعد أن كانوا يدافعون عن الشريعة التي نالت الكثير من الهجوم النسوي باعتبارها آراء فقهاء تقليديين - غالبا لا تجرؤ النسويات على التصريح بمهاجمة الشريعة - كالهجوم المعتاد على أحكام الميراث وعلى الطلاق والحضانة وتعدد الزوجات كما طال الهجوم الركائز الأساسية للأسرة المسلمة كالقوامة ووجوب طاعة الزوجة لزوجها.

كان الإسلاميون لفترة ليست بالقليلة يحاولون غلق أبواب الفتنة بالدفاع والتوضيح، ولكن في مرحلة لاحقة أصبح الهجوم على الفكر النسوي من أهم المشروعات الفكرية لدى الإسلاميين بدءا من الجذور التي ترتبط بالماركسية والتغريب والتبعية وليس بالتحديث مروراً بالعلاقة الوثيقة التي ربطت بين الرموز النسوية والاستعمار وحتى فضح كامل المخطط النسوي والكشف عن أبعاده الدولية.

وإذا تحرينا الدقة فإننا نستطيع أن نلمس موجات - إن جاز التعبير - من الانتصارات الجزئية للفكر النسوي، فمثلا تعد فترة الستينيات من القرن المنصرم بمثابة الفترة الذهبية للمد النسوي مع حالة تضيق الدولة البشع على

الإسلاميين، في الوقت الذي كان الفكر التقليدي يتراجع تحت وقع ضربات النسويات والتقدميات.

ولكن بدءاً من السبعينيات بدا المنحنى العام للحركة النسوية بالهبوط التدريجي ولعل المثال الواضح لذلك الانتشار الكبير للحجاب الإسلامي وبرز فئات جديدة من الإسلاميات المتعلمات بطريقة راقية جداً ومشاركتهم الفعلية في التغيير المجتمعي.

في هذا السياق لا يمكن أن نغفل أنه وبنهاية السبعينيات نجحت الحركة النسوية العالمية في تدشين وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة المعروفة اختصاراً بالسيداو عام ١٩٧٩م حيث وقعت عليها مصر عام ١٩٨٠ وتم التصديق عليها مع بعض التحفظات عام ١٩٨١م، وكان لهذا كله انعكاس على الحركة النسوية المصرية التي تعلقت في أذيال السلطة - كعاداتها دائماً مع أنهم يستخدمون آلية الإنكار - وصدر قانون الأحوال الشخصية لعام ١٩٧٩م والذي عرف جماهيرياً باسم قوانين جيهان والذي ما لبثت وحكمت المحكمة الدستورية العليا ببطالته.

نجحت الحركة الإسلامية في المرحلة اللاحقة من التخلص من بقايا العادات والتقاليد التي كانت تتمسح في الدين وتسيء إليه، ومن ثم تم تقديم خطاب إسلامي بالغ الوضوح يتحرى العدالة المنبثقة من شريعته مستفيداً من جميع تقنيات العصر الحديث فقام بضربات موجعة للفكر النسوي بمختلف أطيافه وعلى الرغم من ذلك فإن ثمة تواجداً متغلغلاً وراسخاً داخل نسيج المجتمع المصري لأصحاب المشروع النسوي التخريبي والنماذج وللأسف كثيرة جداً.

حرية العري

سأكتفي بعرض نموذج شغل الرأي العام المصري في هذه الأيام ولأزالت أصداؤه تتردد حتى الآن لتتعرف من خلال هذا النموذج على القوة النسبية التي يمثلها التيار النسوي في مصر ومدى

تغلغله في البنية الفكرية المصرية وآليات عمله وتأثيره على صانع القرار ومدى قدرته على حشد الرأي العام وراءه.

هذا النموذج هو حادث التحرش الجماعي الذي حدث في جامعة القاهرة يوم ١٦/٣/٢٠١٤، وموقف الحركة النسوية منه، الحادث باختصار أن طالبة في كلية الحقوق لا تستطيع وصفها الكلمات، فكلمة متبرجة لا تنطبق عليها فهي لا تبرز بعض زينتها فحسب وإنما هي لا تخفي شيئاً، طالبة لا يوجد عندها الحد الأدنى الإنساني من الحياء، يبدو وجودها في جامعة أمراً مثيراً للدهشة فالمنطقي أنها ومثيلاتها يتواجدن في حانة أو مرقص، تسير في حرم الجامعة.

وشباب لا خلاق لهم فقدوا كل شيء حتى آدميتهم يسكرون كالحیوانات السائمة يعلنون عن غرائزهم بشكل بهيمي، يسكرون خلف تلك الكاسية العارية في مشهد يندى له جبين أي إنسان فيه بقية من كرامة أو خلق.

ليست المرة الأولى التي تسير فيها تلك الفتاة عینها وكأنها لا ترتدي شيئاً وليست المرة الأولى التي يتحرش بها فئة من الشباب الساقطين الذين احتلوا الجامعة في حين غفلة حيث أن هذا الحادث المأساوي قد تكرر في العام الجامعي السابق وتعهدت الفتاة بارتداء ملابس لائقة وهو ما لم يحدث فوق وقع الحادث الثاني الذي عرف طريقه للرأي العام فقام رئيس الجامعة بالإدلاء ببعض التصريحات التي أدان فيها الحادث ووعد بإجراء تحقيق موسع فيه وكان أن قال إن ملابس الفتاة لم تكن لائقة بالحرم الجامعي، وهنا كشرت الحركة النسوية عن أنيابها وأبرزت أسلحتها كلها وقادت معركة ساخنة للتنديد بتصريح رئيس الجامعة وبالإعلاميين - العلمانيين - الذين تحدثوا عن ملابس الفتاة الفاضحة كأحد الأسباب التي أدت للحادث المأساوي.

قامت النسويات بحملتهن وفي أعماقهن ثأر من الحجاب والمحجبات واستغلين الحادث أسوأ استغلال،

إجراء التحقيق مع الطالبة بل واعتذاره علنا كونه تجراً وانتقد ملابسها لأنها وفقا للفلسفة النسوية مارست حقها في ارتداء الزي ولأن جسدها هو ملكية خاصة بها تفعل به ما تشاء.

التمكين السياسي

غير أن هناك معارك نخبوية أخرى خسرتها الحركة النسوية في مصر يأتي على رأسها قضية (التمكين السياسي) فلم تستطع الحركة النسوية حتى الآن من إقرار نظام الكوطة الذي يضمن لها عددا معيناً من مقاعد البرلمان وهي الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها النسويات اقتحام البرلمان لفشلهن في إقناع الناخب العادي بجدارتهن لكرسي البرلمان حتى أصوات النساء لا يستطعن الحصول عليها وذلك على الرغم من الجهود الضخمة التي يبذلنها وعلى الرغم من المساعدات الكبيرة التي يقدمها لهن الغرب فالولايات المتحدة وحدها قدمت في عام واحد ما قيمته مليار وثمانين مليون دولار من أجل دعم نساء الشرق الأوسط كقادة سياسيين^(١).

لم تستمتع النسويات المصريات بنظام الكوطة أكثر من شهر واحد قبل اندلاع ثورة يناير، ذلك النظام الذي أتاح لـ ٦٤ امرأة من الوصول للبرلمان المصري، ومن المعلوم أن انتخابات ٢٠١٠ شابها الكثير من صور التزوير ولكن إذا كان هذا هو ثمن الوصول للبرلمان فمرحبا بالتزوير، هذا لسان حال النسويات ونائباتهن!! وحدث ولا حرج عن الأداء البرلماني الضعيف وانعدام الاستجابات والبقاء الجميل كديكور داخل المجلس المقرر.

إنه منطق المصلحة الضيق فبينما يكون التفكير العقلاني منصبا على كفاءة من يمثل الشعب بغض النظر عن نوعه تسعى النسويات لتقديم النوع أولا فيطمحن لعدد كذا من المقاعد. وإذا كانت النسويات لم يستطعن إقناع الأحزاب التي انضمن لها من الدفع بهن

استغلين مشاعر الغضب من جريمة التحرش التي اتسع نطاقها ونالت حتى من الأطفال الأبرياء، وما حادث الطفلة البريئة زينة ببعيد حتى يعلن من فتاة الحقوق الخليفة ضحية بريئة في براءة زينة ذات السنوات الخمس وقمن بوضع فرضية موضع النظرية فالملابس الخليفة ليست أحد أسباب التحرش ومن يتحدث عنها فهو يبرر لفعل التحرش فالمجلس القومي للمرأة بقيادة مرفت التلاوي وصف تصريحات رئيس الجامعة بالعنصرية وغير اللائقة.

استخدمت الحركة النسوية كل ثقلها الإعلامي للتديد بتصرحات رئيس الجامعة الدكتور جابر نصار حتى أجبروه على تقديم اعتذار رسمي حول تصريحاته.

حيث قدم بياناً رسمياً جاء فيه (أؤكد بصفتي الشخصية والوظيفية إدانتي الكاملة لجريمة التحرش بالنساء وأن هذه الجريمة يجب أن ينال مرتكبوها العقاب المستحق دون أن تتحمل الضحية أي جريمة أو لوم فهي جريمة منكورة وغير مبررة على الإطلاق)، وتراجع عن فكرة تقديم الطالبة للتحقيق وقال إنها مدعوة إلى الشهادة فيما حدث.

وقال نصار حرفياً: (أؤكد أسفي واعتذاري عما جاء بحديثي عن ملابس الطالبة الضحية، فقد كان ذلك خطأ مرده الارتباك من خطورة ما حدث، وأخيراً فإنني بشخصي وصفتي أنضم إلى كل الجهود التي تكافح العنف ضد النساء داخل الجامعة أو خارجها وأرجو أن يكون ذلك اعتذاراً كافياً وتوضيحاً ملائماً عن هذا الأمر).

رغم أن النموذج المذكور هو مجرد حادث بشع تمتلئ صفحات الحوادث بوقائع أكثر منه بشاعة إلا أن أبعاده مرتبطة بتحدي الثقافة التي تنتصر.

فالإسلاميون يجرمون المتحرشين ويجرمون الفتاة الخليفة المستهترة بينما الحركة النسوية ترى الفتاة مجرد ضحية بريئة لا يمسها أحد ولا يجوز إجراء تحقيق معها ولا سؤاها لماذا ارتدت هذه الملابس العارية، الرأي العام والشارع في معظمه منحاز لموقف الإسلاميين بينما نجحت الحركة النسوية في استمالة النخبة حتى أنها نجحت في تراجع رئيس الجامعة عن

(١) برامج مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، موقع وزارة الخارجية الأمريكية على شبكة الإنترنت، نقلا عن الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية.

الثقافية الإيرانية التابعة لسفاراتها في هذه البلدان عن فكرة إنشاء مجمع الصحوة الإسلامية وعقد مؤتمراته المتتالية التي بلغت وخلال ثلاثة أعوام تقريبا نحو ستة مؤتمرات تناولت العديد من القضايا واستهدفت العديد من الفئات أهمها العلماء والباحثين والشباب والنساء وأساتذة الجامعات فضلا عن النشطاء السياسيين الذين وبطبيعة الحال حملت كلمات الكثير من المشاركين منهم عبارات المدح والإشادة بالدور الإيراني الذي تلعبه من أجل الحفاظ على الصحوة وفق تصورها وهو الأمر الذي لم يكن ليتحقق بهذه الصورة حتى لو بذلت أضعاف أضغاف ما تنفقه على مثل هذه المؤتمرات من أموال إذ ليست العبرة بكم الأموال ولكن بكيفية الإنفاق.

إذ رغم أن الجماعات والقيادات السنية التي تشارك في المؤتمر هي جماعات هامشية لا تأثير حقيقيا لها على أرض الدعوة الإسلامية، إلا أن إيران تدرك أهمية الصدى الإعلامي مع الزمن لهذا الشعار «مؤتمر الصحوة الإسلامية».

وتأتي أهمية مؤتمر الصحوة الإسلامية السادس الذي عقد في العاصمة الإيرانية «طهران» يومي الحادي عشر والثاني عشر من مارس ٢٠١٤م تحت عنوان «الدور العالمي الإسلامي في هندسة القوى العالمية» كونه المؤتمر الأول الذي يأتي بعد التطورات الشديدة التي شهدتها المنطقة العربية مؤخرا والتي كان أبرزها إسقاط الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي فضلا عن بعض الخطوات والقرارات السياسية التي صدرت في كل من مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين والمتعلقة ببعض الحركات والجماعات الإسلامية داخل هذه البلدان وخارجها، إذ جاء هذا المؤتمر وبعيدا عن تقييم المواقف السياسية لهذه البلدان وكأنه ردة فعل على بعض هذه المواقف التي تحسن إيران دائما لعبه استغلالها والاستفادة منها بما يحقق مصالحها

كمرشحات ولم يستطعن خوض معركة الانتخابات كمستقلات فلماذا لا يتدارسن بصدق أسباب هذا الفشل وإن كانت العقبة التي تواجههن هي تلك الثقافة السائدة التي يطلقن عليها ثقافة ذكورية، تلك الثقافة التي تمنعهن حتى أصوات النساء فلماذا لا يبذلن الجهد في الحوار حتى يتم تغيير هذه الثقافة ويخلقن وعيا مجتمعيًا جديدا يقبل بوجودهن في السلطة بدلا من تكريس الديكتاتورية والسلطة الفوقية التي تفرض النساء في البرلمان رغم أنف الشعب، أليس في الأمر تناقض مزعج أو مضحك^(١)!

إنها أحد أهم معارك النسويات في مصر الوصول لدائرة صنع القرار السياسي والذي يمثل التحدي الأكبر للحركة خاصة بعد ثورة يناير وضياح مكتسب الكوطة الذي تم التفضل به عليهن من نظام فاسد وديكتاتوري وقمعي وهكذا هم دائما يسيرون في ركاب السلطة بعيدا عن الإيمان بمبدأ ثابت وإنما هي البرجماتية المطلقة، فهل تنجح تلك الأساليب الملتوية في فرض أجندتهن وهل سيصمدن في معركة عض الأصابع؟ وللحديث بقية.

مؤتمر الصحوة السادس...

متى يرى الآخرون ما تحت القناع؟

أسامة الهتمي^(٢) - خاص بالرائد

يبدو أن الحديث عن الصحوة الإسلامية قد راق للدولة الإيرانية الخمينية فما هي تستضيف بين الحين والآخر مؤتمرات تدعو إليها المئات أو العشرات من بلدان عربية وإسلامية بعدما وجدت أنه يحقق لها الكثير مما كان يصعب عليها تحقيقه قبل أن يتفقق ذهن القائمين على الملحقيات

(١) للمزيد عن نظام الكوطة، مقال: مراجعة كوطة المرأة وإفلاس الفكر النسائي، لكاتبة هذه السطور على شبكة الانترنت.
(٢) كاتب مصري.

الخاصة ولو بشكل مرحلي وبطيء، فهي بهذا المؤتمر تحاول مجددا لفت انتباه الكثيرين باعتبارها الحاضن الأمين لجماعات الصحوة الإسلامية السنية منها والشيعة.

كما يأتي هذا المؤتمر بعد أسابيع من نجاح الدولة الخمينية في إقناع الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية بالدخول معها في لعبة التفاوض والحوار فيما يخص برنامجها النووي ومن ثم التراجع عن فكرة توجيه ضربة عسكرية في مقابل أن تقدم إيران كافة الضمانات للتأكيد على سلمية هذا البرنامج وهو الأمر الذي ربما يتنافى إلى حد كبير مع اللغة العنصرية التي طالما تشدق بها قادة إيران السياسيون وعلى رأسهم الرئيس السابق أحمد نجاد الذي ردد كثيرا وخلال كلمات سابقة بأحد مؤتمرات الصحوة بأن أمريكا ستنتهي وهو ما يوجب على الإدارة الإيرانية أن تتواصل مع المتعاطفين معها من المشاركين في مؤتمرات الصحوة لكي توضح وتفسر الموقف السياسي الجديد فضلا عن محاولتها أن تظهر للعالم الإسلامي أن علاقاتها وانفتاحها الوشيك مع العالم الغربي هو في إطار تمثيلها للقوى الإسلامية وتأثيرها على صنع القرار الدولي وأن سياسة الجمهورية الإسلامية ساهمت في تحقيق توازن بين القوى الدولية.

ولا تغفل إيران مطلقا عن طرح قضية الفتن الطائفية والمذهبية في كل مؤتمراتها لتبدو وكأنها الدولة الإسلامية التي تحرص على لمّ شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وهو ما أشار إليه مستشار قائد الثورة الإسلامية والأمين العام لمجمع الصحوة الإسلامية علي أكبر ولايتي حيث شدد على ضرورة الوحدة بين المسلمين ونبذ الفرقة والاختلاف وفضح مؤامرات الأعداء مشيرا إلى مساع لإذكاء الفتن الطائفية والمذهبية.

ويعجب المرء أيما عجب من هذا السلوك الإيراني البرجماتي الذي لا يحتوي على الحد الأدنى من الحياء إذ وفيما يخص الجانب الأول

كيف لإيران أن تواصل ادعاءها بالحديث عن تبنيتها للصحوة الإسلامية وترديدها بأن ربيع الثورات العربي إنما يستمد زخمه من تجربتها الثورية مستلهما أحداث الثورة الخمينية عام ١٩٧٩م وبأن هذا الربيع الثوري إسلامي في الوقت الذي لم يعد خافيا على أحد ذلك الدور الإيراني الذي لعبته طهران في إضعاف الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي والمنتمي تنظيما إلى جماعة الإخوان المسلمين التي كانت وربما حتى اللحظة تعد أهم فصيل إسلامي يدعو للتقارب مع الدولة الإيرانية وذلك عبر دعمها لبعض الحركات والفصائل السياسية المختلفة مع مرسي وتمردت عليه والتي لم تكن - بكل أسف - ضمن صفوف الحركة الإسلامية على المستوى الفكري فهي وكما يعلم الجميع هي حركات ناصرية وقومية؛ وأيضا عدوانها السافر على الثورة السورية بدعم نظام بشار بالرجال والسلاح والمال.

لكن يبدو أن إيران تدرك جيدا أنه وكالعادة فإن العالم العربي بحركاته الإسلامية السياسية منها والدعوية ما زال مصابا بمرض سرعة النسيان إذ وعلى الرغم مما ارتكبه الدولة الإيرانية بحق بعض أعضاء الجماعة الإسلامية المصرية والجهاديين الذين لجأوا لها زمن صراعهم مع الرئيس المصري المخلوع محمد حسني مبارك وبعد أن استخدمتهم كأحد أوراق الضغط عليه وتشويه صورته خارج البلاد سرعان ما أطاحت بهم وعرضتهم للكثير من الانتهاكات متمثلة في الاعتقالات والطرود وأشكال أخرى كنا قد أشرنا إليها في مقال سابق والتي بات يعرفها القاصي والداني .. نقول إنه وعلى الرغم من ذلك إلا أن إيران استطاعت أن تواصل خداعها للكثير من الأطراف الإسلامية مصورة أنها هي حامية حمى الحركة الإسلامية وحاضنة الجميع.

وتدرك طهران كذلك أنه وعلى الرغم من الدور القذر الذي لعبه رجالها في العراق بحق الفلسطينيين هناك حيث تقتيلهم وتشريدهم بلا

رأفة أو رحمة فضلا عن الموقف المتشدد الذي اتخذه الرئيس السوري بشار الأسد الحليف الإستراتيجي لطهران ضد الفلسطينيين في سوريا حيث حملهم مسئولية اندلاع الثورة السورية في بدايتها ، ثم إبادة قواته وميليشيات إيران للفلسطينيين في مخيم اليرموك بالقصف والحصار والتجويع .. على الرغم من ذلك فإن فصائل المقاومة الفلسطينية تواصل ارتباطها بطهران بل وتستبدلها في الكثير من الأحيان بغيرها من البلدان العربية متجاهلة أن الدعم الإيراني لهذه الفصائل لا يتجاوز حد كونه مجرد وسيلة لابتزاز الشعوب العربية والإسلامية.

وينقلنا ذلك بطبيعة الحال إلى تنفيذ الهدف

الثاني الذي تسعى طهران لتحقيقه من مؤتمرها الأخير والمتعلق بالانفتاح عن الغرب كونه محاولة للتأثير على صنع القرار الدولي باعتبارها ممثلا عن العالم الإسلامي وهنا يطرح التساؤل نفسه: من الذي صور لطهران أنها ممثل أو وكيل عن العالم الإسلامي؟ ألا تدرك طهران أنها هي نفسها بسلوكها أحد أهم المشكلات والتحديات التي يعانيها العالم الإسلامي؟

لقد أصبح جليا للجميع أن طبيعة الصراع بين إيران وبين القوى الغربية ليس صراع قيم أو مبادئ بقدر ما هو صراع نفوذ ومصالح ، ولعل النظر العميق في مسار العلاقات الإيرانية - الإسرائيلية طيلة العقود الماضية وحتى اللحظة يكشف لنا عن الكثير من طبيعة هذا الصراع فإيران التي هي الداعم الأقوى والرئيسي لنظام بشار الأسد لم تحث دمشق ولو لمرة واحدة على التحرك ولو لخطوة واحدة لتحرير هضبة الجولان المحتلة منذ ستينيات القرن الميلادي الماضي، وإيران التي هي الممول الرئيسي أيضا لحزب الله اللبناني لم تدفع بالحزب ولو لمرة واحدة إلى أن يقبل في صفوفه مجاهد واحد من أهل السنة بل احتكر الحزب لنفسه ما أسماه بعمليات المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني دون أن يسمح لآخرين من السنة

أو حتى من الشيعة من غير الموالين لطهران بأن يطلقوا ولو رصاصة واحدة باتجاه تل أبيب فالمقاومة ووفق تصور هؤلاء لابد وأن تكون لشيعة إيران والموالين لها في لبنان وغير لبنان ما يعني أمرا واحدا هو أن المقاومة المزعومة ليست إلا جزءا من مخطط يتجاوز حدود الصراع مع الكيان الصهيوني.

أما فيما يتعلق بقضية الفتن الطائفية والمذهبية فإن إيران التي تستضيف مؤتمرات تناهض الفتن المذهبية وتقيم أخرى عن الوحدة الإسلامية والتقارب بين المذاهب أبعد ما تكون عن إثارتها أو التورط في دعمها وإذكائها ومن ثم فإن الآخر - أهل السنة - هو المتهم بارتكاب هذا الجرم وبالتالي فإنه مطالب بأن يتوقف عن معاداته للشيعة الذين يجب أن ينالوا حقوقهم وأن تتاح لهم فرصة التحرك لنشر دعوتهم بين الناس دون عوائق أو تحديات.

ومرة أخرى تراهن إيران على سرعة النسيان وتحاول أن تستغفلنا فننسى ما يحدث لأهل السنة في إيران من أهل منطقة الأحواز الذين يعانون الويلات من قتل واعتقالات بلا محاكمات ليس إلا لأنهم أصروا على أن يواصلوا الدفاع عن حقوقهم في ممارسة تعاليم دينهم وفق اعتقاد أهل السنة.

والأعجب أنه وعلى الرغم من كل هذه الضجة التي أثيرت حول ما يعانيه أهل هذه المنطقة من السنة في إيران إلا أن الدولة الخمينية لم تجرؤ ولو لمرة واحدة على أن تسمح لأي وفد من الوفود التي تدعوها سواء للمشاركة في أحد مؤتمراتها الكثيرة أو تلك الوفود التي تقوم بزيارات سياحية للتعرف على إيران وثقافتها بأن يقوم هذا الوفد أو ذاك بزيارة خاصة لمنطقة الأحواز واللقاء بقيادات سكانها للتعرف على مطالبهم أو مشكلاتهم الحقيقية وما يتعرضون له من انتهاكات على يد السلطات الإيرانية ذلك لأنها تريد أن تظل الدولة المدافعة عن حقوق المسلمين الراضة للفتن المذهبية والطائفية الداعمة للمقاومة

ضد الإمبريالية الغربية والصهيونية دون أن تكشف عن وجهها الحقيقي الذي هو ليس إلا أسد مفترس على المسلمين من أهل السنة.

ولا يفوتنا أيضا أن نتوجه بالحديث المباشر

لمستشار قائد الثورة الإسلامية الذي كان حريصا على التأكيد على وحدة المسلمين ونبذ الفتنة المذهبية سائلين إياه: هل من الوحدة دعم إيران للحرب الدائرة في اليمن وهل من الوحدة الاستمرار في إثارة الفتنة المذهبية في العديد من البلدان الخليجية وهل من الوحدة استمرار احتلال الجزر الإماراتية الثلاث والادعاء بأن البحرين محافظّة إيرانية فضلا عن دعم الميليشيات المسلحة في العراق وقتل الناس على الهوية.

على كل فقد عقد المؤتمر السادس للصحو

لكنه هذه المرة لم يصاحبه ذلك الزخم الإعلامي الذي كان يحظى به المؤتمر في المرات السابقة وهو ما يشير بقوة إلى أن المسألة باتت مكشوفة لدى الكثيرين وربما أدركت أيضا إيران أنه وفي ظل هذه الأجواء لن يكون للمؤتمر جدواه السابقة.

السلفيون في جنوب السودان...

الواقع والمستقبل

محمد خليفة صديق^(*) - خاص بالرائد

مقدمة:

يظن كثير من الناس أن جنوب السودان تغلب فيه الطوائف النصرانية منذ القدم، وهذا ظن خاطئ، فالجنوب السوداني لم تكن فيه حتى عام ١٨٩٨م ديانات، إلا الإسلام والديانات التقليدية الوثنية، فالجنوب لم يشهد أي حركة تنصير منظمة قبل وصول الاحتلال الإنجليزي للسودان، وكذلك لم يشهد حركة دعوية نشطة قبل أو بعد الاحتلال، على الرغم من أن أفراداً من بعض

(*) كاتب سوداني.

القبائل الرئيسية الجنوبية اعتنقوا الإسلام، وخاصة أثناء الحركة المهدية بالسودان في خواتيم القرن التاسع عشر الميلادي.

وكان الاحتلال الإنجليزي للسودان يعد العدة لفصل الجنوب نهائياً وضمه لشرق أفريقيا، ثم عدل عن ذلك ورأوا أن يسمحوا له بالتطور في اتجاه حضاري مباين للكيان الإسلامي العربي الذي عليه شمال السودان ليصبح وسيلة من وسائل التحكم في مسيرة الشمال نفسها، وهو ما حدث بالفعل، وانتهى للانفصال الماثل حالياً، وقيام دولة جنوب السودان.

والإسلام في جنوب السودان قديم وله جذور، بل يرى البعض أن دخول الإسلام للجنوب قد سبق الشمال نفسه، حيث جاء من الساحل الأفريقي الشرقي، كما أن الإحصاءات الكنسية نفسها عام ١٩٨٢م تقول إن نسبة المسلمين تصل إلى ١٨ ٪، وأن ١٧ ٪ فقط من السكان من النصارى، أما البقية ٦٥ ٪، فهم لا يزالون وثنيين.

نرجو من خلال هذا البحث أن نناقش الوجود السلفي في جنوب السودان من عدة محاور ومنطلقات، تبدأ بنشأة وبروز الوجود السلفي في جنوب السودان، والانتشار الجغرافي والقبلي له، كما يناقش البحث الخصوصية الفكرية للسلفيين في الجنوب، وبعض ممارساتهم العملية، بجانب آثار السلفية في الحياة الفكرية والسياسية، وما يمكن أن تقوم به في مستقبل الفكر والسياسة في المجتمع الجنوبي، وتحديات تواجه الدعوة السلفية وعقبات الانتشار، ومواقف السلفيين الجنوبيين ومشاركتهم في العمل العام، ومستقبلهم في ظل دولة الجنوب الناشئة.

الوجود السلفي بين السودان وجنوب السودان:

عُرف جنوب السودان الفكرة السلفية في وقت مبكر، رغم أن أهل الاختصاص اختلفوا في تحديد بدء دخول السلفية إلى جنوب السودان، والذي أدخلها، لكن الراجح أنها كانت في بداية

منافساً لرئيس لجنة الانتخابات بالحزب الشيوعي السوداني عز الدين علي عامر، ومرشح الجبهة الإسلامية القومية اللواء طيار الفاتح عابدون، وهي الدائرة التي تمتد من مناطق الخرطوم (٢ و٣)، السجانة وحتى المقرن وجزيرة توتي.

وقد حظي ترشيح د. يونس بول دي مانيال، وهو من الشخصيات الجنوبية الكبيرة، بقبول واسع، عدا منافسيه في الدائرة بالطبع، ويعتقد لصيقون بالجماعة أن ما حدث فيما بعد من ترشيح ليونس لرئاسة جماعة أنصار السنة نفسها، فستكون هي المرة الأولى التي يتراأس فيها شخص جنوبي جماعة كبيرة بحجم أنصار السنة، وسيكون أمراً جديداً حال وقوعه وله أثره في دعم أنصار السنة لوحدة السودان وللمجتمع السوداني عامة، ويؤكد مراقبون أن د. يونس شخصية مؤهلة تماماً للقيام بهذا الدور، بل ويستطيع - إن حدث وأصبح رئيساً - أن ينهض بالجماعة في جنوب السودان وفي أفريقيا، لتمكنه من مخاطبة كل مجموعة قبلية بالجنوب بلغتها وقد كانت له دروس في عدد من أسواق مدن جنوب السودان بلغات الجنوبيين المحلية، بجانب إجادته اللغتين الإنجليزية والعربية^(٣).

قدمت جماعة أنصار السنة مرشحها الأوحيد في انتخابات ١٩٨٦م الجنوبي السلفي يونس بول دي مانيال لانتخابات الجمعية التأسيسية (البرلمان السوداني) عن الدائرة ٢٢ الخرطوم الثانية، وكان النزال والتنافس في هذه الدائرة أكثر سخونة وشراسة من دائرة (جبرة - الصحافة) التي نزل فيها زعيم الجبهة الإسلامية القومية الدكتور حسن الترابي ضد قوى التجمع بقيادة حسن شبو، وكان أن خسرت أنصار السنة الدائرة الوحيدة لها، لإصرار الجبهة الإسلامية القومية على نزول مرشح

السستينيات من القرن الماضي، وهي ترتبط فكرياً مع جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، أقدم جماعة سلفية سودانية، والتي تعترف بحسب د. إسماعيل عثمان، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، أن لجماعته انتشاراً في دولة جنوب السودان في مقاطعة أعالي النيل في مدينة ملكال وفي مقاطعة الاستوائية في جوبا عاصمة دولة جنوب السودان بصورة خاصة^(١).

وقد تأثر الوجود السلفي في جنوب السودان بجماعة أنصار السنة المحمدية تأثراً ملحوظاً، بل إن اسم الجماعة السلفية هو نفس الاسم في البلدين، والذي تولى رئاسة الجماعة بعد قيام دولة جنوب السودان، كان يشغل منصب أمين أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة بالسودان حتى قبيل الانفصال، وهو الشيخ علي حسن علي زكريا، كما أن كثيراً من جُل قيادات الدعوة السلفية بالجنوب كانوا من أطر جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، ومن قياداتها.

شهدت الانتخابات النيابية في السودان عام ١٩٨٦م، أول ظهور إعلامي للسلفيين من جنوب السودان، حيث قدمت جماعة أنصار السنة مُرشحها د. يونس بول دي مانيال^(٢) لانتخابات الجمعية التأسيسية عن الدائرة ٢٢ الخرطوم الثانية

(١) حوار مع د. إسماعيل عثمان الماحي الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، على موقع المشكاة، على الرابط:

<http://www.meshkat.net> بتاريخ: ٢٦/٧/٢٠٠٩م.

(٢) د. يونس بول دي مانيال من الشخصيات الجنوبية الكبيرة، انتمى باكراً لجماعة أنصار السنة، يحمل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية، ونائب عميد كلية العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية بجامعة الزعيم الأزهرى بالسودان سابقاً، عمل من قبل نائباً لوالي أعالي النيل ووزيراً للشئون الهندسية، ثم وزيراً للشئون الاجتماعية هناك، كما عمل ملحقاً إعلامياً في سفارة السودان ببرلين، ويحمل دي مانيال تاريخاً جيداً في نشر الدعوة خاصة في الجنوب، وعمل أميناً سياسياً لجماعة أنصار السنة وكان ضمن المرشحين لخلافة الشيخ محمد هاشم الهدية في رئاسة الجماعة، يُعد هو الأب الروحي والأمين العام للرابطة الإسلامية لجنوب السودان، أول جسم رسمي للسلفيين بالجنوب والتي أنشئت عام ١٩٨٥م، وكان مقرها بأم درمان، حي العرضة، يعمل حالياً أستاذاً جامعياً بجامعة أعالي النيل بدولة جنوب السودان.

(٣) عوض جاد السيد، أنصار السنة الوفاق يظل الجميع، مقال موجود على الرابط:

<http://www.alhadag.com/reports1.php?id=2353>

نشأة العمل السلفي في جنوب السودان

وتطوره:

يرى البعض أن الوجود السلفي في جنوب السودان كان على يد الشيخ علي الجاك عام ١٩٦٠م، وهو من قبيلة الدينكا بحر الغزال، ومن منطقة مكير، ثم تحولت أسرته إلى الميرم بجنوب كردفان عند اشتداد الحرب^(٣).

ويرى آخرون أن أول ظهور للسلفية بالجنوب كان مع وصول الشيخ علي التوم وكير إلى الجنوب في عام ١٩٧١م، ويُعد هو أول من أعلن دعوة التوحيد في مسجد ملكال عاصمة ولاية أعالي النيل، وكان الشيخ علي التوم رحمه الله يعمل معلماً بمعهد تدريب المعلمين، وكان صهره محمد الجابر من كبار رجال المال بملكال مما كان سبباً في بسط الحماية له من المتصوفة الذين كانوا يسيطرون على النشاط الإسلامي في المدينة.

أما أول ظهور منظم للسلفيين في الجنوب فقد كان بمدينة ملكال أيضاً في عام ١٩٨٠م، بتدشين تنظيم تحت اسم جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان أول أمير للجماعة آنذاك هو الشيخ علي حسن علي ونائبه الشيخ عبد الله أديانق فكوان^(٤)، وكان علي حسن حينها يعمل موظفاً بمشروع تنمية قناة جونقلي، أميناً للمخازن، وكان راتبه مجزياً مكنه من المساعدة في دعم العمل الدعوي، كما هو حال الدعوة في بداياتها، حيث كانت تعتمد فقط على جهود المنضوين تحت لوائها.

وقد وجد بعض الطلاب الجنوبيين دعوة أنصار السنة ممن سبقهم في الدعوة السلفية في مدرسة مدينة الكاملين الثانوية بوسط السودان في السبعينيات، يقول د. يونس بول: «كان هناك جنوبيون موجودون في الشمال ودخلوا أنصار السنة

لها بهذه الدائرة، وهو اللواء طيار الفاتح عبدون، فكسب الجولة مرشح الحزب الشيوعي السوداني عز الدين علي عامر، حيث تفرقت أصوات الإسلاميين بين مرشح الجبهة الإسلامية القومية وجماعة أنصار السنة المحمدية^(١).

ولجماعة أنصار السنة أصول فكرية، هي نفسها الأصول الفكرية لسلفيي جنوب السودان، أبرزها أن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح وأن الإسلام دين ودولة، وعبادة وحكم وأنه صالح لكل زمان ومكان، وجاء في لائحة الجماعة فيما يتعلق بالأهداف العامة واستراتيجية العمل على توثيق روابط الإخاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى، والتعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامي، والدعوة إلى التوحيد الخالص المظهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ، حباً صحيحاً صادقاً يتمثل في الاقتداء به واتخاذ أسوة حسنة.

من أبرز جهود أنصار السنة التي تهمنا في هذا البحث، هي مساندة الجماعة للتيار السلفي في جنوب السودان ومساعي نشر عقيدة التوحيد في الجنوب، حيث ساندت الجماعة قيام الرابطة الإسلامية لجنوب السودان، لتكون كياناً ناطقاً باسم السلفيين في الجنوب، وقد كانت الرابطة تحت إشراف الشيخ محمد هاشم الهدية الرئيس الأسبق للجماعة، وكان هو مستشارها، بينما تولى منصب الأمين العام فيها د. يونس بول دي مانيال، واستطاعت أن تقوم بجهود مقدرّة في نشر الدعوة بالجنوب^(٢)، كما سنرى لاحقاً.

(١) أنصار السنة .. الانتخابات ولجنة الانشقاقات، مقال موجود على الرابط:

http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=3674:2009-06-12-07-44-24&catid=34:2008-05-19-17-14-27&Itemid=55

(٢) أحمد محمد الطاهر، جماعة أنصار السنة المحمدية، نشأتها، أهدافها، منهجها، جهودها، ط ١ (الرياض: دار الفضيلة للنشر،

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص ٤٣٢.

(٣) د. يونس بول دي مانيال، حوار صحفي مع صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٩، بتاريخ: ٢٠١١/٤/٤م.

(٤) مقابلة شخصية مع الشيخ علي حسن علي أمين أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية، بالمركز العام للجماعة بالسجانة، بتاريخ: ٢٠١١/٣/١م.

لرابطة الإسلامية لجنوب السودان: «أسسنا ٨ مساجد موزعة في كل أحياء مدينة ملكال وخلوة مازالت تعمل حالياً في تحفيظ القرآن الكريم، ووجهنا شباب الدعوة بالتركيز على الريف وتوطين الدعوة في القرى، وعدم الاحتكاك مع الكنائس أو ذكرها على المنابر ومشاركة المجتمع في أفراحه وأتراحه، ولا مانع من العمل السياسي مع أي حزب ما لم يؤثر على الدعوة ويكون بصفة فردية. وتوسع عمل الرابطة الإسلامية في مدن الجنوب الأخرى مثل واو وجوبا، لكنه لم ينجح كما نجح في ملكال، لأمر تخص الذين تحملوا أمر الدعوة في تلك الفترة»^(٢).

وبعد هذا العمل الضخم والتوسع المشهود، ظهرت الأطماع والأمور الشخصية مما أثر سلباً على مسيرة الرابطة، وبعد ذلك ونتيجة لبعض الإشكالات خرج بعض ممن كانوا فاعلين داخل الرابطة، وكونوا (الجمعية الخيرية للعمل الإسلامي في جنوب السودان) بولاية أعالي النيل لتظهر واجهة أخرى للسلفيين في جنوب السودان بعد الجسم التاريخي الرابطة الإسلامية لجنوب السودان^(٣).

وقد نشأت جمعيات أخرى تتجهج المنهج السلفي في ولايات الجنوب الأخرى مثل: منظمة الاستوائية الإسلامية لجنوب السودان بكل من الخرطوم وجوبا، ونشأت في عام ٢٠٠٠م المؤسسة الإسلامية الإفريقية، بكل من الخرطوم وجوبا وأويل^(٤)، ومن أبرز قياداتها الشيخ حامدين شاكرين لوال، الأمين العام للزكاة بالجنوب حالياً، وقد ساهمت المؤسسة الإسلامية الإفريقية في التحاق عدد من الطلاب الجنوبيين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لتلقي العلم الشرعي، واهتدى على يد منسوبيها أكثر من

مثل فرج الله مون أمان من أبناء الدينكا، والذي عمل لبعض الوقت وزيراً بولاية البحيرات في حكومة جنوب السودان، وكذلك الشفيق أو كير من أبناء الشلك، وتم تكوين جماعة من الشباب ومن جميع من كان مع الشيخ علي التوم، وتم ضمهم إلى مجموعة الشباب القادمة من مدرسة الكاملين».

ويواصل يونس: «كنا نرتاد المركز العام بالسجانة أسبوعياً، ثم فكرنا في عمل دار في ملكال لكي تتطلق منه الدعوة، وبدأنا بعمل حلقات في المساجد وتم اعتقال بعضنا وتم اتهامنا بالوهابية وبالعلاقة مع ليبيا، وهكذا كانت تلك بداية الحركة السلفية المنظمة والنواة الأولى لها. وفي بداية الثمانينات سعينا للتصديق لمسجد للجماعة بملكال، وفعلنا تم التصديق بموقع استراتيجي يقع بالقرب من مطار ملكال وجامعة أعالي النيل في ضاحية ثورة الملكية، ويُعد هذا المسجد هو أول صرح سلفي في جنوب السودان، وأول إمام له هو الشيخ عبد الله أديانق».

ويواصل يونس قائلاً: «فكرنا في اسم جديد للدعوة تحسباً للظروف، وقد تحدث إشكالات تجاهه في المستقبل، وفعلنا شرعنا في قيام الرابطة الإسلامية لجنوب السودان واقتنع الشباب في أنصار السنة، وتحدثت مع الشيوخ، وبعد جهد وافقوا على قيام الرابطة، ثم بدأنا الإجراءات الطويلة لتسجيل الرابطة والذي حدث بالفعل، ووقع على تسجيلها الرسمي رئيس الوزراء الأسبق الصادق المهدي وفق قانون الهيئات التبشيرية^(١). وكانت رئاسة الرابطة في الخرطوم وتمت إقامة فرع ملكال، وقسمنا المهام بالرابطة وتوسع العمل بالرابطة وازدادت الأنشطة وتنوعت بين بناء المساجد والعمل الدعوي لنشر التوحيد والنهج السلفي بين مواطني الجنوب».

يقول د. يونس بول الأمين العام والمؤسس

(١) مقابلة شخصية مع د. يونس بول دي مانيال، بمكتبه بأم درمان، بتاريخ: ٢٠١١/٣/٢٠م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) محمد كوال، توطين وتمكين الدعوة في جنوب السودان، ورقة قدمت في مؤتمر الولايات الجنوبية الأول، أقامته أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، ١١، ١٢ ديسمبر ٢٠١٠م.

ألف من الجنوبيين، وفتحت عدداً من المدارس وخلّوا تحفيظ القرآن الكريم، بجانب أعمال كفالة الأيتام بدعم من المحسنين من السودان ودول الخليج سيما السعودية وقطر والبحرين^(١).

يُلاحظ المتأمل أنه يوجد بعض التنسيق والتكامل والتخصصية بين هذه المنظمات السلفية بالجنوب؛ حيث تعمل كل واحدة في مقاطعة جنوبية بعينها، وتراعي الخصوصية اللغوية والإثنية للمقاطعة المعينة، وبعد قيام جماعة أنصار السنة المحمدية بدولة جنوب السودان وتصديقها رسمياً من قبل حكومة الجنوب، ينتظر أن تكون هذه الجماعة هي الأم لهذه الجمعيات والمنظمات السلفية، فهي أقدر على تنفيذ المشروع الإسلامي على الوجه الصحيح من ناحية المعتقد والمنهج، ولا بد من تنشيط التنسيق وتبادل المنافع والرؤى وتكاملها تحت جماعة أنصار السنة، الوجه السلفي الأول بجنوب السودان^(٢).

الانتشار الجغرافي والقبلي للتيار السلفي

بجنوب السودان:

بعد انفصال جنوب السودان رسمياً، وقيام دولة جنوب السودان كدولة مستقلة، معترف بها عالمياً، تحرك السلفيون هناك لضمان وجودهم ضمن منظومة الدولة الجديدة رسمياً، حيث تقدموا رسمياً لتسجيل جماعة أنصار السنة المحمدية بجنوب السودان، لتضم كل السلفيين بالجنوب، وتم التسجيل رسمياً للجماعة في عام ٢٠١١م، في وزارتي شؤون الأديان، والعدل والشؤون القانونية، وتم اختيار الشيخ علي حسن زكريا رئيساً للجماعة.

كما احتفظ السلفيون بعلاقتهم بالمجلس الإسلامي لجنوب السودان وهو الجسم الرسمي للمسلمين بالجنوب، ويحظى برعاية رئيس الدولة، ويتولى منصب الأمين العام فيه الفريق الطاهر بيور، ومن أبرز القيادات السلفية الجنوبية بهذا المجلس

الشيخ عبد الله أديانق، أمين الفتوى بالمجلس، والشيخ حامدين شاكرين لوال، أمين الزكاة. ولو نظرنا للتاريخ، فإن أول نشاط سلفي منظم بجنوب السودان كان بمدينة ملكال، وتطور العمل وتوسع حتى تمكن أنصار السنة بالجنوب من بناء مؤسسات إسلامية ودعوية بولاية أعالي النيل، تشتمل على عشرة مساجد، ودار لأنصار السنة، مبني بالمواد المحلية وبنائه قديم، ومركز تحفيظ القرآن مشيد من المواد المحلية، وهذا المركز يجد دعماً من الحركة الإسلامية، وكذلك لشيخ الخلوة.

كما يوجد بعض الأفراد في بقية المدن الجنوبية الكبيرة مثل واو، عاصمة بحر الغزال، وجوبا عاصمة الجنوب، وهم عبارة عن تجار، كما دخل جوبا بعض السلفيين من دولة يوغندا والصومال، وجلبهم من التجار أو عمّال، وفي عام ٢٠٠٥م تقريباً دخل أنصار السنة مدينة جوبا كتتظيم في عاصمة الولاية الاستوائية، وفي عام ٢٠٠٧م، دخلت السلفية مدينة واو، عاصمة ولاية بحر الغزال كتتظيم، وأول أمير للجماعة كان إسماعيل تركي عامر، ويتواجد السلفيون كذلك في مدينة الرنك، وأول أمين للجماعة هناك وللرابطة الإسلامية لجنوب السودان هو الشيخ ياسر دوافول يار، وهو الذي بنى مسجد جمعية الكتاب والسنة ودافع عنه من الصوفية بمدارسهم المختلفة في المنطقة^(٣).

أما الوجود السلفي على مستوى القبائل بالجنوب، فأولى القبائل التي دخلها المنهج السلفي هي قبيلة الشلك لأن أول الدعاة كانوا من هذه القبيلة، ومنهم د. يونس بول دي مانيال، والشيخ عبد الله أديانق وعلي حسن علي وعبد الله أكوج^(٤)، ويعتقد البعض أن الشيخ علي الجاك هو أول من أدخل السلفية لجنوب سنة ١٩٦٠م، وهو من قبيلة الدينكا بحر الغزال ومن منطقة مكيرثم

(٣) مقابلة شخصية مع الشيخ علي حسن علي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بجنوب السودان، بالخرطوم، بتاريخ: ٢٠١١/٣/١م.
(٤) المرجع السابق.

(١) حوار مع الشيخ حامدين شاكرين لوال، صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٥، بتاريخ: ٧ مارس ٢٠١٣م.
(٢) المرجع السابق.

الداعية والتصاقهم به^(٢).

وهناك بعض الأمور السلبية في مجتمع جنوب السودان مثل انتشار الوثنية ووجود معبودات كثيرة من دون الله تعالى وانتشار النصرانية وسرعة انتقال العادات والثقافات الوافدة مثل التعري ومظاهر الفوضى وانتشار أماكن اللهو البريء وغير البريء وشرب الخمر، وعدم الاهتمام بالتربية والتعليم والتعصب القبلي والنزاعات القبلية والصراع على السلطة وعدم الاهتمام بالخدمات الأساسية من صحة وبيئة وغيرها.

وقد بدأ السلفيون من أبناء الجنوب أمر الدعوة للتوحيد والمنهج السلفي وسط أهلهم، بعد التعرف على واقع جنوب السودان ومشكلاته وتعليماته وظروفه الاجتماعية والسياسية، باعتبارها لا تقل أهمية عن التعرف على الدعوة نفسها، ولأن معرفة هذه الأمور مما يعين الدعاة والقائمين على أمر الدعوة على التخطيط السليم الصحيح، وتعين على العمل بصورة مرتبة، حيث عمد بعض المهتمين بأمر الدعوة إلى انتهاج ترتيب العمل وفق تقارير مسبقة وخطط دعوية توضح حاجة المناطق والقبائل، وحجم حاجة كل قبيلة إلى الدعوة، ومعرفة خصائص كل قبيلة، واستثمار هذه الخصائص والصفات الحميدة في خدمة ومصلحة الدعوة وفي المقابل معرفة الخصال السيئة والسعي لوضع أسس تعين على كيفية معالجتها^(٣).

يشير الشيخ علي حسن علي إلى أن كثيرا ممن تعرفوا على منهج الدعوة السلفية قالوا لهم: لو سبق هذا الوجود السلفي التيارات الإسلامية الأخرى لدخل الجنوبيون أفواجا في دعوة أنصار السنة، نسبة لوضوحها ومطابقتها لحاجات الواقع الجنوبي، كما أن المسؤولين فيها هم من أبنائنا مما

تحولت أسرته إلى الميرم عند اشتداد الحرب، وعموماً انتشر الفكر السلفي لجماعة أنصار السنة المحمدية وسط قبائل الجنوب مثل الدينكا ومن أبرز رموزهم: فرج الله مون أمان، والنوير وقبائل أخرى وحتى بعض الشماليين عرفوا الدعوة السلفية من الجنوب^(١).

كذلك دخلت فيه من قبائل الاستوائية الفوجولو والباريا، ومن قبائل بحر الغزال (الدينكا وكريش من منطقة راجا)، وازداد انتشار الوجود السلفي في وسط القبائل الجنوبية عندما نشأت الرابطة الإسلامية لجنوب السودان تحت قيادة الدكتور يونس دي مانيال عام ١٩٨٥م، وكان مقرها الرئيس بأم درمان، حي العرضة، وكانت حرب الجنوب في أشدها في ذلك الوقت، فدخل دار الرابطة قبائل شتى من أبناء الجنوب، لكن تظل قبيلة الشلك هي أكثر القبائل التي دخلت في الدعوة السلفية تليها قبيلة الدينكا.

مجتمع جنوب السودان واستقباله للسلفية:

المجتمع في جنوب السودان فيه الكثير من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، ومنها: الصدق والأمانة والكرم والشجاعة والتعاون والدفاع عن الغريب والدفاع عن العرض، حيث يعتبر أفراد العائلة من الأقرباء وكل بناتهم في مصاف أخواتهم ومحارمهم ولا يجوز التزوج بهن، ولا يرضى الفرد أيًا من أنواع الفوضى معهن، ويعتبر الزواج مظهرا من مظاهر الفخر وتحمل المسؤولية وبناء الأسرة، ومن الأخلاق الفاضلة في المجتمع الجنوبي الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة لاسيما لأنسابهم فهم يحترمون الأصهار احتراماً شديداً ولا يقبلون أي استفزاز لأصهارهم، يقول عبد الله برج: «نحن كدعاة في الجنوب بحاجة إلى معرفة إيجابيات مجتمعنا حتى نبرزها عند دعوتنا للناس، لتكون من أسباب قبول الدعوة واقتراب المدعوين من

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبد الله برج، فقه الواقع للدعوة في جنوب السودان، ورقة قدمت في مؤتمر الولايات الجنوبية الأول، أقامته أمانة الجنوب لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، ١١ ديسمبر ٢٠١٠م.

(١) د. يونس بول دي مانيال، حوار صحفي مع صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٩، بتاريخ: ٢٠١١/٤/٤م.

يسهل عملية التواصل والإقناع، ويقول كذلك: «نحن نقدم الدعوة للتوحيد لأهلنا من خلال عقائدهم، فمعرفتنا لعقائد أهلنا سهل لنا تقديم الدعوة»^(١)، وتميز استقبال الجنوبيين للدعوة السلفية بشيء غريب وهو أن الدعوة وجدت حماية من الناس ولو لم ينتموا لها كما ذكر لي د. يونس بول في حوار معه.

وقد لاحظ السلفيون في جنوب السودان أن المجتمع يقبل الدعوة من الذي لا ينسلخ من مجتمعه، في حين ينبذ من انسلخ من مجتمعه، وغير اسمه ولفظ تقاليد أهله جملة، فكان أن انتهج الكثير منهم منهج عدم الانفصال عن الأهل، والاحتفاظ بالأسماء القديمة كما هي، مما ساهم في تقبل الكثيرين للدعوة التي لا تجعل صاحبها منبئاً عن أهله وهويته، مع تركيزهم على أن هذا الإسلام هو إسلامنا نحن، وليس إسلام شمال السودان أو غيره.

خصوصية سلفي جنوب السودان عن نظرائهم في الشمال:

رغم الاتفاق على الأصول إلا أن سلفي جنوب السودان كانت لهم خصوصية في بعض القضايا مثل العلاقة مع غير المسلمين، حيث أن البيت الجنوبي الواحد توجد فيه عدة أديان، فكانت فلسفة أنصار السنة من الجنوبيين استعمال ثقافة التسامح في التعامل مع ذلك، إلى جانب أمور فقهية كثيرة مثل عدم اللجوء لتغيير الأسماء بعد الدخول في الإسلام، وعدم الانقطاع عن الأسرة والعشيرة بعد الدخول في المنهج السلفي، وغير ذلك.

وفي مجال الفكر السياسي يلاحظ أن السلفيين في جنوب السودان كانوا متقدمين على الجماعة الأم في الخرطوم، حيث انخرطوا في العمل السياسي العلني في وقت كانت رؤى الجماعة في التعامل مع حكومة الإنقاذ الحالية بالسودان تراوح

مكانها، ولم تحظ الجماعة في تاريخها بمنصب وزير الشؤون الهندسية ومنصب الملحق الإعلامي إلا عبر أنصار السنة بالجنوب.

يقول د. يونس بول: «لا يمكن مقارنة وضع وإشكالات الدعوة السلفية بالجنوب مع نظيرتها في الشمال، لأن السلفية في الجنوب كان ينظر لها على أنها دين جديد، جاء مخالفاً لما اعتاد عليه الناس هناك من تدين، في حين أن السلفية في الشمال توصم بالتشدد، لكن في الجنوب هي دين جديد، كما لا يأخذ السلفيون بالجنوب الدعوة بطريقة (النقل الحرفي) من الشمال، وقد لمس بعض السلفيين من الجنوبيين أن السلفيين في الشمال، يريدون الجنوب أن يكون في نفس خطهم الفكري، وهنا مكن الخطأ لأن ذلك يراد له أن يكون دون مراعاة للواقع السلفي الجنوبي وخصوصيته في مختلف الأصعدة»^(٢).

ومن الخصوصيات التي يختص بها السلفيون في جنوب السودان، وهي تختلف عن نظرائهم في الشمال، أن السلفيين في الجنوب يقدمون الدعوة بلغاتهم المحلية مثل لغة الشلك ولغة الدينكا ولغة النوير، إلى جانب استعمال (عربي جوبا)، واللغة العربية الفصحى لمن يعرفهما، كما تميز السلفيون بالجنوب بالاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم، سيما في المأكل والمشرب والملبس وغيرها، إلا ما كان يخالف صميم الدين، وتركيزهم على الأمر الأهم وهو المعتقد السليم، والاعتراف بتفاوت الناس في العبادات والالتزام بالدين، إذ (لا بد أن نقبل الناس على ما هم عليه) هكذا يقول د. يونس بول^(٣).

ويحتفظ السلفيون في جنوب السودان بعلاقات مميزة ووطيدة مع الزعامات والقيادات التقليدية في الجنوب، ولم يمنع الالتزام بالسلفية من تواصل هذه العلاقات وتعمقها مثل العلاقة مع رث قبيلة الشلك، والذي يعد الزعيم الروحي الأول وملك القبيلة، وقد

(٢) د. يونس بول دي مانيال، حوار صحفي مع صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٩، بتاريخ: ٢٠١١/٤/٤م، ص ١٤.
(٣) المرجع السابق.

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ علي حسن علي، أمين أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية بالخرطوم، بتاريخ: ٢٠١١/٣/١م.

كان د. يونس بول على سبيل المثال ممثلاً لمملكة الشلك في كل شمال السودان في إحدى الفترات، ووصل إلى ذلك المنصب بالانتخاب.

كما يمتاز السلفيون بالجنوب بالتواصل مع معارفهم وأقربائهم من غير المسلمين في مناسباتهم الاجتماعية، ويراعي الجنوبيون - كما أكد د. يونس بول - خصوصية التزام السلفيين، فيهيئون لهم المكان المناسب للجلوس والصلاة وتناول الطعام وغيرها، كما أصبح لهم بذلك تعامل خاص يحترم خصوصية الآخر.

وقد اختط سلفيو جنوب السودان لأنفسهم خطة استراتيجية تقوم على أن كل واحد ممن التزم بالدعوة السلفية يذهب لمنطقته لدعوة أهله بعد أن تعرّف على الدعوة، ويبدأ بأهل بيته، ثم أقاربه ثم الآخرين، إذ أنه لو كان فيه خير فأولى الناس به هم أهلك، كما يتميز السلفيون في الجنوب أنهم يقدمون بضاعتهم بالحسن بلا إجبار لأحد أو قهر على اعتناق الدعوة.

وحول القضايا الشرعية والفكرية ذات الخصوصية للسلفيين الجنوبيين عن التيار السلفي في الشمال يرى علي حسن علي أن الدعوة إلى الله واحدة، ما دمنا نحن البشر من آدم وحواء، لكن هنالك مسائل بسيطة يظهر فيها الاختلاف بين السلفيين في الشمال والجنوب مثل أن الزواج من الأقارب محرم في المجتمع الجنوبي، ونحن نتعامل مع هذا الأمر بما لا يؤثر على دعوتنا، وتربطنا علاقة تنظيمية وروحية بالسلفية في الشمال ممثلة في جماعة أنصار السنة المحمدية، لكن هنالك بعض الاختلاف في النواحي الشكلية مثلاً نحن أنشأنا الرابطة الإسلامية لجنوب السودان، فأصبحت هي الواجهة في الجنوب نسبة لانكماش البعض من اسم جماعة أنصار السنة المحمدية^(١).

يقول د. يونس بول: «أنا من أنصار تعدد التدين

في السودان، وهو يختلف من مكان إلى آخر، يمكن أن يتفق الناس فقط على الأصول الكلية، ولهم أن يختلفوا في الثقافة والمأكول والمشرب والعادات والتقاليد، كنت أرى أن نصيب الناس بالتوحيد ولا سيطرة لنا بعد ذلك على أمورهم الأخرى، ما دامت لا تخالف مجمل الدين، أما أن يكون الناس نسخاً متطابقة في كل شيء، فهذا غير مقبول وغير ممكن»^(٢).

مواقف السلفيين أيام الحرب والسلام:

كان نشاط السلفيين أثناء الحرب بين الشمال والجنوب منحصرًا في العمل الدعوي فقط، وفي حدود دور أنصار السنة ومساجدها وخلاويها، وكانوا بعيدين عن العمل السياسي عندما اندلعت حركة التمرد بقيادة العقيد جون قرنق في ١٩٨٣م، احتاجت الاستخبارات العسكرية لأفراد مسلمين جنوبيين يساعدونها في معرفة المتمردين من المواطن، هذه العملية تحتاج للصدق والبعد من التعصب القبلي، وقد نجح ثلاثة من شباب أنصار السنة من الجنوبيين في القيام بهذا الدور خير قيام، بل فتح هذا الأمر الباب لتجنيد كثير من شباب أنصار السنة، وهذا المنهج ساعد بعد توقيع اتفاقية السلام، فلم يتم تصنيف السلفيين كجهة ذات سمعة سيئة، بل عرف عنهم أنهم أهل دعوة فقط، وخاصة بعد زيارة فضيلة الشيخ محمد هاشم الهدية رئيس جماعة أنصار السنة رحمه الله لنيفاشا ولقاء العقيد جون قرنق، ومشاركته في التوصل لاتفاق السلام الشامل.

ويري د. يونس بول أن الدعوة أيام الحرب كانت في حالة حصار وتضييق، وأن الدعوة تنتشر في أيام السلم وتتوسع في سلاسة ويسر، كما اعتمد السلفيون في الدعوة في أوقات السلام على السلوك، واعتمدوا السلوك القويم كي يجذب الناس تجاه الدعوة ويلجأون لتجسيد قضايا الدين

(٢) مقابلة شخصية مع د. يونس بول دي مانيال، بمكتبه بأم درمان، بتاريخ: ٢٠١١/٣/٢٠م.

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ علي حسن علي، أمين أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية، بالخرطوم، بتاريخ: ٢٠١١/٣/١م.

الكلية في أنفسهم مثل الصدق والأمانة أكثر من الدعوة المباشرة نفسها، ويعتمدون الدعوة الفردية في المناسبات وغيرها.

ويقول: «اعتمدنا استراتيجية العمل في أي فراغات تركها الآخرون، ولكن الشيء المؤسف استيعاب هذه الأمور صعبة جداً، وانتهجنا كذلك البعد من السياسة ومطباتها لصالح الدعوة في وقت البدايات الذي يحتاج للتأسيس والقوة قبل مكابدة أمواج السياسة، وكان هدفنا المواطن العادي والذي يعرف من يساعده ويقدم له الخير، والحمد لله الدعوة في تقدم، وركزنا على أهمية التعليم والدراسة بالمدارس الحكومية ودخول الجامعات، ليقوم كلٌّ بأمر نفسه، ويتأهل بشهادة جامعية، ويحافظ على القرآن لتزكية النفس، وليكون رجلاً حراً ولا يستغله أحد، هذا هو المنهج الذي كنا نسير عليه».

وحول ندرة الكتابة للسلفيين في جنوب السودان على مستوى الكتب والرسائل للدعوة يقول د. يونس بول: «لم نلجأ للكتابة بسبب الأمية المتفشية في جنوب السودان، مما يصعب مهمة الداعية الذي يعتمد على الكتابة كوسيلة للتواصل مع المجتمع الجنوبي»^(١).

ومن الوصايا الدائمة لشباب الدعوة بجنوب السودان هي حفظ القرآن الكريم مع عدم التخلي عن الدراسة الأكاديمية بالمدارس حتى يستطيع أن يتطور ويجد عملاً في المستقبل، ولا يضطر للاستزاق بالقرآن الكريم.

يقول د. يونس بول: «استفدنا من أخطاء غيرنا من الجماعات الإسلامية بجنوب السودان بالابتعاد بالدعوة عن أمواج السياسة ومطباتها، فالدعوة كانت خالصة وليس فيها مطامع دنيوية ولا مناصب، وليس في الدعوة تجمعات صغيرة (شالليات)، وطريقتنا هي الانتشار وليس التجمع في

أماكن محددة، مما ساهم ويساهم في الانتشار الأفقي والرأسي للدعوة في أوقات السلم»^(٢).

موقف السلفيين الجنوبيين من العمل

السياسي والعام:

الوجود السلفي في جنوب السودان تاريخياً لم يكن غائباً عن مجمل الأوضاع التي يتأثر بها المجتمع الجنوبي، فقد كان مشاركاً في هموم المجتمع الجنوبي أثناء الحرب مثل المساهمة في الإغاثة والمساهمة في مجالات التعليم والصحة، كما كان موجوداً على المستوى السياسي ومشاركاً في الحكم، فقد اختير الدكتور يونس بول دي مانيال في منصب وزير الشؤون الهندسية بولاية أعالي النيل، ثم نائباً للوالي ووزيراً للشؤون الاجتماعية بذات الولاية لعدة سنوات، وكان أن عكس - بحسب علي حسن علي - صورة جميلة للمسلم السلفي الجنوبي الملتزم الصادق الأمين المحب للخير لأهله وبلاده، وشهدت فترته كثيراً من الإنجازات^(٣)، كما عمل فرج الله مون أمان أيضاً وزيراً بولاية البحيرات.

يقول د. يونس بول: «استفدت من العمل السياسي في منصب نائب الوالي لولاية أعالي النيل في تقديم الخير لكل المجتمع في الولاية، أما لأنصار السنة فقد استطعت تصديق قطعة أرض في موقع استراتيجي للرابطة بمدينة ملكال».

وفي غياب د. يونس بول عن العمل الدعوي عند اختياره وزيراً قال: «تركهم يعملون للدعوة، وأنا كنت أعمل في العمل السياسي، كان أبو أيوب هو الذي يقود الرابطة وحتى الآن»، نحن مجتمعنا مجتمع تعايش حقيقي بين كل المجتمعات بأي خلفية دينية وسياسية، وهناك قبائل متعددة في الدعوة، وكنت أقول لهم ركزوا على الدعوة وخدمة الناس في القرى دون المدن، بحيث يتم توطين الدعوة هناك، هو التوجه السائد».

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقابلة شخصية مع الشيخ علي حسن علي، أمين أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية، بالخرطوم، بتاريخ: ٢٠١١/٢/١م.

(١) د. يونس بول دي مانيال، حوار صحفي مع صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٩، بتاريخ: ٢٠١١/٤/٤م، ص ١٤.

ويرى أنصار السنة عموماً ضرورة المشاركة في القضايا العامة من أجل تحصيل المصالح ودرء المفسد، وتحقيق التواصل مع أطراف المجتمع والقيام بأعمال البر والإحسان وعون المحتاجين، والمساهمة في درء الكوارث والابتلاءات، ورعاية مصالح الناس واتخاذ الحكمة سبيلاً وطريقاً، والتعاون مع الآخر غير المسلم على البر والتقوى، والسعي لتأليف القلوب واجتماع الكلمة^(١).

وحول المشاركة في العمل السياسي بعد قيام دولة جنوب السودان، فإن أنصار السنة لا يمانعون من ذلك، وفي شتى المجالات، يقول الشيخ حامدين شاكرين: «لا نمانع من المشاركة في العمل السياسي في أي منصب أو عمل سياسي في حكومة الجنوب، بشرط أن يعرض علينا كأفراد ينتمون للتيار السلفي وليس باسم جماعة أنصار السنة، لأنها مسجلة كهيئة دينية وليست حزباً سياسياً»^(٢).

تحديات تواجه السلفية بجنوب السودان:

ويرى سلفيو جنوب السودان أن أبرز عقبات انتشار الدعوة السلفية بالجنوب هي:

١. قلة الدعاة المؤهلين من خريجي الجامعات والمعاهد العليا والمتميزين في مخاطبة المواطن الجنوبي بلغاته المحلية، كما يضطر بعض الدعاة لصعوبة ظروفهم المعيشية للعمل في بعض المهن لمقابلة متطلبات الحياة، وهذا العمل ينعكس سلباً، على تفرغهم لتقديم الدعوة بصورة أكبر.

٢. قوة نشاط الكنيسة لنشر الشبهات ضد الإسلام مستعملة السلطة والمال، وتتجرأ الكنيسة أحياناً على وصف الدعوة السلفية بالإرهاب والتطرف.

٣. قلة الدعم المالي للدعوة والدعاة، وعدم تفريغ الدعاة بما يكفيهم لكي يتولوا أمر الدعوة

(١) د. طارق الهدية، منهج جماعة أنصار السنة في الجنوب، ورقة قدمت في مؤتمر الولايات الجنوبية الأول، أقامته أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، ١١، ١٢ ديسمبر ٢٠١٠م.

(٢) مقابلة مع الشيخ حامدين شاكرين لوال، بالخرطوم بحري، بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠١٢م.

كاملاً، وذلك منذ بداية الدعوة وحتى الآن.

٤. قلة التعاون والتنسيق بين السلفيين والتيارات الإسلامية الأخرى، لأن التيارات الإسلامية الأخرى تنظر لأنصار السنة بالجنوب على أنهم منافس قوي لهم، ولكن أنصار السنة - حسب علي حسن علي - لا يبادلونهم العداوة رغم قوة الدعوة السلفية وانتشارها الكبير بولايات الجنوب.

٥. عدم وجود دور بولايات الجنوب ومدنه الكبرى سيما (واو، جوبا، أويل، راجا)، تنطلق منها الدعوة في أنحاء الجنوب.

٦. تأثير بعض الجهات على الشباب المنضوين حديثاً للدعوة السلفية عن طريق المال والسلطة، من أجل تخليهم عن منهج الدعوة السلفية.

٧. الوضع السياسي المضطرب والمتقلب الذي لا يبدو فيه التعاون مع المسلمين ولا يوجد الجسم القوي الذي ينظم شئون المسلمين ولا سيما بعد الانفصال.

٨. تجذر القبليّة والتعصب لها يهدد تحرك الدعاة في شتى المناطق.

٩. عدم استتباب الأمن بسبب انتشار الأسلحة في أيادي المواطنين مع تفشي الجهل.

١٠. عدم وجود المرجعية العلمية التي يرجع إليها لحل المشكلات التي تحتاج إلى الاجتهاد.

١١. استمرار وتجدد الخلافات التي أوقعت السلفية بالجنوب والشمال منذ زمن بعيد.

١٢. عدم وجود مؤسسات تعليمية لتربية الأجيال على المنهج السلفي.

ومن أبرز التحديات التي ستواجه الدعوة السلفية في الفترة القادمة بحسب د. يونس بول بدء دخول بعض معتقي فكر السلفية الجهادية التي تكفر المجتمع والدولة، وهي قد تشكل خطورة على الدعوة في المستقبل المنظور، كما يمثل الصراع الذي اندلع أخيراً بين حكومة جنوب السودان، وبين المتمردين برئاسة د. ريك مشار نائب رئيس حكومة الجنوب سابقاً تحدياً كبيراً للمسلمين

لإظهار وجودهم على مستوى المجتمع المدني وتقديم العون والإغاثة لمواطنيهم والسعي لعودة الحياة لطبيعتها هناك.

كما أن السلفيين بالجنوب بحاجة إلى تأهيل دعاة (مستقبل) في جنوب السودان، وتطبيب نفوس الدعاة القدامى بعد تمكن الشعور بالإحباط والإهمال من نفوسهم، بجانب جمع شتات المنظمات والدعاة بالجنوب، وحل بعض الخلافات التي نشأت بين الدعاة ورموز الوجود السلفي بجنوب السودان^(١).

خلاصة حول مستقبل الوجود السلفي بجنوب

السودان:

تحمل وضعية الدعوة السلفية بجنوب السودان بعد إعلان الانفصال في طياتها عدة تساؤلات، ولكن يرى الكثيرون أن لها مستقبلاً واعدة مقارنة بالتيارات الإسلامية الأخرى، لأن لها قوة ذاتية وتأيداً محلياً، كما أنه لا بد للمنتسبين للتيار السلفي هناك من إخلاص النية والتوجه والحرص على هداية الناس والبعد عن الأغراض الدنيوية والمطامع الخاصة لكي تتمكن السلفية من تمكين وجودها في تربة جنوب السودان البكر، ومن ثم يفتح الباب لها جنوباً.

فمن أبرز الملاحظات في هذا البحث أن أهم أسباب قبول الطرح السلفي بجنوب السودان أن الذين يقدمون الدعوة السلفية لأهل الجنوب هم من أبناء الجنوب أنفسهم، وذلك منذ بدء دخول الدعوة السلفية إلى المنطقة، مما سهّل انتشار الدعوة وقبولها، كما أن الدعوة السلفية بنت طرحها على القدوة الحسنة والصدق والعدل والمساواة، وأهل الجنوب يريدون من يطابق قوله فعله.

وتقتضي الحاجة للتأكيد على السماح للإسلام في جنوب السودان أن يعمل باستقلالية تامة، ويجب على مسلمي جنوب السودان عمومًا أن يقوموا

(١) محمد كوال، توطين وتمكين الدعوة في جنوب السودان، ورقة قدمت في مؤتمر الولايات الجنوبية الأول، أقامته أمانة الجنوب بجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، ١١، ١٢ ديسمبر ٢٠١٠م، ص ٦-٧.

بإنشاء منظمات محلية تقوم بتنظيم ممارساتهم الدينية كما بادرت بذلك جماعة أنصار السنة وألا يكونوا عالة على جهة خارجية، وأن يسارع مسلمو وسلفيو جنوب السودان للتواصل العالمي مع الأمة والمجتمع الإسلامي حتى يمكنهم متابعة الأحوال الدولية والأحداث الجارية التي تؤثر على العالم الإسلامي بالحرص والاهتمام اللازم، ولا بد لمسلمي وسلفيي جنوب السودان أن يطوروا العلاقات والروابط مع مسلمي أفريقيا وبصفة خاصة مسلمي يوغندا وكينيا وأثيوبيا وأريتريا وبورندي ورواندا وتشاد وأفريقيا الوسطى، والتي يوجد في بعضها تنظيمات ومنظمات سلفية قديمة ومؤثرة في محيطها المحلي والإقليمي.

مراجع:

- ١- أحمد محمد طاهر، جماعة أنصار السنة المحمدية، نشأتها، أهدافها، منهجها، جهودها، ط (الرياض: دار الفضيلة للنشر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ٢- محمد خليفة صديق، التيار السلفي في جنوب السودان.. النشأة والتحرك، في: الإسلام في دولة جنوب السودان الجذور - الواقع - المستقبل (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، يونيو ٢٠١١م).
- ٣- حوار مع د. إسماعيل عثمان الماحي الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، على موقع المشكاة، على الرابط: <http://www.meshkat.net>، بتاريخ: ٢٦/٧/٢٠٠٩م.
- ٤- عوض جاد السيد، أنصار السنة الوفاق يظل الجميع، مقال موجود على الرابط: <http://www.alhadag.com/reports1.php?id=2353>.
- ٥- د. يونس بول دي مانيال، حوار صحفي مع صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٩، بتاريخ: ٢٠١١/٤/٤م.
- ٦- حوار مع الشيخ حامدين شاكرين لوال، صحيفة المحرر السودانية، العدد ٢٢٥، بتاريخ: ٢٠١٣/٣/٧م.

- ٧- مقابلات شخصية مع عدد من القيادات السلفية بجنوب السودان.
- ٨- أوراق علمية غير منشورة لعدد من القيادات السلفية بجنوب السودان.

إيران وركوب الأمواج العالية:

جنوب إفريقيا نموذجاً

بوزيدي يحيى^(٥) - خاص بالرائد

يتميز النظام الإيراني بقدرته على الحركة السريعة، والنشاط الدبلوماسي المتعدد الاتجاهات. يتجلى ذلك في اقتناص كل الفرص المتاحة أو المحتملة لتعزيز حضوره في المجتمع الدولي، والدفاع عن مصالحه، وتحويل الكثير من القضايا العالمية لما يتماشى مع مراميه، خاصة في ظل علاقته المتوترة مع أهم القوى الدولية ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي.

وأبرز ما قام به في هذا المجال محاولة التوقيع إلى جانب كل تشكيل سياسي مناهض أو منافس لواشنطن، وحتى توطيد العلاقات مع الدول الصغيرة في أميركا اللاتينية وإفريقيا. وبغض النظر عن حجم المكاسب المحصلة من كل تلك النشاطات، فإنها على الأقل توظف لتعزيز شرعية النظام، وتصوير إيران للرأي العام الداخلي بأنها تحظى بقبول في المجتمع الدولي، خاصة عندما تتصدر الواجهة في قضايا عالمية لها تأثيرات إقليمية كبيرة.

وإذا كانت طهران لا تألوا جهداً في إرساء علاقات متينة وقوية مع دول صغيرة جداً فما بالك عندما يتعلق الأمر بقوة إقليمية بحجم جنوب إفريقيا، وموقعها في الساحة الدولية، خاصة في ظل القيمة المضافة التي يمنحها إياها زعيمها العالمي

(♦) كاتب جزائري.

نيلسون مانديلا، حيث سعت إيران بدورها لاستغلال الفرص التي كان من المحتمل أن يتيحها صعود جنوب إفريقيا إقليماً ودولياً لتمير سياساتها هي الأخرى نتيجة سقوط نظام الفصل العنصري هناك، وعودة البلد للعب دور إقليمي قوي وفعال مع منتصف تسعينيات القرن الماضي بعد عقود من المقاطعة الدولية، والذي تزامن مع انهيار الاتحاد السوفياتي. ففيم تتمثل الرؤية الإيرانية للمكاسب التي تمنحها إياها بريتوريا؟

تحولات السياسة الخارجية الجنوب إفريقية

تعتبر جنوب إفريقيا من الدول المحورية في القارة السمراء، وقد اقترن اسمها في هذا العصر برئيسها نيلسون مانديلا الذي توفى في ديسمبر ٢٠١٣، إذ اشتهر بكونه رجل السلام، نظراً لنضاله الطويل في سبيل التحرر من نظام التمييز العنصري طيلة أكثر من ثلاثة عقود، حتى إسقاطه سنة ١٩٩٤، ليرأس زعيم المقاومة بلاده لفترة واحدة ثم يسلم السلطة ويفتح المجال لغيره، وينشط دولياً بتأسيسه سنة ٢٠٠٧ مجلس حكماء العالم (مؤسسة المتنفذين)، الذي ضم أهم الشخصيات الدولية المؤثرة، وذلك من أجل نشر السلام والعدالة والدفاع عن حقوق الإنسان ومكافحة الظلم والفقر والحرب في أنحاء العالم.

وتبعاً لهذا عرفت السياسة الخارجية لجنوب إفريقيا تحولاتاً جذرية حيث حاولت أن تعكس تصوراتها الداخلية خارجياً، ومن أهم المبادئ التي أرساها مانديلا ولا زالت السياسة الخارجية الجنوب إفريقية ملتزمة بها إلى حد كبير، احترام وتعزيز حقوق الإنسان، ودعم السلام الدولي، واعتماد الوسائل السلمية لحل الأزمات.

ومنذ ١٩٩٤، لعبت دوراً متزايداً في القارة الإفريقية وعلى الصعيد العالمي أيضاً. فقد تم انتخابها مرتين عضواً غير دائمين في مجلس الأمن، وهي عضو في مجموعة IBSA (تحالف ثلاثي يضم

المستوى الوزاري أسفرت كلها عن دعم وتعزيز العلاقات التجارية بين البلدين^(٣).

وعلى المستوى الدبلوماسي، كثر الحديث عن تنسيق المواقف في مختلف القضايا الدولية، التي تتقاطع فيها الرؤى، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية التي كان الزعيم الجنوب إفريقي من أشد المناصرين لها، واشتهر بمقولته: «لن تكتمل فرحتي باستقلال جنوب إفريقيا إلا باستقلال فلسطين». بمقابل نقده لإسرائيل بسبب دعمها لنظام الأبارتهايد كما سبق الإشارة، والعلاقات الإسرائيلية الجنوبية إفريقية لا زالت محكومة بإرث تلك المرحلة، فثلاثة رؤساء صعدوا إلى الحكم منذ نهاية الأبارتهايد، لكن أحدا منهم لم يطمح إلى التقرب من إسرائيل. من مانديلا وحتى جيكون زوما، ورغم زيارة مانديلا إلى إسرائيل إلا أنه ظل ينظر للقضية الفلسطينية من نفس الزاوية التي كان ينظر منها لنظام الفصل العنصري، ودعا لاستقلال فلسطين، وإن كان يركز على الوساطة والحلول السلمية^(٤).

وأبرز المواقف التي كشفت التباعد الجنوب الإفريقي الإسرائيلي كانت في غياب المسؤولين الإسرائيليين وبشكل خاص الرئيس شيمون بيريز ورئيس الوزراء بنيامين نتياهو، عن جنازة مانديلا التي حضرها جل زعماء العالم، وبررت السلطات الإسرائيلية ذلك بسبب ارتفاع تكاليف السفر، في حين أن السبب الحقيقي الذي دفع نتياهو إلى إلغاء رحلته هو الموقف السلبي لجنوب إفريقيا من إسرائيل التي لا يحظى زعماءها بترحيب على

جنوب إفريقيا والهند والبرازيل)، وأصبحت مؤخرًا عضوًا في مجموعة دول البريكس^(١)، كما أن دورها في الاتحاد الإفريقي كوسيط ومساهم في قوات حفظ السلام في القارة الأفريقية قد شهد نموًا متزايداً^(٢).

إيران وجنوب إفريقيا:

ما أقدم عليه نظام الثورة سنة ١٩٧٩ من قطع لعلاقات إيران مع نظام الفصل العنصري كان متوقعا لجملة من الأسباب يأتي في مقدمتها المبادئ الجديدة التي أرساها آية الله الخميني كدعم المستضعفين ومواجهة الاستكبار العالمي، وما كان يجري في جنوب إفريقيا من هذه الزاوية يعتبر حرب تحرير يخوضها المستضعفون السود ضد القوى الاستعمارية التي خلفت وراءها أقلية بيضاء متحكمة في كل مقدرات البلاد والجاهة على صدور الأغلبية منذ قرون. ومن جهة أخرى، فإن الكيان الصهيوني كان تقريبا الاستثناء الوحيد في العالم الداعم لنظام الفصل العنصري بمختلف الأشكال السياسية والعسكرية، فضلا عن علاقات الأخير بنظام الشاه حيث كان يزوده بالنفط مقابل اليورانيوم الذي كان يحتاج إليه في برنامجه النووي.

وعقب نجاح حزب المؤتمر الوطني بزعامة نيلسون مانديلا في إسقاط نظام الأبارتهايد، عادت العلاقات بين الطرفين من جديد، حيث أصبحت إيران مزودا رئيسيا لجنوب إفريقيا بالنفط، وشهد عام ١٩٩٦ زيارة الرئيس هاشمي رفسنجاني لجنوب إفريقيا، وبدوره قام مانديلا بزيارة مماثلة لإيران، كما قام الرئيس محمد خاتمي بزيارة هو الآخر سنة ١٩٩٨، وزيارات أخرى بين الطرفين على

(٣) محمد نور الدين عبد المنعم، إطلالة على تاريخ العلاقات الإيرانية الإفريقية، موقع الأهرام اليومي، نقلا عن مختارات إيرانية، ٢٠١١/٠٩/٠١، على الرابط:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=719169&eid=8032>

(٤) عدنان عدوان، إسرائيل وجنوب أفريقيا حلفاء أمس أعداء اليوم، مجلة الوحدة الإسلامية، العدد ١٤٦، السنة الثالثة عشر، ٢٠١٤/٠٢، على الرابط:

<http://www.wahdaislamia.org/issues/146/aadwan.htm>

(١) تضم مجموعة «البريكس» (BRICS) الاقتصاديات الكبرى الناشئة، البرازيل وروسيا والهند والصين، تأسست سنة ٢٠٠٩ بالإضافة إلى جنوب إفريقيا التي انضمت إليها منذ ٢٠١٠، لتفاصيل أكثر أنظر: موقع المعرفة، على الرابط:

<http://www.marefa.org/index.php/%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%B3>

(٢) بين المثالية والسياسة الواقعية لقوة ناشئة السياسة الخارجية لجنوب أفريقيا، open democracy، 04/07/2013.

الملف النووي: الضغوطات فوق المبادئ والمصالح

يأتي الملف النووي في صلب اهتمامات الدبلوماسية الإيرانية حيث حاولت في هذا الجانب استغلال تواجد جنوب إفريقيا في الوكالة الدولية للطاقة الذرية واستخدمت لهذا الغرض حتى الطرق غير المشروعة على غرار منح شركة الاتصالات الجنوب إفريقية mtn رخصة الهاتف الخليوي في إيران مقابل ضغطها على الحكومة بالتصويت في الوكالة الدولية للطاقة الذرية ضد إحالة ملفها النووي لمجلس الأمن في الفترة بين ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦، في حين كانت قبلها تعارض البرنامج.

وفي مجلس الأمن حيث كانت جنوب إفريقيا تشغل مقعدا في الفترة الممتدة بين ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ ظلت تؤكد على ضرورة حل الأزمة في إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية، واعتماد العقوبات الجماعية وليس الأحادية من طرف واشنطن، وحق الدول المنضوية تحت معاهدة حظر الانتشار النووي في الاستخدام السلمي للطاقة النووية، وهذا ما تختلف فيه مع الدول الغربية، واتهمت بأنها كسرت وحدة مجلس الأمن، رغم موافقتها على القرارات الأربعة التي صدرت ضد إيران خلال فترة ولايتها، مع المطالبة أحيانا ببعض التعديلات على مشاريع القرارات أو إرجاء تنفيذها، وكانت تصر على عدم وجود أدلة كافية تثبت تطوير إيران لأسلحة نووية، إلا أنها في المقابل أعابت على طهران عدم تقديم ضمانات بشفافية برنامجها، وأعربت إيران على إثر ذلك عن خيبتها من جنوب إفريقيا.

لكن الاستياء الإيراني لم يمنع من بذل جهود دبلوماسية لاحقا لكسب دعم بريتوريا كالتعاون

البرلماني بين البلدين حيث أكد برلمانا جنوب إفريقيا وإيران على التزامهما بجعل العالم مكانا أفضل للجميع، عقب اجتماع بين وفد من البرلمانيين. وناقش الجانبان قضايا التضامن والتعاون الدولي والتنمية الاقتصادية والطاقة النووية والإرهاب والقيم التي ينبغي أن تدعم العلاقات الدولية المعاصرة في العالم^(٢).

وفي جولة وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف ولقائه بوزيرة الخارجية لجنوب إفريقيا حاول استمالتها لصالح بلاده، لدعمها في برنامجها النووي، وحديث ظريف من بريتوريا عن عدم نية بلاده امتلاك أسلحة نووية لا يأتي من فراغ خاصة عندما يذكر بالنموذج الجنوب إفريقي في التفكيك الإرادي للبرنامج النووي، وربط الهجمة الأمريكية والغربية على بلاده بالقضية الفلسطينية والازدواجية الغربية، وقد حاولت جنوب إفريقيا بالفعل الوساطة بين إيران والدول الأوروبية الثلاث: بريطانيا وفرنسا وألمانيا؛ لتسويق مقترحاتهم لحل مشكلة الملف النووي الإيراني^(٣).

وأهم المواقف الجنوب إفريقية المؤيدة لإيران في هذا الجانب تلك التصريحات التي جاءت على لسان وزيرة الطاقة في جنوب إفريقيا «إليزابيث ديبو بيترز» حيث انتقدت بشدة في الاجتماع الوزاري الخاص بالطاقة النظيفة والذي عقد في نيودلهي فرض الحظر النفطي على إيران من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي دون إجراء مشاورات مع الزبائن الرئيسيين للطاقة الإيرانية. واعتبرت بأن فرض الحظر يخلف تأثيرات جيوسياسية سلبية على الدول الفقيرة التي تعيش

(٢) جنوب إفريقيا وإيران تتعهدان بجعل العالم مكانا أفضل للجميع، جريدة الشعب الصينية، ٠٧ / ٠٣ / ٢٠١٤، على الرابط: <http://arabic.people.com.cn/31663/8557949.html>

(٣) أحمد حسين الشيمي، إفريقيا.. ساحة للسياسة الخارجية الإيرانية، أون إسلام، ١٢ / ٠٣ / ٢٠٠٨، على الرابط:

<http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/islamic-world/105180-2008-03-12%2008-05-19.html>

(١) ننتيا هو غاب عن تأبين مانديلا لعلمه أنه غير مرحب به، جريدة الوطن المصرية، ١٢ / ١٢ / ٢٠١٣، على الرابط:

<http://www.alwatan-eg.net/pages.php?option=browse&id=27521>

في حاجة ماسة إلى مصادر الطاقة.

وشددت على ضرورة قيام واشنطن والاتحاد الأوروبي بإجراء عدة مشاورات مع هذه الدول قبل اتخاذ أي قرار بهذا الشأن، وأكدت بأن الولايات المتحدة الأميركية أصدرت إعفاء استمر ١٨ شهراً من تنفيذ الحظر النفطي المفروض ضد إيران كانت تشمل كلا من الصين وكوريا الجنوبية والهند وتركيا وتايوان وسريلانكا وسنغافورة؛ منتقدة رفض الاتحاد الأوروبي وضع جنوب إفريقيا بين هذه الدول^(١).

لكن في الأخير واستجابة للضغط الأمريكي التي تقدم لها مساعدات سنوية، وتأثير مبادئ السياسة الخارجية الجنوب إفريقية والغموض الذي يكتنف برنامج طهران النووي، قررت حكومة جنوب أفريقيا - كما أيدت قرارات مجلس الأمن سابقاً - أيضاً رفع حجم وارداتها من نفط نيجيريا وأنغولا والمملكة العربية السعودية بغرض تقليص مشترياتها من الخام الإيراني في إطار العقوبات على طهران^(٢)، رغم أنه يبلغ قرابة ٤٠ بالمائة من احتياجاتها النفطية. ثم عادت مرة أخرى لترحب بالاتفاق الإيراني الغربي الذي عقد مؤخراً وتصفه بالطريق الأنجع لحل الأزمة.

سوريا: المبادئ ضد القيم

البعد المثالي في السياسة الخارجية والوزن الدولي لزعيمها مانديلا، وظفته إيران في الكثير من المجالات مستغلة حتى القضية الفلسطينية نفسها، فمثلاً عقد في طهران، أعضاء مؤسسة المتنفذين، وفي مقدمتهم الأمين العام السابق للأمم المتحدة ورئيس المؤسسة كوفي أنان، والرئيس المكسيكي السابق أرنستو زديلو، والرئيس الفنلندي السابق مارتتي اهتي ساري، بمشاركة

كبير أساقفة جنوب إفريقيا ديزموند توتو، مباحثات مع المسؤولين الإيرانيين حول القضايا الإقليمية والدولية المهمة، وتبنت الأمم المتحدة مشروع الرئيس الإيراني لمكافحة العنف والتطرف، وكان الهدف من الزيارة التأكيد على الدور الإقليمي والدولي لإيران في تسوية المشاكل وتنمية العلاقات على أساس الثقة والاحترام المتبادلين^(٣).

وتبرز في سوريا أسوأ أشكال توظيف المبادئ النيلسونية ضد القيم الإنسانية التي يفترض أنه يحارب لأجلها، إذ أشار الرئيس الإيراني حسن روحاني خلال لقائه مع كوفي أنان إلى الحرب الناتجة عن دعم الجماعات الإرهابية كما يصفها من جانب بعض دول المنطقة، وحثه على ضرورة وقفها والاهتمام في نفس الوقت بالمساعدات الإنسانية للشعب السوري، وهو ما وافقه عليه المسؤول الأممي السابق^(٤).

في حين أن الواقع الحقيقي الذي يدركه الجميع على عكس ذلك تماماً، فطهران التي تدعم نظام بشار الأسد بالأسلحة والمال وحتى المقاتلين من الحرس الثوري، والتنظيمات الطائفية الشيعية العراقية وحزب الله اللبناني الذي رمى بكل ثقله خلف نظام الأسد، وكل ما يقوم به الأخير من جرائم بحق الشعب السوري طيلة السنوات الثلاث الماضية، رغم كل هذا إلا أن جنوب إفريقيا، وانطلاقاً من «المبادئ النيلسونية»، ونتيجة التأثير الإيراني أيضاً بشكل أو آخر، ترى أن دورها إيجابي.

كما اتخذت جنوب إفريقيا الكثير من القرارات المؤيدة لنظام الأسد مثلما فعلت مع نظام العقيد معمر القذافي، فعلى سبيل المثال دعت المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة إلى احترام

(٣) كبير أساقفة جنوب إفريقيا ينضم إلى كوفي أنان في طهران، قناة العالم الإخبارية، ٢٠١٤/٠١/٢٦، على الرابط:

<http://www.alalam.ir/news/1559504>

(٤) الرئيس روحاني لدى استقباله وفداً من مؤسسة المتنفذين برئاسة كوفي أنان، موقع رئاسة الجمهورية الإيرانية، ٢٠١٤/٠١/٢٨، على الرابط:

<http://www.president.ir/ar/74370>

(١) جنوب إفريقيا تنتقد بشدة الحظر النفطي على إيران، موقع قناة العالم الإخبارية، ٢٠١٣/٠٢/٢٠، على الرابط:

<http://www.alalam.ir/print/1466357>

(٢) جنوب إفريقيا تلجأ إلى نيجيريا وأنغولا والسعودية لتعويض نفط إيران، نوميديا نيوز، ٢٠١٢/٠٦/١٥، على الرابط:

http://www.numidianews.com/ar/article~28167.html?_featured=bbdbf47737d418bdc77c73ef28c50a49

وكذلك بعض القرارات الخاصة بسورية.

نيجيريا وجنوب إفريقيا: اللعب على التناقضات الإقليمية

يتجلى التأثير الإيراني على الساحة الإفريقية والدولية أيضا في استغلال التناقضات الإقليمية الإفريقية وتوظيفها في التنافس الدولي خاصة مع إسرائيل، وبالنسبة لموضوعنا يظهر في الرباعي جنوب إفريقيا / نيجيريا من جهة، وإيران / إسرائيل من جهة أخرى، إذ تسعى نيجيريا للعب دور كبير في القارة السمراء منافسة في ذلك جنوب إفريقيا وحتى مصر، حيث يحتدم التنافس بين الدولتين على الريادة في القارة، ويتوقع بعض الاقتصاديين أن تصبح نيجيريا قائدة مستقبلية للقارة الإفريقية^(٤).

ومحاولة الدولتين الظفر بمنصب ممثل للقارة في مجلس الأمن أبرز أشكال التنافس، ونظرا لقوة البلدين فإن بعض الدراسات الأمريكية أوصت واشنطن بتعزيز علاقتها مع «أبوجا» و«بريتوري» لضمان فاعليتها أكثر في إفريقيا التي تتطلب وجود شركاء متماسكين موثوقين ونموذجيين في القارة. وتبدو كل من نيجيريا وجنوب أفريقيا كبلدين كبيرين من حيث النفوذ الإقليمي والقدرات العسكرية والسيطرة الاقتصادية والطموحات الواسعة في سياستهما خيارين مناسبين^(٥).

وبعض الأزمات بين الطرفين تدل على التنافس النيجيري الجنوب إفريقي، كانت بداياتها مع موقف مانديلا من النظام العسكري بقيادة ساني أباشا في نيجيريا الذي حكم بين ١٩٩٣ - ١٩٩٨، وكان عرضة لانتقاداته، مما اعتبرته نيجيريا تنكرا للدعم الذي كان يتلقاه حزب المؤتمر الوطني خلال كفاحه من أجل التحرر.

(٤) سليت أفريك: نيجيريا القائدة المستقبلية للقارة الإفريقية، موقع تقارير، ٢٠١٤/٠٢/٠٣، على الرابط: <http://www.therenorts.net/Article/1/17/79/551630>.
(٥) مراجعة لسياسة الولايات المتحدة حول إفريقيا، مركز القدس للدراسات، ٢٠١١/٠٤/٢٥، على الرابط: http://alqudscenter.org/arabic/pages.php?local_type=128&local_details=2&id1=108&menu_id=10&cat_id=10

سيادة سورية، كي يتمكن السوريون أنفسهم من إيجاد حل للأزمة، كما امتنعت بريتوريا في وقت سابق عن التصويت على قرار أممي يدين نظام دمشق ويدعو إلى الانتقال السياسي في سورية أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية الأصوات^(١).

وفي نفس السياق أكد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن روسيا وجنوب إفريقيا ستسقن مواقفهما من الملف السوري لوقف العنف ومنع التدخل الأجنبي، موضحا أن موسكو ستواصل العمل من أجل حل الأزمة السورية بأسرع وقت ممكن، وقال بوتين عقب لقاء مع نظيره الجنوبي إفريقي جي كوب زوما: «نعتزم مواصلة العمل من أجل وقف العنف في أسرع وقت، وسندعم وحدة أراضي وسيادة الدولة السورية»^(٢).

ومحاولة لاستغلال الفواعل الجديدة في العلاقات الدولية على غرار دول البريكس، ودور جنوب إفريقيا فيها التي ترأست قمعتها في ٢٦ مارس ٢٠١٣، فقد عمل نظام الأسد على استغلال دورها بالطلب من «البريكس» التدخل لوقف العنف في بلاده والمساعدة على إقامة الحوار الذي يرغب ببذئه (على ما يزعم)، وذلك في رسالة سلمتها مستشارته بثينة شعبان لرئيس جنوب إفريقيا جاكوب زوما. ونوهت بأن زوما «بدا متجاوبا خلال الاجتماع، وأبدى أسفه للدمار الذي يصيب بلدنا الجميل، وأوضحت أنها زارت في الإطار نفسه كلا من روسيا والصين والبرازيل والهند»^(٣). وللعلم فإن الدول الأعضاء في هذه المجموعة قد امتنعت عن التصويت في مجلس الأمن بالنسبة للقرارات المتعلقة بليبيا

(١) جنوب إفريقيا تدعو الأمم المتحدة لاحترام سيادة سوريا، جريدة الخبر الجزائرية، ٢٠١٣/٠٥/١٦، على الرابط: http://www.elkhabar.com/ar/autres/dernieres_nouvelles/336215.html

(٢) تنسيق روسي جنوب إفريقيا لمنع التدخل الخارجي بسوريا، قناة العالم الإخبارية، ٢٠١٣/٠٥/١٦، على الرابط: <http://m-ar.alalam.ir/tag/5957/3>

(٣) الأسد يطلب من «البريكس» التدخل لوقف العنف بسوريا، قناة العالم الإخبارية، ٢٠١٣/٠٣/١٦، على الرابط: <http://www.alalam.ir/news/1455804>

وبين الفينة والأخرى تطفو إلى السطح أزمة بين الطرفين، على غرار موقف الدولتين من الحركات الاحتجاجية في العالم العربي، وبشكل خاص نظام العقيد معمر القذافي في ليبيا، ففي حين كانت نيجيريا تدعم بقوة الدعوة للاعتراف بالمجلس الوطني داخل الاتحاد الأفريقي، فإن جنوب إفريقيا ظلت تقف إلى جانب القذافي حتى آخر لحظة، واستمرت في تقديم المبادرة تلو المبادرة في محاولة للوصول لحل وسط حتى بعد أن بدأت قوات النيتو عملياتها العسكرية ضد نظامه^(١).

وأيضاً الفشل في انتخاب رئيس لمفوضية الاتحاد الإفريقي سنة ٢٠١٢ حيث انقسم القادة الأفارقة تقريباً بالتساوي بين الغابوني جان بينغ، الذي تدعمه دول غرب إفريقيا الناطقة بالفرنسية ونيجيريا في مقدمتها، والجنوب أفريقية نكوسازانا دلاميني زوما.

ولم تكن إيران وإسرائيل بعيدتين عن أجواء هذا الصراع، فقد ذكرت صحيفة (بنش) النيجيرية أن الحكومة الإسرائيلية تؤيد نيجيريا في الحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي، وهو بكل تأكيد لم يكن مجانياً، حيث تريد «إسرائيل» مقابل ذلك شرعنة وجودها في القارة الأفريقية لتصبح عضواً في واحدة من أهم المنظمات الإفريقية^(٢).

ونظراً للتنافس الإيراني الإسرائيلي فإن نيجيريا والتي تطورت علاقاتها بشكل كبير جداً مع إيران في مرحلة خاتمي توجت بالزيارات المتبادلة بين رؤساء البلدين، تعرضت لهزة قوية جداً بعد اكتشاف تدخل إيراني في النزاعات الداخلية بدعمها حركة إبراهيم الزكاكي الشيعية،

وأيضاً تهريب الأسلحة إلى غامبيا سنة ٢٠١٠ مما أدى لقطع العلاقات بين الطرفين. واتهمت طهران حينها الكيان الصهيوني والولايات المتحدة بالوقوف وراء محاولة تخريب العلاقات الإيرانية النيجيرية.

أما الصراع المباشر بين إيران وإسرائيل في هذا الجانب فظهر في ردود الفعل عن زيارة الرئيس النيجيري جودلوك جوناثان لإسرائيل، والتي استغل رئيس الوزراء الإسرائيلي الفرصة فيها للحديث عن التهديد الإيراني «النووي» لإسرائيل على وجه الخصوص، ولكل دول القارة الإفريقية بوجه عام. وجاءت التصريحات المتبادلة والتقارب النيجيري الإسرائيلي خصماً من حساب إيران وحزب الله اللبناني الذي يتم الربط بينه وبين إيران. وكانت نيجيريا قد أعلنت مراراً نجاحها في إحباط عمليات لحزب الله ضد إسرائيل في غرب أفريقيا، وبدأ التعاون الأمني بين الدولتين واضحاً في مواجهة الأنشطة الإيرانية وأنشطة حزب الله في المنطقة.

ومباشرة بعد انتهاء الزيارة تحركت إيران نحو جنوب أفريقيا بتوجه وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف إلى بريتوريا على رأس وفد رفيع للمشاركة في الاجتماع الحادي عشر للجنة الاقتصادية المشتركة بين البلدين، وبعد ساعات من المباحثات وجهت جنوب أفريقيا ما وصفته وسائل الإعلام الإيرانية بعدة «لطمات» قوية لإسرائيل تمثلت في دعوة وزيرة خارجية جنوب أفريقيا «مايتي نكوينا ماشاباني» إلى رفع العقوبات التي فرضها الغرب على إيران، وباغتت الوزيرة إسرائيل بتوجيه النقد لسياساتها المتعلقة بإقامة المستعمرات في الأراضي الفلسطينية المحتلة في إطار تدشين حملة دولية للإفراج عن نحو خمسة آلاف أسير فلسطيني من بينهم مروان البرغوثي، وهكذا بدأت رقعة الصراع الإيراني الإسرائيلي داخل إفريقيا في الاتساع مستدرجة معها الكثير من الدول

(١) محبوب الباشا، نيجيريا وجنوب أفريقيا: زوبعة في فئجان؟، ٢٠١٢/٠٣/١٩، على الرابط:

<http://www.kassalahome.com/php/index.php?showtopic=12557>

(٢) ثابت العمور، الدلالات الأربعة لزيارة الرئيس، النيجيري إلى

«إسرائيل»، القدس أون لاين، ٢٠١٢/١١/٢٦، على الرابط:

<http://www.alqudsonline.com/contentdetails.asp?contentID=11871&chk=1>

فضلا عن كسب صوت جنوب إفريقيا إقليميا ودوليا لصالحها، في رفض العقوبات على طهران بخصوص ملفها النووي، والقبول الممتنع بقرارات مجلس الأمن في هذا المجال، ناهيك عن أصوات مجموعة (البريكس) في الأمم المتحدة، والأسوأ من ذلك كله أن توظف القضية الفلسطينية لخدمة إيران، وهو ما لا تقوم به للأسف الدول العربية لا من أجل مصالحها الإقليمية ولا حماية للقضية الفلسطينية نفسها من هذا الاستغلال غير الأخلاقي، باسم المبادئ الإنسانية النيلسونية.

والمشكلة أن الدول العربية التي سعت إلى تعزيز علاقتها مع النظام الجديد وبشكل خاص دول الخليج، حققت نجاحات كبيرة مع جنوب إفريقيا في المجال الاقتصادي^(٢)، غير أنها لم تتوج بتقارب سياسي قوي، وهذا ما يتوجب عليها فعله سدا للأبواب أمام إيران.

حقيقة القانون الجعفري في العراق

صباح العجاج^(٣)

أعلن وزير العدل العراقي حسن الشمري في (٢٣ تشرين الأول ٢٠١٣)، إنجاز مسودتي مشروع قانون الأحوال الشخصية الجعفري، ومشروع قانون القضاء الشرعي الجعفري العراقي، موضحاً أن إعداد المسودتين تم وفقاً لفقه الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وعندما عرض المشروع على مجلس الوزراء وافق عليه لكنه قرر في (٣ كانون الأول ٢٠١٣)، تأجيل البت بهما إلى ما بعد الانتخابات المقبلة.

(٣) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع انظر: خلود محمد خميس، السياسة الخارجية المعاصرة لجمهورية جنوب إفريقيا تجاه دول الخليج العربي، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٨، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ص ١٣٧ - ١٥٦.
(❖) كاتب يماني.

كما أعلنت عن مقاطعة منتجات المستوطنات الإسرائيلية ووضعت عليها علامات تمييزها، وردا على ذلك استدعت وزارة الخارجية الإسرائيلية السفير الجنوب إفريقي للاحتجاج رسميا على قرار بريتوريا فرض ملصق تجاري على المنتجات المستوردة من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة لتمييزها عن تلك المصنوعة في إسرائيل^(٢).

الخلاصة:

لم تكن مواقف إيران أكثر تميزا عن غيرها من دول العالم في مقاطعتها لنظام الفصل العنصري، والدول العربية تحديدا كانت على العكس من ذلك أكثر قربا من نيلسون مانديلا، وتعلم من ثوراتها الكثير، كالثورة الجزائرية، وبعد نجاحه في القضاء على نظام الأبرتهيد ثم مآثره السياسية الداخلية في سبيل إقرار المصالحة بين البيض والسود، وبعد ذلك نشاطه العالمي من أجل حماية حقوق الإنسان ونشر السلام وغيرها من القضايا الدولية والتي أكسبته كلها رمزية عالمية، أصبحت لا شك تحدد وتوجه السياسة الخارجية الجنوب إفريقية، وتكسبها مزايا جديدة فضلا عن موقعها الجيوسياسي.

وانطلاقا من هذا سعت كل الدول لتعزيز علاقاتها مع بريتوريا، وكانت إيران من بين هذه الدول، وبالفعل استطاعت أن تستثمر في المزايا العالمية التي أحدثها مانديلا برمزيتها الدولية، على غرار مؤسسة المتنفذين، التي أصبحت واجهة لخدمة سياسات نظام الملالي في سوريا وغيرها،

(١) طارق الشيخ، جنوب أفريقيا تصفع إسرائيل بورقة إيران، الأهرام اليومي، ٢٠١٣/١١/٠٩، على الرابط:

<http://www.ahram.org.eg/NewsQ/241543.aspx>

(٢) توتر بين إسرائيل وجنوب أفريقيا بسبب قرار بريتوريا وضع علامات على سلع المستوطنات، الشرق الأوسط، ٢٠١٢/٠٨/٢٤، على الرابط:

<http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issue=12323&article=692212&feature=#.UzHxDKh5NDM>

وقد انقسمت ردود الفعل في العراق تجاه هذا القانون بين رافض وموافق بل ومؤيد:

الفريق الرافض: ويمثلهم السنة العرب والأكراد فقد رفضوا القانون، وبعض الشيعة الوطنيين والعلمانيين، والمنظمات النسائية، وتحفظ بعض أصحاب التوجهات الدينية الشيعية عليه على اعتبار أن القانون لم يعرض على المرجعية في النجف.

أما الفريق الموافق: فهو حزب الفضيلة الإسلامي الشيعي^(١) الذي يمثلته الوزير الشمري وكذا مرجع الحزب الشيخ محمد اليعقوبي، وكذا التيار الصدري، وتقي الدين المدرسي^(٢)، وذهب النائب الشيعي المستقل حسين الأسدي إلى وجود صفقة بين ائتلاف دولة القانون وحزب الفضيلة لتمير هذا القانون ويؤيده بعض نواب الكتلة الصدرية.

هل القانون طائفي وملزم لجميع العراقيين؟

الصيغة الظاهرية للقانون أنه يخص الطائفة الشيعية، وأنه جاء تنفيذاً لفقرة في الدستور، وهي المادة ٤١ التي تنص على الآتي: «العراقيون أحرار في الالتزام بأحوالهم الشخصية، حسب دياناتهم أو مذاهبهم أو معتقداتهم أو اختياراتهم، وينظم ذلك بقانون»، والحجج والادعاءات الشيعية تمحورت حول الآتي:

• أن هذا القانون سوف يسعى لحماية حقوق طائفة بعينها وهي الطائفة الجعفرية^(٣).

• وأنه جاء كردة فعل للقانون القديم لسنة ١٩٥٩ رقم (١٨٨)، الذي لم ينصف الشيعة في العراق.

(١) حزب شيعي ذو مرجعية صدرية وتابع للمرجع محمد اليعقوبي، أحد طلاب محمد صادق الصدر (والد مقتدى) تأسس سنة ٢٠٠٤، وكان الدكتور نديم الجابري أول أمين عام له.

(٢) وقال: إن مشروع قانوني الأحوال الشخصية الجعفري والقضاء الجعفري ضروريان ومطلوبان لإيجاد حلول رصينة للعديد من المشاكل الاجتماعية الشرعية التي تحصل في المجتمع.

(٣) وبهذا صرح النائب في البرلمان الشيعي محمد كاظم الحميداي وقال: قانوننا الأحكام الشخصية والقضاء الجعفري خطوة جيدة لإشعار المكون الشيعي بخصوصيته ونحن نرفض التعامل مع قانون واحد للجميع هو مزيج من عدة مذاهب، الواقع طائفي أصلاً ويتعامل معي بطائفية ويريد حرمان من الاحتكام لطائفتي ومذهبي!

• وأنه لا يوجد إلزام على شخص معين بهذا القانون، وأن الناس جميعهم أحرار في التحاكم عند اختيار تفاصيل حياتهم. لكن هذا القانون فيه ألغام طائفية كثيرة، وقد فطن لها أهل القانون فقد جعل القضاء أو بحسب ما أطلق عليه «القضاء الشرعي الجعفري» بيد غيريد القضاة، بل بيد محاكم جعفرية تديرها عمائم ومرجعيات، وهو أمر ينطوي على مخالفة صريحة لأحكام الدستور، فالعمل القضائي هو حصراً بيد القضاة، والقاضي لا يمكن أن يمارس عمله ما لم يمرّ بعدد من مراحل الدراسة والتأهيل والتدريب ليصدر من ثمّ مرسوم جمهوري يقضي بتعيينه قاضياً، وهذا أزعج حتى القضاة الشيعة في الدولة.

وكما ذكرنا أن ظاهر القانون هو للشيعة الجعفرية وتلك خدعة كبيرة، وكذبة مأكرة؛ لأن القانون يسري على كل العراقيين بدون استثناء، بضمنهم أصحاب الديانات الأخرى، لأنه يطبق (على العراقيين) بناء على طلب المدعي، بنص المادة (٢٤٦) منه والتي تنص: «تسري أحكام هذا القانون على العراقيين بناء على طلب المدعي أو وكيله».

فالنص بجعل القانون يسري على (العراقيين) ولم يقيدهم (بالشيعة - الراغبين) فيشمل (العراقيين) جميعاً بغض النظر عن دينهم أو طائفتهم، إذ أن مشروع القانون الجعفري يسري بتوافر شرطين فقط هما:

١- أن يطلب المدعي أو وكيله تطبيق القانون، ولو لم يكن المدعي شيعياً، وبغض النظر عن دين أو طائفة المدعي عليه وبغض النظر عن رضاه على تطبيق القانون أو رفضه تطبيقه عليه، فلا يحق له الاعتراض وإنما يطبق القانون جبراً عليه ولا قيمة لرأيه، وبالتالي فإن إرادة المدعي لوحده هي القانون، فهي أعلى من القاضي وأعلى من القانون، وهي قاهرة لإرادة خصمه الذي قد يكون من دين آخر أو من طائفة أخرى.

٢- أن يكون الطرفان من العراقيين، وليس

النواب في البرلمان سيقوم بإلغاء القانون السابق، ويبقى القانون الجعفري، وعلى أهل السنة إيجاد قانون خاص بهم وقضاة ينفذونه وكذا النصارى وغيرهم.

خطايا قانون الأحوال الشخصية الجعفري

د. أيمن هرموش^(*) - خاص بالرائد

لعل قانون الأحوال الشخصية الجعفري الذي أصدره وزير العدل العراقي حسن الشمري الشيعي، عضو كتلة الفضيلة في البرلمان العراقي، يعد أحد مشاهد ترسيخ الطائفية في الساحة العراقية، وقد تضاربت آراء العراقيين حول هذا القرار بين مؤيد ومعارض له، وما يهمني هنا هو مناقشة مواد هذا القانون، ومدى تأثيره على الحياة العراقية العامة.

أولاً: القوانين الطائفية

هناك من انتقد القانون من ناحية سياسية، واعتبره تشريع قانون للطائفية الشيعية ولا شك سيكون مثله للسنة وثالث لغيرهم وهكذا، واعتبروا ذلك ترسيخاً للطائفية وتقسيماً للشعب العراقي المنقسم أصلاً مما يزيد الجو الطائفي توتراً ويزيد الطين بلة كما يقال.

وقد تكون وجهة نظر سياسية فيها من الواقعية والصواب، لكن بنظرة شرعية ومنطقية لا أرى أي مشكلة في تشريع قانون للأحوال الشخصية لكل طائفة، بل ربما هذا الأفضل، لأن كل طائفة لها خصوصياتها وأحكامها ولا يمكن أن تُؤسس أسرة من طائفة معينة على منهج طائفة أخرى، كما لا يمكن أن يتزوج مسلم على أحكام المسيحية والعكس أيضاً، لهذا أرى في الأحوال الشخصية من الخير أن تنفرد كل طائفة وكل دين بقانونه، كما ينفرد كل دين وكل طائفة بمكان

(*) كاتب سوري.

مهما أن يكون أحدهما أو كلاهما من الطائفة الشيعية، وهذه هي أخطر خدع القانون فهو يريد إخضاع العراقيين جميعاً لقانون طائفي لا شك في طائفيته، وهو مرفوض كلياً أو كثير من أحكامه من أبناء الأديان والطوائف الأخرى.

ولذلك أصر الوزير على تمرير القانون كما نقل عن إحدى المستشارات في مجلس شوري الدولة - التابع لوزارة العدل - ، وفعلنا تم ما أراد.

أين تقف إيران من هذا القانون:

يسعى السياسيون الشيعة لجعل العراق بلداً يشبه لبنان، والطائفة الشيعية بلبنان صنيعة إيرانية، وإيران لها حسابات بعيدة في العراق، إذ قد يتبدل نوع الحكم في العراق ولا يعود تابعاً لها؛ لذلك لا بد من خطوات تثبت مستقبل العراق بما لا يمكن تغييره بسهولة، ومنها هذا القانون، وهو يؤثر كثيراً من الفوضى الاجتماعية في العراق؛ لأنه يجعل هناك دولة ثانية موازية للدولة العراقية (وإن كانت الحكومة شيعية)، يلجأ لها الشيعي لممارسة مآربه الجسدية (الجنسية).

ويبدو أن هذه خطوة أولى لتقنين القوانين العراقية كلها من جديد، وصبغها بصبغة جعفرية / شيعية، وأما توقيت تمرير الإعلان فهو وقت ذكي إذ أن المالك اليوم في معركته لنيل الولاية الثالثة لا يريد أن يفتح جبهات أخرى، كما أن الشعب العراقي اليوم يخوض معارك في الأنبار، والجو مشحون بالحرب الطائفية فتوقيت الإعلان وراءه عقل إيراني.

ومما يلفت الأنظار إلى أن المرجعية والحكومة وافقتا أيضاً على تأسيس مجلس أعلى للقضاء الشرعي الجعفري يرتبط بالمرجع الشيعي علي السيستاني ويكون مقره في مدينة النجف كذلك.

مصير القانون السابق:

في حالة الموافقة على المشروع بعد الانتخابات من قبل

الشيعية اليوم فهذا الكذب المحض والافتراء العظيم، ولعل بيان براءة جعفر الصادق من فقه الجعفرية الشيعية يحتاج إلى مقالات، وربما أفعل ذلك قريباً بإذن الله تعالى.

وإليك قارئى الكريم الآن نقد هذا القانون في المحاور التالية:

ثالثاً: حماية للزنية

هناك بعض المواد التي تضمنها القانون ترى فيها فسحة كبيرة لانتشار الزنا، وعلى سبيل المثال:

١- جاء في تعريف الزواج: «المادة (٤٢) النكاح (الزواج) هو رابطة تنشأ بين رجل وامرأة تحل له شرعاً».

لو تأملت هذا التعريف ستري فيه قصورا واضحا عن بيان حقيقة الزواج، فهو يعرفه بأنه رابطة تنشأ بين رجل وامرأة، وكلمة رابطة تشمل كل أنواع العلاقات سواء كانت عقداً أو لقاء، فعندما يعقد الرجل على زوجته بعقد زواج هو رابطة، وعندما تنشأ علاقة صداقة أو زمالة تفضي إلى متعة جنسية هي رابطة، لذلك كلمة (رابطة) تفسح المجال لكل العلاقات، فلا بد من تحديدها بأنها عقد.

كما أن كلمة عقد لازمة وليست كافية لأن زواج المتعة عقد، وزواج فرند عقد، والزواج العريفي عقد، لذلك لا بد من تقييد كلمة عقد بالصفات التي تميز عقد الزواج الشرعي عن غيره، وعادة العلماء إذا كانت الصفات المميّزة كثيرة اختصروها في التعريف بقولهم بشروط مخصوصة، ويمكن أن تكون هذه العبارة كافية هنا، فيقال: النكاح عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعاً بشروط مخصوصة.

ومع أن المادة التي بعدها فصلت في شروط الزواج لكن يبقى العيب أن التعريف قاصر عن تحديد المراد فليس مانعاً من دخول غيره به، ومن شروط التعاريف أن تكون جامعة مانعة، فالتعريف السابق شامل وصادق على كل علاقة جنسية تنشأ بين رجل وامرأة.

٢- شروط الزواج: «المادة (٤٣) تتوقف صحة

عبادته وبزيه وطقوسه، وليس في هذا توتر أو مشكلة طائفية، لأن التنوع وما يتفرع عنه من اختصاص كل طائفة بعباداتها وطقوسها ودور عبادتها أمر واقعي لا يمكن تجاهله، ولكن الطائفية تصبح مشكلة ومرضاً عندما تتحول إلى سلوكيات عدوانية وإرهابية لتظلم وتقصي الطوائف الأخرى، وهذا لا علاقة له بتمييز كل طائفة بقانونها أو عباداتها والله أعلم.

ولهذا لست معترضاً على القانون من هذه الناحية، كما أنه ربما يقال: هو قانون شيعي، والشيعية يرضون به، وأنت سني ولن يتأذى أهل السنة منه فما لك ولهذا القانون؟ وكذلك ليس النقد له من هذه الزواية، وإنما اعتراض على القانون أنني لم أجد في كثير من مواده تحقيقاً للغاية التي تشرع القوانين من أجلها، ولعله من المسلم به أن أي قانون يهدف لتحقيق غايتين أساسيتين:

١- أن يحرس الفضيلة والقيم النبيلة في المجتمع.

٢- وأن يحقق العدل بين الناس.

ولقد رأيت في هذا القانون تشجيعاً وتهيئة لجو الرذيلة، وظلماً في كثير من مواده وللمرأة خاصة، ومن هذا المنطلق أناقش القانون وأنتقد ما فيه.

ثانياً: النسبة لجعفر الصادق

أول ما يسترعي الانتباه هو تسمية القانون بأنه قانون الأحوال الشخصية الجعفرية، أي هو على المذهب الجعفري، والحقيقة أن نسبة ما في هذا القانون بل وما في المذهب الجعفري لجعفر الصادق نسبة مكذوبة مغلوطة، بل هو كنسبة دين الشيعة إلى أهل البيت رضوان الله عليهم، وأهل البيت بريئون من هذا الدين، وجعفر الصادق بريء من هذا الفقه، براءة المسيح ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الله.

ولا شك عندنا في فقه جعفر الصادق نفسه وإمامته وعلمه، بل هذا شهد به أهل العلم، وفضله لا يُنكر، لكن أن يكون فقهه وعلمه هو ما عليه

عقد النكاح على الشروط الآتية.

أولاً: توفر الإيجاب والقبول اللفظيين.

ثانياً: تقديم الإيجاب على القبول.

ثالثاً: المولاة بين الإيجاب والقبول.

رابعاً: تجيز العقد وعدم تعليقه على أمر

مستقبلي.

خامساً: أن يكون العاقد قاصداً لمعنى العقد

بنحو الحقيقة والجديّة، فلا صحة لعقد الهازل

والساهي والسكران ونحوهم ممن لا قصد له معتد

به.

سادساً: أن يكون العاقد بالغاً عاقلاً، فلا يصح

عقد المجنون ولا عقد الصبي المميز لنفسه بدون إذن

الولي (الأب والجدة لأب).

سابعاً: رضا الزوجين واقعا.

ثامناً: تعين الزوجين على نحو يمتاز كل منهما

ويتحدد باعتباره طرف العقد والمعني به، سواء

أكان التعيين بالاسم أو الوصف أو الإشارة

وغيرها».

من المفترض بهذه المادة أن تستجمع الشروط

التي تزيل النقص في المادة السابقة، لكن هذه

الشروط خلت من أهم شرطين، يميزان الزواج عن

غيره من العلاقات، وهما الولي والشهود.

١- الولي: فلا عبرة للولي في زواج البكر

البالغة الرشيدة ولا إشارة لحقه في الاعتراض على

زواج ابنته إن لم يكن راغباً به، بل وربما ليس له

الحق في التدخل في بعض الحالات ففي المادتين

التاليتين:

«المادة (٥٣): البالغة الرشيدة البكر سواء

أكانت مالكة لأمرها ومستقلة في شؤون حياتها أم

لا، فليس لأبيها ولا لجدها لأبيها أن يزوجه من دون

رضاه. ويحق لها أن تتزوج مع إذن أحدهما.

المادة (٥٤): يسقط اشتراط إذن الأب والجدة

للأب في صحة زواج البكر الرشيدة في حال

منعها من الزواج بكفؤها شرعاً. أو إذا اعتزلا

التدخل في أمر زوجها، أو إذا غابا بحيث لا يعرف

لها مكان ولا عنوان».

فيبدو أن للولي اعتباراً في حالة واحدة وهي لو

كانت البكر راغبة بالزواج من غير كفؤ فينظر

لإذنه هنا، وأما لو كانت راغبة بالزواج من كفؤ

أو اعتزل وليها أمرها فهي حرة بنفسها، ولا شك أن

انفراد المرأة بقرار نفسها مهلكة لها لا سيما وهي

بكر، لبعدها عن المعرفة بخبايا الرجال وطبيعة

الحياة الزوجية.

وقد يُقال وفي الفقه الحنفي يجوز للمرأة أن تزوج

نفسها بدون ولي أمرها، وهذا صحيح ومع أن ما

ذهب إليه الحنفية مخالف للنص ويبدو مرجوحاً،

لكنه يخالف الشيعة من حيث أن لولي الأمر أن

يعترض عند الحنفية لو زوجت نفسها من غير كفؤ

عند الجميع، وكذلك لو زوجت نفسها من كفء

بمهر قاصر عند أبي حنيفة، على أن بعض الحنفية

كمحمد ذهب إلى رأي الجمهور من اشتراط إذن

الولي في الزواج بكل صورته^(١).

ومن ناحية ثانية لا بد من الشهود عند الحنفية

قولاً واحداً مما يجعل من الزواج معلناً وبيناً وليس

في القضية إلا أنهم منحوا للبالغة العاقلة الحق في

نفسها وجواز مباشرة العقد عن نفسها، لكن في

هذا القانون اجتمع مع ترك شرط الولي عدم

الشهود فصار الأمر خطيراً، وسأبينه في النقطة

التالية:

٢- الشهود: وكذلك خلت المادة من ذكر

الشهود ولم تأت إشارة لهم في مادة غيرها، مما يبدو

واضحاً أن الشهود لا قيمة لهم في عقد الزواج أبداً،

وقد يقال: وعند المالكية أيضاً لم يشترط الشهود

على عقد النكاح، والجواب أن مذهب المالكية

اعتبر الشهود شرط تمام وليس شرط صحة، أي لا

يشترط وجودهم عند العقد بل يجوز بعده، ولكن

لا يجوز الدخول من غير إعلان، وإن وجد الشهود

عند العقد استحب الإعلان، بل لو شرط الزوج على

الشهود الكتمان لم تصح شهادتهم، يقول ابن

(١) انظر بدائع الصنائع للكاساني ٢/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

وليها ، وبعد أن يعلم الناس أنه صار زوجها لها وصارت زوجة له من خلال الإشهاد.

٣- التأييد: ويضاف للشرطين السابقين أن العقد خلا من شرط التأييد ، وهو لا شك ينسجم مع فقه الشيعة حيث يجيزون نكاح المتعة ، ولن أطيل هنا فنكاح المتعة لا تخفى عواقبه السلبية على المجتمع.

رابعاً: مخالفة للنصوص

ومما تضمنه هذا القانون مواد تخالف نصوصاً صريحة ، ومن ذلك:

١- الزواج من الكتابية.

تقول المادة (٦٣): «لا يصح نكاح المسلمة من غير المسلم مطلقاً. ولا يصح نكاح المسلم نكاحاً دائماً من غير المسلمة مطلقاً والمرتدة عن الدين الإسلامي».

وهنا ملاحظتان: الأولى: تحريم نكاح المسلم من غير المسلمة في النكاح الدائم ، وهذا يشمل الكتابيات ، وهو مخالف مخالفة صريحة لقوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُنْجَذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥].

الثانية: جواز نكاح غير المسلمة في نكاح المتعة ، وهذا يشمل الكتابية وغير الكتابية مهما كان دينها.

الثالثة: التفريق بين النكاح الدائم والمؤبد ، فما هو المعتمد والمستند على التفريق بينهما في قضية الزواج من غير المسلمات.

فهذه المادة تشجع على زواج المتعة بما تقدمه من تسهيلات فيه وتشديد في المؤبد ، فلو نشأت علاقة حب بين مسلم وكتابية ، فسيجدان الباب مسدوداً في النكاح المؤبد ، مما يضطرهما لنكاح المتعة ، فهل هذا القانون تشجيع ودعوة للمتعة وتقديماً

رشد: «وَأَتَّفَقَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَمَالِكٌ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ شَرْطِ النِّكَاحِ. وَاخْتَلَفُوا هَلْ هِيَ شَرْطُ تَمَامِ يُؤْمَرُ بِهِ عِنْدَ الدُّخُولِ؟ أَوْ شَرْطُ صِحَّةِ يُؤْمَرُ بِهِ عِنْدَ الْعَقْدِ؟ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ نِكَاحُ السَّرِّ ، وَاخْتَلَفُوا إِذَا أَشْهَدَ شَاهِدَيْنِ ، وَوَصَّيَا بِالْكِتْمَانِ - هَلْ هُوَ سِرٌّ؟ أَوْ لَيْسَ بِسِرٍّ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: هُوَ سِرٌّ ، وَيُفْسَخُ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَالشَّافِعِيُّ: لَيْسَ بِسِرٍّ»^(١).

والمصيبة في هذا القانون أنه خلا من الشرطين مجتمعين ، فلا ولي ولا شهود ، وهذه الصورة لم يقل بها أحد من فقهاء السنة ، وهنا الطامة ، فإذا كان النكاح يجوز حسب هذا القانون بلا ولي ولا شهود ، فالباب أصبح سهلاً وميسراً للزنا ، فتصور أن رجلاً فقد ابنته وغابت عن البيت ثم بعد يومين وجدها في شقة مع رجل فقالت له إنه زوجي ، وتصور لو أن الشرطة ألقت القبض على رجل وامرأة في شقة وادعى أنها زوجته وادعت أنه زوجها ، فالمسألة انتهت ولا شيء عليهما حسب القانون ، بل لقد صرح القانون أن مجرد إقرار الزوجين بزواجهما يكفي حسب المادة (٤٩):

« تثبت الزوجية بالآتي: أولاً: بالإقرار فلو ادعى رجل زوجية امرأة فأقرت بها يحكم بثبوتها».

ولك أن تتأمل حال المصائب التي يمكن أن يحميها هذا القانون ، فما أيسر الزنا لأنه لن يمكن تجريمه فما أيسر ادعاء الزوجية بينهما مادام الأمر لا يتطلب ولياً ولا شهوداً ، اللهم إلا إن زنت المرأة المتزوجة.

بل ما أحلاه من قانون للشباب والشابات في الجامعات والمعاهد حيث يسرح ويمرح كل واحد منهما ولا سلطة للقانون عليهم فكل علاقاتهم تتستر بعباءة الزوجية.

إن ما عليه فقه أهل السنة من اشتراط الولي والشهود لهو صورة راقية في الحفاظ على كرامة المرأة وعفتها ، فلا تمتد إليها يد رجل إلا عن طريق

(١) بداية المجتهد ٤٤/٣ ، ومذهب أحمد كالحنفية والشافعية ، انظر المغني لابن قدامة ٨/٧.

٢- عدة الصغيرة واليائسة: تقول المائدة (١٥٤): «إذا طلقت المرأة من زوجها وجب عليها الاعتداد فترة معينة ولا يصح لها الزواج من غيره قبل انقضائها. ويستثنى من وجوب الاعتداد الحالات الآتية:

١- المرأة التي لم يدخل بها زوجها.

٢- الصغيرة التي لم تكمل (٩) سنوات هلالية من عمرها وإن دخل بها الزوج.

٣- اليائسة التي انقطع دم الحيض ولا تعتقد عودته لكبر سنها ببلوغها (٥٠) سنة، حتى وإن كان مدخولاً بها».

إن البندين الثاني والثالث مخالفان للنص القرآني

الصريح في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي بَيَّنَّ مِنَ الْمَجِصِّ مِنْ

نَسَائِكُمْ إِنْ أَزْبَنَتْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنَّ ۝٤﴾

[الطلاق: ٤] ، وأظن أن الآية صريحة ومحكمة بحيث لا تقبل فهمين للنص، فما أدري وجه ترك هذا النص الصريح، كما أن تحديد الصغر بتسع سنوات تهكم لا معنى له ولا دليل عليه، فإن كانت العبرة بالحيض فكثير من النساء تتجاوز هذا السن ولا تراه، وإن كانت العبرة بالتمييز فهو أقل منه، وإن كانت العبرة بتحمل الوطاء فما دخل ذلك بالعدة على فرض صحة هذا التقدير؟

٣- الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها: تقول المادة (٦٤): «لا يصح نكاح البنت، على عمتها وإن علت أو على خالتها وإن علت نسبياً كن أم رضاعيات، إلا بعد استحصال موافقة العمّة والخالة».

وأول ملاحظة أن اشتراط الاستئذان ما معناه؟ وما دليله؟ ففي الحديث المتفق على صحته «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا».

فإن أخذ بالحديث فالجمع محرم مطلقاً، وإن لم يؤخذ به فالجمع حلال مطلقاً، فمن أين جاء

التقييد بإذن العمّة أو الخالة، والملاحظة الثانية هي التفريق بين العمّة والخالة وبين بنت الأخ والأخت، فلم اشترط إذن العمّة والخالة لو أريد الزواج ببنت الأخ أو الأخت ولم يشترط في العكس؟ إنه تخبط فقهي واضح ويّين.

خامساً: ظلم المرأة

لقد اشتمل القانون على مواد كثيرة مجحفة وظالمة بحق المرأة، ومنها:

١- الفسخ بسبب العيوب: جاء في المادة (٧٨): «إذا علم الزوج بعد العقد أن زوجته فيها أحد العيوب الستة التالية، فيثبت له خيار العيب.

١- الجنون، أي اختلال العقل حتى ولو كان مرحلياً.

٢- الجذام.

٣- البرص.

٤- العمى، وهو ذهاب البصر كلياً عن العينين.

٥- العرج حتى ولو لم يبلغ حد الإقعاد.

٦- الغفل، وهو لحم أو عظم ينبت بالرحم، وسواء أكان مانعاً للحمل أو الوطاء أم لا».

وفي المادة (٧٩). «يثبت للزوجة خيار العيب فيما إذا كان في الزوج أحد العيبين الآتين:

١- الجب. وهو عبارة عن قطع العضو التناسلي للذكر بحيث لم يبق منه ما يمكن تحقيق الوطاء به.

٢- العنن المطلق: وهو المرض المانع من انتشار انتصاب العضو الذكري) بحيث لا يقدر على وطء عموم النساء».

للرجل الفسخ بواحد من عيوب ستة، وللمرأة بواحد من عيبتين، ولم هذا الظلم للمرأة؟ ومن أين هذا التفريق، فهل الرجل يحق له الفسخ لو كانت زوجته عرجاء ولو عرجاً غير مقعد، أو برصاء أو عمياء أو بواحد مما سبق، وليس للمرأة الفسخ إلا بعدم القدرة الجنسية، مع أن المرأة هي الطرف الأضعف، فالرجل يملك أن يتزوج بغيرها ويملك

الطلاق أما المرأة ليس لها ذلك، إنه تمييز ظالم وجور صارخ على الجانب الأضعف في الحياة الزوجية، ولهذا في فقه أهل السنة من قال بالفسخ بالعيوب، من الفقهاء قال بالمساواة بين الرجل والمرأة بالعيوب، وفريق آخر من علماء السنة منح حق الفسخ للمرأة فقط دون الرجل^(١)، وهذا هو المنطق والرحمة والعدل.

٢ - ميراث الأراضي: جاء في المادة (٢١٢): «يرث الزوج من جميع ما تركته الزوجة المتوفاة، منقولاً كان أم غير منقول».

وفي المادة (٢١٣): «لا ترث الزوجة مما يتركه الزوج المتوفى من الأراضي لا عينا ولا قيمة، وترث من المنقولات. ومما ثبت في الأرض من الأنبياء والأشجار والآلات وغيرها. وللوارث أن يدفع لها قيمة الأشياء الثابتة في الأرض. وهي ملزمة بقبول القيمة».

فالزوج يرث من كل ما تركته المرأة، أما المرأة فترث من ماله إلا من الأراضي!! ومع أن هذا ظلم واضح وتفريق سيء، لكن يبقى السؤال المتكرر: بأي دليل تصدر هذا الأحكام والقوانين؟ كما أن مخالفتها واضحة جداً

لنص القرآني الصريح في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢] ، وفي قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] ، فلم تميز الآيات بين

الرجل والمرأة من حيث جنس المال الذي يقع عليه الإرث.

٣- عدم العدل في قسمة النساء: تقول المادة (١٠٤) «إذا كان للزوج أكثر من زوجة واحدة فحق المبيت يكون كالآتي:

أولاً: إذا كان عنده أربع زوجات. فإذا بات عند إحداهن وجب عليه المبيت عند الأخريات لكل

منهن ليلة، ولا تفضيل لبعضهن على بعض.

ثانياً: إذا كان له ثلاث زوجات فإذا بات عند إحداهن ليلة وجب عليه المبيت عند الأخريين لكل منهما ليلة. وللزوج أن يفضل إحدى الزوجات الثلاث بالليلة الرابعة.

ثالثاً: إذا كان له زوجتان وبات عند إحداهما ليلة لزمه المبيت عند الأخرى الليلة الأخرى. وله أن يجعل لإحداهما ثلاث ليال وللأخرى ليلة واحدة».

فالرجل المتزوج من امرأتين الحق بأن يمنح ليلة لواحدة والثلاث الأخرى للثانية، ويا له من عدل وإنصاف!

والنبي ﷺ يقول: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةُ مَاثِلٍ» أخرجه أبو داود وهو صحيح، فهل القسمة بين الزوجتين لإحداهما ليلة وللثانية ثلاث ميل أم عدل؟؟!!

سادساً: قصور في الضبط

بعض المواد لم تكن دقيقة في عبارتها واستعملت تعابير مطاطية وغير منضبطة مما يفتح الباب للتلاعب في القانون، ومنها مثلاً:

١- صبر المرأة: جاء في المادة (١٠٢) «حق الزوجة على الزوج:

ثالثاً - أن لا يهجرها دفعة واحدة ويجعلها معلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة.

رابعاً - أن لا يترك مقاربتها أكثر من أربعة أشهر. وإذا كانت الزوجة لا تقدر على الصبر لأربعة أشهر، فعلى الزوج مقاربتها قبل تمام الأربعة أشهر، أو طلاقها وتخليها سبيلها».

تأمل العبارة في السطر الأخير، عندما لا تستطيع المرأة الصبر عن الجماع لأربعة أشهر فيجب على الزوج موافقتها، وإنني أتساءل، ما هو الضابط لمعرفة صبر المرأة وقياسه؟ وهب أن الزوج رفض واشتكت المرأة للقاضي فما هي الأدلة التي عليها أن تثبت للقاضي حتى يقتنع بأنها لا تصبر عن الجماع لأربعة أشهر؟ وهب أنها أفلحت في إقناع القاضي، هل وضع المرأة بهذه الصورة المحرجة يليق بكرامتها وإنسانيتها؟؟

(١) انظر المغني لابن قدامة ١٨٤/٧.

وأن دين الله تعالى أعف وأكرم من ذلك، وأن مقاصد الأسرة والحياة الكريمة والقيم الأخلاقية لا تتحقق في الفقه الشيعي؟ رسالة بسيطة، فهل من مدّكر؟

هل يزحف التشيع إلى المجتمع السني العراقي؟

سعيد بن حازم السويد^(١) - خاص بالرائد

منذ احتلال العراق عام ٢٠٠٣ والتحذيرات

من تشييع العراق كدولة قائمة، عبر إقصاء السنة وتهميشهم من خلال ترويج أكذوبتي: المظلومية الشيعية فقط في العراق، وأنهم الأكثرية المضطهدة، استطاع الشيعة الهيمنة على الدولة وتهميش السنة عرباً وكرداً، وأن يصبح حضورهم شكلياً، لدرجة أن نائب رئيس الجمهورية (أكبر منصب سني) هارب في أرجاء الأرض من تهم ملفقة تطالب برقبته ٤ مرات!

نفذ الشيعة مشروع التشييع القسري للدولة عن طريق الحكومة ومليشياتها تحت ستار مكافحة حزب البعث وتنظيم القاعدة (داعش)، لكن هل يكتفي المالكى بهذه الطريقة لإخضاع العراق لمذهبه؟

والآن يبدو أن هناك مرحلة أخرى قادمة وهي تشييع المجتمع العراقي بالكامل، ولعل من السذاجة الاعتقاد بأن المالكى سيكرر تجربة الشاه إسماعيل الصفوي في إعلان التشيع مذهباً لدولته وفرضه بالسيف على سكان إيران، وإكراه الناس على لعن الصحابة، فهذا السيناريو وفق المعطيات الحالية غير واقعي، لكن لا يمكننا الغفلة عن نقاط الضعف في المجتمع السني التي يمكن للمالكى استغلالها لإدخال السنة في دينه بالتزامن مع تفعيل وسائل الضغط التقليدية

(♦) كاتب عراقي.

١- الاتفاق على الحضانة: جاء في المادة ١١٧: «إذا افترق الأبوان بفسخ أو طلاق قبل أن يبلغ الولد السنتين فلا يسقط حق الأم بالحضانة، وعلى الأبوين أن يتفقا على ممارسة حقهما المشترك بالتناوب أو بأي كيفية أخرى».

وكيف يمكن تحقيق الاتفاق بينهما وهما مطلقان متنازعان، وربما يعيش كل واحد منهما بمحاطة؟ إن هذا طلب مائع فضفاض، يفتح الباب للشقاق والتناحر لا للاتفاق.

خاتمة

لقد تركت مواد آخر لا تخلوا من انتقاد كسابقتها أو من زاوية أخرى خشية الإطالة، ولعل فيما قدمته يبين قصور هذا القانون، ويهمني في الأمر التركيز على أثريين اثنين ينتجان من هذا القانون، هما المحرك لي في هذا المقال:

١- فتح باب الرذيلة، وتأمين غطاء قانوني لها من خلال مواد هذا القانون، عندما يسمح بكل العلاقات الجنسية تحت مسمى الزواج، ما دام لا يشترط شهوداً ولا إذن ولي، ويشجع على نكاح المتعة أكثر من النكاح المؤبد، وهو تشجيع يهدم الأسرة لأنه لا يخفى على كل عاقل أن تكوين الأسرة وإنتاج الإنسان السليم لا يكون إلا بالزواج الدائم، وأما نكاح المتعة فهو لإشباع الغريزة فقط، وهذا يعني أن مفهوم الأسرة في خطر شديد.

٢- إلحاق ظلم شنيع بالمرأة من خلال تمييز واضح بينها وبين الرجل وهضم لكثير من حقوقها، وهذا أستغله لأوجه رسالة لكل امرأة شيعية عاقلة فأقول لها: أيتها الأخت الشيعية، ألا ترين أن المرأة في الفقه الشيعي مخلوق خلق فقط ليكون متعة ولذة للرجل، فهي التي يجوز الاستمتاع بها رضية ثم تتزوج متعة لأيام معدودة فتغدو متنقلة بين أحضان الرجال، وبعد كل هذه العقود لا تجد من ينفق عليها أو يكتفها برعايته بل الكل يريد لها للمتعة، ثم تهضم حقوقها في النكاح المؤبد، ألا يجب أن تتبهي ويتبهي معك عقلاء الشيعة إلى أن ما هم عليه ما هو أسلمة للإباحية الفارسية المزدكية القديمة،

(الإرهاب العسكري)، ومن نقاط الضعف التي قد تستغل:

١- قلة الوعي حيث لا يملك كثير من أبناء السنة في العراق وعياً سياسياً عقدياً، وهذا يعم المتدينين وغيرهم، فالعقلية القومية الوطنية تستولي على تفكيرهم رغم ما أصابهم من القتل والتهجير والإهانة، فالسنوات السابقة لم تكن كافية لإفاقة الشعور الديني العقدي لاسيما مع غياب القيادة الدينية أو السياسية الناضجة، التي يفترض منها أن تتكفل بإعداد مشروع وصياغة خطاب سني يجمع الجماهير من حوله.

بل على العكس كانت هناك نزعة داخل المتصدرين للشأن السني تتجه نحو معارضة أي سياسة سنية، فالبعض كان يرفض وصف المقاومة بالسنية، أو تسليح السنة للدفاع عن أنفسهم بوجه القاعدة والمليشيات، ولعل الجدل والخلاف حول الأقالييم خير شاهد على وجود ممانعة سنية ضد أي مشروع سني!!

وفي هذه الأجواء تتداخل الأهواء والأطماع مع عدم القناعة المسبقة بالسنية والابتعاد عن العمل في إطارها، وهذا ما جعل بعض السنة المعارضين للمالكي يلتقون معه في نفس الخطاب (الوطنية ونبذ الطائفية) ويخدمون مشروعه وهم لا يشعرون كهيئة علماء المسلمين والبعثيين!

في المقابل فإن المجتمع الشيعي لديه القابلية والاستعداد للانخراط بمشروع عدواني وحرب تطهير دينية دون مبالاة بالقيم التي يتفرد السنة بحملها والتمسك بها (الأخوة والوحدة الوطنية).

فإذا تحدثنا عن مواجهة محتملة بين المجتمع السني والشيعي فالغلبة للشيعية، ولا أعني بالغلبة هنا إخراج السنة وطردهم من البلاد، وإنما بقبولهم بالواقع الظالم الذي يفرضه الطرف الشيعي المنتصر.

٢- يفتقد كثير من السنة للوعي العقائدي بالتشيع وخطره، فربما ظن البعض أن التشيع هو حب آل البيت - وهو من صميم العقيدة السنية-

ليصل الى الاستنتاج القائل بأن السنة والشيعية شيء واحد والتفريق المفتعل ليس إلا خطة استعمارية وفتنة صهيونية!!

إن ثقافة سنة العراق عن التشيع سطحية ومشوهة، وقد ساهم الحكم القومي والتيار الصوفي خلال الفترة السابقة بترسيخ صورة مغايرة للحقيقة عن طريق تعظيم شأن كربلاء والنجف والإكثار من مصطلح «الأئمة الأطهار» و«الحسين والعباس» عند التباهي بالعراق وحضارته ومكانته، حتى أصبحت هذه المفردات والمفاهيم جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع.

فإذا اجتمع الضغط الحكومي مع التصور الخاطيء عن التشيع، فمن المحتمل أن يُنتجا تماهياً وتماشياً وتقبلاً للتشيع كديانة للدولة ومذهب قسم من الشعب (الشيعية).

٣- ضعف التدين عند المجتمع السني فلا يمكن وصف المجتمع السني بأنه مجتمع متدين، فالقيم الدينية ضعيفة ولا ترقى لمستوى التدين عند السعوديين أو المصريين، وهذه الحال ثمرة عقود من الحكم البعثي الاشتراكي المتطرف في محاربتة للدين، وبعد الاحتلال الأمريكي زاد نفور الناس من الإسلاميين نتيجة جرائم القاعدة وحملة الفكر المتطرف، وسياسات الحزب الإسلامي، وبعض تصرفات فصائل المقاومة، وتعزز ذلك بالضغط الشيعي.

في مقابل التدين الهش عند السنة نجد إقبالاً شيعياً شديداً على المذهب بقناعة أو بغيرقناعة، فالتدين الشيعي لا يعني الالتزام بالعبادات والأخلاق وتهذيب السلوك وضبطه وفق أحكام الدين، وإنما هو محض التعصب للمذهب وإحياء شعائره والالتفاف حول أئمتيه وممثليه من السادة (يعني المنتسبين لآل البيت) والمراجع ورجال الدين (رغم العلم بفسادهم وعدم تأثيرهم)، فبهذا الاعتبار كل الشيعة متدينون لا فرق بين معكثف في النجف أو شاب اعتاد لسانه على سب الدين!

فحينما نقارن التدين الشيعي القائم على التبعية

العمياء، بضعف التدين السني الممزوج بأفكار وطنية بالية غير صالحة للبقاء في العراق، فالكفة راجحة لصالح الشيعة، فالسني في هذه الحالة لن يبالى بعقيدة الحاكم وهوية الدولة، فالقبول بالتشيع لن يكون أمراً صعباً ولن يعترضه حواجز نفسية أو دينية!

إن غياب العناصر السابق ذكرها (القيادة الدينية، والمشروع السياسي، والوعي بخطر التشيع، والتدين) يعني وجود نقاط ضعف واختراق يمكنها أن تؤدي بأهل السنة إلى التشيع شيئاً فشيئاً.

سنة اليوم، شيعة أمس

إن سنة العراق اليوم إذ يواجهون خطر ذوبان العقيدة واضمحلال الانتماء السني يمكن تشبيه حالهم بالشيعة أيام الحكم السابق حيث حاصر النظام نشاطهم الديني ومنعهم من التواصل مع المرجعية وحظر ممارسة الطقوس والشعائر، ونكّل بالعناصر الفاعلة منهم (حزب الدعوة وغيره)، فعانى الشيعة من فقدان الهوية بسبب انعدام الموجه والمحرض الطائفي، رافق ذلك سياسة بعثية ضد أشكال التدين الشيعي، ونتيجة لذلك فقد تشبعوا بالثقافة القومية العربية السنية (العروبة، والثناء على الصحابة ورموز الحضارة) ومنهم من ترك التشيع واعتنق الدين الصحيح.

فحينما يتساءل بعض السنة (مستغرباً) عن سبب الخلاف بين السنة والشيعة بالرغم من عدم وجوده أيام صدام، فالجواب أن سلوك الشيعة لم يكن نابعاً من عقيدة، وإنما من ثقافة الحاكم القومي.

فالسنة اليوم يعيشون تجربة الشيعة تحت حكم صدام، لكن مع الفارق لسببين:

١- فنظام صدام لم يضطهد الشيعة لديانتهم وإنما لانحيازهم إلى إيران، بخلاف المالكي المختنق بحقه، ففي الحالة الأولى كان بالإمكان التخطيط والعمل السري مع التذرع بالنفاق لحزب البعث وهذا ما فعله الشيعة، أما العرب السنة اليوم

فلا يمكنهم العمل لصالح قضيتهم وإظهار التشيع، لأن الحاكم الشيعي لن يثق بالسنة ما لم يضمن ولاهم فهو شديد الحساسية لهذا المسألة بخلاف الحاكم البعثي الذي لا يولي اهتماماً للفوارق الدينية.

٢- كما أن إيران كانت تؤوي شيعة العراق وتدعم نشاطهم ضد صدام، بينما لا يجد السنة من ينصرهم أو يتبنى قضيتهم، وهذا يعني أن فرصتهم في المقاومة أضعف من فرص الشيعة، يضاف إلى هذا الدعم الغربي (أو الأمريكي على الأقل) للشيعة باعتبارهم أكثرية مضطهدة، مقابل تخوفهم من السنة (ورثة الإمبراطورية الإسلامية) أو رمز التشدد والأصولية من وجهة نظر اليمين المتصهين.

قد يعترض البعض على هذا الطرح، ويشكك بواقعيته لاسيما في ظل حرب المالكي على السنة والتي لا تبقى أي مجال لاستمالتهم وإدخالهم في دينه، لكن لا يمكننا إغفال الأمور المتقدم ذكرها، ولا بد من دراستها وغيرها من الأخطار التي قد تدفع السنة نحو التشيع الديني.

لقد تغيرت ديانة الإيرانيين تحت ضغط السيف، وتغيرت ديانة شيعة العراق في الجنوب بسبب الجهل من جهة، وإهمال الدولة العثمانية السنية من جهة أخرى، وسنة العراق اليوم:

١- يواجهون مختلف أنواع الإرهاب من نظام ديني دكتاتوري مدعوم إقليمياً ودولياً.

٢- يعانون من قلة الوعي بالتشيع وخطره، وضعف المناعة الدينية ضد هذا النوع من الحروب.

٣- إهمال الدول السنية لقضيتهم.

فالعوامل التي ساهمت في التغيير الديني لإيران وجنوب العراق تحاصر اليوم سنة العراق، والله وحده يحمي دينه ويثبت العباد عليه.

من مخططات المالكي للحصول على ولاية ثانية

عبد الهادي علي^(١) - خاص بالرائد

بعد أيام، وفي شهر إبريل/ نيسان يحين موعد الانتخابات البرلمانية في العراق، وقبيل كل انتخابات يعيش العراق أجواء خاصة من التوترات السياسية والأمنية، أما هذه الانتخابات فلها طعم خاص، فرئيس الوزراء نوري المالكي يريد ولاية ثانية، تمهيدا للتربع على عرش العراق إلى قطع النفس (كما يقول أهل العراق).

وشخصية نوري المالكي تحمل صفات

متعددة، فهو شيعي طائفي من حزب الدعوة^(١)، نجح بإقامة علاقات متوازنة بين الأمريكان والإيرانيين، وهو شرط لأي حاكم ليكون مؤهلاً لحكم العراق أن ينقسم ولاؤه بين هذين القطبين.

لكن المالكي ولغاية أشهر مضت كاد أن

يدب إليه اليأس بالحصول على ولاية ثانية؛ لذلك كانت كل المؤشرات تشير إلى أنه قرر أن يحرق العراق كي يؤجل الانتخابات، إلا أن المفاوضات الإيرانية الأمريكية الأخيرة، كانت مع إقامة الانتخابات؛ لذلك اضطر المالكي إلى تغيير سياسته بمعونة إيران، وعمل منذ أشهر على إقامة الانتخابات، ومن ثم التخطيط لنيل ولاية ثانية، واختار الحفاظ على الوضع الراهن متخوفاً من فقدان السلطة إذا أقدم على تغييرات جذرية حالياً.

ولا يزال المالكي يمتلك القدرة على التأثير

في الانتخابات القادمة وذلك عبر استخدام موارد الدولة والتأثير السياسي وسيطرته على الجيش،

(١) كاتب عراقي.

(١) من المؤسف أن كثيراً من مغفلي السنة كانوا لا يعدون حزب الدعوة حزباً شيعياً متطرفاً، حتى سنة ٢٠٠٥.

لكن الذي يعكس عليه الأمور أن خصومه في تزايد مستمر؛ لأنه لا يقدم لخصومه من السنة والشيعية أي تنازل، فهو مثلاً بدلاً من إعطاء السنة تنازلات سياسية حقيقية، سعى إلى تشكيل تحالف جديد مع بعض الأحزاب السنية التي من الممكن استيعابها بسهولة (المطلق - جمال الكربولي -

بعض نواب القائمة العراقية بصورة منفردة - والصحوات)، وهذا هو ديدنه في السياسة مع خصومه من السنة والشيعية يخترق خصمه باستخدام المال والإغراء على السلطة لتفكيك الخصم وإضعافه، وكذلك وقف ضد المكونات الشيعية داخل الائتلاف الوطني، وأخترقه محاولاً إضعافهم لأنه يشعر بخطر قيام تحالف جديد بين التيار الصدري ومجموعات الحكيم على مستوى الحكم المحلي (المحافظات الشيعية) قد يتسبب في تهديد وضع المالكي باعتباره «وكيلاً عن الشيعة» بل من الممكن أن ينهي حكمه وإلى الأبد. هذا على سبيل العموم أما تفصيلاً فإن مخطط المالكي مع المكونات العراقية هو على الوجه الآتي:

الأكراد: تراجع المالكي عن التنازلات التي قدمها لهم بعد أن شعر برغبة الأكراد الحقيقية بتغييره، فعاد وافتعل مشكلة شركات النفط والتصدير إلى تركيا، واضطر لعقد صفقة مد أنبوب نفط البصرة (نفط الجنوب) عبر الأردن كي يشعر تركيا والأكراد أن هناك منفذاً آخر أكثر أمناً لنفطه بعيداً عن منفذ الشمال وتركيا، هذا التهديد للأكراد ربما يجعل بعضهم يتعاقد مع المالكي، وأقربهم لهذا الفعل هو مسعود برزاني؛ لأنه يتعرض لضغوط كردية للتخلي عن رئاسة الأقليم، وربما يساومه المالكي على منصب رئاسة العراق بدلاً من جلال طالباني (الميت سريريا في ألمانيا)، ويعتقد بعض المحللين أن الأكراد سيكونون مع القادر على تكوين التحالف

الأكبر، ولذلك ربما سيقفون مع المالكي بعد الانتخابات.

الشيعة: أحس المالكي أن حصة تحالف المجلس الأعلى بقيادة عمار الحكيم ومقتدى الصدر مع بعض المكونات الشيعية الصغيرة تتزايد في الوسط الشيعي وقد تحقق رقما انتخابيا أكبر من قائمته (دولة القانون) كما فعلت في انتخابات مجالس المحافظات. فعالج هذا التقدم بعدة أمور:

- افتعل حرب الأنبار ليؤجج مشاعر الشيعة وأنه هو من يحميهم من الإرهاب السني.

- سبق ذلك بتصريحات طائفية بأنه يحارب يزيد وأعوانه، وأنه ينصر الحسين في ثورته، والشيعة في الغالب شعب جاهل يسير وراء التشنجات الطائفية.

- استطاع المالكي أن يشتري ولاء الميليشيات (ثأر الله، وحزب الله العراق، وعصائب أهل العراق) ومن ثم أطلق لها العنان وبعض هذه الكتائب كان محسوباً على التيار الصدري واستطاع المالكي سحبها منه وإضعاف بعض قواعد التيار الصدري، والخلاصة أن المالكي يشتري أصوات الشيعة بدماء السنة.

- سهّل للمليشيات المؤدلجة الذهاب إلى سوريا وتكوين فصائل هناك مثل كتائب أبي الفضل العباس، وهذا عمل يرضي فيه إيران في نفس الوقت.

- أخيراً ضرب التيار الصدري بشمول بعض شخصياته بقانون الاجتثاث، وكذلك بعض الشخصيات الشيعية المستقلة التي تعارض حكمه، كما فعل مع النائب صباح الساعدي.

- وللمالكي داخل الشيعة أنصار أكثر من الدعاة الشيعة ومن عوائل الشهداء والمتضررين من النظام السابق والخائفين من عودته، والمناوئين

للتيار الصدري والمجلس الأعلى، ومن عموم الشيعة غير المتحزبين الذين يرون فيه أفضل الموجودين، ومن الذين حصلوا على امتيازات مثل المنح والدمج والأراضي والسجناء السياسيين والهجرة والمهجرين، ومنتسبي القوات المسلحة من الجيش والشرطة الذين يرون فيه راعياً لهم ويخشون من تغييره لأنهم قد يفقدون امتيازاتهم أو حتى وظائفهم.

- الأمر الآخر الذي يصب في صالح المالكي إعلان مقتدى الصدر اعتزاله للسياسة وإغلاق مكاتبه السياسية والاجتماعية، وهذا يرفع الغطاء عن كل مجموعة التيار الصدري السابقة ممن فازوا سابقاً باسم الصدرين (محمد باقر - محمد صادق) لأن عليهم اليوم أن يترشحوا بأسمائهم وجهدهم الشخصي أو أن يتكتلوا في كتلة جديدة لا تلتحق باسم الصدر وهذا مما سيفقدهم كل الجمهور الصدري الموالي للصدرين.

السنة: عملياً قرر المالكي أن ينهي الاعتصامات السنوية التي بقيت صامدة لمدة عام؛ لذا شرع بعد رفع الخيام من الأنبار وعلى الفور بالهجوم على بعض رموز الحراك، حيث هاجمت قوة من (سوات) بكل ما تيسر لها من أسلحة خفيفة ومتوسطة منزل النائب الدكتور أحمد العلواني، الأمر الذي أدى إلى غضب عارم لأهالي الأنبار إلى تردي الوضع الأمني، وبهذا تتصل المالكي من تنفيذ المطالب السنوية وهذا ما كان يريده المالكي تحديداً، وكذلك أراد كسر شوكة العشائر الأنبارية السنوية، وعموم سكان محافظة الأنبار؛ لأنه لم يكن بوسعه مهاجمة ساحة الاعتصام بقوة السلاح أمام أنظار العالم.

وهذا السيناريو - في بداية الأمر - حقق

هدف المالكي الأهم والأكبر وهو إما تأجيل الانتخابات البرلمانية في محافظة الأنبار أو إجراؤها في ظروف لا تسمح بالمشاركة الكثيفة فيها وتوفير الفرصة على سكان الأنبار في اختيار ممثليهم الحقيقيين للدورة البرلمانية القادمة، ويتيح للمالكي اجتذاب ما حدث في الانتخابات التشريعية السابقة في عام ٢٠١٠، عندما أصيب بصدمة كبيرة بعد فوز القائمة العراقية بـ (٩١) مقعداً وتفوقها على قائمة التحالف الوطني^(١).

كما أن المالكي نجح في شراء العديد من

الأصوات السنية من قبيل صالح المطلك ومجموعته، وحركة الحل بقيادة الدكتور جمال الكربولي؛ لذا هؤلاء سيساندون المالكي في حالة تكوينه لأي تجمع بعد الانتخابات.

كما استطاع المالكي باختراقه القاعدة

(داعش وأخواتها) أن يكثّر من التفجيرات

العشوائية في المناطق الشيعية ليثير العراق، ويظهر بمظهر المنقذ للشيعية والمحارب للإرهاب أمام العالم، وليصفي أكبر عدد من المعارضين السنة أو يحاربهم بحجة الإرهاب.

هذا على الصعيد الداخلي؛ أما خارجياً فهو

يعلم أن الحسم الحقيقي في العراق هو خلاصة اتفاق أمريكي إيراني، ولما كان المالكي يعلم أن إيران ترغب ببقائه لأنه صديق مشترك بينها وبين الأمريكان ولا تريد المجازفة بمجيء غيره قد لا يكون مرغوباً لديهم.

ولضمان التأييد الإيراني وقع مع إيران صفقة

شراء أسلحة وذخائر قيمتها ١٩٥ مليون دولار،

وأعلن عن توقيع ستا من بين ثماني اتفاقيات مع هيئة الصناعات الدفاعية الإيرانية لتزويد العراق بأسلحة خفيفة ومتوسطة ومدافع مورتير وذخائر للدبابات والمدفعية، في مخالفة صريحة للحظر الدولي على مبيعات السلاح الإيرانية.

لكن المالكي رغم تنازلاته المالية

للإيرانيين، والتي أدخلت العراق في أزمت كبيرة، لا زال قلقاً بشكل واضح؛ لذا فقد أعد لعدة أمور ضماناً لفوزه منها أنه يريد تصويت الجيش والشرطة له، كما أنه يعدّ لعمليات تزوير ضخمة.

والسؤال الأخير: هل ينجح المالكي بنيل ولاية ثالثة،

هذا ما ستكشفه الأيام القادمة.

(١) لم يكن بوسع المالكي البقاء في الحكم لولاية ثانية لولا أمرين اثنين:

الأول: صدور قرار غريب وعجيب من (القضاء) - الخاضع لهيئته والذي يفسر بنود الدستور حسب أهواء الحاكم ومصالحته - حيث نص القرار على أن الائتلاف الفائز في الانتخابات هو الائتلاف الذي يتشكل بعد الانتخابات لا قبلها وهو أمر لا سابقة له، ليس في العراق ولكن في العالم بأسره.

الثاني: اتفاقية أربيل، الذي تتصل منها المالكي في الجلسة الأولى للبرلمان.

خلاصة التصريحات الإيرانية المتعلقة بموضوع الدراسة والتي بلغت ١٦٠ تصريحاً من ناحية التكرار والشخصيات والموضوعات.

ورصدت الدراسة تصريحات كلٍّ من: المرشد الإيراني وبعض مستشاريه، والرئيس السابق أحمددي نجاد ومستشار له، ووزير الخارجية وعدد من مساعديه، وأعضاء مجلس الشورى، وأعضاء مجلس صيانة الدستور، وأعضاء مجلس الخبراء، وقيادات القوات المسلحة، ومسؤولي مؤسسة حفظ الآثار ونشر قيم الدفاع المقدس، والمرجعيات الدينية، ومن بعض حلفاء إيران كالمالكي وحسن نصر الله ومقتدى الصدر والسيستاني، وبعض الجهات الإيرانية غير الرسمية، ثم ختم برؤى الصحافة الإيرانية.

أما المحاور التي دارت عليها هذه التصريحات فهي:

١- تشبيه الاحتجاجات البحرينية بثورات تونس ومصر وليبيا.

- ٢- الحض على العنف والفوضى والإرهاب.
- ٣- رفع الاحتجاجات البحرينية إلى المحافل الدولية.
- ٤- المطالبة بالبحرين باعتبارها ولاية إيرانية.
- ٥- دخول قوات درع الجزيرة للبحرين.

العدوان الإيراني والشيوعي على البحرين

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

أصدر مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية كتابين جديدين للدكتور عمر الحسن عن العدوان الإيراني والشيوعي على البحرين تحت غطاء ثورات الربيع العربي، تناول الأول رصد التصريحات الإيرانية في الشؤون البحرينية الداخلية، وتناول الآخر دراسة تطور الأعمال الإرهابية في البحرين مؤخراً.

الدراسة الأولى جاءت

ب عنوان «التدخلات الإيرانية في الشؤون الداخلية البحرينية التصريحات الرسمية وشبه الرسمية منذ ١٤ فبراير ٢٠١١ وحتى ١٣ مايو ٢٠١٣»، وهو يقع

في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط، وباللغتين العربية والإنجليزية.

وتتكون الدراسة من فصل أول يقدم

(*) كاتب أردني.



٦- التهديد والوعيد من تفتيش منزل زعيم الشيعة عيسى قاسم.

٧- ادعاء انحياز أمريكا للحكومة البحرينية.

والدراسة تمكن الباحثين والمهتمين من فهم حجم التدخل الإيراني في شؤون الآخرين بكل وقاحة من خلال دراسة حالة البحرين على وجه الخصوص، وكما أنها تتيح للباحثين التأمّل في أساليب المراوغة السياسية من خلال هذه التصريحات التي تجمع بين الدبلوماسية المخادعة

والتقية، حيث تفوق إيران على جيرانها الخليجيين في لعبة الإعلام والدعاية، ولذلك تتمكن من استقطاب مؤيدين أكثر من صفوفنا مع الأسف.

الدراسة الثانية جاءت بعنوان «تطور نوعي في الأعمال الإرهابية في البحرين الثلث الأول من عام ٢٠١٣ دراسة حالة»، وهو يقع في ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير، وباللغتين العربية والإنجليزية، وقد ساعد د. عمر الحسن فريق بحثي في إنجاز هذه الدراسة.

تبدأ الدراسة بالتبني على أن أعمال الإرهاب تطورت في البحرين عن سابقتها، والتي كانت تقتصر على عمليات بدائية ضد رجال الأمن، والتعدي على الممتلكات العامة والخاصة بقنابل المولوتوف وأسيخ الحديد، إلى صناعة وتركيب عبوات ناسفة وتنظيم حملات ضد الأجانب والمقيمين واستهداف مؤسسات الدولة التنفيذية.

تحصر الدراسة التحديات الأمنية الجديدة التي تواجه البحرين في عام ٢٠١٣ بثلاثة تحديات هي:

١- الإرهاب وحرب الشوارع، مثل استخدام قنابل المولوتوف وقطع الطرق وإشعال الإطارات فيها

والاعتداء على رجال الأمن، والتي هي مظاهر متكررة في البحرين.

٢- بروز أشكال جديدة من التطرف، تقوم على نشر فكرة معاداة الدولة في مختلف المجالات أكثر من كونها تبشر بأيدولوجية معينة.

٣- التهديدات الأمنية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، والتي لا يمكن ضبطها بخلاف وسائل الإعلام العامة.

ثم تنتقل الدراسة لرصد تطور أعمال العنف في المظاهر التالية:

❖ من ناحية الكم بالمقارنة بين عامي ٢٠١٢ و ٢٠١٣ على النحو التالي:

حوادث ضد الأشخاص والممتلكات الخاصة من ١٨ إلى ٢٧.

حوادث ضد المؤسسات التعليمية من ٣٣ إلى ٨١.

حوادث ضد رجال الشرطة ووزارة الداخلية من ٢٣ إلى ٥٠.

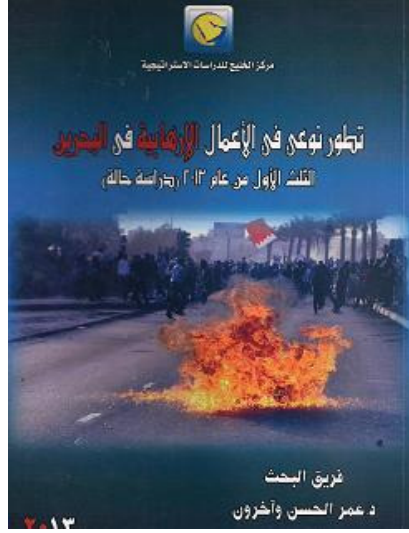
حوادث ضد المنشآت العامة من ٣ إلى ١٥.

❖ من ناحية النوع لوحظ استخدام سلاح الشوزن (بندقية صيد) ضد رجال الأمن الذين أصيب منهم ٤ أشخاص.

كما تم استخدام قنابل محلية الصنع ٨ مرات، فضلاً عن ضبط العديد من المستودعات المليئة بآلاف قنابل المولوتوف، وطفائيات الحريق التي تستخدم كقاذفات للأسياخ الحديدية.

❖ من ناحية الخطورة والآثار، كشف عن نواة لتأسيس «جيش الإمام» في البحرين، ليتبع أصله في العراق بقيادة مقتدى الصدر، وتورط به بحرينيون وعراقيون وإيرانيون.

كما كشف عن وجود مخطط للهجوم على ملعب البحرين خلال بطولة الخليج لكرة القدم، وبعض المعسكرات والمؤسسات.



وهذا تطور من رشق الشرطة بالحجارة في سنوات التسعينيات إلى المولوتوف إلى قتابل محلية الصنع، كما أن الأمر أصبح مخططاً وله أبعاد كبيرة وليست احتجاجات عفوية.

تنتقل الدراسة لتتهم المعارضة بصراحة أنها لجأت للعنف وغيرت تكتيكاتها ومسارها السلمي في السنوات الماضية بعد اندلاع ثورات الربيع العربي، وكانت نتائج هذا العنف:

٥٠ حالة اعتداء على رجال الأمن، ٨١ حالة اعتداء على مدارس حكومية، ٢٧ حالة اعتداء على أشخاص مدنيين.

وتنتقل الدراسة لرصد سياسة وزارة الداخلية في إدارة الأزمة، وأنها لجأت لسياسة الهدوء بداية ولمدة طويلة، حيث انتقلت المعارضة من احتلال الدوار (دوار اللؤلؤة) إلى محاصرة البرلمان إلى حصار مجلس الوزراء ووزارة الداخلية ثم التظاهر أمام الديوان الملكي واحتلال الشوارع الرئيسية، لكن هذا لم يجد مما اضطر وزارة الداخلية للتدخل وإعادة الانضباط والهدوء للشارع.

عملت سياسة الداخلية على التواصل مع الهيئات التشريعية والشعبية، والتنسيق مع المحافظين، والتواصل مع الإعلام والمؤسسات الدينية، ونفي البعد الطائفي في عملها، وتحديث وتطوير الإدارات والأجهزة التابعة لها، كما فعلت مدونة سلوك الشرطة لتراعي معايير حقوق الإنسان بحسب توصيات لجنة تقصي الحقائق، هذا كان على الصعيد المحلي.

أما على الصعيد الإقليمي فكان هناك تنسيق وتعاون مع الأجهزة الأمنية الخليجية لتبادل المعلومات والخبرات، وتصديق وزراء الداخلية في مجلس التعاون الخليجي على الاتفاقية الأمنية المشتركة المعدلة.

وعلى الصعيد الدولي قامت الداخلية بتوقيع مذكرة تفاهم مع هيئة الصليب الأحمر تسمح لها بزيارة مراكز الاعتقال والإصلاح في البحرين، والسماح لأكثر من ٣٠ منظمة حقوقية دولية لزيارة البحرين والاطلاع على الواقع.

وخلصت الدراسة لعدد من التوصيات منها:

- ١- أن يكون القانون سيد الموقف، وعدم ترك الجناة دون عقاب.
- ٢- معالجة أوضاع الجمعيات المخالفة للقانون والدستور.
- ٣- وضع حد للمنبر الديني المحرض والمحشد لهذه الحوادث.
- ٤- تتبع المحرضين للمراهقين على العنف ومحاسبتهم، لمنع استمرار الظاهرة.
- والدراسة مزودة بخمسة ملاحق تفصيلية هي:
 - الخسائر في الممتلكات العامة والخاصة عام ٢٠١٢.
 - تفاصيل المضبوطات خلال عام ٢٠١٢
 - إحصائيات الإرهاب من يناير إلى نوفمبر ٢٠١٢
 - الأعمال الإرهابية في الربع الأول من ٢٠١٣
 - قائمة المنظمات الحقوقية التي زارت البحرين
- وختم الكتاب بصور ملونة لبعض حوادث الإرهاب التي شهدتها البحرين.**

وقاحة الاعتراف

قالوا: «المشكلة في مسألة سوريا هي موقفنا السياسي وليس تدخلنا العسكري الذي جاء بعد تدخل الجميع»، مضيفاً: «منذ اليوم الأول قلنا إننا لسنا مع هذا الصراع ولا مع إسقاط النظام بل مع الدولة والإصلاح والحل السياسي». وأوضح: «مع الوقت تدرج موقفنا وذهبنا إلى الميدان، وأول تحد عسكري محدود كان في منطقة السيدة زينب في الغوطة الشرقية بدمشق، بعدما أصبحت الجماعات المسلحة على بعد مئات الأمتار من المقام الذي سيؤدي تدميره إلى تداعيات خطيرة جداً». ورأى أن «المشكلة في لبنان ليست في ذهاب حزب الله إلى سوريا بل في تأخره في الذهاب، ويوما بعد آخر تثبت صحة الخيارات التي اتخذناها».

حسن نصر الله -

الشرق الأوسط، ٢٠١٤/٣/٣٠

ماذا فعلوا في عمان؟

قالوا: رفضت سلطات مطار القاهرة الدولي مساء اليوم «الجمعة» دخول ٨ من طائفة البهرة إلى البلاد منهم ٧ يحملون جواز سفر أمريكي وآخر يحمل جواز سفر كنديا. وقامت سلطات المطار بالاستجابة لطلبهم بالتوجه إلى الولايات المتحدة بعد تعذر دخولهم البلاد. وأفاد مصدر أمني مسئول بمطار القاهرة الدولي إن الركاب الـ ٨ وصلوا مطار القاهرة قادمين من عمان على متن طائرة الخطوط الأردنية.

وطائفة «البهرة» نسبتهم إلى الفاطميين الشيعة الذين كانوا في مصر إبان العصر الفاطمي، وعندما انتهى العصر الفاطمي هاجر الكثيرون من مصر وانتقلوا من بلد إلى آخر حتى انتهى بهم المقام إلى جنوب الهند، وقد هاجر عدد من «البهرة» إلى دول الخليج وخاصة الإمارات

العربية المتحدة، خاصة في دبي، إذ يعتبرونها مركزاً لهم كما يتواجدون في بقية دول الخليج.

المصريون ٢٠١٤/٣/٢٩

طائفية متغلغلة

قالوا: نشجب بأشد العبارات قيام الأمين العام لجمعية الوفاق، بالخطاب الذي ألقاه يوم الجمعة الموافق ٢١ مارس ٢٠١٤م، بالتطاول بالإساءة لصحابة النبي (ﷺ) رضي الله عنهم أجمعين، واتهامهم من قبله زوراً وبهتاناً بما ليس فيهم، وذلك في إطار فكره الحاقد على صحابة النبي (ﷺ) وآل بيته الطاهرين.

وذكرت الأصالة في بيانها الرسمي أن الأمين العام للوفاق وفي إطار إحيائه لما يسمى «ذكرى وفاة فاطمة الزهراء» قد قام عمداً وعلناً وأمام جمع من الناس بسب المهاجرين والأنصار واتهمهم، والعياذ بالله، بالجبن والعجز والتخلف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد وفاة النبي (ﷺ).

بيان جمعية الأصالة الإسلامية بالبحرين

نطق بالحق!

قالوا: الطرق الصوفية كانت أداة لخدمة جهاز أمن الدولة ضد الإخوان المسلمين في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك. واستشهد أبو العزائم لذلك بالحرب «الإسرائيلية» على غزة وإغلاق نظام مبارك للمعابر الحدودية قائلاً: «لم يجرؤ أحد من الصوفية على انتقاد النظام حينها».

ووصف أبو العزائم في تصريح إلى الإذاعة الألمانية «دويتشه فيله» القيادات الصوفية بالفاشلة، وأنها لا تمتلك وزناً حقيقياً في المجتمع المصري، لأنها تقبل بتوظيفها من قبل السلطة، لاسيما إبان نظام مبارك. واعتبر شيخ

الطريقة العزمية أن قيادات الصوفية تقدم نفسها للسلطة الحالية لتحقيق مصالحها الشخصية. وأضاف أنهم يدعمون المشير عبد الفتاح السيسي لركوب الموجة، مؤكداً أنهم يستغلون النظام الحاكم أياً كانت توجهاته.

محمد علاء الدين أبو العزايم،

شيخ الطريقة العزمية

موقع الإسلاميون - ٢٠١٤/٣/١٥

لا حد للإجرام الشيعي

قالوا: صدام حسين لم يؤمن يوماً بمفهوم شراكة أو بتداول سلمي للسلطة، ولم ينف عن نفسه صفة الديكتاتور، وهي الصفة التي ظل المالكي ولا يزال يتطير منها كلما وصفه أحد خصومه بها، وفي مقدمتهم زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر الذي زاد بأن منح المالكي لقب «طاغوت العصر» بعد أن كان وصفه لعدة مرات بـ «الديكتاتور». وكذلك نائبه لشؤون الخدمات صالح المطلك الذي وصف المالكي ولأكثر من مرة بلقب «الديكتاتور» وأبعد عن منصبه لأكثر من سنة بسبب ذلك.

من جهة ثانية، يقول محللون سياسيون إن المالكي استطاع خلال سنوات قليلة أن يجعل العراقيين يندمون على سنوات صدام حسين وتشير الإحصاءات في أيام الاحتلال الأميركي، إلى أن معدلات القتل اليومية لم تكد تذكر خلال السنتين الأولى والثانية من الاحتلال (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤) لتبدأ بعدها عملية المقاومة المسلحة منذ عام ٢٠٠٥. وعقب تفجير سامراء عام ٢٠٠٦ اندلعت أعمال القتل الطائفي حيث كان المالكي قد تسلم منصبه رئيساً للوزراء بدلاً من إبراهيم الجعفري بعدها بنحو شهرين.

حمزة مصطفى -

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٣/١٩

اختراق للعظم

قالوا: وجه الطريجي سؤالاً إلى نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية الشيخ محمد الخالد أشار فيه إلى قيام وزارة الداخلية بتعيين شقيقتين من الجنسية الإيرانية، هما: فزناز محمد جواد مطرقي، وفرييا محمد جواد مطرقي، في الإدارة العامة لنظم المعلومات،

وأوكلت للأولى وظيفة تنفيذ إجراءات الدخول والخروج ونظام سرية المعلومات، ولشقيقتها وظيفة تنفيذ إجراءات تنفيذ الأحكام والسجون.

وقال: بالنظر إلى أن وجود شقيقتين من الجنسية الإيرانية يعملان في هذه الإدارة المهمة وإسناد وظائف حساسة لهما تتعلق بنظام سرية المعلومات يعتبر ثغرة أمنية لا يمكن السكوت عنها وخرقاً لأبسط قواعد وأسس العمل الأمني لذا فإنني أطلب تزويدي بقرار تعيين المذكورتين ومن المسؤول عن تعيينهما في الإدارة العامة لنظم المعلومات، ومن توسط لهما في عملية التعيين.

صحيفة السياسة الكويتية قبل ٧ شهور
عبد الله الطريجي رداً على جواب وزير الداخلية: الوزير بالهيئة ما جاب. هو قال: نحن تقدمنا بإعلان ولم يتقدم أي كويتي. معقول! وديوان الخدمة كله مرشحون. الوزير قال إنهما موظفتان عاديتان ما لهما علاقة بالبيانات السرية، مع أنني لدي معلومة أن إحداها مشغلة حاسب تعمل في نظام سرية المعلومات، والطامة الكبرى أن الثانية تعمل في مجال تنفيذ إجراءات أحكام السجون.

السياسة الكويتية ٢٠١٤/٣/١٣

بكل وضوح وصفاة

قالوا: كتاب «الرياضيات» الذي يُدرسه الحوثيون لطلاب الصف الثاني الابتدائي في كثير من المدارس الحكومية بمحافظة صعدة يتكون من ٢٣ صفحة ملونة، وعلى الصفحة الأخيرة من الكتاب شعار «مؤسسة الإمام الهادي الثقافية» وهي مؤسسة تابعة لجماعة الحوثيين المسلحة.

أحد التمارين في كتاب الرياضيات يطلب من الطلاب الصغار الآتي: «غنم المجاهدون في إحدى المعارك ثلاثمائة وستة وعشرين قطعة سلاح من نوع مدفعي، ومائتين وثلاثة بنادق، فكم صار مجموع الغنائم؟».

موقع المصدر أون لاين ٢٠١٤/٣/٢٨

لهذا تروج دعايتهم الباطلة

قالوا: ذكرت دراسة أمريكية أن أصول مؤسسات المجتمع المدني اليهودي تبلغ ٢٦ مليار دولار، وتحصل على إيرادات سنوية تتراوح قيمتها بين ١٢ و ١٤ مليار دولار.

موقع الإسلاميون ٢٠١٤/٣/٢٨

التي قام بها البعض، وأيضا في عام ١٤٣٠ هـ، وفي شهر ربيع الآخر وقع ستون شخصية من أهالي القطيف على بيان أكدوا فيه على رفض الإرهاب وعلى رفض الكراهية بين المواطنين، ومع صدور تلك البيانات كان يصدر - أيضا - تصريحات من بعض العلماء والمتقنين تصب في الاتجاه نفسه، فالشيخ حسن الصفار أكد أن موقف العلماء ليس جديدا، فقد عبروا عن انحيازهم للوطن مرارا، كما أنهم - في الوقت نفسه - أنكروا على ممارسي العنف والإرهاب في جملة من خطبهم، وكان للشيخ جعفر آل ربح - وهو إمام لأحد المساجد الكبيرة في العوامية - تصريحات مهمة حول ما يجري في العوامية؛ فقد أكد أن بيان العلماء لا يكفي، فقال: (إن هذه المبادرة لن تكون الحل السحري الذي ينتشل البلدة بين ليلة وضحاها، لكنها تحرك المياه الراكدة وتعطي فسحة للأصوات الصامتة لتعبر عن رأيها في الوضع الحاصل وعدم مصادرة الآراء)، وأتفق مع الشيخ الربيع في أن مجرد المبادرة لا يكفي وحده، ولا سيما وقد أثبتت الأيام القريبة صحة ما أقول، فالرصاص لا يزال ينطلق من البعض باتجاه جنود الدولة، وقد قتل عدد منهم ظلما وعدوانا، وتسبب هذا الفعل في قتل عدد من المطلوبين أمنيا ما كان في النية أكثر من القبض عليهم وإحالتهم إلى القضاء شأنهم شأن الذين يقومون بأعمال إرهابية في عموم أنحاء الوطن، ولكن مقاومتهم للجنود بالرصاص أدت إلى قتلهم،

أحداث العوامية: البيانات وحدها لا تكفي!!

محمد بن علي الهرفي - صحيفة عكاظ ٢٥/٣/٢٠١٤

قبل بضعة أيام وقع مجموعة من مشايخ وعلماء الشيعة من مدينتي القطيف والأحساء على بيان أكدوا فيه استنكارهم للأحداث الإجرامية التي جرت في بلدة العوامية، كما أدانوا في بيانهم استخدام السلاح ضد الدولة والمجتمع، وحذروا الشباب من الانجراف نحو العنف والتطرف.

وأكتب هذا المقال بعد أيام من توقيع ذلك البيان، ومع ذلك لا تزال قلة منهم تطلق الرصاص، وفوق ذلك قرأت في بعض المواقع الاجتماعية نقدا لكل الجهود التي يقوم بها العلماء والمتقنون من أجل تهدئة الأمور، سواء أكانت هذه الجهود قديمة أم حديثة، وهذا الموقف السلبي بحاجة هو أيضا إلى دراسة لمعرفة أسبابه وطريقة التعاطي معها ومع أصحابها، وهذا الواقع هو الذي جعلني أعتقد أن البيانات لا تكفي وحدها مهما كانت طبيعة الموقعين عليها!!

البيان الذي أشرت إليه هو ليس الأول من

نوعه، فقد سبقه عدد من البيانات المشابهة له، ففي عام ٢٠١١م وقع ١٣٥ من أهالي القطيف على بيان استنكروا فيه كل أنواع الأعمال الإرهابية

كما أدت - في الوقت نفسه - إلى قتل عدد من جنود الدولة.

وأعود إلى السؤال مرة أخرى: هل البيانات تكفي وحدها؟.. الواقع يقول إن ذلك لا يكفي، وأنه لا بد من اتخاذ خطوات أخرى لمحاصرة من يقوم بالأعمال الإرهابية، وأعرف بطبيعة الحال أن العلماء والمتقنين قد لا يستطيعون القيام بكل شيء في هذا السبيل، ولكنهم - كما أعتقد - يستطيعون القيام بأدوار أكبر مما قاموا به!!.

مئة شخصية من العوامية أيدوا بيان

العلماء، وقبلهم مئات فعلوا الشيء نفسه، ولكن الواقع يقول: إنه لا بد من الاستمرار في حملة متظافرة الجهود تهدف إلى القضاء على الإرهاب في المنطقة، كما لا بد من إشعار الذين يقومون بتلك الأعمال أن المجتمع لن يحميهم ولن يوفر لهم المكان الآمن لإخفائهم، بل إنه سيبلغ عنهم حال ارتكابهم لأي جريمة، وأيضا يجب أن يعرفوا أن علماءهم ووجهاءهم لن يقفوا معهم على الإطلاق فيما لو ارتكبوا أي نوع من الجرائم، هذا وغيره مما يعرفه الإخوة في القطيف والعوامية أكثر مني بكثير يجب أن يقوموا به حفاظا على شبابهم وحفاظا على أمن المنطقة وأهلها جميعا، وأكثر من هذا كله حفاظا على أمن الوطن كله.

جهود المحافظة على أمن الوطن مسؤولية

جميع أبنائه وفي جميع مناطقهم، كما أن مسؤولية إزالة كل عوامل الكراهية والبغضاء بينهم قضية حيوية وتستلزم جهدا مخلصا من كل القادرين على فعل شيء في هذا الاتجاه، ولا بد من مشاركة بعض الجهات في الدولة في هذا العمل النبيل.

بعد سقوط يبرود لنتذكر الكويت!

عبد الرحمن الراشد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٣/١٧

بحسرة، اعترف أحد المقاتلين السوريين أنهم خسروا معركة يبرود بعد أسابيع من القتال، قال «لم يكن أمامنا، وبأسلحتنا البسيطة، أن نصمد أكثر مما فعلنا، فآلاف من قوات الأسد وحزب الله المجهزة كانت أكبر من قدرتنا».

يبرود ربما ليست معركة حاسمة، كما أن القصير لم تكن قاصمة، لكنها مؤشر خطير على اتجاه رياح الحرب. لقد أشغلت «داعش» و«جبهة النصرة» قوات الجيش الحر المعارض، وجرتّها إلى معارك جانبية، في حين وحّد الإيرانيون القوى التي تحت إدارتهم للزحف على المدن، واحدة بعد أخرى.

ومهم أن نضع الأمور في نصابها. سقوط يبرود علامة خطر يجب أن تضيء الأنوار الحمراء في مراكز القرار العربية، لأنها تعبر عن نجاح إيران التي تقود الحرب في سوريا. فهي لا ترسل السلاح فحسب، بل تمد النظام بالمقاتلين بعد تجنيدهم من كل مكان، بما في ذلك باكستان والعراق، إضافة إلى الآلاف من حزب الله اللبناني.

علينا ألا ننظر إلى حرب سوريا على أنها مجرد مواجهة أخرى في المنطقة، بل هي الحرب الإقليمية الفاصلة، لهذا يستमित الإيرانيون من أجل أن يكسبوها. إذا كسبوا سوريا، يعني أنهم سيطروا عمليا على الشمال العربي، سوريا والعراق ولبنان، ويكون سهلا عليهم تعزيز جبهات مكملة، في اليمن والصومال، إضافة إلى أن نظام البشير في السودان لم يتوقف قط عن خدمة العمل العسكري الإيراني.

جزءاً من الهلال العدواني الذي تحاول إيران بناءه، ويهدف أساساً للهيمنة على جنوبه.

لا أحد يشك، رغم الثمن الغالي، أن نجدة الشعب السوري من المذبحة المروعة واجب أخلاقي، وعمل سياسي ضروري. وبكل أسف، الخسائر الأخيرة تهدد بتدهور سريع لصالح المحور الإيراني. أعرف أن السعودية وحدها اليوم تتحمل أكثر من سبعين في المائة من عمليات الإغاثة لملايين السوريين، وبنسبة أعلى تمول وتدعم القوى المسلحة. وهي تعاني بسبب حظر تسليح المعارضة بالأسلحة النوعية، لأن معظم الدول المشتريّة للسلاح ممنوع عليها بيعه أو تسليمه لطرف ثالث من دون موافقة المصدر الأصلي.. ورغم هذه الصعوبات يبقى ثمن عدم مواجهة حلف إيران أعظم من يبرود، فمصير المنطقة كلها في خطر. وبسقوط سوريا ستصبح المعركة مباشرة وأكثر كلفة.

جيش لبنان في الميزان

مشاري الذابذي - الشرق الأوسط ٢٥/٣/٢٠١٤

لبنان غير الذي تعرفون، أصبح قطعة من المشهد السوري، بمتفجراته وشبيحته الأسديين، وجهاديين النصريين.

شبيحة الأسد، لهم مقابل في شبيحة شاكر البرجاوي ببيروت، وعلي عيد في طرابلس، وشبيحة القومي السوري في كل مكان.

ضباط الحرس الثوري الإيراني في دمشق وحمص وغيرها، لهم ما يماثلهم في ضباط حزب الله في بيروت والبقاع وبعبك وصيدا.

هناك الشيخ الهارب، أحمد الأسير، رمز الغضب السني، والشيخ المسجون عمر الأطرش، هؤلاء رموز الضفة الثانية المناهضة لضفة حسن نصر الله وعيد والبرجاوي.

«الباقيين» لبعضهم. وكلهم أبناء أوفياء لثقافة المرحلة وطبيعتها، يعبرون بصدق عنها، من دون

أما عواقب هذا الانتصار الإيراني، فهي أخطر وأبعد من يبرود ودمشق، قد تقرر مصير المنطقة وخريبتها، وعلينا أن نعي تبعاتها المحتملة. فالقوى الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة، عادة تعترف بالأمر الواقع وتنحني له. وعندما يسيطر الإيرانيون على رقعة واسعة من المنطقة العربية، ويهددون مناطق الطاقة وممراتها، حينها لن يكون هناك بد سوى الاعتراف بهم، والتعامل معهم على حساب الدول الأضعف والخاسرة. وهذا ما قاله الرئيس أوباما في حديثه الأخير عن إيران، إنها دولة كبرى لها طموحاتها، ذات رؤية استراتيجية، وفيه استعداد للقبول بالأمر الواقع، أو الواقع الجديد.

السعودية واجهت تحدياً مماثلاً، عندما استولى صدام حسين على الكويت في عام ١٩٩٠. كان هدفه فرض العراق كقوة مهيمنة على منطقة الخليج. ولا تظنوا أن إقناع الأميركيين بالانخراط في مقاتلته كان أمراً سهلاً. فقد سعى صدام من خلال وسطاء عرب مقربين للغرب لإقناعه باستعداد العراق لضمان مطالب الغرب الإقليمية وحماية مصالحهم، وأن عليهم أن يتذكروا أنه حارب إيران نيابة عنهم. السعودية كانت أسرع وأكثر قدرة على الوصول إلى لندن وواشنطن، ووضعت كل مقدراتها لمواجهة الخطر العراقي وتحرير الكويت. نعم كلفت السعودية أكثر من مائة وعشرين مليار دولار آنذاك، والمخاطرة بمواجهة قوى أصولية وقومية معادية محلياً وإقليمياً.. مع هذا كانت المعركة ضرورية وتستحق الثمن السياسي والعسكري، لأنه لو جلس صدام في الكويت للأبد، وكان ذلك محتملاً جداً، لأصبح الخليج كله تحت رحمته، ولو قاتلته المملكة وحيدة، لربما دامت الحرب عشر سنوات، كما حدث لصدام مع إيران في حرب السنوات الثماني التي أكلت الأخضر واليابس.

نعم، سوريا أبعد قليلاً من الكويت، إنما تبقى في محيط الصراع الإقليمي، وهي تشكل

وحسب «توضيحاتهم» فإن الشيخ الأطرش كان حليق

الذقن حين قبض عليه، أما رفيقه فليس برجل دين.

القصة ليست ذقنا أو لحية، ولا صحة الاتهامات ضد هذين الرجلين من عدمها، المهم هو مغزى هذه الاتهامات المتكررة للجيش بممارسة موقف لئى سمح متفهم متريث مع ممارسات عناصر حزب الله، وأمل، والقومي السوري، وميليشيا عيد بطرابلس، مقارنة بالقوة والحزم والسرعة في التعامل مع جماعة الأسير والأطرش والمخيمات.

هنا الحساسية الحقيقية، وهنا يجب أن ينتبه قادة الجيش ومسؤولوه.

الأمر جد. وما وجود الأسير والأطرش إلا ردة فعل على وجود عماد مغنية ونصر الله وعيد والبرجاوي.

«حوالش» البحرين

إبراهيم الشيخ - أخبار الخليج ٢٠١٤/٣/١٩

قبل أشهر نشرت شبكة الإعلام العراقية الشيعية، خبر تشييع جناز ٢٣ خليجيا بالنجف، سقطوا بمعارك سوريا!

تحدث الخبر عن ٢٣ خليجيا ٩ سعوديين و٨ بحرينيين و٦ كويتيين، كانوا من المتطوعين في المعارك الدائرة بسوريا، وقد شارك في تشييعهم عدد من قادة الأحزاب الشيعية، وأعداد من المليشيات الخاصة هناك.

أولئك لم يكونوا سوى أعداد بسيطة، من مجموع ٤٠ ألف مرتزق «حالشى»، أرسلهم الولي الفقيه الإيراني لقتل الشعب السوري، وتدمير أرضه، تتقدمهم كتائب الحرس الثوري الإيرانية، وكتائب (حزب الله) اللبناني، والمليشيات العراقية، كلواء أبي الفضل العباس، وغيرهم ممن استحلوا دماء الشعب السوري وعرضه وأرضه.

بالتأكيد ذلك الخبر وأشباهه، يمر على

حسن نصر الله يخطب ويهدر ويرفع سبابته ويعدل عمامته، ويعد بالمزيد من المقاتلين ضد أعداء الأسد.. ليرد له التحية أحمد الأسير، الذي «فبرك» أنصار بشار ونصر الله خبر مقتله في معركة بيروت.

الأسير بعد غياب مزمّن منذ مواجهات «عبرا» في مدينة صيدا، (صيف عام ٢٠١٣) مع ميليشيا حزب الله ومساندة الجيش اللبناني، ظهر للعلن مؤخرا، بالصوت والصورة، عبر تسجيل امتد إلى نحو ٢٠ دقيقة، ساخرا من شائعات مقتله في بيروت، داعيا السنة في لبنان للخروج من الجيش الذي اعتبر أنه خاضع لـ«الولي الفقيه» بإيران، وقال لحزب الله: السنة استعصى عليهم العيش مع هيمنة حزب الله، لذلك يجب «تحطيم رأس» الحزب.

الجيش اللبناني، هو المؤسسة الوحيدة، المعبرة عن الوجود المادي للدولة اللبنانية، على الأرض، ولأجل هذا المعنى تلقى دعما سعوديا سخيا بمليارات الدولارات بالاتفاق مع المورد الفرنسي. رسالة سعودية واضحة في نصرة «دولة» لبنان، وليس الميليشيات، كفعل إيران مع حزبها اللبناني.

هذا الجيش حاليا ليس موضع رضا من اللبنانيين كلهم، ومعارك طرابلس، ثم اشتباكات حي الطريق الجديدة في بيروت الأخيرة، مع عصابة البرجاوي، كانت أمثلة مثيرة للغضب لدى الشارع اللبناني السني، باعتبار الجيش يمارس حزمه فقط ضد الطرف السني.

هذا هو الشعور القائم، بصرف النظر عن دفاع المدافعين، ويكفى هنا التذكير ببيان هيئة العلماء المسلمين اللبنانيين، الغاضب، ضد الجيش، بسبب ما اعتبره البيان نزعة طائفية موجودة في الجيش ضد مشايخ السنة، على خلفية خلق الجيش لحيتي الشيخين عمر الأطرش وعمر الحمصي الموقوفين بتهم أمنية، ليأتي الرد من قبل قيادة الجيش على هيئة «توضيح» ينفي هذه الاتهامات،

أتمنى أن تصل إلى «الحوالش»، بأن من بيته من زجاج لا يرمي الناس بالحصى.

هل ثمة فرص لنشوء تحالف إقليمي عربي

لمواجهة المشروع التوسعي الإيراني؟

لا... الإشكالية الكبرى غياب مشروع عربي

من دون استبعاد فرص بنائه بالمطلق

د. محمد السلمي - الشرق الأوسط ٢٤/٣/٢٠١٤

بطبيعة الحال تظل هناك فرص كبيرة لبروز تحالف إقليمي عربي لمواجهة المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة العربية، إلا أن هذا التحالف يواجه عدة تحديات حقيقية تحتاج إلى عمل دبلوماسي كبير قبل تكوين أسس هذا التحالف واستراتيجياته.

ندرك جيدا أن التقلبات التي تعصف بالمنطقة العربية تقف حجر عثرة في طريق بناء وحدة عربية في مواجهة المشروع التوسعي الإيراني، كما أن الانقسامات العربية - العربية تؤجل دائماً العمل العربي المشترك في مواجهات التحديات الإقليمية والدولية. الأمر الأكثر تعقيداً في أعقاب الانفتاح الغربي على إيران بعد الاتفاق النووي المبدئي بين القوى العظمى وإيران يكمن في انفتاح دول عربية على إيران، هذا الانفتاح يدفع تصفية حسابات إقليمية والانتصار لمسائل حزبية بحتة، في ظل تجاهل تام لهذا الانفتاح «المتسرع والعاطفي»، في مقابل تهديدات المشروع الاستراتيجي الإيراني في المنطقة.

الواقع أن أحد أهم أسس المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة يكمن في العمل على محورين رئيسيين؛ أولهما مشروع يركز على تفتيت أي كتلات قد تقف في وجه هذا المشروع أو تؤدي إلى تأجيله، ويتحقق ذلك من خلال تسليط الضوء على الخلافات بين أعضاء مثل هذه التكتلات وتضخيمها والعمل على الحيلولة دون حلها. أما ثانيهما فيعتمد، من جانب، على توطيد العلاقات

كتائب «حالش» البحرين مرور الكرام، لكنهم بالتأكيد، لا يمكن أن يفوتوا أخبار الفتق، ولا صور دعم الشعب البحريني للسوريين، كما لا يمكن أن تسعفهم قواهم العقلية، على استذكار خلايا التفجيرات الإرهابية في البحرين، ولا ضحايا الإرهاب الطائفي الممنهج، ولا استنفار إقامة «الدولة المهدوية»، ولا التهديدات العلنية من على المنابر بالسحق والانتقام.

«حالش» البحرين، هم كتاب وإعلاميون وسياسيون ورجال دين، تحركهم «عمامة»، وتخرسهم «عمامة»!

يظهرون بطولية «عنترة» من على منابرهم الإعلامية والدينية والسياسية الطائفية، ولما تأتي ساعة الحقيقة، تجدهم يلبسون ملابس النساء، ويتخفون بينهن، أو يختبئون في «توانكي» الماء! تجدهم يخرجون من كل صوب وقت بث الفتق، والطمع في الخصوم، لكنهم في الوقت الذي تنتظر فيه مواقف الرجال الحقيقية، لا يمكن أن تجدهم.

عندما انتفضت البحرين عن بكرة أبيها

لدعم الشعب السوري، كانوا كما الأموات، بل كانوا يصلون الليل والنهار لينتصر السفاح الأسد، وما أن بدأت الأنظمة السياسية تتحدث عن الإرهاب، وعن «داعش» التي صنعها النظام الإيراني ورعاها داخل سوريا والعراق، حتى خرجوا من جحورهم، ينفثون سمومهم، يحرضون على هذا وذاك، وكأنهم وجدوا جنازة، ليشبعوا فيها لطمًا! اليوم بدأوا يرقصون على خلافات أهل الفاتح، وما علموا أن تلك الخلافات تنتهي في لحظات، إذا وصل الأمر إلى الوطن، وأعتقد أن ذاكرة الزمان قريبة جداً.

هم لم يستوعبوا بعد أن الكثير من أهل هذا الوطن الغالي يختفون وينتقدون، ولكنهم لا يمكن أن يساوموا لحظة واحدة على البحرين، أرضاً وقيادة.

ما كنت أود الحديث بهذه الصورة، ولا

استذكار تلك المشاهد، ولكنها فقط رسائل،

وغير مؤهلين لذلك، وأن إيران التي يمتد تاريخها لأكثر من ٢٥٠٠ سنة وما حقته من حضارة وثقافة هي المؤهلة لتصبح - من وجهة النظر الإيرانية - قوة إقليمية ضاربة لا يمكن لدول حديثة الإنشاء أو الاستقلال مواجهتها أو الوقوف في وجه مشاريعها في المنطقة.

ولقد دعم هذا الفكر القومي الفارسي، القديم والمتجدد، إيمان رجل الدين السياسي، الذي يتولى زمام الأمور في إيران، بعد انتصار ثورة ١٩٧٩م، بعناصر جديدة أصبحت القاعدة الأساسية لبناء النظام الجديد. واليوم يتمحور هذا النظام بصيغته الدينية حول تراث المذهب الشيعي بنسخته الإيرانية، وهو بدوره يؤمن بأدبيات الفقه الإمامي الاثني عشري ونظام «ولاية الفقيه» ومشروع تشكيل «الدولة المهدوية» مقدمة ذلك وأسس تحققه، ويضع إيران في مواجهة مباشرة مع دول الجوار العربي.

بعبارة أكثر وضوحاً، يؤمن ساسة إيران بأن صمت الدول العربية في مقابل تجاوزات طهران وتدخلاتها المتكررة في شؤونها الداخلية، بل وحتى الاعتراضات الدبلوماسية العربية الخجولة أحياناً، ناجمة عن عجز هذه الدول عن المواجهة، مما يمنح السياسة الإيرانية حالة من الشعور بالغرور الطاووسي، ومن ثم التمادي في تدخلاتهم وتوغلاتهم في الداخل العربي.

لذا فإنه أصبح من الضرورة بمكان البدء في تشكيل تحالف عربي يوقف المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة، ويضع حداً لدعم طهران لمثيري الشغب والقلق في المنطقة، الذي يصب في نهاية المطاف في خدمة المشروع الإيراني، حتى وإن ظهر ذلك بنكهة طائفية وصراع مذهبي، بينما هو في واقع الأمر مشروع سياسي بحث امتطى جواد الطائفية بسبب غياب أي عنصر آخر في الداخل العربي قد يساعد على إنجاح المشروع التوسعي ويحقق أهدافه واستراتيجياته.

الثنائية بعيداً عن أي تكتلات سياسية، ومن جانب آخر «شيطنة» الدول التي على علاقة مضطربة مع هذه الدولة والسعي إلى تعميق هذه الخلافات.

إن الإشكالية الكبرى التي كانت، ولا تزال، تواجهها دول المنطقة العربية في مقابل المشروع الإيراني تعدّ غياب مشروع عربي حقيقي لمواجهة الأطماع والتوغلات الإيرانية في الداخل العربي، تارة تحت غطاء مذهبي، كمزاعم الدفاع عن الأقليات الشيعية في العالم العربي، وطوراً تحت راية إسلامية ترفع الورقة الفلسطينية.. بينما الهدف الحقيقي تسجيل مكاسب سياسية، وتشكيل قاعدة شعبية، وبناء خلايا نائمة وأذرع عسكرية موالية لطهران في الدول العربية.. في ظل ضعف وشتات عربيين.

من أجل تحقيق تحالف عربي صلب يواجه المشروع الإيراني في المنطقة ينبغي على الدول العربية العمل على مستويين رئيسيين: الأول، فردي بحيث تقوم كل دولة على حدة بسدّ جميع الثغرات التي أدت إلى وجود إيراني حالي، أو تسمح بتسرّب مستقبلي إلى الداخل العربي والعمل على تقوية الجبهة الداخلية وتعزيز الوحدة الوطنية على كل الأصعدة السياسية والثقافية والاجتماعية. أما المستوى الثاني، فيأتي نتاجاً للمستوى الأول، ويتبنى فكرة العمل الجماعي والتحرك كفريق متكامل ومتجانس بهدف إفشال المشروع الإيراني وتحجيمه، وبالتالي تحويله من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع والانكفاء على الداخل لمواجهة الاستحقاقات المحلية التي ظل النظام الإيراني يتهرب منها طيلة العقود الثلاثة الماضية.

من جانب آخر، تحتاج الدول العربية إلى إعادة النظر في سياسة تعاملها مع إيران، ومجابهتها وفقاً لنمط يتوافق ومنهجية تفكير الشخصية الفارسية، خاصة عندما يكون الحديث عن الآخر العربي في الفكر الإيراني. ولتبسيط هذه النقطة، ينبغي أن ندرك جيداً كيف تنظر الشخصية الفارسية إلى الدول والحكومات العربية، وإيمان هذه الشخصية الراسخ بأن العرب غير قادرين على مواجهة إيران،

المهدوية وتوظيف النظام الإيراني لها

د. سلطان محمد النعيمي - الشرق الأوسط ٢٣/٣/٢٠١٤

وقد يأتي التساؤل هنا، أين مكن الإشكالية؟

المذهب الشيعي الاثني عشري هو المذهب الذي تدين به إيران، ومن الطبيعي أن تعزز من الفكر الديني والعقائدي في المجتمع الإيراني. حيث يقول بور سيد آقاي أمين عام المؤتمر التاسع للعقيدة المهدوية إن الانتماء إلى الأئمة المعصومين هو من جملة الشعائر والطقوس الإلهية، وإن الشيعة يظهرون استعدادهم على الدوام للرقى والتقدم، فرمز هوية وأصالة الشيعة يتمثل في المهدوية، ولذا وجب تهيئة مجالات الانتظار. إذن فلا إشكالية حتى الآن.

ونقول نعم لا توجد إشكالية البتة، إذا كان

الأمر على هذه الشاكلة. فهو لا شك سيكون إيجابيا بحيث يؤدي الشيعة دورهم كباقي أطياف المجتمع في تقدم ورقي مجتمعاتهم ودولهم.

ولكن هل الأمر يأتي بهذه الصورة أم له

أبعاد أخرى؟ لنتبع السطور المقبلة علّ فيها الإجابة.

بداية تتمثل المهدوية عند الشيعة الاثني

عشرية في الإيمان بعودة المهدي المنتظر وضرورة الصبر والانتظار لحين عودته. هذا الصبر والانتظار قد تحول من الانكفاء والانعزالية إلى المشاركة الفعالة، انطلاقاً من أنها ستؤدي إلى تهيئة المجال لعودة المهدي المنتظر والتعجيل بها. وقد برزت مع نجاح ثورة عام ١٩٧٩ في إيران جهود النظام الإيراني الجديد للانطلاق بالفكر المهدوي إلى العالمية. فلإيرانيين - كما يرون - دور مهم في ذلك، إذ استدل هاشم حسيني بوشهري مدير الحوزات العلمية في هذا المؤتمر بحديث منسوب للرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول فيه «يخرج أناس من المشرق فيوطنون للمهدي سلطانه»، وهو ما ذهب له رئيس مجلس الشورى (البرلمان) في إيران علي لاريجاني في بيان منزلة الإيرانيين فترة خروج المهدي مستندا بحديث آخر أيضاً.

تبدأ الإشكالية لتكشف عن نفسها من

خلال خلق تضارب بين الانتماء الوطني والانتماء

يصادف النصف من شعبان من كل عام مولد المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية الذي سيعود حسب المعتقد الشيعي من غيبته الكبرى، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً. وبعيدا عن الجوانب العقائدية الدينية لهذا الطرح، ومدى تأييد البعض لهذه الفكرة وآخر مستنكر لها، نسير مع القارئ هنا لنفتح جانباً آخر مهما والذي يتمثل في التوظيف الإيراني لهذه المناسبة، إذ لا يقتصر هذا التوظيف على الداخل الإيراني فحسب، بل تنعكس أصداؤه لتمتد خارج حدود إيران مغلفة بتوجهات تخلق معها إشكاليات جدية، تؤدي في بعض الأحيان للدفع بالبعض لتغليب المذهبية على الوطنية.

يعقد النظام الإيراني كل عام مؤتمراً دولياً

للعقيدة المهدوية جاءت آخر دوراته (التاسعة)

بتاريخ ٢٣ - ٦ - ٢٠١٣، وبحضور رئيس مجلس الخبراء مهدي كني ورئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني، بالإضافة إلى ٤٨ شخصية دولية من كندا والسويد والنرويج والأردن ولبنان ومصر والعراق وباكستان وبوركينا فاسو والفلبين وتنزانيا وغيرها من الدول العربية والأجنبية. وقد تم إرسال ٢١٣ ورقة كتبت باللغة الفارسية والإنجليزية تتحدث عن العقيدة المهدوية. استعرض منها ٢٢ ورقة بالفارسية و ١٥ ورقة بالإنجليزية.

وبالإضافة إلى مثل هذه المؤتمرات نلاحظ

حرصاً كبيراً من النظام الإيراني على استمرار

عقد الأنشطة والدورات في هذا السياق، إذ أعلن

على سبيل المثال المساعد للشؤون التعليمية في مؤسسة المهدي الموعود عن عقد دورات تعليمية للعلوم المهدوية، كما تم افتتاح مكتبة متخصصة للمهدوية وثقافة الانتظار في الجامعة الإسلامية في

المذهبي. ففي الوقت الذي يرى فيه حجة الإسلام عبادي عضو البرلمان الإيراني أن الثقافة المهدوية تتادي بوحدة المجتمعات الإسلامية، يدعو ممثل المرشد في الحرس الثوري علي سعيدي إلى ضرورة إحداث تغييرات واسعة في البلدان المجاورة لإيران تمهيدا لظهور المهدي المنتظر، داعيا الشعوب في هذه البلاد للنهوض بكل قواها لإيجاد التغيير في اتجاه ثورة المهدي المنتظر العالمية، لأن هذه البلدان تشكل إلى جانب الحكومة والشعب الإيرانيين مركزا لدعم الثورة العالمية للمهدي المنتظر.

ولذا يرى علي لاريجاني أن حزب الله هو ثمرة للمدرسة المهدوية. ولما كان النظام الإيراني يرى في ثورات الربيع العربي أنها ثورات صحوة إسلامية، فإن إمام خطيب جمعة طهران محمد إمامي كاشاني يسير بهذه الصحوات على أنها تمهد لظهور المهدي المنتظر، ولذا وجب الدعم المادي والمعنوي لتحقيق ديمومة واستمرار هذه الحركات.

ويأتي تساؤلنا هنا، أين هي الدعوة لوحدة المجتمعات الإسلامية في ظل ما تقدم؟ هل هذه الوحدة تأتي بعد التغيير الذي يطالب به ممثل المرشد في الحرس الثوري؟

لا شك أن النظام الإيراني بتوظيفه للمركز الديني المذهبي يسعى لأن يبرز إيران على أنها أم القرى لبقية الدول الإسلامية، وتأتي نموذجا لكي يأتي ذلك التغيير على شاكلة النظام في إيران، وبالتالي يصبح مستقبل البشرية كما يقول عضو مجلس الخبراء أحمد خاتمي بيد الإسلام المحمدي الخالص، الذي تأتي الثقافة المهدوية مرادفة له. وحين تبسط المهدوية سيطرتها على العالم فعندها لن يستطيع أي فرد، كما يقول عضو مجلس الخبراء أحمد علم الهدى، أن يقيم حكومة سوى إمام الزمان.

هذه التوجهات والعزف على الوتر المذهبي، لا شك أنها لا تخدم الاستقرار الذي تسعى دول المنطقة إلى تحقيقه، وبدلاً من البحث عن نقاط

الالتقاء والمصالح المشتركة يأتي مثل هذا التوظيف ليضع العراقيين تلو العراقيين، وبالتالي مزيداً من التوتر في منطقة تموج بالاضطرابات والنزاعات.

تعزيز الهوية الوطنية وظهورها بوصفها مظلة لجميع أطراف الشعب على اختلاف أديانه ومذاهبه وأعرافه هو الحل الأنجع لوأد أي توجهات من شأنها التأثير على وحدة المجتمع وترابطه. كما أن القضاء على الطائفية وتفكيك وتفويت الفرصة لتأجيجها يعد حائط صد لانكفاء المجتمع على نفسه في سبيل خلق النسيج الاجتماعي الموحد له والانفتاح بعدها على المجتمعات لتحقيق التكامل، ليعود بالنفع للمجتمع بجميع فسيئاته.

تحقيق المقاربات والتحول من سياسة التدخل في شؤون الآخرين إلى المساهمة في تحقيق المصالحة والتوافق الوطني، لا شك أنه مطلب خليجي، لا تنفك دول الخليج تطالب به. وذلك الترحيب المقبل من دول الخليج للاتفاق بين إيران ومجموعة ١٠+٥ حول برنامجها النووي، يعكس السياسة الواضحة لدول الخليج في هذا الشأن، ونأمل في المقابل أن تلاقي توجهات روحاني الدعم من الداخل الإيراني، للوصول إلى ما يعكس السلم والاستقرار في المنطقة.

أميركا تتأهب لتسليم أفغانستان إلى طهران

عبد الرحمن الجلبي - الحياة ٢٠١٤/٣/١٩

كان تصريح وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل عام ٢٠٠٦، الذي ألقاه أمام مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك، وقال فيه: «خضنا معاً حرباً لإبعاد إيران عن العراق والآن فإننا نسلم العراق كلها بلا مبرر لإيران».

تذكرت هذا التصريح وأنا أتابع ما يحدث الآن في أفغانستان ذلك البلد المهم الذي ورطته القاعدة في عمليات كانت سبباً في دخول القوات

الغربية إليه وبعد دخول تلك القوات كان الرئيس الإيراني السابق رفسنجاني يتفاخر بأنه لولا التسهيلات الإيرانية لما تمكنت تلك القوات من دخول العراق وأفغانستان.

وبنظرة فاحصة لمآلات الوضع في أفغانستان مع قرب انسحاب القوات الغربية منه فإن سيناريو العراق يتكرر في أفغانستان، فقد قامت إيران ببناء متكامل للشيعية أفغانستان شمل ذلك جامعة خاتم النبيين، وهي أكبر حوزة علمية بعد قم لتخريج الآيات كما حرصت أن يكون مقعد وزير التعليم العالي من نصيب الشيعة وسرت أنباء عن تسرب أسئلة المفاضلة للقبول بالجامعات، وهو ما مكن عشرات الآلاف من الطلبة الشيعة من الالتحاق بالجامعات في حين أخفق نظراؤهم من الطلبة السنة فصارت نسبة الطلبة الشيعة بالجامعات أضعاف نسبتهم للسكان.

ترافق ذلك مع شراء محمول للأراضي والعقارات في العاصمة كابول حتى أضحى نصف العاصمة ملكاً للشيعة في وقت كانت أحياءهم قبل دخول القوات الغربية لا تتجاوز ١٠ في المئة من مساحة العاصمة كما أن إيران أقامت مستشفيات ومستوصفات في مناطق مهمة، أما في مدينة هرات المحاذية للحدود مع إيران فقامت طهران بشراء متقن للأراضي ذات الموقع الاستراتيجي وبنيت مدينة من المساكن للشيعة بحيث أنها قلبت المعادلة السكانية وهي طريقة استخدمتها إيران في البصرة العراقية.

أما في المجال الاقتصادي فلا تسلسل عن الأموال الإيرانية التي جعلت الشيعة يستحوذون على شركات الاتصالات الثلاث في البلاد وفضائيات ومحطات تلفزيون أرضي و٨٠ في المئة من الصحف والمجلات، كما أن هناك عشرات الإذاعات المحلية التي تتبعهم.

وفتحت إيران جامعاتها وحوزاتها للطلبة الأفغان، حيث أعلنت طهران عام ٢٠٠٨ قبول جميع الطلبة الأفغان المقيمين في إيران في مدارسها

وجامعاتها ومعاملتهم معاملة الإيرانيين.

كما أن عمليات شراء للذمم في بلد فقير كفيلة بتذليل أي صعاب وتمير ما لا يمكن تمريره في وقت لا تجد الغالبية من سكان أفغانستان وهم من السنة سنداً ونصيراً لهم. ففي وقت تعمل إيران ليل نهار لصيغ أفغانستان بصيغ الدولة الفارسية لا يزال مركز خادم الحرمين الثقات لم يرَ النور لعقبات بيروقراطية على رغم مرور عامين على توقيع الحكومة السعودية مع كابول اتفاق إنشائه.

كما أن المنظمات الإيرانية الإغاثية والتعليمية تسرح وتمرح في أفغانستان بينما لا توجد منظمات مماثلة نهائياً. فأى منظمة إغاثية عربية تفكر في العمل بأفغانستان ستوصمها واشنطن بالإرهاب.

لقد أفادت الرافعة الإيرانية شيعة أفغانستان لتجعل منهم أصحاب الثقل السياسي والاقتصادي الأول والنفوذ الواسع يسيطرون على ربع البرلمان على رغم عدم تجاوز نسبتهم ١٠ في المئة من السكان.

كل ما سبق يحتم التيقظ لأن أميركا تتأهب لتسليم أفغانستان إلى إيران ضمن التنسيق المتعاظم بين واشنطن وطهران الذي توج بالاتفاق النووي بين الطرفين. بحيث يصبح حلفاء طهران هم الآمرين، ولا مانع من وجوه سنوية فقد عملت طهران من حزب الله الحاكم الفعلي على رغم وجود رئيس مسيحي.

الأفغان شعب عظيم وصبور وذو شكيمة، وهم في أشد الحاجة إلى من يساندتهم سياسياً وثقافياً واقتصادياً وإعلامياً لإنقاذهم من براثن الدب الإيراني الذي تسلسل إليهم في وقت دخول بلادهم منعطف وجود القوات الغربية.

والجميع يعرف أن طهران لم تكن تحلم بموطئ قدم في العراق قبل الغزو الأميركي له، لكنها الآن - كما ذكر الأمير سعود الفيصل

- قد تسلمته، وأفغانستان تسير على المنوال نفسه.

ومن أهم صور المساندة التي يمكن أن توقف
التوغل الإيراني دعم الجامعات والمعاهد وتقديم
المنح الجامعية وأن يتحول مركز خادم الحرمين
من فكرة إلى واقع ملموس وتحويله لاحقاً إلى
جامعة تخرج قيادات البلاد.

وكذلك تقديم الإعانات والإغاثة والمشاريع
الخيرية، ولعل تشكيل مجلس للصدقة السعودية
- الأفغانية يسرع ذلك، ولا سيما أن هناك تجاراً
سعوديين من أصول أفغانية يمكن جعلهم الجسر
بين الشعبين.

معركة الإعلام بين العرب وإيران

عزام التميمي - موقع عرب ٢١ ٢٠١٤/٣/٢٦

تتمتع إيران بقدرات إعلامية هائلة يقابلها في
الجانب العربي أو الإسلامي - المتوجس من
السياسة الإيرانية - عجز مريع. لم يدخر
الإيرانيون وسعاً في تحين الفرص لاستغلال عجز
العرب من حولهم وملئ الفراغ الناجم عن غيابهم في
الساحة الإعلامية السياسية.

لا يغيب عن كل مهتم بوسائل الإعلام ذلك
الفرق الهائل بين «ما كان» و«ما أصبح» في
مجال الترويج للأفكار والتأثير على المتلقي،
بين عهد المنشورات وعهد الفضائيات. فالمنشورات
حينما كانت الوسيلة المتبعة من قبل أصحاب
المشاريع الفكرية أو السياسية كانت توزع في
نطاق ضيق جداً، وربما لم يكن الناس يقبلون
عليها و من وصلت إلى يديه منهم ربما لم يكن
يوليها كثير اهتمام، وينتهي بها المطاف إلى
القمامة. أما القنوات الفضائية، شئنا أم أبينا، فإنها
تدخل علينا في غرف جلوسنا بل وغرف نومنا، ولم
تعد اليوم تصلنا قسراً عبر شاشات التلفاز، بل

وأيضاً عبر الإنترنت من خلال أجهزة الحاسوب أو
الهواتف النقالة.

تستثمر إيران أموالاً طائلة في وسائل غزوها
الفضائي للآخر، وهذا على الرغم من اتباعها
سياسية رقابية صارمة على ما يدخل إلى بيوت
مواطنيها. ففي الداخل الإيراني تفرض على المواطن
الإيراني عزلة إعلامية وتحجب عنه كثير من
وسائل الإعلام العالمية، ويعتبر اقتناء صحن تلقي
البث الفضائي وجهاز توليف القنوات الفضائية من
المنوعات التي يمارسها كثير من الناس سراً وفي
مخالفة للقوانين والإجراءات المعمول بها. وليس
متاحاً بسهولة في إيران ما بات مظهراً عادياً من
مظاهر الحياة في معظم دول العالم، ولذلك تجد
المواطن الإيراني يسترق السمع بحثاً عن المعلومة
بإذلاً الجهد في سبيلها بينما الاموال التي تضخ من
قبل النظام في إيران لبث الدعاية السياسية للخارج
ليست تكاد تكون بلا حدود أو قيود.

قبل انطلاق الثورة السورية كانت وسائل
الإعلام الإيرانية قد حققت اختراقاً كبيراً في
أوساط المتلقين في الخارج، سواء كان المتلقي
عربي اللغة أم انكليزي اللغة. ومن أهم القنوات
الموجهة للخارج قناة العالم الناطقة باللغة العربية و
قناة Press TV الناطقة باللغة الانكليزية. والذي
ساعد هاتين القناتين على النجاح أن برامجهما
كانت تتسم بدرجة عالية من المهنية، وهذه من
الأمور التي تساعد وسائل الاعلام على التميز
وجذب المشاهد، وذلك أن المشاهد هو الذي يقرر
ماذا يريد أن يشاهد أو يسمع، بيده جهاز التحكم
عن بعد، يقرر بواسطته لمن يعطي أو يمنع، ولن
يمنح أن يحرم. والاعلام الذي يريد ان يحقق
اختراقات و يريد ان يصل إلى المشاهدين ينبغي أن
يكون من المهنية و الحرفية بحيث لا يشعر المشاهد

المقاومة والممانعة بينما تراه يمجد ثورة البحرين ويعتبرها انتفاضة مشروعة ضد الظلم والطغيان، وهذا تفسير للحدث لم يلق تعاطفاً ولا قبولاً لدى عامة الشعوب العربية والإسلامية. ولعل هذا الانكشاف أمام الجماهير، والذي أدى إلى عزوفها عن مشاهدة قنوات مثل «العالم» أو «المنار» أو Press TV هو الذي دفع الإيرانيين أو بعض أنصارهم إلى تمويل إنشاء قناة عربية جديدة، هي «المباين»، في محاولة متجددة لاختراق الساحة الإعلامية العربية من خلال خطاب داعم للموقف الإيراني ولكن بأسلوب أكثر نعومة.

لقد انفق الإيرانيون على مدى ما يزيد عن عشرة أعوام أموالاً طائلة على الاعلام الموجه إلى العرب والمسلمين حول العالم، ولم يدخروا وسعاً في حشد الخبرات الإعلامية المميزة واقتناء أحدث التجهيزات. وخذ على سبيل المثال مكتب قناة Press TV في لندن، والذي يقع في نفس المبنى الذي يؤوي قناة الحوار الفضائية. فرغم أن مكتب بريس تي في لندن لا ييثر في الأغلب أكثر من ساعة يوميا إلا أنه زود بالإمكانيات الفنية والبشرية التي تفوق أضعافاً كثيرة قدرات قناة الحوار التي تبث ما معدلته ثمان ساعات من البرامج الجديدة يوميا. من المعلوم أن معظم ساعات بث هذه القناة الإيرانية الناطقة بالإنجليزية تنطلق من المقر الرئيسي للقناة في طهران. وللقناة مكاتب ومراسلون حول العالم، بميزانيات يستدل من حجم التغطية أنها كبيرة، وكبيرة جداً.

والسؤال الذي لا مفر من طرحه هنا هو: ماذا لدى المتوجسين من إيران - وأهل السنة منهم بشكل خاص - من وسائل إعلام موجهة إلى الشعب الإيراني لمقابلة ما يبثه نظامهم على مدار الساعة مستهدفاً العرب والمسلمين في الجوار وحول العالم بمختلف اللغات؟ من المؤسف أن أفضل ما

بأن القناة التي يشاهدها تحاول أن تملي عليه أو أن ما يتلقاه يقصد منه غسل دماغه وتحديد توجهه. هذا مع العلم أن ما من صاحب وسيلة إعلامية مقروءة أو مسموعة أو مشاهدة إلا ولديه رسالة يسعى لإيصالها لمتلقيه، سواء كانت هذه الرسالة نبيلة أو كانت على النقيض من ذلك. ومجال التنافس بين الإعلاميين هو إيصال رسائلهم بأيسر وأسلس الطرق وأكثرها جذباً للمتلقي.

لقد حشد الإيرانيون خبرات وتقنيات عالية

الجودة للتأثير على العرب والمسلمين من خلال قنواتهم الفضائية. خذ على سبيل المثال قنواتهم الناطقة بالإنجليزية: PressTv التي تستضيف أناساً من كل انحاء المعمورة ومن مختلف الأديان والتوجهات السياسية، في برامج حوارية سقفها مرتفع، وإن كان الهدف منها في نهاية المطاف هو تسويق الفكرة المراد بثها عبر الأثير انسجاماً مع التوجه الإيراني الرسمي. أما القناة الناطقة بالعربية: قناة العالم، فقد تقدمت هي الأخرى وأصبح لها شعبية قوية في أنحاء العالم العربي وفي أوساط الجاليات العربية في الغرب، وذلك بسبب طرحها - بجرأة لا تجدها في كثير من وسائل الإعلام المملوكة عربياً - لقضايا تهتم المتلقي العربي حيث وجد. وهي الأخرى تستضيف الخبراء والمعلقين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والسياسية وإن كانت في المحصلة تروج لما يريده النظام الإيراني.

لكن رغم النجاحات الكبيرة والاختراقات

المهمة، لم يلبث الاعلام الإيراني أن تلقى ضربة قوية، لا أظنه تعافى منها حتى الآن، بسبب الموقف من ثورة سورية. فالموقف المؤيد للنظام في سورية عرى الازدواجية و النفاق السياسي لهذا الاعلام الذي وقف مع ثوار تونس ومصر وليبيا ولما بدأت الثورة السورية اصبح يروج لنظرية مفادها أن ما يجري في سوريا إنما هو مؤامرة إمبريالية دولية على

تفتقت عنه عبقرية بعض ربعنا هو قناة افلام أمريكية مدبلجة أو مترجمة إلى اللغة الفارسية وكأن الحل من وجهة نظر هؤلاء هو أمركة الشعب الإيراني وإغراؤه بقناة تسلية فارغة من كل مضمون هادف. وفيما عدا ذلك، لا يوجد لدى العرب المتوجسين من المشروع الإيراني وسائل إعلامية مؤهلة لتوجيه رسائل سياسية أو تحليل سياسي إلى الشعوب الإيرانية رغم أهمية الوصول إلى شوارعهم غير المنسجم بمجمله مع النظام الإيراني. نحن بحاجة ماسة إلى أن نتواصل مع الناس هناك، وقد سمعنا من كثيرين يترددون على إيران (وأنا لم أزر إيران قط وإنما شكلت انطباعي مما نقله إلي ثقات زاروها)، وكذلك من بعض الإيرانيين أنفسهم، أنه يوجد انفصام كبير بين النظام والشعب، فأين هي وسائل إعلامنا التي تناط بها مهمة استغلال هذا الانفصام واستثماره للتخذيذ عن إخواننا في سوريا الذين يساهم نظام «الملاي» مساهمة أساسية في التتكيل بهم وإطالة عمر النظام «الأسدي» المتسلط على رقابهم؟

وبينما نفتقر إلى إعلام سياسي جاد موجه إلى الإيرانيين، فإن بعضنا ينفق بسخاء لتمويل إعلام معاد لإيران إلا أنه موجه إلى ذاتنا. ومثل هذا الإعلام في محصلته لا يجدي نفعاً، فهو غير مقنع إلا لفئة قليلة من الناس. إن معظم القنوات الفضائية المنتقدة لإيران والمندة بسياساتها إنما هي قنوات عقائدية طائفية. وأنا لست هنا بصدد تقييم نجاعة الرؤية الطائفية لما بيننا وبين الإيرانيين وحلفائهم من خلافات وتوترات، وإنما الذي يهمني في هذا المجال تقييم أدائنا الإعلامي تجاه ما يجري في منطقتنا. فالإعلام أساساً هو وسيلة للتأثير، والسؤال المهم هو: هل نؤثر أم لا نؤثر من خلال إعلامنا العربي والإسلامي في توجيه الرأي العام والضغط على صناع القرار السياسي؟

معظم القنوات السننية التي تتكلم عن المشروع الإيراني تخاطب شريحة ضيقة من المشاهدين تتسجم في توجهها العقدي مع توجه القائمين على هذه القنوات والمحددin لسياساتها التحريرية. لا أرى أن هذه القنوات قادرة على توسيع شريحة المتلقين لبثها طالما استمرت في انتهاج نفس الأسلوب المتبع حالياً. وعلينا أن نتذكر أن ما نبثه يصبح عديم الفائدة بل ومضيعة للمال والجهد إذا لم يجذب قطاعاً مقدراً من المشاهدين المستهدفين بالبحث. وجذب المشاهد يحتاج إلى مهارة في زمن تتنافس مئات القنوات الفضائية من كل صنف وفن على جمهور المتلقين. فالمشاهد ليس لديه صبر على الأنماط الرتيبة والمملة والإملائية من الاعلام، فهو ذكي ويستخدم صلاحياته في استخدام جهاز التحكم عن بعد (الريموت كونترول)، وبما أن لديه خيارات كثيرة فإنه إن مل أو ضجر سيبحث عن قنوات أخرى عله يجد لديها من التحليل و شرح مجريات الأمور ما يعتبره معقولاً ومقنعاً.

ينبغي علينا انطلاقة من قناعتنا بأهمية الإعلام ألا نقصر اهتمامنا على المتلقين في نطاق جغرافي محدد. فكثير من القنوات الإسلامية تخاطب حصرياً من حيث تقصد أو لا تقصد الجمهور في منطقة الخليج والجزيرة العربية رغم أن ما نحن بصددده ليس مشكلة خليجية، بل المشكلة اعم من ذلك، تشمل مناطق عدة في العالم في مصر و المغرب وماليزيا . ومرة أخرى نحتاج لإجابة على السؤال التالي: كيف نوسع دائرة جمهور المتلقين ونصل ببثنا إلى مناطق غزاها الإعلام الإيراني وأثر فيها كثيراً خلال العقد الأخير على الأقل؟

لعل من وسائل تحقيق ذلك إنتاج وبث برامج تعتمد على الحوار الحر والمفتوح، يستضاف فيها خبراء على مستوى عال من الوعي والدراية، لديهم

ومشاريعها في المنطقة، تجاوز البعد الطائفي. فنحن بحاجة ماسة إلى التوجه إلى الجماهير بخطاب إنساني مقنع نسعى من خلاله إلى التخذيل عن اخواننا في سوريا في مواجهة التمدد والاختراق الإعلامي الإيراني الذي تبذل فيه أموال طائلة من قبل النظام الإيراني. ولعله يكون أكثر نجاعة في هذا السياق أن نتعامل مع المشروع الإيراني على أنه مشروع دولة قومية اقليمية تسعى لأن تكون قوة عظمى مهيمنة. وأرى أن هذا يفسح لنا المجال لأن نضمن في تحليلنا للظاهرة الإيرانية مكونات المشروع الإيراني الباحث عن العظمة بمختلف أنواعها المذهبية والقومية والسياسية والاقتصادية .

إنني أشك في أن تتمكن القنوات الفضائية الإسلامية التي تركز على المكون الطائفي للمشروع الإيراني وتجعله الأساس في تفسير تطلعاته وآفاقه من اقتناع شريحة عريضة من الناس بما تريده من مثل هذا الخطاب. وأنصح القائمين على هذه القنوات بمراجعة جادة لسياساتهم التحريرية بما يجعلها أكثر إقناعاً أزاء تحليل وتوصيف متغيرات الربيع العربي. فما كان سائداً قبل الربيع من نظريات تهشم كثير منها ولم يعد له سند. فبدلاً من الإصرار على ترديد ما لم يكن معقولاً ولا مقبولاً قبل الربيع العربي، الأحرى بنا أن نسلط الضوء على الآثار المزلزلة لهذا الربيع، والتي غيرت خارطة التحالفات بشكل جذري. فقبل الربيع العربي سادت لدى النخب، سواء كانت إسلامية أو قومية علمانية، نظريات تعتمد على انقسام المنطقة العربية والإسلامية إلى فسطاطين أو معسكرين: معسكر ممانعة ومعسكر اعتدال. وهذا الانقسام كان حقيقياً، لا نستطيع إنكاره ولا يحسن بنا ذلك. وأنا شخصياً لا أستطيع أن أنكر أنني كنت أقف في منابر كثيرة مدافعاً عن حزب الله وعن إيران وعن سوريا، إذ كانت حينها

المهارة في تقديم حججهم إلى المتلقي بشكل مقنع وجذاب . وتجنب الاقتصار على الخطاب الديني والتحليل الطائفي لما يجري، والبحث عما وراء التوترات من تظلمات اقتصادية واجتماعية وسياسية. ولعل من المفيد أن أشير في هذا المجال على سبيل المثال إلى الندوة التي نظمتها وبثتها قناة الحوار قبل أعوام قليلة عن المشكلة المزمنة والمعاناة الدائمة لعرب الاحواز، والتي دعي إلى المشاركة فيها مجموعة من العرب الاحوازيين وبعض الخبراء والمحللين. وقد جاء تنظيم هذه الندوة بعد أن زار قناة الحوار عدد من العرب الاحوازيين وشكوا من إهمال وسائل الإعلام العربية والإسلامية لقضيتهم. من الجدير بالذكر أن معظم عرب الأحواز هم من الشيعة. فاجأ المشاركين في الندوة أحد الاحوازيين الحاضرين، وهم معمم من رجال الدين الشيعة، بقوله: «لقد بدانا نفقد أبناءنا من الجيل الجديد من الشيعة إلى السنة بسبب الاضطهاد الذي يقع علينا من النظام الإيراني، فبات كثيرون منهم ينفرون من التشيع وينتقلون إلى التسنن احتجاجاً». ولعل مما يستفاد من ذلك وينبغي التنبيه إليه والتأكيد عليه أن النظام الإيراني لا يفعل كل ما يصدر عنه من سياسات وممارسات من منطلق طائفي شيعي، والا لما كان ليضطهد ويظلم هؤلاء العرب الشيعة.

ما أردت الوصول إليه هو أن العامل الطائفي ربما كان واحداً من مجموعة عوامل ومكونات أخرى محصلتها هو ما نراه وما نلمسه من سياسات وممارسات. وإذا أردنا أن يكون لإعلامنا صدقية وأن يرقى إلى مستوى المهنية يعتبره المشاهدون بفضلها مرجعاً يطمئنون إليه، علينا ألا نفرق في الخطاب الطائفي الذي يعجز وحده عن تفسير ما يجري من حولنا. ونصيحتي إلى الاخوة الذين يملكون أو يديرون فضائيات إسلامية، والتي تخصص ساعات من بثها اليومي للحديث عن إيران

عناصر أساسية فاعلة في معسكر الممانعة الذي كان يدعم المقاومة الفلسطينية بكثير مما كانت تحتاجه لتبقى وتستمر. وفي المقابل كانت هذه المقاومة ضحية تأمر عليها من قبل منتسبي معسكر الاعتدال بقيادة نظام حسني مبارك ومشاركة أنظمة عربية موالية للغرب مثل نظام بن علي في تونس وبعض الأنظمة الأخرى المتعففة التي ماتزال تنتظر الربيع. ولما هبت نسائم الربيع العربي على المنطقة وتحولت إلى عواصف أطاحت بنظام بن علي في تونس ونظام حسني مبارك في مصر، أطاحت معها بالتحالفات التي سادت لأكثر من عقد من الزمن، ولم يعد التمايز قائماً بين أنظمة تدعم المقاومة وأخرى تتأمر عليها بل بين أنظمة طاغية فاسدة من جهة وشعوب انتفضت تطالب بحريتها وكرامتها من جهة أخرى. ولا يشذ عن هذه الأنظمة الطاغية نظام بشار الأسد الذي كان ممانعاً حتى الأمس القريب وبات يرتكب أبشع المجازر وأفظع الانتهاكات بحق الشعب السوري.

وخلاصة القول أن الربيع العربي ولد حالة

مختلفة تماماً لم يبق معها معسكر ممانعة ولا معسكر اعتدال. أصبح الصراع في المنطقة صراعاً بين شعوب تتوق إلى الحرية والكرامة في مواجهة طواغيت بعضها كان في معسكر الاعتدال والبعض الآخر كان في معسكر الممانعة. أرى أن مثل هذا التفسير للحدث هو الذي يمكننا من الرد بشكل مقنع على النظريات التي يروج لها الإعلام المدعوم إيرانياً، سواء المكتوب أو المسموع أو المشاهد منه، ومفادها أن ما يجري في سوريا إنما هو مؤامرة على الممانعة والمقاومة. وليس أدل على ذلك من انفراط العقد الذي جمع أعضاء معسكر المقاومة والممانعة، إثر رفض حركتي حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين البقاء في سوريا بينما نظامها يذبح شعبه بعد أن رفضنا في بداية الأحداث

إصدار بيانات داعمة للنظام أو مؤيدة له.

في الختام، أدعو إلى إنشاء قناة سياسية محترفة ومهنية ناطقة باللغة الفارسية ليس هدفها القيام بمهام تبشيرية أو محاولة تنفيذ معتقدات الشيعة، فلا أرى ذلك ناجعاً، وإنما المطلوب هو مخاطبة الشعوب الناطقة بالفارسية من خلال نقاشات وحوارات هدفها تعرية النظام الإيراني وكشف ازدواجيته ونفاقه السياسي، بل وميكافيليته، على الملأ. ليس لدي شك في أن مثل هذا المشروع سيصب في صالح قضية شعب سوريا والشعب العربي المضطهد في الأحواز والشعب العراقي الذي باتت مقاليد أموره في أيدي حفنة من عملاء النظام الإيراني بزعامة نور المالكى. وأرى أن فرص نجاح مثل هذا المشروع كبيرة بسبب وجود هوة عميقة أخذت في الاتساع بين الشعب الإيراني وبين نظام ولاية الفقيه المهيمن عليه وعلى مقدراته باسم خرافات ما أنزل الله بها من سلطان لعل بعض من يدعيها يعلم في قرارة نفسه بطلانها وتفاهتها. فالشعب الإيراني أيضاً مظلوم ومضطهد، بل ومحروم، إذ تهدر أمواله وتبدد ثرواته الطبيعية حول العالم في مشاريع مختلفة هدفها تحقيق هيمنة المشروع الإيراني التوسعي على حساب رخاء وراحة وسمعة المواطنين. لعل قناة تلفزيونية فارسية بمواصفات عالية الجودة من الصدقية والمهنية تساهم في إيصال المعلومة الصحيحة والتحليل العلمي الدقيق إلى كافة هؤلاء الناس، وبذلك يكون لها دور معتبر في ولادة حراك محلي يؤدي إلى ربيع إيراني يؤذن بتغيير نحو الأفضل لصالح الشعوب الإيرانية والشعوب العربية على حد سواء.

انعكاسات فوز اردوغان

خالد معالي - موقع فلسطين ٤٨ ٢٠١٤/٣/١٣

الرئاسة التركية؛ وفوز اردوغان في المجالس البلدية مهد له الطريق الى الرئاسة؛ وهو ما ستتعامل المؤسسة الاسرائيلية وأمريكا وأنظمة الحكم العربية الرجعية معه بقلق بالغ وكبير، مجبرين ومكرهين، لا مخرين.

اردوغان منع الخمر؛ بينما هناك حكام عرب سمحوا به. اردوغان كان صريحا مع شعبه في كل شيء، وكان لا يكل ولا يمل من العمل لشعبه؛ بعكس حاكما لعرب الذين يعملون ضد شعوبهم، جهارا نهارا دون خجل أو وجل.

كيف لا يفوز اردوغان وهو قد حقق مطالب شعبه بالعيش الكريم واحترام الذات، والقوة والانطلاق للإمام؛ فقد سجلت تركيا بين ٢٠٠٢ و٢٠١٢ اكبر نمو بين الدول، وكله فضل اردوغان المخلص لشعبه.

اردوغان الآن بات يشكل نموذجا حيا وناجحا لكل الشعوب والدول العربية والإسلامية المقموعة، وأن لا بديل عن التداول السلمي للسلطة، بعيدا عن الحروب والقتل، وهمد المدن بأكملها والمنازل فوق رؤوس أصحابها، فصناديق الاقتراع هي الحكم، وهي من تحمي البلاد ومقدراتها وقياداتها؛ وليس القتل والتعذيب في السجون وملؤها بالمعارضين.

في المحصلة والنتيجة النهائية؛ بان كذب ودجل وضعف الباطل وانكشف؛ بفوز اردوغان الباهر؛ وسيشكل ذلك دعما لقضيتنا الفلسطينية؛ حيث ان اردوغان يتعامل مع القوى الفلسطينية بنفس المسافة، ويحترمها جميعها ويدعمها دون تفرقة، وهو الآن شوكة وغصة كبيرة في حلق الظلمة؛ أمثال «نتياهو» والسيسي، ومن لف لفيهم.

لو خيرت الشعوب العربية المظلومة؛ وأتيح لها أن تختار ممثليها وقياداتها؛ لاخترت دون تردد من هم أمثال رجب طيب اردوغان، كيف لا؛ وهو زعيم وقائد مخلص متفاني، معارضيه ليسوا في السجون، ويحاججهم بالمنطق والأسلوب العلمي، ويغلبهم، لا ينال إلا أربع ساعات في اليوم لأجل

أحكمت دولة الاحتلال وأمريكا، وأنظمة حكم عربية رجعية خططها؛ لإزاحة اردوغان بوسائل ماكورة خبيثة كانت لتزول منها الجبال؛ بالتشويه والطمع وبث الإشاعات، وإنفاق المليارات؛ لإفشال تجربته الناجحة في الانطلاق بتركيا؛ لمصاف الدول المتحضرة والقوية؛ ولكل واحد منهم أسبابه للتخلص من اردوغان؛ إلا أن ما يجمعها مع بعضها؛ هو الخوف من وجود نموذج إسلامي حي، معتدل ووسطي ناجح، يكون مثالا لبقية الدول الإسلامية المبتلاة بحكام طغاة، وظلمة.

انتخابات المجالس البلدية التي جرت أمس وفاز فيها اردوغان بشكل مذهش؛ صدم وأذهل المؤسسة الاسرائيلية ومن لف لفيهم، كونها؛ تمثل استفتاء للشعب التركي في تأييد رئيس وزرائه أكثر من أن تكون انتخابا لرئيس بلدية، وكونها؛ تعطي دفعة قوية ومصادقية للإسلام السياسي ذو القيادة الناجحة، علمية ومتطورة، غير متحجرة ومتكاسه.

تكمن انعكاسات وارتدادات فوز اردوغان في عيون مسئولو المؤسسة الاسرائيلية التي أخرجها اردوغان، ففوزه يعني التشدد في سرعة فك حصار غزة، وإجبار الاحتلال على الانصياع التام لمطالب تركيا حول مجزرة سفينة مرمرة.

وبالنسبة لمصر؛ فقد انخرط إعلام السيسي في تشويه اردوغان؛ وألان هو في صدمة كما هي المؤسسة الاسرائيلية؛ فوز اردوغان يعني دفعة معنوية كبيرة للإخوان المسلمين في مصر، لتشابه الحالتين؛ فالسيسي كان يزعم دجلا وكذبا أن إرادة الشعب هي من دعتة للانقلاب على الشرعية، وتريده رئيسا للبلاد، ولكن الحقيقة غير ذلك.

بعد أربعة أشهر ستجري في تركيا انتخابات

شعبه، صريح وواضح، يتخذ قراراته بشكل علمي جماعي دون ارتجالية، ولا يقول لهم (ما أريكم إلا ما أرى)؛ بل ما ترونه انتم مناسباً، ولذلك هو ينطلق ويتقدم ويزدهر، وسيبقى يغيظ أعداءه على الدوام.

«جيروزاليم بوست»: فوز أردوغان «كارثي»

لإسرائيل

جهان مصطفى - المصريون ٢٠١٤/٣/٣٠

حذرت صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية من أن فوز حزب العدالة والتنمية الحاكم بتركيا في الانتخابات المحلية، التي أجريت في ٣٠ مارس، سيسهم في إضفاء تشدد على مواقف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ضد تل أبيب. وأضافت الصحيفة في تقرير لها في ٢٠ مارس أن أردوغان سيتجه لمزيد من التشدد في التعامل مع إسرائيل، مشيرة إلى أنه حرص على تحطيم أسس العلاقات السياسية والأمنية التي كانت تربط تل أبيب بأنقرة. وأعاد «جيروزاليم بوست» للأذهان وصف الدبلوماسي الإسرائيلي غابي ليفي لأردوغان - الذي التقاه عدة مرات - بأنه «أصولي متطرف، عقيدته الدينية تدفعه لكراهية إسرائيل، وهذه الكراهية تزداد مع مرور الوقت». واعتبرت الصحيفة أن أردوغان استغل أحداث أسطول الحرية - التي قتل خلالها الجيش الإسرائيلي في نهاية مايو ٢٠١٠ تسعة من النشطاء الأتراك كانوا متوجهين في رحلة لكسر الحصار على قطاع غزة - «من أجل تبرير مواقفه العدائية من إسرائيل». وفتحت مراكز الاقتراع في تركيا صباح الأحد الموافق ٣٠ مارس أبوابها أمام الناخبين للإدلاء بأصواتهم في الانتخابات البلدية، في عملية انتخابية ينظر إليها على أنها استفتاء على شعبية حزب العدالة والتنمية الحاكم ورئيس الوزراء رجب طيب أردوغان بعد احتجاجات الصيف الماضي،

واتهامات بالفساد، ترافقت مع تدفق تسجيلات مسربة على الإنترنت. ورد أردوغان بالتديد - طوال الحملة الانتخابية الضارية - بـ«مؤامرة» تستهدفه ويقف خلفها بنظره حلفاءه السابقون من جماعة الداعية الإسلامي فتح الله غولن، داعياً أنصاره إلى تلقيهم «درسا جيدا» من خلال الانتخابات البلدية. وألقى أردوغان عشرات الكلمات في أنحاء البلاد على مدى الأسابيع القليلة الماضية لدعم مرشحي حزبه في زخم انتخابي يسترجع أجواء الانتخابات البرلمانية. وبدا مستشار رئيس الحكومة التركي طه كنيش متيقنا من فوز حزب العدالة والتنمية في هذه الانتخابات البلدية، مشيراً إلى أن الشعب التركي واع ويعرف لأكثر من ١٢ سنة ما حققه أردوغان من نمو وتنمية في البلاد، في حين تعول المعارضة على فضائح التسييبات لقلب المعادلة الانتخابية. وقد دعي للمشاركة في هذا الاقتراع نحو ٥٣ مليون ناخب، بينهم أكثر من ستة ملايين شاب يصوتون للمرة الأولى ويشكلون ثقلًا انتخابيًا، في حين يشكل عدد الناخبين في إسطنبول لوحدها خمس عدد المدعوين للمشاركة في التصويت. وتشمل الانتخابات المحلية - التي تجرى كل خمس سنوات - ٨١ محافظة على مستوى تركيا تحتوي على ١٣٥٠ بلدية، وسيتم خلالها انتخاب رؤساء البلديات وأعضائها ومخاتير المناطق. ويخوض الانتخابات ٢٥ حزباً سياسياً أبرزها حزب العدالة والتنمية وحزب الشعب الجمهوري (حزب المعارضة الرئيسي) برئاسة كمال قليج دارأوغلو، وحزب السلام والديمقراطية (كردي) برئاسة صلاح الدين دميرطاش والصحفية غولتان قيشاناق، وحزب الحركة القومية برئاسة دولت باهشلي، وحزب السعادة (إسلامي) برئاسة مصطفى كامالاك. وكانت الانتخابات البلدية السابقة أجريت في ٢٠٠٩ وشارك فيها عشرون حزباً سياسياً وشملت ٦٧ محافظة.

هل نعلن موت الديمقراطية عربياً؟

د. مراد بطل الشيشاني - ٢٠١٤/٣/٣١

أشار استطلاع للرأي أجرته مؤسسة «يوغوف» البريطانية أن نحو نصف المستطلعة آراؤهم في عدد من الدول الديمقراطية لا يثقون بحكوماتهم، وهو الأمر الذي أثر في مشاركتهم السياسية بطبيعة الحال.

ولا يعد هذا المثال الوحيد على أزمة الديمقراطية في مهدها الغربي، بل إن انعدام الثقة بالنظام، والإحجام عن التصويت، والبعد عن المشاركة الديمقراطية عبر المؤسسات المختلفة، كلها مظاهر لأزمة الديمقراطية غربياً.

إذا كان هذا وضع الدولة الغربية التي تعمل فيها المؤسسات الديمقراطية وآلياتها، على الأقل، فما بال العالم العربي؟ في مجتمعات لم تعيش الحياة الديمقراطية إلا في حدودها الدنيا، وحين آتت بعض المظاهر بعد ما عرف بالربيع العربي وحركاته، أفشلت كل هذه المظاهر، بدءاً من انقلاب في مصر، إلى حملة عسكرية قاسية في سوريا، إلى انتشار الميليشيات المسلحة في ليبيا وغياب الدولة فيها، وتغول المؤسسات الأمنية في أكثر من قطر عربي، وهو ما يثير تساؤلاً أساسياً عن ثقة المواطن العربي العادي بالديمقراطية الآن.

هذا المواطن كان بداية عرضة منذ عهد الاستقلال والدولة العربية الحديثة لنمط الدولة المركزية التي تنوعت من إيديولوجيات مختلفة قومية عربية ويسارية، تذكيها أنماط رعوية، جعلت من الدولة أداة قامعة، وراعية في آن معاً، فلم يتطور مفهوم المواطنة بعيداً عن شكله التقليدي القائم إما على الانتفاع أو الخوف من الدولة التي امتلكت الأدوات الاقتصادية والأمنية.

هذا النمط من العلاقة بين الدولة والمواطن،

لم يطور بالتالي علاقة سياسية سليمة، تقوم على معطى قانوني يضمن الحقوق والواجبات، وعلى النقيض من هذا النمط تطور نمط ثوري، إسلامي، مثل حتى خروجاً على الأنماط التقليدية الدينية الموجودة في المجتمع العربي، وضخ الفكر العربي بأدبيات (يشارك فيها مع الفكر الذي ثار عليه) عن «كفر الديمقراطية»، وعدم صلاحيتها للمجتمعات العربية ومواطنيها.

هذه الأدبيات، وأنماط العلاقة بين السلطة والمواطن، كانت عرضة للتغير مع الربيع العربي، ولكن هذا لم يستمر لأسباب كثيرة، أهمها بنية السلطة في المجتمعات والدول العربي التي تغلغت في كل مكان، ولعل الحدث السوري والعنف المتصاعد فيه، بات يخوف المواطن العربي العادي من «مطالب الديمقراطية»، وفي الوقت ذاته بات النموذج المصري، مدلاً على «عدم الثقة بالديمقراطية». من هذا الخوف وعدم الثقة يتشكل الفهم العربي لشكل الدولة العربية القادمة، وهو الأمر الذي إذا ما تحقق فإن نمط الدولة الرعوية، والبوليسية أو التي يتغول الأمن فيها على السياسة، فستعزز بوجود نخب فاسدة لا تسمح بتدوير السلطة، ولا مصادر الإنتاج، ولا الثروة في المجتمع مما يزيد المحبطين إحباطاً وتستمر دوامة العنف بأشكالها المختلفة سواء البنيوية (من فقر، وبطالة، وعشوائيات، وتأخر تعليمي... إلخ) أو حتى الحقيقية المتمثلة بالعنف السياسي، والاجتماعي بدءاً من العنف المنزلي، وعنف الجامعات، وصولاً إلى الاغتيالات، والإرهاب بأشكاله المتعددة.

مرآة الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٣٣ رجب ١٤٣٥ هـ

إيران والانقلابات العسكرية
في إفريقيا

مشروع داعش: احتلال سوريا
(القصة الكاملة)

حزب التحرير بالسودان..
إدمان النقد وارتباك النهج..



إيران تستمر في
عدوانها وروغانها



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٢)

رجب- ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ إيران تستمر في عدوانها وروغانها

فرق ومذاهب

- ٤ مجلس تشخيص مصلحة النظام ذراع المرشد خصم وحكم معتز بالله محمد

سطور من الذاكرة

- ٦ الوجه الآخر: ٦- موسى الصدر هيثم الكسواني
١٠ عمر بن الخطاب يحاور اليهود د. عمر الأشقر

دراسات

- ١٢ استضعاف المستضعفين: إيران والانقلابات العسكرية في إفريقيا .. بوزيدي يحيى
١٧ هل من الممكن أن تكون إيران والهند الخطأ (ب) في أفغانستان راجيف أجاروال
١٩ الحركة النسوية في مصر (٢) الجذور التاريخية فاطمة عبد الرؤوف
٢٣ الدولة القبطية... شيخ التقسيم يهدد مصر أسامة الهتمي
٢٧ حزب التحرير بالسودان.. إدمان النقد وارتباك النهج محمد خليفة صديق

كتاب الشهر

- ٣٢ إيران وأمن الخليج أسامة شحادة....

قالوا

- ٣٤

جولة الصحافة

- ٣٦ مشروع داعش: احتلال سوريا (القصة الكاملة)..... مجاهد مأمون ديرانية
٤٦ إيران سنية د. محمد صقر السلمي
٥٢ الذكرى ٨٩ للاحتلال: كيف سقطت الأحواز؟ يعقوب زرقاني
٥٣ العلويون في تركيا... مشاكلهم ومطالبهم محمد زاهد غول
٥٦ إيران ومحيطها الأمني د. سلطان محمد النعيمي
٥٨ الاستراتيجية الإيرانية في التأثير على القرار الأمريكي أصلان الطيب نحاس
٦١ المسلمون الهنود.. بيضة القبان في ميزان السياسة الهندية سمرة فاطمة
٦٣ مشاركة السنة في العملية السياسية... قراءة نقدية د. محمد عياش الكبيسي
٦٥ العلويون في تركيا... مشاكلهم ومطالبهم محمد زاهد غول
٦٨ إيران ومحيطها الأمني د. سلطان محمد النعيمي
٧٠ سلطان البهرة يقاضي طبران اليمنية موقع يمن فويس
٧١ افسحوا للبهائية بيننا! إسحاق يعقوب الشيط

انعكاس لرؤية إيرانية معروفة وإن لم تعلنها صراحة، ألا وهي أنها الراعية والمسؤولة عن الشيعة في العالم على غرار اعتبار إسرائيل نفسها راعية لليهود في العالم!

ولا يتوقف العدوان عند هذا الحد بل يستمر في رعاية العدوان السياسي من خلال تعطيل العملية السياسية أو الانتخابات بحجج شتى، مما يشل البلاد ويعطل مصالح الناس طالما أن أتباع إيران لم يتفوقوا في اللعبة السياسية، كما حصل في لبنان والبحرين والعراق.

واحتلالها لدولة الأحواز والجزر الإماراتية دون حياة أو خجل وهي تشدق بنصرة الضعفاء ونجدة الملهوف، وهي في الحقيقة تتماهى مع إسرائيل في عدوانها بل تتفوق عليها.

وهذا كله في ناحية، والحرب التي تشنها إيران على الشعب السوري وقوى الثورة ناحية أخرى، فإيران تشارك بكل قوة وعزم في دعم وتمويل وتسليح وإمداد بالرجال للمجرم بشار الأسد، كما سبق أن مولت بالمال والسلاح والخبرة حزب الله في لبنان والمليشيات الشيعية في العراق والحوثيين في اليمن وشيعة البحرين وغيرهم.

وقد كانت نتائج هذه الاعتداءات المتكررة والمتواصلة قتل مئات الألوف وتشريد آلاف العوائل وتخريب حياة ألوف الشباب بالمخدرات، وتهديد الأمن الوطني للدول، وتكوين طوابير من العملاء والأجراء في الإعلام والسياسة وغيرها.

إيران تستمر في عدوانها وروغانها

لا تزال السياسات والمواقف الإيرانية تواصل عدوانها على الأمة الإسلامية على كافة المستويات وبكافة الصور، فإيران تقف خلف الكثير من عمليات تهريب المخدرات في العالم الإسلامي، بل إن حزب الله يشرف على زراعة وتجارة المخدرات في منطقة البقاع والجنوب اللبناني، من آخر أخبار هذا العدوان الحكم على ٨٦ سجيناً إيرانياً في ماليزيا بالإعدام بتهمة التورط في تهريب المخدرات.

كما تتواصل عمليات التجسس على دول المنطقة وزرع الخلايا النائمة فيها، والتي تعمل على تسهيل مهمات إيران في التغلغل والتسلل لمراكز القرار فيها، وصولاً لمرحلة السيطرة الكاملة.

وأيضاً لا تنفك إيران عن دعم قوى المعارضة في محاولة لبناء تحالفات مع قوى محلية، لتتوسل بواسطتها إلى التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول وإيجاد موطئ قدم لها، فيها، وهذا الدعم قد يصل لحد بناء امبراطورية مستقلة في داخل الدولة، كما هو حال حزب الله في لبنان أو الحوثيين في اليمن.

أما جهود تأليب التجمعات الشيعية على أوطانهم وأنظمتهم فهذا سلوك دائم، وهو

وبعد هذا كله لا تتورع إيران وعلى السنة

قياديتها بمختلف مراتبهم ومكانتهم من التصريحات المنهمرة حول نواياهم الخالصة لجيرانهم! وحرصهم على العلاقات الودية والسلمية! ورغبتهم بالتعاون في مسيرة التنمية! واستعدادهم لكافة أشكال التكامل والشراكة!

وفوق هذا كله نفي إيران القاطع لتدخلها في شؤون الآخرين، أو دورها في أي عمل من شأنه تكدير صفو العلاقات الإيجابية! ولذلك فهي لا تكف عن إرسال مسؤوليها في زيارات ودية لمختلف دول الجوار للتأكيد على هذه المعاني السلمية!

إن البقاء في هذه الحالة من المراوغة والدبلوماسية البئيسة التي تخجل أن تقول للمجرم مجرماً في وجهه وللمعتدي كف عن عدوانك بكل صراحة هي حالة مقبلة لا تنصر حقاً ولا تكف ظلماً.

والخروج من هذه الحالة يكون بمكاشفة

صريحة مع الذات حول عدوان واعتداءات إيران وحلفائها على الجميع في الأمة الإسلامية والعالم، وفضح هذه العدوان بمختلف الصور والأشكال، وتعرية الدوافع الطائفية والعنصرية خلف تلك المواقف والسياسات.

ثم تعرية وفضح الخلايا النائمة والعملاء

المأجورين الذين يقومون بالتمويه والتغطية على عدوان إيران والدعوة للوحدة والتعاون والتعايش معها، وكأننا نحن الذين نعتدي عليها ونحتل أرضها ونقتل شعبها؟

أي تعايش هذا الذي تردد أبواق إيران في بلادنا من الصحفيين والأحزاب اليسارية! والمتشيعين هنا وهناك عبر مؤتمرات وندوات تخبئ تحت محاربة الإرهاب! وهل هناك إرهاب أشد من إرهاب إيران ووكلائها؟

وحتى إرهاب داعش والقاعدة ألم يثبت

مسؤولية إيران عن جزء كبير منه عبر إيوائهم في طهران سنوات طويلة، وعبر تسليحهم بشكل مباشر وغير مباشر، وعبر تهريبهم من السجون وتسهيل مرورهم عبر نقاط التفتيش، والأعجب من هذا لماذا نجا هؤلاء الإرهابيون من القتل الأعمى الذي تقوم به إيران والذي يطال الأبرياء في الشوارع والمساجد والسجون؟

وبعد خطوتي المكاشفة مع الذات وفضح العملاء والخلايا النائمة، يجب تنبيه الجمهور بكافة شرائحه وأطيافه من حقيقة السياسات والمواقف الإيرانية ومن يدور في فلكها، ومدى ضررها على الأمة والمجتمعات والأفراد.

ومن ثم اتخاذ سلسلة من الإجراءات الحازمة التي تقلص من العدوان الإيراني المباشر وغير المباشر، مثل:

- تغليظ عقوبة تهريب المخدرات وسرعة البت فيها وتنفيذ الحكم علانية وسرياً.
- عدم التهاون مع الخلايا النائمة، وخلايا التجسس، وتشديد العقوبة مع التشهير.
- إعلان منع وحظر كل الميلشيات الإرهابية الموالية لإيران، ومنع التعاون معهم أو الافتخار بهم.
- تشديد الرقابة على السفارات الإيرانية ودبلوماسيتها.
- مناصرة قضية الأحواز العربية على كل المستويات.
- التصعيد في رفض التدخل الإيراني في سوريا والعراق والبحرين واليمن ولبنان وعلى كافة الصعد القانونية والدولية.

شأن خاص بالمرشد الأعلى وذلك بعد استشارة المجلس، الأمر الذي يعني أن قرارات هذا الأخير غير ملزمة للقائد. صحيح أن الأخير يقوم باستشارة تلك الهيئة الاستشارية إلا أن بإمكانه اتخاذ قرارات مغايرة لتلك التي أوصى بها المجلس.

وبخلاف تقديم المشورة للقائد، يضطلع المجلس بمهام أخرى وهي أن يكون حكما بين مجلس الشورى (البرلمان) الذي يتم انتخاب أعضائه الـ ٢٩٠ في اقتراع مباشر كل أربع سنوات وبين مجلس صيانة الدستور - أو مجلس الرقابة على القوانين (شوراي نكهبان) والذي يعد أعلى هيئة تحكيم في إيران والمكون من ١٢ عضوا - في حال نشوب أزمة بينهما، وتصبح قرارات مجلس تشخيص مصلحة النظام بشأن خصومة الهيئتين نافذة بعد مصادقة المرشد عليها، لذلك فهو يعتبر أعلى هيئة للتحكيم السياسي في إيران.

دور تشريعي

وقد أضاف الخميني اختصاصات تشريعية للمجلس، استطاع من خلالها وضع قانون محاربة المخدرات التي تصل عقوبة الاتجار فيها إلى الإعدام، وكذلك بعض القوانين العاجلة الأخرى التي أعطت الحكومة صلاحيات تشريعية وقضائية تحت فتوى حق الحكومة في التعزير، أي وضع العقوبة المناسبة وتنفيذها بالسرعة التي تقتضيها الظروف، كما حدث في قضايا السوق السوداء والتهريب. وقد استفاد الخميني في قرار إنشاء المجلس من الدستور الذي يعطي الولي الفقيه (الزعيم) الحق في تفويض شخص أو مجلس أو هيئة ببعض اختصاصاته.

ومن مهام المجلس الرئيسة أن يختار في حالة وفاة

مجلس تشخيص مصلحة النظام...

ذراع المرشد خصم وحكم

معتز بالله محمد (*) - خاص بالراصد

هو أحد أذرع الحكم الإيراني والهيئة الاستشارية العليا له، من بين مهامه الرئيسة تقديم النصح والمشورة للمرشد الأعلى للثورة حال وجود مشكلة عصية على الحل تتعلق بسياسات الدولة العامة.

كان الظهور الأول لمجلس تشخيص مصلحة النظام أو مجمع تشخيص مصلحة النظام في عام

١٩٨٤ بعد أربع سنوات من اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية التي استمرت حتى عام ١٩٨٨، حيث تم تشكيله من أصحاب الاختصاص لتقديم المشورة للمرشد الذي كان وقتها الخميني.

جرى العمل على تقنين المجلس عام ١٩٨٩ في إطار التعديل الذي طرأ على دستور الجمهورية الإيرانية، الأمر الذي استدعى وضع تعريف محدد للمجلس يأخذ من خلاله صورته القانونية داخل النظام القانوني والسياسي في إيران.

هيئة استشارية

ويتبع هذا المجلس كهيئة استشارية للمرشد الأعلى، وفقا لما نصّ عليه البند الأول من المادة ١١٠ من دستور البلاد والذي يقضي بأن رسم السياسات العامة للنظام هو

(*) كاتب مصري.

المرشد أو عجزه - إثر مرضه أو أية حادثة أخرى - عن القيام بواجبات القيادة، بقرار من مجلس الخبراء عضوا من مجلس القيادة يتولى مهام المرشد حتى انتخاب مرشد جديد.

ويقوم المجلس عبر مركز بحوث ودراسات خاص به ببحث المشكلات الأساسية للبلاد بتقديم الاستشارات لرئيسه والمرشد الأعلى، كما يقوم باقتراح السياسات العامة للدولة في مختلف المجالات، إضافة طبعا إلى التحكيم بين المؤسسات والمجالس المختلفة في السلطات الثلاث عند الخلاف حول أية قضية أو مشروع أو قرار أو قانون، وقراره نهائي يتوقف فقط على اعتماد المرشد له.

تشكيل المجلس

وتنص المادة ١١٢ من الدستور الإيراني على أن تشكيل مجلس تشخيص مصلحة النظام يتم بأمر من القائد الأعلى للجمهورية الإسلامية (المرشد)، فيما ويتكون المجلس الذي تتبعه لجان خاصة تعمل في مجال السياسة والأمن والثقافة والاقتصاد وغيرها من ٣١ عضوا يمثلون مختلف التيارات السياسية الإيرانية، ويقوم المرشد بتعيين غالب أعضاء المجلس الدائمين والمتغيرين من ذوي الخبرة والرأي وعلماء الدين، ما عدا رؤساء السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فإنهم ينضمون إلى المجلس بشكل آلي بعد التعديل الجديد الخاص بقانون المجلس، إضافة إلى فقهاء مجلس الرقابة على القوانين، كذلك يلتحق به رئيس اللجنة المختصة من مجلس الشورى الإسلامي بشكل غير دائم لبحث المسائل المعروضة، وهو ما يسري أيضا على بعض الوزراء الذين تتعلق بعض القضايا الذي يناقشها المجلس بصلاحياتهم.

قرارات منجزة

ومنذ ١٨ مارس ١٩٩٧ يت رأس المجلس رئيس الجمهورية السابق هاشمي رفسنجاني، ونظرا لأن غالبية أعضائه يتم تعيينهم من قبل المرشد الأعلى فكثيرا ما يميل المجلس لدعم مواقفه، ما دفع البعض للقول إنه يمثل أداة سيطرة أخرى في يد الزعيم. وقد اعتاد أعضاء المجلس حسم القرارات لصالح مجلس صيانة الدستور المحافظ على حساب البرلمان، فعلى سبيل المثال فمنذ الانتخابات

البرلمانية في عام ٢٠٠٠، فإن مجلس تشخيص مصلحة النظام تدخل ١٢ مرة لفض الصراع بين المؤسستين ولم يقف فيها إلى جانب البرلمان سوى مرة واحدة.

رفسنجاني وخامنئي

ويرى الكثيرون أن رفسنجاني رئيس المجلس من المقربين بشدة للمرشد الأعلى علي خامنئي، لذلك ظل المجلس يعكس دائما رأي المرشد، وقد ترسخت تلك الانطباعات في عام ٢٠٠٥ بعد خسارة رفسنجاني في الانتخابات الرئاسية لصالح محمود أحمدي نجاد حيث قام المرشد بمنح المجلس حق مراقبة كافة مؤسسات الحكم في إيران. هناك من يقول إن هذه الخطوة جاءت كمكافأة لرفسنجاني ولتعويضه عن قيام المرشد بدعم نجاد قبل أيام معدودة من الانتخابات.

الحكم والخصم

وينظر الإصلاحيون لمجلس تشخيص مصلحة النظام على أنه الحكم والخصم في آن واحد، حيث يشكل مع مجلس صيانة الدستور هيئتين تعرقلان نشاط البرلمان، وذلك انطلاقا من سيطرة المحافظين عليهما.

ويضم المجلس عددا من الأعضاء المعروفين أمثال المتشدد آية الله أحمد جنتي رئيس مجلس صيانة الدستور، وعلي أكبر ولايتي مستشار المرشد للشؤون الدولية، ومحمد رضا عارف الإصلاحي الذي انسحب من الانتخابات الرئاسية الأخيرة في ١٤ يونيو ٢٠١٣ لمصلحة الرئيس الحالي حسن روحاني.

الكراسي الموسيقية

ونظرا لأن السياسة في إيران كلعبة الكراسي الموسيقية فقد قام المرشد الأعلى علي خامنئي بتعيين الرئيس السابق أحمدي نجاد عضواً في مجلس تشخيص مصلحة النظام، وذلك بعد يومين فقط من تولي روحاني المعتدل مهام منصبه. جاءت هذه الخطوة بعدما خسر نجاد صراعاً مفتوحاً على السلطة مع خامنئي في السنتين الأخيرتين من رئاسته.

من التأييد للمقاومة الفلسطينية، والتقريب بين السنة والشيعة، ما أدى إلى إغفال جوانب أخرى من مسيرته، كآريه في التراث الشيعي، ومدى التزامه الديني، ونظرته إلى السنة، وسعيه إلى نشر التشيع، وغير ذلك، وهو ما نحاول الاقتراب منه أكثر في هذه الحلقة.

أولاً: نشأته وحياته

وُلد موسى صدر الدين إسماعيل الصدر في مدينة قُم الإيرانية في سنة ١٩٢٨م، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة طهران، فرع العلوم الاقتصادية. وبحكم انتمائه إلى أسرة دينية، فإنه درس شيئاً من علوم الشيعة في حوزتي قُم والنجف. وهو ينحدر من أصل لبناني، حيث يقول موسى الصدر إن جد أبيه، صدر الدين، الذي تسمت عائلة الصدر باسمه، هاجر مع أبيه صالح من لبنان قبل حوالي ٢٠٠ سنة، وسكن في العراق وأسس عائلة، ثم هاجر بعض أحفاده إلى إيران،

وأسسوا هناك عائلات^(١).

(١) حوارات صحفية ١، (تأسيساً لمجتمع مقاوم)، إصدار: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص ٥٢، ومواضع أخرى.

الوجه الآخر

٦- موسى الصدر

هينم الكسواني^(*) - خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبتست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر موسى الصدر شخصية غامضة

بامتياز، إن كان لجهة انتقاله من إيران إلى لبنان في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، وحصوله على جنسيتها، أو لجهة الدور الذي مارسه في لبنان، وقد استمر هذا الغموض حتى وفاته / اختفائه في ليبيا سنة ١٩٧٨م.

ولأن الصدر كان قد تقلد رئاسة المجلس الشيعي الأعلى في لبنان (أي زعامة الطائفة الشيعية هناك)، فإن الاهتمام بشخصيته كان منصباً على حراكه العام، ونشاطه الاجتماعي والسياسي، وتصريحاته الصحفية، وفيها الكثير



(*) كاتب أردني.

أما قدومه إلى لبنان واستقراره فيه أواخر سنة ١٩٥٩م، فكان بطلب من أسرة المرجع الشيعي اللبناني عبد الحسين شرف الدين، الذي توفي في أواخر سنة ١٩٥٧، ونصّ - قبل موته - على موسى الصدر لخلافته، حيث بارك ذلك الطلب المرجع الشيعي الإيراني حسين البروجردي، المرجع العام للشيعه آنذاك، وطلب من الصدر تلبية الدعوة^(١).

وكان الصدر قبل استقراره في مدينة صور في لبنان قد زارها ليستطلع الأوضاع، فوجد الشيعة هناك «بحاجة لقائد، وأن عنده قدرة على هذه المهمة»^(٢). وحصل الصدر على الجنسية اللبنانية، بقرار من رئيس الجمهورية - آنذاك - فؤاد شهاب، وهو أمر نادر الحدوث بأن تُمنح الجنسية لشخص غير مسيحي.

أثار قدوم الصدر إلى لبنان، وصعوده السريع، وترؤسه لطائفته الكثير من الشكوك والتوجس، ويؤكد الباحثون والمطلعون أن موسى الصدر جاء إلى لبنان بمباركة من شاه إيران - آنذاك - محمد رضا بهلوي؛ الذي كانت له أحلام توسعية كبيرة بإنشاء إمبراطورية تضم إيران والعراق والخليج ولبنان، وقد كلف موسى الصدر بتنفيذ ما يتعلق بلبنان، ووعد الشاه بخمسمائة ألف دولار مقابل تلك المهمة، كما كشف ذلك شهبور بختيار، الذي سلّمه الشاه السلطة في إيران عندما غادرها إلى المنفى^(٣).

وإضافة إلى حملة بإنشاء إمبراطورية في المنطقة؛

فإن شاه إيران كان منزجاً من التغلغل اليساري والشيوعي في صفوف الشيعة في لبنان والعراق، وفي بلاده إيران، وفي غيرها من الدول، فقد كان العداء بين الشاه والشيوعية كبيراً، لذلك دعم «الصدرين» محمد باقر (في العراق)، وموسى (في لبنان) لمحاربة الشيوعية، والعمل على إخراج الشيعة من الأحزاب اليسارية في هذين البلدين^(٤).

ولذلك كان الصدر مثلاً يتجنب انتقاد الشاه، ويتهرب من الأسئلة التي تُطرح عليه أحياناً حول الأطماع الإيرانية في الخليج العربي، كما في مقابلة أجرتها معه صحيفة السياسة الكويتية في ١٣/٣/١٩٧٣م، وبدلاً من ذلك تحدث عن ضرورة البناء الفكري لأبناء الخليج لصيانة ثروته ومنجزاته وحضارته^(٥).

ثم شيئاً فشيئاً صار موسى الصدر بوجه الانتقادات إلى المخابرات الإيرانية، ويتمها بتشويه مواقفه وصورته، ويتحدث عن تأثيرها على مختلف الأجهزة الرسمية في إيران^(٦)، كما أخذ الصدر يكيل المديح لرجال الدين الإيرانيين المعارضين لحكم الشاه، ومنهم الخميني، حيث يقول: «إنهم يحاربون قدر الإمكان تجاوز الحكام وطغيانهم واستبدادهم، ولهم في الشعب نفوذ كبير. وفي الفترة الأخيرة خاض أكثر علماء الدين في إيران، وفي طليعتهم الإمام الخميني، معارك عنيفة من أجل تصحيح الاتجاه السياسي والاجتماعي في إيران، وقد دخل العديد منهم السجون، كما أن السيد

(٤) المشكلة الشيعية، أسامة شحادة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٣٠٣، نقلاً عن الكاتب الفرنسي أوليفيه روا في كتابه (تجربة الإسلام السياسي). ويذكر أن الصدر كان يعتبر ميل الشباب اللبناني إلى اليسار هو تعبير عن الاحتجاج على الأوضاع الحالية، لا عن عقيدة منحرفة أو عن عُقد. (انظر: حوارات صحفية ١، ص ٣٠١).

(٥) حوارات صحفية ١، ص ٣٦٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(١) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٣٥.

(٢) الإمام السيد موسى الصدر محطات تاريخية: إيران، النجف، لبنان، حسين شرف الدين، إصدار: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ٥٨.

(٣) حقيقة المقاومة: قراءة في أوراق الحركة السياسية الشيعية في لبنان، عبد المنعم شفيق، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص ٧٦.

الخميني مُبعد الآن ويعيش في العراق...»^(١).

ويبدو أن ازدياد المعارضة لنظام الشاه، والضعف الذي بدا عليه، ورغبة الصدر - بحكم طموحه الكبير - في أن يتبوأ مكانة في النظام الإيراني الجديد بعد الشاه هي التي سببت هذه الانعطافة في موقفه، وأن يثني على الخميني ومعارضته.

وبالعودة إلى لبنان، فقد مكث الصدر هناك يوصل الليل بالنهار لإيجاد كيان للشيعة، ويعمل على تحسين أوضاعهم، واستطاع أن يقيم لهم عددا من المؤسسات والمنظمات التي لا تزال فاعلة إلى اليوم، وأهمها:

١- المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الذي أصبح يمثل المرجعية الدينية والسياسية لشيعة لبنان منذ سنة ١٩٦٧م.

٢- أفواج المقاومة اللبنانية، التي تعرف اختصارا بحركة أمل، وهي ميليشيا مسلحة أسسها الصدر سنة ١٩٧٥م، وأبقى أمرها سرا في البداية، وهذه الحركة شنت حربا على المخيمات الفلسطينية في لبنان في سنة ١٩٨٥م، في عهد رئيسها نبيه بري، الذي ما يزال رئيسا للحركة إلى الآن^(٢).

أما نهاية الصدر، فكانت غامضة ملتبسة مثل ما كانت بدايته في لبنان، ففي سنة ١٩٧٨، تلقى الصدر دعوة لزيارة الجماهيرية الليبية للقاء رئيسها معمر القذافي لبحث موضوع الحرب الأهلية في لبنان، حيث سافر الصدر إلى ليبيا برفقة الشيخ محمد يعقوب والصحفي عباس بدر الدين، لكن أثره اختفى هناك، ولم يعد، وأدعت ليبيا أن الصدر ومرافقيه غادروا ليبيا متوجهين إلى إيطاليا، الأمر الذي نفته إيطاليا، ورفضه شيعة لبنان، ورغم

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(٢) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٥٠ - ٥٣.

سقوط نظام القذافي إلا أن الغموض ما زال يهيمن على ملف اختفاء الصدر إلى الآن.

ثانيا: نظرته إلى التراث الشيعي

وقف الصدر غير مرّة مدافعا عن عقائد الشيعة، دون أن يبذل جهدا يذكر لتتقية التشيع مما فيه من انحراف وغلو، بل ومحاملا أهل السنة في بعض الأحيان وزر مخالفاتهم لعقائد الشيعة، ومن ذلك على سبيل المثال:

أ- اعتقاده في الإمامة:

يرى الصدر أن مسألة الإمامة أو الولاية هي أهم الأحكام الشرعية، وهي ليست مسألة تاريخية، بل مسألة كل مجتمع وكل زمان^(٣). وفي تفسيره للإمامة يقول: «الإمامة تعني عند الشيعي مفهوما عقائديا واضحا هو الولاية. والولاية تعني عندهم مفهوم الحكومة الحقّة التي تسيّر أمور البلاد والعباد... والإمامة أصل من أصول المذهب عندهم كما بيّنا من قبل»^(٤).

كما يرى الصدر، كما هو شأن الشيعة، أن الخلافة بعد النبي ﷺ كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، دون غيره، بالنصّ عليه من الرسول ﷺ، بينما لم يلتزم أهل السنة بذلك^(٥). ويرى

كذلك أن الشيعة ينطلقون - في قضية الإمامة -

من أنه من الضروري أن يوجد نص من الرسول ﷺ، وأمر من الله تعالى بشأن من يتولى شؤون الأمة^(٦).

ولأن الصدر تواجد في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب والطوائف، فإنه وجد صعوبة - على ما يبدو - في الاستمرار في الدفاع عن الإمامة والولاية، لذلك صدر عنه في سنواته الأخيرة ما يفيد

(٣) حوارات صحفية ١، ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١٩٠.

مذهب الشيعة الإثني عشرية مذهباً كالمذاهب السنية الأربعة يجوز التعبد به.

والصدر تحدث عن ذلك السعي، فقال: «لقد اجتمعت بشيخ الأزهر الشيخ شلتوت، وبالأستاذ محمد المدني وبغيرهما من الطليعة وتباحثت وإياهم حول الشؤون الإسلامية وتدرّس مذهب الإمام الصادق إلى جانب المذاهب الأربعة وقد لقيت منهما إدراكاً بعيد المدى للعمل على وحدة الكلمة ووحدة الصف، ووحدة الشعور»^(٤).

كما عمل الصدر على تشييع السنة من خلال المؤسسات الإيرانية، وهو أفصح عن ذلك في قوله: «لقد رأيتُ في (قُم) مؤسسة جديدة عنوانها (دار التبليغ الإسلامي) مهمتها تهيئة نهضة جديدة تقوم على أسس من الفن الديني والتربوي بما يتفق وروح العصر. وقد اتفقتُ مع مؤسسها سماحة آية الله شريعتمداري على تخصيص جناح فيها للطلاب الأفريقيين بمعاونة المهاجرين اللبنانيين في تلك الديار»^(٥).

أما فيما يتعلق بتشيع النصيريين العلويين، فقد كان ذلك من خلال رأس النظام السوري، الذي ينتمي إلى الطائفة العلوية النصيرية، حيث وجد الطرفان في ذلك مصلحة مشتركة، فالصدر وغيره من الشيعة كسبوا أفراداً جدداً إلى طائفتهم تحت مسمى إعادة الفرع إلى الأصل، أي إعادة العلويين إلى أصلهم الشيعي، والرئيس السوري - آنذاك - حافظ الأسد سعى للحصول على فتاوى من شيوخ الشيعة في لبنان وإيران لاعتبار العلويين طائفة من الشيعة لوجود مادة في الدستور السوري - حاول الأسد حذفها لكنه لم يفلح - تنص على أن دين رئيس الدولة الإسلام، حيث أن أهل السنة والشيعة

بأنه ليس من الضروري الآن أن يكون الحاكم من الأئمة، وبأنه لا يوجد دليل شرعي يقيّدنا بشكل معين من أشكال الحكم، وبأننا يجب أن نكون مرّنين في اختيار الشكل، وأن مشكلة الخلافة بعد الرسول ﷺ أصبحت قضية نظرية يمكن الاحتفاظ بها في المجال الفكري^(١).

ب- دفاعه عن زواج المتعة:

يدافع الصدر عن زواج المتعة، ويصوّره بصورة مثالية جميلة غير تلك التي يمارسها الشيعة، ويدعي أنه «زواج له نفس القوانين والأنظمة، التي تراعى في الزواج الدائم، كالعقد والعدة وإلحاق الطفل والميراث بالنسبة للزوجين إن اشترطاً ذلك. طبعاً الطفل يرث بلا قيد ولا شرط»^(٢). ويقول إن زواج المتعة لا يعني الاتفاق على ممارسة العمل الجنسي! بل يعني الاتفاق على الزواج، ولكن لمدة محددة.. «وهو على هذا الأساس يمكن أن يحل مشكلة الخطوبة، ولعله في المستقبل يصبح هو الزواج المفضل لدى الناس.. زواج المتعة يمكن أن يكون معجزة هذا العصر»^(٣).

ثالثاً: سعيه لنشر التشيع

عمل موسى الصدر خلال مسيرته على نشر التشيع، في صفوف أهل السنة، وفي صفوف العلويين على حد سواء، ففيما يتعلق بالسنة حاول الصدر أن يكون ذلك من بوابة الأزهر، الذي كان يتردد عليه للمشاركة في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة، أو لحضور اجتماعات مجمع البحوث الإسلامية، وتحت مسمى تدريس المذهب الجعفري، مستغلاً وجود الشيخ محمود شلتوت على رأس الأزهر، وهو صاحب الفتوى الشهيرة باعتبار

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧.

ذلك، مع الإشارة إلى رغبته بإحلال زراعة الشاي محل التبغ فيما بعد^(٤).

والحقيقة إن ما أوردناه أعلاه يبدو أمراً بسيطاً إزاء ما ذكره لي أحد كبار الصحفيين الفلسطينيين قبل عدة سنوات، إذ يقول هذا الصحفي والكاتب الذي كان مقيماً في بيروت، بأن القيادي في حركة (فتح) الفلسطينية هاني الحسن والذي كان على علاقة وثيقة بالصدر، أخبره بأن الصدر خلال اعتكافه الشهير وصيامه في مسجد الصفا بمنطقة العاملية في شهر يونيو/حزيران ١٩٧٥، احتجاجاً على الحرب في لبنان، كان يطلب منه أن يحضر له الطعام والشراب والويسكي! لأنه غير صائم كما هو مُعلن، وكان الصدر يقول للحسن: يا هاني لا تتساني!!

عمر بن الخطاب يحاور اليهود

د. عمر الأشقر رحمه الله^(٥) - خاص بـ «الرائد»

كان عمر بن الخطاب سريع البديهة قوي

الحجة، وكان من أمره في بداية الهجرة أنه كان يشهد اليهود في يوم مدراسهم^(٥)، فيعجب من التوراة كيف تصدق القرآن، ومن القرآن كيف يصدق التوراة.

وبينما هو عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك، قال: ولم؟ قالوا: لأنك تغشانا وتأتينا.

فبين لهم سبب مجيئهم لهم، فلم يكن يأتهم حباً فيهم، وإنما لفت نظره ذلك التوافق بين التوراة

الإنثى عشرية لا يعتبرون العلويين الذين ينتمي إليهم الأسد مسلمين، وسرعان ما «لجأ الأسد إلى صديقه الزعيم الشيعي الإمام موسى الصدر، فأصدر له في تموز/ يوليو ١٩٧٣، فتوى تقول بأن العلويين مسلمون، وهم طائفة من الشيعة»^(١).

رابعاً: نظرتة إلى السنة

يرى الصدر أن الشيعة جميعاً يتعبدون وفق مذهب أهل البيت، أما أهل السنة فموزعون على أربعة مذاهب على الأقل^(٢). ولا شك أن حديث الصدر يحوي مغالطة واضحة فهو يصور مذهبه بأنه مذهب متوحد يستقي تعليماته من أهل البيت، بينما السنة متفرقون إلى مذاهب عديدة، وقد مرّ بنا قبل قليل انتقاد الصدر لأهل السنة، لأنهم - بزعمه - لم يلتزموا بوصية الرسول ﷺ بتولية علي من بعده.

ويعتبر الصدر أن أخذ السنة بأقوال الصحابة يعتبر قصراً للمعرفة على صدر الإسلام، في حين يعتبر الفقه الشيعي والينابيع الشيعية أكثر غنى لأن الأئمة عاشوا التطورات التي وقعت في القرنين الأول والثاني الهجريين وبداية القرن الثالث^(٣).

خامساً: التزامه الديني

على الرغم من أن موسى الصدر من رجال الدين ويلقب بـ «الإمام» إلا أن بعض سلوكياته كانت بعيدة عن التدين، مثل تدخينه للسجائر والنجيلة، وتقديمتها إلى ضيوفه وجلسائه، إضافة إلى دفاعه عن زراعة التبغ في جنوب لبنان، حيث يتركز الشيعة، وضرورة إيلاء الدولة اهتمامها للمزارعين من خلال رفع أسعار التبغ وتأسيس شركة مساهمة، وتوفير المياه وتحسين نوعية البذور، وغير

(٤) المصدر السابق، ص ١٥٤، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٦٩، ٤٠٤، ٤٧٠، ٥٣٣، ٥٨٠، ٥٨١.

(٥) كاتب أردني.

(٥) ابن جرير الطبري وغيره، انظر تفسير ابن كثير: (٢٢٩/١).

(١) البعث الشيعي في سورية (١٩١٩ - ٢٠٠٧)، المعهد الدولي للدراسات السورية، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) حوارات صحفية، ص ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦٤.

والقرآن، (إني آتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق القرآن). قالوا: ومّرّ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا ابن الخطاب، ذاك صاحبك فالحق به، قال: فقلت لهم عند ذلك: نشدّكم بالله الذي لا إله إلا هو، وما استرعاكم من حقه، وما استودعكم من كتابه، هل تعلمون أنه رسول الله؟

لقد كان قسماً عظيماً أوقعهم في حرج

كبير، ولقد أذهلهم القسم وأسكتهم ولم يتجرأ واحد منهم على الإنكار والمكابرة، ذلك أنهم كانوا يعرفون أن محمداً مرسل من ربهم كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم كانوا يستكبرون، فما كان من عالمهم وكبيرهم إلا أن قال: إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه. قالوا: فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت.

قال: أمّا إذا نشدّتنا بما نشدّتنا، فإننا نعلم

إنه رسول الله. لقد صدقوا في الإجابة، وما دام الأمر كذلك، فمقتضى هذا العلم وتلك المعرفة الاتباع وإلا فإنه الهلاك.

وقد واجههم عمر بذلك فقال: ويحكم إذا

هلكتم. ولكنّ النفوس المعوجة المريضة لا تعدم أن تجد إجابة تبرر بها ضلالها وخطأها، قالوا: إنا لم نهلك، قلت: كيف ذلك، وأنتم تعلمون أنه رسول الله، ولا تتبعونه ولا تصدقونه؟

قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من

الملائكة، وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة، قال عمر: ومن عدوكم، ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل.

أي وربي إنها لخرافة جاءت بها يهود تريد أن

تغشى بها على أبصار من ضعف بصره

وبصيرته، ولكن هل تجوز هذه الفرية على ذوي البصائر والأبصار أمثال عمر بن الخطاب الذي أوتي علماً وفهماً وحجة وبياناً؟ لا والله، قالوا: إن جبرائيل ملك الفظاظ والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا، وإن ميكائيل ملك الرحمة والرفقة والتخفيف ونحو هذا، قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما عزّ وجل؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، قال عمر: قلت: فوالذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما، وسلم لمن سالمهما، وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدوّ ميكائيل، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبرائيل.

أرأيت الحجة التي جاءت على البديهة تسكت

الخصم وتكشف عوار حجته، وتفضح كيد ومكره، جبرائيل وميكائيل ملكان مطيعان لربّهما لا يخالفان أمره، ولا يختلفان فيما بينهما، يعاديان أعداء الله، ويواليان أوليائه، وعدو جبريل هو عدو ميكائيل، وعدو ميكائيل عدو لجبريل، فالذي يريد تقسيم الملائكة كما يقسم ملوك الأرض فقد ضلّ وغوى، ونزل القرآن يصدق ابن الخطاب ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى

وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾

[البقرة: ٩٧ - ٩٨].

العقيدة الشيعية، فحماية المستضعفين رسالة حسينية عند الشيعة، ومرتبطة في مخيالهم بمظلوميته، مما يجعل الخروج عن هذه المبادئ لا يبرر إلا بالنفاق والمتاجرة بالدين، خاصة وأن من يقف على رأس النظام المرشد الأعلى علي خامنئي، وهو مرجع ديني في مستوى آية الله العظمى. وإذا ما استثنينا الحالة السورية وسلمنا جدلاً بأنها مؤامرة كونية كما يبرر عملاء إيران في المنطقة في أي مدى التزمت طهران بهذه المبادئ في مناطق أخرى؟

الانقلابات العسكرية والمستضعفون:

تبرر أي حركة تغيير للنظم السياسية بأنها محاولة لتخليص الشعب من نظام مستبد وفاسد أضاع حقوق المواطنين وجعلهم يعيشون الفقر المدقع، ولا تخلو من اتهامات له بتسليم مقدرات البلد وثرواته للقوى الأجنبية، وفي المقابل تعد بغد مشرق وزاهر يسود فيه العدل والرخاء والحرية، تسخر فيه كل طاقات الدولة لمشروع تنموي رائد. وإن كانت الحركات الاحتجاجية الشعبية والثورات التي تنطلق من الأسفل إلى الأعلى تعبر عن هذه الحقيقة فإن المحاولات التي تكون من الاتجاه المعاكس ممثلة بشكل خاص في الانقلابات العسكرية، وإن لم تكن مخطئة في التوصيف أعلاه إلا أنه في الغالب الأعم يكون مجرد تبرير لصراعات بين النخب الحاكمة سرعان ما يقوم المنتصر فيها بممارسات أفظع وأشنع، ويتشبث بالسلطة أكثر ممن سبقه، حتى وإن زينها ببعض المساحيق القانونية التي لا تخطئ العين أنها مجرد غطاء لنظام ديكتاتوري مستبد.

استضعاف المستضعفين:

إيران والانقلابات العسكرية في إفريقيا

بوزيدي يحيى^(٥) - خاص بالرائد

رفع الخميني عقب نجاح الثورة في إسقاط نظام الشاه مبدأي حماية المستضعفين ومواجهة الاستكبار العالمي اللذين أصبحا من أهم مبادئ السياسة الخارجية الإيرانية، وأكسبا الجمهورية الإسلامية الكثير من الشعبية في الأوساط العربية، حتى جاءت الثورة السورية ليصطدم الرأي العام العربي بموقف إيراني غير مسبوق في دعم نظام مجرم ومستبد، وتسخير كل الطاقات للدفاع عنه، والمشاركة في العمليات العسكرية ضد الشعب السوري، بل دفع بوكيله حزب الله اللبناني ضد الثورة السورية، حتى ذهل الكثيرون من مواقف حزب الله ومفاخرته بجرائمه بحق الشعب السوري، وتقديمها كانتصارات على الصهاينة، في حين أن الدماء التي سالت ولا زالت دماء سورية لم تكن فيها أي قطرة إسرائيلية رغم «التحرشات» المبررة في القانوني الدولي للرد عليها، وهو ما لم يحصل بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات.

والإشكالية في هذه المبادئ الخمينية

المثالية أنها تنطلق من خلفية دينية تتمحور حولها

(٥) كاتب جزائري.

إيران ترحب بتطور وتنمية الدول الإفريقية واتحادها. وأشار إلى الممارسات العدائية لبعض الدول الأوروبية وكذلك أمريكا في استعمار الدول الإفريقية وإثارة الفتن والمؤامرات في هذه الدول، معرباً عن أمله بأن تشهد القارة الإفريقية مستقبلاً أفضل بكثير مصحوباً بمزيد من التطور يوماً بعد آخر^(٢).

وإزاء القضايا الحالية على سبيل المثال لا الحصر اعتبر السفير الإيراني في إسبانيا مرتضى صفاري نطنزي أن التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ناجمة عن تبعية الأنظمة الديكتاتورية للغرب وإذلال الشعوب في المنطقة^(٣).

واعتبرت طهران أن التدخل الفرنسي في إفريقيا الوسطى بعد الانقلاب الأخير وما أعقبه من عنف هو استغلال لحالة الفوضى كذريعة لادعاء ملاحقة عناصر تنظيم القاعدة، وذلك بعد تدخلها في مالي وليبيا. وأن الأمر ليس جديداً على تاريخ فرنسا الاستعماري المليء بالدموية والوحشية، خاصة بعد سقوط أبرز حلفائها بالمنطقة زين العابدين بن علي، وهو الأمر الذي دفعها إلى التصيد من أجل إرضاء طموحات الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند الاستعمارية، للنهوض بالاقتصاد الفرنسي على حساب دم ونهب ثروات الشعوب الإفريقية^(٤).

كما صرح قبلها المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية رامين مهمان باراست أن إيران تدعم جهود الاتحاد الإفريقي لاستعادة «السلام والأمن» في مالي عقب الانقلاب العسكري وقال إن الجمهورية الإسلامية «تدعم دائماً وحدة، وسلام، واستقرار،

وتعد القارة الإفريقية من أكثر المناطق التي تموج دولها بالانقلابات العسكرية، إذ لم تنعم جلها بحالات استقرار سياسي متوسطة المدى وتداول سلمي على السلطة منذ استقلالها عن القوى الاستعمارية. حتى أضحت ظاهرة الانقلابات خاصة مميزة للقارة، وبحسب بعض التقديرات فقد شهدت إفريقيا في الخمسين سنة الماضية ما لا يقل عن ثمانين عملية انقلابية معظمها في دول غير عربية، واستهدف بعضها نظماً منتخبة ديمقراطياً^(١).

هذه الاضطرابات السياسية تؤثر بشكل كبير على السياسات الخارجية للقوى الإقليمية والدولية تجاهها، في ظل تضارب المصالح وارتباط القوى السياسية الحاكمة بأطراف خارجية تدعمها، وبحث القوى المعارضة عن أطراف أخرى خاصة في حالة الانقلاب العسكري، وهذا ما تشهده الكثير من الدول، ومن بينها إيران، التي سنحاول أن نقدم نماذج عن طريقة تعاملها مع الانقلابات العسكرية في إفريقيا ومدى تناقضها مع مبدأ حماية المستضعفين الذي ترفعه في سياستها الخارجية.

الدفاع عن المستضعفين الأفارقة في السياسة الخارجية الإيرانية حالياً:

لا تغيب مبادئ حماية المستضعفين ومواجهة الاستكبار العالمي عن الخطاب الإيراني الحالي تجاه إفريقيا، إذ كانت في واجهة أسباب انفتاحها عليها، حيث ارتكز الانفتاح الإيراني على القارة الإفريقية على مواجهة الاستعمار العالمي وتشكيل ما يسمى بجهة معادية للاستعمار الموازية للقوى الغربية التي تنهب ثروات القارة، كان رفعها الرئيس الإيراني السابق أحمدني نجاد خلال عهديته الرئاسيتين.

كما أكد المرشد الأعلى علي خامنئي، أن

(١) إفريقيا تاريخ حافل بالانقلابات، الجزيرة نت، ٢٠١٢/٠٤/١٦، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/news/pages/f476eff5-b0fd-4536-94c2-64c45a72cb24?GoogleStatID=9>

(٢) قائد الثورة الإسلامية: إيران ترحب بتطور وتنمية الدول الإفريقية واتحادها، قناة العالم، ٢٠١٢/٠٤/١٠، على الرابط:

<http://www.alalam.ir/news/1462983>

(٣) تبعية الأنظمة الديكتاتورية للغرب وراء تطورات المنطقة، قناة العالم، ٢٠١١/٠٨/٠٨، على الرابط:

<http://www.alalam.ir/news/654531>

(٤) فرنسا تبدأ حملة عسكرية لإنهاء «فوضى الانقلاب» في أفريقيا الوسطى.. وصحيفة إيرانية: سياسة هولاند تحلم بالعودة إلى الماضي، موقع الوادي الإخباري، ٢٠١٢/١٢/٠٧، على الرابط:

<http://elwadynews.com/world-news/2013/12/07/4497>

وسلامة أراضى مالي، وتحترم حقوق الشعب والديمقراطية في البلاد» وأن أي إخلال بالأمن في إفريقيا سيلحق الضرر بالشعب الإفريقي، وتستغله القوى الخارجية، وأضاف أنه يتعين على الشعوب الإفريقية حل خلافاتها الداخلية من خلال المفاوضات والمحادثات السلمية^(١).

ولكن الموقف لم يخرج عن مستوى التثديد والتشهير الإعلامي لممارسات القوى الدولية للتغطية عن أعمالها التي لا تختلف عنها لا من حيث الأساليب ولا من حيث الأسباب، وإن كان حجم التدخل العسكري الإيراني أقل بكثير مقارنة بالقوى الغربية واعتماده الأساليب غير المباشرة والمحلية في الكثير من الأحيان.

ردود الفعل الإيرانية عن الانقلابات

العسكرية في إفريقيا

اللافت للانتباه في براغماتية السياسة الإيرانية أنها لا تراعي الجانب الإنساني الذي تدعيه، وإنما كل ما يحرك ويوجه مواقفها من الأنظمة الإفريقية هو علاقة الأخيرة بالدول الغربية، وما تنتجه لها من فرص اقتصادية أو سياسية لتزاحم أو تساهم بها القوى الأخرى ولو على حساب الدماء الإفريقية، وأبرز ما يدل على هذا موقفها من الانقلابات العسكرية والأنظمة الديكتاتورية، حيث لم يحصل أي موقف سياسي إيراني أقدمت فيه طهران على قطع علاقاتها مع بلد إفريقي حصل فيه انقلاب عسكري واعتبرته مضرًا بمصالح ذلك الشعب، وديكتاتورية لا يمكن أن تسمح لها بمبادئها تجاه المستضعفين تجاهل ما يعانيه هؤلاء من ظلم واضطهاد بسبب تلك الانقلابات، ورغم إدراك حقيقة الولايات التي تعقب الانقلابات العسكرية إلا أنها لم تتوان عن نسج علاقات متينة وقوية مع الأنظمة الناتجة عنها خاصة عندما ترفع الأخيرة شعارات مواجهة الغرب ممثلًا في الولايات المتحدة

(١) إيران تدعم جهود الاتحاد الإفريقي لاستعادة السلام في مالي، صحيفة الشعب، ٢٠١٢/٠٣/٢٧، على الرابط: <http://arabic.people.com.cn/31663/7769808.html>

وفرنسا تحديدًا.

فإثر الانقلاب العسكري في النيجر (فبراير ٢٠١٠) وعلى الرغم من عدم وضوح تأثيره على العلاقات بين النيجر وإيران، فإن أحد التقارير ذكر أن الدبلوماسيين الإيرانيين غادروا عاصمة النيجر نيامي عقب استيلاء المجلس العسكري على السلطة مباشرة، وبعد خمسة أيام ذكرت الصحافة التلفزيونية الإيرانية أن الرئيس المخلوع مامادوا تانجا أصبح أقل شعبية لأنه قام بتغيير الدستور لبقاء في السلطة^(٢).

وهذه كانت بداية تحول إيراني في تأييد الانقلاب والتكرار لعلاقاتها مع نظام مامادوا تانجا الذي لم تكتشف ديكتاتوريته وتراجع شعبيته إلا بعد الانقلاب بخمسة أيام. بل وهناك من يذهب إلى أن الانقلاب ورغم أسبابه الداخلية البحتة إلا أنه لم يخل من بعد خارجي تمثل في العلاقات التي نسجها الرئيس مع المحور الصيني الإيراني على حساب المحور الأوروبي الأمريكي^(٣).

ولعل هذا ما يفسر مغادرة الدبلوماسيين الإيرانيين النيجر رغم أن الانقلاب وصف بالأسرع والأقل عنفا. وبعد استتباب الأوضاع هناك وخلال زيارة نجاد للبلاد في أواخر عهده الثانية سنة ٢٠١٣ كان اليورانيوم من أولويات الرئيس الإيراني وليس المستضعفين وأوضاعهم وحقوقهم.

كما أن توقيت قرار قطع العلاقات الجامبية مع إيران أثار الكثير من علامات الاستهتار، حيث جاء عقب ١٠ أيام من محاولة انقلاب فاشلة اتهم الرئيس الجامبي يحيى جامع ضباط الشرطة الذين تم اعتقالهم في ٢٠١٠/١١/١١ بمحاولة إقصائه عن رئاسة جامبيا وقلب نظام الحكم فيها وهي الثانية

(٢) أميرة محمد عبد الحليم، أحمدي نجاد في غرب أفريقيا، الأهرام الرقمي، ٢٠١١/٠٢/٠١، على الرابط: <http://digital.ahram.org/articles.aspx?Serial=485862&eid=122>

(٣) سمير صالحة، النيجر.. انقلاب بلا دماء، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٠/٠٣/٠٥، على الرابط: <http://www.aawsat.com/details.asp?section=45&article=559721&issueno=11420#.U1YeDIV5Ozw>

التي يتورط فيها مسؤولون كبار في المؤسسات العسكرية والأمنية في جامبيا بعد إحباط المحاولة الانقلابية الأولى قبل أربعة أشهر ما يطرح المزيد من التساؤلات حول الدور الإيراني والانقلابات الأخيرة بجامبيا، في ضوء القرار الجامبي الذي جاء قويا وسريعا^(١).

مع العلم أن العلاقات الجيدة بين البلدين والتي كانت متطورة جدا انتعشت في ظل نظام ديكتاتوري اعتلى فيه الرئيس السلطة بعد انقلاب عسكري، وبغض النظر عن صحة الاتهامات لإيران بالوقوف وراء محاولات الانقلاب العسكرية من عدمها فإن مما لا شك فيه أن شحنة الأسلحة المهربة التي كانت السبب المباشر لقطع العلاقات ضحاياها كانوا (لو تمت العملية) من المستضعفين بكل تأكيد الذين تدعي إيران دعمهم ومساندتهم.

وكما يقول الكاتب رضا عبد الودود، فإن الاستبداد السياسي والتضييق على القوى المعارضة في جامبيا طوال الثلاثين عاما الماضية لم يدفع إيران الثورة «الإسلامية» و«المبادئ» أن تقف ضد سياسات جامبيا أو تدفع نحو تحقيق التصالح بين الحاكم والشعب المقهور، ما يؤكد أن مصالحها فوق كافة الحقوق والشعارات التي ترفعها، ففي الوقت الذي شنت فيه طهران هجوما على قرار جامبيا قطع علاقاتها معها ووصفتها بأبشع الأوصاف من الخضوع والانصياع للأجندات الأمريكية والدولية، لم تتحرك لدعم حق الشعب الجامبي الذي يعاني الاستبداد المؤبد، إذ يؤكد المراقبون أن الرئيس الجامبي يحيى جامع الذي دخل عامه التاسع والعشرين في الرئاسة وكان ضابطا شرفيا برتبة ملازم في الجيش قبل تنفيذ انقلابه يسعى إلى تأييد حكمه لمدى الحياة من خلال دعوته للاستفتاء على ذلك.

كما أنه بسبب معارضة الأحزاب والقوى السياسية لهذه الخطوة من جانب جامع بدأ نظامه في تضييق الخناق على أنشطتها بصورة تكاد تقترب من حظر نشاطها واتهام نشاطها له بالسعي إلى تقويض نظام حكم البلاد من الجمهوري إلى الملكي وهو ما بدأ التمهيد له بإصدار القيادات التقليدية والعرقية الموالية له مسمى ملك جامبيا عند مخاطبته^(٢)، مع العلم أن الدولتين كانتا قبل الأزمة تريان أنهما تعانيان من الاضطهاد الدولي، فإيران تعاني نتيجة لبرنامجها النووي، أما جامبيا فلها ملف من انتهاكات حقوق الإنسان^(٣).

الإسلاميون والانقلابات العسكرية: السودان والجزائر

وبالنسبة للدول الإفريقية العربية التي حصلت فيها انقلابات عسكرية نجد التناقض نفسه في مواقف إيران حتى بدخول عامل إضافي للمعادلة ممثل في الإسلاميين، وأبرز الأمثلة كان في الانقلابين اللذين شهدتهما الجزائر والسودان في نهاية ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي، فبينما نددت بالانقلاب العسكري في الجزائر سنة ١٩٩١ بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات واصفة إياه بالانقلاب العسكري ومعتبرة مواقفها رد فعل طبيعي بحكم التزامها بمبادئ حماية المستضعفين، كانت في وقت سابق أيدت انقلاب آخر قام به الفريق عمر البشير في السودان، ولم تلتفت لشرعيته من عدمها باعتباره انقلابا عسكريا أم ثورة، لتشهد علاقتها مع النظام وليد الانقلاب تطورا كبيرا، فإضافة للتعاون الاقتصادي ساهمت في بناء جهازه الأمني الذي تعزى إليه أغلب حالات القمع وممارسات العنف وانتهاكات حقوق الإنسان، فقد مكنت

(٢) رضا عبد الودود، تداعيات قطع جامبيا علاقاتها مع إيران، موقع المسلم، ١٤٣١/١٢/٢٧ هـ، على الرابط:
<http://almoslim.net/node/137784>

(٣) أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق.

(١) جامبيا.. مخطط انقلابي للإطاحة بالرئيس بمشاركة الاستخبارات، المصري اليوم، ٢٠١٠/١١/١٢، على الرابط:
<http://www.almasryalyoum.com/news/details/95055>

الموريتانيين إلى تجنب استضافة الوجود العسكري الأمريكي، في إشارة إلى البحث الذي تقوم به القيادة الأفريقية للولايات المتحدة عن قواعد لها في القارة^(٢).

الثورات والانقلاب عليها: تونس ومصر

وبينما كانت علاقتها جيدة مع نظام زين العابدين بن علي ولم ترع ظلمه لشعبه ولا ديكتاتوريته ولا مولاته للغرب والاستكبار العالمي بل لم تلتفت حتى لقمعه للحركة الإسلامية التي كانت تدعي الدفاع عنها مما تسبب في قطع العلاقات بين الطرفين في الثمانينات، لتعود وتحسن ابتداء من سنة ١٩٩٠، بعدما قامت طهران مقابلها ببيع حركة النهضة لنظام زين العابدين بن علي في الوقت نفسه الذي كانت تدعي الدفاع عنها في الجزائر والسودان كما سبق الإشارة، ولاحقا ومع تطور العلاقات بلغ بها الأمر درجة منع راشد الغنوشي الذي كان من أكثر المؤيدين لنظام الجمهورية الإسلامية من دخول إيران مقابل صفقات اقتصادية وغض النظر عن نشر التشيع في تونس مما جعل الأخير ينتقد طهران وينعت مراهناتها على نظام ديكتاتوري بالانتهازية^(٣)، ولكن عند الثورة تغير الحال حيث أعربت عن تأييدها للشعب التونسي، وأصبح زين العابدين بن علي مواليا للغرب وديكتاتورا وهو المشهد الذي تكرر في مصر.

فهنالك كانت علاقتها متأزمة مع نظام حسني مبارك، لذلك احتفت كثيرا بسقوطه وحاولت نسبة الثورة المصرية لنفسها، ولكن مع وصول الإخوان للسلطة وانتهاجهم لخط سياسي مخالف كثيرا للمواقف الإيرانية الذي بلغ ذروته برفض قمع نظام بشار الأسد للشعب السوري، تغير الموقف الإيراني حيال مصر وجاء الانقلاب ليكشف تلون المواقف الإيرانية حيث وقعت إيران في شباك رد فعل

المساعدات الفنية والتدريبية والأسلحة التي قدمتها إيران، الحكومة السودانية من قمع العديد من الانتفاضات، كما حدث في الشمال بسبب ارتفاع معدلات التضخم (١٢٠٪) وما حدث في مقاطعة دارفور، ثم في جبال النوبة^(١).

العامل الخارجي وفرص النفوذ: موريتانيا

سبق الموجة الثورية التي شهدتها دول شمال إفريقيا العربية عدة انقلابات في موريتانيا، ففي شهر أوت/ أغسطس ٢٠٠٨ وقع انقلاب عسكري، رفضت إيران في البداية تغيير السلطة ودعت إلى إعادتها إلى ممثلي الشعب الموريتاني ونددت بالانقلابات العسكرية، وربما يعود ذلك إلى الخطاب الإيجابية التي ألقاها الرئيس السابق عبد الله ووزير الخارجية الموريتانية أحمد ولد سيد أحمد في أبريل ٢٠٠٧، والتي عبّرا خلالها عن تقديرهما لجهود إيران في العراق ولبنان، ولكن بعدما عبّر المجلس العسكري عن معاداته لإسرائيل، وأكد استمرار الاستثمارات الإيرانية، وتجميد الحكومة الموريتانية علاقاتها مع الدولة اليهودية في يناير ٢٠٠٩، ردا على هجوم إسرائيل على غزة قبل شهرين من هذا التاريخ، وطرد السفير الإسرائيلي، تحسنت العلاقات بين الطرفين وعملت إيران على سد الفجوة التي خلفتها إسرائيل، بدعم بعض المشاريع التي كانت تمول من الحكومة الإسرائيلية واللجنة اليهودية الأمريكية.

وعندما زار قائد الانقلاب ولد عبد العزيز إيران في يناير ٢٠١٠ للاحتفال بافتتاح السفارة الموريتانية في طهران، أشاد كل من أحمددي نجاد، وعلي خامنئي بقطعه للعلاقات بلاده مع إسرائيل، كما أشاد أحمددي نجاد أيضا بالدعم الذي تقدمه موريتانيا لإيران على الساحة الدولية. ودعا خامنئي

(١) صلاح سالم زرنوقة، السودان من الانقلاب العسكري إلى المعارضة المسلحة: النظام السوداني من منظور علاقاته مع إيران، الأهرام الرقمي نقلا عن مجلة السياسة الدولية، ١٩٩٧/٠٤/٠١، على الرابط:

<http://www.ahramdigital.org.eg/articles.aspx?Serial=218714&eid=3379>

«انتقامي» احتفى على استحياء أحياناً، وبوضوح أحياناً أخرى بـ «سقوط الإخوان».

فإيران لم تنس لمصري خطابته الذي تحدى به المنظومة الفكرية الشيعية في عقرب دارها، ووجه النقد إلى دور الجمهورية الإسلامية في سوريا خلال زيارة إلى طهران لم تتجاوز الساعات الأربع تجنب خلالها مقابلة مرشد الثورة علي خامنئي. وغلبت نبرة تبريرية على القراءة العجولة لما حدث في مصر؛ فمصري لم يتخذ «موقفًا متشددًا من إسرائيل كما كان متوقعًا، وتراجع عن مبادرته لحل الأزمة في سوريا سلميًا، وارتكب الكثير من الأخطاء»، وتجاوز ذلك إلى وصفه بـ «قلة الكفاءة والغرور»^(١).

الخلاصة:

ربما تكون مصادفة أن يكون معنى الثورة في اللغة الفارسية هو انقلاب، ولكن في اللغة السياسية هناك فرق كبير بين الكلمتين لا شك أن طهران تدركه جيدًا، وهي في تفسير معانيه تستند إلى قاموس مصالحتها، وهذه أمور طبيعية جدا فالدولة ليست جمعية خيرية كما يقال.

ولكن في المقابل هناك جملة من القيم والمبادئ يجب أخذها بعين الاعتبار في التحليل السياسي لمواقف الدول، وهذا ما يستند إليه في تحليل استراتيجيات القوى الدولية، حيث الإجماع على أن نشر الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان كان مجرد واجهة من طرف القوى الغربية لتبرير سياساتها في المنطقة، وهذا ما تجلى في كثير من المواقف بداية من فلسطين وانتهاء بالعراق وسورية.

ولكن في المقابل الكثير من الأكاديميين والسياسيين في الأوساط العربية، يحاولون لي عنق هذه الحقائق عند الحديث عن السياسة الخارجية الإيرانية، مستثمرين في تناقضات المشهد العربي، ولعل النافذة الإفريقية البعيدة نسبيًا عن الانفعالات

(١) فاطمة الصمادي، بين اللوم والتوجس قراءة إيرانية مرتبكة لأحداث مصر، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٠٧/٢٠، على الرابط: <http://studies.aljazeera.net/reports/2013/07/2013729134937923407.htm>

العاطفية في التحليل، تكشف بما لا يدع أي مجال للشك أن الدور الإيراني هناك تخريبي يستند لنفس الآليات التي تنتهجها القوى الغربية في سياساتها وهو ما يمكن تعميمه انطلاقًا من هناك على المنطقة العربية أيضًا.

وبالنسبة للموقف من الانقلابات العسكرية الذي اتخذناه نموذجًا في هذه الدراسة، المتناقض جملة وتفصيلاً مع مبدأ الدفاع عن المستضعفين، اتضح تشابه محددات السلوك الإيراني تجاهها في الدول الإفريقية والعربية، فإيران تعول على أي تغيير سياسي وتستثمر فيه بما يخدم مصالحها لمنافسة القوى الدولية والإقليمية، دون الأخذ بعين الاعتبار أوضاع الشعوب ومعاناتها جراء التغييرات السياسية، وحتى إن اقتضى ذلك توظيف دماء المستضعفين في صراعات داخلية فضلاً عن الالتفات لما تقوم به الأنظمة العسكرية في حقها، ومن ينتظر من مثل هذه الأنظمة التصويت لصالح ملفه لحقوق الإنسان في المحافل الدولية وتبادل الأدوار معه في نفس المجال وتعليق وتبرير كل الانتهاكات والظلم على مشجب مواجهة الاستكبار، هل يمكن الحديث إذا عن مبادئ وقيم دينية لدى آيات الله العظمى الشيعية؟!

هل من الممكن أن تكون إيران والهند الخطأ (ب) في أفغانستان

راجيف اجاروال^(٢) - موقع الدبلوماسي The diplomat

٢٠١٤/٢/١٤ ترجمة خاصة بالرائد

إن هذا عام تاريخي في حياة أفغانستان بعد عقد من الحرب، فالبلاد في طريقها للانتقال إلى عهد جديد، ومن الآمال المعلقة عليه الحد من الاضطرابات في البلاد، وتحقيق السلام والاستقرار

(٢) كاتب أردني.

ظل غياب أي مبادرة أمريكية واضحة بهذا الخصوص، وأن إيران والهند قد يكون لهما دور أساسي في هذه المحادثات.

لقد تمت زيارات كرزاي إلى إيران والهند في ديسمبر من العام الماضي (٢٠١٣)، وذلك بعد مصادقة مجلس الشيوخ الأفغاني على اتفاقية الأمن الثنائية مع أمريكا. والمثير للاهتمام أن الزيارتين تمتا بعد فترة وجيزة من توقيع إيران وأمريكا اتفاقا بشأن القضية النووية الإيرانية. كما حظي كرزاي لدى وجوده في إيران بدعم من الرئيس الإيراني حسن روحاني عندما صرح الأخير: «نحن قلقون إزاء الاضطرابات التي تنتج عن وجود قوات أجنبية في المنطقة، وأن على تلك القوات مغادرة المنطقة، وأن أمن أفغانستان يجب أن يقوم به الأفغان أنفسهم»، وكون ذلك التصريح قد صدر من إيران في هذه المرحلة فإنه يعد دعما كبيرا لكرزاي.

واتفقت كل من الدولتين - إيران وأفغانستان - على توقيع اتفاقية صداقة وتعاون والتي يمكن أن تشمل الجوانب السياسية والتعاون الأمني والتنمية الاقتصادية، الأمر الذي من شأنه أن يكمل اتفاقا مسبقا بينهما في آب الماضي حول الأمن والحدود الجغرافية بينهما.

كما زار كرزاي مباشرة بعد ذلك الهند في ١٣ ديسمبر، ولم يكن الهدف منها زيادة الدعم وتعزيزه فقط، بل تهدف أيضا إلى طلب زيادة المساعدات العسكرية. ففي زيارته السابقة إلى نيودلهي في مايو ٢٠١٣، كان قد قدم للسلطات الهندية قائمة بالإمدادات العسكرية والأسلحة الفتاكة وغير الفتاكة، واحتوت القائمة على المدافع والمروحيات والمدرعات. وفي زيارته في ديسمبر، لم يكرر طلباته فحسب، بل طلب أيضا من الهند مشاركة أكبر في تجهيز قوات الأمن الوطنية الأفغانية للتعامل مع طالبان ومواجهتها نهاية عام ٢٠١٤ وما بعده.

أما الهند فقد أكدت التزامها بتعميق

والنمو فيها. فمن المقرر أن تخضع أفغانستان لعملية الانتقال السياسي، حيث ستجرى الانتخابات الرئاسية في شهر أبريل (نيسان)، وسيحدث تحول في النظام الأمني للبلاد - وقد بدأ بالتحول فعلا - بالإضافة إلى انسحاب كامل للقوات الدولية في نهاية هذا العام.

في الوقت الذي تجري فيه العملية السياسية والذي تعتبر فيه أكثر من كونها مجرد قرار داخلي ليتخذه الشعب الأفغاني فحسب، فإن التحول الأمني يحمل مفتاح الأمن لمستقبل أفغانستان، لكن الأمر الذي يشكل وترا حساسا بالنسبة إلى ذلك هو اتفاقية الأمن الثنائي مع أميركا. ورغم أن مجلس شيوخ أفغانستان بلور هذه الاتفاقية ووضح ملامحها في نهاية شهر نوفمبر، إلا أن الرئيس الأفغاني حامد كرزاي لم يصبح مستعدا بعد للتوقيع عليها، الأمر الذي يزيد الأمور سوءا بالنسبة إلى واشنطن والذي قد ينذر بخيار صفر ويجر الأمن في أفغانستان إلى عواقب وخيمة في نهاية عام ٢٠١٤ وما بعده.

وفي ظل هذه المشكلة التي لا يرجح التغلب عليها قريبا، فإن كرزاي يبحث في شأن الخطة «ب» والتي تتمتع فيها كل من الهند وإيران بدور مهم، لا سيما في ظل وجود مصالح مشتركة لهما في أفغانستان، فضلا عن وجود نزعات وتوجهات مشتركة، لذلك فإنهما ستكونان بمثابة شريان مهم للحياة في أفغانستان خلال الفترة الانتقالية.

إن الأحداث في الأشهر الأخيرة تشير إلى ثلاثة جوانب سياسية واضحة، أولها أن كرزاي غير مستعد لتوقيع الاتفاقية الأمنية الثنائية مع أمريكا في الوقت الحالي -على الأقل حتى الانتخابات الرئاسية - ويبحث عن صفقات أكبر. وثانيها الزيارات التي قام بها كرزاي ووزراؤه إلى إيران والهند في الأشهر الأخيرة وتهدف بشكل واضح إلى تأمين وحشد الدعم من الدولتين في حال عدم قدوم دعم من أمريكا. وثالثها محاولة كرزاي للتملص من إجراء محادثات مع طالبان في

أمريكا أو بدونها، وسيكون لكل من الهند وإيران دور مهم في العملية الانتقالية في أفغانستان نظرا للعلاقات الاستراتيجية والعلاقات الودية بينها وبين أفغانستان.

الحركة النسوية في مصر (٢)

الجذور التاريخية

فاطمة عبد الرؤوف^(*) - خاص بالرائد

لا يمكن الحديث عن الحركة النسوية المصرية دون النظر للوراء لمعرفة الجذور الحقيقية لتلك الحركة والمراحل التاريخية التي مرت بها .. النظرة التاريخية ليست مجرد نظرة معرفية جامدة وإنما تحمل بين طياتها روحا وتساولات حية متعلقة بالظلم والعدالة .. كيف كانت تعيش المرأة المصرية المسلمة؟ وما هي اهتماماتها؟ وما هو قدر المعارف الذي تحصل عليه؟ من الذي اهتم بها؟ وكيف؟ وما النتائج التي تترتب على ذلك؟

لو عاد بنا الزمان قرنين كاملين لربما وضعنا أيدينا على بعض الإجابات لهذه التساؤلات الحيوية فيما يتعلق بوضع المرأة المصرية.

كان واقع المجتمع المصري في بداية القرن التاسع عشر بالغ السوء حيث تردت جميع مناحي الحياة .. مجتمع ضعيف هش بانته هشاشته في ذلك الاستعمار الفرنسي الذي ضرب أراضيها كالزلازل ليكتشف المصريون أن للحياة وجوها أخرى لا يعلمون عنها شيئا وأنهم من الناحية العلمية يرزخون في ظلام هائل .. كان وضع النساء مزريرا وكذلك وضع الرجال، وعلى الرغم من حب العلم الديني وانتشار الكتاتيب وتحفيظ القرآن إلا أن مفاهيم دينية كبيرة كانت غائبة أو ملتبسة ومن

(*) كاتبة مصرية.

التعاون بين البلدين في مجال الدفاع والأمن، وذلك من خلال تطوير التدريبات العسكرية وتلبية حاجات ومتطلبات الأمن الوطني الأفغاني من معدات وبنى تحتية، وتعليم عال للضباط الأفغان. ورغم زيادة التأكيد على ضرورة توقيع اتفاقية الأمن الثنائي، إلا أن الهند لم تمارس أي ضغط على كرزاي في هذا الشأن، مشيرة الى أنها تشاركه التفاوض بهذه الاتفاقية والرغبة في إتمامها شريطة أن لا تكون مفروضة على كرزاي فرضا.

لقد كانت كل من إيران والهند مجرد بديل

محتمل لأفغانستان، لكن ما هي إلا شهور قليلة ماضية حتى أصبحت أفغانستان تميل بشكل كبير وملحوظ إلى هذا البديل. وربما سهلت الاتفاقية النووية الإيرانية الطريق لدعم أفغانستان عن طريق إيجاد حلول مثالية للمشاكل فيها. وكان اجتماع مستشار الأمن القومي الهندي شيفشانكار مينون مع وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف في ١ شباط في مؤتمر ميونيخ لمناقشة التطورات الأخيرة في أفغانستان اجتماعا هاما جدا، حيث تركزت المباحثات حول التعاون بين الهند وإيران في التعامل مع الوضع في أفغانستان، لا سيما في ما يخص العلاقة الحالية بين واشنطن وكرزاي، ومن المرجح أن يرسل الرئيس الإيراني حسن روحاني الأمين العام للمجلس الأعلى الإيراني للأمن القومي علي شمخاني، إلى الهند قريبا لمناقشة الأمر.

لقد لقيت تقارير المحادثات المباشرة بين

كرزاي وطالبان استجابة في الشارع الهندي، الأمر الذي يرجح زيارة وزير الخارجية الهندي لكابول في مارس ٢٠١٤.

إن أفغانستان تعمل وفق خطة ثنائية متزامنة

مع كل من الهند بوصفها حليفا أهلا للثقة وصديقة في السراء والضراء ومع إيران بوصفها دولة ذات حدود جغرافية مباشرة مع أفغانستان وجزءا من التاريخ السياسي والثقافي لها، وذلك ضمانا لمستقبلها سواء بتوقيع اتفاقية الأمن الثنائية مع

ذلك تحقير العلم المادي الدنيوي حتى أنه تم مقاومة أن يُدرس في الأزهر أي علوم باستثناء العلوم الدينية البحتة.

وكانت النساء شبه غائبات عن دور تحفيظ

القرآن هذه باستثناء من تمكنهن ظروفهن المادية من استقدام معلم خاص للبيت بحيث تصبح المرأة التي تقرأ وتكتب مجرد استثناء شاذ من القاعدة.

تدين مغشوش

كانت العادات والتقاليد البالية التي تم إقرارها تحت وطأة الجهل تمتزج ببعض التعاليم الإسلامية وشاع عدد من الأحاديث الموضوعة عن المرأة ولعل أشهرها (لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة) وفي رواية أخرى لهذا الحديث الموضوع المنسوب كذبا إلى عائشة رضي الله عنها، وأنها ترفعه إلى النبي ﷺ وفيه: (لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور. وفي رواية: واستعينوا عليهن بالعري، وأكثروا لهن من قول لا، فإن نعم تغريهن على المسألة).

لقد وصل من تأصل هذه القضية في الوجدان الشعبي أن رفاة الطهطاوي - المتهم بالتغريب - وأول من دعا لتعليم الإناث كان يبرر هذا الحديث الموضوع ويحاول أن يجد له مخرجا أو تفسيراً ما (وأما القول بأنه لا ينبغي تعليم النساء الكتابة وأنها مكروهة في حقهن ارتكانا على النهي عن بعض ذلك في بعض الآثار فينبغي ألا يكون ذلك على عمومه ولا نظر إلى قول من علل ذلك بأنه من طبعهن المكر والدهاء والمداينة)^(١).

ويتابع الطهطاوي في وصف دقيق للعقلية الجمعية للمصريين فيما يتعلق بوضع وقيمة النساء في ذلك الوقت (ولا يعتمد على رأيهن لعدم كمال عقولهن فتعليم القراءة والكتابة ربما حملهن على الوسائل غير المرضية ككتابة رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمرو وبيت شعر إلى خالد ونحو ذلك وأن الله

تعالى لو شاء أن يخلقهن كالرجل في جودة العقل وصواب الرأي وحب الفضائل لفعل^(٢).

إذن النساء ضعيفات العقل واللاتي لا يبحثن عن الفضائل ولا يحببنها ما هي الغاية من خلقهن (فكان الله تعالى خلقهن لحفظ متاع البيت ووعاء لصون مادة النسل)^(٣)، ثم يستطرد رفاة الطهطاوي محاولاً الرد والدفاع بأسلوب من يقر كثيرا مما قيل ويعتبر صحته ولكنه لا يراه منطبقا على كل النساء فيقول: (فمثل هذه الأقوال لا تفيد أن جميع النساء على هذه الصفات الذميمة ولا تنطبق على جميع النساء وكم من نهي وردت به الآثار كحب الدنيا ومقاربة السلاطين والملوك والتحذير عن الغنى قد حمل على ما يعقبه شرر وضرر تحقق، وتعليم البنات لا يتحقق ضرره فكيف ذلك وقد كان أزواجه ﷺ من يكتب ويقرأ كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر وغيرهما من نساء كل زمن من الأزمان، ولم يعهد أن عددا كثيرا من النساء ابتذلن بسبب آدابهن ومعارفهن، على أن كثيرا من الرجال أضلهم التوغل في المعارف وترتب على علومهم ما لا يحصى من شبه الخروج والاعتزال)^(٤).

ويختتم الطهطاوي تحليله للتشديد في قضية التعليم للحمية الجاهلية (وليس مرجع التشديد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أيا ما كانت في ميدان الرجال تبعا للعوائد المحلية المشوبة بحمية الجاهلية)^(٥).

هكذا كان المجتمع المصري منذ نحو قرنين من الزمان وهكذا كان يُنظر للمرأة فيه. وغني عن البيان أن المصريين في ذلك الوقت كانت لديهم صورة باهتة للدين وأن قوة العادات والتقاليد كانت الأعلى صوتا وغالبا ما كان يضاف لها طبقة

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(١) المرشد الأمين للبنات والبنين .. رفاة الطهطاوي، ص ١٤٣ دار الكتاب المصري.

مصطنعة من التدين المغشوش القائم في كثير من الأحيان على الأحاديث الموضوعة والضعيفة كما رأينا في موقفهم من تعليم المرأة.

الإصلاح المتغرب

للأسف الشديد لم يحمل راية النهضة بالمجتمع وبالنساء إسلاميون نهضويون بالمعنى الحقيقي بحيث يعتمدون في نهضتهم على الكتاب والسنة الصحيحة وتكون نظرهم لغيرهم من الأمم والأفكار نظرة الناقد المدقق وإنما قام بهذه المهمة أشخاص لديهم بعض المعرفة الدينية تم تدجينها عبر تسلط أفكار أخرى كانت تشع بريقاً في ذلك الوقت وربما ولهذا السبب لم تؤت أكلها وثمارها في البيئة المصرية.

فرفاعة الطهطاوي مثلاً الذي استشهدنا بأرائه وتحليله لقضية تعليم المرأة والذي قدم مرافعة قوية للدفاع عن حقها في التعليم من منظور إسلامي هو ذاته رفاعة الطهطاوي الذي نقل صورة مراقص باريس كما رآها وحلل مهارات الراقصين وكاد أن يقول إنه رقص لا يخدش الحياء ويقول في وصفه لحال المراقص في باريس: (فالرقص في باريس دائماً غير خارج عن قوانين الحياء، بخلاف الرقص في أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء؛ لأنه لتهييج الشهوات، أما في باريس فإنه لا يُشم منه رائحة العهر أبداً وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية، وهكذا، وسواء أكان يعرفها أو لا، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن)^(١).

ثم يسهب في وصف نوع الرقصات وشكلها؛ فيقول: (وقد يقع في الرقص رقصة مخصوصة؛ بأن يرقص الإنسان ويده في خاصرة من ترقص معه، وأغلب الأوقات يمسكها بيده)^(٢).

فهو على الرغم من أنه يتحدث في مجمل

الوصف إلا أنك تشتم رائحة الرضى عن هذا الرقص الذي يراه لا يخدش الحياء ولا يهييج الشهوات ومسك اليد والخاصرة هي أمور عادية جداً وطبيعية والنساء ترقص مع من يطلب منها ذلك حتى لو كانت لا تعرفه أساساً، وهذا كله أمر يذكره الشيخ!! فكيف يمكن لنا أن نتفاعل مع دعوته لتعليم المرأة من منظور إسلامي وفي الوقت ذاته نقبل كلامه ولو وصفاً عن الملاهي والمراقص والراقصات؟!

نستطيع أن نستشف أيضاً الربط بين انحلال المجتمع وما فيه من رقص واختلاط، واحترام المرأة وتعليمها وحصولها على حقوقها بينما ترتبط الغيرة بالاعتراض على ظلم المرأة وامتهانها واعتبارها عاملة تحفظ متاع البيت ومجرد وعاء لحفظ النسل.

الحياة الراكدة

على أي حال كان وضع المرأة يتسم بالركود ولم يؤخذ كلام الطهطاوي على أنه حجر ألقى في بركة راكدة، ويبدو أنه لم يكن له تأثير على مستوى القاعدة الشعبية سواء بالنقد البناء أو الاستجابة، ولم يشعل حراكاً فكرياً وسط المثقفين والمهتمين بالشأن العام وعلى رأسهم مشايخ الأزهر والأشراف وربما يعود السبب الرئيس في ذلك لطبيعة حكم محمد علي وأولاده والذي اتسم بالديكتاتورية وتركز جميع السلطات في يد الدولة ومن ثم أصبحت الدولة المصرية المهيمنة على الشأن الثقافي والمجتمعي.

فعندما اتجه محمد علي لتأسيس المدارس النظامية للأولاد لم يقبل عليها المصريون الذين اعتادوا على نظام الدراسة الحرة في الكتاتيب والأزهر حتى أن محمد علي كان يرسل جنوده للقبض على الأطفال قسراً ودون رغبة من الأهالي ويلحقهم بالمدارس وربما انقطعت صلتهم بأهاليهم لسنوات عديدة وكانت المدارس لها نظام صارم شبه عسكري والمعلمون ضباط في الجيش المصري.

لم يستطع محمد علي الاستجابة لرفاعة الطهطاوي في إنشاء مدارس نظامية للبنات فأنشأ

(١) تخلص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة الطهطاوي ص ١١٩ نقلاً عن مصطفى كريم الطهطاوي، البذرة الأولى لشجرة التغريب.

(٢) المرجع السابق.

فقط مدرسة للقبالات سنة ١٨٣٢م للحاجة الماسة لهذا الفرع الطبي النسائي، أما أول مدرسة للبنات فلم تنشأ إلا في عهد إسماعيل سنة ١٨٧٣م، أما على المستوى الشعبي فكان وضع المرأة يراوح مكانه.

شريعة نابليون

انتهى مشروع التحديث الذي وضعه محمد علي بصورة مأساوية حيث تراكمت الديون في عهد إسماعيل وأعقب ذلك الاحتلال البريطاني لمصر، ومن السذاجة تصور أن الاحتلال كان يهدف فقط للسيطرة العسكرية والاقتصادية على بلد مهم مثل مصر فالسيطرة الثقافية الناعمة هي التي تدوم في الحساب النهائي .. هذه السيطرة التي بدأت قبل الغزو العسكري الفعلي.

فحديث إسماعيل أو حلمه بأن تصبح مصر قطعة من أوروبا لم يكن عبثاً فالخديوي المفتون بأوروبا لا يتم تركه حتى يسير بخطوات هادئة على طريق التحديث الأوروبي بل تمارس عليه ضغوط هائلة لتغيير البنية الثقافية المجتمعية العميقة ربما استباقاً لنهضة منشودة تقوم على تراث الأمة وأصالتها حتى أن إسماعيل كان يريد الاحتكام للقانون الفرنسي أو شريعة نابليون كما كان يطلق عليها تحت وطأة هذه الضغوط وكان يريد من رفاة الطهطاوي أن يكون الحلقة الوسيطة في هذا الأمر الجلل فهو من ناحية قد سبق وترجم القانون الفرنسي في سياق إعجابه الواضح بحدائث الغرب وهو من جهة أخرى شيخ أزهرى يستطيع أن يحدث علماء وشيوخ الأزهر بلغة دينية (مزيفة) قال الشيخ رشيد: (حدثني علي باشا رفاة بن رفاة بك الطهطاوي قال: إن إسماعيل باشا الخديوي لما ضاق بالمشايخ ذرعاً استحضر والده رفاة بك وعهد إليه أن يجتهد في إقناع شيخ الأزهر وغيره من كبار الشيوخ بإجابة هذا الطلب وقال له:

إنك منهم، ونشأت معهم، وأنت أقدر على إقناعهم، فأخبرهم أن أوروبا تضطرب إذ هم لم يستجيبوا إلى الحكم بشريعة نابليون، فأجابه بقوله:

«إنني يا مولاي قد شخت، ولم يطعن أحد في ديني، فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إياي في آخر حياتي، وأقلني من هذا الأمر، فأقاله»^(١). هذا الدور الذي قام به علي عبد الرازق بعد ذلك في كتابه المشهور الإسلام وأصول الحكم.

غني عن البيان أن قضية المرأة لا يمكن أن تنفصل عن الصورة والسياق اللذين يعيشهما المجتمع الفارق في غفلته بينما تمارس عليه الضغوط اللينة حتى يستبدل هويته.

مخطط ملعن

لم تمر عشر سنوات على الاحتلال الإنجليزي حتى صدر كتابان بالغاً الجراءة في شرح وتوضيح المخطط الذي يراد بالمرأة المسلمة ومن ثم الأسرة المسلمة - جميع المؤامرات التي حيكت لنا كانت منشورة وصريحة وصادمة لدرجة أننا لم نأبه لها - الكتاب الأول نشره قبطي مصري هو المحامي مرقص فهمي وأطلق عليه (المرأة في الشرق) في سنة ١٨٩٤م أي بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر بحوالي اثنتي عشرة سنة.

رواية (المرأة في الشرق) للقبطي مرقص فهمي عرض فيها لأفكاره المسمومة من خلال الحوار الفني وهي تقنية تم استخدامها كثيراً، أي توظيف الأدب لخدمة الفكرة الهدامة، وهي الفكرة التي ستتطور بظهور فن السينما بعد ذلك وتوظيفها لخدمة المشروع النسوي.

لم يتحدث مرقص عن تعليم النساء إنما تحدث عن الحجاب والاختلاط والحب ومنع التعدد وتقييد الطلاق بل والأدهى من ذلك كله طالب بزواج المسلمات من النصارى من باب المساواة. لقد أسقطت رواية (المرأة في الشرق) خطوطاً حمراء لم يكن يجوز الاقتراب منها.

أصبحت مصر تحت الاحتلال مباحة، فهذا مرقص الصليبي يحتمي بالمحتلين الصليبيين الجدد

(١) تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ محمد رشيد رضا ص ٦٢٠، ٦٢١ نقلاً عن (عودة الحجاب) لمحمد إسماعيل المقدم.

لا يعبر بشكل دقيق عن تطلعات الأغلبية المسيحية في مصر التي أكدت مرارا وتكرارا عبر بعض ممثليها أنه لا يروق لهذه الأغلبية مثل هذه الخطوات المتهورة والسياسات غير المنطقية بل والمخالفة تماما لمسار وتاريخ العلاقة بين الأقباط والمسلمين منذ الفتح الإسلامي للبلاد في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وحتى الآن فالكنائس المصرية بمختلف طوائفها وعلى رأسها الكنيسة الأرثوذكسية لا تفتأ تؤكد بين الحين والآخر على وطنيتها وأن رعاياها وشعبها جزء لا يتجزأ من النسيج الوطني العام ومن ثم فهي حريصة كل الحرص على وحدة التراب المصري.

تداعيات الواقع

وبعيدا عن التطرق إلى تقييم مواقف نصارى مصر السياسية خاصة خلال السنوات العشر الأخيرة وهي المواقف التي أصابت العديد من القوى والتيارات الإسلامية الدعوية والتنظيمية بالصدمة حيث استشعر البعض أن ما تشهده الكنيسة المصرية وخاصة الأرثوذكسية يمثل حالة ومرحلة جديدتين اقتربت فيها الكنيسة بشكل كبير من العمل السياسي والخوض في الأمور العامة لدرجة تعد في ذاتها تناقضا واضحا مع ما تعلنه الكنيسة عن أن هدفها ديني وأن رسالتها روحية فحسب إذ أصبح للبابا الذي هو رأس الكنيسة تصريحات وتوجيهات سياسية دفعت إلى أن يعتقد الكثيرون بأن الكنيسة باتت أشبه بالحزب السياسي، لكنه وبكل أسف حزب قائم على توجه طائفي ينتمي جل أعضائه وقياداته إلى العقيدة النصرانية..

نقول إنه وبعيدا عن الخوض في تفاصيل تقييم هذا الموقف فإن الواقع المصري سواء قبل أحداث ثورة يناير ٢٠١١م أو بعد الثورة يشهد حالة من التوتر الطائفي بين المسلمين والأقباط، الأمر الذي استتفر الأحزاب والقوى السياسية فضلا عن أهل الثقافة والفكر في البلاد من أجل احتوائه ومعالجة أسبابه وآثاره، وهي المحاولات التي نجح بعضها فيما

وإن لبسوا ثياب الحداثة والعلمنة وهذا «الدوق دراكير» يكتب مؤلفه (المصريون) ليهاجم أبناء هذا الشعب الذين وقعوا ضحية الاحتلال. تعدى الدوق دراكير على الإسلام وهاجم أحكامه المتعلقة بالمرأة، وحمل فيه على نساء مصر، وهاجم المصريين، وتعدى على الإسلام، ونال من الحجاب الإسلامي وقرار المرأة في بيتها واقتصار وظيفتها على التربية.

ولا يمكن أن ننسى في هذا الصدد قيام اللورد كرومر بتعيين القسيس المنصر «دوجلاس دنلوب» في منصب مستشار لوزارة المعارف المصرية «وزارة التعليم» ذلك الرجل الذي سيلعب دورا غاية في الأهمية لاستغلال التعليم في خدمة الاستعمار الثقافي والذي سيتجلى في أوضح صورته فيما يتعلق بقضية المرأة.

الدولة القبطية.. شبح التقسيم يهدد مصر

أسامة الهتمي^(١) - خاص بالرائد

ربما ينظر البعض إلى مسألة إعلان تأسيس

ما يسمى بـ «الدولة القبطية» بالكثير من الاستخفاف الشديد كون أمر هذه الدولة المزعومة - ووفق اعتقاد المستخفين - لا يعدو مجرد محاولة من قبل عناصر النصارى المتطرفين من المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلدان الأوروبية لإثبات الوجود ولفت الأنظار فضلا عن إثارة الفتنة الطائفية في البلاد لحساب أجندات خارجية لعدد من البلدان سواء كان ذلك من منطلق المعاداة لمصر أو بهدف ممارسة الضغط على السلطات المصرية أيا كان توجهها بشأن بعض الملفات في الداخل والخارج.

كما يستند هؤلاء إلى أن إعلان هذه الدولة

(♦) كاتب مصري.

أخفقت الأخرى حيث بدت وكأنها وبالتعبير المصري «اسطوانة مشروخة» إذ كانت تركز على القشور دون أن تتعمق في حقائق المشكلات التي تعيشها البلاد.

ولعل تصاعد حالة الاحتقان لدى من يطلقون على أنفسهم «أقباط المهجر» وهم مجموعات من نصارى مصر ممن هاجروا خارجها سواء لدوافع سياسية أو اقتصادية أو لغير ذلك أحد أهم آثار وتداعيات المشهد في مصر، بل إن هذا الاحتقان لدى هؤلاء ربما يكون قد أخذ منحى مختلفا حيث بدأ بعضهم يتعاطون مع الواقع المصري ومشكلاته انطلاقا من مفاهيم ومنطلقات غريبة بحتة لا تراعي العديد من المحددات التي يجب مراعاتها في معالجة المشكلات المجتمعية لبلد له خصوصيته الدينية والسياسية والتاريخية كمصر ومن ثم جاءت رؤية هؤلاء متطرفة ومتشدة إلى الحد الذي تجاوز في أصلها مطالب الأقباط في الداخل والتي وإن كان بعضها صادما إلى حد ما إلا أنه يبقى من الممكن أن تطرح على مائدة النقاش والحوار المجتمعي.

الوهم والحقيقة

ويأتي إعلان نحو ثلاثمائة قبطي مهاجر عن تأسيس ما أطلقوا عليه «الدولة القبطية» أبرز مظاهر هذا الاحتقان إذ وصل الأمر إلى حد الدعوة إلى تقسيم البلاد وتجزئتها وهو الأمر الذي يتجاوز كل محظورات الأمن القومي ويدعم المخططات الخارجية التي تسعى إلى تفتيت دول المنطقة إلى دويلات صغيرة متناثرة أكثر مما أضحت عليه من تفتيت في أعقاب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م.

وعلى الرغم من الاتفاق إلى حد كبير مع القائمين بأن مثل هذا الإعلان لا يعبر عن عموم أقباط مصر فإنه ليس من المستبعد أن يتحول الذي نراه همما اليوم بين لحظة وضحاها إلى حقيقة في ظل حالة التجاذبات الكبرى التي يشهدها العالم خاصة المنطقة العربية التي تعاني وضعا غير مستقر منذ سنوات.

ولا يحول دون تحقيق ذلك ما كنا نردده وكأنه مسلمة من أن تركيبة الشعب المصري تختلف عن سواها من شعوب المنطقة والعالم كون مظاهر الطائفية والإثنية ليست بارزة مقارنة بما هي عليه في بعض البلدان إذ أن ما شهدته مصر بعد أحداث الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م حيث استخدام السلاح ووقوع الآلاف من القتلى والمصابين لأسباب سياسية قفزة هائلة على تلك المسلمة حتى أن الكثير من المحللين والمراقبين السياسيين لم يعد يستبعدوا أن تحدث حرب أهلية هنا أو هناك.

كذلك فإن ما حدث في السودان وهي الدولة الأقرب إلى مصر وذات العلاقات التاريخية الوثيقة معها لا بد وأنه يمثل هاجسا حقيقيا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بل وبأهمية قصوى إذ الخطر على الأبواب مهما حاول البعض أن يخفف من حدته فالمخطط التأمري الذي انتهى إلى تقسيم السودان ما بين دولة جنوبية وأخرى شمالية كان يستهدف بالأساس إضعاف مصر وإحكام السيطرة على نهر النيل الذي يمثل لها شريان الحياة.

يضاف إلى ذلك فإن القوى المعادية تحاول أن تستسخ نفس الأسباب والدوافع التي استندت إليها لتقسيم السودان لتكون الحجة التي على أساسها يتحرك الداعون إلى «الدولة القبطية» المزعومة ومن ثم فإن المجتمع الدولي يمكن أن يتقبل الفكرة أو على الأقل لا يواجهها بقوة.

ولعل ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه هو أن القائمين على تأسيس «الدولة القبطية» المزعومة أعلنوا عنها بالتزامن مع إعلان انفصال جنوب السودان وتدشين دولته المستقلة وذلك يوم العاشر من يوليو ٢٠١١م في إشارة ذات دلالة مفادها أن معاناة أهل الجنوب السوداني - المزعومة - والتي دفعتهم للنضال من أجل الاستقلال والحصول على الحرية من قبضة حكام الشمال السوداني هي نفسها المعاناة التي يعانيها أقباط مصر من المسلمين والتي لن تنتهي بطبيعة الحال إلا إذا استقل الأقباط بدولة خاصة بهم هي «الدولة القبطية» ليحققوا ما

القصة والأسباب

بلا خجل وعلى مرأى ومسمع من العالم اجتمع العشرات من أقباط المهجر ممن أسموا أنفسهم الهيئة التأسيسية للدولة القبطية لاختيار قياداتها وإيهام العالم بأنها تعكس إرادة الأمة القبطية المصرية فانتخبوا المدعو عصمت زقلمة رئيسا لها ، فيما انتخبوا المستشار مورييس صادق - المنزوع الجنسية استنادا لحكم قضائي مصري بذلك - سكرتيرا تنفيذيا ، والمهندس والإعلامي نبيل بسادة أمينا عاما والمهندس إيليا باسيلي مفوضا عاما للتنسيق الدولي للدولة القبطية التي قالوا إنها ستكون عبارة عن حكم ذاتي للأقباط حيث سيقوم المؤسسون ولجنة المائة والأعضاء بداخل مصر وخارجها في غضون الأيام المقبلة على حشد التأييد لفكرتها لتكون على شاكلة «دولة أكراد العراق».

ووفق ما أعلنته الهيئة التأسيسية فإنه يفترض أن يعيش أقباط مصر في ذات المناطق على امتداد مصر على أن يكون لهم تنظيم سياسي مستقل عن الحكومة المركزية في صورة حكم ذاتي فيكون لهم محاكم خاصة ، بها قضاة مسيحيون يحكمون وفقا لأحكام «الكتاب المقدس» فضلا عن محاكم مدنية تطبق القانون الفرنسي ومحاكم جنائية تطبق القانون الدولي ومحاكم أخرى مختلفة تنظر النزاعات بين المسلمين والأقباط.

وتشمل الدولة الجديدة وزارات للأقباط في مقابل الوزارات الحكومية بالإضافة لهيئات موازية كالشرطة والمخابرات وأمن الدولة والجامعات والمدارس على أن يكون التعليم بطبيعة الحال بالمؤسسات التعليمية باللغة القبطية.

ولم تغفل الدولة الجديدة أن تؤكد أنها ستقوم بتعيين سفراء لها في كل الدول أسوة بالفاتيكان في حين أنها لن تتنازل عن المشاركة مع الحكومة المركزية في إدارة جيش البلاد على أن يمثل فيه الأقباط بكل الرتب العسكرية.

وكما أشرنا سالفًا فإن القائمين على الدولة المزعومة ساقوا العديد من الأسباب والمبررات التي دفعتهم لاتخاذ مثل هذه الخطوات التي تعني أن الأقباط يتعرضون لحالة من الاضطهاد والتمييز العنصري ما يجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية في حين أنهم ووفق ما يؤكدون مرارا يعدون أصحاب الحق الأصيل غير أن المسلمين - الغزاة - سلبوا هذه الحقوق ، الأمر الذي يستلزم أن يناضلوا من أجل إعادة الهوية القبطية الأصلية الخالية من الغبار العربي والإسلامي.

ويستند مؤسسو الدولة المزعومة لتأكيد دعاوهم إلى أن الدولة المصرية تقوم بالتضييق على النصارى بمنعهم من تبوؤ المناصب العامة فلا يتم تعيين قبطي في المؤسسات الصحفية أو رئيسا لمجلس مدينة بالإضافة إلى وضع قيود على بناء الكنائس وترميمها وعدم قيام الحكومة بوقف ظاهرة خطف القبطيات وأسلمتهن بالإكراه وإلزامهم بدراسة اللغة العربية كمادة إجبارية.

اليد الخفية

ليس من المنطقي أن يدعي مدع أن مثل هذه الخطوات غير ذات علاقة بالقوى المعادية لمصر بل للأمة الإسلامية كلها والتي يأتي في مقدمتها «الكيان الصهيوني» الذي لا يتوقف للحظة واحدة عن استهداف مصر العدو الأول للكيان المغتصب لإشغالها وإلهائها في قضايا أخرى فلا تقوم بدورها المنوط بها للدفاع والذود عن الأمة والعمل على استعادة الأرض المحتلة.

والحقيقة أن مؤسسي الدولة القبطية المزعومة لم يضطروا المحللين والمراقبين إلى بذل كثير عناء في البحث عن الأيدي الخفية وراء مثل هذه الخطوة فقد كانت الرسالة التي بعث بها عصمت زقلمة المعين رئيسا للدولة القبطية إلى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو ردا على تهنتته للأقباط المسيحيين بما يسمى «عيد الميلاد» كاشفة عن حجم العلاقة بين هؤلاء المؤسسين والدولة الصهيونية المحتلة.

وقد حملت كلمات رسالة زقلمة لنتتياهو الكثير من الدلالات السياسية حيث صور زقلمة المسلمين في مصر وكأنهم محتلون يمارسون التمييز العنصري والاضطهاد بحق الأقباط فيذبحونهم ويدهسونهم بالمدرعات ويقتلونهم بالرصاص في مسيراتهم السلمية ويهدمون كنائسهم.

ثم تأتي الكاشفة عندما يضمن زقلمة رسالته لنتتياهو توجيه الشكر له على دعوته للأقباط بزيارة «أورشليم المقدسة» وأنه يعتزم بالفعل زيارتها على رأس وفد كبير عندما تتوحد «أورشليم» الشرقية والغربية تحت العلم «الإسرائيلي» فيما أعرب عن تمنيه بأن تعود «بيت لحم» التي وصفها باليهودية إلى السيادة «الإسرائيلية» كما هي ثابتة في الكتاب المقدس - على حد قوله - .

وتتضح ملامح قرب مؤسسي هذه الدولة مع الكيان الصهيوني أيضا في تفاصيل دعوتهم والتي لا تقتصر على مجرد الإعلان عن دولة خاصة بالأقباط إذ شمل ذلك أيضا الدعوة لتأسيس دولة خاصة بالنوبيين في جنوب مصر ودولة خاضعة للنفوذ اليهودي في شبه جزيرة سيناء.

ولا ينفصل بكل تأكيد هذا الموقف الصهيوني عن الموقف الأمريكي من الدولة القبطية المزعومة فمجرد استضافة أمريكا ورعايتها لهؤلاء هو في حد ذاته دعم لهم ورضى بما يفعلون حتى لو لم تتخذ خطوات عملية ظاهرة لتقوية شوكتهم وتحقيق أهدافهم، فواشنطن وكما هو معلوم للجميع تستخدم الأوراق السياسية المتاحة لها تبعا لمصلحتها وقتما تشاء وبالتالي فإنه من غير المستبعد أن تكون مثل هذه المظاهر واحدة من أوراق الضغط التي يرجح أن تستخدمها واشنطن في أي وقت وبالكيفية التي تشاء على السلطات المصرية.

إشارات خطيرة

مرة أخرى ربما يكون لدى بعض المستخفين الحق في رؤيتهم لهذا الإعلان باعتباره هراء لكن الواقع وتطورات الأحداث تفرض علينا أن نشير إلى

أن ثمة مسائل يجب أن يحسب لها ألف حساب تدق ناقوس الخطر وتتبئ بأن المخطط جد لا هزل وأن الفرض الديني والواجب الوطني يفرضان أن تستيقظ العيون وتستنهض الهمم من أجل الوقوف كحائط صد منيع دون تحقيق هذه المخططات.

ولعل من أهم وأبرز هذه المسائل الخطيرة:

- أن الدولة القبطية المزعومة اتخذت عدة خطوات قانونية لإنشاء بنك قبطي برأس مال ٢٠ مليار دولار يشارك فيه رجال أعمال أقباط يقيمون في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا وأن هذا البنك لا يقبل أموالاً من مسلمين.

- افتتاح نحو عشر قنصليات للدولة القبطية في واشنطن وباريس ومونتريال وسيدني وسول وبون و«أورشليم» وجوبا ولندن وجوهانسبرج.

- ادعاء زقلمة بأن هناك عناصر كثيرة من الأقباط المصريين داخل مصر تشارك في حكومة هذه الدولة وأن الخوف من البطش يمنعهم من الإعلان عن أنفسهم.

- سعيها لأن تكون هذه الدولة «لوبي» سياسي بالولايات المتحدة الأمريكية يضغط على إدارة البيت الأبيض من أجل ممارسة ضغوطه على أمريكا لتنفيذ بعض الإملاءات ومن ذلك مثلاً مطالبتها للرئيس الأمريكي باراك أوباما والبنك الدولي بمنع الغذاء عن مصر وعدم إقراض الحكومة زمن حكم الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي وذلك كوسيلة للضغط على القيادات الحالية لتنفيذ مخطط التقسيم بين المسيحيين والمسلمين وإنشاء الدولة القبطية والاعتراف بالحكم الذاتي لها.

- حديث بعض المراقبين ووسائل الإعلام عن أن هناك محاولات من قبل بعض الأديرة للسيطرة على ساحات شاسعة من أراضي الدولة المصرية وضمها لهذه الأديرة دون وجه حق وهو ما حدث مثلاً في منطقة وادي النطرون حيث سيطر دير الأنبا مقار على آلاف الكيلومترات وكما حدث في منطقة وادي الريان بالفيوم حيث تم السيطرة على

نحو ٩ آلاف فدان.

- ادعاء موريس صادق بأن فرنسا اعترفت بالدولة المزعومة بعد أن التقى عصمت زقلمة ببعض أعضاء الأحزاب الفرنسية ومنها الحزب الحاكم اليميني المتشدد «الاتحاد من أجل حركة شعبية (حزب الرئيس السابق نيكولا ساركوزي) ومودم - «الحزب الديمقراطي».

حزب التحرير بالسودان.. إدمان النقد وارتباك النهج

محمد خليفة صديق^(٥) - خاص بالرائد

تأسس حزب التحرير في فلسطين عام ١٩٥٣م على يد تقي الدين النبهاني، ويلاحظ على الحزب في مسيرته أنه يدين بالولاء الكامل لأفكار المؤسس التي بثها في ما أصدره من كتب ونشرات تعد في مجموعها المرجع الرئيس للحزب، مما جعل الحزب يوصف بالصنمية والجمود على أفكار المؤسس.

للحزب شطحات منهجية تخالف صريح الكتاب والسنة، منها أن الحزب يفضل الأمور الروحية والتربوية إذ يقول: «ولا توجد في الإنسان أشواق روحية ونزعات جسدية، بل الإنسان فيه حاجات وغرائز لا بد من إشباعها»، ويقول: «إذا أشبعت هذه الحاجات العضوية والغرائز بنظام من عند الله كانت مسيرة بالروح، وإذا أشبعت بدون نظام أو بنظام من عند غير الله كان إشباعاً مادياً يؤدي إلى شقاء الإنسان».

كما يحرم الحزب على أعضائه الاعتقاد بعذاب القبر وبظهور المسيح الدجال، ومن يعتقد هذا في نظرهم يكون آثماً، ويرى الحزب إهمال

(٥) كاتب سوداني.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الانشغال بذلك يعد من معوقات العمل المرحلي الآن!! فضلاً عن أن الأمر والنهي إنما هما من مهمات الدولة الإسلامية عندما تقوم.

يسمي الحزب الأقطار التي يعمل فيها باسم الولايات، ويقود التنظيم في كل ولاية لجنة خاصة به تسمى مجلس الولاية، على رأسها أمير يطلق عليه مسمى «معمد»، ويتشكل المجلس القيادي أو مجلس الولاية من ٣ إلى ١٠ أعضاء، وتخضع مجالس الولايات لمجلس القيادة السري العالمي.

نرمي من خلال هذا المقال للتعرف أكثر على حزب التحرير بالسودان، وأبرز ملامح حركته، وأبرز قياداته، ورؤاه حول مجمل قضايا السودان الكبرى مثل الانفصال وقضية دارفور وغيرها.

حزب التحرير في السودان:

دخل حزب التحرير ووصلت أفكاره إلى السودان في عام ١٩٦٣م على يد طلاب سودانيين درسوا بالأزهر والتقوا هناك شباب حزب التحرير، ولكن لم يعرف نشاط للحزب إلا بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، وظل الحزب يعمل حتى انقلاب الرئيس الأسبق جعفر محمد نميري عام ١٩٦٩م وعارضه وواجهه منذ بدايته، وهو ما دفع النظام إلى اعتقال كل قيادات الحزب ولم يفرج عن بعضهم إلا بعد المصالحة الوطنية بين نظام نميري ومعارضيه في ١٩٧٧م.

وخلال فترة نظام النميري ضعف الحزب جداً، وبعد المصالحة بدأ الحزب يللم أطرافه من جديد، وظل يعمل حتى جاءت حكومة الإنقاذ الحالية في ١٩٨٩م، وقد عارض شباب حزب التحرير النظام الحالي، الذي اعتقل أعداداً كبيرة منهم، ومع ذلك ظل الحزب نشطاً رغم حل الأحزاب، وبعد إجازة قانون التوالي السياسي عقب إقرار دستور ١٩٩٨م،

الذي يتيح للأحزاب العمل السياسي السلمي، مارس الحزب نشاطه من جديد.

على صفحته الرسمية على موقع (فيس بوك) يُعرّف حزب التحرير - ولاية السودان نفسه بأنه حزب سياسي مبدؤه الإسلام، يعمل لإقامة دولة الخلافة، ويلاحظ أنه ليس للحزب أي خصوصية فكرية سودانية باعتبار المقر والبلد، فهم يقولون: «نحن لا ننتمي إلى السودان، ولكننا ننتمي إلى الإسلام وننتمي للعقيدة الإسلامية ولا ننتمي إلى تراث»، ويقولون أيضاً: «من الطبيعي أن يعمل الإنسان في المجال والمكان الذي يوجد به ويعيش فيه من خلال الدعوة للفكرة الأساسية للحزب، ولكن بصورة عامة للحزب رأي في كل مسألة أو قضية في السودان».

فحزب التحرير في كل العالم واحد، وهو كيان فكري سياسي، وبالتالي ما يتبناه شباب حزب التحرير في السودان، هو نفس ما يتبناه شباب الحزب في أوروبا أو في أي منطقة من مناطق العالم. وللحزب في كل دولة بها وجود لشباب ومنسوبي حزب التحرير ناطق رسمي للحزب في تلك الدولة، وليس له صفة إدارية تتعلق بإدارة العمل في ولايته (أي الدولة)، ولكن الذي يدير الحزب في كل ولاية هو مجلس الولاية، وهو مجلس يتم اختيار عضويته بالانتخاب من شباب الولاية، ومجلس حزب التحرير في كل دولة لا يمثل قيادة جماعية، ولكن على رأس هذا المجلس أمير يطلق عليه اسم «معتد».

أما الناطق الرسمي لحزب التحرير فمهمته إعلامية في الولاية الموجود فيها، وهو الذي يعرض أعمال الحزب التي يقوم بها في الولاية للإعلام؛ ولذلك هو الأظهر، ويعتمد الحزب السرية الشديدة في قياداته، فلا يُعرف حالياً من هو «معتد» حزب التحرير بالسودان، كما أن المعتد الذي هو أمير الحزب في البلد المعني لا يتولى قيادة الجماعة مدى

الحياة، بل يُنتخب كل عامين، أما الناطق الرسمي فلا يُغيّر إلا بالوفاة أو الاستقالة أو الإغفاء حال عجزه عن القيام بالواجبات المطلوبة منه.

ومن الواضح أنه لا توجد طريقة محددة لاختيار قيادات حزب التحرير في الدول، والسودان منها، وإن كانت هناك طريقة فهي سرية، غير معلنة، ولكن يبدو أن القيادات في مجلس الدولة المعنية تجتمع، ويفتح التداول حول المرشحين للمنصب المعين، وبعد نقاش وتداول قد يستمر لأيام، يتم اختيار القيادي المعين.

من أبرز قادة الحزب بالسودان حسن بشير، ومحمد يوسف، وعلى سعيد وإبراهيم عثمان أبو خليل الناطق الرسمي باسم الحزب، وناصر رضا محمد عثمان رئيس لجنة الاتصالات المركزية لحزب التحرير ولاية السودان، وعصام أتيمن منسق لجنة الاتصالات المركزية للحزب، وسليمان الدسيس عضو المجلس القيادي، ومحيي الدين بخاري أبو بكر عضو المجلس القيادي، والبشير أحمد البشير عضو المجلس القيادي والمهندس محمد هاشم عضو المجلس القيادي.

الجوانب الفكرية لحزب التحرير في السودان:

في الجوانب الفكرية ينطبق على حزب التحرير في السودان ما ينطبق على غيره في العالم، ويصنف بعض السودانيون حزب التحرير بأنه حزب معارض، إلا أن أدبياته ومنشوراته تشير إلى أنه لا حكومي ولا معارض! ويرى الحزب أن الحكومة والمعارضة وجهان لعملة واحدة، غير أن له رؤى معلنة وبلغت حادة حول كثير من قضايا الساحة السياسية، يأتي على رأس ذلك تحفظه على اتفاقية جبال النوبة ٢٠٠٢م وما تبعها من دخول قوات أجنبية في تلك المنطقة، ثم وقوفه ضد اتفاق نيفاشا للسلام الشامل ٢٠٠٥م، ورفضه كذلك للاستفتاء وفصل الجنوب عن شمال السودان، وانتقاداته لما يجري ويدور في

ويرى حزب التحرير كذلك أنه حتى ولو وافقت السلطات السودانية على تسجيل الحزب رسمياً وفق شروطهم، فإنهم لن يشاركوا في الانتخابات والتنافس النيابي، فالحزب يرى أن الانتخابات وسيلة لاختيار رجال للحكم على أساس الدستور والقانون الموجودين، وبالتالي دخول الانتخابات على هذا الأساس يعني قبول المبدأ الذي قام عليه الدستور، والحزب له موقف مبدئي، هو أن كل ذلك باطل، ولا يمكن أن يشارك في الباطل، فهو يرى أن العالم الغربي هو الذي يُسيّر كل الحكومات في العالم العربي بلا استثناء، وهو لن يسمح لحركة حقيقية تسعى لإقامة الإسلام أن تصل للحكم، مثل ما حدث مع حركة حماس، رغم أنها وصلت للسلطة عن طريق الديمقراطية، وما حدث من قبل في الجزائر بحسب رأيهم.

يظهر مما سبق أن حزب التحرير يرفض كل شيء دون تقديم البديل، بل أحياناً دون تقديم سبب مقنع لهذا الرفض، كما تتسم مواقف الحزب الفكرية والحركية بعدم واقعيتهما، وأنها غالباً مواقف عدمية ترفض كل شيء، ودون تقديم بديل، ولو على المستوى النظري.

رؤى الحزب حول بعض قضايا السودان:

لحزب التحرير بالسودان رؤى خاصة حول كل القضايا المطروحة على الساحة السودانية، ولا تطراً قضية؛ إلا وترى لحزب التحرير بياناً حولها، ولكن ظلت لغة الحزب حادة وغير قابلة لأي توافق أو حلول وسطية، بل تطرح رؤى الحزب الخاصة مهما كانت مشتتة وغير منطقية، وغير واقعية، وغير مستساغة، ولا تقدم جديداً، بل هو مجرد الرفض لما هو مطروح. وفيما يلي رصد لبعض رؤى حزب التحرير بالسودان حول بعض القضايا المهمة بالبلاد:

١- رؤية الحزب لانفصال جنوب السودان:

يُعتبر حزب التحرير بالسودان أن جنوب السودان

ويعتبر الحزب أن تقسيم السلطة والثروة وكأنها ملك للمعارضين والحاكمين أمر غير سليم باعتبار أن السلطة ليست مغنماً، إنما مسؤولية لخدمة الأمة.. وأن الثروة والمال العام ملك للأمة، كما أن الحاكم أو الوالي يجب انتخابه من قبل الأمة ليحكمها بالكتاب والسنة، وتتم محاسبته من قبل الشعب الذي وافق على اختياره.

يرى حزب التحرير أن نظام الحكم في البلاد حالياً لا يحكم بالشرع الإسلامي، إنما هو نظام رأسمالي ديمقراطي لا علاقة له بالشرعية، كما إن تطبيقه لبعض الأحكام الشرعية لا يعطي النظام صبغة إسلامية بحسب رأى الحزب.

يرفض حزب التحرير دستور السودان لعام ٢٠٠٥م السائد حالياً بالبلاد، ويرى أنه دستور علماني، ولذلك لا يعمل الحزب من خلال هذا الدستور، ويرفض الحزب تسجيل نفسه رسمياً كما يحدد ذلك الدستور، لأنه لو سجل نفسه وفق الإجراءات المعتادة، يكون ذلك إقراراً بمبادئ الدستور والتزاماً بمقرراته، ولكن حزب التحرير بالسودان أخطر المسؤولين فقط، بمباشرة النشاط العام بخطاب للجهات الرسمية ذات الاختصاص، قال لهم فيه إن الحزب لا يلتزم إلا بالإسلام، ولا يلتزم بالدستور ولا بقانون تسجيل الأحزاب؛ لأنه يعمل على تغيير هذا الدستور وهذا القانون، وأن الحزب لا يستخدم وسائل مادية في تبليغ دعوته إلا قوة الفكرة بتبليغ الناس، ويوصف حزب التحرير بالسودان بأنه ليس حزبا براغماتياً يخضع للواقع ويتشكل معه كما تتشكل بعض الأحزاب، بل هم مجموعة من الناس تجمعوا وتكتلوا حول فكرة، وهذه الفكرة واضحة ويريدون إيجادها في الواقع، وأنه حزب لا يتلون ولا يتبدل حسب الواقع، بل يريد تغيير الواقع بالإسلام.

هي أرض «إسلام» لا يمكن بأي حال التنازل عنها أو التفريط فيها لأية جهة، ويفسر الحزب ذلك وطبقاً لرؤيته مصطلح الأرض في الفقه الإسلامي ويقول: هي أرض فتحها المسلمون أو حكموها ولو لساعة، فتصبح أرضاً خراجية تابعة للمسلمين، لا يجوز التنازل عنها لأحد أو لجهة ما، وتكون رقبتها ملكاً لبيت مال المسلمين إذا كان هناك بيت مال، وتبقى منفعتها لأهلها كفاراً كانوا أو مسلمين، وكذلك الأمر بالنسبة للجنوب من «الرنك» وحتى «نمولي» فتحها العثمانيون الأتراك في عهد محمد علي باشا، ثم حررها الإمام المهدي، وحُكمت بعد الاستقلال من قبل أبناء المسلمين، ولذلك فإنها أرض إسلامية يعد التنازل عنها «جريمة» باعتبارها ملكاً لكل المسلمين في العالم.

يُعتبر حزب التحرير بالسودان كذلك أن إعلان نتيجة الاستفتاء في العام ٢٠١١ والذي قضى بانفصال جنوب السودان، وقيام دولته المستقلة، كان إيذاناً بنجاح الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس الحالي باراك أوباما، وبعد مؤامرات متواصلة، في تقطيع أوصال السودان إلى جزأين (كسيحين) جنوبه وشماله، وإنشاء دويلة ذات صبغة نصرانية، تضاف إلى الأدوات التي ستتكىء عليها هذه الإمبراطورية العجوز للهيمنة على القارة السمراء الغنية بثرواتها ومواردها.

وطوال السنوات الماضية، ومنذ ظهور حزب التحرير في السودان، لم يكن له طرح عملي لتجاوز مشكلة جنوب السودان، ولم يتقدم بأي مبادرات لحل المشكلة، بل لم يكن له وجود بالجنوب كغيره من الأحزاب السودانية، فالجنوب توجد به كل الأحزاب السودانية، بل وفيه وجود سلفي مقدر، كما ذكرنا ذلك في مقال سابق بمجلة الرائد، ولكن ظل حزب التحرير ظاهرة صوتية غليظة، ولكن لا تجنح أبداً لتقديم حلول عملية، أو تقديم طروحات تسهم في حل المُشكل

المعين.

٢- حزب التحرير والبرنامج الإصلاحي الاقتصادي في السودان:

خلال ندوة سياسية بجامعة أم درمان الإسلامية في مارس ٢٠١٤ أعلن الحزب رفضه الإصلاحات الاقتصادية التي أجرتها الحكومة وتمثلت في رفع الدعم عن بعض السلع، في مقدمتها الوقود، مما نتج عنه تظاهرات واحتجاجات راح ضحيتها العشرات.

حيث رأى الحزب أن الإصلاحات الاقتصادية المطروحة ما هي إلا وصفات من المنظمات الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وهي لن تزيد البلاد إلا خيالاً ولن تفلح في وقف تدهور الاقتصاد وتراجع سعر صرف العملة الوطنية، ويرى الحزب أن دعم الحكومة لبعض السلع مثل المحروقات هو محض كذب وتضليل، وأن هذه الإجراءات الاقتصادية برفع الدعم وغيره سوف تزيد الناس معاناة وضنكاً فوق الذي هم فيه؛ وبخاصة الفقراء من الناس، وزيادة أسعار المحروقات سوف تأتي على رأس الفقراء والمعدومين؛ الذين يستهلكون السلع والخدمات؛ فصاحب أسطول الباصات أو الشاحنات سوف يضع هذه الزيادة على سعر خدمة الترحيل التي يدفعها المستهلك.

وبعد هذا النقد الطويل، يظل حزب التحرير في مواقفه العدمية، حيث لم يقدم من جديد، أي طرح أو علاج أو رؤية عملية من الحزب للإصلاح الاقتصادي، كما لم يقدم بديلاً مناسباً للإجراءات الحكومية، واكتفى باتهامها أنها وصفات خارجية.

٣- رؤية حزب التحرير لأزمة دارفور:

يرى الحزب أن التفتتات العسكرية في كثير من مناطق دارفور، والدمار الذي خلفته الحرب منذ اندلاعها قبل عدة أعوام، جعلت ولايات دارفور

رؤية علمية منهجية، منضبطة بالكتاب والسنة.

المراجع:

- ١- حزب التحرير، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.
- ٢- صباح أحمد، حزب التحرير بالسودان.. «موضة» جديدة في عالم السياسة، مقال منشور بصحيفة الصحافة، الخرطوم، العدد (٦٢١٤) بتاريخ: ٢٠١٠/١١/٠١.
- ٣- عوض خليل (أبو الفاتح)، الجذور التاريخية لمشكلة أبيي في السودان وتطورها، مقال منشور بمجلة الوعي، بيروت، العدد ٢٨٦، (عدد خاص بجنوب السودان)، أكتوبر ٢٠١٠م.
- ٤- محمد هاشم، أرض جنوب السودان أرض إسلامية ولا يحق لكائن من كان التنازل عنها، مقال منشور بمجلة الوعي، بيروت، العدد ٢٨٦ (عدد خاص بجنوب السودان)، أكتوبر ٢٠١٠م.
- ٥- وليد الطيب، حوار مع الناطق الرسمي لحزب التحرير بالسودان، منشور بموقع (الإسلاميون نت)، بتاريخ: ٢٠٠٩/٧/٢٦م، على الرابط:

http://islamyoon.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1248187341466&pagename=Islamyoun/IYALayout

تعيش أحداثاً محزنة ومؤسفة؛ في مناطقها الشرقية، والغربية، وزادت الصراعات القبلية والتناحرات العشائرية في غياب سلطان الدولة والفضوى التي ضربت بأطنابها فأصبحت الجاهلية الأولى تطل برأسها لهذه البقعة من الأرض حيث يذبح الناس بعضهم كالشياه!

ويحمل حزب التحرير الحكومة مسؤولية موت الأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ لا حول لهم ولا قوة، ويصفها بغير المكرثة دوماً، ويرى أن الذي بذور الفتنة القبلية هو الرأي العام الفاسد، من إرث التقاليد المقيتة والدستور السوداني الذي لا زال يكرر (السودان بلد متعدد الأعراق).

وفي رؤيته لحل مشكلة دارفور، يضع حزب التحرير حلاً للمشكلة، هو التشبث بفرض إقامة دولة الخلافة! وهو حل أشبه بانتظار الشيعة للإمام الغائب، فكل المسلمين يتوقعون للخلافة الراشدة، ولكن هل طريق حزب التحرير لإقامتها هو الطريق القويم، الذي سيوصل في النهاية للخلافة؟

٤- رؤية حزب التحرير للإصلاح الشامل

في السودان:

يرى الحزب أن خطاب الرئيس البشير الأخير؛ الذي أسماه بالوثبة للتجاوز حول أربع ركائز أساسية هي: السلام والاقتصاد والحرية السياسية والهوية السودانية، ينبئ أن هناك صفقة تمت بين الحكومة والمعارضة، ظاهرها ما قيل عن إنهاء الصراع السياسي، بل والعسكري، وحل الضائقة الاقتصادية، والوصول إلى دستور متفق عليه. وباطنها وأصلها المضي قدماً في تنفيذ المخطط الأمريكي الرامي لتمزيق السودان.

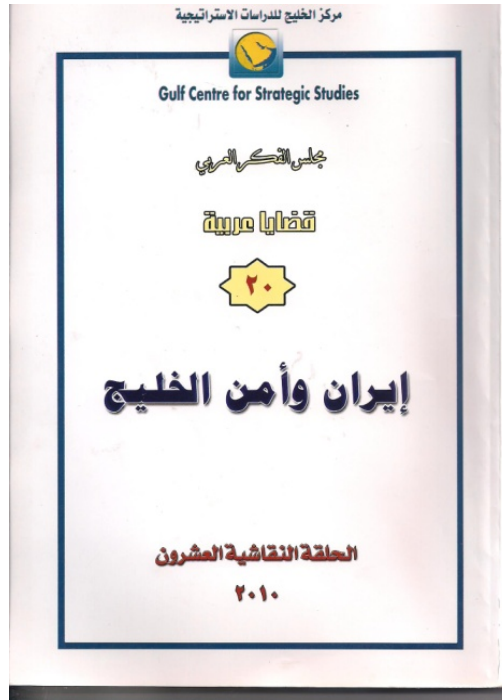
ثم يدعو الحزب أهل السودان والمخلصين من أبنائه لعدم الوقوع فيما يسميه: فخ العبارات الرنانة ومعسول الكلام، ثم يحرر وصفته للحل من جديد وهي إقامة الخلافة الراشدة، بلا أي برنامج، أو

يهتم لهذا الجانب، بل هو منبهر بالتجربة الإيرانية ويراهنا
(قدمت بالفعل نموذجاً في: التنمية، وتداول السلطة،
والتقدم العلمي، وهي نماذج مفتقدة في العالم العربي) ص
١١٢٣٨

والكتاب جاء في سبعة فصول تناولت المحاور

هذا الكتاب هو تدوين لوقائع الحلقة النقاشية التالية:

- ١- السلوك الإيراني وأمن الخليج تعدد المؤشرات السلبية.
- ٢- محركات التهديد الإيراني لأمن الخليج.
- ٣- واقع العلاقات الإيرانية- الخليجية على المستوى السياسي والأمني.
- ٤- المستجدات الدولية والإقليمية وتداعياتها على أمن الخليج.
- ٥- ترتيبات الأمن رؤى وسياسات متباينة.
- ٦- إيران وأمن الخليج منظور اقتصادي.
- ٧- إيران وأمن الخليج رؤية مستقبلية.



العشرين لمركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، وقد عقدت هذه الندوة في عام ٢٠٠٩ ونشر الكتاب في مطلع عام ٢٠١٠، وهو يقع في ٢٠٠ صفحة. رأس الحلقة د. عمر الحسن، رئيس المركز، والذي حرر مجريات نقاش الحلقة أيضاً، وشارك في الندوة عدد من الأكاديميين المصريين، بينما لوحظ غياب الباحثين الخليجيين! الكتاب يحتوي على معلومات ورصد ووقائع كثيرة ومهمة لأي باحث ودارس للعلاقات الخليجية الإيرانية،

لكنه للأسف لا ينسب الأقوال لمحدث بعينه، وإنما يسرد مجمل ما دار دون تعيين، ويلاحظ على المشاركات والمداخلات التنوع في الموقف من إيران، فالبعض مدرك للخطر الإيراني ومنشئه الديني الشيعي، بينما البعض لا

(♦) كاتب أردني.

يصعب في هذه المساحة المحدودة الإحاطة بمجمل محتويات الكتاب، ولذلك سوف نقف وقفات سريعة مع بعض الأفكار المهمة التي وردت سلباً أو إيجاباً، مما يعطينا بعض الضوء على تعقيدات العلاقات الإيرانية الخليجية.

الوقفه الأولى: تفتقد دول الخليج لموقف موحد تجاه إيران، بينما موقف إيران موحد وإن تنوعت التعبيرات عنه بحسب التيار الذي في السلطة

وهذا التباين في مواقف الدول الخليجية تجاه التحديات والمطامع الإيرانية (ص ٦٠، ٩٩) هو ما يضعف موقفها تجاه إيران، ويقوى فرص إيران في عقد صفقة مع أمريكا على حساب دول الخليج، وسبب هذا التباين في المواقف إما المشاكل والخوفات البينية بين دول الخليج، وإما بسبب العلاقات الاقتصادية مع إيران، وإما بسبب ارتباطات سياسية مع إيران.

الوقفه الثانية: خلل الرؤية العلمانية الخليجية للتهديد الإيراني

وتشكل مداخلات الحلقة مثالا ناصعا على هذا الخلل (ص ٧٧)، وذلك من خلال تهميش الدور الديني الشيعي في سياسات إيران، وإعلاء الدوافع الاقتصادية والأمنية، وأيضاً تحميل الأنظمة الخليجية مسؤولية توظيف مواطنيها الشيعة لصالح إيران، بسبب ضعف سياسات المواطنة.

وطالما بقيت القيادات الخليجية لا تفسر الدوافع الإيرانية بشكل صحيح سوف تبقى عاجزة عن التصدي للتهديدات الإيرانية، فإيران وعقيدتها الشيعية لا تقبل بأقل من السيطرة الكاملة على الخليج، ويكفي في ذلك السياسات الطائفية في العراق ومن قبل نوري المالكي رجل إيران، والغزو العسكري الحوثي لمحافظة اليمن. وأما سياسات المواطنة فمع ضرورتها إلا أنها لا تنفع أبداً مع الطائفة الشيعية، والكويت والبحرين خير مثال على ذلك.

أحد المشاركين استدل بتصويت شيعة البحرين للاستقلال وعدم التبعية لإيران مطلع السبعينيات من القرن الماضي على كونه مثالا للوطنية! وهذا طبعاً بسبب غياب البعد الديني لتحليل الصراع الإيراني الداخلي بين الشاه المندفع لعلمنة المجتمع الإيراني والاقتداء بآتاتورك وبين الملالي الرافضين لهذا التوجه لما يضر بهم وبمصالحهم، وبسبب هذا الصراع نفى الشاه الخميني من طهران سنة ١٩٦٤، وقام بالتضييق على الملالي في تلك

المرحلة، ولهذا قام المراجع بحث الشيعة على التصويت برفض التبعية لطهران، ليس حياً في البحرين، بل حياً في مصالح الملالي، ولذلك بعد بضع سنوات لم يصوت شيعة البحرين للانضمام لإيران، بل قادوا محاولة انقلاب مسلحة بعد الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م!!

الوقفه الثالثة: للأسف دول الخليج هي من تدعم الاقتصاد الإيراني

فبحسب الإحصائيات والأرقام (ص ١٧٢) فإن العلاقات الاقتصادية الإيرانية الخليجية قفزت من ١.٧ مليار دولار عام ٢٠٠٠، إلى ٨.٧ مليار دولار عام ٢٠٠٧ وذلك في ظل العقوبات الاقتصادية على إيران، وبما لبت هذا العصيان للعقوبات الأمريكية كان في باب يخدم قضايا الأمة ومصالحها الحقيقية!

الوقفه الرابعة: ما العمل إذا تصالحت إيران وأمريكا؟

للأسف ليس هناك رؤية لتقوية الذات بحيث إذا تحققت المصالحة لا تكون على حساب دول الخليج، بل كانت التوصية بـ (وإذا كان احتمال تحقق سيناريو المصالحة وشيكاً، وعلى الرغم من أنه سيتم في غياب عربي كامل - حال حدوثه - إلا أنه ينبغي عربياً البحث عن طريق للتقارب مع إيران، وبناء جسور للتعاون معها) ص ٢٣٨!!

وهكذا يتم القفز عن النقطة الجوهرية وهي أن ضعف وتشتت دول الخليج هو ما يقوي مطامع إيران في الخليج من جهة، وهو ما يرهن دول الخليج للغرب من جهة أخرى، وقد جاء الوقت الذي اتفق الطرفان فيه على الخليج، فلم يدر ما يصنع، وهذا كله بسبب خلل الرؤية العلمانية للتحدي الإيراني الشيعي، وغياب الرؤية الإسلامية السياسية الناضجة من جهة أخرى.

والخلاصة: يبدو أن أمتنا لا تزال بحاجة لوقت ليس بالقليل للوصول لتوافق فكري على حقيقة التحدي الإيراني وضرورة نبذ الخلافات البينية والتنازل للإخوة والجيران، بدلا من التنازل للأمريكان أو الإيرانيين.

ديمقراطية المخدرات!

قالوا: أول ما نجم عن احتلال أمريكا لأفغانستان هو تضاعف زراعة نبات الأفيون بصورة غير مسبقة في أي منطقة في العالم! إذ تزايد إنتاجه حتى بات من الطبيعي رؤية زحف نبات الأفيون يفتش مساحات شاسعة على مدى البصر من الأرض الأفغانية.

ووفقاً لتقرير صادر عن هيئة الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة فإن زراعته تزايدت في المناطق الغربية والوسطى لأفغانستان، وتزايدت مساحات زراعته عن العام الماضي بنسبة ٣٦٪ ومن المعروف والثابت أن أيام طالبان تم منع زراعة الأفيون تماماً، إلا أنه عاد ليفتش الأرض الأفغانية بتوحش مستمر مع الغزو الأمريكي وتوابعه وديمقراطيته.. فقد وصلت إنتاجية المحصول إلى خمسة آلاف وخمسمائة طن في العام بزيادة ٤٩٪ عن سنة ٢٠١٢.

موقع صحيفة صوت الأمة ٢٠١٤/٤/٣

الماركسيون آباء التطرف وداعش!

قالوا: كان لولع الماركسيين العرب بنظرية «حتمية العنف»، و«الثورة»، و«العمل السري» في التغيير السياسي والاجتماعي، أثر كبير وحاسم في منحاهم نحو البحث عما يعتبرونه «التجارب الثورية»، والجماعات «السياسية السرية» في التاريخ الإسلامي، مثل: القرامطة والخوارج وغيرهما، بصفتها «الجانب المضيء» في تاريخ الأمة، والذي

جرى تهميشه من الفكر الإسلامي السلفي السني، الذي يعتمد على «ثقافة الطاعة» (بحسب زعمهم)، والعمل على إبرازها وإعادة الاعتبار لها، فشاركوا بلا وعي منهم في إضفاء الشرعية على «الإرهاب السياسي»، والذي يمثل القرامطة في التراث الصراعي، فيما أعادوا إحياء «الفكر التكفيري» بتمجيدهم للخوارج، حيث استقت بعض التيارات في مصر على سبيل المثال مثل «جماعة المسلمين» والمعروفة إعلامياً وأمنياً باسم «التكفير والهجرة» بعض أصولهم في التصنيف الديني للمسلمين ما بين مسلم وكافر، والتصفية الجسدية لخصومها من المسلمين أيضاً، فضلاً عن إحياء فكرة «دار الهجرة» مجدداً على يد زعيمها شكري أحمد مصطفى، وهي ذات الفكرة التي أحيها من قبل القرامطة في الكوفة عام ٢٧٧ هـ على يد مؤسسها حمدان القرمطي.. ولذا لم تكن مصادفة أن تظهر «الجماعات التكفيرية» متزامنة مع علو كعب اليسار وقوة نفوذه في المجتمع والدولة منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي.

المصريون ٢٠١٤/٤/١٣

مفتاح التعامل مع واشنطن!

قالوا: هناك منافسة جدية بين الجمهوريين والديمقراطيين. بالإضافة إلى ذلك، هناك منافسة ثانية تجري داخل أحزاب الحزبين الجمهوري والديمقراطي. وعلى ما يبدو، فرغم الابتسامات والتقدير الذي يظهره بعضهم تجاه بعض، يعاني كلا الطرفين من انعدام الثقة في أنفسهم. وقد قال

هاري ترومان في السابق: إذا كنت في حاجة إلى صديق حقيقي في واشنطن، يجب عليك شراء كلب.

عطاء الله مهاجراني -

الشرق الأوسط ٢١/٤/٢٠١٤

يموت الزمار وأصابه تلعب!

قالوا: وزارة الخارجية المصرية استدعت السفير مجتبى أماني، رئيس مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة، عقب وصوله القاهرة بساعة واحدة بعد قدومه من راحة شهرية في طهران.

نوقش السفير الإيراني في ٤ قضايا مهمة وخطيرة وحساسة، أولها هو تورط دبلوماسي إيراني في مقابلة أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين لمناقشة أوضاع الجماعة بعد ٣٠ يونيو، كما منحه كتاباً شيعياً للخميني، وهو الأمر الذي أثار حفيظة السفير الإيراني، وأنكر الواقعة بعنف وشدة، مؤكداً أن إيران لا تتدخل في الشأن المصري على الإطلاق، لكن تم تحديد اسم المسئول الإيراني ورقم السيارة الدبلوماسية التي أقلت الدبلوماسي الإيراني إلى منزل القيادي الإخواني، وتحديد اسم الكتاب الذي منحه لعضو التنظيم!! أما القضية الثانية والتي أنكرها السفير الإيراني بحاررة وغضب، فقد تمثلت في قيام أعضاء السفارة الإيرانية بطهران بتوزيع بعض الكتب الشيعية للترويج للمذهب الشيعي في مصر وهو ما أنكره «أماني». أما القضية الثالثة، فقد تمثلت في تدخل إيران في الشأن المصري، أما القضية الرابعة فقد انحصر في مناقشة مستقبل العلاقة بين القاهرة وطهران. وحول هذا الموضوع، قال «أماني» لـ «إسماعيل».. لو أنتم عاوزين تفتحوا العلاقات الصبح.. إحنا نفتح عندكم سفارة بعد الظهر!!

المصريون ٢٢/٤/٢٠١٤

ساسة إيران عملاء أو فاقدو شرف الخصومة!

قالوا: قال النائب البرلماني المتحدث باسم «لجنة المادة تسعين» البرلمانية في إيران مصطفى أفصلي

فرد، إن ٥٥ شركة إيرانية متهمه بأنها على صلة مع شركات إسرائيلية، وطالب البرلمان وزارتي الأمن والخارجية الإيرانيتين بمتابعة الأمر.

وأضاف أفصلي فرد في تصريح لوكالة فارس الإيرانية للأنباء أن «جزءاً من إيرادات هذه الشركات يذهب بشكل غير مباشر» إلى إسرائيل. وتابع النائب الإيراني أن «هذه الشركات الإيرانية كانت لديها صلات غير مباشرة وقامت بالتوقيع على (عقود) مع شركات تجارية إسرائيلية. ولهذا يجب أن يجري النظر في أمرها».

وقال الخبير الاقتصادي والأستاذ الجامعي في إيران سعيد ليلاز في تصريح لـ «الشرق الأوسط» أمس: «هذه التصريحات تحمل طابعاً سياسياً وليس اقتصادياً، وليس جديداً إثارة هذا الأمر. وعلى السلطات الأمنية والقضائية إثبات تلك المزاعم». وأضاف: «ما من أحد في إيران على صلة مع الشركات الإسرائيلية على حد علمي. وإذا كان شخص من أصول يهودية يملك حصصاً في شركة ما فهذا لا يدل على وجود صلة بينها وبين إسرائيل».

وأضاف ليلاز: «لا تطرح الحكومة هذه المزاعم، بل يسعى بعض الأشخاص إلى توجيه ضربة إلى حكومة الرئيس روحاني من خلال توجيه هذه الاتهامات. هؤلاء الأفراد هم الذين تضرروا بعد الانتخابات التي أدت إلى فوز روحاني بالرئاسة. شهدنا سابقاً توجيه تهم لشركات مثل شركتي بينتون ونستله بالصلة مع إسرائيل. فلهذا يجب تحديد معايير الارتباط مع إسرائيل».

الشرق الأوسط ١٢/٤/٢٠١٤

ليس وحده من يستحق الإبعاد!

قالوا: أصدرت وزارة الداخلية البحرينية أمس بياناً أعلنت فيه إبعاد حسين النجاتي، وكيل المرجع الشيعي في النجف علي السيستاني، المقيم في البحرين، بسبب شكوك في تحركاته واتهامه بجمع أموال للمرجعية دون تنسيق مع السلطات.

الشرق الأوسط ٢٤/٤/٢٠١٤

السوريين بها وتورعهم عن الاشتباك معها، فنجحت في اجتياح واحتلال قسم كبير من الأراضي المحررة خلال أربعة أشهر، وكادت تبتلعها كلها لولا أن الله أراد بسوريا والسوريين خيراً، فتمّ كان الانفجار.

هذه المقالة تسرد الحكاية الكاملة لمحاولة داعش احتلال سوريا، وهي موجّهة إلى ثلاثة أنواع من الناس:

إلى المجاهدين الذين عرفوا حقيقة داعش وتحققوا من بغيتها وعدوانها فقاتلوها قتال البغاة المعتدين، لكي يعلموا أنهم على حق ويثبتوا في مواقعهم حتى يكفّ البغاة عن بغيتهم ويتوقفوا عن عدوانهم ويفيئوا إلى حكم الله.

وإلى المجاهدين الذين اعتزلوا القتال وتركوا إخوانهم وحيداً في الميدان، ليعلموا أنهم مقصرون آثمون بالخذلان، وأنهم الهدف القادماً للبغاة المعتدين، وأنهم لا مناص لهم من نصرة إخوانهم حتى لا تتكرر مأساة الثورة الأبيض التي ما تزال تتكرر في تاريخنا بلا توقف منذ دهر طويل.

وإلى جماعات من الناس - من السوريين ومن غير السوريين - ما يزالون غافلين عن خطر مشروع داعش على الثورة السورية وعلى جهاد أهل الشام، عسى أن تنكشف لهم الحقيقة ويظهر الحق ويبتل سحر السحرة والمشعوذين.

لن أبدأ الحكاية من سوريا قبل شهر، سأبدأها من الهند قبل قرون. هل تعرفون كيف احتلت بريطانيا القارة الهندية ؟

مشروع داعش: احتلال سوريا (القصة الكاملة)

مجاهد مأمون ديرانية - موقع نور سورية

عجب أنصارُ داعش الجاهلون بحقيقتها من بركان الغضب الذي انفجر في سوريا ضدها، فإنهم لم يعلموا من الحقيقة إلا ما أرادته لهم داعش أن يعلموا، وما يزالون يحسنون الظن بها فيحسبون أنها جماعة مجاهدة جاءت إلى سوريا للمساعدة في تحريرها من الاحتلال الناصري.

ما علموا أنها جاءت لاحتلال البلاد وتنشئ

فيها مشروعها المشبوه، وأنها لا تختلف عن النظام إلا بالاسم والشعار، فهي قوة احتلال كما أن النظام قوة احتلال، ومشروعها هو ابتلاع سوريا وإخضاع السوريين كما أن مشروع النظام هو ابتلاع سوريا وإخضاع السوريين، سواء بسواء. عندما وصلت داعش إلى سوريا كان السوريون قد أمضوا في الجهاد سنتين تمكنوا خلالها من تحرير ثلثي الأرض السورية، وكان ينبغي أن تضع داعش اليدَ في اليد وترص الصفوف مع الصفوف فتساعد على تحرير الثلث الثالث، وهو الأصعب لأن النظام سحب صفوة قواته إليه وركزها فيه، ولكنها لم تفعل.

لقد تجنبت داعش المواقع والمدن التي يحتلها ويحاصرها النظام وبدأت بالالتفاف على المجاهدين من الخلف؛ عملت على إعادة احتلال المناطق المحررة بخطة منهجية، مستغلة حسن ظن

لقد احتلتها بطريقة عجيبة تشبه إلى حد بعيد الطريقة التي اتبعتها داعش في احتلال سوريا.

لم تعلن الحرب ولم تسيّر الأساطيل ولم ترسل الجيوش، بل فتحت شركة تجارية، ثم تمددت الشركة حتى أكلت الهند كلها!

أسس الإنكليز في مطلع القرن السابع عشر شركة تجارية اسمها «شركة الهند الشرقية» وحصلوا على إذن من إمبراطور الهند بافتتاح مركز لها في ميناء سورت في الكُجرات، ثم حصلوا على تراخيص بفتح فروع للشركة في عدة موانئ أخرى، ثم في مدن داخل البلاد، وما زالت تلك «الشركة» تتوسع وتنتشر حتى غطت مراكزها القارة الهندية كلها.

تحولت الشركة ببطء وخبث شديدين من كيان تجاري إلى كيان سياسي عسكري، وبدأت بالتدخل في السياسة المحلية في الأقاليم واستغلال النزاعات المحلية بين الأمراء، ثم تدخلت في سياسة الإمبراطورية نفسها، وأسست جيشاً حاربت به الهولنديين والفرنسيين الذين كانوا ينافسون بريطانيا على النفوذ في بلدان الشرق، ثم حاربت جيوش الإمبراطورية وكسرتها واحتلت الهند كلها.

إن ما صنعه شاهش (شركة الهند الشرقية) قبل قرون يشبه ما صنعه داعش مؤخراً: احتلالٌ بالمكر والغدر والخديعة وباستغلال طيبة الطرف الآخر وسذاجته.

جاء القوم إلى سوريا زاعمين أنهم لا يريدون شيئاً سوى مساعدة أهلها المساكين، ففتح لهم السوريون أبواب البلاد. كان ينبغي أن يذهبوا إلى الجبهات لقتال العدو، ولكنهم تركوها وذهبوا إلى القرى والبلدات المحررة فاشتغلوا بإلقاء الخطب وتوزيع المطويات وتنظيم المهرجانات والاحتفالات! ثم قالوا: نحتاج إلى مقررات، فوهبهم الناس بيوتاً سكنوها واتخذوا منها مقررات.

ثم بدؤوا يقيمون حواجز داخل المدن وفي مداخلها وعلى الطرق التي تصل بينها، وما لبثوا أن بدؤوا يضايقون الناس فيتدخلون في حياتهم ويفرضون ما يشاؤون من القوانين ويتعقبون من يخالفهم بالاعتقال والاعتقال، ثم سَفَرُوا اللثام عن الوجه القبيح فبدؤوا بقتال الكتائب المحلية، وراحوا يطاردون الإدارات المدنية والمنظمات الإغاثية والطبية والإعلامية، وكلموا أحكموا سيطرتهم على منطقة انتقلوا إلى المنطقة التي بعدها، فما مضت عليهم خمسة أشهر إلا وقد احتلوا مئات المواقع (المحررة) في شرق وشمال البلاد، وبدؤوا بالزحف على الوسط والجنوب.

الخطأ الأكبر الذي يرتكبه المدافعون عن داعش هو أنهم يحسبونها فصيلاً من الفصائل التي تقاتل النظام لتحرير سوريا، وبسبب هذا الوهم فإنهم ما يزالون يرددون تلك الجملة التي حفظناها غيباً: يجب أن نتحدوا الآن لقتال النظام وتحرير سوريا، وبعدها لكل حادثة حديث.

لا يا سادة، لا يصلح أن نستمع إلى نصيحتكم لأنكم لا تعرفون الحقيقة. إن داعش لم تأت إلى سوريا لقتال النظام وتحرير سوريا، لقد جاءت داعش إلى سوريا بمشروع، ولئن بدا لكم أن مشروعها هو مشروع الثورة نفسه فإنكم واهمون، فإنها لا تبالي بالأسد ولا بنظامه ولا باستقلال سوريا وتحرير السوريين من الأسر والعذاب.

بل إن هذه المصطلحات ذاتها لا تعني لها أي شيء، فما معنى الكرامة والحرية وما قيمة الشعب السوري وأي أهمية لحرية واستقلاله؟ إن لداعش مشروعاً واحداً لم تفكر في غيره منذ وطئت أرض الشام.

إنها تريد «دولة»، وبما أن الأرض الواحدة لا تتسع لدولتين فإن المشكلة لا يمكن حلها إلا بأن يتنازل الفريق الآخر (الشعب السوري) عن مشروع دولته طوعاً أو كرهاً. طوعاً بالخداع والتمويه

واستغلال شعارات الإسلام، أو كرهاً بالبارود والنار.

الأسلوب الأول لم ينجح إلا مع أقلية لا وزن

لها، وسرعان ما أدركت داعش أن الإكراه هو الأسلوب الوحيد الذي يوصل إلى الغاية، فبدأت بالحرب.

عندما وصلت داعش إلى سوريا كان

السوريون قد أمضوا في ثورتهم سنتين، وقد حرروا قسماً كبيراً من الأرض السورية وأقاموا عليه إدارات مدنية وعسكرية بديلة عن النظام، فلم يكن لداعش بُدٌّ من اختيار واحدة من ثلاث:

إما أن تستسلم وتتخلى عن مشروعها، أو

تنتقل إلى الأراضي غير المحررة فتحرقها وتقيم

عليها مشروعها، أو تحتل الأراضي المحررة لتحقيق ذلك الهدف. لم ترد داعش أن تتخلى عن المشروع، ولم تكن مواجهة النظام خياراً مطروحاً لأن القدرات العسكرية التي تملكها داعش أقل منه بكثير (وربما لأسباب أخرى يعلمها الله)، فاخترت الحل الثالث.

إذا أراد المرء أن يقيم بناء على أرض فإن

الأرض ينبغي أن تكون خالية من البناء، ولو

كانت معمورة فإن أول ما يبدأ به هو إزالة البنيان القديم، وهذا ما صنعتة داعش. بدأت بعملية «تجريف» منظمة لاجتثاث البناء الثوري -

العسكري والمدني - الذي أنشأه الشوار في المناطق المحررة خلال عامين، فاغتالت واختطف عددًا من القادة وهاجمت الكتائب الصغيرة وقضت على كثير منها، ولاحقت واعتقلت كثيرًا من الإعلاميين ودمرت كثيرًا من المؤسسات الإعلامية الثورية، وضايقت الأطباء والإغاثيين واعتقلت وقتلت عددًا منهم، ونجحت في إعاقة أعمال المنظمات الإغاثية في مناطق عدة وفي تخريب وإفقال عدد من المستشفيات الرئيسية والمشافي الميدانية، واصطدمت مع الهيئات الشرعية وطاردت واعتقلت كثيرًا من الدعاة والقضاة والمحامين.

بالنتيجة تفكك البنيان الثوري في المناطق

التي احتلتها داعش، وامتلاً الجنوب التركي

بآلاف من أحرار سوريا الذين فضلوا الانسحاب من الميدان الثوري على التعرض للقتل أو الملاحقة والاعتقال والإهانة والتعذيب في سجون دولة البغداد، التي شهد المجربون العارفون بأنها لا تقل سوءاً عن سجون النظام السوري.

سأعود قليلاً إلى الوراء، إلى بداية الرواية، في

التاسع من نيسان ٢٠١٣ بثت شبكة «شموخ الإسلام» رسالة صوتية أعلن فيها البغدادي جمع «جبهة النصر» وتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق» في تنظيم جديد باسم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (الذي عُرف بعد ذلك بالاسم المختصر «داعش»)، في اليوم التالي أصدر أمير النصر الجولاني بياناً صوتياً ردّ فيه على البغدادي وأصرّ على فصل «النصرة» عن «دولة العراق» رافضاً الدمج المقترح، أما الظواهري فقد كان رد فعله بطيئاً جداً ومتأخراً عن مواكبة الأحداث، فأصدر بياناً بعد شهرين (٦/٩) بحلّ الدولة وبقاء الأمور على ما كانت عليه.

لم يكن البغدادي كالظواهري بل كان

ردّه سريعاً، فقد أصدر بعد ستة أيام

(٢٠١٣/٦/١٥) كلمة يقول فيها: «الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف، ولن نساوم عنها حتى يظهرها الله تعالى أو نهلك دونها». علّق كثير من الكتاب على كلمة البغدادي تلك بما شاء الله لهم من الدرس والتحليل، أما أنا فإنني اعتبرها «إعلان حرب» على السوريين ومسوّدة «مشروع احتلال سوريا».

وقع الانشقاق المتوقع في صفوف النصر

فانحاز نحو ثلثي مقاتليها إلى التنظيم الجديد،

ويبدو أن غالبية المقاتلين غير السوريين (الذين يُدعَوْنَ مجازاً «المهاجرين») كانوا من ذلك الفريق، بالإضافة إلى العناصر الأكثر غلواً من السوريين، وبدؤوا على الفور بمهاجمة مقرات ومستودعات جبهة النصر فاستولوا على قسم كبير منها.

في الشهر التالي انتقل البغدادي إلى سوريا ،

فنشر دعائه في المعسكرات والجبهات وبدأ بتوسيع التنظيم وجمع البيعات وشراء وتكديس السلاح. كانت الأموال كثيرة، كثيرة جداً، ولم يسأل أحد من أين تأتي، وراحت داعش تشتري كل سلاح في الأسواق مهما غلا الثمن، من «الروسية» إلى الدبابة، مما تسبب في ندرة الأسلحة وارتفاع أسعارها، فعجزت كثير من الجماعات المقاتلة الأخرى عن شرائها وتعطل القتال في كثير من الجبهات. تدفق المقاتلون من وراء الحدود فدخل آلاف منهم إلى سوريا قادمين من العراق أو منتقلين عبر الأراضي التركية، وفيما كان الثوار منشغلين بالمعركة الحاسمة مع النظام في عمق البلاد، من حلب شمالاً إلى درعا في الجنوب، كانت داعش منهمكة في بناء قاعدتها الصلبة في المحافظتين الشرقيتين البعديتين، الرقة ودير الزور، فنجحت خلال ثلاثة أشهر في إنشاء قوة ضاربة تتكون من عدة آلاف من المقاتلين المزودين بكميات كبيرة من الأسلحة.

في أيلول ٢٠١٣ كانت حمص قد دخلت في

الشهر السادس عشر من شهور الحصار، وكان ينبغي على البغدادي أن يرسل جيشه من الدير والرقة باتجاه الغرب - إلى السخنة وتدمر وصولاً إلى ريف حمص الشرقي - لتحرير حمص وفك الحصار، ولكنه لم يفعل.

بدلاً من ذلك قامت داعش بغزو مدينتي الرقة

والطبقة واحتلتهما عنوةً، ثم انتشرت في أكثر مناطق ريف الرقة فأعادت احتلال المناطق التي حررها الثوار قبل ذلك بستة أشهر. والغريب أن داعش احتلت ما سبق تحريره من المدن والأرياف، ولكنها لم تقترب من المناطق الثلاث التي بقيت في يد النظام منذ تحرير الرقة: مطار الطبقة والفرقة ١٧ واللواء ٩٣. لماذا؟ ما أكثر الأسئلة التي تبحث عن جواب!

خلال أسابيع قليلة أحكمت داعش

سيطرتها على محافظة الرقة التي صارت

قاعدتها الرئيسية في الشرق، ثم بدأت بالانتشار في الحسنة ودير الزور، فخاضت مواجهات عنيفة مع الأكراد ومع كتائب الجيش الحر الكثيرة التي توجد في تلك المناطق واحتلت مساحات واسعة من أراضي المحافظتين، ولا سيما محافظة دير الزور التي صارت ولاية من ولايات «الدولة» المزعومة.

بعد ذلك بدأ اجتياح محافظتي حلب وإدلب.

استولت داعش على جرابلس والباب وعززت وجودها في منبج وإخترين وتل رفعت وحريتان ورتيان ودارة عزة، وحاولت احتلال مارع وعندان، ثم افتعلت حرباً مع عاصفة الشمال انتهت بالسيطرة على إعزاز.

وهكذا نجحت خلال عدة أشهر في احتلال

أجزاء واسعة من الريف الشرقي والريف

الشمالي لمدينة حلب، بالإضافة إلى سيطرتها على عدة أحياء في القسم المحرر من مدينة حلب نفسها. في الوقت نفسه كانت داعش تتمدد في الريف الإدلبي، فقد نجحت في احتلال الدانا وسلقين وسراقب وحارم وأورم، وهاجمت حزانو وبياتبو وعززت وجودها في بنش وكنلي، واتجهت أخيراً إلى واحد من أهم المعابر الحدودية وأكثرها حيوية للثورة، باب الهوى. فشلت محاولة داعش للسيطرة على المعبر فارتدت إلى الخلف واحتلت أقرب البلدات السورية إليه، سرمدا.

وهكذا اتصلت منطقة سيطرة داعش من

الدانة إلى سرمدا وصارت الأتارب هي الهدف

التالي، فتحركت أرتال داعش من حريتان لاقتحامها. الملاحظ أن بلدتي الأعداء، بُبُل والزهراء، كانتا أقرب بكثير إلى حريتان وأولى بالحرب من الأتارب، البلدة المسلمة التي يربط فيها لواء أمجاد الإسلام، فلماذا تركتهما داعش في أمان وبدأت بقصف الأتارب بالمدفعية الثقيلة؟

الجواب الذي صار يعرفه عامة أهل سوريا

بعد كل الذي كان: لأن داعش لم تنشأ لقتال الأعداء بل لقتال المجاهدين، ولم توجد لتحرير سوريا بل لإعادة احتلال المحرر من أراضيها.

حاربت داعش بذكاء ودهاء، فأما الدهاء

فإنه يذكرنا بأساليب جيوش الاستعمار التي غزت بلادنا في القرن الماضي، وكان سلاحها الأمضى هو الكذب والغدر والمكر والخديعة، وكذلك صنعت داعش في سوريا.

وأما الذكاء فإنه يظهر في الإستراتيجية

العسكرية التي اتبعتها في القتال، فبما أن القوة التي تملكها ليست كبيرة مقارنة بما يملكه خصومها من عدد وعدة فقد أنشأت إستراتيجيتها الحربية على تجنب إهدار مواردها البشرية والمادية، وذلك بالتوسع على حساب الأراضي المحررة وتجنب الصدام مع النظام. وقد توصلت داعش إلى تحقيق تلك الإستراتيجية الخبيثة بعدد من الأساليب (التكتيكات) التي كان أهمها :

التسلل عبر الثغرات الضعيفة وتجنب

الاشتباك مع الأطراف القوية، واستغلال نفسيات المجاهدين المتسامحة ونفورهم من الاشتباك مع جماعة تدعي الجهاد وتقاتل تحت راية التوحيد، واستثمار تقصير الكتائب الأخرى وعجزها عن محاربة لصوص الثورة، وأخيراً وقبل ذلك كله وبعده: استعمال أساليب يعجز خصومها من المجاهدين عن الردّ بمثلها، أساليب تنطوي على كثير من الكذب والغدر والخيانة والخداع.

كانت الإستراتيجية العامة التي اتبعتها

داعش لاحتلال سوريا هي التوسع على حساب المناطق المحررة وتجنب الصدام مع النظام، لأن تلك هي أسهل وأسرع الطرق للحصول على الأرض التي تحتاج إليها لتقيم عليها مشروع الدولة الموهومة.

لقد صار عدوان داعش على سوريا و«احتلال

المناطق المحررة» أمراً مشهوراً متواتراً يعرفه القاصي والداني، ولكن كثيرين من أنصارها

المسحورين بباطلها ما يزالون يجادلون في الشق الثاني من المتلازمة المشؤومة، «تجنب الحرب مع النظام»، ويطلبون الدليل. لو شئت أن أبسط الدليل بالتفاصيل والأسماء والتواريخ لتضاعف حجم المقالة عشرة أضعاف، لذلك أكتفي بوصف إجمالي من شأنه أن يفضح أكبر خدعة خدعت بها داعش عامة السوريين، حينما أوهمتهم بأنها تقاتل نظام الاحتلال النصيري الأسدي وتساعد على تحرير الأرض السورية من الاحتلال.

عندما استكملت داعش بناء قوتها العسكرية كان الجزء الأهم من سوريا تحت سيطرة النظام (وما يزال): العاصمة والساحل، وأجزاء مهمة من محافظتي حمص وحماة، ومطارات وقواعد عسكرية كثيرة منشورة في جميع المحافظات. كان ينبغي على داعش أن تستثمر قوتها العسكرية في تحرير تلك المناطق، ولكن العكس تماماً هو الذي حصل؛ تركت داعش المناطق المحتلة وبدأت باحتلال المناطق المحررة.

كانت في الرقعة ثلاث «بؤر» للنظام (مطار

الطبقة والفرقة ١٧ واللواء ٩٣) تركتها داعش واحتلت بقية مناطق المحافظة بمدنها وقراها جميعاً. وفي دير الزور تركت المطار الذي يسيطر عليه النظام وتجاهلت أحياء المدينة التي يحتلها وانشغلت باحتلال الجزء المحرر منها، كما انتشرت عبر مدن وريف المحافظة المحررة أصلاً. وفي إدلب تركت جسر الشغور المحتلة التي تربط المناطق المحررة بالساحل وتعتبر أهم عقدة مواصلات في المحافظة (أو ثاني أهم عقدة بعد سراقب) واحتلت مساحات واسعة في الريف الشمالي، ثم بدأت بالتمدد عبر الريف الجنوبي مؤخراً.

أما في حمص وحماة فقد تركت داعش

مدينة حمص المحاصرة والريف الغربي لحمص وحماة، وهما منطقتان منكوبتان تعيشان تحت تهديد مليشيات القرى النصيرية والشيعية المجاورة، وبدأت بالتمدد عبر الريف الشرقي المحرر، وكانت على وشك تنفيذ عملية غزو واسعة على مدينة

ذلك هو السبب في غزو مسكنة والاشتباك مع أحرار الشام.

لقد تركت داعش الطريق الشمالي واختارت المرور عبر مسكنة التي تسيطر عليها حركة أحرار الشام تطبيقاً لقاعدة «التسلل عبر الخواصر الرخوة»، والخواصر الرخوة عندها هي الكتائب والجماعات التي لا تطبق المواجهة المباشرة لواحد من سببين: إما لأن عدد مقاتليها قليل وقدرتها القتالية ضعيفة، أو لأن تكوينها الفكري يمنع مقاتليها من الاشتباك مع من يعتبرونهم إخوة في المنهج والجهاد.

السبب الأول: يفسر استهداف داعش للكتائب الصغيرة المستقلة، فهي لا تبلغ من الحجم ما يتيح لها الدفاع عن النفس ولا ترتبط بكيانات كبيرة يمكن أن تدافع عنها، ومن ثم فلا يوجد أي رادع يمكن أن يُضعف من شهية داعش لابتلاعها. لقد استطاعت داعش فعلاً أن تبتلع عشرات من تلك الكتائب في أقل من ثلاثة أشهر، كما أنها حطمت عشرات أخرى من الكتائب الصغيرة التي لم يعد لها وجود بعدما ترك مقاتلوها السلاح وعادوا إلى بيوتهم، أو انسحبوا إلى تركيا فراراً من البطش الداعشي الذي لاحق كثيراً من القادة والمقاتلين.

أما السبب الثاني: فإنه يفسر استهداف داعش المستمر لحركة أحرار الشام، فهي المتضرر الأكبر من العدوان الداعشي ولكنها - في الوقت ذاته - أقل ضحايا داعش دفاعاً عن النفس ورداً للعدوان. لقد راهنت داعش على أن قيادة الأحرار لن تستطيع قتالها لأن كثيرين من مقاتلي الأحرار ينتمون فكرياً إلى المدرسة السلفية الجهادية، وهي المدرسة ذاتها التي تعود إليها جذور المنهج الداعشي، ويبدو أنها قد نجحت في الرهان. إن قيادة الأحرار تواجه خياراً صعباً في هذه الأيام، فلو أنها قررت الدفاع عن النفس والمشاركة العلنية في الحرب ضد داعش فسوف تخسر جزءاً من جسمها العسكري الذي يُتوقع أن ينشق وينحاز إلى الدولة

السلمية وقراها قبل يوم واحد من اندلاع الاشتباكات الأخيرة مع جيش المجاهدين. وفي حلب تركت داعش الريف الجنوبي الذي يسيطر النظام على الجزء الأكبر منه والذي يتيح له التحكم في طريق دمشق حلب الدولي، وهاجمت واحتلت الريف الشرقي، ثم الريف الشمالي، ثم بدأت أخيراً بغزو الريف الغربي، وكلها مناطق سبق للشوار تحريرها منذ أواخر سنة الثورة الثانية.

والغريب أنها حرصت على احتلال الريف الشمالي بأكمله، بما فيه المعابر الحدودية مع تركيا، ومع ذلك فقد تركت قريتي الأعداء، بُبل والزهراء، رغم أنهما تقعان بين اثنتين من قواعدهما المهمة: مطار منّغ في الشمال وحريتان وعندان في الجنوب. تركتهما داعش وهما على بعد كيلومترات قليلة من قواعدهما وسأقت الأرتال من تلك القواعد لغزو الأتارب البعيدة في الغرب. لماذا صنعت ذلك؟ ولماذا تركت كل ما سبق ذكره من مناطق محتلة واحتلت الأراضي المحررة؟ لو عثرنا على الجواب فسوف نحل قطعة مهمة من الأحجية.

نجحت داعش في تطبيق إستراتيجيتها القائمة على احتلال الأراضي المحررة باستعمال عدد من الأساليب (التكتيكات)، كان أهمها اختراق «الخواصر الرخوة» في الجسم العسكري الثوري وعدم إهدار مواردها البشرية المحدودة في معارك جانبية مع الأقوياء. في تشرين الأول الماضي فقدت داعش طريق الشمال الواصل من الرقة إلى ريف حلب الشرقي عبر عين عيسى بعد معارك طاحنة خاضتها مع عشيرة الفدعان (وهي فرع من قبائل عنزة) بين تل السمن وعين عيسى.

وبما أنها لا تستغني عن ربط قاعدتها في الرقة بمناطق نفوذها في الريف الحلبلي، وحيث إن السيطرة على الطريق الشمالي كانت صعبة بسبب وقوعه في مناطق نفوذ الفدعان، فقد قررت داعش السيطرة على الطريق الجنوبي الذي يصل الرقة بالريف الحلبلي الشرقي عبر مسكنة، وكان

قوتها لمحاربة اللصوص والقضاء على كتائبهم وعصاباتهم، ولتعلم أن قتال أولئك الفاسدين المفسدين مقدّم على قتال النظام وأن الانتصار عليهم هو الطريق إلى الانتصار عليه.

استعانت داعش - في حملتها لتحرير المناطق المحررة - بعامل مهم جداً، وهو «الفكر الداعشي» الذي يحمله مقاتلوها، فالقتال عندهم مؤسس على تصنيف الخصم من حيث الديانة والاعتقاد لا من حيث علاقته بالثورة أو النظام، والكفار هدف مشروع للقتال لأنهم كفار وليس بسبب أفعالهم، ولذلك نجد أن حرصهم على قتل النصيريين والرافضة والكفار أكبر من حرصهم على تحرير سوريا وتخليص السوريين من الأسر والعذاب.

وحسب تصنيفهم فإن قتال المرتدين مقدّم على قتال الكفار، وهذا يفسر ما يشاهد من شدتهم على مخالفيهم من الفصائل الجهادية الأخرى، فإنها شدة لا نكاد نلاحظها على النظام نفسه، لأنهم لقّنوا أن تلك الجماعات مرتدة وأنها صحوات صُنعت على عين الغرب لقتالهم والقضاء على مشروع «دولة التوحيد» التي يقاتلون من أجلها كما يظنون. إن الخطر العظيم الذي ينشأ عن تلك العقيدة هو سهولة تحويل جيش داعش إلى جيش من القتل بمجرد إقناعهم بأن الخصم كافر أو مرتد، وما أسهل ذلك على عقول سلّم أصحابها قيادتها لأمرائهم وعزلوها عن التلقي من غيرهم، فإن قيل لهم إن أحرار الشام وصقور الشام وجيش الإسلام صحوات فإنهم يتحولون في طرفة عين إلى أعداء يتقربون إلى الله بقتالهم وقتلهم، وإذا أراد قادتهم احتلال قرية من القرى التي تسيطر عليها بعض الكتائب الأخرى فما عليهم إلا أن يخبروهم بأنهم ذاهبون إلى قرى النصيرية والرافضة، وقد تواترت الروايات بحصول ذلك في كثير من الغزوات التي شنتها داعش على المدن والقرى المحررة.

يمكننا أن نعزو جزءاً كبيراً من نجاح داعش العسكري وتمدها السريع إلى

أو يقف على الحياد، أما لو صمّمت على اتخاذ موقف مهادن وثابرت على التمسك بالحياد الظاهر وعدم رد العدوان فالأرجح أن تخسر الكثير وأن تكون أكبر ضحايا البغي الداعشي.

ثاني أهم تكتيكات داعش التي توصلت بها إلى تطبيق إستراتيجيتها المذكورة هي استغلال حالة الفوضى التي نشأت في بعض المناطق المحررة، والظهور بمظهر المنقذ الذي يقدم أفضل البدائل عن فصائل المجاهدين التي عجزت عن توفير الأمن وفشلت في ردع عصابات اللصوص وقطاع الطرق.

عندما شغلّت الكتائب المجاهدة المخلصة بقتال النظام اضطرت إلى التفاوضي عن مجموعات اللصوص التي انتشرت في كثير من المناطق المحررة وأحالت حياة الناس إلى كابوس. لقد كثرت الأصوات المندادية بالتفرغ لقتال تلك العصابات وتخليص الناس من شرّها وأذاها ولو تسبب ذلك في وقف القتال مع النظام لبعض الوقت، ولكن النداءات الكثيرة ذهبت أدراج الرياح، حتى جاءت داعش فصنعت ما كان ينبغي على الجماعات المجاهدة أن تصنعه، فلاحقت اللصوص وقضت عليهم وأراحت منهم الناس، فكسبت رضاهم وحظيت بتأييدهم ممّا ساعدها على تكريس وجودها في بعض المناطق، فلما أدرك الناس أنهم قايضوا الأمن بالحرية والكرامة وأرادوا استرجاع ما فقدوه منهما كان الأوان قد فات، فقد ضربت داعش جذورها عميقة في الأرض وصار اقتلاعها من الأمور العسيرة.

لعل هذا الدرس من أبلغ ما ينبغي على المجاهدين أن يفهموه، فإن الناس لا يستطيعون الحياة إذا فقدوا الأمان وإذا تسلطت عليهم عصابات اللصوص، ولو أنهم عجزوا عن الصمود فإن حاضنة الثورة سوف تنهار وسيخسر المجاهدون العميق الشعبي اللازم لوجودهم. من أجل ذلك يتوجب على الجماعات المجاهدة، وعلى الجبهة الإسلامية بشكل خاص، أن تكرّس

الأساليب السابقة، غير أن العامل الأهم وسبب نجاحها الأكبر هو «المنظومة الأخلاقية» التي يحملها مشروعا، فقد نجحت في احتلال مناطق واسعة في سوريا لأنها استعملت أساليب يعجز عامة المجاهدين عن استعمالها، أساليب تقوم على الكذب والمكر والخديعة والغدر والخيانة .

داعش فصيل متوسط الحجم، أقل حجماً وقوة من أي واحدة من الجماعات الكبرى، كحركة أحرار الشام وألوية صقور الشام وجيش الإسلام. إذن كيف استطاعت إعادة احتلال نصف الأراضي المحررة ؟

لقد نجحت داعش في إنجاز تلك المهمة القذرة باستعمال أساليب قذرة، أساليب تتطوي على المكر والخديعة والظلم والبغي والعصب والسرقة والكذب والغدر والخيانة. سوف يستغرب أنصار داعش وصفي إياها بهذه الصفات ويقولون: لا يمكن لأي جماعة جهادية أن تستعمل مثل تلك الأساليب .

أقول: صحيح، ولكن من قال إن داعش جماعة جهادية؟ هل تصبح الجماعة جهادية بالمزاعم والأقوال أم بالأفعال والأعمال؟ دونكم ما فعلته داعش بنا ثم احكموا لها أو عليها يا أيها المنصفون.

لنتحدث عن الغدر أولاً: لو استقصينا الأمثلة على غدر داعش فسوف تتحول هذه المقالة إلى كتاب، ومن ثم فإنني أكتفي بالإشارة إلى نوعي الغدر الداعشي: الفردي والجماعي. الأول يتمثل في منح الأمان للرسول ولعامة المجاهدين ثم الغدر بهم واعتقالهم وتعذيب وقتل كثير منهم، وقد ذاعت أخبار ضحايا غدرهم حتى صار يعرفها القاصي والداني من السوريين ومن غير السوريين.

الثاني يتمثل في غدر داعش بالكتائب التي تقاتلها ونقض العهود التي تعقدها معها. من الأمثلة المشهورة على ذلك غدر داعش بالأحرار في مسكنة، فعندما فشل هجومها الأول على البلدة طلبت هدنة لم يتردد الأحرار في الاستجابة لها، ثم

اتضح أنها لم تطلب الهدنة إلا للغدر بهم، فقد استغلتها لاستقدام تعزيزات ضخمة، وعندما وصلت تلك التعزيزات قصفت مقرات الأحرار بالمدفعية ثم حاصرتها وسيطرت عليها، وبذلك سقطت مسكنة في يد داعش الغادرة.

بل إن الحرب التي يخوضها المجاهدون اليوم مع داعش لم تُطلق شرارتها إلا حادثاً غدر مشابهاً، فعندما قررت داعش الهجوم على الأتارب في آخر كانون الأول الماضي أرسلت إليها رتلًا عسكرياً من حريتان، وحين مرّ الرتل بالمنطقة التي تسيطر عليها كتائب نور الدين زنكي حاول الزنكيون وقفه ومنعه من التقدم، فوقع اشتباك نتج عنه قتل عدد من الدواعش وأسّر أكثر من عشرين، فاستسلم الرتل المهاجم ووافق على وقف القتال، وبالمقابل أطلقت كتائب نور الدين زنكي الأسرى وسلمت جثث القتلى لحامية داعش في خان طومان.

ثم اتضح أن مقاتلي داعش كانوا يخادعون بانتظار وصول مؤازرة من الدانا، وما إن وصلت المؤازرة حتى نقضوا العهد وأطبقوا على مجاهدي نور الدين زنكي فأوقعوا فيهم عشرات القتلى والجرحى والأسرى، ثم هاجموا أورم الكبرى فأوقعوا مقتلة في لواء الأنصار وهاجموا قرية بسرطون وأبادوا الزنكيين الذين وجدوهم فيها، وكانت تلك الغدرة هي شرارة الحرب.

تمارس داعش الكذب والثقة كما يصنع الرافضة تماماً، حتى ليخلط المرء أحياناً بين الفريقين ولا يكاد يميز أحدهما من الآخر إلا بلون العلم، فالأصفر لفريق والأسود لفريق.

والعجيب أن داعش تمارس هذا الأسلوب الدنيء على خصومها وعلى جنودها على حد سواء، فما أكثر ما قادت مقاتليها إلى الهجوم على قرى المسلمين المحررة وهي توهمهم بأنهم يهاجمون قرى نصيرية أو رافضية، وقد انتهت بعض تلك الغزوات بضحايا من الأبرياء، وفي حالات أخرى

نجبا الناس عندما استعملوا مكبرات الجوامع لإذاعة الأذان وإشعار المهاجمين المخدوعين بأنهم يهاجمون مسلمين مثلهم، وليس كفاراً أو أعداء كما أوهمهم قادتهم المخادعون الكاذبون.

لقد كذبت داعش ثم كذبت ثم كذبت حتى كُتبت عند الله وعند الناس من أكبر الكذابين.

كذبت فمُنحت الأمان لرسول ومستأسرين ثم قتلتهم غيلة وغدراً بدم بارد.

وكذبت فادّعت أنها من جبهة النصرة ورفعت علم النصرة لتمر عبر حواجز لواء التوحيد وكتائب الجيش الحر مرات ومرات، كان آخرها في حادثة تفجير مدرسة المشاة في الأسبوع الماضي. وكذبت فزعمت أنها تفاوض لحقن الدم فيما هي تبيّت الغدر وهدر الدم، كما صنعت في التفجير الجبان الغادر في قيادة عمليات الراعي قبل أيام.

وكذبت حين وضعت يدها على غنائم مطار منغ وزعمت أنها ستوزعها على الكتائب المشاركة ثم لم تفعل. وكذبت في دعوى

المشاركة في العمليات العسكرية ضد النظام حتى وهم أنصارها فظنوها الفريق المجلّي في كل ميدان، وما لها في سوريا مشاركة تُذكر إلا في آحاد عمليات، ولو سألتهم بعد كل الصخب الذي تسمعه فإنهم يقولون: «منغ والساحل ومستودعات الحمرا في حماة». وفي كل واحدة منها مقال لو شئنا لأوضحناه مطوّلاً، وحتى لو سلّمنا بها جميعاً بلا مقال فأين هذه الثلاث من آلاف العمليات التي خاضتها مئات الكتائب في ثلاث سنين وحررت على إثرها ثلثي أرض سوريا؟

ولعل الكذبة الكبرى التي كذبتها داعش وصدّقها كثير من السدّج أنها جماعة مجاهدة جاءت إلى سوريا لقتال النظام، ولو لم تكذب داعش إلا هذه لكفى بها دليلاً على أنها من أكبر الكذابين!

من أسوأ الأساليب القذرة التي استعملتها داعش للتمدد عبر المناطق المحررة وإعادة

احتلالها أسلوب المكر والخديعة. إن المدن التي احتلتها داعش بالغزو العسكري المباشر قليلة جداً، كإعزاز والباب ومنبج ومسكنة وحزانو وقليل غيرها، أما الجزء الأكبر من المناطق التي احتلتها فقد اعتمد احتلالها على المكر والخداع. فكيف كان ذلك؟

بعد مضي نحو أربعة أشهر على إعلان تأسيس التنظيم الجديد (الدولة الإسلامية في العراق والشام) بدأ سكان المناطق المحررة يشاهدون مقرّات تحمل اسمَه ورايته، فلم يلقوا لها بالاً، ثم بدؤوا يلاحظون الحواجز الجديدة التي أقامتها داعش داخل المدن والقرى وفي مداخلها وعلى الطرق الموصلة بينها، فسكتوا عنها لما قيل لهم إنها لحفظ الأمن، ثم تطورت تلك الحواجز إلى نقاط عسكرية تمكنت داعش بواسطتها من حصار المدن والقرى واحتلالها وطردها الكتائب المحلية منها.

ثم بدأ التنظيم بإظهار قوّته وممارسة سلوك استبدادي تحت غطاء ديني، وكان أوائل ضحاياهم من الإعلاميين وناشطي الحراك المدني، فاعتقل أعضاء المجالس المحلية في تل أبيض ومنبج والباب واستولى على المحكمة الشرعية في تل رفعت وطارد واعتقل إعلاميي الثورة في الرقة وسراقب وحاس وكفرنبل والدانا وحزانو.

ثم انتشرت تلك الممارسات حتى صارت ظاهرة مصاحبة لداعش في كل مكان تتمدد فيه وتسيطر عليه، وصار كل من يعمل في المؤسسات الإعلامية والإغاثية والطبية والدعوية والحقوقية في خطر داهم، فقد اعتقلت داعش منهم مئات واضطر مئات آخرون إلى الهرب إلى تركيا خوفاً من الموت والاعتقال والتعذيب في سجون داعش الذي لم يقلّ سوءاً عن التعذيب في سجون النظام.

(الذي يسيطر على الأتارب) أعلن موافقته على التعاون وتقديم المتهم إلى محكمة شرعية تختار هيئة النصر قضاها إلا أن داعش أصرت على غزو المدينة وسيّرت إليها الأرتال. أليس هذا هو منطق الجيش الأسدي نفسه؟

السرقه والسطو على المال العام من الوسائل التي تستعين بها داعش لتعزيز مواردها، فهي تعتبر أن كل مال عام في سوريا حق لها، وربما مدت يدها أيضاً إلى المال الخاص، ومتى شاءت استلابه من صاحبه وضعت لنفسها ألف تبرير ولم يردعها شرع ولا قانون.

اسألوا سكان المناطق المحررة كم من المصانع والمتاجر والمساكن نُهبَت بحجة أن أصحابها شبيحة أو موالون سابقون أو نصارى لا ذمة لهم ولا أمان، وكم من المنشآت الإغاثية والطبية صادرتها داعش أو خربتها وأتلفت ما فيها من مواد وتجهيزات لأن للهيئات القائمة عليها صلة بالدول الكافرة أو بالائتلاف السوري المرتد.

وما أدري لِمَ هم مغرمون بتدمير وتعطيل المستشفيات على الخصوص، فما أكثر ما خربوه منها أو سلبوا أجهزته ومعداته، وما أكثر ما احتلّوه وحولوه إلى مقرات. إنهم يتركون الأبنية التي بناها الناس للتجارة والسكن ويستولون على البناء الذي بُني وجُهّز ليكون مستشفى يعالج الناس ويخفف معاناتهم، فيعطّلونه ويحولّونه إلى مقر عسكري لهم، أو يهاجمونه بأي ذريعة سخيفة، كالاختلاط بين الرجال والنساء أو الاستعانة بأطباء «جواسيس» من الكفار!

قد لا يصدق القراء الكرام لو عرفوا عدد المستشفيات التي خربتها داعش تخريباً متعمداً، وكأنها موكلة بزيادة معاناة الناس ليسارعوا إلى الاستسلام! هل يعملون أن عدد المستشفيات التي هوجمت وخُربت في الأيام العشرة الأخيرة من شهر

عندما تعجز داعش عن احتلال مدينة من المدن بالمكر والخديعة فإنها تلجأ إلى أسلوب آخر:

البغي والفجور في الخصومة واختلاق الذرائع الكاذبة لتبرير غزو المناطق المحررة. فإذا كانت خصومتها مع فرد من كتية فإنها تستهدف الكتية كلها وتحاربها حتى تستأصلها من جذورها وتعتقل أو تقتل قادتها وتشبّت مقاتليها وتستولي على أسلحتها وأموالها ومقراتها، وإذا أخطأ بحقها فرد من سكان إحدى المدن فإنها تعاقب المدينة كلها فتجتاحها وتحتلها وتقضي على ما فيها من إدارات مدنية وهيئات شرعية، وهي - بهذا البغي والظلم - لا تقل فجوراً وإجراماً عن النظام الأسدي نفسه، والأمثلة على ذلك لا تكاد تحصى.

في منتصف أيلول الماضي أطلقت داعش حملة عسكرية ضد كتائب الجيش الحر في ريف حلب الشرقي تحت عنوان «نفي الخبث»، وقالت إنها «تستهدف عملاء النظام الذين قاموا بالاعتداء السافر على الدولة الإسلامية في العراق والشام، وفي مقدمتهم كتيبتا الفاروق والنصر». وكانت الذريعة السخيفة حسبما جاء في البيان الداعشي: «محاولة أتباع النظام السوري اقتحام مقر الدولة في مدينة الباب عبر مظاهرة مسلحة خرجت أمام المقر، ثم قيامهم بالاعتداء على جنودنا من أنصار ومهاجرين بالسبّ والشتم والضرب وإطلاق النار ورمي القنابل وتحطيم المركبات».

من الأمثلة المشهورة أيضاً الهجوم على لواء عاصفة الشمال في إعزاز بذريعة ملاحقة طبيب ألماني اتُّهم بالتجسس وتصوير مقر الدولة في المدينة، ومنها الحادثة التي كانت سبباً في اندلاع الاشتباكات الأخيرة، فقد أعلنت داعش الحرب على الأتارب بحجة أن أحد أبناء المدينة «رمى راية الدولة على الأرض»! ورغم أن لواء أمجاد الإسلام

إيران سنية

د. محمد بن صقر السلمي - جريدة مكة ٢٧/٤/٢٠١٤

بدأت إيران التي تتخذ من المذهب الشيعي الاثني عشر مذهباً رسمياً لها وتتصب نفسها المدافع الأول عن حقوق الشيعة في العالم، تكشف عن مخاوفها من زيادة عدد الإيرانيين السنة الذي بدأ يحدث تغييراً فعلياً في تركيبها السكانية من حيث الانتماء المذهبي.

وفيما توقع بعض الباحثين والخبراء أن تتحول إيران إلى المذهب السني خلال ربع قرن بناء على إحصاءات سكانية موثوقة أظهرت أن الكفة أخذت تميل باتجاه السنة الذين يتراوح عددهم بين ٢٠ مليوناً و٢٥ مليون نسمة بينهم مليون في طهران، برزت صرخات مدوية من شرائح اجتماعية مختلفة ورموز نخبوية مقربة من القيادة الإيرانية باستدراك الأمر قبل استفحاله وتحول إيران من المذهب الشيعي إلى المذهب السني أو «الوهابي» كما يحلو لإيران تسميته.

ولم يتوان بعض المسؤولين الإيرانيين عن اتهام السعودية وأمريكا بالوقوف وراء زيادة النمو السكاني لدى السنة، خصوصاً في سيستان وبلوشستان على الرغم من الحرمان والفقر.

ولفتوا إلى أن الإيرانيين الشيعة التزموا بسياسة تحديد النسل التي فرضتها الحكومة منذ سنوات، بينما لم يلتزم بها السنة بناء لفتاوى حرمتها أطلقها مشايخهم.

إيران تعود إلى المذهب السني خلال ٢٥ عاماً انتشرت في الأوساط الإيرانية خصوصاً النخبوية منها خلال الفترة الماضية، أنباء وتقارير أثارت هواجس أمنية ومذهبية وسياسية لدى الدوائر الحاكمة في طهران. وهذه المخاوف ليست بسبب تهديدات عسكرية غربية أو شرقية أو عمليات

كانون الماضي فقط (أي قبل بداية الاشتباكات الأخيرة مباشرة) هي ثلاثة مستشفيات: مستشفى اليمضية في جبل الأكراد، وقد توقف عن العمل، ومستشفى الزرزور في حلب، وقد نجّاه الله منهم بفضلته تعالى ثم بفضل الكتائب التي سارعت لإنقاذه، ومستشفى مسكنة الذي استغرق إنشاؤه عشرة أشهر وكلف عشرة ملايين ليرة سورية، فخربته داعش في عشرة أيام وسرقت محتوياته وتجهيزاته فلم يُبق فيه شيئاً يُستفاد منه.

ناهيك عن الحقول النفطية وصوامع الغلال التي استولت عليها في الرقة ولا يعرف أحدٌ ما يُفعل بمواردها على وجه التحقيق، وعن المخابز والمطاحن والمصانع والصيدليات ومستودعات الغاز التي استولت عليها في حلب وغيرها من المناطق، حتى صار الناس يفرّون منها بأموالهم وأموالهم كما يفرّون من جيش الاحتلال الأسدي، وحتى صار السوريون المساكين تحت سيطرتها كمن خرج من تحت الدلف فأنتهى أمره تحت المزارب!

وبعد، فلو أننا بسطنا المقال في خيانات داعش وغدرها وكذبها وتقيّتها وفجورها في الخصومة ونكثها بالعهد ونقضها للاتفاقيات لملأنا مجلداً كبيراً، حتى ما عدنا نعرف هوية هذه الجماعة ومذهبها ودينها، فإننا إذا نظرنا إلى كذبها وخيانتها قلنا منافقون، وإذا نظرنا إلى تكفيرها قلنا خوارج، وإذا نظرنا إلى تقيّتها قلنا روافض، وإذا نظرنا إلى عدوانها قلنا بغاة.

ورغم ذلك كله فما يزال فريق من المخدوعين يظن أنها دولة الإسلام لأنها رفعت راية التوحيد وسمّت نفسها دولة الإسلام! ما أسهل ما تخذع الشعارات والأسماء السدّج المغفلين!

مخابراتية أو استهداف أمني لنخبة البرنامج النووي وعلمائه، بل تبدو للوهلة الأولى أقل من ذلك بكثير، ولكن عند التعمق في تفاصيلها تجد أنها تهديدات حقيقية تكاد تهز عرش نظام ولاية الفقيه، والأصعب من ذلك تعذر الحلول الحقيقية للوقوف في وجه هذا الخطر، ذلك أن أي تعامل مباشر مع هذا التهديد قد يجر مشاكل إضافية للنظام دون محاصرة التهديد الرئيس أو تحجيمه.

استشعار الخطر

فالخطر الذي تشعر به إيران يتمثل في تغيير في تركيبها السكانية من حيث الانتماء المذهبي، علماً أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تتخذ من المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً لها وتتصب نفسها المدافع الأول عن حقوق الشيعة في العالم، وبالتالي لا يمكن لهذا النظام أن يتصور حدوث تغير جذري في التكوين المذهبي، وبدأت الكفة تميل باتجاه أتباع المذهب السني في مجتمع كان إلى فترة طويلة يشكل الانتماء للمذهب الشيعي فيه الغالبية العظمى في البلاد. إلا أن الأمر ليس محكوماً بالأمان والريغبات الشخصية، فالواقع على الأرض يقود إلى الحقيقة المحزنة سواء أكان المرء يتفق معها أو يختلف. ومن هنا جاءت الصرخات المدوية من شرائح اجتماعية مختلفة ورموز نخبية مقربة من القيادة الإيرانية باستدراك الأمر قبل استفحاله وتحول إيران من المذهب الشيعي إلى المذهب السني أو «الوهابي» كما يحلو لإيران تسميته.

ضرب التركيبة

وتزعم تقارير فارسية أن سياسة تنظيم النسل كانت مقبولة من غالبية الشعب (أي الشيعة) إلا أن أتباع المذهب السني يتجاهلون هذا. ويقول تقرير نشر مؤخراً: «إذا ألقينا نظرة على مؤشر النمو السكاني فنجد أن الكثافة السكانية في محافظات طهران وقم وسيستان وبلوشستان ارتفعت بواقع ٣٪». ويضيف: لا نحتاج إلى توضيح أسباب النمو

السكاني في العاصمة طهران، كما أن النمو السكاني في قم يعود إلى الهجرة المتنامية إلى هذا الإقليم، إضافة إلى قربه من إقليم طهران. ويتساءل عن ارتفاع معدل النمو السكاني في سيستان وبلوشستان على الرغم من الحرمان والفقر؟ ثم يجيب: أحد أهم الأسباب الرئيسة الذي يمكن طرحه في هذا الخصوص هو سياسة زيادة تعداد أتباع المذهب السني في إيران وضرب التركيبة السكانية في البلاد، وهي سياسة تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية وتدعمها السعودية. عندما تم طرح هذه المسألة على أحد المهتمين، أكد أن الوضع أكثر سوءاً من ذلك، فسيستان وبلوشستان اللتان تشكلان مركزاً جغرافياً حساساً للنظام، وقاد استقبالهما لأفواج المهاجرين الشيعة إلى تركهما لدواع أمنية ومشاكل أخرى عديدة.

التقسيم المذهبي

وتشير التقارير الصادرة من الداخل الإيراني، إلى أن معدل النمو السكاني في الأقاليم ذات الغالبية السنية أعلى من متوسط النمو السكاني في البلاد بشكل عام، وهذا مؤشر لمفاهيم معينة. فوفقاً لبعض الإحصاءات، يتجاوز مؤشر النمو السكاني في المناطق السنية بثلاثة أضعاف متوسط النمو السكاني في البلاد. وتشير إلى أن تعداد أتباع المذهب السني في إيران يتراوح بين ٢٠ مليوناً و٢٥ مليون نسمة.

وبحسب موقع «نفس نيوز» الإيراني، فإن عدد التلاميذ السنة والشيعة في المرحلة الابتدائية في إيران قد تساوى، لافتاً إلى أن معدل النمو السكاني للسنة بلغ ٤ ٪ بينما معدل الشيعة ١,٧ ٪ فقط.

وهذه النسب والمعدلات تتفاوت نسبياً بين تقرير وآخر، وإن كانت جميعها صادرة عن جهات أو أفراد مرتبطتين بالنظام الإيراني.

تراجع الشيعة

ونقل موقع «شيعة أونلاين» المقرب من النظام الإيراني، عن الأستاذ الأكاديمي بجامعة مشهد الدكتور سيد حسين علوي قوله إن «معدل النمو السكاني في المناطق السنية يصل إلى ٧ ٪، أما في المناطق الشيعية فيتراوح بين ١ ٪ و ١,٣ ٪، وأضاف:

في أحد أحياء مشهد توجد مدرستان للبنات واحدة ابتدائية ومتوسطة، والثانية ثانوية. يشكل الشيعة في المدرسة الثانوية ٨٠ ٪ من مجموع الطالبات، بينما يشكل السنة ٢٠ ٪ فقط. أما في المدرسة الابتدائية فتشكل الطالبات السنة ٨٠ ٪ والشيعة ٢٠ ٪ فقط.

وفي إجابة على تساؤل طرحه شخصيا حول سر هذا الاختلاف في النسب؟ يجيب الأكاديمي الإيراني قائلا: منذ أن اعتمدت سياسة تحديد النسل في البلاد، أصبح عدد أبناء الشيعة في تراجع مستمر مقابل ارتفاع في أعداد المواليد السنة، وتتراوح أعمارهم الآن بين ١٣ و ١٤ عاما، لذا فجميعهم الآن يدرسون في المدارس الابتدائية والمتوسطة، ولكن بعد ثلاث سنوات سينتقلن إلى المرحلة الثانوية وستصبح نسبة طالبات السنة في المرحلة الثانوية ٨٠ ٪ ويصبح الشيعة أقلية لا تتجاوز نسبتهم ٢٠ ٪.

دهشة المسؤولين

وتحدث علوي عن النمو السكاني في بعض المناطق السنية، قائلا إن الوضع في بعض القرى والمدن المختلطة (شيعة وسنة) بلغ حالة «مفرعة للغاية». وأشار إلى قرية يعرفها جيدا كان الشيعة فيها يشكلون ٦٥ ٪ والسنة ٣٥ ٪، أما في الوقت الراهن فأصبح ٨٦ ٪ من أهالي تلك القرية من أتباع المذهب السني.

وفي السياق نفسه، يشير تقرير نشره موقع «شيعة أونلاين» في ٢٠١١، إلى أن عدد أتباع المذهب السني قد تجاوز المليون شخص في إقليم طهران الذي يعد عاصمة التشيع في العالم، أي أصبحت

نسبة السنة في طهران نحو ١٠ ٪. وأضاف هذا المصدر الذي فضل عدم الكشف عن هويته، أن هذه الإحصاءات التي أجريت خلال تلك الفترة (٢٠١١)، أثارت دهشة وقلق بعض المسؤولين في إيران.

موقف المراجع

ربما يعد أول من تحدث بصراحة عن هذه المخاوف بشكل علني، شخص يدعى حجة الإسلام مهدي دانشمند، وكان ذلك عبر مقاطع فيديو انتشرت على الانترنت قبل عدة سنوات، إذ وجه هذا الشخص اتهامات وعبارات سيئة تجاه أتباع المذهب السني، ومعدل النمو السكاني في المناطق السنية في إيران، وعدها مؤشرات مخيفة وتشكل خطرا على تميز المذهب الشيعي في البلاد، مطالباً بمواجهة جدية لهذا الخطر.

من جهة أخرى، تلقي المواقع الإيرانية باللوم على بعض المدارس (غير معترف بها من قبل الحكومة) في المناطق السنية ووصفها بأنها مدارس وهابية باسم أهل السنة. وتزعم هذه المواقع أنها وصلت إلى بعض الوثائق والمستندات التي تؤكد تأسيس مدارس دينية باسم أهل السنة في بعض المحافظات الحدودية، إلا أن مناهج هذه المدارس لا علاقة لها بالمذاهب السنية الأربعة المعروفة، وهي مبنية على «الوهابية» بنسبة ١٠٠ ٪.

تفوق العربية

ويضيف: تركز هذه المدارس على تعليم المعتقدات المعادية للشيعة وتدار بإمكانيات عالية جدا. أما عن برامج هذه المدارس والنظام التعليمي فيها، فيقول التقرير: يمكن التلاميذ في هذه المدارس لمدة أربع سنوات من الصباح حتى العصر، ولكي يحصلوا على شهادة رسمية فإنهم يلتحقون بالثانوية الحكومية مساء ويستمررون في الدراسة حتى الحصول على الدبلوم. خلال ٤ سنوات يقضيها الطلاب في هذه المدارس، يتم تدريس كتب التوحيد وشروح «العقيدة الوهابية» باعتبارها العقيدة الصحيحة، وبعد التخرج يلتحق بعض طلاب

هذه المدارس وبسبب تمكنهم من اللغة العربية، بكليات المعلمين والأقسام الإدارية، إلا أن عددا من هؤلاء الطلاب يتجهون إلى مدارس الوهابية الأعلى، وبعضهم يتم إرساله إلى الخارج لمواصلة دراستهم في هذا المجال، وفقا للتقرير.

إلقاء التهم

وعن الجهات التي تؤمن مصاريف هذه المدارس، يزعم التقرير أن هناك علاقة وثيقة بين «وهابية» (أي السنة) الداخل والدول العربية المجاورة خاصة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية التي تعد الداعم الأول لهذا الفكر وتعمل على تمويله.

بل إن التهم الموجهة لدول الجوار العربي تجاوزت ذلك بكثير، حيث يزعم تقرير نشرته وكالة أنباء «جنوب نيوز» الإيرانية أن السعودية تقدم لكل مولود من أتباع المذهب السني في سيستان وبلوشستان مساعدات مالية كبيرة، وأن علماء «الوهابية» أصدروا مجموعة من الفتاوى التي تشجع الرجل السني الإيراني على الزواج من ٤ نساء وإنجاب ١٠ أطفال، بينما نجد المتدينين الشيعة ملتزمين.

وتوضح هذه التقارير بجلاء مدى الهوس الذي يعيشه الإعلام الإيراني بسبب تصاعد أعداد أتباع المذهب النسي هناك، مما قادهم إلى تجاهل الأسباب الحقيقية والنظر إليها بواقعية والعمل على معالجتها إلى الهروب نحو إلقاء اللوم على جهات أجنبية وترسيخ فكرة المؤامرة واستهداف البلاد لدى المتلقي الإيراني. يذكر أن المرشد الأعلى في إيران آية الله خامنئي قد حث الحكومة على معالجة مشكلة «شيخوخة المجتمع» والعمل على مضاعفة أعداد السكان. كما أن البرلمان الإيراني يسعى لحظر عمليات التعقيم للرجال والنساء، فضلا عن تشديد قوانين الإجهاض في البلاد.

نتائج النسل مسألة وقت

«تجنبوا التفكير في هجوم استباقي على إيران، لأن الوقت والإحصاءات السكانية وتغير النسل

ليست في صالح الحكومة الإيرانية مطلقاً»، الباحث والمفكر الاستراتيجي الأمريكي زبغنيو بريجنسكي.

الحكومة طبقت تنظيم النسل والسنة

حرموه

«إن شيخوخة المجتمع تؤدي إلى هلاك البلاد، وهذه نتيجة غير مقبولة. ولقد جمعني لقاء بالمرشد الأعلى آية الله علي خامنئي وتحدث خلاله عن الهموم العامة في البلاد ومن بينها مسألة تنظيم النسل. في عام ١٩٨٩م كان توجه المرشد الأعلى آية الله الخميني يرمي إلى أن يصبح معدل أفراد الأسرة الواحدة ٦ أشخاص، إلا أن المجتمع توجه، ومع الأسف الشديد، نحو سياسة الاكتفاء بطفل أو طفلين للعائلة الواحدة، وهذا الأمر أدى بعد ربع قرن من الزمن إلى نتائج في غاية الخطورة. عندما كانت سياسة الدولة قائمة على كبح معدلات النمو السكاني، أصدر علماء السنة فتاوى تحرم تنظيم النسل. إن هذه مؤامرة خطط لها الأعداء، وشجعت اليونسكو إيران على اتخاذ سياسة خفض معدل النمو السكاني، ونحن قمنا بتطبيق سياساتهم، وها نحن نحذر الحكومة من التساهل في ذلك، وأن تأخذ المسألة بجدية كبيرة، وألا يتراجع عدد أتباع المذهب الشيعي في إيران في عصر الجمهورية الإسلامية». ممثل إقليم خوزستان (عريستان) في مجلس الخبراء، آية الله حيدري.

سنة إيران معضلة حقيقية

«نحن قلقون من ظاهرة زيادة أعداد المنتسبين للمذهب السني في إيران، نرى في الوقت الراهن أن أهل السنة يقومون بشراء الأراضي والمنازل من الشيعة في ضواحي مشهد ليتمكنوا من رفع نسبة وجودهم في هذه المدينة، وهذا يشكل معضلة حقيقية، ونحذر المسؤولين من التراخي حيال هذا الأمر وإذا لم تتخذ التدابير اللازمة بأسرع ما يمكن فإن الأمر قد يصل إلى مرحلة تصعب معالجتها. فارتفاع عدد أتباع المذهب السني في إيران

يشكل تهديدا حقيقيا على الأمن القومي الإيراني، وإذا تم صرف ريال واحد لنشر أسس مذهب آل البيت، فإن ذلك في حقيقة الأمر سيساعد على أمن وثبات النظام الإسلامي في البلاد». مرجع التقليد المتنفذ آية الله مكارم شيرازي

كل سني ينجب ٢٠ طفلا

«الإحصاءات العامة للنمو السكاني في البلاد بشكل عام لا تشكل أي مؤشرات حقيقية لمخاوف القيادات الإيرانية من تغيير التركيبة السكانية في البلاد، إلا أن الخوف يبدأ عندما يتم مقارنة هذه الإحصاءات مع معدلات النمو السكاني في المناطق الحدودية خاصة بين أتباع المذهب السني بعدد الشيعة. بعد الحملة الدعائية للحكومة الرامية إلى خفض معدلات النمو السكاني، اتجه علماء السنة في البلاد إلى الترويج لرفع معدلات النمو السكاني في مجتمعهم بهدف تحقيق الغالبية في إيران وقد حققوا، حتى الآن، نتائج كبيرة في هذا الصدد. فالسنة يقومون في الوقت الراهن، وبصورة رسمية وغير رسمية، بحملة تشجع أبناء مجتمعهم على الزواج من امرأتين وانجاب ٢٠ طفلا.

إنهم يصرحون برغبتهم في تحويل إيران إلى دولة سنية. من يقوم بزيارة واحدة لمحافظة سيستان وبلوشستان، فسيلاحظ أن الترويج للزواج من ٤ نساء وزيادة النسل أمر متداول ومقبول بين أتباع المذهب السني هناك.

ومن جهة أخرى هناك هجرة متزايدة لأهل السنة من مناطقهم إلى المدن الشيعية بهدف تغيير التركيبة السكانية وهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها أو إنكارها. ففي مدن كثيرة، أصبحت هناك مناطق مأهولة بالبلوش فقط، وقد انتشر ذلك في جرجان ورشت ومشهد علاوة على بيرجند وكرمان وغيره». الأستاذ الأكاديمي بجامعة مشهد الدكتور سيد حسين علوي

بعد ٤٠ عاما سنندم أشد الندم

«إن الترويج لسياسة خفض النمو السكاني وأعداد المواليد في البلاد كان توجهها خاطئا بكل

المقاييس، وإذا استمرت هذه السياسة فإننا بعد ٤٠ عاما سنندم أشد الندم على تطبيقها، لأن نسبة الشيعة في إيران حينئذ لن تكون متوازنة مع بقية الأقليات، وسنشهد تغييرات كبيرة وواسعة، الأمر الذي بدأنا نلاحظه الآن في بعض المدن الإيرانية. هناك من أعداء الإسلام من قد يستغل الفقر والمشاكل الثقافية في مناطق. إن تغيير التركيبة السكانية وإزالة الغالبية الشيعية في إيران خاصة في المناطق الحدودية وكذلك توزيع أتباع المذهب السني في مدن مختلفة، تعد إحدى مخططات السعودية و«الوهابية» تجاه إيران.

ونحن نحذر من نشاطات المجموعات «التكفيرية» التي تهدف إلى إيجاد اضطرابات وفتنة في بعض المحافظات الإيرانية، ويجب أن يكشف علماء الدين جهودهم في سائر قرى ومدن البلاد حتى يتم التصدي فورا لأي نشاط منحرف ومعاد للدين في هذه المناطق، كما يجب التنسيق والتعاون مع المسؤولين في سبيل بدء برامج توعوية في هذا الصدد». مرجع التقليد في قم آية الله جعفر سبحاني

تغيب الحقائق وتهيج شعبي

تتجاهل تصريحات الشخصيات الإيرانية التي تحدثت عن مسألة تغيير التركيبة السكانية في إيران، جانبا مهما وبشكل متعمد، إذ تشير تقارير كثيرة إلى موجة تسنن في المجتمع الإيراني خاصة بين المنتمين إلى الأقليات العرقية غير الفارسية، بسبب التهميش الذي يمارسه النظام ضد هذه الأقليات.

ويعترف الإيرانيون بأن المحافظات التي تقطنها الأقليات العرقية كالأقلية العربية والكردية والأذرية تعاني من نقص كبير في الخدمات العامة مقارنة بمحافظات وسط إيران حيث العرق الفارسي، كما أشار أحد التقارير صراحة عند حديثه عن إقليم سيستان وبلوشستان. لقد تجاهل رجال الدين في إيران الإشارة إلى ذلك خشية لفت الأنظار إلى هذه الظاهرة ومن ثم انتشارها بوتيرة أعلى، لذا فقد ذهبوا في تصريحاتهم حول ارتفاع

أعداد المنتمين إلى المذهب السني في إيران إلى التركيز على ارتفاع معدلات المواليد فقط. وفي هذا الصدد، عمد النظام الإيراني خلال السنوات القليلة الماضية إلى الزج بالآلاف من رجال الدين الشعية إلى المناطق التي شهدت موجة من اعتناق المذهب السني وذلك لمواجهة هذه الظاهرة كما تم تأسيس قنوات تلفزيونية جديدة ذات صبغة مذهبية تبث بلغات الأقليات العرقية وكذلك مدارس دينية أيضا.

إضافة إلى ذلك، شن مرجع دين شيعي في الأحواز ذات الغالبية العربية، هجوماً على دول الخليج العربي كالسعودية والإمارات والكويت متهما إياها بالعمل على نشر المذهب «الوهابي» (السني) بين الشيعة في الأحواز. وقد أشار مندوب خطيب الجمعة وممثل آية الله خامنئي في الأحواز آية الله موسوي جزائري إلى إن «الوهابية» المنتشرة في أنحاء الأحواز ستتراجع أمام مد التشيع، وذلك لحقانية مذهب الشيعة، وإن مصير «الوهابية» سيكون الفشل المحتم»، على حد زعمه.

وفيما يتوقع خبراء بأن يشكل السنة الغالبية العظمى في إيران خلال ٢٠ عاما فقط، أشار تقرير نشره موقع «نفس نيوز» الإيراني إلى مخاوف من تحول إيران إلى دولة سنية، قائلا: إن قراءة مثل هذه الأخبار أمر مؤسف لكل شيعي لأننا الدولة الشيعية الوحيدة في العالم. من المؤكد أننا لن نستطيع أن نجيب إمامنا الغائب (المهدي المنتظر) خاصة أن مقولة «أطفال أقل، حياة أفضل» قادتنا إلى نوم عميق، يجب أن نستيقظ منه.

من جانب، آخر يشير أحد المواقع إلى المخاوف من تزايد أعداد السنة وارتفاع معدلات النمو السكاني بينهم بنسبة تصل أحيانا إلى ٧ ٪ ويؤكد أنه إذا ما استمرت هذه النسبة فإن أهل السنة في إيران سيشكلون الغالبية خلال ٢٠ عاما، مبينا أن التركيبة السكانية في إيران ستصبح خلال ٥٠ عاما ٧٠ ٪ للسنة مقابل ٣٠ ٪ للشيعية.

ويضيف الموقع: لقد أبدى أحد الشخصيات البارزة في النظام قلقه من هذا التطور، وقال: كيف يمكننا التأكد من عدم مطالبة أهل السنة في القريب العاجل بالحصول على منصب وزير أو حتى رئاسة الجمهورية إذا استمر الوضع على ما هو عليه الآن؟

ويقول آية الله حيدري: سيصبح معدل النمو السكاني في البلاد صفرا بحلول ١٣٩٥ هـ.ش./ ٢٠١٧ م، وبعد ذلك سيتحول إلى نمو سلبي، إلى درجة أن التوقعات تشير إلى تراجع عدد سكان إيران في ١٤١٥ هـ.ش «٢٠٢٦ م» ليصبح ٤٥ مليون نسمة، وقد يتحول السنة إلى أغلبية خلال ربع قرن تقريبا إن لم يتم اتخاذ إجراءات مناسبة في هذا الصدد.

مبررات

يركز رجال الدين الشيعة الذين أخذوا على عواتقهم حملة التحذير من ما يرونه خطر تحويل إيران إلى المذهب على الخلافات المذهبية تارة والسياسية تارة أخرى. يقول الدكتور علوي، الأكاديمي بجامعة مشهد: قد يتساءل البعض قائلا: يعتبر أهل السنة والجماعة الحاكم المسلم «ولي الأمر» ويمثلون له بالطاعة ويرون ذلك واجبا شرعيا، فكيف خالفوا سياسات الحكومة؟ الإجابة على ذلك واضحة جدا، لقد تحول السنة مع مرور الزمن إلى الوهابية التي تحرم طاعة الحاكم الشيعي وتبيح مواجهة الشيعة بكل طريقة ممكنة وترى ذلك أمرا يوجب الثواب. علاوة على ذلك، تحاول بعض تلك الشخصيات إبراز الأمر بالمؤامرة التي يحيكها الأعداء ضد إيران وأن أتباع المذهب السني في إيران يتعرضون لحملة تضليل وتوجيه من قبل جهات خارجية.

فيزعم موقع «فرهنگ نيوز» الإيراني أن الأعداء الدائمين والقدامى للأمة الإيرانية المسلمة يعيشون حالة من الذعر الشديد بسبب عظمة هذا الشعب لذا فهم يستهدفون الجمهورية الإسلامية في إيران

الزيارة، وفي طريق عودته عرج على المحمرة، ليزور الشيخ خزعل بن جابر حاكم الأحواز، شارحاً له الوضع السائد في إيران، وما لاقاه من ضغوط بريطانية، طالباً منه أن يعضده ويحمي عرشه، فاستجاب خزعل وعاهده على ذلك، ومن هنا بدأ العد العكسي لاحتلال الأحواز.

كان الوضع في الأحواز حينها، هادئاً مستقراً، منتعشاً اجتماعياً واقتصادياً، بينما عانت بلاد فارس من تدهور الحال مع قطع بريطانيا المنح المالية عنها، فحصلت المجاعة الفارسية الكبرى (١٩١٧ - ١٩١٩) أرواح تسعة ملايين نسمة، ولما فشلت حكومة فتح الله الرشدي بالوصول إلى تفاهات مع بريطانيا، زرع ذلك استقرار إيران، ما أدى إلى بروز رضا خان البهلوي عام ١٩٢١، وبدفع من بريطانيا قام بانقلاب عسكري وزحف على طهران، ليعين بعدها رئيساً للأركان، ثم وزيراً للدفاع، ويبدأ في سياسة الغزو والتمدد، إذ أرسل جيشاً ليستقر على حدود الأحواز، فاجتمعت كلمة خزعل ورؤساء البختيارية على صد تلك القوات، واشتبكت عشائر البختيارية مع ذلك الجيش وأفتته عن آخره، وهكذا فشلت محاولة رضا خان الأولى في غزو الأحواز.

هذا الفشل جعل رضا خان يستولي على رئاسة الوزراء، ثم توصل مع بريطانيا، التي كانت على عدااء مع أحمد شاه، إلى خطة محكمة تنص على إثارة خزعل ضد إيران، حتى يتمكن رضا خان من إرسال الجيوش الإيرانية لغزو واحتلال الأحواز. وقد حصل ذلك بالفعل، فبعد عدد من التحرشات الإيرانية بالأحواز، أعلن خزعل ثورته ضد رضا خان، في رسالة نصت على «إنني لا اعترف بتوليكم رئاسة الوزارة وأعتبركم شخصاً غاصباً ما لم تسع إلى إعادة الشاه إلى إيران، وعند عدم تلبية هذا الطلب فسأرسل جيشاً لاحتلال إيران وأدخل طهران فاتحاً واستدعي الشاه ليتسلم عرشه».

بهذا نجحت بريطانيا في إثارة خزعل، ولما لم

بصفتها أكبر دولة شيعية في العالم الإسلامي استطاعت، على مدى العصور، أن تحمي الإسلام النقي وتحافظ عليه «هكذا يوصف المذهب الشيعي الإمامي في إيران». ويضيف التقرير أن السلطات الإيرانية اكتشفت رسالة بعثها زعيم «الوهابية» في باكستان إلى علماء أهل السنة والجماعة في إيران والمتأثرين بالفكر السعودي، ويكفي أن نورد جملة واحدة من هذه الرسالة لكي نبين أهدافهم: لا يهم إذا لم تجدوا عشاءكم ولكن اجتهدوا في إكثار النسل، فمستقبل إيران بين أيديكم.

الذكرى ٨٩ للاحتلال:

كيف سقطت الأحواز؟

يعقوب زرقاني - السياسة الكويتية

«الأحواز بلاد مختلفة عن فارس كاختلاف

إسبانيا عن ألمانيا»، هذا اقتباس من كتاب «مذكرات ضابط سياسي في جنوب غرب بلاد فارس» لسيرويلسون المفوض المدني البريطاني في بغداد (١٩١٨ - ١٩٢٠)، واليوم بعد ٨٩ عاماً من احتلال إيران للأحواز، لا يزال الكثير من العرب يجهل كيف بدأ هذا الاحتلال. في ما يأتي ذكر لأهم الأسباب التي أدت إلى «تقويض الحكم العربي في الأحواز» على حد وصف المؤرخ حسين خلف الشيخ خزعل.

في نهاية الحرب العالمية الأولى، أخذت

الشيوعية طريقها إلى إيران ما هدد المصالح البريطانية هناك، فأبدت بريطانيا مخاوفها من وصول روسيا إلى المياه الدافئة في الخليج العربي، وبدأت بحض طهران على توقيع معاهدة حماية (١٩١٩)، غير إن محاولات بريطانيا لإبرام تلك المعاهدة باءت بالفشل، فهددت ملك إيران حينذاك، أحمد شاه، عند زيارته لندن، من أن ذلك سيؤدي به إلى فقدان عرشه، فعاد إلى طهران قاطعاً

وحل النزاع بالطرق السلمية مقابل الشروط التي يرتضيها، وما إن وافق خزعل على ذلك حتى تم أسره مع ولده ولي عهده عبد الحميد في ١٨ أبريل ١٩٢٥ فنفيًا إلى طهران، فيما دخل رضا خان الأحواز محتلاً. وقد وردت في مذكراته، وصية لابنه محمد رضا شاه «لقد طهرت لكم شاطئ الخليج الشرقي من العرب، وعليكم مسؤولية تطهير الشاطئ الغربي منهم».

العلويون في تركيا..

مشاكلهم ومطالبهم

محمد زاهد غول - القدس العربي ٢٠١٤/٤/٢١

تبنت حكومة حزب العدالة والتنمية منذ صعودها إلى السلطة منهجاً يركز على سياسة الانفتاح والحل بشأن القضية العلوية، وأطلقت عام ٢٠٠٩ سلسلة من المؤتمرات لحل القضية العلوية برعاية وزير الدولة «فاروق تشليك»، وهي تجربة أولى لم يقدم أحد على تنفيذها قبل ذلك، إلا أن هذه التجربة لم تسهم إلى الآن في إيجاد حلول عملية لهذه القضية.

لا يخفى على أحد أن المواطنين العلويين في تركيا قبل عشر سنوات مضت كانوا يتعرضون لضغوط من الدولة ومن أفراد الحيّ بوسائل وأشكال مختلفة، بعض النظر عن الطبقة التي ينتمون إليها. وفي الواقع فإن مشاكل العلويين هي مشاكل نابعة في الأساس من البناء السياسي والاجتماعي في تركيا الذي يؤثر فيه جميع المواطنين بشكل أو بآخر. وإذا ما نظرنا للمشاكل التي يعاني منها العلويون نجد أن أياً منها لا يحمل في طياته صفة بنيوية، بل يمكن حل بعضها بإدخال تعديلات على الدستور والقوانين، وأما القسم الأكبر منها فيمكن حله خلال فترة

يكن أمام خزعل سوى الاستمرار، رفع شعار «إما لحدودها وإما كراسيها»، فتوافد عليه ٢٥ ألف مقاتل من الأحوازيين، فجهزهم بأسلحة حديثة ووزع عليهم المهمات، ثم دعا جيرانه من القبائل الإيرانية المعادية لرضا خان للاشتراك معه في تلك الثورة، فلبى دعوته يوسف خان «أمير مجاهد» ثم وفد اثنان من رؤساء البختيارية وهما مرتضى قليخان، وشهاب السلطنة على رأس ثلاثة آلاف مقاتل ثم التحق بهم عدد كبير من أولئك الرؤساء حتى بلغ مجموع القوات المقاتلة في الأحواز العاصمة ٣٥ ألفاً بين احوازيين وإيرانيين.

عندما اجتمعت تلك القوات لدى خزعل،

أعلن حزبا سياسيا اسماء «حزب السعادة»، ثم قدم عريضة رسمية إلى عصبة الأمم سجل فيها دعوى ضد رضا خان رئيس وزراء بلاد فارس بالاعتداء على إمارته العربية المستقلة. كما أرسل عبر السفير التركي في طهران برقية إلى المجلس النيابي الإيراني يشكو فيها مضايقة رضا خان. أما الأخير، فأعلن في أكتوبر ١٩٢٤ التعبئة العامة، فتقاطرت جميع الفرق الإيرانية على طهران ثم أمرها أن تسير إلى الأحواز، فزحفت تلك الجيوش بعد أن قسمت إلى أربع فرق، كل فرقة منها سارت في اتجاه لغزو الأحواز من كل نواحيها، وكانت هذه أكبر تعبئة شهدتها إيران الحديثة في تاريخها العسكري «قبل الحرب العراقية - الإيرانية». للتصدي لهذا الغزو، تموضع جيش الأحواز على طول جبال البختيارية، وطيلة شهرين من المناوشات والقتال لم تتمكن الجيوش الإيرانية من اختراق حدود الأحواز وباءت جميع محاولاتها العسكرية بالفشل فما كان من رضا خان إلا أن التحق شخصياً بتلك الجبهة.

عندئذ تدخلت بريطانيا، وشرعت بتمثيل دور

الوسيط المحايد، وطلبت من خزعل وقف القتال

قصيرة من خلال بعض الإجراءات من قبيل التطبيقات الشرطية ذات الصلة.

وأما تلبية بعض طلبات العلويين مثل إعادة فتح التكايا الخاصة بهم فتحتاج إلى تعديلات أكثر جذرية. وفي هذا السياق، نرى أن مسألة اعتبار بيوت الجمع أماكن عبادة العلويين في تركيا - أماكن للعبادة معترف بها من قبل الدولة تأتي في مقدمة الطلبات التي يتفق عليها جميع ممثلي الطائفة العلوية تقريباً. غير أنه علينا ألا ننسى أن الدولة ليست لديها سلطة أو صلاحية تسمح لها بالاعتراف ببيوت الجمع على أنها أماكن للتعبّد. ويمكن الاعتراف ببيوت الجمع ودعمها من قبل وزارة الثقافة كحل وسط بدون الدخول في مناقشة مسألة تعريف العبادات لدى الدولة.

أصوات العلويين تُسمع من الآن فلاحقاً

يطالب العلويون في تركيا ببعض المطالب التي يمكن أن نصفها بـ«غير المباشرة»، وهذه المطالب هي إلغاء رئاسة الشؤون الدينية، وحظر الدروس الدينية الإلزامية في المدارس، وحتى إلغاء مبدأ العلمانية وغيرها من المطالب التي لا تهم مسألة تحسين أوضاع العلويين بشكل مباشر، والتي حتى إن تم تطبيقها ستشكل تدخلاً في حقوق سائر أطياف المجتمع. وقد أعرب العلويون عن استيائهم وقلقهم من التصريحات التي تطلقها الغالبية العظمى من السُنّة في تركيا بشأن عدم اعتبار العلوية مذهباً أو طائفة إسلامية.

وتظهر المعطيات التي بين أيدينا حالياً أن الغالبية من السُنّة بدأت تسمع أصوات العلويين ومطالبهم، وأصبحت أكثر استعداداً لفهمهم، الأمر الذي أحيى آمال الكثيرين بشأن حل مشكلة التفرقة بين السنيين والعلويين في تركيا.

تقرير العلويين

أعدت إحدى المؤسسات البحثية تقريراً حول المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها العلويون في تركيا بهدف إلقاء الضوء عليها. ويعكس التقرير وجهة نظر المجتمع التركي وتوجهاته السياسية

والاجتماعية إزاء القضية العلوية. وقد مرت عملية إعداد التقرير بمراحل من الشفافية واحترام المعايير كي يعكس الحقائق دون نقص أو زيادة. وقد قامت بإعداد التقرير لجنة مكونة من ٦٤ شخصاً ما بين أكاديميين وعلماء اجتماع وإحصاء وسياسة وغيرهم. وأجريت الدراسة عبر عقد لقاءات مع ٢٢١٧ جمعية مختلفة، منها ٦١٤ جمعية علوية، في ٢٦ محافظة في عموم تركيا.

مطالب وتأويلات مختلفة

أظهرت هذه الدراسة أن تعريف العلوية وكذلك الحقوق التي يطالب العلويون المقيمون في مختلف مدن تركيا تختلف كثيراً عن بعضها البعض، كما أشارت إلى أن العلويين أنفسهم ليس بينهم اتفاق في وجهة النظر حول ما إذا كانت العلوية طريقة صوفية أم مذهباً منفصلاً أم ديناً مستقلاً أم حتى مجموعة عرقية؟ فبينما يؤمن ٤٨,٦٪ من الذين خضعوا للدراسة من العلويين أن العلوية ما هي إلا مذهب إسلامي، قال ١٩,١٪ إنها توجه ثقافي، فيما أقر ١٢,٣٪ بأنها دين مستقل. هذا في الوقت الذي اعتبر فيه ٥٧,١٪ من الخاضعين للدراسة من غير العلويين أن العلوية هي مذهب إسلامي.

ونرى من خلال هذه الدراسة أن العلوية خرجت في بعض مدن تركيا من كونها معتقداً دينياً وألبست حلة الهوية العرقية، وعندما وُجّه سؤال إلى ممثلي الجمعيات العلوية التي خضعت للدراسة مفاده، أي المجموعات العرقية التي تعتبرون أنفسكم تابعين لها؟، أجاب ٢١,٣٪ أنهم يعتبرون أنفسهم مجموعة عرقية مستقلة، فيما أجاب ١٧,٢٪ من الخاضعين للدراسة ١٨,٥٪ من المواطنين العلويين أنهم لا يتبعون مجموعة عرقية منفصلة، بل هم مواطنون أتراك يقيمون في جمهورية تركيا. وهو ما أظهر بوضوح أن تعبير، أنا مواطن تركي وطني تركيا «الذي وضعه رئيس الوزراء، رجب طيب أردوغان» للتخلص من مسألة الهوية، قد لاقى ترحيباً لدى قسم كبير من المجتمع التركي. وكشفت الدراسة أن ٦١,٣٪ من العلويين في

تركيا لا يؤمنون بأي إيديولوجية فكرية معينة، وأن ٣١٪ منهم يؤيدون الفكر اليساري، و٧,٧٪ منهم يدعمون الفكر اليميني.

وأضافت أنه رداً على سؤال حول توجهات الهوية الدينية، أجاب ٧٦,٤٪ من الخاضعين للدراسة أنهم «علويون»، فيما وصف ٢٠,٧٪ أنفسهم بأنهم مسلمون.

وأكد ٢٩,١٪ من العلويين المشاركين في الدراسة أنهم لا يذهبون إلى بيوت الجمع، بينما أشار ٣٠,٤٪ أنهم يحصلون على معلوماتهم الدينية من عائلاتهم، و٢٣,٧٪ أنهم يحصلون عليها من الكتب، وأوضح ١٦,٢٪ أن بيوت الجمع تشكل بالنسبة مصدراً لاكتساب المعلومات الدينية.

المشكلة المشتركة مختلفة للغاية

وجّه القائلون على الدراسة سؤالاً إلى المشاركين في البحث مفاده، «ما هي أكبر مشكلة تواجهها تركيا؟»، فجاءت مشكلة العلويين في المركز الـ ١٣ على قائمة أكبر المشاكل التي تواجهها تركيا، فيما أعرب ١٪ الخاضعين للدراسة أن هذه القضية تلقى الدعم اللازم. فيما اعتبر العلويون المشاركون في الدراسة أن مشكلتهم تحتل المرتبة الـ ٨، وقال ٢,٨٪ أن القضية تلقى الدعم الكافي.

وتلقى المشاركون في الدراسة سؤالاً يقول «هل تعتقد وجود مشكلة للعلويين في تركيا؟»، فأجاب ٨٧,٢٪ من العلويين بأن هناك مشكلة يعانون منها في تركيا، في وقت أقر ٣٣,١٪ فقط من غير العلويين الخاضعين للدراسة بهذه الحقيقة. وبالنظر إلى اختلاف العرق، اعترف ٣٣,٩٪ من الأتراك بوجود المشكلة، فيما أقر ٥٧٪ من الأكراد بوجودها.

وأضافت الدراسة أن ٧٤,٩٪ أجابوا بنعم بإصرار على سؤال «هل تؤمن بضرورة اعتراف الدولة ببيوت الجمع على أنها أماكن للعبادة؟»، في الوقت الذي أعرب ٢٨,٢٪ من الخاضعين للدراسة من غير

العلويين عن اعتراضهم على هذه الخطوة ورفضهم لها.

وطالب ٧٣,٣٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بضرورة تشكيل هيئة عليا مستقلة تهتم بشؤونهم الدينية كرئاسة الشؤون الدينية التي تهتم بشؤون الأغلبية من السنة، فيما أعرب ٢٣,٩٪ فقط من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن دعمهم لهذا المقترح، ما يثبت لنا عدم وجود اتفاق مجتمعي حول هذه القضية.

قضية التمثيل السياسي

أجاب ٦٠٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بالإيجاب على فكرة تأسيس حزب سياسي يمثلهم، فيما أكد ١٠٪ فقط من الخاضعين للدراسة أن هناك حزبا سياسيا قائما بالفعل يمثل العلويين في الحياة السياسية في تركيا.

من الملاحظ أن حكومة حزب العدالة والتنمية تسير بخطى ثابتة من أجل إيجاد حل لمشاكل العلويين، غير آبهة بوجود العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجهها تركيا في الوقت الراهن، وذلك بالرغم من تصرف العلويين أنفسهم إزاء الحكومة وفق الأحكام المسبقة، وينبغي للحكومة اتخاذ خطوات أكثر جذرية من أجل حل هذه المسألة. وحتى أن إظهار إرادة حل المشكلة يعني أن هناك سعيا جادا لمواجهة الماضي، وهو ما يعتبر في حد ذاته مكسباً كبيراً.

وبدأت في عام ٢٠٠٩ مبادرات الانفتاح التي أطلقتها حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا من أجل إيجاد حلول لمشاكل مستعصية يأس أصحابها من حلها في الماضي، وقد حاولت حكومة الحزب الحصول على دعم المعارضة في هذه المشاكل المستعصية، لكن دون جدوى.

غير أنها حصلت على دعم العديد من المثقفين والعلماء وأصحاب الرأي من الذين يؤمنون بأن النهج التقليدي لن تحل المشكلة ولن تحقق الوحدة والتكاتف بين أبناء الوطن الواحد.

سقف مطالبهم، خصوصاً وأن العديد من السياسيين بدأ بتقديم الوعود لحل مشاكلهم.

إيران ومحيطها الأمني

د. سلطان محمد النعيمي - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٤/٢٠

تنتهج الأنظمة التي تراودها الشكوك من نيات الدول الأخرى والرغبة في الإطاحة بها، أساليب تجد فيها الطرق الناجعة لدرء تلك المخاطر. ويأتي توسيع المحيط الأمني نموذجاً لدرء تلك الهواجس. إن دراسة مفهوم المحيط الأمني وأثره على مدى بعد أو قرب التهديد، وإسقاط هذه الدراسة على دولة مثل إيران ونظامها، ربما تعلق سبب استمرار نهج النظام الإيراني لسياساته التي تأتي مغايرة في العديد من المواقف لتوجهات دول المنطقة، بل إنها تسير في بعض الأحيان مهددة لاستقرار المنطقة.

بداية، يعرف المحيط الأمني بأنه الحيز أو المساحة التي في حال جرى اختراقها من قبل طرف آخر بأي وسيلة من الوسائل، يعدّ تهديداً مباشراً لأمن تلك الدولة. ويتوقف نطاق المحيط الأمني على قدرة البلد وسعة نفوذه في العالم الخارجي، فكلما كانت قدرة ونفوذ البلد ضئيلة، كان محيطه الأمني محدوداً أيضاً، والعكس صحيح.

لقد كان للتحويلات التكنولوجية واختراع الأسلحة بعيدة المدى، دور في زيادة القابلية العسكرية للدول للقيام بالهجوم ما وراء الحدود الوطنية، وبالتالي دفع دائرة التهديدات إلى أبعد نقطة خارج تلك الحدود. وتتمثل تلك الوسائل في التالي: الصواريخ الباليستية بعيدة المدى، والطائرات الهجومية، والخلايا والتنظيمات السياسية أو العسكرية في الدول المجاورة، وإنشاء قواعد وتحالفات عسكرية، وإقامة نظام أمني مع دول الجوار.

وفي الوقت الذي أقدمت فيه الحكومة على خطوات جديرة بالملاحظة من أجل حل القضية الكردية، لم تظهر الحماس ذاته في التعامل مع قضايا العلويين من أجل فهمها والعمل على حلها. وتعتبر عملية الاستقطاب السياسي التي شهدتها تركيا مؤخراً والموقف المتشدد للمعارضة من العوامل الأساسية لتفاقم هذا الأمر. بيد أن المسألة العلوية - مثلها كالقضية الكردية - من الممكن أن تتسبب في نشوب صراعات اجتماعية، وتمهد لأرضية خصبة لمحاولات الاستغلال الدنيئة الرامية لتهديد وحدة الوطن، وينبغي لتركيا في الوقت الذي تسعى فيه لأن تكون مؤثرة في محيطها الخارجي، أن تبذل جهوداً حثيثة من أجل تحقيق الوحدة والترابط بين أبنائها بكافة أطيافهم وتوجهاتهم، ولكن علينا ألا ننسى أن هذه المهمة لا تقع على عاتق الحكومة فحسب، بل هي قضية تهم كل فرد في تركيا.

النظام مصدر المشكلة

إن المشاكل التي يواجهها علويو تركيا في الوقت الراهن تحتاج إلى دراسات جادة دون التغاضي عن أبعادها التاريخية والسياسية والاجتماعية، ويتحتم علينا عدم الاكتفاء بتحليل موقف الحكومة ومطالب العلويين والظروف التي تعيشها تركيا الآن من زاوية منظورة فقط، بل يجب القيام بعملية استطلاع رأي شاملة من أجل رصد الصورة الواقعية قدر المستطاع، كما يجب علينا ألا ننسى أن وصف القضية العلوية بـ 'المشكلة' هو مشكلة في حد ذاته، فيجب الاعتراف أن هناك مشكلة ومصدرها هو النظام الذي لم يلب مطالب العلويين.

إن السياسات التي انتهجتها الحكومات المتعاقبة في تاريخ جمهورية تركيا علقت العمل على حل العديد من القضايا، وعلى رأسها مسألة العلويين لفترة طويلة. إلا أن مبادرات الانفتاح التي أقدمت الحكومة على طرحها مؤخراً أولت اهتماماً أكبر بتناول قضايا العلويين، الأمر الذي رفع من

يلتفت صانع القرار السياسي والاستراتيجي والعسكري داخل دائرة النظام الإيراني ليجد نفسه منذ نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، مع سقوط الشاه وظهور الجمهورية الإيرانية، محاطا بالتهديدات. فالنظام الإيراني لا يزال ينظر إلى الغرب بعين الريبة، ويرى أن الهدف المنشود للسياسة هنالك هو الإطاحة بالنظام القائم في إيران. ويأتي الوجود الأميركي في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) يليها الاحتلال الأميركي للعراق في ٢٠٠٣، ليزيد من تلك المخاوف التي لا تفتأ تظهر في تصريحات المسؤولين الإيرانيين، فمرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي في تصريحاته الأخيرة يرى أن الغرب مهتم بتغيير النظام، أكثر من إنهاء الخلاف الخاص ببرنامج بلاده النووي.

هذه المخاوف دفعت بالنظام الإيراني إلى السعي الحثيث لتأمين محيطه الأمني، والسعي إلى الدفع به بعيدا عن حدود الدولة. من هذا المنطلق طالب النظام الإيراني بإقامة نظام أمني في الخليج يضم إيران مع دول الخليج العربي، وأكد أن أمن الخليج رهن بالدول المطلة عليه، وبالتالي لن يعود للوجود الأجنبي مبرر لبقائه والذي يأتي بدوره مهددا له.

لا شك أن مثل هذه الفكرة التي جاءت في مقال سابق لوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف في صحيفة «الشرق الأوسط»، تلقى قبولا في شكلها وإطارها العام، غير أن السير بعيدا في تفاصيلها يجعل المتتبع يتساءل كيف يمكن لهذه الفكرة أن تبصر النور في ظل الملفات العالقة بين إيران ودول الخليج العربي من قبيل قضية الجزر الإماراتية المحتلة والاستمرار في التدخل في شؤون دول الخليج، وغير ذلك من الإشكاليات التي تأتي بحق معضلة أمام مثل هذا الطرح.

وبالتزامن مع هذه النداءات، فإن النظام الإيراني لم يدخر جهدا في الوقت ذاته لتوسيع محيطه الأمني عن طريق السعي للحصول على

الوسائل الأخرى التي من شأنها تحقيق ذلك المبتغى، من قبيل تطوير منظومة الصواريخ بعيدة المدى والتي يصل مداها إلى قرابة ألفي كيلومتر.

ويأتي ما يطلق عليه بمحور المقاومة واستمراره هدفا منشودا للنظام الإيراني لتعزيز محيطه الأمني. فبقاء الحليف الاستراتيجي المتمثل في نظام بشار الأسد، بالإضافة إلى الاستمرار في دعم حزب الله وحركة حماس والجهاد الإسلامي.. هو لا شك رادع معزز للمحيط الأمني للنظام الإيراني. ولذا يرى قائد فيلق القدس قاسم سليماني أن دعم المقاومة هو الضمان الحقيقي لمصالح إيران، وتأتي جبهة المقاومة بوصفها أحد العوامل الرئيسية التي تضمن المصالح الوطنية في الحاضر والمستقبل.

هل اتضح إذن لماذا يستमित النظام الإيراني دفاعا عن الأسد؟ وهل أدركنا الآن المعنى الحقيقي لتصريح قائد سلاح الطيران في الحرس الثوري الإيراني، حين قال إن بقاء الأسد في السلطة لأن إيران أرادت ذلك؟

إن استشراف المستقبل يشير إلى أن النظام الإيراني في ظل مخاوفه وهواجسه من نيات الغرب، سيدفع لا شك إلى سعيه لتوسيع محيطه الأمني، والذي سيخلق من جانبه مزيدا من الاضطرابات في المنطقة.

لا خلاف على أن إيران دولة إقليمية مؤثرة في المنطقة ولها الحق في الحفاظ على مصالحها، ولكن تبقى هناك قواعد للعلاقات الدولية لا بد من مراعاتها.. فتوسيع هذا المحيط ليأتي على حساب الدول المجاورة سيخلق معه المزيد من التوتر، وهو أمر يتنافى مع ما تقدمت به حكومة روحاني نحو تعزيز العلاقات بدول المنطقة وخاصة الخليجية منها، ويضع معه تساؤلا حول مبادرة روحاني الأخيرة لإقامة تعاون إقليمي مشترك، باعتبار أن الأمن في المنطقة هو مسؤولية جميع دولها عبر منظمة أو اتفاق.

إن فكرة التعاون الإقليمي المشترك التي تقدم بها الرئيس الإيراني حسن روحاني ستلقى

والتغطية والإنكار والاستغلال والتوظيف والازدواجية والاختراق والترهيب والردع والمواجهة غير المتوازنة، نجحت حتى الآن في أن تشكل توليفة من الأدوات التي تسلحت بها سياسيا وعمليا وتحولت جميعها مع مرور الوقت إلى جوهر ما يمكن تسميته بـ«فن البقاء الإيراني» الذي يتمحور حول تأكيد حالة عدم اليقين لدى الآخر تجاه نوايا وتحركات إيران.

عندما يكون الخصم على دراية تامة بخلفية المستهدف وتاريخ وطريقة تفكير وتصرف ورد فعل خصمه، فإنه يكون قادرا على توقع الخطوات التي من الممكن أن يقوم بها، وهو ما يساعده على استهدافه بشكل فعال وربما استباقي أيضا. أما إذا كان الخصم في حالة من عدم اليقين إزاء قدراتك أو طريقة تفكيرك أو تصرفك فعندها لن يكون قادرا على توقع تصرفك، وبالتالي لن يكون قادرا على التفكير بشكل صحيح أو اتخاذ القرار الصحيح بشأنك، وهو ما يعني أنك استطعت التأثير في سلوكه بما يخدم مصالحك، وربما شلّه عن الحركة تجاهك، وهو ما فعلته إيران بالضبط تجاه الغرب خلال مراحل متعددة.

لقد استخدمت إيران هذه التكتيكات بشكل منهجي مدروس لحماية نفسها، وقد شكّلت الولايات المتحدة كما غيرها من الدول مسرحا لممارسة هذه المفاهيم، إذ ركّزت السياسة الإيرانية على استهداف الجانب الأميركي كما غيره من اللاعبين الإقليميين والدوليين من أجل التأثير على قراره السياسي والعسكري خصوصا. ولأن تناول هذه التكتيكات بشكل مفصل غير ممكن في مقال، فإننا سنتناول بعض النماذج المحدود للإشارة إلى جوهر السياسة الإيراني في التأثير على السياسة الأميركية تجاهها، ومنها:

نموذج التلاعب: سياسة توزيع الأدوار.. المعتدل في مقابل المتشدد

تؤدي هذه السياسة إلى إعطاء انطباع للخارج بأن هناك شقين داخل إيران مختلفين بشكل

الترحاب من دول الخليج العربي، مثلما رحبت بتصريحات الرئيس الإيراني مع وصوله للسلطة. ولكن ما لا بد من مراعاته هو وجود أرضية مشتركة تقوم على أساس احترام خصوصيات الدول وعدم التدخل في شؤون الآخرين، وأن يأتي ذلك التعاون مراعيًا لجميع الدول، وألا يأتي الثقل الإقليمي لبعض دول المنطقة بالصورة التي تجعل من دور بقية دول الخليج العربي لاغيا.

استمرار الخلافات والتباين لن يجدي نفعا للمنطقة، ولن يتحقق الأمن والاستقرار لدول الخليج العربي إلا بالجلوس خلف طاولات الحوار لطرح وجهات النظر، وحل الخلافات للوصول إلى المقاريات التي ستعكس أصداؤها بشكل إيجابي على شعوب المنطقة.

الاستراتيجية الإيرانية في التأثير على القرار الأمريكي

أعلان الطيب نخاس – مجلة المجله ٢٠١٤/٤/١٢

التلاعب بالخصم

السياسة الإيرانية سياسة معقدة لمن لا يفهم طريقة التفكير الإيرانية والأدوات التي يوظفها النظام في سبيل الحفاظ على وجوده، لكنها في نفس الوقت سياسة قابلة للفهم والتفكيك والمواجهة إذا تم استيعاب الخلفية الاستراتيجية التي يتحرك الإيراني ضمنها. لقد طوّر النظام الإيراني مع الوقت سلسلة من المفاهيم والأدوات والممارسات المستمدة من خلفيته التاريخية والثقافية والطائفية وحولها إلى عقائد إستراتيجية يجري استخدامها وتوظيفها في إطار رؤية سياسية محددة الأهداف والمعالَم أولويتها حماية النظام وتفكيك وتحييد المخاطر الخارجية عليه.

رغم أن إيران لا تملك من القوة المادية ما يحولها فعل ذلك، فإن هذه العقائد الاستراتيجية القائمة بشكل أساسي على مفاهيم كالغموض والخداع والتقية والفبركة والتلاعب والتمويه والتشتيت

نموذج الاستغلال والتفكيك: سياسة التفاوض المفتوحة

وهي سياسة تقوم على الدعوة الدائمة إلى التفاوض (بشرط أن يكون وضع إيران أفضل من الطرف الآخر سيئاً وبحاجة إلى مساعدة طهران وفق الرؤية الإيرانية). والتفاوض في المفهوم العام يعني الاستعداد لبحث مسألة ما لتجنب التصعيد. وفي الثقافة الغربية الحديثة فإن الرسالة المباشرة التي تُفهم من دعوتك إلى التفاوض هي رسالة إيجابية تعني أنك مستعد لأن تبحث المسائل الخلافية وأن تجلس على طاولة المفاوضات في سلوك حضاري للتوصل إلى تفاهم. لكن في الثقافة الإيرانية فإن التفاوض هو مجرد أداة ليس الهدف منها الوصول إلى حل بقدر ما هو:

❖ الإحياء بأن طهران طرف موثوق وحضاري ويسعى إلى حل، لكنها في حقيقة الأمر تكون تسعى إلى المماطلة وكسب الوقت قدر المستطاع.

❖ التحضير لجولة أخرى من المفاوضات عبر الانسحاب من المفاوضات، بمعنى أن التفاوض في هذه الحالة هدفه التحضير للتفاوض المقبل وليس للوصول إلى هدف أي حلقة التفاوض المفرغة.

❖ في حال شعرت إيران بوجود فرصة لتحقيق أهدافها، فإن هذه المفاوضات تتحول فوراً إلى محطة لتحقيق انتصار موضعي على الخصم عبر الحصول على المكاسب من دون تقديم أي تنازلات.

❖ المفاوضات أيضاً في السلوك الإيراني هي عبارة عن أداة لتفكيك الخطوة التي من الممكن للطرف الآخر الإقدام عليها حال شعرت أنه جدي وأنه يحضر لشيء ما ضدها. وعندما تنجح في مسعاها هذا وتفكك خطوة الخصم، فإنها تعود إلى سلوكها القديم، فإذا عاد، عادت هي بالدعوة إلى التفاوض.

جنذري عن بعضهما البعض، مع العلم أن اختلافهما ليس جندياً حول طبيعة النظام وإنما داخله. ويخلق هذا التقسيم نوعاً من التشويش لدى الطرف المراقب أو الذي يتعامل مع إيران من الخارج:

❖ في حال وجود محافظ في السلطة: يبقى لدى الخارج أمل على الدوام في إمكانية التوصل إلى حل حال وصول وجه إصلاحي معتدل إلى صناعة القرار في إيران. وهذا النوع من التفكير يجعله يحجم عن أي ضربة شاملة لإيران أو عن أي ضغط كبير مخافة أن يؤدي ذلك إلى ضياع الفرصة (المأمولة)، أو أن يتحوّل الجميع إلى متشددين محافظين، أو أن يؤدي ذلك إلى إضعاف الإصلاحيين.

❖ في حال وجود إصلاحي في السلطة: يحاول الخارج الانخراط الفعّال مع إيران دون حذر ما يؤدي في النهاية إلى أن يجري خداعه واستغلال جهوده لكسب المزيد من الوقت. أما في حال انخراطه الحذر فإنه يصطدم في النهاية بالقرار النهائي الذي يعود للمرشد، ويعود بعدها للمربع الأول، صعود محافظ، وهكذا يدور في هذه الحلقة المفرغة، وفي هذا الوقت تتقدم إيران نحو هدفها.

تخلق هذه الثنائية وهماً لدى الطرف الخارجي بالأمل دوماً في التوصل إلى حل يعتقد أنه حقيقي، لكن هذا الوهم يوفر للنظام الإيراني دوماً الوقت اللازم للمراوغة السياسية، وتفكيك أي نوع من التحالف الخارجي الذي قد ينشأ وذلك نتيجة توزّع الآراء بين من يرى أن هناك توجهات متناقضة في الداخل الإيراني يمكن الاعتماد على أحدها في إضعاف الآخر وبين من يعد أن ذلك غير ممكن. بمعنى آخر، فإن هذه الثنائية قد تنقل الخلاف أيضاً حول طريقة التعاطي مع النظام الإيراني إلى داخل دائرة الخصم. وقد اختبر الخارج ذلك في مراحل متعددة سواء في عهد خاتمي أو أحمددي نجاد أو الآن في عهد روحاني.

وقد استخدمت إيران هذه التكتيكات التفاوضية مع الولايات المتحدة بشكل مباشر وغير مباشر في عدد من المحطات في أفغانستان والعراق والملف النووي. ويكفي أن المفاوضات في الملف النووي لا تزال تمضي منذ عام ٢٠٠٣، وخلال هذا الوقت أصبحت إيران قاب قوسين أو أدنى من تحقيق برنامجها النووي بشكل كامل في الوقت الذي لم يحقق فيه الطرف الآخر أيًا من أهدافه الرئيسية في منع إيران من التقدم حتى الآن.

نموذج الردع والمواجهة غير المتكافئة

تعاني إيران من نقاط ضعف هائلة من ناحية قدراتها العسكرية التقليدية، ولذلك فهي تعتمد على استراتيجية تقوم على تطوير قدرات المواجهة اللاتناظرية. ومضمون هذه الاستراتيجية هو طالما أنك لا تمتلك الموارد أو الأدوات اللازمة لمواجهة الخصم بنفس الطريقة والأسلوب وبنفس حجم ونوعية الأسلحة التي يهددك بها في لعبته، فالأفضل تغيير قواعد اللعبة برمتها عبر تحصين الذات من الناحية الدفاعية أولاً، ومن ثمّ مواجهته بطرق غير تقليدية لا ترقى بالتأكيد إلى حجم ونوعية ما يمتلكه الخصم ولكنها قادرة على إيلائه ورفع تكلفة أي انتصار محتمل له لدرجة تدفعه إلى إعادة حساباته طالما أن نجاحه سيكون مكلفاً للغاية هذا إذا نجح به.

ويمكن إعطاء مثال صغير (لتقريب الفكرة وحسب) على هذا التوجه وهو أنك وبدلاً من أن تستخدم طائرة لمواجهة طائرة طالما أنك غير قادر على شرائها أو صنعها أو تطويرها، فإنك تستخدم صاروخاً مضاداً للطائرات في مواجهة الطائرة، فالصاروخ أقل تكلفة بالتأكيد وأقل حجماً وأسهل شراء وتخزيناً واستخداماً، وهكذا على كافة الأصعدة العسكرية.

هذا النوع من الاستراتيجية يحتاج إلى تخطيط معقد وإلى إدارة مجموعة واسعة جداً من الأدوات الدفاعية والهجومية لإعطاء النتيجة المأمولة وأن تكون قادراً في نفس الوقت على تحمل الضربة

الأولى ومن ثم الرد المباشر وغير المباشر وتوسيع دائرة المواجهة والاعتماد على الإرهاب والاستعداد لتحمل الخسائر البشرية بشكل يزيد على قدرة الخصم على تحمل خسائره البشرية وجعل الخصم في حيرة من أمره حول الطريقة المثلى للتعامل معك انطلاقاً من عدم يقينه حول حقيقة كونك تتصرف بناءً على حسابات عقلانية أو بناءً على توجهات غير عقلانية انتحارية.

وتتضمن هذه الاستراتيجية أيضاً تعزيز القدرات الاستخباراتية ووسائل الحروب غير التقليدية والقيام بعمليات تضليلية وبحروب بالوكالة واستخدام الإرهاب والجماعات المسلحة نصف الحكومية أو شبه العسكرية (بمعنى أنها ليست جماعة إرهابية بسيطة وليست في نفس الوقت جيشاً نظامياً كحزب الله في لبنان والحوثيين وبعض الجماعات الشيعية في العراق) ومجموعة واسعة من التشكيلات العسكرية المتخصصة (كالحرس الثوري والباسيج). وهو ما تفعله إيران بالضبط عبر تطوير قدراتها اللاتناظرية البرية والبحرية ورسم خطوط حمراء وسياسة حرب نفسية.

نموذج الاختراق والتوظيف: بناء لوبي إيراني

في أميركا

بذلت إيران خلال العقد الماضي جهوداً كبيرة لبناء لوبي لها داخل الولايات المتحدة الأميركية انطلاقاً من حقيقة أن النظامي السياسي في واشنطن يبقى مفتوحاً بطبيعته على التأثير من قبل اللوبيات، وبالتالي فإن محاولة التأثير على صناعة القرار من داخل واشنطن ليست بالأمر المستحيل.

وقد استفادت طهران أيضاً من الشعور القومي للإيرانيين في الخارج ليصب في مصلحتها، إذ من المعروف أن الإيرانيين لا يتهاونون في الدفاع عن بلدهم ضد أي نوع من أنواع الأذى الذي قد يلحقه سواء أكان اقتصادياً أو عسكرياً وإن كان بعضهم في مرحلة ما وليسبب ما أو ظرف ما على خلاف أو عداوة أو صدام مع نظام الملالي. وقد ساعد هذا المنطق النظام الإيراني على تجنيد

والأعمال الأميركية وخصوصاً في قطاع الطاقة والنفط. هؤلاء لديهم تواصل مع السوق الإيرانية بطريقة أو بأخرى بشكل مباشر وغير مباشر وعلني وسري وبمستويات متعددة ويرتبطون أيضاً بالأسواق العالمية، ويخشون أن تعرض إيران لمزيد من الضغوط قد يضر بمصالحهم على المستوى العالمي. وبالنسبة إلى هؤلاء، فإن المصالح المادية والمكاسب المالية تتجاوز بالنسبة لهم أهمية الأمن القومي الأميركي وهي نقطة ضعف تستغلها إيران إلى أبعد الحدود.

لقد ساعدت كل هذه الأدوات على التلاعب بالموقف الأميركي والتأثير به وتفكيك توجهاته لضرب إيران واختراق قلب واشنطن أيضاً في محاولة لاستمالتها في ظل تحولات دولية وإقليمية جيو - سياسية تفتح الباب واسعا أمام إمكانية حصول تحولات في المواقف التاريخية بين النظامين، وهو ما سيجري اختباره عملياً في الفترة اللاحقة.

المسلمون الهنود...

بيضة القبان في ميزان السياسة الهندية

سمرة فاطمة - موقع قنطرة ٢٠١٤/٤/١٧

نحو ١٤ في المئة من سكان الهند مسلمون، وفي نحو مئة دائرة (١٨ في المئة) من عدد الدوائر الانتخابية في الهند البالغ عددها ٥٤٣ تمثل نسبة المسلمين ممن لهم حق الانتخاب جزءاً كبيراً قد يحسم نتيجة الانتخابات. وتصل هذه النسبة في بعض الدوائر الانتخابية إلى ٤٠ في المئة.

تاريخياً كان حزب المؤتمر هو الموطن السياسي للمسلمين الهنود، ولكن هذا الارتباط أصبح واهياً في العشرين سنة الأخيرة. وبحسب البيانات الرسمية ما زال المسلمون ينتمون إلى أكثر الفئات السكانية تعرضاً للتمييز الاقتصادي، بحسب التقارير الحكومية. لا عجب إذن أنهم

الكثير من الإيرانيين المعروفين الذين يشغلون مواقع مرموقة في الخارج للعمل لصالحه ولعل أكثرهم جدلاً في هذا السياق «تريتا بارسي» الإيراني المولد.

وعلى الرغم من أن بارسي كان قد ألف كتاب «التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأميركية» وهو أحد الكتب القليلة القيمة التي تكشف طبيعة العلاقات والمصالح المتبادلة بين هذا المثلث، لكن سرعان ما قامت إيران باستغلال المؤلف وتوظيفه لصالحها كما تفيد المعلومات، وسرعان ما أسس بارسي وترأس «المجلس الوطني الإيراني الأميركي» الذي أصبح بمثابة «لوبي إيراني غير رسمي» يعمل لصالح إيران في واشنطن تحت يافطات مختلفة، كما أن بارسي عمل مستشاراً لعضو الكونغرس الأميركي بوب ناي (نيك) عضو المجلس الإيراني الأميركي وهو ما أوجد لإيران منفذاً آخر أيضاً للدخول إلى الكونغرس.

بالإضافة إلى ذلك، أوجدت طهران نوعين من اللوبيات الإيرانية في الولايات المتحدة الأميركية:

١- لوبي الوسط الإعلامي والبحثي والأكاديمي: استطاعت طهران الدخول إلى الوسط الإعلامي والدوائر التي تساعد على التأثير في الرأي العام وصناعة القرار، فأوجدت صحافيين وباحثين وناشطين في الصحافة والإعلام ووسائل التواصل والمراكز البحثية في الولايات المتحدة ويركزون على استهداف مستويات متعددة من صناعة القرار الأميركي بدءاً من الرأي العام ووصولاً إلى الكونغرس. وهؤلاء الأشخاص يشكلون مجموعة لها درجات مختلفة من التواصل مع الحكومة الإيرانية، ويقال إن نائب وزير الخارجية الإيراني سابقاً صادق خرازي الذي عاش لفترة جيدة من الزمن في الولايات المتحدة كان صاحب الفكرة في إنشاء هكذا لوبي وتطويره.

٢- لوبي التجارة والأعمال والمصالح الاقتصادية: ويعمل بموازاة المصالح والتجارة

يشعرون بخيبة الأمل من الحكومات المتعاقبة التي يقودها زعماء حزب المؤتمر.

ولكن حزب الشعب الهندي، وهو حزب هندوسي قومي معارض اكتسب في الآونة الأخيرة موجة من الشعبية تحت قيادة ناريندرا مودي (المرشح لمنصب رئاسة الوزراء)، هو بطبيعة الحال لا يمثل خياراً بديلاً بالنسبة لمسلمي الهند. ولن تغير في شيء الاستراتيجية التي ينتهجها مودي في حملته الانتخابية، حيث يقدم نفسه على أنه المنقذ والمخلص لاقتصاد الهند الذي أصابه الضعف. ويقول سانجاي كومار، الخبير في الانتخابات، إن «مسلمي الهند سينتخبون الحزب الذي يعتقدون أن لديه أفضل الفرص لهزيمة حزب الشعب الهندي في الدائرة الانتخابية المعنية».

السياسي القومي الهندوسي ناريندرا مودي وهو يلقي خطاباً في ولاية أسام بتاريخ ٣١ / ٠٣ / ٢٠١٤. photo: UNI

السياسي القومي الهندوسي، ناريندرا مودي، المرشح لرئاسة وزراء الهند عن حزب المعارضة الرئيسي «بهاراتيا جاناتا». يرى كثيرون أن ناريندرا مودي هو الأوفر حظاً في الانتخابات. ولكن النقطة الخلافية هي إن كان سيحصل على دعم واسع النطاق من الناخبين المسلمين.

مودي وحزبه...صورة عدائية

من التهم التي تثقل كاهل مودي، رئيس وزراء ولاية غوجارات الهندية (منذ عام ٢٠٠١)، أنه لم يفعل شيئاً ضد أعمال الشغب العنيفة التي حدثت عام ٢٠٠٢ في الولاية، بل إنه دعمها بتخاذله. آنذاك قُتل ما يزيد عن ١٠٠٠ شخص، معظمهم من المسلمين، وشُرد عشرات الآلاف منهم على أيدي حُشود هندوسية متطرفة. قانونياً، لم تكن هناك أدلة تدين مودي، غير أنه لم يحاول أيضاً التقرب إلى السكان المسلمين. كما صمت مودي عند حدوث أحداث الشغب الأخيرة بين الهندوس

والمسلمين في شهر سبتمبر (أيلول) ٢٠١٢ في أوتار بارديش، والتي أودت بحياة ٦٥ شخصاً، وشردت ما يزيد عن ٥٠ ألف مسلم من بيوتهم.

كما أن مسلمين كثيرين في الهند ما زالوا يعانون من الصدمة بعد أن قامت جُموع هندوسية متطرفة بتدمير مسجد بابري في ولاية أوتار براديش شمال الهند عام ١٩٩٢. آنذاك أيضاً كانت قطاعات متطرفة من حزب الشعب الهندي متورطة في هذه القضية. ويكوّن المسلمون ربع سكان ولاية أوتار براديش. وقد عانى رجل الأعمال نديم من مدينة كانبور في هذه الولاية من خسائر مالية كبيرة عام ١٩٩٢، حين قام المتطرفون الهندوس بعد تدمير المسجد في مدينة أيوديا المجاورة بالتظاهر في شوارع المدينة. وهو يتحدث بلسان كثيرين عندما يقول: «التاجر لا ينسى خساراته أبداً. وجروح الأمس لم تلتئم بعد».

ويعتبر مختار عباس ناقي، أحد النواب المسلمين القلائل في قيادة حزب الشعب الهندي، وهو يعتبر صورة حزبه العدائية للمسلمين ليست إلا «بروباغندا خبيثة من جانب خصوم الحزب السياسيين». ويعتقد ناقي أن موقف المسلمين قد تغير بعض التغير خلال السنوات العشرين الماضية.

أنصار حزب آم آدمي AAP يحتجون أمام مقرات حزب بهاراتيا جاناتا BJP في نيودلهي ٠٥ / ٠٣ / ٢٠١٤. photo: Reuters/UNI

تمكن حزب آم آدمي في نهاية عام ٢٠١٣ من تحقيق عجيبة من العجائب حين هزم حزب المؤتمر في الانتخابات المحلية في نيودلهي.

خيبة أمل من حزب المؤتمر

يعتقد المراقبون اعتقاداً مؤكداً أن معظم المسلمين لن يصوتوا لصالح حزب الشعب الهندي. لصالح مَنْ سيصوتون إذن؟ للإجابة على هذا السؤال يقول أميتاب كوندو، الأستاذ في جامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي ورئيس اللجنة

مشاركة السنة في العملية السياسية... قراءة نقدية

د. محمد عياش الكبيسي - صوت الأمة ٢٠١٤/٤/٢٧

السنة هم وجه العراق الحضاري والسياسي،

فهم الذين فتحوه وهم الذين حكموه وهم الذين بنوا مدنه الكبرى كبغداد والبصرة والكوفة وسامراء وواسط، وشيعة العراق لا ينكرون هذه الحقيقة خاصة عندما يتحدثون عن مظلوميته التاريخية. يقول النائب الصدري بهاء الأعرجي: «المؤامرة من يوم أبي بكر إلى حزب أحمد حسن البكر»، وهذا اعتراف - رغم ما فيه من وقاحة بحق الصديق رضي الله عنه وأرضاه - بأن العراق كان سنياً طيلة هذا التاريخ منذ أن دخلته جيوش أبي بكر إلى الغزو الأميركي للعراق.

عدم مشاركة الشيعة في الحكم لم يكن

بسبب إقصاء السنة لهم، فهذه مجرد دعاية سياسية معاصرة فيها قدر من التضليل والابتزاز، بل كان ذلك جزءاً من ثوابتهم الدينية، حيث تنص عقيدتهم على أن لا إمامة إلا بالنص، ولا نص إلا في اثني عشر إماماً آخرهم المهدي، وهو عندهم حي يرزق، وقد اختفى لأسباب معيَّنة، والواجب في عقيدتهم العمل على إزالة هذه الأسباب، وليس تولية البديل مهما كان هذا البديل.

جاء الخميني بنظريته التجديدية «ولاية

الفقيه» ليفتح المجال لشيعة لتولي الحكم، وقد استند إلى مقدمات أغلبها يدور حول جواز نيابة الفقيه المجتهد عن الإمام المعصوم، وقد استدل على هذا بحديث (العلماء ورثة الأنبياء). وبغض الطرف عن التفاصيل فإن نظرية الخميني هذه تعدّ اعترافاً بفشل النظرية الشيعية في الحكم ورجوعاً إلى

الحكومية المكلفة بتقييم أوضاع المسلمين في الهند، إن «الحكومة (بقيادة رئيس الوزراء الهندي مانموهان سينغ) لم تحقق سوى نتائج متواضعة للغاية خلال السنوات الخمس أو الست الماضية فيما يتعلق بتحسين وضع السكان المسلمين»، وإنه من المتوقع شعور المسلمين بـ«قدر ما»، من خيبة الأمل تجاه الحكومة التي يقودها حزب المؤتمر، إذ أنهم كانوا ينتظرون الكثير.

ومن المرجح أن تستفيد من هذا الوضع الأحزاب المحلية، كحزب سماتواي (الحزب الاشتراكي) وحزب باهوجان ساماج BSP الذي أسس ليمثل قطاع المهّمشين، ويتمتع كلا الحزبين بوجود راسخ في ولاية أوتار براديش، أكبر الولايات الهندية من ناحية عدد السكان، وكذلك حزب راشتريا جاناتا دال (الحزب الشعبي القومي) الذي يتمتع بحضور قوي في ولاية بيهار شرق الهند، والحزب المناهض للفساد آم آدي AAP.

ويرجّح الخبير سانجاي كومار أن المسلمين لن يصوتوا لحزب المؤتمر (الحزب القائد للائتلاف الحاكم) إلا في المناطق التي لن يشهد فيها هذه الحزب منافسة شديدة من الأحزاب المحلية، وأن حزب آم آدي AAP على وجه الخصوص هو أحد خياراتهم السياسية المفضلة.

رجل الأعمال نديم لا يرى أي أمل في أن يحقق أي حزب من الأحزاب تقدماً حقيقياً لصالح أقلية القومية، فـ «منذ استقلال الهند لم يفعل أحد شيئاً من أجل المسلمين. كلهم يطلقون الوعود نفسها. ولن يفاجئني إذا نسيت الحكومة الجديدة أيضاً أن المسلمين هم جزء من هذا البلد كذلك».

وبالنظر إلى مثل هذه الآمال الضئيلة لدى المسلمين، فمن المرجّح على الأغلب أن الأمر الحاسم بالنسبة إلى معظم مسلمي الهند خلال التصويت هو أن يختاروا أفضل حزب قادر على منع الزعيم القومي الهندوسي ناريندرا مودي من أن يصبح رئيس وزراء الهند المقبل.

في المشاركة، ولم تعد مقتصرة على الحزب الإسلامي الذي تحمل في البداية عبئها الأكبر، بل ازدحمت الساحة بعدد من اللافتات السياسية المختلفة ثقافيا ومجتمعيا ومناطقيا.

اكتشف أهل السنة أيضا أن الأسس المبدئية للمقاطعة لم تكن مبنية بطريقة منهجية، ولذلك تركت كثيرا من الثغرات والتساؤلات العملية والميدانية دون حل أو جواب، فمثلا: ما حكم العمل في دوائر الدولة ومؤسساتها المختلفة؟ الجيش والأمن والتعليم والأوقاف والصحة والنفط والماء والكهرباء.. إلخ، إذا قلنا بجواز العمل فيها فهذا يستلزم جواز العمل في وزاراتها الطبيعية، وإذا قلنا بالتحريم فكيف ستستمر حياة الناس؟

حقيقة أن الفتاوى التي حرّمت عليهم المشاركة منعتهم فقط من المشاركة في الخط الأول لإدارة هذه المؤسسات، فالسني مثلا يجوز له أن يكون معلما في مدرسة أو مديرا لها أو مشرفا أعلى.. إلخ، لكنه محرم عليه أن يتسلم منصب وزير التعليم! وهكذا في كل الوزارات، فالفتاوى لا يمكن أن تطالب المعلم السني أو الطالب السني بترك الجامعة والمدرسة لا في ظل الاحتلال ولا في ظل حكومة الاحتلال، وهذا يعني أن أهل السنة في كل الوزارات سيكونون موظفين تنفيذيين تحت سلطة الوزراء الشيعة، دون أية مزاحمة أو مراقبة، فالسني عليه أن يتلقى الأوامر فقط، هذه هي النتيجة العملية لفتاوى المقاطعة، ولهذا السبب اندفع أهل السنة في أكثر من دورة انتخابية للمشاركة متجاوزين هذه الفتاوى أو النظريات.

أذكر بهذا الصدد أن أول مشكلة عملية واجهت هذه الفتاوى هي مسألة إدارة المساجد والمدارس الدينية، حيث كانت تخضع قبل الاحتلال لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وطرح في حينها فكرة المطالبة بأن تسلم هذه الوزارة للسنة، لكن بعض علماء السنة قالوا: هذه مشاركة سياسية!! وبعد نقاش طويل وافق الجميع

النظرية السنّية، فمبدأ النيابة عن المعصوم لا يختلف في جوهره عن مبدأ الخلافة، ولذلك تعرضت نظرية الخميني هذه للنقد الحاد من أغلب المراجع والمفكرين الشيعة.

للخميني أن يفكر ويجتهد، لكن الذي يثير الشك والقلق حقيقة أن نظرية الخميني هذه لم تعد نظرية علمية اجتهادية كباقي النظريات، بل تحولت بسرعة إلى مشروع فعّال، وفتحت أمامها الأبواب لتتحكم في أكبر وأهم بلدين في المنطقة (إيران والعراق)، إضافة إلى الاختراقات الكبيرة في البلدان الأخرى كسوريا ولبنان واليمن والبحرين!

انتبه سنة العراق إلى أنفسهم فاصطدموا بواقع جديد أكبر بكثير من إمكاناتهم الملموسة، لكنه ليس بأكبر من نفوسهم العامرة بكل ما في تاريخ العراق من هيبة وشموخ، فانطلقوا في مقاومة لم يعرف لها التاريخ مثيلا حتى اضطر الغزاة الأميركيون لإعلان انسحابهم من العراق، وطيلة هذه المنازلة لم يفكر السنة إلا باسترجاع هيبة العراق وطرد الغزاة الذين دسّوا أرض بغداد في ٩/٤/٢٠٠٣، بينما كان الآخرون يتنافسون لجمع الغنائم وتحقيق المكاسب.

نعم، كان القليل من السنة يفكرون بطريقة مختلفة، فالدولة العراقية بدأت تتشكل: الدستور والبرلمان والحكومة والجيش والأمن.. إلخ، وكانت الكفة الغالبة للأحزاب الشيعية الموالية لإيران، فلم يجدوا طريقا لتخفيف حجم الاستئثار أو الهيمنة الإيرانية إلا بالمشاركة السياسية، وقد كانت هذه مجازفة سياسية لأسباب كثيرة، منها عزوف الشارع السني عن كل هذه الترتيبات التي صنعت على عين المحتل الأميركي، إضافة إلى ضعف فرص المنافسة مع التيارات الشيعية المدعومة أميركيا وإيرانيا وطائفيا.

بمرور الوقت ونتيجة للظلم الذي بدأ السنة يتعرضون له في كل مفاصل الدولة ومؤسساتها السيادية والتربوية والخدمية، ازدادت قناعة السنة

فهذا لا شك ناتج عن قصور في فهم قواعد اللعبة العالمية ومعنى الشرعية واللاشرعية فيها.

لكل هذا، حسم السنّة ترددهم وقرروا المشاركة في الانتخابات، وقد فازوا عبر قائمتهم «العراقية» بالمركز الأول، لكن الرياح أيضا لم تتجه بما تشتهيهم مراكبهم، فالمشاركة السياسية ليست لعبة سهلة، وليست هي العصا السحرية القادرة على استرجاع الحقوق واستعادة التوازن المطلوب.

العلويون في تركيا.. مشاكلهم ومطالبهم

محمد زاهد غول – القدس العربي ٢٠١٤/٤/٢١

تبنت حكومة حزب العدالة والتنمية منذ صعودها إلى السلطة نهجاً يركز على سياسة الانفتاح والحل بشأن القضية العلوية، وأطلقت عام ٢٠٠٩ سلسلة من المؤتمرات لحل القضية العلوية برعاية وزير الدولة «فاروق تشليك»، وهي تجربة أولى لم يقدم أحد على تنفيذها قبل ذلك، إلا أن هذه التجربة لم تسهم إلى الآن في إيجاد حلول عملية لهذه القضية.

لا يخفى على أحد أن المواطنين العلويين في تركيا قبل عشر سنوات مضت كانوا يتعرضون لضغوط من الدولة ومن أفراد الحيّ بوسائل وأشكال مختلفة، بعض النظر عن الطبقة التي ينتمون إليها. وفي الواقع فإن مشاكل العلويين هي مشاكل نابعة في الأساس من البناء السياسي والاجتماعي في تركيا الذي يؤثر فيه جميع المواطنين بشكل أو بآخر. وإذا ما نظرنا للمشاكل التي يعاني منها العلويون نجد أن أياً منها لا يحمل في طياته صفة بنويّة، بل يمكن حل بعضها بإدخال تعديلات على الدستور والقوانين، وأما القسم الأكبر منها فيمكن حله خلال فترة قصيرة

على المطالبة بحل الوزارة وتشكيل الوقف السنّي إلى جانب الوقف الشيعي، ولكن الحقيقة لم تختلف كثيراً، فرئيس ديوان الوقف السنّي مضطر للتعامل مع حكومة الاحتلال وربما الاحتلال نفسه، وبغض النظر عن هذه الإشكالات فقد تمكّن السنّة من الحفاظ على مساجدهم ومدارسهم الدينية وأوقافهم بنسبة كبيرة، واستمرت الحياة في المساجد بصيانتها وحمايتها وتعيين الأئمة والخطباء والموظفين الآخرين. تجدر الإشارة هنا إلى أن عدد مساجد السنّة الخاضعة اليوم للوقف السنّي تزيد على العشرة آلاف مسجد، ناهيك عن المدارس والأوقاف التي لا حصر لها.

وإذا كانت الذهنية السنّة قد تفتّحت عن مثل هذا الحل بالنسبة للمساجد والأوقاف المختلفة، فما الحل بالنسبة للمدارس والجامعات ومؤسسات المجتمع الأخرى؟

من هنا يتبيّن أنّ العملية السياسية بأية صيغة كانت وبأي وجه تشكّلت وسواء كانت خاضعة لأسس شرعية أو غير شرعية فإنها تعني نظام الحياة بكل مجالاتها وتعقيدها، وإذا فكرت بمقاطعة هذا النظام فإنك في الحقيقة تفكر بمقاطعة الحياة كلها، إلا إذا فكرت بالهجرة إلى أرض أخرى ونظام آخر، لكن إلى أين سيمضي مجتمع أو شعب بأكمله؟

نعم، ربما تكون المقاطعة وسيلة فعّالة لإسقاط الأنظمة الفاسدة في كثير من دول العالم إذا اشتملت على حزمة من الفعاليات والشروط اللازمة، أما في الحالة العراقية فإن الكلام عن مقاطعة السنّة العرب دون المكونات الأخرى فهم الذين يتأثرون بفتاوى المقاطعة فقط، وهذا لن يؤدي إلا إلى تمكّن المكونات الأخرى من بسط هيمنتها بالكامل وتقاسم الحصّة السنّة بطريقة مريحة ودون متاعب، أما الذين يفكرون بأن مقاطعة السنّة ستتزعزع الشرعية عن هذا النظام ومن ثم سيكون هناك تغيير في المواقف الدولية،

من خلال بعض الإجراءات من قبيل التطبيقات الشرطية ذات الصلة.

وأما تلبية بعض طلبات العلويين مثل إعادة فتح التكايا الخاصة بهم فتحتاج إلى تعديلات أكثر جذرية. وفي هذا السياق، نرى أن مسألة اعتبار بيوت الجمع أماكن عبادة العلويين في تركيا - أماكن للعبادة معترف بها من قبل الدولة تأتي في مقدمة الطلبات التي يتفق عليها جميع ممثلي الطائفة العلوية تقريباً. غير أنه علينا ألا ننسى أن الدولة ليست لديها سلطة أو صلاحية تسمح لها بالاعتراف ببيوت الجمع على أنها أماكن للتعبّد. ويمكن الاعتراف ببيوت الجمع ودعمها من قبل وزارة الثقافة كحل وسط بدون الدخول في مناقشة مسألة تعريف العبادات لدى الدولة.

أصوات العلويين تُسمع من الآن فلاحقاً

يطالب العلويون في تركيا ببعض المطالب التي يمكن أن نصفها بـ«غير المباشرة»، وهذه المطالب هي إلغاء رئاسة الشؤون الدينية، وحظر الدروس الدينية الإلزامية في المدارس، وحتى إلغاء مبدأ العلمانية وغيرها من المطالب التي لا تهم مسألة تحسين أوضاع العلويين بشكل مباشر، والتي حتى إن تم تطبيقها ستشكل تدخلاً في حقوق سائر أطياف المجتمع. وقد أعرب العلويون عن استيائهم وقلقهم من التصريحات التي تطلقها الغالبية العظمى من السُنّة في تركيا بشأن عدم اعتبار العلوية مذهباً أو طائفة إسلامية.

وتظهر المعطيات التي بين أيدينا حالياً أن الغالبية من السُنّة بدأت تسمع أصوات العلويين ومطالبهم، وأصبحت أكثر استعداداً لفهمهم، الأمر الذي أحيأ آمال الكثيرين بشأن حل مشكلة التفرقة بين السنيين والعلويين في تركيا.

تقرير العلويين

أعدت إحدى المؤسسات البحثية تقريراً حول المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها العلويون في تركيا بهدف إلقاء الضوء عليها. ويعكس التقرير وجهة نظر المجتمع التركي وتوجهاته السياسية

والاجتماعية إزاء القضية العلوية. وقد مرت عملية إعداد التقرير بمراحل من الشفافية واحترام المعايير كي يعكس الحقائق دون نقص أو زيادة. وقد قامت بإعداد التقرير لجنة مكونة من ٦٤ شخصاً ما بين أكاديميين وعلماء اجتماع وإحصاء وسياسة وغيرهم. وأجريت الدراسة عبر عقد لقاءات مع ٢٢١٧ جمعية مختلفة، منها ٦١٤ جمعية علوية، في ٢٦ محافظة في عموم تركيا.

مطالب وتأويلات مختلفة

أظهرت هذه الدراسة أن تعريف العلوية وكذلك الحقوق التي يطالب العلويون المقيمون في مختلف مدن تركيا تختلف كثيراً عن بعضها البعض، كما أشارت إلى أن العلويين أنفسهم ليس بينهم اتفاق في وجهة النظر حول ما إذا كانت العلوية طريقة صوفية أم مذهباً منفصلاً أم ديناً مستقلاً أم حتى مجموعة عرقية؟ فبينما يؤمن ٤٨,٦٪ من الذين خضعوا للدراسة من العلويين أن العلوية ما هي إلا مذهب إسلامي، قال ١٩,١٪ إنها توجه ثقافي، فيما أقر ١٢,٣٪ بأنها دين مستقل. هذا في الوقت الذي اعتبر فيه ٥٧,١٪ من الخاضعين للدراسة من غير العلويين أن العلوية هي مذهب إسلامي.

ونرى من خلال هذه الدراسة أن العلوية خرجت في بعض مدن تركيا من كونها معتقداً دينياً وألّبت حُلّة الهوية العرقية، وعندما وُجّه سؤال إلى ممثلي الجمعيات العلوية التي خضعت للدراسة مصادره «أي المجموعات العرقية التي تعتبرون أنفسكم تابعين لها؟»، أجاب ٢١,٣٪ أنهم يعتبرون أنفسهم مجموعة عرقية مستقلة، فيما أجاب ١٧,٢٪ من الخاضعين للدراسة و١٨,٥٪ من المواطنين العلويين أنهم لا يتبعون مجموعة عرقية منفصلة، بل هم مواطنون أتراك يقيمون في جمهورية تركيا. وهو ما أظهر بوضوح أن تعبير «أنا مواطن تركي وطني تركيا» الذي وضعه رئيس الوزراء «رجب طيب أردوغان» للتخلص من مسألة الهوية، قد لاقى ترحيباً لدى قسم كبير من المجتمع التركي.

أعرب ٢٨,٢٪ من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن اعتراضهم على هذه الخطوة ورفضهم لها.

وطالب ٧٣,٣٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بضرورة تشكيل هيئة عليا مستقلة تهتم بشؤونهم الدينية كرئاسة الشؤون الدينية التي تهتم بشؤون الأغلبية من السنة، فيما أعرب ٢٣,٩٪ فقط من الخاضعين للدراسة من غير العلويين عن دعمهم لهذا المقترح، ما يثبت لنا عدم وجود اتفاق مجتمعي حول هذه القضية.

قضية التمثيل السياسي

أجاب ٦٠٪ من العلويين المشاركين في الدراسة بالإيجاب على فكرة تأسيس حزب سياسي يمثلهم، فيما أكد ١٠٪ فقط من الخاضعين للدراسة أن هناك حزبا سياسيا قائما بالفعل يمثل العلويين في الحياة السياسية في تركيا.

من الملاحظ أن حكومة حزب العدالة والتنمية تسير بخطى ثابتة من أجل إيجاد حل لمشاكل العلويين، غير آبهة بوجود العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجهها تركيا في الوقت الراهن، وذلك بالرغم من تصرف العلويين أنفسهم إزاء الحكومة وفق الأحكام المسبقة، وينبغي للحكومة اتخاذ خطوات أكثر جذرية من أجل حل هذه المسألة. وحتى أن إظهار إرادة حل المشكلة يعني أن هناك سعيًا جادًا لمواجهة الماضي، وهو ما يعتبر في حد ذاته مكسباً كبيراً.

وبدأت في عام ٢٠٠٩ مبادرات الانفتاح التي أطلقتها حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا من أجل إيجاد حلول لمشاكل مستعصية يأس أصحابها من حلها في الماضي، وقد حاولت حكومة الحزب الحصول على دعم المعارضة في هذه المشاكل المستعصية، لكن دون جدوى. غير أنها حصلت على دعم العديد من المثقفين

وكشفت الدراسة أن ٦١,٣٪ من العلويين في تركيا لا يؤمنون بأي إيديولوجية فكرية معينة، وأن ٣١٪ منهم يؤيدون الفكر اليساري، و٧,٧٪ منهم يدعمون الفكر اليميني.

وأضافت أنه رداً على سؤال حول توجهات الهوية الدينية، أجاب ٧٦,٤٪ من الخاضعين للدراسة أنهم «علويون»، فيما وصف ٢٠,٧٪ أنفسهم بأنهم «مسلمون».

وأكد ٢٩,١٪ من العلويين المشاركين في الدراسة أنهم لا يذهبون إلى بيوت الجمع، بينما أشار ٣٠,٤٪ أنهم يحصلون على معلوماتهم الدينية من عائلاتهم، و٢٣,٧٪ أنهم يحصلون عليها من الكتب، وأوضح ١٦,٢٪ أن بيوت الجمع تشكل بالنسبة مصدراً لاكتساب المعلومات الدينية.

المشكلة المشتركة مختلفة للغاية

وجّه القائمون على الدراسة سؤالاً إلى المشاركين في البحث مفاده «ما هي أكبر مشكلة تواجهها تركيا؟»، فجاءت مشكلة العلويين في المركز الـ ١٣ على قائمة أكبر المشاكل التي تواجهها تركيا، فيما أعرب ١٪ الخاضعين للدراسة أن هذه القضية تلقى الدعم اللازم. فيما اعتبر العلويون المشاركون في الدراسة أن مشكلتهم تحتل المرتبة الـ ٨، وقال ٢,٨٪ أن القضية تلقى الدعم الكافي.

وتلقى المشاركون في الدراسة سؤالاً يقول «هل تعتقد وجود مشكلة للعلويين في تركيا؟»، فأجاب ٨٧,٢٪ من العلويين بأن هناك مشكلة يعانون منها في تركيا، في وقت أقر ٣٣,١٪ فقط من غير العلويين الخاضعين للدراسة بهذه الحقيقة. وبالنظر إلى اختلاف العرق، اعترف ٣٣,٩٪ من الأتراك بوجود المشكلة، فيما أقر ٥٧٪ من الأكراد بوجودها.

وأضافت الدراسة أن ٧٤,٩٪ أجابوا بنعم بإصرار على سؤال «هل تؤمن بضرورة اعتراف الدولة ببيوت الجمع على أنها أماكن للعبادة؟»، في الوقت الذي

والعلماء وأصحاب الرأي من الذين يؤمنون بأن النُهج التقليدية لن تحل المشكلة ولن تحقق الوحدة والتكاتف بين أبناء الوطن الواحد.

وفي الوقت الذي أقدمت فيه الحكومة على خطوات جديدة بالملاحظة من أجل حل القضية الكردية، لم تظهر الحماس ذاته في التعامل مع قضايا العلويين من أجل فهمها والعمل على حلها. وتعتبر عملية الاستقطاب السياسي التي شهدتها تركيا مؤخراً والموقف المتشدد للمعارضة من العوامل الأساسية لتفاقم هذا الأمر. بيد أن المسألة العلوية - مثلها كالقضية الكردية - من الممكن أن تتسبب في نشوب صراعات اجتماعية، وتمهد لأرضية خصبة لمحاولات الاستغلال الدنيئة الرامية لتهديد وحدة الوطن، وينبغي لتركيا في الوقت الذي تسعى فيه لأن تكون مؤثرة في محيطها الخارجي، أن تبذل جهوداً حثيثة من أجل تحقيق الوحدة والترابط بين أبنائها بكافة أطرافهم وتوجهاتهم، ولكن علينا ألا ننسى أن هذه المهمة لا تقع على عاتق الحكومة فحسب، بل هي قضية تهم كل فرد في تركيا.

النظام مصدر المشكلة

إن المشاكل التي يواجهها علويو تركيا في الوقت الراهن تحتاج إلى دراسات جادة دون التغاضي عن أبعادها التاريخية والسياسية والاجتماعية، ويتحتم علينا عدم الاكتفاء بتحليل موقف الحكومة ومطالب العلويين والظروف التي تعيشها تركيا الآن من زاوية منظورة فقط، بل يجب القيام بعملية استطلاع رأي شاملة من أجل رصد الصورة الواقعية قدر المستطاع، كما يجب علينا ألا ننسى أن وصف القضية العلوية بـ«المشكلة» هو مشكلة في حد ذاته، فيجب الاعتراف أن هناك مشكلة ومصدرها هو النظام الذي لم يلب مطالب العلويين.

إن السياسات التي انتهجتها الحكومات المتعاقبة في تاريخ جمهورية تركيا علقت العمل على حل العديد من القضايا، وعلى رأسها

مسألة العلويين لفترة طويلة. إلا أن مبادرات الانفتاح التي أقدمت الحكومة على طرحها مؤخراً أولت اهتماماً أكبر بتناول قضايا العلويين، الأمر الذي رفع من سقف مطالبهم، خصوصاً وأن العديد من السياسيين بدأ بتقديم الوعود لحل مشاكلهم.

إيران ومحيطها الأمني

د. سلطان محمد النعيمي - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٤/٢٠

تنتهج الأنظمة التي تراودها الشكوك من نيات الدول الأخرى والرغبة في الإطاحة بها، أساليب تجد فيها الطرق الناجعة لدرء تلك المخاطر. ويأتي توسيع المحيط الأمني نموذجاً لدرء تلك الهواجس. إن دراسة مفهوم المحيط الأمني وأثره على مدى بعد أو قرب التهديد، وإسقاط هذه الدراسة على دولة مثل إيران ونظامها، ربما تعلل سبب استمرار نهج النظام الإيراني لسياساته التي تأتي مغايرة في العديد من المواقف لتوجهات دول المنطقة، بل إنها تسير في بعض الأحيان مهددة لاستقرار المنطقة.

بداية، يعرف المحيط الأمني بأنه الحيز أو المساحة التي في حال جرى اختراقها من قبل طرف آخر بأي وسيلة من الوسائل، يعدّ تهديداً مباشراً لأمن تلك الدولة. ويتوقف نطاق المحيط الأمني على قدرة البلد وسعة نفوذه في العالم الخارجي، فكلما كانت قدرة ونفوذ البلد ضئيلة، كان محيطه الأمني محدوداً أيضاً، والعكس صحيح.

لقد كان للتحويلات التكنولوجية واختراع

الأسلحة بعيدة المدى، دور في زيادة القابلية العسكرية للدول للقيام بالهجوم ما وراء الحدود الوطنية، وبالتالي دفع دائرة التهديدات إلى أبعد

نقطة خارج تلك الحدود. وتتمثل تلك الوسائل في التالي: الصواريخ الباليستية بعيدة المدى، والطائرات الهجومية، والخلايا والتنظيمات السياسية أو العسكرية في الدول المجاورة، وإنشاء قواعد وتحالفات عسكرية، وإقامة نظام أمني مع دول الجوار.

يلتفت صانع القرار السياسي والاستراتيجي والعسكري داخل دائرة النظام الإيراني ليجد نفسه منذ نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، مع سقوط الشاه وظهور الجمهورية الإيرانية، محاطا بالتهديدات. فالنظام الإيراني لا يزال ينظر إلى الغرب بعين الريبة، ويرى أن الهدف المنشود للسياسة هنالك هو الإطاحة بالنظام القائم في إيران. ويأتي الوجود الأميركي في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) يليها الاحتلال الأميركي للعراق في ٢٠٠٣، ليزيد من تلك المخاوف التي لا تفتأ تظهر في تصريحات المسؤولين الإيرانيين، فمرشد الثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي في تصريحاته الأخيرة يرى أن الغرب مهتم بتغيير النظام، أكثر من إنهاء الخلاف الخاص ببرنامج بلاده النووي.

هذه المخاوف دفعت بالنظام الإيراني إلى السعي الحثيث لتأمين محيطه الأمني، والسعي إلى الدفع به بعيدا عن حدود الدولة. من هذا المنطلق طالب النظام الإيراني بإقامة نظام أمني في الخليج يضم إيران مع دول الخليج العربي، وأكد أن أمن الخليج رهن بالدول المطلية عليه، وبالتالي لن يعود للوجود الأجنبي مبرر لبقائه والذي يأتي بدوره مهددا له.

لا شك أن مثل هذه الفكرة التي جاءت في مقال سابق لوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف في صحيفة «الشرق الأوسط»،

تلقى قبولا في شكلها وإطارها العام، غير أن السير بعيدا في تفاصيلها يجعل المتتبع يتساءل كيف يمكن لهذه الفكرة أن تبصر النور في ظل الملفات العالقة بين إيران ودول الخليج العربي من قبيل قضية الجزر الإماراتية المحتلة والاستمرار في التدخل في شؤون دول الخليج، وغير ذلك من الإشكاليات التي تأتي بحق معضلة أمام مثل هذا الطرح.

وبالتزامن مع هذه النداءات، فإن النظام الإيراني لم يدخر جهدا في الوقت ذاته لتوسيع محيطه الأمني عن طريق السعي للحصول على الوسائل الأخرى التي من شأنها تحقيق ذلك المبتغى، من قبيل تطوير منظومة الصواريخ بعيدة المدى والتي يصل مداها إلى قرابة ألفي كيلومتر.

ويأتي ما يطلق عليه بمحور المقاومة واستمراره هدفا منشودا للنظام الإيراني لتعزيز محيطه الأمني. فبقاء الحليف الاستراتيجي المتمثل في نظام بشار الأسد، بالإضافة إلى الاستمرار في دعم حزب الله وحركة حماس والجهاد الإسلامي.. هو لا شك رادع معزز للمحيط الأمني للنظام الإيراني. ولذا يرى قائد فيلق القدس قاسم سليماني أن دعم المقاومة هو الضمان الحقيقي لمصالح إيران، وتأتي جبهة المقاومة بوصفها أحد العوامل الرئيسة التي تضمن المصالح الوطنية في الحاضر والمستقبل.

هل اتضح إذن لماذا يستमित النظام الإيراني دفاعا عن الأسد؟ وهل أدركنا الآن المعنى الحقيقي لتصريح قائد سلاح الطيران في الحرس الثوري الإيراني، حين قال إن بقاء الأسد في السلطة لأن إيران أرادت ذلك؟

إن استشراف المستقبل يشير إلى أن

ستتعرض أصداؤها بشكل إيجابي على شعوب المنطقة.

سلطان البهرة

يقاضي طيران اليمنية

ويطالبها بتعويض يصل إلى ٥ مليون دولار

موقع يمن فويس - ٢٠١٤/٤/١٦

قال مصدر في طائفة البهرة «المكارمة

اليمنيين»، ان مكتب محاماة خاص في لندن يبحث مع شركة محاماة يمنية رفع دعوى قضائية باسم سلطان البهرة مفضل سيف الدين الذي استأجر طائرة خاصة من الخطوط الجوية اليمنية من طراز ٣٣٠ إيرباص لنقله وحاشيته الى مطار مومباي الهندي، مشيرا الى ان الطائرة تأخرت عن موعدھا المقرر في عدن بسبب عطل فني في صنعاء مما تسبب له حرجا بالغا وارتباكاً في مواعيده المضروبة وفق اجندة محددة سلفا، وانه تأخر عن اكثر من ٧٠٠ شخص من اتباعه كانوا ينتظرونه بالقرب من مطار مومباي الهندي لاستقباله والسلام عليه..

وأضاف المصدر الذي رفض الاشارة

اليه ان المكتب الانجليزي يطالب بتعويض مادي عن الخسائر المعنوية التي لحقت بالسلطان وحاشيته تصل الى خمسة مليون دولار..

وعلمت ايلاف ان أصواتا في اليمنية

كانت ترفض تأجير الطائرة لسلطان

البهرة نظرا لتآكل الاسطول حيث لم يتبق إلا اربع طائرات فقط احداها لاتزال معطلة في مطار شارل ديغول الدولي بالعاصمة الفرنسية

النظام الإيراني في ظل مخاوفه وهواجسه

من نيات الغرب، سيدفع لا شك إلى سعيه لتوسيع محيطه الأمني، والذي سيخلق من جانبه مزيدا من الاضطرابات في المنطقة.

لا خلاف على أن إيران دولة إقليمية

مؤثرة في المنطقة ولها الحق في الحفاظ على

مصالحها، ولكن تبقى هناك قواعد

للعلاقات الدولية لا بد من مراعاتها.. فتوسيع هذا المحيط ليأتي على حساب الدول المجاورة سيخلق معه المزيد من التوتر، وهو أمر يتنافى مع ما تقدمت به حكومة روحاني نحو تعزيز العلاقات بدول المنطقة وخاصة الخليجية منها، ويضع معه تساؤلا حول مبادرة روحاني الأخيرة لإقامة تعاون إقليمي مشترك، باعتبار أن الأمن في المنطقة هو مسؤولية جميع دولها عبر منظمة أو اتفاق.

إن فكرة التعاون الإقليمي المشترك

التي تقدم بها الرئيس الإيراني حسن

روحاني ستلقى الترحاب من دول الخليج

العربي، مثلما رحبت بتصريحات الرئيس

الإيراني مع وصوله للسلطة. ولكن ما لا بد

من مراعاته هو وجود أرضية مشتركة تقوم

على أساس احترام خصوصيات الدول وعدم

التدخل في شؤون الآخرين، وأن يأتي ذلك

التعاون مراعيًا لجميع الدول، وألا يأتي الثقل

الإقليمي لبعض دول المنطقة بالصورة التي

تجعل من دور بقية دول الخليج العربي لاغيا.

استمرار الخلافات والتباين لن يجدي

نفعاً للمنطقة، ولن يتحقق الأمن والاستقرار

لدول الخليج العربي إلا بالجلوس خلف

طاولات الحوار لطرح وجهات النظر، وحل

الخلافات للوصول إلى المقاربات التي

افسحوا للبهائية بيننا!

إسحاق يعقوب الشيخ - الأيام البحرينية ٢٠١٤/٤/٢١

ان كل جديد له غربة حدثه في مكونات الحياة واشيائها وفي وعي الناس .. فكيف إذا اخذ هذا الجديد غربة واقعه في وعي الأحاسيس الدينية عند الناس؟!

ان سُنَّة الحياة هو هذا المسار التاريخي في التغيير والتجديد في مكونات الحياة المادية والفكرية وفي كل شيء حتى في الدين!!

ان مسألة نهاية الانبياء وجدت لها تحولاً موضوعياً وذاتياً ضمن مكون هذا المسار التاريخي في مخاض الوعي المادي والفكري في ظهور «بهاء الله رسول الدين البهائي» وكان ان لاقت دعوة الترسل البهائية تضافر وتعاوض كل الأديان السماوية ضدها: كدين جديد يناهز بالمحبة الإنسانية لكل الأديان في تعدد وتنوع تعايشها!!

ان الناس احرار في مكونات عقائدهم وأديانهم.. وان الأديان كلها دون استثناء في منهجية دينية متكافئة المنزلة فيما بينها .. وعلى قاعدة ترى ان الدين الذي لا يحترم الدين الآخر .. لا يحترم نفسه .. وهو ما ينعكس في صيغة نبل التعايش بين الأديان. لقد كان الاضطهاد الديني الذي يشكل اقصى الاضطهادات الفكرية والروحية هو اضطهاد الآخر في عقيدته الدينية!.

باريس، وأنهم كانوا يرون ان استغلال بقية الطائرات في انجاز الرحلات الرسمية التي تم الالتزام بها مع الركاب في عدة مطارات دولية افضل من تأجيرها، الا ان قيادة الشركة اصرت على ايجار الطائرة للسلطان مفضل بـ ٢٠٠ الف دولار، مبررة ذلك بإعادة جزء من الخسارة التي تتكبدها الشركة يوميا.

وقال مصدر في الشركة ان طيران اليمنية تعرض خلال الاسبوع الماضي لأكثر من ١٠ اعطال وصفها بالكارثية وانه اصبح متأكلا ولا يمكن الاعتماد عليه خلال الفترة القادمة، وواجهة غير مشرفة لليمن لدى العالم، بل انه اصبح يشعر بالحرج من العمل في الشركة ويواجه العديد من الاحراجات في المطارات الدولية التي تعامل طيران اليمنية معاملة خاصة وكأنها ستتفجر او ستصاب بالأعطال الطارئة في اية لحظة، وانهم الطيران الوحيد الذي يتأخر في المطارات الدولية العربية والاجنبية على حد سواء بسبب سوء الصيانة وقدم الطائرات وعدم الاهتمام بها..

وكان سلطان البهرة مفضل سيف الدين مع الوفد المرافق له تأخر عن مواعيد المقرر في النهار ولم يصل الهند إلا مساءً، الامر الذي حرم اكثر من ٧٠٠ الف شخص من اتباعه من استقباله والتبرك برؤيته؛ بسبب عطل فني في طائرة الايرباس طراز ٣٣٠ كشف عنه في مطار صنعاء قبل رحلتها صنعاء - عدن - مومباي.

ان العقيدة البهائية الدينية ومنذ ظهورها تتعرض إلى القمع والاضطهاد والتكيد

والازدراء .. الامر الذي يتعارض مع الحرية الروحية والفكرية في تعايش الأديان كلها وبدون استثناء بما فيها الدين البهائي.. وتأتي مقولة الفاروق «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا» واقعا يرفض استبعاد الفكر الديني للفكر الديني الآخر!! وهو ما يتأكد في الآية القرآنية «لكم دينكم ولي دين» وكان الترحل الفكري والروحي في منظور عالم دين مرموق في الجمهورية الاسلامية آية الله عبد الحميد معصومي طهراني في شق عصا الطاعة لولاية الفقيه في القيام بإهداء البهائيين حول لوحة خط فنية مزخرفة تبرز آية مقتبسة منقوشة من آثار بهاء الله رسول الدين البهائي .. فيما قرأ هذا العالم الإيراني الجليل بان القرآن الكريم يوصي بتعايش الأديان .. ويؤكد آية الله عبد الحميد معصومي طهراني بأنه قام بكتابة وتنفيذ لوحة الخط الفنية كبادرة رمزية للتذكير بأهمية احترام النفس البشرية والتعايش السلمي بين البشر في اشارة إلى كتاب البهائية «الاقديس» لرسول البهائية في دعوته القائلة: «عاشروا مع الأديان بالروح والريحان ليجدوا منكم عرف الرحمن اياكم ان تأخذكم حمية الجاهلية بين البرية كل بدء من الله ويعود إليه انه لمبدئ الخلق ومرجع العالمين».

ان نورانية روحانية الموهبة الايمانية لدى هذا العالم الديني الجليل دعت ان يخرج على تقاليد الدغمائية الدينية المتفذه في الجمهورية الاسلامية الإيرانية ويصعد بوعيه التنويري على ظلم وظلامية ولاية الفقيه في قمعها وتكيد بالاقليات الدينية والمذهبية في إيران بما فيها البهائيون وفي اعتقال الألوف ويوجد الآن في السجون الإيرانية ١١٥ بهائياً محبوسين لمجرد ايمانهم بالدين البهائي وهم محرومون من التعليم الجامعي ومضايقون في كسب لقمة العيش وممنوعون من ممارسة

طقوسهم الدينية ودفن موتاهم وفقاً لشعائهم الدينية وتعرض مقابرهم للهدم والتدنيس كما ينقل في الاخبار!! ان دعوة هذا العالم الإيراني تشكل دعوة صادقة لروح التعايش السلمي الديني الآمن والمستقر في التسامح والتعايش بين كل الأديان .. دعوة مباركة عليها ان تأخذ طريقها إلى دول الخليج والجزيرة العربية وجميع الدول العربية .. في اعطاء الديانة البهائية حقها في ممارسة طقوسها الدينية وتكريس مواطنيتها في العدل والمساواة بين جميع الأديان والمعتقدات في مجتمعاتنا العربية.

ان صدقية الدين ان تمنح حرية الدين للآخر..
وخلاف ذلك لا يمت إلى صدقية الدين بشيء!!.

«ورقاء روحاني» هذا البهائي البحريني الشامخ والمتفجر وطنية بحرينية وإنسانية على
اثر هذا الخبر الجليل دلف علينا في دار «الأيام» والبهجة تكاد تقتلع خطواته من شدة الفرح التي انتابته وسيطرت على اعماق مشاعره وهو يُزف لنا هذا الخبر الجليل تجاه قيام هذا العالم الإيراني الذي ينتصر لحرية الأديان .. وكانت دموع الفرح تتساب بهجة من مآقي «ورقاء روحاني» وكان كلما اراد الكلام تخانقت كلماته في دموع فرح وبهجة لا تجارى وما كان من كريمته الفاضلة .. الا ان أنابت عنه الحديث «ورقاء روحاني» هو صديق جياش الشاعر حبا لجريدة الأيام وهو يراها الصحيفة التويرية الاكثر تعلقاً إلى قلبه في الدفاع عن حق الاقليات الدينية بما فيها البهائية .. ينشج نشيجاً وجدانياً مرهفاً.. ويمسح عينيه بكفيه متعشراً في نشيج فرحة وجدانية من ان يُعبر عن مدفون أحاسيس مشاعره الإنسانية البحرينية البهائية التي تتدى بهجة تجاه معاني اللوحة الفنية الدينية التي اهداها آية الله عبد الحميد طهراني إلى البهائيين في أنحاء العالم!!.

رصد الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٣٤ شعبان ١٤٣٥ هـ

الوجه الآخر.. محمد باقر الصدر

ميليشيا الإلحاد.. مدخل لفهم الإلحاد الجديد

جهود الشيخ العلامة د. عمر الأشقر في التحذير من الشيعة

المغضلين في صفوفنا ركيزة تفوق إيران وإسرائيل



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٣٤)

شعبان - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ المغفلون في صفوفنا ركيزة تفوق إيران واسرائيل

فرق ومذاهب

- ٤ مجمع التقريب بين المذاهب الشيطان يكمن في التفاصيل معتر بالله محمد

سطور من الذاكرة

- ٨ الوجه الآخر: ٧. محمد باقر الصدر هيثم الكسواني
١٢ ابن عباس يحاور الخوارج د. عمر الأشقر

دراسات

- ١٤ متشعبة الجزائر والجهر بالطائفية بوزيدي يحيى
١٩ الحركة النسوية في مصر (٣) قاسم أمين... عندما تتكشف الأقنعة فاطمة عبد الرؤوف
٢٤ جهود الشيخ العلامة د. عمر الأشقر في التحذير من الشيعة محمود بن محمد حمدان
٣٠ حسابات إيران والمالكي في العراق بعد انتخابات ٢٠١٤ صباح العجاج
٣٣ شيعة مصر بعد ٣٠ يونيو... غدا تتكشف الأسرار أسامة الهيثمي
٣٧ القاعدة تتجه إلى إفريقيا الوسطى محمد خليفة صديق

كتاب الشهر

- ٤٣ ميليشيا الإلحاد... مدخل لفهم الإلحاد الجديد أسامة شحادة....

قالوا

- ٤٦

جولة الصحافة

- ٤٨ استراتيجية التفاوض العربي مع إيران د. محمد السلمي
٤٩ السياسة الخارجية الأمريكية تدخل عصرا جديدا في مواجهة الإرهاب بـ"الهيوب" .. هشام عبيدي
٥٣ خدعة جديدة في الصراع الإيراني العربي! د. أبو سليمان الفاراسي
٥٥ البحرين بين أنصارها والإخوان إبراهيم الهطلاني
٥٦ جماعة فتح الله غلون تتوسع في المغرب موقع مجلة البيان
٥٩ نظام إيران والأيام الأخيرة د. أنور عشقي
٦١ هل تم وضع الأساس للدولة المسيحية في وادي النطرون عامر عبد المنعم
٦٣ كيف يتوسع التشيع في المغرب ومن يموله اليوم؟ صحيفة الاتحاد الاشتراكي
٦٤ ميثاق شرف ثوري لأهم الكتائب المقاتلة في سوريا
٦٥ التعليق على بيان جبهة النصرة بشأن ميثاق الشرف السوري محمد براء ياسين
٦٧ الجهاد الشامي... مآلات واجتهادات شادي بن مهدي

سنوات طويلة دون الوصول لنتيجة واضحة، وطيلة تلك السنوات إيران تتقدم وتتوسع على غرار الإستراتيجية الإسرائيلية في التفاوض، فكلما قاربت المفاوضات على الوصول لنتيجة، تكون المعطيات الإيرانية والإسرائيلية على الأرض قد تجاوزتها وتعدتها، مما يرجع المفاوضات لنقطة الصفر في كل مرة.

فهل يمكن للدول العربية الوصول لنتيجة مع إيران! خاصة وأن إيران تستفرد بها دولة دولة، وفي مفاوضات غير معلنة، ولا تكل إيران ولا تمل من دعوة العرب للتحاور بهذه الطريقة الخبيثة، فإذا كانت القوى الدولية مجتمعة لم تفلح في منازلة الخبث الإيراني، فكيف بدول عربية متفرقة؟ وهكذا تمضي إيران تشتت الصف العربي وتمزقه، مما يدفعها للأمام، وأكبر دليل على ذلك، حال أصدقاء سوريا من العرب، فقد نجحت إيران في تفريق صفهم بنزاعات على الحدود وعلى ملفات إقليمية، وإشغالهم في قضايا وتحديات محلية، مما أضعف دعم الثورة السورية، وجعل ظهرها مكشوفاً لا قوة يستند إليها.

أما الإعلاميون والمنتقون المغفلون في إيران تسوق عليهم خطاباً أيديولوجياً محملاً بشعارات العداء للسياسات الغربية والإسرائيلية، وهؤلاء تدغدغهم هذه الخطابات وتستهيهم لإخلاصهم للعروبة وفلسطين، فيقبلونها مع اعتراضهم على مواقف إيران وطائفيتها، لكنهم يقومون بعملية فصل بين إيران في العراق وسوريا واليمن ولبنان والبحرين، وبين إيران وإسرائيل، ويصرحون: طالما

المغفلون في صفوفنا ركيزة تفوق إيران وإسرائيل

نعم، هذه هي الحقيقة! نظام الملالي في طهران يستمد قسماً كبيراً من قوته في بلادنا من المغفلين الذين في صفوفنا، وهؤلاء المغفلون ليسوا من العامة والسذج فحسب، بل الأخطر والمهم المغفلون من الساسة والإعلاميين والمنتقنين والإسلاميين والعلمانيين، وطبعاً هناك شريحة أخرى من هؤلاء وهم العملاء والخونة لإيران، وهؤلاء كما قالت العرب «فالج لا تعالج»، فلا أمل فيهم ولا رجاء.

أما المغفلون والماضون في دعم وتأييد إيران وسياساتها فدوافعهم الطيبة والكارثية **متنوعة**، وإيران تعرف أن ولاءهم غير مضمون، لكنها تقبل منهم ذلك، فهي «تريد عنباً لا مقاتلة الناطور»، وهو ما يتحقق لها.

بعض الساسة المغفلين عندنا يتوهم أن إيران يمكن الوصول معها إلى تفاهم على المصالح وقسمة المكاسب أو النفوذ في المنطقة، وخاصة حين يتصدر المشهد ملالي لطفاء مبتسمون مثل رفسنجاني وخاتمي وروحاني، بخلاف المتزمتين والمتعصبين كنجاد.

ولذلك نجد دعوات للحوار والتفاهم وتقاسم النفوذ والأدوار، وخاصة أن أمريكا والغرب على وشك عقد صفقة مع إيران، فلماذا لا نجرب نحن أيضاً عقد صفقة معها؟ قد يبدو هذا منطقياً، لكن إذا كانت إيران تفاوض القوى الدولية من

أن إيران ضد إسرائيل - طبعاً بالشعارات فقط - فنحن مع إيران!

ويرون أن التصدي للعدوان الإيراني يضعف

من العداء العربي لإسرائيل! وهؤلاء المثقفون والإعلاميون حالهم كحال الأنظمة العربية التي احتضنت الاستبداد والفساد وحاربت الحريات والديمقراطية والشفافية بحجة الصراع مع إسرائيل، وفي الحقيقة لا هي صارعت إسرائيل ولا أصلحت نفسها، وهؤلاء لا يحاربون إسرائيل ولا يحافظون على ما تبقى من دول العرب!

والعجيب أنهم يقولون إن صد العدوان

الإيراني يشعل الحالة الطائفية لمصلحة

إسرائيل، وإيران تستغل ذلك لمواصلة العدوان بأمان لأن هناك من يعطل جرس الإنذار واستدعاء الإطفاء، وهكذا تقوم إيران بإلهاء العرب في قضايا طائفية متجددة تصرف الجهد عن إسرائيل، ويقوم المغفلون بتعطيل مقاومة العدوان، حتى نصل للصراع مع إسرائيل ولا نجد قوة نعتمد عليها، وإلا من دمر الجيش العراقي؟ أليست إيران، ومن يدمر الجيش السوري في حرب مع شعبه بكل الأسلحة التي لم تتحرك يوماً للدفاع عن العاصمة دمشق ضد ضربات سلاح الجو الإسرائيلي؟ أليست إيران.

وفوق هذا يرون الصفقات والمفاوضات

الإيرانية الأمريكية تكرر، ولا يزالون يعتقدون

أن إيران عدو حقيقي لإسرائيل وأمريكا!!

أما الإسلاميون المغفلون، فهم يظنون أنهم

خارقو الذكاء بحيث يمكنهم التلاعب بالورقة الإيرانية مع إيران بحيث يكسبون دعمها لصالحهم في الصراع مع إسرائيل أو الأنظمة، وللأسف أنهم يعيشون في وهم كبير، فإيران ليست جمعية خيرية ولا تدعم الإسلاميين لسواد عيونهم، وإنما لما تحققه من مصالح لها في اختراق المجتمعات السنية، وقد رأينا إيران وحزب الله يتفرجان على غزة وهي تُقصف في ٢٠٠٨، وإيران لم تتورع عن الغدر بالإسلاميين في مصر وسوريا ولبنان وغيرها، بل لم

تتورع من دعم الانقلاب على الرئيس محمد مرسي، ولم تتورع من ضرب الثورة السورية، وها هي إيران وحزب الله يقتلان الشعب الفلسطيني في سوريا وهما يرفعان شعارات تحرير فلسطين ونصرة المستضعفين، ثم نجدهما أجروا بحق الفلسطينيين في العراق وسوريا بأبشع مما فعلت إسرائيل.

إن بقاء هذه النخب المغفلة والساذجة تمارس

هذا الدور الخبيث في تمرير المخططات الإيرانية

أو التبرير لها أو تعطيل جهود فضح عدوانها، لهو من أكبر أسباب تمادي إيران في غيها وعدوانها، وهو ما قد يمتد للشارع العربي والإسلامي الذي نبذ إيران ووكلاءها بسبب فضائحهم في سوريا وطائفيتهم في العراق وما تبثه قنواتهم وفضائياتهم من اعتداء على المقدسات الإسلامية والأحكام الشرعية.

ولكن جهود هؤلاء المغفلين مع سياسات

الإعلام الرسمي العلماني المرتكز على تلهية

الجماهير بالشهوات وتخديره بالراقصات

والفنانين، بحجة محاربة التطرف والإرهاب، ستكون نتائجها كارثية على الدول العربية.

إذ في الوقت الذي يقوم فيه الإعلام الإيراني

بتبني خطاب تحريضي عاطفي حماسي مخادع،

يجذب المخلصين المغفلين، ليصنع منهم جواسيس وعملاء وخداما له، يقوم الإعلام الرسمي بتفريغ الساحة أمامه بصناعة جيل تافه لا قيم له ولا أخلاق، جيل تائه لا قضية له ولا فكر يحمله، ويكمل الدائرة النخب المغفلة التي تستجلب الذئب لبيتها وتظنه الحارس لها والحامي.

وطالما بقيت هذه الدائرة السيئة قائمة فلا

تتوقع أن تجد وحدة وطنية، أو نهضة اقتصادية،

أو جيلا صاعدا، أو تقدما في نصره الأقصى، أو قوة تتراكم، بل ستجد صراعات محلية وفوضى دائمة، وجيلا تائها، واقتصادا منهارا، وتمددا إسرائيليا، وضعفا وتفتتا متواصلا.

لعلماء المسلمين، وقد تناوب على هذا المنصب مع محمد واعظ زاده الخراساني، الذي كان أول أمين للمجمع بتعيين مباشر سنة ١٩٩٠م من علي خامنئي.

نشاطات

ينشط المجمع في إقامة مؤتمرات ونشاطات للتقريب بين المذاهب، لكن نشاطاته في العديد من الدول العربية تقلصت خلال السنوات الأخيرة في ظل المتغيرات الإقليمية التي كشفت طبيعة الدور الإيراني في كل ما يتعلق بزرع الفتنة ورعاية الاضطرابات ونشر الطائفية، بداية من العراق مروراً باليمن والبحرين فسوريا، الأمر الذي حدا

بعدد كبير من دعاة التقريب السنة إلى التراجع بعد استشعار خطر الدعوة الشيعية، على رأس هؤلاء الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي الذي صُنف في السابق كأحد



رموز دعاة التقريب في هذا العصر.

ومنذ تأسيس المجمع حاول استغلال موسم الحج لإقامة ندوة في مكة المكرمة في الفترة ما بين الخامس والسادس من ذي الحجة كل عام تحت مسمى (الندوة العالمية للتقريب) لمناقشة بعض

مجمع التقريب بين المذاهب... الشیطان یکن فی التفاصيل

معتز بالله محمد (*) - خاص بالراصد

تأسس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية عام ١٩٩٠م على يد علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية، وكان هدفه المعلن محاولة التوفيق بين المذاهب الإسلامية وتعزيز نقاط التلاقي، ونبذ الفرقة، لكن ثمة اتهامات للمجمع

باستخدام هذه الورقة غطاءً لنشر المشروع الشيعي في المنطقة.

يترأس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومقره طهران، آية الله محمد علي

تسخيري، وهو المستشار الأعلى لقائد الثورة الإسلامية في شؤون العالم الإسلامي والذي كان أيضاً حتى وقت قريب نائبا لرئيس الاتحاد العالمي

(*) كاتب مصري.

المسائل العالمية المطروحة على الساحة الإسلامية، وبحضور عدد من حجاج بيت الله الحرام على اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم. وأقام المجمع أيضا ندوات ومؤتمرات التقريب والوحدة الإسلامية في أكثر من ٢٦ دولة حتى الآن في قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا.

كذلك من بين نشاطات المجمع عقد المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية في الفترة ما بين الثاني عشر حتى السابع عشر من ربيع الأول في العاصمة الإيرانية طهران، وقد نظم حتى الآن ٢٧ مؤتمرا.

الشياطين تعطل

المؤتمر الأخير الذي عقد في يناير الماضي كانت من بين أهدافه المعلنة التعاضد بين المسلمين ونبذ الفرقة والخلافات ومحاربة أعداء الإسلام الذين يسعون إلى إيجاد الفرقة والنزاع وتعميقهما بين أبناء الأمة الإسلامية والتصدي للتكفيريين ومحاولاتهم تشويه صورة الإسلام السمحة.

لكن كما يقولون: الشيطان يكمن في التفاصيل، فبتحليل ما جرى في المؤتمر يتضح إلى أي مدى تستغل إيران شعارات الوحدة والتقريب لأهداف سياسية واضحة تتفق مع النهج الطائفي والمشروع الشيعي.

فعلى سبيل المثال جعل الرئيس الإيراني حسن روحاني كلمته التي ألقاها خلال افتتاح المؤتمر رسالة تهديد إلى الدول الداعمة للمعارضة السورية المسلحة، مشددا على بقاء نظام الأسد، مضيفا: «إذا ظنت أي دولة أنها قادرة عبر دعم الإرهاب والتطرف على إسقاط حكومة في المنطقة فهي مخطئة ١٠٠٪ وسيتردان عليها».

كذلك فمن العجب مشاركة شخصية مثل إبراهيم الجعفري الرئيس الأسبق للحكومة العراقية (٧ أبريل ٢٠٠٥ - ٢٠ مايو ٢٠٠٦) في المؤتمر ودعوته إلى الوحدة والتقريب بين السنة

والشيعة وهو المتهم بارتكاب جرائم طائفية ضد العرب السنة ودعم ميليشيات القتل على الهوية، وتحويل العراق إلى سلاخنة، وهو ما يعرفه العراقيون أكثر من غيرهم.

الأدهى أن ممثل العرب السنة في هذا المؤتمر كان المفتي السوري بدر الدين حسون، الذي يعرف كل سوري أنه يعد من أبرز الشخصيات التي بررت قتل نظام الأسد لأكثر من ٢٥٠ ألف شهيد، وذبح الأطفال والنساء، ودافع عن ممارسات النظام وهي تنتهك حرمة المساجد.

أليست إذن مشاركة أمثال الجعفري وحسون وغيرهم ممن سفكوا دماء أهل السنة بشكل مباشر أو عبر التحريض دليلا على الهوة العميقة بين شعارات مجمع التقريب وبين الواقع على الأرض، وعبثية المشهد الذي تسوّقه إيران كراعية للوحدة الإسلامية؟

وحتى يكتمل المشهد يدعو المجمع العلماء والمفكرين سواء الذين مازالوا يرون إمكانية تحقيق الوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة رغم كل ما يحدث أو أولئك المحسوبين على طهران والمستفيدين من عطاياها من صحفيين ومثقفين عرب، حيث شهد المؤتمر الـ ٢٧ حضور علماء ومفكرين من خمسين دولة بما في ذلك قطر والسعودية واليمن ومصر ولبنان والعراق والجزائر وماليزيا وروسيا واليونان وتايلاند وبريطانيا وأمريكا وأستراليا وأوغندا وهولندا.

فساد من الرأس

الخطير أن المشاركين في مؤتمرات المجمع ليسوا وحدهم من تدور حولهم الشبهات فيما يتعلق بالتحريض على قتل السنة، حيث أن من يقفون على رأس المجمع نفسه أبعد ما يكونون عن فكرة التقريب.

ف رئيس المجمع العالمي للتقريب آية الله علي

تسخيري، يتبنى الأجندة الإيرانية الخاصة بنشر التشيع في الدول السنية وهو ما يتم تحت غطاء التقريب، وبالتسسيق مع عدد من المؤسسات الإيرانية مثل المجمع العالمي لاهل البيت. ويستमित التسخيري الذي يمارس التقية ببراعة في الدفاع عن إيران وتبرئتها من تهمة نشر الفتن في العراق ولبنان وسوريا وغيرها من بلاد المسلمين.

لكن مؤتمر حوار المذاهب الإسلامية الذي عقد في قطر في يناير ٢٠٠٧ أسقط ورقة التوت بشكل كبير عن تسخيري، عندما حدثه الشيخ يوسف القرضاوي طالبا منه جعل التقارب حقيقة لا كلاما، وتخلي الشيعة عن الممارسات التي تستفز أهل السنة كسب الصحابة، وضرورة أن يتبرأ الشيعة من الطائفية في العراق بكل ما أفرزته من قتل وتهجير وتعذيب، يتم برعاية إيرانية.

وكان من البديهي أن يعترف تسخيري بالأخطاء الإيرانية وي طرح رؤيته في تصويبها، كطريق فاعل لتضييق الهوة وصولا إلى التقريب الحقيقي، لكن هذا لم يحدث بالمرّة، حيث آثر الابتعاد عن الحقيقة والتغطية على جرائم إيران، متهمًا الاحتلال الأمريكي وإسرائيل بالمسؤولية عن تأجيج الطائفية في العراق.

تسخيري وخلال المؤتمر نفسه وقع في تناقض لافت في معرض رده على الدعوات المطالبة بإزالة مقام المجوسي أبي لؤلؤة فيروز في كاشان والذي يسمونه بابا شجاع الدين، قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أنكر في البداية أنه رأى هذا المقام، ثم عاد وأكد أن قبر أبي لؤلؤة «ليس مبنى فخماً أو مهماً، بالدرجة التي يروج لها، بل هو مزار سخيف لرجل قاتل».

وجه آخر للتناقض البين هو آية الله الشيخ محسن الأراكي أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وهو مؤسس المركز الإسلامي في إنجلترا، شغل في السابق عضوية

مجلس خبراء القيادة في إيران.

ويدافع الأراكي هو الآخر عن سياسة إيران وجرائمها التوسعية بالمنطقة، وفيما لا يكف عن الدعوة للتقريب ورأب الصدع بين المسلمين، نراه يدعو لـ «الجهاد» في البحرين حتى الإطاحة بالنظام، ومن أقواله لشيعة البحرين: «ثقوا إخوتي وأخواتي بالنصر، واثبتوا في درب الجهاد والمقاومة والصمود؛ فإن نصر الله قريب، واعلموا أن كلّ كلمة أو موقف يؤدي إلى تثبيط عزيمة المجاهدين، وتخويفهم من عواقب الجهاد والصمود، فإنما هو من نفثات الشيطان، لا بد أن يضرب به عرض الجدار، وأن مواصلة درب الجهاد حتى تحقيق النصر الكامل هو الواجب الإلهي الذي لا ينبغي أن يشك فيه مؤمن يثق بكتاب الله ووعدوه، ويؤمن بأوامره ونواهيه».

وفي أواخر العام الماضي تعرض الأراكي لهجوم واسع من الكويتيين بعد أن اتهم بلادهم في حديث لصحيفة «الراي» الكويتية بأنها أصبحت مصدرا «لترية إرهابيين وساحة لدعاة قطع الرؤوس».

وقد رد عليه أمين عام تجمع ثوابت الأمة النائب السابق محمد هايف بالقول «إن على من يؤيد التقريب بين المذاهب أن يلقي نظرة على سورية، ويتفحص التدمير والقصف الذي يطول منازل الأبرياء العزل».

وأضاف هايف: «لو أراد الأراكي التقريب بين المذاهب فإن عليه إعلان معاناة أهل الأحواز الذين يتعرضون يوميا إلى الاضطهاد، رغم أن الكثيرين منهم شيعة، لكن النظام الإيراني يحارب العرب ويريد طمس الهوية العربية من الأحواز المحتلة، لدرجة أنهم منعوا الأحوازيين من تسمية مواليدهم بأسماء الصحابة».

كتب وأهداف

يمكن القول إن الكتب التي أصدرها مجمع التقريب تأتي متسقة تماما مع الأجندة الإيرانية في

نشر التشيع، لذلك فإنها تشكل خطراً كبيراً طالب الكثير من المفكرين بضرورة التصدي له.

لو دققنا في قائمة منشورات المجمع العالمي للتقريب الذي تناوب على رئاسته الخراساني ومن بعده التسخيري لوجدنا أنها على قسمين: قسم بالفارسية وقسم بالعربية وهو الأكثر، وهو ما يهمننا، ولو تفحصنا محتويات كل قائمة لأمكننا أن نقسمها التقسيمات التالية:

تُصنف الكتب التي طبعها المجمع إلى قسمين أحدهما بالفارسية والآخر بالعربية، ويمكن تصنيف كل قسم إلى كتب سنية بعضها تراثية بتحقيق شيعي بهدف تعزيز فكرة أن السنة أنفسهم يؤمنون بالمفاهيم الشيعية، وكتب شيعية تروج للمذهب الشيعي.

ومن أشهر الكتب السنية التراثية كتاب «فضائل أهل البيت عليهم السلام» من كتاب فضائل الصحابة. تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ). التحقيق: محمد كاظم المحمودي.

حاول المقدم في تحقيقه التقليل من شأن الصحابة ومكانتهم لدى رسول الله ﷺ إذ يقول لدى المقارنة بين الصحابة وأهل البيت في القرآن والسنة إن لفظة الصحابة قد وردت في القرآن في آيات عديدة، «لا يستفاد منها إلا المقارنة والصحة الظاهرية»، مستدلاً على ذلك بآيات مثل ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَِّجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (الكهف).

كذلك سرد المحقق أحاديث من صحيح البخاري في محاولة للوصول إلى نفس الهدف إذ يقول: «أما السنة النبوية فهي لا تتخلف عن القرآن ولا تختلف معه، وقد ورد فيها مثل هذا الشيء الكثير، ونحن نكتفي هنا بذكر بعض نماذجها من صحيح البخاري في كتاب الرقاق (٨١) باب في الحوض (٥٣) الحديث (٥٦٧٦): حدثني عمرو بن

عليّ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن المغيرة قال: سمعت أبا وائل، عن عبد الله (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وورد الكتاب في خمسة أقسام أولها أخبار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وزهده، ثم نسب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فضائله، ثم فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفضائل الحسن والحسين عليهما السلام. وتضمن الكتاب أيضاً (٤٥٧) حديثاً في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

ومن هذه الكتب السنية ذات التحقيق الشيعي أيضاً كتاب «أبو الشهداء الحسين بن علي عليه السلام»، لمؤلفه عباس محمود العقاد. وكذلك كتاب «تفسير القرآن الكريم» لمؤلفه الشيخ محمود شلتوت، ومقدمه محمد واعظ زاده الخراساني.

أما النوع الثاني من الكتب فهو كتب شيعية، وهي الأخطر إذ أنها تأتي لترويج الفكر الشيعي وتجسيد مفهوم تصدير الثورة الخمينية، مثل كتاب «حياة الإمام البروجردي، وأثاره العلمية ومنهجه في الفقه والأصول والرجال» لمؤلفه محمد واعظ زاده الخراساني، أول رئيس لمجمع التقريب، وكتاب «خلاصة التفاسير الإسلامية المشهورة» الجزء الأول. تأليف: محمد باقر الناصري. مركز البحوث والدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - قم. وكتاب (فقه الوفاق) وهو دراسة فقهية مقارنة بين المذاهب الإسلامية لمؤلفه الشيخ محمد مهدي نجف.

ويصدر عن المجمع عدة مجلات مثل «مجلة التقريب» التي أصدرت أكثر من ٧٠ عدداً و«مجلة التقريب نت» و«رسالة الإسلام» ولها أكثر من ٦٥ عدداً. كما يضم على موقعه الإلكتروني مكتبة مرئية وأخرى صوتية للمحاضرات ذات الصلة.

الشيعة المنتظر والإمامة وولاية الفقيه والصحابة وحادثة فدك، وهو ما نحاول تناوله في هذه الحلقة من هذه السلسلة.

أولاً: حياته ونشأته

وُلد المرجع الشيعي العراقي محمد باقر الصدر في مدينة الكاظمية، قرب بغداد، في سنة ١٣٥٣ هـ، (١٩٣٥ م)، وتوجّه منذ صغره لدراسة العلوم الدينية، لا سيما وأنه ينحدر من أسرة الصدر، التي تبوأ عدد من أفرادها مكانة بارزة في هذا المجال (ومنهم والده حيدر، وجده إسماعيل الصدر)، إضافة إلى أن أسرة والدته (آل ياسين) برزت، هي الأخرى، في المجال الديني.

وعندما بلغ محمد باقر الثانية عشرة من عمره تقريباً توجه إلى النجف للدراسة في حوزتها، وهناك تتلمذ، على وجه الخصوص، على يد خاله محمد رضا آل ياسين وأبي القاسم الخوئي. وممّن زاملهم الصدر في تلك الفترة: اللبناني محمد حسين فضل الله، الذي سيصبح فيما بعد أحد مراجع الشيعة البارزين.

ثانياً: المراحل الفكرية التي مرّ بها

يمكن القول بأن محمد باقر الصدر مرّ خلال حياته بمرحلتين فكريتين مختلفتين:

الوجه الآخر

٧- محمد باقر الصدر

هينم الكسواني (*) - خاص به «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبتست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

ارتبط اسم محمد باقر

الصدر لدى القارئ السنّي

بكتابه الشهيرين: «فلسفتنا»

و«اقتصادنا»، اللذين ألفهما في مطلع شبابه، ورأى فيهما الكثيرون دفاعاً عن الإسلام ونظامه السياسي والاقتصادي، وتفنيداً للمذاهب والأفكار المنحرفة، وعلى وجه الخصوص الشيوعية والماركسية، ورأوا في الصدر مفكراً إسلامياً جاداً وملتزماً، منافحاً عن الإسلام ومبتعداً عن الطائفية.

لكن الصورة السابقة ليست كل الصورة،

إذ أن ثمة الكثير مما يمكن قوله في مسيرة الصدر، والمراحل الفكرية المختلفة التي مرّ بها، وآرائه المتطرفة، خاصة ما يتعلق منها بمهدي

(♦) كاتب أردني.



المرحلة الأولى:

تلك التي كان الصدر فيها يدافع فيها عن النظام السياسي والاقتصادي للإسلام، ويحارب الأفكار الفاسدة كالشيوعية والرأسمالية، حيث نشر الصدر في تلك الفترة كتابيه الشهيرين «فلسفتنا» و«اقتصادنا» في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦١^(١)، بحيث كان الصدر في تلك الفترة يكتب عن الإسلام ويفكر فيه أكثر من تفكيره ونصرتة لمذهبه الشيوعي (رغم أن بعض كتاباته الطائفية صدرت في تلك المرحلة).

وتميز الصدر في تلك الفترة بانفتاحه على الفكر السنّي، خاصة فيما يتعلق بموضوع الشورى، ففي نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، أسس الصدر (مع مجموعة منهم: عبد الصاحب دخيل ومحمد هادي السببتي ومحمد مهدي الحكيم وطالب الرفاعي) حزب الدعوة الإسلامية، الذي يوصف بأنه أول حزب إسلامي شيعي ثوري^(٢)، حيث اختلف حزب الدعوة عن الأحزاب السياسية الشيعية السابقة في التخطيط لاستلام السلطة، وليس العمل من أجل حقوق الطائفة الشيعية أو بعض الأمور الإصلاحية^(٣).

كان الفكر الشيعي حول السلطة والحكم والدولة في ذلك الوقت يتمحور حول نظرية «الانتظار» التي يؤمن أصحابها بوجود انتظار الإمام المهدي المنتظر، ويرون حرمة قيام أي دولة للشيعية في عصر الغيبة، وكانت حوزة النجف - إجمالاً - مؤيدة للانتظار.

من جانب آخر، لم تكن نظرية «ولاية الفقيه» التي انتقدت تقاعس فقهاء الشيعة عن تأسيس الحكومات وقيادتها، والاكتفاء بانتظار المهدي، قد تبلورت بشكلها النهائي بعد، فالمرجع الشيعي الإيراني روح الله الخميني الذي يُعتبر أبرز الداعين إلى ولاية الفقيه، والذي جسدها عملياً بقيادته للثورة الإيرانية ضد نظام الشاه، وتولّيه منصب المرشد أو الولي الفقيه بعد نجاح الثورة وتأسيس الجمهورية في سنة ١٩٧٩م، بدأ يطور نظريته حول ولاية الفقيه بعد تسفيره من إيران إلى العراق في سنة ١٩٦٣م، بعد أن قاد انتفاضة ضد نظام الشاه^(٤).

وإزاء ذلك، وجد محمد باقر الصدر وأصحابه أن الفكر الشيعي عموماً لا يلبي طموحهم بإنشاء حزب يستلم السلطة ويؤسس دولة، فقد كان ملاحظاً انضمام الشيعة لبعض الأحزاب والجماعات السنّية كجماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير، وكان هؤلاء الشيعة يعتمدون في الأمور السياسية والحركية والفكرية اعتماداً شبه كامل على كتابات وآراء المفكرين الإسلاميين من أهل السنة مثل حسن البنا وسيد قطب وأبي الأعلى المودودي وتقي الدين النبهاني، «وكانت الكتابات الفكرية للشيخ البنا وسيد قطب، خصوصاً، هي التي قدمت المصدر الأكبر للعقيدة والمناقشة عند الإسلاميين من الشيعة. وكانت أفكارهما هي التي شاركت مشاركة فعالة في تكوين نظرتهم إلى الحياة والعالم من حولهم، وهي النظرة التي قام بتهدّيها السيد باقر الصدر والسيد فضل الله وغيرهما في ما بعد»^(٥).

تأسس حزب الدعوة على مبدأ الشورى والانتخابات،

(١) جمال سنكري، مسيرة قائد شيعي (السيد محمد حسين فضل الله)، دار الساقى، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٣٥، وإسحاق نقاش، شيعة العراق، دار المدى، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٢.

(٢) جمال سنكري، مصدر سابق، ص ٤١.

(٣) أحمد الكاتب، الشيرازي: المرجعية في مواجهة تحديات التطور، منشورات الزمان، لندن، الطبعة الأولى، أيار/ مايو، ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

(٤) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، عمان، ١٩٩٧م، ص ٤١٥.

(٥) جمال سنكري، مصدر سابق، ص ٨٨.

وقد لعب الصدر دوراً كبيراً في تأصيل هذه النظرية في داخل الحزب، حين وضع الأسس الفكرية والخطوط العامة، فقد جاء في (الأساس السادس) أن شكل الحكم في الإسلام في عصر الغيبة يقوم على قاعدة الشورى لقوله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ [الشورى: ٢٣٨] حيث لا يوجد نص من قبل الله ورسوله، وأن الشورى في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم...^(١).

وبسبب أفكاره تلك، لقي الصدر معارضة شديدة من علماء الشيعة، واتهمه بعضهم بأنه أصبح سنياً، وبالوهابية، على اعتبار أن الشورى نظرية سنية في مقابل نظرية النص الشيعة الإمامية^(٢).

وكان الصدر قد كتب رسالة حول آية الشورى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾، ودلالاتها على الحكم الإسلامي ووجهها إلى شيوخه ومراجع الحوزة الكبار مثل الخوئي وحسين الحلي وخاله مرتضى آل ياسين، لكنهم جميعاً أنكروا دلالة الآية على الحكم الإسلامي، ما ولد لدى الصدر أزمة فكرية تحدث عنها في رسالة وجهها إلى تلميذه محمد باقر الحكيم في سنة ١٩٦٠م، قائلاً إنه يتوسل إلى الله أن يعرفه على حقيقة الموضوع، ويوفقه إلى حل الإشكال المتعلق بدلالة آية الشورى، ولذلك فإن حالته النفسية لأجل هذا مضطربة وقلقة غاية القلق^(٣).

المرحلة الثانية:

ويبدو أن باقر الصدر فضّل ألا يسبح عكس تيار الشيعة، وألا يخالف بني قومه ومراجعَه، إذ أن رفض مراجع الشيعة لأفكاره المتعلقة بشكل الحكم جعله لا يذهب بعيداً في موضوع الشورى والفكر السني، لتبدأ في حياته مرحلة فكرية جديدة، انحاز فيها للتشيع والطائفة.

(١) أحمد الكاتب، الشيرازي، ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٦.

ولأن المبرر الذي قام عليه حزب الدعوة، وهو تأسيس الدولة الإسلامية، لم يعد موجوداً، فقد انسحب الصدر من الحزب الذي ساهم في تأسيسه وصاغ مبادئه وأفكاره، حيث يقول محمد باقر الحكيم: «إن السبب في خروجي وخروج الصدر من الحزب كان هو الإشكال الشرعي»^(٤).

وفيما يلي بيان لبعض الأفكار والعقائد التي تبناها الصدر في تلك المرحلة، مع التأكيد على أن بعضها تبناها في فترات سابقة، إذ أن بعض مؤلفاته كتبها في طفولته وشبابه:

١- موقفه من الصحابة:

يطعن الصدر في صحابة النبي ﷺ، ويصورهم بأبشع الصفات، وخاصة الصديق رضي الله عنه، ففي كتابه (فدك في التاريخ) يزعم الصدر أن أبا بكر انتزع من آل البيت أموالهم المهمة ليركز بذلك حكومته، وأنه كان يخشى من أن ينفق علي رضي الله عنه من حاصلات أرض فدك أو غير فدك في الدعوة لنفسه، زاعماً أيضاً أن الصديق اتخذ المال وسيلة للإغراء وكسب الأصوات^(٥).

ويعتبر الصدر أن خلافة أبي بكر غير شرعية، ويصفها بأنها «خلافة لم تباركها السماء، ولا رضي بها المسلمون»^(٦)، كما يعتبر أن الخير والعدل والحق الذي كان عليه الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان إنما أُضطروا إليه خشيةً من

(٤) المصدر السابق نفسه. لكن هناك من يرى بأن انسحاب الصدر من الحزب كان بسبب تطلعه إلى المرجعية، إذ تقضي الأعراف الشيعية أن على من يطمح إلى الوصول إلى المرجعية الابتعاد عن القضايا السياسية، وتجنب الانتساب إلى منظمة أو حزب (سنكري، ص ١٤٩).

(٥) د. طه الدليمي، العلوي وكتابه عمر والتشيع، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ١٠٤.

(٦) المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.

الرأي العام المتمسك بالإسلام وتعاليم النبي ﷺ ،
والذي يمثله علي^(١).

٢- عقيدته في المهدي المنتظر:

يتبنى الصدر عقيدة الشيعة في إمامهم الثاني عشر، المهدي المنتظر، ويدافع عن الروايات التي تتحدث عن خروجه، وقاتله لمخالفه، وإبادته للعرب، وغير ذلك من الطامات، ففي كتابه «تاريخ ما بعد الظهور» الذي خصصه لرسم الصورة التي يكون عليها المهدي المزعوم، وكيف سيستولى على العالم، ويقيم (الدولة الإلهية العادلة)، يقول: «إن المهدي سوف يضع السيف في كل المنحرفين الفاشلين في التمحيص ضمن التخطيط السابق للظهور فيستأصلهم جميعاً»^(٢). ومعنى قوله الفاشلين في التمحيص: أي الذين لم يكونوا على عقيدة المهدي قبل ظهوره.

ويقرر الصدر عدداً من الروايات الشيعية في هذا الصدد مفادها: أن المهدي هذا يبيد العرب جميعاً، ويحل دماء سبعين قبيلة منهم، ويبدأ بقرش فيقتلهم، ويخص بني شيبه فيقطع أيديهم، ويلحقها على الكعبة، ولا يعطي العرب إلا السيف، ولا يستتيب أحداً، وأنه يقدم للموت من قرش خمسمائة فخمسمائة، وأنه لا يزال يفعل بذلك فيهم حتى يأتي على آخرهم، وأنه لا يسير بهدي الرسول مع المخالفين، وبسنة علي بن أبي طالب معهم؛ لأنهما سارا باللين والمسايسة^(٣).

وأما هو فمأمور بالقتل والإبادة، وأنه يذبحهم كما يذبح الجزار شاته، وأن كل من كان قبل ظهور المهدي من المكذبين أو الشاكين فيه،

سيقتله المهدي، ولا يستتبه، ولا يقبل عذره، وأنه لا يسير مع المهدي، ولا يكون من أنصاره إلا من يباشر القتل معه، وتحت قيادته وأن هؤلاء سيعطي كلاً منهم قوة أربعين رجلاً، وأنهم لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله^(٤).

ويقول محمد الصدر نصاً: «سيكون هذا الاجتثاث أو القتل هو أول خطوة رئيسية في التطبيق العادل الذي يهدف إليه التخطيط الإلهي لما بعد الظهور»^(٥).

ويقول أيضاً: «إن سياسة القتل هذه ليست لمجرد الانتصار العسكري، بل هي أساس التطبيق العادل، وإقامة دولة الحق؛ ولأجل ذلك فإن المهدي سيقتل الناس، وإن لم يقاتلوا ويرسل إلى الرجل المنعزل في بيته فيقتله»^(٦).

٣- عقيدته في الإمامة:

يرى الصدر - كبقية الشيعة - أن النبي ﷺ نصّب علياً إماماً من بعده، ويعتبر أن ترك الأمر بلا وصية «سلبية لا يمكن افتراضها في النبي»^(٧). كما اعتبر الإمامة امتداداً للنبوة^(٨).

٤- موقفه من إيران وولاية الفقيه

وجد الصدر ضالته في الثورة الإيرانية، فأخذ يكيل المديح لها ولقائدها الخميني، فبعد نجاح الثورة في سنة ١٩٧٩م، كتب الصدر إلى الخميني رسالة يقول له فيها: «نتطلع بشوق إلى مزيد من

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٢٣١.

(٨) أحمد الكاتب، الشيرازي، ص ٤٨.

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) منذر بن عبد الله الشريف، المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام، ص ٣١، نسخة إلكترونية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٣) المصدر السابق نفسه.

الانتصارات الحاسمة، ونضع كل إمكانياتنا بخدمة كيانكم العظيم»^(١).

وتبنى الصدر ولاية الفقيه على النحو الذي تبناه الخميني، فبعد انسحابه من حزب الدعوة^(٢)، عدل عن الشورى لصالح ولاية الفقيه، وتعززت الفكرة لديه بعد نجاح ثورة الخميني، علماً بأن الصدر كان يرفض، في مرحلة مبكرة من عمره، فكرة الانتظار للمهدي المنتظر، ويدافع عن شرعية قيام السلطة في عصر الغيبة.

وهو كان يقول: «إن المرجع الشهيد معيّن من قبل الله تعالى بالصفات والخصائص، ومن قبل بالأمة بالشخص، وإنه يمثل خط الخلافة الذي كان يمارسه الشهيد المعصوم»^(٣) ... وبناء على هذا صاغ الصدر دستور الجمهورية الإيرانية الذي أكد فيه على «أن المرجعية امتداد للإمامة كما كانت هي بدورها - امتداد للنبوة، وأنها تقوم على مبدأ النيابة العامة للمجتهد المطلق العادل الكفؤ عن الإمام، وفقاً لقول إمام العصر عليه السلام: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله) فإن هذا النص يدل على أنهم المرجع في كل الحوادث الواقعة، ..»^(٤).

(١) جمال سنكري، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢) ثمة من يرى أن انسحاب الصدر من الحزب وإصداره فتوى بحرمة الانضمام إليه كان بسبب التضيق الأمني الذي مارسه عليه النظام البعثي في العراق، إضافة إلى تبنيه لفكرة (المرجعية الصالحة) التي تشترط استقلال طلاب العلوم الدينية عن الدائرة الحزبية (أحمد الكاتب، الشيرازي، مرجع سابق، ص ٤٧، وجمال سنكري، مرجع سابق، ص ١٤٩، و ص ٢٦٨).

(٣) أحمد الكاتب، الشيرازي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ابن عباس يحاور الخوارج

د. عمر الأشقر رحمه الله^(٥) - خاص بـ «الراصد»

أثناء الحرب التي دارت بين علي ومعاوية،

خرج فريق كفر علياً ومعاوية وجاؤوا بأمر لم تكن معروفة من قبل، وذهب ابن عباس إليهم ليوضح الحق، ويكشف الشبهة. قال ابن عباس: دخلتُ عليهم وهم قائلون، فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر، قد أثر السجود في جباههم، كأن أيديهم ثفن الإبل (ثفن الإبل: ما يقع على الأرض من الإبل كالركبتين)، عليهم قمص مرحضة (المرحضة: المغسولة)، فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة التي عليك؟

قال: قلت: ما تعيبون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمانية، قال: ثم قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

فقالوا: ما جاء بك؟

قال جئتمكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم.

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله يقول: (بل هم قوم خصمون) (سورة الزخرف: ٥٨).

فقال بعضهم: بلى فلنكلمه، قال: فكلمني منهم رجلاً أو ثلاثة.

قال: قلت: ماذا نقمت عليه؟

(❖) كاتب أردني.

(٥) من كتابه: جولة في رياض العلماء.

قالوا: ثلاثاً.

فقلت: ما هن؟

قالوا: حَكَمَ الرجال في أمر الله، وقال الله

تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٧].

قال: هذه واحدة، وماذا أيضاً؟

قالوا: فإنه قاتل، فلم يسب، ولم يغنم، فلئن

كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم، ولئن كانوا كافرين، لقد حلّ قتالهم وسببهم.

قال: قلت: وماذا أيضاً؟

قالوا: ومحا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم

يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: رأيتم إن أتيتكم من كتاب الله

وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا، أترجعون؟

قالوا: وما لنا لا نرجع!!

قال: قلت: أمّا قولكم: (حَكَمَ الرجال في أمر الله

فإن الله قال في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَقُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ

حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا

عَدْلٍ مِنْكُمْ ۖ﴾ [المائدة: ٩٥]. وقال في المرأة وزوجها:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا

مِّنْ أَهْلِهَا ۖ﴾ [النساء: ٣٥] فصيّر الله ذلك إلى حكم

الرجال، فناشدتكم الله! أتعلمون حكم الرجال في دماء

المسلمين، وفي إصلاح ذات بينهم أفضل، أو في دم أرنب

ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة؟

قالوا: بلى، هذا أفضل.

قال: أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأمّا قولكم: (قاتل ولم يسب، ولم يغنم)

أتسبون أمكم عائشة؟

فإن قلت: نسبها، فنستحل ما نستحل من

غيرها، فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأمتنا فقد

كفرتم، فأنتم ترددون بين ضاللتين، أخرجتم من

هذه؟

قالوا: بلى.

قال: وأمّا قولكم: (محا نفسه من إمرة

المسلمين) فأنا آتيكم بمن ترضون، إن نبي الله يوم

الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو،

قال رسول الله ﷺ: (اكتب يا علي: هذا ما صالح

عليه محمد رسول الله)، فقال أبو سفيان وسهيل بن

عمرو: ما نعلم إنك رسول الله، ولو نعلم إنك رسول

الله ما قاتلناك.

قال رسول الله ﷺ: (اللهم إنك تعلم أني

رسولك، يا عليّ اكتب: هذا ما اصطاح عليه

محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو)^(١).

لقد كان ابن عباس بحراً زخّاراً، كشف

الشبهة ودحضها، وأتى بالأدلة البينة من الكتاب

والسنة، ولقد أثمرت جهوده فرجع منهم عن باطلهم

ألفان.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى علماء أمثال ابن

عباس، كي يقارعوا أهل الباطل، ويكشفوا عن

شبهاتهم، ويوضحوا الطريق الحق، وفي الأمة بقية

خير، والله غالب على أمره، ولا حول ولا قوة إلا

بالله العظيم.

(١) انظر الاعتصام للشاطبي ١٨٧/٢.

وجود تلك الفيديوهات في الجزائر والظن أنها من دول الخليج. هذا الحدث المفاجئ والصادم للمجتمع الجزائري لا يمكن اعتباره سلوكا عفويا، ولا فرديا معزولا، أو أنه خالٍ من أي أهداف. فما الذي كان يهدف له متشعبة الجزائر من نشر مقاطع الفيديو تلك؟ وما الذي يمكن استخلاصه من مضمونها؟

السياق العام للحدث:

يجدر في البداية الإشارة إلى السياق العام الذي جاء فيه نشر تلك الفيديوهات، حيث سيمكننا ذلك من معرفة الأهداف التي كان يرمي إليها الطرف الذي وقف وراءها. فظهورها تزامن مع فترة شكل فيها موضوع التشيع حدثا شبه مستمر، بداية بالكشف عن اختراق متشيعين للوفد الجزائري الذي زار الرئيس السوري بشار الأسد، رغم عدم تصريحهم بذلك، ونفى المسؤولون عن الوفد علمهم بمعتقدات وخلفيات أعضائه، وأيضا مشاركة المتشيع الصادق سلايمية في برنامج «هنا الجزائر» على قناة الشروق وتصريحه بجزء من معتقداته في مناظرة مع الشيخ عبد الفتاح حمداش، وبالتالي يكون أول متشيع جزائري يبرز إلى الواجهة في وسائل الإعلام الوطنية كصوت شيعي وإن لم يدع تمثيلهم.

وكانت نفس الفضائية عرضت أيضا برنامجا عن التشيع في مدينة وهران التي خرجت منها الفيديوهات، بعدما أقدمت وزارة الشؤون الدينية على تحويل إمام مسجد من أحد الأحياء الراقية المعروف بتواجد متشيعين كثر فيه، حيث شن

متشعبة الجزائر والجمهور بالطائفية

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالمرصد

لا يكاد يخبو موضوع التشيع في الجزائر حتى يطفو إلى السطح مرة أخرى ليتصدر المشهد، وتعود معه الكثير من الأسئلة حول الظاهرة من حيث الحجم والخطورة، والافتعال والحقيقة، وتورط طرف خارجي، وغيرها من الأسئلة، كان آخرها ما تداولته قبل فترة مختلف وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي من أشرطة مصورة لمتشيعين جزائريين وهم يؤدون طقوسهم الدينية، في سابقة هي الأولى من نوعها، إذ يُشاهد لأول مرة متشيعون جزائريون وهم يلطمون ويرددون أدعية شيعية اعتدنا على مشاهدتها في الفضائيات فقط^(١).

ومن هول الصدمة بادر البعض لتكذيب

(*) كاتب جزائري.

(١) كانت عناوين كل الجرائد التي تناولت الموضوع تشير إلى هذا المعنى، حيث تحدثت عن الخبر باعتباره كسرا لحاجز السرية والخروج العلني بكشف الطقوس، ومن الأمثلة على ذلك: شعبة الجزائر يكسرون حاجز السرية وينشرون أول فيديو عن طقوسهم في وهران/ في سابقة من نوعها شعبة الجزائر ينشرون «مقطع فيديو» عن طقوسهم بمدينة وهران/ شعبة الجزائر ينشرون لأول مرة مقطع فيديو عن طقوسهم بمدينة وهران/ بعد مدة من التستر: شعبة الجزائر ينشرون لأول مرة «مقطع فيديو» عن طقوسهم بـوهران!/ بالفديو.. شعبة الجزائر يكسرون حاجز السرية وينشرون فيديو وهم يمارسون طقوسهم/ شعبة الجزائر ينشرون طقوسهم لأول مرة والوزارة تتنرج/ شعبة الجزائر يخرجون إلى العلن بطقوس اللطم.

الإمام حملة على هؤلاء بعدما أصبح نشاطهم أكثر علنية، ثم الوقفة التضامنية من طرف حزب الصحوة السلفية غير المرخص له، ودعوة زعيمه الشيخ عبد الفتاح حمداش وزارة الشؤون الدينية التي هونت من هذا الخطر بالتحرك لحماية المواطنين من سموم التشيع^(١).

إضافة إلى هذا افتتاح شباب جزائريين صفحة على الفيسبوك تحت اسم «الفاضح لشيعة الجزائر»، وكما يظهر من الاسم فهي تهتم بفضح المتشيعين من خلال تتبع كل ما يقومون به سواء على أرض الواقع أو في مواقع التواصل الاجتماعي، وقد كانت هذه الصفحة هي السبابة إلى نشر تلك المقاطع ومن ثم تناقلتها وسائل الإعلام الأخرى^(٢).

في سياق كل هذا وجد المتشيعون أنفسهم أمام حملة وإن كانت غير ممنهجة ولكنها جعلتهم في دائرة الضوء، فكان لابد حين إذ من رد فعل لإثبات النفس، وفي هذا الإطار جاءت خطوة نشر الفيديوهات.

خطوة انفعالية أم محسوبة؟

قد يعترض البعض عن هوية الطرف المسؤول عن نشر تلك الفيديوهات، فبعد التشكيك في أن المتشيعين جزائريون، الذي ثبت عدم صحته بفيديوهات أخرى، جاء الدور التالي بالقول بأنها سرقت منهم ولم يكونوا هم من نشرها، وإن كانت المعطيات المتوفرة لدينا حتى الآن تؤكد أن المتشيعين هم مصدر المقاطع فإنه بغض النظر عن هذه الجزئية فإن مضمونها يدل على أمر مهم جدا، يتمثل في أن الطرف الذي كان يصور المقاطع متشيع ولم يكن يفعل ذلك خفية وإنما بشكل

علني حيث يتجول بينهم، كما يظهر في أحدها وهو يتجاذب أطراف الحديث مع بعض الشباب الذين يتبادلون معه المزاح مع لا مبالاة البقية وعدم اكتراثهم لظهور صورهم، والنوافذ المفتوحة خلال أداء الطقوس وترديدهم لتلك الشعارات بصوت مرتفع، والذي لا شك ينتشر في المحيط القريب، - وإن كان البعض يقول بأن هذه الأماكن شبه معزولة حرصا لعدم لفت الانتباه- ولو كان المتشيعون يخافون ويتوجسون ويريدون سرية تامة لطقوسهم لما سمحوا بالتصوير من الأساس.

كما أن سياق الأحداث يؤكد أنها ردة فعل وليست عفوية بدليل أن المدينة التي أثير فيها اللغط حول التشيع (وهران) هي نفسها التي صُورت فيها الفيديوهات، واللافت هنا أن التسجيل لم يكن لاحقا للضجة التي أثيرت حول إمام المسجد وحملته على المتشيعين وإنما سبقها بأشهر، إذ تشير المقاطع إلى أنها تتعلق بمناسبة مقتل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي تتوافق مع السابع عشر من شهر رمضان، والفارق بين التصوير والنشر قرابة العشرة أشهر، والخطوة تأسيسا على هذا ليست انفعالية كرد فعل من مجموعة مراقبين (هذا لا ينفي أنها مراقبة دينية ككل) بل كانت محسوبة وعن سابق إصرار وترصد، ولا نبالغ بالقول بأنها كنت بتوجيه خارجي.

دور الطرف الخارجي:

لأهمية هذه الجزئية وخطورتها ارتأينا تناولها في محور مستقل، حتى نبين حججنا في ما ذهبنا إليه. فمما هو محل اتفاق أن الثورة السورية كشفت عن إستراتيجية إيرانية متكاملة لتحقيق أهدافها، تعتمد أدوات عربية كان أبرزها حزب الله اللبناني والمليشيات الشيعية، وما أعلن عنه مؤخرا أحد قيادات الحرس الثوري الإيراني عن تأسيس خلايا شبيهة بحزب الله في سورية حلقة من بين تلك الحلقات.

هذه المقدمة رغم تعلقها بموضوع يبدو للوهلة الأولى أنه خارج نطاق هذه المقالة، هي في الواقع

(١) إمام مسجد: شيعة يروجون لمذهبهم بين شباب وهران بـ «زواج المتعة»، رأي اليوم، ٢٠١٤/٠٢/١٣، على الرابط:

<http://www.raiaiyoun.com/?p=52373>

(٢) رابط الصفحة على الفيسبوك: <https://www.facebook.com/pages/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B6%D8%AD-%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1/631238186936969?fref=ts>

ضرورية لفهم الخطوة التي أقدم عليها متشيعية الجزائر، حيث نرجح دور الطرف الخارجي في توجيه سلوك المتشيعين هذا، وقد سبق لنا التطرق لدلالات وجودهم في الوفد الجزائري الذي زار الأسد، والتي كان من بينها الحاجة لتسويق قبول عربي للنظام وما قام به المتشيعون هو خدمة بتوجيه لا يستبعد تورط السفارتين الإيرانية والسورية بشكل مباشر أو غير مباشر فيه^(١).

وكما هو ثابت عند كل تجمع بشري سواء كان دينيا أو سياسيا أو غيرهما، وجود تراتبية هرمية في المسؤولية، وفي حالة الجماعات الدينية تكون القيادة أكثر أهمية، إذ لا يستطيع الأتباع والمريدون القيام بأي شيء دون توجيه من رمزهم الديني خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمصير المجموعة الدينية كلها، وفي الحالة الشيعية هناك علاقة وطيدة بين المرجع والمقلد، حيث يخضع الأخير لتوجيهات المرجع، ويستحيل أن يصدر عنه أي سلوك دون ضوء أخضر منه، وحلقة الوصل بينهما هو وكيل المرجع الذي تتمثل مهمته في جباية الخمس من المقلدين ونقل أسئلتهم إلى المرجع والإجابة عنها.

فالشيعية يعيشون في أنحاء العالم كأقليات، وليست لهم القدرة على ممارسة نفوذ سياسي في تلك البلاد التي يقيمون فيها. بناءً على هذا يتوجهون نحو الأشخاص القريبين منهم، ومن ثم يستطيعون حل مشكلاتهم، وحتى لو كان هذا المقلد متبعاً للمرجعية الولائية الإيرانية، فإنه يجب عليه أن يرجع إلى ممثليها في الدولة، ومن المؤكد أن كثيرين يفضلون هذا الخيار، وتتميز لبنان بشكل أساسي بهذه السمة^(٢).

(١) لتفاصيل أكثر أنظر: بوزيدي يحيى، دلالات وجود متشيعين جزائريين في وفد زيارة الأسد، مجلة الراصد، العدد ١٢٨، ٢٠١٣/١٢/٤، على الرابط:

http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6455

(٢) رسول جعفریان، المرجعية الشيعية - الوجه الآخر للمرجعية الشيعية في إيران والعراق (الماضي والحاضر)، مركز التنوير للدراسات الإنسانية، على الرابط:

http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20036&page_id=0

وفي الكثير من الدول السنية التي ظهرت فيها آفة التشيع لا تخطئ العين رؤية علاقة هؤلاء بإيران، فعلى سبيل المثال للداعية الشيعي علي الكوراني، الذي يحظى بدعم كبار المرجعيات الدينية في النجف وقم، ارتباط وثيق بالمؤسسات الأمنية والعسكرية الإيرانية، والقريب جداً من السلطة الممثلة في مكتب المرشد خامنئي، وهو من افتتح أول حسينية في مصر^(٣). كما كانت مجموعة القيادي الشيعي أحمد راسم النفيس وراء تأسيس حسينية شيعية في منطقة البحر الأحمر، في مدينة الغردقة بزعم أنها مزرعة وليست حسينية، بتمويل إيراني^(٤).

والمتشيعون الجزائريون ليسوا استثناء من هذه القاعدة، وفعل التصوير الذي قاموا به بحد ذاته نابع عن توجيه، وكذلك قرار نشر تلك الفيديوهات. بناءً على هذا لا نستبعد أن الفيديوهات ترسل إلى الخارج، وتحديداً إلى المرجعية، على الأقل من باب إثبات النشاط والحركية لها، ومن المرجح أن يكون المسؤول عن ذلك هو وكيل المرجع، وهو نفسه من أعطى الضوء الأخضر لنشر الفيديوهات بعد مشاور مع مرجعيته أو الجهة التي تملك زمام أمرهم سواء كانت سياسية أو دينية.

الطقوس والاغتراب الوجداني

تظهر المقاطع أن عدد المتشيعين كبير نسبياً، والراجع أن الحضور ليس من مدينة وهران لوحدها، وقد يكون من بينهم متشيعون من مدن مجاورة أيضاً، كما أن الاجتماع لأداء الطقوس ليس بالجديد أو المعزول وإنما القوم اعتادوا على هذه التجمعات منذ سنوات، ومما يدل على ذلك أنه سبق لطالب الماجستير إبراهيم بن زاوي من

&page_size=15&links=True

(٣) فراج إسماعيل، أول لطمية في بلد الأزهر، جريدة المصريون، ٢٠١٢/٠٥/٠٩، على الرابط:

<http://almesryoon.com/permalink/7334.html>

(٤) أول حسينية شيعية بتمويل إيراني بمصر، مفكرة الإسلام، ٢٠١٢/٠٤/٠٦، على الرابط:

<http://islammemo.cc/akhbar/arab/2013/04/06/169320.html>

معهد الإنتربولوجيا بجامعة وهران أن تناول الظاهرة بالبحث، وكانت مذكرته تحت عنوان: «رمزية المقدس في مخيال المتشعبة عاشوراء - بوهران - نموذجاً».

والمذكورة تم إعدادها سنة ٢٠٠٥، وهذا يعني أن هناك عقدا كاملا تمارس فيه هذه الطقوس بشكل مستمر ودون انقطاع، بل رصدها ودراستها لا شك يكون مسبقا بسنوات أخرى تبلورت فيها الظاهرة، وهو ما مكن من التجمع بهذا القدر الكبير نسبيا، كما أن المناسبة الأهم عند الشيعة هي عاشوراء، ما يعني أيضا أنهم وسعوا المناسبات منها إلى ليلة استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا شك أنهم يجتمعون في مناسبات أخرى على غرار مولد مهديهم أو إمامهم الثاني عشر وغير ذلك، والتأغم في التفاعل مع الرادود والتجاوب معه، يدل على خبرة بلغت حد التجانس، وكل هذا يؤشر إلى مستوى متقدم من الطمأنة وعدم التخوف والاستعداد للعنفية.

كما تؤشر الطقوس وهذا الأهم، إلى شكل من الانعزال المجتمعي والاغتراب الوجداني، فالتعبد داخل مجموعة مغلقة خارج منظومة الشعائر السائدة في المجتمع الجزائري، بل والمتناقضة معه، كما يعكسه الطقس الذي تصوره الفيديوهات. فالمناسبة تأتي في منتصف شهر رمضان، وهي تتعلق بمأساة كبيرة عندهم تتمثل في مقتل الإمام الأول والمجتمع لا يبالي بالحدث، وهذا في حد ذاته ظلم لهم، والأمر نفسه ينطبق على كل المناسبات الأخرى وخاصة منها عاشوراء التي تمثل لحظة الفراق الوجداني إذ يوم حزنهم هو يوم فرح في المجتمع حسب ادعائهم.

وما يثبت هذا الاغتراب هو تشكيك البعض في جزائية تلك الفيديوهات والظن أو احتمال أنها في دولة خليجية، هذا الاحتمال الذي فند بالأدلة بعدما ظهر في أحد الفيديوهات من صرح عن تشيعه في البرنامج التلفزيوني على قناة الشروق، والذي تحدث عن عزمهم تنظيم الاحتفال بعاشوراء للصحفية

وأعرب عن استعداده لاستضافتها، ثم وفي بوعده، وظهر في الفيديوهات وهو يوزع الطعام على الحاضرين في الاحتفال الديني.

هذا النفي والتشكيك هو بحد ذاته دليل إدانة للمتشييعين، حيث أثبت ذلك القدر الكبير من التشابه في الطقوس كما هو الحال في المجتمعات الشيعية، فلكنة الرادود القريبة من أمثاله الذين يظهرون على القنوات الشيعية المشرقية ترجح أن يكون من الشباب الذين سافروا إلى قم وغيرها من الحوزات وتعلموا أداء تلك الطقوس، والمتشييعون يقلدون الطقوس بحذافيرها بما في ذلك تعصيب الرؤوس، واللافتات المكتوب عليها: لبيك يا حسين، واللطم والبكاء، وهذا يدل أيضا على وجود قدر من التواصل شبه المنظم لتوزيع المهام. كما يبين حجم الاغتراب الذي يعيشونه.

وأخطر ما يترتب على هذا الاغتراب أن المتشييعين ينظرون لهذه الحملة الإعلامية ضدهم بأنها شكل من أشكال الظلم الذي عانى منه آل البيت وشيعتهم، وهذه هي مظلوميته في الجزائر، ولا شك أنهم في قابل الأيام وإذا ما كتب لهم الانتشار أو التمرکز في منطقة ما فسيجعلون من هذا محور ما يلقونه لأتباعهم، بل وسيعتبرون أنفسهم ضحايا التكفير والعنف الوهابي وغير ذلك مما يبدع فيه المتشييعون.

لكن من جانب آخر فإن الطقس ينفي محاولتهم الظهور بمظهر المثقف الواعي العقلاني الذي ينبنى تدينه على أسس علمية وبحث معمق وليس عن أفكار ورثها عن آبائه أو ما يعرف بالتدين التقليدي، والحقيقة أنهم انتقلوا إلى التدين الشيعي دون أي تمحيص ولا يوجد لهم أي تميز أو انفراد، فحتى الطقوس التعبدية التي كانت تمارس في الخفاء تبين أنها هي الأخرى لا تختلف عن تلك التي تمارس في المجتمعات الشيعية، بغرائبها وعجائبيها التي لا تمت للسنة النبوية بصلة، والتي لا تختلف عن ممارسات بعض الطرق الصوفية، فأين التميز الذي يدعيه هؤلاء؟ وأين القراءة الموضوعية؟

أليس هذا انتقالاً كاملاً وشاملاً وتسليماً للعقول في كل الجزئيات ولربما أكثر من بعض الشيعة الذين ينتقدون مثل تلك الطقوس؟

الجهر بالطائفية وإشكالية المرجعية الوطنية

يظهر من المناسبة أنها تتمحور حول مأساة آل البيت كما يزعمون، والجرائم التي ألحقت في حقهم من طرف الصحابة، فأحد المقاطع الذي عرض فيه درس كشف عن حقيقة العقائد التي يحاولون إخفاءها من الصحابة، إذ ينطلق المحاضر في تأريخ مسألة اغتيال سيدنا علي رضي الله عنه من اغتصاب ولايته بعد وفاة رسول الله ﷺ، تليها سلسلة من الاتهامات التي تطعن في الخلفاء الراشدين، فالأول والثاني دمرا ما بناه الرسول ﷺ، وورثوا ذلك لعلي بن أبي طالب، كما أنهم عودوا الصحابة على الامتيازات والأموال، وهذا يفند كل الادعاءات الشيعية بداية من آية الله خامنئي إلى آخر مرجع شيعي وأحاديث عن تقريب واحترام رموز الطرف الآخر.

فمعتقداتهم هي التي نسمعها من المتشيعين في تلك الفيديوهات، وهي ما كان يظهر سابقا عبر المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي بتبنيهم لكل المعتقدات الشيعية بداية من الطعن في عرض رسول الله ﷺ مرورا بادعاء كسر عمر رضي الله عنه لضلع فاطمة الزهراء وإسقاط الجنين من بطنها، وانتهاء بالتبرير لزواج المتعة والدفاع عنه.

وعلى المستوى السياسي والذي كانت تعبر عنه صورة الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله المعلقة على جدار البيت، وبجانبيها صورة في نظريهم للحسين وأخرى يبدو أنها لعلي خامنئي، ولا شك أن جدران الغرف الأخرى تحوي صور القيادات السياسية الإيرانية، ونصر الله هو وكيل المرشد الأعلى في لبنان ما يعني أنها تبعية غير مباشرة في أسوأ الأحوال، وحتى إذا لم تظهر في الغرفة فهي منتشرة على أغلفة وصفحات الفيسبوك للمتشيعين، فضلا عن أخبار هؤلاء وحياتهم اليوم. والدفاع عن كل الأطروحات السياسية الإيرانية، من تبرير

احتلال العراق وتصوير المالكي على أنه بطل قومي حرره من الأمريكان، إلى تبرير إجرام بشار الأسد والمليشيات الشيعية هناك والمسارة لدعمه إعلاميا بزيارته في الوفد الجزائري كما سبق الإشارة.

إذا أخذنا كل هذه الأمور بعين الاعتبار، وأضافنا إليها مضمون الطقس الديني الذي كان مناسبة لحقن المتشيعين بجرعات من الحقد الطائفي لا أكثر، بتأكيد المظلومية من خلال تلك الطقوس وجعلها مسؤولية فردية تتوزع على كل المتشيعين، وتوجب عليهم الانتصار لأهل البيت كما يزعمون، سواء بقصائد الرادود وما تحمله من شحن طائفي، أو الدعاء الذي تختتم به الطقوس والذي يقول: (وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين). ألا يمكن القول إن هذه هي الطائفية عينها؟ وإذا لم تكن هذه هي الطائفية فما هي غيرها إذا؟

وتكملة للسؤال نفسه، ألا يدفعنا كل هذا لطرح بجدية إشكالية الولاء والانتماء للوطن؟ فإذا كانت الجماعات السنية يثار حولها سؤال المرجعية الوطنية رغم التقارب الكبير لحد التطابق في المعتقدات، والاختلافات الفقهية التي يتسع لها المجال، فما بالك بجماعة دينية مختلفة في العقائد والفقه، وحتى التصورات السياسية خاضعة لدولة أخرى. فكما يقال الاعتراف سيد الأدلة، وما هم الشيعة يعترفون بالصوت والصورة بمعتقداتهم وأفكارهم وتوجهاتهم السياسية، من هنا أصبح موضوع علاقة هؤلاء بالوطن أكثر إلحاحا، فأمام هذه الحقائق والوقائع أضحت من الضروري النظر لقضية المتشيعين باعتبارها مسألة أمن قومي لا تقل أهمية عن المسائل الأخرى ولا بد من قوانين تجرم مثل هكذا علاقات^(١).

(١) لتفاصيل أكثر حول علاقة الشيعة بالولي الفقيه ومسألة التجريم القانوني، انظر: علي حسين باكير، تجريم تقليد المرشد الأعلى في العالم العربي، العرب القطرية، ٢٠١٢/٠٦/١١، على الرابط: <http://www.alarab.qa/details.php?issueId=2122&artid=24704>

الخلاصة:

الطقوس، وعن علاقتها بالانتماء للوطن والهوية الجزائرية؟ ولماذا تطرح الحرية عند المعتقد الشيعي فقط؟

وكالعادة لم يصدر من رموز الحركة الإسلامية، وبشكل خاص الأحزاب السياسية، أي رد فعل حول الموضوع، وكأنه لا حدث بالنسبة لهم، ورغم أن الدعوة في صميم ومحور برنامجهم السياسي، إلا أن مسألة الدفاع عن الصحابة خارج اهتماماتهم، وما دام الأمر كذلك فإنه بلغه سياسية والتي يفترض أنهم يفقهونها ويتقنونها، فإن الأمر يتعلق بالأمن المجتمعي والفكري الذي من ضمنه حماية الدين من الشيعة، ولكن الإسلاميين الجزائريين لا زالوا يعتقدون أن الدفاع عن الثوابت الوطنية يقتصر فقط وينحصر في بقايا التروتسكية التي لم يعد لها أي دور فعال.

الحركة النسوية في مصر (٣) قاسم أمين.. عندما تتكشف الأقنعة

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

لا يستطيع الباحث في شئون الحركة النسوية المصرية خاصة، والعربية عامة، أن يتخطى الجدال الفكري الهائل الذي حدث في بدايات القرن العشرين على خلفية كتابي قاسم أمين «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، تلك الأعمال التي تشبه هزة أرضية كبيرة في التربة المصرية الآسنة.

فلقد وصل الضعف منتهاه بالاستعمار البريطاني لمصر وأصبحت المظالم متراكمة بعضها فوق بعض ولم ينهض أحد من المصلحين الإسلاميين بوضع مشروع اجتماعي متكامل للنهوض خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة والأسرة. وفي

لا شك أن نشر الفيديوهات كانت محاولة لجس نبض الموقف الشعبي والرسمي لقياس ردود الفعل من التشيع، ولعل ضعفها شجعهم على المحاولة التالية التي تداولت مؤخرًا والمتمثلة في السعي لتأسيس مسجد لهم في مدينة «تيازة» بالقرب من العاصمة^(١). ورد الفعل هذا من طرف المتشيعين ومحاولتهم إثبات الوجود وفرض النفس، يؤكد استعدادهم للمواجهة في مرحلة لاحقة والمطالبة بما يعتبرونه حقوقًا مشروعة لهم كأقلية دينية، ولن يجدوا غضاضة حينها بطرق أبواب منظمات دولية معلومة أهدافها، فضلا عن استغلالهم من طرف القوى الخارجية لتقسيم المجتمع وتوسيع رقعة الخروق فيه.

وبينما يسير المتشيعون في خط مطرد ويتبعون كل خطوة بأخرى أكبر منها، في المقابل وللأسف الشديد توقف موضوع الفيديوهات عند مستوى الوجبة الصحفية العابرة دون أن يتحول إلى قضية رأي عام وطني، فلم تطرح تساؤلات حول أهداف المتشيعين من نشر هذه المقاطع، ولم نسمع عن تحقيقات في الموضوع، حول ما إذا كانت هذه حسينية، أي فضاء للتعبيد الديني خارج الإطار الرسمي، وما موقف القانون من ذلك؟ وهل توبع صاحب البيت والمسؤول عنه قضائيا أم لا؟ خاصة وأن الفيديوهات تعتبر تكذيبا رسميا ومباشرا وصفعة في وجه وزارة الشؤون الدينية ممثلة في الوزير السابق عبد الله غلام الله الذي كان ينفي دائما وجود الظاهرة في الجزائر، وعندما فعل اتهم بها اللاجئين السوريين دون أي أساس واقعي أو منطقي.

أما بالنسبة للمدافعين عن الهوية الوطنية والمرجعية الوطنية فلم نسمع موقفهم من هذه

(١) أول مسجد للشيعة بتيازة، موقع البرق الإعلامي، ٢٠١٤/٠٥/١٣،

على الرابط:

<http://www.elbark.com/index.php/politique/item/565-2014-05-13-10-04-42>

(❖) كاتبة مصرية.

تلك الأجواء قام قاسم أمين بإنجاز ثلاثة أعمال فكرية متعلقة بقضايا المرأة والأسرة وذلك خلال ست سنوات.

ينتقد ويعتذر

الأول كتابه «المصريون» الذي يرد فيها على دوق داركور وهو كتاب ألفه بالفرنسية عام ١٨٩٤م، انتقد فيه الهجوم الكاسح الذي شنّه دوق داركور على مصر والمصريين وهاجم الإسلام فيه بضراوة وجعله سببا لحالة التردّي التي يعيشها المصريون.

وخصّ المرأة والأسرة المصرية بنصيب وافر من هجومه اللاذع، ويُروى أن قاسم أمين ظل مريضا لمدة عشرة أيام بعد قراءته لهذا الكتاب من شدة الألم الذي عاناه من قسوة نقد دوق داركور.

اهتم قاسم أمين بالدفاع عن الإسلام في كتابه «المصريون»: (إنني أبعد ما أكون عن التعصب غير أنني أعتقد أن الإسلام هو أفضل راية يمكن أن تجمع حولها البشرية كلها متحدة في عقيدة واحدة ذلك أن الإسلام ببساطته وباختفاء الصوفية من نصوصه وبإيجابيته الخلقية وإمكان تلاؤمه ببساطة أصيلة مع كل التطورات وبتسامحه الكبير الذي يتميز به يجمع في رأيي مؤهلات تكفي لترشيح نفسه ليكون دين العالم كله.. إن الإسلام الذي ظل طويلا يمثل القوة والنور في العالم كله ما زال يملك ذخيرة ثقافية وعظمة خلقية تتيح له أن يصل حلقات السلسلة المحطومة وأن يعيد إيقاد الشعلة المنطفئة^(١)..

دافع قاسم أمين كثيرا في هذا الكتاب عن الحجاب وعن حق الرجل في الطلاق وعن المبررات التي تسمح بتعدد الزوجات، ولكن يبدو أن قاسم من داخله كان مهتزا على نحو ما، فهو لا يردّ الهجوم بهجوم أشد منه قسوة كما فعل في كتابه «المرأة الجديدة» مثلا وإنما هو يستأذن القوم في

النقد والدفاع: (لست أحب الخوض في حديث عن الدين لأسباب تتعلق بطبيعتي الخاصة وبحرصي على مراعاة اللياقة العامة غير أن عليّ في هذه المرة أن أفعل ما أكره لأن موضوع الدين قد سيطر على جميع أجزاء كتاب دارفور بل إنني لأكاد أعتقد أنه هو الذي كان حافزا على وضع كتابه ولهذا فإني أستأذنه في أن أخصص له بدوري عدة سطور)^(٢).

بدايات مهزومة

كان قاسم أمين يرقب الحياة الفرنسية خلال بعثته بنظرة مترددة حائرة فهو يشترك في الحفلات الباريسية المختلطة حائرا مضطربا تلك الحفلات التي سبق ونقل تفاصيلها رفاة الطهطاوي (وقد أتيح لي تقييم هذا السحر الفريد وكان شأني شأن الآخرين في الإحساس بقدره وخاصة في وجود امرأة تجمع حصافة الفكر إلى جمال الجسد وقد رمت بي طبيعتي الخجولة بين الاضطراب والحيرة أكثر من مرة غير أن هذا لم يقلل من حبي لهذه اللقاءات الشيقة التي يهتم فيها الجميع بخلق جو البهجة والاستمتاع به)^(٣).

هذه هي البدايات الفكرية لقاسم أمين نستطيع من خلالها تبين أنها بدايات مهزومة حتى لو بدت في محاولة للانتصار، لقد تشبّع قاسم أمين بالانهار بنمط الحياة الباريسية بحيث رآها أقرب للكمال وإن لم يفصح بذلك في وقتها، كان انبهارا خفيا ولكنه عميق، حاول أن يخفف عنه بالدفاع الذي أظنه كان مخلصا فيه ولكنه كان مندفعاً بقوة في طريق آخر.

بين قاسم وعبد

اقترب قاسم أمين من الأستاذ محمد عبده وعمل كمترجم شخصي له في باريس، ومن المؤكد أن نقاشات كثيرة دارت بينهما، خاصة فيما يتعلق بموقف الإسلام من قضايا المرأة والأسرة حتى أن

(١) قاسم أمين وتحرير المرأة والتمدن الإسلامي، د.محمد عمارة، ص١٢٤، ١٢٥، دار الشروق.

(٢) السابق، ص ١١٨.

(٣) السابق، ص ١٢١، ١٢٢.

كثيرا من الباحثين يرى أن الأستاذ محمد عبده هو صاحب كتاب «تحرير المرأة» وليس قاسم أمين بينما يرجّح الدكتور محمد عمارة أن بعض الفصول فقط هي للأستاذ محمد عبده كالفصل الخاص بالطلاق وذلك الخاص بتعدد الزوجات والسبب الذي دفعهم لذلك هو اللغة العلمية ذات التأصيل الشرعي التي كتب بها هذا الكتاب أو تلك الفصول.

وسواء كان هذا صحيحا أو أن قاسم أمين تأثر فقط بالأستاذ محمد عبده ونقل فكره بأسلوبه الخاص أو استشاره فيما كتب إلا أن المنتج النهائي أي كتاب «تحرير المرأة» أشهر كتب قاسم أمين الصادر سنة ١٨٩٩م والذي أثار ضجة هائلة يبدو ملتزما على نحو ما بالاحتكام للشريعة الإسلامية حتى وإن شطّ في بعض الأحيان: (لو كانت عوائدنا فيما يتعلق بالنساء لها أساس في شريعتنا لكان في ميلنا إلى المحافظة عليها ما يشفع لنا. أما وقد برهنا على أن كل ما عرضناه من أوجه الإصلاح يتفق تمام الاتفاق مع أحكام الشريعة ومقاصدها فلم يبق لنا عذر في التمسك بها سوى أنها قد تقدست بمرور الزمان الطويل وأننا غفلنا عن مصالحنا وتديبر شئوننا)^(١).

ولكن قاسم أمين كان مشدودا للسير في طريقه حتى النهاية فهو لم يتوقف عند مرحلة تحرير المرأة وأفكار الأستاذ محمد عبده التي تعلي من الشريعة الإسلامية كمرجعية نهائية لكافة الأحكام والقوانين المتعلقة بالمرأة والأسرة (السعي لدى الحكومة في إصدار القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها بشرط ألا تخرج في شيء من ذلك عن الحدود الشرعية ولكن بدون أن تنقيد بمذهب من المذاهب)^(٢).

سقوط الأقنعة

نستطيع القول إن أفكار قاسم أمين تبلورت

بشكل واضح ودون تردد في كتابه الأخير «المرأة الجديدة» الصادر سنة ١٩٠٠م، ومن الجدير بالذكر أن جميع القضايا التي لا تزال تثير جدلا في لحظتها الراهنة سنجد لها بذورا أولى في هذا الكتاب فإن كانت الفترة التاريخية التي انتمى لها قاسم أمين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قد شهدت انبهارا عاما بالغرب وولعا بتقليده كرد فعل جامع لحالة الركود والتخلف والهزيمة والاحتلال، وعلى الرغم من بعض المدارس والاتجاهات التي حاولت النهضة على أسس حضارتنا إلا أن الصوت الأعلى بدا لصوت التغريب الذي كان قاسم علما من أعلامه بعد تبلور أفكاره ووضوحها كما وضح في كتابه «المرأة الجديدة» فالمرأة الأوروبية ذات المقام الرفيع هي غاية ما يسعى للوصول بالمرأة المصرية (غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع)^(٣).

والغربيون هم من فهموا طبيعة الإنسان (فالاختلاف بيننا وبين الغربيين منشؤه أن الغربيين فهموا طبيعة الإنسان واحترموا شخصيته فمنحوا المرأة ما منحوا أنفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة ولم ينازعها أحد في حق التمتع بحريتها في الأعمال البدنية والعقلية إلا ما حرّمته الآداب وسووا بينها وبين الرجل في كل ذلك)^(٤).

ولنا أن نتساءل: ما هي هذه الآداب؟ من يضعها ويرفعها ويقررها؟ وعلى أي أساس ووفق أي هوى؟ وهل كانت تلك الحفلات التي شاهدها في باريس واستمتع بها رغم خجله تتدرج تحت أي بند من هذه الآداب؟

حرية بهيمية

أما عن مفهوم تحرير المرأة الذي أفرد له قاسم العديد من الصفحات فقد اشتط فيه كثيرا حيث

(٣) المرأة الجديدة، قاسم أمين، ص ٦، الهيئة العامة للكتاب.

(٤) السابق، ص ٢٥.

(١) تحرير المرأة، قاسم أمين، ص ١٤٥، الهيئة العامة للكتاب.

(٢) السابق، ص ١٤٨.

يصف الحياة البهيمية التي تعيشها النساء في بعض المناطق المتوحشة وفي بعض العصور الغابرة بأنها صورة من صور الحرية حينما كانت المرأة لا تعرف من هو والد طفلها حيث لم يكن لأحد قوامة عليها، (عاشت المرأة حرة في العصور الأولى حيث كانت الإنسانية لم تنزل في مهدها. ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي)^(١).

الهجوم على الحجاب

والحجاب في رأيه هو عنوان عبودية المرأة ولقد شن هجومه الأكبر في كتابيه «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» عليه، وهناك أمر جدير بالانتباه هو أن قاسم أمين ربط بين الحجاب وتغطية سائر جسد المرأة بما فيه الوجه - فقاسم لم يدع لأكثر من إبداء الوجه، ربما لظروف عصره فهو لم يكن يستطيع الجهر بأكثر من ذلك، وربما لأنه في النهاية ينتمي لمدرسة الأستاذ محمد عبده - وهو حق أو رأي معتبر له ما يدعمه - وبين كل الشرور والمظالم التي وقعت على المرأة بعصره وهي كثيرة، ولا يمكن تجاهلها.

لكن هذا غير صحيح بدليل عودة الحجاب مع نساء عصريات بلغن الغاية في العلم منهن الطبيبات والمعلمات والداعيات وأستاذات الجامعة لم يمنعهن الحجاب من الارتقاء في سلم الحياة، وما ذلك إلا أثر من آثار تقليده الحريفي للغربيين وتأثره بنقدهم للحجاب (فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم وأثر من آثار تلك الأخلاق المتوحشة التي عاشت بها الإنسانية أجيالا قبل أن تهتدي إلى إدراك أن الذات البشرية لا يجوز أن تكون محلا للملك، فأول عمل يعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره)^(٢).

انهيار الزواج

من الأشياء المؤلمة التي دعا لها قاسم الدعوة لتقليد الأوروبيين في زواجهم الذي يتأخر ويتعقد

للبحث عن صديق ورفيق، وهي الدعوة التي لا تزال تجد صداها حتى الآن حتى أصبحت بنودا قانونية أممية تحدد سن الزواج للإنسان: (ولا خلاف في أن عدد الزواج في أوروبا هو أقل منه في الشرق وسبب ذلك أن الواحد منهم لا يتزوج بها الواحد منا فإن الأوروبي يطلب من الزوجة قرينا يرافقه طول حياته، ونحن مسافرون في هذا الطريق بقوة لا يستطيع أحد مقاومتها ويظهر لي أن الزواج عندنا قد بدأ في التناقص)^(٣).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو إذا كان الزواج يتناقص ويتعقد وقاسم نفسه يدعو لذلك حتى يتم الاختيار عن قرب وبدقة فكيف سيتعامل الإنسان رجلا كان أو امرأة مع الغريزة الجنسية العنيفة والتي تبدأ من سن البلوغ لقد أصبح الزواج في أوروبا في طريقه للتلاشي وحلت الفاحشة محل الزواج ولم تعد موطن استتكار واستهجان ولم يعد القوم يطلقون عليها لفظة فاحشة وإنما هي علاقة حب، علاقة غير شرعية، علاقة مفتوحة، علاقة في طور التجربة، فهل هذا هو الطريق الذي كان قاسم أمين يدعونا للسفر إليه ومن خلاله.

تحقير الأمة

لقد بلغ الغلو بقاسم أمين في انهياره بالغرب وتحقيره لأمته ورميه لها بأسوأ النعوت أنه رماها بأنها أمة تعيش لشهواتها وتربي أبناءها على ذلك: (يمكنني أن أجاهر هنا بلا تردد أن صبيبا من أولادنا ذكرا كان أو أنثى لا يزيد عمره عن عشر سنوات قد يحشد إلى ذهنه من الألفاظ والصور المحركة للشهوة وينمو في قلبه من الميل مع ما تدعو إليه غريزة التناسل ويبلغ من ذلك ما لا يبلغه شاب أو شابة في سن الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة من أبناء البلاد الأوربية)^(٤).

تحقير العلماء

لم يحاذر قاسم أمين وهو يطرح أفكاره

(٣) ص ٦٦، بتصرف يسير.

(٤) السابق، ص ٤٤.

(١) السابق، ص ٢٢.

(٢) السابق ص ٣٤، ٣٥، بتصرف يسير.

بخشونة ويهاجم علماء الدين الإسلامي بفظاظة وينعى على صحبه من التغريبيين أنهم لم يزالوا بعد يستفتونهم في أمور الحياة وهو من كان يعتذر لدوق داركور وهو يدافع باستحياء عن دينه ووطنه: (ومن العيب أن الجرائد وأصحاب الأفكار يرمون كل يوم علماء الدين الإسلامي بأنهم السبب في انحطاط وتأخر الأمم الإسلامية عن سواها في المدنية ويصفونهم بالتساهل في الدين وعدم مراعاة أحكامه ثم إذا تحركت غيرة لعرض رأي يظن أن فيه خيرا للأمة تحولت أنظارهم لهؤلاء العلماء واستفتوهم عن رأيهم فيه وغاب عنهم أن الذين يحاربون الإصلاح ولا يفرضون لتعلمهم العلوم العصرية فائدة تعود عليهم في تهيب عقل أو استكمال أدب أو تقويم عمل ولم يقبلوا تدريس علمي الجغرافيا والتاريخ إلا رغم أنفهم ليس لهم مقام - لا من العلم ولا من الدين - يسمح لهم بإبداء رأي في شأن من شئون الأمة فضلا عن مسألة من أهم مسائل الاجتماع البشري^(١).

رفض حضارتنا

إنه لا يهاجم العلماء فحسب وإنما يهاجم الحضارة الإسلامية ذاتها ولا يجد فيها نظاما أو قانونا يستحق الإشادة أو يمكننا من النهوض وفقا لأسسه فيراها حضارة فوضوية لا تصلح لشيء حتى القوانين اليونانية والرومانية القديمة أفضل منها: (أين هذه الفوضى من النظمات والقوانين التي وضعها الأوروبيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الأهلية بل أين هي من القوانين اليونانية والرومانية التي لم تغفل في جميع أدوارها عن أهمية العائلة وشأنها في الهيئة الاجتماعية فأى شيء من هذا يمكن أن يكون صالحا لتحسين حالنا اليوم^(٢).

من الأهمية بمكان أن نعيد قراءة النتاج الفكري لهذا الرجل بطريقة حرة تأخذ في اعتبارها ثلاثة أمور: الأول: محاكمة آرائه وفقا لميزان

الشرع.

الثاني: النظر بعين صادقة للواقع التاريخي الذي كانت تحياه النساء في ذلك العصر.

الثالث: التأمل في تطوره الفكري أو انحداره الفكري إن جاز التعبير.

وللأسف هذا ما لم أجده في كتابات الكثير من الباحثين الإسلاميين الذين اعتمدوا على عدد محدود من المراجع في فهم فكر الرجل دون قراءته بشكل واع، وأصبحت هذه الأحكام المقولبة عقبة في طريق البحث الجاد فالهدف من ذلك ليس تقييم فكر كاتب أحدث دوبا بقدر أن يكون الهدف تقييم مرحلة ستمثل الجذور البعيدة الغائرة للإصلاح.

والهدف الآخر معرفة نقاط الضعف الحقيقية بحثا عن إصلاحها فالإنكار لا يفيد شيئا بل يعمق نقاط الضعف ويزيد من تعقد المرض ولولا وجود الأمراض والضعف ما جرؤ قاسم أمين على طرح الكثير مما كتب والحقيقة أن كثيرا من الأمراض والمشكلات لم يزل موجودا حتى لحظتنا الراهنة دون أن يبذل الجهد الكافي من أجل محاصرتها.

يبقى أن نقول إن كتابات قاسم أمين كانت البناء الفكري الذي قامت عليه الحركة النسوية المصرية الحديثة حيث تم وضع أفكاره النظرية موضع التطبيق العملي المخطط والمدرس وإن كانت النسويات المعاصرات ينكرن قيادة قاسم ويبحثن عن بعض النماذج النسائية التي كان لها دور في الحراك الاجتماعي أبان ذلك الوقت حتى لا يكون رجلا من قاد الحراك النسوي المصري.

(١) السابق، ص ٨.

(٢) ص ١١١ ، ١١٢.

من تكريم الله لعباده توفيقه لهم لينفوا عن

دينه تحريف الفالين، وضلال المضلين، ومن هذه الثلة المباركة العلامة د. عمر الأشقر رحمه الله-، الذي كان له موقفٌ بيّن واضحٌ تجاه الشيعة؛ حيث فضح مُعتقداتهم وردّ عليها، وحذر من ثورة الخميني التي انخدع بسرابها بعض الجماعات الإسلامية، ودعاة التقريب ولا غرو فقد تربّي على أيدي كبار علماء عصره، وتشرب العقيدة الصحيحة من أهلها.

جهود الشيخ في بيان قبح معتقدهم:

أولاً: عقائدهم الباطلة وإبطالها:

١- عصمة الأئمة: يقول الخميني إن «الأئمة لا تصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين»^(١) «^(٢)».

وفي ذلك يقول الشيخ عمر الأشقر: (الشيعة يعتقدون في أئمتهم أنهم معصومون عن الخطأ، وكلامهم كلام الرسول ﷺ؛ لأنهم لا يخطئون... ثم بما أنهم معصومون فلهم التشريع، والتشريع عندنا انتهى بوفاء الرسول ﷺ، أما عندهم فلقد استمر إلى سنة (٢٦٠هـ)، حين اختفى الإمام الثاني عشر، والحلال والحرام لا يؤخذ إلا من كلام أئمتهم)^(٣).

إبطال عقيدة العصمة، والردّ عليها: قال الشيخ عمر - رحمه الله- : (ومما يدلُّ على بطلان مُدّعاهم في الأئمة أنَّ المعصوم يجب اتباعه من غير دليل! ومخالفة غير

المعصوم جائزة، بل تكون واجبة إذا علمنا أنَّه خالف النص، وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله، وغير رسوله يطاع إن أمر بطاعة رسوله، فإن تنازعنا رردنا الأمر إلى كتاب الله وسنة رسوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، فلو كان الأئمة معصومين

لكانَ أوجب الرد إلى الله وإلى الرسول والأئمة، فدلَّ عدم إيجاب الرد عليهم حال التنازع على عدم عصمتهم!

وقد كان عليّ وابنائه، وغيرهم، يخالف بعضهم بعضاً في العلم والفتيا، كما يخالف سائر أهل العلم بعضهم بعضاً، ولو كانوا معصومين لكان مخالفة المعصوم للمعصوم ممتعة، ولقد كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه، ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع عليّ في آخر الأمر إلى رأيه، وتبين له في آخر الأمر أنَّه لو فعل غير الذي فعله لكان الصواب، وله فتاوى رجع ببعضها عن بعض، والمعصوم لا يكون له قولان متناقضان، إلا أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر.

وقد وصى الحسن أخاه الحسين بأن لا يطيع أهل العراق، ولا يطلب هذا الأمر، ولو كان معصوماً لما جاز للحسين مخالفته^(٤) «^(٥)».

٢- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء:

من جملة عقائد الرافضة الضالة تفضيلهم لأئمتهم على الأنبياء، وفي بيان ذلك قال الشيخ - رحمه الله- : (وعند الشيعة باتفاق أن الأئمة الاثني عشر أفضل من الأنبياء والمرسلين! إلا خمسة وهم أولو العزم من الرسل، والأكثر على أنهم أفضل من أولي العزم! إلا محمداً ﷺ. وهذا القول بالإجماع ولم يخالفه واحد منهم لا في القديم ولا في الحديث.

وفي كتاب الكافي للكليني الذي يُعتبر من أصول فقه الشيعة ومن الكتب المعتمدة: تمجيد

(٤) كاتب من غزة.

(١) الحكومة الإسلامية للخميني: ص ٩١.

(٢) نقل ذلك الشيخ الأشقر في كتابه: الرسل والرسالات (ص: ١١٤).

(٣) دروس الشيخ عمر الأشقر (٢/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) قال د. الأشقر: راجع مجموع فتاوى: ٣٥/ ١٢٠، ١٢٦.

(٥) الرسل والرسالات، ص ١١٦.

عظيم لأئمتهم، ورفعهم فوق مرتبتهم، ويعتقدون أن الأئمة يعلمون ما في الغيب، أي: أن الأئمة يعلمون علم ما كان، وما يكون^(١).

٣- قولهم بتفضيلهم وتقديم عليّ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم:

قال الشيخ عمر - رحمه الله - : (... ويقولون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنه هو خليفة المسلمين وإمامهم؛ لأنه هو الذي نصّ الله عليه، والصحابة رضوان الله عليهم الذين لم ينتخبوا علياً واختاروا أبا بكر، فلم يطبقوا وحي الله سبحانه وتعالى، ويكونون في حكم الله قد خانوا الرسالة والأمانة، فرواية الصحابة التي هي أحاديث البخاري ومسلم وأبي داود وغيرهم لا تُقبل؛ لأنها جاءت من طريق الصحابة الذين خانوا الأمانة والرسالة حسب زعمهم^(٢)).

ثانياً: رد الشيخ عمر لشبهة الشيعة حول المسجد الأقصى، وقولهم: «إنَّ المسجد الأقصى في السماء!!، ومسجد الكوفة أفضل منه!!».

رغم أنَّ مكانة المسجد الأقصى لا يماري فيها أحدٌ من المسلمين، بل هي من المُسلّمات الواضحات، ومَع ذلك فقد أنكر الشيعة هذه المكانة العظيمة، ومن خبثهم أنَّهم لعبوا دور الحريصين على فلسطين وأقصاها، وتحريرها؛ ليخدعوا بذلك بعض أهل السنة، غير أنَّ الحقيقة مخالفة - تماماً - لهذه الدَّعوى.

من كذب الشيعة على أئمة آل البيت ما رواه شيخهم محمد باقر المجلسي: «عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: سألتُه عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، قلت: والمسجد الأقصى جعلت فداك؟ قال: ذاك في السماء!!، إليه أسري برسول الله ﷺ، فقلت: إن الناس يقولون إنه بيت المقدس فقال: مسجد

(١) دروس الشيخ عمر الأشقر (٣/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا).

الكوفة أفضل منه!!^(٣). ويقول علامتهم جعفر مرتضى العاملي: «لقد تبين لنا عدّة حقائق بخصوص المسجد الأقصى، والذي يحسم الأمر أنه ليس الذي بفلسطين!!^(٤). وزعم -أيضاً- : «أنه حين دخل عمر بيت المقدس لم يكن هناك مسجد أصلاً!!، فضلاً أن يُسمى أقصى!!»^(٥).

وهذه النقول وغيرها عن مراجعهم، وآياتهم توضح حقيقة معتقد الشيعة في المسجد الأقصى، وأنَّه لا فضيلة له ولا مكانة، وأنه ليس الذي في القدس، بل هو في السماء، وأنَّ مسجد الكوفة أفضل منه - فضّ الله أفواههم -، وهذه الضلالات روجوا لها في مؤلفاتهم، وأخذها عنهم اليهود، والمستشرقون.

وقد أنبرى العلماء، ومنهم: العلامة الأشقر - رحمه الله - لردّ هذه الفرية، وإبطالها بالدليل من القرآن الكريم، وسُنَّة النَّبِيِّ ﷺ، واستتكرأن ينتسب قائلها للإسلام، والإسلام منه ومن معتقداهم براء.

قال الشيخ - رحمه الله - تحت عنوان: «الأقصى في الأرض وليس في السماء»: (يدعي بعض من يُنسب إلى الإسلام!! أن المسجد الأقصى ليس في الأرض، بل هو في السماء!!، وأنه الذي يسمى بالبيت المعمور! وقد تلقى هذا القول المتهاافت بعض المستشرقين، وبعض اليهود^(٦)، وهذا قولٌ

(٣) بحار الأنوار: لمحمد باقر المجلسي (٩٧/ ٤٠٥)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م؛ دار إحياء التراث العربي.

(٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم: للعاملي (٣/ ١٣٧)، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المركز الإسلامي للدراسات. ومن الغرائب أنَّ هذا الكتاب نال جائزة إيران للكتاب، وقام رئيسهم السابق أحمددي نجاد بالتكريم!!، وانظر: (الشيعة والمسجد الأقصى) للأستاذ الشيخ طارق حجازي ففيه مزيدُ بيان.

(٥) المصدر السابق.

(٦) وإن تعجب: فاعجب لليهود الذين نسبوا هذه الفرية - حقيقة - للشيعة، قال الباحث اليهودي، والعضو في معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية إسحق حسون: «ومعروف أنَّ فرقاً من الشيعة لا ترى لمسجد بيت المقدس فضلاً على غيره من المساجد»، ثمَّ قالَ في الحاشية رقم (٣٢): «وانظر على سبيل المثال (بحار الأنور): للمجلسي (٩٠/ ٢٢) وكتاب: (ينابيع المودة): لسليمان بن إبراهيم القندوزي، (ص ٤٤٣ - ٤٤٤)».

=

باطل، وأهل العلم الذين يُعتدُّ بقولهم مُجمعون على أن المراد بالمسجد في الآية الكريمة هو المسجد الأقصى المعروف في مدينة القدس.

ولو كان هو الذي في السماء لما قال: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا

حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]؛ لأن السماء كلها مباركة، وأول ما يدخل في الأرض المباركة أرض فلسطين، وهي موطن نبي الله سليمان الذي قال الله فيه: ﴿وَلَسَلِّمَنَّ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

والأرض المباركة التي حول الأقصى هي الأرض التي نجى الله إبراهيم ولوطاً إليها ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وهي الأرض المقدسة التي أمر موسى قومه أن يدخلوها قائلاً: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

وقد بُني هذا المسجد بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، والبيت المعمور مبني في السماء قبل ذلك بدهور لا يعلمها إلا الله. روى البخاري في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «سمعت أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة [بعد] فصله، فإن الفضل فيه» [البخاري: ٢٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠].

وهذا المسجد هو الذي كان يُصلي إليه رسول الله ﷺ في أول الأمر قبل أن يُوجَّه في صلاته إلى الكعبة، ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب: «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على

أجداده، أو قال: أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً» [البخاري: ٤٠، ومسلم: ٥٢٥].

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنه «ركب البراق ليلة الإسراء، فركبه حتى جاء به بيت المقدس، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم عُرج به إلى السماء» [مسلم: ٢٥٩].

وعندما عاد الرسول ﷺ إلى مكة وأخبر قريشاً بإسرائه إلى المسجد الأقصى، فأخذوا يسألونه عن أشياء في بيت المقدس لم يثبتها، فكَرَّبه ذلك، فرفع الله المسجد إليه ينظره عياناً، فما سأله عن شيء إلا أنبأهم به، وأخبرنا في هذا الحديث أنه صلى بالأنبياء إماماً، ووَصَفَ حياة موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام لمسلم: [٧٢].

وهذا غيظ من فيض يدلنا على أن المسجد هو المسجد الذي في القدس، وليس كما يقول مَنْ قال: إنه في السماء!.

والذي دعا من زعم أن الأقصى في السماء أن الإسراء كان قبل فتح القدس، والمسجد إنما بناه عمر بعد فتح القدس ووفاة الرسول ﷺ، وغفل هؤلاء بسبب عدم علمهم بالسنة النبوية! أن المسجد قد يُطلق في السنة على أماكن العبادة عند السابقين، ففي حديث أبي ذر الذي رواه البخاري وأوردته قبل قليل تسمية المعبد الذي في القدس مسجداً، وشبيه بهذا كما يرى ابن تيمية أن الكتب السماوية، وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد بها الكتب المعنوية، ويراد بها الجنس، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في حديث البخاري أنه: «خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن». قال ابن تيمية: «المراد به قرآنه، وهو الزبور، وليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد».

وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد: «أناجيلهم في صدورهم» فسمى الكتب التي يقرؤونها أناجيل، وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني

مقدمة تحقيقه لكتاب: «فضائل البيت المقدس»: لأبي بكر محمد الواسطي، ص ٣٥، ط. دار ماغنس للنشر، الجامعة العبرية أورشليم القدس، ١٩٧٩م. - بتصرف يسير.

إسرائيل نبياً من إخوانهم أنزل عليه تورا مثل تورا موسى»، فسمى الكتاب الثاني تورا. [الجواب الصحيح: ١١٥٦/٥] (١).

ثالثاً: تجارب واقعية للشيخ الأشقر مع الشيعة، ومواقفه منهم ومن علمائهم

١- قصة وتجربة شخصية يرويها الشيخ عمر الأشقر - رحمه الله - :

يقول - رحمه الله - : (فوجئت في أحد المؤتمرات وكان قد عُقد في بريطانيا أنهم دعوا عالماً شيعياً، تحدث إلى الشباب المسلم هناك عن نظرية ولاية الفقيه، وكان صريحاً في حديثه عن الشيعة ومعتقداتهم، فأثارني ذلك وهيّجني، ودعوت أحد القائمين على المؤتمر، وأنكرت عليه ومن معه دعوتهم لذلك العالم الشيعي ليتحدث عن الشيعة، وليس فيهم شيعي واحد، وطلبت منهم الإذن بأن يسمحوا لي بالحديث معقّباً عليه، فذهب وكلم المسؤولين عن المؤتمر فرفضوا، فقلت له: لكم أن ترفضوا فأنتم أصحاب الأمر هنا، ولكني لن أبقى في موضع يُؤذن للشيعة أن يتحدثوا لأبناء أهل السنة، ويُمنع العالم السني أن يتحدث إليهم، وقمت مصمماً على مغادرة المكان، فقال: أين تذهب، قلت: لا شأن لكم بي، وسأجد طريقي مغادراً إلى لندن.

فطلب مني أن أتمهل قليلاً، وانطلق معلماً المسؤولين بموقفني، وتمخض الموقف عن إذنهم لشخص آخر غيري، يزعمون أنه ألطف مني، ليعقب على ذلك العالم، وفعلاً عقب تعقيباً حسناً لا بأس به، ولكنه لم يشف، ولم يكف، وغادرت بريطانيا متوجهاً إلى أمريكا لحضور مؤتمرهم، وأنا متألم جداً لما وقع في مؤتمر بريطانيا.

وحدثت الإخوة في أمريكا عما جرى في بريطانيا، وكان بعض المسؤولين من طلبتي في الكويت، فأخبروني أن هناك توصية عامة صدرت

إلى جميع المراكز الإسلامية توصي بعدم مهاجمة الشيعة، وعدم الحديث عنهم، فقلت: ما دام الأمر كذلك فالواجب على المسؤولين في بريطانيا عدم استضافة هذا الرجل الشيعي ليتحدث في المؤتمر.

وأخبرتهم أنني سأحدث عن الشيعة في مؤتمرهم عرضاً، ولن أطيل في الحديث عنهم، فقالوا: الذي نستطيع أن نقوله لك: لا تجعل موضوعك الشيعة، وفعلاً تحدثت في تلك المحاضرة عن «تصويب المسار»، وأوردت كثيراً من الأخطاء الكبرى التي وقع فيها المسلمون في العالم الإسلامي، وذكرت في أثناء ذلك بعض الأخطاء الكبرى عند الشيعة، ولم أطل في الحديث عنهم، فأثار كلامي عن الشيعة حفيظة الحاضرين، وكان عدد الحاضرين قريباً من الخمسة آلاف من الرجال والنساء، وكنت قد اختصرت المحاضرة، تاركاً الفرصة للأسئلة.

وقد تواردت الأسئلة المكتوبة، وامتألت بها الطاولة الطويلة العريضة التي أجلس إليها بالأوراق، وتسعون في المائة من تلك الأسئلة كانت عن الشيعة، فبينت مذهبهم الذي يعتمدون عليه، والأصول التي لا يكون شيعياً من لا يعتقها، واهتاج كثير من الحاضرين، وكان في المؤتمر عدد من الطلبة الشيعة، وأخذ بعضهم في البكاء فزاد من هياج المشاركين، ثم تحدث بعض الطلبة الشيعة، فانقلب السحر على الساحر، قال ذلك المتحدث: نحن لا نسبّ أبا بكر وعمر ولكننا نسب عائشة بنت أبي بكر، فتركته يسترسل في حديثه، وذهل الحاضرون من الطلبة السنة، وقالوا: كيف تسبون عائشة زوج الرسول ﷺ التي برأها الله من فوق سبع سماوات، ومال جو المؤتمر بعد ذلك لصالحه، وقد أذن لي بعد ذلك أن أقول الحق الذي يجب قوله في ذلك المؤتمر، وبينت أن كلام من يقول: إن الخميني قد خلا من التعصب المذهبي، وأنه مبرأ مما يقوله الشيعة، وزعموا أن الشيعة المعاصرين ليس فيهم بلاء الشيعة الغابرين، وكنت

(١) كتاب: (ليتبوا ما علوا تتيبوا) للشيخ الأشقر، ص ٨٤ - ٨٦.

قد درست كتاب الحكومة الإسلامية للخميني، فألقيت على مسامعهم ما يقوله الخميني في ذلك الكتاب، وإذا به شيعي كغيره من الشيعة، وتبين لمن سمعني أنه لا فرق بين شيعة اليوم وشيعة الأمس، وتناقلت وسائل الاتصال أخبار هذه الندوة، ووصلت إلى مختلف أنحاء العالم، وكسرت ذلك الحصار الذي فرضه بعض الأخيار في الحديث عن الشيعة.

وقد كنت في مصر بعد ظهور الخميني وقدر لي أن ألتقي بكثير من الطلبة الفلسطينيين الذين يدرسون في القاهرة، ورتبت لهم زيارات إلى منزلي الذي استأجرته في مدينة نصر، فكان يزورني في كل مرة قرابة خمسة عشر طالباً فأحدثهم طويلاً عن الشيعة، وناقشت بعض الطلبة الذين جاؤوا من الأردن للدراسة في القاهرة، فعجبوا لحديثي، وقد رفضوا الاستماع لي في أول الأمر، ولكن الحقائق التي أريتهم إياها في كلام الخميني فعلت فعلها فيهم.

وقد كنت كتبت رسالة صغيرة تظهر موقف الخميني من الشيعة والتشيع، وأنا في الكويت، ووجهتها إلى بعض القيادات الإسلامية الذين كانوا في اجتماع في القاهرة، وكم آلمني أنهم لم يجدوا وقتاً للاستماع لخلاصة تلك الرسالة.

واليوم بعد أن كشف الشيعة عن الوجه الحقيقي لهم وعن جهودهم في تشييع أهل السنة ثار كثير من العلماء الذين كان لهم موقف مخالف لموقفنا من الشيعة، وتكلم بعضهم محذراً من الخطر الشيعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أخذ الشيعة يتسللون إلى أهل السنة في ديار أهل السنة في مصر وسوريا والأردن وغيرها، وقد أرادوا أن يقيموا حزباً كحزب الله اللبناني في الأردن، فانتبهه ولاية الأمر في الأردن لذلك، ومنعوا الشيعة من التفرخ والتوالد في هذه الديار، وقد أغضب هذا الشيعة، ولكنه حفظ الأردن من هذا الخطر، ولكن الشيعة فرخوا وباضوا في سوريا ومصر وغيرها من بلاد أهل السنة.

وقد أعلمني بعض الإعلاميين الذين يستقصون أمر الشيعة، أن الشيعة أقاموا عدة مطابع في العالم تصدر مئات الألوف من كتبهم، توزع على أبناء أهل السنة في كل مكان، وقد أصبح للشيعة دولة كبيرة، تبذل جهدها في تأصيل المذهب والدعوة إليه، وأصبح للشيعة قنوات فضائية كثيرة تبث بالعربية، وتدعو الناس للانضمام لمذهبهم.

وقد حدثني الذين حضروا معرض الكتاب الدولي في القاهرة في عام (٢٠٠٦م) أن الدولة أذنت لمن يبيع الكتب التي تهاجم الشيعة وترد عليهم، وكان ذلك واضحاً بيناً، وكانت قبل ذلك تضيق على من يعرض كتب الشيعة^(١).

٢- أحد رافضة الكويت يعترض على تأليف الشيخ عمر الأشقر

قال الشيخ د. الأشقر في معرض حديثه حول مؤلفاته خصوصاً ما كان منها في باب تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة: (لم تخل المؤلفات التي ألفتها من الإشادة بها من بعض الذين يحسنون الظن بها، والنقد من الذين لهم رأي فيها، وقد يكون النقد قريباً، وقد يكون شديداً).

وأنا لا أعبأ بنوعين من النقد:

الأول: نقد خصوم الإسلام الذين يحققون على الإسلام وأهله، وهؤلاء أعداء، والأعداء قليل منهم المنصف العادل، وقد نال رسول الله ﷺ الكثير من خصومه وأعدائه، وأقوال الخصوم هي عندنا في الإسلام بمثابة الشهادة لنا، فلا يضيرنا ما قالوه فينا.

والثاني: نقد الفرق الضالة التي وإن ضمنا وإياها الإسلام، ولكنها مخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.

وهذا النمط أيضاً نمط سيء من النقد، فنحن نختلف من أصحاب هذا النمط في أصول كبرى، ونعد هؤلاء فرقاً ضالة ولا نكفرها على وجه العموم.

(١) صفحات من حياتي، ص ٢٥٤ - ٢٥٧.

وقد وجه نائب برلماني في إحدى الدول العربية سؤالاً في مجلس الأمة إلى وزير التربية في بلدة حول قيام بعض مدرسي كلية الشريعة بتدريس كتابي «نحو ثقافة إسلامية أصيلة» وكان ذلك في عام ٢٠٠٥.

وجاء في سؤال هذا الرجل أن الكتاب يتضمن مزاعم مشوهة للمعتقدات الدينية والمذاهب الإسلامية كافة، بشكل متعمد، وزعم أنني بعيد عن روح الأمانة العلمية وحرية التعبير عن الرأي، وتعسف هذا الرجل في طلبه من وزير التربية أن يرفع إليه أسماء الأساتذة الذين يدرسون هذا الكتاب.

وهذا رجل حاقد موتور عبأه الحقد الطائفي على سلفنا من الصحابة والتابعين والفقهاء الأعلام، فهو من الذين لا يسبون عمر الأشقر فحسب، بل يسبون عمر بن الخطاب والصحابة إلا قليلاً منهم. وهذا وأمثاله لا نعبأ بهم، ولا نلتفت لهم، ولا لنقدمهم.

أما الذين هم على مذهب أهل السنة والجماعة، فكثير منهم حظيت هذه المؤلفات برضاها، فأشادوا بها، ودلوا عليها، وبعضهم من أهل العلم من نقدها نقد العارف، ودل صاحبها على بعض الأخطاء التي وقع فيها، ودعا بعض المسؤولين المؤلف للمشاركة في مؤلفات تقوم الأجهزة التي يقومون عليها بطباعتها ونشرها، وبعض الذين ينسبون إلى العلم هاج وماج وأرغى وأزبد واتبع هواه، وقال في ما أنا بريء منه^(١).

رابعاً: دور الشيخ البارز في وقاية بعض الجماعات الإسلامية من التشيع العقدي

كتب الدكتور علي العتوم - وهو من كبراء جماعة الإخوان المسلمين في الأردن - كلمة تحت عنوان: (أخي عمر الأشقر .. أستودعك الله) ما نصه:

(قائمة من قامات العلم الشرعي بأسقة، وعمود

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦ - ١٦٧.

من أعمدة الدعوة إلى الله راسخ، وعالم من علماء المنهج السلفي الكبار، وداعية من دعاة الحركة الإسلامية المعروفين، ورائد من رواد منظمة حماس الأوائل، ومؤلف من مؤلفي الفكر الإسلامي المكثرين، فقد الأردن وفلسطين، بل الأمة الإسلامية جمعاء قبل أيام، إذ ارتفعت روحه الطاهرة ملفوفة بمناديل معطرة إلى بارئها، وفسح جناحه العُلا، يوم الجمعة (٢٢ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠١٢/٨/١٠م)، فكان الأمر أفول نجمٍ لمَّح غاب، وغياب كوكبٍ دري غار، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عرفته أول ما عرفته بدايات عام ١٩٨٠م في القاهرة يوم كنت أحضر لرسالة الدكتوراة في اللغة العربية في جامعة القاهرة، ويحضر هو لها في علم الشريعة بجامعة الأزهر، إذ كنت حينها أسكن مدينة نصر - حي رابعة العدوية، وأتولى مسؤولية دعوة إخوان بلاد الشام بمصر، وقد نزل عليّ ضيفاً كريماً، وبات عندي ليلة كنت جدّ سعيد بها، إذ أستضيف أخاً مسلماً محبباً، وعالمًا سلفياً وقوراً، وشخصاً يؤثر قلّة الكلام، ويتحرى ألا يتكلم إلا بما يليق أو يفيد.

وأذكر أنه رحمه الله وبّل بالندى مثواه، أصدر يوم ذاك، وفي وقت كانت فيه الثورة الإيرانية على الشاه محمد رضا بهلوي، وعمّت الآفاق شهرةً واتساعاً أصدر آنذاك وبغير قرعة إخبارية كتيباً عن هذه الثورة وفكرها، بعنوان: «لكيلا نخدع»، يُنبّه فيها على خطر الفكر الشيوعي الكبير، ويحذّر من مغبة امتداده في ديار المسلمين.

وأحفظ حينها جيداً، وقد كتنا - نحن الإخوان المسلمين - من أول المؤيدين لهذه الثورة تأييداً سياسياً، يظهر فيما كانت تصدره الجماعة يومئذٍ من بيانات، وما يقوم به رجالها من خطب ودروس، وتسطره مجلّتهم (الدعوة) من تأييد للثورة وشيوخها، تأييداً ثبت فيه أننا نحن أهل السنة والجماعة وأخص الإخوان المسلمين يهتماً تحرير البلاد والعباد من الطغاة والمستبدّين، ونسعى

خارجية ليتجمع، وكذلك مهد وسهل الفوز لِسُنَّة «السلطة» الذين تربطهم بالمالكي أو اصرقوية (مال وسلطة) للفوز، ومنع أهالي الأنبار من الانتخاب بفتح مياه السدود وإغراق بغداد (بالتسويق مع داعش)، وتكثير الانقسام السني - السني حول الحرب بالأنبار، إضافة لما فعله في حزام بغداد السني من حملات قتل واعتقال.

كان المالكي بين (٢٠١٠ - ٢٠١٤) طائفياً مع السنة ديكتاتوراً مع الجميع عرباً وكرداً، سُنَّة وشيعة، ولذلك لم يحصل هذه المرة إلا على ٩٢ صوتاً، بينما بجهود أقل في انتخابات ٢٠١٠ حصل على ٨٩ صوتاً، أي أنّ كل ما استطاع أن يفوز به ثلاثة أصوات زيادة على السابق، رغم استغلاله لأجهزة الدولة المختلفة وجميع قواها والجيش والشرطة؛ فقد احتكر تصويتها له تقريباً.

بعض المقربين يذكر أن العدد الحقيقي لمقاعد دولة القانون هي من ٦٠ - ٧٠ مقعداً، وأنه أخذ البقية من حلفائه (الحكيم والصدر). وهذا ما دفع الصديدين للتصريح بتزوير الانتخابات يوم إعلان النتائج.

والمهم الآن: هل يتمكن المالكي من تأمين الولاية الثالثة له مع هذه النتائج الضعيفة؟ والرفض المعلن من قبل خصومه الكثير؟ هل ينجح بالاعتماد على إيران في مسعاه، كما نجح في الانتخابات الماضية التي حرمت قائمة علاوي من تذوق حلالة الحكم برغم فوزها في الانتخابات؟

كيف تعمل إيران داخل العراق:

نحتاج إلى أن نتذكر طريقة وآليات العمل الإيراني في العراق والعالم، حتى نستشرف موقف إيران اليوم من الولاية الثالثة للمالكي، حيث تعتمد إيران في توسيع دائرة نفوذها في العالم على ثلاث ركائز أساسية تستمد تأثيرها وفعاليتها من مدى قربها من المرشد علي خامنئي - الذي يملك تحديد السياسات العليا للنظام وعلاقاته الخارجية - وهي:

أولاً: بعثاتها الدبلوماسية وملحقياتها الثقافية

للتقاء مع غيرنا من المسلمين على الخطوط العريضة، داعين إلى تضيق الفجوة بين أصحاب المذاهب الفكرية، ولا سيما أهل السنة والشيعة. أجل أحفظ أننا يوم ذاك لم نر نشر الرسالة بين الإخوان وسريانها، تحت ذريعة أن هذا ليس وقته الآن...^(١).

حسابات إيران والمالكي في العراق

بعد انتخابات ٢٠١٤

صباح العجّاج^(٢) - خاص بالرائد

أسدلت الانتخابات العراقية أستارها بظهور

النتائج، حيث حازت قائمة رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي المرتبة الأولى بـ (٩٢) مقعداً، مبتعدة عن أقرب كتلة لها قرابة الضعف، لكنها تحتاج إلى ١٦٥ مقعداً ليأخذ المالكي الولاية الثالثة.

تكمن المشكلة عند المالكي في أن العديد

من القوى الشيعية في التحالف الوطني قبل

الانتخابات رفضت ولايته الثالثة علناً، وأشارت

لذلك المرجعية الشيعية في النجف (السيستاني)، كما صرّح بذلك الكرد، فضلاً عن إيراد علاوي والقوى السنية المشتتة، فكان هناك اتفاق واسع على رفض الولاية الثالثة للمالكي.

والمالكي نجح في الحصول على هذا الرقم

بشق الأنف، عبر التزوير والتلاعب بأصوات

الشيعية، وحرمان عدد من الصديدين من الترشيح بالاجتثاث والمساءلة القانونية؛ مثل صباح الساعدي، ومها الدوري.

ومارس ضد السنة عدة أمور: فقد شنّ حرباً

على الأنبار واعتقل نائباً سنياً، وإحدى غاياته من ذلك لمّ شمل الشيعة بعد التفرق ورفع الصوت الطائفي داخل المكون الشيعي وجمعه على قضية

(١) صحيفة السبيل الأردنية، بتاريخ: ٢٣ - ٨ - ٢٠١٢م، بتصرف.

(٢) كاتب عراقي.

المدارة من قبل وزارة الخارجية.

ثانياً: منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية وتُدار من قبل مكتب المرشد.

ثالثاً: قيادة عمليات فيلق القدس، الذي هو نخبة الحرس الثوري والجزء المهم منه.

والركيزتان الأولى والثانية تستخدمان كقوى ناعمة لمد النفوذ القومي الإيراني والتبشير الشيعي.

أما الركيزة الثالثة (فيلق القدس) فهو للتدخل المباشر لصالح الحلفاء والأصدقاء، عبر عمليات عسكرية وأمنية، الهدف الأساسي منه ليس لذاته العسكري بل لكسب أوراق في المفاوضات الإقليمية والدولية لتصب في صالح نظام الولي الفقيه.

بالنسبة للعراق وبسبب حالة الحرب والقطيعة بينه وبين إيران، فقد كان المدخل هو فيلق القدس، إذ بدأ عمل فيلق القدس فيه منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث تواصل مع القوى الشيعية العراقية في الداخل والخارج، وحثها على معارضة نظام صدام حسين، وعمل تنسيق بينها وبين الأحزاب والمليشيات العسكرية للشيعية العراقيين الذين سبق لإيران إيواء الكثير منهم منذ نشوب الحرب بينهما سنة ١٩٨٠.

وبعد الاحتلال ولغاية سنة ٢٠١٠ كانت سياسة إيران تركز على الاحتفاظ لنفسها بنفوذ ناعم غير مرئي على القوى الشيعية والحزبين الكرديين المعروفين، وبشكل أقل على بعض الأحزاب والحركات السنية والكردية ذات التوجه الإسلامي، مع دعم المليشيات والمجاميع الشيعية والسنية - من خلال سوريا، ومنها تنظيم القاعدة - التي كانت ضد الأميركيين، بهدف إنهاك الجيش الأميركي.

وعقب انسحاب الأميركيين من العراق فإن طهران باتت تضع وحدة الموقف السياسي لشيعية العراق على رأس أولوياتها بعد نجاحها في حمل الأميركيين على انسحاب بلا ثمن.

ففي سنة ٢٠١٠ ولكي تضمن للمالكي ولاية

جديدة سعى فيلق القدس إلى توحيد البيت الشيعي (التحالف الوطني العراقي) المنقسم خلف نوري المالكي ليتولى منصب رئاسة الوزراء، ونجح بذلك.

هكذا تنفذ إيران سياساتها في العراق، وليس كما يظن بعض المحللين الإسلاميين والقوميين أن إيران تشير بأصبعها فيطيعها شيعية العراق أو أن العراق ضيعة ومحافظة إيرانية، فهذه خرافة نجحت المخابرات الإيرانية في ترسيخها في الأذهان لتعطي إيران رهبة وقوة غير حقيقية^(١)، وهذا ما يجب تجنبه اليوم حول طريقة تعامل إيران مع ملف ترشيح المالكي للولاية الثالثة.

خطة المالكي للفوز بولاية ثالثة اليوم:

يحتاج المالكي إلى ١٦٥ صوتاً ليحصل على الولاية الثالثة؛ وتجميع الأصوات ليست مشكلة المالكي؛ إذ يمكن أن يتفق مع جهات غير شيعية: سنية أو كردية للحصول عليها مع بعض التنازلات والمناصب، لكنّ المالكي لا يمكنه أن يتجاوز إيران بذلك، ولا يجزؤ على فعل مثل هذه الخطوة لوحده، والمهم أن يحصل عليها من إيران وبرضاها، فضلاً عن الرضى الأمريكي، وكلاهما مهم لينعم بولاية ثالثة، وهو لا يعلم علم اليقين هل يكرر قاسم سليمان دعمه له كما فعل في انتخابات ٢٠١٠م أم لا؟

ويبقى السؤال: هل تمنح إيران ذلك للمالكي مرة أخرى؛ سلوك المالكي الشخصي جعل إيران تعيد النظر في قبوله كمرشح لولاية ثالثة؛ لأنّ المالكي خلق مشكلة لإيران في العراق، وسبب سلوكه الديكتاتوري تفتيت التجمع الشيعي

(١) من ذلك التكبير والتهويل ما تحاول أن توحى به إيران للدول العربية أن لديها جيشاً قوياً وضارباً تابعاً للحرس الثوري، أقوى نفوذاً وأكثر تجهيزاً، وحقيقة ما تملكه قوة صاروخية تعتمد على تقنية صواريخ سكود Scud الكورية، التي يبعد مداها مقابل تقليل كمية المتفجرات، وانعدام الدقة وهو ما فعله التصنيع العراقي سابقاً. أما غواصاتها فقد منحها روسيا جيلاً قديماً وتتعرض دائماً لأعطال، وصيانة، ومنذ سنة ٢٠١٠ تعلن إيران أنها صنعت طائرات بدون طيار (الصاعقة) ولم تصنع إلا ١٠-١٢ طائرة. هذه هي حقيقة التهويل الإيراني!!

(التحالف الوطني العراقي) الذي هو امتداد لفكرة أحمد الجلبي (البيت الشيعي) التي برزت بعد الاحتلال، وكانت من أنجح الأفكار التي جمعت قوى شيعية متنازعة في أيام المعارضة على هدف مشترك، وعلى عدو مشترك هو (البيت السني) المشتت، والذي رفض هذه الفكرة السنة من يومها وللآن!

وإيران اليوم بحاجة لتحالف شيعي العراق أن يتربط لمواجهة الصحوه السنّية المتأخرة في تركيا والسعودية والتي برزت من خلال الثورة السورية، حتى أصبحت سوريا تشهد صراعاً شيعياً - سنياً (تركياً - سعودياً)، وتخشى إيران من أن تكون الأرض العراقية مسرحاً آخر لصراع بوجه الوجود الإيراني في العراقي؛ فإيران تحاول أن تجعل شيعية العراق مترابطين وتبعد عنهم التشتت، وظهور المالكي كديكتاتور يضرها؛ لأنه يخلق صراعاً شيعياً - شيعياً من جديد، كما في أيام المعارضة، وإن كانت ديكتاتورية المالكي مفيدة في تحجيم وإقصاء السنة والكرد.

أمّا الورقة التي يراهن عليها المالكي ليكسب إيران لجانبه فهي تحقيق طلب قاسم سليمان قائد فيلق القدس بدعم نظام بشار بكل أنواع الدعم، والمالكي في الفترة السابقة دعم بشار لكن ليس على المستوى المطلوب إيرانيًا؛ لذا فإن ورقة المالكي في زيارته الأخيرة لإيران كانت عروضاً اقتصادية وعسكرية لنظام بشار.

هذا الأمر قد يجعل إيران تضغط في الداخل العراقي على التيار الصدري والحكيم للاستجابة للتعاون مع المالكي.

لكن مشكلة إيران أن علاقاتها مع آل الحكيم قديمة وإستراتيجية وهم قد خدموا الملف الإيراني أكثر من المالكي، وقيادات المجلس الأعلى لهم علاقات مع قيادات فيلق القدس، فتجاوز المالكي لكتلة الحكيم (المواطن) أمر صعب. والأمر الآخر أن المالكي أضّر كثيرًا في حقبة حكمه الأخيرة بالمصالح المالية لهذا التيار

(الحكيم - الصدري) ورجاله الأثرياء، وبعض هؤلاء لهم ارتباط بأمریکا ولهم رغبة في أن تطيح أميركا بالمالكي لبقاء مصالحهم الاقتصادية سارية المفعول.

لكن في نفس طلب إيران من المالكي دعم سوريا مزعج لأمريكا، لذا طلبت منه الكف عن ذلك مراراً وأن يكون على الحياد.

والمقلق اليوم للمالكي ولإيران أن أميركا لزمّت الصمت في دعم المالكي للولاية الثالثة أو رفضها، وهي تلاحظ بدقة ظهور كيانات من الميليشيات المتطرفة الشيعية، كأحزاب سياسية داعمة للمالكي مثل كتلة (صادقون) التابعة لعصائب أهل الحق، وكتلة (الوارثون) التابعة لحركة حزب الله في العراق، وهي مكونات ساهمت بضرب الأمريكان علناً والتصريح ضد أميركا، والمالكي في السنة الأخيرة دعم هذه الفصائل مالياً ومعنوياً.

يمكن تلخيص ما تريده إيران في هذه المرحلة في العراق بأنه يتمثل في وجود قائد شيعي قوي مقرب منها ولا بد أن يكون من حزب ديني شيعي، ويحافظ على وحدة الصف الشيعي العراقي.

لكن إيران تقف دائماً مع مصالحها لتضمن مكاسب عليها في الملفات الإقليمية لاسيما الملف السوري الذي ما زال مفتوحاً على المجهول. كما أن إيران لا زالت تنتظر الموقف الأمريكي الغامض من ولاية المالكي الثالثة.

الأيام القادمة ستكشف - في حالة تعمّر ولادة الحكومة - عن وجود خلاف عميق بين الأطراف الشيعية نفسها من جهة، وبين دولة القانون والكرد من جهة أخرى، أما إذا فاز المالكي بولاية ثالثة أو تنازل بسرعة (وهذا غير متوقع) فيعني أن إيران نجحت بإقناع كل الأطراف الشيعية بما تريد.

الخمينية عام ١٩٧٩ وحديث قيادات هذه الثورة عن تصدير مبادئها للبلدان العربية والإسلامية، الأمر الذي أثار مخاوف وهواجس قيادات العديد من بلدان المنطقة.

لكن الموضوعية تفرض علينا في الوقت نفسه أيضا ضرورة الإشارة إلى أن هذه الحساسية الأمنية فيما يخص الموقف من الشيعة وإيران لم تكن هي المحرك الوحيد للأجهزة الأمنية في دعم مخاوف البعض من توجهات مرسي تجاه تطوير ملف العلاقات المصرية - الإيرانية إذ لم يكن يخلو الأمر أيضا من عدم رضى هذه الأجهزة على مرسي وجماعة الإخوان المسلمين لحسابات خاصة بهذه الأجهزة وهو الأمر الذي ينسجم إلى حد كبير مع ما لاحظته الجميع من تعاون وثيق بين هذه الأجهزة وبعض الشخصيات الشيعية النشطة والمعروفة إعلاميا من أجل إسقاط الرئيس الدكتور مرسي.

ولعل كثرة النماذج الدالة على هذا التعاون الوثيق فوق أن يتم حصرها غير أن أبرزها هو ما بات يعلمه الجميع من أن أحد المراكز الشيعية ويدعى «مصر الفاطمية» هو من استضاف المدعو محمود بدر «مؤسس حركة تمرد» ليكون هذا المركز نقطة انطلاقته في عمله من أجل جمع توقيعات الرافضين للرئيس المعزول محمد مرسي فضلا عن إعداد تظاهرات الاحتجاج ضده في الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م والتي كانت الغطاء السياسي لما تبعه من تداعيات.

ولقد بات معلوما أيضا أن مؤسس حركة «تمرد» بل وأغلب قيادات الحركة - وباعترافاتهم أنفسهم فيما بعد - كانوا على اتصال مباشر ببعض الأجهزة الأمنية السيادية وأن كل خطوات الحركة كانت تتم وفق خطط مرسومة داخل هذه الأجهزة ما يعني أن أمر التعاون مع مركز شيعي أو

شيعة مصر بعد ٣٠ يونيو...

غدا تتكشف الأسرار

أسامة المهيمي^(٥) - خاص بالراصد

كانت ولا تزال الخطوات التي أتخذت لتوطيد العلاقات المصرية - الإيرانية في عهد الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي أحد أهم الأسباب الرئيسة التي أثارت استياء وانتقاد قطاع كبير من معارضي الرئيس المصري فضلا عن مؤيديه انطلاقا من خشية هؤلاء من أن تكون مثل هذه السياسات المصرية الانفتاحية على الدولة الإيرانية فتحا للباب على مصراعيه أمام محاولات المد الشيعي التي لم تفتأ تكررهما طهران لإقامة قاعدة شعبية داعمة لسياساتها ومواقفها في واحدة من أهم وأكبر الدول العربية والسنية وهو الموقف المتخوف والحذر الذي دعمته العديد من الشخصيات السياسية والفكرية فضلا عن بعض الاتجاهات الدينية التي كان بعضها ينطلق من مبدأ حسن النية والغيرة على أهل السنة والجماعة فيما كان يتعاطى معها البعض الآخر باعتباره أحد الحيل لفض دعم الإسلاميين من غير الإخوان عن مرسي وجماعته حتى تسهل خطة إسقاطه التي بدا أنه تم تنفيذها بدقة ونجاح غير مسبوقين.

ولعل الجهة الأخطر التي كانت وراء دعم هذا التوجه الحذر هي الأجهزة الأمنية المصرية التي يدرك الجميع أن لها موقفا حساسا من الشيعة والدولة الإيرانية تعود لآخر سنوات عهد الرئيس محمد أنور السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١م) حيث تأزمت العلاقات المصرية الإيرانية على خلفية اندلاع الثورة

(٥) كاتب مصري.

بعض الشيعة المصريين قد خطط له ولم يكن مجرد مصادفة.

في هذا الإطار فإننا نجد أنه من المشروع بل من المنطقي أن نتساءل وقد اقتربنا من مرور نحو عام بالكمال والتمام على إسقاط الرئيس الدكتور مرسي: هل تغيرت نظرة الأجهزة الأمنية المصرية بكافة مستوياتها إلى الشيعة وإيران أم أن أمر إثارة المخاوف زمن الدكتور مرسي وكما أشرنا ليس سوى وسيلة من وسائل التهيج والحشد المضاد؟

والحقيقة أنه وحتى يصبح التحري عن إجابة هذا التساؤل دقيقا إلى حد كبير نلفت النظر إلى أن تفسير موقف الأمن المصري يستدعي بالضرورة النظر في الحسابات الخاصة بالدولة الإيرانية وبشيعة الداخل المصري أيضا إذ أنه وعلى الرغم من أن هذا التقارب المصري الإيراني الذي حصل طيلة عام ولاية الدكتور مرسي ينسجم إلى درجة كبيرة مع موقف وفكر جماعة الإخوان المسلمين إلا أن الجماعة ومعها الرئيس مرسي لم يحظيا بالرضى الإيراني أو حتى رضى المجموعات المتشيعية المصرية وإن كان قد اختار كل طرف من الطرفين الزمن المناسب للتعبير عن هذا الرضى حيث أثرت إيران الدولة أن تخفي مواقفها من مرسي لما بعد أحداث الثلاثين من يونيو حيث تأكدت بما لا يدع مجالا للشك من انتهاء عصر مرسي فيما لم يتردد شيعة الداخل من الإعلان وبشكل صريح ومنذ اللحظة الأولى عن الانحياز الكامل لما أسموه بالموجة الثانية للثورة في ٣٠ يونيو فكان قيادات الشيعة في مقدمة صفوف المشاركين في تظاهرات الاحتجاج ضد مرسي.

وبعيدا عن مدى صحة الادعاءات التي روجتها الدولة الإيرانية أو ردها شيعة الداخل المصري من أن وجود الإخوان في الحكم لم يمثل حصن أمان حقيقي للشيعة المصريين ولم يحممهم من

بطش متطريفي المذهب السني بل يزعمون أن الأمر كان على العكس من ذلك إذ يدّعون أن مرسي والإخوان أطلقوا أيدي هؤلاء المتطرفين للبطش بالشيعة بدليل ما حدث في زاوية أبو مسلم بمحافظة الجيزة حيث مقتل الشيعي حسن شحاتة ومعه عدد من أتباعه على يد العشرات من أهل القرية.

وبالطبع فإن ما ساقه الشيعة مبرر غير مقبول ذلك أن حادث أبو مسلم ووفق روايات الشهود والمشاركين فيه لم يكن قد تم التخطيط له فضلا عن أن الإخوان أو غيرهم من التنظيمات الإسلامية لا علاقة لهم بالحادث من قريب أو من بعيد ومن ثم فإن الموقف الإيراني ومعه موقف شيعة الداخل المصري يفسره أمران رئيسيان:

الأول: هو التخوف من نجاح تجربة الحكم الإسلامي عبر جماعة سنية وهو ما سيسقط أحلام الدولة الإيرانية وأتباعها في أن يظل تقديم النموذج الإيراني الشيعي للإسلاميين النشطاء باعتباره النموذج الناجح في العالم الإسلامي كله ما يكون ثغرة لاختراق العقول والأفهام.

الثاني: هو الموقف الصريح الذي أعلنه الدكتور مرسي من أحداث سوريا وتأكيده دعمه الكامل لجهاد الثوار السوريين من أجل إسقاط نظام بشار الأسد الأمر الذي مثل لإيران وأتباعها صدمة هائلة حيث العلاقة الإستراتيجية الوثيقة بين طهران ودمشق ونظام الأسد.

وقد دفعت هذه الأسباب الحقيقية القيادات الشيعية المصرية إلى أن يعلنوا بلا مواربة عن دعمهم وتأييدهم الكاملين للمرشح الرئاسي عبد الفتاح السيسي ذلك أن السيسي ومن خلفه الجيش المصري لا يتخذان نفس الموقف فيما يخص تطورات الأوضاع في سوريا وهو ما اعتبروه في حد ذاته مكسبا يصب في صالح بشار الأسد ومن معه.

أما فيما يخص تفسير علاقة الدولة المصرية الحالية بالشيعة المصريين وبالدولة الإيرانية فإن

الأمر لا يبعد كثيرا عن نفس الأسباب، فالتوجه الجديد للدولة المصرية سواء فيما يتعلق بالموقف من نظام الإخوان ومشروعهم الإسلامي أو فيما يتعلق بالموقف من الأسد والثورة السورية يحتاج إلى من يدعمه على المستوى الفكري والثقافي والشعبي ومن ثم فإن الأولوية أن يتم إرجاء أية خلافات أيولوجية أو سياسية في الوقت الحالي حين التعامل مع أقوى الفرقاء وأكثرهم خطورة وهم جماعة الإخوان المسلمين ثم لا مانع فيما بعد من تصفية الحسابات مع بعض الأطراف السياسية الأخرى.

ولا تتطرق الدولة المصرية الحالية في موقفها من الثورة السورية من حبه في الأسد ونظامه لكنها انطلقت في ذلك من كون أن إفشال الثورة السورية وعدم حسم الأمر لصالح ثوارها هو أحد آليات إقناع المصريين بأهمية التراجع عن مطالب الثورة المصرية التي قامت في ٢٠١١م بدعوى أن الاستمرار في هذا المسلك يعني الصراع وابتعاد أمل تحقيق الاستقرار في البلاد.

كما أن ثمة أمرا آخر ربما يكون أكثر خطورة إذ تدرك الدولة المصرية جيدا حجم التوغل الإيراني في مصر بعد أحداث ثورة يناير حيث لم تكتف إيران بالتواصل مع القريبين التقليديين من طهران والذين باتوا أوراقا محروقة في الداخل والخارج ففتحت إيران قنوات من الحوار والتواصل مع عدد من الشخصيات السياسية والفكرية النافذة في البلاد، الأمر الذي صعب من مهمة التعاطي مع ملف الشيعة في مصر بشكل أماني بحت.

وقد وصل بالبعض درجة أن اعتبر أن أغلب من جاءت بهم أحداث يونيو ٢٠١٣ هم من رجال إيران ومن ذلك مثلا ما حذر منه الدكتور محمد النجيمي الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء وعضو مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا دول الخليج من

تشجيع قادة «الانقلاب» في مصر وخطورة ذلك عليها.

وقال النجيمي في عدد من التغريدات عبر حسابه على «تويتر»: «البرادعي شيعي العقيدة وحمد بن صباحي صديق حسن نصر الله تمده إيران بـ ٤٤٠ مليون ومؤسس تمرد شيعي والبلاوي متشيع ولا عزاء لدول الخليج .. أكلت يوم أكلت مصر».

وأضاف: «لما صلى البرادعي مسدلاً يديه سأل بعضهم: هل أصبحت شيعيا؟ فأجاب: «إني سني الهوية شيعي العقيدة ولا داعي لنكران عقيدتي».

وأوضح أن البرادعي يعلن عن تشييعه فينتقده الناس فرد عليهم: المجاهرة بالحق من أجل الحرية والكرامة والقيم الإنسانية ستستمر ما بقي في العمر بقية الثورة ستتصر.

وعلى الرغم من أن مثل هذا الكلام يحتاج للكثير من التثبت والاستقصاء إلا أن ثمة انعكاسات واقعية تكشف بالفعل عن اتساع النفوذ الإيراني في مصر فمثلا وفيما يخص لجنة الخمسين التي قامت بكتابة الدستور الجديد تم اختيار اثنين فقط لتمثيل التيار الإسلامي كان أحدهما الدكتور كمال الهلباوي المعروف بقربه من إيران في حين كان أغلبية أعضاء اللجنة من ممثلي التيار القومي والناصري والذين هم أيضا قريبون جدا من إيران.

أما على المستوى الثقافي والتعليمي فقد كشف وليد إسماعيل مؤسس ائتلاف «المسلمين للدفاع عن الآل والصحب» المتخصص في رصد تحركات الشيعة في مصر عن معلومات لديه تفيد بمخطط لدى الشيعة بعد الانقلاب عن طريق الجمعيات الخيرية.

وأضاف أن شيعة مصر أسسوا جمعيتين خيريتين عن طريق القيادي الشيعي طارق الهاشمي في الأيام الماضية، الأولى في الإسكندرية وتحمل اسم «ثقلين» مشهورة برقم ٣٠٧٠ والثانية في أسوان

وأوضح أن الشيعة توجهوا للجمعيات الخيرية

كستار ينشرون من خلاله منهجهم وذلك لأن

الجمعيات الخيرية تتعامل مع فئة الفقراء والذين سيُغرونهم بكثرة أموالهم ومساعدتهم بتغيير ملّتهم للتشيع، فيما قال الباحث علاء السعيد إن لقطات فيديو مسجلة كشفت عن تأسيس أول مدرسة شيعية في مصر تضم طلاباً وطالبات من عدة دول عربية وأجنبية منها الجزائر وقطر وإيران والولايات المتحدة وغيرها من الدول.

وقالت طالبة جزائرية في الفيديو الذي

عرضه برنامج حوارى على إحدى الفضائيات

المصرية إنها جاءت من الجزائر لتلتحق بالمدرسة لأنها تؤمن بالمذهب الشيعي وملتزمة بتعاليمه حيث يؤدي الطلاب طقوسهم الدينية ويرددون الأناشيد الخاصة بهم أيضاً.

وقد تمادى النفوذ الشيعي إلى حد أن بدأ

الشيعة في مصر في إقامة حسينيات، فوفق تقرير

نشرته صحيفة الصباح التي كان يرأس تحريرها الإعلامي المصري المعروف وأئل الإبراشي فإن خريطة الحسنيات ظهرت معالمها في جنوب البلاد وشمالها بعد ٣٠ يونيو خاصة في ظل انشغال قوات الأمن بأمور أخرى، ووجد الشيعة وعملاؤهم في مصر أرضاً خصبة لاستكمال بناء حسينياتهم ومراكز التشيع والتوسع في طباعة وتوزيع الكتب بل وإصدار بعض الصحف التي تخاطب أنصارهم وتوزعها بالمجان.

وضرب التقرير مثلاً بما حدث في مدينة

الرحمانية في البحيرة حيث فُجئ أهالي المدينة

بظهور مبنى يحمل اسم «الدسوقية المحمدية» بعد أن كان هذا المبنى مجهول الهوية حتى بعد انتهاء العمل به وهو مكون من ٦ طوابق ومقام على مساحة ما يقرب من ٥٠٠ متر بتكلفة مليوني جنيه

وكان البعض يتصور أن هذا المبنى هو أحد المصانع الكبيرة لكن الأهالي فوجئوا بأن المبنى يحمل اسم طريقة صوفية تحمل بين طياتها الكثير من المنتسبين للشيعة.

وأوضح التقرير أنه وبعد تقصى الأمر من جانب

ائتلاف «أحفاد الصحابة» الذي يترأسه الشيخ ناصر رضوان اتضح أن وراء المبنى اثنان من أكبر الموالين للشيعة وإيران خاصة بعد ما حضر حفل الافتتاح الكثير من أقطاب الصوفية وبعض الإيرانيين مما يعكس أن من وراء المبنى وتشبيده هم الشيعة.

وأضاف التقرير أن الغريب أنه صدر لهذا المبنى

قرار إزالة إلا أن مسئولى المحافظة تفاضوا عن الأمر وعلى رأسهم رئيس مجلس مدينة الرحمانية الذى دعي لافتتاح المبنى وقد لبى الدعوة فوراً على الرغم من أن المبنى مخالف وقد صدر بحقه إزالة.

وكشف التقرير أنه أيضاً وفي محافظة

الشرقية اكتشف أهالي قرية «الإخوة» مركز الحسينية بوجود مركز شيعي في القرية وتشيع بعض الأهالي بعد أن استغل الشيعة فقر معظم هؤلاء الأهالي وهناك قيادات شيعية مصرية تزورهم بشكل دائم منهم أحمد راسم النفيس القيادي الشيعي الأبرز في مصر.

وأخيراً فاعل في الإجابة التي رد بها القيادي

الشيعي خالد كروم على أحد صحفيي صحيفة

الدستور المصرية عندما سأله: هل وضع الشيعة

أحسن بعد ٣٠ يونيو؟ فقال: إن وضعهم أفضل من وضعهم أيام جماعة الإخوان. إشارة إلى أن الأيام والأحداث المقبلة ستكشف عن كثير من الألفاظ التي ربما لم تتكشف بعد حول تفاصيل ما شهدته مصر خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

أبرز الملاحظات على المجتمع في إفريقيا الوسطى تميزه بالتنوع العرقي واللغوي؛ حيث يتكوّن من ثمانين مجموعة عرقية يتواصل كلّ منها بلسانها الخاص. ومن أكبر التجمعات العرقية في البلاد جماعات البايا والياكوما والباندا والمبكا والمبوم والماندجيا والفولا، إضافة إلى تجمعات أوروية أخرى تتحدّر من أصول فرنسية في الأغلب. كما يجمع بين سكانها عنصران زنجيان رئيسان، هما: البانتو والزنج السودانيون؛ فمن البانتو: الماندا واليايا في غرب البلاد، والباندا والسريفي الوسط والشرق، والأزندي والأوينجي في الجنوب، ومن الزنج السودانيين: القبائل التي تعيش في الشمال والشرق، وأما الجماعات

المستعربة فتعيش في الشمال والشمالي الشرقي، وهناك تداخل قبلي بين إفريقيا الوسطى والسودان ممثلة في قبيلة السلامات وقبائل

أخرى صغيرة، ومن البربر جماعات البيل والبورورو الذين يسكنون المرتفعات غربي البلاد. وينتشر الإسلام بين الجماعات المستعربة والبيل والبورورو من البربر، إضافة للجماعات القاطنة في منطقتي الشرق والوسط، فيما يكسب الإسلام كل يوم أنصاراً جديداً بين الجماعات الوثنية والنصارى.

القاعدة تتجه إلى إفريقيا الوسطى

محمد خليفة صديق^(١) - خاص بالرائد

مقدمة: إفريقيا الوسطى دولة إفريقية مغلقة

أي بلا سواحل، حيث يبعد أقرب ساحل منها نحو ألف كيلو متر، وهو الساحل الشرقي في الكاميرون، وتقع في قلب القارة السمراء كما هو واضح من اسمها، تحدها دولة تشاد من الشمال، والسودان من الشمال الشرقي، ودولة جنوب السودان - المنفصلة قريباً عن السودان - من الشرق، ودولتا الكونغو الديمقراطية والكونغو من الجنوب، ودولة الكاميرون من الغرب، مساحتها تربو على ٦٢٢,٩٨٤ كيلو متراً مربعاً،

فيما يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة موزعين على خارطة دينية، تنقسم إلى:

١ - مسلمين: نحو ٣٥ في المائة (ثلث

السكان)، ويتركزون في شمال البلاد بالقرب من الحدود مع تشاد، وقد بالغ البعض حتى أوصل نسبتهم من ٥٠ إلى ٦٠ في المائة من إجمالي عدد السكان.

٢ - نصارى: ٥٠ في المائة، نصفهم من

(♦) كاتب سوداني.



إلا أنه من الملاحظ أن العديد من الجماعات التنصيرية تنشط داخل البلاد، منها: جماعات لوثرية، ومعمدانية، وكاثوليكية، ومنصرون تابعون لكنائس النعمة الإخوانية، وآخرون من شهود يهوه. ويأتي هؤلاء المنصرون غالباً من فرنسا - التي برز دورها جلياً في أزمة البلاد الحالية - والولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا وإيطاليا، إلا أن هناك جماعات تنصيرية تتسرب إلى الداخل من نيجيريا وجمهورية الكونغو ودول إفريقية أخرى، حيث النشاط التنصيري المحموم في عدد من دول الجوار، لا سيما أن الحدود الشرقية المتاخمة لحدود دولة جنوب السودان التي تعاني اضطراباً؛ بها نشاط تنصيري، لكن منطقة بحر الغزال بجنوب السودان المتاخمة لإفريقيا الوسطى بها وجود إسلامي مقدر سيما في مدن واو وأويل، وسط قبائل الفريت ودينكا أقار وغيرها.

تاريخ الإسلام في إفريقيا الوسطى:

وقد دخل الإسلام إلى إفريقيا الوسطى في القرن الخامس الهجري، وذلك عن طريق التأثير بالممالك الإسلامية المجاورة لها، مثل مملكة (كانم) التي قامت في شمال شرقي بحيرة تشاد، والتي وصلت إلى حالة من الازدهار والنهضة في ذلك القرن، فنشرت الإسلام في الأطراف الشمالية لإفريقيا الوسطى، ثم أخذ الإسلام بالانتشار فيها عن طريق كل من مملكة (برنو) الإسلامية - التي قامت في غربي بحيرة تشاد، ومملكة (باجرمي) - الواقعة في جنوب مملكة (كانم) - ويعود الفضل إلى ملوك الباجرمي في بسط نفوذ الإسلام إلى مناطق الزنوج في إفريقيا الوسطى. أما النواحي الشرقية من إفريقيا الوسطى فدخلها الإسلام من جهة دارفور وكردفان وبحر الغزال بالسودان وجنوب السودان، حيث انتشر الإسلام بين أوساط جماعات اللاندا والزاندي والجماعات السودانية التي تعيش في شرقي البلاد، فيما ظل الإسلام يتمدد وينتشر بين الجماعات الوثنية بصورة جعلت منه الديانة الثانية بعد النصرانية.

ويعود الفضل لفرض السكينة على بحيرة تشاد؛ وتأسيس دولة كانم التي نشرت الإسلام ووقفت أمام الفرنسيين ٧ أعوام حتى ١٩٠٠م للقائد السوداني المسلم رابح فضل الله، وهو من قواد الزبير باشا رحمة، وانضم إليه في عام ١٨٧١م، ولما هبته الحربية سلمه الزبير قيادة الجيش، وفي ١٨٨٤م توسعت مملكة رابح وبلغت ١٥٠ ألف كم، وتضم ٥ ملايين مسلم (تضم الآن أجزاء من إفريقيا الوسطى والكاميرون والنيجر ونيجيريا وتشاد).

في ١٨٩٠م التقى رابح فضل الله بقوات بول كرامبل الفرنسية التي كانت تستكشف أفريقيا الوسطى، وهزمه وقتل كرامبل؛ واستولى رابح على معاداته، وشجعه ذلك على الاتجاه غرباً لنشر الإسلام في القبائل الوثنية، واتخذ من الشريعة الإسلامية أساس الحكم والقرآن دستوراً وأحيى السنة وأمات البدعة فاستتب الأمن، وأحبه الناس، وحاولت أوروبا استمالته فأصر على أنه لا علاقة بمن قاتلوهم في الدين إلا الجهاد، فخططت فرنسا لضم المنطقة والقضاء على رابح، وكانت دولة رابح العقبة الأولى أمام توسعات إنجلترا في نيجيريا، وفرنسا في وسط إفريقيا فكان القضاء عليه من أسس الإستراتيجية الأوربية آنذاك.

ومن المعارك المهمة لرابح فضل الله ضد فرنسا معركة تجباو، التي هزم فيها رابح القوات الفرنسية وأبادهها وقتل القائد الفرنسي بريتونييه، وكان من نتائج تلك المعركة أن انضم الكثير ممن كانوا يوالون فرنسا لجيش رابح، وصمم على إثرها إميل جنتل رئيس البعثة الفرنسية لأفريقيا الوسطى على الانتقام لكرامة فرنسا، فتقدمت فرنسا للمنطقة مجدداً في ١٨٩٨م، للانتقام من رابح، وأصدر جنتل أوامره إلى الكابتن دوييلو بالتقدم بثلاث فرق للقضاء على رابح، وفي ٢٨ أكتوبر ١٨٩٩م بدأت المعركة وسقط عدد كبير من الفرنسيين وحدثت خسائر فادحة في الفرقتين اللتين بدأتا المعركة التي استمرت ٨ ساعات، وفقد الفرنسيون عدداً من أكفأ الضباط، وجرح روبيلو

جرحا خطيرا، وانسحب القائد الفرنسي.

ثم أصدرت فرنسا أوامرها إلى قواتها الأخرى في الجزائر بقيادة الضابط لامي بالتقدم نحو بحيرة تشاد؛ والانضمام إلى جنتل، وجمعت فرنسا قواتها في ٣ حملات ضد رابح في أواخر أبريل ١٩٠٠م، وتحركت الحملة الأولى من وسط أفريقيا، والثانية بقيادة جنتل من جنوب تشاد، ثم الثالثة بقيادة لامي في ٢٢/٤/١٩٠٠م، وكانت المعركة الأخيرة بقيادة لامي صمدت فيها القوات الإسلامية بقيادة رابح فضل الله، ونجحت في تحطيم الموجة الأولى من الهجوم، وحدثت خسائر فادحة في قوات فرنسا، لكن الفرنسيين عاودوا الهجوم واستولوا على حصن رابح، وحول الفرنسيون المدن إلى نيران وقتلوا الأطفال والشيوخ والنساء واندفع المسلمون بالسلاح الأبيض وبالأيدي العارية في كل شارع ومنزل، وواجهوا الجموع الفرنسية بشجاعة وإقدام.

أما رابح فبرغم ما أحاط بقواته لم يفقد الثقة بالله، ورفض الاستسلام فأعاد تنظيم ما بقي من قواته وعاود الهجوم على الحصن؛ الذي احتله الفرنسيون، واستطاع أن يقتل القائد الفرنسي لامي بطلقة في صدره، ثم استشهد في ١٢/٤/١٩٠٠م، وحين جيء برأس رابح إلى القائد جنتل انحنى أمام الرأس التي دوخت الفرنسيين، وقال إنه كان يود لو حماه من الموت لأنه يكنّ له كل احترام، وقد سجل تاريخ رابح ودولته ومعاركه مع فرنسا في تقارير رسمية محفوظة في دور الوثائق الأوربية والفرنسية.

ويرجع البعض حقد فرنسا الكبير على المسلمين في وسط إفريقيا لما ألحقه رابح فضل الله بقواتها قبل قرن من الزمان، مما جعلها تتخذ ذلك الموقف المخزي من مذابح ممنهجة ضد المسلمين هناك، بل لعبت دور المسهل والحامي للمليشيات المسيحية في قتلها البربري للمسلمين والتمثيل بهم وتهجيرهم من ديارهم.

كيف وصلت الأوضاع إلى هذه النقطة؟

يُعدّ رئيس إفريقيا الوسطى الأسبق فرانسو

بوزيزي مفتاحاً لفهم طبيعة أبعاد ما يحدث في إفريقيا الوسطى، فبوزيزي كان رئيساً مسيحياً موالياً لفرنسا شأن من سبقه، وقد سبق له أن حصل على اللجوء السياسي لفرنسا مرتين: الأولى في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، والأخرى في بداية التسعينيات، وقد استشرى الفساد في عهده، حيث كان حريصاً كل الحرص على تأمين نفسه من حمى الانقلابات الإفريقية، واعتمد في ذلك على ما لديه من خبرة عسكرية، مهملاً شؤون الدولة، ومتعمداً إضعاف جيش بلاده، إضافة إلى أنه سيطر على مناجم اليورانيوم والماس، ووزع ثروات البلاد على الحلفاء الفرنسيين والغربيين في الخارج كسباً لودهم وجلباً لدعمهم ضد المعارضة المسلحة المتمثلة في تحالف مقاتلي سيليكا التي بدأت تقوى ويشدد عودها في ذلك التوقيت، أما القشة التي قصمت ظهر البعير فتمثلت في انهيار اتفاق تقاسم السلطة الذي أبرم في يناير من العام ٢٠١٣م والذي أفشله بوزيزي، حيث كان يقضي بالإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين ودمج عناصر التحالف في الجيش الوطني للدولة، وهو ما انتهكه بوزيزي ولم ينفذه.

ويتكوّن تحالف سيليكا من خمس مجموعات من الفصائل المقاتلة المعارضة للرئيس بوزيزي، يقدر عددها بنحو ٢٥ ألف مقاتل، منحدرين من الديانتين الإسلامية والنصرانية، كما تتوزع جنسياتهم ما بين الإفريقيين الأوسطيين والسودانيين والتشاديين، ولا يعرف عنهم انتماؤهم لجماعات إسلامية جهادية كما تشيع عنهم فرنسا أو يشاع عنهم في التقارير الغربية، وكان يقود التحالف ميشيل جوتوديا، الذي نجح في العام ٢٠١٣م في قيادة تحالف سيليكا (الذي أنشأه في العام ٢٠٠٥م) للإطاحة ببوزيزي وتوليته سدة الحكم بعدما سيطرت قوات التحالف على القصر الرئاسي في شهر مارس وفرار بوزيزي إلى الكاميرون، إثر أشهر من القتال بين التحالف وبين الميليشيا النصرانية الموالية لبوزيزي والمسماة (أنتى بالاك)

وفي سبتمبر ٢٠١٣م أعلن جوتوديا رسمياً حلّ تحالف «سيليك»، واتخذ خطوات جادة لدمج مقاتلي التحالف في الجيش، فيما بقيت بعض قوات التحالف محتفظة بقياداتها وبتماسكها. وفي ديسمبر من العام نفسه نزعت القوات الفرنسية - بالتعاون مع القوات الإفريقية الموجودة في البلاد - أسلحة أكثر من سبعة آلاف من مقاتلي التحالف ووضعتهم في ثكنات مختلفة بالعاصمة، وهو ما أشعل الأجواء من جديد، حيث كان ينظر المسلمون إلى تلك القوات على أنها حماية لهم من اعتداءات الميليشيات النصرية، فخرج المسلمون في احتجاجات بشوارع العاصمة منددين بالانحياز الفرنسي ضدهم لحساب مناهضي بالاك، في مظاهر أشبه ما تكون بالثورة الشعبية، وأقاموا الحواجز بالحجارة وإطارات السيارات احتجاجاً على انتشار القوات الفرنسية التي وصفوها بالمحتلة.

وكان من نتيجة ذلك أن استتجد بوزيزي بالفرنسيين والأمريكيين للتصدي لقوات التحالف، إلا أن الأمر جوبه بالرفض الفرنسي الصريح، وأكد الرئيس فرنسو هولاند أنه لن يتم استخدام الجنود الفرنسيين المتمركزين في البلاد للدفاع عن حكومة بوزيزي. ويبدو أن التقارب الاقتصادي الذي أجراه بوزيزي بين بلاده والصين والولايات المتحدة الأمريكية على حساب فرنسا، ومحاولاته تغيير حرسه المواليين لفرنسا بآخرين من جنوب إفريقيا؛ كان أحد أسباب تخلي فرنسا عنه في هذا الموقف.

إلا أن خروج الأمر عن أيدي فرنسا وسقوط البلاد في يد جوتوديا وتحالف سيليك ذي الأغلبية الإسلامية صدم فرنسا، فأشعلت نار الفتنة بين المسلمين والنصارى، تلك النار التي لم يكن يعرفها تاريخ هذا المجتمع المسالم، فتحركت لدعم وتشجيع مناهضي السواطير للتحرك ضد المسلمين بهذه الصورة الفجة والدموية، وسحب سلاح سيليك؛ الأمر الذي أضعف من قدرتهم أمام الميليشيا النصرية، إضافة إلى الدفع بـ ٤٠٠ جندي

فرنسي جدد ليصل عدد جنودها هناك إلى ألفي جندي، ورغم هذا العدد الهائل فإن المنظمات الدولية تتهم قوات حفظ السلام بالتقاعس عن أداء مهامها في تأمين المسلمين وحمايتهم، بل عدم كسر هيمنة الميليشيات النصرية التي تهاجم المسلمين يومياً.

وبالنظر إلى حجم المجازر اليومية التي تلحق بالمسلمين وقتل الآلاف منهم حتى الآن، وبالنظر إلى دمويتها وبشاعتها، واستهدافها للمساجد ودور العبادة الإسلامية فقط، وفرار عشرات الآلاف من المسلمين إلى دول الجوار هرباً من مجازر الميليشيات النصرية؛ تظهر طبيعة الصراع الديني في المشهد؛ فالمطامع الاقتصادية والمادية التي تحرك الغرب في كثير من مؤامراته، كانت تصحبها على المدى التاريخي مطامع أخرى دينية منذ الحروب الصليبية على الشرق، وانتهاءً بالأوضاع الحالية في بلاد الإسلام، والصراع لا يتجزأ، بل ربما يفوق العداء الديني والثرارات التي يحتجزها الغرب في صدره أيّ عداء آخر، فالفتوحات الإسلامية التي طالت قلب أوروبا حتى وصلت إلى فرنسا نفسها وإلى أبواب باريس، هذه الفتوحات لم ينسها الغرب، بل كانت حاضرة في ذهنه يوماً بعد يوم، بدءاً بطرد المسلمين من الأندلس، مروراً بالحرب على العراق وأفغانستان، وانتهاءً بالوضع في مالي وإفريقيا الوسطى وغيرهما، فقد كان الصليب حاضراً ومهيماً وسيطراً.

الرؤية الغربية لصراع إفريقيا الوسطى:

هذا يجيبنا عنه معهد جيتستون (Gatestone Institute) الذي يتخذ من مدينة نيويورك مقراً له، ويرأسه جون بولتون الممثل الدائم الأسبق للولايات المتحدة في الأمم المتحدة، وقد نشر هذا المعهد في الثالث من فبراير من العام الحالي ٢٠١٤م مقالاً بعنوان «جمهورية إفريقيا الوسطى وتوغل الإسلام جنوباً»؛ لكاتبه لورنس فرانكلين وهو كاثوليكي إيرلندي وعقيد سابق عمل من قبل بالمحقة العسكرية الأمريكية في إسرائيل،

وكان مسؤولاً عن الشؤون الإيرانية في وزارة الدفاع الأمريكية في عهد الرئيس بوش الأب، كما أنه باحث دكتوراه في الدراسات الآسيوية.

يصف فرانكلين في بداية مقاله دوافع الخلاف في إفريقيا الوسطى والأطراف المتنازعة وردود الأفعال، فيقول: «عندما قام ثوار سيليكا المسلمون في جمهورية إفريقيا الوسطى باقتحام الجنوب لانتزاع العاصمة بانغي، وخلعوا الرئيس فرنسو بوزيزيه في شهر مارس من عام ٢٠١٣؛ لم تلقِ الحادثة كبير عناية في الإعلام الغربي. لكن الجانب الذي لا يريد الإعلام أن يراه هو أن هجوم تحالف سيليكا يخدم بلا قصد هجمة واسعة من قبل متطرفين مسلمين لتوسيع دائرة النفوذ الإسلامي إلى قلب دول إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى».

فالنزاع وفقاً للكاتب ليس إلا محاولة من قبل جماعات إسلامية متطرفة لفتح البلاد غير المسلمة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ فانتزاع السلطة من قبل تحالف سيليكا المسلم - إذا ما دُرس في سياقه التاريخي - يؤكد النشاط المستمر للتفافس الشامل في إفريقيا بين حملات التنصير والإسلام الجهادي.

ثم يستمر الكاتب ليقدم لنا خلفية تاريخية عن أسباب توقف الفتوحات الإسلامية في وسط إفريقيا، وكيف أن الطبيعة الجغرافية حالت دون اكتساحها من قبل الفاتحين كما حصل لدول الشمال الإفريقي. كما أن الجماعات الإثنية الإفريقية في الكونغو وجنوب السودان وإفريقيا الوسطى قاومت الزحف القادم، لا سيما بعد أن تلقت الدعم من قبل الكنيسة الكاثوليكية في روما منذ القرن الخامس عشر.

ويرى الكاتب أن الإسلام هو محاولة لطمس الهوية الإفريقية لتحل محلها الهوية الإسلامية؛ لكن الذي أعاق الحماس المتجدد لنشر الإسلام في إفريقيا عاملان رئيسان: «أولهما: سرعة استعمار القارة الإفريقية من قبل القوى الإمبريالية الأوروبية

المتنافسة. والعامل الآخر: حقيقة أن حملة التنصير التي قادتها الفاتيكان في وسط وجنوب إفريقيا كانت أساساً متيناً لما بعدها».

ويخلص الكاتب إلى أن الصراع الديني من أجل القارة الإفريقية مستمر، والتفافس على كسب المعتنقين، والقتال من أجل الهيمنة الروحية؛ واضح بشكل وحشي في بلدان إفريقيا عديدة».

القاعدة والدور المرتقب في إفريقيا

الوسطى:

ظلت القاعدة بتنظيماتها المتعددة تتابع عن كثب التطورات في إفريقيا الوسطى، ومعلوم أن القاعدة يسيل لعابها في كل الدول التي يحدث بها تدخل أجنبي غربي، وليس ذلك على إطلاقه، فهي لم تتدخل في ليبيا أواخر عهد القذافي ولم يكن لها وجود في دارفور، وغير ذلك.

من أهم البيانات التي أصدرتها القاعدة بشأن إفريقيا الوسطى، بيانها الذي عنونت له ب: (مأساة إفريقيا الوسطى .. بين مكر الصليبيين وخذلان المسلمين)؛ حيث وصفت ما يجري هناك بأنه فاجعة من أبشع الفواجع، ومأساة جسيمة وحلقة جديدة من مسلسل الحرب الصليبية الحاقدة على الإسلام وأهله أينما كانوا، .. حلقة تُدار فصولها في قلب القارة الإفريقية، مجازر وحشية، وتهجير جماعي، وتطهير عرقي وطائفي ممنهج ومدروس، تمارسه الصليبية العالمية بأيدي محلية ودولية.

ووصف البيان ما جرى للمسلمين في إفريقيا الوسطى بأنه تطهير عرقي وطائفي بكل المقاييس، بل إنها أسوأ عملية تطهير عرقي ضد المسلمين في تاريخ البلاد، كما جاء في تقارير منظمة العفو الدولية.

ولفت البيان للدور الفرنسي القذر في تأجيج هذا الصراع وترجيحه لصالح نصارى المنطقة؛ حيث قامت فرنسا بشكل مدروس وسافر في ظل مخاوفها التاريخية من المد الإسلامي بتجريد المسلمين من سلاحهم، وفي المقابل دعم النصارى،

ليخرج الصراع عن نمطه العرقي الشائع، وعن توازن كفتيه، من مجرد مناوشات هنا وهناك، إلى حملة فرنكوصليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين، مشيرا الى أن فرنسا الصليبية الاستعمارية الحاقدة، التي كانت عبر التاريخ ولا زالت تلعب دور الوصي على القارة الإفريقية، وتعامل دولها معاملتها لمستعمراتها القديمة، في استعباد العباد، وتأجيج الصراعات وإثارة النعرات ونهب الثروات، من أجل الحفاظ على مصالحها، وإشباع نزواتها الاستكبارية.

واستتكر بيان تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي المجازر الوحشية ضد المسلمين وأدانها ورفضها، مشيرا الى أن قلوب المجاهدين مع مسلمي إفريقيا الوسطى تتألم لمصابهم وتتوق لنصرتهم بما تملك.. في المغرب الإسلامي، والصومال، والعراق، والشام، وأفغانستان، وفلسطين والشيستان، وقال البيان: «لستم ضعفاء.. فأنتم أبناء أمة مسلمة عزيزة أبيّة، خضعت وذلت لها القياصرة والأكاسرة من الفرس والروم قديما، وسقت السمّ الزعاف للروس والأمريكان حديثا. ونقول لهم.. ثقوا - بإذن الله - بأن دماءكم لن تذهب هدرا، وبأننا سنبدل كل ما في وسعنا لنصرتكم، وللثأر من عصابات الشر والإجرام قتلة الأطفال والنساء والشيوخ.

وتلا هذا البيان، بيان آخر من تنظيم له صلة وثيقة بالقاعدة هو أنصار الشريعة بتونس، والذي عنوان لبيان بـ (إفريقيا الوسطى .. تطهير باسم الصليب الذهبي).

يلاحظ أن لغة البيانين متقاربة، مما يشير للتقارب الفكري للتنظيمين، واحتوى البيانان على دعوة صريحة لمنازلة فرنسا وحلفائها على أرض إفريقيا الوسطى، واستهداف مصالحها وقتالها، مما قد يشير الى أن كثيرا ممن يحملون أفكار القاعدة سيحاولون عبور الحدود، وصولاً إلى إفريقيا الوسطى، ولعل القرب الجغرافي النسبي لهذا البلد من عدة بلاد بها وجود مقدر لتنظيم القاعدة يؤكد أن القاعدة جادة في التحرك إلى

هناك، ولعل ذلك سيلحق ضرراً بليغاً بتنظيم (سيليك) الذي يضم المسلمين هناك؛ إذا ما قرر تبني أطروحات القاعدة، ولعله ليس له سبيل غير ذلك، فلا توجد حتى الآن أي تحركات إسلامية جادة، غير الجهود الإغاثية المحدودة وبيانات الشجب والإدانة، وتعيين منظمة التعاون الإسلامي لمبعوث لها لإفريقيا الوسطى.

ويبدو أن القاعدة جادة في نقل عملياتها إلى إفريقيا الوسطى، فقد أكدت في بيانها أنها ستبدل كل ما في وسعها لنصرة المسلمين هناك، وستثأر من عصابات الشر والإجرام قتلة الأطفال والنساء والشيوخ، كما تريد القاعدة أن تشاركها شعوب إفريقيا حيث طالبها البيان بالثأر من فرنسا، وألا ينسوا ماضيها الاستعماري، ونهبها المتواصل لخيرات وثروات إفريقيا، وتلاعبها بأمن واستقرار شعوب القارة.

ويبدو أن القاعدة ستستمر في إستراتيجيتها في استهداف المصالح الغربية باعتبارها أهدافا سهلة، حيث دعت من خلال بيانها لاستهداف هذه المصالح الأوربية والفرنسية تحديداً المنتشرة في طول بلدان إفريقيا وعرضها، حيث يرى البيان أن فرنسا أحرص على مصالحها من دماء وأرواح مواطنيها فضلا عن أرواح غيرهم، ولكن الخبرة التاريخية لجهود القاعدة في القارة الأفريقية وغيرها أنها جهود مدمرة للواقع الإسلامي، حيث تفتح الباب واسعا أمام التدخل الأجنبي بحجة مكافحة الإرهاب، وتصيب المجتمع والبيئة الإسلامية بالدمار تحت ذريعة تطهير الصف الإسلامي من المنافقين والمرتدين، وهو ما يساهم بقوة في تحقيق أهداف أعداء الإسلام في أفريقيا!!

المؤلف على الموضوع وإصدارات الملاحدة باللغة الإنجليزية، فجنب الكتاب من نقص الأدلة من جهة، ومن نقص قدم الوقائع، وجعل الكتاب مواكباً للحظة الزمنية في منبعا في الغرب وفي انعكاساتها في مجتمعاتنا العربية.

الكتاب من إصدار مركز (تكوين)، وصدر في بداية عام ٢٠١٤، وهو يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير، ويتكون من بابين أساسيين وثلاثة ملاحق.

في الباب الأول تناول التعريف بموجة الإلحاد الجديد، التي عرفت بهذا الاسم سنة ٢٠٠٦م في مقالة لجيري وولف، وذلك عبر عرض سماتها وخصائصها، والمقصود بالإلحاد الجديد هو أسلوب تيار من الملحدين في تبني الإلحاد وعرضه وطريقة تعاملهم مع المتدينين بل والملحدين القدماء!



مليشيا الإلحاد...

مدخل لفهم الإلحاد الجديد

د. عبد الله بن صالح العجيري

عرض: أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

لعل هذا الكتاب من أفضل الكتب

المعاصرة التي اطلعت عليها وتناولت النوازل العقديّة المعاصرة، فهو سهل العبارة، عميق الفكرة، شامل الإحاطة بالموضوع مع أهمية القضية المطروقة، ويضاف لهذا ميزة الاستشراف والمبادرة للتصدي لهذه الظاهرة الوافدة قبل أن يشتد عودها ويتجذر شرها في زمن العولمة بعامّة وفوضى الثورات المضادة مما وفر مناخاً مناسباً للتمدد تحت ستار محاربة الإرهاب والتطرف!

مما جعل الكتاب متميزاً أيضاً، سعة اطلاع

(*) كاتب أردني.

السمة الرابعة: الهجوم اللاذع على دين الإسلام، فبرغم أن الإلحاد الجديد ظهر في الغرب وهو يصطدم بشكل أساسي مع المسيحية، إلا أنهم يخصّون الإسلام بقدر خاص من عدائهم وعدوانهم، ولذلك تنتشر في إصداراتهم الطعن بالمصطلحات الإسلامية، وأيضاً تجد احتفاءهم المبالغ فيه برموز الإلحاد الإسلامية مثل آيان هرسلي المرتدة الصومالية، وحمزة كاشغري السعودي.

السمة الخامسة: هي جاذبية الإلحاد الجديد، فعلى عكس الإلحاد القديم الذي كان يقوم على جانب فلسفي ونظري، فإن الإلحاد الجديد أصبح موضة، وأصبح لرموزه معجبون وعشاق يتابعون أخبارهم ويعلقون صورهم ويطلبون توقيعاتهم، مما جعل الحالة تكاد تصل للتقديس أو علاقة المريد بشيخه!

السمة السادسة: المغالاة الشديدة في قبول العلوم الطبيعية التجريبية، حتى وصلت هذه المغالاة لدرجة الهوس والخرافة والدوغمائية، والتي ألدوا هروباً منها عند المتدينين! ويمثل هذا بتحصيل العلم ما لم يثبت بعد لتقرير إلحادهم.

وبعد عرض هذه السمات الست للإلحاد

الجديد، اقترب د.العجيري بعدسته من المجتمع المحلي (السعودي) ليشرح انطباعه عن حال الإلحاد المحلي، وهنا يتفق المؤلف وغيره من الباحثين على وجود مشكلة حقيقية في المجتمع السعودي وغيره من المجتمعات العربية من وجود شباب وشابات متأثرين بالإلحاد بشكل كامل أو جزئي، وبعيدا عن حجم الظاهرة والتي لا جواب علميا لها، إلا أن العجيري ينبّه على أن هذه الظاهرة لا تقدر بالحجم بل بالكيف، فخطورتها من كيفيتها وموضوعها وليس من عددها وحجمها،

حيث كشف د.العجيري عن تحول الإلحاد

من قضية فردية إلى تشكيل ميليشيات إلحادية فكرية منظمة على إثر أحداث ٩/١١ في أمريكا، على اعتبار أن هذا الحادث كان الدين هو الدافع خلفه، وأنه حان الوقت لمحاربة الدين منبع الشرور، وعدم الاكتفاء بتخطئة الدين كحال الإلحاد القديم!!

وقد تميز الإلحاد الجديد بست سمات:

الأولى: الحماسة في الدعوة للإلحاد بعدما كان الإلحاد شأنًا ذاتيًا، ومن مظاهر هذه الحماسة للدعوة للإلحاد تأليف سيل من الكتب الإلحادية وتصديرها قوائم الكتب الأكثر مبيعا، ولم تنجُ كتب الأطفال من هذه الموجة حيث كتبت عدة مؤلفات إلحادية للأطفال والمراهقين، وأيضاً امتدت هذه الموجة للبرامج الفضائية والإذاعية وحتى برامج رسوم الأطفال طالبتها هذه الموجة. وتوج ذلك بظهور عدة مؤسسات للملحدين ترعى هذه الدعوة وتعمل الدعاية لها من خلال اللوحات الإعلانية على الطرقات أو المنتجات المختلفة من الملابس والأدوات.

والسمة الثانية: عدائية الخطاب، حتى قال أحدهم: (ذهبت أيام الإلحاد المؤدب)، وذلك باستخدام أبشع الصفات والنعوت تجاه المقدسات، وما نراه في كتابات بعض الملحدون العرب هو انعكاس لتلك الروح العدائية، وهذه العدائية من نقاط الخلاف بين الملاحدة الجدد والقدماء المعارضين على المبالغة في الإهانة والاستهزاء بالمتدينين.

السمة الثالثة: استعمال أداة الإرهاب في حرب الأديان، وذلك بربط كل المشاكل والشرور في العالم بمتدينين كانوا وراءها، ومن ثم الخروج بقانون (كل الشرور دينية)، لدرجة أنهم اعتبروا الاتحاد السوفييتي متدينا ولذلك كان متخلفا ثم

وهو تنبيه مهم وفي مكانه، فبغض النظر عن حجم هؤلاء الضحايا إلا أن القضية مركزية وتستحق كل عناية واهتمام.

وأيضاً يجب التنبه لسقوط حاجز اللغة الذي كان يحول بين وصول هذه الأفكار الهدامة إلى شبابنا وشاباتنا وذلك بسبب مكر شياطين الإنس الذين يترجمون هذه الكتب والبرامج في وقت قصير، ولا يقتصر هذا على جهود مؤسسات تجارية فردية كدار الساقى مثلاً، بل تشارك في الجريمة مؤسسات رسمية وحكومية في ترجمة كتب الإلحاد مثل الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومؤسسة كلمة في أبو ظبي.

الباب الثاني خصمه المؤلف لعلاج ومكافحة الإلحاد وبشكل أدق لما يجب أن يتصف به العلاج، وأما مبررات الاهتمام بالعلاج فهي أربعة مبررات بحسب د. العجيري: أن الملحدون هم جزء من أهم الواجب علينا دعوتهم، وأن هناك جاليات إسلامية تعيش في الغرب تحسب بهؤلاء الملاحدة فوجب حمايتهم وصيانتهم، وأن الإلحاد أصابنا وقد ازداد خطورته في المستقبل علينا، وأن المتصدي الأكبر للإلحاد هم نصارى، والنصرانية بذاتها سبب للإلحاد لمصادمتها للفطرة والعقل والمنطق في بعض أسسها، مما يجعل الإلحاد ينتصر في بعض الأحيان.

يحدد د. العجيري بعض الضوابط المطلوبة للاشتباك والعلاج لظاهرة الإلحاد تتمثل في:

- ضرورة تحري الصدق والعدل والموضوعية في تناول الإلحاد، لأن هذا أدعى للقبول وحتى لا يكون هذا مدخلا للطعن على الإسلام.
- عدم تسطيح الظاهرة الإلحادية، وذلك بعدم فهم شبهة الملحد والاجابة بجواب ناقص.

- تجديد الخطاب العقدي لعلاج الإلحاد، لأن الإلحاد المعاصر تطور عن الإلحاد القديم، وأصبح يعتمد على ركائز جديدة، لا يصلح معها العلاج القديم، ولا بد من الاستفادة من العلوم العصرية لإبطال شبه الملاحدة، وهنا يستعيد د. العجيري أطروحة شيخ الإسلام ابن تيمية (موافقة صحيح المنقول مع صريح المعقول)، لنفي تعارض العلم التجريبي الثابت مع النقل الثابت.

- ضرورة تقديم رؤى نقدية هجومية للإلحاد، وعدم الاكتفاء بالدفاع، لأن الإسلام والإيمان هما الحق، والإلحاد هو الباطل، ومن أبرز نقاط ضعف الإلحاد غياب مرتكز الأخلاق في منطقته، فالإلحاد لا منطق له في وجود الأخلاق وهذا مخالف لكل الفطر والعقول السوية.

- تأصيل المنهج الشرعي للتعامل مع الشبه، حتى لا يقع الضرر ويتأثر المسلم بالشبهات بدلا من نقضها.

- ترسيخ الحضور القرآني في قضايا الفكرية، وهو ملمح مهم يعطي المسلم قوة عقدية في طرحه ويعيد الدور الرسالي للمسلمين لإنقاذ العالم والبشرية.

وأضاف المؤلف لكتابه ثلاثة ملاحق، هي: مقالة مطولة للشيخ عائض الدوسري تناولت غزو الإلحاد للسعودية، ومقالة للشيخ سلطان العميري تستعرض أهم المؤلفات الناقدة للإلحاد، وقائمة بالمراجع الغربية المتعلقة بالإلحاد الجديد.

لا دين ولا خلق

قالوا: قامت الحكومة الإيرانية بإغراء المهاجرين الأفغان فيها بالسفر لسوريا والمشاركة في الدفاع عن نظام بشار عن طريق استغلال سوء أوضاعهم المادية ودفع راتب شهري للفرد منهم قيمته ٥٠٠ دولار، فضلاً عن توفير فرص تعليم لأبنائهم.

وول ستريت جورنال ٢٠١٤/٥/١٩

هكذا يفكر الأمريكيان

قالوا: في الحقيقة لا يوجد تنظيمات شيعية تستهدف الولايات المتحدة سوى ما فعله حزب الله في بداية تأسيسه في الثمانينات، لكنه لاحقاً ابتعد عن استهداف الولايات المتحدة سوى بالكلام، وهذه أمور يمكن تفهمها، فسياسة الولايات المتحدة براغماتية بهذا الشأن، ولا يهمها الكلام بقدر ما يهمها الفعل، وهذا الأمر يشمل إيران ذاتها، فبينما هناك جماعات تستعدي الولايات المتحدة على أراضيها إلا أن رئيسهم الحالي لاريجاني، وقبله خاتمي أتوا إلى هنا وقدموا أنفسهم كشركاء ومفاوضين، وهذا الأمر يستهوي الإدارة الأمريكية سيما إذا كانت ديمقراطية، في حين أن التنظيمات السنية لا تخفي عداها الواضح للولايات المتحدة، وقد استهدفتها مراراً سواء هنا على الأراضي الأمريكية أو سفاراتها حول العالم.

مشكلة الإرهاب (السني) أنه حقيقي ضد الغرب، بينما (الشيعة) فقط للاستخدام السياسي، خلال حرب العراق رفع شيعية البصرة العلم الأمريكي بينما كان سنة بغداد يحرقونه، واليوم يتكرر المشهد، فسنة الأنبار يستهدفون أمريكا والمالكي (الشيعة) في ذات الوقت، كما أننا لم نجد أحداً يرفع العلم الأمريكي في الثورات

العربية بل رأيانهم يحرقونه أيضاً، وهو ما يعطي الانطباع بأن (السنة) هم الخصوم الحقيقيون، قد لا يعجبك هذا التقييم، لكن الأمور تتم كذلك، اليوم تستقبل الولايات المتحدة آلاف الطلبة من إيران والعالم العربي، وفي حين أن أي طالب إيراني أو شيعي لم يقم بأي إساءة هنا، إلا أنه توجد أكثر من ٣٠ حالة لطلاب (سنة) من العرب أو القوقاز قاموا أو فكروا بالقيام بأعمال إرهابية داخل الولايات المتحدة، يجب أن تفهم أن الأمور تتطلق من هنا...

صحفي أمريكي في حوار مع إياد شريجي -

صفحة إياد على الفيس بوك

هكذا يفكر الرئيس المحتمل لأفغانستان

قالوا: رأيت عبد الله عبد الله عند الرئيس رفيق الحريري في ربيع عام ٢٠٠٤. وكان وقتها ما يزال وزيراً لخارجية أفغانستان. وقد تحدث مطولاً عن إجرام طالبان، وسوء السياسة الباكستانية تجاه أفغانستان. إنما البارز في حديثه كان عن «السياسة البناءة» لإيران في سائر أنحاء المنطقة. وقال مبتسماً: «الأميركيون جيدون، لكنهم ذاهبون، وإيران باقية في المنطقة إلى جوارنا، ولذا ينبغي العمل على كسب التعاون معها. وفي أفغانستان كما في العراق ولبنان.

رضوان السيد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٥/٩

هكذا يعمل اللوبي الإيراني في البيت الأبيض

قالوا: إدارة أوباما لا تخالف الكونغرس في توجيهه من إيران وحلفائها في المنطقة فحسب، بل هي تدعو أيضاً إلى تحالف واشنطن مع طهران في مواجهة «الإرهاب»، لأن في ذلك مصلحة الولايات المتحدة.

وكان لافتاً في هذا السياق المقال الذي نشرته

صحيفة «نيويورك تايمز» بقلم جوناثان ستيفنز، وهو سبق أن عمل حتى العام الماضي كمسؤول في شؤون الشرق الأوسط في «مجلس الأمن القومي».

في مقالته، التي تعكس إلى حد كبير تفكير أوباما وفريقه، كتب ستيفنز: «أعجبكم أم لا، في الوقت الحالي، يشكل نظام (الرئيس السوري بشار) الأسد وخصوصاً الولايات المتحدة الشيعة إيران وحزب الله أفضل مضاد للمجموعات الجهادية العابرة للدول، (هذه المجموعات) التي تستجمع قواها في سورية وفي جوارها والتي تكسب المزيد من القوة».

و«ستيفنز» ليس وحيداً داخل إدارة أوباما ممن يعتقدون أن الصداقة مع إيران الشيعية هي في مصلحة الولايات المتحدة، خصوصاً فيما يتعلق بمواجهة المجموعات السنية «المتطرفة»، وليس «ستيفنز» أكثر المؤيدين للأسد أو «حزب الله»، إذ داخل «مجلس الأمن القومي» الأميركي الحالي أعضاء ممن سبق أن التقوا الأسد في دمشق مراراً ومعروف عنهم تأييدهم له ولبقائه في الحكم حتى اليوم.

حسين.ع - موقع العصر ٢٤/٥/٢٠١٤

التلاعب الإيراني بالقاعدة قديم

قالوا: إيران تدرك ماذا تفعل، وبالتالي هناك عقل استراتيجي وفق رؤية كلية «والجميع يعرف أن إيران تعاونت مع أميركا على إسقاط طالبان ونظام صدام حسين وكانت من أكبر المستفيدين من ذلك». وقال «عقدت إيران نوعاً من التحالفات على الرغم من الأيديولوجية الفكرية مع تنظيم القاعدة الأم في أفغانستان، وكانت هناك علاقات بين (القاعدة) ومجموعة من القيادات في إيران، وكان تستر طهران على تلك الجماعات لخلق أسباب وشروط سياسية». وأضاف «إيران لها خبرة طويلة وكبيرة في إدارة ملف (القاعدة)، وتستطيع أحياناً أن توجه أو تتلاعب في هذا الأمر».

حسن أبو هنية، الشرق الأوسط ٨/٥/٢٠١٤

ضلال وكيف!

قالوا: متعاطو المشروبات الكحولية في إيران

يستهلكون سنوياً ٢٥ ليترًا من الكحول لكل شخص، وهذا الرقم هو ضعف استهلاك الكحول لمتعاطي الكحول في الولايات المتحدة الأميركية وحتى أكثر من روسيا.

وأفاد تقرير لمنظمة الصحة العالمية بأن إيران تأتي في المرتبة التاسعة عشرة بين أكثر الدول استهلاكاً للكحول. كما كشف تقرير آخر عن زيادة في معدل استهلاك المخدرات في إيران بحوالي ٥٠ في المائة عن ذي قبل.

مفكرة الإسلام ٢٠/٥/٢٠١٤

اعتراف شجاع

قالوا: هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تصمت في بعض الأحيان عن انتهاكات حقوق الإنسان والحريات وفي أحيان أخرى تبررها، بل وتدافع عنها وتفتخر بها ما دامت تطول المختلفين معها؟ فقط في مصر.

هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تروج بشراسة لتجاهل مقتضيات سيادة القانون ولأولوية «الحرب على الإرهاب» على الحقوق والحريات، وتوظف قدراتها التنظيمية والسياسية ليس لبناء التوافق المجتمعي في إطار من الالتزام بالسلمية وبالقيم الديمقراطية بل لتثبيت فاشية الإقصاء والعقاب الجماعي؟ فقط في مصر.

هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تواجه الطائفية المقيتة والتمييز المرفوض ليس بالانتصار لحقوق المواطنة المتساوية بل بإنتاج خطاب طائفي معكوس وبتبني رؤى تمييزية باتجاه المختلفين معها؟ فقط في مصر.

هل سمعتم من قبل عن أحزاب وحركات «ليبرالية» تدعي أنها تدافع عن مدنية الدولة ثم تتحالف مع المكون العسكري - الأمني ظناً منها أنه سيشركها في الحكم/ السلطة (وهو لن يفعل)؟ فقط في مصر.

... فيا لبؤس الليبرالية التي تدعي هذه الأحزاب والحركات الحديث باسمها، ويا لعمق الأزمة الفكرية والسياسية طويلة المدى التي أدخلونا بها!

د. عمرو حمزاوي -

الشرق المصرية ٢٠/٥/٢٠١٤

تحديداً، من خلال تقسيمها إلى مصالح وأهداف استراتيجية وأخرى مؤقتة. يتباين حجم هذه المصالح كما يتباين «عمرها الافتراضي» أو بعبارة أخرى الوقت الذي يمكن أن تتخلى فيه طهران عن إحدى هذه المصالح المؤقتة من أجل المصالح الاستراتيجية الكبرى.

بناء على ذلك، علينا في بداية الأمر تشخيص وتحديد وتفكيك هذه المصالح وإعادة فرزها حتى نستطيع أن ندخل في مفاوضات حقيقية وجادة مع إيران، ولا نقع في فخ الخطة الإيرانية من خلال قيامها بالتضحية بالمصالح المؤقتة من أجل حماية المصالح الاستراتيجية. إن السياسة كلعبة الشطرنج يحرك قطعها الساسة في الوقت والاتجاه المناسب، وما نتحدث عنه هنا هو في واقع الأمر محاكاة للعبة الشطرنج التي اشتهر الإيرانيون (الفرس) بتفوقهم فيها عبر العصور: استراتيجية التضحية بـ«الجندي» من أجل حماية «الملك / الشاه»، والانتشار بشكل أفضل. بمعنى أن إيران قد تضحي ببعض الأوراق في الوقت الذي يحلو لها ووفقاً لمصالحها الكبرى.

بعبارة أكثر وضوحاً، إيران قد تدخل في مفاوضات مع الدول الخليجية والعربية وتقدم أيضاً «تنازلات» (في الغالب ستكون مؤقتة) لإثبات حسن النوايا من خلال تقديم وعود بعدم التدخل في دول مثل البحرين، وإيقاف الدعم عن الجماعات الحوثية في اليمن، وقد تقدم بعض التنازلات في لبنان أيضاً، وكل ذلك يندرج تحت مظلة الهدنة على جبهات مؤقتة، لكنها لن تقبل مطلقاً التفاوض حول سوريا والعراق و«حزب الله» اللبناني.

تهدف هذه السياسة الإيرانية في المقام الأول إلى إبقاء مواقعها الاستراتيجية في الداخل العربي محصنة

استراتيجية التفاوض العربي مع إيران

د. محمد السلمي - الشرق الأوسط ٢٥/٥/٢٠١٤

تشهد منطقة الشرق الأوسط هذه الأيام حراكا

دبلوماسيا غير مسبوق: زيارات متبادلة، واتفاقيات توقع هناك وهناك، ووعودا بزيارات، ومساعي لإذابة الجليد خاصة في ما يتعلق بالعلاقات بين دول الخليج العربي وإيران. على الجانب الإيراني نجد أيضا محاولات طمأنة للجوار العربي تتمحور حول أن إيران الحالية متمثلة في حكومة الرئيس حسن روحاني مختلفة عن إيران أحمددي نجاد، وتسعى إلى تجاوز الخلافات الرئيسة والثانوية، وترميم حالة انعدام الثقة بين الجانبين. لا شك أن هذه اللغة وجدت شيئا من القبول والترحيب لدى البعض، لكن أود أن أذكر كل من لديه شيء من القناعة في تصديق النغمة الإيرانية هذه، أو عازم على الدخول في مفاوضات مع طهران، أن يقرأ الأسطر أدناه بعناية فائقة.

قبل الاندفاع نحو إيران «الجديدة» علينا في بداية

الأمر سرد نقاط الخلاف مع إيران وترتيبها حسب

الأولوية والأهمية، حتى نستطيع التفاوض مع إيران وفق منهجية تسهم في الخروج بمكاسب حقيقية وليس المزيد من الخسائر والتوغل الإيراني في الداخل العربي.

من المعلوم أن إيران قد فتحت عدة «جبهات»

وزرعت بعض الولاءات لها في الداخل العربي، فهناك الأوضاع في اليمن والبحرين وسوريا ولبنان والعراق ومصر وغيرها. تعمل إيران وفق خطة ذكية في المحافظة على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط والدول العربية

مستقبل أفضل لأطفالنا على أساس التفاهم المشترك والفرص المتساوية». وفسر السفير أهمية الاحتفال بيوم مارتن لوثر كينغ وأهمية قيم الحقوق المدنية التي طرحها الزعيم بالنسبة للمنطقة المحيطة التي كانت تترشح مؤخرًا تحت وطأة الشغب. ثم بدأ ريفكين يغني وهو يقف أمام جدارية مارتن لوثر كينغ الملونة والتي تم الانتهاء مباشرة من بنائها أغنية «سوف نتصر - We shall overcome» بصحبة عشرات من طلاب المدارس الأفارقة والمسلمين.

على الرغم من أن الحضور قدروا تلك اللفتة،

أعربت وسائل الإعلام الفرنسية عن امتعاضها من جهود السفير الأميركي؛ حيث ارتأت أنه ليس في وضع يخول له تثقيف فرنسا حول العدالة العرقية. وأشار أحد كتاب المقالات إلى ذلك باعتباره دليلاً على «التلاعب الأميركي السري» بالثقافة الفرنسية. وعلى الرغم من ذلك استمرت المساعي الدبلوماسية الثقافية الأميركية في فرنسا وكافة أنحاء أوروبا. والسبب بالنسبة لواشنطن، أصبحت عدم قدرة أوروبا على دمج الأقليات تمثل خطراً على الأمن القومي وكان المسؤولون دائماً ما يقولون إن المسلمين الأوروبيين، الذين يشعرون بالإقصاء في بلدانهم، ربما يرغبون في إيذاء الولايات المتحدة. ويعتقد هؤلاء المسؤولون أن أمامهم وسيلة واحدة لتقليل حدة ذلك الخطر وهي الاستعانة بشعبية الثقافة الأفريقية - الأميركية وموسيقى الهيب هوب على نحو خاص.

ونظراً لأن شعور المسلمين الأوروبيين - الذين

يعانون من صعوبات اقتصادية، بالإضافة إلى بزوغ نجم أحزاب اليمين المتطرف، وسياسات مواجهة الإرهاب القاسية - بالحصار داخل بلدانهم يتزايد، تؤمن واشنطن بأن نموذج حركات الحقوق المدنية الأميركية والسياسات المناهضة للتمييز العنصري وتاريخ كفاح السود للحصول على حريتهم في الولايات المتحدة يمكن أن يوفر اللغة التي يمكنها التعبير عن مظالمهم والدافع لمعالجة تلك المظالم عبر السياسة. ففي النهاية، طور الأفريقيون - الأميركيون خطاباً نقدياً فعالاً بشأن التمييز العرقي والإمبراطورية تمكن ببراعة من ربط

قدر الإمكان، ولأن الجانب العربي اختار، بوعي أو من دون وعي، أن تكون الأوراق والمصالح التي يضغط من خلالها على الجانب الإيراني قليلة جداً، وكذلك على مستوى متقارب إن لم يكن واحداً، وعليه فإن التفاوض على أي منها في مقابل المصالح الإيرانية المؤقتة يعد تضحية بلاعب مهم مقابل «جندي» على رقعة الشطرنج السياسية.

ومؤخراً، قام مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون

العربية والأفريقية أمير حسين عبد اللهيان بزيارة للجمهورية اليمنية، التقى خلالها بالمسؤولين، وتمت مناقشة عدة ملفات من أهمها ملف الدبلوماسية الإيراني المختطف في اليمن. ومن جانب آخر، تحدثت بعض وسائل الإعلام اليمنية المحلية عن «صفقة سرية»، تتخلى طهران بموجبها عن دعمها لجماعة الحوثيين لتسهيل فتح صفحة جديدة مع صنعاء، في إطار ترتيبات أشمل لتحسين العلاقات بين إيران ودول الخليج.

إن صحت هذه التسريبات الصحافية، فإن ذلك

يتوافق وينسجم تماماً مع الاستراتيجية الإيرانية التي تطرقنا إليها في هذا المقال. لذا على دول المنطقة توخي الحذر من الوقوع خلال تفاوضها مع طهران في فخ تلك الاستراتيجية الإيرانية، وأن تحدد الملفات ذات الأهمية القصوى لها، وبالتالي يكون التفاوض مركزاً على تلك الملفات الرئيسية وليس الثانوية، ما عدا ذلك فإن الدول العربية والخليجية تحديداً قد تخسر الكثير من أوراقها مقابل خسارة أقل ثمناً للجانب الإيراني.

السياسة الخارجية الأميركية تدخل عصراً جديداً

مواجهة الإرهاب بـ "الهيپ هوب" !

هشام عيدي - مجلة المجلة ٢٠١٤/٥/١١

في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٩، انتقل تشارلز ريفكين، السفير الأميركي في فرنسا، إلى شمال باريس للاحتفال بجدارية نصبت بكلية مارتن لوثر كينغ بضاحية «فلري لوبل». وقال ريفكين أمام جمهور من المسؤولين المحليين والطلاب والمواطنين: «لقد دعانا الرئيس أوباما لبناء

الأحداث في الجيتوهات المحلية بالقرارات التي يجري اتخاذها في المنتديات الدولية. ويتمنى الدبلوماسيون الأميركيون الآن أن يتمكنوا من إقناع المسلمين الأوروبيين بأن ذلك النوع من الخطاب النقدي يصلح لحياتهم الخاصة.

لغة جديدة للتواصل المشترك

تحظى الدبلوماسية الثقافية الحالية لواشنطن بجذور تعود للحرب الباردة. ففي عام ١٩٥٥، بدأت وزارة الخارجية الأميركية تنظيم جولات رفيعة المستوى لفرق الجاز التي تعمل على الدمج العنصري مثل «ديزي غليبسي»، و«لويس أرمسترونغ»، و«ديوك أليغتون»، و«بيني غودمان» في الاتحاد السوفياتي وغيرها من دول الكتلة الشرقية. وكان الهدف أن تصبح تلك الفرق رمزا لانتصار الديمقراطية، فيما تعمل موسيقى الجاز كتجسيد للمثل الليبرالية الأميركية. ووفقا لما كتبه المؤرخ، بيني فون إيشن، في دراستها الرائدة حول تلك الجولات التي جاءت بعنوان «ساتشمو يطيح بالعالم»، كانت وزارة الخارجية في الخمسينات تشعر بأن الثقافة الأفريقية - الأميركية يمكن أن تمنح الجماهير التي تشعر بالغضب في ظل الحكم السوفياتي «إحساسا بوجود من يشاركهم معاناتهم وتقنعهم بأن المساواة يمكن تحقيقها في ظل النظام السياسي الأمريكي».

وعلى الرغم من أن عازف البيانو، ديف بريبك، ربما يكون قد بالغ في التعبير عن القضية عندما قال إن سفراء الجاز ساعدوا على إنهاء الحرب الباردة، يوافق العديد من الأكاديميين على التقييم الذي قدمه مؤرخ هارفارد، إنغريد منسون الذي أفاد بأن جولات الجاز كانت تمثل «نجاحا منقطع النظير» في الحصول على المزيد من الدعم للولايات المتحدة. ويحيط تفكير مشابه حاليا بدبلوماسية الهيب هوب. ففي عام ٢٠٠٥، وعندما كانت أعمال الشغب ترج أرجاء ضواحي باريس، بدأت وزارة الخارجية إرسال سفراء الهيب هوب - مطربي راب، وراقصين، ودي جي - لتقديم حفلات والتحدث في أوروبا بالإضافة إلى بعض أنحاء أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط. وكانت توني بلاكمان، التي تقدم عروضاً فنية تعتمد على الشعر، هي أول من يعمل كسفيرة هيب هوب

وتوافق على تقديم عروض في فعاليات ترعاها السفارة في كل مكان بداية من السنغال وصولاً إلى إندونيسيا. وقدم الفنانون الذين تبعوا خطاها عروضاً وأقاموا ورش عمل وتحدثوا إلى وسائل الإعلام حول وضع المسلمين في أميركا وحاولوا «تصحيح الاعتقاد السائد حول قمع المسلمين في الولايات المتحدة» بحسب تعبير السفارة الأميركية في ماليزيا. واليوم، يجري باستمرار دعوة فناني الراب المسلمين - الأميركيين لتقديم عروض في السفارات الأوروبية، كما تجري دعوة فناني الهيب هوب المسلمين المحليين أيضاً.

وربما يبدو مستغرباً أن تختار وزارة الخارجية موسيقى الهيب هوب لتمثيل الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم، ولكن المسؤولين في وزارة الخارجية مثل فرح بانديث، التي ما زالت حتى الوقت الراهن تعمل كمندوبة خاصة للولايات المتحدة إلى مسلمي العالم، يقولون بأن الموسيقى هي لغة للتواصل المشترك أو كما يطلق عليها «lingua franca» بين الشباب - خاصة الشباب المهمش - في كل العالم. وفي تقرير لمعهد بروكينغز، حاولت كل من سينثيا شنايدر وكريستينا نيلسون، منظرتي البرنامج، أن تشرحاً أسباب جاذبية تلك الموسيقى، حيث قالتا إن الهيب هوب بدأت كحركة «احتجاجية» ضد النظام الأمريكي ولكنها الآن تتردد بين شباب المسلمين المهمشين في جميع أنحاء العالم نظراً لأنها «تعكس الصراع ضد السلطة» وتعبّر عن «الألم» الذي يتجاوز عوائق اللغة.

ومن جهة أخرى، لا يبدو مفاجئاً أن تلجأ وزارة الخارجية إلى التركيز على منح معينة من تلك الموسيقى على حساب منح أخرى، فقد ركزت «على أهمية الجذور الإسلامية لموسيقى الهيب هوب في أميركا»، والتأثيرات الإسلامية التي تأثرت بها تلك الموسيقى. وذكر تقرير بروكينغز أن رواد الهيب هوب كانوا من أبناء المدن المسلمين الذين اتبعوا «التقاليد الأفريقية - الأميركية المسلمة المتعلقة بالاحتجاج ضد السلطة، والتي كان أبرز من يمثلها هو مالكولم إكس». وأكدت بانديث في خطاب ألقته أمام مركز جنوب آسيا بمجلس الأتلسي في أبريل (نيسان) ٢٠١٠ بأن الهيب هوب

يمكنها أن تقدم «خطابا مختلفا» لمواجهة «أيديولوجيا العنف» الأجنبي التي يتعرض لها الشباب. ومن جهة أخرى، كانت الحكومات الأوروبية أكثر حذرا حيال تأثير الهيب هوب. فمنذ بداية التسعينات، أعرب المسؤولون الفرنسيون عن قلقهم بشأن انتشار تلك الموسيقى - وثقافة السود بشكل عام - بين الشباب الفرنسي المسلم. كما نعت المعلقون الفرنسيون (على غرار العديد من نظرائهم الأميركيين) ثقافة الهيب هوب بأنها مرض ثقافي، وحملوها وزر العديد من السلبيات الاجتماعية للجيتوهات الأميركية في فرنسا، بما في ذلك «نمط حياة الأفريقيين الأميركيين العدائي»، ونشر الثقافة الأفريقية - الأميركية (ثقافة خصم). وفي عام ١٩٩٤، ونظرا لخوف الحكومة الفرنسية من الأمركة، وإدخال كلمات إنجليزية إلى اللغة الفرنسية مررت الحكومة قانونا يحد من انتشار إذاعة موسيقى الهيب هوب في محطات الإذاعة الفرنسية.

على أية حال، فقد كانت السياسات الفرنسية أكثر قلقا خلال السنوات الماضية بشأن نوع الإسلام الذي ينشر عبر موجات «الراب» ومن ثم تدخلت لمنع بعض الفنانين الذين اعتبرتهم «راديكاليين». وكرد فعل على محاولات مطربي الراب المتطرفين استغلال الهيب هوب للدعوة للعنف، بدأت الحكومات في جميع أنحاء أوروبا دعم الهيب هوب الذي يروج للهوية المسلمة «المعتدلة». وفي أبريل ٢٠٠٧، قدمت وزارة الداخلية البريطانية برنامجا يطلق عليه «منع - Prevent» يعمل على توفير تمويل للمنظمات الإسلامية لكي تتمكن من إنتاج حفلات هيب هوب تقدم مطربي الراب المسلمين الأميركيين والبريطانيين الذين يقدمون «تفسيرات معتدلة» للإسلام. وحذت الحكومتين الألمانية والهولندية حذوها. مما لا شك فيه أن هناك تباينات كبرى في الآراء حول تعريف الإسلام «المعتدل». فعلى سبيل المثال احتفت المؤسسة الثقافية الفرنسية بالفنان الصوفي عبد المالك - الذي يقدم أغاني راب حول حبه للجمهورية - بدلا من خصمه مدين المسلح الذي يستلهم أفكاره من «القوة السوداء». وعلى النقيض من ذلك، كانت واشنطن لديها دائما مفاهيم أكثر

ليبرالية بشأن أنواع الإسلام التي يجب نشرها في أوروبا. وفي فبراير (شباط) ٢٠١٠، دعا السفير الأميركي في فرنسا فرقة الراب المثيرة للجدل «كيه أوماندو توكسيك - K.Ommando Toxik» لتقديم عرض بمقر إقامته. ولم يسر ذلك المسؤولين الفرنسيين، خاصة وأن الفرقة قدمت عرضا لتكريم ولدين قتلا على يد قوات الشرطة الفرنسية في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٧، وهي الحادثة التي أعقبتها سلسلة من أعمال الشغب. كما أثار برنامج أميركي آخر، سافر من خلاله مجموعة من مطربي الراب الفرنسيين إلى الولايات المتحدة للالتقاء بالفنانين ونشطاء الحقوق المدنية في هارلم موجة أخرى من الغضب. حيث كان أحد الفنانين الذين دعتهم وزارة الخارجية هو مغني الراب إكوي لابييتي من فرقة «لا روميو» وهي إحدى الفرق التي اتهمها الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي بالتشهير إثر إلقاءهم أشعارا حول حصانة الشرطة الفرنسية.

حلفاء غاضبون

تبرز التوترات التي نشأت عن دبلوماسية الهيب هوب أحد أهم الخلافات بين الجهود الحالية والجهود التي كانت تبذل في فترة الحرب الباردة: حيث كانت البرامج السابقة توجه إلى الاتحاد السوفياتي وهي دولة خصم، فيما تركز المبادرات الحالية على الدول الأوروبية الصديقة. وتتفق الولايات المتحدة حاليا ملايين الدولارات للفوز بقلوب وألباب الجاليات المسلمة الأوروبية الساخطة التي عادة ما تقف ضد البرامج التي تقدمها الدول الأوروبية، وهو ما أغضب المسؤولين المحليين الذين يؤمنون بأن الولايات المتحدة تتعدى على سيادة بلدانهم لكي تروج لمصالحها القومية الخاصة. وقد أثبتت البرقيات الدبلوماسية التي نشرتها «ويكيليكس» في ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٠ صحة تلك الحجة؛ حيث تضمنت العديد من تلك البرقيات انتقادات وجهها مسؤولون أميركيون لحكومات فرنسا وبريطانيا وهولندا نظرا لإساءتهم معاملة الأقليات المسلمة. ويبدو أن الدبلوماسيين الأميركيين قلقون أساسا بشأن العواقب المحتملة للعلاقات بين ضفتي الأطلسي كما أنهم غير

مقتنعين بالجهود الأوروبية لمجابهة ذلك «التهديد الجديد». وكانت رسائل السفارة في باريس هي الأكثر إساءة، فوفقا لإحدى البرقيات: «لدى الفرنسيين مشكلة معروفة جيدا فيما يتعلق بالتمييز ضد الأقليات. وما زالت وسائل الإعلام الفرنسية تقوم بتمييز لصالح البيض.. فمن بين كافة المؤسسات التعليمية النخبوية الفرنسية، لم ينم إلى علمنا أية محاولات جدية للدمج بخلاف محاولات «معهد الدراسات السياسية بباريس». وألقت تلك البرقيات باللوم على عاتق الحكومة الفرنسية فيما يتعلق «بالجهل الرسمي بالاختلافات العرقية». وأعرب الدبلوماسيون الأميركيون عن خوفهم من أن يتجه شباب المسلمين الفرنسيين صوب التطرف بالإضافة إلى أن النزاعات الإثنية يمكنها أن تضعف فرنسا إذا لم تتمكن فرنسا على المدى البعيد من أن تمنح الأقليات تمثيلا سياسيا حقيقيا؛ حيث «يمكن أن تصبح البلاد أضعف وأكثر انقساما وربما أكثر تعرضا للأزمات.. وبالتالي تصبح حليفا أقل فعالية».

وفي الوقت نفسه، يقر العاملون بالسفارة الأميركية بأنه من المستبعد أن تقبل أغلبية المجتمع الفرنسي المفاهيم الأميركية حول الاختلافات العرقية والدينية أو الشراكة مع السفارة لمعالجة مظالم المسلمين الفرنسيين. (فقد كانت فرنسا دائما ما تعتبر نفسها محصنة ضد المشكلات العرقية كالتي شهدتها الولايات المتحدة، وكانت تفتخر بتاريخها في توفير الملجأ للأفريقيين - الأميركيين الذين كانوا يعانون من التمييز). وبالتالي، تقترح البرقيات التواصل المباشر مع الجمهور الفرنسي خاصة المسلمين الفرنسيين عبر برامج التبادل الثقافي والمهرجانات والمؤتمرات والظهور في وسائل الإعلام لإبراز أن الولايات المتحدة تحترم الإسلام «وأنها تشارك على نحو طيب في العالم العربي الإسلامي». وأشارت البرقيات أيضا إلى أن المسؤولين بالسفارة يستهدفون أن يشرحوا إلى الأكاديميين ورجال الأعمال كيف تستطيع الاستراتيجيات الأميركية لإدارة التنوع الاجتماعي مساعدة فرنسا على تحقيق قيمها المتعلقة بالمساواة. وسوف يكون الهدف هو خلق جدل عام حول التمييز الإيجابي، والتعددية الثقافية، والهوية المركبة وإقناع

الزعماء الفرنسيين بإعادة التفكير في «برامجهم الثقافية» فيما يتعلق بالأقليات. وتشير إحدى البرقيات إلى أن «مثل تلك الجهود سوف تتطلب قدرا كبيرا من الحساسية والحذر والبراعة من جانبنا».

وبالطبع، كان لتلك البرقيات المسرية رد فعل سلبي في فرنسا، ولكن أكثر البرقيات التي أثارت غضب الحكومة كانت برقية كتبها كريغ ستابلتون، السفير الأميركي أثناء ذروة الاضطرابات المدنية بباريس في نوفمبر ٢٠٠٥ والذي قال فيه: «إن المشكلة الحقيقية هي إخفاق فرنسا المسيحية البيضاء في النظر إلى مواطنيها داكني البشرة والمسلمين باعتبارهم مواطنين ولديهم حقوق». وفي حديث في برنامج تلفزيوني، سخر رئيس الوزراء السابق دومينيك دي فولبان قائلا: «تظهر هذه البرقية حدود الدبلوماسية الأميركية». وأضاف أن الدبلوماسيين الأميركيين كانوا يفهمون عبارة «شغب الضواحي» من خلال تاريخهم الخاص والذي ينظر لتلك الأزمة المدنية بفرنسا عبر المنظور الديني. ومن جانبها، فإن وسائل الإعلام الفرنسية كانت غاضبة على نحو خاص من الكشف عن أن الولايات المتحدة كانت تعمل سرا على تشكيل خطاب وسائل الإعلام الفرنسية بشأن الدمج العرقي. ومع ذلك فإن أكثر ما أغضب الفرنسيين كان جهود السفارة الأميركية لتمكين الأصوات المسلمة الفرنسية «المعتدلة». وكانت إحدى أكثر المنظمات المسلمة التي عملت السفارة الأميركية على تأييدها هي المجلة الإلكترونية Oumma.com التي تركز على شؤون المسلمين، والتي وصفها السفير الأميركي باعتبارها «موقعا مميزا». وقد بدأ المحافظون الفرنسيون، الذين يعتبرون الموقع متطرفا نظرا لتعاطفه المزعوم مع جماعة الإخوان، يتهمون الحكومة الأميركية والمسلمين الفرنسيين بالتآمر لهدم التقاليد العلمانية الفرنسية. (وأعربت الصحافة البريطانية عن غضب مشابه إثر البرقيات المسرية التي أشارت إلى حملة السفارة الأميركية «السرية» للتواصل مع المساجد «الراديكالية» بما في ذلك مسجد «فنسبار بارك» بشمال لندن والذي كان يتردد عليه كل من زكريا موسوي الذي اشتهر بلقب «المختطف العشرون» وريتشارد ريد

المعروف «بمفجر الحذاء».

وعلى الرغم من مرور عامين على الكشف عن البرقية، ما زالت الهستيريا الفرنسية لم تخفت، فبعض المحافظين تحدثوا حول المسلمين باعتبارهم حضان طروادة الذي يعمل نيابة عن الولايات المتحدة، فيما قارن البعض الآخر الرحلات التي ترعاها وزارة الخارجية الأميركية إلى «هارلم» بالرحلات التي كان يرعاها الاتحاد السوفياتي في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي والتي كانت تحت المثقفين الفرنسيين على الاستفادة من التجربة الاشتراكية في المقام الأول. وفي أبريل ٢٠٠٨، نشرت صحيفة «لوبيزيان» اليومية قصة لا أساس لها على صفحتها الأولى تزعم أن الاستخبارات الأميركية بدأت برامج خاصة في الضواحي، وما زالت نشاطات وكالة الأمن القومي الأميركية تتصدر عناوين الصحف الفرنسية حتى الآن.

اللعب على وتر الجماهير

ومن جهة أخرى، قوبلت برامج دبلوماسية الهيب هوب التي قدمتها واشنطن بانتقادات أخرى داخل مجتمع الهيب هوب ذاته. فقد أثارت تلك البرامج جدلا محمودا حول الغرض من الهيب هوب وبشأن ما إذا كان صناع «موسيقى الاحتجاجات يجب أن يعملوا مع الحكومات أو يقبلوا دعوات السفارات. ووفقا لما قاله مغني الراب الإنجليزي الشهير لوكي: «لقد تمكن الهيب هوب من كشف السلطة وتحديها ولكنه لم يعمل أبدا على خدمتها. فعندما تحب الحكومة الأميركية نفس مطربي الراب الذين تحبهم، يجب أن نتساءل من الذي يخدمه فعليا هؤلاء المطربون؟»

والمفارقة الكبرى هي أنه على الرغم من إعراب مطربي الراب اليساريين والصحافيين الأوروبيين المحافظين والسياسيين عن غضبهم، أعرب شباب المسلمين الذين كانوا هدفا لتلك المبادرات عن تقديرهم الكامل لتلك المبادرات. فإذا كان الهدف هو خلق انطباع إيجابي عن الولايات المتحدة بين المسلمين الأوروبيين، فإن البرنامج نجح في تحقيق ذلك الهدف. وعلى نحو خاص في فرنسا، بدأت الآراء الإيجابية حول الولايات المتحدة

تتزايد بحدة في فرنسا منذ ٢٠٠٨ بين شباب المسلمين. فيبدو أنهم لا يمانعون أن يصبحوا هدفا للبرامج الثقافية التي تقدمها الحكومة الأميركية لأنهم لا يشعرون بأنهم يتعرضون للتمييز. فقد قالت وداد كفتي، المدونة التي تبلغ ٢٧ عاما وشاركت في البرامج التي ترعاها السفارة في حوار مع «التايمز» أنها كانت تعلم أن السفارة الأميركية هي التي دعتها لأن لديها خلفية كجزائرية مسلمة ولكنها أضافت: «ما يزعجني أكثر هو أن أصبح هدفا للدولة الفرنسية».

وأخيرا، يتمنى العديد من النشطاء المسلمين أن تمكنهم علاقتهم الجديدة بسفارات الولايات المتحدة من الضغط على حكوماتهم لكي تصغي لمطالبهم. فيقول روخايا ديالوا، المنظم الفرنسي - السنغالي والذي يعمل من كذب مع السفارة الأميركية في باريس: «إن السفير الأميركي يظهر في الضواحي أكثر من وزراء البلد.. لماذا إذن؟» يعد طرح ديالوا مثل ذلك السؤال إنجازا لدبلوماسية الهيب هوب التي تتبعها واشنطن. بل إنه سيصبح إنجازا أكبر إذا ما شعرت الحكومة الفرنسية بأنها مضطرة للإجابة عنه.

خدعة جديدة في الصراع الإيراني العربي!

د. أبو سلمان الفاراسي - طهران

عملية استيقاظ العرب من سباتهم العميق لمعرفة حقائق واقعهم السياسي في المنطقة والدور الإيراني فيها كلفتهم الكثير؛ فقد ضيعوا أكبر قوة عسكرية عربية فاعلة - المتمثلة في العراق - بعد أن سبق أن قدموا وبكل سذاجة «لبنان» على طبق من الذهب لحزب الله الإيراني.

يبدوا بأن الصحوة العربية لم تكتمل إلا بعد أن أخذت عنجهية إيران التي سكرتها الإنتصارات المتتالية تأخذ في الاستهانة بالغيرة العربية على أرض الشام لتضم هي الأخرى إلى سلطانها.

هذه هي الصورة التي قد تبدوا لأول وهلة، لكنني تفاجئت بأن الشخير العربي مازال عاليا، وكل قطر

عربي يعيش حلما لوحده وكأنه في عالم غير عالم الآخرين، ويظن بأنه في مأمن من أنياب الذئب مادام يهتك عرض أخاه و يلعب ببيكارة أخته!

قبل أن تتخذ الشعوب العربية موقفا واضحا تجاه

المشروع الإيراني حول ساستهم ترسانة الحرب وخنجر الحقد إلى صدور أبنائهم تحت لافتة «الحرب على الإخوان» وبالتالي أوجدوا فصاما نكدا بينهم وبين الشعوب المسلمة التي هي رصيدهم الوحيد في وجه العدو الخارجي.

إذا كانت إيران خسرت جزءا من الشارع

الإسلامي والحركات الإسلامية في المنطقة، فقد استطاعت أن تجند الكثير ممن يرفعون شعارات العلمانية والتتوير، بل وأن تشتري ذمم بعض أمراء العرب وعددا من كبار الساسة والسياسيين.

تضاعفت النشاط الإيراني في مصر بعد الانقلاب

العسكري الذي قاده «السياسي» بمباركة من العرب. فما زالت النهضة الإيرانية تجري وراء مصر؛ فهي تدرك بأنها إن ملكت مصر - قلعة الشيعة الفاطمية - خضع لها العرب قاطبة. وأن مشروعها في الاستيلاء على الحرمين (عام ٢٠٢٥ الميلادي!) لن يكتمل من دون مصر.

إن كان الإعلام الإيراني المبرمج تحت قيادة

مباشرة من المرشد الأعلى استطاع أن يخدر الشاب العربي، ويصيد المرأة والأسرة العربية بأفلامها وبرامجها الهادفة، فقد أضرتها بعض القنوات الشيعية التابعة للتيارات التي لم تخضع لسلطان المرشد الإيراني بعد أن رفضت تقسيم الكعكة بين المراجع وسمى نفسه بـ «الولي الفقيه المطلق» (اقرأها: الناطق الرسمي المعصوم باسم الله)، في محاولة منه إلى احتكار المرجعية وبالتالي الإستيلاء على أموال الخمس العالمية والمزارات التي تتجلب مالا.

ساهمت هذه القنوات الشيعية في كشف الأقنعة

عن الحقائق الخفية التي تختفي وراءها قادة إيران، كما أنها أحدثت بلبلة في الصف الشيعي.

وفي جانب آخر لعبت القنوات السنية الفارسية دورا

مشهودا في توعية الشعب الفارسي وإحداث فجوة عميقة بين الشعب الإيراني والمعممين الذين اعتبروه رهينة رخيصة يجرونه نحو أحلامهم وآمالهم الصفوية، وقد بارك الله في جهود هذه القنوات فاستطاعت أن تحدث شرخا عظيما في الكيان الشيعي الصفوي مما جعل المراجع يتصرفون كالذي استهوته الشياطين حيران، وكالغريق يتشبث بكل حشيش!

تحاول إيران أن تقضي على هذين العدوين

الشرسين الذين أطارا النوم عن جفون قادة الصفوية.

بدأت المعركة الإعلامية بفيلم وثائقي أخرجته الأجنحة الإيرانية في مؤسسة (ب ب سي العربية)، حيث ظهر وكأنه يدعوا إلى إغلاق القنوات التي تدعوا إلى الطائفية!

فأبرزت بصورة استفزازية بعيدا عن المهنية

الصحافية واحترام الآخر؛ ثلاث قنوات شيعية تعارض النظام الإيراني، والقنوات السنية المهتمة بالشأن الإيراني؛ العربية منها والفارسية، ولم يتطرق لا من بعيد ولا من قريب إلى العشرات القنوات والإذاعات ووكالات الأنباء، ومئات المواقع الطائفية التي تتفق عليها إيران وتعمل تحت إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الإيراني بإشراف مباشر من المرشد «الخامنئي» نفسه، ولا إلى الإنتماء الطائفي وبث الحقد والكراهية الطائفية التي تقودها القنوات الإيرانية الرسمية وبالعديد من اللغات!

والآن خرج الفزاعة الإيرانية في العالم العربي؛

حسن نصر الله، ليوذي دوره المنوط به في هذه المسرحية الهزلية، فأخذ يطالب علنا بإغلاق بعض القنوات الطائفية التي تبث من إيران لأنها أساءت إلى سمعته التي أنفق أموالا طائلة من الخزينة الإيرانية في سبيل نسيج خيوطها من الكذب والدجل والخداع والتزوير.

يعتبر السذج ممن لا يدركون ما يجري وراء

كواليس الدهاء الإيراني أن هذه الحركة من حسن

نصر الله وإيران، مبادرة مباركة للقضاء على النفرات الطائفية وحفظ المنطقة من ويلات الحروب الطائفية، لكن الحقيقة التي لا يدركها إلا المطلع على مجريات الأحداث فإن هذه الأدوار ليست إلا مناورة سياسية للضحك على أذقان البلهاء من العرب في دفعهم إلى إغلاق

القنوات السننية الفارسية، وزميلاتها العربية كالوصال والصفاء التي ساهمت في كشف أسرار السياسة الإيرانية في الاستيلاء على الحرمين والدول العربية قاطبة.

فهل ينخدع ساسة العرب و يلدغون مرة أخرى من

نفس الجحر الذي لدغوا منه مرات وكرات؟!

فيما يبدو فإن الأيام الآتية مازالت حبلى

بانتكاسات عربية أخرى، فقادة العرب مازالوا لم يصحوا من سباتهم العميق، ويبدو لن يصحوا إلا إذا نزل الفأس الصفوي على رؤوسهم!...

البحرين بين أنصارها والإخوان

إبراهيم الهطلاني - نشرة صدى - مركز كارنيغي ٢٠١٤/٥/٢٠

محاولات تصنيف جماعة الإخوان المسلمين في

خانة المنظمات الإرهابية تضع القيادة البحرينية في مواجهة مع الجماعة التي تُعتبر حليفها في الداخل ضد المعارضة الشيعية.

منذ اعلان السعودية الإخوان المسلمين منظمة

إرهابية، تتخبط البحرين للتوفيق بين دور جماعة الإخوان المحلية التي تدعم الملكية في مواجهة ما يعتبره النظام معارضة شيعية تخل بالاستقرار في البلاد، وبين دور التنظيم الإقليمي.

في محاولة لتسليط الضوء على جهودها لمحاربة

الإرهاب أصدرت وزارة الداخلية البحرينية في ٢٧ من مارس بياناً تحذيرياً موجهاً لمواطنيها الذين يقاتلون في نزاعات خارجية - أسوة بالملكة العربية السعودية - يتضمن إجراءات عقابية من بينها سحب جنسياتهم إذا لم يعودوا خلال أسبوعين. ويبدو أن الحكومة البحرينية من خلال هذا الإجراء، سعت إلى القضاء على الدعم المفقوظ والمالي للجماعات السورية خاصة بعد انتشار أخبار عن مقتل مواطنين بحرينيين أثناء مشاركتهم للقتال ضمن صفوف مجموعات إسلامية مصنفة على القائمة السعودية والأمريكية للإرهاب.

جاء بيان وزارة الداخلية بعد تصريح وزير

الخارجية البحريني خالد بن أحمد آل خليفة أن البحرين لا تعتبر الإخوان المسلمين «المنبر الإسلامي» في البحرين تنظيمًا إرهابيًا، لأن الإخوان في البحرين ملتزمون بقانون الدولة ولم يرتكبوا ما يعتبر تهديدًا لأمن البحرين، وهو بهذا التصريح الذي حرص فيه على إعلان تفهمه للقرار السعودي، يقدم صيغة جديدة تتجاوز القرار المتفق عليه مع السعودية والإمارات الذي يعتبر الإخوان تنظيمًا إرهابيًا بالمطلق وبدون استثناءات. كما أنه ميز بين الإخوان المسلمين كحركة عالمية والحريات المحلية ومن بينها المنبر. إلا أن التناقض بدا واضحاً في التبريرات اللاحقة للوزير البحريني مما تسبب في إثارة المزيد من علامات الاستفهام حول موقف البحرين.

وقد اجاب وزير الخارجية البحريني على

سؤال بقوله نحن لا ننظر إليها كحركة عالمية،

بينما كتب الوزير البحريني في تغريدته على حسابه الرسمي في تويتر عقب انتهاء المؤتمر في ٢١ مارس الماضي حركة الإخوان المسلمون هي حركة عالمية لها نهجها الواحد ومنتشرة في دول العالم، و التعامل معهم هو حسب قانون كل دولة و ما تلتزم به من اتفاقات. من الصعب على الوزير تبرير موقف حكومته المزدوج تجاه إخوان الخارج الذي التزم به في اجتماع الرياض بداية مارس ٢٠١٤ وبين إخوان الداخل في بلاده الذين كونوا مع السلفيين تجمعاً للوحدة الوطنية عام ٢٠١١ لدعم استقرار البحرين واستمرار حكم آل خليفة، وارتباطهم بعلاقات قوية بشخصيات من آل خليفة، ولهم نواب منتخبون في البرلمان البحريني منذ العام ٢٠٠٢ عندما حصلت على ٧ مقاعد من اصل ٨ مقاعد كانت تتنافس عليها.

خلق الجهد الذي تقوده السعودية لحظر جماعة

الإخوان المسلمين أزمة حقيقية داخل البحرين حيث فرع الإخوان ليس فقط لاعبا سياسيا ثابتا بل له رابط بالأسرة الحاكمة و يساندها ضد المعارضة الشيعية. ليست أزمة القرار الذي اتخذته كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين في أصل الاتهام الذي يمكن فهمه إذا كان موجهاً ضد إخوان مصر، بل

منتخبة ستنتهي بالضرورة على سلطة ونفوذ عم الملك خليفة بن سلمان آل خليفة الذي يحتفظ بمنصب رئيس الحكومة منذ العام ١٩٧١ ويدعم انتهاجا سياسة صارما مع المعارضة الشيعية.

وبعد اقحام البحرين في ملف الإخوان إلى جانب ما تعانيه من اعمال شغب مزمن أصبحت البلاد أمام خيارين، إما مواجهة الإرهاب الفعلي الداخلي الذي تثيره المعارضة الشيعية الثورية مع ما يتطلبه ذلك من تعزيز العلاقة مع الإسلاميين السنة خصوصا الإخوان المسلمين في البحرين وما يترتب عليه من غضب الشركاء الخارجيين المناهضين للإخوان، وإما المشاركة الفعلية الشاملة في تلك الحملة الإقليمية ضد الإرهاب المحتمل الخارجي للإخوان مع خسارة الشريك السني في الداخل وانكشاف الحكم الملكي في مواجهته للمعارضة الشيعية المحتشدة في الشارع بمختلف توجهاتها.

جماعة فتح الله غولون تتوسع في المغرب

موقع مجلة البيان ٢٠١٤/٣/٢٧

لم يكن لجماعة «الخدمة» الصوفية التي يتزعمها الداعية التركي المقيم بالولايات المتحدة الأمريكية، فتح الله غولون (٧٤ سنة)، أي صدى في أوساط المجتمع المغربي قبل الصراع الذي تفجر مؤخرا بينها وبين الحكومة التي يقودها حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا، فقد كانت الجماعة تشتغل في الظل وتتبع استراتيجية الاختراق والتغلغل الهادئ إلى أن أخرجتها الأزمة في بلاد الأناضول، بسبب الجدل الذي أثارته على خلفية وقوف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، أمام زحفها نحو السيطرة والتحكم في القطاعات الحيوية بالبلاد لخدمة أجندتها الخاصة.

وفور مهاجمة أردوغان لها واتهامها بتشكيل الدولة داخل الدولة وزعزعة استقرار البلاد وخدمة أجندة خارجية، سارعت جماعة الخدمة بالمغرب لاحتواء الأصدقاء التي تنقلها مختلف وسائل الإعلام المغربية للرأي العام المحلي، فعمدت إلى عقد لقاءات مكثفة مع ممثلي

الأزمة هي في تعميمه على الفروع الإخوانية في العالم العربي إضافة إلى صعوبة إثباته وتطبيقه في كل الدول، فبعض حكومات الخليج ومعها المغرب وتونس وحتى الاتحاد الأوروبي وأمريكا لم تقتنع بالمبررات والأدلة المقدمة من الرياض وأبو ظبي وليس من مصلحتها القبول بهذا الحكم والتجريم الصادر ضد جماعة الإخوان المسلمين لأن وجود الإخوان في جمعيات واحزاب سلمية وقانونية ضروري ومهم لأغلب الأنظمة العربية الحاكمة في حفظ التوازن السياسي الداخلي المجتمعات الإسلامية، وعلى هذا الأساس جاء رفض بعض الدول العربية ومن ضمنها الكويت التي تستضيف القمة العربية الخامسة والعشر إدراج مقترح سعودي إماراتي مصري يقضي بإعلان الإخوان المسلمين تنظيمًا إرهابيًا بشكل رسمي.

لم تكن لدول الخليج أي برنامج أو خطة لمواجهة

الإخوان أو القضاء عليهم إلى أن وصلت جماعة الإخوان للسلطة في اكبر دولة عربية، هذا الواقع السياسي الجديد كان سببا في استثارة مخاوف حكومات الخليج وخصوصا في الدول التي لا تسمح بالعمل السياسي المنظم، تدرك المملكة العربية السعودية مدى تأثير الإسلام السياسي وخطورته، لذلك كانت في مقدمة الدول التي تحارب استخدام سلاح الدين لأهداف سياسية في داخلها او داخل الدول المحيطة بها او المؤثرة فيها.

وفي البحرين تحديدا، المواجهات الدموية بين المتظاهرين الشيعة وقوات الشرطة البحرينية وما نجم عنها التوتر الطائفي دفعت الحكومة إلى تعزيز ارتباطها بقوى الإسلام السياسي السني ومن ضمنهم جمعية المنبر الإخوانية لدعم الحكومة في مواجهاتها ضد المعارضة الشيعية في الشارع والبرلمان البحريني. وإلى جانب المواجهات الإرهابية التي تشهدها شوارع العاصمة المنامة، يجد حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين نفسه مضطرا في اغلب المواقف إلى مسايرة الجناح الاقوى داخل الأسرة الحاكمة الذي له علاقة قوية مع التيار السياسي السنة ومن ضمنه المنبر الذي يعتبر جزءا من السلطة حيث يشترك في الحكومة بوزيرين ووزير دولة. ومن ابرز تلك القضايا الخلافية إقالة الحكومة واستبدالها بحكومة

تتواجد بها، ويتعلق الأمر بالمجال الثقافي المبني على فلسفة معدة بدقة هائلة لاستقطاب أكبر قدر ممكن لمختلف شرائح المجتمع المغربي.

وحسب مصادر مقربة من أفراد الجماعة بالمغرب فإن المركز الثقافي يقدم الدروس الخصوصية للتلاميذ والطلبة لتعليم اللغة التركية وحصص لغات أجنبية أخرى من طرف أساتذة أتراك قادمين للمغرب من أجل هذه الوظيفة، كما ينظم المركز أنشطة أخرى تدر الدخل المادي كالرحلات سياحية للمغاربة الراغبين في زيارة تركيا، بينما ينظمون أنشطة خيرية محدودة تتمثل في استقطاب تلاميذ أبناء الأسر المعوزة من الناجحين في مستوى «الباكالوريا» لاستكمال دراستهم العليا بجامعاتهم المنتشرة في ربوع بلاد الأناضول، فيما يترصدون أبناء الأغنياء الذين لم يستوفوا شروط القبول في كليات الطب والهندسة بالمغرب للدراسة في المعاهد الخاصة بتركيا التابعة لرجال الجماعة.

المدارس وبيوت الطلبة.. استراتيجية هادئة لاختراق المجتمع

تشكل المدارس والمعاهد العمود الفقري لجماعة فتح الله غولن، حيث يعد الحقل التعليمي والتربوي مجالا خصبا لنشر نمط الأفكار أو التدين عن طريق المناهج الدراسية والكفايات التعليمية التي يلقتها المعلمون والأساتذة للتلاميذ، وفي مدارس جماعة الخدمة يتم بناء شخصية التلميذ وفقا لأجندة الجماعة وزعيمها، ويؤكد مقربون من الجماعة بالمغرب أن منظومتهم التربوية تزرع في التلاميذ بطريقة غير مباشرة قيم ومبادئ المشروع الصوفي لزعيم الجماعة.

ويعد المغرب واحدا من البلدان الـ ١٧٠ الذين تتوفر فيهم حركة «الخدمة» على المؤسسات التعليمية حيث يوجد لديهم أزيد من خمسة مدارس خاصة مسماة بـ «محمد الفاتح»، تتوزع على مدن طنجة وتطوان والجديدة والرباط والدار البيضاء ومراكش وأكادير، وحسب مسؤولي الجماعة بالمغرب فإن هذه المدارس مؤسسات تعليمية تمارس إلى جانب دورها التعليمي دورا في مكافحة التشوّه والتحلل القيمي والأخلاقي والاستلاب

المنابر الإعلامية والصحفية من أجل محو الصورة السلبية عنها وتنفيذ الاتهامات الموجهة لها من أنقرة ومن أجل مُحاصرة زيف المُعرضين عنها وتلميع صورتها، نظمت زيارات جماعية لعدد من الصحفيين والإعلاميين والأكاديميين والأساتذة الجامعيين إلى تركيا.

فخلال الشهر الماضي، نظم أتباع فتح الله كولن، لقاءً بين تواصلين بالمركز الثقافي بالرباط استدعوا لهما مجموعة من الصحفيين بالرباط، وحسب مصادر حضرت اللقاء فإن مسؤولي الجماعة بالمغرب أطلعوا الإعلاميين المغاربة على مستجدات المشهد التركي من أجل إقناعهم بوجهة نظرهم وموقفهم من الخلاف الذي تفجر على حين غرة بينهم وبين حكومة حزب العدالة والتنمية، فكيف تشتغل الجماعة بالمغرب وما حجم نفوذها؟ وإلى أي حد تأثرت الجماعة بالمغرب بالصراع الدائر في تركيا؟ وهل سيؤثر ذلك على وجودها في المملكة المغربية؟

تغلغل ناعم في المجتمع المغربي

ابتدأ وجود جماعة «الخدمة» بالمغرب سنة ١٩٩٤ حين شيد أول فوج من أتباع غولن مدرسة ابتدائية بمدينة طنجة بدعم وتمويل من رجل أعمال مغربي، غير أن توسع نشاطها وامتداد نفوذها ليشمل الجانب الثقافي والاقتصادي يعود لوقت قريب جدا، وبالضبط إلى سنة ٢٠١١ عقب تأسيس المركز الثقافي المغربي التركي بالعاصمة الرباط، حيث استفادت الجماعة من علاقتها الجيدة آنذاك مع حزب العدالة والتنمية التركي الذي تجمعته علاقة قوية بنظيره المغربي حزب العدالة والتنمية، وبعد وصول الأخير للسلطة بالمغرب نهاية السنة نفسها، استغلت حركة غولن هذه الأجواء وتغلغلت بشكل هادئ.

ويشكل المركز اللغوي والثقافي التركي بالرباط أحد أبرز مراكز استقطاب الجماعة بالمغرب، حيث الكثيرون لا يعرفون أن المركز شركة خاصة يملكها أتباع فتح الله غولن وليس مركزا تابعا للسفارة التركية كما يعتقد القاصدين له باطمئنان ظنا منهم أنه جهة رسمية، غير أن الأمر يتعلق بإحدى الوسائل التي تركز عليها الجماعة في تغلغلها داخل مختلف الدول التي

الثقافة لأبناء المجتمعات الإسلامية والمغرب واحد منها؛ فضلاً عن ذلك، فإنها تملأ الفراغ المحتمل الذي يمكن أن يحدث نتيجة عدم وجود هذه المدارس، ثم أن إنشائها يتم بتنسيق مع وزارة التربية والتعليم المغربية.

ومما يلفت الانتباه أن أتباع غولن بالمغرب استطاعوا اقتحام عالم رجال المال والأعمال المغربية بشكل لم تتمكن منه التنظيمات الإسلامية في المغرب، وحسب مصادر مقربة من جماعة غولن بالمغرب فإن عددا من المدارس وبيوت الطلبة المتواجدة بطنجة وتطوان والرباط والبيضاء ومراكش وفاس تم تشييدها بدعم أموال المغربية، مما يوضح استراتيجية الجماعة في التغلغل الاختراق وقدرتها في الاستقطاب.

الاستقطاب الثقافي

إلى جانب المجال التعليمي يتركز نشاط جماعة «الخدمة» بالمغرب على المجال الثقافي الذي يُمثل هو الآخر أحد الجبهات القوية التي يشتغل عليها أتباع غولن في مختلف دول العالم المتواجدين بها، وذلك من أجل إعطاء دفعة قوية لمشروعها العابر للقارات والتعريف به واستقطاب أفراد جدد إليه، وفي المغرب عرف النشاط الثقافي للجماعة تطورا كبيرا منذ إنشاء المركز الثقافي بالرباط سنة ٢٠١١، فبعد أن كان يقتصر على توزيع عدد محدود من مجلة حراء أصبحت الجماعة بفضل المركز تنظم ندوات ملتقيات علمية تستدعي إليها نخبة من الأساتذة الجامعيين والمفكرين والأكاديميين البارزين في مجال العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية وعقد شراكات علمية مع مراكز أبحاث محلية وتنظيم أنشطة ثقافية مختلفة بمدارسهم الخاصة وفي بعض الجامعات المغربية.

وإلى جانب مجلة «حراء» التي عرفت مبيعاتها تزايدا ملحوظا في السنوات الثلاثة الأخيرة واتسعت دائرة الاشتراكات فيها لتصل إلى أزيد من ٣٠٠٠ مشترك، بفضل استمالتها لمجموعة من العلماء المغربية البارزين للكتابة فيها بانتظام، أبرزهم الشاهد البوشيخي، وأحمد العباد، ومحمد الروكي وكلهم أعضاء الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، فإن مؤلفات وكتب زعيم الجماعة فتح الله غولن باتت تتصدر واجهات المكتبات

المغربية ومعارض الكتب، ففي شهر آذار مارس الأخير تم انتقاء كتبه واعتبارها من كتب الشهر.

جماعة غولن والسلطة السياسية بالمغرب

يؤكد متتبعون للشأن التركي أن علاقة جماعة «الخدمة» بالدول العربية ضعيفة جداً، وأنها لا زالت في طور بناء علاقات الرسمية الخارجية لأنها جماعة مجتمعية وليست جماعة سلطة، غير أن واقع الحال بالمغرب مختلف عن ذلك تماماً، فحسب إدريس بوانو القيادي في حزب العدالة والتنمية المغربي والباحث في الشأن التركي، في تصريحه لجريدة أخبار اليوم المغربية مطلع شهر يناير كانون الثاني من السنة الجارية، فإن جماعة غولن باتت لها علاقة قوية بالسلطة السياسية بالمغرب بعد أن بنت نفوذها في البداية على أكتاف الحزب الإسلامي الذي يقود الحكومة حالياً.

وإذا كانت الجماعة في السابق تحظى بتسهيلات كثيرة بقربها من حزب العدالة والتنمية المغربي لتنظيم أنشطتها وملتقياتها بالجامعات المغربية والتي تتمحور عادة حول مشروع زعيمها الروحي المصلح بديع الزمان النورسي أو حول مشروع البناء الحضاري لزعيمها التنظيمي فتح الله غولن، فإن نفوذها اليوم حسب إدريس بوانو لصحيفة أخبار اليوم وصل إلى الديوان الملكي، حيث استضاف الملك محمد السادس عقب أحد الدروس الحسنية في شهر رمضان من السنة الماضية، المشرف العام على مجلة «حراء» نوزاد صوّاش، أحد رموز جماعة فتح الله غولن في تركيا وخارجها.

لكن إذا كانت الجماعة بهذه القوة فلماذا لا تخشاه السلطة بالمغرب وتتساهل مع نشاطها وتحركاتها؟ سؤال يفسره كثير من المراقبين بكون أتباع غولن جماعة صوفية تشتغل في المجال التربوي والروحي والعلمي وتبتعد عن العمل السياسي وعن كل الأنشطة الحزبية عملاً بمقولة زعيمها الروحي بديع الزمان النورسي «أعوذ بالله من الشيطان ومن السياسة»، كما تؤكد رفضها خلط الدين مع شؤون الدولة كما يُشدد على ذلك فتح الله غولن، علاوة على أن خلفيتها المذهبية تلتقي مع نفس مرجعية المسؤول عن الشأن الديني بالمغرب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الذي يدعم توسيع رقعة

الصوفية للتضييق على التدين الحركي والجماعات الإسلامية.

جماعة غولن في ميزان المجتمع المغربي

تباينت مواقف من تحدث موقع «البيان» إليهم بشأن جماعة الخدمة أو جماعة فتح الله غولن، فبالنسبة لسناء منوني باحثة متهمة بالشأن التركي، فترى أن فتح الله كولن رائد نموذج جديد للإصلاح والبناء الحضاري في العالم الإسلامي، معتبرة أن الأزمة الأخيرة التي سلطت الضوء عليه وعلى جماعته التي شهد العالم بأعمالها وآثارها لصالح الإنسان في كل مكان، تؤكد هذه الريادية التي سبقت بمراحل نموذج «الإسلام السياسي»، حسب قولها.

أما عبد المولى الراشدي باحث في الحركات الإسلامية، فإنه يرى أن جماعة كولن من الحركات الصوفية المغرقة في الخرافة والأنطولوجيا لها هوى شيعي انقلبت على أردوغان حين انتقد إيران واصطف ضدها في الأزمة السورية، فضلا عن علاقتها المشبوهة مع الكيان الصهيوني، فهي ثارت ثائرتها أثناء حادثة مرمرة وانتقدت الحكومة التركية بدل «إسرائيل»، ويعتقد المتحدث أن الدعم الذي قدمته الجماعة في السابق لحزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا أخذت مقابله العديد من الامتيازات والنفوذ، وهامي اليوم بمثابة الدولة الموازية والعميقة داخل تركيا ومتحالفة مع الفساد ورموزه.

وحسب شهادة أحد الطلبة القاطنين في بيوت الجماعة بالمغرب، فإن أتباع غولن «أناس يعرفون أصول الدين حق معرفته لكن أغليبتهم لديه أهداف أخرى لا يمكن إدماجها في الإطار الديني، ويمكن القول أنهم يتخذون من التدين وسيلة لقضاء مآربهم وتحقيق طموحاتهم كما يستعمل الشيعة التقية»، ويضيف «لقد تراجعت صورتهم في أوساط المجتمع المغربي وحامت حولهم الشكوك أكثر بعد خروجهم في وجه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ووقوفهم أمامه بعد مواجهته للغرب وأمريكا و«إسرائيل».

نظام إيران والأيام الأخيرة

د. أنور عشقي - مكة أون لاين ٢٠١٤/٥/٥

يروي رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية والقانونية الدكتور أنور عشقي، تفاصيل زيارته إلى إيران اللتين تفصل بينهما ٣٥ عاما: الأولى ١٩٧٩ وذلك في الأيام الأخيرة لحكم الشاه محمد رضا بهلوي قبل سقوط نظامه نتيجة الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني، والثانية قبل شهر حينما أوحى له الأوضاع في طهران بأن النظام يعيش اليوم أياما تشبه الأيام الأخيرة للاتحاد السوفييتي. ويرى أن النظامين ههدفهما واحد هو إعادة الحكم الفارسي. وإذ سجل عشقي المتغيرات التي شهدتها طهران بناسها وأزيائها وسياراتها بشكل دراماتيكي، كشف عن محاوراته مع مسؤولين في الخارجية الإيرانية والتي أظهرت أن كلام طهران عن تحسين علاقاتها مع السعودية هو مجرد كلام لا يرتقي إلى الفعل أبدا.

كانت رحلتي الثانية إلى طهران في ١٤ جمادى الآخرة الماضي، بدعوة من مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لوزارة الخارجية الإيرانية، بناء على رغبة من سفير طهران الدائم لدى منظمة التعاون الإسلامي.

كانت الزيارة الأولى في ١٩٧٩ ضمن طلاب كلية الأركان السعودية، وذلك قبيل رحيل الشاه، حينها كانت المظاهر الإسلامية معدومة في إيران، لكنني وجدت فيها التقدم في العلم والقوة في السلاح، فسألت الله أن تعود إيران إلى حضيرة الإسلام.

وقت الاستجابة

لم أكن أعلم وقتها أن الدعوة كانت في الأوقات المستجابة، لكن عودة إيران جاءت بغير ما كنت أتمنى ويتمنى معظم المسلمين في العالمين العربي والإسلامي.

فالقائمون على التغيير الذي حصل بقيادة الإمام الخميني الذي قاد التغيير تحت عنوان «الثورة الإسلامية»، لم تتغير أهدافهم عن أهداف الشاه الذي كان يرغب بعودة الحكم الفارسي، فخلع القائمون على ثورة ١٩٧٩ عنهم ثياب العلمانية، ولبسوا ثياب الدين ليصلوا إلى أهدافهم الفارسية.

موجة متغيرات

ووسط هذه الموجة من المتغيرات، تغير بعض معالم وجه طهران، فالتurf الذي كان سائدا في الماضي انقلب إلى تقشف، والسيارات الفارهة التي كانت تسير في شوارع العاصمة الإيرانية، أصبحت قديمة ومتهاكة، وغدا الحجاب الأسود يغطي أجساد النساء، وربطة العنق اختفت من أعناق الرجال.

لكن جمال الطبيعة ظل كما كان، وجبل البرز قائم على شمال طهران وقد اعتم بعمامة من الثلج، والأمن مستتب، والوجوه لا تزال تحمل مسحة من الابتسام.

مطبخ القرارات

صباح الثلاثاء أخذنا المرافق إلى وزارة الخارجية، قسم الدراسات، لزيارة السفير الدكتور هادي سليمانبور المدير التنفيذي لمركز الأبحاث والتعليم الدولي، وهو المركز الذي تطبخ فيه القرارات السياسية.

كان السفير هادي متطلعا إلى تحسين علاقات بلاده مع المملكة العربية السعودية، ولقد عبر عن رغبة إيران في ذلك، فقلت له: قبل عام كنت في اجتماع مع الرئيس الباكستاني السابق آصف زرداري الذي طلب لقائي عندما شاركت يومها في أحد المؤتمرات، وقلت له: إذا أردت لباكستان أن تحلق في سماء العلاقات الدولية، فما عليك إلا أن تذهب إلى شريكك الاستراتيجي الصين، وتعملا معا على حل القضية السورية، وإيقاف الحرب الدامية هناك والتي أودت بحياة عشرات الآلاف من السوريين، فأيد ذلك، لكنه لم يكن في مستوى المسؤولية والمغامرة السياسية.

واليوم أقول لكم: إذا أرادت إيران أن تحسن علاقتها مع السعودية، فما عليها إلا أن توقف شلال الدم في سوريا، فوافق على أن تتعاون معها السعودية.

وعندما سألني عن الآلية قلت: تشكيل حكومة

وحدة وطنية تعيد بناء الدستور على أسس العدالة والديمقراطية، وتساعد على إجراء انتخابات نزيهة، وتخرج الرئيس السوري بشار الأسد من الساحة السورية.

الأيام الأخيرة

لقد عقدت خلال هذه الزيارة، ٦ لقاءات مع مراكز دراسات إيرانية مختلفة، كان آخرها لقاء مع الدكتور حسين أمير عبد اللهيان وكيل وزارة الخارجية للشؤون العربية.

وبعد أن تكلمنا عن القواسم المشتركة التي تجمعنا وعلى رأسها الإسلام، قلت له: أرى إيران وكأنها تعيش الأيام الأخيرة التي عاشها الاتحاد السوفيتي.

لقد قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن توجد ما يسمى بالشرق الأوسط الكبير، فأدخلت إيران وإسرائيل وتركيا.

إسرائيل فرضت على نفسها العزلة لأنها تتلصقاً نحو السلام، وإيران أرادت أن تعيد المجد الفارسي أيام داريوس الأول عندما سيطر على البابليين في العراق، والكنعانيين في سوريا، والفينيقيين في لبنان، ووصل إلى البحر الأبيض المتوسط.

كما استيقظت الامبراطورية العثمانية في أحلام الحكماء في تركيا، وقرروا مد الأناضول إلى البحر العربي، وحدث بين الدولتين الصدام الاستراتيجي في سوريا، واشتعلت الحرب الأهلية.

إن إيران لن تستطيع أن تكون دولة عظمى لأنها محدودة الثقافة واللغة، محدودة السكان، محدودة الجغرافيا، كما أنها تعاني من تعدد القوميات: فالآذاريون يريدون الاستقلال، والأكراد يتطلعون إليه، والعرب يشعرون بالحنين إلى عروقتهم، والبلوش يجنحون نحو الاستقلال، فليس أمام إيران وتركيا إلا أن تعمل مع المنظومة الإسلامية لإجراء الحوار مع العولة.

أيد عبد اللهيان ما قلت وأخذ يلمح إلى أمور ادعتها إيران وصدقتها، فقال: إن التدخل في البحرين يسبب لهم إزعاجا، وكذلك دعم المعارضة في سوريا، لكننا نرغب في تطوير العلاقات مع السعودية.

لغة الاستراتيجية

قلت له: هناك فرق بين الاستراتيجي والدبلوماسي،

فالاستراتيجي يعرض الحقائق لتبنى عليها الخطط والقرارات، والدبلوماسي يلمح إلى الحقائق ولا يعرضها بوضوح ويسعى إلى التقارب دون الوصول إلى حل للمشكلات، فدعني أتكلم باللغة الاستراتيجية.

وقلت له: إن سياسة السعودية تقوم على عدة ثوابت فهي لا تسمح لصديق أو عدو أن يتدخل في شؤونها الدينية ولا تسمح لصديق أو عدو أن يتدخل في شؤونها الأمنية، ولا تسمح لصديق أو عدو التدخل في شؤونها السيادية، وما عدا ذلك يعتمد على المصالح والمعاملة بالمثل.

والسعودية لم أعلم أنها أضرت بالمصالح الإيرانية، ولم تتدخل في شؤونها، ولا ترضى لإيران أن تتدخل في شؤون دول مجلس التعاون الخليجي ولا الدول العربية، ومع هذا فقد حرصت المملكة على سلامة إيران وسوريا وأمنهما.

تفجير الخبر

في ١٩٩٦ حدث انفجار الخبر «شرق السعودية» وأدى إلى مقتل ١٩ أميركيا، وأثبت التحقيق أن إيران وسوريا وراء ذلك، وأن بعض الذين نفذوا العملية فروا إلى إيران.

طلبت الولايات المتحدة الأمريكية وقتها المشاركة في التحقيق الأمني، كما طلبت الاطلاع على نتائجه، إلا أن السعودية لم توافق على هذا الطلب لأنها تدرك أنه لو تبين للولايات المتحدة الدور الإيراني - السوري، فستتعرض هاتان الدولتان للانتقام، وبسبب ذلك ساءت العلاقة بين أمريكا والسعودية لأن المملكة لا ترضى أن تتعرض إيران وسوريا للخطر.

أما البحرين فإن المملكة تدخلت بطلب من القيادة السياسية وفي إطار قوات درع الجزيرة، وبناء على النظام التأسيسي لمجلس التعاون، وكانت الولايات المتحدة أول من اعترض على هذا التدخل.

أما القوات السعودية فإنها لم تتعرض للشعب البحريني، بل قامت بحماية المنشآت الحيوية، لكن المملكة خشيت أن تتدخل إيران فتعتمد الولايات المتحدة إلى تحرير البحرين بالقوة، ومن ثم تجد المبرر لتدمير إيران كما حدث في العراق.

العدو الأول

معالي السفير: لقد كان السفير الأمريكي بوزارة

الخارجية فريد هوف في هذا المكتب منذ شهر يناقش قضايا العلاقات مع إيران، وعندما عاد تكلم في الكونجرس الأمريكي وقال لأعضائه: تقول إيران إن عدوها ليس إسرائيل ولا أمريكا، بل السعودية، عندها بعثت برسالة الكترونية إلى السفير هوف وقلت له: إننا في مركز الدراسات نرغب في توثيق المعلومات، فهل ما ذكرته صحيح؟ أجابني قائلاً: نعم وكان ذلك في معرض الحديث عن الأزمة السورية.

بعثت بهذه الرسالة ورسالتي إلى السفير حميد دهقاني «سفير إيران ومندوبها الدائم لدى منظمة التعاون الإسلامي في جدة» وقلت له: إنكم تقولون بأنكم ترغبون في علاقة جيدة مع السعودية وها هم يقولون في الخارجية الإيرانية إننا العدو الأول لهم.

عندها أسقط في يد السفير عبداللهيان، فقال لي: دعنا نفتح صفحة جديدة. فقلت له: العلاقات تتحسن في البداية على الأرض، فعلى إيران عدم التدخل في الشؤون العربية، وإيقاف الصراع المذهبي، وإيقاف الحرب في سوريا.

وانتهى الحوار بالحاح على عودة اللقاء، وعدت مع زملائي في اليوم الثاني للسعودية. إن إيران دولة مسلمة وجارة لا يمكن الاستغناء عنها، لكننا نريد جارا حميما ومسلما صادقا، يجمع ولا يفرق، يحمي ولا يهدد، يشد أزر الصديق، يرد كيد العدو، لقد تعلمنا من قادتنا كثيرا، ولا بد من أن نبين ذلك.

هل تم وضع الأساس للدولة المسيحية في وادي النطرون

عامر عبد المنعم - المصريون ٢٠١٤/٥/٧

أخطر ما ورد في حديث المشير عبد الفتاح السيسي في الجزء الثاني من حوار مع إبراهيم عيسى وليس الحديدي هو وضع أساس الدولة المسيحية في وادي النطرون ضمن ما يسمى التقسيم الجديد للمحافظات المصرية. هذا المخطط الذي يقف خلفه مسيحيون متطرفون ولوبي صهيوني من رجال الأعمال مرتبطين

بأمريكا وإسرائيل حاولوا تمريره في حكم الرئيس محمد مرسي ويومها كتبت مقالا في «المصريون» بعنوان «التلاعب الإداري لتقسيم مصر» فضحت فيه المؤامرة التي حاولوا تمريرها بزعم إضافة ظهير صحراوي وظهير أمامي على البحر لكل محافظة وقد سعت وقتها لكشف اللعبة عبر توصيل المقال لوزير الاسكان الدكتور محمد وفيق في حكومة هشام قنديل وأرسلت لقادة الحرية والعدالة، وأضطررت لكتابة المقال مرة ثانية بعنوان «قبل تأسيس دولة الرهبان بوادي النطرون» بعد أن رأيت إصرارا على الاستمرار فتم وقف المشروع. ولكن من يقفون وراء هذا التقسيم الانفصالي استغلوا الفوضى الحادثة الآن وأعادوا تقديم المشروع للمشير السيسي الذي عرض أثناء حوار هاته ذات الخريطة التي تتشئ محافظة في وادي النطرون (مع تعديل طفيف) لتكون أساس دولة الرهبان التي يعملون عليها منذ ٣٠ عاما. وأحد الداعمين لهذا التقسيم ملياردير مسيحي مصري أصبح صاحب قرار في إدارة السلطة الحالية في مصر. هذا التقسيم الإداري الجديد هو التنفيذ الدقيق لما خططه أصحاب التوجه الانفصالي من المسيحيين المصريين لإيجاد الرقعة الجغرافية المطللة على البحر التي ستكون بداية لتأسيس الدولة القبطية المزعومة. من المعروف أن بعض المسيحيين المصريين يتوقون إلى إقامة دولة خاصة بهم منذ نصف قرن تقريبا ظنا منهم أن الفرصة مواتية لضعف المسلمين وخضوع الدولة المصرية للهيمنة الغربية الصليبية. ولأن إقامة دولة يحتاج إلى شعب وأرض، كان المطلوب هو البحث عن المكان المناسب، فاختار أصحاب هذا التوجه الانفصالي - في البداية - محافظة أسيوط، لوجود كثافة سكانية مسيحية بها، لكن هذا الخيار فشل، لأن المسلمين يشكلون أغلبية في المحافظة، وتسبب تسرب فكرة الدولة المسيحية في رد فعل إسلامي - في السبعينيات - أفضل هذه الفكرة. بحث أصحاب المخطط الانفصالي عن مكان بديل، فاختاروا وادي النطرون والصحراء حتى الساحل الشمالي الذي ربما لا يوجد به العقبة التي أفشلت الحلم في أسيوط، وهي الكثافة السكانية، إذ لا يزيد سكان هذه المنطقة عن ٨٠ ألف نسمة. فبدأ التوسع في الأديرة بمنطقة وادي

النطرون وتحويلها إلى قبلة للمسيحيين، وبدأ الرهبان يتركون حياة الزهد في الدنيا إلى التوسع والتمدد والسيطرة على آلاف الكيلو مترات في وادي النطرون. بدأت الماكينة تعمل من خلال العلاقات الرسمية وغير الرسمية باستخدام طرق عديدة للتمهيد لهذه الدولة فتم الآتي: أولاً: بدأ دير الأنبا مقار يتوسع للسيطرة أولاً على وادي النطرون كله وعدم الاكتفاء بالموجود، وتحقق للدير ذلك، ففي سنوات قليلة قام الدير بالآتي: أوضع دير الأنبا مقار يده على ٢٠٠ فدان طبقا للقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤. بسيطر الدير على ٢٠٠ فدان بقرار من رئيس الوزراء رقم ١٦ لسنة ١٩٧٧. تحصل الدير على ١٠٠٠ فدان منحة من السادات في ٢٣/٨/١٩٧٨. تسيطر الدير على ٢٠٠٠ فدان من قبيلة الجواييص. ثانياً: وعندما سيطر الدير على الوادي المنخفض عن سطح البحر بدأ يتحرك شمالاً للسيطرة على الأراضي وحتى العلمين بالساحل الشمالي، ووضع الدير يده على آلاف الكيلو مترات بالصحراء الغربية بحجة الاستصلاح. ونشرت الصحف في أوائل التسعينيات قيام الدير بوضع يده على ٥٠ ألف فدان بالقرب من مدينة الحمام عند الكيلو ٦٩ بطريق الإسكندرية مطروح، وعلى ساحل البحر المتوسط على بعد ٢٠٠ كيلو من وادي النطرون. ثالثاً: بدأ دير الأنبا مقار في التحرك شرقاً منذ السبعينيات، للسيطرة على المساحات الواقعة بين الدير وطريق مصر الإسكندرية الصحراوي لوضع يده على الأراضي الواقعة بين الكيلو ٢٦ حتى الكيلو ١١٨ طريق مصر الإسكندرية الصحراوي. رابعاً: استغلال أنصار المخطط الانفصالي أزمة السلطة قبل الثورة وبعدها وحتى الآن، في الاستيلاء على آلاف الأفدنة في الصحراء الغربية، من جنوب البلاد وحتى شمالها، وآخر هذا التمدد المسيحي على الأرض استيلاء رهبان من الإسكندرية منذ أيام على ٩ آلاف فدان في وادي الريان بالفيوم وهي محمية طبيعية، مستغلين ضعف سلطة الدولة والاستقطاب السياسي الذي أوجد حالة من الفراغ. هذا التوسع زادت وتيرته بعد الثورة، حيث يستغل الرهبان أزمة السلطة وانشغال الرأي العام بالمعارك السياسية في وضع اليد على مساحات شاسعة من الأراضي وبناء أسوار خرسانية عالية

وفرض سياسة الأمر الواقع. هذه الرغبة الجامعة في بناء ما يشبه المستوطنات على هذه المساحات الكبيرة يطرح المزيد من المخاوف ويثير الشكوك حول الأسباب التي تدفع هؤلاء الرهبان للاستيلاء على الصحراء الغربية بهذه الطريقة. قد يكون هناك من يفكر في إقامة الدولة المزعومة في هذا الفراغ. وقد يكون هناك من يفكر في أنه قد يأتي اليوم الذي يكونون فيه في حاجة لمبادلة هذه الأراضي مع المسلمين في الجزء الشمالي الغربي لمصر إن لم يستطيعوا السيطرة على غرب البلاد. وجزء من هذا الجناح الانفصالي المتطرف هو الذي يقود حملة التصعيد الطائفي خلال السنوات الأخيرة وزيادة المطالب الطائفية لابتزاز الدولة وإبعاد الأنظار عن المخطط الأصلي الدائر الآن غرب البلاد. بالتأكيد أصحاب التوجه الانفصالي قلة، ونعى أن أغلبية المسيحيين المصريين لا يفكرون في مثل هذه المغامرات الانتحارية، لكن ليس من المقبول ولا من المعقول أن تخترق هذه القلة أجهزة الدولة وتمرر طموحاتها المتوهمة والمستحيلة، بل ونرى من يمرر هذه المشروعات الخطيرة وسط حالة التخبط الجارية، ويظن أن الشعب المصري مغيب ولن يكتشف هذا التخطيط الشرير.

كيف يتوسع التشيع في المغرب ومن يموله اليوم؟

صحيفة الإتحاد الاشتراكي ٢٠١٤/٥/١٧

حينما بادر المغرب إلى قطع علاقاته الديبلوماسية مع إيران احتجاجا على «تنامي النشاط الشيعي»، وأعطت وزارة الداخلية تعليمات لمختلف مصالحها بالمدن والأقاليم بتنظيم حملات مراقبة على مختلف المكتبات العمومية ومصادرة الكتب التي لها علاقة بالفكر الشيعي أو بإيران وحزب الله اللبناني، لم يكن يخطر على بال المشرفين على «الأمن الديني» أن الثقب الذي يتسرب منه غاز التشيع يقع خارج التراب الوطني، وتحديدًا من بلجيكا، ومن بعض الشيعيين المستقرين ببعض دول جنوب غرب إفريقيا.

ويبدو من خلال ذلك أن استراتيجية إيران في توسيع مده الشيعي بمنطقة شمال إفريقيا وضمنها المغرب تتمثل في تكثيف ديناميكية مؤسساتها وتمويل عنصرها البشري المكلف بالدعوة في منطقتين رئيسيتين . الأولى جنوب غرب إفريقيا والثانية في الدول التي تشهد كثافة عددية للمهاجرين المغاربية وأبرزه بلجيكا.

وحسب إحصائيات يتم تداولها في الآونة الأخيرة فإن هناك أكثر من ٢٠ ألف شيعي مغربي بهذا بلجيكا من بين ٣٠ ألف معتق لهذا المذهب ينحدرون من إيران والعراق ولبنان وتركيا وسوريا. وقد عملت إيران على خلق بنية استقطاب دعوية تتمثل في إنشاء مراكز وجمعيات ومساجد ومكتبات، وبالأخص في بروكسيل وليمبورج وأنتويرن.

أما في غرب إفريقيا فأناطت استراتيجية إيران بالجاليات اللبنانية المتواجدة بالكوت ديفوار والغابون وسيراليون بدعم شيعية المغرب العربي. إذ يوجد ٣٥٠ ألف لبناني بدول غرب إفريقيا يشتغلون في التجارة ويستثمرون في المعادن النفيسة ويسيرون فنادق ومؤسسات سياحية. وجزء كبير من هذه العائدات التي هي في الأصل تأتي كنتيجة لرؤوس أموال اتستثمرها إيران، جزء من هذه العائدات يوجه إلى شيعية المغرب والجزائر وتونس وليبيا بطرق مختلفة أبرزها التهريب عبر الحدود الجنوبية لهذه الدول.

إذن هناك استقطاب في أوروبا ودعم مالي من إفريقيا كي يتسع المد الشيعي الذي يتغذى من كذلك من تطورات سياسية تشهدها المنطقة الإسلامية منذ نهاية الثمانينات . وقد جاء في تقرير انجليزي صدر العام الماضي بأن إن المسلمين الشيعية ...هم الأكثر زيادة حيث ارتفع عددهم إلى أكثر من ٤٠٠ مليون نسمة، وهو ما يشكل ربع عدد المسلمين في العالم البالغ عددهم مليار و ٦٠٠ مليون نسمة.

وكان ممثلون عن الجالية المغربية في بلجيكا قد عبروا، قبل سنوات، عن قلقهم إزاء انتشار المذهب الشيعي بين بعض أبنائهم الذين يتبعون تقليديا المذهب السني المالكي. وجاء هذا تزامنا مع تحذير أصدره عبد الله بوصوف الأمين العام لمجلس الجالية المغربية بالخارج،

من أن أربعة مساجد كبيرة للجالية المغربية في العاصمة البلجيكية بروكسل أصبحت تتبع المذهب الشيعي. ويتحدث ممثلون عن الجالية في بلجيكا خصوصا عن انتشار جمعيات ومراكز شيعية وتنظيمها أنشطة دعوية متنوعة خصوصا خلال شهر رمضان ونهاية كل أسبوع، حتى إن إماما مغربيا شهيرا قد أعلن اعتناقه للمذهب الشيعي، ويتعلق الأمر بالإمام الورداسي المنحدر من مدينة طنجة، وهو يعتبر الآن أول إمام شيعي مغربي، مما أدى إلى تشيع العديد من المترددين من المغاربة على مسجده، نظرا لمكانته في صفوف الجالية المغربية. كما أن هناك حاليا في بروكسل عدد لا بأس به من الأئمة المغاربة الشيعية. وهذا النشاط تحديدا كان له تأثير مباشر على التحول إلى المذهب الشيعي في المغرب وخاصة بمدن الشمال.

وقال نور الدين الطويل أمين الهيئة التنفيذية للمسلمين في بلجيكا في تصريح صحافي إن المشكلة تتمثل في أن بعض أبناء الجالية لا يعرف العلم الشرعي ولا المعلومات الخاصة بالدين الإسلامي وبالتالي يتأثرون بالمذهب الشيعي. وشدد على ضرورة قيام الآباء بتوعية أبنائهم بخصوص هذا الأمر.

ويتحدث الطويل أيضا عن انتقال هذا التأثير «الشيعي» من بلجيكا إلى المغرب قائلا: «هناك أعداد غير قليلة من المغاربة اتبعوا المذهب الشيعي في بروكسل وينشرون هذا في المغرب، وأستطيع أن أقول لك إن التشيع ينطلق من بلجيكا إلى المغرب والتطرف ينطلق من بلجيكا إلى المغرب».

ولدى سؤاله عن الجهات التي تقف وراء نشر التشيع بين مغاربة بلجيكا يقول: «لا أستطيع أن أحدد لك بالضبط من يقف وراء ذلك. بالطبع هناك مصادر خارجية تحرص على تقديم المساعدة والدعم لنشر التشيع في أوروبا وفي المغرب». ولدى سؤاله عن عدد المساجد التي يتردد عليها المغاربة وصارت شيعية قال: «لا أعلم بالتحديد إن كان العدد أربعة أو أقل، لكن الهيئة التنفيذية فيها أعضاء من الشيعة، وهم من المسلمين، والهيئة تمثل جميع المسلمين». وفي رده على سؤال حول وجود نقاش أو حوار مع ممثلي الشيعة داخل الهيئة حول محاولات تشيع المغاربة قال الطويل: «أبلغناهم أننا لا نقبل

أن ينشروا مذهبهم في أوساط أبنائنا أو أن تكون لديهم خطط حول هذا الصدد. هم يستخدمون قصصا عاطفية يتأثر بها من لا يملكون خلفية دينية، وتركز تلك القصص العاطفية حول أهل البيت».

وهناك جدل بشأن تسمية الجمعيات التي ينشط فيها الشيعة في مدن بلجيكية مساجد. ويقول موسى كاظم، وهو من الشيعة العراقيين في أنتويرب البلجيكية، إنه لا توجد مساجد للشيعة لكن نسميها جمعيات. وأضاف: «لا يوجد مسجد للشيعة بمعنى كلمة مسجد في أنتويرب. قد يكون هناك ثلاثة أو أربعة جمعيات للشيعة في بروكسل ومسجد واحد أو اثنان على الأكثر، أحدها يُعرف باسم مسجد الرضا، ويتردد على هذه الأماكن شيعة من جنسيات مغربية وعراقية وإيرانية ولبنانية وإيرانية».

ويتفادى غالبية المغاربة في بروكسل الحديث حول الموضوع بحجة أنه موضوع حساس. وكانت صحيفة إلكترونية بلجيكية تُدعى «إيرفيان»، قالت إن العاصمة بروكسل تعد المدينة الأولى من حيث النشاط «الدعوي» الشيعي ببلجيكا، وينشط بها لتحقيق هذه الغاية عدد من الجمعيات والمراكز الشيعية منها المركز الإسلامي الثقافي الشيعي - أهل البيت، ومكتبة بيروت، وجمعية الهادي المغربية. وتضيف أن هناك مساجد خاصة بالشيعة ضمنها مسجد خاص بالأتراك الشيعة ويتردد عليه الكثير من المغاربة.

ميثاق شرف ثوري

لأهم الكتابات المقاتلة في سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

إدراكا من القوى الثورية لخطورة المرحلة التي تمر بها ثورتنا المباركة وسعيها لتوحيد الجهود وفق إطار عمل مشترك يصب في صالح الثورة السورية فإن هذه القوى تؤكد التزامها بالآتي:

- ١- ضوابط ومحددات العمل الثوري مستمدة من أحكام ديننا الحنيف بعيداً عن التتبع والغلو.
- ٢- للثورة السورية المسلحة غاية سياسية هي إسقاط النظام برموزه وركائزه كافة وتقديمه إلى المحاكمة

الجهات الموقعة على البيان
الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام – فيلق الشام –
جيش المجاهدين – ألوية الفرقان – الجبهة الإسلامية.

التعليق على بيان جبهة النصرة **بشأن ميثاق الشرف السوري**

محمد براء ياسين – موقع نور سورية ٢٠١٤/٥/٢١

فقد صدر عن جبهة النصرة بيان نقدت فيه ميثاق الشرف الثوري الذي تواثقت عليه مجموعة من الفصائل الثورية في سوريا ، وفي هذه الورقة مناقشة لهذه التعليقات. وذلك في عدة وقفات:

الوقفة الأولى: انتقد البيان عدم مشاورة المتواثقين لجبهة النصرة في شأن ميثاقهم، وذكر أهمية الشورى وضرورتها للجهاد الشامي، ولن يعدم الناظر في تصرفات جبهة النصرة أن يعيها بنفس هذا العيب، بل لم يُعرف عنها أنها تشاور أحداً من الفصائل الأخرى في شيء من كبار القضايا أصلاً، على أنه - بالنظر في حال المتواثقين وحال جبهة النصرة - يظهر أن عدم مشاورة الفصائل لها في شأن هذا الميثاق ليس راجعاً إلى عدم قناعة تلك الفصائل المتواثقة بنظام الشورى، أو عدم إدراكهم لأهميته في الساحة الشامية، وإنما سببه عدم قابلية جبهة النصرة لسلوك مسلك التواثق مع أحد على شيء من الأهداف الكبرى، فهم لا يعرفون من هيئات الاجتماع إلا الاجتماع تحت أمير واحد، وإلا فإنهم في ما يعلنونه يقولون إن هدفهم الأكبر تحكيم الشريعة، وهم في بيانهم هذا نفسه يقولون إن كثيراً من الفصائل التي يخالطونها ويعيشون معها يشتركون معهم في هذا الهدف، أما وهذا الحال فلماذا لم يتواثقوا معها على هذا الأمر؟ ولماذا لم نر لهم ميثاقاً يجمعهم على هذه الغاية؟ على أنهم لم يذكروا من هي هذه الفصائل التي خالطوها ورأوها تتفق معهم على غاية تحكيم الشريعة، وهل أصحاب ميثاق الشرف الثوري يدخلون فيها أم لا

٣- تستهدف الثورة عسكرياً النظام السوري الذي مارس الإرهاب ضد شعبنا بقواه العسكرية النظامية وغير النظامية ومن يسانداهم كمرتزقة إيران وحزب الله ولواء أبي الفضل العباس، وكل من يعتدي على أهلنا ويكفرهم كداعش، وينحصر العمل العسكري داخل الأرض السورية.

٤- العمل على إسقاط النظام عملية تشاركية بين مختلف القوى الثورية، وانطلاقاً من وعي هذه القوى للبعد الإقليمي والدولي للأزمة السورية فإننا نرحب باللقاء والتعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية المتضامنة مع محنة الشعب السوري بما يخدم مصالح الثورة.

٥- الحفاظ على وحدة التراب السوري، ومنع أي مشروع تقسيمي بكل الوسائل المتاحة هو ثابت ثوري غير قابل للتفاوض.

٦- قوانا الثورية تعتمد في عملها العسكري على العنصر السوري، وتؤمن بضرورة أن يكون القرار السياسي والعسكري في الثورة سوريا خالصاً رافضة أي تبعية للخارج.

٧- يهدف الشعب السوري إلى إقامة دولة العدل والقانون والحريات بمعزل عن الضغوط والإملاءات.

٨- الثورة السورية هي ثورة أخلاق وقيم تهدف إلى تحقيق الحرية والعدل والأمن للمجتمع السوري بنسيجه الاجتماعي المتنوع بكافة أطرافه العرقية والطائفية.

٩- تلتزم الثورة السورية باحترام حقوق الإنسان التي يحث عليها ديننا الحنيف.

١٠- نرفض سياسة النظام باستهداف المدنيين بمختلف الأسلحة بما في ذلك السلاح الكيماوي ونؤكد على التزامنا بتحييد المدنيين عن دائرة الصراع وعدم امتلاكنا أو استخدامنا لأسلحة الدمار الشامل.

١١- كل ما يسترد من النظام هو ملك للشعب السوري، تستخدمه القوى الثورية لتحقيق مطالب الشعب بإسقاط النظام.

هذا وندعو باقي القوى العاملة على الأرض السورية التوقيع على هذا البيان لنكون يداً واحدة في السعي

والعرض والمال والنسل، فدفعه يجب أن يكون عن الدين وحاكميته قبل كل شيء، فإن من المقرر عند أهل الإسلام أن حفظ الدين مقدّم على غيره من الضروريات). قلت: ليس هناك عدة صور محتملة لقتال النظام حتى يقولوا إن الميثاق اقتصر على واحدة، فهذا فساد في العبارة، ويبدو أنهم قصدوا أن الميثاق اقتصر على غاية واحدة من قتال النظام وهي قتاله لأنه عدو صائل لا لأنه ممتنع عن تحكيم الشريعة، وهذه المسألة برمتها لم يتعرض لها الميثاق، ولم يذكر له قولاً فيها، فلا أدري ما الذي استدعى هذه المسألة لذهن كاتب البيان حتى يطرحها ثم يذكر اختيارهم فيها ويخطئ المتواثقين في اختيارهم.

الوقفه السادسة : جاء في البيان في نقد ميثاق الشرف الثوري: (نص البيان على أن الفصائل الموقعة على هذا البيان تريد أن تقدّم رموز النظام ومجرميهِ إلى المحاكمة العادلة بعيداً عن الثأر والانتقام، وهذا مخالف لما قرّره الشريعة أن أصحاب الردّة المغلظة ليس لهم في الإسلام إلا السيف).

قلت: هذا خلط بين مسألتين، فالمتواثقون يتكلمون في مسألة آلية التعامل مع أركان النظام بعد القدرة عليهم، وصاحب البيان يتكلم في مسألة الحكم الذي ينبغي أن يصدر فيهم، وهما مسألتان منفصلتان.

الوقفه السابعة : وصف البيان المتواثقين بالتناقض لكونهم رفضوا التبعية الخارجية ومع ذلك رحبوا باللقاء بالأطراف الدولية والإقليمية، وسبب ادعاء هذا التناقض أن جبهة النصرة لا تفهم من اللقاء بالأطراف الدولية والإقليمية إلا معنى لقاء التابع بالمتبوع، وهذه الدعوى بهذا الإطلاق ليس لها أساس شرعي أو واقعي، والمأمول أن يتمكن المتواثقون من تكذيبها عملياً.

الوقفه الثامنة : إن مما يستدعي التثديد والإنكار أن تجعل جبهة النصرة المعاني الوطنية الاستقلالية معاني مذمومة وتجعلها نقيضاً لمعاني الأخوة الإيمانية الإسلامية، وهذا جهل شنيع، بل إن ما تواترت عليه الفصائل السورية من الحفاظ على وحدة التراب السوري واستقلال سوريا واستقلال القرار السوري، هو من الغايات الجليلة، وهي من أولى ما يتواثق عليه، وضد

الوقفه الثانية: عابت جبهة النصرة الميثاق بعدم الوضوح والانضباط والتحديد، بل شط كاتب هذا البيان حتى زعم أن الميثاق: (قد فقد كل معاني الانضباط)، ولا يخفى على من قرأ الميثاق النصوص الصريحة في استمداد المبادئ الثورية من الدين الإسلامي، وتحديد هدف إسقاط النظام، والحفاظ على وحدة سوريا، واستقلالية القرار السوري ورفض التبعية، ومثل هذه النصوص صريحة في ضبط أفعال المتواثقين وغاياتهم، وفيها رفض لكل سعي سياسي أو عسكري يناقض هذه الغايات، لكن حقيقة الحال أن جبهة النصرة تريد بالانضباط الانضباط بمعايير الجبهة وبالوضوح التصريح بشعارات الجبهة.

الوقفه الثالثة : عابت النصرة الميثاق بعدم احتراز أصحابه في تعريفهم للدين الذي يرجعون إليه، من قيد الانبطاح والتخاذل واقتصارهم على قيد الغلو والتتبع، والجواب عن هذا ظاهر جداً وهو أن النص على البعد عن التتبع والغلو، لا ينفي البعد عن الانبطاح والتخاذل، ولا أدري هل هذا انتقاد كتبه صاحبه بباحث النقد العلمي، أم أنه أراد الإيماء إلى أن هؤلاء المتواثقين منبطحون ومتنازلون؟ أو أنهم متساهلون مع المنبطحين والمتنازلين؟

الوقفه الرابعة : لما كان النص صريحاً في الميثاق على انضباط الثورة بالدين الإسلامي، كان من المفترض أن يلاقي من جبهة النصرة الثناء إذ هو أمر مشترك بين المتواثقين وبينها، لكنها قللت من شأن هذا البند بأن الكل يدعي ذلك، أي أن الكل يدعي الانضباط بالدين الإسلامي، وما العيب على أصحاب الميثاق في كون الكل يدعي ذلك؟ وهل يريدون مثلاً من المتواثقين أن يصرحوا بالانضباط بالمرجعية الشرعية لتنظيم القاعدة وبراءة أبي محمد المقدسي وأبي قتادة ونحوهما حتى يمتازوا عن الكل وترضى جبهة النصرة؟ إن فرضت جبهة النصرة أنه يمكن أن تجتمع الفصائل على هذا فهو اجتماع وهمي لا يمكن تحقيقه في الواقع.

الوقفه الخامسة : جاء في البيان في نقد ميثاق الشرف الثوري: (اقتصار الجهاد على صورة واحدة من صور دفع العدو الصائل وهو إسقاط النظام عسكرياً، مع العلم أن هذا النظام قد صال على الدين قبل النفس

الاستقلال والحفاظ على وحدة سوريا هو التقسيم والتبعية فهل هما أمران ممدوحان لدى جبهة النصرة ١٩

الوقفه التاسعة : جاء في البيان إن وصف أصحاب الميثاق للدولة التي يرجونها بأنها دولة الحرية والعدل والقانون تظهر فيه الضغوط والاملاءات، وهذا لتوهمهم أن استعمال هذه الألفاظ إنما هو لإرضاء جهات ما مع عدم القناعة بها، وهذا ما نفاه رئيس الهيئة السياسية للجبهة الإسلامية، وليس في هذه الألفاظ أصلاً إشكال من الجهة الشرعية، فدولة الحرية والعدل والقانون يقابلها دولة العبودية والظلم والاستبداد، لا دولة الشريعة، فلا معنى لمعارضة ذلك بأن جبهة النصرة تريد دولة تحكم الشريعة وأن أهل الشام رأوا الخير في الشريعة إلى آخر كلامهم .

وختاماً فإنني إذ أرى إن كثيراً من انتقادات جبهة النصرة للميثاق جاءت من جهة التعسف في الفهم، فإن ما أرجوه هو أن تتحسن القدرة على التفاهم بين الفصائل الجهادية في سوريا، ولا تخفى فائدة ذلك على عاقل.

الجهاد الشامي.. مآلات واجتهادات

شادي بن مهدي - موقع نور سورية ٢٠١٤/٥/٢١

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد :

فلقد ترددت كثيراً في نشر هذا البحث، أما والأحداث تتسارع، حتى اتخذت طابع المواقف، تعقبها الردود، تعقبها البيانات، ثم الاتهامات، ولما ينقمع سعار التكفير عند خوارج الدولة بعد، فإنني رأيت أن أستعين بالله في عرض هذه الكلمات على إخواني، فتكون مدارستها على نطاق واسع، فلا تكون مقتصرة على دائرة ضيقة كما كنت أهوى، وليس هذا في سياق الانتصار لحزب أو جماعة، وإنما هو سرد لبعض المآلات المحتملة للجهاد الشامي، وبحث عن سياسة شرعية نتحرى فيها مطابقة مراد الله فيها، فنكون قد هيأنا لكل خيار زاده وعدته من الأسباب الشرعية والكونية.

ومع طمعنا برينا أن يجعلها خير مآلات فإننا

نستحضر منها ما نحذر، فنعد لذلك عدته. واعلم أخي القارئ أنني لا أتبع أية جماعة تنظيمياً، وتربطني بأكثر الفصائل علاقة الأخوة والتناصح بشكل مباشر أو غير مباشر، ومع أن التواصل مع بعضهم أوثق، لما أجد في مسيرهم من الصواب والمؤهلات ما لا أجده عند غيرهم، لكنني أحسن الظن بجميع المجاهدين وأحبهم وأخص الجبهتين.

وأشهد الله أنني بريء من صنم الديمقراطية، كافر بطواغيت العرب والعجم كيف وقد خبرتهم عن كذب، وكنت حبيس سجونهم في أكثر من دولة قرابة عقد من عمري، وسوف أحيا على ذلك وأموت عليه إن شاء الله. وإنني أرى أن السلفية الجهادية إذا هذبت وجددت هي أقرب المناهج إلى الصواب، وراجع تغريداتي القديمة.

وبعد هذه المقدمة التي قدمتها كيلا يحمل كلامي على ما لا أريد: أشرع في المقصود بحوله تعالى وقوته، وأستهديه في كل منطوق من كلامي ومفهوم.

انطلاقة جهادنا الشامي كانت ثورة شعبية، تحولت إلى دفع لصيال الباطنيين، فلولا ذلك ما قامت سوق جهادنا، ولما راجت بضاعتنا، ولله في ذلك حكمة وتديير.

بضاعتنا قبل الثورة كانت كاسدة، وتجاربنا جلها مزجاة تفاوتت بين بلد وآخر جودة ورداءة، وجمع بينها ما قرره حدّاق النظر كأبي مصعب السوري وغيره، كنا وما نزال ننشغل بالميدان عن التخطيط، وباللحظة الراهنة عن الخطة الشاملة، ونبني خطتنا على افتراض واحد، ونقاد بسهولة عن طريق إدارة ردود الفعل.

دلالة النصوص قطعية على إثبات تفرد الرب تعالى في الحكم، ووجوب التحاكم إلى الشريعة، والدعوة إلى ذلك، ثم أمثاله واقعا من أعظم المهمات وأجلها.

محل البحث والمدارسة الآن هو الوصول إلى ذلك بتمكن ورسوخ، وتفاصيل الخطوات الموصلة إلى المقصود في الواقع الحالي لبلاد الشام على وجه التحديد، وإذا أردت المثال فانظر إلى إجماع الجماعات على خطأ إعلان الخوارج دولتهم من حيث المبدأ، وأنه لا يوصل

الله، وقد كانت الظروف المعينة على إنجاح تلك الخطوة أفضل بكثير من الآن، ونحن نلتزم للجبهتين المعاذير، والمقصود هاهنا إثبات الهوية بين الشعارات والواقع. وأرى لب الموضوع وجوه البحث هو قدرة أهل الشام في واقعهما الراهن على تحكيم الشريعة وإعلان دولة إسلامية؛ لأن التكليف منوط بالعلم والقدرة بالاتفاق. وسوف نتجاوز شرط العلم مع أن كثيرا من المسلمين على أرض الشام الآن ليست لديهم الخلفية الشرعية، ولا مستوى التدين الذي يؤهله لفهم هذا التكليف أصلاً.

ونتجاوز بالقول إن ذلك يمكن بيانه بطرق

متعددة، مع أن مجرد البيان لا يكفي دون تربية على هذا المبدأ كي يكون مستعداً للتضحية والبذل في سبيل الله. بملء الفم أقولها إن الجماعات الجهادية لو اتحدت كافة فلن تستطيع إقامة الشريعة على أرض الشام، ما لم يحمل معها المجتمع هذا التكليف بصورة أو أخرى، والمجتمع ليس في وارد حملته؛ لأن من تبعاته فتح معارك جديدة داخلياً وخارجياً لشعب منكوب مشرد، بل لعله لا يصبر معنا على سقف إسقاط النظام إلا بجهد مجتمعنا المسلم، خليط بين قوم نشؤوا في ظل حكم البعث لعقود فأعانوهم بأنواع مختلفة من المعونة، فمنهم المرتد ومنهم الظالم لنفسه ومنهم من كان مكرهاً، فبدأت الثورة السورية بأقوام منهم من سبق ذكره، فعاد منهم إلى الله قوم فحسنت توبتهم، وبعضهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وقوم ظاهروا المرتدين، ومنهم قوم أحبوا دين الله، لكن تلقوه عن شيوخ الصوفية بمراتبهم المتفاوتة، فظهر منهم أبطال مجاهدون سطرّوا الملاحم، وكان منهم الرديء وما بين ذلك، ومنهم قوم على الفطرة يمثلون ما يتيسر لهم تعلّمه من دين الله فيقبلونه ويقبلون به على الله، وكان فيهم خير كثير كامن قد استخرجه الله من قلوبهم، ومنهم قوم هم نخب إيمانية من مناهج متعددة، قُتل وأسر منهم الكثير في استنزاف المعارك مع النظام، وكان ذلك مراداً لذاته من أعداء الداخل والخارج.

للمراد قبل أن ينعقد الإجماع على أنهم خوارج، وانظر إلى فشل جميع تجارب الجهاديين في كل البلاد في الوصول إلى تحكيم الشريعة برسوخ وتمكين واستمرار.

وأما الطالبان فهي نموذج يتفق الجميع على توفر

عوامل أدت إلى تمكينهم إلى حين، ولولاها لكان شأنهم في ذلك شأن غيرهم؛ لأن سنن الله لا تحابي أحداً. والحقيقة أن دفع الصائل على مدار التاريخ كان بوابة التمكين، وسيادة الشريعة ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾ ﴿١٢٦﴾ إلى

قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ دَجَالُوتَ

وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

الْأَرْضُ﴾ ﴿١٢٧﴾ [البقرة] بيد أن الوصول من البوابة إلى

ذلك المقصود دونه مفاوز وعقبات ومراحل، يحرقها إخواننا الآن، وأرى في الأفق فشلاً ذريعاً إن لم نستدرك، والله المستعان.

ولأن دفع الصائل فرصة تاريخية للأمة،

وبوابة مهمة لإبراز المنهج الرباني الصحيح تم دعم دولة الخوارج لإفساد هذا الرونق وإعادة الأمور إلى الوراء.

يتحمل إخواننا في قيادة تنظيم قاعدة الجهاد

المسؤولية الشرعية والأدبية عن نشوء دولة

الخوارج واستمرارها بجرائمها لسنوات في

العراق، ثم سوريا، وهيئات التملص من هذه

المسؤولية بتأويلات ومعاذير، ومع ذلك فليس بالذنب

الذي لا يغتفر ويوجد من الحسنات ما يرجى أن

يمحوه، ولكن ذلك منوط بالإصلاح.

وحتى تعلم أن رفع الشعارات وإعلان الغايات

مع حرص الكثيرين عليه والتدقيق في أمره لا

يكفي بمجرد الوصول إلى المقصود، فاسأل

نفسك لماذا لم تنضم جبهة النصرة إلى الجبهة

الإسلامية بعد إعلان الجبهة الإسلامية ميثاقها،

وقد كان ذلك في حياة أبي خالد السوري رحمه

وكثير من الأصناف السابقة في الداخل والخارج هم أغلبية صامته الآن، لم يقولوا كلمتهم بعد، وهم منشغلون في مكابدة شظف العيش وتبعات الحروب، ولقد رأينا في فتنة الهدن من بعضهم ما يغلب على الظن أن يسعّر ثورة ضد المجاهدين، فحاول المجاهدون احتواءهم ولا يزالون، وإن شئت سميت لك الأماكن، فكيف هؤلاء إذا أغرته بنا الدول بعد إسقاط النظام، وحتى قبل ذلك، بإعادة الإعمار وتأمين الاحتياجات وعلاج المرضى، وشرطوا ذلك بالتبرؤ من المجاهدين.

ماذا سيصنع المنظرون والمتحمسون آنذاك غير وعظ الناس وإرشادهم، وكنا نقول ولا نزال: إن تجارنتا الرابحة دعوة المجتمع وإقناعه بحمل التكليف، معنا، وخيارهم الآن جزاهم الله خيرا يعين المجاهدين لوجيستيًّا ومعنويًّا وإعلاميًّا، وبعضهم عسكريًّا؛ حيث يراهم يدافعون عن الدين والعرض والأرض، لكن هل سيطبقون الاستمرار على ذلك بعد إسقاط النظام وبداية حقبة جديدة ١١٥؟

ولا ننسى أن المعركة ضد المجاهدين تدار بشكل منظم من دول بإعلامها ومخابراتها وخلاياها النائمة التي تنتظر الأوامر لإشعال الفتنة بين المجاهدين، مع العلم أن زمام مسار الأحداث أحيانًا ليس في أيدينا وحدنا، بل تمسك به معنا وبغير إرادتنا دول ومخابرات ووسائل إعلام، والله الأمر من قبل ومن بعد.

وإذا نظرت في السيرة وجدت أن زمن الاستضعاف استمر سنوات طويلة، ولو شاء الله لجعله دقائق أو أياما، ولكنها سنن الله، والمقصود أن ذلك يحتاج إلى وقت. وقبل ذلك فإن أي صدام غير الدفع يكون المجتمع طرفًا فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، فهو مهلكة دينية ودنيوية خاسرة لا تحقق المقصود في إعلاء كلمة الله.

وجود نوع من القوة والسلاح لدى الجماعات

دون توحيد واستراتيجية وتلاحم مع المجتمع في بيئة محيطها شديد العداء لا يحقق شرط التكليف، والجماعات الجهادية مستنزفة أصلاً في معركة النظام، وهامم الخوارج قد دخلوا على خط الاستنزاف، والغرب يجهز البدائل ويراقب بخبث. وليس المراد إيقاف الجهاد والدفاع عن المستضعفين لأجل دعوتهم، فالجهاد فريضة الوقت، ولكن المراد الانتباه إلى المكر ووضع الاحتمالات وخطط مواجهتها.

على مستوى المناطق المحررة نريد حالة من الهدوء والتغلغل والتجانس مع المجتمع واجتماع الفصائل على ما يحقق الضرورات الشرعية والدنيوية. الكيد البيني العبثي بين فصائل الجبهة الإسلامية يجب أن يتوقف، ولو بانسحاب فصيل منها، شرط أن يكون بالحسن إلى تحالف آخر يحمل الأهداف نفسها. وكذلك التحفز بين الجبهة الإسلامية وجبهة النصرة، بحيث يكون سقف الخلاف الانتقادي دون التخوين، والبيان دون التحريض، والتبويه دون المزايدة. فليصرح كل بما يدين لله به، لكن ضمن إدارة حكيمة لخلافات الساحة، بعيداً عن تحريض الجنود والقواعد وازدراء الآخرين.

نحن كسلفية جهادية مصابون - إلا من يرحم الله - بعنجهية المنهج، والذي تسبب بأخطاء فادحة من أحرار الشام مع فصائل الجبهة الإسلامية.

كان يفترض اغتنام إقبال جيش الإسلام على الجبهة الإسلامية، وتوافقه على سقوفها، بلين الجانب، وخفض الجناح، والابتعاد عن رهاب اتهامه في منهجه وتحركاته. ولست في مقام تتبع أخطاء كل فصيل ونوعية خطئه، فجيش الإسلام كسائر الفصائل، له ما له وعليه ما عليه، ومن أخطائه ما قد عرفه العامة والخاصة.

ولا يزال مرض عنجهية المنهج وهوس الاتهام

والتحفظ يتسبب للنصرة بمشاكل قابلة للتطور الكارثي إذا لم تتم معالجتها جذرياً، وهناك شكاوى على الجميع.

ونأتي على موضوع الرُخص الشرعية فنقول:

إنها زمن الاستضعاف تكون على حد سواء للأفراد والجماعات والمجتمع، بحسب حال كل نوع، مع ضابط وجوب بقاء من يظهر الدين ويستعلن به، كي لا تتدثر الرسالة ويدرس الدين، فالدعوات تقوم على ساق العزائم لا في أعماق الرخص.

والرخص الشرعية جزء من منظومة السير

إلى الله، والتي روعي فيها بحمد الله ورحمته تفاوت القدرة والتحمل، وعدم تحميل ما لا يطاق. فإن الله ما شرع الرخص إلا لحكم بالغة ومصالح عظيمة، ولكن الدعوات لا تقوم إلا بالعزائم، ولا تتألف بين التكليفين، ولكل منهما أهله. وتجاهل أي جزء من هذه المنظومة أو إلغاؤه خلل فكري ومعوق عملي عن الوصول إلى مراد الله.

إذا أنزلت السنن الشرعية والكونية على

حال أهل الشام اليوم فلن تجد أن تكليفهم يفضي إلى تمكين تام، وقدرة على إقامة كافة أحكام الدين، ومن زعم غير ذلك فقد كابر الشرع والواقع معاً.

وهذه تغريدات الأخ أبي البراء الشامي:

١- إن من يرى عظم المسؤولية، وحساسية المرحلة، وأهمية الساحة، وحجم المؤامرة، وبالمقابل قلة الكوادر العاملة واستنزافها بالمعارك، وكثرة التنظير.

٢- والمنظرين، وقلة المجاهدين الصادقين الذين يحملون حقيقة مشروع الدولة المسلمة، ويحملون في سبيل ذلك الأعباء والتكاليف يتيقن أن ساحة الشام.

٣- ستكون أرضاً للإعداد والرباط والجهاد والعلم واكتساب الخبرات، وإن بيننا وبين التمكين الحقيقي عقوداً من الزمن، إلا أن يشاء الله. أدركوا الساحة. انتهت تغريداته

إذا كان بيننا وبين التمكين عقود طويلة

فماذا نصنع نحن خلالها؟ وماذا يصنع الناس؟ هل يمكننا وقف مسارات الأحداث ريثما ندعو الناس ويتحقق التمكين؟

ولا ننفي بعد حصول نصر جزئي إمكانية

تلمس جماعة ما لدرب العزيمة وسلوكها مشروع شهادة باعتزال للشور و ثبات على المبدأ وربما قتال عليه حتى الموت، ولكن الإشكال الخطير الذي يعترضنا هاهنا هو صعوبة انفكاك ذلك عن مجتمع منكوب إلا بصورة ذهنية مجردة.

ومع أننا نحسن الظن برينا أن يجعل لنا

مخرجاً وينصرنا ويمكننا، لكن ماذا لو أخذت الأمور غير ذلك المسار، وفرض على الشعب السوري عملية سياسية، وقد حصل ذلك في بلاد عديدة من بلدان الثورة، فمناقشة ذلك ووضع الحلول الشرعية للتعامل معه أمر مطلوب.

ونسأل الأفاضل لا غيرهم من أمثال

الدكتور القنبيبي ماذا لو وصل الأمر إلى طريق

مسدود؟ هل ستطلب من الجهاديين استهداف أية عملية سياسية بقوة السلاح؟ أم ستكتفي بإعلان البراءة وتُصح الشعب السوري المسلم، ووعظ الفصائل والجماعات كما فعلت ذلك بزخم في مصر، عندما حكم الإخوان وانخفضت وتيرته بعد الانقلاب؟

ونسأل حزب التحرير الإسلامي وواجهته

الجديدة المستنسخة أكرم حجازي، الذي أذى كثيراً من المسلمين بمؤازرة خوارج الدولة وتبرير أفعالهم، هل في جعبتكم آنذاك غير ما ذكر أعلاه؟

ونسأل الدكتور العريدي إذا فرض على

الشعب السوري بعد هذه السنوات من الصبر والتضحية عملية سياسية ديمقراطية، أبرأ معك إلى الله منها، فهل ستفجر نفسك في أقرب مركز انتخابي بين ظهراشي المسلمين الذين أرهقتهم المجازر فهربوا منها جهلاً وسذاجة وقسراً إلى مسرحيات الانتخابات؟ ومناسبة سؤالي أنه قال:

«تحكيم الشريعة أو الشهادة». وإلا فياني أجل أمثاله من الفضلاء عن الإجابة بنعم، فإن تلك الإجابة هي بحال أتباع خوارج الدولة أليق، وحاله إن شاء الله حمل المنهج على علم وبصيرة.

فإن وجد من كان جوابه نعم فلنهيئ آنذاك

خطة للهروب، ولنبحث عن مغارات في الجبال وملاجئ في الهضاب نعتصم بها من الخوض في دماء محرمة، قد أطال النصيريون والروافض سفكها على أرض الشام، فصحبة الوحوش في القفار خير لنا من أن نقتل بأيدينا من نجا من عوائل المسلمين من مجازر النصيرية، أو فلنوطن أنفسنا على جبال كجبال الجزائر، وحرب عبثية طويلة لا معنى لها، يرافقنا فيها الخوارج بصحبة خبيثة، يجروننا فيها إلى خارجيتهم، ولتقر أعين جنرالات سوريا وحاخامات اليهود بعزلنا عن مجتمعنا، كما قرت عيون جنرالات الجزائر وقد طال انتظارنا لإنجازاتهم على رؤوس الجبال منذ سنين.

وانظر إلى حال الجماعات التي استهدفت

مجتمعات المسلمين بسبب الديمقراطية المشؤومة

التي فرضت عليهم أو زينت لهم، وأكثرهم مستضعفون، ستجد الهوة بينها وبين الناس عميقة، والأحقاد عظيمة، فلا هم حكموا الشريعة ولا هم حافظوا على رسالتهم ودعوتهم ومكانتهم بين الناس، وقد كان يسعهم إبراء الذمة وإعلان البراءة والدعوة إلى التوحيد، ومواجهة المكر بالمكر، والخطة بالخطة، بما يحقق الضرورات ويقرب من المقصود الخطوات، دون صدام مسلح يستزلون إليه لم تتوفر عدته، ولم يتهيأ رجاله، وعبئ المجتمع ضده، فإلى أين هؤلاء يذهبون!!؟

أيا كان المآل فنحن بحول الله بعقيدتنا

مستمسكون كقدوتنا عليه الصلاة والسلام؛

إذ يطوف بالكعبة وحولها مئات الأصنام يعلن التوحيد، ويتبرأ من الشرك، فلما أن أعد - فداه أبي وأمي - للأمر عدته بهجرة ومجتمع وجهاد وقدرة عاد إلى مكة فاتحاً، لله خاضعاً، ولأمره

ممتثلاً.

وقد علمني الجهاد أن أشك في كل من

يحرص على مصادمة المجتمع المسلم الجاهل

بدلاً من دعوته، ولا يدلسن أحد عليكم فيجعل ذلك من التنازل والانبطاح، ولئن ضل أقوام وهلكوا بتتبع الرخص فإن ذلك لا ينسخ بقاء مشروعية الرخص بشروطها وضوابطها من غير إفراغها من مضمونها، وما كان ريك نسياً.

أفكلما خرج بلعام، أو ترخص زنديق حرمننا

على المجتمعات والجماعات رخصاً شرعية أبيحت لهم على طريق حمل العزائم والوصول إلى الغايات، فما أعجب ذلك!!

فليضل البرهامي، وليسقط حزب النور،

ولتتعض جماعة أولي الأمر على أعتاب أسيادهم، فما شأن المجتمع السوري المنكوب وجماعاته في ذلك، نعم إن لهم من ذلك العبرة والعظة فحسب، وأما منع الرخص أو التشديد على مباح فليس هذا لعشك يا حمامة فادرجي.

فحنانينكم على أهل الشام، وافحصوا

شعاراتكم وإنجازاتكم من عشرات السنين، فما الإخوان المسلمون بأولى بالمراجعة والتصحيح منكم، وإن ما جرى في مصر وتونس ثم ليبيا لعبرة، ليس للإخوان فحسب، بل لكم أيضاً ولنا ولجميع الجهاديين، فلا تجعلوه عضين للإخوان فحسب، لهم المرة ولنا الحلوة.

وأقولها بملء الفم: إن أي مشروع يفضي إلى

المصادمة مع المجتمع السوري المسلم المنهك وفصائل الجهاد محرم غير مشروع، لا قبل سقوط النظام ولا بعده. وإذ ذاك سيضيع الجهاد وثمراته ضياعاً أشد من ضياعه بالديمقراطية البغيضة، ولن يتحقق المقصود، ولننعظ بغيرنا ولنحسن معاً تلقي الكتاب والسنة. وإليك هذه

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل].

أقولها صريحة: إذا كان التعاون مع الأركان

وغيرها ، والتفاهم مع الدول بأقصى حدود الرخص المباحة ، ولو كانت بالتحقيق والتأمل مرجوحة... إذا كان ما سبق يحصل به فعلاً وحقيقة إسقاط النظام النصيري، ومنع استمرار محنة أهل الشام لعقود، فلا أشك أن أقل أحواله الجواز، ومن كان لديه رد شرعي على هذا الكلام بحرفه فليأتنا به، وأمهلته كما أمهل ابن تيمية مناظرته في الواسطية.

فإن كان الاعتراض على إمكانية ذلك وجدواه فذاك بحث واقعي قابل للنظر والاجتهاد، ولا يتعلق به تضليل ولا تفسيق، فضلاً عما هو أشد من ذلك.

واعلم أن المقصود تنبيه إخواني إلى وجوب إشباع مثل هذه المسائل بحثاً قبل تقريرها، فضلاً عن إطلاق الأحكام عليها ليتلقفها شباب متحمس، فيفضل بها.

وبين يدي حشود من النصوص الشرعية بفتاوى الريانيين من السلف والخلف، ومواقف قادة الجهاد ومخضرميه، وأشباه ونظائر من ساحات الجهاد قديماً وحديثاً، وكذلك كتب كليات الشريعة ومقاصدها وأصول الفقه والاستدلال واستنباطات الأذكياء والحقاق. وإنما أعرضت عن الخوض في تفاصيل ذلك لأنني أرى أن أزممتنا أزمة وعي ومدارك وأهلية، تشوبها أحياناً أزمتا قلبية والله الهادي.

وإن الموقعين على الميثاق الأخير قد استشفروا ما سبق من معانٍ واجتهدوا رأيهم وخاضوا مغامرتهم، وأجد ما فعلوه أقرب إلى التضحية منه إلى التنازل. فإنهم اجتهدوا رأيهم واختاروا ما يصلح لحال المسلمين في بلاد الشام مع تيقنهم بما ينتظرهم من سباب وشتائم، فضلاً عن التكفير واستحلال الدم، وأقله العتب والانتقاد من قريب حبيب. وإنما يلامون على عدم مشورة إخوانهم في جبهة النصر وغيرها، فإن الساحة والمركب واحد.

فليصدر من شاء ما شاء من المواقف

والبيانات والردود، فإنه إذا كان الشرع مرجعنا، فالجميع إخواننا، وقد ولّى زمن هيبة الأشخاص والعواطف والحماسات، بعد ما كشفت طامات التجارب وكوارث الغلو ما عندنا من سوءات.

وأقول لمن يخالفني الرأي من أهل الفضل والأدب: دونك أهل الشام أمامك، هلم معنا ندعوهم ونقنعهم بحمل التكاليف معنا، ولن يقدر علينا إذ ذاك العدو. واستعن بالله وضع معي خطة رشيدة تشمل ملايين المشردين، وعشرات الآلاف من المصابين، وآلاف البيوت المدمرة، وعشرات البلدات المسوخة عن الأرض، وأول ذلك اجتماع كلمة المجاهدين، فأين هم من ذلك والنظام مستمر في إجرامه ورأس حريته الخوارج والمجتمع الدولي يراقب بصمت وخبث.

وإني أحسن الظن بإخواني أن يرتقي وعيهم وحسهم بالمسؤولية إلى درجة استشراف المستقبل ومواجهته بما ينبغي، مستعينين بالله على ما يرضيه.

هذه تغريدة للأخ أحمد الأسعد: «تاريخ الأمة سجال بين الكثرة والفرّة، والنهوض والسقوط، والاختلاف والائتلاف، لكن المَعْلَم الثابت في كل الأحوال هو حسن العاقبة وخير المآل» انتهت التغريدة.

وختاماً، هذا ما تيسر من الكلام، وقد شرحت مرادي بما تبلغه فصاحتي، فإن اقتصر أحد منه وحمله على ما لا أريد فقد اتبع أهل الزيغ متشابه الكتاب، وحملوه على غير مراد الله، فكلام عبد عيي مسرف على نفسه من باب أولى. هذا وما أصبت فيه فمن الله وحده، وما أخطأت فمن نفس مذنبه ومن الشيطان، وأستغفر الله منه وأتوب إليه.

مرآة الراسد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة | العدد ١٣٥ | رمضان ١٤٣٥ هـ

أولويات الشيعة الجهادية:
التكفيريون أم اليهود؟
حزب الله نموذجاً

مشكلات المرأة المسلمة ..
مقاربة واقعية

التأويل الحدائي للتراث ..
التقنيات والاستمدادات

الأناية

الطيش

الغرور

الغلو

التطرف

القاعدة

داعش

الرؤى والأحلام

عدم المشاورة

الحزبية الضيقة

التطاول على العلماء
العجلة

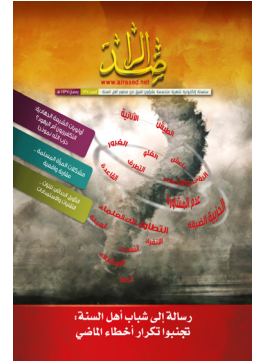
الانفراد

التسرع

الاستعلاء

الجهل

رسالة إلى شباب أهل السنة:
تجنبوا تكرار أخطاء الماضي



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٣٥)**

رمضان - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ رسالة إلى شباب أهل السنة: تجنبوا تكرار أخطاء الماضي

فرق ومذاهب

- ٥ مؤسسة الرضا للبحث والتحقيق.... دجل بغطاء علمي..... معتر بالله محمد

سطور من الذاكرة

- ٨ الوجه الآخر: ٨ حسن نصر الله..... هيثم الكسواني

دراسات

- ١٣ شيعة مصر والدولة الجديدة... ماذا يجري على أرض النيل؟..... أسامة الهتمي
١١٦ مشكلات المرأة المسلمة... مقاربة واقعية (١)..... فاطمة عبد الرؤوف
٢٠ أولويات الشيعة الجهادية: التكفيريون أم اليهود؟..... بوزيدي يحيى
٢٥ الصوفية والتصوف في السودان... قراءة آنية..... محمد خليفة صديق
٣٢ ثورة العرب السنة في العراق..... صباح العجاج

كتاب الشهر

- ٣٥ التأويل الحداثي للتراث... التقنيات والاستمدادات..... أسامة شحادة.

قالوا

- ٣٨

جولة الصحافة

- ٤١ تحريض حكومي إيراني للاستيلاء على أراضي عرب الأهواز..... صالح حميد
٤٢ ابن تيمية شيخ الإسلام مهما كذبوا عليه..... أسامة شحادة
٤٤ لمحات من السيرة الجهادية للسيستاني!..... مدونة عمر خليفة راشد
٤٦ "ساحل العاج" منبع تمويل لـ "حزب الله" طوعا وكراهية..... ميرفت عوف
٤٨ كول: رجل تركيا الغامض!! حسين الرواشدة
٤٩ كولن يلعب السياسة ثم يفرق فيها..... حسين الرواشدة
٥٠ ردود صادمة... والأهم حماية مجالنا الديني!..... حسين الرواشدة
٥٢ المسلمون في الصين ممنوعون من الصيام..... محمد عدس
٥٣ إحسان أوغلو يسير في طريق مسدود..... إسماعيل ياشا
٥٤ الجيش اللبناني وفخ الطائفية..... منى علمي
٥٦ التدخل الأمريكي في العراق "فريضة" وفي سوريا حرام..... ياسر أبو هلاله
٥٧ تركيا بين فكي الصداقة الروسية الأمريكية..... محمد زاهد جول
٦١ تضخيم الداعشية لتلويث الانتفاضة العراقية..... راجح الخوري
٦٢ إيران... من الصحو إلى الصدمة..... مصطفى فحص
٦٣ فتاوى المرجعية لن تداوي الهزيمة النفسية..... صباح الموسوي
٦٥ نظرة على الأبعاد الدولية لعملية اختفاء المستوطنين في الخليل..... محمود الرنتيسي
٦٧ مخطط لتقسيم إيران أيضا؟..... محمد بن صقر السلمي
٧٠ تصاعد حرب الإبادة البوذية ضد مسلمي سريلانكا... موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
٧١ سريلانكا على حافة العنف عقب إعلان الحرب على المسلمين..... ميدل إيست أونلاين

ومن هنا فإن الواجب على الشباب المسلم

اليوم، وهم الغالبية العظمى من تعداد المسلمين والإسلاميين، المحافظة على الإنجازات التي تحققت، ورعايتها وتتميتها، حتى تتمكن الأمة من تجاوز محنتها في طريقها إلى المجد والسؤدد كما وعدنا ربها ونبيها، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [التوبة، ٣٣]، وفي الحديث (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر).

والحفاظ على المكتسبات لا يتحقق إلا إذا

تجنب الشباب تكرار أخطاء الماضي، والتي عطلت مسيرة النهضة سنين عديدة، والداعي لهذه الرسالة هو تكرار فئات من الشباب نفس الأخطاء السابقة التي وقعت في مسيرة الدعوة والصحة الإسلامية دون اعتبار واتعاظ، وهو بحد ذاته مخالفة شرعية لتحذير النبي ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».

واليوم يجب على الشباب - إضافة لتعلم

العلم الشرعي الصحيح - دراسة تجارب العمل الإسلامي الماضية والاستفادة من دروسها، وإذا كان أعداؤنا يعتمدون على تراث كبير من الدراسات الاستشراقية مكنتهم من فهمنا ومعرفة مكانهم وضعفنا فتسللوا منها، ولا يزالون يهتمون

رسالة إلى شباب أهل السنة: تجنبوا تكرار أخطاء الماضي

تعيش الأمة في هذه المرحلة أوقاتا عصيبة من جهة ما تتعرض له من فتن وابتلاءات ومصائب من أعدائها في الداخل والخارج، فاليهود ماضون في عدوانهم للاستيلاء على المسجد الأقصى وإزالته بالكلية وحرمان المسلمين منه، وأمريكا وروسيا تحتلان الكثير من بلاد الإسلام، وإن كان الروس أكثر وحشية وهمجية وولغا في الدماء والأعراض، والبوذيون يشنون حروب إبادة بحق المسلمين في بورما والهند وسريلانكا، وفي الصين المسلمون يسامون الضيم، وإيران والشيعة من كل حذب وصوب يتقاطرون لحرب أهل السنة في سوريا والعراق، الذين يرفضون الغزو الإيراني والشيوعي، وفي أفريقيا عصابات النصاري تفتك بالأبرياء في أفريقيا الوسطي، ودول الربيع العربي تتعرض لموجة ممتدة من الثورات المضادة نشرت الفساد والقتل والفوضى.

وعلى الجهة المقابلة هناك منح ربانية وعطايا

إلهية لهذه الأمة، تتمثل في إقبال المسلمين على دينهم وانتشار شعائر ومظاهر الإسلام، وكثرة الدعوة والمؤسسات الإسلامية، وانتشار روح الجهاد ضد العدوان على المسلمين، والإقبال على تعلم الدين، وتزايد أعداد الداخلين في الإسلام من كل الأديان والملل.

بدراسة واقفنا حتى تستمر سيطرتهم على بلادنا ومقدراتنا، فإن من تضييع الأمانة والتفريط في إعداد القوة الزهد في معرفة تاريخنا الإصلاحي والدعوي والسياسي والجهادي، مما يضيف لنا خبرات وحلول ويكون لنا ملكة اجتهادية سليمة لهذه النوازل.

ولعل من أكبر الأخطاء الواقعة في البعد عن

دراسة التجارب السابقة، سيطرة مقولة خاطئة على تفكير كثير من الشباب وهي «الإخوان الجماعة الأم»، مما طمس تجارب أقدم وأنضج وأكبر، كان الأستاذ حسن البنا نفسه من ثمراتها، وأي دارس للمجلات القديمة في مصر والشام والعراق والجزائر وغيرها، كالفتح والمنار والبصائر والمقتبس، سيجد كنوزا من التنظير السياسي والجهادي والدعوي ومئات التجارب الناضجة للعمل الإسلامي، التي لو اطلع عليها الشباب اليوم، لوَفَّروا على أنفسهم وأمتهم دماء وأنفسا عزيزة وأوقاتا وجهودا عظيمة، ولاختصروا المراحل، بدلا من الطريقة الفاشلة في التعلم من خلال التجربة وتعلم الصواب والخطأ منها، والتي فوق تضييعها للجهود والوقوع في كوارث، لا يستفيد منها إلا من جربها، وهكذا تبقى الجهود الفاشلة تتكرر دون استفادة من السابقين، بسبب المنهج السقيم في التعلم من التجربة الذاتية فحسب، وهو عين ما حذر النبي ﷺ منه «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».

ومن أمثلة تكرار التجارب الخاطئة التي

تلوح في الأفق:

١- الاغترار والانخداع بحزب البعث العراقي، حيث أصبح بعض الشباب يمجّد رموز البعث السابقين! فبرغم تطور البعث العراقي نوعا ما وفقدانه لشخصية ديكتاتورية، إلا أنه حزب علماني لا يهتم لتطبيق الشريعة، والدين الذي يفضلهُ هو الدين بالصبغة الصوفية.

نعم نتحالف ونتعاون معه في إسقاط نظام المالكي الطائفي، لكن لا بد أن نكون معه شركاء بنفس القدر من القوة والحضور، وإلا سيكون مصير ثورة سنة العراق كمصير الثورات ضد المستعمر في القرن الماضي، حيث قام بها الشعب المسلم، وقطف ثمرتها العلمانيون، وأبلغ مثال على ذلك الثورة الجزائرية ضد فرنسا، التي قدمت مليون شهيد، ثم حكم الاشتراكيون الذين وضعوا الشيخ البشير الإبراهيمي زعيم جمعية العلماء المسلمين في الجزائر والتي كانت مخزن الثورة في الإقامة الجبرية حتى مات!!

٢- بقاء بعض الشباب يجري خلف رايات (داعش) في كل بلد، وذلك انهيارا منه بالبطولة والشجاعة والتي تتناقلها مقاطع اليوتيوب فقط، ولا أثر لها على الواقع والأرض، وساهم في هذا تأخر كثير من العلماء والدعاة من التحذير من ضلال داعش، حتى استفحل شره وزاد أذاه للناس.

وهذا التأخر في نقد داعش ناتج من رؤية خاطئة تجاه أخطاء وانحراف تنظيم القاعدة كأصل لداعش بكونه تنظيم يجابه أمريكا وبعض الأنظمة، فليس الآن وقت نقده! حتى زاد الغلو في التكفير عندهم والتساهل في قتل المسلمين، فلما وصل التكفير والقتل لبعض فصائل الثوار، استفاق هؤلاء العلماء والدعاة، ولكن كانت داعش قد تم اختراقها من قبل مخابرات سوريا وإيران بشكل مخيف، وكانت دعايتها خدعت آلاف الشباب.

وعليه يجب المسارعة بكشف حقيقة ضلال داعش في سوريا والعراق على الصعيدين الفكري والمنهجي، وعلى صعيد الواقع الخياني للثورتين السورية والعراقية.

٣- في دول الربيع العربي هناك حالة غريبة من تكرار تجارب فاشلة على غرار تحالف الإخوان المسلمين مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٢، والتي قامت على الشراكة بين الطرفين، وانتهت بزج

الإخوان في السجون، كما هو الحال اليوم في مصر!

وقد كان بالإمكان تجاوز الوصول لمرحلة الانقلاب الكامل والإقصاء، لو تم الاستفادة من تجربة أربكان -أردغان لعلاج هذا الواقع الانقلابي، فهل لو صعد أربكان رفضه للإقصاء سنة ١٩٩٧، هل كان يمكن لأردغان المشاركة في الانتخابات والفوز فيها وتغيير أحوال البلاد؟

٤- استمرار رفض بعض الشباب للمشاركة السياسية، برغم أن تاريخ مشاركة الإسلاميين والسلفيين لها قديم، فرشيد رضا كان يرأس البرلمان السوري سنة ١٩١٨، وفي السودان كان لمقرين من جماعة أنصار السنة المحمدية مشاركة في مجلس السيادة على السودان سنة ١٩٦٥، وفي عام ١٩٧٥ كان الشيخ إحسان إلهي ظهير عضواً بالبرلمان الباكستاني ممثلاً لجماعة أهل الحديث، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق منذ منتصف الثمانينات وهو يؤصل للمشاركة السياسية.

واليوم تجد من الشباب من لا يزالون في المربع الأول وهو رفض المشاركة، وبعضهم يشارك بانتخاب أحسن الموجود، ولا يقدم هو المرشح الجيد، وبعضهم كسر الحواجز وشارك على عجلة فوقع في أخطاء وزلات.

والواجب المشاركة السياسية مع التعلم من تجارب السابقين وعدم التعجل حتى نتجنب الزلل بالإفراط أو التفريط.

٥- التغافل عمداً عن تصحيح أخطائنا وقصورنا، بحجة أننا في معركة مع الخصم، والعجيب وحتى عندما لا توجد معركة لا يتم ذلك أيضاً!!

للأسف أن مما يعيق تمدد العمل الإسلامي اليوم في جزء كبير منه، هو تراكم المشاكل والأخطاء الذاتية في شرايين العمل الإسلامي نفسه، حتى أصبح حالة مصفرة أحياناً من حالة الترهل والفشل والفساد التي تعاني منها الأنظمة التي تنتقدها ونعارضها.

ومن ذلك تقديم الولاء على الكفاءة، وعدم تقديم حلول والاكتفاء بالنقد، العجز عن إيجاد نموذج لما ندعو إليه.

٦- عودة قطاع من الشباب للتعاون / التحالف مع إيران وحزب الله برغم جرائمهما المتواصلة في سوريا والعراق وغيرهما، بحجة البحث عن سند ودعم لقضية فلسطين! وقدر رأينا خيانتهم لفلسطين وكل قضايا الأمة.

ولا أدري كيف يرتجى من هؤلاء دعم، وهم يقتلون الفلسطينيين في العراق وسوريا ولبنان، والأخطر من هذا كيف نطلب عون الله عز وجل لفلسطين ونحن نخذل إخواننا الفلسطينيين -

هناك - والعراقيين والسوريين واللبنانيين !!

هذه أخطاء إذا تجنبها الشباب، فيرتجى أن يمن الله عز وجل علينا برحمته ونعمته فنرى تقدماً وازدهاراً ونصراً قريباً بإذن الله.

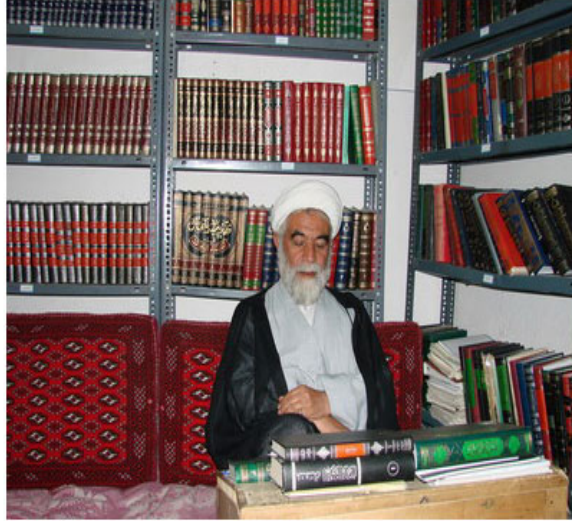
مؤلفاته وأبحاثه.

الأهداف

وتتنوع أهداف المؤسسة وفقاً للمنشور على موقعها الإلكتروني بين إعداد المحققين وتنمية قدراتهم، وتخريج العلماء القادرين على محاكاة عصرهم والإجابة عن متطلباته، إضافة إلى تزويد الساحة العلمية الحوزوية بشكل خاص والساحة الفكرية للمجتمع بشكل عام بالبحوث العلمية الأصيلة، واستيعاب المسائل المستحدثة والإجابة عن التساؤلات والشبهات المطروحة حول «المذهب الحق»، لكن الهدف الرابع يهدم ما سبق حيث يحدد نتائج البحوث بشكل مسبق إذ يدور حول إثبات أحقية المذهب الشيعي.

تلميذ الخوئي

وبالنسبة لمسلم الداوري المشرف على المؤسسة فقد ولد في أصفهان الإيرانية وتعلم على يد المرجع الشيعي أبي القاسم الخوئي في مدينة النجف العراقية وتخصص في تدريس المتون الحوزوية، وقام بتدريس بعض كتب اللغة العربية وكتب الفقه والأصول والعقائد،



مؤسسة الرضا للبحث والتحقيق...

دجل بغطاء علمي

معترن بالله محمد(*) - خاص بالراصد

تأسست لأهداف بحثية يفترض فيها الموضوعية والحياد، لكن ورغم اقتران اسمها بـ«البحث والتحقيق العلمي» فإنها ليست سوى أداة إيرانية لنشر التشيع وقلب الحقائق بشكل يرسخ لما يسمى مظلومية الشيعة وحقوقهم التاريخية المزعومة.

كانت الانطلاقة

الأولى لمؤسسة الإمام الرضا في رجب ١٤٢٨ هـ - يوليو ٢٠٠٧ م في مدينة قم الإيرانية، ويترأسها منذ تأسيسها حتى اللحظة الشيخ

مسلم الداوري، والذي يعد العمود الفقري للمؤسسة، التي تعتمد في مجملها على

(*) كاتب مصري.

ثم انتقل إلى مدينة قم في إيران.

وجاء في سيرته الذاتية أنه «بدأ في (قم) بتدريس طلبه البحث الخارج فقهاً وأصولاً بدورة جديدة، فحضر أبحاثه جمع كثير من الطلبة من أصحاب الفضل والمعرفة، من الإيرانيين والباكستانيين والسعوديين والعراقيين واللبنانيين والسوريين والكويتيين والبحرينيين وغيرهم، وذلك لما امتاز به من الدقة العلمية وعمق النظر وسلامة الذوق الفقهي وبسعة اطلاعه على الأخبار والإحاطة بكلمات الفقهاء والمنهجية في البحث».

كذلك جاء في سيرة الرجل المنشورة على موقع المؤسسة: «وكان له دور الإشراف على سير تأليف وإخراج معجم رجال الحديث لزعيم الطائفة سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي أعلى الله في الخلد مقامه - ، فقد ترأس اللجنة التي تابعت إجراء التعديلات والتغييرات والإضافات في المعجم على ضوء ما استقرّ عليه نظر سماحة السيد الخوئي (قدس سره) في مبادئه الرجالية، الأمر الذي أدى إلى تطوير وتغيير وتنقيح وتكامل كتاب المعجم من حيث الشكل والمضمون».

أصول علم الرجال

وقد صدر عن المؤسسة عدد من الكتب الهامة المثيرة للجدل قام الداوري نفسه بتأليف وتحقيق الكثير منها، ومنها كتاب «أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق» الذي يقع في جزئين وهو تقرير لبحث مسلم الداوري، تأليف الشيخ محمد علي صالح المعلم.

وتتناول مباحث الكتاب محاولات لتصحيح كثير من روايات الحديث خاصة ما اشتملت عليه الكتب الأربعة لدى الشيعة، بحيث تحول الكتاب لدى الطالب الشيعي إلى

مرجع ومحور في البحث العلمي حول الحكم بصحة الرواية أو ضعفها، ووثيقة الراوي أو عدمها، وذلك بالطبع انطلاقاً من وجهة النظر الشيعية.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب في عيون القادة والمراجع الشيعة فقد أصبح منهجاً دراسياً في كثير من الحوزات.

ترسيخ التقية

ويعتبر كتاب «التقية في فقه أهل البيت» الواقع في ثلاثة أجزاء من أهم الكتب أيضاً التي صدرت عن المؤسسة، وهو بحث فقهي استدلالي لمسلم الداوري تأليف محمد علي صالح المعلم أيضاً.

ويتعرض الداوري في الكتاب لموارد التقية في أبواب الفقه الإمامي المختلفة، مع بيان ما يجوز وما لا يجوز فيه التقية، باعتماد ما ورد من هذه الموارد في روايات ينسبها الشيعة لأهل البيت عليهم السلام.

وكما هو معروف فإن التقية هي المرادف الأول للكذب لدى الشيعة، وتعني التظاهر بعكس الحقيقة وهي تبيح للشيعي خداع غيره، وبناء على هذه التقية ينكر الشيعي ظاهراً ما يعتقد باطناً.

ويحاول الكاتب في المقدمة إيجاد جذور للتقية عبر التاريخ وفي حياة الأنبياء والأولياء والمصلحين، كذلك يعرض لحوادث تاريخية محاولاً الاستدلال منها على وجود التقية قبل ظهور الإسلام، وفي زمان النبي ﷺ، وبعد وفاته، ثم تناول في مدخله المعنى اللغوي والاصطلاحي للتقية، والاستدلال على مشروعيتها، ليس هذا فحسب بل ووجوبها بالأدلة الأربعة.

ثم تناولت أجزاء من الكتاب التقية في أصول الدين كإظهار الكفر أو إنكار أحد

«الأمر الأول: في معنى اللعن: قال الزمخشري: لعنه أهله: طرده وأبعده، وهو لعين طريد، وقد لعن الله إبليس، طرده من الجنة، وأبعده من جوار الملائكة ولعنت الكلب والذئب، طردتهما».

وتابع: «والحاصل أن اللعن غير السب والشتم، فمعناهما مختلف، وقد يجتمعان في الكلام، وعليه فلا ينبغي الخلط بين اللعن الذي أمرنا به - كما سيأتي ذكره لاحقاً - وبين السب، ومن ذلك يظهر عدم صحة الاستدلال من رأس حرمة اللعن بالنهي عن السب، لأنهما موضوعان متغايران، ولكل منهما أحكام خاصة، فلا يقاس أحدهما بالآخر».

واستدرك قائلًا: «الثاني: في مشروعية اللعن: أما الإمامية فقد اتفقوا على مشروعية اللعن واستحبابه إذا وقع على وجهه وعلى مستحقه، بل قد يكون واجباً، وذلك فيما إذا كان مصداقاً للتبري من الظالمين، ومن أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ومن عمال الجور وعبداء الطاغوت، ويدل على ذلك الكتاب المجيد والسنة الغراء الصادرة عن النبي والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم والعقل».

ويمضي الكاتب مستشهداً بآيات قرآنية قال إنها تدل على أن «اللعن منهي قرآني تربوي، يدفع الإنسان إلى أن يقف بكل صلابة في مواجهة الباطل، مهما كان نوعه أو وصفه أو قدره، وأن يثبت على الحق ويدافع عنه بما يستطيع».

أصول الدين، والبراءة، وسب أحد الأنبياء أو أئمة الشيعة، ثم يأتي بعد ذلك التقية في فروع الدين، ثم التقية في كافة المباحث من بينها الحج والصوم والوضوء، والتقية في الوقت وفي الصلاة والزكاة والجهاد.

ويتناول الكتاب بعد ذلك التقية في مباحث أخرى كالتقية مع السلطان الجائر والنكاح والطلاق والغناء والميراث، ثم تعرض للموارد التي لا يجوز فيها التقية وهي ستة، التقية في الدم والتقية في ما يوجب الفساد في الدين والتقية في البراءة من أمير المؤمنين، والتقية في متعة الحج، والتقية في المسح على الخفين، والتقية في شرب النبيذ.

دعاء اللعنات

ومن الإصدارات الحديثة للمؤسسة كتاب «زيارة عاشوراء تحفة من السماء» بحوث مسلم الداوري، تأليف السيد عباس الحسيني، تحقيق مؤسسة الإمام الرضا للبحث والتحقيق العلمي.

ويتطرق لدعاء «زيارة عاشوراء» المعروف لدى الشيعة والذي يحوي الكثير من ألفاظ اللعن والسباب لمعاوية بن أبي سفيان وأبيه وابنه وبني أمية وغيرهم.

الكتاب يسعى لرد انتقادات الكثير من الشيعة أنفسهم الذين يرون أن الزيارة تشتمل على ما لا يمكن نسبته للأئمة من اللعن، إذ كيف يصدر ذلك منهم، مع أنهم حثوا شيعتهم على التخلص بالأخلاق الطيبة، والتأدب بالآداب الحسنة؟

وزعم الداوري في الكتاب أن هذه الشبهة التي تمسك بها البعض للتشكيك في صحة صدور هذا الدعاء المتداول لدى الشيعة، فاسدة وغير صحيحة، معتبراً أن هناك فارقاً كبيراً بين اللعن والسب، مضيفاً بالقول:

اندلعت الثورة السورية في أوائل عام ٢٠١١م، ليظهر الوجه الطائفي الحقيقي لحسن نصر الله، الذي وقف مع النظام السوري العلوي في مواجهة شعبه.

أولاً: حياته ونشأته

وُلد حسن عبد الكريم نصر الله، في بلدة البازورية، القريبة من مدينة صور، في الجنوب اللبناني، سنة ١٩٦٠م، وانتقل مع أسرته وهو صغير إلى العاصمة بيروت، حيث عمل والدّه في بيع الخضار والفاكهة، لكن بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في سنة ١٩٧٥، عادت أسرته إلى الجنوب، وتم تعيينه مسؤولاً لتنظيمياً لبلدة البازورية في حركة أمل، التي كان يقودها آنذاك الزعيم الشيعي موسى الصدر، والتي كانت قد بلغت أوجها في ذلك الحين.

وعندما بلغ حسن السادسة عشرة (أي في أواخر سنة ١٩٧٦) توجه إلى مدينة النجف في العراق للدراسة في حوزتها، وهناك تعرف على عباس الموسوي، زعيم حزب الله -

فيما بعد - ، ودرس على يديه، بتكليف من المرجع الشيعي العراقي الكبير محمد باقر الصدر، أحد المؤسسين والأب الروحي لحزب الدعوة الشيعي

الوجه الآخر

٨- حسن نصر الله

هينم الكسواني^(١) - خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبتست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرها إلى السنة وأهلها]

لم تحظَ شخصية عربية بمثل تلك الشعبية الجارفة في العقدين الماضيين كما حظي الأمين

العام لحزب الله الشيعي اللبناني، حسن نصر الله، الذي كان الناس ينتظرون خطاباته بفارغ الصبر، ويتسمّر ونحوها لسماع تهديداته لإسرائيل، وكانت صورُهُ ترفع في كل مكان، ويُهتف باسمه في كل مظاهرة من أجل فلسطين والقدس، وكان يُنظر إليه على أنه الرجل الغيور الذي يريد مصلحة أمتّه، والمقاوم المسلم المتفتح الذي يضع الطائفية وراء ظهره، إلى أن



العراقي، لمدة سنتين، ثم اضطر نصر الله لمغادرة العراق بعد حملة اعتقالات شنتها السلطات العراقية في أوساط المدرسين والطلاب في الحوزة إضافة إلى الناشطين الشيعة.

وعندما وصل حسن نصر الله إلى لبنان، كان أستاذه الموسوي قد أسس حوزة الإمام المنتظر في مدينة بعلبك

فالتحق نصر الله بها معلماً ومتعلماً، إضافة إلى ممارسته العمل السياسي ضمن صفوف حركة أمل، وبفضل قوة شخصيته وإخلاصه للحركة فإن ذلك الشاب الذي كان بالكاد قد بلغ العشرين من عمره استطاع الوصول إلى منصب مندوب الحركة في البقاع، وأن يكون عضواً في المكتب السياسي للحركة.

وفي سنة ١٩٨٢، انسحب حسن نصر الله، مع مجموعة من الأعضاء، من حركة أمل اعتراضاً على سياسات زعيمها - آنذاك - نبيه بري، وأسس هؤلاء الأعضاء في البداية «حركة أمل الإسلامية» التي لم تمكث طويلاً، لتتحول، مع بعض المجموعات الشيعية الأخرى، إلى «حزب الله»، وبهذا تحول نصر الله من فكر حزب الدعوة العراقي إلى فكر ولاية الفقيه الذي دعا له الخميني (كما سيأتي بيانه).

ومما يثير الاستغراب أن هذه المجموعة من الشيعة الأكثر اعتقاداً لفكر ولاية الفقيه، والتي انسحبت من حركة أمل لتؤسس حزب الله، عادت لتحالف مع الحركة، وأقام حسن نصر الله علاقة وثيقة مع زعيمها نبيه بري، ويشكل الحزب والحركة أبرز أطراف تكتل (٨ آذار) في وجهه تكتل (١٤ آذار) الذي يقوده تيار المستقبل، وكثيراً ما يصف نصر الله بري بالأخ الأكبر، وفي المقابل يبادل بري الغزل بالغزل، فيقول عن حسن نصر الله: «... السيد نصر الله هو بمثابة نفسي وما يصيبه يصيبني، ذلك أنه نشأ أصلاً في أمل،

وأشقاؤه ما زالوا في صفوف الحركة، وهناك الكثير مما يجمعني به على المستوى الشخصي والإنساني، ثم أن تجربة المقاومة صهرتنا في وعاء واحد، ونحن نلتقي سياسياً على قراءة مشتركة لكل القضايا المطروحة وإن تنوعت أساليبنا أحياناً».

ولعل الاستغراب يزول إذا علمنا أن العمل للطائفة وإعلاء شأنها يأتي في المقام الأول، ويفرض تحية الخلافات البينية، لمواجهة الخطر الأكبر، المتمثل بأهل السنة، وقد شاهدنا ذلك مرات عديدة في العراق، إذ رغم الخلافات الشديدة الموجودة بين الأحزاب الشيعية العراقية إلا أنها سرعان ما تجتمع في ائتلاف واحد، وتتحى خلافاتها جانباً، خشية سقوط الحكم في أيدي السنة، أو في أيدي شيعة من غير الموالين لإيران.

وكما كان عليه الحال في «أمل»، أصبح نصر الله مسؤولاً لمنطقة البقاع في الحزب، ثم انتقل إلى بيروت، وتولى فيها مسؤوليات عديدة، منها منصب المسؤول التنفيذي العام للحزب إلى جانب عضويته في شوري القرار، الذي يشكل أعلى هيئة قيادية في الحزب^(١).

وظل حزب الله يعمل بشكل سري، ويتكتم على هوية أعضائه القياديين حتى سنة ١٩٨٩، عندما عقد مؤتمره التنظيمي الأول، واختار صبحي الطفيلي ليكون أول أمين عام «رسمي» للحزب^(٢). في تلك الأثناء غادر نصر الله إلى مدينة قم في إيران لمدة عام، ويقول أنصاره في تفسير تلك الخطوة إنه غادر إلى قم لالتحاق بالحوزة العلمية وإكمال دراسته، لكنه عاد بعد عام واحد ليكمل

(١) الموقع الرسمي للحزب على شبكة الإنترنت (المقاومة الإسلامية - لبنان) على الرابط:

<http://www.mogawama.org/essaydetails.php?eid=4948&cid=130#U4-D2HK1bMg>

(٢) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٦٢.

مسؤولياته بناء لقرار الشورى وتحت إلهام المسؤولين وكوادر الحزب، وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية في لبنان آنذاك^(١).

«إلا أن آخرين يقولون إنه مرّ بفترة تحضير نسج أثناءها علاقات وثيقة مع إيران وسوريا ساهمت فيها شخصيته الجادة وتجربته الحزبية... فقد كان يرى أن علاقة إيرانية سورية متينة ستوفر لحزب الله أفضل الظروف للعمل»^(٢).

ويعود السبب الرئيس في احتضان إيران لنصر الله إلى انزعاجها من الطفيلي، وطريقة إدارته للحزب، إذ كان الطفيلي ينظر إلى المصالح اللبنانية في علاقته مع إيران، في الوقت الذي تريد إيران فيه أن ينفذ الحزب أجندتها أولاً وأخيراً، وبقي الطفيلي في منصبه إلى أن أزاحه الحزب في سنة ١٩٩١، واختار عباس الموسوي بدلاً منه. وفي شباط/فبراير ١٩٩٢، أصبح حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في أعقاب قيام إسرائيل باغتيال الموسوي، وهو في منصبه هذا لغاية اليوم^(٣).

ثانياً: تبعيته لإيران

لا يحتاج إثبات تبعية حسن نصر الله لإيران إلى كثير عناء، فهو يرأس حزباً يدين بالطاعة المطلقة لإيران وقائدها، باعتباره الولي الفقيه الذي يجب اتباعه في ظل استمرار غيبة المهدي المنتظر حسب المعتقد الشيعي.

فقد نصّ أول بيان صدر عن حزب الله في شباط/فبراير ١٩٨٥م، على التبعية لإيران ومرشد ثورتها، إذ جاء فيه: «... إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزيّة في العالم... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثل بالولي الفقيه

الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدّد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني - دام ظلّه - مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة...»^(٤).

وبين نصر الله أن هذه التبعية للولي الفقيه الإيراني هي تكليف من الله، وأنها تشمل الخطوط العريضة، وكذلك التفاصيل، كما في قوله: «في مسيرتنا الإلهية نحن قوم نؤدي تكليفنا الإلهي والشرعي، ويحدده لنا ولي الأمر في خطوطه الكبيرة والعريضة، وأحياناً في التفاصيل، ونحن علينا أن نؤدي هذا التكليف الإلهي الشرعي»^(٥).

ولا يجد نصر الله غضاضة في هذه التبعية، بل يفتخر بها باستمرار، ففي خطاب ألقاه أمام أنصاره في ٢٦/٥/٢٠٠٨م، هاجم نصر الله معارضييه الذين ينتقدون علاقته بإيران، وتبعيته لها، وقال: «... ويتصورون عندما يقولون عنا حزب ولاية الفقيه أنهم يهينوننا... أبدأ أنا اليوم أعلن وليس جديداً، أنا أفتخر أن أكون فرداً في حزب ولاية الفقيه: الفقيه العادل، الفقيه العالم، الفقيه الحكيم، الفقيه الشجاع، الفقيه الصادق، الفقيه المخلص»^(٦).

ومن مظاهر تبعية حسن نصر الله لإيران وزعيمها أنه يتولى منصب الوكيل الشرعي لمرشد الثورة الإيرانية الحالي علي خامنئي في لبنان، أي نائبه وتابعه فيها ومنفذ أوامره، إضافة إلى المهام الأخرى المتمثلة باستلام أموال الخمس من مقلدي المرجع وتسليمها إليه، والإجابة على أسئلتهم الفقهية، وكذلك يشكل الوكيل حلقة الوصل بين المرجع ومقلديه، وقد نُشرت عدة صور لنصر الله يقبل فيها يد المرشد خامنئي.

ويرى باحثون أن تولي حسن نصر الله قيادة

(٤) علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر: رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إسرائيل وإيران، شبكة الراصد الإلكترونية، ص ١٩.

(٥) علي باكير، مصدر سابق، ص ٢٥، نقلاً عن "خطاب عاشوراء" لنصر الله.

(٦) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٧٣.

(١) الموقع الرسمي للحزب على شبكة الإنترنت.

(٢) الجزيرة نت، على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/news/pages/3dd4e412-2231-4b05-a564-7e27255255f8>

(٣) التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٦٢ - ٦٣.

حزب الله في سنة ١٩٩٢م، شكل ولادة ثانية للحزب، إذ قام نصر الله بربطه بإيران إلى أبعد الحدود، وأصبحت إيران حاضرة في كل صغيرة وكبيرة في شؤون الحزب^(١).

ثالثاً: موقفه من فلسطين

شكلت القضية الفلسطينية رافعا لكل من يريد أن يروج بين الناس، فرداً كان أو جماعة أو دولة، وفي ذاكرة العرب والمسلمين الكثير من الأمثلة لزعماء وقادة استغلوا قضية فلسطين، وجعلوها مطية لتحقيق مصالحهم الخاصة.

ولا يبدو أن حسن نصر الله بعيد عن هؤلاء، فقد أجرى رجل الدين الشيعي ميرتاج الديني حواراً مع نصر الله باللغة الفارسية لنشرة «بنجره»، وقد احتوت المقابلة على حقائق خطيرة تبين نظرة نصر الله (وحزب الله) نحو القضية الفلسطينية، فقد ذكر نصر الله بأن بعض علماء الشيعة يعارضون سياساته تجاه فلسطين - البلد السني - لكنه أكد لهم بأن فلسطين للإمام المهدي (١) وأنها رفعت شأن الشيعة على أكتاف القضية الفلسطينية ومن خلالها استطعنا أن نقنع العالم بأننا طائفة من المسلمين وبهذا تشيع كثير من الناس!

وأضاف نصر الله بكل فخر واعتزاز: «نحن استطعنا أن ندخل بيوت أهل السنة على أكتاف القضية الفلسطينية ونحمل لهم الصحيفة السجادية، والإمام الحسين (ع)، وأهل البيت (ع)، والإمام الخميني وآية الله الخامنئي! ومن هنا أصبحوا يقتربون إلينا ويعتبروننا إخوة لهم!..

وتحدث نصر الله عن معارضة بعض علماء الشيعة لسياساته نتيجة جهلهم بأهدافه، وقال بأن أحد علماء الشيعة في لبنان كان يعارضه بشدة ويؤنبه على تسميته لأحمد ياسين بـ«الشهيد»! فرأى في المنام الإمام المهدي وقد غضب عليه وقال له بأننا

(١) المصدر السابق، ٧٣.

نرضى بأسلوب «حسن نصر الله»، (أي: الإمام المهدي يرضى بالنفاق والدجل باسم التقية في الدين)! فجاءني الرجل يعتذر، فقلت له: انظر إلى النتائج، فقد استطعنا أن نسيطر عسكرياً على عاصمة لبنان مع كل الأموال الطائلة التي توظفها السعودية هنا»^(٢)!

ومن المؤسف أن نصر الله الذي يرفع شعار فلسطين، لم نسمع منه إدانة صريحة لما تعرض له الفلسطينيون من قتل وتكيد وتشريد في أكثر من مكان، لا لشيء إلا لأن المجرم في بعض الحالات هو شيعي من نفس مذهبه، بل وأحياناً يدين بولاية الفقيه الإيراني مثله تماماً. حدث ذلك في العراق على يد الميليشيات الشيعية المرتبطة في إيران، وفي مخيم اليرموك في دمشق، الذي قام النظام السوري العلوي بدكّه، وتهجير أهله من الفلسطينيين، تماماً كما هجرتهم إسرائيل من ديارهم من قبل.

وفيما يتعلق بالعراق، فإن سكوت حسن نصر الله لم يقتصر على المذابح التي تعرض لها الفلسطينيون هناك، إنما على احتلال العراق بحد ذاته على يد الأميركيين، والسبب في ذلك معروف، وهو أن الاحتلال تم بمساعدة القوى الشيعية، ومن ورائها إيران، التي صرّح أكثر من مسؤول فيها بأنه «لولا إيران لما سقطت العراق وأفغانستان».

رابعاً: موقفه من الثورة السورية

شكلت الثورة السورية التي اندلعت على حكم آل الأسد في آذار/ مارس ٢٠١١ القشة التي قصمت ظهر البعير، فحسن نصر الله الذي طالما ارتبطت صورته عند المسلمين بالمقاومة والعمل على تحرير لبنان (بل وفلسطين) والوقوف إلى جانب الشعوب

(٢) مصطفى محمدي، الوجه الإيراني لحسن نصر الله، الراصد نت، العدد ٧٧، على الرابط: http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4227 وانظر النص الأصلي للمقابلة باللغة الفارسية على الرابط: <http://www.sunni-news.com/?p=7765>

المسلمة، يظهر وجهها الطائفي بأوضح ما يكون خلال الثورة السورية، حيث اصطف نصر الله مع الحكم السوري العلوي في مواجهة الشعب السوري الثائر، الذي صمّم - كغيره من الشعوب العربية - على اختيار طريق الحرية والكرامة.

فبعد أن أنكر في البداية أي دور لحزبه في قمع الثورة السورية، عاد واعترف بعد تزايد الأدلة على تدخله في الأزمة السورية، على أن قواته تقاتل جنباً إلى جنب مع قوات النظام لقمع الثورة، وبرّر نصر الله تدخله في الأزمة السورية بتبرير طائفي، هو الدفاع عن مقام السيدة زينب بالقرب من دمشق، والذي يقده الشيعة. ثم توالى تصريحات نصر الله التي يؤكد فيها التزامه بالقتال إلى جانب الأسد ونظامه في مناطق عديدة من سوريا.

ونقلت وكالة الأنباء اللبنانية الرسمية بتاريخ ٢٩/٣/٢٠١٤، على لسان نصر الله قوله: «أول دخول لعناصر من الحزب، كان لحماية مقام السيدة زينب لأهميته عند كل المسلمين، ولأن أي تعرض له سيؤدي إلى فتنة بين المسلمين.. بعد مشاركتنا في حماية مقام السيدة زينب، تدرجت الأمور ودخلنا القصير وغيرها بعد دخول آلاف المسلحين إليها، لأن الموضوع صار الهوية السياسية للمنطقة».

خامساً: علاقته مع مخالفيه

بفعل القوة العسكرية التي يمتلكها حزب الله في لبنان، بل امتلاكه السلاح وحده دون بقية التنظيمات السياسية، إضافة إلى المال الذي تغدقه عليه إيران، فرض الحزب سياسة الأمر الواقع على لبنان، وأصبح لا يتورع من استخدام السلاح ضد معارضيه خلافاً لادعاءاته من أن سلاحه هو للمقاومة فقط، وحماية لبنان من الاعتداءات الإسرائيلية.

وكلنا يتذكر - على سبيل المثال - ما قام به الحزب في ٧ أيار/ مايو ٢٠٠٨، عندما اجتاح بيروت، ووجّه سلاحه إلى معارضيه من اللبنانيين،

واستمرت الاشتباكات أياماً عدة، وتوسعت إلى مناطق أخرى في جبل لبنان والشمال مودية بحياة أكثر من ٦٥ شخصاً. وفي تلك الأحداث اعتدت قوات حزب الله على المؤسسات التابعة لمعارضيه، فأحرقت قناة المستقبل الفضائية وصحيفة المستقبل التابعتين لخصمه (السنّي) سعد الحريري، زعيم تيار المستقبل.

وفي الذكرى الأولى للاجتياح، ظهر حسن نصر الله مفتخراً بما صنعه الحزب في بيروت، واعتبره بأنه «يوم مجيد» من أيام المقاومة في لبنان، معتبراً أن عدوان الحزب على بيروت واللبنانيين أخرج لبنان من أزمتة السياسية، وسهلّ انتخاب رئيس جديد للبلاد، وتشكيل حكومة وحدة وطنية^(١).

سادساً: نظريته إلى الصحابة

تصدر من حسن نصر الله - كعادة الشيعة - إساءات لبعض الصحابة، خاصة خلال خطابات تهفي ذكرى عاشوراء، الذي أصبحت عند الشيعة مناسبة للشحن الطائفي، والإساءة للصحابة، فقد اتهم في إحداها أبا سفيان بالنفاق، وبأن مشروعه كان يتمثل بالقضاء على دين محمد ﷺ، كما طالت إساءاته ابنه معاوية رضي الله عنه.

وظل حسن نصر الله يصمت على إساءات الشيعة الآخرين للصحابة وأمّهات المؤمنين، ومنهم الكويتي ياسر الحبيب، الذي جاوز كل الحدود في ذلك، إلى انتفض أهل السنة في وجه الحبيب والشيعة عندما تطاول على أم المؤمنين عائشة، وهنا يصدر المرشد خامنئي فتوى متأخرة يقول فيها إنه يحرم الإساءة إلى رموز أهل السنة، فيردها نصر الله من وراء مرشده.

(١) إسلام أونلاين، ١٦/٥/٢٠٠٩، وانظر أيضاً: التجمعات الشيعية في بلاد الشام، ص ٨٠.

السلطات المصرية زمن الدكتور مرسي بمحاصرة المطارات المصرية في حال تم تنفيذ الاتفاقية المصرية - الإيرانية التي بموجبها يتم فتح باب السياحة للإيرانيين في مصر وهو ما أسفر عن تراجع السلطات المصرية عن تطبيق هذه الاتفاقية ومن ثم تم إرجاء دخول هؤلاء السياح.

كما شملت أشكال هذا الاحتجاج إقامة العديد من الفاعليات والتظاهرات المناهضة للاتفاقية صاحبها حملة إعلامية استهدفت ترهيب الإخوان المسلمين من الاستمرار في نهج التقارب كونه لا يصب إلا في صالح الدولة الإيرانية التي تتبنى مشاريع خاصة تتعلق بإفساد عقيدة أهل السنة وعليه فقد رفضت هذه الحملات بل ولم تلتفت مطلقاً للذرائع والمبررات التي سيقّت في هذا الاتجاه والتي مفادها أن ذلك إنما يهدف إلى جذب السائحين الإيرانيين لتنشيط السياحة المصرية التي تعرضت للكثير منم التحديات والمعوقات منذ وقعت أحداث ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

في هذا الإطار فقد تصور الكثيرون وبعيدا عن تقييم موقف حزب النور - ذو المرجعية السلفية - سلبا أو إيجابا من أحداث ٣ يونيو ٢٠١٣م أن أي نظام سياسي مصري جديد سيأتي عقب نظام الدكتور مرسي سيعمل حتما وبشكل ملحوظ على إسترضاء التوجهات العامة لحزب النور أحد ممثلي التيار السلفي في مصر والذي كان وجوده ذو أهمية خاصة ليتمكن القائمون على ٣ يونيو من شرعنة مسلكتهم السياسي تصوروا أن أقل القليل الذي يجب أن يحصلوا عليه هو أن تتحقق لهم حالة الطمأنينة والتهدئة إزاء مخاوفهم

شعبة مصر والدولة الجديدة...

ماذا يجري على أرض النيل؟

أسامة الهتمي^(١) - خاص بالراصد

ثمة اتفاق بين جميع الفرقاء السياسيين في

مصر على أن التقارب السياسي النسبي الذي أحدثه الرئيس المصري المعزول الدكتور محمد مرسي فترة ولايته «يونيو ٢٠١٢ - يونيو ٢٠١٣م» مع الدولة الإيرانية كان أحد أهم الأسباب الرئيسية التي زادت من حالة الاحتقان الشعبي ضده ذلك أن هذا التقارب جاء بالمخالفة للتوجه العام للجماهير التي تتحفظ على الكثير من سلوك الدولة الإيرانية الشيعية في المنطقة فضلا عن اصطدام ذلك مع التخوفات والهواجس التي لم يفتأ يبيدها التيار السلفي - بمختلف مكوناته - والذي كان أحد أهم الفصائل التي دعمت وصول الدكتور مرسي للحكم وهو ما دفع الكثير من أبناءه إلى الاصطفاف مع الرافضين لاستمرار الدكتور مرسي من العلمانيين والليبراليين واليساريين والمطالبة بإزاحته خشية أن تستمر هذه السياسات التقريبية الأمر الذي يفضي في نهاية الأمر إلى تسهيل مهمة إيران وتحقيق هدفها المتمثل في تشيع المصريين.

ولقد وصل حد رفض أنصار التيار السلفي

في مصر لخطوات هذا التقارب إلى أن هدد بعضهم

(١) كاتب مصري.

المساجد والمقامات الأخرى مثل مقام «زين العابدين» و«أم كلثوم بنت القاسم» بمناطق الشافعي والسيدة عائشة والسيدة نفيسة والأماكن السياحية والأثرية في القاهرة».

عند هذا الحد ينتهي الخبر الذي تناقلته كما أشرنا العديد من وسائل الإعلام غير أن هذه الوسائل الإعلامية لم تجب على التساؤل الرئيس الذي يطرح نفسه لدى كل قارئ للخبر والذي يتركز حول ماهية السبب الذي يدفع السلطات المصرية للسماح لمثل هؤلاء الشيعة بدخول البلاد للقيام برحلات سياحية وسط تحذيرات شديدة من قبل المعنيين والمتخصصين من أن مثل هذه الرحلات يمكن أن يكون تهديدا حقيقيا للأمن المجتمعي المصري الذي مازال يعيش حالة من الفوضى الأمنية تسهل عملية اختراقه على مختلف المستويات؟ ثم إذا ما كانت الاحتجاجات والتظاهرات التي شهدتها الشارع المصري ضد اتفاقية السماح للإيرانيين بالسياحة في مصر تستند بالأساس إلى كون أن هؤلاء السائحين ينتمون للمذهب الشيعي فلماذا تم تجاوز هذا السبب الرئيسي ويتم السماح للشيعة الهنود بدخول البلاد رغم أن المعلوم يقينا لدى الجميع أن ولاء أغلبية الشيعة في كل بلدان العالم إلى طهران؟

الحقيقة أن الأمر يحتاج إلى كثير من التفسير الذي لا يفي به ما حاول أن يسوقه وزير السياحة المصري هشام زعزوع والذي كان قد استبق هذا الحدث بالحديث في شهر مارس الماضي عن أن مصر وفي إطار محاولات دفع انحسار حركة السياحة الوافدة إليها من الدول الأوروبية تسعى للاتجاه إلى الشرق لجذب سائحي الهند.

وقال زعزوع عقب لقاء مع رئيس اتحاد شركات السياحة الهندية محمد إقبال ملا إن مصر تستهدف جذب مليون سائح هندي خلال ٣ سنوات فيما توقع المسؤول الهندي أن يبلغ حجم السياحة الخارجية لبلاده نحو ٥٠ مليون سائح للمقاصد المختلفة بحلول عام ٢٠٢٠.

وهنا يجدر بنا أن نؤكد أن مسألة فتح باب السياحة للهنود ليست محل نقاشنا بالمرّة لكن

من الانفتاح على الدولة الإيرانية الشيعية وهو الأمر الذي لم يحدث بكل أسف حيث أثبتت الأحداث اللاحقة أن التطورات وإن لم تمض على نفس النحو السابق زمن الرئيس الدكتور مرسي إلا أن النتيجة النهائية كانت تصب في نفس الاتجاه وربما بشكل أسوأ خاصة وأن المسألة أخذت بعدا آخرًا تمثل في أن العلاقات المصرية – الإيرانية أخذت في بعض الأوقات كورقة ضغط على القوى الغربية لإجبارها على دعم وتأييد ما يجري في مصر بل إن علاقة السلطات المصرية بالنشطاء الشيعة سارت مسارا مختلفا عما كانت عليه سواء زمن مرسي أو حتى زمن الرئيس المخلوع حسني مبارك فتصدر بعضهم المشهد السياسي وتم الترويج له باعتبار أن الشيعة المصريين الناقمين على مرسي كانوا أحد المكونات الفاعلة للتمهيد وصنع أحداث ٣ يونيو وهو ما دفعهم إلى الإغلاء من شأن مطالبهم السياسية لدرجة لم يكن يتخيلها المتابعون قبيل وقت قليل من أحداث ٣ يونيو.

ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى ثلاثة مظاهر ربما تكشف بجلاء عن حقيقة الموقف من المسألة الشيعية في ظل النظام المصري الجديد والتي يجب أن تؤخذ بعين الجدية من قبل المتابعين لهذه المسألة كونها تعطي إشارات ودلالات بالغة الخطورة.

ففي الثاني من شهر يونيو ٢٠١٤ م أعلنت مصادر مسئولة بمطار القاهرة عن أنه تم السماح بدخول نحو ٨٨ شيعياً هندياً من طائفة البهرة قدموا عن طريق الأردن لزيارة العتبات المقدسة بالنسبة للشيعة في مصر وأن هؤلاء الشيعة الهنود قد وصلوا على مجموعتين ضمت الأولى ٤٥ شخص فيما ضمت الثانية ٤٣ شخص وتم تجميعهما في موكب سياحي.

وأوضحت هذه المصادر – وفق ما نقلت العديد من الصحف المصرية – أن الفوج السياحي توجه إلى أحد فنادق منطقة الحسين بالقاهرة بإشراف شركة سياحة مصرية تنظم برنامجهم السياحي لزيارة العتبات المقدسة لدى الشيعة وهي «مساجد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة وبعض

الذي يثير الاهتمام هو أن المعني بالسياحة الهندية إلى مصر هم شيعة الهند الذين يستهدفون بالأساس زيارة المساجد التي تمارس فيها طقوس طائفة البهرة وهي الطائفة التي يعود أصلها - وفق المصادر العلمية - إلى الفاطميين الشيعة الذين كانوا في مصر إبان العصر الفاطمي حيث هاجر الكثيرون منهم بعد انتهاء العصر الفاطمي من بلد إلى آخر حتى انتهى بهم المقام إلى جنوب الهند.

أما الحدث الثاني وربما كان الأبرز خلال الأسابيع الماضية هو ما أثير حول القارئ المصري المعروف الدكتور أحمد نعينع والذي تم التعارف عليه في الأوساط المصرية على أنه كان القارئ الخاص لاحتفالات الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك وعليه فقد كان يتوقع الجميع أن يتم إقصاءه تماما من الاحتفالات العامة بعد ثورة يناير وهو ما لم يحدث حيث فُوجئ الجميع بأن الرئاسة المصرية الجديدة بقيادة المشير عبد الفتاح السيسي قد استعانت بالدكتور نعينع مجددا ليكون القارئ في احتفالات تنصيبه رئيسا.

وعلى الرغم من أن الاستعانة بنعينع المعروف بعلاقاته بالنظام المصري الأسبق كفيلا بالفعل بأن تثير موجة من الاستياء إلا أن ذلك لم يكن فقط هو الدافع لهذا الاستياء فقد كان هناك ما هو أشد وطأة ومثير للحيرة والتساؤل ذلك أن وزارة الأوقاف المصرية قد قررت التحقيق مع ٤ من مشاهير مقرئي القرآن الكريم بينهم الدكتور نعينع والشيخ طه محمد النعماني والشيخ محمد عبد الوهاب الطنطاوي والشيخ ياسر عبد الباسط عبد الصمد لسفرهم إلى إيران والعراق دون إذن من الوزارة وكذلك لرفعهم الأذان الشيعي.

وكشف مصدر مسؤول في الوزارة أن الشيخ محمد محمود الطنطاوي نقيب القراء قرر إثر اجتماعه مع وزير الأوقاف محمد مختار جمعة إحالة المقرئين الأربعة الذين سافروا إلى إيران والعراق دون تصريح إلى التحقيق مع إبلاغ الجهات الرسمية المعنية بذلك حفاظا على الأمن القومي المصري ووحدة النسيج المجتمعي.

وقد أسفر التحقيق عن فصل القراء الأربعة من نقابة القراء فيما أكدت النقابة أنها بصدد مخاطبة الإذاعة والتلفزيون بقرارها لاتخاذ موقف مع هؤلاء القراء ووقف الاستعانة بهم في الاحتفالات الرسمية والمناسبات الدينية وهو ما لم يحدث أيضا فكان ما كان بشأن نعينع وحفل التنصيب.

وبالطبع وأمام هذا الموقف المخجل اضطرت وزارة الأوقاف إلى أن تعلن أنها لا تستطيع منع القارئ أحمد نعينع من تلاوة القرآن في الاحتفالات الرسمية وغيرها فيما أكدت مصادر الوزارة لبعض الصحف المصرية أن إدارة المراسم برئاسة الجمهورية هي من تولت التنسيق مع القارئ دون التنسيق مع الوزارة.

لكن يبدو أن تصريحات الأوقاف ليست إلا محاولة لحفظ ماء وجهها إذ هي نفسها لم تستطع أن تتخذ موقفا واضحا أمام العديد من المظاهر الأخرى التي تسير في نفس الاتجاه فقد تناولت وسائل الإعلام وقبل نشر حادثة المقرئين المصريين صورا تكشف عن مشاركة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية السابق وهو يتوسط الشيعة في مسجد «فاضل» بمدينة ٦ أكتوبر خلال الاحتفال بالسنة الهجرية على أنغام الموسيقى داخل المسجد.

بل وفي نفس السياق فإن الوزارة ورغم إعلانها التحقيق مع المقرئين الأربعة لم تعلن عن موقفها بشأن نحو ٤٦ مقرئا وداعيا آخرين أكد علاء السعيد مؤسس «ائتلاف الدفاع عن آل البيت والصحب» أن الائتلاف يمتلك لهم تسجيلات تكشف عن قيامهم برفع الأذان الشيعي في دول خارج مصر وبالتحديد إيران والعراق.

وهنا يطرح سؤال جديد نفسه .. لماذا أصرت الرئاسة المصرية على اختيار الدكتور نعينع ليقرأ القرآن في حفل التنصيب رغم أن هناك العشرات بل المئات من القارئ الذين لم يتورطوا فيما تورط فيه نعينع وكان سببا لإحالاته للتحقيق وفصله من نقابة القراء؟

ويأتي الحدث الثالث تأكيدا جديدا على

المجلس العالمي عن عزم وجهاء شيعة مصر تكوين تجمع ديني سياسي سيعلن قريباً لعرضه على الدولة المصرية «الجديدة» لتعترف به وبحقوقهم في ممارسه الشعائر مشيراً إلى أن عدد الشيعة في مصر تخطى مليون شخص.

مشكلات المرأة المسلمة... مقارنة واقعية (١)

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

هل آن الأوان أن نتعرف على المشكلات التي تعانيها المرأة المسلمة بصورة واقعية وحقيقية كما تحسها وتستشعرها المرأة ذاتها أو كما يعبر عنها واقعها المتخم بالمشكلات التي لا يلتفت لها أحد إلا لماما.

ثمة مشكلتان كبيرتان تواجه الباحث في شئون المرأة المسلمة، تأتي المشكلة الأبرز من التيار النسوي بمدارسه المتعددة والذي يفرض المشكلات فرضا على المرأة المسلمة والأمثلة أكثر من أن تحصى كقضيتهن الكبرى تمكين المرأة وما يتفرع عنها من قضايا هامشية يتم فرضها كأولوية قصوى.

أما المشكلة الثانية فتأتي من الإسلاميين أنفسهم والذين يكتفون بتقديم الأطروحة كما جاء بها القرآن والسنة ويلتزمون الصمت تجاه الواقع وممارساته.

وهذه المقالة موجهة للإسلاميين فالحوار الموجه للتيار النسوي غير ذي جدوى لأن القوم لا يمتلكون رأيا خاصا بهم وإنما هم نقلة لما تجود به قريحة المفكرين الغربيين حتى أن بعض العبارات تنقل نصا وتترجم ترجمة حرفية.

الإسلاميون فقط هم من يمتلك مشروعا خاصا، له ملامحه الواضحة النابعة من الكتاب المعجز الخاتم ومن سنة النبي ﷺ التي كانت توضيحا وشرحا وتفصيلا لما جاء به القرآن.

(*) كاتبة مصرية.

مدى التوغل الإيراني في مصر وأن إيران لم تغب مطلقا عن المشهد السياسي في البلاد حيث التقى المشير السيسي وبعد تنصيبه رئيسا بعدد من قيادات وممثلي الشيعة في مصر من بينهم «إسلام الرضوى» المتحدث باسم «شباب الشيعة في مصر» و«الطاهر الهاشمي» رئيس منظمة اتحاد «آل البيت» و«أحمد النفيس» الكاتب الشيوعي المعروف وعدد من أذرع التشيع في مصر.

كما تأتي دعوة الرئيس المصري المعين عدلي منصور للرئيس الإيراني حسن روحاني لحضور حفل تنصيب السيسي رئيساً لمصر في حين تم استبعاد بلدان سنية تأكيد على إشارة قوية على أن واقع العلاقة المصرية - الإيرانية ليس كما يبدو في الظاهر وأن هناك الكثير والكثير في كواليس هذه العلاقة لا يكشفه مجرد قول بعض المحللين بأنه عندما بنى الطرف التركي عداءً مع مصر بعد ٣ يوليو توجهت مصر توجهاً نسبياً حثيثاً نحو اللاعب الإيراني كبديل للاعب التركي في المعادلة الاقليمية لمواجهة النفوذ «الإسرائيلي» المتنامي في المنطقة بعد عام ٤٨ فمثل ذلك كان يمكن قبوله لو أن توترات شهادته العلاقة المصرية - «الإسرائيلية» وهو ما لم يحدث حتى الآن بل كان العكس هو الحادث.

وبالطبع فقد كان لمثل هذه السياسات انعكاس على أرض الواقع حيث تجاوز سقف طموح الهيئات الشيعية المصرية بعد ٣ يونيو عما قبلها فأصبحت تطالب بالتعيين في البرلمان وإنشاء أحزاب سياسية على خلفية شيعية ورفع الحظر عن السياحة الدينية الشيعية للعبات المقدسة في مصر بل إن أحدهم ويدعى بهاء أنور محمد والذي يقدم نفسه كمتحدث رسمي باسم الشيعة المصريين يهدد بالتصعيد الدولي كإجراء إذا لم يستجب السيسي لمطالبهم وأهمها الحماية من الاعتداء عليهم وأنه يعتزم تقديم مجموعة من التقارير الى المنظمات الدولية متضمنة التصريحات الصحافية والإعلامية في وسائل الإعلام المختلفة والتي تثبت التحريض المستمر ضد الشيعة في مصر فيما كشف الطاهر الهاشمي نقيب الأشراف بمحافظة البحيرة وعضو

لكن الذي ينقصهم حقيقةً هو تنزيل الفكر على الواقع المعاش بتعقيداته ومشكلاته وتداخل معطياته، والخطوة الأولى حتى يستطيع المشروع الإسلامي تحقيق أهدافه هي التعرف على المشكلات الحقيقية الواقعية للمرأة المسلمة في اللحظة الراهنة وهو موضوع هذه الدراسة:

لاشك أن المرأة المسلمة في بلدان العالم الإسلامي المختلفة لديها مشكلات فمشكلات المرأة المسلمة في بلدان الخليج تختلف نوعاً ما عن مشكلات المرأة المصرية التي ولا شك تختلف عن مشكلات المرأة المسلمة في بلاد المغرب والتي قد تختلف جذرياً عن مشكلات المرأة المسلمة في أفغانستان وجميعها تختلف عن مشكلات المرأة المسلمة في بلاد المهجر وسيكون من التبسيط المخل وضع قائمة واحدة ونقول هذه أهم المشكلات الحقيقية للمرأة المسلمة ولكننا سنجتهد لوضع ملامح أساسية للمشكلات التي تعانيها وتشترك فيها المرأة المسلمة عامة أو في معظم المجتمعات.

التعليم والوعي

ليس من المبالغة في شيء أن نقول إن أبرز مشكلات المرأة المسلمة هي مشكلتها مع التعليم فأمة (اقرأ) كلها تعاني مشكلة كبيرة جداً اسمها التعليم، وأزمة المرأة فيه أكبر وأضخم، فعلى الرغم من الأحاديث المستفيضة التي تحت المسلم على العلم والتي يدخل فيها النساء لأنه ليس هناك قرينة تخصص الخطاب للذكور وعلى الرغم من مدح النبي ﷺ للشفاء لأنها علّمت أم المؤمنين حفصة الكتاب، على الرغم من ذلك ضحى المسلمون طويلاً بتعليم المرأة^(١)، وعلى الرغم من أن الأغلبية من النساء الشابات الآن قد تجاوزن مرحلة الأمية الأبجدية بل حصلن على شهادات، وعلى الرغم من أجيالاً كثيرة من النساء قد تجاوزن مرحلة الأمية الأبجدية بل إن الكثيرات جداً قد وصلن لمرحلة

(١) لمزيد من التفصيل يرجى الاطلاع على المقال التالي لكاتبة هذه السطور:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6614

التعليم الجامعي إلا أن مستوى الوعي لم يتقدم كثيراً .

التعليم الذي يصقل العقل ويجعل من الإنسان إنساناً تحرم منه ملايين النساء ففي المنطقة العربية تصل نسبة الأمية إلى حوالي ٥٠ ٪ في أوساط النساء، وتصل في بعض البلدان إلى ٦٥ ٪ فإذا نظرنا لنوعية التعليم نفسه الذي تتلقاه النساء سنجد أنه ذو نوعية رديئة على أكثر من مستوى:

- فالتعليم الذي يتلقاه الجنسان في الأغلبية الساحقة من بلداننا يوصف بأنه متخلف من حيث المناهج والمعامل والتقنيات وتدريب المعلمين وتعليم لا ينفق عليه من ميزانية الدول إلا الفئات ومن ثم لم نستطع تجاوز الفجوة بيننا وبين الدول الغربية أو تقريبها إن لم يكن العكس فهي في اتساع دائم.

- منهج التربية الإسلامية ضحل للغاية ولا يحقق الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية، وبالنسبة للفتاة المسلمة لا يتضمن المنهج المعلومات الأساسية المتعلقة بأحكام الطهارة والصلاة وما يتعلق بفقه المرأة المسلمة.

- مضمون العلوم الاجتماعية مرتبط بالرؤية الغربية ولا يقدم رؤية خاصة ولا يمنح الطلاب القدرة على تنمية الحاسة النقدية ولا يرفع من مستوى الوعي لديهم.

- التعليم الذي تتلقاه الفتاة في بلداننا لا يتضمن أي قدر من توجيه الفتاة للقيام بدورها الطبيعي والفطري كزوجة وأم فحتى رواد تحرير المرأة من آباء المدرسة النسوية كقاسم أمين أفردوا جزءاً من كتاباتهم عن الفوائد التي تعود على الأسرة التي تتلقى الأم فيها التعليم وخص بالذكر تعلم مبادئ الصحة والتغذية وأصول تربية الطفل.

أما عندما تم التوجه للتوسع في تعليم الفتيات ضرب بهذا الكلام عرض الحائط وتم الاكتفاء بحصة هزيلة اختيارية اسمها الاقتصاد المنزلي لا تدخل في مجموع الدرجات ولا تؤهل الفتاة أن تكون زوجة وأماً وربة منزل.

الفتاة المسلمة بجانب دراستها للعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية بحاجة ماسة لمقرر دراسي يشبع

جانب الطالبة الأنثى ولا يجعلها تستشعر الحرج والتناقض بين طبيعتها العاطفية والعقلية وهذا ما يجعلها تعيش حياة نفسية متوترة دون أن يشعر بها أحد ولا تجرؤ على البوح بما تعانيه وسأضرب أمثلة للتوضيح:

- الفتاة المسلمة تصل لمرحلة البلوغ وهي لم تتعلم من خلال درس الدين أو حتى الأحياء ما هذا البلوغ، بل ويمنع الخجل الكثير من الأمهات من التحدث مع بناتهن بهذا الشأن قبل الوصول له بفترة كافية.

- الفتاة المسلمة تصل لمرحلة البلوغ وتؤثر هرموناتها الجديدة على حالتها النفسية والجسدية دون أن تجد من يعلمها شيئاً عن هذه المشاعر، فتتخبط بعض الفتيات في علاقات عاطفية مع الشباب، وتتخبط أخريات في أحلام يقظة عاطفية، وتتورط أخريات في علاقات مشبوهة، وتصمد أغلبية الفتيات مع ممارسة حالة من الضغط الشديد على النفس، ولا تجرؤ الأغلبية الساحقة من الفتيات على البوح بما يختلج في أنفسهن، ويرفضن في العلن فكرة الزواج لأنهن لا زلن صغيرات وهذا ما يريد المجتمع أن يسمعه منهن.

ولا يتم تقديم أي حل توافقي بين الزواج والدراسة بينما تعيش الفتاة الغربية حياتها الجنسية والعاطفية بحرية ودون تعارض مع استكمال تعليمها لأقصى حد وهذا يقودنا للمشكلة الثانية التي تعيشها المرأة المسلمة ألا وهي تأخر سن الزواج، تلك الظاهرة التي ارتبطت بحصول المرأة على قدر من التعليم العالي.

تأخر سن الزواج

وهذه هي أكبر مشكلة حياتية تعيشها النساء ولا تدرك قسوتها إلا من مرت بها فالزواج بالنسبة للمرأة ليس مجرد جزء من الحياة كما يتم الترويج لذلك إنما هو عصب الحياة الأساسي بالنسبة لها ومن لا تدرك ذلك من النسويات فهو لمرض أصاب فطرتها. ولو تحدثنا بلهجة علمية فإن من يجيب عن هذا السؤال هو النساء أنفسهن ممن حرمن من نعمة الزواج فقط. كل المطلوب أن تكون الإجابة صادقة وبعيدا عن بعض الحيل النفسية التي يلجأ لها

البعض للتخفيف من وقع المشكلة النفسية. علينا في هذا الصدد أن نوضح أن ثمة فارقا كبيرا وشاسعا بين النساء اللاتي تأخرن في الزواج بالنسبة لنظرتهم للزواج وبين النساء المتزوجات اللاتي يعانين من مشاكل في حياتهن الزوجية ورأيهن في الزواج ولا بد من وضع هذا المتغير في الاعتبار ونحن نتحدث عن أهمية قضية الزواج بالنسبة للمرأة.

الزواج بالنسبة للمرأة يشمل عدة موضوعات بالغة الأهمية:

- الإشباع العاطفي فالمرأة ومنذ نعومة أظافرها تتطلع لرجل يشبع مشاعرها النفسية والعاطفية.

- الإشباع الجنسي الذي هو غريزة أساسية في البشر وذلك بطريقة شرعية، ومن الجدير بالذكر أن هناك علاقة جدلية وثيقة بين الإشباع العاطفي والإشباع الجنسي.

- إشباع الجانب الاجتماعي المتمثل في تكوين أسرة.

- إشباع أقوى غريزة تمتلكها الأنثى ألا وهي غريزة الأمومة.

وتأخر الزواج يؤجل هذه الحاجات الفطرية الأساسية مما ينجم عنه صراع داخلي يزداد كلما كانت الحاجة أقوى للإشباع ويزداد كلما طالت مدة الانتظار والتأخير.

النسويات العربيات لا يحفلن مطلقا بهذه المشاعر الأساسية لدى النساء ويضغطن لمزيد من تأخير سن الزواج بدعوى المزيد من النضج الجسدي والنفسي ومن أجل إتمام مراحل أعلى من التعليم، ولاقت دعوتهم هذه الكثير من القبول المجتمعي وصيغت في قوالب درامية شيقة حتى تصل لأكبر قاعدة جماهيرية ممكنة.

صيغت هذه الدعوى بمشاعر مزيفة تزعم الشفقة على المرأة ومستقبلها، لذلك تمت الإطاحة بمشاعرها الفطرية الأساسية، ويا لها من دعوى قلبت الأمور رأسا على عقب، فمن يسعى لإشباع حاجات المرأة الحقيقية ظلامي يعادي النساء ومن يضغط عليها ويلجئها للكبت والإنكار مدافع

رحيم بالنساء.

أما المجتمع الأوروبي والغربي بوجه عام، فهناك استثناءات بسيطة، فيرفض فلسفة الكبت ويمنح المراهق والمراهقة الحق في إقامة العلاقة الجنسية ويوفر لهما وسائل الصحة الإنجابية ووسائل منع الحمل المتنوعة وهي الفكرة الحقيقية التي لم تستطع النسويات حتى الآن أن يكشفن عنها رغم تضمينها لأدبياتهن المشهورة فاستبدلنها بالتسامي والاستعلاء الذي تئن تحت وطأته ملايين النساء (في مصر وحدها أكثر من ٨ ملايين فتاة متأخرة في الزواج).

إن الزواج المبكر قيمة كبيرة جاء بها الإسلام ليسود العفاف المجتمع الإسلامي وهو السبيل الوحيد لإشباع الغريزة في الإسلام.

الزواج المبكر حث عليه الإسلام للذكور والإناث جميعاً فخاطب الذكور قائلًا: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) ^(١)، وتحدث لأولياء الفتاة ألا ييخلو عليها حتى تتزوج سريعاً (لو كان أسامة جارية لحلبتها ولكسوتها حتى أنفقاها) ^(٢).

بين الزواج والتعليم

هل ثمة تعارض بين أهم مشكلتين تعاني منهما المرأة المسلمة: التعليم الذي يؤهلها كإنسان كرمه رب العالمين وأسجد له الملائكة وميزه بالعلم، والزواج الذي تهفو له قلوب الفتيات وتقر به أعينهن وتزين به نفوسهن ومشاعرهن.

لقد أصبح التعليم الحديث معقداً لدرجة أنه بحاجة لعدد طويل من السنوات وعدد طويل من ساعات الدراسة خاصة بالنسبة للعلوم ذات الطابع العملي، ونحن كإسلاميين لا يمكننا البتة أن نقف بالطموح العلمي للفتاة المسلمة عند حد معين ونقول لها: اكتفي بهذا القدر وإلا عدنا القهقري لعصور الانحطاط الحضاري ولو بصورة تدريجية ولا يمكننا أن نقول إن على الفتاة الاكتفاء بدراسة

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني.

مبادئ العلوم ثم لا شيء بعد ذلك فنحن الآن في عصر العلم وعلى كل فرد في حضارتنا سواء كان ذكراً أو أنثى أن يرتقي في العلم لأقصى درجة تؤهله لها قدراته ولكن لماذا نفترض أن ثمة تناقضا بين التعليم وبين الزواج وما الذي يمنع الفتاة المسلمة من أن تجمع بين الاثنين كما جمعت الفتاة الغربية بين التعليم وبين إقامة علاقة خارج إطار الزواج.

ربما يكون الرد على ذلك أن الزواج مسئولية كبيرة والتزامات منزلية والتزامات نحو الزوج ووجود أبناء بحاجة لكثير من الوقت والجهد وهو ما يتناقض مع فرص التعليم وهذه الشبهات من الممكن الرد عليها بإيجاز في النقاط التالية:

- هناك حالات كثيرة جدا من النساء نجحن في عملية الجمع هذه ووصلن لدرجة الدكتوراه في تخصصات علمية نادرة وجمعن بين مسئولية البيت والزوج والأطفال.

- من الممكن الاتفاق مع الزوج على تأجيل فكرة الإنجاب لعدد من السنوات بحيث نستخدم قاعدة أقل الضررين فكما أن النسل مقصد شرعي فإن العفاف مقصد شرعي أكثر أهمية.

- كان العرب قديماً يستخدمون حاضنة للطفل لرعايته.

وفي العصر الحديث هناك مراكز متخصصة قد تساعد الأم الصغيرة في القيام بمهامها أو قد تساعد الأم أو أم الزوج وفقاً للظروف الموضوعية لكل حالة على حدة.

- يرى كثير من الفقهاء أن خدمة المنزل ليست مسئولية الزوجة بينما يرى جميع الفقهاء أن مساعدة الزوجة خلق كريم واقتداء بالنبي ﷺ الذي كان في خدمة أهله على الرغم من أنهم لم يكن لهم عمل خاص أو مسئولية تعليمية محددة فالرجل الذي يتزوج بفتاة لا زالت في طور الدراسة عليه مسئولية نحو البيت بخلاف من يتزوج بأخرى قد أنهت تعليمها وهذه أمور لا بد أن تكون واضحة ومعلومة منذ البداية ولا بأس باشتراطها في عقد الزواج حفظاً لحق الفتاة في التعليم.

- الاكتفاء بعقد الزواج لعدد من السنوات قبل تأسيس منزل الزوجية وما يرتبط به من أعباء مادية على الشاب ومسئوليات بيتية على الفتاة (عقد دون دخول شرعي) خاصة لشباب وفتاة في طور الدراسة أو شاب في مرحلة تكوين نفسه ماديا وفتاة في طور الدراسة قد يكون حلا عمليا لكثير من المشكلات التي يعانيها المجتمع إذا تم تفهم أولياء الأمور للأبعاد النفسية والجسمية التي يعيشها أبناؤهم، فبدلاً من العلاقات المحرمة التي يطلقون عليها حب وصدقة و... تكون علاقة شرعية علنية في النور تحقق الإشباع العاطفي وبعض الإشباع الجنسي للشباب والفتاة ويمثل سياج حماية للمجتمع ضد الرذيلة والانحراف.

أولويات الشيعة الجهادية: التكفيريون أم اليهود؟ حزب الله نموذجاً

بوزيدي يحيى^(٥) - خاص بالرائد

سارعت المرجعيات الدينية الشيعية، وفي مقدمتها علي السيستاني، لدعوة عامة الشيعة إلى التطوع لمحاربة ما أسموه بالإرهابيين التكفيريين، بعدما سقطت الكثير من المدن في يد القوى المناهضة لحكومة المالكي في بضعة أيام، وإن كانت الأنباء المتواترة من هناك تدل على ضبابية المشهد حيث على عكس ما تداولته بعض وسائل الإعلام عن سيطرة ما يسمى بـ«داعش» أو «الدولة الإسلامية بالعراق والشام»، على زمام الأمور هناك، لكن أثبتت الوقائع لاحقاً أن التحرك الثوري تقوده الكثير من الاتجاهات السياسية، وزكته العديد من الرموز الدينية، في مقدمتها مفتي الديار العراقية.

كما أن الحاضنة المجتمعية الكبيرة المؤيدة لهذا التحرك الذي يعتبر امتداداً للاعتصامات السلمية قبل قرابة السنتين، والتي تعاملت معها قوات المالكي بالقوة لفضها، كل هذا يؤكد أن

(٥) كاتب جزائري.

المسألة أعقد من أن تكون مجرد تحرك لتنظيم يتكون من بضعة آلاف ينشط في العراق وسوريا ويتبنى منهجاً متطرفاً، دون نفي وجوده ودوره... لتبدأ عمليات تطوع كبيرة للشيعة تستند على الشحن الطائفي كما كشفت وسائل الإعلام، حيث الهبة لحماية المقدسات، ورفعت شعارات طائفية على غرار: لبيك يا حسين، ولبيك يا زينب.

أمام هذا الوضع أصبحت الممارك الدائرة في العراق حالياً تنطلق من خلفية طائفية شيعية/

سنية، وإن كانت تصريحات القيادات الدينية والسياسية السنية الأخيرة تؤكد أكثر من مرة أنها تحاول تجنب هذه المعركة، وتبعد الطابع الطائفي عنها كما هو ثابت في عهد المالكي الذي شهد اعتصامات سلمية قادتها عشائر عراقية لتلبية مطالبها المشروعة، إلا أن المالكي وصفها بالفقاعات، واعتمد على القوة لإنهائها، مما جعلها في حالة دفاع عن نفسها من ظلم متراكم منذ الاحتلال الأمريكي للعراق، وسيطرة القوى الشيعية على السلطة هناك، وانتهاجها سياسة طائفية تحاول الاستمرار في مشروعها على أساسها أيضاً.

ولا يمكن اختصار ما يجري بالقول إنه

مجرد لعبة سياسية، فتورط مرجعية بحجم السيستاني في الموضوع لا شك أنه أكبر من ذلك بكثير، أما إذا كان السيستاني مجرد ألعوبة بيد السياسيين فذاك أمر آخر، خاصة وأنه كان له القول الفصل إبان الاحتلال الأمريكي للعراق حيث لم يدعُ لمقاتلة المحتل، على عكس وضوح موقفه الحالي، كما أن المراجع الشيعية دعمت جرائم نظام بشار الأسد ضد شعبه ولو بالصمت، فلم يصدر موقف منها يدين ما تفعله الميليشيات الشيعية العراقية هناك إلى جانب حزب الله. ومع هذه المواقف والوقائع الميدانية يتجدد طرح السؤال عن أولويات الشيعة (الجهادية)، خاصة وأنهم كانوا يشنعون على من يعتبر الشيعة أخطر من اليهود. فكيف تفسر مواقف الميليشيات الشيعية حالياً؟

حزب الله وأولويات المقاومة

مثل حزب الله واجهة القوى الشيعية التي تبنت

واعتبر نصر الله أن «القدس يجب أن تجمعنا وأي خلاف آخر فقهي أو سياسي أو قطري أو ديني أو عقائدي يجب أن يبقى الالتزام بفلسطين وقضية فلسطين، بمنأى عن هذا الاختلاف»، وقال: «قولوا روافض قولوا إرهابيين، قولوا مجرمين، قولوا ما شئتم، واقتلونا تحت كل حجر وفي كل جبهة وعلى باب كل حسينية ومسجد...نحن شيعة علي بن أبي طالب (ع) لن نترك فلسطين»^(١).

التكفيريون في معادلة حزب الله: من الإسرائيليين إلى التكفيريين

يفترض حسب الخطاب أعلاه أن معركة حزب الله الوحيدة والأساسية هي مع الكيان الصهيوني، وأنه لن يرسل مقاتلا إلى أي مكان غير جبهة القتال المباشرة مع الصهاينة، ولن ينفق «تومان» واحدا خارج هذا الإطار أيضا. لكن هذه الأولوية في مجابهة الأعداء التي تركز على العدو الإسرائيلي دون غيره التي كان الحزب يدعيها، تبين في سوريا أنها مجرد غطاء، وأن الحزب سرعان ما اتجه إلى معارك أخرى ادعى أنها جزء من معركته مع العدو الصهيوني، وبحث لها عن مبررات واهية، إذ استند لتبرير تدخله في سوريا على ثلاثة أسس، تمثل أولها في حماية المقدسات الدينية الشيعية في دمشق (منطقة السيدة زينب)، لمنع تدمير المقام الذي كان سيكون له تداعيات خطيرة جداً. والثاني في حماية اللبنانيين في القصير، حيث أكد أن بعض المنتمين إلى الحزب من اللبنانيين المقيمين في هذه القرى يقاتلون «مجموعات مسلحة» نافيا علاقة الحزب بقرارهم، ثم صرح بالتدخل المباشر هناك، وتوعد بالانتصار، ومع تراجع الجيش النظامي السوري، والتفجيرات التي حدثت في لبنان، وتحسنت شعار مواجهة الخطر الصهيوني، أصبح نصر الله يتحدث ليس عن مشاركته في الحرب جزئيا، وفي مناطق محدودة،

المقاومة كمدخل لتنفيذ وتمير المشروع الشيعي في نسخته الإيرانية المعاصرة، وقد سمح له موقعه الجغرافي وما فرضه من معارك مع الكيان الصهيوني أن يخلط الكثير من الأوراق على الساحة العربية والسنية، لدرجة أصبح فيها الحزب أحد المقدسات التي لا يمكن مسّها ولو بتصريح، غير أن الثورة السورية، وما كشفت من خيانة وإجرام حزب الله والمليشيات الشيعية فيها، ثم التطورات الحالية في العراق تضع مواقف الحزب وشعاراته تحت عدسة الفحص والمحكمة وتقييم حقيقة المشروع الشيعي.

في البداية يتوجب علينا الوقوف عند خطاب حزب الله ممثلا في أمينه العام حسن نصر الله في المرحلة السابقة، وكيف كان يسوق مشروعه، حتى يتسنى لنا مقارنته بالتحويلات الجارية. فقد كان نصر الله في مختلف خطباته يؤكد أن «أولوية الصراع والمواجهة للعدو الصهيوني»، وما يجري حاليا في المنطقة سببه التخلي عن هذه المسؤولية، وكان ينتقد «دولا وحكومات تمنع من هذه الأولوية وتدفع نحو أولوية أخرى وتخترع حروبا أخرى، كالمند الشيوعي، وأنفقت مليارات الدولارات لمواجهة، والآلاف تركوا فلسطين وذهبوا إلى المشاركة في حرب أفغانستان»، ثم «اخرعوا عدوا جديداً اسمه المد الإيراني والمجوس والفرس، وتم خوض حرب مع إيران أنفق فيها مئات من مليارات الدولارات، لو أنفق خمسها في فلسطين لتحررت». وأسف إلى «ما تم إنفاقه من أموال وتجهيز جيوش لقتال إيران وليس لقتال «إسرائيل»، وانتهى هذا وبدأ أمر آخر، وهو المد الشيعي، ويقولون إن الخطر الشيعي أخطر من إسرائيل».

واعتبر أن «كل من يرفع الجماعات التكفيرية على امتداد العالم الإسلامي ويدفع بهم إلى ساحات القتال والقتل هو الذي يتحمل بالدرجة الأولى مسؤولية الدمار الحاصل وهو من يقدم الخدمات لإسرائيل»، وأكد على «التزامه بالثوابت والأولويات التي يعاينها أعداؤه»، وأشار إلى أن «حزب الله سيبقى إلى جانب فلسطين وشعب

(١) السيد نصر الله: المشروع التخريبي التمييزي سيُهزم، ونحن شيعة علي لن نتخلى عن فلسطين، موقع المنار، ٢٠١٣/٠٨/٠٢، على الرابط: <http://www.almanar.com.lb/wap/edetails.php?eid=554574>

وإنما عن تأخره بالذهاب إلى هناك، فالأيام أثبت صحة خيارات حزبه.

واعتبر أنه «لو انتصر الإرهاب التكفيري في سوريا كنا سنلغى جميعاً»، لينتقل من نفي وجوده الميداني في سوريا في المراحل الأولى للثورة إلى الاستعداد للذهاب إلى أي مكان فيها، وكان أبرز غطاء برره به الحزب سلوكه هذا تمثل في محاربة التكفيريين الذين يخدمون المشروع الصهيوني وأميريكي ويهدفون إلى ضرب المقاومة والممانعة، ودوره في مجابهة المؤامرة الكونية على سوريا.

من هنا أضحى «التكفيريون» جزءاً من مشروع حزب الله المقاوم، بالمواجهة العسكرية المباشرة في سوريا، وعلى مستوى الخطاب أصبح الأمين العام للحزب يعتبر الخطرين الإسرائيلي والتكفيري «هما خطران وجوديان»، حيث اتهم الجماعات التكفيرية بتفجير الضاحية الجنوبية وهدد بملاحقتها في حال عجزت الدولة عن ذلك، معتبراً أنه في حال احتاجت المعركة معهم أن يذهب كل حزب الله إلى سورية بمن فيه هو فإنهم مستعدون لذلك بحسبه فإن «الجماعات التكفيرية تعمل لدى إسرائيل ولا شك باختراق أجهزة المخابرات الأميركية والإسرائيلية وبعض المخابرات الإقليمية لهذه المجموعات»^(١).

يظهر من هذه التصريحات حجم التناقض في خطاب حزب الله حيث يحق له دون غيره أن يغير أولوياته، فبدل التوجه مباشرة لإسرائيل التي تقف وراء الجماعات التكفيرية، فلا مشكلة بالنسبة إليه أن يورط مقاتليه في سوريا ضدهم، ويدخل في مواجهة مفتوحة ومستمرة لأكثر من ثلاث سنوات، وكل هذا لأجل فلسطين. ورغم محاولة الأمين العام

(١) لنا أن نسأل هنا عن موقع المخابرات السورية والإيرانية من المعادلة، مع الإشارة للاتهامات السابقة من نوري المالكي للرئيس السوري بدعم الإرهاب في بلاده والقضية التي يغفلها أو يتغافل عنها نصر الله هي علاقة النظام السوري بالتكفيريين، فبينما نجده يدين ما يعتبره دعم الأنظمة الأخرى لهذه الجماعات، فإنه لا يلتفت لعلاقة التنظيم بالنظام السوري، ولماذا كان يدعمه في مرحلة سابقة، وهل كان ذلك جزءاً من المقاومة ومحاربة المشروع الصهيوني أم خدمة له؟

للحزب التأكيد على أن التهديد الثاني بعد الكيان الإسرائيلي الذي يهدد كل دول المنطقة، هو خطر الإرهاب التكفيري، لكن الواقع العملي والميداني يدل على أن حزب الله يجعل هذه الجماعات هي عدوه رقم واحد، حتى أنه اشترط لخروجه من سوريا إخراج المقاتلين منها، وذلك حفاظاً على لبنان وفلسطين وسوريا والأمة وتضييع الفرص على إسرائيل.

إسقاطات مبررات سوريا على الحالة العراقية:

المبررات التي استند إليها حزب الله لتدخله في سوريا تكاد تتكرر في العراق باستثناء جزئية حماية اللبنانيين كما حصل في القصير، وهذه لا يمكن أخذها بعين الاعتبار فالحزب آخر اهتماماته هم اللبنانيين الذين أصبحوا (متعودين) على استعمال الحزب لسلاحه بالداخل لاختلافه مع خصومه السياسيين أكثر من مرة. ولكن أهم المبررات التي تستحق الوقوف عندها هي حماية الأماكن المقدسة، ومواجهة المؤامرة الكونية.

بالنسبة للتبرير الأول فقد تواترت التصريحات من مختلف القيادات الدينية والسياسية الشيعية، بداية بالمرجع علي السيستاني كما سبقت الإشارة، واصطفاف المرجعيات الأخرى والقادة السياسيين إلى جانبه، مروراً بتصريحات المسؤولين الإيرانيين، وفي مقدمتها التصريح المباشر والواضح للرئيس حسن روحاني (الإصلاح) الذي قال بما لا يدع مجالاً للشك إن بلاده مستعدة للتدخل لحماية المقدسات الشيعية في العراق.

أما حزب الله فلم يبد أي موقف معارض لنظرائه الإيرانيين والعراقيين، وتصريحات مسؤوليه صبت في اتجاه تميمينها، وبدأت تربطها بسوريا. فوفق الشيخ نعيم قاسم، نائب الأمين العام، فإن «أميركا ومن معها من الداعمين الإقليميين والدوليين يتحملون مسؤولية إحضار وتمويل الإرهاب التكفيري في منطقتنا من بوابة سوريا، وهم الذين أعطوا مجاًلاً لتقوية الإرهاب التكفيري في العراق».

و«ما يجري الآن في العراق هو محاولة للتعويض عن الهزيمة الكبيرة التي لحقت بهم في سوريا، ولا

بدّ من وضع حدّ لهم لأنّ لا حدّ لأهدافهم وهم ليسوا خطراً على العراق فقط إنما على كلّ المنطقة وبلدانها وعلى كلّ العالم»، لافتاً إلى أنّه «كان يمكن أن يحصل في لبنان ما حصل في الموصل لو تمكنوا في سوريا ولم تتمّ مواجهتهم بالطريقة المناسبة لكسر شوكتهم ووضع حدّ لهم»^(١).

هذا التوصيف لمجريات الأحداث من الرجل الثاني في الحزب يقودنا لمناقشة الجزئية الثانية والمتعلقة بالتدخل الأمريكي والمؤامرة الصهيونية الأمريكية، حيث التناقض الصارخ والفاضح لحقيقة مواقف القوى الشيعية وانتهازياتها، ونفاقها العلني، فهي من جهة تدعي أن ما يجري في العراق مؤامرة صهيونية أمريكية وكانت تصور المالكي على أنّه بطل قومي حرر العراق من الاحتلال الأمريكي، بينما نجده في نفس الوقت يسارع لطلب نجدة البيت الأبيض، ويدعوه للتدخل العسكري في معركة داخلية يختصرها في بضعة آلاف من المقاتلين ينعتهم بالإرهابيين، متغاضياً عن بعدها المجتمعي والشرائح العريضة والمتنوعة التي تقف وراءها، كما جرت اتصالات بين الطرفين الأمريكي والإيراني لنفس الغرض، ويفترض حسب منطق مقاربة الحالة السورية أن الولايات المتحدة الأمريكية هي من تقود المؤامرة الكونية ضد النظام المقاوم الممانع في دمشق، وأن التدخل العسكري الذي طالبت به المعارضة مرفوض، ودليل عمالة للمشروع الصهيوني الأمريكي، وهذا ما جاء على لسان المالكي نفسه، أما في الحالة العراقية فعلى العكس تماماً يصبح التدخل ضرورياً، وتبادل المعلومات بين واشنطن وطهران مقبول، وما ينقصه فقط القول إنه واجب أمريكي لحماية المقدسات الشيعية.

من بعد القصير إلى ما بعد سوريا

ما تدل عليه مواقف حزب الله الحالية أنّه لن يجد غضاضة في التدخل المباشر في العراق أيضاً، إذا ما اقتضت الحاجة لذلك، وجاءته الأوامر من

طهران، مع العلم أن الحزب حالياً وفق التقارير الإعلامية يعمل على ملء الفراغ الذي تركته المليشيات الشيعية العراقية في سوريا، فقد أعلن التعبئة العامة في صفوفه، وأخذ تدابير عسكرية وأمنية، وأرسل أكثر من ١٠٠٠ مقاتل من سرايا المقاومة إلى منطقة السيّد زينب في الشام، وإلى المقامات الدينيّة الشيعيّة الأخرى في دمشق، بعد أن أخلتها ميليشيات أبي الفضل العباس العراقيّة التي عادت إلى بلادها للتصديّ لتنظيم داعش المتشدّد^(٢).

وهذا دعم مباشر وتدخل عسكري بشكل أو آخر من الحزب في العراق، وها هو بينما كان قبل قرابة الثماني سنوات يتحدث عن حيفا وما بعد حيفا وما بعد حيفا، انتقل للحديث عن القصير وما بعد القصير وما بعد بعد القصير، أي الانتشار في كل سوريا وذهاب نصر الله بنفسه إلى الحرب إذا ما اقتضت الضرورة، ومع انفجار الأوضاع في العراق، والتي ترجح المؤشرات إلى طول المعركة وامتدادها لتشمل نطاقات جغرافية واسعة، فإنه ليس من المستغرب أن يطلّ علينا حسن نصر الله ليتحدث عن سوريا وما بعد سوريا وما بعد بعد سوريا، لمتدّد تدخلاته إلى دول الخليج، وحيثما هناك بؤرة شيعية أو خلايا موالية في المشرق والمغرب، والسوابق التاريخية شاهدة على ذلك.

وفي هذا السياق يجدر بنا الإشارة إلى أن حزب الله لا يشير ولا يتعرض لدور المليشيات الشيعية الأخرى التي تقاتل في سوريا، ولم يذن تدخلها هناك، وحتى إذا سلمنا جدلاً ببعض المبررات للحزب وعلاقاته التاريخية بالنظام السوري والتحالف الإستراتيجي بينهما فإن هذا لا يبرر تحالفه أيضاً مع المليشيات العراقية التي ليس لها أي تاريخ (مقاوم)، وهذه الجماعات تقاتل عند مقام السيدة زينب، ونصر الله صرح هو الآخر بعظمة لسانه بمقاتلته في نفس المكان، ويستحيل أن يقاتل الطرفان هناك دون وجود تنسيق بينهما، لذلك فإن الحزب لا

(٢) حزب الله يرسل ١٠٠٠ مقاتل اضافي إلى سوريا، الوطن الكويتية، ٢٠١٤/٠٦/١٣، على الرابط: <http://alwatan.kuwait.tt/articleDetails.aspx?Id=364812>

(١) فاتورة قتال حزب الله في سوريا ترتفع... وتساؤلات عن إمكان إرسال مقاتلين إلى العراق، القدس العربي، ٢٠١٤/٠٦/١٥، على الرابط: <http://www.alquds.co.uk/?p=180685>

يختلف عن هذه الجماعات.

الخلاصة:

عزف الشيعة دائما على وتر التخوين والعمالة لمعارضيتهم، وكان حزب الله يقود هذه القاطرة، ويتهم كل من يقول بخطورة الشيعة بمخالفة القرآن الكريم، ويؤسس عليها باقي أحكامه.

من الناحية السنية الأمر واضح وصريح فالمشروع الشيعي في شقيه الديني والسياسي كان عبر التاريخ مشروعا مخادعا للأمة، يعمل على ضربها من الداخل وطعنها في الظهر. ولنا أن نتساءل: ما الذي شغل وانشغل به علماء الشيعة عبر التاريخ وإلى يومنا هذا؟

ولنأخذ نموذج الجامع الأزهر بمصر الذي أسسه الفاطميون، ما الذي كان يدرس فيه في تلك الحقبة؟ ولمن كان موجها؟ ألم يكن هدفه نشر العقيدة الشيعية الإسماعيلية في الوسط المصري السني؟ وهل ما يقوم به الشيعة الإيرانيون والبنانيون وغيرهم من خلال الفضائيات الدينية والحوزات اليوم يختلف عن هدف العبيدين حينها؟ جل الفضائيات الدينية الشيعية الناطقة باللغة العربية وبغيرها لا تشغل إلا على هذا المجال فقط، ولما تأسست فضائيتان أو ثلاث في الوسط السني متخصصة في الدفاع عن معتقدات أهل السنة والجماعة اتهمت بالطائفية. هذا في الشق الديني من المشروع الشيعي.

أما سياسيا فالدول الشيعية التي تأسست عبر التاريخ كيف نشأت؟ وإلى ماذا هدفت في مراحلها الأولى حتى استتب لها الأوضاع في دائرة جغرافية ما؟ وهل كانت تلك الدائرة خارج الدائرة الإسلامية؟ وماذا كان موقفها حين وقعت في صراع مع دول إسلامية وغير إسلامية في نفس الوقت؟

وفي واقعنا المعاصر هاهو حزب الله الذي شغل الناس لعقود يثبت حقيقة المشروع الشيعي، لتنتهي على أسوار القصير خرافة وأكذوبة مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، كما انتهت قبلها سنة ٢٠٠٨ أكذوبة عدم توجيهه السلاح نحو الداخل. وعلى أسوار مخيم اليرموك انتهت أيضا أكذوبة حب فلسطين والانتصار لها، حتى أضحينا نتساءل عن مستوى الحق عند الشيعة حتى زاد عدد

ومن جهة أخرى فإن المنطق السليم يفترض أن نضع معادلة التكفير من طرفين اثنين هما: التكفيريون السنة ممثلين في داعش وحتى القاعدة، مقابل التكفيريين الشيعة العراقيين بشكل خاص ممثلين في لواء أبي الفضل العباس، وبينما كان السنة هم من واجه القاعدة في المراحل السابقة، في العراق وغيره، وأدانها جل العلماء، إلا أنه في المقابل، لم يجر «عشر» هذا عند الشيعة، وأكبر المرجعيات «علي السيستاني» يعتبر الانتفاضة المجتمعية السنية على أنها حركة تكفيرية، كما يتعامل المالكي مع كل المحافظات السنية على أنها إرهاب، وأصبح غرماؤه السياسيون «دواعش سياسية»، وفي الحالتين السورية والعراقية فقط نجد أن الحكومة تتعامل مع مدن بأكملها على أنها إرهابية.

الأقصى والمقدسات الشيعية

رفع الشيعة في سوريا والعراق شعار حماية المقدسات وتدخلوا هناك بشكل مباشر تنفيذًا لواجب ديني، وهم في نفس الوقت يحملون شعار تحرير فلسطين، ولكن لا يمكن مقارنة دورهم في حماية المقدسات الشيعية بالمسجد الأقصى الذي بارك الله من حوله، فالأضحية أهم بكثير من الأقصى، وهذه الحقيقة التي أغفلها الكثيرون، فهاهو الرئيس الإيراني الإصلاحي يوجه كلامه لكل القوى الدولية بأنه مستعد للتدخل لحماية المقدسات من التكفيريين، والمفارقة أنه لم يتحرك لنجدها - خلال الاحتلال الأمريكي للعراق - الرئيس المحافظ والمتشدد أحمددي نجاد، بل لم يتحرك له جفن عند زيارته العراق بحماية الطائرات الأمريكية، فهل حقا تعهدت أمريكا للسيستاني بحمايتها، مقابل صمته عن استباحة العراق؟

وما يجدر ذكره هنا أيضا، وهو الأهم أن حماية المقدسات طغت على خطاب جميع القوى الشيعية في سوريا والعراق على حد سواء، والتي تشكل جوهر الخطاب الطائفي، الذي كانت مفرداته حاضرة بقوة عند نصر الله والمالكي ومختلف القوى الشيعية، وفتوى السيستاني.

الفلسطينيين الذين قتلوا على أيدي تلك الميليشيات الشيعية في العراق وسوريا مقارنة بمن قتلهم الإسرائيليون، بل حتى طريقة عدوان الصهاينة على الفلسطينيين مقارنة بما يفعله نظام الأسد بمخيم اليرموك على سبيل المثال لا الحصر.

وها هي تطورات الأحداث في العراق تؤكد كل ما سبق فبدل أن يتراجع حزب الله عن غيّه ويعيد النظر في حساباته، واصل مشروعه الشيعي تنسيقاً وتعاوناً مع الميليشيات الطائفية الأخرى عملاً بتوجيهات الولي الفقيه الإيراني، حيث اصطفت المرجعيات والقيادات السياسية الشيعية على قلب رجل واحد في محاربة الانتفاضة الشعبية السنية، وحشدت لها كل الوسائل والإمكانات وأصبح التنسيق مع الشيطان الأكبر علنياً وصريحاً، فالهبة الشيعية في مواجهة الثورة في المحافظات السنية لا تختلف كثيراً عن موقفها من الاحتلال الأمريكي، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الانتفاضات السنية هذه أو حتى التكفيريون أخطر من اليهود؟ وهل التدخل العسكري مبرر في العراق ومدان في سوريا؟ وإذا كان المالكى مقاوماً وعدوا للصهاينة والأمريكان فلماذا يعملون على نجدته الآن؟ فهل بعد هذا لا يحق أن نتساءل: أيهما أخطر الشيعة أم اليهود؟

الصوفية والتصوف في السودان... قراءة آنية

محمد خليفة صديق^(*) - خاص بالرائد

مدخل تاريخي:

يعود دخول التصوف إلى السودان حسب رؤية بعض المؤرخين إلى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، ومنذ ذلك التاريخ ظل التصوف والصوفية على ارتباط بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية في الحقب التاريخية المختلفة للسودان ودول الجوار.

(*) كاتب سوداني.

يرى بعض الباحثين أن الحركة الصوفية في السودان مرت خلال مسيرتها بثلاث مراحل، المرحلة الأولى: لا تتوفر معلومات عنها لانقطاع الأخبار، وهذا يعني أن السودانيين لم يشهدوا في هذه الفترة حركة صوفية، بل كانوا على الإسلام السني الذي دخل مع بواكير دخول الإسلام للسودان على يد الصحابي الجليل عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه، وهجرات القبائل العربية بعد ذلك. والمرحلة الثانية: أخذت فيها الطرق تظهر وتتمو وتأخذ اتجاهات جديدة على نحو ما نجد في الطريقة الشاذلية. ثم جاءت المرحلة الثالثة والتي ظهرت نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية التي بدأت في أواخر القرن السابع عشر الميلادي وشهدت هذه المرحلة ظهور طرق مثل السمانية والختمية والإسماعيلية، وقد اهتمت هذه الطرق اهتماماً كبيراً بنشر تعاليمهم ومبادئهم وأورادهم الخاصة.

وكان قيام دولة سنار أو السلطنة الزرقاء (١٥٠٤ - ١٨٢١م) على أنقاض مملكة سوبا المسيحية نقطة تحول وفاصلة حضارية مهمة بدلالاتها الفكرية والثقافية في اتجاه تكوين المجتمع السوداني الجديد، فقد كان قيام هذه الدولة الإسلامية بعد سقوط الأندلس مباشرة، رسالة واضحة أن إفريقيا تفتح ذراعيها للإسلام، بينما تطارده أوروبا بمحاكم التفتيش، وسيحتل العالم الإسلامي بهذه الدولة في عام ٢٠١٧م في سنار عاصمة الثقافة الإسلامية، والذي سيكون بمدينة سنار عاصمة هذه الدولة الإسلامية بوسط السودان.

وقد شجع سلاطين سنار توافد العلماء لبلاد السودان وأجزلوا لهم العطاء والبهات ليعلموا الناس مبادئ الدين، وليستقروا بأرض سنار، فانخرط الناس في حلقات ومراكز العلم الفقهي ونهلوا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل وغيرها من كتب المذهب المالكي، فظهرت في كثير من تراجمهم وسيرهم عبارات تعكس هذا المنهج أو الاتجاه العلمي.

وكان السودانيون يُعرفون قديماً بالسنيارية أو السنانية، حيث كان لهم رواق بالأزهر الشريف

لطلاب العلم هناك، يُعرف برواق السنارية. وقد تميزت العاصمة سنار بموقع إستراتيجي في ملتقى الطرق بين إثيوبيا وشرق إفريقيا، وغرب وجنوب السودان، مع محاور التجارة عبر نهر النيل وعن طريق ميناءي سواكن وعيذاب على البحر الأحمر مع شبه الجزيرة العربية وحواليها.

لم يظهر التصوف في بدايات دولة سنار الإسلامية، بل كان الناس على الإسلام السني، وقد ظهر التصوف بعد تشجيعه من بعض سلاطين سنار المتأخرين، بعد ظهور نزعات قبلية عميقة، فأراد هؤلاء السلاطين أن ينتشر التصوف، حتى يصرف الناس عن التعصب القبلي والعنصري.

وفدت الطرق الصوفية للسودان من عدة مصادره الحجاز ومصر وشمال وغرب أفريقيا. وقد سبقت مرحلة دخول الطرق كمؤسسات منظمة ذات تعاليم وأذكار وأوراد جماعية ومشتركة، مرحلة اتجاه فردي في التصوف ساد قبل مجيء الشيخ تاج الدين البهاري، أول داعية للطريقة القادرية، التي تشير معظم المصادر إلى أنها أقدم الطرق دخولاً إلى السودان.

قام شيوخ الطرق بوصفهم فقهاء ومتصوفة بالعديد من الأدوار والوظائف في مجتمعاتهم ومن أمثلة ذلك دور: المرشد، والمعلم، والإمام، والمأذون، والطبيب، والوسيط المتشفع في فض النزاعات والصراعات والحروب ونصرة المستضعفين لدى الحكام والسلاطين. كما كان الناس يستشيرونهم ويستفتونهم في أمورهم وشئونهم الحياتية المختلفة ويلجأون إليهم لإطعامهم عند الحاجة. وكان لشيوخ وزعماء الطرق الصوفية علاقة بالسياسة اتخذت أشكالاً وصوراً متباينة خلال فترات الحكم المختلفة التي شهدتها السودان بدءاً بفترة سلطنة سنار، والتي كانت في نصفها الثاني «العصر الذهبي» للطرق الصوفية ومشايخها في السودان، نظراً لما كان لها ولهم من منزلة علمية ودينية ومكانة اجتماعية ونفوذ سياسي.

التصوف في العهود الحديثة:

بمجيء فترة الحكم التركي المصري للسودان (١٨٢١ - ١٨٨٠م) اختلفت أحوال الطرق الصوفية

وسائر السودانيين، إذ شهدت تلك الفترة ظهور إدارة سياسية بسطت نفوذها على كل أجزاء القطر وتبلور السودان بحدوده السياسية الحالية. فقد أحدث الحكم التركي المصري تغييراً وتحولاً اجتماعياً وسياسياً كبيراً في المجتمع السوداني.

ثم جاء عهد الثورة المهدية (١٨٧٦ - ١٨٩٩م) حيث قام محمد أحمد المهدي قائد الثورة بإبطال الطرق الصوفية بالمنشور الذي أصدره في أواسط سنة ١٣٠١هـ وأوائل سنة ١٨٨٤م، وكان هدفه من إلغائه للعمل بالمذاهب وإبطاله للطرق الصوفية وقف الخلاف بين المسلمين، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «تعددت الطرق واختلفت حتى ظن أن كل شيخ يقوم بتأسيس دين جديد وأن غيره من زعماء الطرق خارج عن الدين وحتى ضل القوم ضلالاً مبيناً وأصبحوا يوجهون أنظارهم لمشايخهم بدلاً من ينبوع الدين والعرفان الأصل القرآن الكريم والسنة المطهرة».

يرى البعض أن حظر الطرق الصوفية لم يكن مطلقاً، وإنما انحصر في الطرق التي اتخذت موقفاً معادياً للمهدية وعلى رأسها الختمية التي عرفت بتعاطفها مع الحكم التركي المصري، الذي سعى لاستمالة قياداتها ليكسب تأييد الأتباع كما عرفت الطريقة أيضاً بمعاداتها للمهدية ليس لعدم إيمانها بفكرة المهدية، بل لعدم اعترافها بمهدية الإمام محمد أحمد المهدي.

وبعد نهاية المهدية على يد الإحتلال الإنجليزي في ١٨٩٩م اتبعت حكومة الإحتلال اتجاه الطرق الصوفية والمتصوفة سياسة يشوبها التشكك وعدم الثقة. وصدر منشور من السكرتير الإداري لحكومة الإحتلال دعا فيه كل حكام المديريات إلى مراقبة ومتابعة نشاط الطرق الصوفية بدقة وكتابة تقارير عنها.

غير أن قيام الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م أدى إلى تغيير هذه السياسة بسبب تخوف الإنجليز من أن تؤدي إلى وقوف الصوفية السودانيين مع تركيا في جانب الألمان، نتيجة للدعاية الإسلامية التي كانت تتبعها تركيا باعتبار أن الحرب دينية بين المسلمين وغير المسلمين.

وللرد على تلك الدعاية طلب الإنجليز من الزعماء الدينيين وشيوخ الطرق استخدام نفوذهم لإقناع أتباعهم بأن الحرب ليست دينية، وأن الإنجليز يعملون لمصلحة الإسلام.

وسعت الحكومة لاستمالة الطريقة الختمية، ومنحت زعيمها السيد علي الميرغني العديد من الأوسمة والألقاب التقديرية، فضلاً عن بعض الأراضي والمشاريع الزراعية، غير أن الإدارة البريطانية في السودان خشيت من تعاظم نفوذ السيد علي الميرغني، فانتهجت سياسة لحفظ التوازن بين الزعماء، فقرّبت كذلك الزعيم الديني والسياسي السيد عبد الرحمن المهدي زعيم الأنصار، ومنحته مشاريع وأراضي في الجزيرة أبا، وأنحاء أخرى من منطقة النيل الأبيض، وانتهجت الحكومة أسلوباً مماثلاً مع زعيم الطائفة الهندية الشريف يوسف الهندي. ويتضح مما سبق أن بعض زعماء الطرق ذوي الثقل أسهموا بدور فعال في دعم الحكم البريطاني في السودان.

ومن أهم الطرق الصوفية بالسودان الطريقة الختمية، وهي الطريقة التي أسسها محمد عثمان الميرغني الشهير بالختم المولود بالطائف في قرية السلامة في سنة (١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م) في أسرة عريقة، فجدّه لأبيه هو عبد الله المحجوب من كبار الصوفية ومؤسس الطريقة الميرغنية. أخذ الميرغني الطريقة النقشبندية، والجنيدية، والقادرية، والشاذلية، عن مشايخ عديدين إضافة إلى طريقة جده الميرغنية، قبل أن ينتهي به الأمر إلى الأخذ عن السيد أحمد بن إدريس صاحب القدر الملقب في تربيته الصوفية.

وقام الميرغني موفداً من شيخه ابن إدريس برحلات دعوية إلى السودان، وصعيد مصر، والحبشة، وأرتريا، قبيل الغزو التركي المصري للسودان، في وقت كانت فيه دولة سنار تعاني من الحروب وعدم الاستقرار الإداري والسياسي. وقد نجح الميرغني في استقطاب العديد من الأتباع في مناطق شمال وشرق السودان، ومازال للطريقة وجود سياسي، حيث تمثل محضناً للحزب الاتحادي

الديموقراطي.

أما الطريقة التجانية فقد دخلت السودان عن طريق غرب أفريقيا، على يد عالم من الهوسا هو عمر جانبو الذي أخذ الطريقة عن الشيخ محمد الصغير بن علي، أحد تلاميذ الشيخ التجاني، وقام بنشر تعاليم الطريقة بدارفور وكردفان، وتذكر المصادر أن هذا الشيخ عاش بالفاشر بغرب السودان في ضيافة السلطان علي دينار، وذلك عقب نهاية الدولة المهدية في عام ١٨٨٥م، ثم ساءت علاقته بالسلطان علي دينار مما اضطره إلى الهروب إلى الأبيض بوسط السودان في عام ١٩٠٨، ومنها إلى أمدمان ثم الحجاز حيث توفي ودفن بمكة.

من الطرق ذات المنشأ السوداني: الطريقة البرهانية، التي أسسها محمد عثمان عبده البرهاني، المولود في ١٩٠٢م، والذي استطاع أن ينشر الطريقة في السودان ومصر، وانتشرت الطريقة في أكثر من سبع وثلاثين دولة في قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا وأوروبا، وهذه الطريقة لها ضلالات مشهورة، مما حدا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في عام ١٩٧٤م لإصدار حكم بضلال الطريقة وكفر صاحبها وردة كل من انتمى إليها عن قناعة واختيار، كما حكم المجمع بحظر ومنع تداول الكتابين اللذين ألفهما محمد عثمان البرهاني وهما: تبرئة الذمة وبطائن الأسرار، كما أصدرت السلطات المصرية حكماً بحظر الطريقة البرهانية في مصر (صحيفة اللواء الإسلامي في عديدها الخميس ٢٠ محرم ١٤٠٩هـ، والخميس ٢٧ محرم ١٤٠٩هـ)، وفي سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م، قامت وزارة الداخلية بالحكومة السودانية بإلقاء القبض على أتباع الطريقة البرهانية وحرقت مؤلفاتها، ولكن ظهرت الطريقة مرة أخرى بعد سقوط نظام الرئيس جعفر نميري عام ١٩٨٥م، ولها الآن مراكز ومساجد في عدد من ولايات السودان.

ويُعد مسجد الطريقة في منطقة السوق الشعبي جنوبي الخرطوم واحداً من أكبر مساجد العاصمة الخرطوم، ومركزاً للطريقة، ودفن مؤسسها

الشيخ محمد عثمان عبده في مسجده، ويحج إليه سنويا آلاف المريدين من السودان وأوروبا إلى قبره. وللطريقة عدة زوايا بألمانيا وفرنسا وغيرها من الدول. ويقود الطريقة الآن الشيخ محمد بن إبراهيم، وهو حفيد الشيخ محمد عثمان عبده.

وبجانب هذه الطرق تنتشر عشرات الطرق الصغيرة والفرعية في السودان، مثل الطريقة السمانية والقادرية والطريقة المكاشفية والطريقة العزمية، وهي طريقة مصرية الأصل، والطريقة الإسماعيلية بالأبيض، والطريقة الهندية بوسط السودان، وتعتبر الطريقة الركنية آخر الطرق تأسيسا في السودان، وقد بدأت في سهل البطانة وسط السودان ثم انتقلت إلى الخرطوم مطلع التسعينيات.

ولعل التأثير القوي تاريخياً للطرق الصوفية في الحياة السودانية، جعل مختلف الأنظمة والقوى السياسية حريصة على استثمار قوتها تلك في معاركها السياسية، ما جعل الطرق الصوفية في السودان ليست بعيدة عن الممارسة السياسية، بل ارتبط نشوء الأحزاب السياسية التقليدية في السودان بهذا التوزيع، فتحدر الحزب الاتحادي الديمقراطي عن الطائفة الختمية، وتحدر حزب الأمة عن طائفة الأنصار. غير أن بعض المراقبين يرون أن الانشطارات التي عاشتها الطرق الصوفية وتوزيعها داخل ولايات السودان، وتوزع استخداماتها بين اتجاهات سياسية متعددة، سيجعل دورها يقتصر على الجانبين الثقافي والاقتصادي، ولن تلعب دورا سياسيا مهما في المرحلة القادمة.

الصوفية والتشيع في السودان:

اتخذ التشيع التصوف في السودان وسيطاً لنشر المذهب الذي لم يعرفه السودان، إلا في السنوات الأخيرة، ويُعد الشيخ النيل أبو قرون من رموز الصوفية الذين دخلوا في المذهب الشيعي الإمامي، وليس كل الصوفية في السودان، على توافق مع المذهب الشيعي، بل يقف كثير من المتصوفة ضد هذا المذهب الدخيل، ومن ذلك المجمع الصوفي العام الذي أصدر كتاباً بعنوان: (دلائل تشيع النيل أبو قرون)، وهو عبارة عن تجميع لما كتبه علماء

المجمع الصوفي العام، حيث يرى الكتاب في مقدمته: «أن أشد الفتن والأخطار التي أبتلي بها أهل السنة في السودان على وجه العموم، وأهل التصوف على وجه الخصوص في هذه الأعصار المتأخرة، تسرب عقائد الشيعة الروافض (المنتنة) إلى هذه البلاد عبر أناس من بني جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا، نشأوا وترعرعوا في بيئة صوفية.. بل وفي بيوت عريقة من بيوتات أهل التصوف الأخيار.. ولكنهم وبعد أن آل الأمر إليهم، بعد رحيل آبائهم.. بدلوا.. وغيروا.. وابتدعوا.. وانحرفوا عن جادة أهل السنة.. وسلكوا طريق أهل البدعة.. فمالؤوا الأعداء وعقوا الآباء».

واعتبر الكتاب أن من هؤلاء المعنيين، المدعو: النيل أبو قرون.. الذي مافتى بيث البدع والضلالات في أوساط الشباب والأحداث ممن لا خبرة لهم بطرق العلم.. مظهراً للناس موالاة الصوفية.. مخفياً لتشيعه ورفضه تقيده.. غير آبه بما جرى له من قبل.. وذلك عندما استتيب من قبل جماعة من العلماء برئاسة شيخنا الجليل الشيخ محمد علي الطريفي رحمه الله تعالى.

ورأى الكتاب أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يملئ على الجميع وبخاصة ولاية الأمر في هذه البلاد (حكماً وعلماء)، الأخذ على يدي هذا المبتدع، بتنفيذ حكم الله فيه.. ذوداً عن حياض هذا الدين، ووأداً لهذه الفتنة في مهدها.. وكل ذلك امتثالاً لقوله ﷺ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ)، ولا ظلم أشد من انتقاص قدر الصحابة الكرام.

كما استتكر المجمع الصوفي العام زيارة الشيعي النيل أبو قرون إلى منطقة أم مرجى، إحدى مناطق الطريقة السمانية بتنظيم من المجلس الأعلى للتصوف، ووصف في بيان له الزيارة بأنها موقف شاذ وتصرف معيب يطعن التصوف في خاصرته، ويسيء إلى جماهير الصوفية وإلى منهجهم القويم، منهج أهل السنة والجماعة.

وقال البيان إن تنظيم المجلس الأعلى للتصوف زيارة مخزية للشيعي المدعو النيل أبو قرون إلى

منطقة أم مرحى مركز الإشعاع الديني والعلمي والروحي، والتي تعد ملكاً للجميع، ووصف المجلس الأعلى للتصوف للشيعي النيل أبو قرون بعبارة منكرة من الجميع باعتباره مجدداً للفكر الصوفي، ومساندته في مواجهة أهل السنة والجماعة في خطوة تعد شقاً للصف الصوفي وخرقاً لإجماع الصوفية على ضلال الشيعة الرافضة وضرباً لتمام بنينهم وتشويهاً لسمعتهم ناصعة البياض.

وقال البيان: «نحن الطرق والسجادات الصوفية والجمعيات والروابط العلمية والاتحادات الشبابية المنضوية تحت لواء المجمع الصوفي العام داخل السودان وخارجه، نعرب عن استنكارنا المشدد لهذا التصرف غير المسئول الذي ارتكبه بعض رموز المجلس الأعلى للتصوف، ونعلن تبرؤنا التام من المدعو النيل أبو قرون وأنه لا يمت بأي صلة للتصوف والمتصوفة، كما أننا ندعو أهل الحكمة والتعقل بالمجلس لحسم مثل هذه التصرفات، ونصح تلك العناصر بالالتفات إلى منهج الدعوة وتصحيح المسار، وندعو أيضاً كافة البيوت الصوفية للوقوف بقوة ضد هذا الفعل الشنيع، وعدم السماح لهؤلاء الشيعة بتدنيس بقاعهم الطاهرة. وأخيراً نوجه رسالة إلى أولي الأمر بضرورة القيام بواجبهم بحماية عقيدة المسلمين وإيقاف المد الشيوعي الرافضي وكافة التيارات المتشددة الهدامة والتي تشكل خطراً على الدين والوطن».

كما دعا الشيخ صلاح الدين الخنجر عضو الأمانة العلمية بالمجمع الصوفي العام في مقال له بصحيفة السوداني أخيراً يطالب فيها السلطات والمجتمع بمواجهة المد الشيوعي ممثلاً في راعيه بالسودان الشيوعي الضال النيل أبو قرون - حسب وصفه - ، ونادى الشيخ الخنجر بمحاكمة أبو قرون وجلده في ساحة عامة لتطاوله على الصحابة الكرام عليهم الرضوان، وتمجيده للمنافقين ورأسهم ابن أبي سلول ودفاعه عنهم.

وقدم الخنجر في مقاله الأدلة والبراهين التي تؤكد رعاية أبو قرون للتشيع بالسودان والدعم اللامحدود الذي يجده من إيران في سبيل نشر هذا

المذهب، بغرض تشويه عقيدة أهل السنة والجماعة وبذر الفتنة بين السودانيين، حيث أوضح أن أبو قرون سبق واستتبب رسمياً من قبل مجمع الفقه الإسلامي، كما أصدرت هيئة البحوث بجامعة القرآن الكريم برئاسة الشيخ محمد علي الطريفي ونائبه المفتي البروفيسور الشيخ حسن أحمد حامد - عليهما الرحمة - بتشيع النيل أبو قرون وضلال مذهبه وأصدرت كتيباً بهذا الشأن، كذلك فتوى هيئة علماء السودان والتي أثبتت أيضاً تشييعه وضلال مذهبه، ثم سب أبو قرون للصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان ووصفه بالإرهاب وإشاعة الدعاوي الباطلة، وكذلك وصفه للصحابيين سيدنا عمرو بن العاص وسيدنا المغيرة بن شعبة بأنهما تجاوزا الدين والأخلاق، ثم نعيه لنجل الخميني قائد الثورة الإيرانية عقب موته، وكذلك إصداره لكتاب (مذكرات أحبابي) والذي يسب فيه الصحابة الكرام وقد ردت هيئة علماء السودان على هذا الكتيب والذي صودر من الأسواق، هذا إضافة إلى مقطع صوتي شهير يسب فيه الصحابة، ومؤخراً تبرؤ ابنه محمد منه ومن تشييعه والذي أعلنه للملا.

كما أكد الشيخ السماني الشيخ بريز الأمين العام للمجمع الصوفي العام أنهم في المجمع لن يتوانوا في مواجهة المذهب الشيوعي بالسودان، وأنهم ليس لهم عداً شخصي مع النيل أبو قرون، وإنما موقفهم هذا من أجل الحفاظ على العقيدة السليمة عقيدة أهل السنة والجماعة التي تبجل آل البيت والصحابة معاً، وأن الدين لا يتهاون أبداً مع من يسب صحابة رسول الله ﷺ، وقد ثبت أن من سب الصحابة يجلد، وأضاف الشيخ السماني أن أبو قرون متى ما تاب من أفكاره هذه وتراجع عنها أمام الملا وأوقف النشاط الشيوعي فإنهم سيقبلونه، وإلا فإنهم في المجمع الصوفي العام يتبرأون من فكره هذا ومن كل من يتشيع.

أمريكا والتصوف في السودان:

أوصت ندوة عقدها مركز نيكسون للبحوث لتقديم النصح والمشورة للإدارة الأمريكية في

كيفية فهم التصوف وتفعيل دوره في السياسة الخارجية الأمريكية بدعم التصوف من خلال إعادة إعمار المزارات والأضرحة ونشر الكتب الصوفية، ونشر المدارس الصوفية ودعم الطرق الصوفية، مبررين دعم الصوفية لأنها تتسم بالتسامح مع الأديان والمعتقدات الأخرى بعكس الوهابية أو غيرهم من المسلمين.

ويشير بعض الباحثين إلى أن اهتمام المؤسسات الأكاديمية الغربية والمؤسسات الحكومية بشكل جدي بالصوفية جاء لرغبة الغرب بإظهار الجانب السلبي (الاستسلامي) في بعض طرق الصوفية، وهم بذلك يحققون هدفين:

الهدف الأول: تغريبه عن أصوله الصحيحة لأنهم يرون الإسلام الخالي من الشوائب هو القوة التي تعوق سيطرتهم على مصير الأمة الإسلامية بمقدراتها، ويحاولون تأصيل الروح الاستسلامية المنهزمة في نفس المسلم.

الهدف الثاني: إعطاء صورة سلبية للإسلام لدى غير المسلمين لتشويه صورته حتى لا يدخلوا في الإسلام الصحيح).

وظهر الاهتمام الأمريكي بالطرق الصوفية في السودان جلياً بعد عدة زيارات قام بها القائم بالأعمال الأمريكي في السودان السفير جوزيف استافورد، حيث زار معظم مقرات هذه الطرق داخل وخارج العاصمة الخرطوم، وعبر عن إشاداته بالطرق الصوفية في السودان، ونقل تحيات الرئيس الأمريكي أوباما للطلاب الذين يدرسون بالمسجد، وهو الاسم الشعبي لتجمعات الصوفية.

ويرى البعض أن العلاقات غير الجيدة بين السودان وأمريكا، ربما جعلت السفير يشعر بنوع من الفراغ، ما جعله يلجأ للدبلوماسية الشعبية، طالما أن الدبلوماسية الرسمية لم تنجح في تطوير العلاقات بين الدولتين للأمام، وذلك رغبة منه في تحقيق مكاسب لدولته، على الأقل في محو أية صورة سيئة في وجدان الناس عن بلاده، بجانب رغبته في توسيع علاقاته مع أطراف المجتمع، مما يساعده في عمله الرسمي، من حيث الوقوف على طبيعة الولاءات الموجودة في المجال الذي يتحرك فيه.

بينما يرى آخرون أن هذه الزيارات قد تدخل في إطار الطموح الشخصي لاستافورد. وبما أن الجاسوس الرسمي أو المعلن هي الصفة الأشهر في تعريف الدبلوماسي أيًا كان، تشير بعض المصادر إلى أن أنشطة السفراء عادة تكون متابعة من الجهات المعنية، للوقوف على طبيعة أنشطته، كما أن السفارة الأمريكية في أي بلد، عادة ما يكون بها مسؤول من الاستخبارات الأمريكية، الـ (سي آي إيه).

التصوف السوداني.. محاولات التجديد:

لإنهاء صورة الزهد والدروشة التي دمغت مسيرة التصوف بالسودان، ظهر ما يسمى بالتصوف الجديد في السودان، ممثلاً في تجربة الشيخ الأمين بمدينة أم درمان، والمنتظمي إلى الطريقة المكاشفية. ويستهدف التصوف الجديد، الشباب والطبقة الثرية، ويستخدم الشيخ الأمين في الخطاب لغة مزيج بين لغة عرب بادية كردفان الدارجة، ولغة الخرطوم العامية؛ وهو ما يجعله أقرب إلى مزاج السودانيين.

ورغم وجود قناة فضائية متخصصة في مديح النبي ﷺ، وتمجيد التصوف في السودان، يطلق عليها قناة «ساهور» وإذاعة الكوثر إف إم المتخصصة في الشأن نفسه، إلا أن الشيخ الأمين لا يسعى إلى تقديم دروس ومواعظ عبر التلفزيون، وكعادة متصوفة السودان، ليس للشيخ الأمين نشاط دعوي مباشر خارج زوايا الطريقة، سواء أكان داخل السودان أم خارجه، ونشاط الزاوية عنده، لا يتجاوز أن يكون حلقة للذكر أو درساً، كما ظهرت ميول ونشاط سياسي للشيخ الأمين في السنوات الأخيرة حيث يدافع عنه بعض رموز الحكم الحالي في السودان، كما ظهر الشيخ الأمين مع مبعوث الرئيس السوداني عمر البشير إلى دولة الإمارات العربية المتحدة مطلع شهر يونيو الجاري بأبو ظبي، حيث للصوفية حظوة هناك خاصة مع وجود نشاط الحبيب علي الجفري اليمني الأصل.

واتجه التصوف السوداني نحو توسيع علاقاته الخارجية، حيث وقع المجمع الصوفي العام والمجلس

الأعلى للطرق الصوفية بمصر مذكرة تفاهم للتعاون العلمي بين الجانبين، بعد زيارة وفد المجمع الصوفي العام للتنسيق والتعاون في المجالات العلمية وتدريب الدعاة، والتقوا عدداً من الرموز الدينية على رأسهم الدكتور علي جمعة الذي أهدى المجمع مكتبة علمية كبيرة، إضافة إلى نائب رئيس جامعة الأزهر، وقد تم في اللقاء الاتفاق على تكوين المجلس الصوفي العالمي، واعتماد السودان عضواً دائماً ومؤسساً فيه عبر المجمع الصوفي العام، كما التقى وفد المجمع بنقيب الأشراف الدكتور أحمد عمر هاشم ورئيس العشيرة المحمدية الدكتور محمد مهنا الذي قدم منحة مجانية للدراسة الجامعية لـ ١٠٠ طالب سوداني، إضافة لفرص واسعة في مجال التدريب الدعوي بالأزهر الشريف، وتنسيق زيارات علمية متبادلة من الجانبين بحضور عدد من أبرز العلماء الأزهريين إلى السودان يتم خلالها تنظيم برنامج دعوي واسع.

وحديثاً ظهرت مؤسسات لجمع شتات الطرق الصوفية وتوحيدها في كيان واحد، إلا أن هذه المجهودات باءت بالفشل، ومن أبرز تلك المؤسسات: المجمع الصوفي العام، وهو مسجل كجمعية دينية بوزارة الإرشاد والأوقاف السودانية، ويضم مجموعة من مشايخ الطرق الصوفية والعلماء والدعاة والمفكرين، يقولون إنهم يعملون لخدمة التصوف والدفاع عنه والتصدي لحمل قضاياها والذود عنه.

وبجانب المجمع الصوفي العام، توجد مؤسسات أخرى تضم عدداً من الطرق ورموز الصوفية منها رابطة علماء التصوف، والمجلس الأعلى للتصوف، المسجل لدى مسجل المنظمات الطوعية بمفوضية العون الإنساني في يوليو ٢٠١٣م، والذي يرأسه الخليفة الطيب الجد العباس قاضي المحكمة العليا السابق.

وقد حاولت حكومة الإنقاذ الحالية ضمان تأييد الصوفية لها، فأنشأت المجلس القومي للذكر والذاكرين، بعد مؤتمر جامع للصوفية داخل وخارج السودان، وفتحت له فروعاً في كل ولايات السودان، للاهتمام بالصوفية والتصوف ومؤسسات

الصوفية مثل الخلوات والمساييد والزوايا، والسعي لإصلاح التصوف، غير أن المجلس لم يحرز نجاحاً يذكر سيما في الجانب الأخير، وظل التصوف كما هو، بل أسندت الأمانة العامة للمجلس القومي للذكر والذاكرين أخيراً لصوفي ينتمي للطريقة العجيمية هو الصافي جعفر. وفي محاولة أخرى لإرضاء الصوفية، عينت حكومة الإنقاذ قبل عدة سنوات لأول مرة وزيراً صوفياً في منصب وزير الدولة بوزارة الإرشاد والأوقاف هو محمد مصطفى الفكي الياقوتي، المنتمي للطريقة السمانية.

ورغم كل ما سبق يظل النشاط الصوفي على المستوى السياسي والفكري محدوداً، ويُسجل الوجود الصوفي في السودان تراجعاً يومياً كما يظهر في مناسباتهم مثل المولد النبوي، وظهر بعض أبناء مشايخ الطرق والأسر الصوفية المشهورة الذين يتبرأون من مسالك آبائهم، كما يلاحظ أن معظم الجامعات السودانية تخلو من تنظيمات صوفية، في حين تعج تلك الجامعات بتنظيمات الطلاب السلفيين والحركيين والمنتمين للأحزاب السياسية السودانية.

المراجع:

- ١- سينر وآخرون، فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية، تقرير صادر عن مركز نيكسون في واشنطن في مارس ٢٠٠٤م، ترجمة د.مازن مطبقاني، وأصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.
- ٢- «ماذا يحدث في مركز نيكسون؟ التخطيط للانحراف بالصوفية إلى منزلق الفكر الغربي لضرب الإسلام»، مقال منشور بصحيفة عكاظ، ١٤ ذو القعدة ١٤٢٤هـ.
- ٣- وليد الطيب، الطرق الصوفية في السودان.. خريطة معلوماتية، مقال بموقع الإسلاميون.
- ٤- صفاء الصالح، الطرق الصوفية في السودان، تقرير منشور على موقع bbc.com.
- ٥- محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهديّة، الخرطوم، ١٩٧٠م.
- ٦-

ثورة العرب السنة في العراق

صباح العجاج^(*) - خاص بالرائد

كان يوم ٩ حزيران ٢٠١٤ يوماً جديداً في

تاريخ العرب السنة في العراق، يوم أن هبت ثورة عارمة منطلقها من مدينة الموصل، وبعد معارك صاعقة لساعات أسفرت عن هزيمة الجيش العراقي (الشيعي) واستسلامه بالكامل برغم أنه جيش قوامه بين ٣٠ - ٤٠ ألف جندي شيعي مع قياداته، وبقي الكل في العراق وخارجه في حالة صدمة وذهول، مما يجري في العراق؟ لقد تحررت الموصل بأيام ثم انطلق الثوار في محافظات أخرى يحققون نصراً تلو الآخر، وحكومة المالكي الشيعية مذهولة وفي صدمة كبيرة.

ما دعا المرجع الأعلى لشيعة العراق علي السيستاني الشيعة للجهاد (الكفائي) وتطوع آلاف الشيعة للنجدة من الكارثة التي حلت بهم. ولبس أصحاب العمام الشيعية اللباس العسكري، وتدخلت إيران وأطلقت تصريحات وأرسلت بعض القادة العسكريين للعراق، وأصبح جميع العالم في صدمة مما حدث في بلاد الرافدين.

يصعب التحليل الدقيق لما جرى بالتفصيل، ولكن الهدف هو بيان تسلسل الأحداث حتى نكوّن صورة حقيقية عن الوضع، فالأخبار أوردت أن مئات من تنظيم داعش، هجموا على الجيش الشيعي (جيش المالكي) في الموصل فانهزم عشرات الآلاف بقيادة وحنودا، وكبرت الكرة في الجانب السني، فسارع الثوار المسلحون من المقاومة الإسلامية والوطنية القديمة للمشاركة في الأحداث، وظهرت قوى عسكرية للعشائر، وقوى بعثية، وقيادات من الجيش العراقي السابق بلغ عددها أكثر من (١٨) مكوناً سنياً، كلهم يقاتل في ميادين مختلفة، مما جعل الثورة تكبر وتمتد للمحافظات السنية الست (نينوى - صلاح الدين - كركوك - الأنبار -

(*) كاتب عراقي.

إن هذه الثورة لم تأت من فراغ، بل إن أهل السنة خزنوا الظلم الذي وقع عليهم طيلة (١١) عاماً، ومنذ أربع سنين حاولوا تصويب وضعهم ورفع الحيف والظلم عنهم عبر القنوات السياسية، حيث تجمع أهل السنة في الانتخابات البرلمانية خلف (القائمة العراقية) بزعامة إياد علاوي، وحصلت على أكبر عدد من النواب (٩١ نائباً) وأصبحت تستحق قيادة العراق وحكمه، ولكن الشيعة العراقيين وإيران وأمريكا احتالوا عليها وأزاحوها وسلموا الحكم لقائمة نوري المالكي.

ولما تواصلت السياسات الجائرة والطائفية

ضد السنة، قام السنة بالاحتجاج السلمي والذي عرف بالحراك السلمي السني سنة ٢٠١٢، واستمر سنة كاملة ولكن ازداد اضطهاد أهل السنة وقتلهم، وازداد عدد المعتقلين منهم!!

ثم في سنة ٢٠١٣ هجم المالكي عسكرياً على الأنبار محطماً ساحات الحراك والتظاهر، وقصف مدن الفلوجة وهجر أكثر من نصف مليون شخص، وقتل واعتقل أهل السنة في محيط بغداد السني. ويئس أهل السنة من كل حل، خاصة وأن ممثلي السنة في اللعبة السياسية مجموعة من الفاسدين؛ سواء كانوا (إسلاميين أو علمانيين أو غير ذلك)، لا هم لهم إلا الجري خلف المناصب والمال، وأصبح أهل السنة في يأس تام من هذا الوضع الظالم، والمستقبل المظلم، هذا على الصعيد الداخلي.

أما على الصعيد الإقليمي: فإيران تتغول وتتعاون مع روسيا والصين في سوريا وغيرها وتهدد الدول العربية وتنجح بعد مجيء روحاني للرئاسة في تقليل الضغط الغربي والأمريكي عليها، وتجلس معهم لترتيب صفقة مجهولة في المنطقة.

وأيضاً صعدت إيران من نشاط أذرعها المختلفة في الإقليم: حزب الله، والحوثيين، وشيعة البحرين، والمتشيعين والشيعة اللبنانيين في أفريقيا حيث وسعت نشاطهم ونفوذهم.

وفي خضم قلق الدول العربية وخاصة

حكومة المالكي وتتواجد قياداتها في كردستان منذ أشهر.

● تحركات أمنية بين أمريكا ودول الجوار، لم تعرف مغزاها مستغلين قضية وجود معارضين لهيمنة المالكي ودكتاتوريته حتى على شركائه في الدولة من الأكراد والشيعية (الائتلاف الوطني) فضلا عن السنة.

هذه العوامل أفرزت هذه الثورة المفاجئة، والتي لا تزال مليئة بالأسرار الغامضة، ومن ملامح تلك الأسرار:

- السلوك الإنساني غير المعهود مع الناس الذي مارسه من حملوا شعارات داعش، والاهتمام بالمعارك فقط، والأسلحة الحديثة التي كانت بحوزتهم.

- تصريحات المالكي بالخيانة لمن كانت موجهة؟

أسئلة تحتاج إلى أجوبة لكننا لم نعثر عليها إلى الآن، وقد تمر سنوات ولا جواب إلا في كواليس الدول.

كانت هناك شرارة حركت وأشعلت جميع السنة وهي هزيمة جيش المالكي الشيعي في الموصل، وبعدها انتشرت الثورة في كل مكان في المحافظات الست، وتحققت نجاحات جيدة للسنة، وأحسست إيران بأن البساط بدأ يسحب من تحتها في العراق، فأرسلت من أول يوم قائد فيلق القدس قاسم سليمانى للعراق لإيجاد حل لهذا المأزق الجديد بعد سوريا، وتوجه إلى النجف ليضغط على السيستاني ولم يغادر إلى أن صدرت الفتوى بالجهاد الكفائي، ونادى المالكي الشيعة بحمل السلاح وتكوين الميليشيات، وأرسلت إيران خبراء حرب كما فعلت في سوريا. وبدأ القصف الانتقامي للناس وخطف الناس في بغداد وقتل السجناء داخل السجون، كما حصل في بعقوبة وتلعفر وفي طريق بابل. وعادت الميليشيات الشيعية ترهب الناس في بغداد تخطف وتقتل على الهوية.

ولكن الإعلام الشيعي العراقي والإيراني وأيضا الإعلام العلماني الدولي والعربي، صاغ

الخليجية من الاتفاق الأمريكي الإيراني، وتأثيره على مستقبلها، فتحت جبهة صراع سني سني على مستوى الأنظمة والشعوب بين جماعة الإخوان والسعودية والإمارات بسبب أحداث مصر بعد الانقلاب على الرئيس المصري مرسي، وانتخاب السيسي رئيسا جديدا لمصر.

وعلى مستوى الدول السنية فقط وتركيا تصطفان مع الإخوان، ودول خليجية أخرى مع الانقلاب في مصر، وتختلف مواقفهم من الثورة السورية، وإيران هي المستفيد من هذه الخلافات والصراعات السنية.

وعلى الصعيد الدولي: حيث صعد نجم روسيا بعد ثورة سوريا من جديد إلى السطح، وعادت الحرب الباردة بين القطبين الروسي والصيني، وأمريكا، صراع في جنوب السودان وفي كرواتيا وفي روسيا، واليوم في العراق، لكن كلا من روسيا وأمريكا لا تفرط في مناطق نفوذهما؛ وأي تجاوز هو تعدٍ يستفز الآخر، وهذا الذي حصل في سوريا والعراق؛ فسوريا منطقة نفوذ روسي وإيراني ولهذا تشاركنا للدفاع عنها، والعراق منطقة نفوذ أمريكي منذ احتلاله سنة ٢٠٠٣.

واليوم أصبحت روسيا وإيران وسوريا على خط واحد ويراد إدخال العراق في نفوذهم، ولذلك تحرك المالكي قبل أشهر لتسهيل تدخلهم في العراق مستغلا انشغال الأمريكان، حيث تمّ بناء محطات للمخابرات الروسية (كي جي بي) في العراق. وهذا ما أشار إليه الدكتور إياد علاوي في تصريحه: قائلًا: (والآن تحاول روسيا دعم الوضع في العراق، حتى يمتد هذا الشريط من شبه جزيرة القرم وصولاً إلى البحر المتوسط)،^(١).

هذه الأوضاع مجتمعة مع عوامل أخرى، بلورت وضعاً جديداً ساهمت فيه عدة عوامل داخلية من العراق:

● تكون مجموعات مسلحة في الأنبار ضد

(١) <http://www.al-watnia.com/#!-/c1z92/hwp9hste1>

على الثورة صبغة داعش والقاعدة، ولكن السؤال ما هو حجم داعش في الثورة وبين فصائل الثوار، وما هي حقيقتها في العراق.

والجواب: إن داعش موجودة في الثورة ولكنها فصيل من مجموعة فصائل تصل إلى ١٨ فصيلا إسلاميا وعشائريا، بل تعد فصيلا صغيرا.

الوضع الميداني بعد مرور نصف شهر على الثورة:

كونت الثورة مجلس عسكري ليحافظ على مسارها ويحقق أهدافها، وقد صرح المجلس العسكري للثورة وشخصيات عدة أنّ بغداد هي الهدف الحقيقي للثورة وهذا يعني أنهم يريدون تغيير الحكم، وفعلا على أرض الواقع كلما اقتربت المعارك من بغداد كانت معارك صعبة وشرسة، لذلك سلك جيش المالكي تكتيك الجيش السوري بفتح جبهات متعددة لتشتيت جهد المقاومة عن بغداد، فبتوجيه ودعم إيرانيين فتح جيش المالكي معارك بعيدة عن بغداد، مثل معركة في منطقة تلعفر^(١) في محافظة نينوى، حيث تم إنزال جوي فيها، لكنه بعدة عدة أيام انهزم قائدها (أبو الوليد) قائد قوات الذيب وكان المالكي معولا عليه كثيرا لفعل شيء وفتح ثغرة تعيد للجيش المنهار معنوياته، لكنه هرب إلى منطقة كردية، وسيطر الثوار على مدينة تلعفر بالكامل، وعلى مطارها.

وفتح جيش المالكي معركة في منطقة القائم الحدودية مع سوريا، وبعد حرب بين الثوار والجيش الشيعي وعصائب أهل الحق بمساندة صحوات الأنبار، تمكن الثوار من هزيمة الجميع وتمت السيطرة على المعبر مما أغاظ ذلك سوريا فقصفت المدينة.

كما شهدت ديالى معارك شرسة، وهي محافظة صعبة؛ لأنها محافظة سنية محاذية لإيران، وكانت إيران تخطط لتغيير ديمغرافيتها، وأن

(١) هي قضاء تابع لمحافظة نينوى، فيه تركمان شيعية وقد كثر فيها التشيع بسبب إقامة الخميني فيها في الستينيات حيث بذر بذرة الخبيثة فيها.

تخرجها من معادلة المحافظات السنية.

وفي محافظة صلاح الدين وبعد معركة شرسة حول السيطرة على مصفاة بيجي استسلمت قوات المالكي وتم أسر قناصة إيرانيين، وانتقاما من أهالي مدينة بيجي قصفت المروحيات المدنيين ومساجد أهل السنة، بعد أن فقد المالكي أكبر مصفاة نفط في العراق ألا وهي مصفى بيجي.

إيران كانت حاضرة منذ اليوم الأول لمساعدة المالكي وتجهيزه بالطائرات والخبراء، لكن تقاريرها الميدانية تبين أن الجيش العراقي لا معنويات ولا قدرة لديه بعكس الثوار السنة.

قام جون كيري وزير الخارجية الأمريكي بزيارة العراق؛ وطلب من المالكي الرحيل، وزار كردستان، وعندها أعلن أقليم كردستان أنه يريد استفتاء الشعب الكردي على الانفصال وتقرير مصير بقاء الكرد مع العراق، كل هذا بعد أن سيطر الكرد على مدينة كركوك النفطية.

تزامن ذلك مع تصريحات لمسؤولين أمريكيين بأن العراقيين وحدهم من يقرر شكل العراق، في إشارة إلى الأقاليم الثلاثة المقترحة السنية، والشيعية، والكردية.

موقف الكرد:

كان موقف الأكراد مشرفا هذه المرة، صحيح أنهم كسبوا أشياء عديدة وسيطروا على أراضٍ عربية عديدة وسيطروا على نفط كركوك، لكن هذا قد يقبل في هذه المرحلة لحين ما يقف السنة على أرجلهم بعد ما أصابهم خلال عشر سنوات.

موقف مسعود برزاني رئيس الأقليم كان جيدا ومساعدة منذ اللحظة الأولى، وكان آخر تصريح لنجريفان برزاني رئيس حكومة أقليم كردستان أنه يقف مع العرب السنة.

في الختام الثوار يحققون مكاسب يوما بعد يوم ويقتربون وفق خطة مدروسة من بغداد، لكن السؤال: هل تدعهم أمريكا أو إيران يحققون ذلك؟ سؤال سيجيب عليه الثوار عمليا في أرض المعركة.

الأفكار التي يلوكها الشباب المتعلمين اليوم - خاصة في الخليج - باسم الحداثة نتيجة ما تنشره الصحافة العربية وتقذفه المطابع من أوراق وملازم لأسماء عربية تعتبر نفسها صفاة النخبة العربية، من شاكلة طيب تيزيني، وحسين مروة، وأدونيس، وحسن حنفي، ومحمد عابد الجابري، ومحمد أركون، وهشام جعيط، وعبد المجيد الشرفي، وفهمي جدعان، ونصر حامد أبو زيد، ووائل حلاق، وغيرهم.

وقد كشف أبو عمران أساطين الحداثيين العرب - وهم عنده المستلهمون لأفق الحداثة الغربية في رؤية العالم، وليس فقط الحداثة الأدبية - إنما هم كالبغاوات يرددون ويعيدون إنتاج المستشرقين وخاصة مدرسة الاستشراق الفيلولوجي، والتي جعلت كل محاسن الإسلام (دين وحضارة) وافدا عليها من الأمم السابقة! وجعلت الدافع المحرك في التاريخ الإسلامي

التأويل الحداثي للتراث... التقنيات والاستمدادات

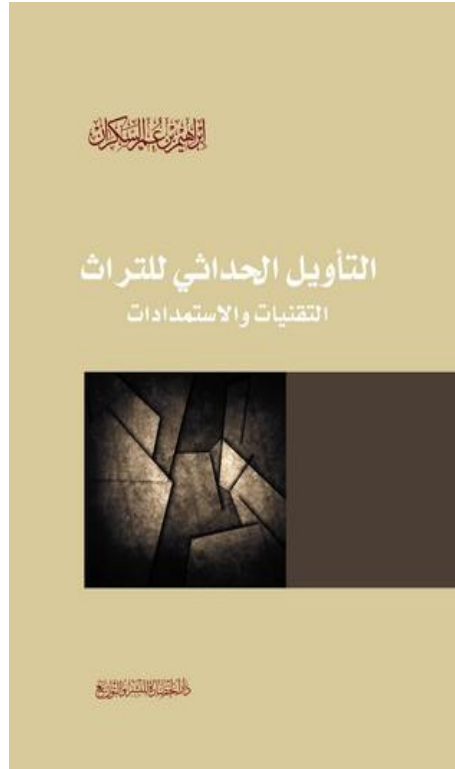
للشيخ إبراهيم السكران
عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب مطلع عام ١٤٣٥ هـ

عن دار الحضارة بالرياض، وهو يقع في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط.

وكعادة الشيخ أبو عمران إبراهيم السكران جاء الكتاب سلساً في لغته، عميقاً في طرحه، ذكياً في فكرته، مستوعباً في مادته، ثرياً بمراجعته، غنياً في فوائده وشوارده.

الكتاب يهدف إلى رفع الغطاء عن حقيقة مصدر وعمق وصلاحيه



(*) كاتب أردني.

كله بما فيه عهد النبي ﷺ المكاسب السياسية وليس العقيدة الإسلامية.

وبإثبات هذه العلاقة بين الحداثيين العرب والمستشرقين الأقدمين والمعاصرين تتحطم أسطورة انتهاء عصر الاستشراق الذي لا يزال يعمل بنشاط عبر المستشرقين أنفسهم والذين أصبح يطلق عليهم اسم خبراء، أو عبر الحداثيين العرب الذين يقومون بالترجمة والتوزيع والنشر لأفكارهم باللغة العربية!

ويرجع الإهتمام الاستشراقي والحداثي بتأويل التراث الإسلامي لمقصد يتيم وهو ضرب وتحطيم القوة الإسلامية، وذلك بعد ما شهدته الأمة من عودة للدين وصحة إسلامية، فكان لا بد من حربها من الداخل لأنها أقل كلفة ولا تثير ضجة تلفت الانتباه، مما قد يحقق مكاسب كبرى لهم.

جاء الكتاب في أربعة أبواب، الباب الأول كان بمثابة مقدمات وتمهيد، حيث عرّف فيه بعلم الفيلولوجيا، وأنه ظهر في مطلع القرن التاسع عشر، وهو علم التحليل الثقافي للنصوص اللغوية المبكرة، وقد ترجمه بعضهم بفقه اللغة، ولكن هذا أوجد مشكلة، لأن مصطلح فقه اللغة مصطلح قديم ومعروف وهو مغاير لهذا المعنى الجديد.

ثم بين أن التطورات السياسية في عالمنا الإسلامي جعلت من المستشرقين مفاتيح فهم وتفسير لما يدور على كل الأصعدة للسلاسة في الغرب، دون أن يكون عندهم القدرة على ذلك أصلاً، وهو ما نقده عدد من الباحثين الحداثيين لكن لمصلحة مدرسة حداثية على حساب مدرسة أخرى، ولكن النتائج كانت كارثية على الأمة بسبب أخطاء التشخيص!!

واستعرض المؤلف تاريخ علاقة المستشرقين بالتراث، ومن ثم جهود العلمانيين والحداثيين العرب في التعامل مع التراث، مما يعطي القارئ خريطة لجهود الحداثيين في تأويل التراث والتلاعب به.

وأنهى الباب ببيان تطور منهج الاستشراق بعد الفيلولوجيا إلى مدرسة أنثروبولوجيا الإسلام، والتي تدرس المجتمعات الإسلامية من خلال نماذج تفسيرية، وتأثيرها محدود بين الحداثيين العرب، وهناك أيضاً مدرسة المراجعين، والتي تقوم على الشك في كل التراث الإسلامي، وتعتمد في دراسة الإسلام على ما كتبه غير المسلمين عنهم من الأمم المعاصرة لهم، ونتاج هذه المدرسة هو ذخيرة لدعاة الإلحاد ومبشري النصر!!

الباب الثاني خصصه المؤلف لشرح تقنية (التوفيد)، وهي نسبة كل محاسن الإسلام والمسلمين للأمم الأخرى، من أجل طمس عظمة الإسلام ودوره في سعادة البشرية، فيورد نقولات عديدة عن المستشرقين تنزع عن الإسلام كل شيء دون حجة أو دليل ودافعهم في هذا الكره والبغض، فحتى سورة الجن ينسب معناها ومضمونها جولدزهر للجاهلية السابقة!! ثم يستعرض المؤلف كيف قام الحداثيون العرب بإعادة اجترار هذه الطعون والخرافات، فهذا الجابري يقول: «ورثت الثقافة العربية الإسلامية كل علوم المعقول واللامعقول في الثقافات القديمة»، وقد بدأ هذا الاجترار من جرجي زيدان وأحمد أمين.

ويختم هذا الفصل بمناقشة المسألة والتمييز بين الوافد الأجنبي والذي شكّل في الإسلام البدع والخرافات والعودة للمعادن الجاهلية، والذي رصد علماء المسلمين ونسبوا الأقوال والأفكار لأصحابها ومن أين استمدوها.

وبين الوافد الأصلي وهو المشترك في الوحي الإلهي في تاريخ البشرية كالتوحيد وأركان الإيمان والإسلام.

الباب الثالث جاء لبيان التقنية الثانية للمستشرقين وأتباعهم الحداثيين، في تسييس البواعث الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي، لطمس دور التوحيد والعقيدة الإسلامية في مجريات الحضارة الإسلامية، فأورد نماذج من تعسف المستشرقين في تفسير سيرة النبي ﷺ وتاريخ المسلمين، ثم يشفعها بنماذج عربية، ثم يناقش بعض الأمثلة ومنها زعمهم أن الإمام الزهري اختلق حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، ليدعم موقف عبد الملك بن مروان ضد ابن الزبير!

والعجيب أن الزهري ولد سنة ٥١ هـ وابن الزبير قُتل عام ٧٣ هـ، والزهري وفد على عبد الملك سنة ٨٢ هـ، وهذه المصادمة للتاريخ والواقع تكشف عبث كثير من التحليلات الاستشراقية وعبث اجترارها الحداثي.

أما الباب الرابع الذي يشكل نصف الكتاب فهو دراسة مفصلة عن موقف المستشرقين من محنة الإمام أحمد وكيف تم التلاعب بها وتزييف الحقائق، وكيف قام الحداثيون العرب -فهمي جدعان- بإعادة اجترار ما قاله المستشرقون في كتابه (المحنة: بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام)، والذي أثبت المؤلف أنه سرقة علمية لأفكار المستشرق الألماني (فان إس)!!

وقد توسع المؤلف في مناقشة محنة الإمام أحمد، كنموذج تفصيلي لكيفية ظهور الفكرة المنحرفة عند المستشرقين ومن ثم كيفية تسربها للداثيين العرب، ومن ثم انتقالها للصحافة والإعلام العربي، ثم يتشربها الشباب الفر على أنها فتوحات حديثة عربية!!

بعد هذا العرض الموجز لمحتويات الكتاب، يختم أبو عمر ببعض النتائج منها التحذير من النقد الخاطئ للاستشراق، برفض بعض نتائج المستشرقين السليمة!

ختاماً أعتقد أن من يبدأ في قراءة الكتاب لن يتمكن من التوقف حتى يصل إلى نهايته كما حدث معي، وذلك لرشاقة الأسلوب وسلاسة العرض ومتانة المعلومة.

هل يستمر هذا التحليل في توجيه الإدارة الأمريكية

قالوا: بعد سقوط الموصل تغير المشهد. فجأة برزت قوة «داعش» وحلفائه من العشائر السنية الثائرة، والجيش العراقي السابق. ما زاد الأمر سوءاً أن سقوط الموصل أسقط معه حليف إيران الأهم، المالكي و«ائتلاف دولة القانون» الذي يترأسه، وقسم القوى الشيعية، غالبية السنة ترفض «داعش» من حيث المبدأ، لكن هذه الغالبية مكشوفة سياسياً.

الأميركيون أقرب إلى الأكراد والشيعية. إيران عدوتهم، وتعمل على إقصائهم وتهميشهم، وتدعم المد الطائفي في بلادهم، وفي الجوار، الدول العربية لا توفر لهم غطاء ولا دعماً في مقابل ما يحصل عليه خصومهم من دعم إيراني وأميركي، الأكراد منشغلون بتأسيس دولتهم، وجاءت الأحداث الأخيرة لتؤكد لهم أن خياراتهم ليست في بغداد ولا في طهران، وإنما في أربيل وكركوك.

كان أمل المالكي ومعه طهران أن تتولى واشنطن وقف زخم الأحداث، ولجم تقدم «داعش» والعشائر بضرقات جوية، لكن واشنطن تبدو مترددة، إذ بدأت تدرك أن المالكي ومن ورائه طهران، هو سبب المشكلة، ولعل أفضل من صوّر الرؤية الأميركية للأحداث هو الجنرال جي غارنر، أول من تولى مسؤولية إعادة إعمار العراق بعد الاحتلال.

في حديث لافيت لـ «سي أن أن» اعتبر غارنر أن «داعش» مشكلة إيران، قبل أن تكون مشكلة أميركا، وإيران كما يقول لديها سلاح جو، ويتساءل: لماذا لا تتولى ضرب «داعش»؟ ثم يضيف إلى ذلك كلاماً أميركياً غير

مضبوق، وهو أن المالكي عميل إيراني يريد منا ضرب «داعش»، ليجبر المكاسب السياسية بعد ذلك لنفسه ولرعاته في طهران. جنرال أميركي آخر هو ديفيد بترابوس الذي تولى قيادة القوات الأميركية في العراق ما بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٨، حذر من تحويل سلاح الجو الأميركي في هذه الظروف، إلى سلاح بجانب الشيعة ضد السنة في العراق.

خالد الدخيل -

الحياة ٢٢/٦/٢٠١٤

حتى صرخة الألم يقتلونهم!

قالوا: ألغت اللجنة المنظمة لمهرجان حقوق الإنسان - الكرامة الإنسانية السينمائي الدولي في ميانمار، اليوم الأحد، عرض فيلم وثائقي يتحدث عن وضع المسلمين في البلاد بسبب ورود تهديدات من راديكاليين بوذيين. وفي تصريح أدلى به إلى مراسل الأناضول، أوضح أحد منظمي المهرجان، ويدعى «مونمونمييات»، أن «راديكاليين بوذيين هددوا، عبر الهاتف، بإحراق داري السينما اللتين تُعرض فيهما أفلام المهرجان، وإثارة الاضطرابات في ميكتيلا»، ولهذا تم إلغاء عرض فيلم «The Open Sky» (السماء المفتوحة).

ويروي الفيلم الأحداث التي عاشتها امرأتان إحداهما مسلمة، والأخرى بوذية، خلال أعمال العنف، التي وقعت ضد المسلمين في «ميكتيلا»، العام الماضي.

وعلى «مونمونمييات» إلغاء عرض الفيلم، الذي كان من المقرر أن يُعرض على الشاشة البيضاء في يانغون، بأن منظمي المهرجان «لم يرغبوا بأن يكونوا كبش فداء لأعمال عنف محتملة».

وأشار إلى أن الراديكاليين البوذيين نشروا رسائل

تهديدية عبر موقع فيسبوك موجهة لمنتجي الفيلم ومنظمي المهرجان، الذي يستمر أربعة أيام ويُختتم الأربعاء القادم. وكانت «ميكتيلا» شهدت أعمال عنف العام الماضي، راح ضحيتها أكثر من ٤٠ شخصاً، بينهم أطفال، فيما نرح آلاف، معظمهم من المسلمين، من مناطق سكنهم.

وكالة أنباء الأناضول،

٢٠١٤/٦/٢٢

تحالفات مضطربة

قالوا: وإذا كان الموقف من الإخوان المسلمين وتجربتهم في حكم مصر خلال العامين السابقين محددًا لخريطة التحالفات في الخليج، حيث برز المحور السعودي الإماراتي لدعم المشير عبد الفتاح السيسي ونظامه الجديد لإزالة خطر الإخوان ومشروعهم في مقابل المحور القطري التركي، إلا أن ما تفجر في العراق هذا الأسبوع اختصر سنوات طويلة كان يفترض أن تستغرقها العلاقات المصرية الخليجية قبل الوصول إلى ضرورة تحديد الموقف من التحولات الإقليمية وحسم الولاءات، الآن لم يعد هناك وقت ولا صبر لانتظار سنوات، فقد فرضت أحداث العراق نفسها بعنف بالغ على الجميع، وكل يوم أصبح يحمل خطراً جديداً وتطوراً مقلقاً، والعالم كله يحبس أنفاسه على وقع ما يمكن أن يحدث غداً في العراق، وهو ما يفرض سرعة إعادة تشكيل خريطة التحالفات الإقليمية، ومعرفة العدو من الصديق فيها، وهذا ما تدركه السعودية الآن أكثر من غيرها، لأنها أكثر المعنيين بما يحدث، والخريطة الجديدة ستحمل مفاجآت، بدأت ملامحها في التشكل في تباعد الرؤى تجاه الحدث العراقي بين السعودية والإمارات، والتقارب الشديد في الموقف من الأحداث بين السعودية وقطر، ويأتي لقاء الملك عبد الله والسيسي اليوم لتحديد موقع الأخير في خريطة التحالفات الجديدة.

الإمارات - كما نشرت شبكة السي إن إن الأمريكية - لديها عقدة الشعور بالتهميش والضعف، وهو ما يدفعها لاتخاذ مواقف شديدة الاندفاع وخاصة فيما يتعلق بالنفوذ الإيراني ودوائره، وقد حدثت زيارات

متبادلة على مستويات عالية بين أبو ظبي وطهران مؤخراً وتمت على إثرها اتفاقيات اقتصادية وغيرها من العيار الثقيل وصفتها «أبو ظبي» بأنها تدشين لشراكة استراتيجية مع إيران، وعندما تفجرت الثورة الشعبية في العراق سارعت أبو ظبي، من دون الخليج كله، إلى إدانة الثورة وإعلان دعمها لنظام المالكي الطائفي وانحيازها له، قبل أن تتراجع خطوة بعد ذلك بسبب الاستياء السعودي، والموقف الإماراتي يتطابق مع الموقف المصري الحالي في هذا الشأن وكذلك في الشأن السوري، حيث تحتضن الإمارات جزءاً من أسيرة الأسد ولا تبدي أي انحياز واضح للثورة السورية، ويتعامل الإعلام الرسمي بانحياز واضح لنظام بشار وروح معادية للثورة، بالمقابل لا يخفى أن السلطات المصرية الحالية تبدي عدم تعاطفها نهائياً مع الثورة السورية، وهو جزء من موقف ينسحب لمجمل ثورات الربيع العربي الذي تقف منه مصر الحالية موقفاً شديد السلبية، وهناك تصريحات علنية لقيادات رفيعة سجلت تلك المخاوف والروح المعادية للثورة السورية، غير أن الموقف من الثورة العراقية الجديدة هو الأخطر بكثير من الموقف تجاه سوريا، وهو ما دعا القيادة السعودية للاجتماع المفاجئ والعاجل مع السيسي.

المرحلة المقبلة ستشهد - بكل تأكيد - إعادة رسم خريطة التحالفات، وتطابق الرؤى السعودية القطرية تجاه أحداث العراق من شأنه أن يجعل بذويان الجليد بين البلدين وتجاوز الخلافات الصغيرة، خاصة وأن الخلاف تجاه سوريا هو خلاف في بعض التفاصيل ودعم فصائل ثورية وليس في الاستراتيجيات العامة، بينما الخلاف الإماراتي السعودي تجاه أحداث العراق وسوريا يتصل باستراتيجيات حقيقية، وهو ما يؤذن بمرحلة من التحفظ أو التباعد وربما القطيعة بين البلدين، وسيبقى موقف القاهرة من خريطة التحالفات الجديدة مرتعناً بحسابات السيسي والمؤسسة العسكرية التي لها مصالح حيوية وعميقة مع الإمارات، وسيكون من الصعب على السيسي أن يحتفظ بالمسافة نفسها مع الرياض وأبو ظبي معاً، وقد يكون عليه أن يختار ويحسم أمره، وهو ما يجعله معرضاً لخسارة دعم واحدة منهما، ودخوله في مغامرة تحالف جديد قد يدفع به لمواقف أكثر تهمةً ويعرض مشروعه

جمال سلطان،

المصريون ٢٠١٤/٦/٢٠

خطة داعش الحقيقية

قالوا: كيف لنا أن نجمع في سلة واحدة المتناقضين، الأسد والمالكي و«داعش» و«النصرة»؟ الحقيقة أنه لولا الأسد والمالكي، لما ولدت «داعش» و«النصرة». معظم قادتها من خريجي سجون سوريا والعراق الذين أخلي سبيلهم، اعتقاداً من النظامين أن ذلك سيخلط الأوراق. وبالفعل الأوراق قد خلطت، وها هي تركيا والأردن والسعودية تعلن التأهب ضد هذه الجماعات الإرهابية.

عبدالرحمن الراشد -

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٦/٢٧

من يجب؟

قالوا: داعش كانت على بعد ١٠٠ كم من حدود إيران، لماذا توجهت نحو الحدود الأردنية والسعودية والكويتية، بدلاً من إيران إذا كانت عدوتهم؟؟

تفريدة من شؤون إيرانية ٢٠١٤/٦/٢٤

من يفهم؟

قالوا: فبينما يكفر تنظيم «الدولة» الجبهة الإسلامية وغيرها من الفصائل المجاهدة في سوريا بدعوى توليها هيئة الأركان والمجالس العسكرية، نجده الآن يقاتل في العراق مع نفس هذه المجالس دون حرج!! ولمن لم يعرف القصة فقد أصدرت الهيئة الشرعية لجماعة «دولة العراق والشام» بياناً بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ، زعموا فيه أنهم درسوا أحوال الجماعات التي على الساحة السورية ثم توصلوا إلى كفرها وردتها وأن ما ترفعه من شعارات تحكيم الشريعة وغيرها ما هي إلا خداع وحيل، ثم بنوا تكفيرهم للجبهة الإسلامية على سببين:

الأول: توليهم لهيئة الأركان والمجالس العسكرية بانضمامهم إليها.

والثاني: تصحيحهم للكفر بقتالهم مع من يقاتل من أجل الديمقراطية صفّاً إلى صف ضد بشار.

واعتمدت في تكفير هيئة الأركان على تصريح قائده سليم إدريس أنه يقاتل من أجل الديمقراطية، وذلك في هامش صفحة ٦ حيث جاء فيه: (واتفاق هيئة الأركان مع هيئة الائتلاف على القتال من أجل حكومة ديمقراطية تعددية أمر جليّ، فمما جاء في الخطاب الذي ألقاه سليم إدريس رئيس هيئة الأركان: نحن في الجيش السوري الحر نقاتل من أجل الحرية «والديمقراطية» لكل السوريين من كل الطوائف سنة وشيعة وعلويين ومسيحيين...). اهـ.

فإذا كان هذا سبب كفر هيئة الأركان والمجالس العسكرية الذي بنوا عليه كفر من يتولاها وهي الجبهة الإسلامية وغيرها فإننا لنزعمهم بنفس ما ألزموا غيرهم به كالجبهة، فنقول لهم:

أنتم الآن تقاتلون صفّاً إلى صف بجانب المجالس العسكرية في العراق، والتي صرح مزهر القيسي المتحدث العسكري باسم مجلس ثوار العشائر في مقابلة له على تلفزيون الجزيرة بقوله: إننا نقاتل من أجل الديمقراطية والحرية ورفع الظلم، ثم أثنى على الدور السعودي وطلب التأييد منه والاعتراف بالثورة!!

وعليه فإن هذه المجالس مجالس ردة وكفر، ومن ينضم إليها فهو كافر متولٍ للكفر ومن يقاتل معها يلزمه تصحيح الكفر الذي هو الديمقراطية التي يقاتلون من أجلها، فيلزم على تنظيم الدولة ما ألزمت به غيرها من الفصائل.. فإن لم تفعل ذلك فيلزمها إما الكفر أو التناقض فإن الشريعة جاءت بالتسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين، وإننا إن كنا لا نحكم بكفرها، فقد أظهرنا تناقضها وضلالها في تكفيرها المسلمين بغير حق، واستحلالها دماءهم وظهر أن هذا كله كان مبنياً على ضلال وجهل وغلو..

موقع الدرر الشامية

حول ماذا سيجني أهالي المنطقة من هذا المشروع؟ أجاب تركان: «الأهالي سيحافظون عليها وسيعملون فيها.. والمالكون فقط سيزورون أراضيهم وبساتينهم لقضاء أوقات ممتعة».

وعندما سأله المقدم: ألا يصبح الأهالي حراسا وعمالا لدى أصحاب رؤوس الأموال ويفقدون أراضيهم؟ أجاب تركان بأنهم «في كل الأحوال.. هم مجرد عمال».

وأدانت منظمة حقوق الإنسان الأهوازية في بيان لها ما وصفته بـ«المخطط الجديد للاستيلاء على أراضي المواطنين العرب في مناطق عبادان والمحمرة والقصبة وشط العرب».

ودعت المنظمات الدولية بالضغط على السلطات الإيرانية من أجل إيقاف هذا المخطط والإجراءات التعسفية الرامية إلى تغيير النسيج الديموغرافي للمناطق العربية في إقليم الأهواز (عربستان)، وتناشد بوضع حد لحملة التطهير العرقي وحملات التهجير والاستيطان وسلب أراضي المواطنين العرب الأهوازيين».

وقال جابر أحمد عضو منظمة حقوق الإنسان الأهوازية في اتصال مع «العربية.نت» إن «سياسية التطهير العرقي بحق الشعب العربي الأهوازي، تمارس من خلف الأبواب الموصدة وعبر خطط مدروسة، وهذا المخطط الجديد يأتي استمرارا للخطوة التهجيرية التي كشف عنها خلال الوثيقة المسربة عن مدير مكتب رئيس الجمهورية، محمد خاتمي المعروفة باسم «وثيقة أبطحي» والتي

تحريض حكومي إيراني للاستيلاء على أراضي عرب الأهواز

صالح حميد - العربية نت ٢٠١٤/٦/٢٢

طالب أكبر تركان، مستشار الرئيس

الإيراني، المستثمرين الإيرانيين وأصحاب رؤوس الأموال بأن يباشروا بشراء قطع الأراضي الزراعية وبساتين النخيل في المناطق العربية المطلة على شط العرب والخليج العربي، والواقعة جنوب إقليم الأهواز الذي تطلق عليه السلطات «خوزستان» في كل من عبادان والمحمرة وجزيرة صلبوخ والقصبة.

وقال تركان في مقابلة تلفزيونية على القناة

الإيرانية الأولى، يوم الخميس الماضي ١٩ يونيو، إنه «يجب على كل إيراني أن يشتري قطعة أرض زراعية أو بستان نخيل في مناطق عبادان والمحمرة»

وأضاف مستشار الرئيس الإيراني أن «هناك

بساتين نخيل ومزارع جميلة جدا تقع جنوب

جزيرة عبادان، فأنا أقترح على الزملاء في إدارة

المنطقة أروند الحرة، تقسيم هذه الأراضي الزراعية وبساتين النخيل إلى قطع صغيرة بآلاف الأمتار ثم بيعها للمستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال من مختلف مدن إيران.. فنحن نعتقد أن كل الإيرانيين يجب أن يشتروا قطعة أرض أو بستان نخل في منطقتي «آبادان» أي عبادانو «خرمشهر» أي المحمرة».

ورداً على سؤال مقدم البرنامج التلفزيوني

فجرت انتفاضة أبريل عام ٢٠٠٥ أكبر انتفاضة للشعب العربي الأهوازي في تاريخه الحديث».

من أكبر تركان؟

يذكر أن أكبر تركان، هو المستشار الأعلى للرئيس الإيراني حسن روحاني، ويعتبر من مؤسسي حزب الاعتدال والتنمية الذي يتزعمه روحاني نفسه، وكان أول سياسي يصبح وزيراً للدفاع في إيران، في حكومة رفسنجاني. ويرأس تركان حالياً مجلس مناطق الحرة التجارية والصناعية في إيران، وقد كلفه روحاني مهمة إعادة تشغيل مشروع منطقة «أروند» الحرة.

مشروع المنطقة التجارية الحرة

ويأتي مخطط شراء أراضي العرب في هذه المناطق المطلة على شط العرب والخليج العربي تحت غطاء مشروع منطقة «أروند» التجارية الحرة، حيث بلغت المساحة الإجمالية التي أقيم عليها المشروع ١٧٣ كيلومتراً مربعاً وتمتد على طول نهر شط العرب.

ومن أجل توسيع المشروع تم شراء ومصادرة آلاف الهكتارات من أراضي العرب، من مناطق المحمرة وعبادان المهمتين من النواحي التجارية والزراعية والصناعية والاقتصادية؛ نظراً لوجود أراض خصبة، وأنهر متعددة، وموانئ رئيسية للاستيراد والتصدير، وكذلك وجود مصفاة نفط عبادان التي تعتبر أهم مصفاة لتكرير البترول في منطقة الشرق الأوسط.

وقد توقف نشاط منطقة أروند الحرة خلال السنوات الأخيرة، بسبب العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، ولكن خلال زيارة حسن روحاني الأخيرة للأهواز، تمت مواصلة العمل على إكمال هذا المشروع ثانية.

ابن تيمية شيخ الإسلام مهما كذبوا عليه

أسامة شحادة - العدد ١٣/٦/٢٠١٤

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية من القادة القلائل في تاريخ الأمة الذين بقي ذكرهم حياً عبر القرون وفي شتى المجالات، وذلك بسبب ضخامة الدور الذي قام به وتنوعه في حياته وبسبب قوة التراث العلمي وضخامته الذي خلفه وراءه بعد رحيله.

ولذلك لا ينفك عصر من وجود شرادم مبغضين له يلفقون عنه الأكاذيب والخرافات ليصدوا قلوب المسلمين عن حبه والافتداء به، ولا يجني هؤلاء المبغضون إلا إثارة البلبلة واللغظ حول شيخ الإسلام ابن تيمية، ويفشل سعيهم، لأن الحقيقة سرعان ما تظهر ببراءته من تهمهم وأكاذيبهم، نعم شيخ الإسلام بشر وليس بمعصوم من الخطأ، لكنه لم يكن دجالاً ينشر الأباطيل، ولا كان جاهلاً يدعي العلم، ولم يكن متاجراً بدينه من أجل رئاسة أو مال، ولم يكن خائناً للأمة وقضاياها، ولذلك بقي ذكره الحسن وأثره الطيب عبر التاريخ.

شيخ الإسلام ابن تيمية يعرف قدره العقلاء والمنصفون من الناس مهما كان اتجاههم وفكرهم، يقول د. محمد عمارة: «لو أن المشروع التجديدي لابن تيمية قد وجد (الدولة والسياسة) التي تنهض به لتغير وجه العالم الإسلامي ووجهته، ولاختصرت الأمة من عصور التراجع الحضاري عدة قرون».

عليه حتى سجنه ظلماً وعدواناً، أصبحت اليوم عمدة قوانين الأحوال الشخصية في الدول الإسلامية لما فيها من سعة وتسهيل على الناس ورحمة بهم، يقول أبو زهرة: «نحن المصريون في قوانين الزواج والوصية والوقف قد نهلنا من آرائه، فكثير مما اشتمل عليه القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ مأخوذ من آرائه، مقتبس من اختياراته، وشروط الواقفين والوصايا اقتبست أحكامها في قانوني الوقف والوصايا من أقواله».

لم يطلق لقب شيخ الإسلام على ابن تيمية من فراغ، بل لقد كان حقيقاً بهذا اللقب لعلمه وعدله وصفاء سريرته وشجاعته وإقدامه، ولنتعرف على قصة ابن تيمية مع خصمه علي بن يعقوب البكري، الذي كفر ابن تيمية واعتبره مرتداً وكتب للسلطان يحرضه على قتل ابن تيمية المرتد، ولم يكتف بذلك بل جمع بعض عوام الصوفية واستفردوا بابن تيمية فضربوه، وقام البكري في مرة أخرى بجذب ابن تيمية من ملابسه وابن تيمية يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولكن حين وصل الخبر للناس ولتلاميذ شيخ الإسلام انظر ماذا حدث: تجمع الناس ولاحقوا البكري للانتقام منه لصالح ابن تيمية، وقالوا لابن تيمية: ياسيدي! قد جاء خلق من (الحسينية)، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا! فقال ابن تيمية: لأيشي؟ قالوا: لأجلك، فقال لهم: هذا ما يجوز.

فقالوا: نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك، فنقتلهم ونخرب دورهم؛ فإنهم شوشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس، فقال لهم: هذا لا يحل.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك يحل؟ هذا شيء لأن صبر عليه! ولا بد أن نروح إليهم، ونقاتلهم على ما فعلوا، وابن تيمية ينهاهم ويزجرهم، فلما أكثروا القول، قال لهم ابن تيمية: إما أن يكون الحق لي، أولكم، والله: فإن كان الحق لي؛ فهم

وقام الشيخ محمد أبو زهرة بدراسة حياة ابن تيمية وفكره في مجلد كامل، ضمن سلسلة دراساته عن أعلام الأمة، ولخص نتائجه في المقدمة بقوله عن شخصيته: «كان عظيمًا في ذات نفسه، اجتمعت له صفات لم تجتمع في واحد من أهل عصره، فهو الذكي الأملعي، وهو الكاتب العبقري، وهو الخطيب المصقع، وهو الباحث المنقب... وقد آتاه الله لساناً مبيّناً، وقلباً حكيماً، وقلماً عليمًا»، وأما عن منهجه وموضوعيته في دراسة مسائل الخلاف بين المذاهب والطوائف والمل والنحل يقول أبو زهرة: «ولقد سار في الحكم عليها سير القاضي العادل تسيره المقدمات ولا يسيرها، وتوجهه البينات ولا يوجهها، وما كانت بيناته إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما كان منهاجه إلا منهاجهم في أقضيّتهم وأحكامهم، وما يجده مخالف لها جاهر ببطلانها أياً كان قائله».

وقال أبو زهرة عن مهاجمة وعدوان عدد من الشخصيات والطوائف لابن تيمية: «فتحرّكت الطوائف المعتنقة للآراء التي يهدمها لمنازلته ومناهضته ورميه بالشطط ومجاوزة الحد»، «وكانت بينه وبينهم حرب عوان نال منهم بالقول والبرهان، ونالوا منه بالزج في غيايات السجن وتأليب ذوي السلطان»، وهذا يؤكد عجزهم عن مناقشة الفكرة بالفكرة وبطلان آرائهم التي يحملونها، فيفرضوها بمصادرة الآراء والحريات، ثم يتغنون باتباعهم مذهب العقلانية والفلسفة والمنطق!!

أما عن علاقة ابن تيمية بالناس والجمهور يقول أبو زهرة: «كان مع العامة درعا حصينة في كل بلاء ينزل بهم ينافح عنهم بلسانه وقلمه وسيفه، ويشاركهم في ضررائهم، فكانت القلوب تصغي إليه، والأفئدة تهوى نحوه».

وأغلب الاجتهادات الفقهية التي قال بها ابن تيمية وخالفه فيها علماء زمانه وحرصوا السلطان

في حل منه، وإن كان لكم؛ فإن لم تسمعوا مني: فلا تستفتوني، فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله؛ فالله يأخذ حقه إن شاء كما يشاء.

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟ قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه، مأجورين فيه!

قالوا: فتكون أنت على الباطل، وهم على الحق؟ فإذا كنت تقول: إنهم مأجورون فاسمع منهم، ووافقهم على قولهم!

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون! فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد له أجر، ولما بلغ هذا الكلام خصوم ابن تيمية تعجبوا وقالوا: والله لقد كنا متجنين في حق الرجل لقيامنا عليه، والله إن الذي يقوله هذا هو الحق.

وبقي البكري هاربا متخفيا من الناس والسلطان، ولم يجد ملجأ يختفي فيه عنهم إلا بيت ابن تيمية نفسه، حتى توسط له ابن تيمية عند السلطان أن يعفو عنه!!

هكذا كان يفكر ويتعامل ابن تيمية مع خصومه، وهكذا هو منهج السلف الذي تبناه ابن تيمية وجاهد بلسانه وقلمه لنشره بين الناس.

إن في سيرة وفكر وتراث ابن تيمية الكثير الكثير مما يجهله الناس وهم بأمس الحاجة إليه، ولكن حقد الخصوم وكذبهم، وتقصير المحبين وكسلهم، جعل بين الأمة ودرر ابن تيمية حاجزا لا بد من إزالته.

وما أصدق كلام الأستاذ جمال سلطان في تقصير أحباب ابن تيمية في حقه وحق دعوته، يقول سلطان: «أكثر ما أضر بالحالة السلفية في العالم الإسلامي هو أولويات الكتابة وسوء اختيار المداخل إلى العقل الإسلامي الجديد، مما أوقع الالتباس لدى قطاعات من التيار الإسلامي نفسه ناهيك عن الالتباس الذي وقع لدى التيارات الفكرية الأخرى في فهم واستيعاب الكثير من

الحقائق عن أهل السنة والجماعة والتيار السلفي بشكل عام».

وأخيرا هذا هو ابن تيمية الذي يكذب عليه بعض الناس اليوم في الخطب والدروس واللقاءات المنزلية والكتب والمجلات، فينسبون له تكفير المخالفين والشدة والغلظة ومخالفة الحق.

ولكن بهذه الأخلاق العالية وبهذا العدل والإنصاف وبهذا العلم الواسع استحق أبو العباس أحمد ابن تيمية لقب شيخ الإسلام عن جدارة وحق.

ملحات من

السيرة الجهادية للسيستاني!

مدونة عمر خليفة راشد ٢٥/٦/٢٠١٤

أخيرا، صدرت فتوى من (آية الله العظمى) السيد علي السيستاني تتعلق بالجهاد.. أخيرا، تذكر المرجع السيستاني أن هناك (جهاد) في الإسلام!

لم تصدر فتوى من المرجع الكبير علي السيستاني بالجهاد في سبيل الله عندما دُّس الأمريكان والإنجليز أرض العراق واحتلوها ودمروها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.. بل أفتى بالجهاد عندما اندلعت الثورة السنية ضد طغيان الصفويين المجوس الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. أفتى السيستاني بضرورة مجاهدة (التكفيريين البعثيين الإرهابيين الوهابيين النواصب)، وهذه التسميات يقصدون بها أهل السنة والجماعة، فهم يتحالفون مع البعثيين في سوريا بدون أي حرج.

قالت صحيفة (الوسط) الصفوية البحرينية: «دعا الشيخ عبد المهدي الكربلائي - الذي يمثل آية الله العظمى السيد علي السيستاني أعلى مرجعية شيعية في العراق - الناس إلى حمل السلاح والدفاع عن وطنهم في مواجهة المسلحين المتشددين. وأضاف الكربلائي في خطبة الجمعة التي ألقاها في مدينة كربلاء أن الذين لقوا حتفهم وهم يقاتلون

المتشددین شهداء. وتابع أن كل من يقدر على حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن وطنه لا بد أن يتطوع بالانضمام لقوات الأمن من أجل تحقيق هذا الهدف. ورد المصلون قائلين لبيك يا حسين». (الوسط، بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠١٤م).

سكت السيستاني عن قصف بيوت ومساجد ومستشفيات أهل السنة في محافظة الأنبار طوال ستة شهور، وسكت عما يجري الآن من أعمال الاختطاف والقتل بحق أئمة ومؤذني الجوامع السنية في محافظة بغداد، وسكت عما يجري بحق أهل السنة في محافظة ديالى من قتل جماعي وتهجير، ويسكت كالصنم الآن عن قتل الأسرى والمساكين من أهل السنة في مختلف المناطق.. سكت عن كل هذا، وأفتى بالجهاد ضد (المسلحين الإرهابيين المجرمين).

الجهاد في سبيل الله بضاعة سنية، لا دخل للشيعية فيها، فهم لو يجاهدوا يوماً في سبيل الله ولن يفعلوا.. والذي رفع السماوات بغير عمد، لن يفعلوها !

في عام ٢٠٠٤م، اندلع صراع عنيف على النفوذ والمصالح بين مليشيات آل الحكيم وآل الصدر في مدينة النجف، ودخل الأمريكان المدينة، وقصفوها بالقنابل، فهل أفتى السيستاني بالجهاد ؟ كلا، بل هرب من المدينة - ومعه سائر المراجع - وانتقل إلى لندن لإجراء عملية قسطرة لم يمرض المرجع الكبير إلا عندما دنس الأمريكان (نجفهم الأشرف).. لقد كذب المرجع الكبير على (رعيته) فادعى المرض !

يخاطب الشيعي العراقي إسماعيل مصبح الوائلي المرجع السيستاني حول هذه الحادثة، فيقول له:

«سماحة المرجع السيستاني: تشير الوثائق (يقصد وثائق ويكيليكس) نقلاً عن عملاء بريطانيين أشرفوا على نقلكم، إلى أنه كنت تمشي من دون مساندة من أحد ودخلت المنزل وأنت

تسير على رجليك من دون مساندة المرافقين لك، مما يدل صراحة على أنك لم تكن مريضاً على الإطلاق ولم تكن ذاهباً لعاصمة الضباب من أجل العلاج ولكن من أجل أمر آخر في قلب المرجعية العليا، وأصحاب الدعوة.. وتتابع وثائق ويكيليكس القول أن لقاء سرياً عقد في ذلك المنزل الذي كنت تسكن فيه مع ولدكم محمد رضا، مع كبير جهاز المخابرات البريطانية (سير جو سوز) والذي كان يمد الحكومة البريطانية بالمعلومات السرية وخاصة تلك المتعلقة بمصالح المملكة الخارجية.. وتقول وثائق ويكيليكس بالحرف الواحد: إن اللقاء كان حافلاً بالمعلومات التي تلقتها المخابرات البريطانية من سماحتكم والتي على ضوءها يمكن لبريطانيا رسم سياستها المستقبلية في المنطقة العربية بصورة عامة والعراق بصفة خاصة..» (إسماعيل الوائلي، موقع كتابات).

إن الفئة الوحيدة من البشر، الذين يمكن للشيعية أن (يجاهدوهم) هم أهل السنة والجماعة.. وكل ما عدا ذلك هو أعمال قتالية تنفيذاً لمصالح إيران وحلفاء إيران في المنطقة.

«كشف دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي السابق في مذكراته، أن بلاده دفعت للمرجع الشيعي بالعراق علي السيستاني ٢٠٠ مليون دولار لإصدار فتوى تُحرّم على الشيعة قتال الأمريكان، للمساعدة في سقوط العراق في أيدي الاحتلال الذي قاده الولايات المتحدة. وبحسب صحيفة (الأسبوع) المصرية التي نقلت المذكرات، فإن رامسفيلد أكد أن له علاقة قديمة بالسيستاني تعود لعام ١٩٨٧م، وأنه في خضمّ إعداد قوات الاحتلال لشنّ الهجوم على العراق كان لا بدّ من مشورة السيستاني حتى نخرج بنتائج لا تسبب خسائر فادحة في صفوف قوات الاحتلال وفعلاً تمّ الاتصال به عن طريق وكيله في الكويت جواد المهري.. وأوضح رامسفيلد في مذكراته، أن الإدارة الأمريكية دفعت ٢٠٠ مليون دولار على سبيل

الهدية لمساعدة أمريكا في إسقاط العراق، عبر فتوى تحرم قتل الأمريكيين». (شبكة الدفاع عن السنة، بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠١٠م).

معلومة أخيرة عن (ولع) السيستاني بالجهاد..

هلك المرجع أبو القاسم الخوئي في عام

١٩٩٢م، وأصبح السيستاني مرجعاً أعلى مكانه، فماذا فعل ؟!

عمد إلى الرسالة العملية للخوئي، والمسماة

(منهاج الصالحين)، وأعاد طبعها ونشرها بين مقلديه ووضع اسمه على الغلاف بدل الخوئي.. لقد نقل السيستاني كل الأبواب الفقهية التي كتبها وشرحها الخوئي، ما عدا باباً واحداً حذفه تماماً.. إنه باب (الجهاد) !!

«ساحل العاج» منبع تمويل لـ «حزب الله» طوعاً وكراهية

ميرفت عوف - موقع ساسة ٢٠١٤/٦/٢٢

تعتبر القارة السمراء التي أنهكتها

الصراعات العرقية والحروب الأهلية منبعاً مالياً

كبيراً لتنظيم «حزب الله» اللبناني، حيث استغل

هذا الحزب العلاقات الدينية والعائلية والوطنية التي تربط بين العائلات اللبنانية المهاجرة وأهلها في الوطن الأم لبنان، بل أنه ابتز الكثير من المغتربين بالاعتماد على سطوة شبكة اتجار بالممنوعات أبرزها بما يسمى «الماس الدم» والأسلحة.

وفي «ساحل العاج» على وجه التحديد توجد

أهم جالية لبنانية في أفريقيا الغربية من حيث

العدد والثقل الاقتصادي، هذه الجالية هي أكثر

داعم لتنظيم «حزب الله» اللبناني بعد إيران، فمن

ساحل العاج يرسل تجار الألماس اللبنانيون وهم في

الغالب أعضاء بحزب الله أو مناصرون له المال

الكثير لهذا التنظيم كي يقوم بمهامه في سوريا

والعراق وغيرها من البلاد العربية. بل أن ساحل

العاج ليس فقط منبعاً لجمع الأموال ولكن يعتبر

أيضاً ملاذاً آمناً لعناصر حزب الله حين يتعرضوا للملاحقة.

في «ساحل العاج» يتحكم اللبنانيون بحوالي

٦٠٪ من القطاعات الاقتصادية الحيوية،

فيمتلكون أربعة آلاف مؤسسة من بينها ١٥٠٠ مؤسسة صناعية يعمل فيها نحو ١٥٠ ألف مواطن من أهل البلاد. وهم يسيطرون على ٧٠٪ من تجارة الجملة، و ٥٠٪ من تجارة التقسيط، و ٨٠٪ من شركات جمع القهوة والكافوا وتصديرها، و ١٧٪ من سيارات الأجرة، الأمر الذي حرصت قيادات البلاد المتوالية على التنويه والإشادة به.

ماфия حزب الله

كشف تقرير نشره موقع «١٤ آذار» تحت

عنوان: «أفريقيا، منجم ألماس في جعبة «حزب الله» أن هذا التنظيم نجح في الاستفادة من التدفق المالي للأعمال الإجرامية التي تديرها الجماعات المتعاطفة مع أفكاره بشكل عام في أفريقيا، ويقول ستيفن أمرسون في دراسة مطولة عن مصدر أموال حزب الله الخارجية نشرتها صحيفة The American Legion Magazine في آذار ٢٠٠٧، إن حزب الله نشط في جمع الأموال في أفريقيا على مدى العقدين الماضيين، وخصوصاً في ساحل العاج والسنغال. ويؤكد أمرسون أن حزب الله يشارك في تنظيم ماфия تتبع أسلوب الابتزاز، في حين يتلقى الأموال من قاعدة واسعة من المتعاطفين معه. والأموال الناتجة عن عمليات المجموعة الأفريقية وحدها تصل إلى ملايين الدولارات.

ويوضح دوغلاس فرح في مقالة له نشرت في ٤

آب ٢٠٠٦، أن الجماعات الشيعية في غرب أفريقيا،

ولا سيما ساحل العاج، قد وفروا ملاذاً آمناً لقادة

حزب الله، ومن بينهم عماد مغنية، القائد

العسكري السابق لحزب الله. وواحدة من الآليات

التي يستخدمها حزب الله في غرب أفريقيا

وخصوصاً ساحل العاج، كما هو الحال في لبنان،

هو فرض نوع من الضرائب على تلك الشركات

والأفراد الشيعة الذين يديرون الأعمال التجارية

٣٥ فقط منهم من السكان الأصليين وأن الباقين فهم من اللبنانيين الذين يقدمون مبالغ ضخمة للحزب على شكل تبرعات طوعية فردية.

أمريكا تجفف المصادر

لم تقف الولايات المتحدة الأمريكية مكتوفة الأيدي أمام المصادر المالية لـ «حزب الله» المصنف كمنظمة إرهابية على لائحة وزارة الخارجية الأميركية، فضمن حملة معلنه لتجفيف مصادر الحزب المالية قامت وزارة الخزانة الأميركية العام الماضي بفرض عقوبات على أربعة مواطنين لبنانيين مقيمين بساحل العاج بتهمة جمع الأموال، وتجنيد المقاتلين، وإرسالهم إلى سورية.

وتسعى الولايات المتحدة في إطار الضغوطات التي تمارسها لضرب مصالح المغتربين اللبنانيين، والقضاء على نفوذهم السياسي والاقتصادي في غرب أفريقيا على وجه التحديد كونها مصدر تمويل حزب الله. حيث توجه لرجال الأعمال اللبنانيين تُهم الاتجار بالمخدرات، وتبييض الأموال، بتوجيه وإشراف مباشرين من أعضاء ومؤيدي «حزب الله» في الولايات المتحدة وبلدان غرب إفريقيا، وعلى الأخص في سيراليون، والسنگال، وساحل العاج، وغامبيا.

ووقفت أمريكا في عام ٢٠٠٩ خلف طرد أمام الطائفة الشيعية في ساحل العاج بعد أن اتهمه بتمويل حزب الله، لكن عبد المنعم قبيسي عاد بعد عام إلى عاصمة ساحل العاج، وأعلن مصدر في وزارة الداخلية العاجية لوكالة «فرانس برس» أن قبيسي «طلب العودة ونحن وافقنا على عودته كون الظروف التي كانت سائدة بالأمس لم تعد هي نفسها اليوم»

المشروعة، فضلاً عن جمع من الأعمال الإجرامية التي يديرها متعاطفون معه، بحسب مقابلات أجراها فرح مع عدد من أفراد هذه الجالية في أفريقيا. كما أن أفراد الحزب هاجموا ممتلكات التجار الذين رفضوا دفع هذه المبالغ.

الأماس وحزب الله

وتعد «ساحل العاج» المركز الرئيسي لجمع المال لهذا الحزب من أفريقيا، حسب ما ذكر تقرير صادر عن معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى عام ٢٠٠٤، وجاء في التقرير أن تنظيم «حزب الله» ركز على جمع التبرعات في ساحل العاج ثم السنغال، وجمهورية الكونغو الديمقراطية (زائير).

ووثقت عدة مصادر دولية تورط «حزب الله» بتجارة الأماس والمعادن والعقارات والمضاربة في سوق الأسهم وغسل أموال المخدرات. وأكدت هذه المصادر أن الحزب يستفيد إلى حد كبير من أموال الاتجار بالأماس المتنازع عليه في سيراليون، ليبيريا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية. وكذلك في المناطق النائية الغنية بالأماس في دول غرب ووسط أفريقيا عبر التعاطي مباشرة مع عمال المناجم والوسطاء.

ونشرت صحيفة «الواشنطن بوست» تحقيقاً مفصلاً عن تعامل حزب الله بالأماس أفريقيا، حيث كشف السفير الأمريكي السابق في سيراليون «جوزف مالروز» للصحيفة، أن حجم التعاملات التي يقوم بها حزب الله من خلال تجارة الأماس ضخمة وتنفوق التصورات.

كما نقلت الصحيفة عن «ماثيو ليفيت» وهو عميل سابق لـ FBI، ويعمل لدى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أن «حزب الله» يلجأ في كثير من الأحيان إلى فرض الإتاوات والتهديدات من خلال العصابات التي يديرها هناك، ويكشف ليفيت الذي عمل في مجال مكافحة الإرهاب المالي في وزارة المالية الأمريكية للصحيفة عن وجود ٢٠٠ من مشتري الأماس في كويديو في ساحل العاج، وأن

كول: رجل تركيا الغامض!!

حسين الرواشدة - الدستور ٢٠١٤/٦/٧

لكي لا نتفاجأ - كما حصل لنا فيما مرّ من تاريخنا - بجماعات أو زعامات تتغطى بالإسلام، وتستثمر في مشاعرنا الدينية، وربما القوميّة، تثير إعجابنا وتستحوذ على احترامنا ثم تتقلب عليها وعلينا، وتتحول إلى «مصابة» على امتنا، وخنجر بيد أعدائنا اتجاه «صدورنا»، فإن من حقنا أن نحرك عجلات «عقولنا» لكي نخرج من دائرة «الدهشة» والإعجاب إلى فضاء السؤال والبحث عن الدليل ومعرفة الحقيقة.

آخر ما يخطر إلى بالي إن «اتهم» أو أن اصدر أحكاماً جاهزة تجاه أي جماعة أو حركة أو شخص، فأنا - بالطبع - لست محققاً لا قاضياً، ولكنني بدافع واجب الضمير الذي تفرضه علي مهنة «البحث» في الوقائع والاحداث والصور عن «خيوط» الحقيقة، أحاول أن أقدم للقارئ العزيز جانباً من «المسكوت عنه» أو جزءاً من الصورة التي اعتقد أنها تمرّ أحياناً من أمام عيوننا دون أن ندقق فيها كما يلزم.

تسألني -إذن- عن المقصود من هذا الكلام، وسأجيبك على الفور بأنه «رجل» تركيا الغامض فتح الله كولن، وحركة «الخدمة» التي تحولت إلى امبراطورية عابرة للبلدان والقارات، أما المناسبة فهي ذات شقين: احدهما شق الصراع المحتدم بين الرجل وحركته وبين أردوغان وحزبه، وهو صراع بدأ قبل نحو عام، لكنه انتهى إلى «الطلاق» بين الطرفين، أما الشق الثاني فهو محاولة الحركة التغلغل في عالمنا العربي والإسلامي بشكل لافت، سواء من خلال الإعلام أو التعليم أو البزنس، لدرجة دفعت الكثيرين (في المغرب وتونس وموريتانيا وغيرها) إلى التحذير مما جرى... وفتحت أعين الآخرين على خطورة نقل الصراع الديني- السياسي من تركيا إلى خارجها على اعتبار أنهم

ليسوا جزءاً منه أو طرفاً فيه.

قبل أن أدخل في تفاصيل الحركة وزعيمها استأذن في تحرير عدد من الملاحظات، أولها: ان جماعة «الخدمة» التركية نجحت حقاً في ابهار المشاهدين والمراقبين داخل تركيا وخارجها بالنموذج الذي قدمته في مجال الخدمة العامة (التعليم، الإعلام، الإغاثة) كما نجحت في تقديم صورة «للإسلام الاجتماعي» ونأت بنفسها عن الانخراط في السياسة (ظاهرياً)، ومع أن النموذج الذي قدمته يستحق الإعجاب (تماماً كما تعجبنا نماذج أخرى لحركات ودول ديمقراطية هنا وهناك) إلا أن أحداً منا لا يعرف حقيقة هذا النموذج ولا أهدافه ودوافعه... وفيما إذا كان لخدمة الإسلام والمسلمين أم لخدمة غيرهم.

الملاحظة الثانية ان المشكلة بالنسبة لنا (دعك من الأترك) ليست في الإعجاب، وإنما في محاولات تبذلها الجماعة «لتصدير» النموذج وفي «قابليات» لدينا لاستلهاام التجربة والذوبان فيها قبل معرفة خلفياتها أو ممارسة النقد الواجب تجاهها أو فهمها والتدقيق في اتجاهاتها الحقيقية ومصادر تمويلها، بمنطق العارف لا بمنطق المعجب فقط.

أما الملاحظة الثالثة فهي ان المجال الديني (بما فيه التعليمي والثقافي) في بلادنا العربية أصبح مفتوحاً وبلا رقيب لموجات من «الدخول» المفاجيء، وربما يشكل دخول جماعة «كولن» إليه أمراً لافتاً، خاصة إذا عرفنا بأنها تعتمد أصلاً على «إسلام الأناضول» القائم على القومية التركية أولاً، وتحدد انتشارها في مناطق النفوذ تبعاً للقوميات التركية الموجودة في بلدان مثل القوقاز وآسيا الوسطى ولا تعتبر العالم العربي ضمن أولوياتها، كما أنها في الجانب الديني تقدم تصوراً مختلفاً للدين يقوم على «التقية» لتحقيق أهدافها دون النظر لأحكام الحلال والحرام (الحجاب ودفع الرشوة مثلاً) الأمر الذي يثير مزيداً من الأسئلة حول «تحولاتها» على صعيد الانتشار في بلداننا، وخاصة بعد «صراعها الأخير مع أردوغان.

**حين ندقق في سؤال الانتشار هذا
نكتشف من خلال قراءة فاحصة لأهدافها
وتجربتها ان ثمة خمسة عوامل -على الأقل-
تقف وراءه:**

أولاً: تميع حالة «التدين» لمواجهة حركة الدين
في المجال السياسي والعام، فهي كحركة صوفية
تتبنى فكرة «الإسلام الروحي» وتعتقد أنها تستطيع
من خلال التغلغل في المجال الاجتماعي إلى ان تصل
لمرحلة «التمكين» السياسي، وهذا ما حدث تماماً
في تجربتها الحالية.

ثانياً نزع حالة «العداء الديني» في عالمنا العربي
والإسلامي للمشروع الصهيوني وتعميم «التطبيع» مع
المحتل تحت ذريعة ان الوقت غير مناسب لمواجهة
واستعدائه، وقد تمثلت هذه النزعة في تبرع «جولن»
السخي لأحد المدارس التبشيرية (٢ مليار دولار)
ولقاءاته مع الحاخامات، وفي علاقة الجامعات التي
انشأتها «الجماعة» مع الجامعات الإسرائيلية، وفي
ادانة كولن لسحب السفير التركي من تل أبيب،
وفي رفضه لسفينة «ممررة» حين توجهت لمساندة
أهل غزة المحاصرة.

ثالثاً: التأسيس لمجال ديني وسياسي خارج
تركيا لخدمة الحركة مستقبلاً إذا ما تجاوزت
مرحلة «التمكين» وسيطرت (كما كانت تخطط)
على مفاصل الدولة التركية، وهذا المجال بدأته في
الدول التي يوجد فيها مسلمون من أصول تركية أو
غير عربية، ثم وصلت للمغرب العربي وانتهت
بالمشرق العربي.

رابعاً: استخدام مناطق النفوذ الديني والثقافي
بما تمثله من شخصيات دينية وسياسية للاستقواء
على المشروع الذي يمثله أردوغان، وتوظيف ذلك في
معركة «الصراع» على السلطة بين «الخدمة»
و«حزب العدالة والتنمية» أو بين العثمانيّة التي يدعو
إليها أردوغان وتركيا «القوميّة» التي يبشر بها فتح
الله كولن.

خامساً: تخويف العالم العربي من خطر الإسلام
السياسي، واستخدام ذلك كمظلة للعبور والتغلغل

من جهة، وتطمين الدوائر السياسية العربية بأنها
جماعة دعوية ترفع شعار «الإسلام الاجتماعي» من
جهة أخرى، ثم اغراء المجتمعات العربية
بالمشتركات والمصالح التي تحملها كبديل
«للإسلام السياسي» الذي أصبح غير مرغوب فيه
«ومطلوباً» في هذه المرحلة.

اذن، من حقنا أن نسأل من هو «كولن» وما
حقيقته، ومن هي جماعة «الخدمة»، وما هي
مواقفها من الدين والسياسة، ومن المسلمين والعرب
وقضاياهم (قضية فلسطين تحديداً) ومن الآخر
ومعتقداته وسياساته تجاهنا، ومن حقنا ان نسأل
ونعرف -ايضاً- حقيقة الصراع بين الجماعة
وكل من حمل المشروع الإسلامي في تركيا ابتداء
من أربكان وانتهاء بأردوغان.

كولن يلعب السياسة ثم يغرق فيها...

حسين الرواشدة - الدستور ٢٠١٤/٦/٨

استطرادا لما كتبته أمس حول «رجل تركيا

الغامض»، استأذن بتسجيل ملاحظة، وهي ان
المعلومات المتاحة حول شخصية كولن وأهدافه
الحقيقية وحركة الجماعة واتجاهاتها تبدو
شحيحة جداً وهذا يؤكد قدرة الجماعة -
فعلاً- بما امتازت به من علاقات وتحالفات على
تشكيل «تنظيم سري» لا يخضع لمراقبة الدولة،
كما يؤكد عجز «الاجهزة» أو تواطؤها مع
الجماعة بحيث ظلت تعمل من داخل المؤسسات
وتؤثر في القرارات دون ان تترك دليلاً ملموساً على
ذلك، وهذا -بالتحديد- ما اكده عليه كولن
نفسه حين دعا اتباعه (وفق تسريبات منشورة) إلى
الانخراط في دراسة التخصصات الادارية والحقوقية
والعمل بأجهزة الدولة والجيش واخفاء تدينهم في
الاطراف العلمانية من اجل «التمكن» في هذه
المؤسسات.

**وعلى الرغم من محاولة (الانغلاق على
الذات) والاختباء والكتمان التي نجحت فيها**

جزءاً كبيراً من المجتمع التركي أدرك حقيقة كونه وجماعته، فأنحاز إلى الصناديق التي توجت فوز أردوغان... لكن ما يهمنا هو ما تريده الحركة من «نفيها» إلى عالمنا العربي. ومن محاولة انتشارها في أوساطنا التعليمية والدينية.

ردود صادمة...

والأهم حماية مجالنا الديني...!

حسين الرواشدة - الدستور ٢٠١٤/٦/٩

قبل أن أواصل سلسلة المقالات التي نشرت في هذه الزاوية حول «رجل تركيا الغامض» وجماعة «الخدمة» استأذن بفاصل قصير أسجل فيه نقطة نظام تتعلق بالردود التي تلقيتها في اليومين المنصرمين، وقد كانت حقاً صادمة، لا من حيث عددها وحديثها أو ما عبرت عنه من اختلافات في وجهات النظر، وإنما -أيضاً- من زاويتين لم أتوقعهما، أحدهما ما عكسته هذه الردود من حجم واتساع الانتشار الذي تمكنت منه الجماعة في أوساطنا الدينية تحديداً، لا أريد أن أسميه «اختراقاً» لمجالنا الديني، ولا مجرد «استلها» للتجربة التركية وإعجاب بها، وإنما عمل مدروس نجح أصحابه -بالتأكيد- في إيصال رسالتهم ووجدوا من يتلقاها ويروج لها (لا تسأل عن الأسباب) ويدافع عنها أيضاً، أما الزاوية الأخرى فهي أن بعض هذه الردود تجاوز التعبير عن القبول أو الرفض إلى «التحذير» من خطر الاقتراب من هذا الموضوع، لا أدري -بالطبع- لماذا، وسواء أكانت النوايا حسنة أو غير بريئة، فقد صدمني هذا التحذير وفهمت رسالته على الفور.

بقيت ملاحظة على الهامش وهي أن بعض من

اتصل من القراء والأصدقاء، من تركيا ومن هنا، قدموا لي معلومات غابت عني، وأهمها ما يتعلق بنفوذ الجماعة وسطوتها داخل تركيا وخارجها، ثم في قدرتها الهائلة على الوصول إلى «أهدافها» خاصة في كليات الشريعة بجامعاتنا التي تحولت بعضها فعلاً إلى حواضن لهذا الفكر لدرجة أنه أصبح جزءاً من المساقات التي تدرس فيها، أحدهم ذكر لي أن عشرات من أساتذة

الجماعة، فإن لدينا مواقف يمكن أن نتعرف من خلالها على الرجل وجماعته كما أن لدينا معلومات قدمها أحد ابنائها الذين انشقوا عنها، ففي كتابه «الحصار.. حصان طرواده الأمريكي» يكشف أحد المقربين من فتح الله كولن وأحد المؤسسين الأربعة للجماعة (اسمه نور الدين فاران) جانباً من «الأسرار» التي تحيط بشخصية الرجل الغامض وشبكة علاقاته وأهداف حركته، وهي ذاتها المعلومات التي يؤكد الباحث التركي (مردان ينارداغ) في كتابه «كيف حوصرت تركيا؟»، وخلصتها كما يبدو من «العنوانين» تشير إلى أن هدف جماعة «الخدمة» وزعيمها الذي هرب قبل نحو ١٥ عاماً من تركيا اثر اتهامه بتشكيل تنظيم سري للانقلاب على الحكم، هو «محاصرة» تركيا والتغلغل في كافة مفاصل السلطة لتأمين «مشروع» إسلامي بمواصفات مقبولة في الغرب، تمهيداً لتصدير هذا النموذج إلى محيطها الإسلامي لمواجهة حركات الإسلام السياسي وانتاج حالة «تدين» بدمغة «أناضولية» شبيهة بالنسخة «الغربية» التي نشأت بعد الصراع بين السلطة والكنيسة وأسفرت عن تتويج «العلمانية». ومن اللافت هنا أن الرجلين استخدمتا مصطلح «الحصار» في وصف الجماعة، حيث يمكن أن نفهم من ذلك محاولة الجماعة فرض حالة من الحصار على تركيا للحفاظ على قوميتها أو تتركها ولكي تظل دائماً تدور حول الغرب باعتبارها - كما يرى كولن - جزءاً منه وحليفاً دائماً له أيضاً، وكذلك محاولة الجماعة فرض حصار على «الإسلام» بحيث يحافظ على نسخته «الكولينية» التي تعتمد صيغة «مؤمنون بلا حدود» حيث الإنسان (لاحظ أن أتباعه يتحدثون دائماً عن الإسلام من خلال أفكاره فقط وكأنه مصدر لفهم الدين) هو من يحدد حدود الإيمان وليس الأديان.

الصراع بين كولن وأردوغان كشف

«المستور» لاريب، لكنه ظل مرتبطاً بالداخل التركي، حيث أثبتت الانتخابات البلدية الأخيرة أن

الشريعة توطدت علاقاتهم بالجماعة من خلال لقاءاتهم بأقطابها هنا وفي تركيا ، فيما ذكر لي آخر ان احد الأسئلة التي وضعت في امتحان للطلبة هذا الفصل كانت تتعلق بالشيخ «كولن» ، اما احد الأصدقاء الأتراك فقد اعتذر لي عن عدم قدرته على الحديث حول «الجماعة» لأنه يخشى من تسجيل مكالمته أو التنصت عليها ، آخر قال لي بأن مجلة «حراء» التي تصدرها الجماعة توزع الاف النسخ مجاناً على كل الجامعات والمنتديات ، فيما تقام مئات النشاطات والمحاضرات واللقاءات وجلسات «الذكر» للترويج لجماعة «الخدمة» أو جماعة «النور».

على كل حال ، سيرة «كولن» الواعظ والخطيب الذي تتقل بين المساجد والمدن لإلقاء المواعظ عن «الأخلاق» ودعوة المريدين إلى «السماحة» والالتزام تبدو معروفة ، فقد ولد الرجل في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي ، وأعجب بالشيخ النورسي رغم أنه لم يقابله ، وفي عام ١٩٧١ انشأ مع نحو (١٠٠) شخص جماعة اطلق عليها اسم «الخدمة» لكن نجمه بزغ بعد انقلاب عام ١٩٨٠ ، حين أعلن على الملأ أنه يؤيد وصول العسكر إلى السلطة ودعا اتباعه إلى «طاعة أولي الأمر» لكنه بعد (١٧) عاماً انقلب على أول رئيس إسلامي (اربكان) بحجة ان «روحه» لم تأتلف مع روحه (١) ، وتحالف مع الرئيس اجاويد الذي يعتبر من غلاة العلمانيين الأتراك وحين جرى الانقلاب عليه قال كولن عباراته المشهورة «لو كنت املك الشفاعة لتشفعت في اجاويد».

مواقف كولن كانت «صادمة» لجزء كبير من المجتمع التركي ، فهو يعلن ان جماعته لا تمارس «السياسية» ولا تسعى للوصول إلى السلطة ، لكن الوقائع جاءت عكس ذلك ، فالصراع الذي دخل فيه مع اربكان ثم مع اردوغان هو صراع سياسي استخدمت فيه الجماعة كافة الادوات المشروعة وغير المشروعة للتغلغل في «مواقع صنع القرار» وحكم البلاد.. كما أن العنوان الذي اختارته الجماعة للتعريف بنفسها هو «الأخلاق» لكن الممارسات التي تقوم بها ، ابتداء من تحالفاتها مع كل الحكومات والانقلابات السابقة وانتهاء بما قامت به من عمليات «تجسس» واسعة على الشخصيات السياسية والإعلامية «لابتزازهم» وتخويفهم ، وبما فعله بعض

المنتسبين إليها من المتنفذين في الأمن والإعلام والقضاء.. كلها تكشف عن مسألتين: أولاًهما أن الجماعة تؤمن بالبرجماتية المنزوعة تماماً من الأخلاق ، وثانيهما أن الجماعة لا علاقة لها لا «بالمشروع الإسلامي» الذي يتصدر خطاباتها ، ولا بالسماحة التي وظفتها من اجل الترويج لصورتها وسط المجتمع التركي.

وباختصار ، إذا كان موقف زعيم جماعة «الخدمة» من اربكان في عام ١٩٩٧ قد بدد بعض «الغموض» عن المشروع الذي تحوّل إلى امبراطورية ممتدة ومتغلغلة في تركيا وخارجها ، فإن الحرب التي أعلنها على حليفه أردوغان ازاحت القناع بشكل سافر عن وجه «رجل» بنسلفانيا الذي خرج إلى هناك ولم يعد رغم الدعوات التي وجهت إليه أكثر من مرة.

إذا دققنا في مضامين «حرب» كولن الثانية على أردوغان وحزبه سنلاحظ ان توقيتها جاء في لحظة فارقة على صعيد الداخل التركي والمحيط العربي والإسلامي والدولي حيث أصبح «المشروع الإسلامي» محاصراً ومطلوباً ، وحيث النموذج التركي السياسي اثبت حضوره وربما تمادى - من وجهة نظر خصومه- في تحقيق ما لا يسمحون به من نجاحات ، كما أن أسباب هذه الحرب كانت واضحة بالنسبة للأتراك ، فهي جاءت للرد على موقف أردوغان مما جرى لسفينة «ممرمة» ولاحقاً لما جرى على صعيد العلاقة مع اسرائيل ثم الغرب عموماً ، وخاصة فيما يتعلق بالموقف من الربيع العربي...وقبل ذلك لأسباب سياسية تتعلق بهدف الجماعة غير المعلن وهو «السيطرة» على الحكم في تركيا بالنفوذ والمال لا «بالحكم» المباشر.

اعتمد كولن على عنصرين أساسيين لتحقيق ما يريده ، احدهما الدين والآخر المال ، (لاحظ ان التسريبات التي اخرجت أردوغان كانت متصلة بالفساد المالي) ، كما اعتمد على التكنولوجيا (العلم) في التغلغل داخل الدولة بعيداً عن الرقابة ، وهو ما دفع حكومة أردوغان (قبل ان تطالب امريكا بتسليم كولن لمحاكمته) إلى استصدار ثلاثة قوانين هامة لمواجهة جماعة كولن (الرقابة على الإنترنت ، وقانون الاستخبارات وقانون اعادة هيكلة القضاء) ، ومع ان «القوانين» أثارت مخاوف

فماذا تفعل الصين استعداداً لحلول شهر رمضان المبارك:

- إنها تمنع الطلاب بصفة خاصة وكل من لم يبلغ ١٨ سنة بصفة عامة؛ من الصيام وارتياح المساجد، وتقوم الشرطة بالتفتيش من وقت لآخر للتأكد من تطبيق الأوامر.

- وتخضع نسخ القرآن لرقابة مسبقة حيث أن بعض الآيات لا تتوافق مع وجهة النظر الرسمية، وتعتبر حيازة نسخة من المصحف غير مُرخَّصة جريمة تهريب تُعرَّض صاحبها للاعتقال والمساءلة.

- البيان الرسمي للحكومات المحلية فى شينجيانج، يحضّ قادة الحزب الشيوعي على إحضار هدايا، هي عبارة عن طعام لزعماء القرى للتأكد من أنهم مفطرون في نهار رمضان.

- في هذا المجال صدرت أوامر كثيرة للحد من النشاطات الرمضانية، مثل التثبيته على المدارس للتأكد من عدم زيارة الطلاب للمساجد خلال شهر رمضان.

مع كل هذه الإجراءات القمعية لتكفير المسلمين ومنعهم من أداء شعائر دينهم تقول السلطات الصينية ان كل المواطنين ينعمون بالحرية الدينية. وتعزّز هذا وكالة الصين للأنباء؛ حيث تقول: إن هذه الحرية محترمة ومحفوظة، مستندة إلى تصريحات رجال دين، منتسبين للإسلام بالاسم والوظيفة الحكومية؛ فالصين لا تعدم أن تجد لديها مشايخ من أمثال على جمعة ووزير الأوقاف وآخرين، يسوِّغون للحكومات الفاشية المارقة كل ما ترتكبه من جرائم بحق الإسلام والمسلمين. وتزيّن لهم في عبارات تشبه تلك التي وردت في بيان لجنة مقاطعة شينجيانج التي أصدرت توجيهات شاملة بدعوى «الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي خلال شهر رمضان» المعظم..!

هذا ما تفعله الصين استعداداً واحتفاءً بالشهر الكريم، فماذا تفعل حكومة السي سي اى احتفاءً بشهر رمضان، وماذا تجهّز للمسلمين من مفاجآت سارة ؟!

الأثرak على الحريات العامة الا ان المقصود منها هم جماعة «الخدمة» التي اكتشف أردوغان أنها تغفلت فعلاً في مؤسسات الدولة وانها تتحرك بأوامر «كولن» المقيم في الخارج، دون ان تملك الدولة أية معلومات دقيقة عنه أو دليل لاتهامها، نظراً لعدم وجود شروط لعضوية الجماعة أو هيكل تنظيمي لها، أو كشوفات باتصالاتها وطبيعة علاقاتها.

المسلمون في الصين ممنوعون من الصيام

محمد عدس - الإسلاميون ٢٢/٦/٢٠١٤

لا أحد يعرف بالضبط كم عدد المسلمين في الصين لأن الإحصاءات الرسمية لا تُعنى بالأديان وإنما بالأعراق؛ ويتوزع المسلمون في الصين بين عدد كبير من المجموعات العرقية ولعل أصدق التقديرات مبني على استنتاجات قديمة ترجع إلى الأربعينات من القرن الماضي؛ حيث بلغت نسبة المسلمين ١٠٪ من عدد السكان وبناء عليه قدّروا عدد المسلمين الآن بمئة وخمسين مليون أو تزيد.

أما التصريحات الرسمية فتتزل بالرقم إلى ١٥ مليون فقط، وهو رقم مستحيل؛ لأن حجم الاهتمام الرسمي بحصار المسلمين وإجراءات قمعهم والثورات المتواصلة منذ القرن التاسع عشر حتى الآن. وأعداد القتلى في المواجهات العسكرية التي انتصر فيها الثوار المسلمون على الجيوش الصينية في مواقع معروفة. وحجم عدد الشهداء منهم، تقول شيئاً آخر تماماً. يدركها ويستنتجها المؤرخون والمفكرون.

ولأن أكبر مجموعة عرقية من المسلمين تتركز في منطقة شينشيانج لذلك تخصّها الصين بأكبر قدر من الإجراءات القمعية والتصفيات الجسدية وعمليات التهجير القسري للبنات المسلمات في أماكن بعيدة. وإجبارهن على الزواج من صينيين غير مسلمين. فيما أطلقت عليه جمعيات حقوق الإنسان بأنه دعارة منظمة بالقانون.

إحسان أوغلو يسير في طريق مسدود

إسماعيل ياشا - عربي ٢١ / ٦ / ٢٠١٤

«أعرف كل شيء عن النبيذ غير طعمه»..

هكذا قال عبد اللطيف شنر، أحد مؤسسي حزب العدالة والتنمية، في نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٥، قبل أن ينشق عن الحزب ليرسم لنفسه خطاً آخر يسير عليه. وكان آنذاك وزير الدولة ونائب رئيس الوزراء. ولم يترشح شنر في الانتخابات البرلمانية التي أجريت في يوليو / تموز ٢٠٠٧، وبعد الانتخابات بسنة استقال من حزب العدالة والتنمية، وأسس في مايو / أيار ٢٠٠٩ «حزب تركيا» ولكنه أغلق هذا الحزب الجديد في أغسطس / آب ٢٠١٢ بعد فشل ذريع.

ما قاله عبد اللطيف شنر حول النبيذ آنذاك في ورشة عمل نظمها جمعية منتجي النبيذ حظي بالقبول والتصفيق لدى حزب الشعب الجمهوري، وكذلك تصريحاته حول العلمانية وحظر الحجاب واختلافه مع حزبه في أزمة الانتخابات الرئاسية، حتى قال رئيس حزب الشعب الجمهوري دنيز بيكال «يمكن أن نفكر في ترشيحه لرئاسة الجمهورية».

لم تكن تلك التصريحات مجرد اختلاف

في الآراء والمواقف، بل كان الرجل يحاول أن ينأى بنفسه عن حزب العدالة والتنمية الذي قالوا له إنه سيتم حظره، ووعدوه بتولي رئاسة الجمهورية بعد إسقاط حكومة أردوغان. وكان تصديق تلك الوعود أكبر خطأ ارتكبه عبد اللطيف شنر في حياته، لأنه بسبب تلك الوعود خان رفاق دربه ودخل في طريق خاطئ أنهى حياته السياسية بشكل دراماتيكي فيه كثير من الدروس والعبر لمن يتعظ.

كان عبد اللطيف شنر وزير المالية في حكومة أربكان الائتلافية، وانشق مع أردوغان وغول وأرينتش وآخرين عن تيار أربكان ليؤسسوا حزب العدالة والتنمية. ورفع المدعي العام عبد الرحمن يالتشينكيا إلى المحكمة الدستورية في مارس / آذار ٢٠٠٨ دعوى قضائية بطلب حظر حزب العدالة والتنمية، إلا أن المحكمة الدستورية أفسدت حسابات عبد اللطيف شنر ولم تحظر الحزب. وهكذا تجاوز حزب العدالة والتنمية أكبر أزمة واجهها منذ تأسيسه إلا أن عبد اللطيف شنر لم يعد له ممكناً أن يواصل فيه حياته السياسية بعد أن خسر الرهان.

عندما قرأت الحوار الذي أجري مع والد

زوجة نجل أكمل الدين إحسان أوغلو وقال فيه الرجل إنه لم ير إحسان أوغلو مصلياً، تذكرت عبد اللطيف شنر ومحاولاته لكسب قلوب العلمانيين وعاقبة مسيرته السياسية بعد أن فقد البوصلة. وها هو البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلو هو الآخر يسير اليوم في طريق خاطئ ومسدود لن يوصله على الإطلاق إلى الهدف الذي يحلم به.

إحسان أوغلو اعترف في حوار أجرته معه وكالة جيهان التركية في مارس ٢٠١٣. بأنه ليس مؤهلاً لممارسة السياسة، وجدد هذا الاعتراف قبل عدة أشهر في برنامج لقاء الجمعة الذي يقدمه الإعلامي السعودي عبد الله المديفر بقناة الرسالة رداً على سؤال المديفر: «هل سنشاهد معالي الأمين رئيساً للوزراء، رئيساً للدولة في تركيا؟» وقال بالحرف الواحد: «أنا لا أحب السياسة الداخلية وأناى بنفسى عنها كما نأيت طول حياتي»، وأضاف: «أسلوب السياسة ليس من أسلوبى، لا يتوافق مع مزاجى وطبيعتى».

ليس لنا إلا أن نصدق أن إحسان أوغلو كان صادقاً فيما قاله قبل أشهر، ولكنه وقع

الجيش اللبناني وفخ الطائفية

منى علمي - نشرة صدى من مركز كارنيغي ٢٠١٤/٦/٢٥

لن يتمكن لبنان من الحفاظ على توازنه الطائفي الهش في المدى الطويل إذا سادت نظرة بأن الجيش يتقرب أكثر من حزب الله.

لن يتمكن لبنان من الحفاظ على توازنه الطائفي الهش في المدى الطويل إذا سادت نظرة بأن الجيش يتقرب أكثر من حزب الله.

تثير الحرب السورية المستمرة منذ ثلاث سنوات غضب واستياء من الجيش في صفوف عدد كبير من السنة اللبنانيين الذين يدعم معظم الثورة السورية وتعتبر أن الجيش اللبناني أصبح مقرباً جداً من حزب الله، أحد الداعمين الأساسيين لنظام الأسد. وقد أطلق الجيش وقوى الأمن خطة أمنية جديدة في نيسان/أبريل الماضي رداً على التهديدات الأمنية المتعاظمة في لبنان، بهدف فرض سيادة القانون عبر إنشاء حواجز تفتيش وتنفيذ مزيد من المداهمات على طول الحدود السورية- اللبنانية. وقد نجحت الخطة التي تعتمد على التعاون المتزايد مع حزب الله، في تحسين الوضع الأمني في البلاد في شكل عام والحد من التشنجات بين السنة والمؤسسة العسكرية. بيد أن الهجمات الانتحارية الأخيرة، لاسيما التفجير الذي وقع في إحدى الضواحي الشيعية في بيروت في ٢٣ حزيران/يونيو الجاري، والهجوم في منطقة البقاع في ٢٠ من الشهر نفسه، وفي طرابلس في ٢٠ أيار/مايو الماضي، تكشف عن استمرار التوتر في العلاقات بين السنة والجيش على الرغم من التحسينات الطفيفة التي طرأت في هذا المجال. فالخطة الأمنية ليست سوى حل قصير الأمد يسلط الضوء على غياب مجهود طويل الأمد من أجل إعادة بناء الثقة بالمؤسسة العسكرية لدى الطائفة السنية في لبنان.

فجأة في حب السياسة أو هناك من أقنعه بضرورة ترشيحه، وربما قالوا له: «أنت الوحيد الذي يمكن أن تنقذ البلد». ومهما كان السبب في تغيير رأيه حول ممارسة السياسة فإنه سيجد صعوبة بالغة في إرضاء أنصار حزب الشعب الجمهوري الذي قام بترشيحه كما تشير إليها المؤشرات.

ومن تلك المؤشرات إصدار ٤٢ من قادة

حزب الشعب الجمهوري، الاثنين الماضي، بياناً شديد اللهجة للاحتجاج على ترشيح أكمل الدين إحسان أوغلو كمرشح توافقي، اتهموا فيه الرجل بأنه ليس غيوراً على قيم الجمهورية ومبادئ أتاتورك، ووصفوا ترشيحه لرئاسة الجمهورية بـ«خطأ تاريخي»، ودعوا إلى التراجع عن هذا القرار قبل فوات الأوان واختيار مرشح آخر منحاز للعلمانية ومبادئ أتاتورك.

وهناك استطلاع للرأي يشير إلى أن ٣٢

بالمائة من أنصار حزب الشعب الجمهوري يؤيدون ترشيح إحسان أوغلو بينما يعارض ٦٨ بالمائة منهم هذا الترشيح. وفي المقابل يؤيد ٧٥ بالمائة من أنصار حزب الحركة القومية ترشيح إحسان أوغلو، ولا غرابة في ذلك لأنه عمل مستشاراً في السابق لمؤسس الحزب وزعيم القوميين الأتراك ألب أرسلان توركش.

مهما حاول إحسان أوغلو لكسب قلوب

أنصار حزب الشعب الجمهوري من خلال الدعاية المكثفة وعمليات العلاقات العامة فلن ينجح في ذلك، ولكنه قد يكسب أصواتهم التي من الممكن أن يدلوا بها نكايه بأردوغان. ومع ذلك، احتمال انتصاره في الانتخابات الرئاسية يبدو بعيداً. والأدهى منه والأمر أن معظم هؤلاء الذين يدعون اليوم إلى تأييد إحسان أوغلو في العاشر من شهر أغسطس / آب المقبل سيتخلون عنه بمجرد إعلان النتائج كما تخلوا قبله عن عبد اللطيف شمر.

يواجه الجيش اللبناني مهمة شاقة للحفاظ

على نوع من التوازن بين عمله على مكافحة الإرهاب من جهة وبين الإبقاء على صورة المؤسسة المحايدة التي ظهرت بعد اغتيال رفيق الحريري في العام ٢٠٠٥. لكن هذا الحياد تعرّض للتحدي نتيجة النزاع الدائر في سورية، ولاسيما على ضوء طريقة تعاطي الجيش مع مشاركة أطراف لبنانية ممثلة بكل من حزب الله والمقاتلين الجهاديين في الحرب السورية. نظراً إلى نفوذ حزب الله وتأثيره في لبنان، لم يتمكن الجيش من فعل الكثير بشأن ضلوع الحزب في الحرب السورية، خوفاً من ردود الفعل الغاضبة على الساحة المحلية التي يمكن أن يثيرها اعتقال مقاتلي حزب الله لدى توجّههم إلى سورية. في المقابل، يملك الجيش مطلق الحرية في التضيق على الجهاديين السنّة لأنهم لا يحظون بالدعم من أي قوة سياسية لبنانية كبرى. وكذلك، على النقيض من الجهاديين السنّة، لا يشكل المقاتلون الشيعة تهديداً كبيراً للدولة. فهم ينتمون إلى مجموعة قتالية ذات قدرات بنوية وتنظيمية عالية، ويلتزمون بهيكلية راسخة وهرمية قيادية محكمة. أما الجهاديون السنّة فغير منضبطين، ولا يلتزمون على ما يبدو بقرارات القيادة السنّة، ويرى كثيرٌ بينهم في الدولة اللبنانية مصدراً للقمع. لقد اتّهم عدد كبير من السنّة في لبنان المؤسسة العسكرية بتطبيق ازدواجية المعايير في الحملة التي تشنّها لوقف تدفق المقاتلين اللبنانيين إلى سورية.

يعود هذا العداء المتنامي بين الجيش

والسنّة في لبنان إلى ما قبل النزاع السوري. ففي العام ٢٠٠٧، خاض الجيش حرباً ضد تنظيم فتح الإسلام السنّي الجهادي في مخيم نهر البارد الفلسطيني، وقد استمرّت ثلاثة أشهر وأسفرت عن مقتل ما يزيد عن ١٥٠ جندياً. وقد ازداد الجيش تصميماً على محاربة هذا التهديد الإرهابي الذي يطفئ عليه الطابع السنّي، بعد أحداث حزيران/يونيو ٢٠١٢ عندما لقي ١٨ جندياً على

الأقل مصرعهم في صدامات وقعت في مدينة صيدا بين الجيش، المدعوم من حزب الله، وبين أنصار الشيخ السنّي أحمد الأسير، المعروف بعدائه لحزب الله. وقد كان انضمام عناصر من حزب الله للقتال إلى جانب الجيش اللبناني في هذه الصدامات، سيفاً ذا حدين. فقد ولّدت هذه المحنة المشتركة رابطاً أقوى بين الجيش والحزب، لكنها عزّزت شكوك السنّة بأن الجيش والأجهزة الأمنية تتّجه نحو أن تصبح تحت سيطرة التنظيم الشيعي القتالي. وبلغت الروابط بين حزب الله والجيش اللبناني مستويات جديدة من التعاون إبان موجة التفجيرات التي استهدفت الأحياء الشيعية في العاصمة بيروت والمنطقة الحدودية في أواخر العام ٢٠١٣ ومطلع العام ٢٠١٤. وقد أسفرت هذه الهجمات - التي تبنتها جبهة النصرة وفرعها في لبنان، كتائب عبد الله عزام، رداً على تدخل حزب الله في سورية - عن سقوط قتلى في صفوف المواطنين الشيعة والجيش اللبناني على السواء.

في مواجهة التهديدات المتعاظمة جراء

التصعيد في سورية، سعى الجيش اللبناني للحصول على المؤازرة من حزب الله، لا سيما خلال الأشهر القليلة الماضية. بحلول العام ٢٠١٣، كان الجيش اللبناني يتبادل معلومات أمنية قيّمة مع حزب الله، بما أتاح له التصديّ بفعالية لعدد من التهديدات. يقول مصدر عسكري إن تبادل الاستخبارات ساهم في نجاح الجيش في تفكيك شبكة إرهابية متورّطة في عشرات الهجمات التي وقعت في شباط/فبراير وآذار/مارس الماضيين. وجاء إعلان حزب الله بأن تدخله في سورية يهدف إلى حماية لبنان من التهديد التكفيري من الجهاديين (العدو الذي حاربه الجيش لسنوات عدة) ليزيد من حدة اتهامات السنّة للجيش بالانحياز إلى الحزب. فقد أتاح هذه الرواية للحزب والجيش على السواء، وضع الجهاديين اللبنانيين والسوريين في خانة العدو المشترك.

التدخل الأميركي في العراق "فريضة" وفي سوريا حرام

ياسر أبو هلاله - الغد ٢٦/٦/٢٠١٤

كل الصراخ والعويل والتجريم والتخوين

بحق التدخل الدولي لوقف المجازر التي يتعرض لها الشعب السوري تحول إلى صمت عندما تعلق بالتدخل الأميركي لإنقاذ نوري المالكي.

لا سماحة المرشد ولا سماحة السيد ولا

ميشال سماحة لهم حساسية تجاه القوات الأميركية. مع أن العراق «شيعة» يضم المراقدة المقدسة التي يفترض أن تظل مصانة أرضاً وسماء من دنس الشيطان الأكبر.

أكثر من الصمت ثمة رقصة غواية

جماعية تلحظها في تصريحات روحاني ومؤتمرات المالكي وندوات الفضائيات «المقاومة» وتسريبات الصحف الحليفة، وفبركات المواقع الإلكترونية التابعة للجيش الإلكتروني السوري الإيراني، في الرقصة الجماعية ثمة من يرقص بفجور وفضيحة ويطالب أميركا بضرب الإرهاب في العراق وسوريا، وثمة من يرقص بغنج وغموض ويقصر التدخل الأميركي على الخبراء والمستشارين وال ضربات الجوية، وخصوصاً بطائرات الدرونز (بدون طيار)، لكن لا أحد يشذ عن الإيقاع ويقول من باب التمويه وتبادل الأدوار إن المالكي وجبهة المقاومة قادرة على حماية العراق من خطر الإرهاب.

جيش عراقي بعقيدة طائفية أنفق عليه

أكثر من ٢٥ ملياراً، وفيلق القدس وجيش المهدي وحزب الله وعصائب قيس الخزعلي والحوثي.. كل هؤلاء يفترض أنهم قادرون على هزيمة عصابة البغدادى وبقايا البعث!

يتألف الجيش من مختلف الطوائف

اللبنانية، بما يعكس النظام الطائفي في البلاد. لكن في الأعوام الأخيرة، يتولى الشيعة والمسيحيون المناصب العليا الأساسية في المؤسسة العسكرية، مع العلم بأن هناك تحالفاً بين هاتين الطائفتين بموجب اتفاق بين ميشال عون، رئيس التيار الوطني الحر، وحسن نصرالله، أمين عام حزب الله. وهكذا يختل الإجماع غير الرسمي على حياد المؤسسة العسكرية عندما يُنظر إلى هذه الأخيرة بأنها تفضل طائفة على أخرى. وتحاول الجماعات الإرهابية استغلال العداء السني المتعاضم حيال الجيش. فقد شجعت جبهة النصرة السنة اللبنانيين على الانشقاق عن الجيش في آذار/مارس الماضي. وتتيح هذه الدعوات للجماعات التابعة لتنظيم القاعدة استغلال نقاط الضعف لدى الجيش. فقبل عامين فقط، استطاع الفلسطينيون توقيق طه، العضو في كتائب عزام، تجنيد عناصر من الجيش اللبناني في التخطيط لهجمات إرهابية على ثكنات عسكرية.

يعتبر عدد كبير من اللبنانيين أن الجيش

لا يستمد شرعيته فقط من قدرته على القتال،

إنما من مدى حياده في أوقات الصراعات الداخلية. لقد أتاح تعاون الجيش مع حزب الله لقوى الأمن تنفيذ مدهامات بحثاً عن فارين مطلوبين للعدالة في العديد من القرى الشيعية في سهل البقاع، بما في ذلك مدهامات ١٠ نيسان/أبريل الماضي في بريثال، والتي لم يكن بإمكان الجيش تنفيذها لولا التعاون من حزب الله. ربما ساهمت هذه العمليات الأمنية في الحد من شعور الإجحاف لدى السنة، بيد أن النظرة التي تعتبر الجيش مقرباً من حزب الله ستستمر في تأجيج المخاوف الطائفية والمذهبية في غياب حوار حقيقي بين مؤسسات الدولة والمجتمعات السنية المحلية.

والسؤال البسيط لو تسلل مطلوب

داعشي من العراق إلى سوريا هل ستكمل طائفة الدرونز الأميركية تتبعه أم تتوقف؟ وهل يجوز شرعا أن يقتل في الحد السوري؟ أفتونا يا فقهاء المقاومة مأجورين!

تركيا بين فكّي الصداقة الروسية الأمريكية

محمد زاهد جول -

منتدى العلاقات العربية التركية ٢٠١٤/٦/١٢

كان التعامل التركي مع الاتحاد

السوفيتي واضحاً وصعباً في آن واحد؛ فالوضوح فيه لأن السياسة السوفيتية كانت تقوم على الأيديولوجيا الفكرية أكثر من لغة المصالح السياسية والاقتصادية، فكانت مواقف الاتحاد السوفيتي معروفة من القضايا الدولية قبل أن يعلن عنها، أما الصعوبة فيها فهي أن اللغة العسكرية كانت هي الراجحة في تفكير الحزب الشيوعي الحاكم في الكرملين، فلا يحل مشاكله إلا بالقوة العسكرية، ولذلك لم يكن أمام العالم إلا أن يلجأ إلى الحل العسكري في حل قضاياها ومشاكله مع الاتحاد السوفيتي، وللسبب ذاته لم يكن حل مشكلة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان إلا دعم إعلان الشعب الأفغاني الجهاد المقدس ضد الاحتلال السوفيتي الشيوعي لبلادهم حيث إن الاعتماد على المفاوضات السياسية مع القيادة السوفيتية للخروج من أفغانستان لم تكن لتؤتي أكلها علي الإطلاق لأن العقليّة السوفيتية الأيديولوجية تعتبر التفاوض صورة أخرى لقبول الهزيمة العسكرية والسياسية.

السياسة وجمع المتناقضات

إضافة إلى ذلك كانت الحرب الباردة بين حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي مع حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تساعد على التعاون العسكري بل المشاركة العسكرية بين

التدخل الأميركي ليس أول مرة يكون

فريضة، في الحرب العراقية الأميركية كان كذلك من خلال صور الأقمار الصناعية التي ترصد الجيش العراقي، وفي صفقة الكونترا أيضاً، وفوق ذلك بعد احتلال الكويت وفرض الحظر الجوي على مناطق الجنوب كان فريضة أيضاً، والطائرات الأميركية كانت تقوم بمهمة مقدسة لحماية المقدسات وقتها استكمالا لتحرير الكويت، وفي احتلال العراق وأفغانستان بشراكة إيرانية كان التدخل الأميركي فريضة.

وعندما دنست دبابات الإنجليز

والأميركان أرض المراقدة، لم يدع لمقاومتهم مجرد دعوة، ولم نشهد حركة التطوع للدفاع عن مرقد زينب في سوريا، وكأن آل البيت في سوريا يرفضون الأميركيين وفي العراق يرحبون بهم!

ما هو أقدس من مكة المكرمة،

نص الحديث، هو حياة الناس، فزوال السماوات والأرض أهون من سفك الدم، وكان المفروض أن يتدخل العالم أجمع لحماية السوريين من الجرائم التي لم تتوقف بالكيماوي والبراميل، ولو فعل العالم ذلك لما ظهرت كل الفصائل المتشددة بما فيها دولة العراق والشام الإسلامية، التي تأسست بعد تخاذل العالم لا بل تورطه في قتل السوريين.

«داعش» ولدت بعد قتل أكثر من مئة

ألف سوري على يد النظام الطائفي وحلفائه من حزب الله إلى لواء أبو الفضل إلى الحوثيين.

وبعد تخلي العالم عن سنة العراق الذين

تعرضوا لحرب طائفية أيضاً.

تحتفل «داعش» اليوم بالتصريحات

الأميركية الداعمة للمالكي، وهي بانتظار الأميركيين في بغداد مجدداً.

البغدادي بحسب الصحافة الأميركية قال

للأميركيين بعد الإفراج عنه: «نلتقي في نيويورك» اليوم يلتقون مجدداً في بغداد.

إلى حدوده الجغرافية بعد تحرير أفغانستان من الاتحاد السوفيتي والكويت من صدام حسين، وفي نفس الوقت؛ كان صعود الصين الاقتصادي والعالمي يمثل حالة تحدٍّ لأمريكا في المستقبل غير البعيد، ومن ثم وظفت القيادات اليمينية في الولايات المتحدة فلاسفتها المأجورين لتقديم نظريات صراع الحضارات في العقد الأخير من القرن العشرين، فخرجت نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون، ونظرية نهاية التاريخ لفاكوياما، ونظريات مواجهة الخطر الأصولي الإسلامي المتنامي في العالم الإسلامي، وبالأخص من الحركات الجهادية وحركات التحرر الوطني في البلاد العربية والإسلامية، وكانت الحركات الجهادية أكثر تركيزاً في أفغانستان، وذلك بسبب دخولها في حرب داخلية بين الفصائل الجهادية نفسها لأسباب دولية أولاً وإقليمية ثانياً وداخلية ثالثاً، حتى تمكنت حركة طالبان من السيطرة على القسم الأكبر من أراضي أفغانستان وبالأخص الولايات الكبرى بما فيها العاصمة كابول، فعملت الأجهزة الاستخباراتية الغربية وأتباعها من أجهزة المخابرات التابعة للدول العربية والإسلامية على تشويه صورة حركات طالبان وتسييل الأضواء على وحشية تطبيقها للشريعة الإسلامية، واختزلت الأمر في صورة إعدام امرأة أفغانية رمياً بالرصاص، لإثارة الرأي العام الغربي ومنظمات حقوق الإنسان وحقوق المرأة العالمية ضد حكم حركة طالبان ومحاصرة الاعتراف بها سياسياً، وعزلها عن العالم الخارجي الدولي.

أطماع الشر وصناعة المبرر وفرصة البديل

في هذا الوقت لم يكن العالم يدرك أن هناك مخططات عسكرية أمريكية لاحتلال أفغانستان وهو البلد الضعيف الذي لا يحتاج إلى قوة عسكرية هائلة لاحتلاله، ولكن المطلوب قبل ذلك أن يوجد مبرر يوجب عملية الاحتلال، فتلاققت عواطف حركات الجهاد الأفغاني وتقاربها مع تنظيم القاعدة مع المخططات الأمريكية التي

الحركات الجهادية الأفغانية مع القيادة الغربية وأمريكا للقيام بحرب دولية ضد الاتحاد السوفيتي بحجة احتلاله لأراضي دولة أخرى، وقد وجدت أمريكا، أو وظفت أمريكا عدداً من الدول العربية والإسلامية لدعم حرب الحركات الجهادية الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتي وحكومته المصطنعة في كابول من أفراد من الشعب الأفغاني، وكانت السياسة الغربية تدرك المتاعب الاقتصادية التي يعاني منها الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت ولذلك عمدت إلى جعل الحرب الأفغانية مكلفة وباهظة على الاقتصاد السوفيتي، الضعيف جداً؛ قبل احتلال أفغانستان وفي أثاثه.

نهاية المصالح وعودة العداء

هذه السياسة الغربية نجحت في إخراج الاتحاد السوفيتي من أفغانستان أولاً، ونجحت في توظيف عدد من الحركات والقيادات الجهادية للعمل العسكري المشترك مع البنتاغون والنااتو، وكانت النتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسوا بحدود عام ١٩٨٩، ولكن أمريكا عجزت بعد ذلك أن تواصل التعاون مع الحركات الجهادية الأفغانية، لأنها كانت تريد منها أن تلقي سلاحها وتتخلى عن جهادها الداخلي وإقامة الكيان السياسي الذي تؤمن به، فدخلت أمريكا في مرحلة صناعة العداء مع الحركات الجهادية الأفغانية وعموم الشعب الأفغاني الذي جاهد معها لتحرير أفغانستان من الغرباء والأجانب مهما كانت جنسيتهم أو لونهم أو دينهم أو قوميتهم.

في تلك المرحلة ومع بداية تفكير أمريكا بإنشاء نظام عالمي جديد مع الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عام ١٩٩٠، وبعد قيامه بحرب كونية لتحرير الكويت من جيش صدام حسين، وجدت القيادات اليمينية في الولايات المتحدة الأمريكية عدوها المحتمل أو المرغوب فيه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، لتبقي لنفسها مبرراً أمام شعبها والعالم لانتشارها العسكري في منطقة الشرق الأوسط بعد تحرير الكويت وعدم إرجاعه

تسعى لاحتلال أفغانستان، فجاءت تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على موعد بين الجاني والضحية، لتنفيذ المخططات الاستعمارية على أرض الواقع. وتم تحويل الحرب الباردة إلى حرب ضد الإرهاب بحسب مصطلح جورج بوش الابن عام ٢٠٠١، وأعلنها في حالة نشوة طائفية بأنها حرب صليبية جديدة، ولكن بابا روما وبخه على هذه الصراحة الفظة أو الوقاحة القلبية.

في هذه الحدود الزمنية كان الموعد مع ميلاد حزب العدالة والتنمية في تركيا، وقد حصد خبرات الحركة الإسلامية التركية في العقود الثلاثة السابقة، وأدرك خطيئة الأحزاب السياسية العلمانية المتشددة التي قادت تركيا إلى أبواب أوروبا متوسلة الدخول الذليل وقد تم طردها مراراً من قبل، وقد وجد الحكومات التركية السابقة قد صنعت الكثير من العداء مع الدول العربية، فعمل حزب العدالة والتنمية على توازن سياسته بين الشرق والغرب ثانياً، أما أولاً فقد وضع برامجه لإصلاح الداخل والانفتاح القومي والديمقراطي على جميع مكونات المجتمع التركي، ودعا وعمل على النجاح الاقتصادي لجميع أبناء الشعب التركي دون استثناء، فرفع مستوى الدخل والرواتب والمعيشة، فشمّل كل أبناء الشعب التركي وفي كل المواقع الجغرافية التركية وفي كل الولايات ٨١ في تركيا دون استثناء ونجح في كسب ثقة الشعب التركي داخلياً فتم انتخابه ثلاث مرات متوالية؛ لأنه استطاع أن ينجح في الانفتاح الاجتماعي والديمقراطي، واستطاع أن ينجح في نهضة الاقتصاد التركي في أصعب الظروف الاقتصادية العالمية، وسار في عملية مصالحة وبناء الثقة والتعاون الاستراتيجي مع الدول الخارجية وبالأخص دول الجوار، وبصور أكثر خصوصية مع الدول العربية.

ثورات الشعوب وخيارات السياسة

وما إن بدأ بجني ثمار تحسن علاقاته مع

الدول العربية وتصفير مشاكله معها حتى انفجرت ثورات الربيع العربي، فوقفت الحكومة التركية مع مطالب الشعوب مع سعيها الحثيث أن لا تراق الدماء وأن يكون الانتقال بالسلطة المستبدة إلى السلطة الديمقراطية سلمياً؛ لأن التحول الديمقراطي طريق لا رجعة عنه لكل الشعوب مهما تأخرت انطلاقته.

في هذا السياق بذلت تركيا كل مساعيها لعدم دخول الثورة السورية في سفك الدماء والتدمير والتهجير ولكن حكومة الأسد رفضت النصائح التركية واستمعت إلى الأوامر الروسية والإيرانية باختيار الحل الأمني والعسكري وخوض حرب وهمية على الطريقة الأمريكية ضد الإرهاب المصطنع ظناً منها أن الغرب سوف يساعدها طالما قد جئدت هي نفسها في الحرب التي تقبل فيها أمريكا الأصدقاء، وسوقت له روسيا هذه التجارة الإعلامية ضد الإرهاب، وأمدته إيران بكل الأسلحة والكتائب العسكرية التي تقاتل معه وتسفك دماء الشعب السوري بغير حساب، وبالأخص من شيعة العرب الذين أحرقتهم إيران في حرب خاسرة.

فكاً الصداقة الروسية الأمريكية

هنا دخلت تركيا بين فكّي الصداقة الروسية الأمريكية، التي تعمل على استغلال الصراع في سوريا لتحقيق الأهداف الروسية والأمريكية، فأمريكا تريد استنزاف إيران في سوريا وكافة ميليشياتها في الشرق الأوسط وفي مقدمتها ميليشيات حزب الله اللبناني، وروسيا تريد تحقيق أهداف سياسية دولية والحفاظ على قاعدتها العسكرية في طرطوس، والأهم من ذلك تريد استمرار بيع الأسلحة الروسية إلى سوريا المستعرة ما دامت إيران سخية في دفع فواتيرها، وقد باركت الدولة الإسرائيلية هذه الصداقة الروسية الأمريكية في سوريا وأذكت نارها، بينما عجزت تركيا عن حل الأزمة السورية وإنقاذ الشعب

السوري، لأن الدول الغربية وروسيا تحتكم إلى مصالحها الخاصة، والنصائح الإسرائيلية تقول إن على أمريكا أن تتخلى عن دعمها للديمقراطية أحياناً حفاظاً على مصالحها.

أثناء ذلك بقيت تركيا تعصر المأعما يجري في سوريا وكل ما يقع فيها من مجازر بشرية دون أن تستطيع فعل شيء إلا المساعدات الإنسانية وإيواء اللاجئين السوريين وتقديم كافة المساعدات لكل الفارين من سوريا حتى لو كانوا من السياسيين أو العسكريين السوريين الذين يفرون بأرواحهم إلى تركيا، دون أن تفرض عليهم قيوداً في الحركة ودون أن تفرض عليهم موانع ضد مساعدتهم لأهلهم في داخل سوريا، مهما توجهت إلى الحكومة التركية من انتقادات، فهذا أقل الواجب، واستضافت تركيا العديد من المؤتمرات الوطنية للمعارضة السورية، والمؤتمرات الدولية لأصدقاء سوريا، وحضرت بقوة في المؤتمرات الدولية من أجل سوريا في جنيف ولندن وباريس وغيرها، دون أن يصل المجتمع الدولي المتخاذل إلى حل لهذه الأزمة.

إن تركيا تمسك بمعادلة التوازن في العلاقات مع الدول المؤثرة على حل الأزمة السورية من روسيا إلى أمريكا إلى إيران إلى العراق وكافة الدول العربية التي كان من الواجب أن يكون موقفها أكثر حزمًا وقوة لمساعدة الشعب السوري، ولو ساندت الدول العربية الحكومة التركية كما ينبغي لكان الوضع السوري أفضل، بينما الدول العربية نفسها دخلت في مناكفات ثنائية ولم تتحد على موقف موحد من الأزمة السورية، وهذا زاد في معاناة الشعب السوري، وأساء كثيراً للدول العربية نفسها، فكيف تقبل أن يقوم رئيس دولة عربية بقتل نصف مليون مواطن من شعبه، ويضربه بكافة أنواع الأسلحة المحرمة دولياً دون أن تخرج الشعوب العربية إلى الشوارع، ولا تعود إلى بيوتها حتى توقف الحرب على أخوتها؟

فلما انفجرت الأزمة الأوكرانية ورفض الغرب أن يكون موقفه في أوكرانيا شبيهاً بموقفه

من الثورة السورية، ودعم التغيير السياسي في تغيير الرئاسة الأوكرانية، ورفض ضم روسيا الاتحادية لجزيرة القرم، وحيث إن هذه الجزيرة تخص الدولة التركية كثيراً، لأن نسبة من سكانها من أصل تركي عثماني، وتركيا لها علاقات اقتصادية قوية مع روسيا الاتحادية، لذلك رفضت تركيا مرة أخرى أن تدخل بين فكي الصداقة الروسية الأمريكية في الأزمة الأوكرانية، لإدراكها أن الغرب حريص على تخريب العلاقات الروسية التركية المتنامية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، دون أن تقدم لتركيا البديل عن الخسارة لو حصلت، وكذلك فإن الحكومة التركية تدرك صعوبات تدخلها العسكري في القرم حتى لو قام الغرب أو فكر بتصعيد الصراع مع روسيا الاتحادية، كما إن روسيا وعدت الأتراك بتقديم امتيازات كبيرة لتتار القرم خلال أشهر، وهو ما بدا واضحاً خلال الأيام الماضية.

في الوقت ذاته فإن السياسة التركية تدرك أن روسيا بوتين سوف تقدم تنازلات للغرب في أوكرانيا والقرم إذا شعر بالحصار الاقتصادي، أو حتى إذا شعر بالحصار السياسي، فروسيا لا تحتمل أن تكون خارج البيت الأوروبي، وما تقوم به من مناورات سياسية في أوكرانيا أو القرم يمكن أن تتراجع عنه تحت ضغط الصعوبات الاقتصادية والسياسية، فضلاً عن أن روسيا ترفض أن تدخل في صراع عسكري مع الغرب، لأن بوتين غير من سياسة الاتحاد السوفيتي القائمة على الأيديولوجيا واختار سياسة المصالح والاتفاقيات السرية المالية والسمعة السياسية ولو كانت فارغة، ولكن بشرط وجود العصا التي تجعله يختار الجزرة كرها لا رغبة فقط.

تضخيم الداعشية لتلويث الانتفاضة العراقية

راجح الخوري - الشرق الأوسط ٢٧/١٤/٢٠١٤

لم يذهب جون كيري إلى العراق ليعلن أن الجيش العراقي لم يقاتل، كان عليه أن يكون صريحاً أكثر ومباشراً أكثر في الإعلان عن الأسباب التي جعلت هذا الجيش العراقي لا يقاتل، أو عن السياسات الإقصائية والعقابية والمذهبية التي طبقتها حكومات نوري المالكي وأسقطت مؤسسة الجيش أو على الأقل أفرغتها من مضمونها الوطني المفترض وجعلتها أشبه بميليشيا تعمل لتنفيذ أغراضها المذهبية.

لكن هذا يستدعي إصراراً شديداً على التساؤل: إذا كان المالكي جعل من الجيش ميليشيا تخدم أغراضه فلماذا لم يقاتل؟ وكيف يمكن أن تنهار الجبهات مثل كرتون من نينوى بالكامل إلى صلاح الدين وكركوك وديالى والأنبار وغيرها؟ وإذا كان المالكي يتحدث عن إعادة تنظيم القطعات العسكرية بعد سقوط الموصل والبدء بهجوم مضاد، فلماذا استمر الانهيار الدراماتيكي الكارثي لهذا الجيش التي تكلفت عمليات إعادة بنائه على أيدي الأميركيين ما يقرب من ١٢٠ مليار دولار قيل إنها ذهبت في مسارب الفساد؟

لا داعي للبحث عن أجوبة، ربما تكفي قراءة تقرير أعده «معهد بروكينغز» عن عمليات التطهير الكيفية التي أجراها المالكي والتي استهدفت معظم الضباط السنة الأكثر احترافية التي قامت الولايات المتحدة بتدريبهم. كينيت بولوك الذي أعد التقرير يقول إن التطهير بدأ عام ٢٠٠٩ على خلفية افتراض رئيس الحكومة أن الجيش الاحترافي غير الميسس بشكل كبير يشكل

تهديداً له وللمشروع الإيراني الذي ينفذه في العراق عاملاً على إلحاقه وترسيخه كقاعدة جسر حيوي لجبهة المقاومة التي تمتد إلى جنوب لبنان عبر سوريا.

يقول بولوك إن المالكي استبدل بالقادة

السنة موالين من الضباط الشيعة على خلفية اتهامات زائفة بأنهم داعمون سريون لنظام صدام حسين الساقط، وفي هذا السياق لا بد من أن يكون كيري الذي يعلمنا أن الجيش العراقي لم يقاتل، قد قرأ في طريقه إلى بغداد ما كتبه صحيفة «واشنطن بوست» من أن المالكي استخدم كل صلاحياته رئيساً للوزراء لاستهداف خصومه السياسيين، فاستعدى العشائر السنية في المحافظات الشمالية والغربية التي كانت عاملاً حاسماً في إلحاق الهزيمة بتنظيم القاعدة عام ٢٠٠٧ عبر مجالس «الصحة» التي شكّلت بالتعاون مع الأميركيين وسارع المالكي إلى حلّها والغائها!

والسؤال يبقى مطروحاً رغم كل هذا،

فعلى افتراض أن الجيش العراقي كان ميليشيا ترتبط برئيس الحكومة، فلماذا لم يأمر المالكي بمقاتلة تنظيم داعش الإرهابي التكفيري، الذي قيل إنه تمكن من السيطرة على أكثر من ١٠٠ ألف كيلومتر مربع في خمسة أيام، رغم أن هناك تأكيدات جازمة بأن عدد أفراده لا يتجاوز خمسة آلاف؟ وعندما يؤكد الضباط الأميركيون أنه لا يمكن تحريك أي جندي عراقي إلا بأمر من مكتب المالكي مباشرة فأين كانت أوامر التصدي لـ«داعش»؟

والأسئلة تستولد الأسئلة،

فعندما يقول ديريك هارفي المستشار الاستخباري للجنرال ديفيد بترايوس قائد القوات الأميركية السابق في العراق، إن جوهر الأمر سياسي وما نواجهه اليوم ليس «القاعدة»، إن رئيس الوزراء يريدنا أن نركز على «داعش» بوصفها تمثل التهديد الرئيسي، ولكن عمق ما نراه ونعرفه من حيث الأساس هو عرب سنة

إيران.. من الصحوّة إلى الصدمة

مصطفى فحص - ٢٠١٤/٦/٢٧

أتاح الانكفاء في السياسات الخارجية الذي يمارسه الرئيس الأميركي باراك أوباما، الفرصة أمام طهران للتصرف كدولة عظمى إقليمية، يمتد مجالها الحيوي من بحر قزوين حتى ساحل النافورة، آخر نقطة حدودية بين لبنان وفلسطين المحتلة، وسمح لها الانسحاب الأميركي من العراق، وفشل واشنطن في إقناع بغداد الواقعة تحت الضغوط الإيرانية، بتوقيع اتفاقية شراكة استراتيجية ثنائية، أن تملأ الفراغ الأميركي من أفغانستان إلى لبنان مروراً بسوريا والعراق.

لكن ما لم يكن في حسابان صناع القرار في طهران، أن الشعوب العربية قررت النزول إلى الشارع، وأن العدوى التونسية - المصرية سرعان ما انتقلت إلى سوريا، التي روج نظامها ومن يدافع عنه، أن الشعب السوري يختلف عن الشعوب الأخرى في علاقته مع نظامه، من حيث التوافق الشعبي والرسمي على السياسات الوطنية والخيارات القومية، حيث قرر الشعب السوري إسقاط هذه المنظومة التي حُشر داخلها عقوداً طويلة، فخرج مطالباً بحقوقه وكرامته، معتبراً أن حريته الشخصية شرط لتحرره من قبضة النظام وإسقاط هيئته لصالح كرامة المواطن، وخرج مطالباً بحقوقه السياسية قبل رغيف الخبز، مما دفع طهران إلى التنبه باكراً إلى أن مطالب الشعب السوري تتعارض مع نظام مصالحها السلطوية لا الشعبية، فقررت الوقوف إلى جانب الأسد في ضرب الثورة السورية، وما لبثت أن تحولت إلى شريك فعلي في عملية القمع، مستخدمة كل الإمكانيات والعتاد المتاح أمامها من أجل إخمد هذه الانتفاضة.

لقد عزز التلكؤ الأميركي أو ما هو

عراقيون زهقوا وضاقوا ذرعاً بسياسات المالكى الإقصائية والمذهبية. فعلا عندما يقول هارفي هذا الكلام فلماذا ينساق باراك أوباما وجون كيري إلى تبني وتكرار رواية المالكى والقادة الإيرانيين من أن ما يجري في العراق هو حركة إرهابية تكفيرية مجرمة من الألف إلى الياء؟

وإذا كان القسم الظاهر من جبل الجليد العراقي «داعشياً» ويمثل، كما يقول الجميع، وباء من التطرف الدموي الذي يهدد المنطقة كلها، فلماذا يتم التعقيم على حقيقة أن في خلفية التحرك عشائر وشرائح في المجتمع العراقي طفق كيلها من ممارسات المالكى، فحملت السلاح ضد جيشه الذي لم يقاتل، إن كان جيشه فعلاً؟ وهذا مدعاة لتساؤلات خطيرة تتصل بالرغبة في دفع العراق ليكون بوابة «دومينو» أو مسلسل التقسيم الذي يصب في أهداف استراتيجية كبرى تخطط للعراق والمنطقة كلها منذ زمن بعيد.

وعندما تقول هيلاري كلينتون إن المالكى فشل كزعيم وتصفه مجلة «الفورين بوليسي» بأنه سم العراق، ويقال في الكونغرس إنه كارثة، من حق المراقب أن يلمس الضحالة في تصريحات جون كيري بعد الاجتماع معه عندما اكتفى بالحديث عن أن الدفاع عن العراق يعتمد على تشكيل حكومة جديدة شاملة جميع المكونات الوطنية في أسرع وقت، في حين تمسك المالكى بالبقاء رئيساً للحكومة على خلفية نتائج الانتخابات ورغم المعارضة الشاملة التي تواجهه من القيادات الشيعية العراقية قبل السنيّة والكردية.

والسؤال الأهم إذا كانت أميركا وإيران والمالكى تحاول أن تخفي انتفاضة العراقيين السنة والأكراد وراء قناع «داعش» الكريه فلماذا تذهب الأمور المبيتة حتى بواشنطن إلى حد السعي لإسباغ الداعشية على السنة عموماً في المنطقة؟

نياتها، وإحراجها، وألغى كل فرصة للتسوية مستقبلاً، وأدى في الوقت ذاته إلى استنزافها مادياً وبشرياً، وإنهاك شركائها، ودفعها إلى استخدام كل أوراقها في معركة كلما طال أمدها، انعكست سلباً على قدرتها على احتوائها.

في لحظة ضعف تاريخية انتفض الشعب التركي على مشاريع تقسيم دولته بعد الحرب العالمية الأولى، فخاض حرب استقلال بأقل الإمكانيات المتاحة، وحافظ على وحدة أراضيهِ وهيكل دولته. في المقابل، وعلى الرغم من كل الضعف العربي، فإنه من المستحيل أن تفرض إيران إرادتها على الشعوب العربية، أو أن تتمكن من تحقيق طموحاتها، أو أن تنفذ مشروعها المبني على المبالغة بالقوة، واحتمالات التراجع العربي، حتى لو وجدت من يتواطأ معها، ففي هذه المرحلة الدقيقة تقدمت الشعوب فلقحت بها أنظمتها، فتحوّلت الصحوّة الإيرانية إلى صدمة والصدمة العربية إلى مشروع صحوّة ممكنة، ولعل لقاء مطار القاهرة السريع في ٢٠ الشهر الحالي أول الدلائل.

فتاوى المرجعية لن تداوي الهزيمة النفسية

صباح الموسوي - المصرون ٢٣/٦/٢٠١٤

لم يكن المرجع الشيعي الأعلى السيد علي السيستاني، هو الوحيد الذي أفتى بالجهاد ضد ثورة أهل السنة في العراق، بل أزّره في هذا خمسة آخرون من مراجع الشيعة الكبار وهم على التوالي، الشيخ بشير الباكستاني النجفي والسيد صادق الشيرازي والسيد محمد تقى المدرسي، من حوزتي النجف وكربلاء. ومن إيران صدرت أيضاً فتاوى بهذا الشأن من الشيخ يد الله دوزدوزاني والشيخ جواد غروي، من حوزتي قم والنجف. وهناك أيضاً مراجع شيعة آخرون غير مشهورين أصدر كل منهم فتوى الجهاد ضد ثورة أهل السنة، وقد تفاوتت بين الجهاد الكفائي والجهاد الجوهري.

أسوأ من التلكؤ الأميركي، إضافة إلى الضياع الغربي عموماً والأخطاء العربية والإقليمية في دعم الثورة السورية، شعور الثقة لدى طهران أنه بإمكانها فرض واقع سياسي وجغرافي جديد يخضع لنفوذها وسيطرتها، ويمتد من بغداد إلى بيروت، وذلك بعد أن تتمكن من إخماد الثورة السورية وتثبيت نظام بشار الأسد.

هذه الصحوّة الإيرانية بالتوسع

الجيوستراتيجي، على حساب تطلعات شعوب المنطقة ومستقبل دولها واستقلالها، جاء على خلفية فرصة ذهبية قدّرتها طهران أنها للتعويض عما كانت تطمح لتحقيقه منذ خمسة قرون تحديداً، حين وضع السلطان العثماني سليم الأول الحد لهذه الرغبات التوسعية الإيرانية، وهزم الجيش الصفوي في واقعة جالديران ١٥١٤، وكاد يقضي على أسس الدولة الصفوية، ودفعت هذه الواقعة العثمانيين إلى الإسراع ببسط سيادتهم على شرق المتوسط والتوجه نحو أوروبا، ومنع إيران من تجديد نفوذها الإمبراطوري التاريخي الكامن في الذاكرة والأحلام الفارسية.

لكن الصحوّة الإيرانية الجديدة تواجه

اليوم صدمتين؛ الأولى، إصرار الشعب السوري على الوصول إلى مبتغاه مهما كانت التضحيات، والثانية، خروج الأقاليم السنية العراقية ذات الطابع الجغرافي الحساس، عن سلطة الحكومة المركزية في بغداد، وهو خروج أدى إلى الفصل بين مكونات الامتداد الإيراني شرقاً، وبات يمثل تهديداً جدياً للأمن القومي الإيراني ومشاريعه خاصة بعد انفجار الوضع العراقي، الذي ينذر بأن يحيط القمر العراقي بالهلال الإيراني ويحاصره.

سعت إيران في مشروع هيمنتها قبل الربيع

العربي، إلى الإيقاع بين الشعوب العربية وأنظمتها، لكنها اليوم، دخلت في مواجهة مفتوحة مع بعض هذه الشعوب، وساندت بعض الأنظمة، هذا التناقض الذي وقعت فيه، ساهم في انكشاف

أتباع كثيرين له في العراق إلا أن فتواه لم تحقق غايتها واضطر الخميني لتجرع السم كما قال لتقبل هزيمة جيشه والموافقة على قرار وقف القتال مع العراق.

وعقب نشر الكاتب البريطاني «سلمان

رشدي» روايته الملعونة (آيات شيطانية) أصدر الخميني فتوى بإهدار دم رشدي، وذلك لكسب التعاطف الشعبي على أمل التغطية على فشل فتواه السابقة وهزيمة القوات الإيرانية أمام القوات العراقية. ولكن هذه المرة أيضاً لم يحالف الحظ المرجعية الشيعية، حيث أعلن النظام الإيراني في عهد رئاسة محمد خاتمي (١٩٩٧ - ٢٠٠٥) تخليه عن فتوى الخميني بإهدار دم سلمان رشدي مقابل عودة العلاقات البريطانية الإيرانية التي كانت قد قطعت بسبب تلك الفتوى.

واليوم وبعد مرور أسبوعين من إصدار

المرجع الأعلى السيد علي السيستاني لفتوى الجهاد، التي دعا فيها إلى مواجهة ثورة أهل السنة، فإن هذه الفتوى لم تغير شيئاً على ظهر الواقع فمازالت هزائم قوات المالك في تزايد، ومازال أغلب الشيعة العراقيين غير مكترئين بهذه الفتوى، ومازال الهزيمة النفسية والمعنوية هي سيدة الموقف، ليس في العراق فحسب بل ولدى عموم الطائفة. وأما ما شهدته بغداد وبعض المدن العراقية خلال الأيام الماضية من استعراضات عسكرية لبعض المليشيات الطائفية، فإنها لا تمثل سوى جزاء يسير جداً من شيعة العراق الذين رفضوا الاستجابة لفتوى المرجعية. كما أن هذه الاستعراضات مهما كثر عددها وعدتها، وإن فتاوى القتال ضد ثورة أهل السنة مهما تعددت مرجعياتها، فإنها لن تستطع التجيش أكثر مما جيشت، ولن تستطع معالجة الهزيمة النفسية والمعنوية التي لحقت بمليشيات المالك وأتباع المرجعية.

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وهذه الفتاوى لم تستطع إلى الآن تغيير الواقع الميداني في ساحة المعركة حيث مازالت هزائم قوات رئيس الحكومة المنتهية ولايته نوري المالكي تتوالى الواحدة تلو الأخرى، عسكرياً ونفسياً ومعنوياً، وما زال أهل السنة يحققون الانتصارات الواحدة تلو الأخرى، سواء على صعيد المعركة الميدانية أو على صعيد المعركة الإعلامية والمعنوية.

من خلال المراجعة التاريخية لفتاوى

الجهاد، التي صدرت من قبل مراجع الشيعة في القرن المنصرم، نجد أن جميع هذه الفتاوى واجهت الفشل ولم تحقق غايتها ما عدا فتوى واحدة فقط وهي ما عرفت بفتوى (التبّاك) التي أصدرها الميرزا محمد حسن الشيرازي سنة ١٨٩٠ م، ضد احتكار البريطانيين لهذا القطاع في إيران. وكانت فتوى الشيرازي قد حرّمت حينها زراعة واستخدام التبّاك، ولكن بعد أن حققت هدفها تم إلغاؤها لاحقاً ضمن الاتفاق الذي جرى بين البريطانيين والمرجع الشيرازي.

وعند غزو البريطانيين العراق سنة ١٩١٤م

أصدر المرجع الشيعي الأعلى وقتها «السيد محمد كاظم اليزدي» فتوى الجهاد من مدينة النجف ضد الغزو البريطاني، وعلى الرغم من استجابة الكثير من أبناء العشائر الشيعية في الأحواز والعراق لهذه الفتوى إلا أنها فشلت في صنع الانتصار وعاد مراجع الحوزة إلى التحالف مع البريطانيين بعد أن كانوا قد سعوا في الضغط عليهم من خلال هذه الفتوى لتسليم حكم الدولة العراقية الوليدة للشيعة، إلا أن البريطانيين رفضوا ذلك وفضلوا أن يكون الشيعة في المعارضة لأهداف لم يكشف عنها آنذاك ولكنها ظهرت بعد الغزو الغربي للعراق في عام ٢٠٠٣م.

ومن فتاوى الجهاد الفاشلة الأخرى

للمرجعية الشيعية، فتاوى الزعيم الإيراني السيد الخميني، الأولى والثانية، لقد أصدر الخميني إبان الحرب ضد العراق (١٩٨٠ - ١٩٨٨ م) فتوى الجهاد ضد الجيش والنظام العراقي ورغم وجود

نظرة على الأبعاد الدولية لعملية اختفاء المستوطنين في الخليل

محمود الرنتيسي - ساسة بوست ٢٠١٤/٦/٢١

جاءت عملية اختفاء ثلاثة مستوطنين في

مدينة الخليل في الضفة الغربية المحتلة مساء يوم الخميس ٢٠١٤/٦/١٢ في توقيت ضاعف إرباك للحكومة الإسرائيلية بكافة أجهزتها وأذرعها المختلفة.

البيئة الدولية قبل العملية

قبل الإعلان عن اختفاء المستوطنين الذي يعتقد أن أحدهم على الأقل جندي في جيش الاحتلال الإسرائيلي، كانت الحكومة الإسرائيلية بقيادة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو تعيش حالة غير مستقرة في علاقاتها مع الولايات المتحدة بسبب تعنت نتياهو وعرقلته لعملية التسوية مع السلطة الفلسطينية من خلال رفضه إطلاق دفعة الأسرى المتفق عليها مع الرئيس الفلسطيني ووزير الخارجية الأمريكي جون كيري.

ويضاف لما سبق القرار الإسرائيلي بمقاطعة حكومة التوافق الفلسطينية التي رحبت بها الإدارة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وإعلان نتياهو إحباطه الشديد من الموقف الأمريكي بالرغم من أن الموقف الأمريكي جاء مشروطاً بتوافق سلوك الحكومة مع متطلبات المجتمع الدولي الغاضب من إسرائيل تحديداً في ملف استمرار الاستيطان، وقد وصل الأمر لدرجة أن النائب في الكنيست شيلي يحميوفيتش قالت أن حكومة إسرائيل «فقدت رباطة جأشها وأعلنت الحرب على الولايات المتحدة».

ومن القضايا التي أثارت أيضاً قبيل الحادثة مستقبل علاقة الولايات المتحدة مع حركة حماس وهل ستظل على قائمة الإرهاب لدى الإدارة الأمريكية، إلا أن جون كيري أعلن من بيروت أن الإدارة الأمريكية تنظر لحماس على أنها إرهابية

لرفضها شروط الرباعية وسعيها لتدمير إسرائيل. من جهة أخرى كانت جهات فلسطينية قد أطلقت حملة دولية مناصرة الأسرى الفلسطينيين المضربين عن الطعام والذين تجاوز إضرابهم حتى اللحظة أكثر من ٥٠ يوماً وقد اتخذت الحملة شعار (# ماء وملح)، وقد لاقت الحملة صدى دولياً واسعاً حتى أن مفوضة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي كاثرين أشتون قد أعلنت أن الاتحاد الأوروبي يتابع باهتمام تدهور الظروف الصحية للمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وأن الاتحاد الأوروبي قلق من استخدام إسرائيل المفرط للاعتقال الإداري.

توافق مع ما سبق قيام مجموعة من سفراء الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي ومجموعة عدم الانحياز والمجموعة العربية بمحاولة بذل جهد دبلوماسي لمنع ترشح إسرائيل لمنصب نائب اللجنة السياسية الخاصة بإنهاء الاستعمار التابعة للهيئة العامة للأمم المتحدة.

وكتلخيص للأجواء الدولية قبل العملية فإن إسرائيل كانت تعيش حالة عميقة من العزلة الدولية بسبب تعنتها وعدم اكتراثها خصوصاً للجهود الدولية التي تقوم بها الولايات المتحدة لتحقيق التسوية.

نظرة على التحركات الدولية بعد العملية

بعد تأكد الحكومة الإسرائيلية من اختفاء المستوطنين الثلاثة وتزايد شكوكها بأن جهات فلسطينية تقف خلف العملية قامت بسلسلة من التدابير والخطوات سنتطرق ونقف عند ما يتعلق بالبعد الدولي منها:

١- قامت الحكومة الإسرائيلية مباشرة بتبنيه السفارة الأمريكية بخصوص اختفاء المستوطنين خاصة أن أحدهم يحمل الجنسية الأمريكية.

٢- قام نتياهو بالاتصال بوزير الخارجية الأمريكي محملاً المسؤولية للرئيس الفلسطيني

محمود عباس، ومؤكداً أن العملية هي ثمرة لحكومة التوافق بين فتح وحماس.

٣- قام كيري بالاتصال بالرئيس الفلسطيني أكثر من مرة من أجل حثه على بذل أكبر جهد ممكن في عملية البحث عن المستوطنين، ويذكر في هذا أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية تتلقى دعمها من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.

٤- ذكرت مصادر صحفية إسرائيلية أن اتصالات إسرائيلية مصرية أجريت لمتابعة القضية، فيما ذكرت صحيفة الشروق المصرية أن طائرات مروحية إسرائيلية تواجدت على الحدود المصرية لمنع نقل محتمل للمستوطنين إلى سيناء.

٥- ذكرت صحيفة هآرتس أن هناك احتمالية لنقل المستوطنين إلى الأردن في تعقيب على قرار منع سلطات الاحتلال للفلسطينيين من السفر إلى الأردن عبر معبر الكرامة.

٦- قال وزير الشؤون الاستخباراتية يوفال شتاينتس بعد إعلان نتياهو أن حركة حماس هي من تقف خلف العملية بالرغم من نفي حماس لذلك أن وقوف حماس خلف العملية يعكس أهمية الشراكة مع العالم العربي في مواجهة الإخوان المسلمين، فحماس جزء من الإخوان التي يعاديها النظام الرسمي العربي، وهذا برأيه يستدعي أوسع آليات التنسيق.

٧- وزير الخارجية الإسرائيلي يتلقى انتقادات واسعة من الجمهور الإسرائيلي بسبب تواجده في جولة إفريقية في ساحل العاج وتغيبه عن الاجتماعات الطارئة للحكومة فضلاً عن ظهوره بملابس تقليدية أفريقية، لكن بالرغم من ذلك يصرح ليبرمان عبر إذاعة الجيش أنه لن تعقد صفقة جديدة للتبادل مع الجانب الفلسطيني.

٨- مبعوث الأمم المتحدة روبرت سييري يعرض المساعدة في حل قضية المستوطنين التي تقول إسرائيل أن حماس وراء اختفائهم. مُبيناً أن الأمم المتحدة على استعداد للعب دور في حل الموضوع إذا

تطلب الأمر، ومع عدم اعتقاده بوجود علاقة بين حكومة التوافق واختفاء المستوطنين، أكد أنه إذا تبين أن حماس وراء العملية فإن ذلك يُعد تطوراً خطيراً، ومما يذكر هنا أن سييري كان قد أبدى اشمئزازه في مرات سابقة من اعتداءات المستوطنين الإسرائيليين على الفلسطينيين، كما حذر من تقويض إسرائيل لجهود السلام من خلال عدم تجميدها لعملية الاستيطان.

٩- أشارت صحيفة ידיعوت أحرنوت إلى عدم اهتمام الإعلام الدولي بحادثة اختفاء المستوطنين، حيث كتبت: «عملية الخطف ليست في الأخبار الأوروبية».

١٠- طالب آلاف الناشطين الإسرائيليين بعودة المستوطنين من خلال صور رفعوا فيها لافتات كتب عليها «أعيدوا أبنائنا» أو «الحياة في ظل الارهاب» في محاولة لربط الأمر بنجاح الاحتجاج الذي تم لإطلاق المختطفات في نيجيريا والذي استخدم عبارة «أعيدوا بناتنا» ولاقى قبولا وانتشارا عالميا حتى أن زوجة الرئيس أوباما قد حملت صورا لحملة نيجيريا، وفي مقابل هذا استخدم ناشطون فلسطينيون نفس الشعار لحملة مضادة للتذكير بمعاناة ٥٠٠٠ من الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.

النتائج الأولية على الصعيد الدولي

١- عدم ظهور قبول دولي لموقف الحكومة الإسرائيلية بوجود علاقة بين اختفاء المستوطنين أو أسرهم وبين تشكيل حكومة التوافق، وبالتالي عدم قبول فرض عقوبات عليها، وهنا يشار إلى علاقة ذلك باستياء أمريكي ودولي من تعنت حكومة نتياهو في عدة ملفات مؤخراً.

٢- وضوح متانة التنسيق الأمني بين الولايات المتحدة وإسرائيل من أجل الحفاظ على أمن الأخيرة بالرغم من توتر العلاقات السياسية مؤخراً.

٣- تشويش العملية على جولة ليبرمان الأفريقية من أجل الحصول على مقعد في الاتحاد الإفريقي بصفة مراقب، فضلاً عن لفت الأنظار

إليها.

٤- محاولة الحكومة الإسرائيلية استثمار الحادثة للظهور بمظهر الضحية ولإثبات خطأ المجتمع الدولي في القبول بحكومة التوافق، لدرجة أن بعض المحللين وضع سيناريو احتمال أن تكون الحكومة الإسرائيلية هي من قامت بفبركة الحادثة أصلاً.

٥- محاولة إسرائيل استثمار عدااء بعض الانظمة العربية كمصر لحركات «الإسلام السياسي» من أجل تعزيز التعاون المشترك معها.

٦- عدم اهتمام أوروبي كبير بالحادثة وهذا يرجع لاستياء أوروبا من المواقف الإسرائيلية مؤخراً وربما لعدم اتضاح كافة خيوط وتفاصيل القضية.

٧- تشير المعطيات أن البيئة العربية المفككة من العراق لسوريا لمصر غائبة عن المشهد ومنشغلة بتفاصيلها الداخلية عن القضية الفلسطينية.

٨- وجود تخوف دولي من تهادي عملية التسوية إلى وضع أسوأ مما هو عليه حالياً.

٩- وجد استياء فلسطيني شعبي من إشادة الخارجية الأمريكية بالتعاون الاستخباري بين الأجهزة الفلسطينية والإسرائيلية.

نظرة مستقبلية

في حال ترجيح وقوف المقاومة الفلسطينية خلف عملية اختفاء المستوطنين فيمكننا الحديث عن النقاط التالية:

١- ستركز الولايات المتحدة على الوقوف داعمة لإسرائيل في خطواتها الأمنية والميدانية لحل الأزمة، خاصة مع اقتراب التجديد النصفى للكونجرس الأمريكي، وربما تصعد من لهجتها تجاه حركة حماس، لكن ستبقى الإدارة الأمريكية على موقفها من عملية التسوية.

٢- ربما يؤدي اللوم الإسرائيلي المفرط للسلطة الفلسطينية إلى توجه الأخيرة لرفع دعاوى

قضائية ضد إسرائيل في المؤسسات الدولية، خاصة مع السخط الدولي من مواقف إسرائيل العنجهية.

٣- في حال ثبت وقوف المقاومة الفلسطينية خلف العملية ستكون نقطة حاسمة في مسار الصراع وربما تكون شرارة انطلاق انتفاضة ثالثة وهذا يتوقف على ردود الأفعال، ومع هذا إشارة لاحتمالية تعثر حكومة التوافق الفلسطينية خاصة مع استياء غالبية الشعب الفلسطيني من عملية التنسيق بين الأجهزة الأمنية الفلسطينية في الضفة وأجهزة الاحتلال.

٤- ربما تؤدي العملية إلى فتح قنوات التواصل مجدداً بين حماس ومصر كوسيط تفاوضي كما حدث في صفقة التبادل في ٢٠١١، وربما تدخل تركيا أو قطر على خط التفاوض خصوصاً مع وجود زعيم حماس خالد مشعل على أراضيها.

ختاماً ينبغي التحرك دولياً على الصعيد الفلسطيني من أجل العمل على تعميق العزلة الدولية لإسرائيل والتركيز على إظهار التجاوزات الإسرائيلية تجاه ٥٠٠٠ أسير فلسطيني وتوضيح ذلك للرأي العالمي، والتأكيد على أحقية الشعب الفلسطيني بالدفاع عن نفسه وأرضه ومواجهة الاحتلال.

مخطط لتقسيم إيران أيضاً؟

محمد بن صقر السلمي - ٢٠١٤/٦/٢٧

مع التطورات المتلاحقة التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد الأوضاع الراهنة على الساحة العراقية، شعرت إيران، ربما، بشيء من امتداد هذا اللهب إلى داخل حدودها، خاصة وأن النظام الإيراني دخل تجربة هذه التحركات مبكراً - وإن كانت أقل حدة مما شهدته المنطقة العربية - في عام ٢٠٠٩م بعد نتائج الانتخابات الرئاسية التي أعادت ترشيح الرئيس الإيراني

إيران تبدو أكثر تماسكاً حتى الآن رغم تركيبتها الفسيفسائية عرقياً ودينياً ومذهبياً وثقافياً. تحاول إيران دائماً إخفاء الغليان الذي يعيشه المجتمع الإيراني بمختلف شرائحه، وتسعى في الغالب، إلى القيام بخطوات «استباقية» ووآد الخطر في مهده قبل أن ينمو ويتوسع ويصبح بمثابة كرة ثلج يزداد حجمها كلما تدرجت.

مؤخراً، أعلن «جواد ناصريان» - مساعد وزير الداخلية الإيراني لشؤون التنمية والموارد البشرية- عن تقسيم البلاد إلى خمس مناطق بدلاً من إحدى وثلاثين محافظة. هذا التقسيم - ووفقاً للمسئول ذاته - يستهدف تبادل الخبرات وإقامة اجتماعات مشتركة. بداية لنلقي نظرة على المناطق الخمس التي تم الإعلان عنها:

المنطقة الأولى: تشمل محافظات طهران، قزوین، مازندران، سمنان، كلستان، البرز، وقم. **المنطقة الثانية:** تشمل محافظات أصفهان، فارس، بوشهر، تشهار محل بختياري، هرمزجان، وكهكيلويه، وبوير أحمد.

المنطقة الثالثة: تشمل محافظات أذربيجان الشرقية، أذربيجان الغربية، أردبيل، زنجان، جيلان، وكردستان.

المنطقة الرابعة: تشمل محافظات كرمانشاه، إيلام، لرستان، همدان، مركزي وخوزستان (عربستان).

المنطقة الخامسة: تشمل محافظات خراسان رضوي، خراسان جنوبي، خراسان شمالي، کرمان، یزد وسیستان، وبلوشستان.

ربما يعتقد البعض أن هذا الإجراء مجرد تنظيم إداري وتنموي بحسب، أو إعادة إحياء لتقسيم يعود تاريخه إلى أكثر من قرن من الزمان، من حقبة الدولة القاجارية وخلال الثورة الدستورية تحديداً (١٩٠٥ - ١٩١١م) عندما كانت إيران تقسم إلى أربع ولايات هي: (أذربيجان، فارس، خراسان، وكرمان) وذلك قبل أن يتم احتلال

الأحواز لاحقاً في العصر البهلوي، ولكن عند التدقيق في طريقة التقسيم هذه يظهر جلياً أن الأمر أبعد من تبادل الخبرات والاجتماعات أو الحنين إلى التقسيم القديم، إلى محاولة طمس المحافظات التي تحمل أسماءها دلالات عرقية، أو ذات الأغلبية العرقية، مثل عربستان، كردستان، أذربيجان وغيرها، والتي يساورها دائماً هاجس الانفصال عن الحكومة المركزية في طهران.

كما هو المتوقع فقد قامت طهران بخطوات سريعة بعد إعلان هذا التقسيم، حيث أطلقت أسماء «طهران، أصفهان، كرمانشاه، خراسان الرضوي، وأذربيجان الشرقية» كمسميات جديدة لهذه المناطق، وبالتالي دمج المحافظات القائمة مع بعضها البعض، واختيار عواصم جديدة لهذه المناطق، ومن المؤكد أنها - أي أسماء العواصم- لن تكون من المحافظات والمدن ذات البعد العرقي، وستجد الحكومة مبررات لذلك من أهمها ضرورة أن تكون العاصمة لهذه المدن في موقع يتوسط المنطقة، أي في قلب خارطة إيران، وبالتالي ينتفي تواجد المدن ذات البعد العرقي كون الأقليات العرقية -غير الفارسية طبعاً- تمتد في المناطق الحدودية.

التقسيم الجديد لخريطة إيران يصب في هدف واحد، وهو الحيلولة دون مطالبات المناطق ذات الأقليات العرقية بالاستقلال

انظروا إلى الخريطة الجديدة (أعلام) بتمعن، سيلاحظ القارئ أن التقسيم جاء رأسياً (طوليّاً)، من الشمال إلى الجنوب، وبالتالي تصبح منطقة ما يعرف بهضبة إيران (الوسط) قاسماً مشتركاً في جميع هذه المناطق، وبناءً على ذلك ستكون العاصمة المرشحة مدينة ذات غالبية فارسية ما عدا - ربما - المنطقة الثالثة ذات الأغلبية الآذرية.

ما يثبت هذه الفرضية تحرك بعض أعضاء البرلمان ضد هذا التقسيم، فبعد يوم واحد من إعلانه، اعترض ستون من أعضاء البرلمان الإيراني

العرقية، إلى المناطق الوسطى لكي يتعلموا اللغة الفارسية، وتصبح اللغة الأم للجيل الجديد، كما تم اقتراح نقل عائلات فارسية من مناطقهم إلى المناطق الحدودية لنشر اللغة والثقافة الفارسية، كما تم اقتراح بيع الصحف والمجلات الفارسية في تلك المناطق بأسعار أقل منها في طهران بهدف «فرسنة» تلك المجتمعات.

يبدو أن هذا المشروع لا يزال قائماً،

والمحاولات مستمرة وإن ظهرت بأنماط مختلفة بين الفينة والأخرى، وجميعها يصب في هدف واحد، وهو الحيلولة دون مطالبات المناطق ذات الأقليات العرقية بالاستقلال. كان من الأجدر بالحكومة المركزية في طهران أن تغير من طريقة تعاملها مع هذه الأقليات، فبدلاً من التهميش والحرمان الاقتصادي والثقافي واللغوي والمذهبي والتمييز والتعليمي، تتجه إلى إرساء العدالة الاجتماعية، والمساواة بين كافة مكونات المجتمع الإيراني بعرقياته وأديانه ومذاهبه المختلفة، والالتفات إلى مناطق الأقليات العرقية والمذهبية، ومعالجة الفقر والحرمان الذي تعاني منه تلك المناطق، وهو بالمناسبة الأعلى على مستوى البلاد خاصة في مناطق الأحواز وسيستان وبلوشستان، وفقاً لتقارير إيرانية رسمية، بدلاً من التفكير في مخططات تسعى إلى إذابة هذه الأقليات، وإجبارها على ثقافة عرق واحد - العرق الفارسي - والذي لا يشكل أكثر من ٥٠٪ من مكونات المجتمع الإيراني بأطيافه العربية والكردية والأذرية التركية، والتركمانية والبلوشية واللورية ومذاهبه وأديانه الشيعية الاثناعشرية والإسماعيلية والسنية واليهودية والمسيحية والزرادشتية (المجوسية) والشيخية والبهاية.

على ذلك، واعتبروا ذلك أمراً قد يثير الكثير من الخلافات، ويتسبب في احتقان في المجتمع الإيراني مما قد ينجم عنه مشكلات كثيرة، كما أن هذا القرار لم يأخذ في الحسبان الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، كما أنه إجراء غير قانوني أيضاً. فكيف سيكون هناك احتقان في المجتمع وبروز لمشكلات ليست في الحسبان إذا كان الأمر ينحصر في تبادل الخبرات فقط؟

من الشواهد الأخرى التي تجعل هذه

الفرضية أقرب إلى الحقيقة قيام النظام الإيراني

- **قبل عام تقريباً** - بمحاولة مماثلة ولكن تم إجهاضها. تم الإعلان آنذاك عن خطة تقسيم جديد للمحافظات، واقتطاع أجزاء من بعض هذه المحافظات وضمها إلى أخرى خاصة في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية، وكان هناك خطة لمد إقليم فارس (في الوسط) ليصبح له منفذ بحري على الخليج العربي من خلال اقتطاع مدن وقرى من محافظتي هرمزجان وبوشهر. واجهت هذه الخطة اعتراضات واسعة من قبل أهالي الإقليمين الأخيرين، والذين يقطنهما إما أقليات عرقية، خاصة العرب، أو أقلية مذهبية، كالسنّة الذين يشكلون الأغلبية في محافظة هرمزجان.

وبعد أن فشل هذا المخطط تم تقديم

المخطط ذاته مجدداً ولكن بثوب جديد يتمثل في

تقسيم كافة البلاد حتى يتم إبعاد الشبهة عن مخطط يستهدف الأقليات العرقية والمذهبية في إيران، ويطمس هويتها من خلال مشروع تغيير لتغيير التركيبة الديمغرافية في بعض المحافظات. هذا المخطط ليس مبتكراً أو حصراً على الجمهورية الإسلامية، بل إرث انتقل من النظام الشاهنشاهي القومي إلى النظام الحالي. في ثلاثينيات القرن الماضي اقترح القوميون الفرس على شاه إيران آنذاك، رضا بهلوي، القيام بترحيل بعض العائلات من المناطق الحدودية؛ حيث الأقليات

تصاعد حرب الإبادة البوذية ضد مسلمي سريلانكا موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

صعد البوذيون هجماتهم العنصرية ضد مسلمي سريلانكا، وتتوعد حملات الاستهداف بين الاعتداءات البدنية والثقافية والدينية وأعمال القتل ومداهمة المساجد والحرب الاقتصادية. وكان آخر هذه الاعتداءات بحسب وكالة أنباء الروهينجيا مداهمة منازل المسلمين في مدينة «أنور ادهابورا» وامتثال المسج الجامع بمدينة دامبولا، بعد استهدافه بقنبلة انفجرت قريباً منه الأسبوع الجمعة الماضي، ثم التظاهر ضد المسلمين الذين اضطروا للهرب لتفاديا للقتل.

وقام المتظاهرون بقيادة كبار رهبان البوذية بالدخول عنوة إلى المسجد بعد كسر الأبواب، وحرق بعض المصاحف، ثم قاموا بأداء ترانيم خاصة بالبوذية داخل المسجد.

بجانب محاولة مداهمة مسجد «دار الرحمن» بمنطقة «ديهيوالا»، ورمي الحجارة من خارج الأسوار، ومداهمة مسجد «عمر بن الخطاب والمدرسة القرآنية فيه بمنطقة «أرياسينهالاواتا» ومداهمة مسجد بمنطقة «دادوروأوياجاما» مؤخراً، بل قامت الشرطة بمنعهم من أداء الصلاة وإغلاق المسجد حتى إشعار آخر بدلاً من تطبيق القانون.

بجانب الحملات الإعلامية للتخويف من تكاثر المسلمين وانتشارهم وبناء مساجد جديدة، وبأن سريلانكا ستتحول لدولة مسلمة في عام ٢٠٢٥، والمطالبة بعدم بناء مساجد جديدة، وإزالة المساجد الحالية، وعدم بيع الأراضي والمحلات لهم. ومحاربة الزي المدرسي المحتشم للبنات المسلمات (غطاء الرأس، قميص وبنطلون طويل) وإجبارهن على الزي المدرسي العادي القصير، ومحاربة العبادة والحجاب وازدراءهما.

علاوة على ذلك، نشر معلومات غير صحيحة عن الإسلام والقرآن وعن النبي لتحفيز البوذيين ضد الإسلام، كما لا تخلو مواقع الأخبار المستقلة والمعتدلة ولا الشبكات الاجتماعية من بذاءات وشتائم ضد الإسلام، وتعدى الأمر إلى المساس بذات الله، وكرامة نبيه وأمّهات المؤمنين من خلال الرسومات والتعليقات وغيرها، فيما السلطات الحكومية لا تحرك ساكناً، بل قامت بمنع المواقع والصفحات التي تردّ على هذه الحركات المتطرفة وتفضح أكاذيبهم.

ويقف وراء تلك الاعتداءات حركة «بودو بالا سينا» المتطرفة والتي تعني «جيش القوة البوذية» وهي معنية بمواجهة أي وجود إسلامي حتى في المدارس، في ظل دعم حكومي وسلبيّة متعمدة من قوى الأمن التي لا تتدخل في أي قضية أو حادث طرفها مسلمون.

يذكر أن الإسلام دخل سريلانكا منذ أكثر من ألف عام، وهم متعايشون مع الأكثرية البوذية، ووصل عدد المسلمين إلى مليوني نسمة حسب إحصاءات عام ٢٠١١ (تقريباً ٩,٧٪)، وكانوا يملكون الحصة العظمى في التجارة وكانوا ذوي مال وجاه، إلا أن هذا الاستقرار بدأ بالتخلخل مؤخراً.

فمنذ أوائل القرن العشرين ادعى زعيم بوذي أن هذه الجزيرة ملك للسنهاليين البوذيين الذين يشكلون الأغلبية، وعليه فإن العناصر الأخرى عليهم أن يعيشوا كأقليات تحت نفوذ وسيطرة الحكم السنهالي البوذي.

وقد استهدفت هذه الحركة المسلمين مباشرة ونشرت أفكاراً معادية ضدهم، وقادت البلاد إلى أزمة، حيث قام عدد كبير من البوذيين بمهاجمة مدينة «غامبولا» وحرق ممتلكات المسلمين وتجارتهم عام ١٩١٥. وبعد أن انتهت الحرب عام ٢٠٠٩م بعد مقتل الآلاف من المسلمين، عادت تلك الحركات للظهور ضمن منظمات بوذية

متطرفة تستهدف الأقليات المسلمة من جديد ، وأبرزها حزب «جاتكا هيلأ أوروميا» المتآلف مع الأغلبية ، ويرى أن المسلمين أقلية وعليهم أن يعيشوا حسب شروط الأغلبية البوذية وداخل عادات وتقاليد البوذية، فإذا لم يعجبهم الوضع يمكنهم الذهاب إلى السعودية.

تأتي هذه الحرب على مسلمي سريلانكا في الوقت الذي يتابع العالم فيه مجازر البوذيين ضد المسلمين الروهينغا في بورما وضد اللاجئين والفارين بأنفسهم في مخيمات الإيواء في إندونيسيا، والحرب التي تشنها السلطات البنغالية على الإسلاميين.

سريلانكا على حافة العنف

عقب إعلان الحرب على المسلمين

ميدل إيست أونلاين-٢٧/٦/٢٠١٤

يقول مراقبون أن على الحكومة السريلانكية أن تتخذ الإجراءات اللازمة لملاحقة المسؤولين عن أعمال العنف الطائفي وتعزيز السلام، في أعقاب أسوأ اشتباكات منذ خمس سنوات، والتي خلفت ما لا يقل عن قتيلين وأكثر من ٨٠ جريحاً.

ففي ١٥ يونيو/حزيران، اندلعت اشتباكات بين أفراد الطائفة المسلمة والجماعات البوذية المتشددة في دارغا تاون، وهي مدينة ذات أغلبية مسلمة في منطقة كالتوارا التي تقع في جنوب البلاد، وتبعد حوالي ٦٠ كيلومتراً عن العاصمة كولومبو.

وفي تصريح صحفي، حذر ديفيد غريفيث، نائب مدير قسم آسيا والمحيط الهادئ في منظمة العفو الدولية، من أن «هناك خطراً حقيقياً من انتشار العنف في أماكن أخرى ما لم تتحرك الحكومة على الفور».

وأضاف «هذه قضية تختمر منذ بعض الوقت

وكان ينبغي التصدي لها منذ فترة طويلة»، مشيراً إلى تنامي التوتر في الفترة التي سبقت أحداث العنف التي تفجرت في ١٥ يونيو/حزيران، عندما شهدت البلاد يومين من أعمال الشغب التي قامت بها المجموعة البوذية المتشددة بودو بالاسينا، أي «القوة البوذية» بعد مسيرة حاشدة في بلدة الوثغاما، التي تبعد ٥ كيلومترات عن دارغا تاون.

وأعلن أجيثروهاننا، المتحدث باسم الشرطة، عن القبض على ٥٠ شخصاً للاشتباه في مشاركتهم في أعمال الشغب، وأضاف «إننا نجري تحقيقات حول ما جرى والأشخاص المسؤولين عنه».

من جانبها، أدانت المفوضة السامية لحقوق الإنسان نافي بيلاي أحداث العنف في ١٦ يونيو/حزيران قائلة «إنني أشعر بقلق شديد إزاء احتمال أن يمتد هذا العنف إلى المجتمعات المسلمة في أجزاء أخرى من البلاد... يجب على السلطات محاسبة مرتكبي هذه الهجمات على الفور وإيضاح أنه لا يوجد مجال للخطابة الملهبة للمشاعر والتعريض على العنف».

وبحسب تصريحات محي الدين إقبال، وهو أحد سكان دارغا تاون وشاهد عيان على الاشتباكات الأولية قبل أن يلوذ بالفرار، «كان معظم المسلمين في البلدة داخل المسجد عندما مرت القافلة (القوة البوذية)، وكان التوتر شديداً في المنطقة».

وفي ١٨ يونيو/حزيران، التقى الرئيس السريلانكي راجاباكسا بالقيادات الدينية والمجتمعية في تلك المنطقة، ووعد بإجراء تحقيق نزيه في الحادث وتقديم المساعدة الحكومية لإعادة بناء الممتلكات التالفة. وفي وقت لاحق، حظرت الشرطة جميع أشكال التجمعات الدينية.

مع ذلك، يقول محللون أن استجابة الحكومة ينبغي أن تتجاوز إصلاح الممتلكات والعلاقات بعد هذا الحدث بالتحديد من أجل منع المزيد من العنف.

ويرى جيهان بيريرا، الذي يرأس مجلس السلام الوطني، وهي منظمة حقوقية وطنية، أن

«الحكومة يجب أن تبرهن للأقليات، بما في ذلك المسلمين، على أنهم جزء من هذا البلد، وأن لديهم الحقوق نفسها التي يتمتع بها أي شخص آخر».

مسلمون نازحون

وسريلانكا هي موطن لحوالي مليوني مسلم، ويعيش عدد كبير منهم في شرق وشمال غرب البلاد، وهي المناطق التي كانت تعاني من العنف خلال الحرب الأهلية التي استمرت ٢٦ عاماً وانتهت في مايو/أيار ٢٠٠٩.

وقد اضطر حوالي ٧٥ ألف مسلم إلى الفرار من منطقة جافنا الشمالية في عام ١٩٩٠ بعد تلقيهم تهديدات من قبل حركة نمرور تحرير تاميل إيلاَم. ويبلغ عدد النازحين المسلمين الآن أكثر من ٢٥٠ ألف ولا توجد خطة لإعادة توطينهم، مما عرض الحكومة لانتقادات من قبل قادة تلك الطائفة الذين اتهموها بعدم الاكتراث.

وقال حلمي أحمد، المتحدث باسم المجلس الإسلامي في سريلانكا «لقد كانت هناك حالات من الاستهداف المتعمد للمباني التجارية المملوكة للمسلمين في الماضي»، لافتاً إلى حوادث، مثل الهجوم الذي وقع في ١٣ مايو/أيار ٢٠١٣ على متجر لبيع الملابس مملوك لأحد المسلمين خارج كولومبو، والحرق المزعوم لمتجر لبيع الملابس يملكه مسلم آخر في ٢١ يونيو/حزيران ٢٠١٤. وكلا الحادثان قيد التحقيق حالياً.

وبعد اقتحام القوة البوذية لمؤتمر صحفي عقدته الطائفة المسلمة في كولومبو في ١١ أبريل/نيسان، شعر القادة بالقلق إزاء احتمالات تفجر العنف جراء مسيرة القوة البوذية.

وكتب قادة مسلمون، من بينهم فايزر مصطفى، نائب وزير تشجيع الاستثمار، رسالة إلى وزارة القانون والنظام قبل بدء المسيرة محذراً من حدة التوتر في منطقة الوغاما ومناشداً توفير المزيد من الأمن.

وفي رسالة ثانية بعثت بها مجموعات مسلمة إلى المفتش العام للشرطة في ١٤ يونيو/حزيران، قال القادة «نحن ندعوك لاتخاذ إجراءات فورية وحاسمة

لحماية أرواح وممتلكات المسلمين في الوغاما والمناطق المحيطة بها».

انتقاد تقاعس الحكومة

وقال بيريرا من مجلس السلام الوطني أن اندلاع العنف، حتى بعد إرسال مثل هذه التحذيرات الواضحة، يبين أن الحكومة لا تأخذ هذه المسألة على محمل الجد، «ويظهر انهيار القانون والنظام. والآن، حان الوقت لكي تثبت الحكومة للضحايا وبقية البلاد أنها على استعداد لاتخاذ قرارات صعبة وغير مريحة».

من جهته، أكد غريفيث، من منظمة العفو الدولية، أن منع انتشار العنف يتطلب من الحكومة أن تتطابق أقوالها مع أفعالها، لأن «سريلانكا لديها سجل طويل من إجراء تحقيقات من المفترض أن تكون مستقلة حول انتهاكات حقوق الإنسان في أوقات مناسبة من الناحية السياسية، ولكن لم ينجز معظمها شيئاً يذكر».

وبحسب مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، كانت الحكومة السريلانكية قد وعدت بتعديل وتعزيز القوانين القائمة التي تتعلق بخطاب الكراهية، لكنها لم تف بهذا الوعد حتى الآن.

من ناحية أخرى، وجد إقبال، الذي عاد إلى دارغا تاون يوم ١٧ يونيو/حزيران، أن منزله أصيب بأضرار جسيمة - نوافذ مكسورة وحرق جزء من المنزل. وقال أنه في حين أن الحاجة الفورية هي تقديم المساعدات المالية لتعويض الأضرار، فإن المجتمع المسلم يشعر بالخوف.

وتساءل قائلاً «كيف حدثت هذه الأمور، بينما كان بمقدور الشرطة أو الجيش أو أي شخص في السلطة أن يمنعها؟ هذا يخلق الكثير من الخوف بيننا. نحن نشعر بأننا لا نستطيع أن نشق في أي شخص».

وحذر غريفيث من أنه «إذا لم تتم معالجة المسؤولين عن تلك الأحداث، فإن الإفلات من العقاب سيطلق أمد دوامة العنف».

رصد الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٣٦ شوال ١٤٣٥ هـ

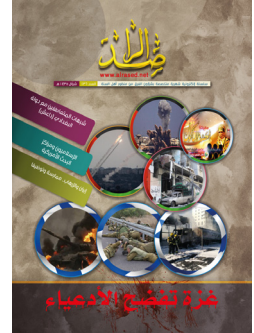
شبهات المتعاطفين مع دولة
البغدادي (داعش)

الإسلاميون ومراكز
البحث الأمريكية

إيران والإرهاب.. ممارسة وتوظيف



غزة تفضح الأذعياء



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٣٦)**

شوال - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

✻ غزة تفنض الأعداء ٢

فرق ومذاهب

✻ تجتمع علماء الشيعة في الكويت... الوجه الناعم للطائفية ٤

سطور من الذاكرة

✻ الوجه الآخر: ٩- نعيم قاسم هيثم الكسواني ٧

✻ عمر بن عبد العزيز يحاور الخوارج د. عمر الأشقر ١٠

دراسات

✻ مشكلات المرأة المسلمة.. مقارنة واقعية (٢) فاطمة عبد الرؤوف ١٢

✻ إبراهيم عيسى.. البحث عن الشهرة في طريق الأباطيل والتشيع أسامة الهيثمي ١٥

✻ مظاهر الغلو في أهل البيت عند أهل السنة سعيد بن حازم السويدي ١٨

✻ إيران والإرهاب.. ممارسة وتوظيف بوزيدي يحيى ٢١

✻ مؤتمر عمان لقوى الثورة السنية عبد الهادي علي ٢٦

✻ القضية السنية في فكر التوجهات السنية العراقية عبد العزيز بن صالح المحمود ٢٧

✻ السودان... من الغلو الخليفي إلى الدولة الإسلامية في مصر والسودان (دامس) محمد خليفة صديق ٣١

كتاب الشهر

✻ الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية أسامة شحادة ٣٩

قالوا

..... ٤٣

جولة الصحافة

✻ عصف مأكول وجرف صامد: في الدلالات السياسية لجولة جديدة بين إسرائيل وحماس.. طارق عثمان ٤٥

✻ بدعة في فقه الجهاد د. بندر الشويقي ٥٢

✻ يسألونك عن "داعش" د. محمد أبو رمان ٥٧

✻ داعش ومهمة القضاء على ثورتَي العراق وسوريا موقع العصر ٥٨

✻ ماذا لو دخلت (دولة الخلافة) إلى غزة؟ د. عماد الدين خيتي ٦١

✻ هل تصمد خلافة البغدادي طويلاً حسن أبو هنية ٦٤

✻ حول شبهات المتعاطفين مع دولة البغدادي (داعش) حمود بن علي العمري ٦٦

تتنزل الرحمة عليهم، لأن المسلمين سيمنعونهم من أذية أنفسهم بأذية الناس، ولأن المسلمين لن يعاملوهم بالظلم برغم جرائمهم، فالتاريخ يشهد أن المسلمين حين انتصروا على اليهود بعد غدرهم المتكرر، لم يعاقبوا إلا المجرمين منهم، ورحموا الصغار والنساء والأطفال، ولم يكن لهم مكان آمن في العالم إلا في بلاد المسلمين، والتاريخ يشهد أن كل كوارث اليهود - بسبب جرائمهم وخسة طباعهم - حدثت لهم من غير المسلمين في القديم والحديث، أليست كنائس وملوك أوروبا هم الذين نصبوا لهم محاكم التفتيش، أو قياصرة روسيا، أو هتلر زعيم ألمانيا هو الذي طارهم ونكل بهم!!

ولكن لما كانت القضية الفلسطينية قضية حق وعدل فقد تشبث بها بعض الأدعياء، ليمرروا من خلالها باطلهم وانحرافهم بين المسلمين، وهم أصناف عدة، نفصلهم فيما يلي:

أولاً: الشيعة وإيران وحزب الله ومحور الممانعة الذي تنزعه

وهؤلاء أثبت العدوان الإسرائيلي على غزة في سنة ٢٠٠٨ وهذه السنة ٢٠١٤ أنها تتلاعب بنصرة فلسطين والأقصى إعلامياً وسياسياً لتحقيق مصالحها هي على حساب دماء الفلسطينيين.

وبداية لابد أن نتفق على أن قضية فلسطين قضية حق وعدل لا ينصرها ظالم ومبطل أبداً، وإيران والشيعة وحزب الله وبقية المحور من الفصائل الفلسطينية كالجبهة الشعبية والنظام السوري والمليشيات الشيعية العراقية ونظام المالكي، كلها والغة في الظلم والجور تجاه خصومها من الشيعة والسنة، فالأقليات الشيعية غير الفارسية في إيران لا تحصل على حقوقها، وكذلك المعارضة السياسية المدججة تلاقى الويل، وكذلك خصوم حزب الله والمالكي من الشيعة والسنة يصب عليهم الظلم صبا، فكيف لهؤلاء أن يكونوا مناصرين للحق والعدل وهم ظلمة جائرون!!

ثم ثبت للجميع أن الدعم الإيراني والشيوعي لحركتي حماس والجهد مرتبط بمدى تبعيتهما المطلقة لإيران،

غزة تنفض الأدعياء

العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة في رمضان هو جريمة وحشية جديدة تضاف لسجل اليهود والإسرائيليين المعاصرين، هؤلاء الوحوش الذين يجسدون في كل يوم أبشع الأكاذيب التي حرفوها في التوراة، وحولوه من كتاب إلهي لهداية البشر إلى وصفات إجرامية عنصرية، ويقود ذلك حاخاماتهم وخداماتهم.

فالجريمة الوحشية والغادرة بحق الفتى المقدسي محمد أبو خضير والذي أرغم على شرب البنزين ثم صب عليه وأحرق حيا من المشاركين بهذه الجريمة أحد حاخاماتهم، بينما حاخام مستوطنة «كريات أربع» في مدينة الخليل دوف ليثور والذي يعد واحداً من أهم حاخامات الصهيونية الدينية في إسرائيل فقد أرسل فتوى إلى وزير الحرب الإسرائيلي تحت وتبيح لجيش الاحتلال قتل المدنيين الفلسطينيين وتفجير المناطق المأهولة بالسكان في قطاع غزة، وتهجيرهم، كما تبيح الفتوى منع الإمدادات والمؤن والكهرباء عن غزة كلها، وحذر الحاخام من أي نزعة تجاه الفلسطينيين.

وهذا تجسيد لحقيقة العداء اليهودي لكل البشرية بناء على عقائدهم الدينية العنصرية، والتي تجعل من الناس بهائم خلقت لخدمتهم، وأنهم هم شعب الله المختار، وقد بلغ من عدوان اليهود أنهم يكذبون الأنبياء ويقتلونهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

ولذلك لا نتوقع من اليهود إلا العدوان والغدر والخسة، ولن يجدي معهم إلا القوة والجهد، وعندها

فحين تمردت حماس على رغبة إيران بدعم إجرام بشار الأسد ضد الشعب السوري وآثرت إعلان الحياد، تم قطع المعونات عنها ووصمها بالعمالة والخيانة، ولعل خطاب بشار الأخير - بعد مهزلة الرئاسة الثالثة - ومقابلة أحمد جبريل على قناة المنار عقب العدوان الإسرائيلي، واللذين كالا فيهما الشتائم والاتهامات لحماس بخيانة المقاومة والممانعة أكبر دليل على ذلك!!

وفي حين يكتفي جيش بشار وحزب الله وفيلق القدس الإيراني بعد الضربات الإسرائيلية لدمشق دون رد، فإنهم لا يكلون ولا يملون من قتل الشعب السوري بالأسلحة الكيماوية والبراميل المتفجرة، فكيف يظن عاقل أن هؤلاء سينصرون غزة من صواريخ وعدوان إسرائيل؟

إن ممانعة ومقاومة هؤلاء لإسرائيل لا تتعدى المقاومة بالخطابات والتصريحات والاتصالات الهاتفية، وما قدموه من مال أو سلاح لم يكن مجاناً بل كان للحصول على الشعبية الرهيبة بين المسلمين، والتي برغم الجرائم الطائفية المتواصلة لإيران وحلفائها من سنوات في العراق وسوريا، لا يزال البعض يشيد بإيران ودورها، وذلك طالما أن أمثال قادة حركة الجهاد مستمرين في غسيل سمعة إيران الوسخة.

إن من يقيم المجازر للفلسطينيين طيلة تاريخه في لبنان وسوريا والعراق لن ينصر فلسطين وغزة.

ثانياً: أهل الغلو والتطرف كالبغدادي الخليفة المسرّب

من المصائب الجديدة على أمتنا ظهور أهل الغلو والتطرف من حملة فكر ومنهج الخوارج بقوة في هذه المرحلة، وهذا الظهور ليس ظهوراً فكرياً وإعلامياً فحسب كما كان الحال قبل بضعة عقود، بل أصبح ظهوراً يمتلك المال والسلاح، ولكنهم يوجهونه لصدور المسلمين، كما أخبرنا النبي ﷺ عنهم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

وقد تسبب ظهورهم في العراق والشام بضرب المقاومة السنية هناك بحجة كونهم مرتدين وصحوات ثم بحجة كونهم رافضين لولاية دولتهم ثم تصاعد بهم الجنون فأعلنوا عن خلافة لا عنوان لها، وكفروا من لم ينضم إليها واستباحوا دماء المعترضين وأموالهم وأراضيهم، كل هذا ودولة الخليفة المزعومة في مأمن من قصف نظامي بشار والمالكي، بينما تتواصل البراميل المتفجرة على رؤوس المعارضين لها من قبل المالكي وبشار، ولا ندري هل بايع المالكي وبشار الخليفة، أم أن الخليفة مجتهد من نفسه في الدفاع عنهما في وجه الثورة الشعبية السنية؟؟ إن هؤلاء الغلاة من داعش وأهمهم القاعدة لانصرة ترتجى منهم لفلسطين وغزة، وذلك أن منهجهم يقوم على

انحراف وغلو وتطرف، فالقاعدة ترى كفر قيادة حماس السياسية على الأقل وإن لم تصرح بذلك مباشرة وعلانية، ولكن فكرهم هو الذي أنتج فكر داعش وغلوها وتطرفها، ولما حاولوا تعديله تأبت عليهم ونبذتهم، وإذا ما وصلت القاعدة أو داعش لفلسطين وغزة، فلن ينتجوا إلا الثمرة المرة التي أنتجوها في العراق والشام، فداعش أعلنت خلافتها، وبدلاً من مواصلة الطريق لبغداد بعد الموصل السنية، عادت أدرجها (لتحرير) دير الزور من المجاهدين والقاعدة/ جبهة النصرة! فردت عليهم جبهة النصرة بالتحضير لإعلان إمارة في الشام والصدام مع بقية الفصائل الإسلامية والوطنية!

كيف نرتجي نصرة فلسطين وغزة من قوم يرون أن قتال حماس المرتدة أولى من قتال اليهود!!

ثالثاً: أبواق العلمانية المخدلة والخائنة

فضح العدوان على غزة كثيراً من الأبواق العلمانية التي كانت تزعم دعم القضية الفلسطينية والحرص عليها، فلما تيقنوا أن المد الإسلامي سيهدد وجودهم ونفوذهم وسلطتهم، التي ما حصلوا عليها إلا بالتحالف مع أنظمة الاستبداد والفساد، ضاربين بعرض الحائط كل المبادئ التي يتشدقون بها من الديمقراطية والحرية والشفافية.

فخرجت هذه الأبواق تستهزئ بالمقاومة في غزة وصواريخها، وتشيع في الناس أن أهل غزة اعتدوا على جيرانهم الإسرائيليين، وأنهم طماعون ويحاولون الاستيلاء على حقوق اليهود في فلسطين، بمطالبتهم برفع الحصار الظالم على غزة من سنين، أو حين لا يقبلون بدفن شهدائهم وهم سكوت بل يصرون على قصف اليهود وقتل الجنود!

وقد تكفل بالرد على هؤلاء بعض عقلاء اليهود والإسرائيليين الذين يدركون أن التماذي في الظلم والباطل سيعجل بزوال دولتهم الباطلة، لأنهم حريصون على طول بقائها.

رابعاً: أصحاب النظرات القاصرة والفهم الكليسيه والهمم الخسيصة

العدوان على غزة فضح بعض أدعياء العلم والفهم الذين يسعون في إشاعة القبول بالهوان والرضى بالدون، بحجة أن هذا هو الممكن والمقدور عليه، وبرغم أنهم يدعون الانتساب للسلفية إلا أن موقفهم هذا هو عين موقف غلاة الصوفية المنحرفة عبر التاريخ والتي كانت تنادي بالرضى بحكم الكفار والغزاة بحجة القبول بالقضاء والقدر!

ولكن بحمد الله أن الله عز وجل قد فضح كل هؤلاء، فتجاوزتهم الأمة ومضت في طريق المجد بإذن الله.

كبيرا يعبر عن عموم شيعة الكويت، رغم ادعاء رموزه ذلك، حيث أكد الكثيرون من القيادات الشيعية الكويتية في مناسبات مختلفة أنه لا يعبر إلا عن نفر محدود من الشيعة.

شخصية جدلية

ولعل النشاط الإعلامي هو أكثر ما يميز تجمع علماء الشيعة في الكويت، لكن الظهور المتكرر لأمينه العام المهري في وسائل الإعلام وإصداره بيانات بنكهة طائفية لا تقتصر فقط على الشأن الكويتي بل تتعداه لمختلف القضايا الخارجية، لاسيما في المنطقة العربية، قد جعل الرجل - الذي يتظاهر بالحرص على وحدة الصف السني والشيوعي - يدخل في صدامات واشتباكات إعلامية على خلفية اللغة الحادة التي يتبناها، وشخصيته المثيرة للجدل التي كثيرا ما تدخل شيعة الكويت عن بكرة أبيهم في إشكاليات عديدة. ولا يكاد يخلو يوم دون قيام باقر المهري الذي ينصب نفسه ناطقا باسم الشيعة في الكويت - وهو بالمناسبة من المقربين إلى دوائر الحكم - بتحريض الحكومة على الجماعات السنية وعلماء السنة.

الكثير من المحللين اعتبروا أن تجمع علماء الشيعة في الكويت يهدف في الأساس من وراء الظهور الإعلامي المكثف لأمينه العام إلى الضغط على الحكومة وإشعارها أن الشيعة متواجدون ولهم صوت عال، وأنهم معنيون بالرد والتعبير عن آرائهم

تجمع علماء الشيعة في الكويت... الوجه الناعم للطائفية

معتز بالله محمد^(*) - خاص بالراصد

تأسس ما يسمى بـ «تجمع علماء الشيعة في الكويت» عام ٢٠٠١ على يد أمينه العام محمد باقر المهري، وكيل المرجع الشيعي علي السيستاني بالكويت، وتقتصر عضويته على علماء الدين، وله نشاط إعلامي واسع؛ وهو يحمل أهدافا كعادة الهيئات والتجمعات الشيعية في البلدان العربية تتناقض في معظمها مع واقعها، وممارساتها على الأرض.

ومن أبرز أهداف التجمع المعلنة والمفترضة مناهضة الممارسات الطائفية والتصدي للتطرف الديني وإبراز دور الطائفة الجعفرية في المساهمة بالتطوير الحضاري الإسلامي، والعمل على نشر الوعي الثقافي الإسلامي عن طريق لغة الحوار، وتثقيف المجتمع، والمشاركة في تأسيس، ودعم المشروعات الشيعية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام داخل الكويت، والدفاع عن التمثيل السياسي للشيعة في مؤسسات الحكم الكويتي.

ويلاحظ أن هذا التجمع لا يمثل كيانا فعليا

(*) كاتب مصري.

على أي موضوع يتم طرحه على الساحة أو خارجها، بغرض الحصول على المزيد من المكتسبات.

توغل واختراق

ولا يخفى على أحد حقيقة التوغل الشيعي في الكويت، والطفرة التي حققها الشيعة على كافة الأصعدة الدينية والثقافية والإعلامية وكذلك الاقتصادية والسياسية خلال السنوات الأخيرة رغم أنهم يمثلون ما بين ٢٠ - ٣٠٪ فقط من إجمالي عدد السكان.

فقد انتشرت المكتبات الشيعية في عدد من مناطق الكويت خاصة في الجابرية والسالمية والرميثية وبنيد القار، وهناك نشاطات واسعة لتوزيع الكتب والأشرطة لاسيما على الوافدين من الدول العربية وتضاعفت أعداد المساجد والحسينيات المرخصة وغير المرخصة في كافة المناطق، كذلك أسس الشيعة العديد من المنابر الإعلامية كقناة الأنوار وقناة أهل البيت وقناة المعارف إضافة لاختراقهم معظم وسائل الإعلام الرسمية والخاصة، علاوة على إصدار عدد من الصحف اليومية كالنهار والدار.

علاقات ودية

وبالعودة إلى دور التجمع يتضح أن أمينه العام اعتاد استغلال العلاقات الودية التي تتعامل بها السلطات الكويتية مع الشيعة في دعم نوابهم في مجلس الأمة والسعي للعب دور سياسي أكبر، وكذلك وهو الأهم في الدعوة علانية لنشر التشيع بين السنة تحت غطاء الوحدة الوطنية، فعلى سبيل المثال قام المهري قبل عامين بدعوة جميع طبقات وأطياف الشعب الكويتي لحضور مجالس عاشوراء، وقال في بيان له: «نحن ندعو جميع طبقات وأطياف الشعب الكويتي من السنة والشيعة إلى الحضور في هذه الحسينيات؛ ليشاهدوا وليستمعوا إلى ما يقوله الخطباء وما يفعلونه في هذه الأماكن المقدسة الشريفة».

هل من مزيد؟

بل ذهب المهري لأبعد من هذا بالمطالبة بإعلان يوم عاشوراء (١٠ محرم) عطلة رسمية في البلاد وقال: «نطالب مرة أخرى بإعلان عاشوراء يوم الحزن والمأساة وتعطيل الوزارات والدوائر الرسمية بحيث يكون عاشوراء عطلة رسمية احتراماً لدماء شهداء كربلاء وتكريماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

لكن فتاوى وتصريحات تجمع علماء الشيعة في الكويت والتي تأتي على لسان أمينه العام تدحض ادعاءات التجمع بالعمل على التقريب بين المسلمين والسعي لتحقيق الوحدة الإسلامية، إذ أنها دائماً ما تحمل الطابع الطائفي، ودعم الشيعة في الداخل والخارج على حساب أهل السنة وقضائهم.

التجمع والمالكي

فبتاريخ ٢٠١٤/٦/٢٠ أشاد المهري بما سماه دعم الكويت لرئيس الحكومة العراقية الطائفي نوري المالكي في مواجهة الثورة السنية وما يسمى بتنظيم «داعش» وقال في تصريح له: «نشيد بموقف حكومة الكويت المساند والداعم للحكومة العراقية المتمثلة بالسيد نوري المالكي حيث أجرى سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر المبارك اتصالاً هاتفياً مع رئيس الحكومة العراقية أكد فيه وقوف الحكومة الكويتية ضد التنظيمات الإرهابية وحرصها على الأمن والاستقرار والطمأنينة في العراق الشقيق حفاظاً على سيادة ووحدة أرضيه واستقلاله» أ.هـ.

هذا التصريح أثار موجة من الجدل داخل الكويت وكتب «داود البصري» في صحيفة السياسة الكويتية يقول: «للسيد محمد باقر المهري وكيل المرجعيات الشيعية في الكويت تعليقات غريبة، وتحركات أشد غرابة، فقد اختفى الرجل حيناً من الزمن إعلامياً، وتوقف عن بث بياناته الفاكسية الشهيرة، والتزم الصمت شبه التام بعد

تدخل سافر

لكن وفي المقابل لا يتورع رئيس تجمع علماء الشيعة عن انتقاد كافة السياسات التي يرى أنها تقف في وجه المشروع الشيعي بالمنطقة، ففي ٢٠١٤/٢/٨ طالب المهري بإلغاء الاتفاقية الأمنية الخليجية التي قال إن باطنها فيه الحرمة وظاهرها فيه العذاب كونها تخالف روح الدستور الكويتي وسيادة الدولة لتضييقها على الحريات ومخالفتها لحقوق الإنسان وإهانتها لكرامته على حد زعمه، وذلك في إشارة إلى البند الخاص بتسليم المحكومين. يشار إلى أن المهري كان قد عارض أيضا وبشدة فكرة إقامة فيدرالية خليجية.

كراهية الإخوان

ويتضح من موقف التجمع وقوفه بشدة في وجه أي نظام إسلامي سني، كنظام الإخوان المسلمين الذي حكم مصر لمدة عام قبل إسقاطه على يد المشير عبد الفتاح السيسي.

فما أن استولى العسكر على الحكم في مصر حتى سارع المهري إلى الخروج بتصريح بلسان شيعة الكويت قال فيه: إن موقفنا هو تأييد ودعم الجيش المصري الشجاع بقيادة المشير عبدالفتاح السيسي ضد العنف والإرهاب والطائفية.

تناقضات صارخة

لكن الطائفية التي يتحدث عنها المهري هي نفسها التي دفعته عام ٢٠٠٦ إلى الإفتاء بحرمة التبرع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمجرد نعيها زعيم تنظيم القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي، مؤكدا «حرمة التبرع ولو بفلس واحد» للحركة التي اعتبرها داعمة للإرهابيين.

روايته الشهيرة قبل ثلاثة أعوام والتي ادعى فيها، وقتذاك، بعد أن قابل الرئيس السوري بشار الأسد أنه قد قال له إنه حلم به وهو يمتشق سيف الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ويحارب به أعداءه! وقتذاك أنكر المهري صحة تلك الرواية رغم شيوعها واكتفى بالصمت الرهيب! رغم أن مواقفه معروفة وهي لن ولم ولا تخرج عن سياق مواقف إيران وحلفائها في المنطقة، وتلك من طبائع الأمور ومقتضيات الأحوال.

وأضاف البصري في المقال المنشور بتاريخ ٢٠١٤/٦/٢٩: ويبدو أن التطورات العسكرية الساخنة الأخيرة في العراق، والنجاح الكبير الذي حققه رئيس الحكومة العراقية الفاضل نوري المالكي في وضع العراق على سكة الحرب الطائفية الأهلية اللعينة، وتسببه بالهزيمة المرة للجيش العراقي في الموصل وشمال غرب العراق، إضافة إلى وقوفه المباشر بسياسته العجفاء خلف الحرب الطائفية الدائرة هناك قد أثارت وشجنت همة المهري فخرج من جديد ببيان مدهش يبارك فيه لرئيس الحكومة الكويتية الشيخ جابر المبارك الصباح موقفه المؤيد، كما قال لنوري المالكي في مواجهة «داعش»! رغم أن دولة الكويت ليست طرفا في النزاع العراقي الداخلي، ولا علاقة لها ولا لحكومتها بما يدور من صراع دموي شرس، كما أن موقفها العام لا يختلف عن موقف بقية دول «مجلس التعاون» الخليجي، وخصوصا الموقف السعودي الرافض لأساليب المالكي في توزيع ولصق صفة الإرهاب بمخالفيه.

الوجه الآخر

٩- نعيم قاسم

هينم الكسواني^(١) - خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة إلتهبت حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يعتبر الشيخ نعيم قاسم الرجل الثاني في حزب الله اللبناني، فهو يتولى منصب نائب الأمين العام منذ فترة ليست بالقليلة، لذلك فإن منهج الحزب وسياساته تشكل معياراً مهماً للحكم على قاسم، ودراسة شخصيته التي استفادت من الشعبية الجارفة التي حظي بها حزب الله وأمينه العام حسن نصر الله في وقت من الأوقات، حتى اندلاع الثورة السورية في بداية عام ٢٠١١م، والتي نزعت عن الحزب وقياداته ورقة التوت التي كانوا يستترون بها.

وإضافة إلى موقفه من الثورة السورية، نتناول في هذا المقال موقف قاسم من ولاية الفقيه، وتبعيته لإيران وقائدها، وموقفه من مخالفه من السنة والشيعية، ونظرته إلى التراث الشيعي، والتاريخ الإسلامي.

أولاً: حياته ونشأته

ولد نعيم قاسم في قرية كفر فيلا، في النبطية،

في جنوب لبنان سنة ١٩٥٣م، وأتم دراسته الجامعية في الكيمياء من الجامعة اللبنانية، وبالتزامن مع ذلك درس العلوم الدينية على يد عدد من شيوخ الشيعة في لبنان، وهو أحد الذين ساهموا في تأسيس حركة المحرومين بقيادة موسى الصدر (قبل أن تتطور لتصبح حركة أمل)، وكذلك أحد المؤسسين لحزب الله، ويتولى فيه منصب نائب الأمين العام منذ سنة ١٩٩١م.

صدر له عدد من المؤلفات، منها: عاشوراء مدد وحياة، معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، حزب الله: المنهج التجريبي المستقبلي، الإمام الخميني الأصالة والتجديد، المهدي المخلص، مجتمع المقاومة، وغير ذلك^(١).

ثانياً: تبعيته لإيران وقائدها

إن الأمر الأول الذي يوضح تبعية نعيم قاسم لإيران هو أنه الرجل الثاني في حزب يدين بالطاعة المطلقة لإيران وقائدها باعتباره الولي الفقيه وولي أمر المسلمين الواجب اتّباعه خلال غيبة الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر) حسب المعتقد الشيعي، وكما نصّ عليه أول بيان صدر عن حزب الله في فبراير/ شباط ١٩٨٥م، وجاء فيه: «إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم ... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً

(١) الموقع الرسمي لنعيم قاسم على شبكة الإنترنت.

(♦) كاتب أردني.

بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني - دام ظلّه - مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة...»^(١).

وقاسم نفسه تحدث عن دور إيران في تأسيس حزب الله، فقال: «... نجحت الثورة الإسلامية المباركة في إيران بقيادة الإمام الخميني (قده) سنة ١٩٧٩ فاستقطبت المؤمنين ... لم يكن الارتباط بالثورة موجوداً قبل ذلك ... ناقش الإسلاميون داخل أطرهم ومع بعضهم البعض كيفية النهوض ومواكبة متطلبات المرحلة في لبنان والاستفادة من التجربة والإشعاع الإيراني ... فقوي الاهتمام بضرورة تشكيل إسلامي موحد ... من أجل تحقيق هذه الأهداف تابع ممثلون عن المجموعات الإسلامية الرئيسة مناقشة أفكار عديدة حول رؤيتهم للعمل الإسلامي في لبنان، تمت صياغتها في ورقة نهائية ثم انتدبوا تسعة أفراد كممثلين عنهم ... ثم رفعوا هذه الوثيقة للإمام الخميني (قده) فوافق عليها فاكتملت شرعية تبني الولي الفقيه لها، عندها قررت المجموعات الإسلامية الموافقة على الوثيقة حلّ تشكيلاتها التنظيمية القائمة وأنشئ تشكيل واحد جديد سمي لاحقاً باسم حزب الله».

والأمر الثاني أن اعتقاد قاسم بولاية الفقيه لا يختلف عن اعتقاد حزبه، إذ يرى أن سلطة الفقيه الإيراني على المسلمين هي سلطة مطلقة، بما في ذلك إعلان الجهاد، الأمر الذي يضع شكوكاً كبيرة حول المقاومة التي طالما تباهى بها الحزب، وقرار الحرب والسلم، لارتباطها بالأجندة الإيرانية والولي الفقيه، ففيما يتعلق بالمقاومة، التي يسميها: الجهاد الدفاعي، يؤكد أنها لا بد أن تحظى بموافقة الولي الفقيه ... ويقول: «لكن قرار الجهاد مرتبط بالولي الفقيه، الذي يشخص الحالة التي ينطبق عليها عنوان الجهاد الدفاعي، والذي يحدد قواعد المواجهة وضوابطها، فمسؤولية الدماء

عظيمة، ولا يمكن زج المقاتلين في أي معركة دون الاستناد إلى ما ينسجم مع وجوب الجهاد فيها وما يحقق أهدافها.

وقد يختلف رأي بعض الفقهاء عن رأي الولي الفقيه، لكن رأيه ملزم لهم فهو المتصدي والمبايع من قبل الناس...»^(٢).

ومن جهة ثالثة، لا يكلّ نعيم قاسم من الشاء على إيران وثورتها وقائدها، ففي كلمة له على سبيل المثال بمؤتمر الصحوة الإسلامية الذي انعقد في طهران في ٢٠١٤/٣/١١ اعتبر أن الصحوة الإسلامية انطلقت بشكل فعال مع الخميني وثورته وأنها هي التي أحييت الدين مجدداً وأعادت الناس إلى الدين وإلى رسول الله.

موقفه من الثورة السورية

شكلت الثورة السورية ورقة التوت التي طالما تستر بها حزب الله، فالسلاح الذي طالما أعلن الحزب أنه لمقاومة إسرائيل، يُوجه إلى الشعب السوري الثائر بوجه الأسرة الأسدية والنظام العلوي النصيري المستبد، إذ بعد فترة من الإنكار لأي دور للحزب في قمع الثورة السورية عاد الحزب للاعتراف - بعد تزايد الأدلة على تورّطه - بالمشاركة في الحرب إلى جانب النظام، والسبب في ذلك معروف وهو إنقاذ الهلال الشيعي الذي كاد يتهاوى تحت ضربات الثوار.

وقد أشار الشيخ محمد الجوزو مفتي جبل لبنان إلى شيء من عنجهية قاسم في التعامل مع الهيئات السنية ودار الإفتاء، فعندما سئل في مقابلة صحفية (الرأي - ٢٠٠٧/١/٢٨) عن تدخله وهو رجل دين في الأمور السياسية، واعتراضه المتكرر على حزب الله، تحدث بشيء من الأسى عمّا يلاقيه من حزب الله وقائديّه حسن نصر الله ونعيم قاسم، فقال: «رجال الدين أليسوا بشراً؟ أليسوا مواطنين؟ أليس من حقهم أن يمارسوا أبسط أمور الديمقراطية؟

(٢) نعيم قاسم، حزب الله المنهج التجريبي المستقبلي، دار الهادي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٥٠ وما بعدها.

(١) على حسين باكير، حزب الله تحت المجهر: رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إسرائيل وإيران، شبكة الراصد الإلكترونية، ص ١٩.

حسن نصر الله يعمل الآن رئيساً لميليشيا وأنا لا أسميه زعيم حزب، لأن حسن نصر الله تحول من زعيم يريد محاربة إسرائيل إلى رئيس ميليشيا يحارب شعب لبنان ويحاول أن يدمر لبنان... وإذا لم أتكلم أنا، فمن الذي سيتكلم؟ هل نسكت جميعاً ونترك حسن نصر الله و(نائبه) نعيم قاسم الذي ينط (يقفز) من خلف المنابر ويهدد... جميعهم يتحدثون بلغة فوقية وإملائية... هل هذا كلام يجوز؟

ذهب غازي كنعان ورستم غزالة وجاء حسن نصر الله ونعيم قاسم ليمليا علينا ما يريدان؟ نحن لسنا عبيدا على الإطلاق، نحن أحرار وسندافع عن حرية اللبناني وكرامته».

موقفه من مخالفه

اتسم نعيم قاسم بالحدة مع مخالفه، ولعل ذلك بسبب القوة التي يمتلكها حزب الله في لبنان، والغريب أن هذه الحدة واللغة الإقصائية قد شملت الشيعة أيضاً، ممّن لا يتفقون مع منهج حزب الله، فعلى سبيل المثال شنّ قاسم (والحزب) حملة عنيفة على مقلدي المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله، وعلى مؤسساتهم ومنابرهم الإعلامية، رغم أن فضل الله كان يُعتبر الأب الروحي لحزب الله، لا لشيء إلا لمخالفة فضل الله ومقلديه لمنهج حزب الله، وتشكيكهم ببعض العقائد الإمامية، وانتقادهم لبعض الانحرافات والغلو في الوسط الشيعي.

وقد ذكرت تقارير صحفية أن نعيم قاسم طلب بحدة من علي فضل الله، النجل الأكبر لمحمد حسين فضل الله والمسؤول عن إدارة المؤسسات التابعة للمرجعية، وقف بعض البرامج في تلفزيون الإيمان وإذاعة البشائر التابعين لفضل الله، لأن أحد المتحدثين فيهما (ياسر عودة) خالف ما عليه حزب الله فيما يتعلق بالولاية التكوينية للأئمة، وكذلك فيما يتعلق بموضوع التربة الحسينية التي يستخدمها الشيعة في الصلاة معتقدين بقدسيتها، حيث قال عودة (وقبله فضل الله) إنها ليست من

أرض الأئمة، بل هي صناعة الصين ومستوردة منها. وإضافة لذلك فإن نعيم قاسم وجّه تهديدات لوفد التقاء يمثل مقلدي فضل الله قائلاً: (اللي كان مغطيكم - أي يحميكم ويقصد محمد حسين فضل الله - راح) (أي مات) ^(١).

أما ما يتعلق بمخالفه من السنة، فيكفي للتدليل على ذلك بإفشال حزب الله لكل حكومة لبنانية لا تأتمر بأمره، أو تعارض إيران، وعندما اجتاحت الحزب بيروت في أيار/ مايو ٢٠٠٨م، ووجّه سلاحه إلى معارضيه من اللبنانيين، وأدى ذلك إلى مقتل أكثر من ٦٥ شخصاً، واعتدى على المؤسسات التابعة لخصمه (السني) سعد الحريري، اعتبر قاسم في لقاء تلفزيوني معه أن الاجتياح كان من أجل وأد الفتنة التي كان يعتزم الحريري وتيار المستقبل إثارتها في لبنان.

موقفه من التراث الشيعي

لا نجد لنعيم قاسم جهداً يذكر في الدعوة لتتقية التشيع مما فيه من انحراف وغلو كي تصبح الطريق مهيأة للتقريب بين السنة والشيعة، وتحقيق الوحدة الإسلامية التي طالما تغنى بها قاسم وحزب الله، بل على العكس من ذلك، فهو يرى أن الوحدة أمر معقد، وأن الخلافات يعود عمرها إلى مئات السنين، ما يوحي بعدم رغبته بإجراء مراجعات صريحة للتراث الشيعي وأوجه الانحراف فيه، كما في قوله: «إذا قال قائل: لماذا لا تجعلوا اختياركم من مجموع المذاهب لإيجاد توليفة فقهية بينها فتكونوا بذلك قد تصديتم لمنهج عملي في الوحدة بين المسلمين؟

نقول: أمنيته الكبرى أن نكون في هذا الموقع الذي يوحد بين المسلمين لكنه أمر معقد لم يتمكن الفقهاء من حلّه خلال مئات السنين ويتطلب لجاناً علمائية متخصصة تجرى أبحاثاً موضوعية وجريئة لمناقشة القضايا كافة وليس معلوماً إذا

(١) مجلة الشراع اللبنانية، العدد ١١٨.

كان بإمكانها الوصول إلى نتيجة»^(١).

موقفه من التاريخ الإسلامي

يرى قاسم أن بدء المسلمين مواجهة الآخرين والدخول في أراضيهم لاعتبارات ليس لها علاقة باسترداد أرض أو التصدي لعدوان، وهو ما يسميه «الجهاد الابتدائي»، مرتبط فقط بالنبي ﷺ أو الإمام المعصوم^(٢)، وهذا الرأي يجعل قاسم يسقط كل الفتوحات التي قام بها المسلمون على مدى قرون بعد عهد النبي ﷺ، زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين، أو من خلال الدول والممالك الإسلامية التي قامت في ظلهم. ولا غرابة في رأي قاسم هذا، إذ أنه ينسجم مع الفكر الشيوعي الذي لا يعترف بأي دولة سوى دولة الإمام المعصوم، أو من ينوب عنه (الولي الفقيه)، ويعتبر الدول السنية طاغوتية وباطلة.

عمر بن عبد العزيز يعاور الخوارج

د. عمر الأشقر رحمه الله^(٣) - خاص بـ «الراصد»

رحم الله عمر بن عبد العزيز فقد كان - والله - آية من آيات الله، وقد اشتهر - رحمه الله - بالعدل ورفع المظالم وردّ الأمر إلى نصابه، وقد كان رحمه الله يملك مواهب مختلفة وصفات نادرة لا يعلمها كثير من الناس، فمن ذلك غزارة علمه، وقوة حجته، روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة (ص ٩٩) أن خوارج خرجت بالحيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز، فأرسل إليهم عمر رسولاً وبعث معه كتاباً، فأرسلوا إلى عمر رجلين، فلما جاء عمر وجلسا إليه قال لهما: ما الذي

(١) حزب الله المنهج التجريبي المستقبل، ص ٤٠.

(٢) حزب الله المنهج التجريبي المستقبل، ص ٥٠ وما بعدها.

(٣) من كتابه: جولة في رياض العلماء.

(♦) كاتب أردني.

أخرجكم علينا؟ فقال الذي نصب نفسه للجواب: إنما لم ننكر عليك عدلك ولا سيرتك، ولكن بيننا وبينك أمر، هو الذي يجمعنا ويفرق بيننا، فإن أعطيتنا فنحن منك وأنت منا، وإن لم تعطنا فلسنا منك، ولست منا.

فقال عمر: فما هو؟

فقال: خالفت أهل بيتك، وسميتهم الظلمة، وسميت أعمالهم المظالم، فإن زعمت أنك على الحق، وأنهم على الباطل، فالعنهم وتبرأ منهم.

فقال عمر: إنكم لم تتركوا الأهل والعشائر وتعرضتم للقتال إلا وأنتم في أنفسكم مصيبون، ولكنكم أخطأتم وضللتهم، وتركتم الحق، أخبراني عن الدين أو أحد أو أثنان؟
قالا: بل واحد.

قال: أفيسمعكم في دينكم شيء يعجز عني؟

قالا: لا.

قال: فأخبراني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكما؟

قالا: أفضل الناس أبو بكر وعمر.

قال: ألستما تعلمان أن رسول الله ﷺ لما توفّي ارتدّت العرب، فقاتلهم أبو بكر، فقتل الرجال وسبى الذرية؟

قالا: بلى.

قال: عمر، فلما توفّي أبو بكر وقام عمر، وردت تلك النساء والذريّة إلى عشائريهم، فهل تبرأ عمر من أبي بكر، ولعنه بخلافه إياه؟

قالا: لا.

قال: فتتولونهما على خلاف سيرتهما؟

قالا: نعم.

قال عمر: فما تقولان في بلال بن مرداس؟

قالا: من خير أسلافنا.

قال: أفليس قد علمتم أنه لم يزل كافاً عن الدماء والأموال، وقد لطخ أصحابه أيديهم فيها،

فهل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟

قالا: لا.

قال: فتتولونهما على خلاف سيرتهما؟

قالا: نعم.

قال عمر: فأخبراني عن عبد الله بن وهب حين خرج بأصحابه من البصرة يريدون أصحابهم، فمروا بعبد الله بن خباب، فقتلوه، وبقروا بطن جاريته، ثم عدلوا على قوم من بني قطيبة، وأخذوا الأموال، وغلوا الأطفال في المراجل، ثم قدموا على أصحابهم من الكوفة، وهم كافون عن الدماء والفروج والأموال، هل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟

قالا: لا.

قال: فتتولونهما على خلاف سيرتهما؟

قالا: نعم.

فقال عمر: فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والأحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض، ولا لعن بعضهم بعضاً، وأنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم، فهل وسعكم في دينكم ذلك، ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الأحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم؟

ثم قال: أخبراني عن اللعن، فرض على العباد؟

قالا: نعم.

فقال عمر: متى عهدك بلعن فرعون؟

قال: ما لي به من عهد منذ زمان.

قال عمر: هذا رأس من رؤوس الكفر، ليس

لك عهد بلعنه منذ زمان، وأنا لا يسعني أن ألعن من خالفهم من أهل بيتي.

ثم قال لهم: أستم أنتم الذين تؤمنون من كان رسول الله يخيفه، وتخيفون من كان رسول الله يؤمنه؟

فقالا: نبرأ إلى الله تعالى من هذه الصفة.

قال: بلى فسأخبركما عن ذلك، أستم تعلمان

أن رسول الله ﷺ خرج والناس أهل كفر، فدعاهم أن يقرؤا بالله ورسوله، فمن أبى قاتله وخوفه، ومن أقرّ بهما أمنه وكفّ عنه، وأنتم - اليوم - من مرّ بكم يقرّ بهما قتلتهموه، ومن لم يقرّ بهما أمنتهموه، وخليتم سبيله.

فقال أحد الرجلين: ما رأيت حجيجاً (أي محاجاً قوي الحجة) أقرب مأخذاً، ولا أوضح منهاجاً منك، أشهد أنك على الحق، وأنا على الباطل.

وقال الآخر: لقد قلت قولاً حسناً، وما كنت لأفتات على أصحابي حتى ألقاهم، فلحق بأصحابه، وأقام الآخر عند عمر، فأجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده.

رحم الله عمر بن عبد العزيز، فلقد كان غزير العلم، وقوي الحجة، ولقد قوى حجته إنصافه وعدله، وسيرته الزكية الطيبة، فلم يجد خصومه فيه منفذاً، ولا وجدوا في كلامه مطعناً، وإثماً يضيق صدر المخاصم بسبب قلة علم، أو عقدة لسان، أو سيرة ظالمة يخشى صاحبها أن يفضحه خصومه.

نتحدث عن المشكلات الواقعية التي تعيشها المرأة المسلمة ونتجاهل المشكلات المترتبة على عمل المرأة .

هل هو حتمية؟

السؤال الذي لا يمكن للباحث أن يتجاهله حول قضية عمل المرأة هو هل هذا العمل حتمية من حتميات العصر الحديث بحيث لا يمكن أن ترفضه المرأة أو تتجاهله؟

والى أي مدى يستطيع الواقع فرض قضاياها؟ بمعنى أن هناك سؤالاً فلسفياً بالغ الأهمية ألا وهو هل يجب أن يفرض الواقع مشكلاته أم أنه ينبغي تغيير الواقع واختيار المشكلات التي يجب علينا مواجهتها ، وهو ليس سؤالاً عبثياً أو مجرد قضية من قضايا الترف الفكري وإنما هو سؤال سيتبع الإجابة عليه الكثير من القضايا البالغة الأهمية لأمتنا الإسلامية ، فهل نحن استدرجنا وفرض علينا نمط الواقع الغربي بمشكلاته؟ أم التطور الطبيعي أدى لهذا الواقع الذي ينبغي التعامل معه كما هو لتقريبه من فكرنا الإسلامي؟

ولو عدنا لاسئلة الواقع فعلينا أن نسأل أنفسنا عن الفوائد التي تجنيها المرأة من عملها المأجور هل هي أكثر بكثير من المشكلات التي قد تترتب عليه؟ وهل من الممكن استثمار فوائد العمل وتجنب مشكلاته؟ هذه التساؤلات وغيرها هي موضوع هذا المقال.

واقعية الرؤية

لابد للباحث في قضايا المرأة أن ينظر لواقع المرأة كما هو في الحقيقة وليس كما يتمنى هو أن يراه ولا كما كان في فترة تاريخية سابقة ، هذه الواقعية هي ما نفهمه من تدبر الذكر الحكيم حيث تعامل القرآن مع الواقع المعقد الذي نزل فيه حيث سادت الطبقية وكان العبيد أحد أركان النظام الاجتماعي في المجتمع فلم يتم

مشكلات المرأة المسلمة... مقارنة واقعية (٢)

عمل المرأة.. ضوابط وقضايا

فاطمة عبد الرؤوف^(٥) - خاص بالرائد

إن من المستجدات التي عاشتها المرأة في العصر

الحديث قضية العمل، فعلى الرغم من أنه على مدار التاريخ كان هناك عدد من النساء انخرطن في سوق العمل بدءاً من الإماء اللاتي كن يقمن بكثير من المهام بدون أجر في ظل الفلسفة الطبقية التي كانت تسود العالم القديم، مروراً بالنساء الفلاحات اللاتي كنّ العصب الأساسي في عملية الإنتاج الزراعي خاصة في المواسم التي تحتاج للأيدي العاملة الكثيفة كما في موسم الحصاد مثلاً بالإضافة لمهن أخرى عملت فيها النساء كمهنة القابلة والمرضعة، وعملت نساء أخريات في مجال التجارة كأأم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها فكانت تدبر أعمالها عبر عمال وسطاء لها. وبعض النساء عملن في التجارة بأنفسهن خاصة في الأوساط النسائية لبيع المنتجات الخاصة بالسيدات كما أن الكثيرات عملن أعمالاً اقتصادية بالغة الأهمية وإن لم تكن مأجورة كصناعة الخبز وحياسة الملابس وتربية الطيور وغير ذلك من أعمال اقتصادية غير مباشرة.

لكن ما طرأ على قضية عمل المرأة في العصر

الحديث غير ذلك كله فهو من المستجدات التي طرأت على حياة المرأة وعلى نمط الحياة في المجتمع ككل وكان لها ولا شك إيجابيات كما كان لها سلبيات عانت منها المرأة العاملة كثيراً بحيث أننا لا يمكن لنا أن

(٥) كاتبة مصرية.

إلغاء الرق بصورة فورية وإنما ضيقت منابعه وتشعبت الصور التي تدعو لتحرير هؤلاء العبيد ، وواجه مشكلة الخمر حيث تم تحريمه على ثلاث مراحل مراعاة للواقع البشري وأبعاده ، وهكذا ينبغي النظر للواقع البشري الذي تعيشه المرأة المسلمة في اللحظة الراهنة من حيث صعوبة الزواج ، وتعقد الحياة وغلاء المعيشة ، وافتقار العائلة الممتدة وتخلي الكثير من الأزواج والإخوة عن القيام بمهامهم وواجبهم نحو النساء ومن ثم أصبحت حاجة الكثير من النساء إلى العمل حاجة ملحة.

خرجت النساء الغربيات للعمل في المصانع نتيجة الحرب العالمية التي أزهدت أرواح ملايين الرجال وكانت المصانع في ذلك الوقت بحاجة للأيدي العاملة الكثيفة ، نعم هذه حقيقة تاريخية ولكن التوقف لديها طويلا لن يغير الحقيقة الواقعية أن هناك ملايين النساء المسلمات قد انخرطن بالفعل في سوق العمل وفي مختلف المهن وأن هناك ملايين أخريات يبحثن عن فرصة عمل.

بيئة العمل

هذه هي الإشكالية الأولى التي تقابلها المرأة المسلمة عندما تخرج للعمل ، التواجد في بيئة فيها مخالقات شرعية بدءا من المواصلات المزدحمة وحتى التواجد في بيئة مختلطة وعلاقات مفتوحة وتفشي الفساد بصور متنوعة في الوسط المحيط.

وفي بعض المجتمعات يتم التضيق على من ترتدي الحجاب الشرعي ويصل الأمر للإيقاف عن العمل في بعض الأحيان وهي مشكلة فادحة خاصة عندما تكون المرأة في حاجة ماسة لهذا العمل.

ولواجهة هذه المشكلة ينبغي على المرأة السير في ثلاث طرق متكاملة:

الأولى: ترك العمل في حال استحالة الالتزام بالأحكام الشرعية (إنك لن تدع شيئا لله - عز وجل - إلا بذلك الله به ما هو خير لك منه) رواه أحمد.

الثانية: بذل الجهد للتوفيق بين العمل وبين الأحكام الشرعية مع تحمل الأعباء المترتبة على هذا التوفيق ، كما فعلت ابنتا شعيب عندما اضطرتا للعمل في وسط لا يعمل فيه إلا الرجال فانتهيتا جانبا حتى ينتهي الجميع وتحملتتا أن تكونا الأخيرتين في مقابل عدم الزحام والاختلاط كمن تسير مدة طويلة حتى لا تركب وسيلة مواصلات مزدحمة ومن تتحمل بعض التأخير في الترقيات

من رؤساء العمل لأنها محجبة وملتزمة.

الثالثة: المطالبة بالتشريع والتقنين لإصلاح هذه الأحوال المعوجة وهذا ما ينبغي على المنظمات النسائية الإسلامية والتيار الإسلامي عموما أن يتبناه فإذا كان عمل المرأة ضرورة من ضرورات العصر الحديث فعلينا أن نجعله وفقا للأحكام التي جاء بها الشرع فنيسر للنساء وسائل مواصلات يتمتعن فيها بالخصوصية .

مشروع عربات السيدات في مترو القاهرة قدم حلا لملايين النساء العاملات ، وينبغي تمكين النساء من ارتداء الزي الشرعي بحيث تكون الكفاءة وحدها هي المعيار عند العمل ومن يتمتع عن ذلك يحال للجهات القضائية كما لا بد من من مشروعات دعوية تحذر من الاختلاط في بيئة العمل ، فكثير من مشكلات بيئة العمل ناتجة من الأفراد العاملين أنفسهم ومن عدم تمثيلهم بالقيم الإسلامية الفاضلة.

الزوجة والراتب

من أكبر المشكلات الواقعية التي تواجه الزوجة العاملة مشكلة الراتب الخاص بها ، فمن المعلوم أن كثيرا من الرجال ونتيجة للظروف المعيشية يبحثون عن الزوجة الموظفة ذات الراتب الخاص وهي من المشكلات التي عمت بها البلوى فالبعض يريد الحصول على راتب الزوجة في بداية كل شهر وترك مصروف صغير لها لحاجتها اليومية والبعض يترك بنودا معينة من الميزانية كي تغطيها الزوجة براتبها.

بعض النساء ينفقن طوعا وبعضهن قهرا وقسرا ، وأخريات يتشبثن بكامل راتبهن ويرفضن أن ينفقن منه أي شيء على اعتبار أن النفقة هي واجب شرعي على الرجل.

فهل راتب الزوجة ذمة مالية خاصة بها على الزوج ألا يطالب بشيء منه أم أن هذا الراتب أو جزءا منه هو تعويض للرجل باعتباره يفتقد بعض الأمور بسبب غياب زوجته خارج المنزل للعمل وكيف يمكن لأصحاب الرؤية الإسلامية أن يقدموا حلا شرعيا يراعي الواقع الاجتماعي الذي قد تصل الخلافات فيه إلى حد الطلاق بسبب هذا المستجد ، أعني راتب الزوجة.

في رأيي أنه على أصحاب المشروع الإسلامي أن يمهّدوا لعلاج هذه القضية بوضعها في إطار القضية الأكبر والأهم ألا وهي المنظومة القيمية الإسلامية التي اهتزت

بشدة، فلدينا قيمة الاعتدال في النفقة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩]، ولدينا قيمة كراهية الإسراف والتبذير ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

هذه القيم لا بد أن يعاد تفعيلها لأنه في حالة اللهاث المادي المحموم الذي تعيشه كثير من الأسر تتحول الكثير من الكماليات إلى ضروريات وتلعب منظومات خبيثة لاستشراء حمى الاستهلاك والتطلع لدى قطاعات متزايدة من الأسر المسلمة حيث يتم الإمعان في إشعارهم بالفقر، ويفرض عليهم نموذج للحياة العصرية المرفهة بحيث يظلون طيلة حياتهم يسعون للحاق بها ومن هنا تنطلق بوابة الشرور والأطماع.

فعندما يعاد تفعيل قيمة القناعة لدى الرجل لن يتطلع بتطفل للمال الخاص بزوجته وعندما تعود قيمة القناعة لدى المرأة لن تطالب الرجل بما هو فوق طاقته وهذه نقطة مبدئية ضرورية لحل الصراع، أولاً.

النقطة الثانية أن الزوجة العاملة التي يتسبب عملها في نقص ما أو خلل ما في تنظيم شؤون الأسرة أو البيت فعليها يقع عبء إصلاح هذا الخلل كمصروفات الحضانة أو شراء بعض الوجبات الجاهزة في بعض الأوقات أو شراء أجهزة مساعدة لها أو دفع أجر عاملة منزلية تساعدتها ونحو ذلك من أمور ترتبت على عملها بينما تبقى النفقات الأصلية مسئولية الزوج.

النقطة الثالثة هي ما يمكن أن نطلق عليه قاعدة الإحسان بين الزوجين ولو تحدثت تحديدا عن راتب الزوجة فإنه من الإحسان أن تتنازل عن جزء منه لتدبير أمور المعيشة عن رضى وطيب نفس فعندما كان النبي ﷺ يذكر أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها كان يذكر أنها واسته بمالها، فمن الكرم والإحسان أن تواسي الزوجة زوجها ببعض المال لتطيب حياتهما.

الأمومة المنتهكة

لعل أكبر مشكلة تواجهها المرأة العاملة هي تعارض عملها مع مشاعرها الفطرية في البقاء قرب أطفالها الصغار، وما أقسى مشهد الأم العاملة التي تخرج في ساعات الصباح الباكر وقد اشتد الصقيع وهي تحمل

رضيعا صغيرا لديه بضعة شهور لتودعه دار الحضانة ومعه زجاجة الحليب، موقف يتكرر كثيرا جدا للأسف وما ذلك إلا لأنهم لا يمنحونها أكثر من ثلاثة شهور لرعاية الرضيع.

بعض النساء تعمل بنظام العقد المؤقت فليس من حقها الحصول على إجازة دون راتب وبعضهن يعملن في القطاع الخاص الذي لا يتعامل برحمة مع الأمهات وبعضهن يخشين أن تضيع عليهن العلاوة والترقية وبعضهن لديهن أقساط شهرية عليهن الاستمرار في العمل لدفعها كل هذه أعذار معتبرة ولكن، وعلى الرغم من ذلك كله ما أقسى مشهد الرضيع الوحيد في دار الحضانة وقد فقد أمه وهل تغني زجاجة الحليب عنها؟!

بعض النساء يأخذن أطفالا رضعا للعمل خاصة في حال كون الأم تعمل كمعلمة للأطفال وتعيش أوقاتا كارثية فلا هي تستطيع منح الرضيع حقه ولا تؤدي عملها بشكل مرض وهي في حال من الضغط النفسي والجسدي الرهيب.

هذه المسألة لا تصلح لها أنصاف الحلول فالطفولة البريئة منتهكة بشكل فادح ومشاعر الأمومة هي الأخرى منتهكة ومحطمة، وإذا كان عمل المرأة مباحا فإن لذلك شروطا حتى لا ينتقل لدائرة الكراهة أو التحريم، يأتي على رأس هذه الشروط ألا تهدر المرأة أمانتها المسئولة عنها وعلى رأسها أمانة الطفل الذي هو بحاجة لتفرغ أمه له لمدة عام على أقل تقدير حتى أن النبي ﷺ أرجأ إقامة الحد على الغامدية حتى جاءت بطفلها يمشي وفي يده كسرة خبز يأكلها وإلا فثلاث سنوات هي الحد المناسب للطفل للالتحاق بدار الحضانة. لا بد للأم من أن تفقه أولوياتها جيدا وتعني مسئوليتها التي سيحاسبها عليها المولى عز وجل (والمرأة راعية على بيت زوجها وولده) متفق عليه.

إبراهيم عيسى.. البحث عن الشهرة في طريق الأباطيل والتشيع

أسامة الهتمي^(*) - خاص بالرائد

إن أقل ما توصف به شخصية الكاتب الصحفي المصري إبراهيم عيسى أنها شخصية مثيرة للجدل إذ أنه ومنذ بدايات عمله الصحفي لم يكف عن إثارة الإشكاليات الأدبية والسياسية والدينية من خلال كتاباته التي يبدو أن المشترك الرئيس بينها جميعا هي أنها لا تهدف إلا للإثارة ولفت الانتباه بحثا عن مكان بين صفوف النخبة الثقافية في مصر.. فمثلا وعلى الرغم من أن إبراهيم عيسى قدم خلال هذه البداية روايتين أدبيتين هما «العرابة» و «دماء على نهد» إلا أنهما لم يلقيا أي قسط من النجاح كما لم يمنح الأديب المتخبط أي مكانة بين الأدباء، فكان لزاما عليه أن يبحث عن طريق آخر ربما يتمكن من خلاله أن يسلب الأضواء ويحقق ما ظلت تطمح إليه نفسه منذ أن دبت قدماه أرض القاهرة.

لكن الحقيقة التي لا يمكن أن نتجاهلها هي أن ما قدمه عيسى من روايات والتي يرى البعض أنها ضمن ما يسمى بروايات «البورنو» ساهمت بشكل أو بآخر في أن تقدم كاتبنا على اعتبار أنه كاتب يتستر بحرية الرأي والتعبير إذ أدرك كما أدرك آخرون أن مجرد القفز على القيم والمثل والأخلاق هو جواز المرور الأساسي للدخول إلى دنيا الإعلام المصري التي يسيطر عليها وبكل أسف نخبة علمانية ويسارية أصبح جل همها ومنتهاى أملها استمرار العمل على زعزعة ثوابت الأمة القيمية والثقافية انطلاقا من دعوة «محرارية التخلف والرجعية».

على كل أدرك عيسى أنه لم ينجح كأديب وإن كانت محاولاته الأدبية الفاشلة قد فتحت أمامه الباب وما عليه إلا أن يستغل ما أثير حول رواياته الأدبية في أن يثبت أقدامه في دنيا السياسة فيكون دفاعه عما تضمنته رواياته بداية لأن ينقض على السلطة السياسية التي ووفق تصوراته تحالفت مع المؤسسات الدينية لتمارس حالة من

(*) كاتب مصري.

الوصاية على الأدب والفكر وأهل الرأي في البلاد ومن ثم فإن إجهاض كل محاولات التعبير بحرية لا ينفك عن هذا الدور الإقصائي الذي يمارسه تحالف السلطة السياسية والدينية.. ومن هنا فإن نضاله كما هو نضال الآخرين لا بد وأن يتركز حول انتزاع حق التعبير من هذه السلطة الغاشمة.

وعليه فقد تحول إبراهيم عيسى إلى كاتب سياسي من الطراز الأول أخذت تتزايد شهرته يوما بعد يوم حتى أصبح رئيسا لتحرير صحيفة الدستور في إصدارها الأول عام ١٩٩٥ والتي كانت تحمل آنذاك رخصة أجنبية «قبرصية» والتي سرعان ما تم إغلاقها عام ١٩٩٨م لتعاود الصدور مرة أخرى عام ٢٠٠٤م لكنها هذه المرة من خلال رخصة مصرية صادرة عن المجلس الأعلى للصحافة وبرئاسة عيسى أيضا لتتظم الصحيفة في الصدور أسبوعيا حتى عام ٢٠٠٧ ثم تتحول إلى صحيفة يومية فيما بعد على الرغم من أنها كانت تتضمن حملات صحفية شديدة الانتقاد للسلطة والنظام المصري الأمر الذي كان يفترض أن يثير حفيظة النظام ويحرص على غلقها وإسكات صوتها لكن هذا لم يحدث بل أصبحت الدستور خلال هذه السنوات واحدة من أهم الصحف المصرية حيث حاول عيسى أن تبدو وكأنها الناطق باسم الليبرالية في مصر رغم أن عيسى ولفترة قريبة كان محسوبا على التيار اليساري بما يحمله من أفكار سياسية وبما حاول هو الظهور به متخذا من المناضل اليساري البوليفي «جيفارا» رمزا ومثلا أعلى.

وكان الأكثر غرابة ودافعا للتساؤل هو أن إبراهيم عيسى تمت محاكمته أمام القضاء المصري بتهمة تتعلق بنشر أخبار عن صحة الرئيس المصري المعزول حسني مبارك عام ٢٠٠٨م حيث تمت إدانته والحكم عليه بالحبس لشهرين غير أن الرئيس المعزول فاجأ الجميع وأصدر قرارا بالعفو عنه فيما روجت وكالة الأنباء المصرية أن ذلك إنما يأتي تأكيدا لرعايته حرية الرأي والتعبير والصحافة وحرصه على أن ينأى بنفسه عن أن تكون له أي خصومة مع أي من أبناء مصر وهو الأمر الذي لم يكن لتستسيغه الأوساط السياسية والثقافية في مصر آنذاك إذ اشتدت الحملات الأمنية التي استهدفت السياسيين والصحفيين والمثقفين في محاولة لكسر حالة الحراك السياسي التي شهدت البلاد منذ نهايات ٢٠٠٤ عندما تم تأسيس الحركة

لم يضع إبراهيم عيسى نجاحه ككاتب

سياسي فلم يفوت الفرصة في أن يتدرج التدرج الطبيعي وغير المسبوق في كل بلاد الدنيا إذ يتحول الكاتب السياسي وفي غفلة من الزمن إلى مفكر إسلامي يصبح المنهل الذي ينهل منه الناس ويستمدون أفكارهم الدينية الإصلاحية بعيدا عن النزعة التقليدية والمتطرفة لدى فقهاء وعلماء الدين، بل ويصبح كاتبنا الكبير بين يوم وليلة الراوي الأصح لقصص التاريخ الإسلامي وهو أمر ليس بجديد على الساحة المصرية فيها هو علاء الأسواني يتحول من أديب إلى مفكر سياسي ثم إلى متحدث عن الإسلام والفكر الإسلامي المستنير ومثله خالد يوسف المخرج السينمائي الذي سمح لنفسه أن يكفر الإخوان المسلمين وغيرهم من الإسلاميين.

ولعل ما أفتى به إبراهيم عيسى مؤخراً من أن

الحجاب ليس من الإسلام وأن آيات الحجاب نزلت فقط بسبب التحرش الجنسي في مكة وأن حديث النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس..» لم يرد فيه ركن سادس يؤكد أن الحجاب من أركان الإسلام، وأن الحجاب ليس قضية جوهرية في الإسلام وأن ما قيل عليه الحجاب ليس المقصود منه «الطرحة» فضلا عن قوله إن نساء النبي ﷺ - تأمروا عليه، وأن سيدنا يوسف - عليه السلام - «نام» مع امرأة العزيز في سرير واحد نماذج فجة تكشف عن مدى جرأة عيسى على أن يقحم نفسه في قضايا ومسائل دينية تحتاج إلى أهل علم وبحث.

عيسى والصحابة

أعتقد أن النتيجة الأبرز في تتبع مسار تطور إبراهيم عيسى هي أنه شخصية تسعى بالدرجة الأولى إلى احتلال مكانة مهما كانت السبل لتحقيق هذا الأمر، ومن ثم فإن ارتدائه لعباءة المفكر الإسلامي لم يكن ليحقق لو أن الرجل التزم بالخط والمنهج السني في تناول القضايا الفكرية الإسلامية إذ أنه ووفق هذا المنهج سيظل قزما لا يلتفت له حيث لا قدر له ولا قيمة وسط قامات فكرية أخذت من عمرها سنوات وسنوات من البحث والاطلاع والتعلم بل ولم تتوقف للحظة واحدة عن مواصلة تحصيل العلم لتواصل عطاءها بما يتواءم مع الزمان والمكان فمن يكون إبراهيم عيسى إذن وسط هؤلاء .. إن السبيل الأجدى لعيسى هو أن يطرح من الأفكار

ما يمثل قفزا فوق ما يعتبره هو وآخرون كثيرون من المحسوبين على اليسار والليبراليين والعلمانيين بجملتهم أفكارا غير تقليدية تكسر ما يصفونه بحالة الجمود التي يعيشها الفكر الإسلامي دون أن يسمح هؤلاء طبعاً بمناقشة هذه الأفكار وعرضها على القرآن الكريم أو ما ثبتت صحته من السنة النبوية أو حتى عرضه على كتب التاريخ الإسلامي مع تعددها إذ التنوير والإصلاح في نظر هؤلاء هو تسليط الضوء على كل شاردة وشاذة آخذين بها من أي مصدر دون التوثق من صحتها أو الاعتبار بصاحبها فالأهم هو كسر الثوابت وزعزعة المسلمات أو التشكيك في كل ما ثبت أنه الأقرب إلى الصواب وفق جهود مضنية لاجتهاد أهل العلم.

ووجد إبراهيم عيسى ضالته في الأفكار الشيعية فلم يتردد في أن يروجها بين المصريين فكانت مدخلا في غاية الأهمية لأن يلفت الأنظار إليه كمفكر إسلامي لا يبارى، مثيرا - بما يطرحه - الكثير من الإشكاليات التي تحقق وكما أكدنا سائفا الغرض الأساسي من كل تحركاته ألا وهو الشهرة وتحقيق المكانة.

وربما كانت أولى ترهات عيسى هو الاتهام الذي وجهه للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه عبر ثلاثة مقالات خصصها للحديث عن الصحابي الجليل كان اثنان منهما تحت عنوان «أبو هريرة الإمام الغامض» بجريدة الميدان ٢٠١١/١١/٢٠ و ٢٠١١/١٢/١١ وكان ثالثهما تحت عنوان «بزنة أبي هريرة» بجريدة الدستور بتاريخ ٢٠١٠/٦/٢٢ حيث كال فيها الاتهامات للصحابي الجليل دون هوادة أو مواربة وكأنه يتكلم عن موظف مثلاً بوزارة الري أو الصحة حيث اتهمه باستغلال النفوذ والتكسب من منصبه خلال توليه من قبل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لولاية البحرين وهو الاتهام الذي أثار حفيظة الكثير من العلماء الذين ردوا عليه وفندوا دعواه مؤكدين أن عيسى استند فيما كتبه إلى كتاب الكاتب الشيوعي عبد الحسين شرف الدين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفضلاً عن أن هجوم عيسى على الصحابي أبي هريرة هو اتباع لمنهاج الشيعة في التهجم على صحابة رسول الله ﷺ إلا أنه ربما لتحقيق غرض آخر يتلخص في كون الصحابي الجليل هو من أكثر الصحابة رواية للأحاديث النبوية ومن ثم فإن هذا يعد مدخلا أساسيا للطعن في الكثير مما احتوته كتب السنة.

ثم تأتي ترهات عيسى فيما يتعلق بالصحابي الجليل المغيرة بن شعبة المجاهد البطل والفاتح العظيم وأحد أصحاب الشجرة وصاحب رواية نحو ١٣٦ حديثاً والذي اتهمه بلا تحرج بالزنا في مقال له بصحيفة الدستور نشر يوم ٢٠٠٦/١٠/١١م واستند فيه إلى رواية تم ابتسارها وتشويهها بطريقة مغرضة لا تعكس حقيقة ما أوردته كتب السير المعتمدة وهو ما دفع الكثير من المتخصصين إلى الرد والتفنيد والكشف عن المنهج المزيف الذي يتبعه عيسى في سرده وحكاياته المضللة التي تبدو لكل ذي عقل أنها متناقضة وغير عقلانية وأنها ليست إلا للإثارة اتساقاً مع كتابات «البورنو» التي بدأ عيسى بها حياته.

ويبدو أن إبراهيم عيسى مغرم أيما غرام بأن يبحث عن الروايات الشاذة خاصة تلك المتعلقة بالسلوكيات والأخلاقيات وكأنه يبتغي التأكيد على أنه «ليس هناك حد أحسن من حد» وفق تعبير أحد الزملاء الصحفيين، فمراد عيسى أن يرسخ لفكرة أن الجميع سواء فيما يخص الخطيئة وهو ما أكدته بنفسه في مقال له زعم خلاله أن ضابطاً كبيراً بجهاز «أمني سيادي» اتصل به تليفونياً لكي يريه مفاجأة سيذهل لها وحينما ذهب إبراهيم إلى هناك أخرج له الضابط الكبير شريط فيديو ليرى المفاجأة أن أمن الدولة قد قام بتصوير أحد الشيوخ الكبار جداً والمشهورين وهو مع فتاة في إحدى الشقق.

ولم تقتصر حملات عيسى على صحابة النبي الكريم عند أبي هريرة أو المغيرة رضي الله عنهما بل امتدت ووفق ما أكد الباحث الشيخ أشرف عبد المقصود إلى غيرهما، حيث أشار إلى أن عيسى بدأ بعثمان ثم الزبير بن العوام ثم عائشة ثم عمرو بن العاص ثم طلحة بن عبيد الله ثم المغيرة بن شعبة ثم معاوية ثم عبد الملك بن مروان ثم يزيد بن معاوية ثم الحجاج بن يوسف الثقفي.

عيسى والتشيع

فرض التساؤل عن تشيع عيسى من عدمه نفسه منذ سنوات وذلك وقت أن روج عيسى عبر وسائل الإعلام التي يعمل بها لأفكاره المتطابقة مع ما يطرحه الشيعة حول الصحابة - رضوان الله عليهم - وبعض المواقف التاريخية وهو ما اضطر عيسى في نهاية المطاف إلى أن يكتب مقالاً يرد فيه على هذا التساؤل نافياً بطبيعة الحال أن يكون قد تشيع وأنه ما زال على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان حتى لو تحول المسلمون جميعاً إلى المذهب

الشيعة.

غير أن المقال لم يخلُ من كثير من العبارات التي تؤكد التهمة ولا تنفيها فقد بدأ مقاله بالتأكيد على أن المذهب الشيعي ليس تهمة كي يتهم بها المسلم مضيفاً أنه من السخف أن يتم اعتبار مذهب يعتقده حوالي ١٥٪ من المسلمين تهمة.

ولم يتردد عيسى في أن يؤكد أنه لا يمكنه أن ينتقد أو يهاجم مذهب الشيعة مثقال حبة من خردل فهم على رأسه وعينه معللاً ذلك بأن كل صاحب دين وكل صاحب مذهب بل كل ملحد لا دين له ولا مذهب فوق رأسه فهو حر ليقع في قمة التناقض مع نفسه إذ كانت السطور السابقة على ذلك انتقاداً لا دعماً وهجوماً قاسياً على من أسماهم بالوهابيين.

وبعيداً عن الحديث عن مدى صدق نفي عيسى لتشيعة أم أنه مجرد اتباع لمبدأ التقية الذي هو ركن من أركان الإيمان لدى الشيعة فإنه يجدر بنا أن نسرد بعضاً من الأمور التي تساهم بشكل أو بآخر في الكشف عن تفاصيل الصورة ومن ذلك:

- الكاتب الشيعي حميد الشاكر كان قد كتب مقالاً في أعقاب حملات هجوم عيسى على الصحابة تحت عنوان «إبراهيم عيسى شيعي وإن لم ينتم» بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٦.

- إبراهيم عيسى ورغم هجومه الشديد على جماعة الإخوان المسلمين والتي يتهمها النظام السياسي في مصر بالاستعانة بعناصر خارجية كحزب الله يعتبر حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني نموذجاً وقائداً حيث يعلق صورته في مكتبه.

- الجميع يعلم أن حسن نصر الله كان قد استقبل إبراهيم عيسى واحتفى به في إحدى زيارته للبنان.

- ظهور عيسى برداء العزاء الشيعي في برنامج «الطريق إلى كربلاء» التلفزيوني فضلاً عن إحيائه لمرويات الشيعة يطرح الكثير من التساؤلات.

- ترديده لما يقول به الشيعة كياسر الحبيب حول ما ورد عن عبد الله بن سبأ وإنكار وجوده.

- رفضه المطلق لنشر مقال للكاتب الصحفي فراج إسماعيل ينتقد فيه إيران خلال رئاسته لتحرير صحيفة الدستور وهي القصة المشهورة بين الإعلاميين المصريين.

- استغلال برنامجه «مدرسة المشاغبين» - والذي

الإعجاب بهم.

١- الطعن في معاوية بن أبي سفيان

من المعلوم أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما أحدث انقساماً في الأمة في القرن الهجري الأول، وهو انقسام سياسي بالدرجة الأولى إذ لم يناع أحد في أفضلية علي وأحقية بالصواب كما هو رأي جمهور أهل السنة.

لقد وضع السلف وعقلاء الأمة الخلاف بين علي ومعاوية في إطاره الصحيح دون شطط أو مبالغة لا سيما أنه أصبح من الماضي المؤلم الذي لا يحسن بالمسلمين نبشه واستذكاره (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون) إذ لا توجد أي فائدة مترتبة على الحديث في هذا الموضوع إلا بالقدر الذي اكتفى به السلف وبمنهجهم العاقل الهادئ في التعامل مع مثل هذه القضايا الحساسة.

وإذا كان منهج الشيعة قائماً على الغلو في علي فليس من المستغرب أن يجعلوا من معاوية شيطاناً رجيماً يُلعن آناء الليل وأطراف النهار، لكن المستغرب أن تسري ثقافة اللعن هذه إلى بعض علماء السنة، بل ويتفنن بعضهم في ذم معاوية مصوراً إياه بالفرعون الأكبر وصاحب الخطيئة التي لا تغتفر وكأنه قتل نبياً أو تصدى لدعوته وحارب أتباعه.

إن الحقيقة التاريخية والقواعد الدينية تمنع المسلم العاقل من الانحراف إلى الطعن في معاوية برغم تخطئتها إياه، لكن ما الذي يدفع بعض السنة إلى هذا اللعن والكلام بطريقة موتورة عند الحديث عن معاوية؟

لا يمكن تبرير هذا الموقف إلا من خلال القول إن الغلو في علي وذريته هو الذي يحملهم على الحديث بنبرة ومنطق شيوعي، وذلك أن الشيوعي حينما يطعن في معاوية فإنما يطعن فيمن قاتل علياً الإمام المعصوم الحائز على مناقب وكرامات وقدرات لم تُمنح للنبيين والملائكة المقربين، فمن المنطقي أن يكون الاعتقاد في مخالفه (معاوية) يتسم بالحدة والتطرف، وكذلك السني لا يتولد في قلبه كراهية معاوية والرغبة في ذمه إلا بالقدر الذي يزداد فيه منسوب الغلو عنده في علي والحسين.

هذه هي العلاقة الوحيدة التي تفسر الموقف المتشنج من معاوية لدى بعض السنة، أما القول بأن الحب الشرعي لآل البيت هو الذي يدفع للقدح في معاوية فأمر لا يستقيم إلا باتهام أكثر الأمة بأنها لا تحب آل البيت لأنها لا تدم معاوية ولا تلغنه، فاللعن ليس مذهبها، والذم

تعرضه حالياً في رمضان قناة أون تي في- في ترويج روايات تحاول النيل من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن ذلك أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تدعو على أبي بكر الصديق وأنها قالت له إنها تشهد الله أنها غاضبة عليه وساخطة منه.

اتهامه للخليفة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - بأنه من دس السم للحسن بن علي رضي الله عنه للتخلص منه.

- يضاف إلى ذلك أن عيسى لم يفتأ يهاجم بعض علماء السنة الذي نجحوا في أن يكون لهم بين الناس احترام وتقدير وعلى رأسهم الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي خصص له عيسى بعضاً من فصول كتابه «أفكار مهددة بالقتل» والذي زعم فيه أن الشيخ الشعراوي - رحمه الله - يمثل مجموعة من الأفكار الرجعية المناهضة للعلم والتقدم وأنه يخدم التخلف حيث قال ما نصه: «لم أرَ شيخاً يمثل مجموعة من الأفكار الرجعية المناهضة للعلم والتقدم إلا الشعراوي ولم أصادف حتى الآن على الأقل رجلاً يستخدم كل المنح الربانية التي أنعم الله بها عليه فيما يخدم التخلف بمثل ما رأيت الشعراوي».

مظاهر الغلو في أهل البيت عند أهل السنة

سعيد بن حازم السويدي^(١) - خاص بالراصد

يظن كثير من المسلمين أن الغلو في أهل البيت

ينحصر في الشيعة، ويغفل هؤلاء عن وجود ثقافة الغلو في أهل البيت عند بعض أهل السنة بصور متعددة أيضاً، وهي الظاهرة الخطيرة التي لا يسلط الضوء عليها في الأوساط السنية، وهذا مؤشر سلبي على هشاشة المناعة الفكرية ضد التشيع بينهم.

في هذه الأسطر سنستعرض بعض المظاهر التي

تؤكد وجود ثقافة الغلو في أهل البيت عند أهل

السنة، من أجل إطلاق الدعوة لضرورة دراسة ومعالجة

هذه الظاهرة بطريقة علمية هادئة، وأهمية توعية الجمهور السني بالمعتقد الصحيح في أهل البيت والذي لا مجال للحيدة عنه نحو التطرف في حبهم والغلو في

(♦) كاتب عراقي.

ليس طريقتهما.

٢- الطعن في الأمويين وذمهم

تاريخ الدولة الأموية تاريخ زاخر بالأحداث والمواقف العظيمة في نصرة الإسلام، وليس من الصعب تقييم أعمال الأمويين ووضعها في ميزان شرعي يمكن من خلاله معرفة ما لهم وما عليهم، ولكن موقف الطعن في الأمويين وذمهم بالمطلق هو مذهب الشيعة وبعض من تابعهم من أهل السنة.

وهو موقف لا يشير من قريب أو بعيد إلى وجود منهجية تاريخية أو موضوعية أو التزام بالضوابط الدينية أو الأخلاقية في الحكم على مجموعة من الناس وحقة من الزمن.

ويزداد الحرج على الطاعنين في الأمويين حينما يعلمون أن معظم الفتوحات والإنجازات العسكرية تمت في عهدهم، فلا يمكن الطعن فيهم من جهة إسلامهم بحال من الأحوال.

فالتذرع بحب آل البيت والتدين بلعن الأمويين وكرههم لا يستوي مع معرفة ما حققوه للإسلام في دولتهم، ومن يصور الخلاف بين الأمويين وآل البيت بأنه خلاف ديني عقدي لا ينجح في الإتيان بدليل واحد على ما جنح إليه.

الطريق الوحيد الذي يمكن من خلال فهم اللهجة الشديدة تجاه الأمويين من بعض أهل السنة على غرار تشبيه زعماء الأمويين بفرعون وهامان، أو بأبي جهل وأبي بن خلف وابن أبي سلول، هو المبالغة في تعظيم آل البيت تعظيماً كتعظيم الأنبياء.

٣- غلو الصوفية في أهل البيت

إن غلو الصوفية في الصالحين كان المدخل إلى الغلو في أهل البيت باعتبارهم يجمعون الصلاح والعبادة، والقرب من النبي ﷺ، يقول علي الكوراني العاملي: (كان من الطبيعي أن يبحث شيوخ التصوف عن شخصيات عارفة لله عابدة ليتخذوها قدوة وأن يجدوا أهل البيت عليهم السلام في طليعتها، ولذلك تجد أكثر أصحاب الطرق الصوفية نسبوا طرقهم إلى أويس القرني رحمه الله ثم إلى أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام، وزعموا أنهم أخذوا منهم أفكارهم في معرفة الله تعالى وعبادته، ولهذا دخل التشيع بمعنى حب أهل البيت عليهم السلام إلى ثقافة الصوفية عموماً، ودخلت

مدائح علي عليه السلام في أناشيدهم وأذكارهم وأورادهم)^(١).

ويقول الدكتور ناصر القفاري: (والروافض يرون أن البيئات التي ينتشر فيها التصوف تمثل المناخ أو التربة الصالحة لنشر الرفض، وقد أطلعني أحد الباحثين العراقيين قديماً على تقرير سري لخطة نشر المذهب الرافضي في البلاد المصرية، وكان التقرير ينص على أن البيئة المصرية، حسب زعمهم، بيئة صالحة لنشر مذهبهم؛ لوجود وانتشار الطرق الصوفية، وكذلك وجود ما يسمى مشاهد أهل البيت المزعومة، كمشهد الحسين والسيدة زينب، إضافة إلى وجود قبائل الجعافرة في الصعيد)^(٢).

وقد ساهمت الثقافة الصوفية والتي تغلو في محبة أهل البيت، في التقارب مع الشيعة وفي إدخال ثقافة شيعية إلى الوسط السني بثوب سني كونها تترضى عن الصحابة وتحترمهم كذلك، ومعلوم أن الفكر الصوفي لا يملك أي حصانة ضد التشيع، بل مواضع الالتقاء معه كثيرة، وهذا ما يسهل تصاعد أفكار الغلو الشيعية في أهل البيت بين أهل السنة.

وينبئ الدكتور ناصر القفاري إلى وجود تيار شيعي يتغلغل في داخل الطرق الصوفية، وأن الموضوع لم يعد تشابهاً عفويًا غير مقصود بين التشيع والتصوف، حيث يقول: (إن من المفاهيم الخاطئة الشائعة التي يجب أن تصحح، هو تصور عامة الناس أن العلاقة بين التشيع والتصوف هي نوع من التشابه غير المقصود، ولا ينبئ عن وجود طائفة قائمة لها كياناتها ورجالها ومصادرها وتواصلها السري والعلني مع رموز الشيعة، واعتقاد بعضهم أن العلاقة بين التشيع والتصوف هي من قبيل الغزو الخارجي الشيعي للتصوف فقط، ولا وجود لطائفة باطنية رافضية قائمة تعيش وتقع داخل الطرق الصوفية من مدة طويلة، ولا تزال هذه الطائفة تتوسع في تدميرها لكيان التصوف، ونقلهم إلى نحلتههم بأنواع الإغراءات وصنوف شتى من التلبيس والتدليس).

ويبدو من خلال الاستقراء والدراسة والنظر أن التيار الشيعي الباطني إذا أنهى أو أكمل عملية تحويل الطريقة

(١) كتاب (معرفة الله) ص ٦٤ الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ، دار الهدى - قم.
(٢) مقال (الشيعة المتصوفة)، د. ناصر القفاري، مجلة البيان، عدد (٢٢٠).

هذا المصطلح وإعادة تفعيله بعد اندثاره وموته وذهاب الداعي إلى استخدامه هو محاكاة للمنطق الشيعي الذي يصف أهل السنة بالنواصب، ولا يتصور وجود مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكون في قلبه شيء على آل البيت، فاتهام المسلمين بالنصب بلا دليل هو صورة من صور الغلو المذموم.

٦- التهويل والمبالغة في قصة استشهاد الحسين

يذهب بعض السنة إلى التهويل في قصة استشهاد الحسين رضي الله عنه، مع أنه قد قتل من خيار الأمة الكثير في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته، ولم يكن أحد يحيي ذكرى مقتلهم ويبكي عليهم.

لقد جمع الحسين شرف الشهادة إلى الشرف الكبير الذي ناله في حياته، ولا ينتفع بأي بكاء أو حزن أو نياحة عليه بعد موته، لذلك لم يكن حزن الصحابة عليه متضمناً أي مظهر من مظاهر المبالغة، والتي في حقيقتها عقيدة شيعية وليس حزناً طبيعياً على السبط المقتول رضي الله عنه، وهذا ما تنبّه له الإمام الغزالي، يقول المفسر حقي إسماعيل البروسوي: (ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه فقد تشبه بالروافض خصوصاً إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين، وفي كراهية القهستاني لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض) انتهى.

قال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى^(١).

وهؤلاء الذين يبالغون في إظهار الحزن على الحسين لا يستذكرون جريمة اغتيال الخليفة عثمان، المقتول في الشهر الحرام في البلد الحرام، وهو الرجل الثالث في الإسلام وصاحب المنزلة الرفيعة عند الرسول ﷺ.

وقتل عثمان أشنع من قتل الحسين، وحدث بسببه فتن ومشاكل أكبر من تلك التي حصلت بسبب مقتل الحسين، ومع ذلك لا أحد من المتباكين على الحسين

الصوفية إلى المسار الشيعي الباطني؛ فإنه يتم حينئذ كشف المستور والخروج عن التقية كما ترى الحال بالنسبة للطريقة الختمية، حيث أفصحت وأعلنت تشيعها بالكامل من خلال ارتباطها اعتقاداً واستدلالاً ومنهجاً ومصيراً بالتشيع، ولذا ترى بعض شيوخ الطريقة الختمية المعاصرين يحتجون بنفس حجج الإمامية، ويطنون في الصحابة كحال إخوانهم الرافضة، سواء بسواء، ومثل ذلك البكتاشية، حتى عدّها الكوثري من ألقاب الشيعة الإمامية، وكذلك الطريقة العزمية، ثم يتحدث بعض من لا يدرك أبعاد المكر الباطني بأن هذا تشابه، وهذا آخر ما وصلت إليه دراستهم^(٢).

٤- اتهام بعض علماء أهل السنة بالنصب

بعض الشخصيات العلمية السنية والتي تتحلل التصوف^(٣) لا تنفك تتهمة عدداً من علماء أهل السنة أمثال ابن حزم وابن تيمية وأبي بكر بن العربي المالكي بالنصب نتيجة ردودهم على الشيعة، ورفضهم الموقف المغالي في آل البيت، بالرغم من أن هؤلاء الأئمة وغيرهم عاشوا في فترات تاريخية لم تعرف أي وجود لبدعة النصب التي افترنت بظروف سياسية معينة.

لذلك فتوجيه الاتهام بالنصب لعلماء سنة لمجرد إبداء رأيهم واجتهادهم الذي لم يخالفهم فيه أحد من فضلاء الأمة، هو شاهد على وجود ثقافة الغلو في أهل البيت عند أهل السنة بل وتسربها إلى طائفة من أهل العلم المتصوفة.

٥- تداول واستخدام مفردة النواصب

لقد سمع الكثير من المسلمين اتهام الشيخ العراقي أحمد الكبيسي لأبناء محافظة الأنبار بأنهم نواصب، ونجد في كلام الشيخ السوري عذاب الحمش وأمثاله من الطاعنين في الصحابة استعمال هذه المفردة.

ومعلوم أن بدعة النصب والنواصب ظهرت في ظل ظروف وأجواء سياسية ساهمت في تحويلها إلى معتقد ديني تميزت بها فئة من الناس في زمن بني أمية، وما لبثت أن انقرضت وذهبت، ولم يبق من أثرها شيء.

فالنصب لم يكن سوى ردة فعل تطورت نتيجة الخلاف السياسي بين العلويين والأمويين، ولم يكن منشؤها دينياً كالتشيع وغيره، وبالتالي فإن استخدام

(١) المصدر السابق.

(٢) تراجع بعض هذه الاتهامات في كتاب (النصب والنواصب، دراسة تاريخية عقديّة) لبدر بن ناصر العواد.

(٣) روح البيان (٤/ ١٤٢).

يذكر مصيبة الأمة في اغتيال خليفته الثالث.
إن إظهار الحزن السنوي على الحسين والمبالغة في ذلك لا يمكن تصنيفه في خانة محبة النبي ﷺ وآله والحزن على مصابهم، إنما هو نوع من الغلو فيهم، وجعل الإسلام يتمحور حول الحسين ومصيبة استشهادهم.

هذه بعض مظاهر الغلو في أهل البيت المنتشرة في الأوساط السنية ينبغي العناية بدراساتها وغيرها وإيجاد طريقة ملائمة لعلاجها حتى لا تتفاقم وتحرف عقيدة المسلمين وأمنهم الفكري لاسيما في زمن المواجهة المفتوحة مع الشيعة.

إيران والإرهاب.. ممارسة وتوظيف

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالرائد

تقدم إيران نفسها كأحد ضحايا الإرهاب، ومن بين الدول التي يجب إشراكها في محاربته، بل وتتهم دولاً أخرى بدعمه لزعزعة أمن واستقرار المنطقة، وهي بهذا تركب الموجة العالمية لـ «محاربة الإرهاب» الذي أضحى ظاهرة عالمية خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والحملة الأمريكية التي تلتها على الإرهاب. وقد ساندت إيران العدوان الأمريكي على أفغانستان والعراق.

والمفارقة أن إيران تكاد تكون الدولة الوحيدة في المنطقة التي لم يحصل أن استهدفت من طرف الجماعات الإرهابية والتي تعيث شاملاً ويميناً، باستثناء تفجيرات قرب سفارتها في لبنان والتي لم تسفر عن خسائر معتبرة بشرية ولا حتى مادية!!

ومن جانب آخر نجد أنه وفق المفهوم الإيراني للإرهاب وإسقاطه على الأعمال التي تعتبرها إرهابية، لا يكاد يخلو تاريخ النظام الإيراني منذ ١٩٧٩ من أعمال كثيرة مشابهة يمكن وصفها أيضاً بالإرهابية داخلياً وخارجياً. خاصة في جوارها العربي الذي كان أكثر المتضررين من الجرائم التي ترعاها إيران في إطار مؤسساتها الرسمية، وبشكل علني. كل هذا يدفعنا إلى

(♦) كاتب جزائري.

طرح سؤال جوهري عن موقع النظام الإيراني من الإرهاب في الإقليم، وكيف نفسر، ليس عدم خسارة إيران من صعود الجماعات الإرهابية في المنطقة، وإنما كونها المستفيد الدائم منه؟

الإرهاب من المنظور الإيراني:

تمحور الجدل حول مفهوم الإرهاب أكاديمياً في تعارض المنظورات الأيديولوجية للظاهرة لاختلاف المشارب الثقافية والدينية، إضافة إلى تناقض المصالح السياسية، وأهم ما يثار حول هذا المفهوم في المجال العربي والإسلامي، هو الموقف من مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ولبنان بشكل خاص، وكل أشكال الاحتلال بشكل عام. حيث تعتبر الدوائر الغربية على سبيل المثال حركة حماس وحزب الله إرهابيين في حين هناك إجماع عربي/ إسلامي ويشترك فيه معهم آخرون بأنهما حركتي مقاومة لاحتلال^(١)، فالتناقضات هذه محسومة في الدائرة الإسلامية.

لكن بينما التنظيمات المتطرفة في المجال السني مثل القاعدة ومختلف فروعها هناك اتفاق على تصنيفها ضمن دائرة الإرهاب، وغالباً ما كانت الدول العربية السنية هي المتضررة الأول والأكثر وربما الأخير من أعمالها، نجد بالمقابل أن التنظيمات الشيعية الإرهابية، تنتظر إيران إليها من زاوية مختلفة، فمن بين كل الحركات المسلحة والمليشيات الشيعية لم يحدث أن اعتبرت إيران في يوم من الأيام إحداها تنظيم إرهابي، بل على العكس من ذلك غالب هذه التنظيمات ممولة من طرفها، وجلها ولدت وترعرعت في أحضانها.

ازدواجية التصنيف: إرهاب في الداخل و/أو إرهاب

في الخارج

تنتقل إيران من مبدأ دعم هذه الأقليات الشيعية المظلومة والمهضومة حقوقها في الدول السنية، ففي

(١) تجدر هنا الإشارة إلى أن تورط حزب الله في بعض الأعمال الإرهابية في دول خليجية بالتعاون مع تنظيمات شيعية محلية، وحتى في الداخل اللبناني حيث يتهم أعضاء منه بالتورط في اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، وعلاقته بالحوثيين في اليمن، وبحكم علاقة التبعية المطلقة التي تربطه بالنظام الإيراني على أسس دينية شيعية، وما يترتب عليها من مواقف وسلوكيات والتي كان آخرها التورط في جرائم بحق الشعب السوري إلى جانب نظام الأسد والمليشيات الشيعية، كل هذا جعل الحزب يدمج بالإرهاب.

البحرين تزعم إيران أن الأغلبية الشيعية هناك تحكمها عائلة سنية، وأن الحوثيين في اليمن أيضا يعانون من بطش النظام، والأمر نفسه يقاس على الدول الأخرى، ومن واجب إيران دعم المستضعفين وحركات التحرر كما سطر ذلك الخميني.

قد نعتبر هذا التصور سليماً، ولكن عندما ننظر لواقع الأقليات داخل إيران ومعاناتها، فإننا نجد مفارقة تكشف حقيقة تناقض المواقف الإيرانية، الأمر الذي يجعلها بين خيارين لا ثالث لهما، إما أنها تمارس الإرهاب بحق الأقليات الموجودة في البلاد كما تتهم الحكومات الأخرى أو أنها تدعم حركات إرهابية. فوفق القانون الإيراني والممارسة الميدانية تنظر إيران لأي تنظيم معارض في الداخل يمثل أقلية من بين الأقليات الكثيرة فيها المهضومة الحقوق بأنه تنظيم إرهابي، وتقوم بشكل مستمر بالكثير من الإعدامات في حق هؤلاء، مع عدم فتح المجال السياسي لهم، فضلاً عن النصوص الدستورية التي تحرمهم من المناصب العليا.

في مقدمة هؤلاء العرب الشيعة في إقليم الأحواز الذي استعمرته إيران سنة ١٩٢٥، أو إقليم بلوشستان، وحتى الأكراد. إذ على سبيل المثال لا الحصر وثقت «هيومن رايتس ووتش» خلال تقييمها لقانون العقوبات الإيراني الجديد في ٢٠١٢ إعدام السلطات ٣٠ شخصاً على الأقل منذ يناير ٢٠١٠ بناء على تهم بجرائم الحراية أو الإفساد في الأرض، جراء صلات تربطهم بتنظيمات مسلحة أو إرهابية. وهناك ٢٨ سجيناً كردياً على الأقل حكم عليهم بالإعدام بناء على اتهامات المساس بالأمن الوطني، والمهم أنه في عدد من هذه القضايا كانت الأدلة التي أدانته وحكمت بموجبها السلطات القضائية عليهم بالإعدام مجرد كونهم معارضين سياسيين، وليس لأنهم ارتكبوا أعمال إرهابية^(١).

ولو أخذنا مقابل هؤلاء كنموذج الحوثيين في اليمن فقط فإننا نجد المجال السياسي لم يغلق في وجههم في يوم من الأيام حيث كانوا ينشطون في الإطار الاجتماعي من الثمانينات حتى منتصف التسعينات لينتقلوا إلى المجال السياسي، ولكنهم سرعان ما تحولوا للعمل المسلح لأخذ

ما يقولون إنه حقوقهم، وخاضوا ست حروب ضد النظام كان آخرها في ٢٠٠٩، وبعد الثورة اليمنية شاركوا في الحوار الوطني وأقروا بنتائجه، وكان لهم ما أرادوا من مطالب سياسية، ولكنهم سرعان ما عادوا للعمل المسلح، وأصبحوا يهددون كيان الدولة، فكيف لجماعة مظلومة تدافع عن نفسها في مناطق محددة أن تكون الآن على مشارف عاصمة الدولة؟ ألا تكفي علاقتها بإيران لنعنتها بالجماعة الإرهابية حسب المنطق الإيراني؟ هل تقبل إيران بعشر أمثال الحوثيين عندها؟

وإذا ما عدنا للشأن الداخلي الإيراني فقبل هذا تعاملت إيران مع التنظيمات السياسية المعارضة التي شاركت الممالي في الثورة بطريقة عنيفة وإرهابية، راح ضحيتها عشرات الآلاف من المعارضين الذين كانت تنشر الصحف يومياً أخبار إعدام العشرات منهم. ومن قام بتلك الجرائم هم الآن يتبوأون مناصب كبيرة في الحكومة الإيرانية التي توصف بالإصلاحية، ومن أبرزهم وزير العدل مصطفى بورمحمدي الذي له ملفٌ حافلٌ «بالإجرام والقتل والتكيل» بحق عدد كبير من الصحفيين والسياسيين.

وكان المرصد الإيراني لحقوق الإنسان نشر تقريراً تحت عنوان «وزراء الموت» في عام ١٩٨٨ ذكر فيه بالتفصيل دوره في الإعدامات التي طالت آلاف السياسيين في الثمانينات. حيث كان عضواً رئيسياً في الهيئة المشرفة على استنطاق السياسيين ومن ثم صدور أحكام الإعدام بحق الآلاف منهم بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩٩. وتتهمه المنظمات الحقوقية بارتكاب اغتالات طالت عشرات من قيادات الأحزاب والمعارضة خارج إيران في نفس الفترة عندما كان مسؤول القسم التنفيذي للمخابرات الخارجية، وأن كل الاغتيالات كانت تتم بتسيق كامل معه^(٢).

الصندوق الأسود: الميليشيات الشيعية العراقية

تتعدد أشكال الإرهاب الإيراني وتغير في كل بلد، غير أنها تجد مبررات لها مع ذلك، لكن حالة الميليشيات الشيعية العراقية المقاتلة في سوريا مثل لواء أبي الفضل العباس تمثل النموذج الصارخ للإرهاب الإيراني إذ لا

(٢) نجاح محمد علي، يد ملطخة بالاغتيالات تحمل حقيبة العدل في إيران، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٣/٠٨/١٣، على الرابط: <http://www.middle-east-online.com/?id=160345>

(١) قانون العقوبات الإيراني المقترح معيب للغاية، موقع هيومن رايتس ووتش، ٢٠١٢/٠٨/٢٩، على الرابط: <http://www.hrw.org/ar/news/2012/08/28>

المليشيات الشيعية تضرب مصالح غربية مباشرة كانت تصنف كجماعات إرهابية، في انتهازية وعنصرية صارخة.

يفضح هذا المشهد ما يجري في اليمن، فقد برر زعيم الحوثيين تقدّمه نحو العاصمة بمحاربة التكفيريين الذين تدعمهم الحكومة، رغم أن الأخيرة هي التي تقاّلتهم في الجنوب، وفي نفس الوقت يدعي أن الهدف هو مقاتلة إسرائيل وأمريكا، والجميع يعلم أن الطائرات الأمريكية بدون طيار لسنوات تستهدف فقط تنظيم القاعدة هناك، ولم تستهدف الحوثيين يوماً، بل دافعت عنهم، كما أنهم لم يمسوا مصالحها يوماً بدورهم.

مكافحة الإرهاب على الطريقة السورية: الإنبات

بالنفي

فور انفجار الإقليم السني في العراق صرحت إيران على لسان مساعد رئيس هيئة الأركان الإيرانية، مسعود جزائري، أن بلاده مستعدة لدعم العراق في حربه ضد «الإرهاب» على الطريقة التي تتبعها في سوريا، لافتاً إلى أن طهران لن تسمح للإرهابيين بحكم الشعبين السوري والعراقي. وأن «إيران أبلغت المسؤولين العراقيين بأنها مستعدة لتزويدهم بالخبرات الناجحة في الدفاع الشعبي المتنوع وهي نفس إستراتيجيتها الناجحة المستخدمة في سوريا لإبقاء الإرهابيين في وضع الدفاع».

هذا التصريح أكد من اليوم الأول أن إيران ستنتهج نفس السلوك في سوريا، فما حصل تختصره تحت عنوان واحد هو «الإرهاب»، وهذا بحد ذاته إجماع بتعميم الحكم إذ أن كرونولوجيا الأحداث تكشف بما هو مؤكد وثابت أن الثورة السورية استمرت لستة أشهر سلمية، وعملية العسكرية كانت متأخرة وكرد فعل على الخيار الأمني الذي سلكه نظام الأسد، وحتى الجماعات التكفيرية كان دورها متأخراً جداً والمعارضة السورية أصبحت هي نفسها أكثر تضرراً منها، بل وللمفارقة اضطرت للدخول في مواجهات معها، ولم يعد زمام المبادرة لنظام الأسد إلا بعدما أخذت تلك التنظيمات المتطرفة تتمدد في الأماكن التي سيطرت عليها فصائل الثورة.

وإضافة إلى هذا فإن مكافحة الإرهاب من خلال «الدفاع الشعبي المتنوع» ما هو إلا استتساخ لتجربة المليشيات الشيعية التي عاد الكثير منها أدراجة إلى العراق كما أكدت الكثير من التقارير، وعملية

يوجد أي مبرر لممارساتها، والخانة الوحيدة التي تصنف فيها هي خانة الإرهاب، والإشكال في هذه الحالة أنها ليست مليشيات تعمل بشكل منعزل وخارج إرادة الدولة، فهي أولاً قادمة من العراق، وعملية التنظيم والتجنيد كانت تتم بشكل علني ولم تحارب أو تواجه، ثم انتقلها من هناك إلى سوريا بموافقة حكومتي الدولتين وكل هذا كان يتم تحت وبتتسيق مباشر وتوجيه من طرف إيران، ما يعني أن السلوك هنا رسمي، وهو ما يستلزم تحمل كل الدول، وفي مقدمتها إيران، تبعات ممارسات هذه المليشيات.

و«حماية الأماكن المقدسة» الذي كان غطاء لعمل هذه المليشيات ودخول حزب الله أيضاً لسوريا، بل حتى التدخل الإيراني المباشر في العراق كان تحت نفس الشعار، إذ وصفت وسائل الإعلام الإيرانية مهمة الطيار الذي قتل في العراق بسامراء أنه كان يؤدي واجب حماية الأماكن المقدسة، هذا المبرر لا يعدو أن يكون تبريراً أخلاقياً للطائفة الشيعية ووسيلة دعائية لتجنيد أبناء الطائفة، وفضلاً على أنه ممارسة طائفية تساهم في تمزيق الأمة فإنه لا يوجد في قاموس القانون الدولي ما يبرر تجنيد مدنيين في مليشيات للمقاتلة في دول أخرى لمثل هكذا أسباب.

وهذه التنظيمات - بما فيها حزب الله - في الكثير من الأحيان كانت تقارن نفسها بالتنظيمات الإرهابية على غرار «داعش»، وإذا كان سلوك الأخيرة إرهابي بالإجماع فإن سلوك المليشيات الشيعية، ومن ورائها إيران، لا يخرج عن هذا الإطار أيضاً.

وإذا سلمنا جدلاً بأن الغرب هو المسؤول عن الإرهاب وهو الذي يموله ويستخدمه لتنفيذ مصالحه في المنطقة، فإن إيران أيضاً تستعمل الإرهاب الشيعي، ممثلاً في المليشيات الشيعية، التي تجند فيها الشيعة من اليمن وأفغانستان والعراق كما سبقت الإشارة لنفس الغرض. ثم تقدم نفسها لهذه الجهة دائماً (أي الغرب) بأنها الطرف الذي يجب التعويل عليه في مكافحة الإرهاب.

وهنا يبرز تقاطع المصالح بين هذه الأطراف، حيث لا تشير القوى الغربية اليوم للجماعات الشيعية التكفيرية كجماعات إرهابية إطلاقاً، وتحصر التهديد فقط في الإرهاب الذي تمثله الجماعات السنية، ويبدو أن السبب وراء ذلك هو أن نشاط هذه الجماعات الإرهابية اليوم لا يتناول الأراضي والأفراد الغربيين، بينما حين كانت

جاء تأكيدها لاحقاً عقب انشقاق فرع القاعدة في العراق بزعامة البغدادي مؤخراً عن التنظيم الأم، والرسالة التي وجهها الناطق الرسمي للتنظيم للظواهري، حيث أشار فيها إلى توجيه الأخير لهم بعدم استهداف إيران، فقد اتهم أبو محمد العدناني في ١١ مايو/ أيار ٢٠١٤ عبر رسالة صوتية بعنوان «عذراً أمير القاعدة»، قيادة القاعدة المركزية بالانحراف عن المنهج ونسج علاقات مشبوهة مع إيران، إذ أقر بأن «للقاعدة دينا ثميناً في عنق إيران»، كما أن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) «لم تضرب في إيران تلبية لطلب القاعدة .. للحفاظ على مصالحها - أي القاعدة - وخطوط إمدادها».

وبغض النظر عن السياق الذي جاءت فيه هذه التصريحات فإنه يؤكد تلك العلاقة بين الطرفين التي لطالما كانت محل استغراب وتكذيب، ومجرد توظيف إيران للقاعدة إدانة لها بممارسة الإرهاب، فليس هناك في العرف الأخلاقي والقانوني مبرر للتعاون مع التنظيمات الإرهابية.

٢- الملاحظة الثانية تنطلق من الأولى وتتمثل في الانشقاق ودلالاته، فهنا ليس الحديث عن اختلاق إيران للقاعدة وإنما فقط توظيفها كحالة موجودة لخدمة مصالحها، والتي كانت تتمثل في مرحلة سابقة في إرهاب الولايات المتحدة الأمريكية في العراق وخلط أوراها لتثبيت عملاتها في السلطة، وقد اضطرت فعلاً واشنطن للدخول مع طهران في جولات من المفاوضات المباشرة، وحصلت على ما كانت تريده في النهاية.

وفي مرحلة ثانية وعقب الثورة السورية كانت أيضاً في حاجة لمبررات «أخلاقية» للتدخل واستمرار النظام وهذا ما حصل أيضاً بعد تمدد تنظيم «داعش» في سورية حيث مع صعوده أصبحت كل أنظار العالم موجهة لخطر التنظيمات المتطرفة و«الإرهاب» وطويت صفحة إسقاط نظام الأسد بشكل شبه كامل، والأخير أيضاً وجد في الجبهات التي فتحتها التنظيم مع فصائل الثورة الأخرى مساعدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة له، وخدمات شبه مجانية.

٣- يقف الكثيرون عند التناقض في التصورات

التجنييد التي تصدت لها المرجعية ممثلة في علي السيستاني، ومختلف القيادات السياسية التي شكلت ألوية جديدة أو أعادت إحياء مليشياتها كجيش المهدي. وفي خضم كل هذا يكشف التباس الموقف الإيراني وتخبط إدراكه «للاشكالية الأخلاقية» في سياساته، وشعوره بأنها فعلاً وواقعاً «أعمال إرهابية»، ومن الأمثلة على ذلك نفي طهران الكثير من الممارسات ثم اعترافها عملياً بها، فبينما نفى حسين أمير عبد اللهيان نائب وزير الخارجية الإيراني إرسال طهران جنودها إلى العراق لدعم القوات الحكومية في حربها ضد داعش وأكد بأنه «ليس لديهم أي جنود أو قوات مسلحة على الأراضي العراقية حالياً». وربط ذلك بالقانون والأنظمة الدوليين ووفقاً للاتفاقات الثنائية (بين البلدين) سرعان ما جاءت الأخبار ومن إيران نفسها تتحدث عن مقتل الطيار الإيراني في سامراء وشهادته خلال تأديته واجب حماية الأماكن المقدسة.

لا شك أن إيران تجد صعوبة كبيرة في تفسير وتبرير مواقفها، والمجاهرة بالخطاب الطائفي هو بحكم الاضطرار إذ كانت تمارسه طيلة العقود السابقة بالكثير من «التقية»، كما أنه ظل في إطار غير عابر للدول كما هو عليه الحال الآن، مما لا يمكن أن يصنف السلوك والخطاب الإيراني إلا بالطائفية والإرهاب.

إيران والقاعدة: تقاطع المصالح

بمجرد طرح موضوع علاقة إيران بالإرهاب ممثلاً في تنظيم القاعدة يقفز عند البعض سؤال فيه كثير من السخرية والتعجب مفاده كيف لتنظيم متطرف ومتناقض تماماً في أفكاره ومعتقداته مع إيران أن يكون حليفاً لها أو متعاوناً معها في نفس الوقت؟ وهؤلاء ينسون أو يتناسون تلك المقولة الشهيرة في السياسة التي مفادها أيضاً: أنه «ليس هناك صديق دائم أو عدو دائم وإنما مصلحة دائمة». وبإطلالة على الأوضاع الإقليمية ومساحات النفوذ والمصالح للقاعدة وإيران فإننا نقف أيضاً عند جملة الملاحظات التالية:

١- تحدثت التقارير عن علاقات ربطت إيران بالقاعدة بعد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، وكيف أصبحت إيران نقطة عبور بين البلدين، ومستقراً للكثير من قيادات القاعدة وعائلاتهم^(١)، هذه التقارير

(١) في الوقت الذي يقوم فيه النظام بقمع جماعات - مثل «كتائب قاعد في كردستان» و«نوادكان صلاح الدين» - ، إلا أن من يتعاون منهم

يتعامل معه النظام برفق طالما لم يشكلوا تهديداً داخلياً. وفي المقابل، يتم اعتقال أعضاء «جيش الصحابة» و«أنصار الإسلام»، ممن لا يتعاونون، وتجري محاكمتهم. مهدي خلجي، السلفية كتهديد للأمن القومي الإيراني، على الرابط: <http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/salafism-as-a-national-security-threat-for-iran>

غير النظامية ضد خصومها، داخليا يشمل هذا كل القوى المعارضة من الإصلاحيين كأقرب معارض إلى منظمة مجاهدي خلق وحتى كل التنظيمات الممثلة للأقليات. ومن أهم النشاطات الإرهابية الدولية الإيرانية خارجياً تفجير الحجاج في مكة المكرمة عامي ١٩٨٧ و ١٩٨٩، ومحاولة اغتيال أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد سنة ١٩٨٥، ومحاولة اغتيال السفير السعودي في واشنطن قبل ثلاث سنوات، وغيره من الدبلوماسيين السعوديين في بلدان مختلفة، فضلا عن الأعمال الإرهابية والتفجيرات التي تقوم بها التنظيمات الشيعية في مختلف دول الخليج ولبنان.

وحتى إذا سلمنا جدلا بكل التأويلات والقراءات لتلك الأحداث، فإن ما لا يمكن تبريره هو دور الميليشيات الشيعية التكفيرية في سوريا وجرائمها الإرهابية، والتي أصبحت «شركات أمنية» إيرانية على غرار شركة (بلاك ووتر) تلك التي استعملتها الولايات المتحدة الأمريكية في ما أسمته حربها على الإرهاب. فالمنتبع للخطاب الإيراني حول مكافحة الإرهاب يجد أن المستهدف به هو فقط تلك التنظيمات السنية، أما الدائرة الشيعية فهي تبقى خارج هذه التهمة.

أما علاقة إيران بالقاعدة والتي تأكدت من اتجاهات عديدة وفي سياقات مختلفة فإنها تبين كيف احتضنت إيران أكبر فضيل سني متطرف ووجهته نحو خصومها، في المرحلة التي كان التنظيم مطاردا فيها في كل أنحاء العالم، أي بعد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وهذا يبين قدرة إيران على المناورة واللعب بكل الأوراق المتاحة أو يمكن أن تتاح بيدها، والمدى الذي يمكن أن تذهب إليه في ذلك.

فلم يمنعها خلافها العميق معه من التعامل معه وتوظيفه بما يخدم مصالحها حين التقيا معاً، فإذا نظرنا لعلاقة إيران بالإرهاب والقاعدة في المقام الأول بعين «جيوستراتيجية» نجد أنه كلما صعد دور القاعدة في منطقة ما تناسب ذلك طردوا مع النفوذ الإيراني، ففي العراق برز تنظيم القاعدة مع سيطرة إيران من خلال الشيعية على العراق تقريبا، وفي اليمن صعود القاعدة مع تمدد الحوثيين الذين أصبحوا على بعد كيلومترات من العاصمة صنعاء، وفي سوريا بينما كان الجميع يحسب أيام نظام الأسد المتبقية، جاء صعود داعش ليطوي الملف بشكل شبه نهائي، بل وأصبح الحديث عن

العقدية بين إيران والقاعدة ويجعلون منها مرتكزا لتكذيب أي أطروحة تجمع الطرفين في سلة واحدة، ولو تمنعنا جيدا نجد أن الدّ أعداء تنظيم القاعدة في أيديولوجيتها ليس أمريكا ولا حتى الكيان الصهيوني، وإنما الأنظمة العربية العلمانية والعميلة التي يجب القضاء عليها أولا، وهذا ما نشاهده أيضا في سوريا حيث جعل التنظيم الفصائل التي تحارب الأسد عدوه الأول، وهو يقاتلها ويعتقد أنه لا بد من القضاء عليها ليتمكن من إسقاط الأسد. وإيران تدرك هذه الخلفية لذلك تعمل على توظيفها بما يخدم مصالحها. وهذا ما يعبر عنه الباحث في شؤون الحركات الجهادية حسن أبو هنية بهشاشة الأيديولوجيا وجبروت السياسة، حيث تطفئ الأبعاد السياسية على القيم الأيديولوجية^(١).

٤- ولأن التنظيم يوظف وليس مختلعا (مع التأكيد على أنه مخترق) فإنه من الصعب جدا توقع سلوكياته، وتبقى دائما هناك احتمالية للخروج عن الخط و«اللامتوقع» من طرف هذه التنظيمات، وهو لا يختلف عن سلوك القاعدة الأم مع الولايات المتحدة الأمريكية عقب نهاية الحرب مع الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، لذلك وجدت إيران في سلوك القاعدة الأخير تجاه العراق أمراً مفاجئاً لها، وهذا لربما ما يفسر استنفارها على كل المستويات السياسية والعسكرية وتجنيدتها لكل طاقتها لمحاربتها. فقد صرّح مسؤولون إيرانيون أنهم يأخذون تهديدات البغدادي على محمل الجد^(٢). وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن موقف البغدادي هذا ليس وليد اللحظة، وإنما يعود لأيام قيادة التنظيم من طرف أبي مصعب الزرقاوي، الذي كان له رأي مختلف عن قيادة القاعدة في أفغانستان بخصوص الموقف من إيران^(٣).

الخلاصة:

تنسب للحرس الثوري الإيراني الكثير من الأعمال الإرهابية، والتي تمارس من خلالها إيران أسلوب الحرب

(١) حسن أبو هنية، رجال بن لادن والظواهري في إيران، عربي ٢١، بتاريخ ٢٥ / ٠٥ / ٢٠١٤، على الرابط:

<http://arabi21.com/Story/750932>

(٢) محمد أبو رمان، القاعدة وإيران: على أعتاب مرحلة جديدة، الغد الأردنية ٢١ / ٠٧ / ٢٠٠٧، على الرابط:

<http://cutt.us/FIU1>

(٣) لتفاصيل أكثر، انظر: حسن أبو هنية، المرجع نفسه.

الخطوة الجديدة التي حدثت في المؤتمر أن هناك قوى سنية كانت ترفض كل طرح ومقترح يقدم من غيرها، لكنها بدلت موقفها، وقبل أيام من انعقاد المؤتمر أشادت بفكرة اللقاء والتشاور، بل بعضها تبني المؤتمر كما كتب ذلك الدكتور محمد بشار الفيضي ممثل هيئة علماء المسلمين.

الحضور البعثي كان متميزاً، فلأول مرة يُدعى حزب البعث رسمياً إلى مؤتمر سياسي بخصوص العراق منذ سقوط نظام حزب البعث، وأكثر ممثليه قدم من خارج الأردن وليس من داخله.

أما فصائل المقاومة الإسلامية فقد حضر جلّها وحضرت شخصيات لم يسبق لها المشاركة العلنية لأنها تفضل أن تعمل من وراء الستار، كل هذا يؤكد أنه كان مؤتمراً غير عادي.

المؤتمر كان مفتوحاً لكل الشخصيات والهيئات السنية باستثناء:

السياسيين السنة الحاليين ممن شارك في العملية السياسية الحالية، والصحوات (وأكثرهم شيوخ عشائر)، وبعض الأثرياء وتجار المال السنة، وفي اليوم الأول تم إخراج بعض من حضر المؤتمر من هذه الأصناف.

كان أكبر أهداف المؤتمر هو دعم الثورة العراقية، وتحديد الموقف من العملية السياسية العراقية الحالية في العراق، وكان يراد للمؤتمر أن يخلص إلى تشكيل معارضة عراقية ضد الحكم القائم في العراق، ولكن تم ترحيل البت في ذلك إلى مؤتمر آخر أوسع يعقد فيما بعد.

أما التنديد بسياسات المالكي والطائفية والاحتلال الإيراني للعراق فكان واضحاً من خلال الكلمات التي أُلقيت.

اليوم التحضيري للمؤتمر:

شارك في اليوم التحضيري ممثلون عن كل التوجهات المشاركة، وأُلقيت كلمات وخطب، وكعادة حزب البعث فقد توزع البعثيون تحت عدة مسميات كي يبدو حجمهم كبيراً وتمثيلهم واسعاً.

أعطيت الكلمة الأولى للدكتور الشيخ عبد الملك السعدي، وأستهلها بكلام عن الخميني وتصدير الثورة، ومحاولة السيطرة على العراق، وأن ما حصل اليوم هو

والذين ينكرون علاقة إيران بتنظيم القاعدة هم أنفسهم الذين يعتبرون أن ما تفعله إيران في سوريا هو جزء من المقاومة والممانعة، وأن تنظيمًا متطرفاً مثل لواء أبي الفضل العباس ليس بالتنظيم الإرهابي. كما أنهم لا يلتفتون إطلاقاً لعلاقتها بتنظيمات مثل الحوثيين في اليمن وغيرها من القوى الشيعية في البحرين والكويت، وحتى علاقتها بالمالكي تدخل في إطار منافسة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تعني لهم جرائم المالكي الإرهابية بحق أهل السنة والجماعة وما قام به هناك مما اضطر العشائر السنية إلى حمل السلاح ضده بعد تأسيسها من الحلول السياسية.

مؤتمر عمّان لقوى الثورة السنية

عبد الهادي علي^(١) - خاص بالرائد

بتاريخ ١٦ تموز ٢٠١٤م عقد في العاصمة الأردنية عمّان ملتقى أو مؤتمر دعيت إليه القوى السنية العراقية، وحضره أكثر من ٣٠٠ شخصية من شتى الأطياف والمشارب، الغرض منه دعم الثورة وتكوين معارضة عراقية سنية، وعقد المؤتمر ليومين أحدهما تحضيرى تشاوري والآخر ختامي، وما يميز هذا المؤتمر عن غيره أنه حضره من كان يرفض الحضور من قبل في أي مؤتمر، ومن كان يرفض أن يلتقي بالآخر، وهذا بحد ذاته يعد نجاحاً للمؤتمر، وبحسب للقائمين عليه.

والشيء الجديد في المؤتمر: أنه عقد في دولة عربية فقد كانت المؤتمرات من قبل تعقد في تركيا أو دول أوروبية؛ فالدول العربية ابتعدت منذ احتلال العراق سنة ٢٠٠٣ عن القضية العراقية وبعضها مع الأسف استجاب للمحتل الأمريكي في مطالبه.

المؤتمر كان مؤتمراً سنياً، فالمدعوون كأفراد كلّهم كانوا من العرب السنة ورفضت اللجنة المنسقة حضور أي شخص غير سني^(٢)، والهيئات والتيارات من جميع التوجهات التي شاركت فيه هي مكونات وجهات سنية فقط، وغاية المؤتمر رعاية الثورة في العراق وهي

(١) كاتب عراقي.

(٢) تجاوزوا حضرت بعض الشخصيات الشيعية تحت غطاء حزب البعث وبعض المراسلين الإعلاميين.

يطمح فريق آخر إلى تحرير بغداد أو إسقاط الحكومة والوصول إلى توافق مع الشيعة للعيش المشترك وفق معادلة جديدة وحكومة جديدة بين المكونات الثلاثة الأساسية في العراق (السنة والشيعة والكرد).

هذا التباين بدا واضحاً من خلال الكلمات المطروحة، وفي كواليس اللجنة التي شكّلت لصياغة البيان الختامي للمؤتمر، حيث كاد هذا التباين يفشل المؤتمر، بسبب إصرار هيئة العلماء وممثليها د. بشار الفيضي ود. مثنى حارث الضاري، وممثل جيش الطريقة النقشبندية (ممثّل مقاومة حزب البعث) على عدم ذكر كلمة (السنة) ومعاناتهم وما تعرضوا له وبين ذكر المحافظات الست الثائرة، وكون العراق كله ثائراً في البيان، وبين ممثّل الفصائل الدكتور أحمد الدباش الذي كان يصر على ذكرها.

وانتهى الأمر إلى حالة توافقية غريبة؛ فقد قرئ البيان في المؤتمر دون ذكر السنة بدون حضور وسائل الإعلام، وأعيدت قراءته أمام وسائل الإعلام بذكر السنة ومعاناتهم! وهذا يؤكد الانطباع عن اختلاف المناهج السنية لرؤية المعضلة العراقية. المؤتمر نجح بنتائجه العامة وحقق هدفه وهو جمع فرقاء السنة المختلفين والمتنازعين، على قواسم مشتركة فضفاضة في خطوة تمهيدية للتحضير لمؤتمر آخر أكثر شمولاً، والذي نتأمل أن تصدر من خلاله قرارات عملية لتفرز حالة أشد تطوراً من اللقاء والمؤتمر الأول.

القضية السنية

في فكر التوجهات السنية العراقية

عبد العزيز بن صالح المحمود^(*) - خاص بالرائد

مدخل:

في ١٩ من شهر رمضان سنة ١٤٣٥هـ، الموافق ١٦ تموز ٢٠١٤م انتهى ملتقى في العاصمة الأردنية عمّان حول ثورة أهل السنة في العراق، متبنيًا الثورة الجارية بالعراق ضد الحكومة الصفوية الشيعية، وقد كنت متابعاً لهذا المؤتمر وتفصيله من خلال أخوة كثر شاركوا فيه، ولا أريد

(*) كاتب مصري.

جزء من هذا المخطط، لكن أخوه عبد الحكيم السعدي عقّب عليه بكلمة أساء لنفسه وللمؤتمر، قال فيها: إنه يرفض ذكر كلمة السنة وأنه إذا ذكر في المؤتمر السنة فإنه سينسحب ويعود إلى تركيا، وهو رغم كونه محسوباً على علماء العراق بخلفيته الصوفية، إلا أنه يعتبر أيضاً ممثلاً لحزب البعث وفكره!!

وتوالت عدة كلمات تعتبر الثورة ثورة عراقية لكل العراقيين وليس للسنة وأنها ستحرر العراق كله، وذلك من شخصيات ذات توجهات بعثية وقومية وبعض العسكريين وممثلي العشائر ومقربين وأعضاء في هيئة علماء المسلمين.

بينما كانت كلمات ممثلي المقاومة العراقية، وجلهم أصحاب توجهات إسلامية سلفية، وكلمات الحراك الشعبي (الإخوان المسلمين) والحراك السني (توجه سلفي) كلمات تشيد بالثورة السنية والمحافظات الثائرة الست (وهي محافظات سنية) وأن الثورة تريد حقوق أهل السنة.

هذا التباين في التوجهات هو صراع قديم بين توجهات الحكومة البعثية السابقة وتوابعها ويضاف لها هيئة علماء المسلمين، وتوجه إسلامي سني تمثله الفصائل الإسلامية بشقيها السلفي والإخوان، أما النخب الفردية فهي موزعة بين الجهتين.

لكن الذين حضروا اتفقوا في المشاورات الجانبية قبيل المؤتمر أن تؤجل جميع المسائل الخلافية لمرحلة قادمة، وعلى رأسها مسألة الإقليم السني، وتم التوافق على رفض العملية السياسية الحالية وليس الولاية الثالثة للمالكي فحسب، وعلى توصيف الذي يجري في العراق بأنه ثورة ضد الاحتلال الإيراني، وإلى عدم التعرض لذكر داعش، وإلى رفض تشكيل صحوات جديدة، في رسالة للعالم بأن السنة يرفضون أن يكونوا قوة لضرب داعش كما حصل في سوريا، دون أن يكون هناك حل لقضيتهم الأساسية.

وأهم منذ ذلك توافق الجميع أنه لا بد من نجاح المؤتمر لأن الحاضنة الأردنية يجب أن تستمر، وضمان إستمراريتها هو نجاح المؤتمر أو الملتقى الأول.

تلموحات متباينة:

وبينما يطمح حزب البعث وهيئة علماء المسلمين والتابعون لهما إلى تحرير العراق بالكامل وأنه هو المطلوب، دون مراعاة للمنطقة التي يتواجد أكثرهم بها وهي إقليم كردستان، وأن الكرد حكومة وشعباً يرفضون أن يتخلوا عن الإقليم وهو يكاد يكون قراراً لا رجعة فيه عندهم ...

الدخول في تفاصيل المؤتمر، ولكن الذي يهمني هو: أين كان موضع القضية السنية في عقول المجتمعين، علما أن الحضور مثل كل ألوان الطيف السني في العراق تقريبا.

المؤتمر أو الملتقى لم يحضره غير السنة. هكذا كانت الدعوات بداية، وإن سرّب حزب البعث العربي العراقي بعض الشخصيات الشيعية البعثية في آخر جلسة ممن يقيم في عمان (الأردن). لذلك كان المناقشون في الجلسة التحضيرية كلهم من العرب السنة.

الحضور جاء من المناطق السنية من المحافظات الست (بغداد - نينوى - الأنبار - صلاح الدين - ديالى - كركوك) وبعض سنة المناطق الجنوبية والوسطى.

أما تركيبتهم وانتماءاتهم فيمكن تقسيمها إلى:

- التوجهات الإسلامية: التيار السلفي، جماعة الإخوان المسلمين، التيار الصوفي، التيار العلماني.
- التيار العلماني: حزب البعث، ونخب علمانية مستقلة، ووطنية وقومية وناصرية، وربما عدد قليل من الليبراليين بحكم أن الوجود الليبرالي في العراق ضعيف.
- المقاومة العراقية: غلب عليها التيار السلفي، وقليل تابع للبعث، وآخر تابع لهيئة علماء المسلمين.
- ممثلي العشائر: الذين توزعوا بين التيار الوطني والبعثي والقومي.

- العسكريين (الجيش السابق): وتوزّعوا بين البعثية والقومية والوطنية وقليل منهم إسلامي.

كان هناك صراع واضح بين التوجه الذي يتبنى الحل من خلال رؤية سنية وبين التيار الوطني القومي، الذي يفضل حلا شموليا للقضية العراقية ببعيد علماني، علما أن الجميع اتفقوا على عدم الكلام في قضية الإقليم السني.

توزع التوجهات العراقية حول القضية السنية

ومبرراته:

- تيار يعتبر قضية العراق الحالية هي وطن سلب واحتل من قبل الأمريكان ومن ثم الإيرانيين، ومن قبل حكومة تتبع لإيران، وأن الحل الوطني يجب أن يكون الحل الوحيد ولا تذكر القضية السنية لا من قريب ولا من بعيد، ويعتقدون أن ذكر القضية السنية ومعاناة السنة هو دعوة مبطنة للفيدرالية أو الإقليم، وأن الدعوة إلى الإقليم دعوة لتقسيم العراق، واستجابة للمخططات الغربية ودعوة بايدن، هذا هو دافع ومنطلق الرافضين للكلام عن معاناة السنة والتوجه الطائفي ضدهم.
- كما أن رفضهم ازداد عندما تبني هذا الطرح الحزب

الإسلامي، الممثل السياسي في العراق لجماعة الإخوان المسلمين العراقية، وهذا التوجه يعتبر الحزب الإسلامي جزءا من المخطط الغربي في تثبيت الاحتلال والسعي للتقسيم، ويعتبرون أن الحزب ساهم بذلك منذ سنة ٢٠٠٢ في مؤتمر لندن عندما وقّع رئيسه إياد السامرائي مع المعارضة الكردية والعراقية على الموافقة على غزو العراق من قبل أمريكا وبريطانيا، وأنهم ساهموا بعد ذلك في قبول المحاصصة السياسية المفروضة منذ تأسيس الدولة العراقية الجديدة وإعطاء العرب السنة ٥ حصص من ٢٥ حصة للعراق، وقد استلم الحزب الإسلامي تلك الحصة من خلال أمينه العام الدكتور محسن عبد الحميد.

ولذلك فهم يخونون جماعة الإخوان بعامة والحزب الإسلامي ويعتقدون أنهم ينفذون الأجندة الغربية في العراق بقبول فكرة الإقليم تمهيدا للتقسيم.

ويتبنى هذا الرأي؛ كل من التوجهات التالية:

- ١- حزب البعث العربي الاشتراكي (علماني).
- ٢- هيئة علماء المسلمين (وطني إسلامي).
- ٣- مجموعة من العلماء من أمثال آل السعدي^(١) وعلى رأسهم الدكتور عبد الملك السعدي، وهو توجه (مذهبي) صوفي، لهم صلة قوية بحزب البعث لليوم، ولهم مكانة في محافظة الأنبار.
- ٤- فصائل مسلحة تابعة لحزب البعث، مثل جيش الطريقة النقشبندية.
- ٥- فصائل مسلحة مثل كتائب ثورة العشرين التابعة لهيئة علماء المسلمين.
- ٦- بعض الفصائل الصغيرة المناطقية التي لها صلة بالهيئة دعما ماليا، أو من حزب البعث.
- ٧- التوجهات الناصرية القومية، وهي قد بالغت في رفض الهوية السنية لدرجة تأييد إيران وحزب الله (خارج العراق) أما عراقيا فتعتبر الخطر الأمريكي والكردى أخطر من الإيراني والشيوعي. وهذه لا تملك على الأرض أي وجود مسلح.

(١) عائلة أصلها من مدينة سامراء هاجرت إلى مدينة الأنبار (الرمادي) واستقرت بها وهم أخوة أكثرهم طلبية علم وأساتذة شريعة وعلماء، برزوا في ثمانينات القرن الماضي وكانت لهم صلة وطيبة بحزب البعث العربي إبان حكمه، منهم عبد الملك السعدي، وإخوانه: عبد الحكيم، وعبد الرزاق، وعبد العليم وغيرهم. وهم شافعية المذهب، كانت لهم مدارس دينية ودعم قوي من قبل حكومة البعث.

٨- بعض التوجهات العشائرية؛ وهي إما كونها تابعة للتوجهات السابقة، أو لأنها ترى أن العراق العربي متكون من عشائر وهي منقسمة شيعيا وسنيا، وأن العشائرية هي التي توحد النسيج العراقي، الذي مزقته التوجهات الدينية، فهي توجه يشبه التوجه الوطني.

٩- نخب وتوجهات وطنية وعلمانية أو ليبرالية تنظر إلى الدين نظرة دونية أو نظرة جزئية، أو على أنه مخرب للنسيج المجتمعي.

وتحاول كثير من هذه التوجهات تفسير جرائم إيران والشيعية باعتبار أنه توجه صفوي وإيراني قومي، وليس توجهها مذهبيا (شيعيا) ويبررون ذلك بأن العراق عاش أكثر من ألف سنة وفيه شيعية ولم يحصل ما حصل اليوم من اقتتال، وأن العراق الجديد الذي تأسس سنة ١٩٢١م لم يحصل فيه اقتتال سني شيعي إلا بعد أن دخل الاستعمار إلى البلد سنة ٢٠٠٣ وأوجد هذا الشرخ المجتمعي في العراق.

- وتيار يتبنى القضية السنية ويدافع عنها، وهؤلاء يرون أن العراق بلد سني منذ أربعة عشر قرنا، وأن كل الدول التي عرفها العراق الإسلامي هي دول سنية، واستطاعوا أن يتعايشوا مع الشيعة بسبب حسن قيادة السنة للبلاد وعدم شعورهم بالنقص بالأقلية أو الدونية أو المظلومية، وكانوا يقودون البلاد ويمنعون أي ظهور للطائفية بشكلها الحالي ويطفئون أي نار للفتنة بين السنة والشيعة.

وحتى بعد تشكيل العراق سنة ١٩٢١ حكم السنة ومنعوا ظهور الطائفية وأن الوطن لم يتماسك إلا بوجودهم وهيمنتهم على الحكم وقيادته له، بعكس الحال حين سيطر الشيعة.

كما يرون أيضا أن الوطنية الحقّة تحتاج إلى انتماء تاريخي عميق للبلد وهذا متوفر عند السنة وحدهم، وغير متوفر عند الشيعة؛ فالسنة بناء العراق منذ أن بنيت الكوفة والبصرة في عهد الخليفة الراشد عمر، وواسط على يد الحجاج (الأمويين)، وبغداد على يد أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد، والمتعصم الذي بنى سامراء (العباسيين)، وكل مدن العراق وتاريخه، وثلاثة من علماء المذاهب السنية (أبو حنيفة - الشافعي - أحمد بن حنبل) هم من العراق.

ومدن العراق، حتى الجنوبية، بناها السنة،

فالناصرية بناها ناصر السعدون، والعراق بعد سنة ١٩٢١ بناه الهاشميون وقيادات عراقية سنية لغاية ٢٠٠٣.

ولا يمتلك الشيعي أي رصيد في هذا البلد سوى قبور أئمة المذهب الذين هم أصلا أئمة معتبرون عند السنة أيضا، ولكن ماذا بنوا في العراق؟ حضاريا؟ أين هي بقايا تاريخهم سوى مشاركتهم ومساعدتهم للمحتل في سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ، ومساعدتهم الدولة الصفوية مرتين (القرن العاشر للهجرة)، وخياناتهم سنة ٢٠٠٣م بمساعدة الأمريكان والإيرانيين.

فالوطنية الحقّة يمتلكها أهل السنة، نعم يمكن أن يشارك في ذلك شرفاء من الشيعة والعشائر ولكن تحت قيادة سنية.

ولذلك لا يستطيع أي حاكم شيعي أن يحكم العراق ولا يخربه؛ لأنه ينطلق من نظرة دونية وشعور بالنقص وروح الانتقام، وهذا ما لا يملكه السني الذي يشعر بأنه سليل حضارة عميقة، وأن الشعور الأبوي بحماية كل أبناء البلاد يتوفر لديه، وأنه إذا ظلم أو همش فإنه يكون عادلا في ظلمه إذ يساوي بين الجميع!

وقد أدرك هذا كثير من البعثيين وأفراد هيئة علماء المسلمين؛ ويعترفون بهذا في مجالسهم الخاصة، فرئيس الهيئة الدكتور الشيخ حارث الضاري مثلا قال مرارا في مجالسه الخاصة: «قيادة العراق لا تصلح إلا للسنة»، لكنه في تنظيره العلني وظهوره الإعلامي يكابر، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وهذا التيار يضم في صفوفه:

- ١- التوجهات السلفية بجميع اختلافاتها.
- ٢- بعض عناصر الإخوان المسلمين.
- ٣- بعض الصوفية.
- ٤- بعض رموز العشائر.
- ٥- أكثر التوجهات المقاتلة والمجاهدة.
- ٦- نخب فكرية وقومية وعسكرية.
- ٧- أغلب العوام في الشارع السني يحملون هذا الهم.

الواقع اليوم وبعد ما حصل في ٢٠٠٣:

بعد الاحتلال غيّرت المعادلة من قبل المحتل، وأقصى السنة عن دفة الحكم، وتتابع ثلاث حكومات شيعية، واليوم ستحل الرابعة، وقد أذلت السنة وقتلتهم وعملت على تغيير ديمغرافية العراق والتخطيط لتشيعه

وهذا شيء مستحيل ضمن الوقت المنظور وشروط تعجيزية خيالية غير واقعية، ومع هذا لا يزال أصحاب هذه التوجهات يحلمون بحصولها حالياً.

لقد عملت إيران في أواخر عهد الدولة العثمانية على تشجيع جنوب العراق في غفلة من الدولة العثمانية، وقد فصلت ذلك في كتابي (جهود علماء العراق في الرد على الشيعة)^(٢)، وعندما سقطت الدولة العثمانية وتكون العراق الجديد عمل الشيعة على إظهار مظلوميتهم لسنين مطالبين بوضع خاص لهم، لكن التوجهات الوطنية والقومية تجاوزت المشكلة وتصورت أن فكرها قادر على حل ذلك، لكن ما حصل بعد الاحتلال نسف كل هذه النظريات، فقد أصبح المجتمع الشيعي يؤمن بخصوصيته في مناهجه ودينه ومراجعته، بل تطور ذلك إلى الرغبة في حكم العراق وتشيعه وتغيير ديمغرافيته.

ولذلك فالتفكير في عودة العراق لما قبل ٢٠٠٣م أمر مستحيل وفق الظروف الدولية والإقليمية، ولابد من حل يحفظ وحدة العراق؛ أي حل ضمن قوانين إدارية دقيقة تحفظ لكل جهة خصوصياتها كمرحلة مؤقتة لفك الاشتباك بين المكونات لتجاوز المرحلة الحالية.

الثورية ستقسم العراق:

إن أصحاب الحلول الثورية الساعين لإسقاط العملية السياسية الحالية والوصول لبغداد بعد ثورة ٩ حزيران، وبدء عملية سياسية جديدة، سيجعلون الجانب الشيعي وبدعم من إيران يشعل ثورة وانتفاضة مضادة وتحركا معاكسا، ربما يكون عسكريا، والأكراد لن يقبلوا بأي وضع ينزع منهم ما كسبوه من الإقليم، مما سيدخل العراق في دوامة جديدة؛ كما لن يقبل لا الشيعة ولا الأكراد بعودة التيار الوطني البعثي أو القومي من جديد، وستتولد حركات مقاومة عنيفة ودموية، وسيدفع العالم للتدخل من جديد بالعراق وربما إلى تقسيم العراق إلى دول كردية وسنية وشيعية.

لذلك أحلام البعث والهيئة وبعض العمام السنية هي في حقيقتها من يدعم مشروع التقسيم، رغم رفضه له في الظاهر.

الحل لهذه المعضلة:

إن الحل السني الحقيقي اليوم يتمثل في أن لكل

بالكامل، وغيرت المناهج، وهيمنت على مفاصل الحياة المدنية والعسكرية؛ ولأول مرة يطلب سنة العراق أن يكونوا إقليماً سنياً كي يتخلصوا من الحكم الشيعي لظلمه، وحتى هذا رفض الشيعة منحهم إياه، بعد أن كان السنة لغاية سنة ٢٠٠٨ يرفضون رفضاً قاطعاً ذلك ويعيبون على الدستور العراقي احتواءه على فكرة الأقاليم.

وحصل لأول مرة تحت قيادة الحكم الشيعي المدعوم من إيران شرح اجتماعي عراقي لا يمكن أن يرتق بسهولة، فالشارع الشيعي - خلال السنين العشر الماضية - تم تعبئته من قبل المرجعيات والقيادات الشيعية الدينية والسياسية طائفيًا ضد السنة، ومارسوا ضد السنة أشد أنواع التمييز من قتل واغتصاب وتهجير، والظلم والإقصاء والإذلال، ولم يعد المجتمع الشيعي في الجنوب والوسط يقبل الحكم السني بأي شكل من الأشكال، وتولد شعور سني كبير بالظلم أدى إلى ثورة عارمة.

وأصبح التعايش الآن في ظل هذا الظرف صعباً وشبه مستحيل. حتى لو عاد السنة لقيادة الحكم من جديد فسيثور الشيعة من جهة أخرى للحصول على مجتمع مستقل، أو خصوصية شيعية.

لذلك فمحاولة تشبيه الوضع بعد ٢٠٠٣ بما قبله أمر صعب بسبب سياسة إيران والأحزاب الشيعية الدينية، ومع الدعم الأمريكي والغربي والصهيوني للطائفية لتدمير المجتمع المسلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي. لذلك تعد فكرة وطروحات الهيئة وحزب البعث وغيرهم خيالية غير حقيقية وغير قابلة للتطبيق إلا بالشروط الآتية:

- ١- أنه لا توجد إيران (الجمهورية الإسلامية).
- ٢- ولا توجد رغبة غربية وصهيونية بتدمير العراق بالطائفية.
- ٣- أن يتنازل جزء من المجتمع السني، وهم الأكراد، عن إقليمهم ليعود العراق مثلما كان قبل ١٩٩١م^(١)، وهذا أمر يرفضه الأكراد مجتمعاً وحكومة.
- ٤- أن نتخلص من كل الأحزاب الشيعية الدينية ونغير المراجع الشيعة من إيرانيين إلى عرب.

(١) لم أقل في ٢٠٠٣ لأن الأكراد انفصلوا فعلياً بإقليم منذ الحظر الجوي بعد دخول العراق للكويت سنة ١٩٩٠.

(٢) نشر في سبعة مقالات في هذه المجلة الغراء.

وكان يطلق عليهم (طلاب الشهادة العربية)، بجانب قرار إبعاد وترحيل دعاة سودانيين غير مرغوب في وجودهم بتلك الدول.

بدأت الظاهرة التكفيرية في السودان تطلّ هنا وهناك، لكنها لم تكن ذات أثر فاعل على ساحة العمل الدعوي، فكان التكفير يظهر بلونية هتافية كلامية كعنف (لفظي) ينتهي بانتهاء المؤثر، لكن لم يدر بخلد هؤلاء مستقبلاً أن العنف اللفظي سينتقل ويتطور لفقه قاتل، يكون فيه العنف والقتل وسيلة لحسم الصراعات بين المتنازعين، وتصويب أنواع الأسلحة كافة إلى صدور الأبرياء والعزل والمدنيين.

سنتتبع من خلال هذه الدراسة مسار تيار الغلو في السودان تاريخياً، كما سنوضح أبرز رموزه، وبعضاً من رؤاه الفكرية والتنظيمية، وسرداً لأبرز جرائمه العنيفة في السودان، وصولاً إلى سيناريوهات مستقبله، وإمكانية وفرض قيام تنظيمات مؤثرة له، مثل ما أطلق عليه أخيراً الدولة الإسلامية في مصر والسودان (دامس).

تاريخ الغلو في السودان:

أول ظهور حديث لفكر التكفير في الساحة السودانية الحديثة كان على يد رجل يدعى أبو الحسن علي السمان في حقبة السبعينات من القرن الماضي، الذي ألف وطبع كتاباً جامعاً لمعتقدات مجموعته، والتي كانت قريبة جداً من أفكار جماعة التكفير والهجرة المصرية، وقد أسماه (أصنام وعاكفون)، إلا أن الرجل سرعان ما تراجع عن أفكاره التكفيرية، وأخرج كتاباً آخر أطلق عليه (التحذير من مجازفة التكفير)، أوضح فيه أن التكفير والتفكير ضدان لا يجتمعان.

ومثلت فترة الثمانينيات عهداً لانتعاش الفكر التكفيري، حيث بدأوا في التمدد أفقياً ورأسياً، فكونوا خلايا ومجموعات تكفيرية، ظهرت في تشكيلات ومجموعات صغيرة في مناطق متفرقة بالبلاد مثل منطقة (أبوقوة) بولاية الجزيرة بوسط السودان ومنطقة (الفاو) بولاية القضايف بشرق السودان، ومناطق الدمازين وما حولها في ولاية النيل الأزرق جنوب شرق السودان، ثم ظهر أفراد في مدن الدويم وكوستي بولاية النيل الأبيض بوسط السودان، كما ظهر بعض التكفيريين في العاصمة الخرطوم، واستوطن بعضهم في أحياء أم درمان (الفتيحاب - أم بدة - الثورات)

مكون تاريخه ومناهجه ودينه ورموزه، ولا بد من حلول إدارية ذكية تحل المشكلة وترضي كل الأطراف، هذا ما طرحه أصحاب المشروع السني في المؤتمر، وخلاصته بقاء العراق موحدًا غير مقسم، لكن الأخذ بعين الاعتبار أن لكل مكون خصوصيته، ويتفق على طريقة إدارية لذلك، مع إجراء تعداد سكاني لمعرفة حقيقة حجم كل مكون.

أما الشعارات الوطنية والعنتريات والهتافات فتزيد نار العراق حطبا من حيث شعر التيار الوطني أو القومي أو الهبة أو العلمائية أو من حيث لا يشعرون.

السودان... من الغلو الخليفي إلى الدولة الإسلامية في مصر والسودان (دامس)

محمد خليفة صديق^(*) - خاص بالرائد

مقدمة: ظل السودان عبر تاريخه الطويل مشتهراً بالتسامح وخالياً نسبياً من حوادث الغلو والعنف ذات الطابع الديني وسفك الدماء، كما أن معظم الحوادث التي وقعت بالبلاد في فترات ومراحل متتالية تبين أن لها امتدادات وارتباطات إقليمية ودولية، وأن الشأن المحلي الديني عبر هذه الوقائع ظل موصولاً بالبعد الخارجي.

ويرى كثير من المراقبين للشأن السوداني أن بوادر ظهور الغلو في السودان تزامنت مع مرحلة نهاية الجهاد الأفغاني، ومثل دخول أسامة بن لادن ومعه بعض مجاهدي الأفغان العرب سبباً في علو موجة العنف، حيث فتح السودان أبوابه آنذاك لكل هؤلاء وغيرهم، بجانب تداعيات حرب الخليج الثانية، ورجوع كثير من الأسر السودانية لبلدهم السودان بعد نهاية رحلة اغترابهم بدول المهجر، خاصة من دولتي الإمارات العربية المتحدة والسعودية، فبعض هذه الأسر كانت ذات خلفية وجذور دينية أقرب لمنهج الحركة الإسلامية السودانية الراضية لمبدأ التدخل الخارجي والأجنبي بالخليج العربي، فكلّفها هذا الموقف ثمناً باهظاً تمثل في إبعاد وترحيل تلك الأسر للسودان بصورة نهائية، حيث أصبح بعض طلابها فيما بعد رصيذاً جماهيرياً لتيار العنف لاحقاً،

(*) كاتب سوداني.

والكلاكلات، كما ظهروا في الولاية الشمالية في بعض قرى ديار المحس.

وحتى ذلك الحين خلت الساحة السودانية من أعمال القتل أو العنف الجسدي والتصفيات وثقافة الاغتيال، رغم قربها من مصر، وكان تيار الغلو السوداني يعتمد على الجلوس في الحلقات العلمية للنقاش، واشتهروا كذلك بإقامة المناظرات لإظهار صحة حججهم، والانتصار لوجهة نظرهم، ونشر أفكارهم في الساحات العامة أو في مواقع تجمعاتهم الخاصة بهم.

يعزي بعض المراقبين تزايد تيار الغلو في السودان إلى جملة من العوامل والظروف، ساهمت في ارتفاع وتيرته، منها: انتشار وتمدد المذهب الشيعي وتزايد النفوذ الإيراني بالخليج العربي، ومحاولات إيران المستميتة لتصدير فكرها المذهبي لخارج بلدها خاصة للسودان، والذي ينظر إليه كدولة مقر ومعبر للفكر الشيعي، ثم تغلغله في بعض المناطق بالبلاد، ووجود علاقات إستراتيجية قوية ظهرت بين السودان وإيران في شكل أقرب للمحور، بجانب وجود علاقة أخرى بين السودان وحزب الله اللبناني، وانتشار المراكز الثقافية والمؤسسات الإيرانية الموزعة بدقة وعناية فائقة في عدد من المواقع بالعاصمة الخرطوم.

كما ساهمت مشاركة كثير من السودانيين في الجهاد الأفغاني في وجود أرضية للفكر الجهادي، بجانب توجه بعضهم للقتال في البلقان والبوسنة والهرسك لاحقاً، ثم بعد تطورات الأوضاع في القرن الأفريقي، ومشاركة عناصر سودانية في الحروب التي قادتها حركة الجهاد الإسلامي الإريتري وحركة الشباب المجاهدين بالصومال.

كما هيات أزمة دارفور (٢٠٠٣م) واتفاقية سلام نيفاشا الخاصة بالجنوب (٢٠٠٥م) ظروفًا مواتية لتمكين تيار العنف من الإعلان عن نفسه عبر عمليات تلت تدفق المنظمات والقوات الأجنبية لدارفور وجنوب كردفان والجنوب السوداني، وتزايد الدور الغربي واهتمامه بمجريات الأحداث المتسارعة بالسودان، وقدم بعض الجيوش التابعة للأمم المتحدة بالبلاد فظهرت فتاوى في اتجاهين:

❖ الأولى: تتعلق بتطورات الأوضاع في السودان بعد مشاركة الحركة الشعبية في الحكومة المركزية بالخرطوم بعد توقيع اتفاقية السلام الشامل ومشاركة

الحركة الشعبية الجنوبية ذات الخلفيات النصرانية في الحكم، فصدرت فتوى تكفر من انضم للحركة الشعبية، ثم تلى ذلك تكفير المنتمين لقطاع الشمال التابع للحركة الشعبية.

❖ الثانية: تتعلق بالوضع في دارفور، حيث صدرت فتوى تكفر وتحرم من يقوم بتأجير منزله أو داره للمنظمات الأجنبية في الخرطوم ودارفور، خاصة بعد ارتفاع إيجارات المباني وأسعار العقارات، حيث تدفع المنظمات استحقاقاتها المادية بالعملة الأجنبية (الدولار)، فحظرت بعض الجماعات هذه المعاملة، واعتبرتها تدخل في دائرة التحريم، ذلك لأن كثيرين من مواطني مدن دارفور مثل: نيالا - الفاشر - الجنية وزالنجي قاموا بتأجير منازلهم للمنظمات الأجنبية، فصدرت فتوى تحرم ذلك وتكفر من يؤجر داره لتكون مقراً لهذه المنظمات.

تبع ذلك ما تردد عن تنامي نشاط النصاري والمبشرين بالديانة المسيحية في مناطق دارفور، فهذه التطورات أسهمت بشكل مباشر في اتجاه تطوير تيار العنف لأدواتهم، وسعيه لإيجاد وسائل تكافئ التمدد الغربي بالسودان في مستوياته المدنية والعسكرية.

ملاحم فكر الغلو في السودان وأبرز قاداته:

اشتهرت المجموعات التي تعتنق فكر الغلو بأنها لا تصلي في المساجد التي تعتبرها (مساجد ضرار) بنيت من مال الزور والسحت والربا، وتقيم صلاة الجماعة بين أفرادها، كما أنهم يرفضون أن يتقدمهم في الصلاة (كافر) أو (منافق معلوم النفاق) أو (زنديق) بحسب رؤيتهم. فالأصل عندهم اعتزال الناس ومجتمعاتهم وهجر الشرك وأهله كنوع من أبواب (الولاء والبراء)، ويعتمدون في منهجهم على قاعدتين في التكفير: (من لم يحكم بما أنزل الله) و (عبادة غير الله)، فالأولى تمثل شرك الحاكمية، والثانية تعكس شرك العقيدة (قولي وعلمي).

ظهر ذلك جلياً في البدايات الأولى لدخول جماعة التكفير والهجرة في عام ١٩٦٧م ومن بين قاداتها المشهورين (معروف عدلان - الطاهر شبشة - عبد الله ودعشانا - إبراهيم محمد إبراهيم العجان - المهندس علي محمد الحسن - إدريس الوسيلة - علي عدلان - محمد عثمان الباشا - محمد النور - الطاهر خوجلي - سعيد نصر وغيرهم).

ثم تطور ذلك الفكر، وبدأ التكفير يأخذ عدة

أشكال مع ظهور التحديات السياسية بالبلاد ونتيجة للتقلبات التي مرّ بها السودان خلال العشرين عاما الماضية على نحو يهدد الأمن والسلام الاجتماعي بشكل لافت للأنظار، ولم يسلم من تداعياتها حتى من هم في الصف الإسلامي، فضلا عن القوى العلمانية، ونتج ذلك لاختلاط التكفير الوافد مع تكفيريين الداخل، نتج عن ذلك التكفير المصحوب بالعنف، فتم تكفير الدكتور حسن الترابي والصحفي محمد طه محمد أحمد، وطالبوا بإنزال حكم الردة عليهما عبر المحاكم رغم عدم اعترافهم بالتحاكم إليها، ثم تكفير الحزب الشيوعي والإلحاح بحلّه وحظر نشاطه باعتبار أن قاداته ملاحدة، ثم أخيرا تكفير الإمام الصادق المهدي رئيس الوزراء السوداني السابق ورئيس حزب الأمة القومي والمطالبة باستنابته.

تطلق بعض مجموعات التكفيريين على نفسها اسم جماعة المسلمين، ومن أبرز مؤسساتها منظمة الكوثر الخيرية، التي يقودها الصادق حسن عثمان (أبو الدرداء)، والذي يرى أن التكفير بالنسبة لهم حكم شرعي، وفقا لقواعد ظاهرة ومعلومة، فعندهم (من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر)، وأنهم متفقون في إطلاق أحكام التكفير على الحكام والمجتمع والأفراد، فالشيوعيون عندهم (كفار)، وكذا البعثيون، وكل العلمانيين واليساريين، بل ذهبوا لأبعد من ذلك فكفروا حتى الإخوان المسلمين، والحركة الإسلامية، وعندهم أن أنصار السنة أشد كفرا من الشيوعيين، كما يكفرون عددا من رموز المجتمع السوداني مثل د. حسن الترابي والصادق المهدي ومحمد عثمان الميرغني، حيث يرون أن هؤلاء ارتضوا الارتباط بالأمم المتحدة التي هي بديل الخلافة الراشدة، وتقدموا لطلب العضوية فيها واحتكموا للقوانين الدولية، وشرعوا شرعا دون شرع الله تعالى، فهم موغلون في الكفر.

وأبو الدرداء اشتهر بالبيان الذي أصدره لإهدار دم عدد من الكتاب والصحفيين والسياسيين السودانيين في عام ٢٠٠٥م في مقدمتهم الدكتور فاروق كدودة، والكتاب الصحفي الحاج وراق، ووكيل نيابة الجرائم الموجهة ضد الدولة مولانا محمد فريد، والقاضي مولانا محمد سر الختم غرباوي، ورجل الأعمال القبطي إيلي

حداد والكتاب الطاهر حسن التوم.

ومن أبرز رموزهم كذلك إبراهيم محمد إبراهيم الشهير بإبراهيم العجّان، ومعروف عدلان وهو أمير التكفيريين الحالي بولاية الجزيرة، وشقيقه علي عدلان، وهما اللذان اعتزلا وكفرا أهالي قريتهما التي تسمى (الشيخ معروف) بمنطقة أبوقوته بالجزيرة، وقاما بتشديد مسجد بعيد عن القرية يمارسان فيه الشعائر الدينية، بحجة أن مسجد القرية هو مسجد ضار.

وبحسب بعض قاداتهم فإنهم يهدفون لإقامة دولة إسلامية في السودان ليست ذات طابع ديمقراطي أو ديكتاتوري، ولا تتبني على المواطنة وإنما على العقيدة الإسلامية، سيقومون فيها بهدم الكنائس والقباب والأضرحة والخمارات وبيوت الدعارة والسفارات، كما أنهم يهدفون لطرد الكفار من الأمريكان والألمان والبريطانيين وغيرهم، أما فيما يتعلق بالكفار السودانيين فيتوجب عليهم دفع الجزية، وفيما يتعلق بالنصارى فلهم خيار من ثلاثة: الإسلام، أو الجزية بموجب الشروط العمرية حيث لن يرفع كتاب ولا صليب، وسيخلق لهم ليميزوا عن المسلمين.

ومن طليعة الشيوخ الذين اشتهروا حديثا وينسبون لهذا الفكر، والذين شكّلوا مرجعية ورمزية له (أبو أسامة) الشيخ مساعد بشير السديرة، و(أبو البخاري) سعيد نصر، و(أبو عبد الله) صادق عبد الله عبد الرحمن ولثلاثتهم معاهد شرعية يلتحق بها شبابهم وطلابهم، وقد اكتسب الشيخ مساعد السديرة شهرة وجاذبية خاصة بعد توقيفه في مطار القاهرة بعد اختتامه لرحلة علاجية هناك في عام ٢٠٠٩م، واعتقل لقرابة شهرين، كما تعرض لعمليات تعذيب، ليخرج الرجل بعدها بطلا في نظر محبيه ومريديه، الذين يقدرون بالمئات حسب مراقبين داخل وخارج العاصمة الخرطوم، بل وحتى خارج السودان، لكون الرجل يعتبر من أهل الباع الكبير في مجال الحديث وعلم الرواية والإسناد وله إجازات معتمدة ومعتبرة.

أبرز جرائم وتهديدات تيار الغلو بالسودان:

١- حادثة أبوقوته:

قائد هذه الحادثة هو معروف عدلان وهو أمير التكفيريين بولاية الجزيرة، وشقيقه علي عدلان، اللذان سبق الحديث عنهما قبل قليل.

وقد وقعت أحداث قرية الشيخ معروف في أغسطس ١٩٨٨م بأحد مساجد القرية بين الخلية التكفيرية التي يتزعمها (علي عدلان) وشقيقه (معروف)، حيث هاجما أهل المنطقة وشيوخ الصوفية ولم يسلم من الهجوم حتى شيخ القرية الذي يتبع للطريقة السمانية، فحدث هجوم وصدام عنيف بالأسلحة البيضاء، واشتبك أدى لمقتل مؤذن مسجد القرية بعد طعنه بسيف وجرح ٢ من المصلين، وتمت محاكمة التكفيريين بالسجن لمدة ١٠ سنوات.

٢- حادثة كمبو عشرة:

نفذ هذه الحادثة عدد من الشباب أطلقوا على أنفسهم اسم (الجهة الإسلامية المسلحة) في نهاية العام ١٩٩٣، بمنطقة كمبو عشرة جوار مدينة ود مدني بوسط السودان، وقد سارت هذه المجموعة التي يربو عددها على العشرين فرداً، معظمهم من الطلاب، على الأقدام من الخرطوم حتى ود مدني التي تبعد عن الخرطوم أكثر من ٢٠٠ كلم، وقد كفر هؤلاء الشباب الذين كانوا معهم، وقرروا التوجه إلى أي مكان، يقيمون فيه وهجر الكفر والشرك، فتحركوا بأرجلهم حتى وصلوا لولاية الجزيرة، ومنطقة (كمبو عشرة)، وكان أحدهم يحمل بندقية، بينما كان بعضهم يرى أن حمل البندقية نفسها حرام، لأنه لا يجوز ضرب النار على الأحياء، لأنه لا يعذب بالنار إلا رب النار.

وقد استضاف سكان منطقة (كمبو عشرة) هؤلاء الشباب والصبيان، والغريب أنهم بدأوا في دعوة الأهالي للانضمام إليهم وقبول أفكارهم، بعدها أبلغ بعضهم السلطات بؤد مدني، فجاءت قوة من الشرطة، حاصرت المنطقة، وأمرت هؤلاء الشباب بضرورة الاستماع والانصياع لهم والاستجابة لتعليماتهم، ولكن هؤلاء الشباب يعتقدون أن طاعة الشرطة كفر، ولا يمكن الاستجابة لأوامر العسكر لأنهم طاغوت، فحدث اشتباك بينهم وبين وقوات الشرطة، التي تم زيادة عدد أفرادها بقوة إضافية، فقتل أغلب الشباب، وجرح عدد من عناصر الشرطة وبعض أهالي المنطقة. وقد تحفظ جهاز الأمن على الشباب الذين نجوا من الحادثة، وعقد لهم برنامج توعية وجلسات بينهم وبعض الشيوخ لمناقشتهم في أفكارهم، وتم إطلاق سراحهم تدريجياً.

٣- حادثة مسجد الثورة بأمد درمان:

من أشهر جرائم تيار الغلو في السودان المجزرة

الدموية التي ارتكبها هؤلاء في ٤ فبراير من عام ١٩٩٤م حيث قتلوا المصلين في صلاة الجمعة بمسجد (أنصار السنة) بمنطقة الثورة/ الحارة الأولى بمدينة أم درمان، ونفذ ذلك الهجوم المسلح أحد معاوني أسامة بن لادن، ويدعى محمد عبد الله عبد الرحمن الخليفي (البيبي الجنسية) مع ثلاثة آخرين، حيث أوقع الهجوم ١٦ قتيلاً، وجرح ما يزيد عن الثلاثين مصلياً، وكانت الحادثة هي الأولى من نوعها ذات طابع يحمل جينات غلو ديني، ومنذ ذلك التاريخ بدأ سجل السودان والمشهد الديني والخرافة الدعوية فيه تعاني من ممارسات وأعمال عنيفة يقوم بها هؤلاء.

وقائد الهجوم الخليفي هو أحد أفراد طاقم التأمين والحراسة لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وعاونته ثلاثة آخرون هم: عبد الباقي يوسف، وباسر محمد علي اللذان قتلوا خلال المواجهة مع الشرطة بعد الهجوم، وثالثهما هو محمد الماحي الذي حُكم عليه بالسجن المؤبد، بينما جرح الخليفي الذي تم الحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت، وشُنق بسجن كوبر بالخرطوم.

وكشفت التحريات آنذاك وجود بؤرة (تي إن تي) في حوزة المعتدين، ومواد لتصنيع قنابل يدوية حارقة، مما عضد دعوى علاقة المهاجمين وارتباطهم مع أسامة بن لادن، لأن شركة الهجرة التي يملكها بن لادن بالسودان كانت المنشأة الوحيدة التي تعمل في رصف الطرق، وتلجأ لاستخدام مادة (تي إن تي) لتفجير الصخور وتفتيت الجبال في عملها بطريق التحدي (الخرطوم - شندي - عطبرة)، وكان غالبية من يعملون في الطريق من الأفغان العرب.

٤- حادثة مسجد الجرافة بأمد درمان:

تعد حادثة إطلاق النار على المصلين بمسجد أبي بكر الصديق بحي الجرافة شمالي مدينة أم درمان، والتي كانت بتاريخ ٩ ديسمبر ٢٠٠٠م، أثناء أدائهم لصلاة التراويح، أكبر حوادث العنف والغلو، حيث قتل فيها (٢٤) مواطناً، من بينهم أطفال، وجرح ما يزيد عن الأربعين، وتم قتل منفذ العملية وهو عباس الباقر خلال تبادل إطلاق النار بينه وقوات الشرطة، بعد أن رفض الاستسلام للقوة المكلفة بالقبض عليه.

عمل عباس الباقر من قبل في صفوف الدفاع الشعبي، وشارك في العمليات العسكرية بجنوب السودان، وشارك

في كتائب تحرير منطقة كبويتا بشرق الاستوائية بجنوب السودان، ومنها سافر إلى ليبيا، ثم عاد للسودان، واستقر بمدينة ودمدني بوسط السودان، وتم اعتقاله على خلفية تحرشه ببعض قيادات جماعة أنصار السنة هناك وتهديده لهم بالقتل، وتم التحفظ عليه من قبل الشرطة باعتباره شخصية تمارس نشاطاً هداماً ومدمراً، وبعد ترحيله من مدينة ودمدني للخرطوم؛ تم إطلاق سراحه بعد أن تخلص عن جماعة التكفير والهجرة، وكان يسكن مع شقيقه إسماعيل في منزل يجاور المسجد الذي حدث فيه المجزرة.

ورجح البعض آنذاك أن الحادث لم ينفذه عباس الباقر بمفرده وذلك لكثرة القتلى والجرحى، وظهر في وقت لاحق احتمال أن يكون معه معاونون ساعدوه في ارتكاب المجزرة، بعد أن رجح أحد رجال الشرطة الذين تعاملوا مع الحادث - وقتها - بأن الجناة أكثر من ثلاثة يرتدون جلابيب بيضاء عليها سترات واقية من الرصاص، غير أن الناطق الرسمي باسم قوات الشرطة اللواء عثمان يعقوب أرجع الأمر إلى أن الجاني استخدم التكتيك العسكري، وغير من موقعه أكثر من مرة أثناء إطلاق النيران، كما أنه استبدل خزانة مدفعه الرشاش أكثر من مرة، وقال إمام المسجد الشيخ بشير إبراهيم محيي الدين إن الجاني سبق وأن كفر في خطبته الحكومة، فتم اعتقاله وحبسه، ثم الإفراج عنه بعد كتابة تعهد، وقد رفضت أسرة عباس الباقر استلام جثمانه لعدم رضاها عن توجهات ابنها التكفيرية وسلوكه العنيف ونشاطه الهدام.

٥- حادثة تفجيرات خلية السلمة ٢٠٠٧م:

في أغسطس ٢٠٠٧ تم اكتشاف خلية تكفيرية مكونة من شباب اتصلوا بأناس داخل وخارج السودان، وبدأوا في صناعة العبوات الناسفة لاستخدامها في مرحلة معينة ضد مقار الأمم المتحدة وسفارات بعض الدول الأجنبية والأوروبية وأمريكا، أما سبب اكتشاف الخلية فهو عملية انفجار غير مقصودة لأسطوانة حديدية معبأة بالبارود وجاهزة للانفجار، كانت بحوزة الخلية بالمنزل الذي كان يأويهم بضاحية السلمة جنوب الخرطوم، مما أحبط المخطط وتم كشف المجموعة واعتقالها.

وحسب التحريات كانت الخلية تنوي تنفيذ عدد من الأعمال الانتقامية والاعتداء على منشآت تابعة للأمم

المتحدة، ومواقع بعض المنظمات الأجنبية وسفارات الدول الغربية، وكانت تستهدف كذلك قادة سياسيين ومقار بعض البعثات الدبلوماسية ومواقع حيوية تتبع للمنظمات الأجنبية، وقد ضبطت بحوزة الخلية متفجرات وعبوات ناسفة جاهزة للاستعمال، وتركيبات كيميائية مكونة من مواد قابلة للاشتعال من بودرة (تي إن تي) ومسحوق النتروجلسرين، وحوض من مواد يتم تحضيرها لتكون متفجرات تستخدم لهذه العمليات العسكرية، وقاد تلك الخلية د. أسامة أحمد عبد السلام الذي يحمل الدكتوراة في الكيمياء، وقد تراوح عدد أفراد خلية السلمة ما بين (٢٥ - ٣٥) عنصراً، حيث هرب عدد منهم بعد الانفجار، وقبضت الشرطة التي طوقت موقع الانفجار على الموجودين من أفراد المجموعة.

٦- تنظيم القاعدة في بلاد النيلين:

وفي أكتوبر ٢٠٠٨ هدد بيان «تم توزيعه في نطاق محدود» على شبكة الإنترنت من قبل تنظيم يحمل اسم «القاعدة في بلاد النيلين»، «باستهداف الأمريكيين في الأراضي السودانية»، وهو ما حدا بالولايات المتحدة إلى تحذير رعاياها من السفر إلى السودان، والمقيمين فيه من التحرك وسط العاصمة وفي مناطق بعينها، وقالت رسالة على موقع السفارة الأمريكية على شبكة الإنترنت: إن جماعة «القاعدة في بلاد النيلين» تبنت في بيانها اغتيال مسؤول المعونة الأمريكي جون غرانفيل وسائقه.

وفي فبراير من عام ٢٠١٢ كشف الرئيس السوداني عمر البشير عن أن الحكومة نجحت في تفكيك تنظيم ديني نشأ باسم «القاعدة في بلاد النيلين»، وأضاف في حديث تلفزيوني أن السلطات اكتشفت مجموعة تكفيرية من الشباب تمت تغذيتهم بالفكر العنيف، وتدريبهم في العراق والصومال ليكونوا نواة لتنظيم «القاعدة في بلاد النيلين»، مبيناً أن السلطات علمت أنهم بدأوا في تصنيع متفجرات وصواريخ باسم «الظواهري»، وأن الرئيس البشير والنائب الأول علي عثمان محمد طه، ومدير جهاز الأمن والمخابرات الفريق أول صلاح قوش من الشخصيات المستهدفة من هذا التنظيم.

٧- اغتيال جون غرانفيل وسائقه السوداني عام

٢٠٠٨م:

اغتالت مجموعة من التكفيريين أثناء احتفالات رأس السنة عام ٢٠٠٨، الدبلوماسي الأمريكي والموظف

بوكالة المعونة الأمريكية جون غرانفيل وسائقه السوداني عبد الرحمن عباس، بعد خروجه من أحد الاحتفالات، وهما يستقلان سيارتهما، بحي الرياض عند تقاطع شارع الشهيد عبيد ختم، مع شارع البروفيسور عبد الله الطيب. وذلك برصاص أربعة من المهاجمين.

وبعد مطاردات ألقت الشرطة القبض على المجموعة، وتم إيداعهم سجن كوبر بالخرطوم، ومن ثم تم الحكم عليهم بالإعدام، حيث تمكنوا بعد ذلك من الفرار من السجن، عشية مباراة قمة بين الهلال والمريخ العام ٢٠١٠م، بطريقة دراماتيكية، وقد تمكنت الشرطة من القبض على أحدهم بعد ذلك وهو عبد الرؤوف أبوزيد محمد حمزة، وقيل إن مهند عثمان يوسف أحد أفراد المجموعة لقي حتفه بالصومال.

وقال أفراد تلك المجموعة بعد القبض عليهم إنهم خرجوا في تلك الليلة فقط يبحثون عن الكفار في شوارع الخرطوم، وعندما عثروا على الدبلوماسي وسائقه أطلقوا عليهما النار من بنادقهم دون أن يدروا من هم الذين بداخل السيارة، ولكنهم عرفوا فقط أنهم «خوارج كفار».

٨- خلية الدندر:

كشفت السلطات الأمنية السودانية عن وجود خلية جهادية بمنطقة السبيرة داخل حظيرة الدندر في الحدود بين ولايتي سنار والقضارف، وتضم الخلية أكثر من ٦٠ شابا تقوم بالتدريب العسكري، والإعداد للهجرة للقتال في بعض البلدان التي يدور فيها قتال له تداعيات ومضاعفات ذات أبعاد إقليمية ودولية مثل الصراع والمعارك الدائرة في الصومال ومالي وسوريا والعراق، وأطلقت المجموعة على نفسها اسم (رجال حول الرسول). وقد هاجمت السلطات الأمنية معسكر المجموعة، حيث دارت معركة قالت بعض المصادر إنها استمرت من الثانية عشرة ظهراً وحتى الثامنة مساءً، وأسفرت عن سقوط ٢٥ من أفراد المجموعة بين قتيل وجريح وأسير، بينما قتل ٢ وأصيب ٤ من السلطات الأمنية.

ووجد مع المجموعة بعد انجلاء المعركة متفجرات وعبوات ناسفة وأسلحة أوتوماتيكية رشاشة وأخرى ثقيلة، بجانب قنابل وأجهزة كمبيوتر ولاب توب، تستخدم لغرض التواصل مع خلايا عسكرية جهادية خارج البلاد، وقد حصلت المجموعة على السلاح بعد مهاجمتها لمعسكر (قلقو) لقوات الحياة البرية داخل

حظيرة الدندر، حيث طردت المجموعة الحراس الموجودين، واستولت على العديد من الأسلحة بينها مدفع قرنوف، استخدم في تدمير برج تابع لإحدى شركات الاتصال، ولم تجد تلك المجموعة مقاومة تذكر إذ جرت العادة إخلاء المعسكر من معظم القوات خلال فترة الخريف.

ولم يظهر من أسماء المعتقلين الذين يزيدون عن الأربعين، إلا قلة قليلة برز منها العقل المدبر للخلية الدكتور أسامة أحمد عبد السلام والذي كان موقوفاً في أحداث السلمة، ويسكن حي الرياض شرق الخرطوم، وأحد ضحايا المواجهة المسلحة بين القوات الحكومية والمجموعة المتطرفة ويسمى محمد الحسن مبارك من أبناء الثورة، وآخر يدعى عمر عبد الله من أبناء شندي ويسكن حي الحاج يوسف بالخرطوم، وعمرو السوداني وهو صهر الشيخ أبي عبد الله صادق عبد الله عبد الرحمن.

٩- أهل الصيحة:

آخر تقليعات الفكر التكفيري إقدام مجموعة من التكفيريين على بيع منازلهم وعقاراتهم بالخرطوم وهجر العاصمة القومية، بل وهاجر بعضهم للأراضي المقدسة للاستقرار بالحرمين الشريفين، حيث يرون أن ظهور علامات وأمارات الساعة الكبرى بات وشيكاً، بعد ظهور كل علاماتها الصغرى، ويعتقد هؤلاء أن القيامة لم يتبق لها إلا ظهور الدابة والمسيح الدجال والنفخ في الصور، وأطلقوا على جماعتهم اسم (أهل الصيحة) بسبب قرب الصيحة والنفخ في الصور، وهم الآن في مرحلة ترقب لهذه الصيحة، فهجروا الخرطوم واستقر المقام ببعضهم في بادية البطانة وكردفان.

كما يرى هؤلاء أن النفخة ستبدأ من الخرطوم نتيجة لـ (ظهور الفساد في البر والبحر)، ففي الوقت الذي يتكاثر المواطنون بزحفهم نحو الخرطوم بدأت هذه الجماعات في هجرة عكسية من الخرطوم إلى الأقاليم، باعتبار أن الناس لا محالة (هالكون) وأن الأفضل لهم أن تقوم الساعة وتقبض أرواحهم في البادية، بعيداً عن مواطن الفساد.

دامس بين الحقيقة والخيال:

دامس هو اسم لتنظيم جهادي جديد انتشر خلال الأيام القليلة الماضية، مثيراً أسئلة عديدة عن ماهيته ومموليه والداعمين له ومعناه اللغوي، ولم يتفق المراقبون

حتى الآن على معنى الاسم، هل هو: «الدولة الإسلامية في المغرب الإسلامي» أو «الدولة الإسلامية في مصر والسودان»؟

وظهر اسم (دامس) في بعض التقارير المصرية التي أشارت لتشكيل تنظيم إرهابي جديد يتولى منطقة وادي النيل «مصر والسودان»، وقالت تلك المصادر إن تقارير استخباراتية حذرت من تصاعد حركة التجمعات الإرهابية سواء على الحدود المصرية، أو في المناطق الملاصقة للحدود الجزائرية الجنوبية والتونسية، وباتجاه ليبيا والسودان، وأن هناك أجهزة استخبارات أجنبية تقف وراء تأسيس وتمويل تنظيم إرهابي يستهدف مصر، يحمل اسم «دامس»، وهو الملف الذي حمله الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إلى الجزائر والسودان، لبحث سبل التنسيق والتعاون الأمني لإجهاض تحركات تلك التنظيمات.

وقالت مصادر أمنية مصرية إن الأجهزة السيادية قدرت عدد المسلحين في تنظيم «دامس» بنحو أربعة آلاف عنصر سيعملون لشحن هجمات في مصر والسودان، وكشفت المصادر عن وجود عدد من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية في مصر والسودان «دامس» على الحدود المصرية السودانية، وأن هذه العناصر قد تتحرك إلى داخل مصر والسودان، استجابة للتهديدات التي أعلنها المتحدث باسم تنظيم «داعش» بالدخول إلى الدول الجنوبية كمصر والسودان، واستهداف المسيحيين والعلمانيين وقتل رجال الجيش.

وقال اللواء أحمد خيرت الخبير الأمني إن تنظيم «دامس» يسعى للسيطرة على مصر والسودان وإقامة دولة إسلامية، وقال حمدي العمومي، القيادي الجهادي بالجماعة الإسلامية إن عناصر تنظيم الدولة الإسلامية بمصر والسودان «دامس» تابعون لتنظيم القاعدة، وإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تولت عملية تدريبهم وتمويلهم، وغالبيتهم مكثوا فترات طويلة داخل السجون الأمريكية، كالجهادي «إبراهيم البكري» والجهادي «العناني أبو محمد» الذين خرجوا من السجون الأمريكية في مطلع عام ٢٠٠٦.

ويرى العمومي أن أمريكا وإسرائيل تمول تلك التنظيمات الإرهابية لضرب الدول العربية وتفتيتها وإحداث صراعات وحروب أهلية، وضرب الجيوش

العربية كما حدث مع الجيش العراقي والجيش السوري، وبالتالي فلم يتبق أمامهم سوى الجيش المصري.. وأضاف «العمومي»: الشواهد أمامنا تقول إن أمريكا وإسرائيل تسيطران على دولة جنوب السودان، لذا كان من السهل جدا لهم تدشين تنظيم الدولة الإسلامية في مصر والسودان، أو ما يسمى بـ «دامس».

وبحسب مراقبين فإن ما يقال عن تنظيم دولة الإسلام في مصر والسودان (دامس) هو مجرد كلمة نحتتها مخابرات دولة ما بغرض تجميع معلومات، أو بغرض إرباك قواعد الجهاديين، أو لأسباب أخرى، بينما يرى آخرون أن فكرة «افتتاح» فرع لـ «داعش» في المغرب العربي، قابلة للتجسيد بالنظر إلى وجود مقاتلين لتنظيم داعش من دول تونس والمغرب والجزائر وليبيا، فضلاً عن انتشار تنظيم داعش على مواقع التواصل الاجتماعي كـ «علامة» تجد شعبية كبيرة لدى المتأثرين بأفكار الغلو، خصوصاً لدى فئة الشباب والمراهقين، وهي الفئة التي تستعمل بإفراط مواقع التواصل الاجتماعي، كما رصدت بعض الجهات الأمنية في منطقة المغرب العربي حركة ذهاب وعودة لعدد من المسلحين الذين توجهوا للقتال في سوريا والعراق، بدافع الجهاد، فوجدوا أنفسهم في قبضة تنظيم «داعش».

كما لم يصدر حتى الآن أي إعلان رسمي من تنظيم داعش في المواقع الجهادية التابعة له عن تدشين ذراع مغربية له، كما لا يوجد في موقعي تويتر وفيسبوك أي إشارات من التنظيم على ميلاد تنظيم «دامس».

وعن علاقة السودانين بتنظيم (داعش) الأم لـ (دامس)، تشير بعض المعلومات عن علاقات بين عدد من الشباب السوداني وتنظيم داعش، حيث قتل الشاب السوداني مازن محمد عبد اللطيف (١٩ عاماً)، وكنيته أبو البراء المهاجر إثر سقوط مقذوفة على مجموعة كان يقودها لاقتحام معسكر تابع لجيش نوري المالكي في العراق، حيث لقي مازن مصرعه متأثراً بجراحه في حي الأندلس بمدينة الرمادي بالعراق في مايو ٢٠١٤م.

ويروي صدام يوسف (أبو يوسف السوداني) الذي يقاتل الآن ضمن جنود تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) تفاصيل مقتل المنشد أبي البراء المهاجر مازن محمد عبد اللطيف، مشيراً إلى أن الشاب الذي ولد في ٧ - ٥ - ١٩٩٥م وقتل في يوم ٧ - ٥ - ٢٠١٤م كان

الوجود التنظيمي الفعلي، مثل تنظيم القاعدة في أرض النيلين والخلايا التي تشط بين الحين والآخر، مثل خلية الدندر وغيرها.

ويستبعد هؤلاء المراقبون أن يكون هنالك تنسيق بين التنظيمات الجهادية في السودان ومصر، فالحدود بين البلدين صحراوية مكشوفة، يمكن مراقبتها على عكس الحدود بين العراق وسوريا، ويرون أن ما تشهده المخابرات المصرية في هذا التوقيت هو خوف واستباق، لأنها تعتقد أن يكون هنالك تنسيق بين تنظيم الإخوان المسلمين المنحل في مصر، مع تنظيم الإخوان الحاكم في السودان، لذلك فهم يتخوفون أن يكون السودان محطة انطلاق للإخوان تهدد أمن واستقرار مصر.

ولم يستبعد آخرون أن يظهر تنظيم جهادي مشترك بين مصر وليبيا، فالجماعات الإسلامية تشط في الشرق الليبي، ويمكن أن تنسق مع الجماعات الإسلامية في سيناء وغرب مصر بشكل ما، فيما يرى آخرون أن توقيت الكشف عن تنظيم (دامس) المشترك بين مصر والسودان، الهدف منه إيصال رسالة قوية للحكومة السودانية لتساهلها الذي تبديه مع الجهاديين، وضرورة إبدائها بعض الحسم والقوة تجاه هذه التنظيمات.

مراجع:

١- الهادي محمد الأمين، الأبعاد الإقليمية والدولية للصراع الديني في السودان وتأثيراته على البلدان الإفريقية، مقال موجود على الرابط:
<http://www.sudaneseonline.com/board/7/msg/1391550066.html>

٢- دامس في وادي النيل، مقال منشور بتاريخ: الاثنين، ٢٠١٤/٧/٠٧م، على موقع جريدة العرب اليوم الإلكترونية: <http://alarabalyawm.net>.

٣- حوار مع محمود عبد الجبار رئيس تنظيم اتحاد قوى المسلمين (أقم)، موجود على الرابط:
<http://www.hurriyatsudan.com/?p=7800>.

٤- جمال الشريف، السلفية في السودان: انقسام بين التسليم والصدام، تقرير لمركز الجزيرة للدراسات، موجود على الرابط:
<http://studies.aljazeera.net/reports/2012/06/201261893435505791.htm>.

٥- محمد عبد العزيز، السلفية الجهادية في السودان.. هل خرجت القاعدة إلى الشارع؟، صحيفة السوداني، الخرطوم، بتاريخ: ٠٩ - ١٠ - ٢٠١٢م.

أميرا لسرية كاملة، وقد ولد بحي الثورة بأم درمان، ودرس في جامعة العلوم والتقانة، وسافر في العام ٢٠١٣م متسللا لسوريا، وتلقى مازن تدريبات عسكرية وجرعات قتالية عالية مكنته من خوض عدد من المعارك الحربية تحت لواء تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش)، ومكث داخل معسكرات المجاهدين في سوريا قرابة عام شارك في العديد من التحركات والعمليات، ثم انتقل للقتال إلى العراق، قبيل مقتله في الغارة المذكورة. ويعد مازن أصغر أمير عسكري يقود سرية كاملة لمواجهة جيش حكومي منظم بالعراق، بجانب أن الشاب القليل كان منشداً وقام بإصدار تسجيل صوتي ضم عدداً من قصائد الملاحم من بينها (تقدم أخي) و(أماه لو أبصرتنا).

كما أن مازن هو شقيق كل من (مؤيد محمد عبد اللطيف) و(منتصر محمد عبد اللطيف) عضوي خلية الدندر، التي تم تفكيكها في نوفمبر من عام ٢٠١٢م، وتزخر صفحة مازن عبد اللطيف على فيس بوك، التي تحمل اسماً حركياً مستعاراً وهو كنية (أبو البراء المهاجر): بالعديد من المشاركات والمداخلات المهتمة بالجهاد وقاتل الكفار ومواجهة الشيعة وقوات حزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني وجيش المالكي، وكان يخصص غالبية كتاباته عن قضية الدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) ويدافع عنها حتى فارق الحياة، ويضع شعار الدولة الإسلامية كخلفية في صفحته الشخصية.

وقد أوردت مصادر جهادية من قبل نبأ مقتل أبي حمزة القناص الذي سافر متسللاً من السودان عن طريق سيناء حتى وصل للعراق وتدريب على فنون القتال، مستفيداً من دورات الألغام والقنص حتى سُمي بـ (أبي حمزة القناص)، وشارك في عدد من المعارك في العراق في مناطق (الرمانة - الربط - الكرابلة - حصيبة)، وقتل في معركة القائم ضد القوات الأمريكية ودفن في مقبرة البوخردان بالقرب من القائم بالعراق.

يعزي بعض المراقبين ما ورد على لسان جهات محسوبة على المخابرات المصرية حول تنظيم «دامس» أنها متأثرة بما يحدث في العالم الإسلامي، ومصر تعتبر نفسها مهددة بالجهاديين، فهي تجاوز غزة وكذلك ليبيا وغير بعيدة عن العراق وسوريا، ورغم أن السودان سبق أن احتضن تنظيمات جهادية كان الجانب الإعلامي فيها أكبر من

المسارات والتحويلات.

مراكز الأبحاث الأمريكية والإسلاميون: أزمة النموذج المعرفي.

والكتاب يأتي في مرحلة مفصلية في تاريخ الحركات الإسلامية وخاصة بعد مرحلة الثورة المضادة للربيع العربي، حيث يناقش موقف السياسات الأمريكية عبر تحليل توصيات وأبحاث مراكز الدراسات من قضية مشاركة الإسلاميين السياسية.

وركزت الدراسة على إبراز مدرستين متعارضتين من هذه القضية، مدرسة مركز واشنطن الرفضية لمشاركة الإسلاميين السياسية وخاصة في السلطة، ومدرسة معهد كارنيجي التي تشجع على هذه المشاركة للإسلاميين.

وجاء اختيار هذين المركزين لما لهما من نشاط بحثي ضخم في المنطقة وتركيز على دور الإسلاميين السياسي ولقوة تأثيرهما على صانع القرار الأمريكي، وفي كل مدرسة

هناك مراكز أخرى لكن لحصر الدراسة وعدم تشعبها تم الاقتصار على عينة ممثلة لكل مدرسة.

الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية

بلال التليدي

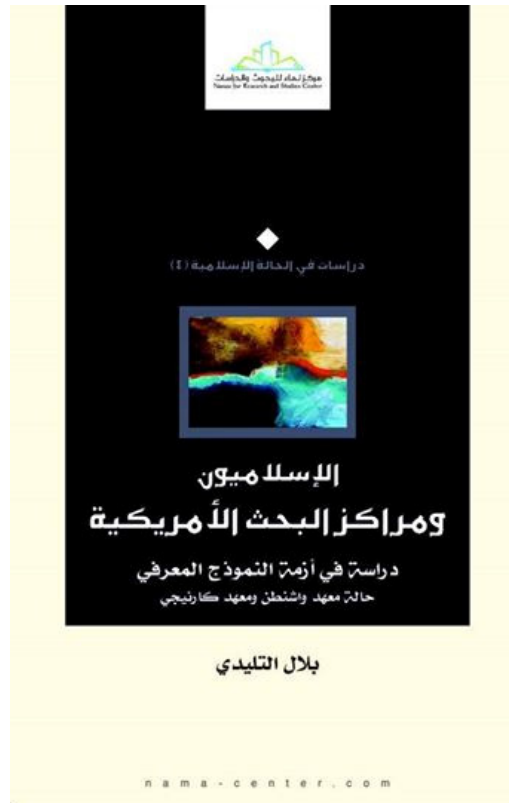
عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

يطل علينا الأستاذ بلال التليدي، الباحث المغربي المتخصص في الحركات الإسلامية في

كتاب جديد ومتميز صدر له عن مركز نماء للبحوث والدراسات مطلع عام ٢٠١٤م، بعنوان (الإسلاميون ومراكز الدراسات الأمريكية دراسة في أزمة النموذج المعرفي حالة معهد واشنطن ومعهد كارنيجي).

يقع الكتاب في ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط،

وجاء في ثلاثة فصول، هي: مراكز الأبحاث الأمريكية والإسلاميون: الإطار الوصفي. مراكز الأبحاث الأمريكية والإسلاميون: التوجهات، المقولات والحجج،



(*) كاتب أردني.

الخلاصة المهمة التي يخرج بها القارئ أن تباين هاتين المدرستين ينبع من التنافس على تحقيق المصلحة العليا لأمريكا، وليس حياً بالعدالة أو إيماناً بالحق وإخلاصاً لنشر الديمقراطية، ولذلك إن انعدم تحقيق المصلحة الأمريكية أو كان هناك ضعف في تحقيق تلك المصالح من خلال رؤية أي مركز فإنه لا يتوانى عن تغيير رؤيته لأنها ليست قضية مبادئ وقيم.

الفصل الأول والذي بلغ ثلثي الكتاب هو

عبارة عن تتبع ورصد وصفي لإنتاج هذين المركزين في الموضوع من عام إعلان مبادرة تعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط سنة ٢٠٠٢ وحتى سنة ٢٠١٣.

وقد استعرض التليدي ٣٠ مادة من إنتاج

معهد واشنطن بين مقالة وشهادة وورقة بحثية وأغلبها من إنتاج المدير التنفيذي للمركز وكبير الباحثين فيه أيضاً روبرت ساتلوف، لكونه المتخصص بذلك في المعهد بشكل رئيسي، وذلك لتقديم صورة متكاملة عن إنتاج المعهد والرؤية المعادية للإسلاميين التي يعمل على أن تتبناها الإدارة الأمريكية.

وفي نفس الفصل قام التليدي باستعراض ٢٨

مادة من إنتاج معهد كارنيجي بين ورقة ومقالة

ساهم فيها عدد من خبراء المركز وهم: مارينا أوتاري، وناثان براون، وعمرو حمزاوي، وجرهام فولر، لتوضيح كامل الرؤية التي يدافع عنها معهد كارنيجي بالتفريق بين الإسلاميين المعتدلين والراديكاليين، وضرورة مشاركة المعتدلين في العملية السياسية.

أما الفصل الثاني والذي خصصه المؤلف

لفحص التوجهات، والمقولات والحجج، والمسارات والتحويلات، فهو بمثابة توضيح وشرح لرؤية كل مركز / مدرسة من موضوع مشاركة الإسلاميين في السلطة، وذلك بتحديد المنطلقات التي ينطلق منها كل فريق، وهل حدث تحول أو تطور في هذه الرؤية.

بخصوص معهد واشنطن فرؤيته تنطلق من أن المصلحة الأمريكية لم تعد في الاستقرار في المنطقة العربية من خلال دعم الأنظمة الاستبدادية، لأنها أصبحت عاجزة عن توفير الاستقرار، وأن البديل عن ذلك هو دعم التغيير والديمقراطية في العالم العربي، ولكن معهد واشنطن متببه لإمكانية بروز وصعود الإسلاميين من خلال الديمقراطية، لذلك فهو يطرح ديمقراطية الاستثناء أو التمييز ضدهم.

وذلك لأنه يرفض (خرافة) وجود إسلاميين

معتدلين والتي يروجها مركز كارنيجي، ويرى أنهم خطر على الديمقراطية والمصالح الأمريكية، وأن قبولهم بالمشاركة السياسية نوع من الخداع، والتعامل الأفضل معهم هو عرقلة مشاركتهم السياسية ومنعهم من الوصول للسلطة ابتداءً، والعمل بشكل سلمي على انهيارهم في حالة وصولهم للسلطة!

وللوصول لهذه الغاية، فإن على أمريكا دعم

المسار الديمقراطي، وتعزيز الحلفاء الطبيعيين لأمريكا وتنشئة حلفاء جدد، ومحاربة الإرهاب لمنع وصول الإسلاميين للسلطة.

ولكن نجاح الإسلاميين في الانتخابات

المتعددة، ووصول محمد مرسي لرئاسة مصر، جعل مركز واشنطن يهمل الدعوة لتعزيز الديمقراطية، ويركز دعوته للإدارة الأمريكية على ضرورة إسقاط الإسلاميين ودعم خصومهم! ويشترك مركز راند معهد واشنطن في جزء كبير من رؤيته هذه.

ثم يورد المؤلف ١٨ مقولة وحجة يستند إليها

معهد واشنطن في تبرير موقفه الرفض لمشاركة الإسلاميين السياسية وهي جوهر محتوى المواد التي أنتجها المركز / المدرسة في الفصل الأول.

أما بخصوص مركز كارنيجي فهو على

النقيض من رؤية معهد واشنطن، فهو يرى ضرورة إشراك الإسلاميين المعتدلين في العملية السياسية في المنطقة العربية من أجل المحافظة على

الإسلاميين نحو (الاعتدال) من خلال تحديد مناطق رمادية في فكر وسلوك الإسلاميين حددها في ست قضايا ثم وسعها أكثر، لتتطور وتتوافق مع المنظومة الغربية، ومما يساعد على تطور الإسلاميين، ويرى المركز ضرورة تعزيز قوة وحضور الأحزاب العلمانية لتنافس الإسلاميين بما يضغط عليهم لسلوك مسار (الاعتدال).

ويضرب المعهد المثل بالتجربة التركية وأن التعتت واللجوء إلى الانقلابات ضد الإسلاميين لم يخدم السياسة الأمريكية في تركيا، بينما القبول بمشاركة الإسلاميين نهض بتركيا وجعلها على مسار بناء مؤسسات ديمقراطية حقيقية.

وهذه الرؤية لا تقتصر على معهد كارنيجي، بل يشاركه فيها معهد بروكغنز ومعهد السلام الأمريكي، ومن أوروبا: معهد العلاقات الدولية والحوار الخارجي في مدريد، ومركز دراسات السياسة العامة ببريطانيا، ولكن الانقلاب على العملية السياسية ومرسي في مصر، جعل مركز كارنيجي يحول اهتمامه لقضايا أخرى مثل التربية والتعليم وحقوق الأقليات.

ثم يستعرض التليدي ٩ حجج تقوم عليها هذه الرؤية، هي محاور المواد التي أنتجها معهد كارنيجي وتم استعراضها في الفصل الأول.

الفصل الثالث والأهم بحسب المؤلف، يعالج أزمة النموذج المعرفي في تناول المراكز الأمريكية لموضوع الإسلاميين، حيث وجد التليدي أن المعهدين برغم تناقض طرحيهما إلا أنهما انطلقا من أطروحة سابقة على البحث، وكان الهدف من البحث تعزيزها وإثباتها!

وأن قضية الديمقراطية ليست مبدئية عند المركزين، بل كان لاعتبار الدينامية السياسية وما فرضه الواقع وتحسين المصالح الأمريكية القول الفصل، فمعهد واشنطن تخلص عن فكرة تعزيز الديمقراطية واهتم بمحاربة الإسلاميين، ومعهد كارنيجي تحول لاهتمامات أخرى بعيدة عن

المصالح العليا الأمريكية، وهو يرفض خيار الاستقرار عبر الاستمرار في دعم الأنظمة المستبدة القائمة، أو خيار الديمقراطية التمييزية ضد الإسلاميين، وذلك أن الضغط على الأنظمة لم يجد نفعاً في الإصلاح السياسي، بل اعتبرت دخلاً في شؤونهم الداخلية، وفي نفس الوقت فإن القوى العلمانية عاجزة ولا قوة لها في الشارع، وليس هناك من حل لتجنب التطرف وزعزعة الاستقرار إلا بقبول إدماج الإسلاميين المعتدلين في العملية السياسية والذين هم القوة السياسية الحيوية في المنطقة.

فمعهد كارنيجي مشغول بالانتقال الديمقراطي الذي يخدم المصالح الأمريكية، ولا يعرض مكتسباتها للخطر، ولكن بسبب تقبل معهد كارنيجي لمشاركة الإسلاميين أصبح له علاقات أوثق معهم مما أتاح له دراسة أطيافهم بشكل أشمل وأدق ومن قرب.

وتقوم رؤية معهد كارنيجي على أن القوى السياسية في المنطقة ثلاث: الأنظمة، المعارضة العلمانية المدنية وهي هامشية التأثير، القوى الإسلامية وهي صاحبة القوة في الشارع، وأن الأنظمة تستغل ضعف القوى العلمانية لتجعلها في صفها في مقابل الإسلاميين، مما يديم حالة الاستبداد والفساد، ولذلك يقترح المعهد دعم الإسلاميين المعتدلين وإقامة جسور بينهم وبين العلمانيين ليصبح هناك ضغط مزدوج على السلطة، مما يجبرها على انتهاج سلوك تصحيح المسار السياسي.

ويرى المعهد أن الاستمرار في دعم الأنظمة المستبدة سيجعل الإسلاميين في طليعة المعارضة ورأس حربة في معاداة الإمبريالية والأنظمة القائمة، وستتصاعد الهوية الإسلامية بينهم، ويحدث تقارب بينهم وبين القوى القومية واليسارية، ويقلل من اتجاه الإسلاميين للاعتدال ويزيد نفوذ التيارات الراديكالية.

ولذلك يركز معهد كارنيجي على تطوير

وفي الخاتمة ينبه المؤلف على خطورة الاستنتاج أن الدراسات الغربية عديمة الجدوى أو أنها دراسات سطحية، برغم السلبات التي كشفتها الدراسة، بل يجب الاهتمام بها مع التيقظ لعيوبها والاستفادة من أدواتها الإجرائية.

وأما عن سؤال: كيف يمكن تقويم دراسات المراكز الغربية عن الإسلام والإسلاميين؟ يأتي الجواب من ثلاث زوايا: الزاوية المعرفية بالاعتماد على الفكر الإسلامي في تفسير مواقف وسلوك الإسلاميين، والتي تشمل علاقة الدين بالسياسة.

ومن الزاوية النظرية تحديد الغرض من الدراسة، هل هو تطويع الإسلاميين للمصالح الغربية، أم نشر الديمقراطية بغض النظر عن مدى توافقها مع المصالح الغربية.

ومن الزاوية المنهجية لا بد من عدم الاقتصار على آليات محدودة مثل المقابلة والملاحظة السلوكية واللقاءات ذات الغرض المحدد، والشفافية في الإفصاح عن الوسائل المستخدمة وطريقة تحويلها إلى مؤشرات صالحة لتوليد خلاصات، وإخضاع المسلمات إلى عملية اختبار ضمن النسق الثقافي والسياسي الذي يحكم العملية السياسية في البلاد العربية.

وهذه القراءة لهذه الدراسة لا تغني عن قراءة الأصل والاستفادة من تفاصيلها الكثيرة ومعلوماتها الغزيرة لكل مهتم بالحركات الإسلامية السياسية.

لقد كان النموذج الغربي للديمقراطية وتحقيق المصالح الأمريكية والغربية هو السقف والمعيار لقياس الديمقراطية واعتدال الإسلاميين، مما جعل هذه المراكز تولد ثلاثة مفاهيم جديدة للديمقراطية، وهي:

١- الديمقراطية التمييزية، والتي تقوم على أن الإسلاميين عدو للديمقراطية ولا مكان لهم فيها، وفي الحقيقة هي محاولة لمنع تأسيس الديمقراطية على نموذج ثقافي مباين للحضارة الغربية.

٢- الديمقراطية الإرشادية، وهي تقوم على ضرورة توافق الإسلاميين مع المعايير والقيم الليبرالية في اللعبة السياسية ليتم قبولهم فيها، والعجيب أن هذه المعايير غير ثابتة بل دائمة الاتساع.

٣- الديمقراطية التدخلية، وهي تعني أنه عند عدم تحمل مخاطر الديمقراطية تقوم الإدارة الأمريكية بإفهام السلطات بالأهداف المطلوب تحقيقها.

إن من المشاكل التي تعاني منها مراكز الأبحاث الأمريكية تجاه الإسلاميين نقص وعدم كفاءة أدوات التحليل، بسبب محاولة دراسة الإسلام والإسلاميين بحسب نموذج الحضارة الغربية، فتقاس الحركات الإسلامية على الأحزاب المسيحية، والأنظمة السلطوية بالأنظمة الديمقراطية، والعملية الديمقراطية العربية بالغربية مع البون الشاسع بينهما، وهكذا.

الذي ينعته بـ«النصيري» سوى ١٢٪.

موقع نور سورية

٢٠١٤/٧/٢١

تزكية إسرائيلية لداعش!

قالوا: بعنوان «داعش غير معنية بقتال اليهود»، قالت صحيفة هاآرتس «الإسرائيلية»، إن هناك قائمة طويلة بالقادة العرب الذين وضعهم تنظيم «داعش» السني كأهداف له، ومن بينهم الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، والملك السعودي، عبدالله بن عبدالعزيز، والعاقل الأردني، عبدالله الثاني، وأيضاً قيادات بارزة بجماعة الإخوان المسلمين، أما اليهود وإسرائيل فليسوا على رأس هذه القائمة. وأضافت «في الوقت الذي تضرب فيه إسرائيل قطاع غزة، شيء رائع أن نعرف أن هناك على الأقل تنظيم إسلامي واحد لم يسارع بتهديد إسرائيل، وهو تنظيم داعش».

المصريون - ٢٠١٤/٧/١٤

أساطير عن داعش

قالوا: الأسطورة الثالثة هي أن نظام بشار الأسد في سوريا هو العدو اللدود لـ«داعش». وأعلنت حكومة الأسد في سوريا أنها في حرب مع الإرهابيين، بينما تظهر «داعش» نفسها بوصفها حامية المسلمين السنة في سوريا من النظم «الملحدة» مثل نظام الأسد. لكن المجموعتين تعارضان المعارضة المعتدلة، وبإضعاف المعارضة المعتدلة يضعف الأسد التهديد الأكبر طويل المدى ضد حكومته. وكانت حكومة الأسد أحجمت عن العمليات

هل ظهر البغدادي؟

قالوا: ظهر البغدادي كما تحديتم، فهلاً بايعتم؟ ونقول: الظهور المعتبر شرعاً والذي وقع عليه التحدي: قبل طلب البيعة، حتى يُعرف للناس ويُعلم، ثم تكون البيعة عن معرفة وقبول!

- الظهور المقصود: ظهور الحاكم المتمكن في حياة الناس ومرافق الدولة، وليس الظهور المحدود المصطنع وقتاً وكيفية.

- الظهور لشخص البغدادي ومعرفة اسمه وشخصه وحده دون بقية أركان دولته بالكامل ليس له أي معنى، فالدولة لا تقوم على فرد أو أفراد، بل على كامل جهاز الدولة.

- هذا الظهور شرط من الشروط لمعرفة شخص البغدادي، والأهم من ذلك بقية الشروط ومنها: معرفة (الحال)، فما حال هذا الرجل؟ ومن زكاه من أهل العلم والمجاهدين؟ فكم شخص معروف باسمه ونسبه قال عنه أهل العلم: مجهول الحال، فسقط!

عماد الدين خيتي -

موقع نور سورية ٢٠١٤/٧/١٧

حقيقة جهاد داعش

قالوا: نشر موقع «وورلدبولتين» التركي المعروف مخططاً توضيحياً لتوزع المعارك بين الأطراف المشاركة في الحرب داخل سوريا، وكشف الرسم التوضيحي عن أن تنظيم «دولة العراق والشام» خاض ٥٦٪ من معاركه مع الفصائل الثورية والجهادية التي تعلن مناوئتها لنظام بشار الأسد، فيما لم تشكل معارك التنظيم مع النظام

العسكرية في بعض المناطق التي يسيطر عليها «داعش»، بينما واصل الطيران الحربي السوري قصف مناطق المعارضة المعتدلة التي تقاتل تنظيم داعش وتشتري النفط منه. بالفعل، لو لم يكن تنظيم داعش موجوداً لصنعه الأسد، وقد فعل ذلك بصورة من الصور. وبمرور الوقت، أدت خطابه وتكتيكاته إلى حدوث رد فعل عنيف بين المسلمين السنة، الذين غيروا النزاع مع بروز جماعات مثل «داعش». ويجد السوريون أنفسهم بصورة متزايدة أمام خيارين: إما نظام الأسد وإما المتطرفين. لكن يبدو أن ذلك التكتيك أخذ في التلاشي مع تقدم الدولة الإسلامية في العراق.

دانيال بيمان -

الشرق الأوسط ٢٠١٤/٧/٨

داعش و«عقيدة» الاستلايت!

قالوا: مناصرو داعش يتهمونا بأننا نسمع عن داعش ولكن لا نسمع منها، ويقولون: «هذه عقيدة الدولة الإسلامية في العراق والشام وحتى لا يبقى لكذاب عذر، أو لمحبة شبهة». فما نحن ننقل ما يصدره تنظيم داعش ويقرّ به ويتفاخر به محبوبه!

جاء في البيان المذكور في البند التاسع عشر: «نرى تحريم كل ما يدعو إلى الفاحشة ويعين عليها كجهاز الاستلايت، ونوجب على المرأة وجوباً شرعياً ستروجها والبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطهر».

نقول باختصار رداً على هذا الكلام الفظيع والمتهاافت في آن معاً:

أولاً: منذ متى كان تحريم الاستلايت وإيجاب ستر وجه المرأة من «العقيدة» حتى يوضع ذلك تحت باب «هذه عقيدتنا»؟! إنما يدل ذلك على ضعف علم قيادة هذا التنظيم المنحرف إلى درجة وقوعهم بما لا يقع فيه طالب العلم المبتدئ من المغالطات، فما بالك بالأتباع؟! ثانياً: جهاز الاستلايت «وسيلة» تنقل النافع والخبيث، والذي يقرّ محتواها هو المستخدم نفسه، كمن يقرأ الكتب؛ يستطيع أن يقرأ الكتب التي تحوي المنكرات، ويستطيع أن يقرأ الكتب النافعة، فلا شيء يحرم تنظيم داعش الاستلايت بهذا الحسم والاختزال؟!!

ثم أليس من الأولى تحريم «الإنترنت» باعتباره أكثر انفلتاً من الاستلايت بأضعاف مضاعفة دون شك، ويحوي من الفواحش والمنكرات ما الله به عليم؟ فلماذا لم يذكره البغدادي في بيانه وهو أولى بالتحريم بناء على ما يقوله؟ ولماذا نرى أن أعضاء داعش ومناصريها يكثرون من استخدام الإنترنت، بل يمارسون فيه نشاطاً إعلامياً جباراً للترويج لتنظيمهم، رغم أنه «مما يدعو إلى الفاحشة» بناء على معيار بيان «هذه عقيدتنا»؟ أم إن الإنترنت جائز لأنه يخدم عملية الترويج للتنظيم؟!

شريف محمد جابر -

موقع نور سورية ٢٠١٤/٧/١٢

بتحيزات أيديولوجية خاصة بعد أحداث ١١
أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ [٤].

ولكن بمقدور المرء على أية حال أن يستخلص
بعض السمات الرئيسة التي تحدد بدرجة أو بأخرى
كنه الفاعلين من غير الدول:

- ❖ كيان منظم يمتلك هيكل للقيادة؛
 - ❖ يحظى بقدر كبير من الاستقلالية عن
سيادة الدولة؛
 - ❖ يمثل ويعبر عن جماعة معينة إثنية أو هوياتية
أو أيديولوجية؛
 - ❖ له أهداف سياسية معينة يسعى لتحقيقها؛
 - ❖ يملك القوة (صلبة أو ناعمة) التي تؤهله
لتحقيق هذه الأهداف؛
 - ❖ ومن ثم هو يؤثر على سياسة الدولة، وقد
يمتد للتأثير على السياسة الدولية نفسها.
- إنطلاقاً من هذه السمات يتم تقسيم الفاعلين
من غير الدول على أساس معايير عدة ولكن أهمها
معياري:

(١) التسليح: وعلى أساسه ينقسم الفاعلين من
غير الدول إلى: فاعلين من غير الدول عنيفين
VNSAs أو مسلحين ANSAs. وفاعلين من غير
الدول سلميين أو غير مسلحين.

(٢) نطاق الفعل: وعلى أساسه ينقسم الفاعلين
من غير الدول إلى: فاعلين محليين؛ أي أن نطاق
عملهم لا يمتد خارج الدولة. وفاعلين دوليين؛ أي أن
نطاق عملهم يمتد إلى خارج الدولة.

وبناءً عليه يدخل تحت مسمى الفاعلين من غير
الدول الكثير من الكيانات، ولعل أهمها:

عصف مأكول وجرف صامد:

في الدلالات السياسية لجولة جديدة بين إسرائيل وحماس

طارق عثمان - موقع مركز نماء ٢٠١٤/٧/٢٠

مقدمة

منذ صلح وستفاليا [١] كان ينظر إلى الدولة
القومية الحديثة بوصفها الوحدة السياسية
الوحيدة، التي يتمحور حولها الفعل السياسي
البشري في كليته. ولكن الحال قد تغير منذ أن
صرنا نحيا في عالم ما بعد حديث؛ لقد أنزلت
الدولة الحديثة بما هي أداة احتكار مطلق للقوة من
على عرشها؛ لقد أصاب ليفياثان هوبز [٢] الوهن
إذن، ولم يعد الفعل السياسي حكراً على الدولة
التنين. فثمة نمط جديد من الفاعلين قد بزغ
لينافسها في حق تملك القوة، إنه ما بات يعرف في
الأدبيات السياسية بـ«الفاعلين من غير الدول» [٣]
non-state actors (NSAs). فما هو كنه هذا
الفاعل يا ترى؟

الحق أنه ليس ثمة تعريف مجمع عليه للفاعلين
من غير الدول، ربما يرجع ذلك في جزء منه لحدثة
الاهتمام النظري به في حقل العلوم السياسية
والعلاقات الدولية تحديداً. وفي جزء ثانٍ إلى تعدد
أشكال هذا الفاعل بحسب المعايير التي يمكن
تصنيفه على أساسها. وربما في جزء أخير إلى كون
التعاطي مع الفاعلين من غير الدول كان مشوباً

❖ الشركات متعددة الجنسيات أو قل العابرة للقوميات [٥] multinational corporations (فاعل دولي غير مسلح)

❖ شركات الأمن الخاصة [٦] (فاعل دولي مسلح)

❖ حركات التمرد والانفصال [٧] (فاعل محلي مسلح)

❖ المنظمات الدولية غير الحكومية [٨] (فاعل دولي غير مسلح)

❖ المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني (فاعل محلي غير مسلح)

❖ التنظيمات الإسلامية الجهادية أو حركات المقاومة: وهي بحسب معيار التقسيم الأول فاعل مسلح. ولكنها بحسب المعيار الثاني تنقسم إلى فاعلين دوليين مثل: تنظيم القاعدة. وفاعلين محليين مثل: حزب الله في لبنان، وحركة حماس في فلسطين.

هذا هو الإطار التحليلي الذي يمكننا أن ننظر من خلاله لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، إذ هي فاعل من غير الدول مسلح ومحلي، تتوفر فيه كل السمات المميزة لهذا التصنيف؛ فهي مستقلة بدرجة كافية تمامًا عن سلطة الدولة (السلطة الفلسطينية أو إسرائيل)، تمتلك بنية تنظيمية صلبة، وتمثل جماعة معينة؛ وهي كل من يرفض الاحتلال الإسرائيلي ويدعو لمقاومته بالسلاح، وتمتلك هدف سياسي واضح تنغيا تحقيقه وهو تحرير الأرض الفلسطينية، وتملك من القوة (الصلبة في المقام الأول) ما يمكنها من السعي وراء هدفها، وهي من ثم فاعل مؤثر على الساحة السياسية الفلسطينية، بل تأثيرها ربما يمتد لمجمل الساحة السياسية الإقليمية. تمتلك حماس إذن كفاعل سياسي برنامجاً لسياستها الخارجية مع دول الإقليم وغيرها، كما تملك برنامجاً عسكرياً موجهاً حصراً ضد المحتل الإسرائيلي.

في هذه الورقة سننظر في ديناميكيات هذين البرنامجين من خلال جولة الصراع الجديدة التي

اندلعت بين حركة حماس وإسرائيل في شهر يوليو [٩] ٢٠١٤، والتي جاءت بعد مرور عامين على آخر جولة بينهما [١٠]. ولن يكون ههنا في واقع الأمر رصد التفاعلات العسكرية في هذه الجولة، وإنما سننشل بالتفتيش عن الدلالات السياسية المختلفة لها.

الداخل الفلسطيني: أزمة معممة

ما هو السياق السياسي الفلسطيني الذي اندلعت فيه هذه الجولة بين إسرائيل وحماس؟ لو عدنا خطوات للوراء قبل اندلاع هذه الجولة؛ سنجد أنفسنا أمام حدث المصالحة بين حركتي فتح وحماس في شهر إبريل ٢٠١٤ [١١]، والحال أن هذه المصالحة تبثنا عن مدى الأزمة التي تعصف بكل من فتح وحماس، كيف ذلك؟ ربما لم يأمل الفلسطينيون في شيء وبأسوا من تحققه مثل المصالحة الفلسطينية بين حركتي فتح وحماس، ثمة محاولات فاشلة يتلوها محاولات أكثر فشلاً، وعبر وساطات متنوعة، مصرية حياً وقطرية حياً آخر، ولكن بلا جدوى، ربما كانت الخلافات بين الفريقين أكثر جذرية من أن تسمح بإجراء مصالحة حقيقية بينهما. فما الذي تغير إذن حتى يخرجنا علينا باتفاق مصالحة قد تم توقيعه بلا صخب أو وساطات معلنة؟ إنها الأزمة التي جعلت الأرض تמיד من تحت أقدامهما، بحيث لم يكن ثمة خلاص منها إلا باللجوء إلى المصالحة؛ فمن ناحية «فتح» كان الوضع كالأتي: الشيء الوحيد الذي تحاول السلطة الفلسطينية شرعنة وجودها به: هو إحراز أي تقدم في المفاوضات مع إسرائيل ضمن المسار العام لعملية سلام إسرائيلية فلسطينية، هي قد ماتت بالفعل [١٢]. والحال أن السلطة الفلسطينية قد وجدت نفسها في طريق مسدود؛ فالإستيطان مستمر على قدم وساق، والحكومة الإسرائيلية تبدي تعنتاً مخيفاً، ولا تتوي تقديم أية تنازلات، حتى مع ضغط إدارة أوباما عليها. لا أمل إذن في تحقيق أي إنجاز في عملية التفاوض، ليس ثمة مخرج في واقع الأمر سوى تحريك مياة الصلح

أما فيما يخص الأخيرة: فبعد الإطاحة بحكم جماعة الإخوان المسلمين في مصر، ومجيء رجل عسكري يُكن لها قدراً غير يسير من البغض، ضاع السند الذي كانت تعول عليه الحركة، خاصة بعدما تدهورت علاقتها مع طهران بسبب موقفها من الثورة السورية [١٣]. ثمة أزمة مركبة إذن تعصف بحماس، هذا هو وجهها السياسي. أما عن وجهها الاقتصادي، فتحت الحصار المضروب على القطاع، وبعدما دمر الجنرالات في القاهرة الكثير من الأنفاق الحدودية الواقعة بين مصر وغزة، وانخفاض الدعم المالي الإيراني، صارت حكومة غزة عاجزة عن دفع أجور موظفيها، الذين يقدر عددهم بـ ٤٣ ألف موظف، وتدهورت الخدمات الصحية وخدمات الكهرباء في القطاع، ليس ثمة طريق إذن لحلحلة هذا الوضع المأساوي سوى تحريك مياه الصلح الراكدة مع حركة فتح.

بالفعل تم التوقيع على اتفاق الصلح، والذي يقضي بتشكيل حكومة وحدة وطنية من الخبراء اللامنتمين لكلا الحركتين، لتدير شؤون كل من الضفة والقطاع، إلى أن تجرى الانتخابات التشريعية والرئاسية فيما بعد، ومع أن بنود المصالحة لم تدخل حيز التنفيذ بعد، ولم تتعرض لكثير من التفاصيل التي يكمن فيها الشيطان على الدوام كما يقال، إلا أنها قد أثارت حنق الولايات المتحدة، لقد عدتها بمثابة خيانة من السلطة الفلسطينية لمسار عملية السلام. أما إسرائيل فقد اعتبرت الاتفاق بالرغم من تواضع الآثار العملية التي يمكن أن تترتب عليه، جرم لا يغتفر من قبل السلطة الفلسطينية، وقررت فرض عقوبات عليها (حجب نفقاتها على حكومة عباس)، والتوقف عن المضي قدماً في سبيل المفاوضات، الذي كان غير مجدٍ على أية حال. ومنذ ذلك الحين وإسرائيل غاضبة تماماً.

لقد كان حدث المصالحة هو النقطة التي نبتت

فيها جذور هذه الجولة الأخيرة من القتال بين إسرائيل وحماس، وما كان اختطاف الثلاثة مراهقين وقتلهم إلا تكتة اتخذتها إسرائيل لتنفيذ مآربها؛ لقد أرادت أن تهدم اتفاق المصالحة من القواعد، وتعيد عقارب الساعة إلى لحظة ٢٠١٢؛ فبمجرد ظهور جثث اليهود الثلاثة قامت باعتقال معظم أعضاء حماس الذين حررتهم قبل فترة بموجب صفقة شاليط في ٢٠١١، ثم راحت تقصف حماس جواً وبحراً لتعيد إلى الأذهان عدوان ٢٠١٢. ما الذي تريده إسرائيل حقاً من هذه الجولة؟ وماذا يمكن لحماس هي الأخرى أن تحصل عليه من ورائها؟

عدوان ومقاومة: مراوحة المكان

ما الذي كانت تريده إسرائيل تحديداً عندما راحت تقصف غزة، ثم القيام بمهاجمتها برياً؟ هل تريد إسرائيل أن تزيل حماس من الوجود؟ لو اتفقنا أن استيقاظ إسرائيل يوماً ما لتجد الأرض قد خلت من حماس هو أمنية عزيزة عليها؛ فإنه لا يسعنا أبداً القول بأنها جعلت من تحقيق هذه الأمنية هدف عدوانها الأخير، لماذا؟ واقع الأمر أن تدمير سلاح حماس كلية سيحتاج إلى معركة دموية طويلة الأمد وغير مضمونة النتائج؛ سوف تستعدي إسرائيل العالم عليها أكثر، والأهم أنها ستتكد خسائر فادحة جراء اجتياحها الكامل للقطاع، ستخسر الكثير من جنودها، وبالتالي ستخسر الغطاء الشعبي لحربها. وفوق ذلك لا تضمن أبداً أنها قد تخلصت من حماس، ولن تكون لها حاجة في صافرات الإنذار، لأن الصواريخ لن تطلق عليها من غزة بعد اليوم. فحتى لو دمرت إسرائيل البنية التحتية لمؤسسات حماس، فستظل الحركة فاعلاً بقوة في السياسات الفلسطينية، ويمكنها أن تقوم بعملياتها ضد إسرائيل كما كانت تفعل بدون تلك البنية حتى انسحاب إسرائيل منها في ٢٠٠٥. علاوة على ذلك؛ ستجد إسرائيل نفسها - في اليوم الذي يلي سحقها المفترض لحماس - أمام وضع لا

تحسد عليه؛ فهي أصبحت مرة ثانية في وضع المحتل المباشر الذي تحرص بأشد الحرص أن تتجنب كلفته الباهظة؛ ستكون مضطرة وقتها أن تبحث عن قيادة فلسطينية للقطاع تحظى بقدر من الرضا الشعبي، وذلك في عداد المحال، وإن لم تجده سوف تترك القطاع بلا حكومة، مما سيجعلها مرتع خصب للجهاديين أو حتى لدولة «داعش» الجديدة، وهؤلاء هم آخر من تود إسرائيل أن تراهم على حدودها، كبديل عن حماس.

ما الذي تتقصده إسرائيل إذن من هذه الجولة؟ كل ما دون القضاء على حماس، وأهمه:

أولاً؛ السعي قدر المستطاع لتدمير الأنفاق التي بنتها غزة لتصل من خلالها للعمق الإسرائيلي، إنها أنفاق متعددة المداخل والمخارج، وواسعة لدرجة تسمح بمرور شاحنة، القصف الجوي لن يضمن تدمير كل مداخل الأنفاق، ومن ثم عملية برية محدودة يمكنها أن تضمن تدميرها بدرجة أكثر. ثانياً؛ تدمير أكبر قدر ممكن من مخازن الأسلحة والصواريخ.

ثالثاً؛ مزيد من الضحايا المدنيين والذي ربما يساهم في رفع الغطاء الشعبي عن الحركة.

رابعاً؛ إسرائيل تطمح في أن تتسبب هذه العملية في خلق المصالحة الفلسطينية في مهدها،

هذا هو مقصد إسرائيل من العدوان، فكيف هو الأمر بالنسبة لحماس؟ قطعاً حماس تبادل إسرائيل نفس الشعور وتود أن لو صارت إسرائيل أثراً بعد عين. لكن إذا كانت إسرائيل لا تتحمل تبعات القضاء على حماس، فإن حماس عاجزة بالفعل عن تدمير إسرائيل. في ماذا تطمح إذن حركة المقاومة؟ بداية حماس لم ترد أن تخوض معركة جديدة مع إسرائيل، هي قد أجبرت على الدخول فيها. لقد رأت أن إسرائيل قد عزمت على شن هجوم عليها بعد ظهور الجثث الثلاث، بغض النظر عن إطلاق حماس للصواريخ من عدمه، لم يكن ثمة بُد إذن من القتال. ولكن إذا كانت حماس قد انخرطت في هذا القتال رغماً عنها، لماذا

ردت بكل عنف على القصف الإسرائيلي؟ ولماذا تبدي قدراً رهيباً من التعنت أمام محاولات وقف إطلاق النار؟ خاصة إذا كانت هي موقنة من عدم قدرتها على تحقيق النصر في نهاية المطاف.

يمكن فهم ديناميكيات سلوك الحركة في هذه الجولة كآلتي: الحركة متيقنة من أن إطلاق النار سيتوقف يوماً ما، ولكنها تريد أن تضمن حصولها على أكبر قدر من المكاسب عندما يحدث ذلك، كيف سيتأتى لها ذلك؟ إنها سياسة السير نحو حافة الهاوية؛ حماس نعم لن تقتصر على الجيش الإسرائيلي ولكنها ستحاول إنهاكه استطاعت إلى ذلك سبيلاً (ستزيد حدة هذا الإنهاك حال اجتياح الجيش الإسرائيلي غزة وخوضه حرب عصابات مع الحركة)، ثم هي ستكثف القصف الصاروخي (والذي يصل لأول مرة إلى العمق الإسرائيلي) مما سيربك المجتمع الإسرائيلي ويلقي في قلوب الإسرائيليين الرعب، هذا هو الهدف الرئيسي من القصف الصاروخي في واقع الأمر [١٤]. كل هذا سيزيد من كلفة العدوان الإسرائيلي ومن ثمة حينها وحينها فقط سوف تكون إسرائيل مرغمة على وقف إطلاق النار بحسب الكثير مما تمليه حماس من شروط، بدون هذا التصعيد من قبل حماس لن تكون إسرائيل مضطرة لمراعاة شروط حماس عند أي اتفاق لوقف إطلاق النار. ومما يشجع الحركة أكثر على سياستها هذه، كونها ليس لديها الكثير لتخسره بالفعل؛ فالأوضاع الإنسانية في غزة توشك أن تكون في الحضيض؛ ثمة نقص حاد في الأدوية والكهرباء والبنزين وغيرها من الحاجات، أيضاً هي عاجزة عن دفع رواتب موظفيها.

ولكن ما هي الشروط التي ترغب حماس في إملائها عند أي اتفاق لوقف إطلاق النار؟ هي ببساطة تطمح في تحقيق أقصى ما يمكنها من مكاسب تجعل الحياة في غزة طبيعية؛ أي رفع الحصار وفتح المعابر للسماح بدخول أغراض البناء والسلع المختلفة والمواد الغذائية للقطاع، خاصة معبر

رفع مع مصر (بعدها دمرت الأخيرة الأنفاق التي كانت تنقل عبرها السلع الضرورية لغزة) ثم هي تريد إطلاق سراح معتقليها لدى إسرائيل. وأن توقف الأخيرة حملات الاغتيال النوعية لقادتها العسكريين. الأمر يشبه كثيراً ما حصلت عليه من موافقتها على وقف إطلاق النار في ٢٠١٢ والذي تم برعاية مصرية حينئذ [١٥]. ولكن يا ترى برعاية من يمكن لحماس أن تحصل هذه المرة على اتفاقية كذلك؟

من حجارة السجيل للعصف المأكول: أين تقف القاهرة؟

ربما كانت مشكلة حماس السياسية الأكبر هو افتقادها لظهير سياسي عربي قوي يوفر لها غطاءً سياسياً. لا أحد يجرؤ على معاداة إسرائيل والولايات المتحدة التي تعامل حماس بوصفها كيان إرهابي. كانت الحركة في واقع الأمر تعول على إيران وحليفاتها سوريا، لتوفير هذا الغطاء بقدر أو بآخر؛ سوريا كانت تأوي مكاتب وقيادات الحركة، وإيران توفر لها المال والسلاح، ولكن جاءت رياح الربيع العربي بما لا تشتهي سفن حماس، وكان عليها أن تكون في صف الثورة السورية ضد الأسد، ومن ثم أغضبت منها طهران بشدة، وكادت العلاقات بينهما أن تدهور تماماً. ولكن كان ثمة ضوء في نهاية النفق بالنسبة لحماس؛ فربما كان في وصول جماعة الإخوان المسلمين للحكم في مصر عوضاً لها عن كل خسارة، فهل حقا حدث هذا؟ بادي الرأي كان رحيل نظام مبارك المعادي للحركة ومجيء الإخوان للسلطة مكانه، يظهر كأنه نقلة جذرية تماماً في علاقة حماس بمصر، ولكن عند التحقيق لم يمثل ذلك فرقاً مذهباً في واقع الأمر، لقد كانت عملية عمود الغمام أو قل حجارة السجيل بلغة حماس أول اختبار لمدى التغيير الذي يمكن لجماعة الإخوان أن تحدثه في طبيعة السياسات المصرية تجاه حماس؛ لم يكن بمقدور الرئيس مرسي (وحماس على يقين

من ذلك) أن تقف بجانب حماس ضد إسرائيل كما ينبغي أن يحدث، لم يكن بوسع مصر الجديدة المثقلة بمشاكل إقتصادية وسياسية مريعة أن تناصب الولايات المتحدة العداء، وهي التي بذلت جهداً مضنياً لإقناعها بأن مصر لن تمس اتفاقية كامب ديفيد بسوء. إن آخر ما كانت تحتاجه مصر وقتها أن تناصب أحداً العداء، حتى لو كان ذلك من أجل حماس. ما الذي أعطته مصر لحماس إذن؟ في مستوى ظاهري، بالغت مصر في نكيرها على إسرائيل، وأرسلت رئيس وزرائها لغزة وهي تحت القصف كآية على الدعم المطلق. ومعبر رفح كان بالفعل مفتوحاً، وقيادات حماس تتحرك بحرية في أرجاء القاهرة. أما بصورة جوهريه فلم تقدم مصر لحماس الكثير، هل زودتها بالسلاح للانخراط مزيداً في قتال إسرائيل على سبيل المثال؟ أو هددت إسرائيل وأرغمتها على وقف العدوان وإلا ستخسر مصر وللأبد؟ لا ما فعلت هذا ولا ذلك وما كان ذلك بمكنتها أصلاً. أي فرق جوهري بالنسبة لحماس قد شكله وجود الإخوان في السلطة في مصر ما بعد مبارك؟ لقد استطاعت مصر أن تتجزأ اتفاقاً لوقف إطلاق النار ليس مفصلاً على رغبات إسرائيل تماماً وإنما كان أيضاً منصفاً لحماس بدرجة أو بأخرى.

هذا هو موقف القاهرة وقتها، فكيف هو الآن بعدما أطيح بالإخوان من السلطة وجاء الجنرال السيسي من بعدهم؟ ثمة تقارير تؤكد وجود رئيس المخابرات المصري في تل أبيب في الليلة التي سبقت بداية العدوان الإسرائيلي على غزة [١٦]، ألا يذكروا ذلك بلحظة ٢٠٠٨/٢٠٠٩ حين كانت تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية وقتها تقف في شرم الشيخ بجوار وزير خارجية مبارك في اليوم الذي سبق عملية «الرصاص المصبوب» على غزة؟ لقد عادت سياسات مصر تجاه غزة إذن إلى سابق عهدها، وبدى التحول (والذي لم يكن جوهرياً بصورة جذرية) الذي أحدثه الإخوان المسلمين في

هذه السياسات قد ضاع تماماً بمجئ السيسي إلى الحكم من بعدهم. تعاملت القاهرة بادئ الأمر ببرود شديد مع العدوان، ويكأن الأمر لا يعنيها في شيء. ثم بعد ذلك تشجعت وزارة الخارجية وقامت بإصدار بيان يطالب بوقف إطلاق النار، ويؤكد وقوف مصر بجانب الفلسطينيين، ثم بيان مشابه على لسان المتحدث باسم الرئاسة قد صدر ليدكر ما ذكره سابقه، فقط سيعلم أن مصر سوف ترسل مواد غذائية وطبية كمساعدات عاجلة لشعب غزة. يلاحظ أن التغيرات الخطائية التي كان الرئيس محمد مرسي قد طعم بها الموقف المصري تجاه العدوان على غزة قد أزالها السيسي وأعاد الأمور لما كانت عليه. على حين غرة من أمرنا ستعلن القاهرة عن مبادرتها لوقف إطلاق النار (والتي كانت بضغط من واشنطن فيما يبدو) والتي ستعلن إسرائيل موافقتها عليها بسرعة مريبة، في حين أن حماس ستنتفي بادئ الأمر أنه تم توجيه خطاب رسمي لها بالمبادرة، ثم بعد ذلك ستعلن بوضوح رفضها التام لما جاء فيها. أية مبادرة هدنة بين طرفين هذه التي لا ينبئ الوسيط فيها واحد منهما عنها شيئاً؟ إنها مبادرة تلائم واحداً منهما تماماً وتظلم الآخر بلا شك.

قدمت القاهرة مبادرة تضمن لإسرائيل ما تريده: وقف إطلاق الصواريخ من غزة، ولكنها في المقابل لا تضمن لحماس أي شيء، فقط وقف العدوان عليها دونما حديث عن رفع الحصار وفتح المعابر وإطلاق سراح المعتقلين لدى إسرائيل. إنها صيغة كان على حماس أن ترفضها قطعاً، ثم تسير بإسرائيل نحو حافة الهاوية، كيما تحصل على اتفاقية أكثر عدلاً. يمكننا أن نفهم المبادرة المصرية بمعرفتنا أين تقف القاهرة تحديداً هذه المرة؟ إن القاهرة تعامل حماس بوصفها جزء من جماعة الإخوان «الإرهابية» لا بوصفها جزءاً من الشعب الفلسطيني في غزة والذي يقدر بمليون ونصف نفس في واحدة من أكثر البقاع كثافة سكانية في العالم، محاصرون تماماً من قبل

إسرائيل وتقتل فيهم ليل نهار، لا تراهم القاهرة التي يحكمها الجنرالات هكذا، وعليه فإنها لا تنظر لإسرائيل كمعتدي يجب رده عن غيه، ولا لحماس وشعب غزة من خلفهم كضحية يجب نصرها، القاهرة تقف بجوار تل أبيب هذه المرة، وودت أن لو سحقت الأخيرة حماس وقضي الأمر.

من الذي بقي لحماس إذن بعد خسران القاهرة؟ بالنسبة للسلطة الفلسطينية والتي كان ينتظر منها بعد توقيع المصالحة أن تغير موقفها تجاه غزة، فقد خيبت آمال حماس تماماً؛ فها هو عباس يتكلم بكلام بارد (كعادته دوماً في مثل هذا السياق) يساوي فيه بين إسرائيل وحماس، قائلاً أنه لا يعنيه من ينتصر، فقط يود أن تنتهي المجزرة. ولا يزال التنسيق الأمني مع إسرائيل على ما هو عليه في الضفة. ربما سيكون هذا الموقف من السلطة أول مسمار في نعش المصالحة بينها وبين حماس.

بقي لحماس إذن كل من تركيا وقطر، وحدهما يمكن أن يحل محل القاهرة كوسيط أكثر عدلاً يمكنه أن ينجز اتفاقاً لوقف إطلاق النار لا يبخس حماس حقها. والحال أن إسرائيل تؤثر قطعاً القاهرة على كل من الدوحة وأنقرة، هي ترى أن أي اتفاق لوقف إطلاق النار تتوسط فيه القاهرة سيكون في صالحها أكثر من ذلك الذي تتوسط فيه تركيا أو قطر؛ فعلاقة إسرائيل بتركيا توشك أن تكون في الحضيض، وقطر تدعم الحركة صراحة وتأيي قادتها.

خاتمة

استغلت إسرائيل حادثة مقتل الإسرائيليين الثلاثة وهجمت على غزة بغرض تدمير الأنفاق وأكبر قدر من مخزون صواريخ حماس. ردت الأخيرة بقصف عنيف وصل لعمق إسرائيل هذه المرة وشل الحياة في مدنها بطريقة شبه تامة. هذه حرب ليس فيها ثمة منتصر، وكلا الطرفين موقنان بذلك، كلاهما يأمل أيضاً أن يتم وقفها في أسرع وقت، وما التصعيد إلا بغرض حرص كل منهما على الوصول إلى اتفاقية لوقف القتال تكون في

القومية، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٠٧، نوفمبر ١٩٨٦.

[6] وهم شكل حدائي للمرتزقة، لعل أشهرهم شركة بلاك ووتر الأمريكية.

[7] وهي منتشرة في كثير من دول العالم، مثل نمور التاميل وإيتا وحزب العمال الكردستاني، وغيرهم.

[8] مثل الأمم المتحدة، ومجلس الأمن. مع لفت النظر إلى أن تلك المؤسسات تسيطر عليها القوى العظيمة بطريقة تكاد تنسف سمة الاستقلالية وهي السمة الأهم للفاعل من غير الدول.

[9] اندلعت هذه الجولة على إثر اختطاف ثلاثة مرهقين إسرائيليين في الضفة الغربية، بعدما فتشت عنهم إسرائيل باستماتة وقلبت الضفة رأساً على عقب، واعتقلت جل أعضاء حماس بها، فشلت في العثور عليهم. بعدها تم إظهار جثث المختطفين الثلاثة، تم قتل طفل فلسطيني آخر كرد انتقامي، وبادرت إسرائيل بتحميل حركة حماس المسؤولية عن العملية، بالرغم من كونها ولا غيرها من الفصائل الفلسطينية أعلن مسؤوليته عنها. شنت إسرائيل حرب جوية بدءاً من ٨ يوليو قتلت ما يقارب من ٢٥٠ فلسطيني حتى الآن، وقابلتها حماس بقصف صاروخي كثيف طال هذه المرة تل أبيب نفسها، لقد أطلق من غزة ما يقرب من ١٧٠٠ صاروخ ولكنها لم تسفر إلا عن قتل مدني إسرائيلي واحد، وفي ١٧ يوليو قامت إسرائيل بتدشين عملية غزو بري للقطاع وما زالت مستمرة حتى كتابة هذه الورقة. وللمزيد راجع: العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقدير موقف، ١٠ يوليو ٢٠١٤.

[10] وهي عملية عمود الغمام أو حجارة السجيل كما سمها حماس، في نوفمبر ٢٠١٢.

[11] للمزيد عنه راجع: المصالحة الفلسطينية: دوافعها وآفاقها، المركز العربي للأبحاث ودراسة

صالحه؛ إسرائيل تطمح في اتفاقية لا تعطي حماس أي شيء، بينما حماس تطمح في اتفاقية تعيد الحياة إلى طبيعتها في غزة على الأقل كاتفاقية ٢٠١٢. وتكمن المشكلة في غياب وسيط مناسب لإنجاز اتفاقية يقبل بها الطرفان. مصر هي الخيار الأول، ولكن ليس من المرجح بحسب موقفها من العدوان حتى اللحظة أن تنجح في ذلك، ربما تحت ضغط من واشنطن وسعيًا منها للحفاظ على دورها التاريخي في هذه القضية، تلين ولو قليلاً تجاه حماس وتقدم لها اتفاقية معقولة. بالنسبة لتركيا؛ فهي وسيط مستبعد نظراً لقتامة علاقتها بإسرائيل راهناً. وتبقى قطر وسيط محتمل بشدة، يمكنه أن ينجز اتفاقية مقبولة في إطار دولي برعاية الأمم المتحدة وواشنطن. وإلى حين التمكن من إنجاز اتفاقية هذه الاتفاقية، من المرجح أن تستمر إسرائيل في عدونها على القطاع، وتستمر حماس في المقاومة.

[1] نسبة إلى مقاطعة وستفاليا الألمانية، وهو الصلح الذي تم في ١٦٤٨ لينهي الحروب المريعة المعروفة بحرب الثلاثين عام والتي دارت بين ممالك الامبراطورية الرومانية، ويؤرخ به لتأسيس مبدأ سيادة الدولة.

[2] توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) الفيلسوف الإنجليزي الشهير، وكتابه الليفيثان أو التنين الذي ينظر فيه لسلطة الدولة المطلقة، مشبهاً إياها بالليفيثان وهو حيوان بحري أسطوري مخيف ذكر في الكتاب المقدس.

[3] للمزيد عما سأذكره راجع: William Wallace, Daphne Josselin (editors), non-state actors in world politics, Palgrave Macmillan, 2012

[4] حيث تم استخدام مصطلح الإرهاب بتعميم فظيع، وتم التعاطي مع الكثير من الفاعلين من غير الدول بوصفهم جماعات إرهابية.

[5] للمزيد عنها راجع: سعيد، محمد السيد، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة

[12] للمزيد عنها راجع: ثياب الإمبراطور الخفية: الفلسطينيون ونهاية عملية السلام، مجموعة الأزمات الدولية، مايو ٢٠١٢.

[13] عن موقف حماس من ثورتى مصر وتونس راجع: ضوء في نهاية النفق: حماس والانتفاضة العربية، مجموعة الأزمات الدولية، أغسطس، ٢٠١٢.

[14] فحوالي ١٧٠٠ صاروخ قد أطلقوا من غزة حتى الآن قد أسفروا عن مقتل مدني إسرائيلي واحد!

[15] للمزيد عنه راجع: إسرائيل وحماس: النار ووقف إطلاق النار في الشرق الأوسط الجديد، مجموعة الأزمات الدولية، نوفمبر ٢٠١٢

[16] العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقدير موقف، ١٠ يوليو ٢٠١٤

بدعة في فقه الجهاد

د. بند الشويقي - صفحته على تويتر ٢٠١٤/٧/٢٠

«المجاهدون داخل فلسطين - وفقهم الله جميعاً - يعانون مشكلاتٍ عظيمةً في جهادهم لأعداء الإسلام فيصبرون عليها، رغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته، وبكل ما يستطيع من صنوف الدمار، وهم - بحمد الله - صامدون وصابرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله ... لم يضاعفوا، ولم تلن شكيمتهم ولكنهم في أشد الحاجة إلى دعم إخوانهم المسلمين ومساعدتهم بالنفوس والأموال في قتال عدوهم عدو الإسلام والمسلمين وتطهير بلادهم من رجس الكفرة وأذنانهم من اليهود».

تلك قطعة من كلام الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله - في بيان أصدره عام (١٤١٠هـ)، ونشره بمجلة البحوث الإسلامية حاشاً

في تلك الانتفاضة لم يكن الفلسطينيون يملكون صواريخ كالتى معهم الآن، حتى البنادق لم تكن شائعة بأيديهم كما هو الحال اليوم، كانت ألتهم الرئيسة (الحجارة)، أما جنودهم، فقد اشتهر حينها عبر وسائل الإعلام مصطلح: (أطفال الحجارة)، بسبب كثرة الأطفال المشاركين في المواجهات مع العدو وهم لا يملكون بأيديهم سلاحاً سوى الحجر والمقلع، يواجهون بهما الدبابة والمدفع والطائرة.

كانت الأخبار تتقل لنا - بانتظام، وكل يوم - سقوط عددٍ من الأطفال والنساء والرجال، ممن نحتسبهم شهداء عند الله، وصار من المشاهد المعتادة التي نراها عبر الصحف والشاشات منظر الأم الفلسطينية الثكلى، تحتضن فقيدها وتبكيه، غير أنها تتوعد بالويل والثبور لمن قتله، في ثبات يهزُّ القلوب مثلاً يدميها.

استمرت الانتفاضة أكثر من أربع سنوات، سقط بل ارتفع إن شاء الله - فيها من الفلسطينيين أكثر من (١٣٠٠) شهيد، زيادة على التشريد والهدم الذي كان يلحق المنازل؛ إذ كان الصهاينة يعمدون إلى هدم بيوت الأسر التي يشارك أبناؤها في الانتفاضة.

هدأت تلك الانتفاضة عام (١٤١٢هـ)، غير أنها عادت فاشتعلت من جديد بعد حوالي عشر سنوات، إثر دخول الهالك شارون باحة المسجد الأقصى، واشتباك جنوده مع المصلين الذين حاولوا منعه، فانطلقت بعد ذلك شرارة انتفاضة ثانية استمرت خمس سنوات أخرى.

كانت المواجهات في الانتفاضة الثانية أشدَّ عنفاً من الأولى؛ قتل اليهود فيها حوالي (٤٥٠٠) من الفلسطينيين، زيادة على حوالي خمسين ألف جريح. واجتاح اليهود خلال تلك السنوات غزة والضفة عدّة مرات، في ظل ثبات واستبسالٍ عظيمين من أهل فلسطين.

كانت هذه -وما زالت- حال الفلسطينيين

مع اليهود. وكان المسلمون عامةً، وأهل العلم خاصةً في طول العالم الإسلامي وعرضه -على اختلاف مشاربهم- يناصرونهم ويقفون معهم.

كانت الفتاوى تصدر، والتبرعات تجمع، والندوات والمؤتمرات تعقد بمشاركة أكابر العلماء، وتخرج التوصيات المنادية بمناصرة الفلسطينيين ودعم صمودهم. وخطاب الشيخ ابن باز -رحمه الله- الذي نقلته مطلع كلامي كان واحداً من مظاهر التأييد والنصرة التي كانت الموقف الشرعي البدهي الذي لا يُتظَرُّ من عالم بدين الله غيره. ولم نكن نسمع خلافاً في هذا، إلا موقفاً متحفظاً من الشيخ الألباني -رحمه الله- في اجتهاد هو فيه مأجور إن شاء الله.

لم يقتصر الأمر على العلماء، بل حتى على المستوى الرسمي كان الموقف لا يحمل سوى التأييد والدعم العلني. والمتابع يتذكر حين طلبت بريطانيا تغيير سفير المملكة بلندن عام (١٤٢٣هـ)، بسبب قصيدة قالها في مدح امرأة فلسطينية نفذت عملية ضد الصهاينة، فتمّ تغيير السفير الذي أبى أن يغير موقفه، فكانت تلك من مآثره التي يذكرُ بها.

لم تكن تلك المواقف قاصرة على فلسطين، بل قد تربينا صفاراً وكبرنا ونحن نسمع ألسنة أكابر أهل العلم تلهج بالدعاء والتأييد والانتصار للمجاهدين في أفغانستان، وفي كشمير، وفي الفلبين، وفي إريتريا، وفي كل بقعة يهب فيها المسلمون لمنازلة عدو وطني أرضهم.

هذا ما أدركناه وما عاصرناه وعائنا.

وأكثر منه ذاك التاريخ الطويل الذي قرأناه وسمعنا به عن مواقف أهل العلم السالفين في حقبة ما سُمي بالاستعمار، وتأييدهم حركات الجهاد الشعبية ضعيفة العتاد، التي كانت تستهدف طرد المحتل الأقوى عدةً وعتاداً.

في الشرق كان المسلمون بالهند -وعلى رأسهم أهل الحديث-، كانوا بتسليحهم المتواضع

يصارعون الإنجليز بجيوشهم الجرارة؛ التي كانت القوة الأولى في العالم آنذاك.

وفي الغرب كان الليبيون يقاتلون الطليان.

والجزائريون والمغاربة يقاتلون الفرنسيين.

وكذا كان الحال في مصر، وفي الشام، وفي السودان.

كانت حروباً غير متكافئة إطلاقاً من جهة

العدة والعتاد، قتل فيها الملايين من المسلمين -أكثر من ستة ملايين في الجزائر فقط-، دون أن يصدّهم ذلك عن الاستمرار في مجاهدة ومدافعة العدو بما يتاح لهم من أدوات.

قد يصلحون أحياناً ويهادنون، لكن لم يكن في علمائهم من يطلق القول بتحريم مقاتلة العدو في ذلك الوقت بحجة قوته وضعف تسليح المسلمين كما نسمعه اليوم من بعض الناس كلما هبّ المسلمون مدافعين عدواً غاشماً معتدياً.

كان من أعظم جنائيات الاتجاهات

العصرانية إنكارها مفهوم (جهاد الطلب)، واليوم نرى من يتجه -باسم السنة والسلفية- إلى قراراتٍ تنتهي عملياً إلى إسقاط (جهاد الدفع) في زماننا بحجة الشفقة على دماء المسلمين العاجزين عن مقاومة عدو أعلى تسليحاً منهم.

تشتعل المواجهة مع الصهاينة، ويستبسل الفلسطينيون في الثبات والمواجهة ومجاهدة العدو، فينالون منه وينال منهم، ويحتسبون شهداءهم وجرحاهم، ويقف معهم إخوانهم في سائر أقطار الأرض بالدعاء والتأييد، وبالألم أيضاً. وفي خضم هذه النازلة يبرز صوتٌ نشارٌ لا يرى في هذه المعركة إلا مغامرة صبيانية لحركيين يخالفون طريقة أهل العلم، ويتاجرون بدماء الفلسطينيين!

اللهم عفوك وغفرانك .. أولئك الذين يقال عنهم: (متاجرين بدماء الفلسطينيين)، هم أنفسهم الذين يقفون على خط المواجهة مع العدو، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، ومنهم من فقد أهله

وولده، ومنهم من هدمت داره على من فيها، ثم يقال عنه -بعد ذلك- : متاجراً بدماء الفلسطينيين!

وليت هذا الموقف الغريب يقتصر على الوضع في غزة، بل أصحابه يجعلونه رأياً يعمُّ سائر بقاع الإسلام. فكلما وطئ الكافر الأقوى عتاداً أرض الإسلام أعادوا المقولة نفسها، فارتفعت أصواتهم بتحريم الجهاد ومنعه حفاظاً على دماء المسلمين!

ثم تزيد الصورة قبحاً، حين يعمد أصحاب هذه المقولة إلى عملية تزوير واسعة، كي يثبتوا أن هذا الرأي لم يزل موقف أهل العلم الراسخين، أو أنه رأي علماء أهل السنة في مقابل المتهورين، والحركيين، والحزبيين، وما شئت من تلك التسميات البغيضة.

أثناء الاحتلال الأمريكي لأرض العراق، صدر شريطٌ عنوانه (من للعراق؟)، قرّر صاحبه أن اتفاق العلماء يقضي بتحريم المقاومة، وذكر أن هذا هو الموقف السلفي الواجب.

ولما خشي هذا القائل أن يورد عليه تأييد العلماء قاطبةً جهاد الأفغان ضدّ الروس، شرع في التزوير، فذكر أن العلماء إنما أيّدوا جهاد الأفغان لأن أمريكا كانت تدعمهم، فكان هناك توازنٌ في القوة بين الأفغان وبين أعدائهم الروس، فصار الدعم الأمريكي للأفغان هو السبب الذي جعل العلماء يجعلونه جهاداً شرعياً!

من أين جاء القائل بتلك العلة المبتكرة؟

وهل سمع أحداً من أهل العلم يعلل فتياه بها ولو تلميحاً؟

وماذا سيقول عن تأييد العلماء -وعلى رأسهم ابن باز رحمه الله-، للمجاهدين في كشمير، وفي الفلبين، وفي الشيشان، وفي فلسطين نفسها، لأجل الدعم الأمريكي أيضاً؟!

على أنني أتساءل: أيّ تقاربٍ أو توازنٍ في القوة وفّره الدعم الأمريكي للأفغان الحفاة العراة، في مواجهة آلة الحرب الروسية العاتية؟!

ألا يدري هذا القائل أن تلك (الحرب

المتوازنة!) ذهب فيها من الشعب الأفغاني مئات الألوف (بعض الإحصاءات توصلهم إلى المليون ونصف وأكثر)، فضلاً عن مئات ألوفٍ أخرى من الجرحى والمعاقين، في حين لم يسقط من الفلسطينيين في مواجهاتهم الطويلة مع اليهود ما يقرب من هذا الرقم!

على أن الناظر يعجب كيف يغيب الفقه والفهم عن أصحاب هذه المقولة الواسعة حتى لا يتبصّرون في مآلات قولهم رغم ظهور فسادها وسقوطها. فحاصل قولهم ومآله دعوة مفتوحة لأهل الكفر: أن أقبلوا وخذوا بلاد الإسلام هنيئاً مريئاً، فقتالكم محرّم علينا!

صاحبُ شريط (من للعراق؟) طرح على نفسه سؤالاً: ماذا لو تعرضت بلاد الحرمين لغزو أمريكي، هل سيحرّم مقاومتهم؟ ثم أجاب بما مؤداه أن موقفه لن يتغير، وأن المقاومة حينها ستكون ممنوعةً ومحرمّةً على المسلمين ما داموا لا يملكون قوةً تضارعُ قوةَ عدوّهم! .. يقول هذا في سياق تقرير موقف العلماء الريانيين الذين لم يتكلّم أحدٌ منهم بمثل هذا قط!

في أحداث غزة الحالية كتب آخرُ مُعلّقاً ومُعزّضاً:

(ليلاً: عدوّ أحمد يقتل أحد أولاده ..

أحمد يطلق النار تجاه العدو ..

العدو يدمّر بيت أحمد ويقتل بقية أولاده ..

صباحاً: يحتفل أحمد بانتصاره ..

والله لا أدري أضحك أم أبكي...

تريدون أن نلغي أبصارنا وأسماعنا وعقولنا ونسلمها لكم).

سئل هذا القائل عما يجب أن يفعله أحمد، فأجاب:

«يجب على أحمد أن يفعل مثل محمد - ﷺ -، يهادن الكفار مدةً، يعدّ العدة الإيمانية والعسكرية التي ترهب العدو وتردعه، ثم يأخذ حقه».

هكذا - وبكل سذاجةٍ - يتمُّ تصوير

حرب تدور رحاها منذ أكثر من ستين عاماً.

وكم تمنيت لو أن هذا القائل شرح لنا: كيف، وأين سيتم إعداد العدة متى شاع هذا الفقه العجيب الذي سيفتح بلاد الإسلام للعدو يجوبها طويلاً وعرضاً ليستأصل أي بادرة إعداد دون خوفٍ من أدنى مقاومة أو ممانعة.

وإذا كان هذا القائل يذكر عن نفسه: إنه

لا يدري هل يضحك أم يبكي من قصة أحمد، فليأذن لي أن أحدثه بقصة زيد، فربما يجد فيها مزيداً من دواعي الضحك والبكاء: (ليلاً: عدو زيد يقتل أحد أولاده ..

أراد زيد أن يرد .. صاح به جاره: إياك .. ليست

هذه طريقة الراسخين في العلم.

أمسك زيد، فلم يحرك ساكناً حين جاء العدو وقتل ولده الثاني، وأتبعه الثالث.

عاد العدو ثالثة، فذبح الأسرة كلها، وهدم

الدار ..

لم يزل زيد متمسكاً بما ظنه منهج الراسخين ..

أشاع زيد هذا النهج في بلده ..

جاء العدو، فقتل المزيد من أبناء البلد واحتلها ..

لم يقاوم أهل البلدة، لأن المقاومة حرامٌ عليهم

قبل إعداد العدة.

طمع العدو فأخذ البلدة الثانية والثالثة والرابعة ..

ولا مقاومة أو ممانعة ..

استمر العدو في يأكل بلاد الإسلام بكل

نعومة، دون أن يخسر قطرة دم، ببركة ما يقال

إنها: طريقة الراسخين في العلم!

تلك قصة زيد .. وأظرف منها قصة عبيد ..

جاء العدو فاحتل بلدة عبيد .. قتل الآلاف من

أهلها ..

لم يقاوم أهل البلدة، لأن المقاومة محرمة قبل

إعداد العدة ..

أراد أهل البلدة أن يعدوا العدة للجهاد ..

لكن العدو نصب عليهم حاكماً رافضياً ينوب

عنه.

الحاكم الجديد منعهم من الإعداد ..

نزع أسلحتهم .. شرع في ذبحهم وتهجيرهم.

وما زال عبيد يردد: المقاومة لا تشرع .. تلك

طريقة الراسخين.

هل لهذا المسلك علاقةً بالفقه والفهم؟! فضلاً

عن أن يكون طريقة الراسخين! الحديث عن جواز مصالحة العدو مؤقتاً حال العجز عن مدافعتة، يختلف عن مثل هذه الإطلاقات العمياء التي تنتهي إلى تحويل المسلمين إلى نعاٍ خاضعة يقودها الراعي بعصاه.

معضلة من يتحدث بتلك الطريقة أنه حين

ينظر في ميزان المصالح والمفاسد، يستعمل حسيبةً

رياضيةً آليةً مجردة، فتراه يحسب: كم قتل من

المسلمين، وكم قتل من عدوهم، ثم يخرج بأن

القتال قطعاً غير مشروع. أو تراه يتساءل: هل نجح

الفلسطينيون في تحرير أرضهم؟! لا .. إذن لا فائدة من

تلك الدماء التي أريقت!

ما لم يفهمه صاحب هذا الفقه الآلي أن

المسلمين وإن عجزوا عن مدافعة العدو الأقوى

منهم في مواجهة عسكرية مباشرة، إلا أنهم - في

الغالب - قادرون على الإثخان والنكاية فيه

بطريقة تجعل قدمه لا تستقر بأرض الإسلام. وهذا

اللون من الجهاد هو الذي لم يزل المسلمون

يستعملونه وينجحون فيه طيلة عصور ضعفهم. بهذه

الطريقة أنهوا حقبة (الاستعمار) في جميع بلاد

الإسلام، وبالطريقة نفسها أخرجوا الروس من

أفغانستان، وهي الطريقة التي يسلكها

الفلسطينيون اليوم، ويحققون فيها نجاحاً ظاهراً.

غير أن هذا النجاح لا يبصره من يحصر نظره في

عدد القتلى هنا، وعددهم هناك.

من يعرف تاريخ القضية الفلسطينية يدرك أن

الفلسطينيين عملياً يقفون على أخطر ثغرٍ من

ثغور الإسلام، وقد ظلوا منذ عقود يصدون عن

المسلمين عدواً طاغياً له أطماعٌ تمتد في عمق البلاد

لبسطت سلطتها وهيمنتها الاقتصادية على المنطقة أجمع، وبخاصة أن تلك صناعة اليهود التي أتقنوها منذ القدم. غير أن عدم استقرار دولتهم يضعف اقتصادهم، ويضرب قطاع السياحة، ويخيف الاستثمار الأجنبي، ويرفع نسب البطالة، ويفتح الباب لمزيد من الهجرات المعاكسة خارج فلسطين.

تلك صورة المعركة الكبرى التي أخطأتها عين من يتساءل: ما فائدة صواريخ القسام؟ أو يتعجب من الفرح بقتل نفر من الصهاينة يقابله رقم أكبر من الفلسطينيين.

النظر للمسألة بهذه الطريقة نظر قاصر. وهذا النوع من القضايا يتداخل فيه النظر الشرعي مع نظر أهل الخبرة والدراية كل في مجاله. وليس لأحد أياً كان أن ينصب نفسه -أو حتى شيخه- ليكون مرجعاً حاسماً في هذا اللون من المسائل.

والمسلمون في عصورهم المتأخرة، وإن ضعفوا من جهة الاستعداد المادي والمعنوي، إلا أن سلاحهم الذي لم يفقدوه: قدرتهم التي لا تتضب على تقديم المقاتل الصلب المقدم الذي يشتري الموت، كما يعيش عدوه الحياة.

لأجل هذا المعنى أخبر النبي -ﷺ- أن الأمم سوف تتكالب على المسلمين حين يدب فيهم الوهن، ولما سئل عن معنى الوهن قال: (حب الدنيا وكرهية الموت). والذي يريد أن يشيع في الأمة فكرة عجزها المطلق عن المقاومة والممانعة، فهو إنما يحقنها بحب الدنيا وكرهية الموت، فيتمكن العدو منها أكثر وأكثر.

على أني هنا لا أتحدث عن صاحب رأي يقترح (أن من المصلحة تحاشي مواجهة الصهاينة حالياً لعدم التكافؤ في القوة)، فذاك رأي سائغ لا تريب على قائله إن لم يجاوزه إلى التعميم والإطلاق، أو يحول رأيه هذا إلى مقابلة بين الهدى والضلال، أو بين السنة والبدعة، أو يجهد في تصوير رأيه على أنه موقف سلفي نقي لا يحتمل اجتهداً، فلا يعارضه إلا حركي، أو حزبي، أو ما شئت من تلك الأسماء والألقاب.

دولة اليهود -المدعومة غريباً- نشأت عام (١٩٤٨م)، وقادتها يحملون حلم (إسرائيل الكبرى) التي تمتد من الفرات إلى النيل، وتغطي بلاد الشام، مع نصف المملكة الشمالي.. هكذا كانت خططهم.. أما اليوم فقد تقلصت أطماع أكثرهم وانحسرت في ظل شراسة المقاومة الفلسطينية وصلابتها. وطواغيت الصهاينة: (بيريز، ورابين، وباراك، وأولمرت) صرحوا بترجعهم عن إسرائيل الكبرى، بعدما أدركوا صعوبة ترويض أهل الإسلام وإخضاعهم، فخفضوا من تطلعاتهم، وجعلوا غاية مقصدهم تأمين قومهم كي لا يفكروا في الهرب من (أرض الميعاد) التي تعبوا في تأسيسها لتكون وطناً لهم، مع أن كثيراً منهم يعيش داخل مستوطنات محاطة بأسوار كآسوار السجون!

دولة اليهود كانت تستقطب المهاجرين من أفاق الأرض كي يستوطنوا أرض فلسطين عوضاً عن أهلها، غير أن ممانعة الفلسطينيين ومقاومتهم نجحت في تخويف المهاجرين وتقليل تدفقهم، ثم أفلحت في إيجاد هجرة معاكسة، فخرج من فلسطين أكثر من ثمانمئة ألف يهودي عائدين لبلدانهم، ولا يزال ربع الباقيين راغبين في الخروج -أيضاً- ويتمنونه حسب استطلاع نشر في كبرى صحفهم وأشهرها.

وفي إحدى فترات المواجهة كان هناك أكثر من (٢٥٠٠٠) يخرجون كل عام من دولة اليهود مولين الأدبار نحو بلدانهم التي قدموا منها.

ويشيع في صفوف الشباب الإسرائيلي ظاهرة التهرب من الخدمة العسكرية في حين يشتريها الشباب الفلسطينيون ويبحثون عنها، بعدما تربي أكثرهم على مفاهيم الجهاد والممانعة.

أضف لهذا كله أثر عمليات المقاومة الضاغطة بقوة على اقتصاد دولة اليهود التي لو قُدر لها الاستقرار مع توفر الدعم الغربي لها،

هذا وذاك. وبين الصورتين صوراً أخرى تتباين ملابساتها، وتختلف أحوالها بطريقة تمنع من مثل تلك الإطلاقات والتعميمات المتهورة التي تنتهي عملياً إلى منع المسلمين من حماية أنفسهم وأرضهم.

ولو قُدرَ أن بعض أهل الإسلام في أي بلد يحتله العدو أخذوا قرارهم بالمواجهة، ثم بدا لآخرين خطوهم وتعجلهم، فإن هذا لا ينزع المشروعية عن جهادهم، فضلاً عن أن ترتفع الأيدي بالدعاء عليهم بصفاتهم متاجرين بدماء المسلمين!

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في غزة، وفي كل أرض، وتحت كل سماء.

يسألونك عن "داعش"

د. محمد أبو رمان - العدد ١٣/٧/٢٠١٤

ما يزال تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) يفاجئ كثيراً من النخب السياسية والثقافة العربية، وحتى الرأي العام، منذ ظهوره السريع في المشهد السوري، ودخوله في مواجهة مع أشقاء الدعوة سابقاً (جبهة النصرة)، وصلت إلى معارك دامية بينهما، وصولاً إلى اللحظة الراهنة من الانتصارات المتتالية السهلة على قوات المالكي والسيطرة على عدد كبير من المحافظات العراقية.

ثمة أسئلة متعددة تتردد في الأوساط الشعبية والسياسية عن هذا التنظيم. لكن أهم هذه الأسئلة تتمثل، أولاً، في طبيعة الخلافات والفرق بينه وبين «القاعدة»؛ فيما إذا كانت أيديولوجية أم تكتيكية. وثانياً، في طبيعة العلاقة مع إيران؛ فيما إذا كان هناك فعلاً تقاطع مصالح أو توظيف متبادل بين الطرفين، أم أن التنظيم مجرد «لعبة إيرانية» تستخدم لتحقيق الأهداف المطلوبة بصورة معكوسة، أي من خلال «اختلاق الخصوم»!

تكمن المفارقة هنا في أن تنظيم «داعش» وُلد أصلاً خارج «القاعدة»، عندما أسس الأردني

وقد رأيتُ بعض يقول ذلك يستشهد بفتيا

الشيخ ابن باز -رحمه الله- بجواز مصالحة اليهود صلحاً مؤقتاً عند العجز عن مواجهتهم. وكل من أدرك الشيخ أو قرأ له يعرف أنه إنما كان يتحدث عن (جواز)، وليس عن (وجوب)، ثم هو -بعد ذلك- يترك تقدير الموقف لأهله، ولا يتخذ القرار نيابة عنهم. وهذا مسلك شرعي يخالف حال من يأتيك اليوم، ليقرر ويحكم نيابة عن الجميع، ثم يجعل رأيه الحق الذي ليس بعده إلا الباطل والضلال، ثم يزيد فيرفع يديه داعياً على المتاجرين بدماء الفلسطينيين!

حين أقرأ مثل هذا الكلام أظللُ أتساءل ماذا

يفعل قائله بمواقف أهل العلم الشهيرة طيلة فترة ضعف أهل الإسلام وانهيار قوتهم خلال القرون المتأخرة، وهم يواجهون عدواً يملك من القدرة والعتاد أضعاف ما يملكه الصهاينة اليوم؟!

بل إنني أعجب كيف غاب عن بعض هؤلاء

موقف علماء دعوة التجديد السلفية التي ينتسبون إليها؟ ألم يدخل علماء تلك الدعوة المباركة -بتسليحهم المتواضع، وعددهم القليل- في مواجهة مع السلطنة العثمانية، حتى دكّت بمدافعها عاصمتهم (الدرعية)، وهدمتها فوق رؤوس أهلها العاجزين عن الذب عن أنفسهم؟!

لو قرأ هؤلاء عن تلك الأحداث هل سيتحدثون

عن الحماقّة والسفاهة؟ وهل سيرفعون أيديهم داعين على من تسبب في إراقة دماء المستضعفين؟!

الحديث النظري عن ضرورة الإعداد حق لا

إشكال فيه، ومثله الكلام عن جواز مهادنة العدو عند العجز عن مناجزته. لكن مفهوم (الإعداد)، ومعنى (العجز عن المواجهة) باب فيه سعة للنظر والاجتهاد. فإعداد العدة (المعنوية، والمادية) لمعركة فاصلة تجلي العدو عن الأرض وتكسره، يختلف عن إعداد العدة لحرب استنزاف طويلة تثخن العدو وتمنعه من الاستقرار والتوسع والتقدم في بلاد الإسلام. وأهل الخبرة والمعرفة يدركون الفرق بين

الأيديولوجي والديني أحكام واقعية كبيرة، منها «استحلال القتل»!

لم يؤدِّ مقتل الزرقاوي إلى نهاية الخطّ

الجديد الذي رسمه في مسار السلفية الجهادية وأنصار «القاعدة»، بالرغم من أنّ دولته تراجعت في العراق ودخلت في صدام مع القوى السنية الإسلامية، وبرزت الصحوات في مواجهتها، وكادت أن تتلاشى خلال الأعوام الماضية. إذ إن خلفاءه حافظوا على منهج الزرقاوي بقوة، بينما كان زعيم القاعدة أسامة بن لادن يقوم بمراجعات كبيرة، عشية مقتله، لمسار «القاعدة»، ويحاول الاتجاه نحو قدر أكبر من الاعتدال، ما زاد شقّة الخلاف بين الطرفين.

إذن، سورية كشفت المستور بعدما برزت إلى السطح الخلافات بين «داعش» وبين «القاعدة» (معها «جبهة النصرة»)، لكن بعدما أصبحت «داعش» نفسها على درجة من القوة والتأثير في الأجيال الجديدة، في سورية والعراق وخارجهما، بما قد لا يتوافر لقيادة «القاعدة» نفسها.

داعش ومهمة القضاء

على ثورتي العراق وسوريا:

خلافة أم "شرق أوسط" جديد؟

مزمار الشام - موقع العصر ٢٠١٤/٧/٣

قوات النظام تسيطر على المدينة الصناعية في الشيخ نجار بحلب بعد عملية إلتفاف نفذتها مروراً بمواقع تسيطر عليها ميليشيات البغدادي شرق مدينة حلب.

دولة البغدادي تتواطأ مع قوات النظام وتترك أرتاله لتقوم بعملية التفاف على المجاهدين في المدينة الصناعية بحلب.

قوات النظام تسيطر على عدة مواقع قرب بلدة شامر شرق حلب وسط غياب عناصر ميليشيات البغدادي منها ليتمكن النظام بعدها من

أبو مصعب الزرقاوي جماعته «التوحيد والجهاد» في العراق، بعد الاحتلال الأميركي مباشرة. ثم اضطر الزرقاوي، لاحقاً، إلى إعلان البيعة لأسامة بن لادن، وانضم للقاعدة، بعدما فضح شيخه الروحي أبو محمد المقدسي الخلافات بين الزرقاوي و«القاعدة»، ووجه انتقادات غير متوقعة له.

بالرغم من دخول الزرقاوي للقاعدة وصعود

نجمه، في اللحظة التي كان يختبئ فيها قادتها المطاردون عالمياً، إلا أنّ بن لادن والمجموعة القيادية أدركوا تماماً أنّ الزرقاوي يسير في خطّ أيديولوجي وواقعي مختلف بدرجة كبيرة عن «القاعدة»؛ فهو أكثر تشدداً وتزمتاً في النظر إلى الواقع السياسي عبر لونين اثنين فقط؛ أبيض أو أسود، ومجموعته أكثر تشدداً دينياً. وهو يتوسع في عمليات التفجير، وفي التكفير والقتل لمن يختلف معه، ولديه تصور مختلف عن «القاعدة» المركزية في التعامل مع إيران وإعطاء الأولوية لمقاومة المشروع الشيعي، بينما «القاعدة» المركزية تركّز على المفهوم العالمي للصدام وأولوية المواجهة مع الولايات المتحدة الأميركية.

أبقى بن لادن الخلافات مكتومة مع

الزرقاوي، ولم يعلنها؛ إذ كان يحاول احتواءه من جهة، وتجنب صدمة الانشقاق والاختلاف داخل «القاعدة» من جهة أخرى. ولم تكن «القاعدة» تشعر بارتياح للصدامات التي دخل فيها الزرقاوي مع الفصائل الإسلامية المسلحة في العراق، ولا الخطوة المفاجئة بالإعلان عن إقامة «الدولة الإسلامية في العراق» على رقعة المحافظات السنية، وتعيين وزراء ومسؤولين، بعد أن بايع الزرقاوي نفسه أمير الدولة.

مع تأسيس «الدولة الإسلامية»، اعتُبرت

«القاعدة» جزءاً منها لا العكس. وربما هذه القضية الخلافية ستأخذ لاحقاً صدى كبيراً بين أتباع «القاعدة» و«جبهة النصرة» في سورية وأتباع «داعش»، في النقاش بشأن من هو الذي نقض البيعة من الطرفين. وهو نقاش تترتب عليه في هذا الفضاء

السيطرة على الشيخ نجار.

في حلب: من يخدم من؟ هل النظام هو من يخدم داعش بإطلاقه عملية عسكرية ضخمة فور إعلان المجاهدين عن نيتهم تحرير شرق حلب من داعش، أم إن داعش هي من تخدم النظام بتسليمه المناطق، بدءاً من تل حاصل ومروراً بالطعانة وشامر وانتهاءً اليوم بالمقبرة؟ أم هي علاقة تعاون مشترك!

مسلسل تواطؤ دولة البغدادي مع نظام الأسد

بدأ منذ تسليمه بلدة تل حاصل الإستراتيجية جنوب شرق حلب، أعقبها تأمين طريق خناصر وتسليم بلدة شامر.

فأصبح ظهر النظام وخاصرته الشرقية التي

تسيطر عليها دولة البغدادي آمنة، مما مكنه من تركيز هجماته على حلب والقيام بعمليات التفاف كان آخرها اليوم.

لم يعد مستغرباً تناسق هجمات النظام ودولة

البغدادي على الثوار، حتى أصبحت عملياتهم العسكرية ضد المجاهدين مكتملة لبعضها البعض ومتغاممة لدرجة كبيرة.

سنذكر لكم أبرز العمليات العسكرية

التي تجلى فيها التنسيق العالي بين نظام الأسد وميليشيات البغدادي، الأمر الذي لم يعد يخفى على أحد:

١ - هجوم دولة البغدادي على كتائب الثوار في الساحل وقتل الشيخ أبو بصير قائد كتائب العز بن عبدالسلام أثناء تحضير الثوار لمعركة ضد النظام هناك.

٢ - هجوم دولة البغدادي على كتائب الثوار في محافظة دير الزور بعد ساعات من إطلاق الثوار لمعركة ضخمة بغية تحرير مطار دير الزور العسكري فيها.

٣ - هجوم دولة البغدادي على أحرار الشام وكتائب حذيفة بن اليمان في الرقة، بعد أن أوشكت الفرقة ١٧ على السقوط بأيدي المجاهدين ثم فك الحصار عنها.

٤ - هجوم دولة البغدادي على الكتائب المشاركة في معركة قادمون في البادية، والتي كانت تهدف إلى فك الحصار عن حمص مما أدى إلى إفشالها لاحقاً.

٥ - هجوم دولة البغدادي على مقرات ومواقع جبهة النصرة في محافظة دير الزور بعد إعلان النصرة فيها عن إطلاق معركة لفك الحصار عن مدينة حمص.

٦ - هجوم دولة البغدادي على أحرار الشام وجبهة النصرة في محافظة الحسكة وإجبارهم على البيعة بعد التقدم الكبير الذي أحرزه المجاهدون هناك.

٧ - هجوم دولة البغدادي على بلدات ريف حلب الشمالي ومهاجمة مواقع لواء التوحيد فيها بالتزامن مع تقدم قوات النظام إلى مدينة حلب.

٨ - كافأ النظام داعش - التي لطالما كانت تنقذه من خسائر محققة - بإطلاقه معركة ضخمة في حلب بعد نية الثوار استئصال داعش، فجاء دوره لإنقاذها!

أما في العراق، فقد بدأت داعش هجماتها على فصائل جيش المجاهدين وأنصار الإسلام بالتزامن مع اقتراب المجاهدين من «حزام بغداد» لتكمل دورها هناك!

وقد صدرت عدة تسجيلات صوتية لشرعيين

وقادة في داعش يعترفون فيها أن حريهم الآن تستهدف الثوار، وأن مصالحهم تلتقي مع مصالح نظام الأسد في هذه المرحلة.

طالما بقيت ثورات في سوريا والعراق، فإن مصالح داعش تلتقي مع مصالح الأسد والمالكي، وستعود داعش لصحرائها بمجرد إجهاض الثورتين فيها! وهذا دورها.

على مدى عام كامل بقيت مقار ومواقع داعش في سوريا واحة آمنة لا يطالها قصف ولا نسف، وغضت طائرات أميركا والمالكي الطرف عن أرتالهم القادمة لسوريا.

كركوك إلى الإقليم.

لن تستطيع داعش التعايش مع ثوار العراق
وبقية الفصائل، وستسعى إلى قهرهم وإدخالهم في سلطانها، وبهذا تدخل المنطقة السنية دوامة الفوضى والعنف.

زرع داعش في المناطق السنية، والتي تعد مهد للثورات والمقاومة، هو خير وسيلة لإجهاض ثورات الشعوب في العراق وسوريا وضرب كل حركات التحرر فيها.

ويذكر أن سلوك جبهة النصرة في القلمون الحامي لمليشيات البغدادية، وسلوكها الحيادي في الغوطة وإدلب يؤكد أن النصرة ليست كيان منسجم تحكمه قيادة مركزية، حيث أصبحت جبهة النصرة فروعا متعددة (كونفدرالية)، لكل فرع سياسته وتوجهاته، وأصبح الجولاني أميراً فخرياً بصلاحيات منقوصة ونفوذ قليل.

ويتحمل الظواهري ومنظرو القاعدة من أمثال المقدسي وأبو قتادة جزءاً من المسؤولية عما وصل إليه حال جبهة النصرة اليوم بسبب الضبابية والتذبذب.

الخطابات الناعمة والمواقف المتناقضة
والضبابية لقادة القاعدة ومنظريها تجاه داعش أوجدت شرخاً بين فروع النصرة في سوريا وجعلها تتخبط في موقفها.

فأصبحنا نرى ثلاثة تيارات في النصرة:

- تيار يخوض حرباً دامية ضد داعش في الشرق،
- تيار يحمي داعش في الجنوب،
- تيار يلتزم الحياد في الوسط.

وقد رفض فرع جبهة النصرة في محافظة إدلب وحماه الدخول مع داعش في حرب وإرسال إمدادات لجنود النصرة في الشرق وتتصل مراراً من معركة فك الحصار عنهم.

كما رفضت بعض ألوية الجبهة الإسلامية الاشتراك أيضاً، هذه معلومات نقولها لله ثم

على مدى عام كامل والمالكي يسمح
لداعش بتمثيل مسرحية اقتحام السجون وفكالك الأسرى، كلما احتاجت داعش إلى مدد ورجال إجهاض الثورة في سوريا.

ومن جانب آخر، فإن أمريكا ودول المنطقة التي صنعت الائتلاف المعارض الذي يرفض تقديم أي دعم للثوار في قتال داعش، هي نفسها الدول التي تتوعد بحرب داعش اليوم!!

والألماء يرفضون الائتلاف - الذي صنفته دول المنطقة وأمريكا - تقديم أي دعم للثوار في قتال داعش، بينما يديرون حرباً كلامية عليها في وسائل الإعلام!

أليست الحرب الكلامية التي يشنها الغرب ودول المنطقة على داعش هي «فيتامينات» تقتات عليها داعش في دعايتها لجذب المتنطعين والسذج إليها؟!

لقد كان مشروع تقسيم المنطقة إلى عدة دول على أساس طائفي وعرقي حلم المخابرات الغربية في أواخر القرن الماضي وسعت إليه جاهدة. ولهذا، تعددت أدوات الغرب في مشروعه لتقسيم المنطقة، واللافت اليوم هو دخول فئات محسوبة على الإسلام لتنفيذ مخططات الغرب.

لماذا يختفي جيش المالكي من مناطق شمال العراق والحدود مع سوريا في ليلة وضحاها بينما يصمد في سامراء وحول بغداد؟!

لاشك أن في العراق ثورة شعبية، ولكن ليست هذه الجزئية كل الحقيقة، ومن أراد فهم ما يجري فعليه معرفة الحقيقة كاملة.

انسحب جيش المالكي من مناطق شمال وغرب العراق في ليلة وضحاها تاركاً إياها تحت رحمة داعش التي أكملت السيطرة على الجانب السوري من الحدود.

أصبحت المنطقة السنية في العراق وسوريا غارقة في الفوضى والحروب بعد أن تسلمتها داعش بينما نال الكرد ما كانوا يتمنوه بضم

للتاريخ بعد أن وصلنا إلى مرحلة ما عاد يسعنا فيها السكوت.

وأثبتت التجارب الأخيرة أن الفصائل التي تنتمي للمدرسة «السلفية الجهادية»، هي أقل الفصائل نجاعة في مقاتلة الخوارج والوقوف في وجه إجرامهم.

ماذا لو دخلت (دولة الخلافة) إلى غزة؟

د. عماد الدين خيتي - موقع نور سورية ٢٠١٤/٧/١٢

النقطة الأولى: مقتطفات من كلمة أبو عمر البغدادي في كلمته (الدين النصيحة) يقول فيها :

«إن المنظمات المسلحة التابعة لجماعة الإخوان المسلمين وخاصة في هذه الحقبة، وعلى رأسها حماس - حاشا المخلصين من أبناء القسام - هم في الحقيقة خانوا الأمة والأمة، وتتكروا لدماء الشهداء ... فكانت النتيجة قتل واعتقال معظم المخلصين من حملة السلاح، على أيدي اليهود وعملائهم من سلطة الخيانة».

ويكمل أبو عمر البغدادي في كلمته (الدين النصيحة) في إبراز ملامح خيانة حماس قائلاً: «وملامح خيانة قيادة حماس تتبلور في نقاط منها:

أدخلهم العملية السياسية في ظل دستور وضعي علماني وعلى أساس اتفاقيات أوسلو، والتي تخلت عن أكثر من ثلاثة أرباع أرض فلسطين.

بالاعتراف الضمني بإسرائيل باعترافهم بشرعية السلطة الوطنية التي قامت على أساس اتفاقيات أوسلو، واعترافهم بشرعية رئيستها العلماني المرتد عميل اليهود المخلص.

ج-تصريحهم باحترام القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، ومجرد الاعتراف بالأمم المتحدة هو اعتراف بقانونها الوضعي وبدولة إسرائيل العضو فيها.

ددخلهم في حلف عجيب مع الأنظمة المرتدة، وخاصة في مصر وسوريا، متتكرين لدماء إخوانهم في مجزرة حماة ... فالتحالف مع الرفضية النصيرية في سوريا بدعوى تحرير فلسطين هو خيانة كبرى... مخذلانهم للمجاهدين جميعاً بل والمواقفة الضمنية على قتل وتشريد أهل التوحيد، ومن ذلك قولهم في موسكو: «إن مسألة الشيشان شأن داخلي» وتصريحهم: «أنهم لا علاقة لهم بالجهاد في العراق، ولم ولن يضربوا فيه طلقة واحدة».

وقولهم: «إنهم لا يسعون إلى أسلمة المجتمع» ولذا لم يطالبوا بأن تكون العملية السياسية وفق الشريعة، أو بتحكيم الشريعة عند وجودهم في الحكومة ولم يحكموها بعد سيطرتهم الكاملة على غزة.

زعدائهم المفرط للسلفية الجهادية، وخاصة في الوقت الحاضر ومحاولتهم الجادة والمستمرة لإجهاض أي مشروع قائم على أساس سلفي، وحكايتهم مع «جيش الإسلام» معروفة وقصة الصحفي البريطاني أشهر من أن تعرف، وبلغنا أن جيش الإسلام كان على وشك الحصول على مكاسب جيدة من بريطانيا، قبل تدخل حماس في المسألة.

«إطلاقهم لحرمة الدم الفلسطيني ولو أتى الزندقة من مائة باب، كالبهائي المرتد عباس وغيره..»

أما عن الحل برأيه فيوضحه أبو عمر البغدادي في نفس الكلمة بقوله :

«ألا فليعلم أهلنا في فلسطين أن أول الحل هو الجهاد، وتحت راية التوحيد الصافية لا يفرقون بين قتال الأبيض والأسود بين الكافر اليهودي والمرتد الفلسطيني، فلا فرق بين أولمرت ومجرمييه، وبين عباس وعصابته بل هم أولى... الصنف الآخر الهام الذي يجب أن يستهدف بقوة وخاصة رؤوسهم هم الرفضية».

ثم يستطرد أبو عمر البغدادي في وضع الحلول

١- العمل على شق صف تنظيم حماس وإنهاء وجوده، ومحاولة استمالة الأعضاء (الصادقين) فيه إلى تنظيمهم، يقول: « أن يعلن أبناء كتائب القسام المخلصين انفصالهم عن حركة حماس، وعزلهم لقيادتها السياسية الفاسدة المنحرفة... فعلى أهل الحكمة والخبرة منهم أن يسعوا إلى ذلك، وفق حركة دعوية دؤوبة في أوساط شباب القسام تضمن عدم تخلف أحد منهم، مستعينين بالسرية والحكمة اللازمة، واضعين سيطرتهم على أكبر قدر ممكن يعينهم على الجهاد من الرجال والعتاد، سالكين كل الطرق الشرعية المؤدية إلى ذلك، فلم تفلح مع هذه القيادة المنحرفة كل أساليب النصيح والدعوة السرية منها والعلنية». و غني عن القول أن حماس هي من يقف ضد العدوان الإسرائيلي!

٢- الضغط باتجاه إدخال (المهاجرين) غير الفلسطينيين إلى داخل فلسطين: « إن قضية الأقصى قضية إسلامية، تهم كل مسلم، ولا يمكن حصرها أبداً في قومية مقيتة، أو وطنية قبيحة، ومهما حاول تجار الأقصى أن يسكتوا كل صوت يريد الحق ويدعو إليه، وأن كل مسلم مسؤول عن تحرير الأقصى». وكذلك غني عن القول ذكر سيئات هذا الفعل وما فيه من الإخلال بالتركيبة الاجتماعية بدعوى (الكفر بصنم الوطنية). ١

٣- توجيه القتال إلى كل من: السلطة الفلسطينية، وقيادات حماس (المرتدين المنحرفين) بزعمهم، وقتال الشيعة الذين بدأ لهم وجود قليل في المجتمع الفلسطيني، بل إن قتالهم أولى من اليهود: « لا يفرقون بين قتال الأبيض والأسود بين الكافر اليهودي والمرتد الفلسطيني، فلا فرق بين أولمرت ومجرميه، وبين عباس وعصابته بل هم أولى».

٤- إعلان الحرب والبراءة على الدول العربية المحيطة (مصر، سوريا... إلخ).

٥- إعلان الحرب والبراءة على الأمم المتحدة ودول العالم.

« ومما يعين أهلنا على جهادهم ضد الحملة اليهودية - المجوسية وعملائهم: أولاً: أن يسعى أهل الرأي والخبرة من أبناء المنهج السلفي إلى تنظيم جهودهم، وتشكيل جماعة سلفية المنهج والمعتقد، تضع على عاتقها عبء تصحيح المسار... وجعل المرتد الفلسطيني له حرمة الدم بينما يغض الطرف عن دم المجاهد الشيشاني ويعتبر شأناً داخلياً.

ثانياً: أن يعلن أبناء كتائب القسام المخلصين انفصالهم عن حركة حماس، وعزلهم لقيادتها السياسية الفاسدة المنحرفة...

ولم لا؟ فإخوانهم في حماس العراق والحزب الإسلامي والجيش الإسلامي يقاتلون اليوم جنباً إلى جنب مع حامل الصليب ضد أهل الصليب...

ونهنى الأمة بنجاة قاهر الصليب وفارس بلاد الشام، شاكر العبسي، نسأل الله أن يجعله للجهاد إماماً في تلك البلاد، فما سمعنا عنه إلا خيراً، فهو صاحب منهج وعزيمة وصدق، أسأل الله أن يفتح على يديه...».

النقطة الثانية: أما عن نظرة (دولة الخلافة)

إلى القوى الموجودة، يتبين لنا من النقل السابق:

١- الحكم على السلطة الفلسطينية بالكفر والردة؛ لحكمهم بالديمقراطية والعلمانية وموالات اليهود.

٢- الحكم على قادة حماس وسلطاتها السياسية بالكفر والردة؛ لحكمهم بالديمقراطية والعلمانية، وموالات السلطة الفلسطينية المرتدة، والحلف مع الشيعة والنصيرية، والعمل ضد المجاهدين الصادقين.

٣- وصف جماعات الغلو والشذوذ الفكري والعقدي (شاكر العبسي مثلاً) بأنها مثال العقيدة السليمة والجهاد الصافي الذي ينبغي أن يحتذى ويدعم.

النقطة الثالثة: آلية عمل (دولة الخلافة) لو

استطاعوا الدخول إلى غزة أو وجدوا لهم موطن

النقطة الرابعة: ما هي استراتيجية التطهير في قتال اليهود؟

ذكر أبو عمر البغدادي في كلمته: «حديثنا اليوم عن رؤيتنا لحسم الصراع مع اليهود في أرض المحشر والمنشر» وقد علمنا استراتيجيته في الصف الفلسطيني، فما هي استراتيجيته ضد اليهود؟ كل ما ورد في كلمته هو هذا:

١- تعلق بالأمر الغيبية وأحاديث آخر الزمان: «الصراع معهم قائم إلى أن يقاتل معنا الحجر والشجر، وتسفر المعركة عن نصر للدين وأهله».

٢- وصف تاريخي لقيام إسرائيل: «إن إسرائيل دولة قامت على أساس ديني، فهي دولة دينية ويكذب من يدعي أنها دولة علمانية أو أنها علمانية استغلت الدين، وإنها جرثومة خبيثة زرعت في جسم الأمة يجب أن تجتث، وإن وقع معها الخونة آلاف معاهدات الاستسلام».

٣- تجريم جميع اليهود: «لا فرق عندنا بين اليهودية والصهيونية، وحصر الصراع مع الصهاينة هو تقزيم خبيث متعمد، فصفت اليهود التي نص عليها كتاب الله ممتدة عبر التاريخ، يتوارثونها جيلاً بعد جيل..».

٤- ثم توجيهات ونصائح لدور الأمة في دعم الجهاد الفلسطيني!

٥- وأخيراً قال: «أما عن دور الدولة الإسلامية في بلاد الرافدين لتحرير فلسطين!!!»

فإننا نحسن الظن بالله وندعوه أنه كما كانت دولة نور الدين الشهيد هي حجر الأساس لعودة الأقصى إلى أحضان الأمة، ثم دخله تلميذه صلاح الدين فاتحاً في معركة حطين؛ كما دخله الفاروق عمر - رضي الله عنه - فإننا نسأله سبحانه ونأمل أن تكون دولة الإسلام في العراق هي حجر الأساس لعودة القدس.

ولقد أدرك اليهود والأمريكان ذلك، فحاولوا صدنا بكل وسيلة عن هذا الهدف، وما الحملة الشرسة على الأنبار والفخر الزائد بضعف العمل

فيها، إلا لعلمهم أنه يسهل قصف إسرائيل من بعض مناطقها وبصواريخ متوسطة المدى! وكما فعل الهالك صدام تليساً على الأمة، ولأنهم يعلمون أن بعض هذا الصواريخ لا تزال موجودة، كما أنه يمكن تصنيعها ما دامت إصابتها ليست نقطوية، وما جريمة تشكيلات الإخوان في بلاد الرافدين، وخاصة حماس العراق والحزب الإسلامي والجيش الإسلامي وتشكيلهم لصحوات الردة وجهودهم المضنية لإخراجنا من الأنبار، وبعقود مباشرة مع الأمريكان إلا لصدنا عن نصرتكم ولو عن بعد، ولكن أبشروا وأملوا فإن القادم خير بعون الله، فلن يصدنا عن الحق تشبيط متخاذل، ولا عمالة خائن وإننا مع ذلك، مستعدون لدعمكم بكل ما نملك من قليل المال، كما إننا مستعدون لتدريب كوادركم، بدءاً من العبوات وانتهاء بتصنيع الصواريخ، وقبل ذلك نحرض أطفالنا ونسائنا وأبنائنا ألا ينسوكم من سهام الإصابة، دعوة بظهر الغيب، وأخيراً نعترف بالتقصير ونسأل الله الغفران والتوفيق».

عودة إلى كلام عاطفي، متعلق بالمستقبل، مبني على أمجاد غابرة، مع استدعاء لأحاديث ونصوص فتن آخر الزمان، وتنزيلها على تنظيميهم، ثم التفاتة سريعة إلى لطمية أن الأعداء يكيّدون لنا ألا نصل إلى فلسطين!

وقد قال قبل ذلك: «أما عن الحل:

«أولاً: ينبغي أن نعلم أن ما بنته الجاهلية في سنين طويلة يستغرق وقتاً لهدمه، أضف لذلك إقامة بنيان راسخ لا تأخذ فيه الرياح».

فالاستراتيجية هي إنهاء التنظيمات الموجودة بحجة قتال المرتدين، وترسيخ حكمهم و(دولتهم)، ونشر فكرهم، أما قتال الأعداء من الكفار الأصليين فيأتي لاحقاً!!

فهل لعاقلة أن يتساءل: ألم تكن هذه استراتيجيةهم في العراق وسوريا؟

إعلان الخلافة هو السلسلة الأخيرة من

حلقات استراتيجية الفرع العراقي المتمرّد على تنظيم القاعدة المركزي، وهي الغاية النهائية لتحقيق الرسالة الجهادية في التاريخ المشخص، وإذا كان تنظيم القاعدة يقوم على بناء شوكة النكاية من خلال تنظيم عسكري طليعي نخبوي لا مركزي عبر سياسات دفع الصائل استنادا إلى مفهوم الجهاد الدفاعي، فإن الفرع العراقي المتمرّد يقوم على تبني شوكة التمكين من خلال فرض السيطرة المكانية من خلال تنظيم أمني مركزي وجيش هجين تقليدي حداثي مركب عبر سياسات إدارة التوحش استنادا إلى مفهوم الجهاد الهجومي.

سلوك الفرع العراقي المتمرّد يقوم على

استراتيجية الصدمة والمفاجأة، فعندما أعلن أبو بكر البغدادي في التاسع من نيسان/ إبريل ٢٠١٣ عن تأسيس «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ظن كثيرون أن مسألة الإعلان عن قيام الدولة مسألة دعائية وهمية، ولا تتعدى حدود العوالم الافتراضية، إلا أن العالم تبدّل بعد أن استيقظ فجر الثلاثاء ١٠ يونيو/ حزيران، ٢٠١٤، على وقع صدمة سقوط مدينة الموصل في محافظة نينوى على يد التنظيم، وبات يتحدث عن دولة حقيقية في حيز العوالم الواقعية، ولم يكد المجتمع الدولي يستفك من آثار الصدمة حتى ظهر الناطق باسم الدولة أبو محمد العدناني في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ مع دخول أول أيام شهر رمضان معلنا قيام دولة «الخلافة».

خطوة الإعلان عن تأسيس دولة الخلافة لم

تكن مغامرة عشوائية، وجاءت كخطوة استباقية إلى الأمام لمواجهة أحد أهم التحديات التي واجهت التنظيم والتي كانت تعمل على تصدعه، ففي الوقت الذي يشدد التنظيم أيديولوجيا على

كونه يمثل حركة أممية إسلامية عابرة للحدود، فإنه يمارس عمليا «عرقنة» التنظيم، فمعظم قيادات التنظيم الفاعلة على مستوى القيادة عراقيون، الأمر الذي كان ينذر بتفجر الخلافات بين الجهاديين العرب والأجانب الإسلاميين المعولمين الذين لا يكفوا عن بعث رسائلهم المهددة لدولهم الأصلية بالعودة فاتحين، وقد أظهر سلوك التنظيم مفارقة ظاهرة في تعامله الناعم مع خصومه في العراق وتعامله الصلب مع خصومه في سوريا، وقد حاول التنظيم رأب الصدع بالتوجه نحو تنفيذ عمليات مسلحة في لبنان للحفاظ على حالة التنشيط الهوياتي الطائفي في مواجهة إشكاليته البنيوية في العراق وسوريا.

لا شك أن إعلان قيام الخلافة أعاد التوازن

لاستراتيجية التنظيم، وعمل على جلب مزيد من الأعضاء والمناصرين، وحمل أشد أعدائه في الفضاء السلفي الجهادي وتنظيم القاعدة على التزام الصمت مؤقتا وانتظار تطورات المشهد، فقد عمل التنظيم على بناء استراتيجية فعالة، تقوم على تقديم مبادرات متلاحقة للتخلص من نقاط ضعفها البنيوية وإشغال أعضائها بديمومة الجهاد والقتال، فقبل أن تطفو التساؤلات داخل شبكة تنظيم الدولة من الجهاديين العرب والأجانب المعولمين عن المعايير المزدوجة للتنظيم والنهج المختلف في التعامل اللين مع جبهة العراق والصلب مع الجبهة السورية، قطع الناطق باسم الدولة أبو محمد العدناني في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ مع دخول أول أيام شهر رمضان الجدل معلنا عن طريق تسجيل صوتي بعنوان «هذا وعد الله» عن قيام دولة «الخلافة»، وتنصيب أبو بكر البغدادي إبراهيم عواد البدري خليفة للمسلمين، فبحسب العدناني: «اجتمع مجلس شورى الدولة الإسلامية، وتباحث هذا الأمر، بعد أن باتت الدولة الإسلامية بفضل الله تمتلك كل مقومات الخلافة، والتي يأثم المسلمون بعدم قيامهم .. فقرررت الدولة الإسلامية، ممثلة بأهل الحل والعقد فيها: من الأعيان والقادة والأمراء ومجلس

الحدثي الديمقراطي، وهي مسكونة بهاجس تنظيم القاعدة خصوصا والفضاء السلفي الجهادي عموما، وتأتي خطوة إعلان الخلافة كمعركة نهائية مع القاعدة، فدولة البغدادي لا تلتفت للآخرين من خارج البيت السلفي الجهادي فهم بين الكفر والردة والبدعة والعمالة، فبحسب العدناني: «تباً لتلك الأمة التي يريدون جمعها؛ أمة العلمانيين والديمقراطيين والوطنيين، أمة المرجئة والإخوان والسرورية».

خلاصة القول أن الإعلان عن قيام دولة الخلافة من قبل تنظيم الدولة أخرج الإسلاميين عموما، والسلفيين خصوصا، وكشف عن ضعف الاجتهاد الفقهي المتعلق بمفهوم الدولة، فهي تتهاوض الإعلان عن قيام الخلافة من داخل النسق السياسي التقليدي المتعلق بفقه الأحكام السلطانية وقاعدته الأساسية: «من اشتدت وطأته وجبت طاعته»، و«سلطان غشوم خير من فتنة تدوم».

في هذا السياق لا يتمتع «النموذج السلطاني» بالقبول والاستحسان شعبيا في المنطقة، ولا يمكن أن يحظى نموذج خلافة البغدادي بحواضن دائمة في العالمين العربي والإسلامي على المدى المتوسط والبعيد، فهو يتحصن بحواضن مؤقتة تقوم على استثمار العامل الهوياتي إبان الفوضى والتوحش والأزمات، ولا يشكل نهج التنظيم المتصلب نظريا وعمليا جاذبية لشعوب المنطقة على صعيد الحكامة، ولا يدشن نموذجا تطبيقيا ممكنا بالعقد والاختيار وفق نموذج الخلافة التاريخي الإسلامي، فهو يعتمد تراث الأحكام السلطانية المستندة لفقه التغلب والشوكة عبر فرض سيطرته المكانية بالقوة في أماكن رخوة ومأزومة، وبهذا لن يتمكن التنظيم من الصمود طويلا بخمسة عشر ألف مقاتل ولا يستطيع السيطرة على مساحات شاسعة، وكتل سكانية كبيرة تتشد حياة فضلى تتجاوز الأطر السياسية التقليدية، وتتشد العدالة والحرية والحكامة الرشيدة، لكن التنظيم قادر

الشورى: إعلان قيام الخلافة الإسلامية»، ولم يقتصر الأمر على مجرد الإعلان بل تعداه إلى فرضه على كافة القوى والجماعات، فقد حذر العدناني الجميع بقوله: «ونبّه المسلمين: أنه بإعلان الخلافة؛ صار واجباً على جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة إبراهيم حفظه الله، وتبطل شرعية جميع الإمارات والجماعات والولايات والتنظيمات، التي يتمدد إليها سلطانها ويصلها جنده»، لا يقف الأمر عند التنبية بل يصل حد القتل، فالعدناني يتوعد أنصار التعددية بقوله: «ومَن أراد شق الصف: فافلقوا رأسه بالرصاص، وأخرجوا ما فيه، كائناً مَن كان، ولا كرامة».

في اليوم التالي لتصيب أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين، أصدر البغدادي خطاباً أشبه بحالة الخلافة وبيان أحوال المسلمين دعا فيها إلى الامتثال والهجرة لدار الإسلام والخلافة قائلًا: «يا أيها المسلمون في كل مكان من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر فإن الهجرة إلى دار الإسلام واجبة».

وفي الوقت الذي صدرت فيه فتاوى عديدة من هيئات وجماعات وحركات إسلامية سياسية وجهادية ودعوية تستنكر الإعلان عن قيام دولة الخلافة، وتستند إلى عدم اكتمال الشروط الفقهية الشرعية، ومن أهمها غياب «التمكين»، وجهالة حال أبو بكر البغدادي، ظهر «الخليفة» لأول مرة صوتا وصورة خطيبا للجمعة في مسجد الموصل الكبير في السادس من رمضان قاطعا الجدل والسجال حول شخصيته ووجوده، الأمر الذي وضع الجماعات الإسلامية السياسية والجهادية في حرج شديد وكشف عن تناقض أطروحاتها المتعلقة بتطبيق الشريعة ووجوب استئناف الخلافة.

لكن خلافة البغدادي لا تلتفت إلى أطروحات الإسلام السياسي والدعوي باعتبارها اجتهادات بدعية كفرية متواطئة مع النظام

على زعزعة الأمن والاستقرار الهش والمحافظة على «إمارة توحش» مؤقته، في ظل غياب رؤية إقليمية ودولية تعالج الأسباب الموضوعية العميقة لمشكلات المنطقة التي باتت غارقة في سياسات «الهوية» والتحشيد الطائفي والخراب الاقتصادي والفساد السياسي والظلم الاجتماعي.

حول شبهات المتعاطفين

مع دولة البغدادي (داعش)^(١)

حمود بن علي العمري

لقد اغتر بعض الشباب بشبهات المتعاطفين مع دولة البغدادي ورأى بعضهم فيها حججاً لا تقبل النقض، فأحببت التعليق على بعضها فمناها:

١- الشجاعة والإقدام الذي يوجد في رجال

داعش، وهذا الإقدام يدل على إيمان و يقين فأقول أما دلالاته على إيمان و يقين فربما، لكن إيمان بماذا؟

فإن الإيمان واليقين ربما دفعت صاحبها إلى الإقدام، ولكن هذا لا يدل على صحة ما يؤمن به، فكم تجد من صاحب إيمان ببدعة من أشجع الناس في سبيلها وتاريخ الخوارج زاخر بذلك، بل وحتى التتار الذي مسحوا الأرض ذبحاً وقتلاً، فهل كان ذلك ليشككنا في ضلالهم، وأين شجاعة قطري وابن الأزق... والمختار، وابن تومرت وغيرهم عبر التاريخ، ممن تتقاصر في جانبهم شجاعة الشجعاني، بل الذين حاصروا عثمان وقتلوه كانوا من أشجع الخلق، وهم منهم.

فلا تغتر أخي بشجاعة المقاتل حتى يكون الحاكم لك وله الكتاب والسنة، التي كانت تقيد شجاعة الصحابة والسلف، فلا يتجاوزونها ولو كان هواهم في غيرها، وكان حديث (الإيمان قيد الفتك) هو معيارهم، فكم يحجم أحدهم حين

يأمره الشرع بالإحجام وهو يريد الإقدام، لأنه يصرف هواه إلى أمر الله ورسوله.

ولعلك تذكر تلك الطلبات من عمر وخالد وغيرهما، حين يطلبون الإذن من رسول الله لضرب عنق من بدرت منه بادرة كفر أو نفاق، فلا يتجاوزون أمره ونهيته، فهذا والله الجهاد الذي يراد به وجه الله، وهذه والله الشجاعة التي تدل على نزاهة صاحبها ودينه وورعه، أما بلا ذلك فهو قاطع طريق مقدم على ذلك، فهذا جواب هذه الشبهة الأولى باختصار شديد أوجه ضيق المقام.

٢- أما الشبهة الثانية التي يلبس بها أتباع

البغدادي على الناس فقولهم: لقد أطبق العالم على معاداتهم كما فعل المشركون برسول الله وأصحابه وليس ذلك إلا لأنهم على الحق، كما كان حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه حين رماهم الناس عن قوس واحدة، وستكون العاقبة لنا كما كانت لهم.

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين، أولاً: لا نسلم لكم بهذه الدعوى، فإن المجاهدين يُقصون في كل تجمع وفي كل خندق، وأنتم تستعرضون قواتكم ليل نهار، وهذا أميركم يخطب جهاراً نهاراً، وأنتم تزعمون أن المطلوب الأول عند الشرق والغرب، فهل كان ابن لادن أو الظواهري سيخطب كخطبته ثم يخرج سالماً؟

وهذه جموع الدواعش تستعرض في العراق والشام، وقد غطت براميل الرافضة الجو والبر، ولم يسلم منها كبير ولا صغير، فمادلالة ذلك عندك أخي المتعاطف بل انت أخي المتعاطف تعلم يقيناً أنكم تتسقون وتجمون الدعم وتتكلمون في مختلف الدول، والمخابرات على علم بذلك، وأنتم تكفرونهم، ومع ذلك!!!! وأنتم ترون الدعاة يُعتقلون لعشر معشار فعلكم، وأنتم تسرحون وتمرحون وتدعمون وتكفرون، ثم تزعمون أن العالم رمتكم عن قوس واحدة؟

أما لو سلمنا لك بذلك، فإن مجرد عداوة الناس لك لا تدل على صوابك ولا عدمه، فقد عادوا

(١) هذا المقال هو في الأصل حوالى ٥٠٠ تغريدة على تويتر.

القذافي شرقاً وغرباً ولم يكن ذلك تزكية له ولا مدح عليه، ولن تجد أخي المتعاطف دليلاً يدعم نظريتك هذه، فإن الحق يعرف بدليله وليس بكثرة الموافقين أو المخالفين، ولو تأملت في وضع داعش ومن يخالفها فستجد أن أمة الإسلام من علماء ودعاة ومفكرين وعباد وعامة لم تُجمع من قرون على أمر كما أجمعت على مخالفة داعش ومنابذتها والتخلي عنها، فهل كانت هذه الجموع من الأمة بمختلف مشاربها وتوجهاتها ومصالحها، لتجمع على مخالفة داعش وهي على الصراط المستقيم؟!

فلا تغرنك أخي المتعاطف هذه الدعوى، فهي كذب في ذاتها ولو صحت لم يكن فيها دلالة على ما يرمون إليه، وإنما هي من التهويش بالدعاوي لا أكثر، فلم يكن رسول الله وأصحابه يحددون الحق بكثرة المخالفين أو قلتهم، بل عرفوا الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا تُخدع بذلك، هذا جواب هذه الشبهة باختصار.

٣- الشبهة الثالثة قولهم: الدولة الإسلامية تريد أن تطبق شرع الله، وتقيم الخلافة الإسلامية وهذا هو حلم الأمة من أزمان مديدة، فلماذا تقفون في وجهها وتحاربون هذا المشروع الإسلامي العظيم، وهو حلم لكل مسلم، ولا يكرهه إلا منافق وعميل.

فأقول جواباً على هذه الشبهة: ما أسهل الدعاوى، وما أعسر الحقائق، لقد سمعنا هذه الدعوى الكبيرة من كثير من الطواغيت، فلم نزدنا بهم إلا بصيرة، ولن يكون البغدادي بمجرد دعواه أحسن حالاً منهم، بل أقول ما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه هي دعوى الخوارج الأولى لما خرجوا على أمير المؤمنين، بل أعجب من ذلك، إنها دعوى جد الخوارج ذي الخويصرة حين اعترض على حكم رسول الله ﷺ في غنائم حنين، فهي دعوى كاذبة ظالمة.

فهم يريدون تطبيق فهمهم للشرع وليس حقيقة

الشرع كما يفهمه العلماء على منهج السلف وطريقتهم في الاستدلال، وإلا فكل مبتدع يزعم التمسك بالقرآن، فإن قلت: هذه محاكم دولة البغدادي في كل بلدة يسيطر عليها، تقيم شرع الله وتطبق الحدود وتحكم بين الناس، فهل تقارن ذلك بحكومات الطواغيت؟!

فأقول: أما الحكم بين الناس بشرع الله فقد طبقه كثير ممن تكفروا بهم وتصفونهم بالطواغيت، فهم يقيمون المحاكم بين الناس ويأخذ الناس حقوقهم من بعض، بل هم أفضل منكم في ذلك، بكثرة محاكمهم وكفاءة قضاتهم بلا مقارنة مع شبابكم الذين قلدموهم القضاء وكثير منهم من أجهل الناس بالأحكام القضائية، بل إن الظلم في محاكم تلك الدول أقل منه في محاكم البغدادي، بسبب جهل قضاته أو ضعف الرقابة عليهم، فأى فضل للبغدادي في فتح محاكم تشوه شرع الله.

أما من جهة أخرى فإن محاكم البغدادي أسوء حالاً من محاكم الدول التي يكفرها هو وحزبه، وذلك أن أبرز ما تتبزه تلك الأنظمة عدم نزولها للشرع ليس في آحاد الناس بل في رموزها وقادتها، وهذا ما نقمه المجاهدون على البغدادي وزمرته وقادته، فإنهم تتكبوا شرع الله في أنفسهم وذويهم وليس في الأموال فقط، بل في أخطر المظالم وهي الدماء، فكم اتهم الناس البغدادي وجماعته بالقتل والظلم والتعدي على الأموال والدماء، وكم نادوا بالتحاكم إلى شرع الله، والبغدادي يقول تحاكموا إلى شرعي ومحاكمي وقضاتي، فقلي بربك أي فرق بينه وبين أشد الطواغيت الذي يكفرهم هو، فتمنعه عن تحكيم شرع الله على نفسه وحزبه، إما أن يكون لعدم كفاءة غير قضاته، أو لعدم عدالة غيرهم أو لعدم إسلام غيرهم، فأين كان الجواب، فهو يبين لك منزلة الأمة عند البغدادي وحزبه، وقد بينت الأحداث في الشام قيمة قضاء البغدادي واستخفافه بالدماء

وهل سمعتم حكماً على قائد من قاداته، على كثرة تجاوزاتهم وتعديهم وظلمهم، وما قصص أبي أيمن العراقي عنكم ببيعة، فمن يأمن هذا القضاء الظالم!

ولست أقول هذا بسبب سماعي عنهم، بل بسماعي منهم في مقاطعهم وبياناتهم التي يخرجونها بعد جرائمهم، وتكليفات شرعيهم التي تضحك المحزون، فوالله لن تجد طالب علم أو من شم القضاء وعرف بعض أحكامه إلا يعجب كل العجب من تلك المهازل التي تقيمها تلك المحاكم الهزيلة الهزيلة، فلسنا والله نكره أن يطبق شرع الله في شبر من الأرض، لكن شرع الله وليس شرع الطواغيت، بأي شعار وأي صورة، فلا تغرنك أخي الشعارات فهي السراب، هذا تعليق مختصر على هذه الشبهة، وهي تحتل أكثر من هذا.

٤- الشبهة الرابعة قولهم: لكل من ينكر عليهم تعدياتهم وتجاوزاتهم: لماذا لا تتكلمون على الحكام؟ ويقولون: أنتم تسكتون أو تجاملون أو تطبلون لطواغيت قد حاربوا الإسلام والدعاة وسجنوا المصلحين، فكيف نقبل نقدكم في الدولة وأميرها وقاداتها؟

وللجواب على هذا التلبس نقول: قد كذبتم ثم صدقتم كذبكم هذه، فلا نعلم عالماً أو داعية ممن تتبزونهم بالسرورية إلا وهم نصحة للخاصة والعامة وقد تكبدوا في سبيل ذلك كثيراً من السجن والتضييق والمتاعب، وقد أخذوا من السجن أكثر مما أخذتم، لكنكم تريدون نوعاً خاصاً من الإنكار، فهم على منهج السلف في إنكارهم وأمرهم ونهيهم، ولا ينكرون على طريقتكم بالتكفير والتفجير والإفساد، فهل أصبحت طريقتكم معياراً للأمة تحذوها؟

وليتك أخي تتبع طرق الإنكار على الظلمة عبر التاريخ، فستجد طريقتين، طريقة سلفية نهجها الصحابة ومن بعدهم من الأئمة، وطريقة المبتدعة الخوارج، وليس من شرط العالم الصادق أن ينكر

كل منكر، فإن هذا أمر لا يطيقه أحد إلا أصحاب المعارف الوهمية التويتيرية، وإنما كل مسلم ينكر ما يستطيع، ولم أجد أحداً في تاريخ المسلمين استطاع أن ينكر كل منكر في زمانه، وإنما العبرة في عدم تسويغ ذلك المنكر وشرعته، ثم إنكار ما يمكن إنكاره.

وهذا شاهد ذلك في شرعيي البغدادي وقضاته، لم نجد لهم حرفاً في إنكار جرائم البغدادي وقاداته وحزبه، خوفاً أو مدهانة، إلا أن تقولوا بعصمتكم، ولقد رأينا من الواقع أن محاكم تلك الأنظمة التي تكفرونها، تخرج الدواعش من سجونها أسراباً وتعقل كثيراً ممن تسمونهم سرورية، فأيهما أظلم؟

إن العلماء الصادقين ينكرون المنكر بلا منكر ويأمرون بالمعروف بالمعروف، وأنتم تريدون أن تنزلوا سواد الأمة على طريقتكم ومنهجكم مع جهلكم، ولو فرضنا صحة دعواكم، بأن من ينكر على صاحب منكر لا يقبل منه حتى ينكر كل منكر سواء، فمن سينطبق عليه هذا الشرط، من الأولين والآخرين؟!!

والله ما هذه إلا حيلة شيطانية للتحصل من كل محتسب عليكم، وإذا أغلقت باب الحسبة عليكم فالويل والثبور لمن يفعل ذلك، لقد اتخذ إلهه هواً، وهذا ما دعاكم لرفض المحاكم المستقلة بهذه الحيل الشيطانية، مع أنه لو دعاك يهودي للتاحكم لشرع الله لوجب عليك أن تجيبه، فكيف بمسلم؟!!

إن رفضكم نصح الناصحين بهذه الدعاوي، لم نسمعها والله من أصحاب الأنظمة الذين تكفرونها، بل كم سمعت من ذهب لنصح بعضهم فكان أحسن جواباً منكم، إن أصحاب الأنظمة ملوكاً وزعماء يتفاوتون في خيرهم وشرهم ولا ندافع عن أحد منهم بل كل منهم له وعليه بين مقل ومستكثر، بل بعضهم هو مارق من الدين، لكن العبرة في العالم الصادق في طريقة التعامل معهم حسب شرع الله ودينه وليس حسب المصالح

الشخصية والمواقف الخاصة، كما تفعلون من حيث لا تشعرون ألم تتركوا استهداف إيران لمدة عقود لأجل مصلحة الجهاد بزعمكم، فلماذا تتكرون على شيوخ المصالح كما ترعمون، أستم ترفضون نقد البغدادي علانية، فما الفرق بينكم وبين الجامية، مع أن أميركم يظهر من الشعارات الإسلامية ما لم يظهره عمر بن عبدالعزيز، وهو أبعد الناس عنها، ولا زلت أذكر حين كتبت بياناتي الخمسة عن دولتكم، كم راسلتموني على الخاص، وطلبت مناصحتي سرا وعدم النقد العلني، ثم تعيرون من يطبق ذلك مع غيركم، هذا بعض البيان لهذه الشبهة الرابعة.

٥ - الشبهة الخامسة قولهم: لا تجعل خصمك مجاهداً أو شهيداً، يحتج عليك يوم القيامة وهو يحمل رأسه.

وهذه حجة عاطفية، لا تحقق حقاً ولا تبطل باطلاً، فليس الجهاد أو الشهادة أعظم حرمة من التوحيد والإسلام، ومع ذلك لم يكن التوحيد أو الإسلام مانعاً من النقد والاحتساب عليه، بل أعظم من ذلك، فقد عاتب الله نبيه على ما لم يرضه منه سبحانه وتعالى، ثم الصحابة من بعده فقد اشتد الرسول ﷺ على بعض الصحابة في أمور لا تبلغ عشر معشار جرائم البغدادي وحزبه، ولم تكن صحبتهم وفضلهم وسابقتهم وجهادهم ما نعة من ذلك، وهذه بدعة داعشية بامتياز، وهي العصمة لكل من حمل بندقية حتى ولو كانت موجهة إلى صدور المسلمين بله المجاهدين، فبأي دليل منعمت نقد المجاهد؟

وهذا والله من أثر الجهل بالنصوص وبسيرة رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وإلا فأى جهاد كجهاد خالد، ثم يقال له: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، وأين فهمكم للجهاد من فهم عمر حين لبب خالد بثيابه وجره إلى أبي بكر ليحكم فيه بحكمه، ولم يقل خالد: يا عمر لا تجعل خصمك من قواد عشرات المعارك وأينكم من موقف رسول

الله ﷺ من أسامة بن زيد حين تأول في قتل رجل كان كافراً وأجرم في خيار الصحابة، ثم يأتيه من العتاب على قتله ما جعله يقول: حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت إلا هذا اليوم. فكيف لو رأى رسول الله ﷺ ما تأولتم فيه من قتل لخيار القادة والمجاهدين؟! بالمئات وأين نقد بغداديك من محاسبة عموم المسلمين لقادة الجهاد العظام الذين فتحوا الأمصار وجندوا الجنود، وكانوا حصناً للأمة وللدین ثم لم يكسبهم ذلك حصانة، بل مع فضلهم فقد نقدتهم الأمة واعتضت على تصرفاتهم التي تخالف الشرع، كما فعل ابن عمر وابن عوف مع خالد يوم بني جذيمة، ولولا ضيق المقام لذكرت أمثلة عديدة من نقد السلف الكبار من صحابة ومن بعدهم، لقادة الجهاد الذين شهد بفضلهم القاضي والداني، أم أنكم استثناء!

ولعل أحدهم يقول: لو كان ما تفعلونه نقداً ونصيحاً لقبلائه، ولكنه تخوين وتبديع ورمي بتكفير لهؤلاء المجاهدين، فكيف يقبلون منكم؟! فأقول: جواباً على هذا التلبيس: لقد رأيت أكثر من ينقدكم اليوم بشدة ويحذر من شركم، في بداية نقدهم لكم، كانوا أرفق بكم من الوالدة بولدها حتى أصابتهم الأذية من هذا الترفق بكم، لكن ذلك الرفق وللأسف لم يزدكم إلا غيأً وتمادياً في دماء المسلمين والمجاهدين وأموالهم وتلبساً عليهم ولقد اتخذتم من ذلك الترفق، ذريعة لتمرير كثير من باطلكم وبغيكم، حتى أصبح التعاطف معكم مشاركة في إجرامكم، وتحرج كل محب ومتعاطف معكم في ذلك.

بل والله لقد رأيت من بغيكم على المتعاطفين معكم عند أول مخالفة لهم معكم، ما لم نره إلا من الرافضة والبرالين وأضرابهم، فأين دينكم وجهادكم؟! حتى أصبح سكوت العلماء عنكم مطلباً لكم، لتمرروا من التلبيس ما لا يعرفه أكثر الناس، وأصبح الناصحون من العلماء والدعاة لا يرون سعة في السكوت، ثم إن هذه الشبهة التي

تلبسون بها وهي (لا تجعل خصمك شهيداً أو مجاهد) ترد عليك بأشد مما رميت به أضعافاً مضاعفة، وليس مثل دعواكم بل أشد، فكم سيخصمكم من شهيد قتلتموه بأتفه الحيل، ومجاهد كفرتموه بأمر هو لديكم أضعافاً مضاعفة، وكم سيخصمكم من عالم صادق خونتتموه ثم كفرتموه، فضلاً عن عشرات الدعاة وطلبة العلم وعموم المسلمين الذين لم تتركوا لهم من حرمة الإسلام صغيرة ولا كبيرة، فما هي حجتكم لهم يوم القيامة؟! ولا مخرج لكم من ذلك إلا بتكفير كل من خالفكم حتى لا يبقى لهم حق ولا حرمة - وهذا ما يفعله بعضكم بل كثير منكم - ثم تتباكون حين ترمون بالخوارج، وكل من يتابع معرفاتكم ومقاطعكم وكلمات رموزكم، يقطع بأنكم لا ترون مجاهداً ولا موحداً حقيقة إلا أنتم، فهل زاد عليكم الخوارج بشيء؟! هذا ما يتعلق بهذه الشبهة، وهي تحتل أكثر من هذا الجواب، لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

٦ - الشبهة السادسة هي ردهم على من

اتهمهم بأنهم خوارج، فقالوا: هذه أصول الخوارج معلومة - التكفير بالكبيرة، إنكار الشفاعة، عدم العمل بالسنة، تعطيل الصفات، الإمامة في غير قریش) فأى أصل وافقناهم فيه، والحقيقة أن هذه الشبهة قد اغتربها حتى بعض طلبة العلم، بل بعض من يخالف الدواعش، يقول: لا يصح وصفهم بأنهم خوارج لعدم قولهم بأصول الخوارج.

وللجواب على هذه الشبهة نقول: ليس من شرط نسبة أحد إلى فرقة أو جماعة بدعية، أن يقول بكل أصولهم وفروعهم، بل يكفي أن يوافقهم في أهم أصولهم، فمن سب الصحابة فهو رافضي، ولولم يلتزم أصول الرافضة كاملة من عصمة الأئمة وغيرها، ومن عطل بعض الصفات سمي معطلاً ولو أثبت كثيراً من الصفات، بل إن تسمية المعطلة بمختلف درجات تعطيلهم جهمية، معروفاً عن كثير من الأئمة، مع أنهم لا يوافقون الجهمية

في كثير من أصول الجهمية البدعية، وإذا أردنا معرفة أهم أصول الخوارج، فهي الأوصاف التي ذكرها رسول الله ﷺ في عشرة أحاديث في صحيح مسلم وبعضها في البخاري، وليس الأوصاف التي لحقت بهم بعد ذلك، والتي أخذوها من المعتزلة أو غيرهم، فلو كانت تلك الأوصاف التي وافقوا فيه الفرق الأخرى هي أهم أصولهم لم يحذر الرسول منهم ويترك تلك الفرق البدعية التي هي أصل تلك البدع، فلم يصح في فرق من النصوص التحذيرية ما صح في الخوارج، بسبب ما تفردوا به، فكيف نتجاهل الأوصاف الواردة في النصوص، ونذهب لأوصاف بدعية هم فيها فرع وغيرهم أصل، ولو كانت تلك الأوصاف هي المقصودة لكان التحذير من الأصل، فحري بنا معرفة أوصافهم التي وصفهم بها رسول الله أولاً، وليس الأوصاف التي اكتسبوها بعد ذلك من المدارس الكلامية، وسأذكر هنا أبرز تلك الأوصاف:

فأول أوصافهم تلك الحال التي أتى عليها جد الخوارج الأول حينما اعترض على رسول الله، بقوله: (اعدل يا محمد) إنه الاعتراض على طريقة الحكم حتى ولو كان الحكم رسول الله ﷺ، والمتبع للفكر الخارجي اليوم يجد هذا معلماً في سياستهم وتفكيرهم وتعاطيهم مع كل من سواهم، وما أمر المحاكم المستقلة عنا ببعيد، فكم تحايّلوا ليسقطوا شرعية كل حكم لا يخرج من دهاقينهم، ولم نجد لهم قبولاً لحكم مهما كان ذلك الذي حكم، بل إنها هي أول ما هوش به الخوارج في طورهم الثاني على عثمان رضي الله عنه حتى أهدروا دمه، بدعاوي الظلم وتولية من ليس أهلاً في نظرهم القاصر، أما في طورهم الثالث وهو خروجهم على علي رضي الله عنه، فأشهر من أن تذكر، إنها زوبعة الحاكمية وليس التكفير بالكبيرة كما يعتقد بعض المخذوعين، فهذا وصفهم الأول، وقد اقتضيت سيرهم قذرة بقذرة، ولولم يكن إلا هذا لكفاكم مشابهة للخوارج، ولكفانا مسوغاً لوصفكم بأنكم من الخوارج،

لقد اعتمدت الخوارج الأولى على مسائل الحاكمية وشغبوا بها حتى على رسول الله وخيرة الخلفاء من بعده وجلة أصحابه حتى أصبح من أسماءهم المحكمة، ومن يتابع أطروحات الدواعش والمتعاطفين معهم يجدهم لا يكادون يخرجون عن هذه القضية، حتى كفروا بسببها كثيراً ممن خالفهم في بعض فروعها، هذا ما يتعلق بهذا الوصف.

الوصف الثاني والثالث فهو ما ذكره

الرسول في قوله (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)

ولا يشك أحد أن غالبية الدواعش يدورون بين هذين الوصفين أو بهما، بل الحقيقة أنهم تميزوا بهذا الوصف، فلا تكاد تجد فيهم صاحب سن أو صاحب علم أو صاحب سابقة، فقد نابذهم أصحاب السن والعقل والسابقة حتى بعض من كان يوافقهم في بعض أفكارهم وأطروحاتهم، لم يستطع الاستمرار معهم، لشدة غلوهم، وتفرد حدثاء الأسنان فيهم بالرأي والقرار الخداج وليس سراً أنك لا تكاد تجد في شرعي داعش صاحب سن أو رسوخ علمي أو رأي عميق، عفواً عن غير الشرعي، أما عامة الأتباع والمتعاطفين فحدثاء الحدثاء، أما السفه في الأحلام فأشهر من أن يذكر، ولا عليك أخي إلا أن تنتظر لردودهم وردود المتعاطفين والمتعاطفات معهم، على العلماء عفواً عن غيرهم فإذا خالفهم عالم أو صاحب سابقة في العلم أو الدعوة أو حتى في الجهاد، فانظر لردودهم عليه، وكيف يستحلون منهم كل محرم، حتى كأنهم يتكلمون عن يهودي أو عن منافق معلوم النفاق بوحى من الله، ولك عبرة في نقاشهم مع نخبة من العلماء الذين لا يحسبون على أي جهة وكيف كفروا ببعضهم وبدعوا وفسقوا، وكيف استخفوا بهم وبعلمهم، واتهموهم بالعمالة للمخابرات وغير ذلك من التهم التي لا تصدر إلا من سفهاء أحلام، ألم يقل كبير المتعاطفين معهم والمنظر لأتباعهم ناصر الثقيل عن الشيخ البراك يستتاب من كلامه

في الدستور المصري، فأني سفه بعد هذا السفه، أما كلامهم عن العلامة الطريفي الذي عرف فضله القاصي والداني في العلم والدعوة والاحتساب ومناصرة الجهاد، لكن انظر لقيمتهم عند الدواعش بل انظر لكلامهم عن رموز كانوا يقدرسونهم ويعظمونهم ولهم من السابقة ما ليس للدواعش مجتمعين، مثل كلامهم عن رموزهم السابقة المعظمة لديهم سابقا مثل كلامهم عن الظواهري والجولاني وأبي مارية القحطاني والمقدسي والقنبي والمحيسني وغيرهم ممن لا يمكن أن يتميزوا عليهم بشيء في جهاد أو غيره وليس كلامي في خلافهم مع غيرهم، وإنما كلامي في طريقة خلافهم مع غيرهم من أهل الفضل والسابقة، وكيف ينطبق عليه أنه خلاف سفهاء الأحلام حقيقة، أما خلافهم مع عامة المسلمين من طلبة العلم وعامة، وعامة المجاهدين، فشيء مهول والله، فهم يستحلون قذف مخالفهم وشتمه وتخوينه وتكفيره وحتى قتله، ومن يرد شواهدا على ذلك فهو يعيش خارج التغطية، فإن جولة في مجالسهم أو مواقعهم أو معرفاتهم أو مقاطعهم وجرائمهم المصورة تبين ذلك بجلاء، لقد فرضوا على أنفسهم قطيعة عامة مع سواد الأمة عامتها وخاصتها، مما أورتهم هذا الحال الذي كان عليه الخوارج الأولى، وهو تفرد حدثاءهم بالأمر، ومن إعجازه ﷺ أنه وصفهم بهذين الوصفين المقترنين في النص وفي واقعهم عبر العصور، فإن المجتمع الذي يغلب عليه حدثاء الأسنان لا بد أن يكون طابعه العام سفه الأحلام، فلا يرعون لصاحب حق حرمة، ولا يعرفون لصاحب سابقة سابقته، فهذا وصفهم النبوي يتحقق فيهم كالشمس فهل يحق لأحد أن يزعم أن أوصاف الخوارج لا تنطبق عليهم؟! بل هي والله كما ذكرها ﷺ حذو القذة بالقذة، فهذا هو وصفهم الثاني، ولمزيد من التوضيح لهذه الصفة الفارقة، انظر لمفردات القذف والتكفير والتفسيق والتخوين والتسفيه، لعموم رموز الأمة علمياً ودعواً وفكرياً

في أطروحاتهم المختلفة، بل إن تكرار كلمة الردة والمرتد ومشتقاتها في خطاباتهم وبياناتهم تفوق أي كلمة أخرى، وهذا نتيجة طبيعية للسفاهة أحلامهم هذا ما يتعلق بهذه الصفة، بل هي صفتان مقترنتان متلازمتان في النص وفي الواقع، والله لقد رأيت من فجورهم مع خصومهم مالم أراه إلا من الرافضة، فهذه ثلاث صفات ذكرها رسول الله ﷺ، وبيننا أن تحققها فيهم أوضح من الشمس في رابعة النهار.

الصفة الرابعة والخامسة للخوارج الواردة في صحيح السنة وهي (يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)

فهذه صفتان وقد وردت في الصحيحين، فأما الصفة الأولى وهي أنهم يقولون من خير قول البرية، وهذا تحذير نبوي حتى لا تغرنا العبارات والشعارات حتى نرى العمل، فمن صفات الخوارج العبارات الرنانة (تطبيق الشريعة، الجهاد، رفع الظلم، الولاء والبراء) إلى آخر تلك العبارات التي لن تكون أحسن من عبارات سلفهم التي نادوا بها في وجه الرسول ﷺ ووجه عثمان وعلي وبقية الصحابة وهي شعارهم إلى اليوم، كلمة حق يراد بها باطلاً كما وصفها علي، وهذه خطابات البغداد والعدنان وبقية حزبهم، تسمع فيها من خير قول البرية، فلما تدعوهم إلى تطبيق تلك الدعاوي فإذا هي علقم على المسلمين، وهذه الصفة الخارجية هي التي غرت كثيراً من الشباب والمتعاطفين معهم، وقد سمعت ذلك من بعضهم مرارا، لأن المسلم بطبيعته يميل لقول الله ورسوله، بل من العجيب أن تجد من المصادفات اللطيفة، بعض العبارات في خطابات الدواعش هي بعينها في خطب الخوارج الأولين، وكذلك البدع تتعاقب ولو بلا قصد فالمطالبة بالعدل، من العبارات التي تأسر النفوس وتدغدغ المشاعر، لكن لا تنس أنها قيلت من سلفهم المارقين لرسول الله ﷺ فهل ستغرك عند ذلك! وكذلك حين تسمع قول العدناني: فأعدوا للصحنات - وهم من خالفهم - المفخخات

والكواتم ووووو، وهذا ليس في حق النصيري بل المسلمين، فإنك تتذكر قول سلفهم وهم يحمسون بعضهم لقتال خير أهل الأرض، علي وأصحابه، قوموا إلى الرواح، قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض فهل يغرك بعد ذلك، قولهم ولو كان من خير قول البرية، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق! إن القول الجميل لا يكفي حتى يتبعه فعل جميل، فهذا القول الجميل من الخوارج والاجتهاد في العبادة لم يمنعهم أن يمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فلا تخدع أخي بخطاباتهم وخطبهم ولعل بعضهم أن يقول: وهل نسكت عن القول الخير حتى لا نشابه الخوارج؟ فأقول إن الذم لم يكن للخوارج على قولهم الجميل، وإنما على تطبيقهم، فبعد أن قالوا من خير قول البرية، فعلوا أفعال شر البرية، فخدعوا الناس بالبيان، وذبحوهم عند التطبيق وأخرجوهم من دين الله أفواجاً وهذا عين ما يفعله الدواعش اليوم، فخُطب عظيمة، وخطبهم على المسلمين أعظم، فما من عالم ولا داعية ولا فصيل مجاهد ولا جماعة إلا يشتكي شرهم فهل حجّزهم كلامهم عن قتل المسلمين والمجاهدين وعن تكفيرهم وتفسيقهم وتخوينهم، حتى أصبح كل من يخالفهم في أرض الجهاد صحنات وهي مرادفة للردة عندهم، فهذه هي الصفة الرابعة والخامسة وهي مقترنتان في الحديث وفي الواقع، القول الجميل والفعل القبيح، فالقول يغفر السفهاء، والفعل يعتبره العقلاء.

ومن هذه الصفة تخرج الصفة السادسة لهم، وهي ما رواه البخاري عن ابن عمر قال (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، فتسمع الكلام والاستشهاد وذكرهم للنصوص، فإذا هو من خير قول البرية، فإذا تأملت مقاصدهم، فإذا هو إخراج للمسلمين من دين الله أفواجاً فعندهم هذا مرتد وهذا كافر وهذا منافق وهذا عميل وهذا صحنات، وكلهم حلال الدم والمال والعرض، ويخاصمونك بأدلة نزلت في

فهل بعد هذا يعترض معترض على وصفهم بأنهم خوراج! وقد رأيت أخي كيف انطبقت عليهم تلك لأوصاف الواردة في النصوص، ولم نقل فيهم مالم يثبت عليهم، وقد اعترض أحدهم بقوله: أليس أصحاب محمد ﷺ من حدثاء الأسنان، وكان هذا من أسباب سخرية الكفار بهم، فأقول له: أولاً: ليس وجود حدثاء الأسنان في صفوف المجاهدين أو الدعاة أو طلبة العلم هو الوصف الذي أراد ﷺ، بل المقصود تصرفهم بالأمر كما تجده عند الخوارج في القديم والحديث، المحذور تصرف هؤلاء الحدثاء وتسفيههم لأهل العلم والرأي والسابقة، واعتقادهم في أنفسهم الكمال كما نراه منهم جلياً، إن الحدث إذا كان في سواد الأمة وتحت رأي أهل العلم والفكر والرشد، كان وقوداً لعزة الأمة وخيرها، فإن تصرف أفسد هذا ما يتعلق بهذه الصفة.

الصفة الثامنة وهي (أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني)، هذا قول الأمين ﷺ لأولهم حينما خونه في قسمته، إنه التخوين، وهذا حالهم اليوم وعبر تاريخهم، التخوين، وهم يبدأون بالحكام حتى لا ينكر عليهم أحد، لما في الحكام من كثرة الخيانة، ثم يتدرجون في التخوين حتى يصلوا إلى تخوين العلماء قليلاً قليلاً حتى يصل بهم الحال إلى تخوين كل مخالف لهم، مهما كان فضله وعلمه وجهاده، وانظر لوصفهم للمجاهدين، فإذا كان سلفهم خون من آمنه الله، وخونوا عثمان وعلي، فما عسى أحفادهم اليوم يفعلون في عموم المسلمين، ومن يخالفهم في جرائمهم ومجازرهم، فلا تغرنك أخي عباراتهم الرنانة في تخوين المخالفين لهم، فقد قالوها لأمين الله على دينه ووحيه، وقالوها لخيرة الخلق بعد الأنبياء، الصحابة، هذا هو الوصف الثامن لهم يطابقون فيه سلفهم بلا مرية، فاحذر أخي المسلم والمجاهد أن يستجرك أهل البدعة لبدعتهم وقد حذرك رسول الله منهم.

الكفار والمنافقين، فلسنا بحاجة بعد ذلك لنحقيق في مسألة كلامية هل هم يكفرون بالكبيرة أم لا، بل الواجب النظر في تطبيقهم وليس في تنظيرهم، فهو الذي ورد به النص فلا تغتر أخي باستشهاداتهم حتى تسمع كلام العلماء في دلالة تلك الأدلة حتى لا يخدعوك بذكر أدلة وحشدها على مسائل لا تدل عليها، فالعلم العلم فهذا ما يتعلق بالصفة السادسة الثابتة في حق الخوارج الأولين وهي في الدواعش كالشمس في رابعة النهار، ومن عرفهم وخالفهم لم يخف عليه أمرهم.

أما الصفة السابعة فهي ماورد في الحديث الصحيح (يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم) لكن النتيجة أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم، فهذه الصفة هي العبادة على جهل حتى يغتر بعبادته وتغر نفسه ويحتقر الناس ثم يفسقهم ثم يكفرهم ثم يستحل قتلهم فإذا هو خارجي بامتياز وهذا والله ما رأيت من بعضهم، فهو يلتزم اليوم ويتلمذ غداً ويتمشيخ بعده، ويتوغل في العبادة بما يغربه من حوله، وعبادة الجاهل داء عضال، وسبحان الله كيف ورد التحذير منهم، مهما ظهر لنا من حالهم في العبادة أو حسن الكلام أو الشجاعة والإقدام حتى لا يغتر به قليل العلم والمعرفة، ومع ذلك لا زال شبابنا يخدع لأحوالهم ويغتر بأقوالهم وكأنهم لم يسمعوا تلك النصوص الواردة فيهم، وقد كان سلفهم أكثر عبادة، ولم يغتر بهم السلف، وناقشني والله من اغتر بعبادة بعضهم، وقال: كيف تبدعهم وقد جلست معهم أهل عبادة وقرآن وذكر، فقلت له: ما زدني فيهم إلا بصيرة، ألا تنظر لفعلمهم! ومن تأمل حالهم وأوصافهم الواردة على لسان الصادق المصدوق، وجدها شبه متلازمة، فحديث السن إذا تصرف بالأمر وغر من حوله بقوله وعبادته كانت النتيجة سفة الأحلام، وذلك بالتجني على كل من يخالفهم وانتهاك حرمتهم، وتجاهل حقوقهم، وحتى سفك الدماء، فأني سفة أشد من هذا

بها فهي مع أنها من صفاتهم كما في الحديث ، فقد اتخذها خوارج اليوم مبرراً لهم من صفات الخوارج ، فقالوا نحن على النقيض من ذلك ، فلا نكاد نحلق ، فالتحليق مع أنه سمة الخوارج الأولين ، لكن التحليق في حد ذاته ليس هو الأهم ، بل الأهم هو أنهم يجنحون إلى التمييز عن الأمة فكراً وفعلاً وحتى شكلاً ، فهذا الشعور بالتفرد والتوحد عن سواد الأمة هو المذكور في هذا النص وفي غيره ، لأن هذا يعكس حالة مرضية عند صاحبه ، يوصله إلى احتقار من سواه ففي الحديث الآخر (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة) وغيرها من النصوص التي تدعو إلى الدخول في عموم المسلمين وسوادهم ما دامو على السنة وهذا ما فقهه السلف فكانوا يجنحون إلى تطبيق السنن التي لا تشهرهم ولا تميزهم عن عموم المسلمين ، كما كان يفعل بعضهم في تقصير الثوب وعدمه ، إن محاولة التمييز والتمايز عن صفوف الأمة وسوادها وشعاراتها ومظاهرها ، مدعاة للتمييز عنها في عقيدتها وفكرها ، وهذا ما وقع فيه الخوارج الأوائل فقد تميز الخوارج الأوائل عن الأمة بالظاهر وذلك بالتحليق ونحوه من التقشف المبالغ فيه ، فلم يلبثوا أن تميزوا عنها بالفكر والمنهج ، ثم السيف وهذا ما نراه اليوم في الدواعش وفي كثير من المتعاطفين معهم أو يحمل فكرهم ، بإطالة الشعور المبالغ فيها ، ولبس السواد وطريقة اللثام وووو وليس لهم في ذلك إشارة من سنة أو أثر ، وإنما هو مرض التمايز عن سواد المسلمين ، وأنا هنا لا أمتدح التحليق أو الشعر أو أذمهما فهما مجرد ظاهرة ، إنما المقصود الدافع إلى ذلك التمييز ، ثم أثره النفسي بعد ذلك وأثره الفكري والمنهجي والسلوكي ، الذي أورث أمراضاً معضلة وانحرافات خطيرة وإذا أخذنا في الاعتبار أن أكثر من يتأثر بهذه التميزات هم شريحة الشباب حدثاء الأسنان ، فإنك تجد هذه الظاهرة وهي حب التمييز في الصالح وغيره فلا تعجب من هذا في الشباب الصالح ، فهو أثر لهذه المرحلة العمرية وربما طال به هذا الأثر

الصفة التاسعة الواردة في الخوارج وهي تنطبق على تنظيم داعش فهي قوله (يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم) وهذا في صحيح مسلم وهذه والله قاصمة الظهر ، حينما يحسب الشاب الغر الذي لم يحصل من العلم ما يبصره ، فيقرأ الآيات يظنها له وهي عليه وعلى منهجه وحزبه وجماعته ولعل أحدهم يقول: وكيف جعلت هذا الوصف علينا ، وربما تكونوا أحق بهذا الوصف ، وهل تريد أن تسد علينا الاستدلال بآيات الله حتى لا نكون من الخوارج!

فأقول: ليس الأمر كذلك رحمك الله ، فإن هذا الوصف مرتبط بوصف سابق وهو تفرد حدثاء الأسنان بالأمور ، حتى أمور تنزيل النصوص ، فوقعوا في هذا المزلق ، عند ذلك تتكامل فيهم أوصاف الخوارج بشكل لا يمكن انفكاكهم منه ، وهذا والله إعجاز نبوي ، وقد رأيت أحدهم يعترض ويقول: يكفيننا الكتاب والسنة ، وهذه كلمة حق والله لو عرفوا فقهها ، وهل جهد الأئمة سلفاً وخلفاً إلا لفهم هذين الأصلين!! ثم يقول أحدهم: لا تحتاج مع الكتاب والسنة إلى شيء فقلي بربك أي فهم سيحصله شاب من كتاب الله وهو لم يحط بعلم آلة ولا علم غاية!! أي تسطيح للعلم والشرع أكثر من هذا ، لكنه غرور الشباب وجهله ، وهذا الأمر كان نتيجة حتمية لتخوين العلماء وتسفيههم ، حتى أغلقوا على أنفسهم باب الانتفاع من العلماء والاستفادة منهم في كيفية فهم النصوص حتى استقل هؤلاء الشباب بتفسير النصوص ثم تطبيقها ثم تنفيذ ما توصولوا إليه من أحكام ، وهي والله كما في الحديث يحسبونها لهم وهي عليهم ، كم رأينا والله من هذا عجباً ، فهل يعي شبابنا هذا المزلق الخطير ، ويعودوا إلى العلماء وإلى سواد الأمة ولا يغتروا ، فمراجعة الحق خير لهم.

الصفة العاشرة التي رأيت توارد الخوارج الأولى والدواعش اليوم عليها فهي (سيماهم التحليق) وهذه الصفة هي من الشبه التي يهوّشون

أصحاب المعاصي الكبائر، فأول أمر كفّروا به علي ومعاوية وبقية أصحابهما، لم يكن تخريجاً عندهم على تكفير صاحب الكبيرة، وإنما غالوا بعقولهم القاصرة في هذه المسألة، ولم ينكر عليهم الصحابة انطلاقاً من هذا الأصل البدعي، بل أنكروا عليهم جعل مسائل من فروع الدين أو من مسائل الاجتهاد، جعلوها من الأصول التي يكفر عليها، وهذا هو عين ما يقع فيه خوارج اليوم -

داعش- فليسوا يؤصلون لتكفير أصحاب الكبائر ولكنهم جعلوا ما ليس مكفراً مكفراً فكفّروا به، ومن أشهر ما كفّروا به في السابق واللاحق، مسائل من الحاكمية وجعلوه باباً مطرداً، وجميع المخالفة فيه ردة بمختلف صورها المكفرة وغير المكفرة بل وحتى مسائل الاجتهاد منها، كفّروا المخاف فيها، وسيأذكر لها مزيد تفصيل بإذن الله في فقرة مستقلة، وكذلك فعلوا في باب الولاء والبراء، فجعلوها جهاً واحداً، وأحكامه ردة حتى في صور لا تصل إلى الكفر والردة، بل في صور منه هي من مسائل الاجتهاد، إلى غير ذلك من الأبواب فلا تجد في النصوص ولا في خطب الخوارج الأوائل، النص على تكفير صاحب الكبيرة، وإنما واقعهم وتطبيقهم أوصلهم إلى ذلك، فجعله العلماء من أصولهم فلما أصبح الخوارج فرقة كلامية لها تنظيمها، التزموا ذلك كما تجده في كتب ورثة الخوارج نظرياً وهم الإباضية، فالعبرة بالتطبيق والواقع، وهذا هو حال الدواعش اليوم حذو القذة بالقذة، فلم يصرحوا بكفر صاحب الكبيرة، لكنهم جعلوا مائيس مكفراً مكفراً، ثم كفّروا به، فإذا النتيجة واحدة.

فلا تغترأخي بقولهم: أين وجدتم أن الدولة تكفر بالكبيرة؟ فإن هذا لا وجود له حتى في خطب نافع بن الأزرق وشبيب الخارجي، وإنما النظر في واقعهم، إذا تبين لك هذا الجواب على هذه الشبهة الشيطانية، أيقنت أنهم أحق الناس بهذا

كما نراه في غير الصالحين، من تتبع للموضات والتقليعات وأذكر أن أحدهم حدثني وهو من أعقلهم، قال: كنا في السجن إذا رأينا أحد الشباب وقد أطال شعره، قلنا بيننا: هذا المنهج، إعجاباً بفعله وشكله، وارتباط هذه الصفة وهي العاشرة بما قبلها من الصفات مهم لمعرفة النسق الفكري لهذه المجموعات في القديم والحديث، وإدراك هذا الإعجاز النبوي هذه هي الصفة العاشرة وهي من وجه آخر الشبهة السابعة للدواعش الذي ظنوا أن عدم وجود التحليق فيهم يكفي لإخراجهم من الخوارج، وهذا جهل كبير، هذا ما يتعلق بالوصف العاشر الذي وافق فيها خوارج اليوم خوارج الأمس، وهي كذلك شبهتهم السابعة.

٨/ ٩- الشبهة الثامنة وهو الوصف الحادي

عشر الذي وجدته للخوارج في النصوص، ووجدتها تنطبق على الدواعش اليوم، وهي أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وقد لبسوا على أتباعهم بذلك، فقالوا: هذا وصف الخوارج ونحن إنما نقتل أهل الصليب والرافضة وعباد القبور والمرتدين، فأين حالنا من وصف الخوارج الوارد في الحديث؟

وللجواب على هذه الشبهة، لا بد من ذكر شبهة أخرى حتى نجيب على الشبهتين معاً، الشبهة التاسعة والوصف الثاني عشر للخوارج، وهو قولهم الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، فهل وجدتم في للدولة بياناً تكفر فيه بالكبيرة؟

فأقول: لم يرد في نص واحد مما صح في وصف الخوارج أنهم يكفرون بالكبيرة، فالعجب ممن يترك الأوصاف الواردة في النصوص الصحيحة ويذهب إلى كتب الفرق، فإن قالوا: فهل تريد أن تلغي هذا الوصف عن الخوارج؟ فأقول: ليس كذلك وإنما أقول: إن هذا الوصف وقع متأخراً عن ظهورهم، فهم لم ينطلقوا منه وإنما غلوا في بعض أحكام الدين وبالغوا في النكير على من خالفهم فيها حتى أوصلهم غلوهم، أن أصبح حالهم تكفير

يبين تلبيسكم فيها.

وللجواب أقول: إن هذا الوصف على شقين، فالأول: أنهم يقتلون أهل الإسلام وهذا ما عرفه عنكم القاضي والداني ولا يوجد جماعة جهادية إلا نُحرت منكم وقد بلغ قتلاككم من أهل التوحيد آلافاً، وإن سميتموهم مرتدين أو صحوات أو محرضين أعوان السلاطين أو أو بمختلف الأسماء التي أخرجتموهم بها من الإسلام، واسألوا القاتل المظلوم، الجيش الإسلامي في العراق، كم نحرتم فيهم وكم استحلّت من دماءهم، تحت مسميات مختلفة والنتيجة واحدة وكأني ببعضكم فرح بذكرى للجيش الإسلامي حتى يعترض بقوله: ألم تعلم أنه قد دخل في الصحوات وانحل بين هارب أو مستسلم أو مرتد مع الصحوات؟!

فأقول: علمت والله، وصدقت في بعض ذلك، لكنكم أنتم والصحوات الحقيقة ساهتمتم في ذبحهم، وإن كان قد التحق بعضهم بالصحوات فإن غالبهم ذبح بأيديكم ولا يوجد فصيل جهادي في العالم الإسلامي اليوم قتل من المجاهدين، عفواً عن عموم المسلمين، مثلما قتلتم أو قريباً من ذلك، هذا أمر لا مرية فيه.

بل إن كثيراً من الأنظمة التي تكفرونها، لم يقتلوا من المسلمين عشر ما قتلتم، وخصوصاً القتل النوعي لقادة الجهاد وعقوله المدبرة والفاعلة هذا في الواقع والتطبيق، أما في التنظير، فاسألوهم عن عموم المسلمين ما حكمهم، فسيقولون لا نكفروهم بل هم على أصل الإسلام عندنا ما لم يرتكبوا مكفراً، وهذا كلام ظاهر الحق وباطنه السم الزعاف، فإنك ستجد في خانة المكفرات أن غالبية سواد الأمة لم يسلم من مكفر وقع فيه، فسألهم عن ملايين من الجيوش، واسألهم عن ملايين من رجال الأمن، واسألهم عن جميع الجماعات الإسلامية التي تخالفهم، اسألوهم عن حماس والإخوان واسألهم عن جميع الفصائل الجهادية التي تخالفهم، واسألوهم عن العامة الذين لا يرون رأيهم وينابذونهم ويعادونهم، واسألوهم عن

الوصف الوارد في كتب الفرق، الذي أصبح من أشهر أوصافهم وأحوالهم، وهنا يتبين الجواب عن الشبهة السابقة ذكرها وهي أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، فهذا وصف من كلام الصادق (عليه السلام)، فإن قلت كيف ذلك، قلت لك لقد رأينا وسمعنا من بياناتهم الرسمية مرات ومرات، أن قتال المرتدين وتفجيرهم أولى من قتال الكافر الأصلي وهو أمر مشهور ومعلوم من خطبهم وبياناتهم وتطبيقاتهم وهو الأهم، ولن يخبرك عن واقعية هذا الأمر أصدق من الفصائل المجاهدة التي رأت منهم تطبيقاً لذلك، فهي كما ذكر الله، خطوات الشيطان، فهم كفروهم حتى يخرجوا من حرج قتال المسلمين وترك الكافرين، ثم جعلوا الأولوية لقتال هذا المرتد الصحوجي، وقد جعلوا هذا المصطلح غطاء لتكفيرهم الجماعي، فقالوا صحوات - ونحن لا ننكر وجود نوعاً من الصحوات حالفوا الرافضة والنصارى - ويقصدون به من خالفهم، بل رأينا من معرفاتهم المعلوم قطعاً أنها لبعضهم، من يفضل ويقدم قتال حماس على قتال اليهود، لأنه من باب قتال المرتد أولى من الكافر الأصلي واسألوا عنهم أهل الشام، وعن كذبهم على الفصائل المجاهدة حتى أقرب الناس إليهم كما يزعمون سابقاً وهي جبهة النصرة، فقد كفروهم واستحلوا قتلهم، وقل مثل ذلك عن مجازرهم ضد الأحرار وغيرهم من الكتائب المجاهدة، فقد أعملوا فيهم القتل والتفجير والتفخيخ، وقتلوهم قتل ردة لا قتل دفع ولا أقول هذا افتياتاً عليهم، بل هذا نص كلام العدناني، وغيره من متحدثيهم، حتى قال أحدهم: نحن أخطأنا معاصي وأنتم أخطأكم ردة!!!!

فيذا ضمنت كلامهم هذا مع قولهم: قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي، وعلمت من المرتد عندهم، تبين لك أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، فإن قالوا: كيف تزعم أننا لم نقاتل أهل الأوثان وهذه مواقفنا فيهم قد شهد العاصي والداني فأقول: هذه شبهة تحتاج إلى جواب

كل عالم خالفهم واسألوهم عن أعلام العلم والفكر والدعوة الذين لا يرون رأيهم ويخالفونهم ويحذرون منهم، كل هذه الأعداد من الخاصة والعامة عندهم لهم أحكام مختلفة الألفاظ متفقة المعنى، فهم بين صحوات أو طغاة، أو أعوان ظلمة أو طوائف ممتعة، أو أو أو، لكن هذا أسماء لمعنى واحد وهو الردة وإنك إذا حاقتهم في المسلم من أعيان الأمة وخاصتها وعامتها، لم تجد إلا الدعاوى الفارغة، وإنما هو التكفير للخاصة والعامة بأعرب الذرائع فهل يقول عاقل بعد هذا أنهم لا يكفرون أهل الإسلام ولا يقتلون أهل الإيمان من العلماء والمجاهدين والقادة الذين عجز عنهم أعداء الأمة؟؟!! فهل يقول عاقل اليوم أن هذا الوصف (يقتلون أهل الإسلام) لا ينطبق عليكم، بل والله هذا من خداع الأمة عن حقيقة عدوها، فقد نافستم اليهود في ذلك، فهذا ما يتعلق بهذا الشق من وصفهم وهو قتلهم لأهل الإسلام.

أما الشق الثاني وهو أنهم يدعون أهل الأوثان، فقد نظروا لها وطبقوها عملياً، فقد نظروا لأولوية قتال المرتد على قتال الكافر الأصلي، وقد سبق بيان المرتد عندهم، حتى قال قائلهم: إن قتال حماس أوجب من قتال اليهود؟؟!! هذا ما نظروا به، أما تطبيقهم، فتجدونه في الإحصائيات لعملياتهم في الشام، وذلك بالمقارنة بين عدد عملياتهم في المناطق المحررة والمحتلة والمقارنة بين عدد عملياتهم ومفخخاتهم وتفجيراتهم في النصيرية وعدد عملياتهم في الفصائل المجاهدة بمختلف مسمياتها، وستجدون مفارقة مخيفة، وانظروا لعملياتهم في العراق وقارنوا بينها في المناطق السنية والمناطق الراضية، وعدد من قتل على أيديهم من الراضية ومن السنة لتعلموا الحقيقة بل انظروا لأتباعهم وأشباهم في اليمن كيف توجهوا لقتل العساكر السعودية وترك الحوثي يعيث في اليمن فساداً؟؟!! كل هذا طرداً لأصلهم الفاسد وانظروا لأعداد تفجيراتهم في المجاهدين وقارنوها

بأعداد عملياتهم في إيران، لتعلموا حقيقة قتلهم لأهل الإسلام وتركهم لأهل الكفر والأوثان، وليس شرطاً لأن ينطبق عليهم الوصف، أنهم لا يقتلون كافراً أبداً، فهذا لا يوجد في الخوارج الذين لا شك في خارجيتهم، وإنما العبرة بالغالب، ومن قرأ سيرة خوارج المغرب الذين قاتلوا العبيديين، وجد أنهم أحسن حالاً من خوارج داعش، فقد قاتلوا العبيديين الكفرة، ومع ذلك لم يختلف العلماء في كونهم خوارج، فهل نقول التاريخ ونعي الواقع ولا نخدع من جحر مرتين بل مراراً، وهذا والله من ضريبة الجهل بالدين والتاريخ، هذا ما يتعلق بهاتين الشبهتين بل الشبه التي لبسوا بها على شباب الأمة وعامتها، حتى أصبح بعض الفضلاء مع مخالفته لهم يتحرج من وصفهم بالخوارج، وأنا أقول والله وبالله وتالله، ما يخالجنى شك في خارجيتهم، ولم أجد وصفاً نبوياً لهم إلا وجدته فيهم كالشمس، فهل نخادع أنفسنا ونخدع الناس!

نكمل بقية أوصاف الخوارج التي وجدتها تنطبق على أتباع البغداديين، منها حديث مسلم عن علي رضي الله عنه، قال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقبهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرائعكم وأموالكم والله إنني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله، قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال مررنا

على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال: لهم ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما يناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً، فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخذج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له.

فتضمن هذا الحديث عدة أوصاف للخوارج، غير ما سبق ذكره فمنها قوله (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) ففيه وصف غيبي ووصف حسي، فأما الوصف الغيبي فلا يعلمه إلا الله لكنه ربطه بوصف ظاهر، وهو سرعة تقلبهم وتغيرهم وتقحمهم على الأمور العظام التي ربما أخرجتهم من الدين، وهذا وصف ظاهر فيهم قديماً وحديثاً، ومن جرب نقاشهم اليوم يعرف مصداق ذلك، وخصوصاً إذا ربطت ذلك بوصف حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام وقد وردت عدة صيغ لوصفهم هذا في عدة روايات كلها تدل على سرعة خروجهم من الدين، حتى شبهه بالسهم الذي سبق الدم والفرت، فأى تشبيه أراد غير هذا، ومنها كذلك قوله (فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم) فقد رأينا كتائب المجاهدين لا يروعه على من خلفهم وعلى مقراتهم، حين يهاجمون العدو إلا الدواعش، وقد حصل هذا منهم مرات، يدعونهم حتى يواجهوا النصيرية، ثم يخلفونهم، فهذا والله من أوصاف الخوارج الأولين وأحوالهم، وهو الغدر بالمجاهدين وإشغالهم عن عدوهم، تحت

ذرائع وأعداء ليست أحسن حالاً من أعداء أسلافهم، منها قول قائد الخوارج ابن وهب الراسبي (ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما يناشدوكم يوم حروراء) إنه الإعراض عن سماع النصح وسماع الحجة والبيان حتى لا يتأثر الأتباع، كما تأثروا بكلام ابن عباس سابقاً، وانظر بالله عليك في ردود الدواعش وتحذيرهم من سماع بيان الناصحين والعلماء وأصحاب الحجة والبرهان، وكثرة تحذيرهم من سماع كلام المخالفين لهم حتى لا يتأثر أتباعهم من الشباب الأغرار، فسبحان الله كيف تشابهت صفاتهم، وكيف توافقت أحوالهم حتى انطبق عليهم قول الصادق (يخرج من ضئضئ هذا) فهم والله على نفس الشاكلة والمنهاج، ومنها في هذا الحديث استحلاف عبيدة السلماني لعلي ثلاث مرات، وما ذلك إلا لما وقع في قلوبهم من قتلهم لأقوام قد أنهكتهم العبادة والصلاة، وهذا والله ما يعانيه كثير من قادة الجهاد الذين يريدون رد عاديتهم، فيستعص عليهم بعض أتباعهم، أغتراراً بما يظهرونه من التدين والشعارات.

فأقول سبحان الله ما أشبه الليلة، بالبارحة، وما أرحم الله بهذه الأمة حيث بين لها على لسان نبيها، بياناً شافياً، لا يُخدع بعده إلا جاهل، فعجبي ممن يغتر ببيانات الخوارج، ولا يقتنع بكلام الصادق المصدق، وأنصح الخلق للخلق، فمع هذا البيان النبوي، فقد اغتر بهم آلاف الشباب الأحداث هذا ما يتعلق بالشبهة التاسعة لهم، وقد صالوا وجالوا بها على كل من رماهم بالخارجية، وتصلوا من صفات الخوارج، وقد والله تحررت تلك الأوصاف من كلام الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، وقد ذكر الإمام مسلم في الخوارج عشرة أحاديث، لم أجد فيها وصفاً، إلا هو فيهم بجلاء إلا الأوصاف المعينة المختصة، مثل وجود ذي الشديتين، وخروجهم على حين فرقة من المسلمين، ويقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق، فهذه أوصاف مختصة بتلك التي خرجت على علي رضي الله عنه، ومع

ذلك ففيها إشارات لطيفة، إلى أوجه تشابه مع خوارج اليوم، فمن ذلك خروجهم في وقت الفتن والفرقة فهذا ملحظ لطيف، أنهم من الأمراض التي تخرج في الأزمان، وكيف يزدون أزمة الأمة، ولعلكم تذكرون وقت دخول داعش إلى الشام وكيف ضاعفت أزمته وكذلك فصيلهم الذي خرج في غزة في تلك الأزمة بين الغزاوية واليهود، والحصار الذي كانوا فيه، ثم يخرجون فيهم ليزيدوا وهنهم ويشتتوا أمرهم.

وكذلك ذكره لذي الشديتين، ليكون برهاناً لعل رضي الله عنه حين يقاتلهم، لعلمه ﷺ بكثرة من سيخضع بهم وبظاهريهم الموهوم مع أن الذي سيقايلهم هو أفضل أهل زمانه بلا خلاف، مع ذلك احتاج مع الخبر الذي ينقله وما كذب فيه ولا كذب، احتاج إلى أمارة ظاهرة تصدق خبره كل ذلك، يبين شدة لبس أمرهم على كثير من الناس فهذا عبيدة السلماني من خيار التابعين، ومن أفقه أصحاب علي، ومع ذلك يستحلف علي في أمرهم ثلاثاً فلا غرابة أن يلتبس أمرهم على بعض الفضلاء، وإنني لأرجو الله أن يجعل هذه الكتابة مما يساهم في بيان حقيقة حالهم ويجلي دقائق أوصافهم.

وكذلك قوله يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق، مع أنه وصف لعل وأصحابه في مقابل أهل الشام، إلا أن في ذلك ما يوحي أن الذين يتبصرون لأمرهم وتتجلى له حقيقتهم، على كثرة ما يكتنفهم من لبس وما يظهرون من شعارات وعبادات وأقوال، هي من خير أقوال البرية، كل ذلك لم يخدعهم عن حقيقتهم فهذا عندي مما يشعر بأن من يتبين له أمر الخوارج على مر العصور مع شدة التباس أمرهم، هم أصحاب البصيرة من العلماء والمجاهدين والقادة فمع أن هذه في ظاهرها أوصاف مختصة بمن خرج على علي، إلا أن في طيها ما يدل على أمر الخوارج بمثل ما ذكرناه من إشارات نبوية عظيمة.

وبهذا يتبين لك أخي مطابقة صفات الخوارج

الواردة في النصوص وفي كلام السلف ومن أحوالهم في الماضي والحاضر، ما يدل على خارجية الدواعش قطعاً فمن كان عنده علم فليجد به على من لا علم عنده، فهذا ما توصلنا إليه في أمرهم، فمن تبين له خطأ هذا التوصيف فليبينه لنا ونحن نعود إلى الحق، فقد كنت والله باحثاً عن الحق في أمرهم، وقد دفعني إلى زيادة التفصيل في هذه الشبهة التاسعة، ما رأيت لها من وقع على الشباب وكيف غرتهم وقد رأيت بعض العلماء والفضلاء يصفهم بأنهم خوارج ثم لا يفصل في ذلك، فيردونها شبهة عليه بقولهم: هذه أصول الخوارج وهذه أصولنا السلفية!

فأين التشابه بيننا وبينهم! ونحن نصرح بمخالفتنا للخوارج جملة وتفصيلاً، فلما رأيت هذا التلبس استعنت الله في توضيح شبههم عموماً وهذه خصوصاً وبهذا أكون أتممت الجواب على هذه الشبهة، وأثبت بإذن الله أنهم لم يخالفوا الخوارج في صغير ولا كبير، وأنهم أشبه بهم من الثعبان بالثعبان.

١٠/١١ - الشبهة العاشرة والحادية عشر
وطالما أشهروها في وجه من يحتسب عليهم أو ينكر تجاوزاتهم، فيقول قائلهم: لماذا لا تذكروا على بقية الفصائل الأخرى التي عندها من التكفير والقتل والتجاوزات مثلاً عندنا، وهذه الشبهات فيها إقرار للتجاوزات والجرائم التي عندهم، وكأنهم يقولون اسكتوا عنا كما سكتم عنهم، وهذا فيه حق وباطل، فأما الباطل الذي فيه فهو جعلهم تجاوزات غيرهم مسوغة لهم ولإجرامهم، وهذا لا يقوله عاقل، بل يجب سماع النص من الناصحين، ولا يعتذر عن قبول الحق إلا من كان في قلبه وعمله دخن، نسأل الله العايف، ولقد رأيتها أصبحت سمة أصحاب الفكر الداعش، كلما أنكرت عليهم أمراً من تجاوزاتهم، وجرائمهم، أخرجوا لك ملفاً عن الآخرين وتجاوزاتهم، وكأن هذا حجة لهم عند الله

ولعلكم رأيتم هذا في ردودهم على بعض كتاباتي السابقة، إن المؤمن يفرح بالنصح والنقد مهما كانت مرارته، لأنه يعمل لله وليس للسمعة والتطويل وقد رأيت من سمات الدواعش أنهم يكرهون النقد والنصح مهما كانت لطافته وورقته، ولن تجد أنهم قبلوا نصح ناصح أبداً، وما موقفهم من الظواهري ببعيد، وكذلك تجد فرحهم بالمدح والتطويل ولو من شباب أغرار أو من مجاهيل، أشد من فرح أهل الدنيا وأصحاب الرئاسة، ثم يزعمون أنهم ليسوا أهل دنيا!!! وإني أسأل كل متعاطف مع هذا الفكر الخارجي، هل موقفهم عند سماعهم للنصح والنقد هو الموقف الشرعي، وهل تجد في السنة ما يشفع لهم في هذا التهرب؟!

لقد أصبح لديهم ملفات جاهزة يفتحونها في وجه كل ناقد لهم، وكلها فيما يتعلق بغيرهم، فسبحان الله كيف فرخ الشيطان في تلك العقول حتى رأوا ذلك حجة وربما كان في تلك الملفات بعض إنجازاتهم العسكرية، فلو سلمنا لهم بكل ما فيها، فهل يكون فعلك الحسن مسوغاً لفعلك القبيح، وهل قتل عشرات الرافضة مبرراً لقتل مئات السنة الذين حكمتهم بردتهم جهلاً وجوراً، بل أصبح لديكم من الانجازات قتل الصحوات والمرتدين، وكل ذلك لتغطية إجرامكم بأهل السنة فأين دين هذا وأي جهاد، إنها والله الخارجية العصرية، التي أحكمها الشيطان في قلوبكم وغلفها بشبهات واهية، لا يشهد لها نص ولا عقل ولا سياسة حتى.

هذا ما في هذه الشبهة من باطل، أما ما فيها من حق، فهو أن بعض ما تنتقده على الدواعش هو موجود عند غيرهم من الفصائل الجهادية الأخرى وهذا الكلام وإن كان فيه شيء من الحق إلا أن لدي جوابان، الأول أن حقيقة هذا النقد وإن كان موجهاً إلى الدواعش بشكل مباشر، فهو كذلك موجه لكل من يحمل هذا الفكر الخارجي، وإن

كان نائماً في بيته، وقد علمت بوجود بعض تلك الأفكار في بعض الكتائب الجهادية، فهذا الكلام يتناولهم كذلك لأن حقيقة الأمر هو النصح للأمة ولشبابها من هذا الفكر حيث وجد وتحت أي شعار خرج، فلا نخدع بإخراج هذه الخارجية من تحت عبائة أخرى وشعار آخر.

أما الجواب الثاني، وهو سبب توجيه هذا الكلام إلى داعش مباشرة دون غيرها، فذلك لأسباب منها، أن هذا الفكر الخارجي قد تكامل وتمت صورته فيهم بلا ريب ولأن هذا الحزب الداعشي قد تبنا هذا المذهب بقضه وقضيضه كما بينته في الرد على شبهتهم السادسة، ولا تجد فصيلاً جهادياً تعصب لهذا الفكر مثلهم، وكذلك فإن هذا الفكر الخارجي في قيادة داعش وفي جنودها على حد سواء، وهذا ما لم نجده عند غيرهم بهذه الصورة الصارخة، وذلك لتقاربهم في السن والعلم، ومن الأسباب أن قيادة داعش قد فرضت على نفسها وأتباعها طوقاً ساخناً من الأفكار الخارجية، لا تسمح لهم بالتواصل مع سواد الأمة وعلماءها ومفكريها، فكل الفصائل يمكن لبعض العلماء التواصل معهم والنصح والتصحيح، وهذا صمام الأمان لتلك الفصائل ولعموم الأمة وإنما الكارثة ممن يتمايز عن أمته.

ومن الأسباب، أن غالب تلك التجاوزات في تلك الفصائل هي من الجنود والأتباع وليست من القيادات، وأما في داعش فيحصل التجاوز من القائد والأتباع ثم تجد القادة في داعش تبارك تلك التجاوزات من جنودها، وما مجازر أبي أيمن العراقي التي دعمه البغدادي على إثرها بمئات الجنود، إلا شاهداً، فإن قال أحدهم وهل القادة من غير داعش ليس لهم تجاوزات؟ فأقول بل وجدت لهم تجاوزات وأخطاء كبيرة، لكن الفرق بينهم وبين قادة داعش أنهم لم يفعلوها بسبب الفكر الذي يحملونه، فهي وإن كانت أخطاء ويجب إنكارها والنصح لهم فيها ومحاسبتهم أحياناً، لكنها لا تقارن بمن يفعلها عن فكر خارجي وتديناً بذلك،

وإغلاقاً للآذان عن أي نصح أو نقد على هذه الأخطاء، ومن الفروق أن تلك القيادات لم تقاطع الأمة وتتفرد بأمرها، بل هي مصغية لنصح العلماء ونقدهم، وقد جربت ذلك بنفسني مع بعض القادة الكبار جداً في تلك الفصائل، حينما رأيت منهم تجاوزاً لا يجيزه الشرع فراسلتهم وأنكرت عليهم، فتجاوبوا واستجابوا ولم يكابروا، بل غيروا، هذا نصحي أنا وأنا من أصغر طلبة العلم وهو لا يعرفني شخصياً فكيف إذا كان النصح من العلماء الكبار، أو أصحاب الفكر والرأي في الأمة؟! مع أنني جربت النصح مع الدواعش فرأيت والله من الصلف والعناد والمكابرة في صغارهم قبل كبارهم ما لم أره في غيرهم، ولعل الجميع سمع وقرأ ردودهم على الشيخ البراك والطريفي وغيرهم، عضواً عن طلبة العلم والعامّة فهل يقول عاقل بعد ذلك أن أخطاء داعش مثل أخطاء غيرهم؟! لا والله لا سواء، فإن داعش قد باينت الأمة وفاصلتها ولم تجعل للأمة عليها سبيلاً.

هذا ما يتعلق بهذه الشبهة وهي العاشرة وقد أشهروها في أوجه الناصحين كثيراً، وهناك شبهة أخرى ذات صلة بهذه، وهي: كلامهم عن الحكام والملوك ومقارنة قادة داعش بزعماء العرب وحكامهم، وإخراج مقاطع وصور للحكام وهم يجالسون الكفار ويصافحونهم، ثم يقول: هذا ولي أمرك، فماردك عليه، وأين إنكارك؟

فأقول، يكفي أنك تقارن خليفتك المزعوم، بحكام لم يقل أحد منهم أنه أمير المؤمنين، إلا القذافي شبيه خليفتك في أمور كثيرة، فهذا يدل على أنكم طلاب دنيا، لستم طلاب دين، ثانياً هب كل ما ذكرته عن الحكام من آل سعود وغيرهم صحيح، فهل هذا يبرر لك إجرامك وتكفيرك وإفسادك في الأرض وإن أردت المقارنة بينكم وبين الحكام، فوالله لقد أظهرتم من شعارات الدين ما لم يظهرهوا عشره، ثم أنتم أبعد عن حماية أرواح المسلمين وأموالهم وإنني أسأل نفسي، لماذا الداعشي

بفكره الخارجي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وعن إجرامه، إلا بإظهار أخطاء الآخرين؟! هذا والله من مكر الشيطان بهم، ثم كيف مكر بهم الشيطان، حتى أصبحت الصورة لأحد المسلمين مع أحد الكفار أو المبتدعة، جريمة وخيانة وعمالة وصحوات، ثم ردة وحلال الدم والعرض.

ثم إنني أسألهم، هل الخطأ في مجالسة الكافر والمحادثة معه حتى ولو كان محارباً، فقد والله جهلتم السنة والتاريخ، فقد جالسهم رسول الله ودخلوا مسجده من المشركين واليهود والنصارى والمنافقين، وبعضهم محارب كأبي سفيان، بل بعضهم أتاه مهدياً له بالحرب والموت، فما تفسيركم لذلك؟

وإن قلتم: بل الخيانة ليست في مجرد إجتماعه بهم، بل فيما دار فيها من خيانة للمجاهدين، وأخذ دعم من تلك الجهات، فأقول مع أنكم لا تحتجون إلا بالصور، فكيف علمتم ما دار فيها، وكيف جعلتم الأخذ لأي دعم خيانة وعمالة، وكيف جعلتم كل لقاء بينهم خيانة للمجاهدين، مع أن الواقع يقول أنه لا يوجد جماعة اعتدت عليكم إلا بعد تمديدكم بحواجزكم فيما حرروه، وتوسيع دولتكم الموهومة على الرقعة التي حررها غيركم، فمن العميل منكما!

لقد والله أضحكتهم الصبيان على عقولكم، بجعلكم كل صورة مع كافر حجة لكم في تكفير مخالفكم وتخوينه واستحلال دمه وعرضه، ولا أدري أين كانت هذه الحجة حينما كنتم تطبلون لمن يكتب في نصرتكم وهم في عواصم تلك البلاد؟! لكنها حيل الشيطان تكفرون قوماً بعلّة هي هي فيكم أو في أنصاركم.

لقد أكثروا من النكير على كل من وجدوا له صورة مع كافر أو مبتدع وهذا والله أمر مضحك مبك، أن تبلغ السطحية بهذه الجماعة التي تزعم أنها ستعيد الخلافة كيف جعلت صور المخالفين مع

الكفار حجة لتخوينهم وتكفيرهم، وجعل ذلك من أشد التهم عليهم، وانظروا مصداق ذلك في إصداراتهم التي شرقوا بها وغربوا، وكيف جعلوا جلسة فلان مع الوزير الفلاني تهمة وتخويناً، وأنه أخذ منه دعماً ليقاتل الدولة الإسلامية وووو إلى آخر تلك التخرصات التي لا يسندها دليل ولا حجة، ثم هم صحوات ومرتدون، ونسوا أنهم هم أساس الفرقة في العراق والشام، وأن قاعدتهم الفاسدة التي جعلوها شعاراً لهم (تتمدد) هي التي أثارت النار في كل شبر يصلون إليه لقد كان شعاركم -

تتمدد - أضر على الجهاد وعلى لحمه المجاهدين من كل لقاء بأعداء المسلمين، فلم يبلغ الكفار في إفساد الجهاد ما بلغته شعاراتكم، لقد كنا نسألكم من أيامكم الأولى أين تتمدد؟! فزعمتم أنها تتمدد في المناطق التي يسيطر عليها النصيري لكن واقمكم كذب ذلك وأظهر مكنونكم وأن تمددكم على حساب الفصائل الأخرى والمناطق المحررة وليس على حساب النصيري، ثم أصلتم أصلكم الفاسد الآخر (لا تقاتل النصيرية وفي ظهر كمرتد)، وقد علمنا من المرتد عندكم، فهل نقول أن تلك اللقاءات مع أعداء الجهاد الشامي هي التي دفعتكم لهذا التمدد الآثم وتلك الحواجز التي قطعتم بها أوصال المناطق المحررة؟! ولا ننكر أنه كان لبعضكم دور جيد في بعض المناطق، لكنكم لا تلبثون أن تعودوا لطريقتكم الغربية بالتعامل مع الناس ومع الفصائل الأخرى على وفق أنكم دولة وغيركم جماعات وفصائل، وهذا من أشد ما سبب الأزمات بينكم وبين غيركم، ووقعتم بسببها في كوارث ومصائب وقد أنكر عليكم هذا الأمر كل عاقل من المجاهدين والعلماء والمصلحين، ولعلكم تذكرون كلام الشيخ العلوان على هذا الأمر وكيف أنكر عليكم ذلك.

إن أخذ الدعم لهذه الثورة المباركة أمر مشروع، مالم يكن له ضريبة تزيد على منفعته، فهذا رسول الله يستعير الأسلحة من صناديد الكفر في قریش

يوم حنين ليستعين بأسلحة صفوان بن أمية وهو على كفره، على قتال ثقيف وهوازن، مع أنه جهاد طلب وليس جهاد دفع، فالحاجة في الثاني أشد وألزم وكذلك أقترض من اليهود الديات، مع أنهم أشد الناس عداوة وتربصاً بالمؤمنين، ولم يمنعه ذلك من أخذ الدعم، فليست الدول الكافرة على سياسة واحدة وهذا الصراع السياسي العالمي ما الذي يمنح المسلم أن يستغل ما استطاع منه لتحقيق أهدافه كما فعل الأفغان لما قاتلهم الروس، فأخذوا أمداداً من حكومات أنتم تكفرونها اليوم، وتخونون من يجالسهم أو يأخذ الدعم منهم، وقد رأيت والله أنكم لا تتقمن على الفصائل المجاهدة أمراً إلا وهو بعينه وقع فيه الجهاد الأفغاني، وطالبان من بعدهم كذلك، لكنه ضيق الفكر والفقير لديكم، فكيف بعد ذلك ترومون قيادة الأمة وتزعّم الخلافة؟!

وأنتم لم تستطيعوا أن تحسنوا قيادة فصيل جهادي أسميتهوه الدولة، فسلكتكم به سياسة خارجية نفرت منه جميع الأمة بمختلف ألوانها إلا أحداثاً من الشباب الأغرار، الذين غرهم منكم حسن البيان، والاستعراضات العسكرية التي ذهب جلها لقتال المجاهدين، فدعك أخي من هذه الحجج الهلامية وقولهم فلان تصور مع فلان أو أخذوا دعماً من فلان، وعليك بالنظر للواقع وما يُنفذ على أرض الجهاد، فهذه أكثر الفصائل في منازل النصيرية وهذه دولتكم، مشغلة بتصنيف المجاهدين إلى أنواع من الردة والصحوات حتى تقدم قتال المرتد على قتال الكافر الأصلي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٢ - الشبهة الثانية عشرة وهي طلبهم المبالهة عند كل خلاف مع غيرهم، فإن رفضها هللوا وكبروا ورأوا أنه برهانهم القاطع على أنهم على الحق وأن مخالفهم على الباطل، ثم يزمجرون بها أياماً وليال، وهذا أمر مؤسف، أن يبلغ بهم الجهل وقلة الحجة إلى هذا الدرك.

وللجواب على هذه الشبهة، أقول: لقد شرع الله المبالهة أول ما شرعها بين الرسول ﷺ ونصارى

نجران، في أمر هو عند المسلم كالشمس فكيف به عند رسول الله؟ ومع ذلك لم تتم تلك المباهلة، بل صالحهم رسول الله، ولم يجعل نكولهم عن المباهلة موجباً لحربهم أو قتلهم أو حكمه بأنهم ليسوا على دين كتابي، بل عاملهم كما يعامل عامة النصاري واليهود الذين لم يعرض عليهم المباهلة، هذا أمر والأمر الآخر أن طلب المباهلة، لم يجعله أحد من العلماء فيما أعلم أمراً ملزماً للمخالف، فهذا ابن عباس لما تفرد في بعض المسائل الفقهية وشعر بغرابة قوله بين جمهور الصحابة طلب المباهلة، وما ذلك إلا ليدفع عن نفسه اتباع الهوى، وأنه يقطع بصواب نفسه وإن كان منفرداً بهذا القول، ولم يجبه أحد من الصحابة وهذا في خلافة عثمان والصحابة متوافرون، فلم يجعل ابن عباس ذلك دليلاً على خصمه، بقدر ما هو دليل على تيقنه من قوله وأنه على حجة يقطع بها في نفسه، فهل وجدتم أحداً من الصحابة باهله؟ وهل وجدتم لابن عباس حرفاً في مخالفه بسبب عدم مباهلتهم له؟ وهل وجدتم عالماً احتج لصحة قول ابن عباس بترك الصحابة مباهلتهم، وأن ذلك دليلاً على بطلان قولهم؟ لن تجد من ذلك شيئاً أبداً إن المباهلة بين المسلمين ليست دليلاً على صحة القول في ذاته، وإنما تستعمل ليدفع بها المرأ عن نفسه، وليست مثل مباهلة الكفار

ثم إن المباهلة تكون بعد الحجج والبراهين، ثم إذا توهم بعضهم في صاحبه أنه ربما اعتقد فيه أنه متبع لهواه، فيدعوه للمباهلة لرفع ذلك من نفس مخالفه وليس ليلعنه ويمحقه كما يتوهمه بعض الشباب وإن المتابع للمطالبين بالمباهلة، سيجدهم كلهم أو جلهم من الدواعش أو من المتعاطفين معهم، بلا مناظرة ولا حجة ولا ذكر براهين على هذا الأمر، بل والله لقد جعلوا المباهلة مسخرة، فلو خالفت بعضهم في درجة الحرارة لدعاك إلى المباهلة، وإن امتنعت باهلك من طرف واحد ليشبع نهمته في الدعاء على من يخالفه، ولا يكاد يمر يوم إلا وتسمع هذه العروض المغرية مباهلة على كذا

مباهلة في كذا مباهلة فلان فلان يهرب من المباهلة، فقللي بريك أين وجدت هذا الكم الهائل من المباهلات عبر التاريخ والواقع، عند غير الدواعش، ليوهموا أتباعهم بأنهم على حق كالشمس وأن مخالفهم على باطل لا مرية فيه، وهذا من باب قوله تعالى ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ فَأَطَاعُوهُ ﴿٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤] نعوذ بالله من الجهل والهوى والصد عن سبيل الله.

ثم رأيت غالبية من يطلب المباهلة منهم، أسماء مجهولة، لن تعلم بعد المباهلة أين مصيره، وإنما المباهلة تكون بين معلومين، ثم يتربص الناس بأحدهما ماذا سينزل به فإن قال بعضهم قد دعاكم إلى المباهلة أشخص معروفة أعيانهم ورفضتم، فأقول: أولاً قبول المباهلة ليس ملزماً شرعاً كما بينته قبل قليل وليس حجة على صحة القول في ذاته، ثانياً، قد وقعت المباهلة في أمور كالشمس مثل مباهلة البراك لياسر الخبيث، ولم يصبه شيء، فهل هذا يدل على أن ياسر الخبيث على حق فيما باهل عليه؟!

وهذا يدل على أن للمباهلة فقهاً لا يعلمه أكثر الناس وليست نتيجتها قطعية ولا ينبغي للمسلم أن يلعن في أمور ليست لازمة له شرعاً أو في أمور اجتهادية أو أمور يعلم أنه على الحق قطعاً وأن صاحبه متأولاً فيلعنه على هذا الأمر الاجتهادي فأقولوا من طلب المباهلات رحمكم الله، فلن تحق حقاً ولن تبطل باطلاً، وهنا أود أن أشير إلى أمر وقع عدة مرات من أتباع الدولة والمتعاطفين معها وهو أنه مع كثرة طلبهم للمباهلة في تويتر وفي غيره تحت أسماء وهمية لا نعلم من تحتها، لكن الواقع أثبت هروب الدواعش من المباهلة أكثر من مرة وأكتفي بذكر مثال واحد، وهو عندما اتهموا الشيخ محمد الفراج بتهمةهم القبيحة، وتدخل بينهم وبينه الشيخ يوسف الأحمد، فدعاهم الشيخ الفراج للمباهلة، فنكلوا، وقالوا هو يكذب ولا نقبل مباهلتهم، فدعاهم الشيخ الفراج إلى المباهلة من طرف واحد يدعو فيها على نفسه ويدعو لهم فرفضوا، فتبين بهذا الموقف وبغيره، أنهم لا يقبلون هذه المباهلات إلا بالمعرفات التويتيرية الوهمية، ومع ذلك فإنني

أنصح لي ولهم بعدم المباهلات والتوجه إلى الحجج والعلم والبراهين كما قال تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] وليست المباهلات ولعن المسلم نفسه وأخيه.

١٣- الشبهة الثالثة عشر، قولهم: هذه صور الشهداء وهم يبتسمون، فهل قُتلوا على باطل، وهل هؤلاء هم كلاب النار؟! مالكم كيف تحكمون، لقد أصبح حسن الخاتمة من المتواترات عن رجال الدولة ولا يجحدها إلا مكابر أو حسود.

فأقول جواباً على هذه الشبهة التي تصيدوا بها كباراً وصغاراً، وقد رأيت وسمعت من اغتر بهذه الشبهة من الكبار والصغار، وهذه والله شبهة ملبسة، أعلم أخي وفقك الله أن هذه الشبهة لا تتطلى على صاحب علم وبصيرة، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لا يوجد دليل في الكتاب أو السنة يجعل حسن الخاتمة من أدلة إصابتك للحق في حياتك، ولا أدري كيف لبسوا على الناس أن الابتسامة عند الموت يدل على أنني على حق وأن خصمي على باطل، هذا تلبيس عظيم.

ثانياً: قد قتل من رجال داعش مئات كما قتل من غيرهم أكثر من ذلك فهل صورة الشهيد المبتسم وقعت لكل من قتل منهم، أم أنها لبعضهم وقلة منهم؟! لقد رأينا من قتلاكم وقتلى غيركم من ليس عليه أي أثر للابتسامة، ولو جمعت صور من ابتسم لكانت أفراداً قليلة من آلاف القتلى وليس أمراً مطرداً.

ثالثاً: أين الدليل على أن من مات غير مبتسم، لا يكون على حسن خاتمة! وقد رأيت من هؤلاء الشباب عجباً في تفخيم أمور لم يرد له في الشرع أي حجة وإنك حين تقرأ في سير السف والصالحين والشهداء وقبلهم الصحابة لا تكاد تجد هذا التفخيم لأمر ابتسامة الميت أو الشهيد بهذا الشكل الذي نراه، مع أنني لا أنكر أنها من أمرات حسن الخاتمة، لكنها ليست أمانة ولا شبه أمانة على أن

صاحبها كان على الحق ومخالفه كانوا على باطل وضلال كما أنني مع قطعي بخارجية داعش وضلالها واختراقها، لكنني أعرف أن في صفوفها من غرر به، أو أحسن الظن بهم، أو أراد استصلاحهم أو التحقق بهم قبل أن تتبين له جرائمهم، أو اعتقد أنهم أحسن الموجودين في المنطقة التي ذهب إليها أو غير ذلك من الأعذار التي نعتذر لهم بها ونرجو لهم بذلك حسن الخاتمة، لكن هذا كله لا يقدم ولا يؤخر في معرفة الحق، فإن له أدلته وبراهينه المعبرة، وليست بهذه الشبهات العاطفية التي تغر الأحداث ولم يقل أحد من العلماء أن كل من قتل من داعش من أهل النار أو أنه لا عذر له عند الله، فهذه أمور غيبية أمرها إلى الله، ولا نحكم لأحد بجنة ولا نار كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، وإنما حكمنا على طائفتكم أنها طائفة بدعة وضلالة وأنها خارجية، وقد أثبتنا ذلك بالألة وليس بالشبه العاطفية التي تتصيدون بها الشباب والعامّة، ولا عذر لمن تبين له ضلال داعش وخارجيتها أن يستمر معهم أو يتعاطف معهم، معتمداً على شبههم العاطفية فإن العاطفة لا تغني من الحق شيئاً، وهذه الشبهة شبيهة بشبهة المباهلة السابق ذكرها، فهم يهوشون بها على الناس فإذا فتشتها لم تجد لها حجة، ثم إن المؤمن يموت بعرق الجبين كما قال ﷺ، ولم يقل أن من علامة الإيمان إبتسام الميت فهذه أحوال تكون لناس دون ناس بلا تهمة ثم لو سلمنا لكم بصحة هذه الصور فهي في قتال الكفار والرافضة والنصيرية، وليست في مفخخاتكم ضد المجاهدين والمسلمين، فقد رأيت صورهم ولم أرهم يبتسمون كما زعمتم، فقد كان بعض الخوارج يقاتلون في صفوف الجيوش الإسلامية ضد الفرس، فلما خرجت نابت الخوارج التحق بهم وقاتل علي وأصحابه، وهذا ما حدث تماماً من بعض الشباب الذين يحملون جينات الفكر الخارجي، فمن قُتل في أثناء قتال النصاري والرافضة رجونا له الشهادة، وبعضهم أدرك قتال داعش للمجاهدين فتحرك فيه فكر الخوارج

والتحق بهم، فهو منهم، فهل عندكم برهان على حسن خاتمة من قتل المجاهدن وكفروهم وفجر فيهم؟!

ثم هناك وجه آخر للرد على هذه الشبهة، وهو: أن هذه الصور قد رأيناها عند جميع الفصائل التي تقاتلونها وتستحلون دماءهم، بل وتكفرونهم، فهل هي حجة لكم ولهم، أم هي حجة لكم فقط؟! فإن كانت حجة للطرفين فهذا يدل على أنها لا تبين حقاً ولا باطلاً بل هي أحوال مختصة بأصحابها ليس أكثر، وإن قلتم بل هي حجة لنا فقط، لأن تلك الصور عندهم كانت قبل أن يكونوا صحوات ويرتدوا ويقااتوا الدولة فأقول وبممكنهم إجاباتكم بنفس الجواب، فيقولوا: بل هي حجة لنا فقط، والصور التي عند الدواعش إنما هي قبل أن يظهروا خارجيتهم ويقااتوا المسلمين ويكفرونهم وبذلك لا يكون فيها حجة لأحد وهذا هو الصحيح أنه لا حجة لأحد فيها، لأن أقصى ما فيها حسن الظن بخاتمة هذا القتل وإن كان له أخطاء فلعله معذور عند الله أو له تأويل وكما سبق أن الذي يهمننا هو أحكام الدنيا وليست أحكام الآخرة، فلا تقتأت أخي على الله وتجزم لأحد بجنة أو نار، بمجرد اجتهداك وظنك وتخمينك.

بل هناك نقض عليكم أشد مما سبق، فهذه صور شهداء حماس فيها عشرات الصور على الحالة التي ذكرتموها وهي الابتسامة، مع أن حماس عند كثير منكم كفار بل بعضكم صرح بأن قتالها أولى من قتال اليهود، فهل ستففعهم هذه الصور لديكم وتخففوا عنهم تلك الأحكام؟! أم أنكم ستخرجون منها بألف حيلة وحيلة التي تفر ولا تسر، فإنها لا تحقق حقاً ولا تبطل باطلاً، وتفحص أخي كلما تسمعه ممن يريد أن يلبس عليك، فتبين الحجة من غير الحجة ولا تغتر بالظواهر، فهذه صفات الخوارج التي ذكرها رسول الله ﷺ، ظاهرها الحسن وباطنها الشر المحض يقولون من خير قول البرية، ثم هم أشد على

المسلمين من كل أحد ولعلك تذكر وفقك الله قاتل علي رضي الله عنه فإنه لا خلاف في خارجية ابن ملجم وقد صح الحديث أنه في النار فقد قدم للقتل بعد أن قتل أمير المؤمنين فكان هذا الخارجي يقرأ القرآن ويذكر الله فهل اغتر الصحابة بحاله هذه أو اعتذروا له أو شكوا في أن أو شكوا في أن علياً على الحق وأن هذا الخارجي من كلاب النار مع هذه الأحوال المغرية، لم يغتروا لأنهم يعرفون حجج الحق ولا تغرهم الأحوال الظاهرة والعاطفية مهما كانت فليت شعري لو كان ابن ملجم حيا كم سيفتن به، وكم سيفتر بصلاحه الظاهر فكيف لو رأوه يقرأ القرآن وهو يساق للقتل؟!

هذا جوابي على هذه الشبهة التي شرقوا بها وغربوا، وحشدوا لها في كل إصدار يخرجونه، ليتصيدوا بها من قل نصيبه من العلم والبصيرة.

١٤- الشبهة الرابعة عشرة: فهي قولهم: كيف تقاتلون أهل التوحيد والموحدين، ويدندون حول هذا الوصف ليزكوا به أنفسهم ويثلبوا به الآخرين وهذا والله من مكر الشيطان بهم فإن مجرد الأسماء لا تحقق حقاً ولا تبطل باطلاً إنما العبرة بما تحت هذه الأسماء فكل البدع تجد أهلها قد اختاروا لأنفسهم احسن وأفضل الأسماء فالرافضة شيعة آل البيت والخوارج الشراة (يعني، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) والمعتزلة أهل المعتزلة أهل العدل والتوحيد بل حتى الباطنية أهل الحقائق والتوحيد فهل أغنت عنهم تلك الأسماء شيئاً، وهل غيرت من حقيقة بدعته وضلالهم؟!

فينبغي أن تحرص أخي على الحقائق والمعاني، وليس على الشعارات والأسماء ثم إن هذا الاسم على وجه الخصوص وهو التوحيد قد رفعه أبعد الناس عن الحق فقد رفعه الخوارج الأوائل، ثم المعتزلة إلى اليوم وهو من أصولهم الخمسة، ثم خوارج المغرب رفعوه وذبحوا أهل السنة من تحته، وسموا دولتهم دولة الموحدين، مع أنها دولة البغي والقتل والبدعة، التي أزاحت دولة المرابطين، بنفس حجج الدواعش

اليوم حذو القذة بالقذة، فما أشبه البدعة بالبدعة، وقد كانوا يشنعون على المرابطين بمنكرات ومخالفات، فلما صار الأمر إليهم فإذا المرابطون كانوا خلافة راشدة مقارنة بالموحدين

ولم يكن هذا الاسم مانعاً للعلماء من وصمهم بالبدعة والخروج، وأنهم أهل ضلالة وبدعة، وإنني والله ما رأيت في المبتدعة في عصرنا أكثر شبيهاً من الدواعش بالموحدين، ولا أشبه بطريقة ابن تومرت من طريقة البغداديين، ومن عرف تاريخ الرجلين عرف صدق ذلك، وقد سبق أن كتبت مقارنة بينهما فإن زعق أحدهم وقال: فهل ينجر هذا على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومدرسته، فقد كانوا يتسمون بذلك وسخروا دعوتهم لتحقيق التوحيد فما جوابك؟ فأقول إن دعوة الشيخ لم تكتسب فضله وأحققتها بهذه الأسماء والشعارات، فلو لم يكن لها من التوحيد إلا مجرد الأسماء والشعارات لم تختلف عن داعش ولكن الناظر فيها وفي رسائلها التي قرروا بها التوحيد، يجد العلم والحجة والنصوص التي قدموها على كل قول وفعل، فهم أهل توحيد لأنهم كذلك وليس لأنهم رفعوا هذا الشعار فقط ثم أين الدواعش الذين لا تكاد تجد فيهم طالب علم عفواً عن عالم عن دعوة الشيخ التي قارعت خصومها بالأدلة والحجج، وهذا تاريخها حافل بالعلماء الراسخين، وبمؤلفاتهم التي شهد لها القريب والبعيد، وتخرج بها علماء وأئمة فهل تقارنهم بقتلة المجاهدين!

هذا ما يتعلق بهذه الشبهة، فليتك أخي المتعاطف مع هذه الجماعة الخارجية تقرأ بعدل وإنصاف، وبلا تعصب فإنه يعميك عن الحق ويصمك وقد والله نصحت لنفسي ولك، ولم أقتصر بهذا في بيان الحق لنفسي ولك ووالله وبالله وتالله ما كتبت كل هذا إلا نصحاً لشباب أغرار، غرتهم الخطب العدنانية والشبه البغدادية فأحببت أن أضعها على محك العلم والدليل والحجة فإن وجدت في كلامي حقاً فلا تنتكب عنه فإنك لا تُعذر.

١٥ - الشبهة الخامسة عشرة، وهي قولهم: لماذا لا تناصرون الدولة على النصارى والرافضة، حتى ولو كانت خوارج، فقد جاهد فقهاء المالكية مع دول خارجية قامت في المغرب لما جاهدت العبيديين؟ والجواب على هذه الشبهة، أن الرسول ﷺ أمرنا بمقاتلة الخوارج وليس المقاتلة معهم، بل ورد النص بقتلهم قتلاً ذريعاً فكيف تدعون الناس لبيعكم المزعومة وأنتم أشد على أهل السنة وأشد كلاباً عليهم من غيركم، وكيف يبايعونكم وقد نحرتم فلذات أكبادهم وخيرة قادتهم؟!

فالعامل بالنصوص، ومباينتكم ورفض الأمة لكم حتى تعودوا إليها فهي الأصل وأنتم الفرع، فكيف يعود الأصل للفرع؟! هذه والله نكسة عظيمة لو حدثت.

أما شاهدكم وهو قتال فقهاء المالكية مع خوارج المغرب، فأقول صدقتم والله، وهو خير دليل لنا عليكم، فقد كانت نتيجة تلك المعاونة كارثية، فقد رجعت عليهم سيوف الخوارج بأسوأ مما حذرت منه من العبيديين، فقد قتلت الخوارج كثيراً من أهل السنة وفقهاء المغرب الذين وقفوا معهم، فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟!

إن النصوص والتاريخ والواقع يبين ويثبت أن الخوارج لا عهد لهم ولا ذمة، فهم أهل غدر وخيانة ومداهمة للسنة ثم إن هذه الشبهة يمكن أن تروج أكثر لو أغلق باب الجهاد إلا عن طريق الجهاد مع الخوارج، وهذا أمر لا يكون شرعاً ولا قدراً والله الحمد، فهذه كتائب الجهاد السني السلفي والله الحمد في كل بلد تُرفع فيه راية الجهاد، ولم ولن يحوج الله الأمة للخوارج ولا لغيرهم من أهل المروق عليها.

سأقف عند هذه الشبهة فيما يتعلق بشبههم العامة، وسأعرج على بعض التلبيسات الخاصة التي أرادوا أن يشوشوا بها على ما كتبت عن شبهاتهم العامة، ولولا ما رأيت من سعيهم بها حتى يصدوا الشباب عن قراءة ما كتبت عنهم، لم أتعرض للجواب عليها، فإن شخصي ليس مقياساً

للحق ولا للباطل، فمن ذلك قولهم كيف كان البغدادي شخصية العام عندك، ثم بعد ذلك بأشهر أصبح عندك طاغوتاً، فهذا من تناقضك وجهلك وتعجلك، أو عمالتك وخيانتك.

وما عجبت والله من شبهة عجيبي من هذه، وزاد عجيبي أن ردها بعض من أحسن الظن بفهمه وعقله، لكن المفيد في الأمر أن تتبين لك تلك العقلية وطريقة تفكيرهم، وكيف يريد أحدهم أن تزكي بغداديه إلى الأبد مهما أحدث من الأوابد والجرائم، وأين هذا في كتاب أو سنة أو عقل، أن المدح لازم أبداً، أو أن الذم لازم أبداً، وهل مر عليكم أن من صحابة رسول الله من ارتد على عقبيه، وقد كان رسول الله يوليه كتابة الوحي، كما حدث مع ابن أبي السرح، وهل مر عليكم أن عشرات الأئمة اغتروا بالمختار بن أبي عبيد واصطفوا معه في جيشه، وكان ابن عمر يحسن به الظن وشفع له حتى أخرجه من سجن مصعب ابن الزبير، ثم هو بعد ذلك مرق من الدين، وكفره من كان يقاتل معه، فهل تعقلون مثل هذه الأفعال؟

ألا تجدون في كتب الجرح والتعديل الكلام ونقيضه في الرجل الواحد من بعض كبار الأئمة والنقاد، وهل تذكرون كلام الإمام مالك عن عبد الكريم بن أبي مخارق، فهل كان مالك متناقضاً؟ إن هذه قضية بدهية لا تقبل النقاش، أن من أظهر خيراً مدح به ومن أظهر شراً أخذ به، وهذا هو عين ما فعلت ولله الحمد فلست متعصباً لأحد لا من قبل ولا من بعد، وقد كتبت إشادة ببعض الأعمال التي عملتها جماعة البغدادي، وكنت صادقاً في ذلك والله يعلم أنه لم يدفعني لذلك إلا حب ذكر الحق لأهله، ولم أحابي فيه أحداً، وقد كنت في تلك الفترة أناصحهم سراً وقد أجهدت نفسي في ذلك، وإن منهم من يعلم ذلك، وقد كنت أخاطبهم في تلك الفترة بما أظهرته لهم بعد ذلك، وما أظهرت نقدهم إلا بعد أن تعذر تغيير فكرهم الخارجي سراً، وقد جرب هذا معهم عدد من المشايخ وطلبة العلم، بل وصل الأمر أنهم اتخذوا إشادة المشايخ بهم حجة وذريعة في التطاول على بقية

الفصائل المجاهدة، وحتى قال بعض المجاهدين الآخرين لقد آذانا سكوت المشايخ وطلبة العلم أكثر من تطاول الخوارج علينا، لقد رفض البغدادي تحكيم شرع الله بحيل وتمحلات تضحك المحزون، ثم يتبجح هو وجماعته بأن مهمهم تطبيق شرع الله؟

وليت شعري أي شرع ستطبقه خلافة داعش شرع البغدادي أم شرع العدناني أم شرع الأنباري أم شرع العراقي؟

فكماكم استخفاً لعقول شبابنا الذين اتخذتموهم سلماً لدولتكم الغاشمة، وإن ذكرتم بعض الإنجازات والحسنات لها، فسأجد لأسوء دولة عربية أكثر من ذلك، وليست العبرة هل عندهم حق أم لا، فإن الباطل المحض لا يوجد حتى في إبليس، فما من أحد أو نظام أو جماعة إلا ولها بعض الحق فمن اتخذ هذا الحق ذريعة لتبرير أو تمرير باطله فهو شيطان، وقد ذكر ابن تيمية قاعدة بديعة جداً أدعوك أخي أن تتدبرها وتحكمها في كل قول تسمعه، وهي قوله: إن الحق المحض لا يردده أحد والباطل المحض لا يقبله أحد، وإنما يروج الباطل الذي يمزج بالحق، فإن عرض لك الباطل فلا تقبله ولوا خلطوه لك بكثير من الحق، وهذا ما يميز أهل العلم والبصيرة والخبرة عن حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ولا علاج لها إلا لزوم العلماء، فهذا ما يتعلق بشبهتهم تلك وهي مع كونها شخصية بي، إلا أن فيها ما يتعلق بفهمهم وعقولهم وطريقة تفكيرهم ولولا ذلك ما ذكرتها وأجبت عنها.

فهذا بعض ما يتعلق بهذه الشبهات التي تعلق بها أتباع داعش والمتعاطفون معهم، أجبت عليها بما فتح الله به والله من وراء القصد والنية، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، ولا زلت أقبّل كل نقد وتوجيه من طلاب العلم وغيرهم وأسأل الله أن يلهمني الصواب.

هل هي حرب على داعش فعلا ؟



داعش

أكاذيب أشاعها
اليهود

٤٣

خريف الثورة المصرية
وموسم الهجوم
على النبي والصحابة

٢٥

هل يرأب العدوان
الصهيوني على غزة
علاقة حماس بحزب الله؟

١٩



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٢٧)**

ذو القعدة - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ هل هي حرب على داعش فعلاً؟

فرق ومذاهب

- ٤ "بيناد علوي".... خامنئي يسقط من الطابق الـ ٣٦..... معتز بالله محمد

سطور من الذاكرة

- ٦ الوجه الآخر: ١٠- مقتدى الصدر..... هيثم الكسواني
٩ شيخ شامي يحاور المعتزلة..... د. عمر الأشقر

دراسات

- ١١ مشكلات المرأة المسلمة.. مقارنة واقعية (٤)..... فاطمة عبد الرؤوف
١٥ الخوارج وصفاتهم في السنة النبوية..... د. عصر النصر
١٩ هل يرأب العدوان الصهيوني على غزة علاقة حماس بحزب الله..... بوزيدي يحيى
٢٥ خريف الثورة المصرية وموسم الهجوم على النبي والصحابة..... أسامة الهيثمي
٣١ داعش والقاعدة وإيران والغرب، متى تنتهي اللعبة؟..... صباح العجاج
٣٦ المشهد العراقي بين المالكي والعبادي..... عبد الهادي علي
٣٩ موقف الأشاعرة من الشيعة بين الأمس واليوم..... سعيد بن حازم السويدي

كتاب الشهر

- ٤٣ أكاذيب أشاعها اليهود..... أسامة شحادة

قالوا

- ٤٧

جولة الصحافة

- ٤٩ الإمارات وإيران.. علاقات اقتصادية لا تمر عبر الجزر المحتلة..... موقع كلمتي
٥١ الانحراف باسم محاربة "داعش"..... حمد الماجد
٥٢ الدواعش يكفر بعضهم بعضاً..... مصالحة التوحيد
٥٤ الديكتاتوريات العربية وحلفاؤها الليبراليون هم الآباء الشرعيون لداعش..... جمال سلطان
٥٦ المفاهيم العقدية في أحداث غزة بين الثبات والضياع..... علوي بن عبد القادر السقاف
٥٩ حوزة الشيعة بإيران تحذر من تزايد السنة بمدينة "مشهد" عاصمة خراسان..... موقع عربي
٦٠ الحوثي "الأحمق".... صنعاء مدينة مفتوحة..... د. مروان الغفوري
٦٣ الصين.. الإبادة الجماعية في تركستان الشرقية..... ترسن جان عثمان
٦٥ دور الإنسان في التجربة التركية..... محمد زاهد جول
٦٨ هل يجوز ذبح الكفار والمحاربين بالمسكين؟..... المكتب العلمي بهيئة الشام الإسلامية

المعصومة من الدعاة والمجاهدين وعامة المسلمين والناس بالباطل، وقد حرم الله قتلها إلا بالحق، وعلى هؤلاء الضحايا من القتلى ومن القتل تسكب العبرات، فهؤلاء ظلموا في الدنيا بقتلهم بغير حق، وأولئك باؤوا بقتل أبرياء وقد توعد الله سبحانه القاتل بالخلود في النار.

وهنا قضية مهمة أن التسلسل لحرب الإسلام
بشعارات إسلامية مكيدة حذر منها النبي ﷺ، ولكن مكر الشيطان وأعوانه من الجن والإنس، لم يكتف هذه المرة بالتسلسل بين المسلمين بشعارات ورايات إسلامية يستغلون فيها بعض الجهلة والعاطفيين وقليلي البصر والبصيرة، فيوظفونهم لخدمة مصالحهم ومنها تشويه صورة الإسلام كما تفعل داعش، وقتل المجاهدين وأهل الحق مما يخدم الطغاة كبشار والمالكي وخامنئي، وإشغال الدعاة والعلماء برد شبهاتهم بدلا من رد شبهات الكفار الأصليين، وتفريق وتمزيق صف المسلمين - المفرق أصلا - من خلال صراعاتهم الدموية والوحشية.

أقول: لم يكتف أعداء الإسلام بالتسلسل بين صفوف المسلمين والكيد لهم، بل تفتق مكرهم هذه المرة عن توظيف داعش مرة أخرى لضرب الإسلام نفسه والمسلمين بكل أصنافهم، وهاكم بعض الأمثلة:
فها هو ننتياهو يقرن حماس بداعش ويحاول أن يسوق كذوبته على العالم.

وها هما إيران وحزب الله يجتهدان بكل وقاحة لجعل المقاومة السورية والعراقية رديفا لداعش.
وها هو بشار الأسد يتباكى للعالم أنه يحارب داعش والتي تمثل كل الثورة السورية.
والمالكي قبل طرده حاول أن يلعب هذه اللعبة بوصم كل الحراك السني بأنه داعشي.
والأخطر هو محاولات العلمانيين اليساريين منهم خاصة بوصم كل التيار الإسلامي بأنه داعشي، ولذلك

هل هي حرب على داعش فعلا؟!

إن من ينطلق من أنوار الوحي الرباني في قراءته للواقع يجد الأمور واضحة أمامه حين تدلهم الخطوب وتكثر الفتن، روى البخاري في صحيحه عن أبي إدريس الخولاني «أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون الرسول ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

وهذا الحديث ينطبق على فئات عديدة ظهرت في واقع المسلمين قديماً وحديثاً، وهو تحذير نبوي صريح وواضح بأن أعداء الإسلام وعلى رأسهم الشيطان سوف يتخذون من الدين والإسلام ستارا وقناعا لتمرير باطلهم وضرب الإسلام والمسلمين من داخلهم.

واليوم شغلت دنيا المسلمين (داعش) والتي تتحدث بلساننا العربي وتستخدم شعارات ومصطلحات إسلامية، وهم من جلدتنا وأهلنا، لكن من أجابهم واتبعهم بيداً بتكفير المسلمين من أهله وجيرانه ومعارفه والدعاة والعلماء والمجاهدين، ثم تنزلق أقدامه وتتسخ يداه بجرائم داعش فإما أن يفخخ نفسه في المسلمين أو يطلق عليهم الصواريخ، وإذا تمكن الدواعش منه فتجرح قلبه واسودت بصيرته صار جزاراً يقطع الرقاب ويسيل الدماء

في سوريا، فيأتي بعض الدواعش وأصدقاؤهم من جبهة النصرة، فيعبرون الحدود اللبنانية ويشتبكون مع الجيش اللبناني، ويتقدم حزب الله كحليف للجيش ضد الإرهابيين، فتبيض صفحته!!

والتصدي لداعش اليوم إذا لم يكن بشكل شامل ومتكامل، يحارب جذور التطرف والغلو من جهة ويحارب سلوكيات ومواقف الغلو والتطرف، ويحارب من يدعم ويوظف الغلو والتطرف هنا وهناك من أنظمة سياسية وأجهزة أمنية، فهو في الحقيقة لعبة جديدة للتعدي على الإسلام والمسلمين باسم محاربة الإرهاب / داعش.

إن مقاومة الدعشة تكون بعملية إصلاح شاملة في التعليم والإعلام والسياسة والاقتصاد، ومحاربة جذور فكر التطرف والغلو بكل قوة ووضوح، مع تجنب المحاولات الخبيثة لوصم السلفية أو الوهابية أو التيار الإسلامي بالتطرف والإرهاب ومن ثم إقصائها.

فحين أقصى الإسلام الصحيح قليلا عن وسائل الإعلام والتربية ظهرت لنا داعش، فما بالكم لوزاد الإقصاء والمناكفة للإسلام، ستكون عندها داعش كلعبة أطفال!!

إننا واثقون بنصر الإسلام وقوته وثباته وقدرته على تجاوز داعش وما هو أدهى من داعش، ولقد قام علماء الإسلام وخاصة السلفيين منهم بالتصدي لكل حركات الغلو والتطرف والتكفير بحزم وعلم، حتى تكسرت واندثرت من جماعة شكري مصطفى وما تولد عنها في مصر، أو جماعة جهيمان التي استباح الحرم المكي، أو تنظيم القاعدة وأخواته، أو فضائع ما جرى في الجزائر، وغيرها كثير.

لكننا نأمل أن تتجنب أمتنا المسارات الصعبة والمنهكة في صراعات داخلية لمصلحة الأعداء، كما في قوله تعالى ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾، وتسير بدلا من ذلك في مسارات البناء والتنمية والعلم والعمل لنرقى وننهض ونسعد أنفسنا والبشرية المعذبة بالفقر المدقع أو بالمادية المفرطة.

يجب إقصاؤهم جميعا عن الساحة السياسية، ويجد هذا التنظير الإجرامى هو وقبولا لدى بعض الأنظمة العربية بسبب صراعها مع جماعة الإخوان المسلمين. وامتدادا لهذا النهج الخبيث نجد أن طوائف ضالة ومنحرفة تستغل هذه الحالة للزعم بأن داعش هي امتداد للمنهج السلفي أو الوهابي كما يسمونه.

إن ما يسعى له البعض من استغلال سمعة داعش السيئة لشيطنة جميع الإسلاميين وهو موقف يجمع ننتيا هو مع كثير من العلمانيين العرب، أو موقف إيران وبعض الحداثيين من ربط داعش بالسلفية، أو اقتراح مزيد من التحرر القيمي والأخلاقي لمحاربة داعش، سيكون له عواقب وبيلة وتبعات سيئة ضخمة.

فداعش هي نتيجة وثمره لمسار طويل من الفساد السياسي والاقتصادي والثقافي والتعليمي والاجتماعي والإعلامي، أفرز جيلا لا يعرف دينه بالصورة الصحيحة من جهة أو معاديا له أو منقطع الصلة عنه من جهة أخرى. ورافق هذا حالات ضخمة من الكبت والظلم المباشر في السجون والمعتقلات وغير المباشر في التعليم والتوظيف والمعاملة، مع فقر وجوع، سهل وجود مناخ يقبل الغلو والتطرف.

لكن تضخيم هذه المجموعات ومدتها بالسلاح والرجال والمال بطريقة أو أخرى، وجعلها تتمدد وتتوسع على دماء وأشلاء الأبرياء وليس الطغاة والظلمة كان بتوظيف خبيث من أعداء الأمة.

كلنا شاهد انحسار تنظيم القاعدة عن العراق في عام ٢٠٠٧ بواسطة الصحوات السنية، لكن نكوص المالكي عن دمج الصحوات في قوات الجيش والأمن العراقية أعطى تنظيم القاعدة قبلة الحياة من جهة، وحول الجيش والأمن لقوات شيعية طائفية، ونكل بالسنة، ومن ثم جاء تراخي الأمن العراقي مع عمليات التفجير التي تقوم بها القاعدة لتشيع الفوضى في العراق، بما عزز ديكتاتورية المالكي، وسهل نشوء داعش، التي دعمها المالكي بغض الطرف عن عمليات هروب مساجين القاعدة من سجونهم، وهكذا تضخمت داعش، وأصبحت فزاعة للشيعية تجعل بقاء المالكي مطلبا شيعيا شعبيا، وجعلت السنة بلا نصير إلا داعش، وهو ما يخصم من رصيد عدالة قضيتهم!!

وفي عرسال بلبنان تتكرر نفس المسرحية، حزب الله ينخرط في حرب طائفية ضد الشعب السوري وينفضح والشارع اللبناني يستاء من تورط لبنان بالحرب

الذي تملكه الجمهورية الإيرانية.

فصدر القرار بمصادرة أصول الجمعية ومقرها ، وهو بناء مؤلف من ٣٦ طابقا في الجادة الخامسة الراقية في نيويورك ، إضافة لتجميد حساباتها المصرفية ومصادرة العديد من الأصول الأخرى في عدد من الولايات الأمريكية.

ويؤرخ للخسارة الفادحة التي ترقى إلى حد الإهانة والتي مني بها الإيرانيون إلى السابع عشر من أبريل/ نيسان ٢٠١٤ عندما وافق القضاء الأمريكي على بيع ناطحة السحاب ، ليس هذا فقط بل واستخدام أموالها لتعويض أسر ضحايا «إرهاب» تتهم إيران بالوقوف وراءها ، حيث حكم القاضي الأمريكي بتوزيع أموال بيع المقر على أسر ضحايا عملية تفجير مقر مشاة البحرية الأمريكية (مارينز) في بيروت عام ١٩٨٣ والتي أسفرت عن مقتل ٢٤١ عسكريا ، وتفجير الخبر في السعودية عام ١٩٩٦ الذي أدى إلى مقتل ١٩ جنديا أمريكيا.

شعور بالهزيمة

هذه الخطوة كانت كفيلة بإشعار طهران بمرارة الهزيمة ، وفداحة الخسارة ، الأمر الذي استدعى خروج كبار زعاماتها لإدانة هذه الخطوة ، ومن بينهم رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني ، الذي وصف مصادرة ممتلكات مؤسسة علوي الخيرية في نيويورك ، بأنها خطوة صليانية مشاكسة. وبعد أيام من قرار المصادرة خرج آية الله أحمد خاتمي في خطبة الجمعة معلقا: أصدرت

«بيناد علوي»..

خامنئي يسقط من الطابق الـ ٣٦

معترن بالله محمد (*) - خاص بالرائد

ستبقى قصة مؤسسة بيناد علوي أو «علوي فاونديشن» شاهدا على مكر ودهاء النظام الإيراني من خلال استغلال اللوبي الإيراني في أمريكا ، الذي زاد نفوذه في الولايات المتحدة بشكل لافت خلال العقود الأخيرة ، بعد أن تكشفت حقيقة الجمعيات الخيرية الإيرانية هناك التي ليست سوى قناع تدار من خلفه الكثير من الأعمال غير المشروعة.

فبعد سنوات من دعوى رفعها الحكومة الأمريكية على المؤسسة التي تصف نفسها بجمعية غير ربحية قائمة على التبرعات ، تروج للثقافة الإسلامية واللغة الفارسية ، كما يقول القائمون عليها ، حيث اتهمت من قبل السلطات الأمريكية بنقل أموال للحكومة الإيرانية ، لتنفيذ مشاريع ذات صلة بالبرنامج النووي الإيراني ، وبعد سنوات من رفع الدعوى ثبت أن «علوي» انتهكت القوانين المتعلقة بالعقوبات المفروضة على إيران وبتبييض الأموال ، بنقلها - بشكل غير مشروع - أموالاً إلى الحكومة الإيرانية ، عبر بنك ملي

(*) كاتب مصري.

الأوسط، وتشجيع الجامعات في أمريكا الشمالية على تقديم دورات في اللغة الفارسية والدراسات الإيرانية والثقافة الإسلامية مع التركيز على الدراسات الشيعية. وكذلك وضع برنامج لتوزيع الكتب لغير القادرين على شرائها، وتوفير الأموال لدعم الفنون الإسلامية والفارسية، ودعم المراكز الشيعية التي يتم تأسيسها واستخدامها من قبل الجاليات الشيعية المحلية في جميع أنحاء الولايات المتحدة، كذلك أطلقت المؤسسة برنامج القروض الطلابية.

كانت المؤسسة تستخدم أموالاً طائلة تدرّها عليها إيجارات ناطحة السحاب التي صودرت مؤخرًا - بحسب خبراء - ليس فقط في تمويل ٣٠ مؤسسة تعليمية شيعية في أمريكا - بل أيضا في مكافأة أو بالأحرى رشوة الكتاب والباحثين الذين يكتبون ما يتوافق مع الأجندة الإيرانية. وتشير السجلات الضريبية إلى أن المؤسسة تلقت إيجارات عام ٢٠٠٧ قدرت بـ ٤.٥ مليون دولار.

شبهات قديمة

الشبهات حول المؤسسة لم تحم فقط خلال السنوات الأخيرة، ففي عام ١٩٩٥ أكد تحقيق لصحيفة «نيوزداي» الأمريكية أن «بيناد علوي» يتحكم بها قادة دينيون إيرانيون، وأن معظم رؤسائها ومديرها متورطون في تهريب شحنات أسلحة وتكنولوجيا لإيران، لكن الأدلة لم تكن كافية آنذاك لتنفيذ القانون ضد المؤسسة.

لكن فقط في فبراير/ شباط ٢٠١٢ رفعت الشرطة الأمريكية السرية عن وثائق قامت بتجميعها تعود إلى عام ٢٠٠٦ وتؤكد أن أجهزة الاستخبارات الإيرانية تعمل من خلف ستار عدة مؤسسات من بينها «علوي»، الأمر الذي نفته المؤسسة جملة وتفصيلا، مؤكدة أن مهمتها الأساسية هي نشر الثقافة الإسلامية الشيعية، واللغة الفارسية والأدب والحضارة.

محكمة حكما وصادرت ممتلكاتها ووافق البيت الأبيض على إنفاق عائدات بيع هذه المؤسسة على أشخاص زعموا أن ذويهم قُتلوا في أحداث كانت إيران ضالعة فيها.

وتابع: إن هذا إجراء غير قانوني، مبني على أساس الكذب، لأننا نحن ضحايا الإرهاب، وإذا أراد العالم أن يبحث عن دولة تدعم الإرهاب، فأمركا تأتي في المقدمة.

كذلك دخلت الخارجية الإيرانية على الخط، عبر المتحدثة باسمها مرضية أفخم، التي قالت إن «مصادرة ممتلكات تعود لمؤسسة علوي، خطوة غير مشروعة، وتنتهك تعهدات الأمريكيين المتعلقة بحرية معتقد مواطنيهم»، معتبرة أن مؤسسة علوي مؤسسة خيرية وخاصة في الولايات المتحدة ولا علاقة لها بإيران.

التأسيس

وتعود الجذور الأولى للمؤسسة إلى عام ١٩٧٣ حيث تأسست على يد الشاه الإيراني آنذاك للقيام بالأعمال الخيرية، وكانت تحمل اسم «بيناد بهلوي»، ثم ما لبثت أن تبدل اسمها بعد الإطاحة بنظام الشاه عام ١٩٧٩ إلى «بيناد مستضعفان» ثم إلى «بيناد علوي»، ومنذ ذلك الوقت تم وضع المؤسسة بشكل مباشر تحت سلطة المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، وتدار أعمالها من قبل مسئولين إيرانيين كبار من بينهم سفراء طهران في الأمم المتحدة، بحسب المحكمة الأمريكية.

وتصدرت المؤسسة جمعيات ومؤسسات اللوبي الإيراني في أمريكا في تحسين صورة نظام الملالي الإيراني داخل الولايات المتحدة، باعتمادها على إمكانيات مالية ضخمة، مكنتها أيضا من مساعدة التنظيمات الشيعية هناك.

نشاطات مشبوهة

ومن بين نشاطات المؤسسة دفع الأموال للجامعات الأمريكية مثل جامعة كولومبيا وجامعة روتجرز لتمويل الأبحاث الفارسية ودراسات الشرق

أولاً: حياته ونشأته

ولد مقتدى محمد الصدر في ١٢/٨/١٩٧٣م، وهو الابن الرابع للمرجع الشيعي العراقي محمد محمد صادق الصدر، الذي أُغتيل في سنة ١٩٩٩م، مع ولديه مؤمل ومصطفى. ومعروف أنه كان يتبع للصدر الأب تيار شيعي كبير، يتكون بشكل أساسي من الفئات الفقيرة وغير المتعلمة، ويتركز في مدينة الثورة، التي عُرفت أيضاً باسم «مدينة صدام» قبل أن تتحول إلى «مدينة الصدر».

أما مقتدى الذي لم يُعرف عنه الذكاء والنباهة، واشتهر في صغره بلقب «الملا أتاري» لإدمانه على ألعاب الفيديو، فقد انقلبت حياته رأساً على عقب، بسقوط نظام صدام حسين في ٩ نيسان/ أبريل

٢٠٠٣م، على يد القوات الأمريكية، وتسلم الشيعة بمختلف أحزابهم قيادة البلاد، إذ ورث مقتدى (صغير السن والذي يفتقر للتجربة والخبرة) تياراً شيعياً كبيراً، كان يتبع لوالده، «وفتح عينه فوجد جماهير ومريدين يهتفون باسمه، ولا يعرف ما يصنع



الوجه الآخر

١٠- مقتدى الصدر

هينم الكسواني^(*) - خاص به «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبتست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر مقتدى الصدر

أحد الأمثلة الواضحة

لفقدان بعض أهل السنة

للربوصلة، ففي الوقت

الذي يرتكب فيه الصدر

وميليشياته المجازر ضد

السنة في العراق وسوريا،

يُنظر إليه البعض منهم على

أنه شخصية عروبية

ووطنية ثائرة ومستقلة،

ورافضة للاحتلال

الأمريكي للعراق، بل

وصل الأمر ببعضهم، في وقت من الأوقات، أن يطلبوا منه المساهمة بحمايتهم من الميليشيات الشيعية الطائفية! ليصدق فيهم المثل «كالمستجير من الرمضاء بالنار».

(*) كاتب أردني.

بهم، كمن هطلت عليه ثروة من السماء أو ورث مالا عظيما»^(١).

ثانياً: إجرامه

ارتبط الإجرام بشخصية مقتدى بعد يوم واحد فقط من سقوط نظام صدام حسين، إذ قام أنصاره (بموافقته) باغتيال عبد المجيد الخوئي، نجل مرجع الشيعة الراحل أبي القاسم الخوئي، داخل مقام علي بن أبي طالب في مدينة النجف، في العاشر من نيسان/ أبريل، مع عدد من مرافقيه، إذ ظهر الخوئي الابن، وهو القادم من لندن حيث كان يرأس «مؤسسة الخوئي الخيرية» كأحد منافسي مقتدى على زعامة البيت الشيعي في عراق ما بعد صدام، في مشهد يعيد إلى الأذهان صراع الصدر الأب مع مراجع الشيعة الآخرين.

ويتحدث الصحفي العراقي معد فياض، الذي كان مرافقاً للخوئي الابن في رحلته من بريطانيا إلى العراق عن مقتله، وعن اقتحام أنصار مقتدى لمقام علي بن أبي طالب (حيث كان يتواجد الخوئي وبعض مرافقيه)، لقتل سادن المقام حيدر الرفيعي، الذي يتهمونه بالعمالة لنظام صدام، مستخدمين مختلف أنواع الأسلحة.

يقول فياض: «دخل علينا المهاجمون وهم يصرخون «اقتلوهم.. اقتلوهم»، إلا أن الخوئي أجابهم: «هذا حرام، كلنا مسلمون وكلنا شيعة ونحن في حضرة الإمام علي. لقد قتلتم شاباً عراقياً مسلماً لماذا؟»، وهنا تعالت أصواتهم وهم يقولون «اسكتوا سنقتلكم الآن». وبالفعل وضعونا في مواجهة الجدار لتنفيذ حكم الإعدام فينا إلا أن أحدهم قال: يجب أن نأخذهم إلى بيت مقتدى الصدر. وهكذا كبلوا أيدينا بالحبال وصادروا

كل ما في جيوبنا من أموال وأوراق وأجهزة هاتف وكاميرات وهم يضربوننا.

ثم اقتادونا مكبلين، وكنا خمسة أشخاص، السيد عبد المجيد الخوئي وأنا والشيخ صلاح بلال وحيدر الرفيعي وشخص آخر عراقي مقيم في أميركا، وما أن خرجنا حتى انهالت علينا السكاكين والخناجر والهرارات.

وعند اجتيازنا الشارع المؤدي إلى بيت مقتدى الصدر بلغ الضرب والهجوم ذروته، ولا أدري كيف استطعت أن أفك وثاقي وأندس بين الناس وأهرب من المكان وعندما وصلت بقية المجموعة إلى بيت مقتدى الصدر رفض فتح الباب وقال لمريديه: اقتلوهم في الشارع ولا تدخلوهم إلى بيتي، وكانت جماعة الصدر قد منحتنا الأمان.

وعند الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق وعندما كان أذان صلاة الظهر يعلو من مآذن مرقد الإمام علي كان الخوئي وحيدر الرفيعي قد قُتلا على أيدي المهاجمين»^(٢).

ويستمر إجرام الصدر بتأسيسه «جيش المهدي» كجناح عسكري للتيار الصدري في آخر عام ٢٠٠٣، والاسم هنا لا يخلو من الدلالة، فالمهدي المنتظر عند الشيعة هو الذي يُخرج أبا بكر وعمر رضي الله عنهما من قبريهما ويصلبهما ويحرقهما، وهو الذي يبيد العرب، وهو الذي يقتل حراس الكعبة أيضاً، وغير ذلك من الأعمال القبيحة المستهجنة، لذلك جاءت أعمال هذا الجيش قبيحة مستهجنة أيضاً.

وارتكب جيش المهدي جرائم يندى لها الجبين بحق أهل السنة، من خطف وقتل وتهجير، وتدمير للمساجد أو الاستيلاء عليها في بغداد والبصرة

(١) سيف الخياط، العقدة والعقيدة: قصة الشيعة في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٢٦.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٩٠٠ بتاريخ ١١/٤/٢٠٠٣.

ومن مظاهر ارتباط مقتدى الصدر بإيران قضاؤه مدة أربع سنوات في إيران (٢٠٠٧ - ٢٠١١) بحجة الدراسة، وهي الفترة التي تم تطويعه فيها، كما وفرت إيران ملاذاً لقادة جيشه في أعقاب الحملة العسكرية التي شنّها عليه رئيس الوزراء السابق نوري المالكي في سنة ٢٠٠٨ بمساعدة القوات الأمريكية^(١).

رابعاً: علاقته بالأمريكان

يعود جزء من انخداع أهل السنة بمقتدى الصدر إلى اصطدامه بالقوات الأمريكية في عام ٢٠٠٤، أي بعد عام من الاحتلال، والسبب في ذلك يعود إلى إغلاق السلطات الأمريكية لصحيفة (الحوزة الناطقة) التابعة للتيار الصدري، ونزع راية دينية كانت مرفوعة فوق أحد المباني في بغداد، علماً بأن مقتدى عندما أسس (جيش المهدي) أعلن أنه «لحماية المراجع والمرآقد المقدسة»، مؤكداً أنه لن يقاتل القوات المحتلة مكثفياً بالمقاومة السلمية لعدم التكافؤ بين الطرفين^(٢)!!

وعلى الرغم من أن الأميركيين مكثوا في العراق ما يقرب من ١٠ سنوات، إلا أن جيش المهدي والتيار الصدري دخلا في سبات عميق عن مقاومة الاحتلال، وبدلاً من ذلك وجها أسلحتهما وإمكاناتهما للبطش بالسنة، سوى بعض الحوادث والاشتباكات التي تهدف لتحسين النفوذ أو تحصيل الامتيازات.

وغيرهما، خاصة في أعقاب تفجير قبة مرقد العسكريين في مدينة سامراء سنة ٢٠٠٦م، والذي اتخذ ذريعة للبطش بالسنة وإكمال المسلسل الطائفي بحقهم، وهو الأمر المعلوم للجميع، رغم محاولة مقتدى التنصل من هذه الجرائم.

ولم ينحصر إجرام مقتدى الصدر وجيشه في الأراضي العراقية، إذ تعدى حدوده ليصل إلى سوريا للمشاركة بجانب نظام الأسد في قمع الثورة السورية، مثله مثل عدد آخر من الميليشيات الشيعية كحزب الله ولواء أبي الفضل العباس وغيرهما، والذريعة دائماً حماية مقام السيدة زينب في دمشق. وقد ذكرت تقارير صحفية أن عناصر جيش المهدي المتواجدين في سوريا للقتال مع الأسد بلغ ٤٦٠٠ مقاتل.

ثالثاً: علاقته بإيران

أقام مقتدى الصدر أوثق العلاقات مع إيران على الرغم من أنه عادة ما توصف مرجعية الصدر بأنها مرجعية عربية، وقد استطاعت إيران استمالته مبكراً، فقد قام الصدر بزيارة إيران في حزيران/يونيو ٢٠٠٣، أي بعد شهرين من الاحتلال، للمشاركة في ذكرى وفاة الخميني، والتقى خلال الزيارة مرشدها علي خامنئي وكبار المسؤولين فيها.

ومما يثير الاستغراب أن مقتدى الصدر (العروبي^١) هو أحد مقلدي المرجع الشيعي الإيراني كاظم الحائري، الذي هو أحد مستشاري خامنئي، الأمر الذي يلقي بظلال من الشك حول استقلالية التيار الصدري، ونهجه العروبي المستقل عن إيران أو التدخلات الخارجية كما يحلو للبعض الترويج.

(١) انظر حول ارتباط مقتدى الصدر بإيران: مقال «حقائق لا بد منها لفهم ظاهرة مقتدى الصدر»، عبد الحميد الكاتب، مجلة الراصد، العدد ١٢٠، باب دراسات.
(٢) المصدر السابق.

على حصيل الصلاة، فقال لي: أتحدثني بما في نفسك، أم أحدثك؟

فقلت: بل هو من أمير المؤمنين أحسن.

فقال: كأنني بك وقد استحسن من مجلسنا، فقلت: أي خليفة خليفتنا، إن لم يكن يقول بقول أبيه، من القول بخلق القرآن. فقال (أي الخليفة): قد كنت على ذلك برهة من الدهر، حتى أقدم على الوثائق شيخ من أهل الفقه والحديث من (أذنه) من الثغر الشامي، مقيداً طوالاً، حسن الشيبة، فسلم غير هائب، ودعا فأوجز، فرأيت الحياء منه في حماليق عيني الوثائق الرحمة عليه. فقال: يا شيخ، أجب أحمد بن أبي دؤاد عما يسألك عنه.

فقال: يا أمير المؤمنين، أحمد يصغر، ويضعف، ويقل عند المناظرة فرأيت الوثائق، وقد صار مكان الرحمة عضباً عليه.

فقال: أبو عبد الله يصغر ويضعف ويقل عند مناظراتك؟

فقال: هوّن عليك يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في كلامه؟

فقال الوثائق: قد أذنت لك.

فأقبل الشيخ على أحمد فقال: يا أحمد إلى إلام دعوت الناس؟

فقال أحمد: إلى القول بخلق القرآن.

فقال له الشيخ: مقالتك هذه التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن أداخله في الدين، فلا يكون الدين تاماً إلا بالقول بها؟

قال: نعم.

قال الشيخ: فرسول الله ﷺ دعا الناس إليها أم

تركهم؟

قال: لا.

شيخ شامي يحاور المعتزلة

د. عمر الأشقر رحمه الله^(١) - خاص به «الراصد»

مَنْ أوتي بصيرة في كتاب الله لم يحتج في مناقشة أهل الضلال إلى علم الكلام، ومنطق اليونان، وعلم الفلسفة، ففي كتاب الله غنى، كيف لا، وهو كتاب الله الذي وضح الدلائل، ونفى الضلال والباطل!! وإذا قصر الناس في الاستدلال من القرآن، وطلبوا الحجة من غيره فلقصور في عقولهم، وضعف في بصائرهم. وقد ذكر علماء التاريخ مناقشة أحد علماء السنة لقادة فتنة القول بخلق القرآن، فألقمهم حجراً، وأخزى حقّه باطلهم، وقد اعتمد في حجاجه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهو حجاج قريب المأخذ، يدركه الناس بسهولة ويسر، وتستمتع إليه فيأسرك روعة الاستدلال، وقوة الحجة.

حكى المسعودي عن علي بن صالح قال:

(حضرت يوماً من الأيام جلوس المهدي للمظالم، فرأيت من سهولة الوصول ونفوذ الكتب عنه إلى النواحي فيما يتظلم به إليه ما استحسنته، فأقبلت أرمقه ببصري إذا نظرت في القصص، فإذا رفع طرفه إليّ أطرقت، فكأنه علم ما في نفسي.

فقال لي: يا صالح، أحسب أنّ في نفسك شيئاً تحب أن تذكره.

قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فأمسك، فلما فرغ من جلوسه أمر أن لا أبرح، ونهض فجلستُ جلوساً طويلاً، فقممت إليه، وهو

(١) من كتابه: جولة في رياض العلماء.

(♦) كاتب أردني.

قال له: يعلمها أم لم يعلمها؟

قال: علمها.

قال: فلم دعوت إلى ما لم يدعهم رسول الله ﷺ

إليه، وتركهم منه، فأمسك.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، هذه واحدة.

ثم قال له أخبرني يا أحمد، قال الله في كتابه

العزیز: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فقلت

أنت: الدين لا يكون تاماً إلا بمقاتلتك بخلق القرآن، فالله تعالى عز وجل صدق في تمامه وكماله، أم أنت في نقصانك، فأمسك. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، وهذه ثانية.

ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد، قال الله عز

وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، فمقاتلتك هذه التي

دعوت الناس إليها، فيما بلغه رسول الله ﷺ إلى الأمة أم

لا؟ فأمسك، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، وهذه الثالثة.

ثم قال بعد ساعة: خبرني يا أحمد، لما علم

رسول الله ﷺ مقاتلتك التي دعوت الناس إليها،

أتسع له عن أن أمسك عنها أم لا؟

قال أحمد: بل، اتسع له ذلك.

فقال الشيخ: وكذلك لأبي بكر، وكذلك

لعمر، وكذلك لعثمان، وكذلك لعلي رحمة الله عليهم؟

قال: نعم.

فصرف وجهه إلى الواثق، وقال: يا أمير

المؤمنين، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله ﷺ

ولأصحابه فلا وسع الله علينا.

فقال الواثق: نعم، لا وسع الله علينا، إذا لم

يتسع لنا ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأصحابه فلا

وسع الله علينا. ثم قال الواثق: اقطعوا قيوده، فلما

فكت جاذب عليها. فقال الواثق: دعوه، ثم قال: يا

شيخ لم جاذبت عليها؟

قال: لأنني عقدت في نيتي أن أجاذب عليها، فإذا

أخذتها أوصيت أن تجعل بين يدي كفني، ثم أقول:

يا ربي، سل عبدك: لم قيدني ظمماً، وارتاع بي

أهلي؟

فبكى الواثق والشيخ وكل من حضر. ثم

قال له: يا شيخ، اجعلني في حل.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما خرجت من منزلي

حتى جعلتك في حلّ اعظاماً لرسول الله ﷺ،

ولقرابتك منه، فتهلل وجه الواثق وسرّ.

ثم قال له: أقم عندي آنس بك.

فقال له: مكاني في الثغر أنفع، وأنا شيخ

كبير، ولي حاجة.

قال: سل ما بدا لك.

قال: يأذن لي أمير المؤمنين في رجوعي إلى

الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم.

قال: قد أذنت لك، وأمر له بجائزة، فلم يقبلها.

قال المهدي: فرجعت من ذلك الوقت عن تلك

المقالة، وأحسب - أيضاً - أن الواثق رجع عنها^(١).

(١) الاعتصام للشاطبي ١ / ٣٢٤.

النسوي فيما يتعلق بقضية العنف ضد النساء
خاصة فيما يتعلق بالعنف المنزلي وإنما سنتحدث عن واقع النساء المسلمات وإلى أي حد تمثل قضية العنف واحدة من أهم المشكلات التي يعاني منها وكيف عالج الإسلام هذه القضية وما هي المبادئ الحاكمة التي وضعها وكيف يمكن تنزيل هذه المبادئ على عصرنا الراهن.

ما هو العنف؟

يمكننا أن نقول إن العنف ضد المرأة هو التعدي عليها بدنيا بالضرب ونحوه ونفسيا بالسب والتحقير، وبالنسبة لهيئة الأمم المتحدة فقد عرّفته في الإعلان العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة (١٩٩٣م) بأنه: «أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس، ويترتب عليه أو يرجح أن يترتب عليه أذى، أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية، أو الجنسية، أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل، أو القسر، أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة» وهو تعريف جيد لأن التهديد هو صورة من صور العنف الذي قد تعانيه النساء ولكن هذا التعريف قابل للتمدد والتغفل بل والتجاوز، ففي عام ١٩٩٥ انعقد «المؤتمر العالمي الرابع الخاص بالمرأة» في بكين، وتضمن منهاج العمل الصادر عنه دعوة للدول «بإدانة العنف ضد المرأة، والامتناع عن التذرع بأي عرف، أو تقليد، أو اعتبار ديني؛ تجنباً لوفاء بالتزامها للقضاء عليه».

مشكلات المرأة المسلمة... مقارنة واقعية (٤) العنف ضد النساء.. قراءة في مسارات الأزمة

فاطمة عبد الرؤوف^(٥) - خاص بالراصد

تحظى قضية العنف الموجه للمرأة بأهمية متزايدة في الوقت الراهن نظرا لموقع هذه القضية من فلسفة حقوق الإنسان التي تعد واحدة من أهم المكاسب الإنسانية التي أنجزتها البشرية في العصر الحديث ولو على المستوى النظري.

إلا أن هذه القضية تحديداً تم استغلالها من قبل المنظمات النسوية الأممية وأذرعها المحلية ليتوسع ويتمدد معها مفهوم العنف من ناحية ويتم الضغط بهذه القضية لإحداث شبكة من التشريعات التي تهدد كيان الأسرة من ناحية أخرى.

إلا أنه وفي خضم تعقب ذلك الفكر النسوي المريض لم يسلط الضوء بالشكل الكافي على قضية العنف ضد النساء التي هي واحدة من أشد واقسى المشكلات التي عانتها وتعانيها النساء والتي اشتمل التشريع الإسلامي على كثير من التشريعات الوقائية لها والحلول بتفاصيل دقيقة.

وفي هذا المقال لن نتعرض لأبعاد الفكر

(٥) كاتبة مصرية.

زالت صورة زميلتي المنتقبة في المدرسة الثانوية ماثلة في ذهني عندما استدعاها وكيل المدرسة وخبرها بين خلع النقاب وبين الطرد فرفضت خلع النقاب فيكفي التأكد من هويتها فما كان منه إلا أن منعها من العودة للصف وجعلها واقفة أمام مكتبه عددا طويلا من الساعات بقصد الإهانة والإذلال. هذا السلوك الذي يدفع طالبات منتقبات كثيرات لترك الدراسة أو الدراسة المنزلية وعدم الالتحاق بالجامعات، ولا شك أن الفقر والبطالة وقسوة ظروف العمل صور متنوعة للعنف الذي تعانيه المرأة.

مساحة العنف أرقام وإحصاءات

لا توجد أرقام وإحصائيات دقيقة توضح إلى أي حد ينتشر العنف على النساء المسلمات وكل الأرقام المتداولة هي مجرد مؤشرات على عينة محدودة من النساء والرجال، ولكنها مؤشرات ذات مغزى، ويدرك أي باحث في القضايا النسائية أنها مؤشرات صادقة. وبعبارة أخرى الغوص في الأرقام أكتفي بذكر إحصائية واحدة تشير إلى أن امرأة واحدة من بين ثلاث نساء قد تعرضت للضرب مرة واحدة خلال حياتها الزوجية.

وعلى كثرة ما شاهدتُ وسمعتُ عن نساء تعرضن للعنف الجسدي فإن أكثر ما ألمني هي قصة عايشة عددا من فصولها لزوجين ملتزمين، الزوجة اقتربت من حفظ كتاب الله تعالى، والزوج باحث إسلامي متخصص، والزوجان تجمعهما أصول ريفية وعندما كانا في زيارة لأهل الزوج حدث سوء فهم بينهما بدت فيه الزوجة كأنها تتجاهل الزوج ولا تطيعه فما كان منه إلا أن قام بضربها أمام الجميع بقسوة وبواسطة أداة مطاطية مؤلمة، وعندما تم انتقاد سلوكه المشين تذرع بقوله تعالى ﴿واضربوهن﴾، وهو الباحث الذي يعرف السياق الذي تحدث عنه الآية الكريمة ويعرف أن الضرب - إن جاز - فله شروط وليس منه الانقضاض على هذه المرأة المسكينة بهذه الطريقة

ولنضع خطوطا حمراء كثيرة تحت كلمة (اعتبار ديني) فالتحقير من شأن الدين وربطه بالعرف والتقاليد واعتبار مبادئه أقل درجة وأقل شأنًا مما يخرج من هذه المقررات أمر لا بد من التصدي له بحزم قبل أن يتحول لفكر سائد.

يكفي أن نذكر في هذا الصدد أن العنف ذا الطابع الديني الذي يشيرون إليه يشتمل على القيود على الحرية الجنسية المنفلتة كحرية ممارسة الشذوذ للرجال والنساء، بل يتجاوزون ويتطرقون لنقاط بالغة الحساسية حتى أنهم يطالبون بإصدار تشريعات مناهضة للاغتصاب داخل مؤسسة الزوجية.

من الناحية اللغوية فالعنف هو: «الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، وأعنف الشيء: أي أخذ به بشدة، والتعنيف هو التقريع واللوم». (ابن منظور / لسان العرب).

وفى المعجم الفلسفي: «العنف مضاد للرفق، ومرادف للشدة والقسوة، والعنيف هو المتصف بالعنف، فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضاً عليه من الخارج فهو، بمعنى ما، فعل عنيف».

أنواع من العنف لا يلتفت إليها

هناك صور قاسية من العنف تقع على النساء المسلمات ولا يكاد يلتفت لها أحد وما ذلك إلا لكونها لم تشحذ بالزخم الإعلامي وتتوافق مع النظرة العلمانية، ومن ذلك حق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب الشرعي أو تغطية وجهها الذي هو رأي شرعي معتبر، فكثير من طالبات المدارس الثانوية والجامعة يعانون بقسوة الإجراءات المتبعة معهن في دول العالم الإسلامي قبل العالم الغربي.

إن مشهد الفتاة المنتقبة وهي تقف جانبا حتى تتأخر عن المحاضرة في انتظار شرطة نسائية كي تكشف عن هويتها لهو عنف بالغ. وما يحدث في المدارس أشد قسوة، ففي كثير من المدارس يتم عقاب المنتقبات والتعامل معهن بعنف وفظاظة. ولا

ما أمني في هذه القصة هو التلاعب بالأحكام ممن يعرف حقيقتها والمزج بين التقاليد الريفية التقليدية الظالمة والأحكام الدينية وهو ما يفتح الباب واسعا للعلمانيين والنسويات للطعن في الدين من زاوية قضايا المرأة.

فلسفة العنف

الضرب أو السب والإيذاء هي المظاهر الواضحة للعنف ولكن للعنف فلسفة عميقة في البنية البشرية حتى أن الملائكة عندما علموا أن الله سبحانه وتعالى سيجعل في الأرض خليفة كانت كل خشيتهم من الفساد وسفك الدماء أعلى درجات العنف التي قد يمارسها إنسان، لذلك أبدع شياطين الجن والإنس ليزينوا العنف، ونظرة لأفلام الحركة والعنف تؤكد ذلك، مشاهد مريعة، قتل بدم بارد، طلقات رصاص تشبه زخات المطر، أبرياء يقتلون دون أن تتعاطف معهم في سياق بحث البطل عن النصر، حتى ألعاب الأطفال مملوءة بالقتل والعنف والدمار والنتيجة النهائية أن البنية العميقة للعنف تتسع وتتمدد وبالتالي يكثر الضحايا الذين يأتي على رأسهم النساء.

أما الإسلام ففلسفته تقوم على الرفق (مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف) رواه البخاري، والنبي ﷺ لم يضرب بيده شيئاً قط، لا زوجة ولا حتى خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، بل إنه قدم توصية صريحة بالرفق بالنساء (رفقا بالقوارير) رواه البخاري ومسلم.

حتى الكلمة فيها رفق ورحمة، حيث يشبه النساء في رقتهن بالقارورة الجميلة والرقيقة التي يسهل كسرها لذا لا بد من الاعتناء بها والرفق في التعامل معها.

كيف عالج الإسلام العنف؟

مشكلة العنف ضد النساء مشكلة ممتدة رأسياً وأفقياً فهي تنتشر عبر العالم كله كما أنها

مشكلة قديمة للغاية وعندما أسس النبي ﷺ دولته في المدينة كان عليه أن يواجه هذه المشكلة التي تمس كرامة الإنسان الذي كرمه الخالق العظيم لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء.

ولكن المشكلة معقدة وذات أبعاد متعددة فالعقل الجمعي والعواطف التي نشأت وترعرعت في ظل نظام اجتماعي وثقافي محدد يلعب العنف أحد مكوناته لم تحل بهذا النهي حيث لم تتضح مشاعر وعقول العديد من النساء والرجال، فعندما شعرت النساء أن الرجال لم يعودوا يمتلكون سلطة الضرب للتأديب سلكن سلوكاً سيئاً فيه من النشوز الشيء الكثير.

إنها حالة من الهرج النفسي التي سادت البيوت بتفجير واحدة من الأسس التي كان يعتمد عليها النظام والاستقرار ألا وهو ضبط سلوك الزوجة عن طريق الضرب فأذن النبي ﷺ في الضرب للضرورة فانتمت رجال كثير وتوسعوا في الأمر ولعلمهم أرادوا الانتقام من سلوك الزوجات السابق.

ولم تصمت النساء على الظلم الواقع بهن فطافت نساء كثيرات ببيوت النبي صلى الله عليه وسلم يشكين العنف الواقع عليهن فما كان منه ﷺ إلا أن عاد لطرح القضية التي هي في جوهرها قضية الخير والشر فالإنسان الخير يمتلىء قلبه بالحنان والشفقة فلن يؤدي زوجته وبالتالي لن يلجأ للضرب وهذا هو نص الحديث، قال رسول الله ﷺ: (لا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ فَجَاءَ عَمْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ذَيِّرْنَ النِّسَاءَ عَلَى أَرْوَاجِهِنَّ فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ فَأَطَافَ بِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءً كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَرْوَاجَهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَقَدْ طَافَ بِأَلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَرْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخِيَارِكُمْ) رواه أبو داود وصححه الألباني.

فكيف يمكن أن نهضم الإذن القرآني باستخدام

الضرب في قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ اللَّهُ فِتْنَتَهُمْ خَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَحَافُونَ نَشُوزَهُمْ فَعِظُوهُنَّ فِي الْإِصْرِ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

نفهمه في سياق بحث الرجل عن حل لإصلاح زوجته ومن ثم استقرار بيته لذلك قدم القرآن ثلاث تطبيقات للحل، هذه التطبيقات ذات طابع تدريجي وليس من حق الزوج الاختيار من أي منها، بل عليه أن يبدأ أولاً بالتطبيق الأول: الوعظ أي النصيح أي الحوار مع شرح خطورة الموقف وتوضيح أسباب الغضب والضيق وعليه أن يكون صادقاً في الوعظ تماماً كصدق الداعية في دعوته أي يكون رفيقاً هادئاً واضح الحجة حريصاً كل الحرص على نجاح العظة ووصولها لقلب الزوجة وأن يوفر الوقت اللازم لهذا النصيح.

إن قدوته في هذا نوح الذي كان يعظ ليلاً ونهاراً، أما أن يكتفي بقول كلمتين جافتين ويقول وعظتها فلا نقول له إلا كذبت لم تعظ وإنما تحايلت على الأمر.

فإذا لم يجد الوعظ نفعا وأغلقت الزوجة قلبها ولم تأبه بالكلمات ولعل بعضهن يسخرن أيضاً منها ولا تبدو منها استجابة وطاعة لزوجها واطمأن قلبه أنه بذل الغاية في النصيح وأنه لم يعد يستطيع الاستمرار في الحياة فينتقل للتطبيق الثاني: تطبيق الهجر أي ترك الكلام والعلاقة الزوجية إنها مرحلة الصمت وتوقف الحياة الطبيعية وهي أطروحة بالغة الأهمية إنها جرس الإنذار للزوجة العاقلة، هذه الأطروحة تقدم للمرأة نموذجاً لما ستكون عليه حياتها إذا تحطمت الحياة وحدث الطلاق وفقدت ذلك الزوج والحكم على الشيء فرع من تصوره كما هو معروف ففي كثير من الأحيان لا نستطيع

الشعور بقيمة الشيء إلا إذا شعرنا أننا افتقدناه أو أننا سنفتقده.

ولقد اعتزل النبي صلى عليه وسلم نساء ما يقارب من شهر قبل أن يخبرهن بين الاستمرار في الحياة الزوجية أو الطلاق ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا لو أصرت الزوجة على العناد ولم تستجب لطاعة زوجها ولم تأبه بوعظه أو هجره؟ هنا يكون أمام الزوج التطبيق الثالث وهو أحد خيارين:

الأول: الطلاق الذي هو حق أصيل له لأنه لم يعد لديه آلية لإصلاح الزواج فليس هناك حل إلا حل عقدة الزواج نفسه.. هذا الخيار نستطيع استنباطه من موقف النبي ﷺ مع نسائه فإما طاعة الزوج وصالح الحال وإما الفراق والطلاق.

الثاني: أن يضرب الزوجة ضرباً خفيفاً بعيداً عن الوجه بسواك ونحوه من باب التوبيخ والإيقاظ إذا أيقن أن هذا السلوك قد يحركها من غفلتها. أما الضرب لأجل الانتقام والتشفي فمرفوض بالطبع.

الضرب الذي ورد ذكره في القرآن يشبه موقف موسى من هارون بعدما عبد بنو إسرائيل العجل فشد لحيته ورأسه وهو يكلمه من شدة انفعاله. إنه ضرب المحب يبحث عن آخر وسيلة للنجاة (وَخُذْ بِدُكِّكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ) [ص: ٤٤].

الأمر البالغ الأهمية أننا نتحدث عن زوج صالح لم يخطئ في حق امرأته أو ينتقصها شيئاً وعلى الرغم من ذلك كانت هي امرأة ناشزا لا تطيعه وليس رخصة لرجال لا يحملون من الرجولة إلا اسمها لتكريس وشرعنة العنف والضرب ضد نساء بريئات.

الخطاب الإسلامي

مما سبق أخلص إلى أن الخطاب الإسلامي المعاصر لابد أن يولي قضية العنف ضد المرأة أهمية أكبر، فعلى عاتقه تقع مسؤولية رفع اللبس عن بعض المفاهيم والأفكار الرائدة التي تسهم في

تغفل العنف ضد المرأة في مجتمعاتنا تلك المفاهيم التي تسيء للإسلام عندما تحاول أن ترتبط به فتضفي شرعية على عادات جاهلية حمقاء.

نحن بحاجة لخطاب صريح ينتقد هذه السلوكيات ولا يتهاون معها، خطاب يدين ضرب الزوجات وإهانتهم ويوبخ هذا السلوك ويجعل الناس تשמئز من فاعله.

خطاب يدين ما يطلق عليه القتل من أجل الشرف فالقتل لا يوقع إلا بحق المرأة المحصن التي تأتي بالفاحشة بعد أن يشهد على تلك الواقعة أربعة شهود عدول وليس من أجل الشك والشبهة كما يحدث في تلك الجرائم.

القتل أبشع صور العنف، ليس لعبة، وأرواح النساء ليست أقل درجة والظن والشك ليس لهما موقع في شريعتنا.

اهتمام الخطاب الإسلامي بالمشكلات التي تمس واقع النساء هو امتداد للمنهج النبوي في التعامل مع المجتمع بتعقيداته وقضاياه الحقيقية، والأمر يتجاوز الدروس والخطب ولا بد من مؤسسات حيوية إسلامية تتبنى مثل هذه النوعية من القضايا ولا تتركها لتلك الجمعيات اللادينية التي استأثرت بالدفاع عن حقوق المرأة.

الخوارج وصفاتهم في السنة النبوية

د. عصير النصر^(١) - خاص بالراصد

فهذه مقدمات أمهد بها للكلام عن الخوارج، من خلال بيان صفاتهم الواردة في السنة وأثرها في واقع الأمة، ومدى وجودها في الغلاة المعاصرين.

• المقدمة الأولى: ضعف الكلام في نزعة

الغلو المعاصرة :

يعدُّ علمُ الفرق والمقالات من العلوم

(٥) باحث أردني.

المهمة^(١)، وهو من العلوم الحافظة لحوزة الدين من خلال رصد أهم المقالات المخالفة لمقالة أهل السنة ومنهجهم، وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ذكرُ عددٍ من المقالات الواردة عن اليهود والنصارى والمشركين، لمعرفة والتحذير منها^(٢).

يعدُّ غيابُ العلم و ضعفه من أهم الأسباب في قلة الكلام في نزعة الغلو المعاصرة، حيث غاب العلم الكاشف، قال ابن تيمية رحمه الله : «وكلمنا ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدع»^(٣)، وهذه قاعدة مطردة فحيث يغيب العلم يغيب - ولا بد - أثره، وكان ممّا غاب عن الناس هي تلك الحدود المميزة للفرق وأصحابها والمقالات ونشأتها وتطورها، وقد تعزز هذا الأمر عندما تلبس الغلاة بلباس السنة، واستخدموا مصطلحاتهم كالجهاد والبيعة والإمارة، وقد وجد من العوامل المؤسسية ما سهّل قبول هذه المصطلحات ذات الأبعاد الفكرية المنحرفة - عند أصحابها - التي تخفى على كثير من الناس .

• المقدمة الثانية: عوامل نشأة البدع :

مثلت النوازل الكبرى في تاريخ الأمة نقطة تحول على كل المستويات المعبرة عن كيان الأمة والمجتمع المعبر عن وجودها وتصورها لمفاهيم الدين وحقائقه، على أن هذه النوازل تمثل بيئة مناسبة لنشوء البدع وظهورها، من خلال توفر عاملين اثنين:

الأول : الاختلاف العام؛ حيث يعد من أعظم المؤثرات على نظام المجتمع الديني والاجتماعي، ولا شك أن النفس في مثل هذا الظرف تكون أكثر قبولاً للتغيير مما لو كانت في اطمئنان وسكون، حيث يتسبب مثل هذا الاختلاف بإخراج الناس من

(١) ينظر لهذا : مقدمة في علم الفرق والمقالات، أد. محمد بن خليفة التميمي.

(٢) ينظر الشهرستاني، الملل والنحل.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠٤١.

نظامهم الديني والاجتماعي من غير مراعاة لما استقر في نفوسهم وجرى عليه عملهم، وهذا بدوره يسبب ضعفا في الإيمان بضعف أسبابه، ويورث الجدل.

الثاني: السمت السياسي أو النظام السياسي، حيث يعد الخلاف فيه من أرفع أنواع الخلاف، وأكثرها أثرا على الواقع، ويعظم هذا الأمر بسبب الوشيجة العميقة بين النظام السياسي في الأمة وبين باب الأسماء والأحكام والإمامة، فقد كان أول خلاف ظهر في الأمة هو هذا النوع من الخلاف على يد الخوارج والشيعة، حيث يستدعي مثل هذا الخلاف من صاحبه التمهيد لغايته من خلال إطلاق الأسماء وما يترتب عليها من أحكام؛ كالكاfer والمنافق، وقد تميز هذا النوع من الخلاف بنوع من المفاصلة والحدة تبعا لطبيعة الأصل الذي ينطلق منه.

• المقدمة الثالثة : البعد التاريخي لظهور الخوارج :

من المهمات في دراسة الفرق والمقالات: التفريق بين «الفرقة» و«الفكرة»، فالفكرة تسبق نشأة الفرقة، كما أن الفرقة تمرُّ بعدة مراحل حتى تصل إلى مرحلة الصناعة، من خلال ظهور منهج ضابط للأفكار والأفراد.

مثلُ حديث ذي الخويصرة بما حمله من إعراض ومقابلة للشرع؛ الفكرة الأولى في نشأة نزعة الخروج، وقد ذكر النبي ﷺ ما يدل على أولية هذا الفكر بقوله : «يخرج من ضئضى هذا ..»

وقد ظهر أثر هذه الفكرة بصورة واضحة في الفتنة التي آلت إلى نوع تفرق بين الصحابة رضي الله عنهم، ومقتل أمير المؤمنين وبعده ذلك الاقتتال بين معسكري الشام والعراق حيث ظهرت على إثر ذلك طائفةُ الخوارج، ومن هنا انتقلت نزعة الخروج إلى مرحلة جديدة حيث تمثلت بأفكار تداولها أصحابها، كتكفير المخالف، وكتكفير الحاكم بغير ما نزل الله بما لا يوجب التكفير،

كما وجد بينهم الدعوة إلى الاعتزال والبيعة .

إلا أن السمة المميزة لهم هي عدم اتفاقهم على كل ما يقولونه، فالأمر يعود إلى كل أمير ومن تبعه منهم، وأما مرحلة الصناعة فكانت متأخرة حيث تأثرت الخوارج بالفرق الكلامية كالمعتزلة .

• المقدمة الرابعة : ما هو المعتبر في التصنيف و الإلحاق بنزعة الخوارج ؟

من الأخطاء الشائعة في مسألة الإلحاق والتصنيف بالنسبة لفرقة الخوارج، الاقتصار على إلحاق القائل بتكفير مرتكب الكبيرة على اعتبار أنها الصفة الأبرز لدى الخوارج وهذا الأمر تعوزه الدقة حيث تعد فكرة تكفير مرتكب الكبيرة في التصنيف الموضوعي للفرق فكرة متأخرة الظهور ظهرت بعد سنوات من اقتتال الصحابة رضي الله عنهم حيث انتشر الجدل بين الناس في حكم المقتولين، فظهرت لدينا فكرتان متقابلتان، فكرة ترجئ أمرهم إلى الله، وأخرى تتطلب الحكم عليهم، وقد دل على هذا أثر الرجل الذي دخل على الحسن البصري في مجلس فسأله عن مرتكب الكبيرة، فلم يكن الأمر يختص بالخوارج بل وافقهم كثير من أهل البدع.

أما الخوارج فأصل فكرهم الغلو في الدين، ومن أهم مظاهره تعظيم أعمال الظاهر وجعلها مناط الحكم دون الالتفات للباطن وقد دل على هذا حديث ذي الخويصرة المتقدم، ومن مظاهر تعظيم الظاهر تكفير أصحاب الذنوب، ومفارقة الجماعة والخروج عليهم بالسيف وعقد الولاء و البراء على جماعتهم دون جماعة الناس.

• شرح صفات الخوارج الواردة في السنة :
قال الإمام أحمد رحمه الله: «صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه»، وقد وصفهم النبي ﷺ بما يبين حالهم ويكشف باطلهم، وسأبين هذه الصفات على النحو الآتي:

أولاً : صفات تتعلق بزمن الخروج وحاله :

قوله: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ» وفي حديث آخر: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ» وفي حديث: «حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ».

من تأمل في هذه الأحاديث رأى أنها تدل على ظهور هؤلاء القوم ابتداءً، وأن ظهورهم متكرر من خلال التعبير بالفعل المضارع «يأتي، سيكون» والتعبير بحادث متأخر «كخروج المسيح الدجال»

كما دلت الأحاديث على أن خروجهم مرتبط بقلّة العلم وانتشار الجهل وضعف الإيمان، ويدل على هذا تقييد الخروج بآخر الزمان حيث يأتي عادةً للتعبير عن الفتن، ولذلك قال في الحديث الآخر «اختلاف وفرقة» والفتن والفرقة والاختلاف لا تكون إلا عند انتشار الجهل وقلة العلم وضعف الإيمان.

ثانياً : صفات تتعلق بذواتهم :

١- قوله: «حُدَّثَاءُ النَّسْنَانِ»، «يَنْشَأُ نَشْءٌ»، «سُقَهَاءُ الْأَحْلَامِ»:

جعل الله في هذا الخلق لكل شيء قدراً، كما جعل لكل عمر أحكاماً تتعلق به، والأصل في هذا أن العقل الذي أنعم الله به على الإنسان شرط في صحة التكليف ولزومه ومناطه المعتبر، فرفع الشرع القلم عن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، كما جعل العجماء جُبار.

إن المتأمل في الصفات المتقدمة يرى أنها من أظهر الأسباب المؤدية إلى الوقوع في الخطأ، لما تقتضيه من قلة الممارسة وضعف العلم، وخفة الطبع، وعند النظر في عموم السلوك الذي يظهر عند الإنسان تجد أن مرده إلى هذه الصفات أو ما يقابلها، فكما أن الحلم والأناة يدلان على رجاجة العقل وزكاء الطبع، كذلك الصخب في الأسواق يدل على غلظة الطباع وقسوة القلب، على أن الشرع لم يمنع الصغير والسفيه من سائر العمل، وإنما

أجاز له التصرف بما يليق بحاله كشراء الصغير ما يصلح له مما هو ليس خارج عن قدرته، ومن هنا يتبن لنا نهي الشارع أخذ العلم عن الأصاغر على قول من فسره بصغر السن، وهو قول وجيه.

إن من أعظم ما تقتضيه هذه الصفات هو الاعتداد بالنفس والاستعلاء على الغير فيميل صاحبها إلى شيء من التمييز بالملبس والصورة الظاهرة، ومن هنا ورد كثير من الأحاديث الدالة على اتصافهم بالحلق والتسييد، وقد عرف عنهم لبس الخشن والزهد في الدنيا، ومحل الذم هنا التدين بما لم يرد به الشرع واتخاذ هذا عادة يتميز بها أصحابها من دون الناس.

٢- قوله: «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ»، «قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ»، «لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَّا قِرَاءَتَهُمْ شَيْئًا»، «يَتِيهِ قَوْمٌ قَبْلَ الْمَشْرِقِ»:

لا يستقيم للإنسان اعتقاد ولا يصح منه قول إلا إذا صح قصده ومتابعته، فإن مدار الأعمال كلها متوقف على صحة القصد والاتباع، ولما كان حال هؤلاء أنهم حدثاء أسنان، وسفهاء أحلام، لا يرفعون بأحدٍ رأساً، فلا يأخذون بقول عالم ولا يعتبرون بمرجعية، كان استدلالهم مشبعاً بأهواء أنفسهم، فهم يقرؤون القرآن إلا أنهم لا ينتفعون به، وهذا دليل على عدم توفيقهم وقلة فقههم.

إن من أعظم ما ينمي العلم ويصححه؛ التسليم للشرع تسليماً مطلقاً والسير فيه سير السابقين الأولين الذين شهد الله لهم بالخير ورسوله ﷺ، الذين هم أعمق الأمة علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيهم ﷺ وإقامة دينه، وإن الخسران كل الخسران في معارضة الشرع وترك الأخذ عن السابقين الأولين وهذه من صفات القوم حيث سَنَّ لهم مُقَدِّمَهُمُ ذو الخويصرة معارضة الشرع، ثم ما لبثوا أن ردوا على الصحابة رضي الله عنهم علمهم واعتدوا بخطرات عقولهم القاصرة، حتى شهد التاريخ على جمعهم بالجهالة والضلال

فلا يعرف فيهم عالم، ولا كتاب يرجعون إليه، بل حرموا التقليد وأمروا بالاجتهاد غير المنضبط.

إن من أعظم ما تدل عليه هذه الصفات التي توسطت أحاديث الخوارج هو نزع الرهبة من مواجهتهم ورد كيدهم وباطلهم حتى لا يفتّر الناس بظواهرهم وما معهم من القرآن .

٣- قوله: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ» :

إن من أقدار الله الجارية في الأمة الاختلاف بين أبنائها، حيث جعل بأسهم بينهم شديدا، ويزداد هذا الأمر ويعظم أثره إذا عظم الدافع له كطلب إمارة أو مال، وقد تقدم معنا أن من أعظم أنواع الاختلاف وأكثرها أثرا الاختلاف ذا الطابع السياسي لما يقتضيه من اقتتال وتناف، إن من مقاصد الشرع العظيمة جمع الناس وائتلافهم، لذلك شرعت كثير من العبادات لهذا المقصد كالجمع والجماعات وغيرها، ومن هنا كان ائتلاف الناس ومخالطتهم والصبر على أذاهم من علامات الإيمان، وإنما أجاز الشرع الانفراد عند فساد الزمان وعدم قدرة الفرد على الإصلاح فأجاز له البعد - والحالة هذه - على أن الخطأ في تقدير هذا الأمر يعود على صاحبه ومجتمعه بأبشع الآثار حيث يدعو صاحبه إلى العزلة المطوية على اتهام الآخرين بالتقصير ما يستدعي إرغامهم على التغير الذي ينشأ عنه الصراع .

من دوافع الصراع داخل الصف المسلم هو نظر كل فرقة على أنها الممثلة لحقيقة الإسلام، ويزداد هذا الأثر عند الفرق ذات الطابع السياسي كالخوارج والشيعة، وقد تقدم هذا إلا أن الإشارة هنا إلى نظرة هذه الفرق لعموم الأمة إذا لم يحصل إتباع لهما، فيكون رفع السيف وسفك الدم الذي حرمه الله، فيقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان.

ثالثاً : صفات تتعلق بالتعامل معهم :

١- قوله: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ

الرَّمِيَّةِ»

يعد الغلو سببا من أسباب الخروج عن الدين، وقد نص على هذا جمع من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١)، ومن هنا اختلف أهل العلم في تكفير الخوارج على قولين، والصحيح عدم كفرهم^(٢)، وعليه جماهير أهل العلم وهو محل اتفاق بين الصحابة، مع اتفاقهم على قتالهم، إن من علامات صحة الإيمان حسن السلوك واستقامة العمل؛ ذلك أن الإيمان إذا رسخ في القلب ظهر أثره على الجوارح والعكس كذلك، فإن الصَّخْبَ في الأسواق وغلظ الطباع علامات على فساد القلب وشدة ضعف الإيمان بما يستوجب أن يكون صاحبه من شر الخلق وأصحاب النار، ويوضحه الآتي :

٢- قوله: «هُمُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتْلُوهُ» .

عظم الشرع أمر الدماء، ورتب على منتهك حرمتها أشد العقوبات الرادعة والزاجرة، وما أجاز قتل المعصوم - لمن يجوز له قتله - إلا بأسباب توجب ذلك كالقصاص أو الزنا في إحسان ونحو ذلك.

يعد خلق الإنسان في الدنيا ووجوده فيها مرادا لله تعالى، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإن مما تظهر به صفات الله وأسماءه هو هذا الخلق، فعلمنا بذلك سعة رحمته وشدة عقوبته وغضبه ورضاه وورقه ومكره إلى غير ذلك من صفات الكمال والجلال، فوجود الإنسان إذن مراد له سبحانه، ومن هنا كان من أعظم الذنوب وأوجبها لغضب الله إفناء الإنسان وتعطيل وجوده حيث يعد اعتداء على حق الله سبحانه.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٣٣.

(٢) النبوات ٥٧٢١.

تقدم معنا أن من خصائص الفرق الإسلامية انكفاءها إلى داخل الأمة، وتطلّب المكانة - لا سيما إذا كان الطابع السياسي هو المحفز الأكبر- فهذا يعمل السيف وينتشر القتل، وهي بهذا تعطل الأمة عن دورها وتضعف شوكتها وتقوي عدوها، فتعطل سوق الجهاد وتضعف بيضة الأمة، ومن كان هذا فعله، مع مخالفته لإرادة الله كان جزاؤه القتل بل والإقصاء حتى لا يبقى لصاحب هذه النزعة وجود إلا ما يجريه الله من قدر، وهذا المراد من قتل «عاد وثمود» فلا يبقى من أصحابها باقية.

هل يرأب العدوان الصهيوني

على غزة علاقة حماس بحزب الله؟

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالرائد

تأخر الأمين العام لحزب الله في خروجه الإعلامي للتضامن مع المقاومة الفلسطينية، واستنكار العدوان الصهيوني على قطاع غزة قرابة الأسبوعين، حيث تزامن خطابه مع يوم القدس العالمي الذي تحتفل به الجمهورية الإسلامية في إيران بعدما أعلن مرشدّها الأعلى السابق آية الله الخميني آخر جمعة من شهر رمضان يوماً للقدس، وخطابه الثاني أيضاً جاء بمناسبة ذكرى حرب ٢٠٠٦.

تأخر نصر الله بحد ذاته طرح العديد من

التساؤلات حول موقف حزب الله من المقاومة الفلسطينية وتحديدًا حركة حماس التي تعيش في حالة خصام شبه صامت مع إيران منذ موقفيها من نظام بشار الأسد عند رفضها زج نفسها في معركة داخلية إلى جانب نظام يجمع شعبه.

(*) كاتب جزائري.

وإن كان الصمت العربي والمواقف المتخاذلة أصبحت معهودة خاصة في ظل الظروف التي تمر بها جل الدول العربية، حتى أصبحت بيانات الشجب والتنديد لا تصدر وإن صدرت فأضعف ومتأخرة، وهذا الواقع المأسوف يمكن مناقشته في سياقه العربي، ولكن في المقابل فإن ما كان يسمى بمحور المقاومة والممانعة، والذي أصبح الآن محورا طائفيًا خالصا بعد خروج حماس منه وانضمام المالكي^(١) إلى جوقه إيران وحزب الله والنظام السوري، لم يختلف أدائه عن تلك الدول العربية وهو الذي طالما تشدد بدعم المقاومة وفلسطين ومواجهة الاستكبار العالمي!!

لقد كان حزب الله رافعة ترويج هذه الأطروحة، ليصطدم الكثيرون من موقف الحزب الذي ظنوا أنه سيجرر في يوم ما فلسطين، وإذا به ينكفي إلى قتل الشعب السوري تاركا الجبهة الجنوبية آمنة مستقرة منذ ٢٠٠٦.

عقب العدوان الأخير على غزة ٢٠١٤ تحدث نصر الله عن إرهابيات عودة المسار الطبيعي بين الطرفين والدفع في العلاقة بين حماس وحزب الله، وحماس والجمهورية الإسلامية، وإن بمعزل عن الموضوع السوري. فإلى أي مدى يمكن للعدوان على غزة أن يساهم في عودة حماس لسابق علاقتها مع حزب الله ومحور الممانعة؟

مكاسب حزب الله وإيران من العلاقة مع

حماس:

بحكم المكانة العظيمة للمسجد الأقصى في الإسلام، فإن القضية الفلسطينية كانت وستبقى

(١) المفارقة أن المالكي، وهو الذي جاء على ظهر الدبابة الأمريكية، ووصل السلطة في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، وتراوحت عمالته بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، يصبح في الخطاب الشيعي مقاوماً، ويصنف ضمن محور الممانعة، وهو الذي لم يطلق رصاصة واحد ضد المحتل، وهذا يعكس حجم الاختلالات والتناقضات والدجل الذي يعاني منه الخطاب الشيعي.

محل إجماع عند المسلمين، ودعمها ومساندتها على هذا الأساس أحد المصادر الخارجية للشرعية عند كل الأنظمة العربية وحتى الإسلامية، لذلك فإن مستوى من الدعم مهما كان ضعيفا فإنه يبقى ضروريا لأي نظام سياسي عربي. وقد استغلت إيران هذا البعد أيما استغلال خلال السنوات السابقة، خاصة بوجود حزب الله، أقوى أذرعها الذي ارتكزت عليه لتنفيذ مشروعاتها، حيث استمد الحزب شعبيته من مواجهاته للكيان الصهيوني في جنوب لبنان، ومنحته القضية الفلسطينية قوة أكبر إذ جعلت من نصر الله زعيما عربيا، كونه الجناح الشمالي في مواجهة العدوان الصهيوني، وعزز من ذلك علاقته مع حماس.

فقد استثمرت إيران بواسطة حزب الله علاقتها مع حماس وحققت العديد من المكاسب، فحركة حماس تتميز بمواصفات ثلاث هامة جدا كانت إيران بأمس الحاجة لها، فكون حماس حركة مقاومة جعل صورة إيران تبدو بأنها الداعمة للمظلومين في العالم، ولأن «حماس» سنية، فهذا مكن إيران من تجاوز تأطيرها بأنها قوة شيعية طائفية، ولأنها فلسطينية فهي تستطيع كسب تعاطف الكثير من الجماهير العربية والمسلمة والتي تمثل قضية فلسطين بالنسبة لهم القضية الأولى^(١).

انقسام المواقف

تجلت إرباكات موقف حزب الله من العدوان على غزة في خطابه الإعلامي الرسمي حيث تزامن اشتداد العدوان على غزة بتقدم كبير أحرزه الحوثيون في اليمن على حساب سلطة الدولة، وإعلام حزب الله ممثلا في قناة المنار كان منشغلا بتغطية

(١) سلطان العامر، نحو مقاربة جديدة تجاه «حماس»، الحياة، ٢٠١٤/٠٦/٢٢، على الرابط:

<http://alhayat.com/Opinion/Sultan-El-Amer/3719561/%D9%86%D8%AD%D9%88-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87-%C2%AB%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3%C2%BB>

إنجازات الحوثيين ونقل خطاب زعيمهم مباشرة على قناة المنار وليس العدوان الصهيوني وجرائمه، والتحول في مسار التغطية خلال هذه الفترة كان أيضا متأخرا على غرار خطاب نصر الله، وجاء عقب صمود المقاومة التي كان يتوقع انهزامها.

ولم يختلف خطابه غير الرسمي عن ذلك حيث بنى مناصروه في مواقع التواصل الاجتماعي تصوره على الموقف السلبى للحزب وإيران من حماس خلال السنتين الأخيرتين، واعتقد هؤلاء أن الصمت الرسمي يعني استمرارية لنفس الموقف، وبذلك كان هؤلاء في خطابهم يدينون حركة حماس ويترقبون انهزامها نكابة فيها لابتعادها عما يسمى بمحور الممانعة، لتأتي لاحقا تصريحات إيران وحزب الله ليعاود هؤلاء الكرّة بالدفاع عن حماس ومقاومتها خاصة بعدما أثبتت صمودها، ولكن الحديث تحول إلى الدعم الإيراني والسوري للحركة، والصواريخ الإيرانية والسورية التي تحقق بها انتصاراتها، ومكنتها من الصمود في المواجهة. ورغم هذا التحول في الخطابين إلا أنه لم يخل من مؤشرات عن استمرار تأزم العلاقة لعل أهمها:

١- إيماءات للانقسام في حماس: أصبح شبه ثابت في خطاب المحور الإيراني الفصل بين الجناح العسكري والسياسي للمقاومة والداخل والخارج - وهو نفس خطاب الكيان الصهيوني - فالجناح الأول المتمثل بكتائب القسام لم يغادر يوما البيت المقاوم، حتى بعد بروز الخلاف حول المسألة السورية. ولو حصل خلاف ذلك وكانت إمرة القسام بإمرة الجناح السياسي، لكان الموقف اليوم مختلفا^(٢).

طبعاً ليس هؤلاء أول من يحاول خلق وافتراض انقسام بين الجناح السياسي والعسكري لمقاومة حماس، ولكن الملفت في الكلام أعلاه أنه إذا ثبت

(٢) حزب الله اتخذ قراره: سقوط المقاومة في غزة ممنوع مهما كان الثمن!، موقع جنوب لبنان، ٢٠١٤/٠٧/٢٣، على الرابط: <http://www.southlebanon.org/archives/119739>

تطابق المواقف بين الجناحين بالفعل من الأزمة السورية - وهذا هو الواقع حقيقة - فإن حزب الله عندها سيكون له موقف آخر من حماس.

والاتصال الذي تم بين نصر الله ومشعل، تؤكد (مصادر من الحزب) أنه تم مع «مشعل الذي يعبر عن موقف كتائب القسام أي مشعل المقاوم وليس مشعل المنخرط بالمشروع الإخواني»^(١).

وهنا فإنه إضافة إلى أن مجرد التواصل بين خالد مشعل ونصر الله يدحض فكرة الجناح العسكري والسياسي، فإن الفصل حتى في شخصية خالد مشعل يؤكد الانقسام السياسي الذي يعيشه حزب الله. بكل تأكيد لا يستطيع أحد نفي التباين في المواقف من سوريا والعلاقة مع إيران داخل المكتب السياسي لحركة حماس، ولكن ذلك لا يرتقي إلى مستوى الانقسام كما يحاول الحزب تصويره، وإذا افترضنا وجود انقسام فإنه بلا جدال انقسام مضر بالمقاومة، ومحاولة تعزيزه من طرف حزب الله يصب دون شك في خدمة الكيان الصهيوني!!

٢- علاقة التبعية: يصور حزب الله أن حماس في حاجة إليه، وهي التي كانت مخطئة وعادت إلى حلفائها الطبيعيين، إذ «ليس حزب الله من ذهب إلى مشعل بل الثاني هو من عاد إلى المقاومة»^(٢). وهنا نلتبس «الأنا المتعالية» عند الحزب الذي لا يخطئ مطلقاً في أفعاله، وإنما حركة حماس هي التي أخطأت وتعود الآن لحلفائها الطبيعيين، وكأنه كان واجبا على حماس أن تشارك في قتل الشعب السوري حتى تثبت مقاومتها. والحزب ومحور المقاومة اتخذوا مؤخراً قراراً واضحاً ونهائياً يقول بأن «سقوط المقاومة في غزة ممنوع»، وبالتالي فإن «حزب الله»، وبحسب مصادر مقربة منه، جاهز

لفتح جبهة الجنوب في حال استدعت الأمور ذلك. إذن مصير المقاومة الفلسطينية متوقف على حزب الله، وانتصاراتها بفضلها. وتجربة العدوان، تؤكد أهمية «عودة الابن الضال» إلى حضن أبيه وأمه^(٣).

٣- بدائل عن حماس: تؤكد خلال العدوان بحث إيران عن بدائل عن حماس في فلسطين، وأمارات ذلك في عدم تخصيص حماس بالإشادة والذكر كما في السابق، ففي المرحلة السابقة كان حزب الله يخص حماس بالاسم إضافة إلى كل أطراف المقاومة، أما حالياً فإنه يعمم ذلك على كل المقاومة بل وينبه إلى «مختلف حساسياتها»، وتجلى ذلك أيضاً بالنسبة لحركة الجهاد الإسلامي التي مواقفها متقدمة في تأييد إيران والترويج لخطابها في المنطقة حيث كان أمينها العام عبد الله شلح دائم الحضور خلال العدوان على منابر الإعلام الإيراني خاصة قناتي الميادين والمنار، والأمر نفسه بالنسبة لحزب اللجان المقاومة الشعبية التي كان الناطق الإعلامي باسمها عبر القنوات الإيرانية، يشيد بإيران وحزب الله وينتقد الدول العربية، حيث شن «أبو مجاهد» هجوماً على علماء من المملكة السعودية ناصرُوا في بيان المقاومة، ونهبوها لخداع حزب الله، واصفاً إيران والحزب بالحلفاء في المعركة والشركاء في المال والسلاح والعتاد^(٤).

(٣) عرب الرنتاوي، العدوان على غزة من المنظور الإقليمي، جريدة الدستور، ٢٠١٤/٠٧/١١، على الرابط:

<http://www.addustour.com/17273/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%88%D8%A7%D9%86+%D8%B9%D9%84%D9%89+%D8%BA%D8%B2%D8%A9+%D9%85%D9%86+%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%88%D8%BI+%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A.html>

(٤) لجان المقاومة الفلسطينية: حلفاؤنا في إيران وحزب الله شركاؤنا في المعركة، كيهان، ٢٠١٤/٠٨/٠٨، على الرابط:

<http://kayhan.ir/ar/news/4811>

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

فتح الجبهة الجنوبية:

وأعرب عن انتقاد لين لها عندما تحدث عن القنوات الرسمية والسرية للتواصل بين الطرفين في هكذا مواضع، وليس عبر وسائل الإعلام. وحاول أن يخفف من تأزم العلاقات مع حماس بقوله إنها لم تنقطع يوماً، وهذا صحيح، ولكن لما دقق محاوره وسأل عن الدعم، فإن نصر الله تحدث بكلام عام وتجنب الإجابة المباشرة عن السؤال، وربط ذلك بتأثر أوضاعهم نتيجة أحداث سوريا والعراق والمنطقة، وهي إجابة غير مباشرة بأن مسألة الدعم تأثرت بالموضوع السوري^(٣).

وهذا ما يعزز ما تناولته مصادر قريبة من حماس عن توقف الدعم الإيراني لها خلال العامين الماضيين (واستمراره لحركة الجهاد)، وما قدمته لحماس سابقاً تم استخدام أكثره في معركة ٢٠١٢، أما ما يستخدم الآن فأكثره من تصنيع محلي بشهادة مسؤول الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية السابق (عاموس يدلين) (لا شك أنه تصنيع استفاد مما قدمته إيران سابقاً)، أما الجزء الآخر، فهو مما جرى تهريبه من ليبيا بعد سقوط القذافي، مع وجود مصادر أخرى^(٤).

ومع كل هذا ارتفعت بعض الأصوات تتحدث عن إمكانية فتح حزب الله الجبهة الجنوبية للتخفيف على المقاومة في فلسطين، ولم يستبعد مناصرو الحزب هذا الخيار، ورهنوه بتطور الأحداث في غزة، خاصة وأن حسن نصر الله لمح له في خطابه. طبعاً من حق هؤلاء قول ذلك لأن المهمة

أثار طلب نائب رئيس المكتب السياسي في حماس موسى أبو مرزوق من حزب الله فتح جبهة ثانية، ومساعدة الفلسطينيين في قطاع غزة ضد القوات الإسرائيلية، الكثير من الجدل خاصة وأنه جاء بُعيد خطاب نصر الله الذي تحدث فيه عن تأييد الحزب للمقاومة بكافة فصائلها، واستعداده للقيام بكل ما يتوجب وعلى كل صعيد^(٥). ولا شك أن قيادات حماس يعلمون جيداً أن الحزب لن يساعدهم وأن دعوة مرزوق ليست إلا محاولة لإحراج قيادة حزب الله^(٦).

كما وصفت الحركة «مواقف حزب الله الداعمة لحركات المقاومة في غزة»، بأنها غير كافية بالنسبة إلى حماس. واعتبرت أن «الكلام وحده لم يعد كافياً، وطالبت من الحزب تحركاً من شأنه أن يهز الحدود العربية مع فلسطين، إذا لم يصل إلى مستوى إشعال الجبهة الشمالية مع العدو، لكن على الأقل أفعالاً متسائلة إذا ما كان الحزب ينتظر حتى سقوط غزة للتحرك؟^(٧).

ما يلاحظ في هذه التصريحات المتضاربة أن الحركة لم تكتفِ بعدم الثناء على حزب الله وإيران بدعمهما للمقاومة كما كانت تفعل سابقاً، بل أكثر من ذلك جاءت تصريحات قياداتها عقب خطاب نصر الله ما يعني أن المقصود منها سحب أي رصيد إعلامي من خطابه، وطبيعة المطالب «التعجيزية» للحزب تدلل على استمرار التوتر في العلاقة بين الطرفين.

وقد أشار حسن نصر الله في حوار مع جريدة الأخبار اللبنانية لاحقاً إلى تصريحات أبو مرزوق،

(٣) العدو «علق» في غزة... وانتصار المقاومة الفلسطينية يؤخر أي عدوان على لبنان، ٢٠١٤/٠٨/١٤، على الرابط: <http://www.al-akhbar.com/node/213548>

(٤) ياسر الزعاترة، غزة بين صوت الصهينة وصوت الهزيمة وصوت

الشيعة، الدستور، ١٣ / ٠٧ / ٢٠١٤، على الرابط: <http://www.addustour.com/17275/%D8%BA%D8%B2%D8%A9+%D8%A8%D9%8A%D9%86+%D8%B5%D9%88%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%87%D9%8A%D9%86%D8%A9+%D9%88%D8%B5%D9%88%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%B2%D9%8A%D9%85%D8%A9+%D9%88%D8%B5%D9%88%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D9%8A%D8%AD%D8%A9.htm>

(١) الحرب على غزة تحرج قيادة حزب الله، العرب، ٢٠١٤/٠٧/٣٠، على الرابط: <http://www.alarab.co.uk/?id=29094>

(٢) حماس تطالب حزب الله بفتح جبهة ثانية من جنوب لبنان، الشروق الجزائرية، ٢٠١٤/٠٧/٢١، على الرابط: <http://www.echoroukonline.com/ara/articles/212039.html>

الأساسية لهم هي إيجاد المبررات لسياسات الحزب وخياراته، ولكن الحقيقة والواقع أثبتا أن الحزب لم ولن يفعل ذلك.

وهناك من أرجع عدم فتح الحزب الجبهة الجنوبية لانشغاله بالحرب في سوريا التي تستنزف قوته منذ أكثر من ثلاث سنوات، وعدم قدرته عل القتال في جبهتين، ولكن نصر الله أكد أن قدراتهم لمجابهة إسرائيل لم تتأثر بالأزمة السورية وأنه لم يحرك أيًا من القوات المكلفة بهذه المهمة، رغم أن هذا الكلام يتناقض مع ما ورد في حوار مع جريدة الأخبار كما سبق الإشارة، وباستثناء هذه الجزئية فإن المبررات التي يستند إليها في عدم الإقدام على فتح الجبهة يمكن تفنيدها بسهولة، وهو ما يكشف المأزق الحقيقي الذي يعيشه الحزب.

فالخطاب الذي يمثله حزب الله يُرجع عدم تدخله مع إيران أو النظام السوري في فتح الجبهة اللبنانية إلى القانون الدولي أو التوازنات الإقليمية، لكنه في نفس الوقت لا ينفك من خلال قاداته العسكريين يهدد ويتوعد بمحو الكيان الصهيوني دعما ونصرة لفلسطين، والسؤال الذي يُطرح: إذا كان هؤلاء يدركون حقائق القانون الدولي والتوازنات الإقليمية التي تحول دون تجسيد ما يقولونه على أرض الواقع، فلماذا هذه التصريحات والجمعيات؟ هل هناك تفسير آخر لها غير الاستثمار الإعلامي لمآرب أخرى؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ما دام «الفراق» بين حماس وحزب الله ومحور الممانعة انطلق من عدم تضامن الحركة مع المحور في وجه المؤامرة الكونية، ولم يكن النظام السوري ليرفض أن تنخرط حماس إلى جانبه في مواجهة الشعب السوري كما فعل حزب الله، بل على العكس تماما كان ذلك ليسعده ويوفر له غطاء لجرائمه، وقد استثمر بالفعل الجبهة الديمقراطية

لتحرير فلسطين التي أصبحت أداة بيده لقتل الفلسطينيين في مخيم اليرموك قبل السوريين، وعلى هذا الأساس فمن حق حماس إذا أن تطلب من المحور أن ينخرط معها في الحرب بشكل مباشر، مع فارق المعركة بكل تأكيد.

أما خشية الحزب أن يؤدي فتح الجبهة إلى توريط لبنان وتدميرها من طرف الصهاينة كما حصل في ٢٠٠٦، يفترض هذا المنطق أن دخوله في سوريا كان له انعكاساته على لبنان التي ليس آخرها ما حصل في «عرسال»، فلماذا لا يراعي الحزب هذا الجانب في الحالة السورية، ويحرص عليه في الحالة الفلسطينية؟

حماس وحزب الله: المسافة السورية

تحدث نصر الله في حوار مع جريدة الأخبار اللبنانية عن محاولة تفهم للموقف من الأزمة السورية لكلا الطرفين، وأعطى الموضوع حجما بسيطا جدا وقليل من أهميته، كما لو أنه استثنائي في العلاقة بين الطرفين. ولكنه أشار في نفس الخطاب إلى بروز ثلاثة محاور هي: المحور السعودي المصري الإماراتي، المحور الإيراني السوري حزب الله، وهناك محور ثالث هو القطري التركي، وحماس من ثايا خطاب نصر الله تنتمي للأخير، وهو متهم بالعمالة للمشروع الأمريكي، تأسيسا على هذا فإن الخصام مع حماس لم يتوقف عند عدم دعمها عقابا لها لخدلانها حلفاءها فحسب، بل انخرطت في محور آخر عميل للصهيونية هو المحور القطري التركي^(١).

ومع ثبات المقاومة ممثلة بشكل خاص في حماس اضطر محور حزب الله متأخرا إلى تبني

(١) لم يخلُ خطاب نصر الله ولم يخرج عن هذا المضمون حيث أرجع ما تشهده المنطقة حالياً من تدمير للشعوب والجيش والدول وتفكيكها والمستهدف هو فلسطين. وأكد أن سوريا كانت الجدار المتين وستبقى في وجه المشروع الصهيوني، كما أعرب عن خشية من أن يكون تدمير المقامات ومرافد الأنبياء في العراق تمهيدا لتدمير المسجد الأقصى.

خطاب «ما قبل الثورة السورية»، ووضعت الخلافات على الجانب ليس لأجل فلسطين كما زعم نصر الله، وإنما لكونها الاختبار الذي لا يمكن تجاوزه والتلاعب فيه بالنسبة للشعوب العربية، والمأزق الذي وقع فيه هؤلاء أن الحركة أعربت في أكثر من موقف عن تأييدها لكل من يخدم القضية ويلبى مطالبها، وكانت قطر وتركيا هما من مثالاها في المؤتمر الذي عقد في فرنسا.

لذلك لم تتوقف الاتهامات للحركة فمجرد طلب موسى أبو مرزوق فتح جبهة ثانية للتخفيف عن غزة، اعتبر تنفيذ أجندة سياسية لا تخدم فلسطين وشعبها بل تخدم أردوغان تحديداً، فكلام أبو مرزوق يساهم في زيادة التحريض ضد حزب الله وللأسف هذا التحريض سيأخذ الطابع المذهبي كما أنه محاولة للتغطية على موقف أردوغان وقطر وبعض رجال الدين الذين أفتوا بضرورة الجهاد في سورية ولم نسمع صوتهم خلال العدوان على غزة^(١).

يتبين من هذا أن مجرد تصنيف حماس ضمن محور جديد تشكل عقب موجة الثورات الشعبية يدل على وجود مسافة بين الحركة والمحور حددتها «الأزمة السورية»، وإذا علمنا أن موسى أبو مرزوق الذي طالب حزب الله بفتح الجبهة الجنوبية هو من سبق له إجراء اتصالات مع قادة إيران وحزب الله عقب الانقلاب على الرئيس محمد مرسي في مصر وما تم تداوله حينها من عودة العلاقات بين الطرفين، فإن هذا يعكس مستوى من الترابط بين الأحداث والقضايا، وهو مؤشر آخر على استمرار هذه المسافة بين الطرفين.

ومهما حاول نصر الله خلق انطباع بأن تحسن العلاقات مع حماس هو عودة للعلاقات الطبيعية في محور المقاومة والممانعة، فإن هذه المقاربة للعلاقة مع الحركة تصطدم بعائق النظام السوري الذي

(١) ربيع الحسن، ماذا وراء طلب حماس من حزب الله فتح جبهة جنوب لبنان؟، رأي اليوم، ٢٠١٤/٨/٢، على الرابط: <http://www.raialyoum.com/?p=130573>

يستحيل أن تعود علاقته مع حماس إلى ما كانت عليه في وقت سابق، فدمشق أكثر تحفظاً حيال حماس، وأقل ميلاً للقبول بـ «توبتها» من إيران وحزب الله، انسجاماً مع موقف سوري رسمي، أشد عداءً للإخوان المسلمين، في عموم المنطقة، وليس في سوريا وفلسطين وحدهما^(٢).

ونظام الأسد جزء ثابت في المشروع الإيراني وهو خط الدفاع الأول عن إيران، وهي حتى وإن استغنت عنه آجلاً في صفقة ما على غرار تخليها عن المالكي فإن ذلك سيكون تحولاً كبيراً في شكل المحور أو نهايته، والحزب لا شك يدرك ذلك، ورغم كل الحديث عن التعاون مع المقاومة وعودة الدفء للعلاقة بين الطرفين إلا أن السياق العام للأحداث كشف عن استمرار تباين في العلاقة بين الطرفين بشكل أعمق مما يصوره حزب الله.

العودة إلى محور المقاومة أم محور إيران؟

لا يعدو أن يكون موقف حزب الله المتخاذل هذا إلا مجرد إعلان صريح عن حقيقة مشروع وأيديولوجيته، وهو ليس انحرافاً لبوصلة المقاومة لأن الأخيرة لم تكن في يوم من الأيام باتجاه فلسطين التي يدعي الحزب أنها قضيتها المركزية. فالمرحلة الأولى من المواجهات بين حزب الله والكيان الصهيوني كانت دفاعاً عن مناطق تواجهه أكثر منها دفاعاً عن القضية الفلسطينية.

وبين تأسيسه وحتى موجة الانتفاضات الشعبية كان هناك تقاطع في الأهداف بينه وبين المقاومة الفلسطينية، فضلاً عن أن الحزب ومن ورائه إيران حققا الكثير من المكاسب بدعمهما للمقاومة، حيث كانت مدخلا لتمدده في المنطقة العربية، وشكلت غطاء عن سياساته الإجرامية في الكثير من الدول العربية خاصة خلال الاحتلال الأمريكي للعراق، وحتى الثورة السورية حيث أضحى من الصعوبة التغطية على السياسات الطائفية التي

(٢) عرب الرنتاوي، مرجع سابق.

تنتهجها إيران ومن ورائها حزب الله.

وعند تعارض المصالح فإنه في حين أثبتت حركة حماس استقلاليته عن إيران من خلال موقفها من الثورة السورية، أكد حزب الله تبعيته المطلقة لها، والتي كان الأمين العام للحزب دائماً يرددها في خطابه، والنابعة من منطلق عقائدي، حيث كان ينتقد من يتحدثون عن علاقته بإيران وتحديداً المرشد الأعلى تحت غطاء ولاية الفقيه، معتبراً الأمر معتقدات خاصة يجب احترامها، رغم محاولته عبثاً الفصل بين الديني والسياسي فيها، وهو الطرح الذي أثبتت الوقائع على مدار كل هذه العقود زيفه.

وتوتر العلاقات بين حماس وإيران وحزب الله عقب الثورة السورية وتراجع الدعم لها انطلاقاً من هذه الإشكالية في حد ذاته يؤكد أن الموضوعين متصلان وأن دعم حماس لا يخرج عن هذه العلاقات، وبالتالي فإن محاولة الظهور بمظهر المدافع المحب لحماس من طرف حزب الله مجرد أكاذيب، فضلاً على أنه لم يعلن موقفاً مستقلاً من حماس ويؤكد علاقته الجيدة معها، بل كان نصر الله يتحدث في خطابه عن الأصدقاء الأوفياء لسوريا في إشارة غير مباشرة لحماس غير الوفية أو الخائنة.

الخلاصة:

إذا كان حزب الله بخل على المقاومة بمجرد الدعم الإعلامي في المرحلة الأولى من العدوان على عكس الفترات السابقة فإن حديث نصر الله المتأخر عن دعمها لا يعدو أن يكون مجرد خطاب موجه للاستهلاك الإعلامي، وأن البوصلة الحقيقية للحزب باتجاه ما يسطره الولي الفقيه الإيراني القائد الروحي لحزب الله، ومموله. فالشرح الذي أحدثته الثورة السورية بين حزب الله وإيران والنظام السوري وحماس لا يمكن أن يتجاوز بسرعة، وإذا كان العدوان على غزة أظهر الشماتة المبطنية من

هذا المحور تجاه حماس فإنه يعكس حقيقة موقفه منها ومن القضية الفلسطينية برمتها، وأنه يتبنى القضية الفلسطينية في خطابه ما دامت تتوافق مع مشروعه الخاص، وعند تخييره بين مصالحه ممثلة في المشروع الإيراني وبين القضية الفلسطينية فإن الحزب لا شك سيولي وجهه شطر إيران.

وأي محاولة من حماس لتقرب أكثر من هذا المحور لن تصل لحد التغطية والمواقفة على جرائمه في المنطقة فستبوء بالفشل بكل تأكيد.

وعلى هذه الأساس فلا يتوقع أن تتحسن العلاقة بين الطرفين، خاصة وأن حزب الله هو الآخر لا يستطيع الخروج عن المشروع الإيراني وهو مشروعه الحقيقي.

ورغم المحنة الصعبة فإن حماس استفادت كثيراً من توقف الدعم لها من طرف حلفائها فضلاً عن أعدائها، حيث عزز ذلك ثقافة الاعتماد على النفس في رسم الاستراتيجيات والمضي قدماً في مشروعها المقاوم الذي يعمل في اتجاهي تحرير فلسطين والأمة على حد سواء^(١).

خريف الثورة المصرية

وموسم الهجوم على النبي والصحابة

أسامة الهتمي^(٢) - خاص بالرائد

ليس من قبيل المبالغة أن نصف الحالة المتصاعدة يوماً بعد يوم خلال الآونة الأخيرة بأنها «موسم الهجوم على الإسلام ورجاله» والذين أصبحوا هدفاً مباحاً لطعنات كل من هب ودب ممن وصفوا أنفسهم بالمفكرين أو ادعوا أنهم دعاة أو حتى من

(١) لتفاصيل أكثر أنظر: ساري عرابي، من دروس حماس والحرب: الاعتماد على النفس، عربي ٢١، ٢٠١٤/٠٨/١٩، على الرابط: <http://arabi21.com/Story/769880>

(٢) كاتب مصري.

أولئك الذين منحوا أنفسهم الحق المطلق فيما اعتبروه حرية تعبير تأكد للعقلاء أنها لم تكن لدى هؤلاء المدعين إلا جرأة على الثوابت الإسلامية ونيلا من صحابة الرسول الكريم محمد ﷺ استهدفت تشويه الإسلام وتاريخه تحقيقاً لأغراض وضيعة في نفوس هؤلاء.

فلم تكن خفتت بعد حدة الضجة التي أثارت حول الكاتب المصري إبراهيم عيسى بما ضمنه بعض مقالاته الصحفية وبرامجه التلفزيونية من ترهات تتعلق بحجاب المرأة المسلمة واتهامات لا أصل لها لبعض كبار صحابة النبي - ﷺ - حتى ثارت ضجة أخرى بل ضجات بشأن مدعين آخرين رأوا أن أفضل سبل لتحقيق تطلعاتهم للشهرة هي إثارة الشبهات وترديد الخرافات والانقضاض على البديهيّات زاعمين أن ذلك ليس إلا باباً من أبواب الاجتهاد وأعمال العقل والفكر منكّرين أن الغرض الحقيقي هو تشكيك الناس في دينهم أو على الأقل تحقيق الاستخفاف من تعاليمه في نفوسهم.

ونسي هؤلاء أن ما يصبون إليه ما هو إلا سراب بقيعة فلقد امتلأ تاريخ الأمة بأمثالهم فما كان حظهم من الدنيا إلا التجاهل والنسيان بل ولعنات المؤمنين الذين أدركوا جيداً أن أمثال هؤلاء ليسوا إلا جزءاً من مخططات أعداء الأمة الذين يتربصون بها وبدونها ويريدون أن يوجدوا فجوة بينها وبين تعاليم دينها الحق فتظل قابعة في ذيل الأمم لا تعدو عن كونها تابعة ذليلة فقدت قوتها بعد أن فقدت هويتها.

أبو العرايس ودعوات الإلحاد

ولعل أبرز نموذج يمكن اتخاذه للتدليل على ما أشرنا إليه في السطور السابقة هو المدعو سامح أبو العرايس الذي يعمل خبيراً في البورصة ومع ذلك فإنه يُستضاف في الفضائيات باعتباره محلاً سياسياً وهو أمر لا يهمننا فالمرء أن يصف نفسه بما يشاء،

المهم أن تكون لديه المؤهلات لذلك .. لكن أبو العرايس لم يحصر ما يتناوله في مداخلاته أو كتاباته على صفحته الخاصة بالفيس بوك في أمر السياسة والاقتصاد فحسب فقد أصبح بما يكتبه في الأديان دون مراعاة للثوابت مادة إعلامية ثرية تتلقفها الصحف ووسائل الإعلام فتعيد نشرها مجدداً كونها مادة مثيرة تلفت نظر القراء وتعلي من توزيع الصحيفة دون أدنى التفاتة من القائمين على أمر هذه الصحف إلى أن نشر مثل هذه الأفكار المتهافئة يدفع آخرين من ضعاف النفوس إلى السير على نفس المنهج فيتحقق لهم ما تحقق لـ«أبو العرايس».

واتخذ «أبو العرايس» من صفحته على الفيس بوك ساحة لشن حملات هجومية شديدة وحروب شعواء ضد النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام - رضي الله عنهم - والقواعد الإسلامية بل وصلب الإسلام «التوحيد» فلم يتردد مثلاً في وصف غزوة بني قريظة التي وقعت عام ٥ هـ بأنها أول مذبحة جماعية في التاريخ الإسلامي فقال: «أول مذبحة إبادة جماعية في التاريخ الإسلامي لم ترتكبها داعش أو القاعدة. بل وقعت في عهد النبي محمد وهي مذبحة قبيلة يهود بني قريظة. وكان سعد بن معاذ هو صاحب الحكم بقتل جميع رجالهم وسبي جميع نساءهم وأطفالهم والاستيلاء على أموالهم وأراضيهم ومن بشاعة الموضوع أنه لتحديد هل الذكر بالغ ليقتل أو لم يبلغ لبيع كعبد؟ كانوا بيكشفاً على الشعر حول عضوه الذكري فاذا وجدوا الشعر أنبت يقتل وإذا لم ينبت باعوه في سوق العبيد. لدرجة أن بعض المشايخ يعتبرون هذا دليلاً على سن البلوغ.

لتففيذ المذبحة تم حفر خنادق وقطع رقاب كل الذكور حتى الأطفال المراهقين وإلقائهم في هذه الخنادق كمقابر جماعية. ويقدر عدد من قتلوا بعدد ٧٠٠ إلى ٩٠٠ شخص. السبب كانت أن قبيلة بني قريظة تحالفت مع القبائل العربية التي حاصرت

المدينة ونقضت العهد مع المسلمين. ولكن يبقى السؤال: لماذا دفع الأبرياء من الأطفال والرجال المسلمين من القبيلة ثمن قرار اتخذه قادتهم بأن قتلوا وقطعت رقابهم ودفنوا في مقبرة جماعية في خنادق؟ وما ذنب النساء والأطفال لبيعوا في سوق العبيد؟ والغريب أن الرسول قال لسعد بن معاذ «لقد حكمتهم فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات يا معاذ». وأيضاً أخذ الرسول لنفسه إحدى السبايا من اليهود وضمها إلى نسائه وهي ريحانة بنت زيد بن شمعون بعد أن قتل زوجها مع جميع من قتلوا من رجال بني قريظة وحتى أطفالهم ممن أنبت لهم بعض الشعر. فلماذا نلوم الآن على داعش والقاعدة وغيرهم بينما هم فقط يتبعون سيرة المسلمين الأوائل؟».

والعبارات لا تحتاج إلى شرح أو تأويل فالمدعو «أبو العرئيس» يرجع انتهاج بعض الجماعات للعنف للنهج الذي اتبعه الرسول ﷺ في تعامله مع المخالفين من يهود بني قريظة وفق افترائه وأكاذيبه.

بل إنه وفي موضع آخر لا يتورع عن التبجح في أن يتهم الناس في إيمانها وأن إسلامهم ودفاعهم عن قواعده ونبيه ليست إلا من باب التوريث فيقول «في عالم موازي بتخيل لو كان المغول نجحوا في احتلال مصر ولو كان جنكيزخان فرض دين باسمه وأعلن نفسه نبي وأن هولاء كو أعلن نفسه نبي أو قديس أو صحابي والمصريين تبعوا دينه. طبعاً أجدادك كانوا هيعتبروا جنكيزخان نبي ويورثوك العقيدة فانت تعتبر انه نبي وان هولاء كو صحابي وان كاتبغا صحابي او نبي وهكذا وتصبح شخصياتهم مقدسة ومنزهة عن التشكيك. يا ترى كان هيبقى الحوار ازاى الأيام دي لو حد شكك في أفعالهم؟ مثلاً: يا جماعة هولاء كو ده سفاح ده عمل مذبحه في بغداد وغيرها من المدن. فتكون الردود: «خسئت يا فاسق يا كافر ازاى تقول كده على الصحابي الجليل هولاء كو رضي الله عنه؟».

يا جماعة جنكيز خان عمل مذابح وبلاوي. فتأتي الردود «شايئين الكافر ده بيقول ايه؟ بيشتتم النبي جنكيز خان. ده كده خرج من الملة المنغولية. أقيموا عليه الحد!!»

كذلك ينكر «أبو العرئيس» الكثير من ثوابت الدين معتبراً أن الحجاب ليس إلا مظهراً من مظاهر دين البدو «الإسلام» ثم يدعو المرأة المصرية إلى السفر وتترك الحجاب فيقول: «كانت المرأة في مصر ملكة حين كان بدو جزيرة العرب يدفنون بناتهم خوفاً من العار (وَأد البنات) وحين كان اليهود يهينون المرأة ويقرنونها بالثور والحمار في التوراة (لا تشتهي امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره). ويدور الزمن وتغزو أفكار البدو واليهود مصر فنرى اليوم سيدات مصر وبناتها وقد ارتدوا الحجاب الوهابي الإخواني النابع من ثقافة احتقار المرأة في هذه المجتمعات. يا مرتدية حجاب الرأس والعقل. اخلعي حجابك وحرري عقلك. أنت لست عورة. أنت ملكة!!»

وفي موضع آخر حول نفس القضية يقول: «اللي يصدق عذاب القبر ووجود ثعبان أقرع في القبور يبقى عادي انه يصدق ان الحجاب فريضة وان جسد المرأة عورة وان البحر انشق واتسفلت كمان لموسى وان رموز اليهود أنبياء ويقول عليهم أسيادنا. هل شربت جرعتك من بول البعير اليوم؟!!»

وفي موضع ثالث يقول «أبو العرئيس» «بمناسبة العيد باقول لكل سيدة وفتاة مصرية أو عربية اخلعي ما يسمى بالحجاب الذي فرضه الاخوان والوهابيون وأقنعوكم أنه من الدين. وبما اننا في الصيف والناس بتروح البحر ماتت كسفيس من جسمك والبسي مايوه البحر والبكيني واستمتعي بحياتك زيك زي الراجل. واللي يقولك ان جسمك عورة قولي له: انت اللي عقلك عورة!!»

وتجاوز «أبو العرئيس» حدوده فوجه سهام نقده لما ورد في القرآن الكريم معتبراً أن حديث القرآن

وأنصتوا لعلكم ترحمون. السماء والأرض تزولان ولكن كلام مبارك لا يزول!!

ومما ورد من عبارات «أبو العرايس» أيضا قوله «من حقلك تتبع دين الغزاة العرب اللي فرضوه على أجدادنا بالغزو والاحتلال. ومن حقلك تعتبر أنه دين تسامح رغم ما فيه من شتائم ولعنات وتحقير للخصوم وأوامر بقطع الرؤوس. ومن حقلك أنك تعتبر رموز بني إسرائيل أنبياء رغم ارتكابهم جرائم إبادة جماعية. ومن حقلك تؤمن بأشياء زي انشقاق البحر والجراد أو حتى إن عذراء حملت وجابت طفل. من حقلك إنك تؤمن بكتب تحتقر حضارة مصر القديمة وتحقد عليها. كل ده من حقلك تماما. لكن مش من حقلك إنك تفرض على غيرك إنه لازم يؤمن بالكلام ده. ومش من حقلك إنك تعتبر الإيمان بالأشياء دي من ثوابت المجتمع. بالعكس الثابت الوحيد هو العقل. ولو أنت شغلت عقلك وفكرت فيه بعيدا عن منطق «هذا ما وجدنا عليه آباءنا» ممكن جدا تغير رأيك!!

والحقيقة أن ما سبق ليس إلا بعض نماذج من صفحات كثيرة جدا تمتلئ جميعها بما هو على هذه الشاكلة من الخروج عن ثوابت الدين والقفز فوق المسلمات والفروض وهو ما لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يوضع في خانة الاجتهادات الخاطئة أو التأويل الذي ربما يقصد به كاتبه معاني أخرى غير تلك التي وصلت إلى أذهان الناس إذ لا ينكر الشمس في وضوح النهار إلا أعمى فقد البصر والبصيرة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن هذا المدعو «أبو العرايس» هو من المحسوبين على التيار المسمى بـ «الفلول» وهم أعضاء الحزب الوطني المنحل وأنصار الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك والذين يعتبرون ثورة ٢٥ يناير مؤامرة استهدفت إسقاط الدولة المصرية وتنفيذ مخططات غربية لهذا فهو أحد أهم نشطاء تلك المجموعة التي أطلقت على نفسها «أبناء مبارك» والتي لم تفتأ

عن غرق فرعون وشق البحر للنبي موسى عليه السلام هو من الروايات اليهودية التي تقطر حقدا على مصر فيقول: «لما تلاقي مصريين يرددوا روايات عن غرق فرعون على شان اليهود وأن ربنا ضرب مصر بالجراد والدم ومش عارف آيه.. وكلها روايات يهودية تعكس حقدهم على مصر ولا إثبات تاريخي لها يبقى ده عيب.. حتى وجود اليهود في مصر لم يثبت تاريخيا بأية آثار أو نقوش أو برديات بل فقط روايات التوراة»، خاتماً بالقول: «الفكر اليهودي الذي هوّ حتى التاريخ!!».

ويسخر المدعو «أبو العرايس» من الفريضة الإسلامية الخامسة «الحج» قائلا «يعني أنت شايف إن عادي إنك تلبس لبس عجيب وتدفع آلاف على شان تدور حولين مبنى مكعبي الشكل في مكة وتبوس حجر اسود وتجري بين جبلين وتقعد تحدف طوب زي العيال الصغيرين وفي الآخر مقتنع إن أنا اللي مجنون على شان باقول نحج للهرم ومعابد الأقصر ومن غير اللبس العجيب والطقوس العجيبة دي؟ عجبني!!»

ثم يتجراً «أبو العرايس» نافيا أن يكون الحج كما ورد في القرآن والسنة للبيت الحرام قائلا «أنا مش ملحد كما يعتقد البعض. ملحد أزاى وأنا حجيت ثلاث مرات وعملت عمرة عدة مرات؟ الفرق بس اني باحج للأقصر وباعمل عمرة عند أهرامات الجيزة في رحاب حورس!!

ويصل «أبو العرايس» بترهاته إلى النتيجة الطبيعية حيث القول بالوهية آخرين من دون الله فيقول «رايح أهرامات الجيزة أعمل عمرة وأستمع بالأجواء الروحانية هناك وادعي أن حورس يحفظنا ويحفظ مصر ... لبيك حورس لبيك!!

ويضيف «ركزوا في كلام الرئيس مبارك عليه السلام لأنه فرعون مصر وممثل الإله حورس على الأرض. وهو صقر طيار زي حورس اللي رمزه الصقر. كلامه وحي إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وإذا تحدث مبارك فاستمعوا له

تتظاهر بين الحين والآخر مطالبة بالإفراج عن مبارك والاعتذار له كونه رئيساً مصرياً قدم لبلاده الخدمات الجليلة ومن ثم العمل على العودة بالبلاد إلى ما كانت عليه قبل ٢٥ يناير ٢٠١١ وهو التوجه الذي يطلق عليه «الثورة المضادة».

كما كان «أبو العرايس» منسق حملة عمر سليمان رئيس المخابرات العامة المصرية سابقاً والذي اختاره مبارك نائباً له قبل تنحيه في ١١ فبراير ٢٠١١ حيث كان من المقرر أن يترشح سليمان في الانتخابات الرئاسية التي تمت عام ٢٠١٢ غير أن اللجنة العليا للانتخابات رفضت طلبه بالترشح.

ميزو واتهام الصحابة بالتحرش

وتستمر ووفق طبيعة المرحلة التاريخية التي تمر بها الأوضاع في مصر حملات الهجوم والطعن على صحابة الرسول ﷺ بشكل علني يحمل الكثير من مظاهر التبجح مقارنة بما كان عليه الحال قبل سنوات حيث كان أمثال هؤلاء المتبجحين يرددون ترهاتهم في خوف ووجل وفي دوائر ضيقة وبين من يثقون بهم من أتباعهم وأنصارهم فحسب وهو الأمر الذي تغير ١٨٠ درجة حيث أصبح الطعن والهجوم على الصحابة الأجلاء أحد أدوات البروز والظهور على شاشات الفضائيات وصفحات الصحف والمجلات.

كما لم تخل دعاوى هؤلاء من النيل والتشكيك في صحة كتب السنة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في محاولة قديمة ومتكررة تهدف بكل تأكيد لإثارة البلبلة والتشويش لدى قطاع عريض من المسلمين الذين وبكل أسف تنتاب أغلبهم حالة من الكسل في أعمال عقولهم والبحث أو حتى سؤال أهل الذكر حول مدى صحة أو كذب ما يسمعون أو يقرؤونه عبر وسائل الإعلام المغرضة.

ومن بين هذه النوعية المدعو محمد عبد الله

نصر الملقب بـ «الشيخ ميزو» خطيب التحرير الذي وصف خلال إحدى حلقات برنامج «٩٠ دقيقة» الذي يبث على فضائية المحور المصرية الخاصة كتاب صحيح البخاري بـ «المسخرة» قائلاً: «صحيح البخاري مسخرة».

واستدل «ميزو» على صحة ما ذهب إليه بقوله «إن كتاب البخاري سب رسول الإسلام وزعم أنه مسحور» وأن «البخاري ادعى على النبي أنه كان يعيش على الغنائم وتحدث عن زنا القروء».

ثم يحاول «ميزو» أن يبدو وكأنه رجل موضوعي فيعلق أمر موقفه مما جاء في صحيح «البخاري» على أن الرجل - أي الإمام البخاري - ليس إلا إنسان عادي ومن ثم فهو غير معصوم فيقول «ميزو»: «إن الشيخ البخاري ليس معصوماً من الخطأ وليس مقدساً ولكنه بشر اجتهد وجمع الأحاديث ولم يكن عربياً وكان أقرب إلى بلاد الهند لذلك لا يجب تقديسه».

ومن بين من طالهم طعن المدعو «ميزو» الصحابي الجليل وسيف الله المسلول خالد بن الوليد إذ قال في حقه «إن خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة ووضع رأسه في حلة وأكلها هو والصحابة ثم زنى بامرأة هذا الرجل» ثم يتساءل «ميزو» معقبا على ذلك الافتراء بقوله «وبعدين تقول التطرف جاي منين، التراث الديني محتاج تنقيح؟».

وفي حوار له مع إحدى الصحف المصرية قال «ميزو»: «ما ذكرته من أن عذاب القبر خرافات صحيح فيوجد كتاب باسم «تذكرة في أحوال الموتى» مليء بالخرافات فكيف يعذب الإنسان في القبر وإذا كان ذلك صحيحاً فنفتح القبور لنرى ما فيها وماذا عن من لم يدفن مثل الهندو الذين يقومون بحرق الجثث وعالم البرزخ»

وأضاف «ميزو»: «القبر عالم لا يعلمه إلا الله ولا نستطيع أن ندركه بالحواس الخمس. أسأل سؤال الجرم الواحد يعاقب عليه بمعاينة واحدة فإذا

تعددت العقوبة على جريمة واحدة فهذا ظلم والتعذيب في القبر ثم التعذيب في القيامة ظلم فمن اتهم الله بالظلم عليه أنه يراجع نفسه وعذاب القبر لن يختص بالمسلمين فقط لكنه لكل الناس لأن حوالى ١٠٠ مليار إنسان توفي فهل معنى ذلك وجود عدد مماثل لهم من الثعابين داخل القبور وما فائدة يوم القيامة إذا عذب الإنسان في القبر فهل يعذب في القبر إلى يوم القيامة وبعد يوم القيامة، فيصبح في عذاب مستمر على جريمة واحدة».

وبالطبع وكعادة أمثال المدعو «ميزو» يبرر منهجه المتهافت بأنه يريد أن ينقي الإسلام مما فيه من خرافات حتى لا يلحد أحد زاعماً أن مما درسه في المرحلة الثانوية كتاباً ينص على جواز الاستتجاء بكُتُب الفلسفة والمنطق والتوراة والإنجيل.

والأكثر إثارة فيما يتعلق بمسألة المدعو «ميزو» أنه ينتسب إلى مؤسسة الأزهر الشريف فهو ووفق تأكيداته تخرج في جامعة الأزهر الأمر الذي دفع وزارة الأوقاف المصرية إلى أن تصدر في المقابل تأكيدات بأن «ميزو» لا علاقة له بالأوقاف من قريب أو بعيد وأن حديث أمثاله من الجهلاء باسم الدين عار على الثقافة الإسلامية.

ووصفت الوزارة أمثال هؤلاء بأنهم من المتطرفين والمتطاولين على ثوابت الإسلام وهم عبء ثقيل على الإسلام وعلى الوطن ومعمل هدم كبير لأنه واستقراره وهو ما يحتاج إلى الحسم والحزم، فيما شددت على أن مجال الاجتهاد وتجديد الخطاب الديني ودراسة القضايا المعاصرة والمستجدات هو مهمة الأزهر والأوقاف على أيدي العلماء المتخصصين لكن أن يترك أمر الدين العظيم كلاً مباحاً لـ«ميزو» وأمثاله فهذا ما لا يرتضيه عاقل ولا وطني ولا غيور على دينه لأن هذا العبث يزيد من تعقيد الأمور ويمكن أن يجر المجتمع إلى عواقب نسأل الله (عز وجل) السلامة منها.

وكذلك قرر النائب العام المصري اتخاذ

الإجراءات القانونية اللازمة نحو البلاغين المقدمين من مدير عام شئون الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية الشيخ عبد العزيز النجار والأستاذ بكلية حقوق حلوان منصور عبد الغفار ضد محمد عبد الله نصر الشهير بـ«الشيخ ميزو»، بتهمة ازدراء الدين الإسلامي وانتحاله صفة الانتساب لمؤسسة الأزهر.

ووصف مقدا البلاغين «ميزو» بالجاهل بالدين وبأنه عار على الثقافة الإسلامية وقال إن مثل هؤلاء الجهلاء لا صفة لهم سوى محاولة التجارة بالدين وبالزني الأزهري مطالبين النائب العام بسرعة ضبط وإحضار المشكو في حقه ومواجهته بما نسب إليه من اتهامات وكذلك التصريحات التي أدلى بها عبر فضائية دريم وبرنامج العاشرة مساءً واتخاذ اللازم ضده.

ولعل الخلفية السياسية والفكرية للمدعو «ميزو» تكشف لنا عن كثير من دوافعه فيما يردد ويقول فقد اتضح أن «ميزو» قيادي بأحد الأحزاب المصرية ذات التوجهات اليسارية فهو أمين حزب «التجمع» في محافظة القليوبية - شمال القاهرة - وهو الحزب الذي يقوده اليساري الدكتور رفعت السعيد المعروف بموقفه من الحركات الإسلامية وصاحب الكثير من الكتابات التي تدعو وتؤصل للعلمانية بل والذي خصص أغلب جهده الثقافي والفكري في مواجهة الكتاب والمفكرين الإسلاميين ومن ثم فليس غريباً أن يكون أحد قيادات حزيه بأحد المحافظات سالكا لنفس مسلكه غير أن الفارق أن السعيد يرتدي «البدلة والكرافته» فيما يرتدي «ميزو» «الجبة والعمامة».

وفي النهاية يجدر بنا أن نشير إلى أن نموذجي «أبو العرايس» و«ميزو» هما جزء من المنظومة الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي تتلاءم مع طبيعة المرحلة التي تمر بها الجمهورية المصرية وهي مرحلة تتسم بالكثير مما يمكن وصفه بـ«السيولة الشديدة» التي تسعى ومن خلالها

داعش وطرد جيش المالكي الشيعي في ٢٠١٤/٦/١٠، مما زاد الأمر تعقيدا وغموضا لمعرفة الحقيقة، ومن ثم جاء إعلان الخلافة في مدينة الموصل. في هذه المقالة نسلط الضوء على هذا التنظيم الذي أصبح يملأ الدنيا ويشغل الناس.

ملاحظة أولية:

لا بد أن ندرك أن جميع المؤسسين لداعش هم من أتباع تنظيم القاعدة وأخواتها في العراق، فبعد الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣، كان هناك تنظيمان ينتميان للقاعدة: مجموعة الزرقاوي، وأنصار الإسلام، ففي رحم تنظيم الزرقاوي، وما تولد عنه بعد مقتله (تنظيم دولة العراق الإسلامية) تربي مؤسسو داعش، فالحاضنة الفكرية لهؤلاء هي أفكار القاعدة، ويحاول بعض الباحثين أن يسم داعش بأنها عرقت^(١) القاعدة، لأن القيادات الحقيقية لداعش أغلبها من العراق، وذلك بعد أن كانت نشأة تنظيم الزرقاوي من المهاجرين غير العراقيين. ثم التحق به العراقيون.

ومعرفة البداية والانتماء يؤدي إلى معرفة الجذور الفكرية والترابطات بين داعش والقاعدة وأن جوهر الرؤية هو فكر القاعدة، مع وجود بعض الفروق لكن قيادة القاعدة تغاضت عنها ولم تعالجها وبالتالي تتحمل مسؤوليتها.

ووضوح هذا الارتباط والمسؤولية بين القاعدة وداعش مهم لمن يحاول تفسير ظاهرة داعش بمعزل عن القاعدة؛ إما حبا في القاعدة وتعصبا لقياداتها، أو كراهية لما فعلته داعش في سوريا، من كثير من طلبه العلم في الخليج العربي وفي السعودية بالتحديد.

النشأة:

تشير المعلومات العراقية الأولية أنه في سنة ٢٠٠٧ وتحديدًا في سوريا حاول جناح يونس الأحمد من

العديد من المؤسسات المغرضة إلى أن تسقط الكثير من الثوابت والقيم على مختلف المستويات فلا يصبح لأي قيمة تقديرها وتوقيرها وهي المساعي التي وجدت من يدعمها بقصد أو بدون قصد وبحسن نية أو بسوء نية في إطار تصفية حسابات سياسية بين فرقاء يتنازعون على السلطة لكنهم حتما سيتفاجؤون وبعد أن تذهب السكرة أن كل شيء أصبح في مهب الريح ومن ثم فإنه وبعيدا عن جدل سياسي ربما لا يفيد في الوقت الراهن فإن الدولة المصرية والمعنيين فيها مطالبون بالتحرك السريع لاتخاذ مواقف حازمة وراعية توقف أمثال هؤلاء عند حدهم فما حملته لنا وسائل الإعلام عن أن هناك مواقف قانونية بحق هؤلاء جاءت ضعيفة للغاية وشديدة البطء مما يغري هؤلاء وغيرهم بالتمادي فيما يقولون ويزعمون مما يطال الإسلام ورسوله وصحابته وتاريخه .. فاستيقظوا قبل فوات الأوان.

داعش والقاعدة وإيران والغرب،

متى تنتهي اللعبة؟

صباح العجاج^(٢) - خاص بالرائد

تعيش نخب العالم الإسلامي في حيرة من

حقيقة تنظيم داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام) منذ ظهوره في سوريا سنة ٢٠١٣، بين مؤيد ومتعاطف وبين قادم ومادح، وازدادت الأمور تشابكا بعد الصراع الذي تولد بين جبهة النصرة في سوريا وبينه، أو بين جناح القاعدة في سوريا وبين داعش، وبعد تراشق الطواهي والبغادي، ثم تفاقمت الأمور مع تطورات داعش في العراق بعد احتلال مدينة الموصل ومحافظة نينوى من قبل

(٢) كاتب عراقي.

(١) نسبة للعراق.

لكن الدوائر المخبرية الغربية (الأوربية والأمريكية) كان تراقبها عن كثب وتحاول توظيفها لصالحها من ناحية، وتحاول كذلك اختراقها، ونجحت في كلا الأمرين.

وتعود جذور هذه العلاقة والتنسيق لمرحلة غزو أمريكا لأفغانستان سنة ٢٠٠١، حيث هربت قيادات القاعدة لإيران، فتطورت علاقة إيران مع القاعدة، وبعد غزو العراق سنة ٢٠٠٣ تطورت علاقة القاعدة مع سوريا، وأصبحت هناك علاقات مصالح مشتركة بين القاعدة ومحور إيران وسوريا وحزب الله.

وقد كانت سوريا في البداية (٢٠٠٣ - ٢٠٠٧) ممرا لدخول عناصر القاعدة للعراق من جميع بلدان العالم وأصبحت ملاذا آمنا لهم ومنسقا ومقرا للتجنيد، ولا ننس دور أبي القعقاع محمود قولا غاصي في الدعاية للجهاد في العراق والذي تبين فيما بعد أنه عميل للمخابرات السورية بامتياز؛ وأصبحت سوريا ملاذا جديدا لأفراد القاعدة إضافة لملاذ إيران وهو أقدم من سوريا، وهذا ما جعل النظامين السوري والإيراني بمنأى عن ضربات القاعدة، بينما ضربت القاعدة الأردن وفجرت بعض فنادق عمّان، وحاولت تفجير مقر المخابرات الأردنية، وتم قتل السفير المصري في العراق سنة ٢٠٠٥^(٣)، ولما نجحت الصحوات العراقية في تحجيم القاعدة سنة ٢٠٠٧، شكلت سوريا الحاضنة الجديدة للقاعدة.

هذا كله مكن سوريا من امتلاك صلة وطيدة مع جهات عراقية سنية متنوعة (المقاومة والقاعدة وقوى سياسية سنية مناهضة للاحتلال وزعماء عشائر)، حتى غدت سوريا من أعلم الدول بالملف السني العراقي ومعرفة رجاله، إلا من رفض

حزب البعث العراقي^(١) أن يوجد علاقة وطيدة بين قاعدة العراق وبين النظام السوري بمساعدة فوزي الراوي^(٢)، ونجح في الوصول إلى تنسيق دقيق بين المخابرات السورية وتنظيم القاعدة، واشتهرت بعد ذلك مقولة ليونس الأحمد: (سنقاتل الأمريكان بآخر سلفي جهادي)، والغاية من هذا التنسيق هو اختراق إيران وسوريا للقاعدة وتوجيه تنظيم القاعدة لخدمة السياسة الإيرانية في العراق، وقد أحست الحكومة العراقية بذلك واشتكت رئيسها نوري المالكي علناً سنة ٢٠١٠ للعالم من سوريا وصلتها بالتفجيرات في العراق وأراد تقديم شكوى للأمم المتحدة، فقد كان أفراد تنظيم القاعدة يومها (دولة العراق) يسرحون ويمرحون في بلاد الشام، أما من لم يكن عنده تنسيق مع المخابرات السورية فكان يعتقل أو يطارد.

وهكذا أصبح قسم من حزب البعث العراقي ينسق مع الأجهزة الأمنية السورية وتنظيم القاعدة في العراق، وأسفر هذا عن التحاق بعض الضباط السوريين بالتنظيم في العمق، وقد لمحت سوريا مرارا لأمريكا أنها مستعدة للتنسيق معها في مضمار مكافحة الإرهاب مقابل تخفيف الضغط على سوريا في ملف مقتل الحريري، أو في ملف الاتهامات الغربية لسوريا بدعم القاعدة في العراق.

إن من يعتقد أن القاعدة وداعش والنصرة عميلة وصنيعة غربية مخطئ وسيجد عشرات الأدلة على خطأ هذا التصور البسيط؛ بل هذه تنظيمات متطرفة نشأت في ظروف معينة في نهاية الستينيات في السجون المصرية إبان حكم جمال عبد الناصر، ثم تطورت في مصر وامتدت بعد الجهاد الأفغاني

(١) انقسم حزب البعث في العراق إلى قسمين: قسم صغير مع يونس الأحمد، وقسم كبير مع عزة الدوري.

(٢) عراقي من مدينة راوة العراقية قرب الحدود العراقية السورية، وهو بعثي موالٍ لحزب البعث في سوريا ولعب دورا مهما في تقريب المقاومة العراقية من النظام السوري، وحزب البعث العراقي إلى النظام السوري.

(٣) انظر كتاب (الجهاد في سوريا حتى لا تتكرر مأساة العراق مع القاعدة)، سعيد بن حازم السويدي، ص ٢١٩، دار الانتشار العربي، مركز الدين والسياسة، ٢٠١٤.

التسسيق معها واختار دولا أخرى مستقرا له، مثل: الأردن، اليمن، مصر، الإمارات، أوروبا.

وكان لإيران تنسيق مع بعض السنة العراقيين بواسطة سوريا، وساعد ذلك التعاون إهمال الدول العربية لسنة العراق وعدم احتضانها لهم، وهذا الواقع مهم لفهم سبب العلاقات بين السنة العراقيين والنظام السوري، والتي ستتعاكس بصورة مباشرة على علاقات داعش وسوريا مستقبلا.

ومن يتشكك بما نقول تجاه التعاون والتحالف بين القاعدة (وهي والده داعش) فليعلم أن منظري القاعدة قد نظروا لهذا الحلف وفلسفوا له شرعيا، فهذا عطية الله اللببي يجيب على الأسئلة المتعلقة بصلاتهم بالنظام السوري وإيران فيقول: (وفرق بين التحالف مع مثل هذا النظام المرتد، وبين التعامل معه بنوع من الندية والمأمن فيه سلامة المسلم وعدم تسلط العدو عليه، كالمهدنة مع هذا العدو أو حتى اللجوء إلى أرضه حيث دعت الحاجة وقبول أمانه، واستغلال ما يحصل من تقاطع للمصالح السياسية للأنظمة المتناحرة، ونحو ذلك فهذه أخف وأسهل ولله الحمد، وفيها مجال للنظر)^(١) ويقول: (وأن الإنسان يضطر للتعامل معهم بنوع معاملة على قانون الإدارة والسكوت إلى حين، ويعاملهم معاملة المنافقين).

والعجيب أنه في الوقت الذي يبيع هذا كله تجاه إيران وسوريا، نجده يحرم على أتباعه أن يطبقوه تجاه السعودية والأردن ومصر والمغرب العربي!!^{٩٩} وحتى لا تنتهم بتأول كلام أحد منظري القاعدة فإنه سئل تحديدا عن الجهاد في سوريا ومتى يبدأ وذلك سنة ٢٠٠٧ فأجاب بوضوح: (أوصي الإخوة ألا يستعجلوا، فإن الاستعجال آفة مذمومة) وهذا التنظير والحكمة لا تحسنه القاعدة إلا عندما

تسأل عن سوريا وعن قتال الشيعة^(٢).

ولكي تتصور لطافة خطاب القاعدة مع هذه الدول نورد خطابا لأبي عمر البغدادي بعد إعلان الدولة في العراق وفيه خاطب الحكومة السورية: (يجب أن يدرك البعثيون في سوريا أنه لولا جهاد أبناء الرافدين لكانوا اليوم على أعواد المشانق، فلذلك ننصحهم ونحذرهم أن يقعوا في الفخ الذي وقع فيه مشرف فيضعوا أيديهم مع واشنطن لكبح جماح الجهاد في العراق؛ لأن هذا غير مفيد لهم على كل الأصعدة)^(٣) بهذه اللطافة يخاطب النصيريين بينما تهمة الردة والعمالة جاهزة لجميع حكام الدول السنية الأخرى!! كما اعترف بذلك العدناني في رده على أيمن الظواهري «عذرا أمير القاعدة».

لقد مكثت القاعدة دهرا وهي تتكرر إعلاميا صلتها بإيران، وما أن كثرت الدلائل حتى قالوا: مصالح مشتركة ومصلحة شرعية، وهكذا كلما ظهرت الحقيقة كان التبرير جاهزا بعد التكذيب أولا، ولم يعد عسيرا معرفة هذه الحقائق والإقرار بها إلا على المغفلين الذين يأبون الاعتراف بغفلتهم، (لا يدري ولا يدري أنه لا يدري) كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي.

القاعدة والثورة السورية:

ظهرت الثورة السورية بشكل سلمي سنة ٢٠١١ ثم تحولت إلى ثورة عسكرية وامتدت حتى أخذت حيزا من النجاح شهده العالم بأسره، وكان لا بد من ظهور القاعدة فيها مستغلة الظرف كعادتها فالجهاد في البلدان الإسلامية دائما يسبق ظهور القاعدة، وهذا ما حصل في العراق وسوريا أيضاً، فقد كان ظهور جبهة النصرة سنة ٢٠١٢ بينما بدأت الثورة السورية في ٢٠١١، فقد أرسل أبو

(٢) كتاب (الجهاد في سوريا حتى لا تتكرر مأساة العراق مع القاعدة)، سعيد بن حازم السويدي، ص ٢١٩، دار الانتشار العربي، مركز الدين والسياسة، ٢٠١٤، نقلا عن عطية الله اللببي.
(٣) من كلمته (نصر من الله وفتح قريب) ٢٠٠٧/٢/٣.

(١) (لقاء أعضاء منتديات شبكة الحسبة مع الشيخ عطية الله)، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ، دار الجبهة للنشر والتوزيع.

محمد الجولاني من العراق من قبل دولة العراق لتكوين جبهة النصرة في سوريا، ولما شعرت دولة العراق أن الجولاني ينوي الانفصال عنها جاءت دولة العراق لسوريا لتصلح الوضع الذي تطور ليلتحق الجولاني بقيادة القاعدة العالمية المتمثلة في أيمن الظواهري، وينفصل تنظيم دولة العراق عن تنظيم القاعدة بعد أن تمددت وأصبحت دولة العراق والشام.

وكعادة القاعدة في كل بلد شكلت جبهات مستقلة غير متعاونة مع بقية الفصائل، وبينما كانت مناطق القصير والخلدية (آذار/٢٠١٣) تحتل من قبل حزب الله كان هؤلاء بشقيهم النصرة وداعش ينقسمون ويوزعون البيعات بينهما؛ الأول يعلن ببيعة الظواهري قبل هزيمة القصير، والثاني أعلن بعدها الانفصال عن النصرة وطلب البيعة من جميع المجاهدين للدولة (نيسان/٢٠١٣)، وهو تكرار لما حدث في العراق، فبعد الحرب الشعواء الطائفية الشيعية ضد أهل السنة سنة ٢٠٠٦ قام تنظيم القاعدة بإعلان دولة العراق الإسلامية في سلوك متكرر ومشبوه.

إن مواقف وسلوك القاعدة وداعش لا تصب في صالح سنة سوريا أو سنة العراق بل تصب في خانة مصلحة القاعدة وداعش وحدهما، وهذا لا يحدث إلا بإيجاد بيئة الفوضى وعدم الاستقرار، فالانفلات الأمني وسيلة مهمة للقاعدة كما يصرح بذلك عطية الله الليبي، وصدق فهذه حقيقة نجاح القاعدة في أجواء الفوضى، وأوجدوا لذلك نظرية التوحش كنظرية للعمل.

داعش التطور الجديد للقاعدة:

يمكن لنا أن نلخص بشكل مكثف ظهور ودور ودعم داعش بقولنا: بواسطة حزب البعث العراقي (يونس الأحمد) اخترقت سوريا القاعدة في العراق، وبواسطة ضباط الأمن العراقيين البعثيين السابقين تم اختراق، بل صنع داعش العراق، فاضربوا القاعدة الأصلية بداعش، وإيران وسوريا

سمنت داعش في سوريا لضرب الثورة السورية، وأمريكا وحلفاؤها العرب عملوا على تقويتها في العراق في وجه نظام المالكي، وصرح بهذا بعض ضباط مخابرات النظام السابق من الذين تعاملوا مبكرا مع أمريكا، تحت نظرية مواجهة النظام الإيراني بالتعاون مع أمريكا.

أما الإيرانيون فدعموا فكرة دولة العراق والشام، وقابلهم الأمريكان الذين راقت لهم فكرة الخلافة ولا يعني هذا أنهم من أوحى للقاعدة بذلك، لكنهم وظفوا الحدث أمريكيا^(١).

واستطاع الأمريكان بذلك أن يفشلوا محاولات التوسع الإيراني في العراق؛ والذي عمل على استبدال الوجود الأمريكي بالوجود الروسي؛ فكان رد أمريكا عليهم بتحريك داعش والدليل أن العملية كانت محدودة، ومرسومة الهدف، بما يختلف عن مراد سنة العراق بإسقاط الحكم الشيعي، والدلائل هي:

١- تحركت داعش لتسقط مدينة الموصل مركز محافظة نينوى ومحافظة صلاح الدين، لكن داعش توقفت ورفضت التوغل لبغداد؛ لأن الأوامر ليس إسقاط بغداد، ويومها لم تكن هناك ميليشيات ولا فتوى للسيستاني، وكل العسكر من أصحاب الخبرة قالوا: إن سقوط بغداد يحتاج لأيام فقط. وهذا ليس استتاجا بل قاله أكثر مقاتلي القاعدة عندما طلب منهم ثوار العشائر إكمال المسيرة لبغداد، وتحججوا أنها أهداف مرسومة لهم من قياداتهم.

٢- رفضت داعش أن يقاتل غيرها في الساحة، من عناصر المقاومة العراقية العشائرية والإسلامية.

٣- استغل الكرد هذا الانهيار وتوسعوا في مناطق ليست لهم ولوحوا بالانقسام، فأدبتهم أمريكا بداعش، وأفهمت الكرد أن لا يتحركوا

(١) هذه معلومات بعض مراكز الدراسات الأمنية العسكرية للثورة العراقية.

إلا بإذن أمريكا وأنه لولا الضربات الأمريكية لكانت أربيل بيد داعش اليوم^(١).

٤- أسقطت أمريكا بداعش نوري المالكي بعد أن أصرت إيران على بقاءه، واختارت أمريكا رئيساً شيعياً لوحدها دون التنسيق مع إيران وهي رسالة لإيران أن أمريكا هي اللاعب الأقدر في العراق.

٥- تصرف داعش بمراهقة سياسية بينما هي تتحرك على الساحة العسكرية بحنكة مما يدل على أن هذه التصرفات مقصودة؛ منها: إعلان الخلافة، فرض الجزية وتهجير المسيحيين، والحرب على اليزيديين، وإقامة الحدود، وفرض الحجاب، وغيرها.

٦- منع بقية الفصائل السنية والعشائرية وغيرها من القتال في المناطق السنية.

٧- دخول مناطق سنية ثم الانسحاب منها كما حصل في قاعدة سبايكر، وعدة مدن سنية.

قامت أمريكا باستخدام داعش لإعادة التوازن للعراق بعد هيمنة إيران عليه وتقديم العراق لروسيا، وأمريكا لن تدع العراق يقع فريسة بيد الروس لذا خلطت الأوراق بالعراق؛ لتجعل السنة والشيعية والكرد في العراق، كلهم بحاجة لها بفعل تحركات داعش.

وكذا الشأن في سوريا، ترتب أمريكا للتغيير فيها بما تراه من مصلحتها ومصلحة إسرائيل، بعد إنهاك القوى الإسلامية والوطنية، وإنهاك الحكومة وحزب الله وإيران، وفي كلا البلدين تحطمت البنى التحتية وتحولت إلى دول فاشلة تتقاتل داخليا، والحل لخلاصها سيكون خارجيا، كل هذا تم بالتلاعب بالقاعدة وداعش التي تظن أنها هي التي تدير الأمور لأنها تنعش في أجواء الفوضى.

(١) نفس المصدر السابق.

استفادة إيران والغرب من القاعدة وداعش:

ولكن هذه الفوضى الخادمة للقاعدة وداعش، هي أيضاً تخدم المشروع الإيراني الصفوي، حيث تدمر القوى السنية المناوئة لإيران وحلفائها (المالكي/بشار) وتدمر البنية التحتية للمناطق السنية، وتخلق حالة فوضى تطيل حالة الطوارئ التي تعد المناخ المناسب لكل القوى الطائفية الاستبدادية والعنصرية، وتوجه أنظار العالم لإرهاب القاعدة وداعش بدلا من الأنظمة الإرهابية الطائفية في المنطقة (إيران، العراق، سوريا).

كما أن الفوضى التي تحدثها القاعدة تخدم مصالح الغرب وأكبرها بقاء العالم الإسلامي والعربي تحت فوضى التطرف، في محاولة لتشويه الصورة الإسلامية؛ وتسهيل محاربة الإسلاميين من قبل حكامهم بدعوى محاربة الإرهاب والتطرف وخلق الأوراق، مما يساعد على ترويح بدائل عن الصورة الإسلامية تتوافق مع رغباتهم كالإسلام الصوفي، والإسلام المدني وتمكين الليبرالية والعلمانية.

في المثاليين العراقي والسوري تم تشويه المقاومة والجهاد بواسطة تنظيم القاعدة، وتم منع دعم الثورة السورية بحجة الإرهاب، فاستغلوا ولمعوا إعلاميا الزرقاوي والقاعدة في العراق وأماوات الحركة الجهادية الحقبة (المقاومة الشريفة)، وفي سوريا تحججوا بالنصرة وداعش حتى لا يمولوا الثورة السورية ولكي يجهضوا المشروع الوطني الإسلامي.

وقد وجدت إيران الفرصة سانحة لتروج مزاعمها الباطلة من أن الثورة في العراق وسوريا يقودها متطرفون، وأن البديل عن الشيعة هو التطرف الإسلامي السني، وأن السنة وهابية متطرفون يكرهون الغرب ويعادوه بهمجية ووحشية، وأن خير من يجب أن يتحالف معه الغرب في المنطقة هو التدين الذي لا يعادي الغرب (التشيع) ولكنه يعادي

راكضا إلى روسيا دون موافقة أمريكية ناسيا أن أمريكا هي من وضعته على رئاسة الوزراء سنة ٢٠١٠.

لذا قررت أمريكا عزله وأبلغه بذلك وزير

الخارجية الأمريكي جون كيري، فعاند أمريكا بعد أن رفضه الكرد والسنة العرب، والسيستاني وأتباعه، والأحزاب الشيعية الأخرى الكبرى كالتيار الصدري والمجلس الأعلى (عمار الحكيم)، وناقشه مجموعة من العرب السنة من النواب والمنتمين؛ كالصحوات وغيرهم، والحزب الإسلامي تحت ذريعة أنه خير من غيره، وهؤلاء أطلق عليهم فيما بعد لقب (سنة المالكي)، وثبت أن كل هؤلاء لا يدركون خبايا السياسة ولم يقرؤوا حقيقة المشهد وأن المالكي راحل لا محالة.

أمّا إيران فكانت تريد أن تتخذ من عناد

المالكي ورقة تساوم بها أمريكا، لكنها ضغطت على أمريكا بخصوص تشكيل الحكومة فجرى اتفاق سني شيعي كردي، على رئيس مجلس النواب سليم الجبوري من الحزب الإسلامي، ثم تمّ الاتفاق على فؤاد معصوم الكردي كرئيس للجمهورية، وبقي منصب رئيس الوزراء موضع خلاف، رغم الإعلان الرسمي خارجيا وداخليا أن المالكي لا يمكن أن يكون رئيسا للوزراء بعد الهزيمة النكراء لجيشه من قبل داعش في ١٠/٦/٢٠١٤، وفقده السيطرة على ثلث مساحة العراق.

بدائل المالكي الذين اقترحهم إيران لم

تقبل بهم أمريكا؛ لأن ولاهم هو لإيران فضلا عن الجذور والأصول الإيرانية لبعضهم؛ وكان على أمريكا أن تختار شخصية بديلة لتضرب بها المالكي، وكانت إيران ترسل برسائل إلى الائتلاف الوطني الشيعي أنها لا تملك بديلا للمالكي إلا المالكي، لكن أمريكا حركت ما تملكه من أوراق بعد أن جلبت مجموعة من الخبراء

عدو الغرب الكلاسيكي، أي الإسلام السني، كما تحاول إيران إقناع الغرب أنها الأقدر على اختراق القاعدة بكل أصنافها، ولذلك تجعل إيران من القاعدة ورقة للتفاوض مع الغرب.

الخلاصة :

هناك مصالح مشتركة شرقية وغربية لوجود هذه التنظيمات المتطرفة. وهم العلاج والدواء الشافي بالنسبة للغرب والشرق لإجهاض كل صعود إسلامي سني مخلص.

ولا ننسَ التحالفات المحلية التي أبرمت مع داعش فقد كان هناك تحالف بين قوات الأمن الكردية (أسايش) وداعش (يوم أن كانت قاعدة باسم دولة العراق) للسيطرة على مدينة الموصل، وتوجد لها خطوط تمتلك علاقات وثيقة مع بعض قوى أمن المالكي يوم أن سهل لهم الهروب من السجون.

نأمل أننا أعطينا في هذه السطور تصورا عن داعش والقاعدة وصلتها بإيران وأمريكا.

المشهد العراقي بين المالكي والعبادي

عبد الهادي علي^(١) - خاص بالرائد

جمع نوري المالكي رئيس وزراء العراق أكبركم من الأصوات في الانتخابات العراقية الأخيرة، وكان يحلم بولاية ثالثة، ليحقق ما خطط له من الإمساك بزمام العراق ويصبح القائد الأوحده المسيطر على كل شيء، والمالكي رغم طائفته إلا أنه تعدى وتجبر حتى على طائفته الشيعية، ثم استعدى الكرد، ليوجد كمّا كبيرا من العداوات ضده، ثم زاد به الحمق والنهم للولاية الثالثة فبدأ يتلاعب مع أمريكا، ودعم حكومة بشار الأسد بوصية من إيران، رغم تحذير الأمريكان له، واستعجل بالحصول على السلاح؛ لذا هرول

(♦) كاتب عراقي.

داخلية في سوريا والعراق لا دخل للجيش الأمريكي بها، لكنّها أبقت الريموت كنترول (السيطرة) بيدها، فأيران تفقد الأراضي التي عملت سنين طويلة للسيطرة عليها وتمتد جغرافيا من إيران عبر العراق وسوريا لتصل إلى شاطئ المتوسط، لتصنع بها إمبراطوريتها التي تحلم بها.

لكن الثورة السورية أنهكت إيران وكانت رأس الخيط في نقض عرى هذا الحلم، كما أن الثورة السورية أنهكت طفل إيران المدلل (حزب الله) في سوريا، واليوم فتح فتق في العراق أصبح من الصعب رتقه، وصار موقف إيران ضعيفاً، وأصبحت تخشى من أن يمتد الفشل لداخل إيران نفسها.

بعد تكليف حيدر العبادي، رفع المالكي عقيرته وأ وعد وزمجر وهدد، وفي اليوم الأول كانت الانفجارات تهز المناطق الشيعية في بغداد، وهذا يؤكد بوضوح للجميع أن أكثر التفجيرات السابقة في بغداد في المناطق السنية والشيعية هي صناعة مالكية (الأجهزة الأمنية) أو إيرانية بعلم المالكي وأجهزته؛ إما بالتفجير مباشرة، وإما بالتساهل مع القاعدة وداعش.

لكن إيران فهمت الرسالة بعد ثلاثة أيام وأبلغت المالكي بضرورة التنحي، فتحت صاغرا فقد رُفع عنه الغطاء الأمريكي والإيراني ليعلم أن اللعبة انتهت أو كما يقال (GAME OVER) وانتهى دوره، وأنه لم يكن سوى بيدق أمريكي وإيراني، وأنه اليوم ينتظر كيف يتخلص من المحاكمات التي يمكن أن تفتح عليه نتيجة للجرائم والفساد الذي ارتكبه هو وأبناؤه ومن حوله خلال فترة السنوات الثماني المنصرمة، فقد العراق فيها أكثر من ٧٥٠ مليار دولار.

حيدر العبادي رئيساً للوزراء:

حيدر العبادي حاصل على درجة الدكتوراه في الهندسة من بريطانيا، وهو من أهالي بغداد، منطقة

من CIA تدرس الوضع عن قرب، بحجة متابعة الوضع العراقي العسكري وتقييمه بعد هزيمة جيش المالكي، ونجحت هذه المجموعة في أن تكتشف شخصية من حزب الدعوة، عاش وترى في الغرب ويحمل الجنسية البريطانية، وهو غريم للمالكي في حزبه ألا وهو الدكتور حيدر العبادي.

حاولت إيران أن ترسل رسالة لأمريكا أنها مصرة على المالكي، في اليوم التالي عملت أمريكا بطريقة فردية سريعة: قابلت سليم الجبوري رئيس مجلس النواب ورئيس الجمهورية فؤاد معصوم على حدة، في ذات الوقت قابلت بعض قيادات التحالف الوطني مثل: علي الأديب، عمار الحكيم، مقتدى الصدر، إبراهيم الجعفري، الشهرستاني، وصولاغ، وغيرهم، وأخبرت الجميع في آن واحد: أن خيار أمريكا هو الدكتور حيدر العبادي وأنه قرار لا رجعة فيه، وأجبرتهم على الموافقة، فوافق الجميع مكرهين، ورشح فؤاد معصوم رسمياً حيدر العبادي.

فتم تكليفه من قبل رئيس الجمهورية فؤاد معصوم لتشكيل الحكومة وحظي بأغلبية شيعية، وكانت هذه صدمة لإيران، لأن أمريكا لم تستشرها هذه المرة كما فعلت في انتخابات ٢٠١٠، بل فرضت هي ما تريده.

أرادت إيران يومها الضغط، لكنها أخبرت من قبل حلفائها أن أمريكا جادة وضاغطة هذه المرة ولن تساو، فاستسلمت إيران للقرار الأمريكي، وبعد يوم اعترفت بحيدر العبادي رسمياً، علماً أنها رفضت العبادي بسبب إقامته الطويلة في أوروبا وعدم إقامته في إيران فهي تخشى من أن ولاءه لن يكون لإيران بالشكل المطلوب.

فرضت أمريكا قرارها على إيران بسبب موقف إيران الضعيف داخل العراق وسوريا، فأمریکا أغرقت إيران وحلفاءها في عدة حروب

الكرادة، وينتمي لعائلة متعصبة شيعياً، وقد أعدم له شقيقان بتهمة الانتماء للحزب الشيوعي والآخر لحزب الدعوة الشيعي، والده طبيب معروف، انتمى لحزب الدعوة قبل أكثر من ٤٠ سنة، لكن انتماءه لحزب الدعوة فكري وليس عسكرياً على غرار نوري المالكي الذي كان أحد المسؤولين الأمنيين فيه، ومارس التفجير والقتل بيده، لذلك فهو مجرم عريق.

أكثر حياة د. العبادي كانت في الغرب للدراسة والعمل، والعبادي برغم انتمائه لحزب الدعوة، فرع دولة القانون إلا أنه عُرف بكثرة اعتراضه على سياسة المالكي في الفترة السابقة، لكنه شخصية ضعيفة برغم ثقافته، وبعض المحللين يقول إن أحد أسباب اختياره، هو وسليم الجبوري وفؤاد معصوم أنهم ضمن مواصفة واحدة وهي الضعف في الشخصية والتبعية للآخرين؛ ليسهل إدارة دفعة الحكم في العراق من قبل الأمريكان بالدرجة الأولى.

العبادي وتحديات تشكيل الحكومة:

يعمل العبادي على تشكيل الحكومة واحتمال الفشل وارد فأمامه شهر لتشكيلها وحجم التحديات كبير جداً، تحديات من داخل الوسط الشيعي، وتحديات من أوساط السنة خارجياً وداخلياً، وتحديات كردية.

وإزاء تكليف العبادي بتوزع العرب السنة على ثلاثة أنواع:

❖ سنة المالكي الذين يريدون تحصيل مكاسب من جديد بطرح مشروع صحوات جديدة في الأنبار تسمى الكتائب، ليكونوا سنة العبادي.

❖ وهناك سنة الثوار أو سنة المعارضة وهؤلاء يشترطون للتعاون مع العبادي أن يقدم خطوات جادة وهي إيقاف القصف للمدنيين بالبراميل، وإخراج المعتقلين لا سيما النساء السنيات (٥٠٠ سجينة)، وتكوين جيش وطني وشرطة في المحافظات السنية من أبناء المحافظة، وإلغاء القوانين الظالمة ضدهم.

❖ وهناك نوع ثالث من سنة المعارضة يشترط للتعاون تفعيل مطالب المحافظات الثلاث (نينوى، وديالى، وصلاح الدين) والتي قدمت إلى المالكي مشروع قيام إقليم فيها، وحث محافظة الأنبار لتكون أربع محافظات في الإقليم السني.

بينما التحالف الوطني الشيعي يريد نصف الحكومة له من الآن، أما الأكراد فيريدون قبل التفاوض تسديد سبع مليارات دولار لهم هي حصتهم المحجوزة من الميزانية من قبل المالكي، حيث امتنع المالكي منذ شهر شباط سنة ٢٠١٤ عن دفع مستحقات الأكراد، كبادرة حسن نية للتعامل مع حكومة العبادي.

لكن إذا أرادت أمريكا إنجاحه فستتجحه رغماً عن الجميع وهذا هو الراجح.

أمريكا وحيدر العبادي:

حالياً العبادي هو مرشح أمريكا بامتياز، وقد طلبت أمريكا من كل دول العالم دعمه، ثم طلبت من الأمم المتحدة دعمه، والجميع فعل ذلك؛ وفي هذا دلالة على أن العراق دخل حقبة جديدة من عودة السيطرة الأمريكية شبه الأحادية على زمام أموره.

وإذا ما قدر للعبادي أن ينجح في تشكيل الحكومة فسيكون في خدمة الأمريكان في هذه المرحلة؛ لأنه - رغم تعصبه الشيعي - إلا أن ضعف شخصيته، وتعلمه في بريطانيا، وحصوله مبكراً على الجنسية البريطانية تؤهله ليكون ميله غربياً لا سيما وأن المرحلة اليوم هي مرحلة أمريكية، لكن يبقى أصله وانتماءه المبكر لحزب الدعوة يعطيه جانب التعصب الشيعي، وأزمة الشيعة بوجود المالكي أعطتهم درساً في حكم العراق، وأن حماقة المالكي أفقدتهم جزءاً من العراق، ولكي تتجنب إيران ميل العبادي لأمريكا أوجدت مجموعة من التحالف الوطني الشيعي التابع لإيران كمستشارين وكمراقبين يراقبونه كي لا يميل كلياً لأمريكا، وستشدد إيران قبضتها المتواجدة والمقتربة من العبادي، وفي حالة عدم

موقف الأشاعرة من الشيعة بين الأمس واليوم

سعيد بن حازم السويدي^(١) - خاص بالراصد

في مشهد الصراع مع الشيعة اليوم لا تكاد ترى سوى السلفيين في الجبهة السنية الإسلامية بينما تتخلف أكثر التيارات السنية الأخرى عن واجب الدفاع عن طعون وخيانة الشيعة للإسلام.

لكن الأمر لم يكن كذلك في القرن الرابع والخامس والسادس الهجري، فقد كان الأشاعرة في مقدمة المتصدّين للشيعة، ولم تبرز سنية الأشاعرة إلا لتصديهم للشيعة والمعتزلة، وهذا كان سبب تسميتهم (أهل السنة) بالاصطلاح العام.

لقد أدى علماء الأشاعرة دوراً هاماً في الدفاع عن العقيدة أيام الصعود الشيعي في القرن الثالث الهجري عندما قامت دولة للإسماعيلية في مصر والمغرب وانتشرت فتنتهم في المشرق، وعندما تسلط البويهيون الشيعة في نفس الفترة على الخلافة السنية في بغداد وتستروا بالاعتزال حتى دخلت الأفكار الشيعية عليه.

فقد كان لأبي الحسن الأشعري كلام كثير في الرد على الشيعة، وقد وصلنا بعضه في كتابه (مقالات الإسلاميين)، أما القاضي أبو بكر الباقلاني فكان إماماً في الرد على الشيعة والمعتزلة وله في ذلك مصنفات كثيرة من أشهرها كتابه (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل).

(♦) كاتب عراقي.

الاستجابة ستحاول خلق مشاكل لإفشاله أو إفشال التجربة الأمريكية؛ وهذا ما فعلته سابقاً مع المالكي عندما فكر من الخروج من دائرتها. لكن إيران قد تغير سياستها حسب مصالحها مع أمريكا سلباً أو إيجاباً، وحسب المتغيرات على الساحة في المنطقة.

ثمة حدث مهم وقع قبيل تغيير المالكي بيوم أو يومين، حيث قام الأمريكيان بإخراج وزير الدفاع السابق الفريق سلطان هاشم وأربعة من الضباط الكبار من سجون الحكومة بعد أن قررت الحكومة العراقية إعدامهم، ليذهبوا بهم للسفارة الأمريكية في بغداد ومكثوا فيها أياماً ثم تمّ نقلهم إلى قطر، وهذا ما أزعج الكيانات الشيعية وفسروه بأن أمريكا تريد عودة جزء من النظام أو الجيش السابق.

كما تتردد الأخبار أن كثيراً من السنة يريدون تشكيل قوات محلية من بعض أعضاء الجيش السابق كي يكونوا قوة عسكرية بدل داعش. وستكشف الأيام القادمة عن نجاح العبادي من عدمه في تشكيل الحكومة العراقية وهل يستطيع كسب الشارع السني، وما هو دوره في إدارة المعركة في المحافظات السنية المنتفضة، وقدرته على إدارة الصراع مع داعش.

علماً إنه في الأيام القليلة الماضية لوحظ توقف تحرك الميليشيات الشيعية وعمليات الخطف والقتل على الهوية لسنة بغداد بواسطة عناصر من الجيش، لكن بقيت الميليشيات نشطة تقاتل خارج بغداد.

الأيام القليلة القادمة ستكشف إن كان العبادي سينجح بتشكيل الحكومة أم لا!

كما صنف الغزالي كتابه (فضائح

الباطنية) في الرد على الباطنية، وللأمدي كلام طويل في الرد على الإمامية في كتابه (أبكار الأفكار)، والجويني نقدهم بقوة في كتابه (غياث الأمم)، والرازي تعرض لهم في تفسيره.

وقد استعان السلاطين السنة بعلماء

الأشاعرة لمقاومة الهجمة الشيعية الباطنية، ولعل المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي في أشهر المدن الإسلامية خير شاهد على جهود الأشاعرة الفكرية في التصدي لفتن الباطنية آنذاك.

ولعل تاريخ التهاون والتراخي الأشعري مع

التشيع يعود إلى القرن السابع الهجري، أي في زمن ابن تيمية رحمه الله، ويبدو أن الأشاعرة حينما اتجهوا نحو الداخل السني بعقائدهم الكلامية وشنعوا على أهل الحديث تراجعت جهودهم في مقاومة التشيع، وكانت بغداد إذ ذاك قد سقطت بيد المغول، وتسلط ملوك التتر عليها، وكان منهم من اعتنق الإسلام فكتب أحد علماء الشيعة (ابن المطهر الحلبي) كتاباً يدعوه فيه إلى مذهب الإمامية، وكان سبباً في تشيع محمد خدابنده أحد ملوك التتر آنذاك، فتصدى ابن تيمية للرد على رسالة ابن المطهر وصنف كتابه القيم (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية).

حينها علق أحد رؤوس الأشاعرة المناوئين

لابن تيمية (علي بن عبد الكافي السبكي) قائلاً:

إن الروافض قوم لا خلاق لهم

من أجهل الخلق في علم وأكذبه

والناس في غنية عن رد إفكهم

لهجنة الرافض واستقباح مذهبه

وقول السبكي (والناس في غنية عن رد

إفكهم) مثال على التهاون في شأن الخطر الفكري للرافضة الذي بدأ يتسلل إلى بلاط الملوك

فيعتقوه وربما حملوا رعيته عليه.

وموقف السبكي هذا أثار حمية أنصار ابن تيمية المتيقظين لخطر التشيع، فكتب العالم الحنبلي يوسف بن محمد السرمرى قصيدته (الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية)^(١)

رداً على السبكي ومما جاء فيها:

أكل ما ظهرت في الناس هجنته

يصير أهلاً لإهمال النكير به

والله لا غنية عن رد إفكهم

بل رده واجب أعظم بموجبه

والله لولا سيوف من أئمتنا

في كاهل الرافض لا تلوى ومنكبه

لأضحت السنة الغراء دائرة

بيــــن البرية كالعنقا وأغربه

لعل هذه الحادثة تؤرخ لبداية تهاون الأشاعرة

في التصدي للفرق المخالفة بسبب انشغالهم بالعلوم الكلامية من جهة، وانصرافهم إلى المعارك مع أهل الحديث وأنصار ابن تيمية من جهة أخرى.

ومع مرور الزمن أصبح التصدي للتشيع من القضايا المنسية عند الأشاعرة، فهم اليوم يشغلون معظم المناصب الدينية الرسمية في الإفتاء والقضاء والتدريس، ومع ذلك لا يقومون بواجب الدفاع عن العقيدة السنية في وجه الهجمات الشيعية التي لم تنقطع منذ وصول الخميني لحكم إيران سنة ١٩٧٩.

أسباب تهاون الأشاعرة في الرد على الشيعة

لو بحثنا في أسباب تقاعس الأشاعرة في هذا الباب فسنجد:

١- اقتران التصوف بالأشعرية

لقد استحسن الأشاعرة التصوف وأصبح شعاراً لهم، ومعلومة هي الصلات والوشائج بين التصوف والتشيع، فهو إن لم ينحرف بأهله نحو هاوية

(١) نشرت بتحقيق د.صلاح الدين مقبول أحمد، في الهند سنة ١٩٩٢.

التشيع كما فعل بالأسرة الصفوية (أحفاد صفى الدين الأردبيلي) فإنه لن يؤسس فيهم الحصانة ضده، أو التحسس لخطره.

كما أن التصوف القبوري القائم على تعظيم الأولياء والمزارات مشابه للتشيع المغالي في آل البيت، فالداء متشابه في التصوف والتشيع.

فالأشاعرة يلزمهم الإنكار على الخرافيين المقترفين للشرك من أتباعهم ومعتقي مذهبهم قبل الإنكار على الشيعة.

٢- غياب مفهوم توحيد العبادة في الفكر

الأشعري

ذكرنا في النقطة السابقة أن مناعة الأشاعرة (خاصة متأخريهم) ضد الشرك ضعيفة بسبب عدم عنايتهم بتوحيد الألوهية (العبادة) وتركيزهم على توحيد الربوبية، فقد أوجبوا على المكلفين النظر والتطلع إلى الأدلة على وجود الله تعالى ثم إثبات وحدانيته، وحملوا الآيات الواردة في توحيد الألوهية على توحيد الربوبية، وهذا الإهمال أدى إلى الجهل بحقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، وحقيقة ما يضاده ويناقضه من الشرك والأسباب الموصلة له.

٣- الأشعرية المذهب الرسمي للسلطة

ارتضى الحكام منذ السلاجقة مذهب الأشاعرة فأصبح المذهب الرسمي المعتمد، وهذا ما ساهم في انتشار العقيدة الأشعرية ورسوخها في كثير من البلدان الإسلامية، وقد كان لتقريب الأشاعرة من السلطة فوائده في زمن صعود الباطنية والشيعة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، عندما كانت الدولة تحرص على الأمن الفكري وتوقن أن الاستقرار الداخلي لا يمكن حفظه إلا بالدفاع عن العقيدة وتحصين المجتمع من الأفكار الفاسدة لكن في الأزمنة الأخيرة حينما باتت الحكام لا يكثرثون لهذه المسائل وما يتهدد المجتمع من عقائد فاسدة، صار العلماء الأشاعرة تبعاً في الإهمال

والكسل لمزاج السلطة.

وهذا لا ينفي وجود شخصيات أشعرية متيقظة لخطر الشيعة، نذكر منهم: عثمان بن سند الوائلي المالكي الذي أخذ على العثمانيين إهمالهم للجنوب العراقي حتى انتشر التشيع بين أهل الجهل منهم^(١)، وهي ذات المسألة التي نبه إليها علامة العراق السلفي محمود شكري الألوسي.

ومنهم: العلامة محمد سعيد النقشبندى الذي راقب نشاط الميرزا محمد حسن الشيرازي في سامراء وسعيه إلى نشر مذهب فيه، فكتب إلى الدولة العثمانية يحذرهما، وعمل على تأسيس مدارس سنية فيها.

ومنهم: العلامة عبد الله بن الحسين السويدي صاحب المناظرة الشهيرة مع علماء الشيعة في النجف أيام نادر شاه الأفشاري شاه إيران، وغيرهم.

٤- تطرف الأشاعرة ضد السلفية

لم يكتف الأشاعرة بالنكوص عن سبيل أسلافهم في التصدي الفكري للشيعة، وإنما اشتدوا في محاربة السلفية وجعلوها أكثر خطراً من التشيع الذي لم يلقوا له بالاً، بل تقاربوا مع أهله وانتهجوا خطاب الوسطية والاعتدال - كما يسمونه - مع الشيعة، بينما اتخذوا لسان التعصب والتحامل والتجني مع السلفية.

سعيد فودة وبرود الأشعرية إزاء التشيع

كغيره من المتحاملين على ابن تيمية كان سعيد عبد اللطيف فودة مشغولاً بمهاجمة السلفية وله في ذلك عدة مؤلفات كـ (الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية، ونقض الرسالة التدمرية)، ولم يصرف عُنش جهده ضد السلفية من أجل مقارعة التشيع وفتنته التي عصفت بالعالم الإسلامي منذ عقود.

(١) في كتابه (مطالع السعود).

وقبل أربع سنوات نشر سعيد فودة بحثاً يبين رأيه في الصراع المحتدم بين السنة والشيعة، وقد حملت الورقات عنوان (مستقبل العلاقة بين السنة والشيعة العوامل والآفاق)، تعرض فيه للعوامل التي يمكن أن تكون مؤثرة في العلاقة بين السنة والشيعة في المستقبل، فذكر منها نظر الشيعة إلى حوادث تاريخية باعتبارها أصولاً عقديّة كحادثة السقيفة، والخلاف بين الصحابة، ومقتل الحسين، ودور الشيعة في إسقاط بغداد، وقال (وإذا كان هناك من يتجه من أهل السنة والشيعة إلى التقريب بين المذاهب فإنه لا يصح أن يهمل أهمية دراسة مثل تلك الأحداث لتبيين الموقف منها فإنه مما لا شك فيه أن إعادة تحليل الشيعة والسنة لهذه الأحداث التاريخية وإعادة فهمها يمثل أساساً لدرء توظيفها من قبل الذين يرغبون في زيادة التفرقة بين الفريقين).

بعدها تعرض فودة لعوامل الاجتماع، ونقاط الافتراق مع الشيعة، وفي معظم ما كتبه انتقاد للشيعة عقدياً وسياسياً (تحريف القرآن، الإمامة، سياسة تصدير الثورة).

وأشار فودة في إطار البحث عن العوامل المؤثرة في العلاقة إلى المخططات الخارجية ومشاريع الفتنة.

وخلص البحث إلى مطالبة الشيعة بتوضيح موقفهم من القضايا الكبرى في الاعتقاد كتحرريف القرآن، والحوادث التاريخية، وأكد أن الخلاف بين السنة والشيعة سيبقى قائماً ولن يمكن إزالته، وأن (التعايش بينهم والتعاون على المتفق عليه واجب شرعي وتترتب عليه المصلحة المشتركة عقلاً) وأن هذا هو السبيل الوحيد لبناء التعاون المشترك.

هذه الرؤية الباهتة البائسة تؤكد غياب أي واقعية في الطرح الأشعري عن التحدي الشيعي، فهي ما زالت تخاطب الشيعي لبيان موقفه من الاعتقادات الكفرية، وتؤمن بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، وتؤمن بالتعايش والتعاون بين

السنة والشيعة وفق ضوابط احترام ضروريات الدين!!!

هذه اللغة الهادئة المودعة للتشيع لا تستوي مع خطاب الهجوم والتشنيع على السلفية واتهامها بالتجسيم والحشوية، وهذه التهم هي ذاتها التي لاحق بها الشيعة خصومهم الأشاعرة حتى كفروهم وجعلوهم من المشركين، يقول المازندراني: (الأشاعرة يثبتون له تعالى صفات الجسم ولوازم الجسمية ويتبرؤون من التجسيم.. وهذا تناقض يلتزمون به ولا يبالون، وهذا يدل على عدم تفتنهم لكثير من اللوازم البينة أيضاً، وعندنا هو عين التجسيم)^(١).

ويقول نعمة الله الجزائري: (الأشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح، بل عرفوه بوجه غير صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار)^(٢).

فهل يستيقظ أشاعرة اليوم من غفوتهم ويتجاوزون كبوتهم ويلحقون بركب أسلافهم في الدفاع عن بيضة الإسلام التي يدمرها الشيعة بالفكر والسلاح جهاراً نهاراً!!!

(١) شرح أصول الكافي (٣ / ٢٠٢).

(٢) الأنوار النعمانية (٢ / ٢٧٨) نقلاً من بحث (الشيعة والتفريق بين السلفية وبين الأشاعرة والصوفية) لعائض بن سعد الدوسري.

ومزاعمهم أن المسجد الأقصى ليس في القدس.
لكنه قبل سرد الشبهات وتقنيدها قدم

بمقدمات مهمة ألخصها في قضيتين:

أولاً: كشف منهج التزييف الذي يمارسه اليهود
والذي كان من نتائجه هذه المزاعم والأكاذيب
التي فندها الكتاب، ومنهج اليهود في التزييف
يقوم على طريقتين: قلب الحقائق باختراع
الأكاذيب وترويجها،
والسكوت وإهمال
الحقائق المتعارضة مع
مصالحهم.

وقد بين الله عز وجل لنا
في القرآن الكريم جريمة
اليهود بتحريف التوراة فقال
تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ
الْآيَاتِ هُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿ لآل عمران، ١٧٨، ومن
تجراً على كلام الله تعالى

بالتحريف والتزوير فجرأته على تزوير التاريخ والواقع
ستكون أكثر وأكبر.

أكاذيب أشاعها اليهود

عرض: أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

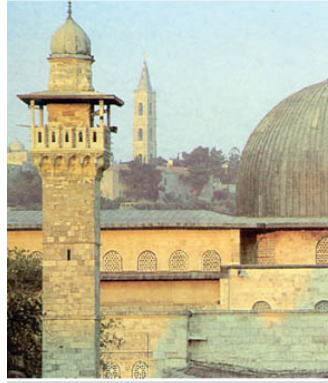
كعاداته دوماً أهداني الصديق العزيز د.

عيسى القدومي كتابه الأخير «أكاذيب أشاعها

اليهود» وهو في الأصل
جزء من رسالته
للدكتوراه، والكتاب
صدر عن مركز بيت
المقدس للدراسات
التوثيقية مطلع عام
٢٠١٤، ويقع في ٤٢٠
صفحة.

ويقوم الكتاب على
حصص الشبهات
والأكاذيب التي
يروجها اليهود حول
أحقيتهم في القدس
وفلسطين، وشبهاتهم
حول تدني مكانة
القدس في الإسلام،

أكاذيب أشاعها اليهود



د. عيسى شحادة (القدس)

(*) كاتب أردني.

للإسلام عبر جحافل المستشرقين اليهود، الذين يتخصصون في التراث والتاريخ الإسلامي ويمارسون دورهم الخبيث عبر جامعات إسرائيل العبرية أو الجامعات الغربية، ولهم تحقيقات لبعض كتب التراث الإسلامي، ودراسات ومقالات ومواقع إنترنت.

ومن أمثلة هؤلاء اليهود المستشرقين:

❖ د. بوهل المتخصص في النحو العربي وتاريخ اللغة، وهو يهودي يحمل الجنسية الدنماركية، وله كتاب عن الرسول ﷺ، وترجمة معاني بعض أجزاء من القرآن الكريم للغة الدنماركية.

❖ د. إسحاق حسون، وهو محقق كتاب «فضائل بيت المقدس» لأبي بكر الواسطي سنة ١٩٦٩، وقد حصل على درجة الدكتوراه بهذا التحقيق من الجامعة العبرية.

❖ الباحثة حوا لاتسروس يافه، تعمل في الجامعة العبرية وهي متخصصة في الدراسات الإسلامية، اهتمت بدراسة الخليفة الفاروق منذ الثمانينات، ولها أبحاث وكتب عدة حول الإسلام وتاريخ القدس، وقد أورد د. عيسى أسماء أخرى للمستشرقين اليهود لا يسع المقام استعراضهم.

وأغلب أبحاث هؤلاء اليهود وغيرهم تدور حول القدس فلمهم اهتمام كبير بدراسة التراث الإسلامي حولها، لكنه يتقصّدون إخراج منتج يزعم أن المسجد الأقصى لا قيمة له في الإسلام وأن الأمويين هم من جعل للقدس هذه المكانة لتكون بديلاً عن مكة!!

وهؤلاء الباحثون لا يقتصر عملهم على الجانب الأكاديمي بل كثير منهم ينخرط في مؤسسات الدولة السياسية والأمنية، فالمستشرق يتسحاق أوروبون والباحث تسفي لنير ترأس كل منهما مركز البحوث السياسية بوزارة الخارجية، أما المستشرق تسفي البيلغ أصبح حاكماً عسكرياً

وبخلاف الشبهات والأكاذيب التي زوروا بها التاريخ فإنهم عمدوا للواقع فزوّره من خلال هدم مئات القرى الفلسطينية وتسويتها بالتراب، والبناء على أنقاضها مستعمرات ومستوطنات بأسماء عبرية، ومبالغة في التزوير يقومون ببنائها بأحجار بيوت الفلسطينيين بدون استخدام الإسمنت لخلق وهم وانطباع بقدّم هذه المستوطنات لدى العابرين من أمم الأرض لزيارة فلسطين!!

ثانياً: استعرض د. القدومي كتابات وجهود المشككين بمكانة المسجد الأقصى عند المسلمين، وهم أربعة أصناف:

١- المستشرقون اليهود، وهذا جانب يغفل عنه كثير من الناس، فاليهود كان لهم منذ نشأة الإسلام جهود خبيثة لضرب الإسلام وتشويهه، سواء بشكل مباشر، كما يتضح ذلك حين سأل كفار قريش كعباً بن الأشرف اليهودي: من أفضل نحن أم محمد؟ فأجابهم: إنكم يا كفار قريش أفضل من محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبْتِ وَالظَّالُّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء، ٥١]، أو بشكل غير مباشر كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ﴾ [آل عمران، ٧٢]، ثم رأينا دور عبد الله بن سبأ اليهودي وأمثاله في الاندساس بين صفوف المسلمين وتأليب الناس في مصر والعراق على الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حتى قتلوه، ثم بدأ ابن سبأ بنشر بعض العقائد اليهودية بين المسلمين لكنه كساها حلة إسلامية، فزعم أن النبي ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب بالخلافة من بعده كما أوصى موسى بن عمران ليوشع، ومن هنا نشأت وبدأت مسيرة فرقة الشيعة.

ولا يزال اليهود لليوم يمارسون هذا الدور المعادي

خمس مرات، وشغل كل من يهوشفاط هو كابي و شلومو غازيت منصب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، وهكذا.

وقد وضعت الدولة الإسرائيلية تحت تصرفهم إمكانات غير محدودة، مما جعلهم ينتجون دراسات وأبحاث كثيرة لصالح إسرائيل، وهي على نوعين: نوع لاستخدام إسرائيل وتحتوي على حقائق وتوصيات لكيفية التعامل مع الفلسطينيين والعرب والمسلمين بمختلف شرائحهم.

والنوع الثاني للدعاية لإسرائيل في الداخل والخارج، وهذه تحشى بالأكاذيب والافتراءات بحرفية وإتقان عاليين.

٢- من المشككين في مكانة القدس والمسجد الأقصى، عدد من العلمانيين سماهم المؤلف «العلمانيين الجدد»، وقد كشف العدوان الإسرائيلي على غزة في ٢٠١٤ عددا كبيرا من هؤلاء العلمانيين. وهم في الحقيقة يرددون شبهات ومزاعم اليهود، ولعل المنطلق لهم في ذلك هو كرههم للتيار الإسلامي، بل كرههم للإسلام نفسه بدافع من منطلقاتهم الإلحادية وخاصة الماركسيين منهم، وهؤلاء موجودون دوما لكن حين تضعف الأمة يمكنهم المجاهرة بوقاحتهم، ويكفي أن وزارة الخارجية الإسرائيلية تحتفي بمقالاتهم وتعيد نشرها على موقعها الإلكتروني، وهم عابرون لكل الجنسيات العربية بل منهم فلسطينيون عملاء مثل شاكر النابلسي، الذي فسر الغاية من استقبال النبي ﷺ لبيت المقدس في الصلاة بزعة مكانة مكة الاقتصادية بتحويل العرب عنها!! في استخفاف بمكانة بيت المقدس الدينية عبر تاريخ البشرية كله من لدن آدم مروراً بعشرات الأنبياء عليهم السلام جميعاً.

٣- ومن المشككين بمكانة الأقصى

والقدس عند المسلمين الماسونية والماسونيون، وقد صرح أمين القدس الأسبق السيد روجي الخطيب أنه تلقى من بعض الماسونيين الأمريكيين رسالة في ستينيات القرن الماضي يقترحون فيها شراء أرض المسجد الأقصى أو بعضه لإقامة الهيكل المزعوم، ولا تزال هناك جهود ماسونية محمومة لإعادة بناء الهيكل منها إنشاء «غرفة القدس الماسونية» سنة ١٩٩٥ في جوار الأقصى لهذه الغاية.

٤- من المشككين في مكانة الأقصى بعض الفرق الباطنية المنسوبة للإسلام، ففرقة القاديانية أو الجماعة الأحمدية - التي أصدر المؤتمر الإسلامي قرارا بخروجها عن ملة الإسلام والتي تجعل من مؤسسها ميرزا غلام أحمد نبياً بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام وتكفر من لم يؤمن به- ، تزعم أن المسجد الأقصى ليس في القدس بل هو مسجد الميرزا في بلدة قاديان في الهند!!

أما البهائية والتي تفوقت على القاديانية حيث لم تكتف بنسبة النبوة لمؤسسها بل تجاوزت ذلك فجعلته الإله المعبود! وجعلوا من قبره في مدينة عكا القبلة والمسجد الأقصى!

ولذلك يحظى القاديانيون والبهائيون بدعم ورعاية دولة إسرائيل على أعلى المستويات.

أما الدروز فمشاركتهم في الجيش اليهودي قضية معروفة بل تعد الكتيبة الدرزية من أشرس كتائب الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين وقد كان مرافقو شارون في اقتحام الأقصى من الدروز كما كان قائد اقتحام حي الشجاعية في غزة قبل أسابيع درزيا أيضاً، لكن هناك من الدروز من يدعو لرفض الدخول في الجيش الإسرائيلي.

وأن الأمويين هم الذين أسبغوا القداسة على القدس، وأن المسجد الأقصى مسجد في السماء وليس في الأرض.

وقد أطلال المؤلف النفس في الرد على هذه الشبهات والمزاعم، ويجب على كل دارس ومهتم أن يطالع الكتاب ويدرس الردود العلمية والموضوعية على هذه المزاعم اليهودية، خاصة في هذه المرحلة التي اشتعل فيها الصراع مجدداً مع اليهود، مما يلزم معه حشد كل الطاقات الشعبية خلف المقاومة، وذلك بعد سنوات طويلة استطاعت إسرائيل فيها حجب الوعي بحقيقة القضية الفلسطينية عن عقول كثير من الشعوب والأجيال العربية بمن فيهم الفلسطينيون، وذلك عبر خيارات سياسية سلمية أسقطت كل البدائل الأخرى، وعبر سياسات تعليمية وإعلامية أعلنت من شأن الترفيه والمتعة والجري خلف المظاهر الاستهلاكية والعادات الوافدة، فأفرزت جيلاً فقد بوصلة الوعي بقضية فلسطين، ولكن والحمد لله لم يفقد كلياً العاطفة تجاه فلسطين.

ومن هنا يجب على كل المخلصين والشرفاء العمل على رفع وتوجيه العواطف الجياشة من الشباب العربي والمسلم نحو فلسطين لتصبح حالة وعي وإدراك وانتماء ومشاركة إيجابية، خاصة وأنها الحالة العاطفية التي تجمع بين عواطف التضامن مع الشهداء والجرحى والمهجرين وبين عواطف العزة والانتصار والبطولة والشرف.

ويبقى عندنا الشيعة الذين يجعلون المسجد الأقصى في السماء وليس في القدس في الأرض، بناء على روايات شيعية في كتبهم، ولا تزال هذه الروايات متداولة في كتبهم الحديثة، بل إن أحد هذه الكتب نال جائزة الدولة الإيرانية التقديرية، وسلم الرئيس الإيراني الأسبق أحمدني نجاد بنفسه المؤلف الجائزة!!

أما الشبهات التي رصدها د. عيسى في أطروحته والتي استغرقت نصف الكتاب تقريباً، فقد قسمها لثلاثة أقسام:

١- شبهات ومزاعم اليهود الدينية في القدس والمسجد الأقصى، وتتمثل في الزعم أن المسلمين بنوا المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل المزعوم، وأن حائط المبكى هو الجزء الباقي من الهيكل، وأن لليهود حقاً دينياً في القدس والأقصى وأن القرآن يؤكد حق اليهود بالقدس، وأن تحويل القبلة من بيت المقدس لمكة أنهى ارتباط الإسلام والمسلمين بالقدس.

٢- شبهات ومزاعم اليهود التاريخية في القدس والمسجد الأقصى، وتتمثل في زعمهم أن لهم حقاً تاريخياً في القدس والأقصى، وأن لليهود تاريخاً عريقاً هناك، وأن فلسطين كانت أرضاً بلا شعب، وأن فلسطين والقدس باعهما الفلسطينيون والعرب واشتراهما اليهود.

٣- شبهات ومزاعم اليهود حول مكانة القدس والمسجد الأقصى عند المسلمين، وتتمثل في زعمهم أن علماء المسلمين أنكروا قداسة القدس وحذروا من الأحاديث المكذوبة في فضل الأقصى، وأنهما لم يكن لهما دور حضاري ثقافي في التاريخ الإسلامي،

عملاء إيران في تركيا

قالوا: أطلق مجموعة من الناشطين في تركيا قبل أيام حملة مقاطعة عدد من الكتاب الأتراك الإسلاميين بسبب انحيازهم للنظام السوري بشكل مباشر وسافر أو غير مباشر، ودعوا إلى عدم شراء كتبهم وتجاهل كتاباتهم. وجاءت هذه المبادرة بعد أن وصل استغلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة من قبل هؤلاء الكتاب وازدواجيتهم في تناول أحداث سوريا وغزة حد الوقاحة والقرف.

دعوة الناشطين مقاطعة هؤلاء الكتاب أثارت ضجة كبيرة ونجحت في تسليط الضوء على حقيقة ما يروجونه من الآراء ولفتت الأنظار إلى الصداقة الحميمة التي تربط بين بعض هؤلاء الكتاب وبعض المقربين من الحكومة التركية ورئيسها رجب طيب أردوغان، رغم اختلاف مواقفهم من الثورة السورية.

ذكر الناشطون نماذج مما قالوه وكتبوه حول أحداث سوريا. وعلى سبيل المثال، قال الكاتب مصطفى إسلام أوغلو في خطبة له إنه يجب على تركيا أن تقول لإيران «نعترف بنفوذك في المنطقة ونعترف بنفوذك في سوريا ونقبل بأن سوريا لك»، في إشارة إلى أن الحل الأمثل في سوريا تركها للنفوذ الإيراني. وزعمت الكاتبة جيهان آكتاش، وهي متزوجة من إيراني، في تغريدة لها بموقع «تويتر»، أنه يتم تطهير المنطقة من المعارضين لإسرائيل ولا بد من قراءة المشكلة السورية من هذه الزاوية، كما زعم الكاتب آتاسوي مفتو أوغلو أن المعارضة السورية صنعتها القوى الإمبريالية. وفي بيان وقع عليه عدد من هؤلاء الكتاب للدعوة إلى تبني خيار ثالث في سوريا، ذكر أن السلاح الكيماوي الذي استخدم ضد المدنيين الأبرياء لا يعرف حتى الآن من يقف وراءه، في محاولة لتبرئة النظام السوري من ارتكاب تلك المجازر المروعة. بل وذهب أحدهم ليعلن على الملأ أن حزب الله اللبناني الذي يقاتل في سوريا للدفاع عن نظام الأسد ويقتل الأطفال والنساء «خطأ أحمر».

... هؤلاء الكتاب الذين وردت أسماؤهم في قائمة المقاطعة لعبوا دوراً قذراً في تشويه صورة نضال الشعب السوري لدى الرأي العام التركي، أنهم يقولون إنهم يرفضون جرائم الأسد بل ويصفونه بالقاتل والسفاح ويعترفون بأنه يرتكب المجازر، ثم يأتي الدور لإثارة التشكيك والشبهات حول الثورة وأهدافها، ليقدموا في الأخير استمرار النفوذ الإيراني كحل محايد ووسط، مع العلم بأن بعض هؤلاء من مؤيدي حزب العدالة والتنمية، الأمر الذي

بخل ذكي يغلب كرم غبي!

قالوا: تحاول إيران أن تضرب أكثر من عصفور في مساعيها للتمدد بقارة أفريقيا.. فهي تريد كسر الحصار الاقتصادي المفروض عليها من الغرب، وترغب في إيجاد موطئ قدم بجانب النفوذ الغربي والإسرائيلي، خصوصاً في شرق أفريقيا المطل على البحر الأحمر.

وتسعى إيران إلى اختراق النظم الأمنية والإقليمية بالقرن الأفريقي، بهدف كسر حالة اعتبار البحر الأحمر بحيرة عربية، ومحاصرة العالم العربي من خلال التحكم بالممرات المائية: مضيق هرمز، ومضيق باب المندب، لكن بخل الإيرانيين المعهود عنهم، دائماً ما تكون له الكلمة الأخيرة والغلبة في هذا الشأن، فهو يسهم بشكل كبير في إضعاف تحقيق هذا الحلم، لأن الإيرانيين يريدون الحصول على كل شيء مقابل لا شيء، وهو الأمر الذي انعكس على المساعدات التنموية التي تقدمها إيران للدول الأفريقية، وتستخدمها كنوع من السياسة والدبلوماسية الناعمة في محاكاة لتجارب أخرى في القارة الأفريقية.

فتحى العرضي - مكة أون لاين ٢٠١٤/٨/٩

البهرة تستغل حاجة السيسي

قالوا: على الرغم من فتوى وتصريحات المفتي السابق علي جمعة التي تقطع بتكفير طائفة «البهرة»، إلا أن زعيمها السلطان مفضل سيف الدين، سلطان طائفة البهرة بالهند، يرافقه نجله الأميران جعفر الصادق، وطه سيف الدين، والأمير عبد القادر نور الدين، زوج كريمته، ومفضل حسن، ممثل سلطان البهرة بالقاهرة حظوا باستقبال رسمي اليوم بقصر الرئاسة بمصر الجديدة، حيث استقبلهم الرئيس عبدالفتاح السيسي.

ويحسب المتحدث باسم الرئاسة، فإن الرئيس رحب بسلطان البهرة في زيارته الأولى إلى مصر منذ توليه هذا المنصب في يناير ٢٠١٤ خلفاً لوالده، مشيداً بالجهود التي تبذلها طائفة البهرة لترميم المساجد الأثرية في مصر. وأشار إلى أن سلطان البهرة قدم مساهمة في صندوق تحيا مصر للنهوض بالاقتصاد المصري، تقدر بعشرة ملايين جنيه، منوها إلى العلاقة الروحية التي تربط بين أبناء الطائفة ومصر التي تضم في رحابها الكثير من مساجد آل البيت.

المصريون ٢٠١٤/٨/١٧

أعطى مفعول تضليلهم قوة زائدة.

إسماعيل ياشا - العرب القطرية ٢٠١٤/٨/١٠ آسيا هدف استراتيجي للكنيسة

قالوا: سيزور البابا فرنسيس كوريا الجنوبية من ١٣ إلى ١٩ آب/ أغسطس. والحافز الأساسي للزيارة هو المشاركة في أيام الشبيبة الكاثوليكية في قارة لا يشكل الكاثوليك فيها سوى ٣,٢٪ لكن عددهم يتزايد باضطراد.

وستلي الزيارة إلى كوريا الجنوبية زيارة أخرى في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥ إلى سريلانكا والفلبين، أكبر دولة كاثوليكية بين البلدان الآسيوية. ولم يبق أي بابا بزيارة آسيا منذ ١٥ عاماً.

والبابا الذي لم يعلن بعد عن أي رحلة إلى أفريقيا، يولي مسألة التبشير بالمسيحية في إطار الثقافات الآسيوية عناية خاصة. وقد اتخذ من الراهب اليسوعي الإيطالي ماتيو ريتشي (١٥٥٢-١٦١٠) المدفون في بكين مثاله الأعلى. وحاز هذا الراهب على ثقة إمبراطور الصين، ونشر الإنجيل في هذا البلد.

وكان التقارب مع الصين الشيوعية أولوية لدى بنديكتوس السادس عشر، ثم البابا فرنسيس، بعد عقود من اضطهاد المسيحيين أيام ماو تسي تونغ، وفيما الميول الاستهلاكية الغربية تحدث تحولات في الصين المترامية الأطراف، تشهد الكاثوليكية والبروتستانتية فجراً جديداً، لكنهما تخضعان لقيود الرقابة وتعرضان للقمع أحياناً. فالنظام يريد كنيسة رسمية ضد كنيسة سرية، ويريد تعيين أساقفة من دون موافقة الفاتيكان.

وكان بنديكتوس السادس عشر اقترح على النظام في ٢٠٠٧ إجراء حوار. وفي ٢٠١٣، هنأ البابا فرنسيس جينينغ بانتخابه، ورد الرئيس الصيني على التهنئة. ولم يسجل حتى الآن أي تبدل كبير.

ومن الهند إلى سريلانكا ومن تيمور الشرقية إلى أندونيسيا، ومن باكستان إلى بورما واليابان، تتعايش كنائس كانت صغيرة جداً وغالباً ما تدافع عن حقوق الأقليات، مع الأديان الأخرى، - البوذية والهندوسية والإسلام - في ظروف صعبة أغلب الأحيان. وهذه الكاثوليكية المرنة هي التي سيشدد عليها البابا في آسيا.

إيلاف ٢٠١٤/٨/١١

ورطة نصر الله في غزة

قالوا: في حديث نصر الله عن الحرب في غزة... ففي الحوار سئل نصر الله: «هل تبلّغتم من الفلسطينيين طلباً بالتدخل المباشر؟»، فكانت إجابته كالتالي: «الأخ موسى (أبو مرزوق) تحدث في هذا الموضوع. لم يتحدث أحد معنا من بقية الفصائل، وأعتقد أن الكل يتقهم!» ثم يسأل المحاور نصر الله: «هل يعبر كلامه (أي أبو مرزوق) عن موقف حماس الحقيقي؟» وهنا يقول نصر الله: «إذا كان هذا مطلباً جدياً فإنه يناقش ضمن الدوائر المغلقة لا في وسائل الإعلام». ثم يضيف نصر الله: «خطوط

الاتصال قائمة والتواصل دائم. كان يمكنه هو أو أحد قيادات حماس أن يطلب مناقشة الأمر، أما طرحه في الإعلام، ففي رأيي يثير تساؤلات ولم أجده مناسباً!»

وعليه، فنحن الآن أمام نصر الله الذي ما فتئ يحاضر الجميع إعلامياً، وكيف ننسى له مخاطبة الجيش المصري قبل سنوات عبر الإعلام ومطالبته بالإطاحة بالرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، بينما اليوم يلجأ نصر الله للحكمة العربية الشهيرة والتي تقول إن «النصح أمام الملامة تفرغ»، حيث يعتبر طلب حماس للحزب إعلامياً بالتدخل في معركة غزة نوعاً من الإحراج، وأنه يجب ألا يطرح هكذا في الإعلام، فعلى من يتذاكى نصر الله؟ أوليس هو أولى بأن يعي أن الصراخ في الإعلام، وكما يفعل دائماً، ليس بالأمر المجدي بدلاً من أن يطلب من حماس تجنب اللجوء للإعلام؟

طارق الحميد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٨/١٧

حماس وإيران

وكالة الأناضول: فيما يتعلق بإيران.. هل ما زلتم تتلقون دعماً إيرانياً وتمدكم بالصواريخ؟

خالد مشعل: في الماضي دعمت إيران مالياً وعسكرياً، وهذا ليس بالأمر المجهول، لكن في السنوات الأخيرة دخلنا في مرحلة أخرى من العلاقة، لم تقطع العلاقة، ولكن تغير حالها، وفي هذا الظرف الاستثنائي المقاومة الفلسطينية بحثت وسائل التسليح الذاتي وكان الاعتماد الأكبر على التصنيع داخل غزة وعلى ابتكار التكتيكات العسكرية والإبداع فيها وهو ما فاجأ العالم.

وكالة الأناضول: يرى مراقبون أن موقف حماس مرتبك من ما يجري في سوريا.. لماذا حدث ذلك؟

خالد مشعل: نحن لا نتدخل في الشأن السوري ولكن حدث افتراق حول الأزمة السورية، ونحن لا نتدخل في شؤون الآخرين، الجميع يعلم أننا مصطفون مع الشعوب من حيث القيمة الأخلاقية والمبدئية والسياسية، ولكن لا نتدخل في أي أزمة لا في مصر ولا في سوريا ولا العراق، ولكننا مع الشعوب دائماً وحريتها وكرامتها لأن هذه أخلاق ومبادئ.

وكالة الأناضول: ما مدى صحة طلبكم التدخل من حزب الله وما مدى استعدادكم للتسيق معه مستقبلاً؟

خالد مشعل: لا صحة لها الأمر، لم نطلب شيئاً، هذه ليست أول حرب نخوضها دفاعاً عن النفس رداً على العدوان الإسرائيلي، هذه ثالث حرب على غزة في أقل من ٦ سنوات، ونعتمد بعد الله على أنفسنا ونعرف ظروف الأمة، كل له وضع خاص، أما التواصل مع الدول والقوى الفاعلة في الأمة فهناك جوانب نتفق عليها وهناك جوانب نختلف بشأنها مع كل القوى بما فيها حزب الله.

وكالة الأناضول ٢٠١٤/٨/٢١

باتت الإمارات أبرز الشركاء التجاريين لإيران ومن أهم وجهات الصادرات والواردات الإيرانية بحسب الإحصاءات التي أصدرتها مصلحة الجمارك في إيران مؤخرا.

ومن ثم يمكن توظيف الدبلوماسية بعد ذلك

كورقة ضغط إذا لزم الأمر، وعلى سبيل المثال قد لا يمر اجتماع سياسي خليجي أو دولي تشارك فيه الإمارات إلا وتطالب إيران بتحرير جزرها المحتلة الثلاث، وفي الوقت ذاته تكاد لا تمر مناسبة يلتقي فيها مسئولون اقتصاديون من البلدين إلا ويؤكد كلا الطرفين رغبتهما في تطوير العلاقات الاقتصادية وتنميتها.

أسباب جوهرية قد تقودنا لفهم أبعاد السياسة المتبعة بين البلدين وفي مقدمتها رفض الجانب الإماراتي تصعيد مواقفه مع إيران التي رفعت أعلامها مؤخرا على الجزر الثلاث المحتلة واحتجت الإمارات قبل أسبوع لدى الأمم المتحدة على قيام طهران بهذه الخطوة، بينما ردت طهران باتهام الإمارات بالتدخل في شؤونها الداخلية.

حيث قالت السفارة الإماراتية لدى الأمم المتحدة «لانا زكي نسيبة» في كتاب إلى الأمين العام للمنظمة الدولية «بان كي مون»: «إن حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، تحتج بشدة على هذه الخطوة التي تعتبرها انتهاكا صارخا لمذكرة التفاهم التي لا تؤثر على الوضع القانوني للجزيرة».

الإمارات وإيران..

علاقات اقتصادية لا تمر عبر «الجزر المحتلة»

موقع كلمتي - ٢٠١٤/٨/٢٣

المحدد الرئيس للعلاقات السياسية بين الإمارات وإيران لم يكن يوما يرتبط بمسألة الجزر الثلاث، طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، التي تسيطر عليها إيران بعد جلاء القوات البريطانية من الخليج عام ١٩٧١، ولم ترغب الإمارات يوما في تصعيد مسألة النزاع إلى محكمة العدل الدولية بعدما اقترح مجلس التعاون الخليجي ذلك عام ١٩٩٦ ورفضته إيران.

ورغم الأهمية الاستراتيجية للجزر الواقعة في

مضيق هرمز، عند مدخل الخليج وما تمنحه من مميزات لمن يسيطر عليها بالتحكم في الخليج كممر مائي وملاحي مهم يقرب المسافة بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، وكما أن في هذه الجزر ثروات نفطية ومعدينية يمكن أن تضيف ميزة تنافسية اقتصادية للإمارات إلا أن الإمارات أيضا لم تشأ أن تصل بدرجات الاحتقان بينها وجارتها إيران إلى القطيعة بسبب هذه الجزر.

تحرص الإمارات على الاستفادة من علاقتها

الاقتصادية مع إيران وتوظيفها للتبادل التجاري بين البلدين في تحقيق ازدهار اقتصادي، حتى

وأن هذا يأتي في سياق استراتيجية الإمارات التي تفرق بين الاحتفاظ في المطالبة بحقوقها في الجزر الثلاث، وبين الاحتفاظ بالتجارة التي تعود عليها بالخير من إيران.

بحسب مراقبين يمكن بسهولة التعرف على دبلوماسية الإمارات القائمة على التفريق بين استمرار المطالبة بحقوقها في الجزر الثلاث، وبين الاحتفاظ بالتجارة التي تعود عليها بالخير من إيران في آن واحد، وفي المقابل اعتمدت إيران على علاقتها الاقتصادية مع دبي - على سبيل المثال لا الحصر - عندما أحكم الطوق الاقتصادي العالمي عليها، كانت دبي منفذا رئيسيا لها لوراداتها وصادراتها، وهذا الأمر يصب في صالح دبي حيث تعتمد بنيتها التحتية التجارية على تقديم خدمة الترانزيت والخدمات النقدية والنقلية، وتلعب دور وسيط في تصدير السلع لأنحاء العالم، لأن إيران حينها كانت في وضع لا يمكنها أن تكون مفتحة بشكل طبيعي مع دول العالم، ولذلك استفادت دبي أكثر مما استفادت إيران، وكثيرا من الرأسمال الإيراني من خلال ما يملكه الأفراد تم توظيفه في الاستثمار العقاري والنفطي والتجاري بدبي مما جعل دبي تزدهر كثيرا.

الإماراتيون يرون أن هذه العلاقات الاقتصادية طالما تخدم مصالحهم وازدهار بلدهم الاقتصادي، فلا غضاظة في استمرارها، ولا سيما أن هناك استثمارات إيرانية ضخمة توظف في المشاريع الإنمائية في دبي، ولكن هذا لا من وجهة نظرهم أنها ستتنازل عن حقها المشروع في جزرها والمطالبة المستمرة بتحريرها من إيران.

وفي ظل ولاية الرئيس الإيراني الجديد حسن روحاني الذي أعلن أن الأولوية الرئيسة لحكومته ستكون تحسين العلاقات مع دول الجوار وبخاصة السعودية تسير علاقات إيران

مع دول الخليج على مسارين، الأول حاجتها إلى توثيق الصداقات وتلافي العدوات وتجنب العزلة الإقليمية وتطوير علاقاتها التجارية والثاني هو رغبة إيران في انتهاز سياسة خارجية قوية مستقلة غشيتها شكوك سابقة في استطاعة القادة الإيرانيين تحقيق التوازن بين هذين الهدفين المتعارضين غالبا، إلا أن السنتين الماضيتين أثبتت إمكانية الحفاظ على ما تعتبره توازن في العلاقات بينها وبين الإمارات.

الشيخ «عبد الله بن زايد آل نهيان» في كلمة له ألقاها في ختام أعمال الدورة الثانية للجنة العليا المشتركة بين الإمارات العربية المتحدة والجمهورية الإسلامية الإيرانية في ديوان عام وزارة الخارجية بحضور «محمد جواد ظريف» وزير الخارجية الإيراني، أكد أن العلاقات بين الدولتين تضرب بجذورها في عمق التاريخ وترتكز على أسس متينة من الاحترام المتبادل والتعاون المشترك من أجل أمن واستقرار المنطقة لافتا إلى أن حجم التبادل التجاري بين البلدين الذي وصل قبل عدة أعوام إلى أكثر من ٤٤ مليار درهم إماراتي (الدولار يعادل ٣,٦٧ درهم) سنويا لكنه تراجع في السنوات الأخيرة إلى نحو ٢٥ مليار درهم عام ٢٠١٢.

واضاف بن زايد «نأمل استمرار الانفتاح بين إيران والعالم بما يسمح للبلدين الوصول إلى تلك المعدلات السابقة وتجاوزها»، وتابع «لقد رحبت دولة الامارات باتفاق جنيف الأخير (٥+١) لإنجاح المفاوضات النووية وأملنا أن نحافظ على منطقة خالية من خطر الانتشار النووي بما يعزز أمننا المشترك وأن يفتح ذلك الباب أمام انطلاق طاقات أكبر للتعاون بين ايران ودول العالم وفي مقدمتها دول الجوار».

وقال وزير الخارجية الإيراني «إن هناك ٢٠٠ رحلة جوية أسبوعية بين البلدين»، مشيراً إلى أن التفاعل ما بين الشعب الإماراتي والإيراني قديم مما

الانحراف باسم محاربة «داعش»

حمد الماجد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٨/١٩

كأنني بإيران وقادتها وملاليها وقمها

ومفكرها وحوزاتها، يفركون أيديهم هذه الأيام تشفياً من الحوار البائس الذي يدور هذه الأيام حول تحميل «الوهابية» مسؤولية داعش والإرهاب، لم أتصور أن الخصومة الفكرية بين النخب المثقفة عندنا تصل إلى حد تكسير العظم العقدي، يريد بعض مثقفينا أن يفهمنا أن العقائد مثل الأفكار والنظم قابلة للمساومة والتحوير والتغيير والتعديل وأحياناً النسف الكامل، فما يصلح لزمن لا يصلح لزماننا، وظن هذا البعض أن محمد بن عبد الوهاب مجدد لأنه جدد لزمانه بنسف اجتهادات غيره، خلط هؤلاء بين الفقه الذي يتحور ويتغير في تطبيقاته وبين العقائد الثابتة الراسخة، ضاعت الحدود عندهم بين الثابت والمتحول، أتحدى من طرح هذا الفكر التجديدي الناسف لكل شيء أن يقول إننا غير ملزمين بأفهام الأئمة الفقهاء، لكننا ملزمون بحاكمية القرآن والسنة كما احتكمت إليهما الدولة النبوية والخلفاء الراشدون وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيون والخلفاء العثمانيون، وأخيراً الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة.

يريد هذا البعض من المثقفين باسم محاربة

داعش والإرهاب أن تبقى العقيدة محصورة في الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً والرسول ﷺ نبياً فقط، ثم بعد ذلك لا يهمهم تفصيلات العقيدة والتشريعات الربانية، لا أقول التي أطرها وأصلها السلف، ومنهم ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، بل حتى التي حددتها نصوص القرآن الصريحة والأحاديث الصحيحة، يريد بعض هؤلاء

أعطى العلاقات الثنائية عمقاً تاريخياً بغض النظر عن الأوضاع السياسية بين الحكومتين!!

وأضاف جواد أن الإرادة السياسية في إيران

تحرص على تعزيز وتطوير العلاقات الثنائية بين البلدين وتلعب دوراً مهماً في هذه العملية مشيراً إلى أن منطقتنا تمر بوضع حساس ودقيق، لذا فإن للإمارات وإيران دوراً مهماً ومؤثراً، فالمنطقة مهددة بالإرهاب والراديكالية وبالتالي فإن الأمر يتطلب حكمة القيادات والحوار المستمر ما بين كبار المسؤولين في البلدين.

ويرى المراقبون كذلك أن سياق العلاقات بين

البلدين يكشف أن الجانب الإماراتي يركز على البعد الاقتصادي والتاريخي بينما الإيراني يجمع بين الاقتصادي والسياسي.

ويؤخذ أيضاً بعين الاعتبار في رصد العلاقة

بين الإمارات وإيران أن هناك نحو ٤٠٠ ألف إيراني يعيشون في الإمارات بينهم نسبة كبيرة من التجار ورجال الأعمال من حملة الجنسية الإماراتية أو من حملة الجوازات أو من لهم علاقات مصاهرة بين عوائل إيرانية تمتد لعقود ماضية، وتوجد ٨ آلاف شركة إيرانية تعمل في الإمارات بشكل رئيسي في قطاع المواد الغذائية والمواد الخام والحديد والفولاذ والإلكترونيات والإطارات، والمعدات المنزلية، وغيرها من المواد، وفقاً لتصريح سابق لمجلس الأعمال الإيراني في دبي.

في حين بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين

١٥.٧ مليار دولار في عام ٢٠١٣ بحسب تصريح لسفير إيران لدى أبوظبي

ويبقى السؤال مطروحاً من يستخدم سياسة

العصا والجزرة ضد الآخر ومتى يخرج الخفي إلى العلن!!

المثقفين باسم محاربة داعش والإرهاب وباسم التجديد أن تتجرد الدولة من تحكيم الشريعة فلا حدود تقام ولا تشريعات تطبق، ولا أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر ولا مانع من تسويق الخمرة وفشو القمار وغض الطرف عن الشذوذ، فهي أمور شخصية لا تعني الدين ولا الحاكم.

يريدون باسم محاربة داعش والإرهاب أن نحصر محرمات الشرع في عدد أصابع اليد الواحدة فقط (وهذا نص لأحدهم وليس من عندي)، وهؤلاء يعلمون أن قائمة المحرمات والمحظورات التي أجمع عليها كل المسلمين وبالنصوص الشرعية الصحيحة الصريحة بمذاهبهم العقدية والفقهية من تطوان غربا إلى جزر الملوك الإندونيسية شرقا ليست بهذا الاختزال المخل، فرق بين أن نقول إن دائرة المباحات أوسع من المحظورات وأن نختزلها في أقل من ٥ محرمات.

يريدون باسم محاربة داعش والإرهاب أن تلغى من الوجود كل الملل والنحل فلا سنة ولا شيعية ولا سلفية ولا أشعرية ولا صوفية ولا حنبلية ولا شافعية ولا حنفية ولا مالكية، وكل الإرث العظيم من الكتب والمراجع لا قيمة لها فالرب واحد والدين واحد والنبي واحد وكل مسلم يعبد الله كما يرى ويروق له، وينسى هؤلاء المثقفون «الهلاميون» أن الانتماء العقدي والفقهية سنة كونية (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) وأنه ليس من لازم الانتماء العقدي والفقهية نبذ الآخر ومحاربته وإقصاؤه، ومن فعل فهي مشكلته.

يريدون باسم محاربة داعش والإرهاب أن ننسف مرجعية العلماء الذين أشار القرآن إلى أهميتهم (ولو ردوه إلى الله والرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، ويضايقهم أن نقول بأن التخصص الشرعي مثله مثل أي تخصص آخر لا

يقبل الحديث فيه إلا من عالم فيه، إنهم يستكثرون على متخصص في الزراعة الحديث في الفيزياء، وأما الخوض في مراد الله ومراد الرسول فلا حواجز ولا حدود والكل في حكم المتخصص، بالتأكيد لا كهنوت في الإسلام هذه حقيقة، والحقيقة الأخرى أن الخوض في الحلال والحرام والعقائد ليست كالأمشاع لمن هب ودب ومشى ودرج، حرب داعش وكل تنظيم إرهابي وتعريتهم ضرورة شرعية ومطلب وطني ولكن ليس على حساب انتماءاتنا العقدية.

(الدواعش يكفر بعضهم بعضا) مناصرة الأخوة المأسورين في دولة الجهمية الكافرين كتبه/ مصلحة التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:
فقد تجاوزت دولة البغي والتجهم مرحلة البيانات الكاذبة ، إلى التحرك الميداني باختطاف المؤمنين من منازلهم، والزج بهم في غياهب السجون، لأجل تكفير المشركين ، وصاحب ذلك ترويع نساءهم ، وفقد وانعدام الأمن والأمان الذي كان يحلم به كلٌ موحد في ظل دولة البغدادية، وفعلوا كما يفعل الطواغيت المعاصرون تماماً.
وعن جابر و أبي طلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة ، و ينتقص فيه من عرضه ؛ إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ، و ما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، و تنتهك فيه حرمة ؛ إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته)
أخرجه أبو داود.

قال حسان:

كم من أسير فككناه بلا

ثمن وجز ناصية كنا مواليها

ذكر بعض أسماء الأخوة المعتقلين في دولة

الجهمية الكفار الملاعين ، كما نشرت أسماؤهم:

١ - أبو جعفر الحطاب، ٢ - أبو مصعب التونسي،

٣ - أبو أسيد المغربي، ٤ - أبو الحوراء الجزائري، ٥ -

أبو خالد الشرقي، ٦ - أبو عبدالله المغربي، فك الله أسرهم جميعاً ، ،

وهنا أبين أن اعتقال أهل التوحيد لأجل تكفيرهم

للمشركين ومن لم يكفرهم، هو من نواقض الاسلام

المجمع عليها.. قال تعالى : ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، فهذا نص واضح في أن من

حارب أهل التوحيد لأجل ايمانهم فهو مثل هؤلاء الكفر المذكورين في الآية.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

(وبأي ذنب حبس إخوتي في دين الإسلام غير الكذب والبهتان ، ومن قال إن ذلك فعل بالشرع فقد كفر بإجماع المسلمين) مجموع الفتاوى (٣/٢٥٤).

ونقل ابن النحاس عن النووي في الروضة قوله: (لو

أسروا مسلماً أو مسلمين فهل هو كدخول العدو دار الإسلام؟ وجهان، أحدهما: لا، لأن إزعاج الجنود لواحد بعيد، وأصحهما: نعم، لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار". (٨٣٢/٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق).

وسمعنا كذلك أنهم أنشأوا جهازاً لهم ، أسموه

(أمن الدولة) . وذلك أسوة بإخوانهم الطواغيت في كل الدول. وهذا تشبه بأعداء الله فيدخل في عموم النهي عن التشبه بالكفار.

وهذا إن كان الغرض منه محاربة أعداء الدين من

الجهمية والخوارج الحقيقيين، فنعم هو مطلوب لانه من التعاون على البر والتقوى، ويدخل ضمن أعمال الحسبة

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). وإن كان تجسساً على أهل التوحيد ومن يكفر المشركين أو تكفير من يعذرهم ، كما صنعت دولة الجهمية في زمن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: فهو الفساد الكبير ، والانحراف الخطير.

والتجسس المنهي عنه في محكم التنزيل: قال

تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، بل ذلك كفر أكبر

كما بينت سابقاً للعلل التي ذكرت.

حكم هذه الدولة الجهمية: مما سبق يتضح جلياً

أن هذه الدولة جهمية كافرة مارقة من الدين..

وذلك بعدة نواقض؛ منها:

١ - إنكار البنعلي تكفير العاذر مطلقاً. حيث قال بالنص : (من لم يكفره على ثلاثة أقسام: ١- من لا يرى ذلك كفراً إلا بربطه بالقلب فذلك مرجئ. ٢ - من يرى ذلك كفراً ولكن يعذره بمانع فذلك سني يحاور. ٣ - من يرى ذلك كفراً ولا يرى أي مانع ثم يتوقف عن تكفيره فهو كافر ، وهو المعني بمثل هذا النقل) انتهى كلام البنعلي.

ولقد رددت عليه وبينت ما في قوله من تجهم

وضلال، في رسالة مختصرة بعنوان: (وجهان لعملة واحدة

تركي البنعلي والجهم بن صفوان)، <http://justpaste.it/gmuw> وذلك تحت وسم

#تركي_البنعلي_وعقيدته_الجهمية

٢ - مقال / أبي ميسرة الشامي عن الحازمي. حيث

بين فيه أنهم يعذرون المشركين!!

وقال فيه بالنص: (يقال لهم: إن كلام الشيخ الذي تقرؤونه على الناس في قوم كفار ليس معهم من الإسلام شيء)، فانظر كيف زعموا أن الذين كفرهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ليس معهم من الإسلام شيء، لا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا غيرها!!

وتم الرد عليه برسالة: (إعلان النكير على فرقة
البنعلي الجهمية الحمير) <http://justpaste.it/gku1>

٣ - مقال أبي عبيدة الأثجي. ورد عليه الأخ أبو عبد
الرحمن القاسمي، في رسالة بعنوان: (كشف ما ألقاه
إبليس على قلب الأثجي من الكذب والتدليس)
<http://t.co/A8PnYDL2LY>

٤ - رسالة في العاذر لأبي معاذ النصراني. قال فيها :
(فمن الجناية على العلم والمنهج تكفير اتجاه الإعذار
بالجهل، أو تكفير أهله)، قال ذلك دفاعاً عن الذين لا
يكفرون المشركين الشرك الأكبر!!

وتم الرد عليه بهذه الرسالة: (القول الشاذ في إعذار
المشركين لأبي معاذ) <http://justpaste.it/gojv>

٥ - سجنهم للموحدين؛ وذلك بداية بالأخ أبي عمر
الكويتي، ووصولاً الى غيره من الموحدين كما سمعنا
الآن ، منهم الأخ الشيخ أبو جعفر الحطاب ، فك الله
أسرهم جميعاً.

٦ - حربهم لكل من يقول: بكفر المشركين ومن لم
يكفرهم، ولا يعذر بالجهل.

٧ - حربهم الاعلامية المكثفة على الشيخ الحازمي،
والهدف الحقيقي والواضح منها: لأجل تكفير المشركين
وعدم إعذارهم بالجهل.
فكلها أمور ظاهرة بينة في كفرهم. وأنهم يسيرون
على أصول الجهمية الكفار..

وفي الختام:

يجب على جنود الدولة وأنصارها، أن يبحثوا عن
الحق، ولا يناصروا ولا يعينوا هؤلاء الجهمية الكفار،
فإذا ما تبين لهم صدق ما قلناه وأنه كما قلنا ؛ فإنه يجب
عليهم الانشقاق عنهم وترك القتال تحت رايتهم الجاهلية
العمية.

ومن قتل بعد ما تبين له حالهم ومعرفته لكفرهم
وردتهم ، فليس بشهيد ولا قتيل في سبيل الله ، بل قتلة
جاهلية والعياذ بالله.

وكذلك لا يجوز الهجرة إليها ولا تكثير سوادها

والله يعوضنا خيراً منها.. فمن ترك شيئاً لله عوضه الله
خيراً منه.. ويجب بيان حالهم والتحذير منهم. ولا يجوز
مداھنتهم ولا مجاملتهم ولا السكوت عنهم ، فالساكت
عن الحق شيطان أخرس.. لقوله تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ
فَيُدْهِنُونَ﴾ [١٩] القلم: ٩ والصّدع بالتوحيد وتكفير
المشركين واجب شرعاً ، بلا خلاف. قال الله تعالى:
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وأخيراً : قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم
﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ
عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عٰبِدُكُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا
أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

الديكتاتوريات العربية وحلفاؤها الليبراليون

هم الآباء الشرعيون لداعش

جمال سلطان - المصريون ٢٥/٨/٢٠١٤

**لو لم توجد داعش لجاهدت نظم عربية
عديدة لصناعتها وتسويقها ، هذه هي الخلاصة لما
نراه الآن من عمليات المتاجرة «ببيع» داعش، فبشار
الأسد الذي احتضنت أقبية مخابراته المتعددة
قيادات داعش قبل سنوات ونسقت عمليات مرورها
إلى العراق وتسليحها ووفرت لها ملاذات آمنة في
الجنوب السوري، قبل أن تتفجر الثورة السورية
وتختلط الأوراق، بشار اليوم يحاول أن يسوق نفسه
لدى أمريكا والغرب بوصفه حائط الصد المتقدم
أمام خطر داعش، وأجهزة إعلام الأسد حولت تلك
القصة إلى ما يشبه نشيدا وطنيا من كثرة
تسويقه، لأن بشار يعتقد أن نجاحه في تسويق تلك
الفكرة سيكون حبل إنقاذه من ثورة شعبه ومن
قرار إسقاطه ونسيان الغرب لمذابحه الدموية في
الشعب السوري والتي هي أكثر وحشية بكثير من**

جرائم داعش، وقد حاول نوري المالكي استخدام نفس اللعبة لكنه فشل لأن حالته كانت واضحة أن ظهور داعش واختراقها كان بسبب سياساته الإقصائية والطائفية الحمقاء، ويحاول حاليا حسن نصر الله زعيم تنظيم حزب الله الشيعي اللبناني المتطرف والموالي لإيران، يحاول أن يسوق كثيرا في جميع خطبه حكاية أن داعش هي الخطر الأول والأخير في المنطقة، وأنه لا بد من جبهة عريضة لمواجهة خطر داعش على دول المنطقة، وهو بذلك «يرمي بياضه» للأمريكان، ويبحث عن موقع قدم له في التحالف الجديد مع الولايات المتحدة - الشيطان الأكبر سابقا - كيف لا، والقيادات الغربية تتحدث علنا عن تحالف أمريكي إيراني للتصدي لداعش، فما المانع أن يكون وكلاء إيران - مثل حسن نصر الله - جزءا من الشراكة، وهناك الآن من بغداد وحتى نواكشوط تصريحات متتالية من أكثر النظم قمعا وديكتاتورية ودموية عمليات «تصدير» متتالية للحديث عن داعش وخطرها، تشعر وكأنهم وقعوا على «هدية السماء» لإنقاذهم من ربح الثورات الشعبية وتعاطف بعض القوى الغربية مع رغبات الشعوب في التحرر والكرامة وميلاد نظم مدنية حديثة تراعي مقومات حقوق الإنسان الأساسية، الرسالة التي ترسلها النظم العربية الديكتاتورية الآن للغرب: انسوا حكاية الديمقراطية وحقوق الإنسان لأن منطقتنا لها خصوصيات مختلفة، ألا ترون داعش وأمثالها، كيف نتعامل معهم بديمقراطية أو حقوق إنسان، كما أن داعش قد تصل إلى مدنكم وتهددكم في عقر داركم إذا لم نفلح نحن في التصدي لها هنا؟!، هذا ملخص الرسالة «التصديرية» الانتهازية المتكررة التي ترسلها عواصم عربية وأمريكا والغرب بصفة مستمرة هذه الأيام، كل الديكتاتوريات العربية الآن تغازل أمريكا

بحكاية داعش، رغم أن داعش وأخواتها من تنظيمات العنف هي الوليد الطبيعي لتلك النظم ومناخات القمع والاستباحة والسحق والتهميش والتعذيب التي مارستها ضد معارضيها وخاصة من أبناء التيار الإسلامي. ليست النظم الديكتاتورية وحدها التي تتاجر بداعش وتعتبرها «هدية» لتصفية خصومها، وخاصة من التيار الإسلامي، بل هناك تيار عريض ممن ينسبون أنفسهم زورا للبرالية، وخاصة في منطقة الخليج العربي والشام والعراق، يحاولون توظيف «ببع» داعش في صناعة حالة من الخوف من مجمل التيار الإسلامي، وهو التيار الذي يعرف الجميع أنه يمثل أشواق عشرات الملايين من العرب والمسلمين للحرية والعدالة واحترام هوية الأمة الثقافية والتاريخية والحضارية والدينية، ولك أن تتخيل تحريض هذه النخب الانتهازية لحرب شعواء على عشرات الملايين من الشباب العربي، إنهم يريدونها نارا لا تهدأ في ربوع بلاد العرب حتى تأتي على الأخضر واليابس، المهم أن لا يكون لخصومهم السياسيين أو الفكريين أي وجود أو حضور، والملاحظة الغربية أن كل نظام مستبد الآن أو طاغية أو غير ديمقراطي تجد أبرز الملتصقين به من حواريه المقربين والمسوقين له والمدافعين عنه والمبررين لجرائمه واستبداده رموز ليبرالية رفيعة، من إعلاميين وصحفيين ومثقفين وفنانين وأدباء وخبراء استراتيجيين - حسب ما يقدمون أنفسهم - ومديري مراكز بحوث ممولة بالكامل من أجهزة أمنية واستخباراتية، سواء في عواصم عربية أو في عواصم أوروبية مثل لندن، وتستغرب كثيرا، كيف يتحالف مدعو الليبرالية مع أكثر النظم معاداة لليبرالية، كيف يتحالف دعاة التنوير والحداثة والأنسنة مع أكثر النظم استبدادا وظلامية ومعاداة للتنوير والحداثة والحرية، لكن في النهاية هذه هي المعادلة القائمة والتي على الجميع التعامل على

أساسها. هذا التطرف الليبرالي، أو المنسوب زورا للبرالية، يزداد هوسا هذه الأيام، بعد أن كشفت الإدارة الأمريكية ومراكز صناعة القرار هناك «الملعب»، وتكررت التصريحات من مسؤولين أمريكيين أن ظهور داعش وتمدها كان بسبب سلوكيات غير ديمقراطية وغير مسؤولة من حكام المنطقة، بما في ذلك المالكي وبشار الذي اعتبره رئيس هيئة الأركان الأمريكية في كلمته أمس أنه أساس كل الفوضى في المنطقة، إضافة إلى تصريحات للرئيس الأمريكي باراك أوباما قال فيها نصا: إن داعش لا صلة لها بأي دين، بما يعني قطع الطريق على محاولات ربطها بالحراك الإسلامي العريض وخاصة تياراته وأحزابه الوسطية، مثل هذه التصريحات زادت من هياج ليبراليي نظم القمع والاستبداد، حتى تكاد تسمع أحدهم يقسم بالله أن داعش هي الوجه الآخر للأحزاب الإسلامية، ولكن أغلب الظن أن أحدا لم يعد مستعدا لقبول هذا «النباح»، ومثل هذا الخطاب لم يعد قابلا للتصدير، وهناك قناعة تزداد وضوحا الآن وهي أن «داعش» إذا صح نسبتها إلى أب شرعي، فهي الابن الشرعي لنظم القمع والديكتاتورية والتعذيب والإقصاء والفساد وشركائها وحلفائها من ليبراليي الدجل والانتهازية الرخيصة.

المفاهيم العقدية في أحداث غزة بين الثبات والضياع

علوي بن عبد القادر السقاف – موقع الدرر السنية ١٤ محرم
١٤٣٠هـ - ٢ شوال ١٤٣٥هـ

مقدمة بعد أحداث ١٤٣٥هـ

ما أشبه الليلة بالبارحة!

كنت قد كتبت هذا المقال أثناء أحداث غزة قبل خمس سنوات ونيف، وها هي الأحداث تتكرر

وحال كثير من المسلمين، وللأسف إلى أسوأ، أمّا الدُّول فهي على ما هي عليه من خذلان للقضية الفلسطينية، وكأنّها لا تعنيهم، وأمّا العلماء فسكوت مطبق إلّا ممّن رحم الله، وأمّا الشعوب فلأول مرة في تاريخ الصراع مع اليهود حول فلسطين يتبجّع المنافقون العرب بتأييدهم للصهاينة، وفي المقابل هناك أمران إيجابيان حدثا خلال هذه المدّة:

الأول: ظهور وسائل جديدة من وسائل التواصل الاجتماعي، أسهمت بدرجة كبيرة في توعية الناس، وإظهار الحقائق، وفضح المنافقين.

والثاني: التقدّم الملحوظ في نوعية الأسلحة التي استخدمتها حماس في الدّفاع عن أرضها وشعبها؛ ممّا أقلق الصّهاينة ودول العالم المناصرين لهم. ولله حكمة في كلّ ما يجري.

ولمّا كان الأمر كذلك، والمقال يحوي تأصيلاً شرعياً، ومضموناً ينبغي تأكيده والثبات عليه أبقيته كما هو.

الحمد لله الواحد القهار، والصلاة والسلام على النبي المختار، وعلى آله وصحبه الأخيار. أمّا بعد:

فلقد أظهرت أحداث غزّة المؤمنة، غزّة الصّابرة، كثيراً من المعاني والمفاهيم العقدية التي تكلم عنها العلماء قديماً وحديثاً، فكانت ابتلاءً وامتحاناً للمسلمين وتمحيصاً لهم: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ

الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، فأظهر الله حقائق

الإيمان وأثرها في أرض الواقع، وهذا ممّا يزيد المؤمن يقيناً، ويزيد أهل هذه المعاني ثباتاً على دينهم وجهادهم.

فما حصل في غزّة ليس شرّاً محضاً، بل فيه خيرٌ كثير يعرفه من نور الله بصيرته بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

ومن تابع الأحداث، ومجريات الأمور، وشاهد

ما حصل لأهل غزة، وما تبع ذلك من تصريحات، وبيانات، وفتاوى، ومظاهرات، ظهر له جلياً الفرق بين دراسة مسائل الإيمان والعقيدة نظرياً في المساجد والفصول الدراسية، وبين تطبيق مقتضياتها في ميادين الجهاد وعلى أرض الواقع؛ حيث تُمَحَّصُ القناعات، ويظهر أثر اليقين في النفوس، ويثبتُ الله مَنْ أراد به خيراً من أهل الصدق وحسن التوكل عليه، ويوفِّقه للعمل بمقتضيات الإيمان والتقوى، وأُسْ هذا الأمر: المعتقد الصحيح الذي مَنْ تمسَّك به علماً واستدلالاً كان أقربَ للتحقق به عملاً، فجمع الله لأهل الثغر بين الفضيلتين، ومن هذه المعاني التي تجلَّت بوضوح - سواءً لأهالي غزة أو لغيرهم من المؤمنين الصادقين، التي دلَّت على ثباتهم ورسوخ عقيدتهم - : الإيمان بالقضاء والقدر، وصدق اللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ والتوكلُ عليه، ومعاني الأخوة الإيمانية، وحُسْنُ الظنِّ بالله، واليقينُ بموعود الله ونصره، وفي المقابل: هناك قوم سقطوا في الفتنة وخذشوا توحيدهم، أو نقضوا إيمانهم بمظاهرة الكافرين على المسلمين، وإخلالهم بعقيدة الولاء والبراء، وسوء ظنَّهم بالله تعالى.

ومن هنا كان لا بد من إيضاح هذه المعاني؛ لأنَّ أحداث غزة باتت امتحاناً عملياً اجتازه مَنْ وفَّقه الله، وسقط فيه من لم يرد الله به خيراً: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]

أمَّا الإيمانُ بقضاء الله وقدره: فهو ركنٌ من أركان الإيمان، كما في الحديث الصحيح: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»، فلا يستقيم إيمانُ العبد إلَّا به، وقد تجلَّى هذا واضحاً في أحداث غزة، حيث شاهد كثيرٌ من الناس على الشاشات الإعلامية مراتٍ عديدةً مَنْ فقدوا جميع أهليهم وذويهم أو أكثرهم، والطائرات فوق رؤوسهم وهم

يرددون: الحمد لله، الحمد لله على قدر الله. ومنهم مَنْ يقول: نحسبهم شهداء عند الله، وغيرها من العبارات الإيمانية؛ فله درهم!

أمَّا المجاهدون فقد ضربوا أروع المثل بإيمانهم بقضاء الله وقدره، صبراً بلا جزع، ورضاً بلا هلع، ونحن بدورنا علينا أن نؤمن بأنَّ ما يُصيب أهل غزة اليوم من قتلٍ وتدميرٍ، وجرحٍ وألمٍ وجوعٍ، هو قضاء الله في عباده المؤمنين: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة: ٥١]، وأنَّ تكالب الأعداء من اليهود والنصارى والمنافقين على إخواننا المسلمين في غزة، وحصارهم، وقتلهم إمَّا هو من قدر الله، وقدر الله نافذ، وهو موافق لحكمته، ولا يكون قدر الله إلا خيراً: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْصَرَنَّهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا

بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]

وأما صدق اللجوء إلى الله والتوكل عليه: فمن فوائد هذه الأحداث انقطاع حبل التوكل بين المجاهدين في غزة، وبين الخلق أجمعين؛ فالله لا يرضى أن يصرف عبده قلبه إلى غيره، وقد رأينا هذا وسمعناه مراراً في تصريحاتٍ عددٍ من مسؤوليهم وقادتهم، ونحسبهم - والله حسيبهم - من الصادقين المتوكلين على ربهم، وقد أخذوا بكافة الأسباب الممكنة عسكرياً وسياسياً، ثم فوضوا أمرهم إلى الله، ولم يركنوا لسواه، مع علمهم بأنَّ كبرى دول العالم ضدهم؛ يخوفونهم ويهددونهم، والله تعالى يقول في

كتابه: ﴿الَّذِينَ يَكْفِي عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]، وبهذا يكونون قد ضربوا للعالم أروع معاني التوكل على الله، وقد فطن لهذا المعنى كثيرٌ من علماء المسلمين ودُعائهم، الذين سعوا لتثبيت إخوانهم في بياناتهم وخطاباتهم عندما أكَّدوا على هذا المعنى، ونصحوا إخوانهم في غزة بأنَّ لا يلجؤوا إلَّا إلى الله، ولا يؤمِّلوا خيراً

في مجلس الأمن، ولا الأمم المتحدة، ولا منظمات حقوق الإنسان، ولا يستجدوا فلائاً أو فلائاً، فكل هؤلاء لا يُغنون عنهم من الله شيئاً، فالتوكل يكون عليه وحده دون سواه؛ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله - في تفسير قوله تعالى في سورة (التوبة): ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٥٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ - : (يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم، وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعددهم ولا بعددهم، وبنههم على أن النصر من عنده، سواء قلّ الجمع أو كثر؛ فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً، فولّوا مدبرين إلّا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه... ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده، وبإمداده، وإن قلّ الجمع؛ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ۝٢٤٩﴾ اهـ، وفي انقطاع ما بينهم وبين الخلق كما هو حالهم الآن ما يُفضي إلى مزيد تعلّق بالله عزّ وجلّ، مع يسهم ممّا في أيدي الناس، وهو مؤدّن إن شاء الله بعاجل نصر الله.

وفي المقابل: كان هذا الأمر امتحاناً وفتنة، سقط فيها كثير من الرُعاء والعلمانيين والإعلاميين، كما أوجدت خدشاً في بعض البيانات والخطابات والتحركات التي كان من ضمنها مناشدة هذه المنظمات بوضع حلّ للحرب، وكأنه خاف عليهم قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَبِيعَ وَلَهُمْ ۝١٣٠﴾ [البقرة: ١٢٠]

أمّا الأخوة الإيمانية والولاء للمؤمنين: فقد ظهرت

أسمى معانيها في أحداث غزّة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۝٧١﴾ [التوبة: ٧١]، فما أن اندلعت الحرب حتى هرع المسلمون من جميع أقطار المعمورة - عرباً وعجماً - يجأرون إلى الله تعالى بالدعاء في صلاتهم إحياءً لسنة قنوت النازلة، ثم تتابعت البيانات والفتاوى التي تدعو لنصرة إخواننا في غزّة، وخرج كثير من الناس بشىء أجناسهم وأعمارهم وطبقاتهم إلى الشوارع يطالبون بإيقاف الحرب، بل طالب كثير منهم بفتح باب الجهاد؛ ليُجاهدوا في سبيل الله معهم، لكن حيل بينهم وبين ذلك! فله الأمر من قبل ومن بعد، كما أنه ما إن أعلنت بعض الجهات المختصة بجمع التبرعات لمنكوبي غزّة حتى قام كثير من الناس رجالاً ونساءً بالإنفاق في سبيل الله، وكل ذلك دليل على الأخوة الإيمانية وولائهم للمؤمنين.

وفي المقابل: سقط آخرون وأصبحوا يتحدثون عن أخطاء حماس، وأنّها سبب كل ما يحدث، بل إن أحدهم كتب في إحدى الصحف العربية: اضربهم إسرائيل، ولا تبقي منهم أحداً!! فأين هذا من الأخوة الإيمانية؟

وممّا يُؤسف له أن بعض أهل العلم والفضل لا تجد لهم أثراً رغم كل هذه الأحداث العصبية، وكأن الأمر لا يعينهم! وهم من أفضه الناس - نظرياً - بحديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في (صحيح البخاري) مرفوعاً: «وِزْمَةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ».

وأما عقيدة البراء من الكافرين، وعدم مظاهرتهم على المسلمين: فهذه أصبحت من النظريات، ولا علاقة لها بالواقع مع أن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١]، وقد عدّ علماء الإسلام مظاهرة المشركين على المسلمين من نواقض الإسلام.

ألا فليحذر كل من أعان اليهود أو النصارى، أو

حوزة الشيعة بإيران تحذر من ترايد السنة بمدينة «مشهد» عاصمة خراسان

موقع عربي ٢١ - ٢٠١٤/٨/٢١

قال موقع تابع للحوزة الشيعية في إيران إنه ومن خلال رصد ومتابعة تحرك التيار الوهابي (أهل السنة) في مدينة مشهد عاصمة محافظة خراسان الإيرانية في السنوات الأخيرة؛ رأينا انتشاراً واضحاً لأهل السنة هناك، ويزداد هذا الانتشار بكثافة في هذه المدينة بحسب تعبيره.

وأظهر الموقع الإيراني مخاوفه بوضوح من وجود أهل السنة وازدياد نسبتهم في مدينة مشهد الإيرانية؛ حيث قال الموقع: إن الانتشار السريع لأهل السنة في مدينة مشهد من شأنه أن يجعل من شيعة المدينة أقلية مقارنة بالسنة هناك، وعلينا اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد احتلال مدينة مشهد ذات الأغلبية الشيعية من قبل أهل السنة هناك، وفقاً للموقع.

وقال مراسل الموقع الشيعي الذي قام بهذا التحقيق الصحفي بمدينة مشهد الإيرانية: إن السنة في هذه المدينة يمكن أن نضيفهم إلى تيارين؛ مضيفاً أن التيار الأول لأهل السنة في هذه المدينة يعتقدون بأن إيران قبل أن تكون دولة شيعة كانت مركزاً مهماً لأهل السنة والجماعة في المنطقة؛ وخرج منها علماء كثر وعلى هذا الأساس يجب أن ترجع مدينة مشهد مركزاً لأهل السنة والجماعة كما كانت في السابق.

غيرهم من الكفار على قتال المسلمين من مقت الجبار وغضبه وعقابه.

وأما حُسن الظن بالله: فينبغي للمسلم أن لا يُسيء الظن بالله تعالى؛ فمن ظنَّ أنَّ الله ينصرُ اليهود أو النصارى، أو غيرهم من الكفار على المسلمين نصراً دائماً، أو أنَّ الحقَّ سيظلُّ مغلوباً من قبل الباطل، أو أنَّ ما يجري لا حكمة فيه، أو أنه يحصلُ عبثاً، فقد أساء الظنَّ بالله، والله تعالى يقول محذراً من سوء الظن به: ﴿

يَطُئُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فهذه الأمور المؤلمة التي نراها إنما تحدث لحكمة يعلمها الله؛ فالله تعالى ما قدرها سُدًى، ولا أنشأها عبثاً، ولا خلقها باطلاً؛ فهذا من حُسن الظن بالله تعالى.

أما اليقين بموعد الله ونصره: فهذا من مقتضيات الإيمان بالله والتَّصديق برسوله ﷺ، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتى يقاتِلَ المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشَّجر، فيقول الحجرُ أو الشَّجرُ يا مسلمُ، يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعال فاقتله، إلَّا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود»؛ فمن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ تصديقُ هذا الوعد، بأنَّ نهاية اليهود على أيدي المسلمين، فأبشروا أيُّها المسلمون، وأملوا، وأحسنوا الظنَّ بربِّكم، فالتَّصرَّاتُ، وانصروا الله ينصركم؛ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. وصلى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم

الحوثي «الأحمق» ... صنعاء مدينة مفتوحة

د. مروان الغفوري - مأرب برس ٢٠١٤/٨/١٧

أنت أيها الأحمق، الأحمق الذي لم يصله قط كتاب في الرياضيات أو الفيزياء ولم يذهب إلى مدرسة أبداً، ولم يقيّد اسمه في جامعة، ويتخيل العالم بوصفه غابة محكوم عليها بالموت..

تقول لأصحابك «ادخلوا، إن الله معنا». ثم تتادي الجيش والأمن بالحياد. لم تنس أن تهدد الجيش والأمن فيما لو يلتزموا الحياد. وتبشّر الرئاسة بعض يد الندم. ثم تتوعد القوى السياسية بالافتتال الكلي.. هذا خطابك الليلة.

قلت إنها حركة الشعب اليمني العظيم. لكنك نسيت هذه الجملة ثم انزلت بحماقتك المعروفة: «ستصلكم الأوامر والخطط عبر اللجان التنظيمية»

اسمعي أيها الأحمق. الشعوب لا تتلقى الأوامر عبر اللجان الشعبية. العصابات هي من تسلك هذا السلوك. كنت واضحاً. شكراً لحماقتك مرة أخرى. كنت واضحاً وأنت تقول إنها ليست حركة الشعب اليمني بل حركة عصابة مسلحة. أنا واحد من هذا الشعب. أخجل، أصدقك القول، أخجل عندما أتذكر أننا ننتمي إلى بلد واحد. لا أقول إنه ليس من حقك أن تعيش. أنت تملك الحق الكامل في أن تعيش كما تشاء. لكن إيماني بهذا الحق لن يمنعني من الشعور بالخجل العميق لأنك تحمل جنسية بلدي. ربما لم تسمع بدراسة حديثة قالت إن الحمق معدّ، وأن الغباء ينتقل من جماعة إلى أخرى. وأن ظهورك المستمر على الشاشات سيخلق جيلاً من الحمقى على شاكلتك.

وأضاف المراسل إن القسم الآخر من أهل السنة في مدينة مشهد يعتقدون أن خراسان كانت مدينة تابعة لهارون الرشيد، وتعتبر من المدن التاريخية التي تطورت وعرفت بفضل الحضارة الإسلامية، وترى هذه الفئة بأنه يجب عودة الدور التاريخي لأهل السنة والجماعة في هذه المدينة وأن لا يكونوا مهمشين باعتبارهم أقلية سنية وفق تصورهم.

يذكر إن أهل السنة في عموم إيران يقدر عددهم أكثر من ١٥ مليون نسمة وينتشرون على امتداد المناطق والمحافظات الحدودية في إيران ويعتقد التيار المحافظ الإيراني والحوزة الشيعية بأن ازدياد نسبة السنة في عموم إيران يشكل تهديداً أمنياً على الأمن القومي الإيراني في المستقبل.

ووفقاً للإحصائيات التي نشرت على المواقع الإيرانية بأنه لأول مرة في تاريخ إيران الحديث يتساوى عدد الطلاب السنة مع الطلاب الشيعة في مقطع الصف الأول ابتدائي بإيران.

وحذرت الكثير من المؤسسات الإيرانية والشخصيات الشيعية المتطرفة من ازدياد عدد أهل السنة في عموم إيران وأتهمت أطراف خارجية ومؤسسات إسلامية سنية وراء هذا المشروع الذي يهدف لارتفاع نسبة سكان السنة مقابل الشيعة في أكثر المحافظات الحدودية الإيرانية.

ودعا المرشد الإيراني علي خامنئي مؤخراً من خلال مرسوم يتكون من ١٤ نقطة، إلى زيادة عدد سكان إيران البالغ حالياً ٧٦ مليون نسمة، ليتضاعف هذا العدد إلى ١٥٠ مليون نسمة على الأقل وفقاً للمشروع الذي طرحه خامنئي على المؤسسات المعنية في إيران.

الحوثي لم يشير إليه ولا مرة واحدة في كل خطباته. يقدم المؤتمر نفسه أمام الحوثة باعتباره واحدة من الحداثق الثرية للملكية الجديدة، أي امتداداً مادياً للمذهب المسلح. كان صالح يصردائماً على التذكير بزيديته مما استفز حسن زيد فجعله يقول لصحيفة العرب القطرية ٢٠٠٩ إن الزيدية ليست جغرافياً. لكن صالح، فيما بعد، استطاع إقناعهم بذلك.

التفسير التاريخي الوحيد لاستهداف الإصلاح هي الحرب الطائفية. في الموضوع العراقي، السوري، البحريني .. إلخ وقف الحوثة والإصلاح موقفين مختلفين تماماً. ثمة أخبار غير مؤكدة تتحدث عن سفر شباب إصلاحيين للقتال إلى جوار المعارضة في سوريا، وشبان حوثيين للقتال إلى جوار نظام دمشق. أي أن الحرب الطائفية تخاض على نحو ما بين الطرفين، وقد جرت أكثر من بروفا في ساحات بعيدة. التحذير الذي سمعه محمد قحطان قبل عامين: سيكون خطأ كبيراً لو تحول الإصلاح إلى حزب للسنة، أصبح الآن حقيقة مادية. ربما لم يكن الإصلاح يفكر بهذه الطريقة لكن الحوثة يضغط في اتجاه تحويل الإصلاح إلى حزب للسنة. ولأن الحوثة لا يقبل المختلف في مملكته، فقد أجلى اليهود والسلفيين والإصلاحيين، فهو يدفع الإصلاح في اتجاه «دياسبورا» أو شتات ونفي من الأرض الزيدية، أرض المملكة، أو مملكة السماء الخاصة به.

هذه حرب طائفية قدرة يشعلها هذا المعتوه الصغير، وستجر معها الآخرين. كل الآخرين. ستجر المسوسين أولاً، ثم المتوجسين، ثم الذين لا يجدون عملاً طيلة النهار، ثم الذين يفرزهم الحوثة على طريقته دون علمهم، ثم الخائفين، ثم ستجر معها طلبة المدارس والجامعات الذين سيخوضون الحرب لأنها قتلت أقاربهم وأصدقاءهم.

«العزم، التوكل على الله، والإرادة، والثقة بالله، تجاهل الإشاعات، وسنتنصر. هذا يوم عز لشعبنا، ولا عدوان إلا على الظالمين». بهذه الكلمات الإيمانية ختم الحوثة إعلان الحرب الدينية. كان خطاب حرب، بامتياز. لم يحدد أعداء بعينهم سينتصر عليهم لكنه أفرد حزب الإصلاح بالاقتيار لأكثر من مرة. بالمناسبة: حزب الإصلاح هو الحزب الإسلامي الوحيد القائم على أساس سنّي، وحركة الحوثة هي الحركة الوحيدة المنظمة القائمة على أساس شيعي. تجاهل هذه الحقائق لا يخدم سوى الكارثة. يتحاشى المثقفون اليمانيون، لأسباب غير مفهومة، مقاربة هذه الحقيقة التاريخية التي ربما سيشرحها المؤرخون على هذه الشاكلة. في طريق الحوثة لفرض مملكته الإلهية المسلحة يكس كل المختلف معه. إنه كارثة ضد التنوع تسعى لخلق مجتمع صايف تسوده ثنائية الخير والشر. لا وجود، في مملكة الحوثة، للمختلف. المختلف هو شر محض. يوجد حق وحيد يقف الله إلى جواره، وباطل في الخارج «لن نقف أمامه مكتوفي الأيدي» يردد الحوثة.

في هذه الليلة استخدم الحوثة كلمة «الله» أكثر من ثلاثين مرة. كان الله إلى جانبه، استخدم تنويعات عديدة على هذه الجملة. الأشرار إذن هم الآخرون. في مقدمة الأشرار تقف تلك الجماعات المنظمة على نحو جيد. أي تلك التي قد تعيق حركته.

إنه يستهدف حزب الإصلاح السنّي، وليس حزب الإصلاح السياسي.

فالبرغم من أن حزب المؤتمر الشعبي العام يسيطر على نصف الحكومة، مقابل وزيرين فقط لحزب الإصلاح، كما يسيطر على ٩٠٪ من المحافظين، ووكلاء المحافظات والسفراء، إلا أن

انجر حزب الإصلاح إلى خوض الحرب في

أكثر من منطقة. كان الحوثي يتحرك على هذه الطريقة: يخلق الأعداء، ثم يدخل لمطاردتهم. حزب الإصلاح عدو جاهز. بالإمكان تمرير هذه الفكرة ليس في صنعاء فقط بل بين القبائل. لن تتعاطف القبائل كثيراً مع حزب الإصلاح فهو حزب سني عمل خلال نصف قرن على تقويض المذهب الزيدي كلياً. هكذا يفكر الحوثي، وهكذا يفكر مناصروه. يدخل الحوثي النجع أو القرية أو التبة، ويبحث عن بيت الإصلاح في القرية. يفجر البيت. في أحيان كثيرة يكون البيت الإصلاحي قيد التفجير هو البيت الإصلاحي الوحيد في المنطقة كلها. أي أن الأمر لم يكن يتعلق بنزاع مسلح يقوده الإصلاح ضد الحوثي. فلا يمكن أن يكون «البيت الإصلاحي الوحيد في القرية» هو الذي يخوض الحرب. بالنسبة للحوثي كان الأمر مركزياً، فهذه الذريعة مهمة للقول إنها حرب ضد حزب الإصلاح.

عندما يقرأ الناس التاريخ الراهن بعد سنين

طويلة سيصابون بالفرع وهم يقرؤون عن ميليشيا عسكرية تجتث حزباً سياسياً أمام كل شهود العيان.

تقديري الشخصي، بكل وضوح وبلا

مواربة، إن ما يحدث هو حرب طائفية مكتملة الأركان. لدي دليل مادي على ذلك. بصرف النظر عن جدل مجالس القات. زووم على الجحافل من الطرفين يصعب أن تعثر على مسلح زيدي واحد يحمل السلاح ضد الحوثي.

يصعب أن تعثر على مسلح سني واحد يحمل

السلاح مع الحوثي.

ومن المستحيل كلياً أن تجد هاشمياً يحمل

السلاح ضد الحوثي.

هناك استثناءات هامشية تؤكد المشاهدة.

تعرف الحرب باعتبارها ناراً بين طرفين أو أكثر. لذلك، لكي تعرف ما إذا كانت حرباً طائفية أم لا، لا تبحث عنها في الصحف ولا في مجالس القات. اجر عملية زووم على جبهة القتال وادرسها هناك. هناك يمكنك أن تقول إنها طائفية أو لا. تجاهل الهراء الذي تكتبه الصحف، فهي لا تحل الألغاز ولا تقدم المعلومات. تبيع كلمات لا تقول شيئاً.

تحققت الكارثة بكل شروطها:

حزب الإصلاح أصبح حزباً للسنة الشوافع. والحوثي الذراع العسكرية للمذهب الزيدي. يكفي هذا لكي تشتعل الحرب بلا هوادة. دعمك من كل الخطابات واللجان. هناك حرب لأجل الله. يتحمل الحوثي الوزر الأكبر في دفع الإصلاح لأن يبدو حزباً للسنة. لم يترك الحوثي مساحة كثيرة لحزب الإصلاح، ولا لليهود، ولا للسنة.. ولا حتى للمغني!

تذكروا المؤتمر الصحفي لوثاق، منظمة مجتمع مدني، ومتحدثها يرد على الصحفيين الذين سألوه ما إذا كان الحوثي يحرم الموسيقى. فقال عبد الهادي العززي: ليس الموسيقى وحسب، بل القرآن الكريم بصوت السديس. أي السديس السني.

يهرب الحوثي من استخدام كلمة سني، وبدلاً عنها يستخدم مرادفات مراوغة: الوهابي، الإرهابي، التكفيري.

أنا شخصياً، الكاتب مروان الغفوري، يكتب عني مثقفو الحوثي باعتباري «داعشياً». أنا المواطن الذي يعيش في أوروبا يكتب الشعر والرواية ويمارس مهنة الطب، يلحقونني تارة بالإرهاب، ومرة بداعش. ذلك أني أقول لهم: انزعوا فتائل الكارثة، أوقفوا الحرب الطائفية. أصرّ، بكل شجاعة، على وصف ما يجري وفقاً لشواهد المادية: الحرب الطائفية.

سمعت الأحقق العظيم عبد الملك الحوثي هذه

الليلة قال إن المبادرة الخليجية لا تغنيه لأنها «مبادرتهم» . لكنه قال إنه سيدخل صنعاء لإجبار القوى السياسية على تنفيذ مخرجات الحوار الوطني. أي ذلك الحوار الذي كان البند الأهم في المبادرة الخليجية.

في الجلسات الأخيرة للحوار الوطني قال العزّي، الممثل السياسي للحوثي في صنعاء - كما روى أكثر من عضو في الحوار الوطني - للرئيس هادي: نشتي محافظة فيها نفل ومحافظة فيها ميناء. رد عليه هادي إن ذلك غير ممكن عملياً، فتقسيم الأقاليم - بحسب هادي - رؤية خبراء وليست بحسب الطلب. ابتسم العزّي بكبرياء. وقف في مكانه أمام هادي وقال بلفة واضحة: سنتوسع بطريقتنا «وعاترجعوا تتراشونا». ثم غادر اللقاء دون إلقاء التحية.

إلى أي مدى تبدو هذه القصة صحيحة؟ أستطيع أن أقول أن أعضاء الحوار الوطني الذين تداولوها يؤكدون صحتها. شخصياً أستطيع تخيلها، وتصديقها.

حسناً تحدثت يا عبد الملك كثيراً عن الشعب اليمني العظيم الذي لم يمنحك الحق في أن تتحدث باسمه. ربما أنت لا تدري أن كل مملكتك التي تقودها خلفك لتتشر الفزع والرعب لا تعادل بضعة مديريات إلى الخلف من جبل سمارة.

خلال ٤٥ دقيقة استخدمت كلمة «الشعب» أكثر من ٧٠ مرة. أنا واحدٌ من الشعب. أنتمي إلى أسرة كبيرة يزيد عددها عن الألف شخصاً. وهذه ليست مبالغة. ليس فيهم أحد يراك أكثر من أحرق، وفي أحسن الأحوال رجلاً معتوهاً. أسرتي، وهم في تعز، يرون أنك لا تصلح لأي أمور لها علاقة بالحضارة. كما أنهم يضحكون دائماً عندما يتحدث رجل لم ير مدينة في حياته عن الدولة المدنية. أما بقية الذين أعرفهم، يزيدون أو يقلّون،

فأنت بالنسبة لهم إنسان كهف مهووس بالحروب، كائن خرافي لست قادماً من التاريخ وحسب بل من خارج العقل البشري.

حسناً، ادخل صنعاء. صنعاء مدينة مفتوحة. جدك فعلها قبل ذلك. دخلتها الميليشيات وحولتها إلى كومة من القذارة والخشب المحروق. وقف جدك على جثة صنعاء، وكركر. قال إن الشعب اليمني العظيم هو من فعل بصنعاء كل ذلك. الشعوب العظيمة لا تخلق الفوضى، ولا تحرق المدن، ولا تنام والبندقية بين أقدامها.

تعال، ادخل صنعاء. ادخل بجيش من الأميين الفقراء والمرضى. أتدري كم نسبة المصابين بفيروس الكبد ضمن الميليشيات التي تجرها خلفك؟

تعال وطهر صنعاء من الظلاميين، كما تقول. تعال يا لمبة النور الإلهي طهرنا من الرياضيات والفيزياء بظلام ماضيك. أنت، يا إنسان الكهف الجاف، تعال عرفنا الجمهورية. لأول مرة أسمعك الليلة تقول إننا نفهم الجمهورية على نحو خاطئ.

تعال، افتتح صنعاء، أيها الصغير.. واترك للأيام تدون بعد ذلك من سيعض .

الصين.. الإبادة الجماعية

في تركستان الشرقية

ترسن جان عثمان - موقع أخبار عالمية عن تركستان الشرقية

المنسية ٢٠١٤/٨/١٤

انتشر في وسائل التواصل الاجتماعي ومن بعده في المحطات الإخبارية نبأ حدوث مذبحه في منطقة «ياركند»، التابعة لولاية «لكاشغر»، في تركستان الشرقية، التي تحتلها الصين منذ ١٩٤٩م، وتسميها بـ«شنجيانغ» (الأرض الجديدة) ومقتل ٤٥ شخصاً، لكن الإعلام الصيني

ظل صامتا إلى ٣ أغسطس، حتى أعلنت وكالة أنباء «شنخوا» الصينية مقتل ٩٦ شخصا بتفاصيل عدد القتلى من «الهان» المستوطنين والأويغور المسلمين واتهمت الأويغور بقيام أعمال «إرهابية» بالهجوم على منشآت حكومية بالسكاكين والهرافات، ولم تذكر الوكالة الأسباب والدواعي، لكنها أعلنت مقتل «جمعة طاهر» إمام جامع «عيد كاه» في كاشغر طعنا بالسكاكين وأنها قتلت إثنين من القتلة وتم اعتقال الثالث.

تعتيم كامل

فرضت الصين تعتيم كامل في مدينة «ياركند» منذ ٢٧ يوليو ٢٠١٤م، حيث قامت بقطع الإنترنت والاتصالات، وفرضت حظر التجول، وحاصرت المدينة واستدعت قوات خاصة من المناطق الأخرى ومازال الحصار مفروضا، والاتصالات مقطوعة. وانتشرت في وسائل التواصل رسالة قادمة من تركستان تشرح تفاصيل ماجرى في «ياركند».

وطالب صاحب الرسالة تدخل العالم في إنقاذهم ويقول: آخر يوم رمضان اجتمعت عشرات النساء في أحد المنازل في قرية «أليشغو» التابعة لمدينة ياركند لصلاة التراويح ورجالهن ذهبوا المسجد لصلاة العشاء، وداهم مسئولون محليون والشرطة المنزل بحجة تفتيش المنازل فعرفوا أن النساء يؤدون الصلاة، حاولوا اعتقالهن بتهمة تجمع بدون تصريح لكنهن اعترضن وحدث مشادة كلامية وأطلقت القوات النار عليهن فاستشهدت عدة نساء، أحد الشهود من أبناء إحداهن طعن أحد القتلة بالسكين وأرداه قتيلا من ثم تم استدعاء قوات خاصة لموقع الحادث فأمطروا عليهم بالنيران وقتلوا العشرات، من بين الشهداء كان رجل مسن عمره ٧٢ عام وطفلة عمرها ٦ سنوات.

في اليوم التالي اجتمع أقارب الشهداء وجيرانهم من ٣ قرى حاولوا الذهاب للدوائر الحكومية

مطالبين معاقبة القتلة لكنهم واجهوا قوات «مكافحة الإرهاب» التي حاصرتهم من كل اتجاه وأمطرت عليهم بوابل من النيران فبدأت الفوضى واضطر الناس حمل الأحجار والسكاكين، وأضاف يقول: تم إبادة أهالي ثلاث قرى بالكامل يقدر عدد الشهداء مابين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠، بعد تلك المجزرة استمرت الصين في صمتها أسبوعا كاملا دون نشر خبر الإبادة، ففي الثالث من أغسطس ٢٠١٤م أعلنت وكالة أنباء «شنخوا» الصينية مقتل ٩٦ شخصا في قرى ياركند معظمهم إرهابيين واعترفت أن «الإرهابيين» لم يكن لديهم متفجرات ولا البنادق وإنما كانوا يحملون سكاكين وفؤوسا.

نقاط تأمل

لو افترضنا جدلا أن الصين لا تكذب ولا تفتري على الضحايا، لماذا لا تنشر صور «الإرهابيين» وهم يقتلون الصينيين ويحرقون السيارات، على الأقل «جرائم» ٥٩ «إرهابي» الذين قتلوا على أيدي القوات الصينية؟

ثم أن الصين أعلنت مقتل إمام جامع «عيدكاه» في كاشغر ٣٠ يوليو ٢٠١٤م وفي نفس اليوم على يد مجهولين وفرار القتلة من مكان الحادث، في اليوم التالي تعلن قتل شخصين وهما يجريان وعلى أيديهما سكاكين، واعتقال ثالث ولم تقدم دليلا أو صور القتلة، كيف يصدق العالم الرواية الصينية؟

كثير من المحللين يرون أن الأجهزة الأمنية الصينية هي التي نفذت قتل الإمام «جمعة طاهر» لتغطية جرائم إبادة ياركند وتمويه العالم بأن المسلمين الأويغور متطرفون يقتلون العلماء.

كذلك الصين تستغل الوضع الدولي وأحداث غزة لتنفيذ مخططاتها التي تهدف لإبادة شعب الأويغور المسلم ونهب ثروات تركستان الشرقية. وبدأت الصين الحرب على الإسلام وتقاليده

دور الإنسان في التجربة التركية

محمد زاهد جول - أخبار تركيا ٢٠١٤/٨/١٥

وضع الإنسان في الفكر النهضوي التركي

في قلب المشروع النهضوي وفي مركز جميع

سياساته، انطلاقاً من فلسفة «أحيي الإنسان كي تحيا الدولة»، التي أطلقها حزب العدالة والتنمية، ويرى أن كافة الحريات المدنية والسياسية وعلى رأسها حريات الفكر والتعبير والاعتقاد والتعليم والتنظيم وتأسيس العمل العام مبني على وعي الإنسان، في بناء ذاته وبناء وعيه بالمشروع الجماعي الذي ينتمي إليه، ويتمتع بكافة حقوقه فيه، ويؤدي كافة الواجبات عليه، وفي مقدمة هذه الحقوق حرية الإنسان في فكره وثقافته واعتقاده، فهذه الحريات شروط حتمية لجعل تركيا أملاً عظيماً يثق فيه الكل من أجل غد أفضل.

لقد بنيت رؤية حزب العدالة والتنمية للنهضة

التركية المعاصرة على تفعيل دور الإنسان

التركي بكامل طاقته الكامنة، وتفجير كافة

طاقته المبدعة، وتوفير كافة عوامل نهضته اللغوية والثقافية والقيمية والتاريخية، على أساس أن الحقوق الأساسية والحريات هي مكتسبات حازتها كافة شعوب العالم المتقدم، وأصبحت تعد هذه المكتسبات مؤشراً على تقدم تلك الدول والمجتمعات، ولذا كان لا بد أن يأخذ الإنسان التركي دوره الكامل في بناء ذاته أولاً وبناء مجتمعه بحرية كاملة، بحيث تصبح رسالة النهضة هي رسالة المواطن والمجتمع والدولة معاً، وهذا لا يتوفر حتى يشعر المواطن التركي بأنه حاضر بالقوة والفعل في ميادين النهضة، وبأنه محل عناية واحترام وتقدير من مجتمعه، وأن مجتمعه ينظر له بعين الجدارة والرضا والتقدير، لقد كانت قناعات

إسلامية في تركستان الشرقية بعد أن فشلت في تصيين المسلمين وجعلهم ملحدين رغم القمع والإضطهاد ومنع المسلمين من أداء شعائر دينهم مثل الصلاة والصيام كما عرف العالم بتقنين الصين منع الصوم لأغلب المسلمين.

أعمال قمع واضطهاد

المسلمون في تركستان الشرقية (الأويغور) يواجهون القمع والإضطهاد ليس له مثيل في العالم، فقد سلبت منهم الإرادة، ممنوعون من السفر بين القرى إلا بتصريح، يتم تهجيرهم من بيوتهم لمناطق صينية وإجبار الفتيات للعمل في مصانع صينية واستغلالهن لأقصى حد في النوادي والبارات، كثير منهن آثرن الانتحار من هذا الذل والمهانة، وبالعكس يتم تهجير الصينيين كعمال وموظفين في تركستان الشرقية بالملايين وتوطينهم لتكريس الاحتلال.

ويقول ناشط وكاتب تركستاني «للأمة» رفض الإفصاح عن أسمه أن الصين حاولت وتحاول دائماً إبقاء تركستان الشرقية وأهلها خلف الستار الحديدي وممارسة القمع الوحشي كما يحلو لها والعالم كله بلا استثناء فضلاً عن إخوانهم في العقيدة نسوا أن هناك أناس مسلمون من الجنس التركي وعددهم بالملايين أصبحوا لقمة سائغة للتين الصيني ويتم تذويبهم وسط المليار من البشر.

وتابع قائلًا: العجيب والمخزي أن العلماء والمثقفين لا يعرفون أن هناك منطقة تحتلها الصين منذ ١٩٤٩م يعيش فيها ٣٠ مليون مسلم من العرق التركي بل هم أبو الأتراك.

وتطالب منظمات حقوقية، بعد تلك المجازر البشعة واللا إنسانية الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان والدول المتشددة بالديمقراطية وحقوق الإنسانية أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه إنتهاك الصين الفاضح لحقوق الإنسان في تركستان الشرقية.

حرية تأسيس الأحزاب السياسية بوصفها مؤسسات مدنية تترجم الرغبات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وجعل مهمة الأحزاب السياسية هي نقل قضايا الشعب إلى جدول أعمال الهيئات التشريعية والتنفيذية، والهدف من ذلك تثقيف المواطن التركي بثقافة سياسية واضحة، من مهمتها بيان ان السياسة هي إرادة مجتمع ما في بناء مفهوم حاضره بالقواعد والطرق الصحيحة والتخطيط لمستقبله بشكل سليم، ومن أجل جعل إرادة الأمة هي منطلق كل فعل، وأن أي ممارسة لا تعكس إرادة الأمة لا يمكن التسامح بشأنها.

إن التأكيد على حق المواطن بالعمل الحزبي السياسي هو من أسس بناء المشروع النهضوي لأي أمة، وهذا يشمل التأكيد على حرية وحق المواطنين وأعضاء الأحزاب في الانتخابات والترشح لها، سواء في انتخابات بلدية أو برلمانية أو رئاسية، وحث المواطنين على ممارسة هذا الحق الانتخابي، فهو الذي يمد مؤسسات الدولة السياسية التشريعية والتنفيذية بالدماء الجديدة، والكفاءات الشبابية المتعلمة، ويجدد حيوية الدولة، وهو الذي يبعد العناصر التقليدية والقديمة والتي استنفذت قواها في العمل السياسي القديم والضعيف، ويشعر جميع المواطنين بأنهم شركاء في بناء الوطن وإدارته أيضاً، مما يستدعي باستمرار إتباع سياسة حازمة ضد جميع المحاولات الرامية إلى تضيق نطاق الممارسة السياسية، أو التقليل من هيبتها واحترامها، فالهدف العام هو إعطاء الدور الأكبر للمواطنين للمشاركة الديمقراطية، لزيادة التأثير الشعبي في المشروع النهضوي والعملية السياسية، ومن أجل جعل وعي الإنسان بأنه مواطن تركي يمثل أساس وحدة مجتمعه وتماسكه، وأساس تقدم تفكيره، ومواصلة نجاحه وازدهاره

إن محور نجاح التنمية في التجربة التركية

حزب العدالة والتنمية الذي قاد النهضة في العقد الأخير بان الشعب التركي يتمتع برجاحة في العقل وقدرة على اختيار الأصوب، ومع ذلك فقد عمل على تثقيف الشعب بما يلزمه من معارف ومعلومات وثقافة نهضوية، وبالأخص في جانب حقوق المواطن ودوره في المشروع النهضوي، وتزويده بكل ما يلزم لبناء الإنسان الذي يقوم بما يوكل إليه من واجبات على معرفة وعلم وتقنية كافية، وتعليم جامعي أو تخصصي للقيام بما يقوم به بكل ثقة واقتدار.

إن أهم عنصر من عناصر الثقة في المجتمع

هو إيمان الأفراد الذين يعيشون فيه بان حقوقهم وحياتهم مصانة، فهذا الإيمان يمثل القوة الأساسية المحركة لكافة الديناميات الاجتماعية والاقتصادية، وفضلاً عن ذلك فإن احترام حقوق وحيات الأفراد شرط أساسي من أجل تقبل المجتمع للنظام السياسي الديمقراطي، ومن أجل إقرار السلام والاستقرار الاجتماعي.

لقد وفر الحزب ثقافة متوازنة لكل إنسان

تركي من أجل بناء الثقافة الاجتماعية المتوافقة حول أسس الأمن الاجتماعي، فالدولة التي تؤكد في دستورها بأنها دولة علمانية، مطالبة أن تثقف مواطنها بالقيم التي ينص عليها الدستور، وحتى يقوم المواطن بدوره على أكمل وجه، ولقد تم تعميم حق كافة المواطنين في الوصول إلى المعلومات والتعبير عن أفكارهم بحرية، ودون تجريح لمشاعر المتدينين، وأن منعهم من ممارسة حقوقهم الدينية يعتبر أمراً معارضاً للديمقراطية ومنافياً لحقوق الإنسان وحياته، وفي نفس الوقت نشر ثقافة التسامح بين المواطنين.

ومن أجل تفعيل دور المواطن في المشروع

النهضوي فقد أكتسب حق تأسيس صحافة حرة وضمنت الحكومة حريتها سواء كانت صحافة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، وكذلك

العلمنة، لأن المطلوب الاستفادة من التجربة وليس نقل التجربة، ولا تسليم مشروعها لأيدي تركية، فهذا لن يحقق شيئاً.

إن مفهوم الدولة الحديثة ينبغي ان يساوي بين المواطنين كافة بكل قومياتهم وأفكارهم ورؤاهم السياسية، وان يكفلا حقوق أتباع الديانات كافة، فالحقوق للجميع والواجبات على الجميع بالتساوي وبما يكفله القانون، وإلغاء قسم من المواطنين أو إهدار حقوق سيكون سبب انقسام المجتمع وضعف الدولة، فالدولة كمؤسسات دستورية لا ينبغي ان تتبنى رؤية عقدية دينية، وغنما هي منظم لأفكار ومعتقدات المواطنين دون ظلم ولا عدوان.

إن تركيا دولة تمتلك زخماً من الإمكانيات والطاقات الكامنة المادية والمعنوية يأتي على رأسها كتلة سكانية شابة مفعمة بالحيوية والنشاط، وهذا متوفر عند العرب، فهم كتلة سكانية أكبر من الأتراك، والمنشود أن يصبح من هموم الدول والجمهوريات القائمة تطوير الإنسان العربي، حتى يثق المواطن بدولته، وبأنها دولة كافة المواطنين وبحكم القانون وليس بحكم العطف والمنة التي يمنحها الحاكم للمواطن، وإنما بموجب الدستور والقانون والحقوق والواجبات.

لقد كانت الدولة القانونية من أهم المكاسب التي حصل عليها الشعب التركي في تاريخه الحديث، وميزتها الأساسية احتكامها للدستور والقانون في التعامل مع المواطنين، والعكس صحيح، ويعتقد حزب العدالة والتنمية بأن المسافة التي قطعتها الجمهورية التركية إلى الآن في مسار التحول إلى جمهورية ديمقراطية ورغم الجهود المبذولة والتطور ليس كافياً، لذا يستهدف بكل البرامج التي يضعها والسياسات التي يرسمها

هو النمو في الإنسان، وان يكون عائد النجاح على الإنسان وعلى الناس، سواء في التعليم أو الصحة أو مستوى المعيشة والدخل السنوي، أن يكون في رقي وارتفاع مستمر، فإقامة مؤسسات العمل سواء كانت رسمية أو مدنية أو صناعية هي تقديم الخدمة للإنسان وللمواطنين، وما يوضع من قوانين هو تحقيق العدالة مع التنمية، فخطط الخدمات أن تشمل الجميع، فإذا شملت الجميع دون ظلم ولا فساد فهذا هو العدل الذي يقنع المواطن، بغض النظر عن مستواه الاجتماعي إن غنياً أو فقيراً، فالمهم ان يشعر المواطن بحرية وانه محل اهتمام حكومته التي ينتخبها.

إن الدول العربية قادرة ان تتجز ما قامت به حكومة العدالة والتنمية في تركيا، وأول ما ينبغي القيام به عمل استطلاع رأي عن حاجات المواطن العربي، والبحث عن أولوياته، وأين تقع عنده الحرية أو النمو الاقتصادي وأين مفهوم العدالة، أي أن على الدول العربية أن تتوجه إلى مواطنيها لتسألهم عن أولويات حاجتهم وما الذي ينقصهم، ووضع الخطط على أساس هذا الاستفتاء، ووضع البرامج التي تستجيب لحاجة المواطن، وان يكون هناك قوى تعمل بجهد لتحقيق هذه الحاجات والأهداف، سواء كانت عن طريق الأحزاب السياسية أو الحكومات التي تنتمي إلى الشعب ولا تنتمي إلى السلطة فقط.

إن هذه السياسات هي التي مكنت حكومة العدالة والتنمية من قيادة الشعب التركي والجمهورية نحو النجاح والرقي والتقدم الدولي، وأمام العرب تجربة غنية بالدروس والقيم والمشاريع، ينبغي التفكير بها جميعها، وعدم حصر قراءة التجربة في مجال معين أو على سبب معين فقط، والاستفادة من التجربة التركية والتعاون مع الأتراك لا ينبغي أن يخالطه مخاوف من العثمنة ولا

والمقترحات التي يتبناها بصدق، إلى إيصال الجمهورية التركية إلى بنية ديمقراطية تقوم على سيادة القانون وحقوق الإنسانية وحرية.

هل يجوز ذبح الكفار

والمحاربين بالمسكين؟

المكتب العلمي بهيئة الشام الإسلامية

السؤال: ما حكم ذبح أسرى الأعداء

بالمسكين؟ وهل هو فعلاً سنة نبوية يمكن اتباعها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد:

فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله بالهدى

والعدل والرحمة، فكان مما شرعه الإحسان في استيفاء العقوبات والحدود والقصاص، بأن تكون بأيسر طريقة وأسرعها، ومنع من كل ما فيه تعذيب وتمثيل، كتقطيع الأعضاء والذبح بالمسكين، فإنها من الطرق الشنيعة والمنكرة في القتل، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: جاء الإسلام بتشريعات واضحة توجب التعامل مع الأسرى بالعدل والإحسان وبما يتناسب مع إنسانيتهم واحترام آدميتهم، من تقديم المأوى والطعام المناسب، والرفق بهم وعدم تعذيبهم وإيذائهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ

الطعام على حبة مسكينة ويمناء وأسيراً﴾ [الإنسان: ١٨].

وعن أبي عريز بن عمير (أخو مصعب بن عمير) قال: كنت في الأسارى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (استوصوا بالأسارى خيراً)، فكأنوا إذا قدموا غداهم أو عشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني الخبز، بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياهم. رواه الطبراني في المعجم، وحسن إسناده الهيثمي والسيوطي.

وقال قتادة كما في تفسير الطبري: «قد أمر الله

بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه».

وقال السرخسي في «شرح السير الكبير»: «وإن رأى الإمام قتل الأسارى فينبغي له أن لا يعذبهم بالعطش والجوع، ولكنه يقتلهم قتلًا كريماً».

وقد سبق في فتوانا (حكم من وقع أسيراً في أيدينا من جنود النظام السوري) كيفية التعامل والتحقيق مع الأسرى، وأنه لا يجوز قتله دون محاكمة، إلا إذا دعت الضرورة الحربية إلى ذلك.

ثانياً: الأصل فيمن استحق القتل من الأسرى بعد القدرة عليه أن يقتل بأيسر طريقة ممكنة، وأقلها إيلاًماً وتعذيباً.

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: ثنَّان حفظُهما عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»، رواه مسلم.

فقد دل قوله ﷺ (فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ): على وجوب اختيار أحسن طريقة للقتل، وذكر الإمام النووي أن الحديث: «عَامٌّ فِي كُلِّ قَتِيلٍ مِنَ الذَّبَائِحِ، وَالْقَتْلُ قِصَاصًا، أَوْ حَدًّا».

والطريقة الأيسر والأسهل للقتل هي: ضرب مؤخرة العنق بالسيف ضربة واحدة يكون بها زهوق الروح، وقد جرى العمل على ذلك في مختلف العصور والأزمان.

قال ابن القيم في كتاب «الصلاة»: وضرب العنق بالسيف أحسن القتل وأسرعها إزهاقاً للنفس، وقد سنَّ الله سبحانه في قتل الكفار المرتدين ضرب الأعناق دون النخس بالسيف. وإذا كان غير السيف أيسر وأسهل وأسرع في إزهاق الروح، فلا حرج من العمل به كالقتل رمياً بالرصاص.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: «وَالْإِحْسَانُ فِي قَتْلِ مَا يَجُوزُ قَتْلُهُ مِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ

إِزْهَاقُ نَفْسِهِ عَلَى أَسْرَعِ الْوُجُوهِ وَأَسْهَلِهَا وَأَوْحَاهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ فِي التَّعْذِيبِ، فَإِنَّهُ إِيْلَامٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ. وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ... وَالْمَعْنَى: أَحْسِنُوا هَيْئَةَ الدَّبْحِ، وَهَيْئَةَ الْقَتْلِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْإِسْرَاعِ فِي إِزْهَاقِ النَّفْسِ الَّتِي يُبَاحُ إِزْهَاقُهَا عَلَى أَسْهَلِ الْوُجُوهِ... وَأَسْهَلُ وَجُوهِ قَتْلِ الْإِنْسَانِيِّ: ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى الْعُنُقِ».

وقال ابن تيمية في «الفتاوى»: «وَالْقَتْلُ الْمَشْرُوعُ: هُوَ ضَرْبُ الرَّقَبَةِ بِالسَّيْفِ وَنَحْوِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَرْوَحُ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ».

ويستوي فيما سبق الأسير الكافر والمُرتد، كما ذكر الإمام النووي أن إقامة الحد وقتل المرتد يكون: «بالسيف ضرباً للرقة».

قال الرملي في «نهاية المحتاج»: «ولا يجوز قتله بغير ذلك؛ لخبر: (إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)».

ثالثاً: ذبح الأسير المستحق للقتل بالسكين كما تُذبح الشاة طريقة محرمة وممنوعة شرعاً؛ وذلك لعدد من الأمور، وهي:

١- منافاته لإحسان المأمور به شرعاً في القتل، كما قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ).

قال القاضي عياض في «إكمال المعلم»: «إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ» عام في كل شيء من التذكية والقصاص وإقامة الحدود وغيرها، من أنه لا يُعَذِّبُ خَلْقَ اللَّهِ، وَلِيُجْهَزَ فِي ذَلِكَ».

وقال الجصاص في «أحكام القرآن»: «فَأَوْجَبَ عُمُومُ لَفْظِهِ أَنَّ مَنْ لَهُ قَتْلٌ غَيْرُهُ: أَنْ يَقْتُلَهُ بِأَحْسَنِ وَجُوهِ الْقَتْلِ وَأَوْحَاهَا وَأَيْسَرَهَا، وَذَلِكَ يَنْفِي تَعْذِيبَهُ وَالْمُثْلَةَ بِهِ».

٢- أن في هذا تعذيباً وإيلاًماً شديداً للأسير، وقد نُهِنَا عن تعذيب الأسرى إذا لم يكن منه فائدة.

وقال ﷺ: (إِنَّ أَعَفَّ النَّاسِ قِتْلَةً: أَهْلَ الْإِيمَانِ) رواه أبو داود، وصححه ابن حبان، وحسنه السيوطي. أي: أن أهل الإيمان والتقوى هم أكثر الناس رحمةً وإحساناً في طريقة القتل.

قال المناوي في «فيض القدير»: «هم أرحم الناس بخلق الله، وأشدّهم تحريماً عن التمثيل والتشويه بالمقتول، وإطالة تعذيبه؛ إجلالاً لخالقهم، وامتنالاً لما صدر عن صدر النبوة من قوله: (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة)، بخلاف أهل الكفر وبعض أهل الفسوق ممن لم تذق قلوبهم حلاوة الإيمان، واكتفوا من مُسماهم بقلقة اللسان، وأُشْرِبُوا القسوة، حتى أبعدوا عن الرحمن، وأبعدوا القلوب من الله القلب القاسي، ومن لا يرحم لا يرحم».

وجاء في «عون المعبود»: «(أَعَفَّ النَّاسِ قِتْلَةً) بِكَسْرِ الْقَافِ: هَيْئَةُ الْقَتْلِ، أَي: أَكْفَهُمْ وَأَرْحَمَهُمْ مَنْ لَا يَتَعَدَّى فِي هَيْئَةِ الْقَتْلِ الَّتِي لَا يَجِلُّ فِعْلُهَا مِنْ تَشْوِيهِهِ الْمَقْتُولِ وَإِطَالَةِ تَعْذِيبِهِ، (أَهْلُ الْإِيمَانِ) لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْكُفْرِ».

٣- أن القتل ذبحاً طريقة لم تُعهد عن المسلمين منذ عهد النبي ﷺ وصحابته ومن بعدهم من أهل العلم والقضاء، فنسبة هذا الأمر إلى السنة منكر من القول، وادعاء بلا علم.

وإنما عُرفت هذه الطريقة في القتل عن الخوارج الأولين، كما جاء في كتب التاريخ والسِّيَر (أنهم ذَبَحُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَبَّابٍ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، ثُمَّ قَرَّبُوا أُمَّ وَلَدِهِ فَبَقَرُوهَا عَمَّا فِي بَطْنِهَا). فهي سنة خارجية، لا سنة نبوية.

٤- أن الشرع فرّق بين قتل الإنسان والحيوان، كما في الحديث: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَ).

فجعل القتل للإنسان، والدبْح للحيوان، مما يدل على الطريقة المشروعة لإزهاق الروح في كليهما.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

قال السمعاني: «معنى قوله: ﴿يُدَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أي: يقتلون».

وقال الحميدي في «تفسير غريب الصحيحين»: (وقوله: أمرني أن أحرق قريشاً): كناية عن القتل، كقوله عليه السلام: (جئتكم بالذبح).

وقال الزبيدي في «اتحاف السادة المتقين»: «لقد جئتكم بالذبح: أي بالقتل». وكذلك ذكر عبد الغني المقدسي في «المصباح في عيون الصحاح» أنه هذه الكلمة «كناية عن القتل».

ويؤكد ذلك أن هؤلاء الأشخاص الذين توعدهم النبي ﷺ بهذا الوعيد، كأبي جهل وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وغيرهم ممن ورد ذكرهم في الروايات: لم يذبح أحداً منهم بالسكين، بل كان مصيرهم القتل ضرباً بالسيف في غزوة بدر كسائر قتلى المشركين.

ثم إن هذه الجملة (لقد جئتكم بالذبح) لم يقلها النبي ﷺ لجميع الكفار، ولا لعموم قريش، بل لبعض من اشتدت أذيته منهم له وللمسلمين، فلا يجوز جعلها شعاراً عاماً مع جميع الناس والكفار في كل زمان ومكان!!

٣- أنه لم يصح عن النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه ذبح أحد من الكفار أو المحاربين، وما ورد من روايات تشير إلى قطع رؤوس بعض الكفار: فلا يصح منها شيء، ولو صحت فلا حجة فيها على الذبح حال الحياة، بل غاية ما تدل عليه قطع الرأس بعد الموت لإثبات القتل، وسيأتي مزيد توضيح لهذا.

٤- كذلك ما أورده عدد من المؤرخين من أن خالد القسري أمير العراق قال في خطبة الأضحى: «يا أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح

قال ابن تيمية في «جامع المسائل»: «ففي هذا الحديث أن الإحسان واجب على كل حال، حتى في حال إزهاق النفوس، ناطقها وبهيמתها، فعلمه أن يُحسن القِتلةَ للآدميين، والذبيحة للبهائم».

رابعاً: من الخطأ والتلبيس: الاستدلال ببعض النصوص الشرعية الواردة في القتل على جواز الذبح، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾

[محمد: ٤]. فهذه الآية تتحدث عن قتل الكفار حال التحام الصفوف في الحرب، فيجوز حينئذ قتل الكافر المحارب بأي طريقة ممكنة لضرورة الحرب، وجاء التعبير بالضرب مناسِباً لطبيعة المعركة وما فيها من شدة وقسوة.

قال ابن كثير في تفسيره: «أي: إذا واجهتهموهم فاحصُدوهم حصداً بالسُّيُوف».

وقال القرطبي في تفسيره: «وَقَالَ: (فَضْرَبَ الرِّقَابِ) وَلَمْ يَقُلْ فَاقْتُلُوهُمْ، لِأَنَّ فِي الْعِبَارَةِ بِضَرْبِ الرِّقَابِ مِنَ الْعُلْطَةِ وَالشَّدَّةِ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِ الْقَتْلِ، لِمَا فِيهِ مِنْ تَصْوِيرِ الْقَتْلِ بِأَشْنَعِ صُورِهِ، وَهُوَ جَزُّ الْعُنُقِ، وَإِطَارَةُ الْعُضْوِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْبَدَنِ وَعُلُوُّهُ وَأَوَجُهُ أَعْضَائِهِ».

ثم إن «ضرب الرقاب» يختلف عن «الذبح بالسكين»، فالأولى تكون بضربة واحدة بالسيف تزهق بها الروح مباشرة، خلافاً للذبح الذي يكون بمعالجة وتكرار إمرار السكين على الرقبة، مما يؤدي لتعذيب المقتول وزيادة إيلامه أثناء إزهاق الروح.

٢- وأما قوله ﷺ لنفر من قريش بعد أن أكثروا من إيذاؤه وهو يطوف: (أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ) رواه أحمد.

فلا يصح الاستدلال به على جواز ذبح الأسرى كالنعا؛ لأن الذبح هاهنا كناية عن القتل، كما في

بالجعد بُن درهم (وكان من رؤوس الضلال)، ثم نزل فذبحه». فإن هذه الحادثة لا تُروى بسند صحيح.

ولو صحت فالمراد من الذبح هنا: القتل بالسيف، كما هو معتاد في إقامة العقوبات، وإنما عبّر عن القتل بالذبح والتضحية؛ لأن القتل كان في عيد الأضحية.

قال المعلمي في «التتكيل»: «وإنما سماه تضحية؛ لأنه إراقة دم يوم الأضحية تقريباً إلى الله تعالى، فشبهه بالضحية المشروعة من هذا الوجه كما سمى بعض الصحابة وغيرهم قتل عثمان رضي الله عنه تضحية لأنه وقع في أيام الضحية...

قال أيمن بن خريم: ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى... وأي ذبح حرام ويلهم ذبحوا».

وهذا موجود في استعمال الناس حيث إنهم يعبرون عمن يقتل في العيد بقولهم « ضحوا به ».

فضلاً على أن هذه الحادثة ليست من الأدلة الشرعية التي يستند عليها في تقرير الأحكام.

خامساً: أما مسألة «حرّ الرأس وقطعه» بعد الموت، فهي من المثلة المنهي عنها شرعاً.

فعن عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه، قال: (نهى النبي ﷺ عن المثلة) رواه البخاري.

وكان ﷺ يوصي أمراءه بقوله: (لَا تَغْلُوا ، وَلَا تُغْدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً...) رواه مسلم. وعن عمران بن حصين قال: (مَا قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَظِيْبًا إِلَّا أَمَرْنَا بِالصَّدَقَةِ، وَنَهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ) رواه أحمد وأبو داود.

والمثلة والتمثيل: هي تشويه الجثة أو قطع عضو من أعضائها. قال ابن الأثير في «النهاية»: «مَثَلْتُ بِالْقَتْلِ، إِذَا جَدَعْتُ أَنْفَهُ، أَوْ أُذُنَهُ، أَوْ مَذَاكِرَهُ، أَوْ شَيْئاً مِنْ أَطْرَافِهِ». قال ابن عبد البر في «الاستذكار»: «فَالْمَثَلَةُ مُحَرَّمَةٌ فِي السُّنَّةِ الْمُجْتَمَعِ

عَلَيْهَا». ويدخل في المثلة: قطع رأس الميت.

قال السرخسي في «شرح السير الكبير»: «إِبَائَةُ الرَّأْسِ: مَثَلَةٌ». ويشهد الأمر قبحاً إذا تم حملها ونصبها وعرضها على مجامع الناس ليشاهدوها.

روى النسائي في «السنن الكبرى» - بسند صحيح كما قال الحافظ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، وَشَرَحْبِيلَ ابْنَ حَسَنَةَ، بَعَاَهُ بَرِيداً بِرَأْسٍ (يُنَاقِ الْبَطْرِيقَ) إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالرَّأْسِ أَنْكَرَهُ.

فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِنَا.

فَقَالَ: أَفَأَسْتَبَئُ بِفَارِسَ وَالرُّومِ؟ لَأَ يُحْمَلَنَّ إِلَيَّ رَأْسٌ، فَإِنَّمَا يَكْفِينِي الْكِتَابُ وَالْخَبَرُ.

وفي رواية أخرى عند البيهقي أنه قال: (إِنَّمَا هَذِهِ سُنَّةُ الْعَجَمِ). وفي «سنن سعيد بن منصور» عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «لَمْ يُحْمَلْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَأْسٌ قَطُّ، وَلَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَحُمِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَأْسٌ، فَأَنْكَرَهُ».

وقال في «النوادر والزيادات»: «قال سحنون لا يجوز حمل الرؤوس من بلد إلى بلد ولا حملها إلى الولاية».

فكيف بما شاهدناه من لعب وركل للرؤوس بالأقدام؟! أو حرقها، أو نصبها في طرق الناس وساحاتهم؟ مع التلذذ بسفك الدماء والتمثيل بالجثث، في جرائم تشمئز منها النفوس السوية، والتي لم تُعرف عبر التاريخ إلا عمن شابهم في الإجماع والانحراف.

وما ورد أن الرسول ﷺ قد حُمِلَتْ لَهُ بعض رؤوس أعدائه، كإتيانه برأس كعب بن الأشرف، أو الأسود العنسي، أو رأس رفاعه بن قيس، واحتزاز ابن مسعود لرأس أبي جهل في غزوة بدر، وحديث (الرجل الذي تزوج امرأة أبيه): فجميع الروايات التي فيها قطع الرؤوس واحتزازها

ضعيفة، ولا يثبت أن الرسول ﷺ حُمل إليه شيء منها، وإنما الثابت قتلهم فحسب.

قال الإمام أبو داود السجستاني في «المراسيل»: «في هذا أحاديث عن النبي ﷺ، ولما يصح منها شيء».

وما ذكره أهل العلم والتاريخ من بعض الحوادث التي حصل بها قطع رؤوس الأعداء في المعارك، فهذا إنما كان في أحوال خاصة لتحقيق مصلحة عظمت تقتضي ذلك، كاستنقاذ بعض المسلمين من الأعداء، أو رفع الحصار عنهم، ونحو ذلك.

قال السرخسي: «أكثر مشايخنا رحمهم الله على أنه إذا كان في ذلك كبتٌ وغيظٌ للمشركون أو فراغ قلبٌ للمسلمين بأن كان المقتول من قواد المشركون أو عظماء المبارزين: فلا بأس بذلك».

ومن ذلك ما ذكره الذهبي في «السير» من إحاطة الأعداء بجيش المسلمين، فقال عبد الله بن الزبير: «فخرقت الصف إلى جرجير» (قائد المشركون) وما يحسب هو وأصحابه إلا أني رسولٌ إليه حتى دنوت منه، فعرف الشر فثار بردونه، فأدركته، فطعنته، فسقط، ثم احتزرت رأسه فنصبته على رمح، وكبرت، وحمل المسلمون، فهرب أصحابه من كل وجه».

ونخلص من جميع ما سبق:

أنه لم يرد نص شرعي صحيح صريح يدل على جواز ذبح العدو حيًّا، فضلاً عن أن يكون سنة نبوية متبعة! وأن النصوص وردت بالتفريق بين القتل والذبح، وجعلت الذبح خاصاً بالبهائم.

ولو لم تصرح النصوص نصاً على منع الذبح بالسكين؛ لما جاز فعله لما فيه من مفسد كثيرة، من التنفير من الدين والصد عنه، وتكثير الأعداء وتآليبهم، قال الشاطبي في «الموافقات»: «النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ مقصودٌ شرعاً».

ونشره على الاعلام أشد ضرراً، وقد كان

النبي ﷺ يراعي في تصرفاته (الناحية الإعلامية)، فامتنع عن قتل بعض المنافقين حتى (لا يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)، فصورة الإسلام في الأذهان أهم من «النكاية بالعدو»، فكيف إذا كان القتل بطريقة تثير الاشمئزاز!!

وأخيراً:

فإن ما سبق من تأصيل إنما هو في قتال المسلمين لأعدائهم الكفار أو المحاربين، أما ما تتداوله الأخبار والمواقع من تصرفات تنظيم (الدولة) في كيفية قتل معارضيه، فلا يمت لهذه المسألة بصلة.

فأين قتال المسلمين من تصرفات هؤلاء المجرمين في نحر المجاهدين وأهل العلم والجهاد أو عامة المسلمين بتهمة الردة، أو إغاظة عامة المسلمين وإخضاعهم لدولتهم كما يزعمون؟

وأين الإحسان في القتل من تصرفات هؤلاء في جر الأسرى وسحبهم، وسبهم وشتيمهم، وإظهار التشفي بهم قبل الذبح، مع الصياح والتهريج وإظهار النشوة والتلذذ بذلك، والمفاخرة به وعرضه على عموم الناس.

وجميع ذلك من محادة الله ورسوله بالقتل بغير حق، والإفساد في الأرض، ويكشف عن نفوس مريضة مجرمة، وقلوب قاسية متحجرة، اتخذت الغلو مطية لها في تنفيذ مآربها ووحشيتها.

نسأل الله بحوله وقوته أن يرحم إخواننا

المستضعفين في سوريا، وأن يقمع عدوهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ضياع صنعاء هل يوقظنا



الجهاد في سوريا
حتى لا تتكرر مأساة
العراق مع القاعدة

28

متى ترد الحركات
الإسلامية
الصاع لإيران؟

12

عصائب أهل الحق ..
جنود سليمان
ودمه المرجعية

4



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٣٨)

ذو الحجة - ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

❖ ضياع صنعاء هل يوقفنا؟ ٢

فرق ومذاهب

❖ عصائب أهل الحق....جنود سليمان ودمى المرجعية ٤
معتز بالله محمد

سطور من الذاكرة

❖ الوجه الآخر: ١١- عيسى قاسم ٨
هيثم الكسواني

❖ ابن العربي يحاور الباطنية ١٠
د. عمر الأشقر

دراسات

❖ متى ترد الحركات الإسلامية الصاع لإيران ١٢
بوزيدي يحيى

❖ قراءة للمنطقة بعد الحلف الأمريكي الجديد ١٨
صباح العجاج

❖ السيسي وزعيم البهرة ... ماذا وراء اللقاء؟ ٢٠
أسامة الهتمي

❖ مشكلات المرأة المسلمة.. مقاربة واقعية ٢٤
فاطمة عبد الرؤوف

كتاب الشهر

❖ الجهاد في سوريا حتى لا تتكرر مأساة العراق مع القاعدة ٢٨
أسامة شحادة....

قالوا

..... ٣١

جولة الصحافة

❖ اليمن... موطن القدم الإيرانية! ٣٣
بدر العامر

❖ صنعاء أخطر من دمشق ٣٤
غسان شربل

❖ سقوط صنعاء هل وعى العرب حقيقة المعركة؟ ٣٦
د. طه الدليمي

❖ هل يكرر الحوثيون باليمن تجربة حزب الله اللبناني؟ ٣٨
سمير حسن

❖ هل دخلنا العصر الإيراني؟ ٣٩
أياد أبو شقرة

❖ كيف ترك المالكي العراق؟ ٤١
د. عمران الكبيسي

❖ بروباغندا الخلاف الإيراني - الأمريكي ٤٢
عبد الرحمن الراشد

❖ لغز "داعش" والغرب ٤٣
منار الشواني

❖ أكثر من ٥٠ ميليشيا شيعية تقطع الرؤس في العراق.. لا يهتم بها أحد ٤٤
الإسلاميون

❖ وماذا عن دواعش الآخرين ٤٨
أسامة شحادة

❖ وقد الأزهر في إيران ٥٠
جمال سلطان

❖ الشيعة والزيارة الأضرحة المربية ٥١
الهيثم زعفان

❖ مقاتلون من حركة الجهاد يمدحون بشار وخامنئي.. ٥٣
ياسر البعلبكي

❖ تقرير يفضح حملة الصين للقضاء على الإسلام في شينجيانغ ٥٨
مفكرة الإسلام

❖ تزييف الوعي الجمعي بتأريخ الأمة الإسلامية - غرب إفريقيا نموذجاً ٥٩
عبد الله موسى

❖ لقاء الوفد البهائي مع رئيس القومي لحقوق الإنسان ٦٢
علي رجب

❖ بيان من الهيئة العالمية للسنة النبوية بشأن موقف حكومة السودان من التشيع ٦٣

❖ السودان وإيران: تبعات انهيار التحالف ٦٤
د. فاطمة الصمادي

❖ يا أهل السنة كفى ٦٦
موقع منتدى المفكرين

..... ٧١

للأسف كثير من جماعات الإخوان المسلمين والقريبة منها كهيئة علماء المسلمين في العراق

لا تزال تحسن الظن بالشيعة وإيران وحزب الله وبقية القوى الشيعية، وتظن أنها يمكن أن تستفيد من إيران في مواجهة إسرائيل وأمريكا والأنظمة العربية المعادية لجماعة الإخوان، وهذا وهم كبير، يجب عليهم التخلي عنه علناً والاعتذار للأمة عن تقريظهم بحقها في تلميع إيران وتمجيدها، فسكوت الإخوان لليوم عن خيانة وضلال وانحراف الشيعة وإيران أو التصريحات المحايدة أو المنحازة لهم قليلاً أو كثيراً، أمر مرفوض بكل المقاييس، وخاصة من حركة حماس وقادتها.

ويجب على جماعة الإخوان أن تجري مراجعة عميقة وواضحة تجاه موقفها الرمادي من

الشيعة وإيران، فاللغة الدبلوماسية والضبابية ما عادت مقبولة، بل يجب على الإخوان إعلان براءتهم من الشيعة وإيران بعد أن تيقن الجميع أن المشكلة في العقيدة والرؤية الشيعية نفسها وليس في الحسابات السياسية الخاطئة كما يحلو لبعض زعامات الإخوان أن يدغدغ المشاعر والعواطف بهذه العبارات الفارغة من التقوى والفهم.

ولم يعد مقبولاً منهم تجزئة الخطر الشيعي والإيراني بحسب المكان والزمان، بل هو خطر موحد شامل لا يختلف من مكان لآخر، فالشيعة الذين يقتلوننا في بغداد ودمشق وبيروت والمنامة وصنعاء، لن يكونوا حلفاءنا في القاهرة والرباط

ضياغ صنعاء هل يوتظنا؟

ضاعت صنعاء من يد الشرفاء والكل ينظر

ولا يتحرك، واستولى الحوثيون عليها بالخيانة والعمالة من الحراس والقادة الرسميين، والعجز والخور والغباء من كثير من الإسلاميين، ولم يكن ضياغ صنعاء عن قوة ومنعة لدى الحوثيين أو عن حق وعدل عاد لأصحابه الشرعيين.

ضاعت صنعاء وقد ضاعت قبلها دمشق

وبغداد وبيروت، فيما المنامة تترنح أمام أطماع الشيعة والصفويين، وهذا كله ليس عن قلة عدد منا ولا عن جهل منا بأطماعهم، كلا ولكن كما قال رسول الله ﷺ «بل أنتم كثير ولكنكم كغناء السيل».

تقصير الحكام والأنظمة بل خيانة بعضهم

أمر معروف ومكشوف، ولكن المشكلة الحقيقية هي في تقصير وتفريط بل خيانة وعمالة كثير من الإسلاميين بحق الإسلام والمسلمين، وهو الذي يجب أن نتصالح حوله اليوم وبكل وضوح.

إن كثيراً من الإسلاميين لا يزال يرفض

الحديث الواضح والصريح حول الخطر والعداء الشيعي والإيراني للأمة الإسلامية، وأنه اليوم هو الخطر الزاحف على الأمة والسكين التي يشقها ويمزقها ويحقق المخططات اليهودية والصهيونية والإمبريالية.

وغزة مثلاً.

أما السلفيون الذين يمتلكون موقفاً معادياً ومخالفًا للشيعة وإيران يتميزون به عن جماعة الإخوان وأمثالها ، فإنهم يفتقدون لرؤية موحدة في مقاومة التشيع وعملاً مكافئاً لمستويات المشروع الشيعي ، فضلاً عن عجز وخور قطاعات كبيرة جداً من السلفيين عن المشاركة في مشروع مقاومة التشيع ، إلا بالدعاء وتبادل المقاطع في وسائط التواصل الاجتماعي!

ففي اليمن قاوم السلفيون والإخوان عدوان الحوثي متفرقين ، فلم ينصر الإخوان (حزب الإصلاح) دماج مثلاً حين تعرضت للعدوان الحوثي ، وفي نفس الوقت لم تُنصر دماج من قبل بعض المناطق الأخرى حين اعتدى عليها الحوثي ، وبعض السلفيين أيضاً قام بانتظار دوره في تلقي عدوان الحوثي بدلاً من أن ينفر لنصرة إخوانه السلفيين ضد الحوثيين ، فكانت النتيجة أن هزمهم الحوثي واحداً واحداً حتى ابتلع صنعاء وهم ينظرون.

إن بقاء الإسلاميين يرفعون شعارات الوحدة والأخوة الإسلامية وأهمية عقيدة الولاء للمؤمنين ، دون أن يطبقوا ذلك على أنفسهم حقيقةً يدخلهم في دائرة قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ، وهذا المقت الرباني يكون بإنزال الهزائم بنا وأن نذوق الذلة والمهانة على يد الشيعة فتتهب البيوت وتسرق ، وتعطل الدعوة ودروس العلم ، ويسجن الموحدون ويقتل الرجال وتغتصب النساء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سقطت بيروت بيد الشيعة من ثلاثين سنة ولم نستيقظ ، وسقطت بغداد بيدهم من عشر سنوات ولا نزال لم نفق ، وسقطت دمشق من سنوات عدة ولم نتعلم ، وها هي صنعاء تسقط وتضيع ونحن نتفرج ، والمنامة والرياض والكويت وبقية العواصم

أسمائها مدرجة في قوائم أطماع الشيعة وإيران ، فهل نستفيق قبل فوات الأوان ، ونعمل على حماية ما تبقى بداية من العواصم العربية ، ومن ثم نعمل على استرداد ما ضاع؟

ما هو المطلوب ، هذا هو لب القضية ومحور اهتمام العقلاء ، ونوجزه في النقاط التالية:

❖ التعاون الصادق والحقيقي على أسس علمية بين مكونات التيار الإسلامي علماء ودعاة وجماعات وجمعيات وأحزابا.

❖ الاتفاق الواضح والصريح والمعلن على أن الخطر الشيعي والإيراني لا يقل اليوم عن الخطر الإسرائيلي والأمريكي والروسي.

❖ تجريم أي فصيل إسلامي يتعاون أو يتساهل مع الشيعة والأطماع الإيرانية ، والتشهير به علناً.

❖ العمل على محاصرة منافذ تسلل العدوان الشيعي عبر الجماعات والمؤسسات والأفراد ، تحت أي شعار كان ثقافياً أو سياسياً أو فكرياً.

❖ توفير البديل عن المال الشيعي والإيراني للمنشط والمؤسسات المختلفة.

❖ تهيئة كوادر ناضجة ومؤهلة للتصدي للمشروع الشيعي والإيراني فكرياً وسياسياً وإعلامياً وشرعياً ، من بلدان ولغات وعرقيات متنوعة ، حتى لا تنحصر المقاومة ببلد أو إقليم دون سواه.

❖ القيام بحملات توعية شعبية بالخطر الشيعي والإيراني ووضع الخطط اللازمة لتحسين الجماهير من خداع قنواتهم الفضائية.

ما لم يتحرك جميع التيار الإسلامي للدفاع عن نفسه وحمايته من عدوان وأطماع الأعداء الكثر فإننا نكرر بهذا مأساة المسلمين زمن التتار حين كانوا ينتظرون قدوم التتري لذبحهم وهم ينظرون!!

ما اصطلح على تسميتها بفرق الموت، والتي لا تزال ترتكب جرائمها في بلاد الرشيد ضد السنة بدعم من الحكومات الشيعة المتعاقبة.

والعصائب هي ابنة إيران غير الشرعية، فقد تلقى عناصرها التدريبات على اغتيال أهل السنة، وتفجير المنازل، والقتل على الهوية على يد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني برئاسة الجنرال قاسم سليمان، فيما مولت طهران عمليات العصائب كباقي الميليشيات الشيعية التي ترعرت في كنف الملالي منذ بداية الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

بدايات الانشقاق

وتعود النشأة الأولى للعصائب إلى عام ٢٠٠٤ عندما وقّع جيش المهدي (الجناح العسكري للتيار الصدري) بزعامة مقتدى الصدر اتفاقاً لوقف إطلاق النار مع المحتل الأمريكي والحكومة العراقية،

فأعلن قيس الخزعلي ومعه عبد الهادي الدراجي وأكرم الكعبي، وجميعهم من قادة جيش المهدي الانشقاق عن الصدر مع مجموعة تقدر بالمئات من المقاتلين، الذين قرروا الاستمرار في القتال.



عصائب أهل الحق...

جنود سليمان ودمى المرجعية

معتز بالله محمد (*) - خاص بالرائد

عادت مليشيا عصائب أهل الحق الشيعية

لتطفو مجدداً على السطح في ظل اشتراكها مع قوات البيشمركة وقوات الجيش العراقي في المعارك الطاحنة ضد تنظيم داعش بالعراق، بغطاء جوي أمريكي.

لكن الدور الذي

لعبته العصائب منذ

تأسيسها عام ٢٠٠٤

تجاوز بكثير التصدي

لتنظيم متشدد، فالمتتبع

لتاريخ العصائب يجد أنها

لعبت دوراً بارزاً في الحرب

الطائفية التي شهدتها

العراق ابتداءً من عام

٢٠٠٦، وتحديداً منذ

التفجير المدبر لمرقد

الإمامين الهادي والعسكري بسامراء، فكانت أحد أهم الميليشيات الطائفية التي تقتل على الهوية أو

(*) كاتب مصري.

عملية «مور»

التكامل بين إيران والمالكي والعصائب بدا واضحا في العملية التي نفذتها العصائب في ٢٩ مايو ٢٠٠٧ عندما اختطف خبير تكنولوجيا المعلومات البريطاني بيتر مور وحراسه الأربعة، من داخل مبنى وزارة المالية العراقية، حيث قام ٤٠ من عناصر المليشيا بتنفيذ العملية وهم يرتدون الملابس العسكرية الحكومية وتقلهم السيارات الرسمية.

صحيفة «الجارديان» البريطانية كشفت أن عملية اختطاف الخبير وحراسه الذين قتلوا بعد ذلك، جاءت لمنع الكشف عن عمليات فساد مالي كبيرة كان الخبير البريطاني بصدد كشفها عبر إدخال برامج حاسوبية تشرف على التعاملات المالية وتكشف حجم التلاعب والسرقات والاختلاسات.

أطلقت القوات الأمريكية والعراقية سراح أكثر من ١٠٠ من مقاتلي الجماعة من ضمنهم شقيق الخزعلي، ثم ما لبثت أن أطلقت سراح قيس الخزعلي نفسه في يناير ٢٠١٠ مقابل إطلاق سراح الخبير البريطاني.

وفي يوليو ٢٠١٤ اعتذر الخزعلي في حديث لتلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) عن عملية اختطاف الخبير وقتل حراسه الأربعة وقال إن العملية «كان يجب ألا تحدث». وأنحى الخزعلي باللائمة على بريطانيا في مقتل الرهائن.

بنهاية عام ٢٠١٠ أعلن عن انضمام قادة معروفين لفرق الموت الطائفية للعصائب من بينهم المدعو أبو درع الذي كان يقوم بتعذيب أهل السنة في العراق بنفسه وقتلهم بالمشابك الكهربائي، وكذلك أبو مصطفى الشيباني، وذلك بعد عودتهم من إيران، فيما أصبح آية الله العظمى كاظم الحائري زعيما روحيا للجماعة.

ورغم المصالحة التي تمت بين جماعة الخزعلي ومقتدى الصدر في منتصف ٢٠٠٥ إلا أنه في يوليو ٢٠٠٦ تم الإعلان عن تأسيس مليشيا «عصائب أهل الحق» بشكل رسمي، والتي بدأت في الاستقلال التام في نوفمبر ٢٠٠٨ عن جيش المهدي، بعد قرار الصدر بحل الأخير، واستبداله بمليشيا «لواء اليوم الموعد» التي رفض الخزعلي الانضمام إليها.

تزعم مليشيا العصائب أنها نفذت أكثر من ستة آلاف عملية ضد الاحتلال الأمريكي، فيما تتهمها الكثير من جماعات المقاومة السنية بسرقة عملياتها ونسبها لنفسها على الإنترنت. ورغم ذلك فقد نفذت العصائب عددا من العمليات كقتل وخطف عسكريين أمريكيين وغيبيين، ما أدى لاعتقال عدد من قادتها كقيس الخزعلي نفسه وشقيقه ليث، وعلي موسى دقدو، وهو أحد أعضاء حزب الله اللبناني والذي كان يعمل مستشارا للخزعلي ومنسقا بين العصائب وحزب الله. في هذه الفترة تولى أكرم الكعبي قيادة المليشيا.

أدوار وعرائس

تميزت تلك الفترة بهروب عدد كبير من أعضاء الجماعة إلى إيران لتلقي التدريبات على تكتيكات وأساليب قتالية جديدة، وهنا تبرز المفارقة، ففي حين كان رئيس الوزراء السابق نوري المالكي، الذي يدين حتى النخاع بالولاء ل طهران، فإن الأخيرة هي التي تلقفت الفارين من تحت قبضة قواته الأمنية حين تصارعا على النفوذ في العراق، الأمر الذي يؤكد أن نظام الملالي في قم وضع لكل طرف من شيعة العراق دورا مرسوما، وظل يحركهم كالعرائس، لتكتمل الصورة في النهاية كما أراد لها أن تكون، وهو ما سيتضح من التقارب الكبير بين المالكي والعصائب فيما بعد.

عسكرياً تتوزع المليشيا على أربعة ألوية، أولها لواء الإمام علي وهو المسئول عن المحافظات الشيعية التسع في الجنوب، ولواء الإمام الكاظم في غرب بغداد، والذي يشمل السيطرة على بعض المناطق السنية، والإمام الهادي وهو اللواء المسئول عن شرق العاصمة، ولواء الإمام العسكري في المناطق الشيعية وسط العراق، إضافة لبعض مناطق الشيعة في محافظتي نينوى وكركوك.

تنسيق وطائفية

بدأت العصابات في تصعيد جرائمها الطائفية ضد أهل السنة بعد الإعلان عن انسحاب الاحتلال الأمريكي من العراق نهاية عام ٢٠١١، واتضح مستوى التنسيق مع حكومة المالكي، ففي بغداد تم تهجير السنة واحتلال منازلهم وتصفية رموزهم، حتى المساجد تم الاستيلاء على عدد منها وتحويلها إلى مساجد شيعية ومنع السنة من دخولها، مثلما حدث في مسجد بحى الأمين الثاني بمنطقة بغداد الجديدة في أغسطس ٢٠١٢ على سبيل المثال لا الحصر.

نفوذ مليشيا الخزعلي بدا واضحاً في الشارع العراقي، مقابل غض الحكومة الطرف عن جرائمها، ففي أغسطس وسبتمبر ٢٠١٢ قامت العصابات بحملة وزعت فيها أكثر من عشرين ألف ملصق لعللي خامنئي المرشد الأعلى للثورة الإيرانية في أرجاء العراق، وخرج مسئول كبير بحكومة المالكي يقول إن عمال البلدية يخشون إزالة الملصقات خوفاً من عقاب عناصر المليشيا.

صراع الديكة

لم تصف العلاقة على الإطلاق بين مقتدى الصدر والخزعلي، منذ انشقاق الثاني، فداًئماً ما نظر الأول للثاني على أنه خرج من تحت عباءته وتحداًه ليصبح فيما بعد منافساً له ولشعبيته بين المجتمع الشيعي.

وفي يونيو ٢٠١٣ قال الصدر في بيان له إن العصابات مجرد «مجموعة قتلة لا دين لهم ولا ورع»، واصفاً إياهم بـ «أهل الباطل»، ومع إعلان العصابات الانخراط في العملية السياسية - وهو ما سنتعرض له لاحقاً - قال الصدر - الذي سبق واشترط في السابق عودتهم نادمين إلى التيار الصدري كشرط وحيد لإمكانية الصلح معهم - «إنهم عشاق كراسي «مضيفا» أموالهم بدد، ووجودهم عدد سيزول، وهذا ما سيظهر خلال أيام الانتخابات». وتابع الصدر «تعسا لمن شق الصف وأضعف الوحدة».

الصراع بين الطرفين وصل حد الاشتباك بالأسلحة بين مؤيدي كل منهما في حي الكاظمية ببغداد، ومحاولة العصابات اغتيال حازم الأعرجي، مدير مكتب الصدر، ما حدا بالآخر للخروج والإعلان أن رجال الخزعلي - أو أهل الباطل كما يصفهم - «تعدوا الخطوط» مؤكداً أن «القتل والقتال ليس من صلاحيتهم لا في العراق ولا سوريا حتى وإن كانت الحكومة تدعمه». ولم يفلح لقاء نظمه كاظم الحائري وجمع بين الصدر والخزعلي بتاريخ ٦ - ٦ - ٢٠١٣ في رأب الصدع بين الخصمين.

بحلول عام ٢٠١٤ كانت العصابات قد أعلنت تخليها عن السلاح وخوض غمار السياسة، وتم دمج عدد غير قليل من العصابات في أجهزة الأمن العراقية، لتصبح تلك الأجهزة طائفية بامتياز. وشكلت العصابات كتلة سياسية تسمى «صادقون»، لكن الانتخابات التشريعية التي أجريت نهاية أبريل من نفس العام أثبتت هشاشة شعبية العصابات بين الشيعة حيث لم يحصل مرشحوها سوى على مقعد واحد فقط من أصل ٣٢٨ مقعداً في البرلمان العراقي.

مع «داعش»

وبحسب تقرير الصحيفة فإن العصابات تتلقى من ١.٥ إلى ٢ مليون دولار في الشهر من إيران، وأن مقاتليها يعتبرون أنفسهم «جنود المرجعية» (أعلى سلطة دينية شيعية)، كما إن «قوتهم لا تخضع للمساءلة». ونقل التقرير عن أحد العمال قوله: «إنهم عصابات أهل الحق» موجودون في كل مكان».

عودة وجرائم

عاد الآلاف من مقاتلي العصابات من سوريا بعد سيطرة تنظيم «داعش» على الموصل وعدد من المدن العراقية. وخرج الخزعلي في إحدى المقابلات التلفزيونية ليقول إن «إرسال رجالنا للقتال في سوريا كان قراراً صحيحاً، حيث أن الخبرة التي اكتسبها مقاتلو الجماعة خلال حربهم ضد المجاميع المسلحة في سوريا كانت السبب في منع تنظيمي القاعدة وداعش من السيطرة على العاصمة العراقية بغداد».

الحقيقة أن معارك العصابات ضد «داعش» الذي تحول اسمها فيما بعد إلى «الدولة الإسلامية»، كانت مبرراً للمليشيا الشيعية لارتكاب مجازر مروعة ضد أهل السنة، كان من بينهما مجزرة جامع مصعب بن عمير، في إحدى قرى ناحية السعدية في ديالى، حيث استهدفت مليشيا العصابات المصلين وقتلت ٧٠ مصلياً سورياً، ويتوقع أن تتضاعف جرائم المليشيا هذه خلال الفترة القادمة، بعد منح أمريكا غطاءً دولياً للحرب على السنة تحت مسمى «الحرب على داعش».

وخلال الحملة الانتخابية تبنى تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام «داعش» هجوماً مزدوجاً على تجمع انتخابي لائتلاف «صادقون» في بغداد ما أدى إلى قتل ٢٨ شخصاً وجرح ١٠٠ آخرين. وقال التنظيم إنه نفذ التفجير «رداً على ما تقوم به الميليشيات الصفوية في العراق والشام من قتل وتعذيب وتهجير لأهل السنة وذبح للأطفال والنساء». في حين صرح الخزعلي أن جماعته مستعدة لمواجهة أي تحرك من «داعش»، مضيفاً أن جماعته التي وصفها بـ «حامية هذا البلد» مستعدة وجاهزة للمواجهة.

في سوريا

ولعبت العصابات دوراً كبيراً في دعم نظام بشار الأسد في سوريا، منذ أواخر عام ٢٠١٢ ويرى مراقبون أنه لولا المقاتلون الشيعة القادمون من العراق ولبنان لكان الأسد سقط خلال هذا العام، فقد ساعدوا في قلب دفة الأمور لصالح النظام بعد صدور قرار إستراتيجي من الجماعات الشيعية للدفاع عن الأسد مهما كلف الثمن.

وبدأ تدفق مقاتلي العصابات على سوريا ضمن صفوف ما سمي بلواء أبي الفضل العباس ثم قاموا بتشكيل كتائب حيدر الكرار التي يقودها أكرم الكعبي، وذلك بحجة حماية مرقد السيدة زينب رضي الله عنها، وفيما يقول الخزعلي إن معارك سوريا ساهمت في منح مقاتلي العصابات خبرات عسكرية متراكمة، ألقت صحيفة «الجارديان» البريطانية في مارس ٢٠١٤ بالضوء على خسائر المليشيا في سوريا وقالت إنها منشغلة بتجهيز أماكن لدفن قتلاها، حيث اشترت ما يزيد على ٢،٥٠٠ متر مربع من مساحات الدفن في النجف وإقامة الأضرحة لمن سقطوا في سوريا.

الوجه الآخر

١١- عيسى قاسم

هينم الكسواني^(١) - خاص به «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة لتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها ونكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الشيخ عيسى أحمد قاسم أكبر علماء

الشيعية في البحرين حالياً،

والأب الروحي لجمعية الوفاق التي تمثل أكبر تيارات شيعية البحرين. وعلى الرغم من أن قاسم يُعتبر من رؤوس الفتنة في البحرين، ومن المحرّضين على الشغب إلا أن أنصاره يحيطونه بهالة من القدسية، ويمنعون الآخرين من مجرد انتقاده، ما يجعلنا نخصص هذه الحلقة للحديث عن شخصيته، وأفكاره، ودوره في أحداث

العنف التي تشهدها البحرين من حين إلى آخر.

أولاً: حياته ونشأته

أختلف في تحديد سنة ولادة عيسى قاسم، لكنها - في كل الأحوال - محصورة بين ١٩٣٧

و١٩٤٣م^(١). ومن المعلومات القليلة المتوفرة عنه في مرحلة شبابه أنه مارس التعليم في الستينيات من القرن الماضي، ثم توجه إلى مدينة النجف بالعراق، حيث درس هناك على يد عدد من علمائها، ومنهم محمد باقر الصدر^(٢)، مؤسس حزب الدعوة العراقي.

ومع الشروع في قيام المجلس التأسيسي لوضع دستور دولة البحرين عاد قاسم إلى بلاده للترشح لهذا المجلس، واستطاع أن يفوز، وفي سنة ١٩٧١ رشح نفسه للمجلس الوطني، وفاز، وظلّ عضواً فيه إلى أن تم حل المجلس.

وكان عيسى قاسم في تلك الفترة من أبرز مؤسسي جمعية التوعية الإسلامية (١٩٧١م)، وتولى رئاستها. كما عمل هو وغيره على تأسيس الفرع البحريني لحزب الدعوة، الذي يُرجح أنه انضم إليه في منتصف الستينيات، أثناء وجوده في النجف للدراسة.

وظل قاسم رئيساً لحزب الدعوة في البحرين طيلة عقد السبعينيات إلى أن تم حله في سنة

(١) أحمد فهمي، البحرين بركان على جزيرة، مركز البيان للبحوث والدراسات، ١٤٣٢ هـ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢) الموقع الرسمي لقاسم على شبكة الإنترنت/ مكتب البيان للمراجعات الشرعية.

١٩٨٤م، وفي هذه الفترة دخل حزب الدعوة في منافسة شرسة مع التيار الشيرازي، التابع للمرجع الشيعي محمد مهدي الشيرازي.

وتوترت علاقات البحرين بشيعتها خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي نتيجة اندلاع الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، وتبني نظام الخميني مبدأ تصدير الثورة، ومحاولة شيعة البحرين استلهاً النموذج الإيراني والانقلاب والإطاحة بحكم آل خليفة^(١).

وفي بداية التسعينيات توجه عيسى قاسم إلى مدينة قم الإيرانية ومكث فيها تسع سنوات، والسبب الذي يورده أنصاره لسفره إلى إيران هو مواصلة دراسته الدينية، حيث درس هناك على يد عدد من علماء حوزتها أمثال محمود الهاشمي وكاظم الحائري وفاضل اللكراني^(٢)، في حين يرى آخرون أنه سافر بناءً على صفقة مع الحكومة البحرينية التي أصرت على إبعاده^(٣).

وفي سنة ٢٠٠١م، عاد عيسى قاسم إلى بلده التي كانت قد بدأت مرحلة جديدة من الحكم، في أعقاب تولي الشيخ حمد بن عيسى مقاليد السلطة سنة ١٩٩٩م خلفاً لوالده، حيث أصدر الشيخ حمد عفواً عن المعتقلين السياسيين، وسمح لمن هم بالخارج بالعودة، كما سمح بإنشاء الجمعيات السياسية^(٤)، إلى غير ذلك من الإصلاحات التي استفاد منها الشيعة، وعيسى قاسم.

ثانياً: علاقته بإيران

شكلت الثورة الإيرانية التي قادها الخميني في سنة ١٩٧٩م ضد نظام الشاه وتولي رجال الدين السلطة بارقة أمل لشيعة العالم، ومنهم شيعة البحرين، وعلى رأسهم عيسى قاسم، الذي لم

يكن يؤمن بولاية الفقيه على النحو الذي آمن به الخميني وجسده، ذلك أن عيسى قاسم كان رئيساً لحزب الدعوة في البحرين، ومعروف أن «الدعوة» تشكل على أساس الشورى والانتخابات مع الاستفادة من المرجعية كواجهة للعمل الإسلامي^(٥).

وبعد سنوات قليلة على الثورة الإيرانية بدا أن عيسى قاسم يجري تعديلات فكرية على قناعاته بما يتناسب مع الوضعية الإيرانية المتزايدة في نفوذها وقوتها، لا سيما وأن حزب الدعوة قد بدأ يضعف ويتمزق في ظل الحملة الأمنية عليه، ويسوده اللغط حول الموقف الواجب اتخاذه من الثورة الإيرانية وولاية الفقيه^(٦).

ويلخص الأستاذ أحمد فهمي تحولات عيسى قاسم فيما يتعلق بإيران بقوله: «الأمر ببساطة أن الشيخ قاسم خلع قناع (الدعوة) الصورية، وارتدى قناع (ولاية الفقيه) الخمينية»^(٧).

ثالثاً: اللوات الشيعية

كغيره من علماء قومه، يردد عيسى قاسم انحرافات الشيعة دون بذل جهد لتتقية تراث الشيعة مما فيه من انحراف وبدع، ففي بداية عام ٢٠٠٨م، ألقى عيسى قاسم خطبة في العاشر من المحرم (ذكرى عاشوراء) بمنطقة الدراز (شمال العاصمة البحرينية) وخاطب فيها جموع المعزين قائلاً: «دليلكم بعد الأئمة، هم الفقهاء العدول، ومن ردّ عليهم رد على الأئمة عليهم السلام، ... ومن ردّ على الأئمة، رد على رسول الله، والراد على النبي راد على الله». ومضى في افتراءاته قائلاً: «بالنتيجة، من رد على الفقيه العادل، الذي يجب عليه تقليده أو طاعته، فهو راد على الله سبحانه وتعالى»^(٨).

رابعاً: القداسة وحب الزعامة!!

ولعلّ القداسة التي يحيط بها الشيعة بها

(١) أسامة شحاده وهيثم الكسواني، التجمعات الشيعية في الجزيرة العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ١٣١ - ١٣٤.

(٢) موقع مكتب البيان.

(٣) أحمد فهمي، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٤) أسامة شحاده وهيثم الكسواني، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٥) أحمد الكاتب، الشيرازي: المرجعية في مواجهة تحديات التطور، منشورات الزمان، الطبعة الأولى، أيار/ مايو ٢٠٠٢م، ص ٤٥ - ٤٦.

(٦) أحمد فهمي، مرجع سابق، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٧) أحمد فهمي، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٨) موقع مفكرة الإسلام بتاريخ ٢٩/١/٢٠٠٨.

علماءهم وشيوخهم الكبار كما في السطور السابقة تفسر دفاع شيعة البحرين الأعمى عن عيسى قاسم رغم ما يصدر عنه من انحرافات عقائدية، وجعله فوق النقد، رغم أن شيعة البحرين دأبوا على ذم وتحقير كل من يخالفهم ومن ضمنهم كبار المسؤولين، بل وأفراد الأسرة الحاكمة. وقد جاوز بعض أتباعه الحد في مدحه إذ شبهه أحدهم (وهو النائب عن جمعية الوفاق في مجلس النواب البحريني حيدر الستري) بعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الذي هو أول الأئمة المعصومين عند الشيعة، مؤكداً أن القيادة الشرعية الحقيقية بالنسبة للشيعة في البحرين تتمثل في شخص عيسى قاسم.

وأضاف الستري قائلاً: «أقول دون مبالغة أو مزايدة إن سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم هو عليُّ هذا العصر في البحرين، ومن اشتاق لرؤية علي بن أبي طالب (ع)، ومن يتوق أن ينظر إلى علي (ع)، فليُنظر إلى وجه سماحة الشيخ عيسى قاسم، لأنه كما ذكرت هو عليُّ هذا العصر في البحرين في سماحته وحزمه، في رفقه وصراحته، في تواضعه وشجاعته، في زهده وعبادته، في وعيه وبصيرته، وفي تتمرره في ذات الله والتزامه بقضايا دينه ووطنه وجعلها فوق كافة حاجاته ومصالحه الخاصة مهما بلغت أهميتها وخطورتها»^(١).

وعندما انتقد النائب السني جاسم السعيد كلام عيسى قاسم حول الراد على كلام المرجع ثارت بوجهه ثائرة الشيعة، معلنين أن انتقاد قاسم «خط أحمر»، وتكرر الأمر عندما قامت السلطات البحرينية بتفتيش منزله في مايو/ أيار ٢٠١٣ لتعقب مسلحين أطلقوا النار على رجال الشرطة، إذ ثارت ثائرة الشيعة هذه المرة أيضاً، ليس في البحرين فحسب، بل وفي إيران والعراق ولبنان أيضاً. ومما يثير الاستغراب أن التضامن لو اقتصر على

الدول والهيئات الشيعية لكان مفهوماً، لكن التضامن جاء مع قاسم من الولايات المتحدة، التي يلقبها الشيعة ليل نهار بـ «الشیطان الأكبر»، فقد قام رشاد حسين، المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي لدى منظمة التضامن الإسلامي بزيارة خاصة إلى الشيخ عيسى قاسم في ٢٣/٥/٢٠١٣، على خلفية تفتيش منزله، في الوقت الذي رفض فيه المبعوث الأمريكي لقاء ممثلين عن جمعيات سنية كالأصالة «حيث إن الرجل جاء ليسمع وجهة نظر واحدة، ويعبر عن تضامنه بشكل ضمني مع قاسم»^(٢).

ابن العربي يحاور الباطنية

د. عمر الأشقر رحمه الله^(٣) - خاص بـ «الرائد»

دعى العلامة ابن العربي في أيام شبابه لمناظرة^(٤)، كان الدعاة طائفة من الباطنية، وقد تقدم الشيخ كثيراً لأنه استجاب للدعوة، فالمكان الذي عقدت فيه المناظرة مكان منعزل بعيد عن الناس، والحضور كلهم كانوا من تلك الفرقة الضالة، وهؤلاء لا يتورعون عن سفك دم المخالف وإزالة أثره.

دخل الشيخ مكان اللقاء، فوجدهم قد اجتمعوا، ورأى النكر في وجوههم، فسلم ثم قصد جهد المحراب، فركع ركعتين لا عمل له فيهما إلّا تدبير القول معهم، وأعمال الفكر في الخلاص منهم، يقول رحمه الله: (فلعمري الذي قضى عليّ بالإقبال إلى أن أحدثكم، إن كنت رجوت الخروج عن ذلك المجلس أبداً).

وقد كان ذلك المسجد في مكان مرتفع في

(٢) عمر الحسن، التدخلات الإيرانية في الشؤون الداخلية البحرينية، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٣، ص ٢٥.

(٣) من كتابه: جولة في رياض العلماء.

(٤) كاتب أردني.

(٤) انظر هذه الحادثة في كتاب الاعتصام للشاطبي ١٩٧١ طبعة المنار - القاهرة.

(١) أحمد فهمي، مرجع سابق، ص ٢٥٥، نقلا عن صحيفة الوقت بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٢.

مدينة عكا، وكان يشرف على شاطئ البحر حيث كان يضرب الموج الشاطئ ذا الحجارة السوداء، يقول رحمه الله: (ولقد كنت أنظر في البحر يضرب في حجارة محددة تحت طاقات المحرس (اسم المكان الذي فيه اللقاء) فأقول: هذا قبري الذي يدفنونني فيه، وأنشد في سرّي:

ألا هل إلى الدنيا معاد؟ وهل لنا سوى البحر
قبر؟ أو سوى الماء أكفان؟

أجال الشيخ فكره، ونظر في علومه ومحفوظه، وكان مما يعلمه عنهم أنهم ليسوا بأهل علم، ولا طلاب هداية، وإنما هم أهل شغب، وتذكر فيما تذكر قول بعض أهل العلم فيهم: (إن هؤلاء الباطنية أسخف الناس عقولاً وينبغي للتحرير ألا يتكلف لهم دليلاً، ولكن يطالبهم ((بلم))، فلا قبل لهم بها).

قال رئيس الطائفة الضال للشيخ (بلغتني مجالسك، وأنهى إليّ كلامك، وأنت تقول، قال الله، وفعل، فأني شيء هو الله الذي تدعو إليه؟ أخبرني وأخرج من هذه المخرفة التي جازت لك على هذه الطائفة الضعيفة).

فما كان من أصحاب ذلك الطاغية إلا أن تناوشوا الشيخ بالكلام، وصوبوا إليه من كل ناحية السهام.

لقد كان ابن العربي فطناً أريباً، وكان يعلم أن لكل مقام مقالاً، فكان جوابه يدل على تلك الفطنة، ومناسباً لذلك المقام، قال الشيخ مجيباً: (لقد كنت في لا شيء، ولو خرجت من عكا قبل أن اجتمع بهذا العالم ما رحلت إلا عرياً عن نادرة الأيام، انظر إلى حذقه بالكلام ومعرفته حيث قال لي: أي شيء هو الله؟ ولا يسأل بمثل هذا إلا مثله، ولكن بقيت ها هنا نكتة لا بد من أن نأخذها عنه اليوم، وتكون ضيافتنا عنده، لم قلت: (أي شيء هو الله؟) فاقترصت من حروف الاستفهام على (أي)، وتركت الهمزة وهل وكيف وأني وكم وما، وهي أيضاً من ثواني حروف الاستفهام؟

وهذا سؤال ثان عن حكمة ثانية: وهي أن لأي معنيين في الاستفهام، فأني المعنيين قصدت بهما؟ ولم سألت بحرف محتمل، ولم تسأل بحرف مصرح بمعنى واحد، هل وقع ذلك بغير علم، ولا قصد ولا حكمة؟ أم بقصد حكمة؟ فينبغي لنا؟).

لقد أبعد رحمه الله عن الموضوع، ولكن هذه هي البضاعة التي تبهر هؤلاء وتلوي أعناقهم، لقد كان الشيخ يعلم أن هذا الطاغية ما كان يعلم شيئاً مما طرحه عليه، وما خطرت هذه الأمور بباليه وهو يلقي عليه سؤالاً، وما كان عنده علم عن حروف الاستفهام، ولا عن أي ومعانيها) ولذلك دهش ذلك الرجل وتحير، وعظم الشيخ في عيون أولئك الضلال قال رحمه الله: (فما هو إلا أن افتتحت هذا الكلام وانبسطت فيه وهو يتغير، حتى اصفر آخراً من الوجمل، كما اسود أولاً من الحقد)، وانظر إلى تأثير هذا الكلام في أولئك الضلال: ورجع أحد أصحابه الذي كان عن يمينه إلى آخر كان بجانبه، وقال له: (ما هذا الصبي إلا بحر زاخر من العلم، ما رأينا مثله قط).

فلما سمع الشيخ ذلك استغل الكلمة والموقف فقال: (هذا مجلس عظيم، وكلام طويل، يفتقر إلى تفصيل، ولكن نتواعد إلى يوم آخر، وقمت وخرجت).

لم ينتظر الشيخ جواباً، لأنه كان يعلم أن لا جواب عندهم، ولم يتشبث شيخ أولئك الضلال بإبقاء الشيخ ابن العربي، ولعله سرّ باستئذانه، خشية أن يظهر جهله أمام أتباعه.

قام الشيخ وخرج، فقاموا كلهم معه، وطالبوه بالبقاء قليلاً، فرفض، وأسرع حافياً، وخرج إلى الباب يعدو، حتى أشرف على قارعة الطريق، وبقي هناك مبشراً نفسه بالحياة، وخرجوا بعده، وأخرجوا له نعليه، فلبسهما ومشى معهم - بعد أن أمن على نفسه - متضحكاً، ووعده مجلساً آخر، قال: (فلم أف لهم، وخفت وفاتي في وفائي).

متى ترد الحركات الإسلامية الصاع لإيران؟

بوزيدي يحيى^(١) - خاص بالبراصد

يصعب الحسم حول مآلات المشروع الإيراني في المنطقة العربية، وإن كانت المعطيات الحالية تشير إلى انحساره على المستوى المتوسط والبعيد، إلا أن القطع بتآكل نفوذ إيران لا زال مبكراً، ويبقى مجازفة نظراً لما تميزت به الإستراتيجية الإيرانية بسرعتها في التكيف مع المستجدات. كما أن الحركة الثورية لا زالت مستمرة ولا يمكن الحسم باتجاه الأمور لصالح أي طرف، فكما أخطأ من تنبأ بربيع الإسلاميين بعد الثورة المصرية ووصول الإخوان إلى السلطة في مصر فإن الاعتقاد بأن الأمور حسمت نهائياً لصالح الانقلابيين هو حكم مبكر، وكما أخطأ من تنبأ بسقوط نظام الأسد في غضون أشهر فإن من يعتقد بنهاية الثورة السورية نتيجة ما آلت إليه الأوضاع حالياً يخطئ أيضاً.

والأمر نفسه ينطبق على المشروع الإيراني الذي لا زال حاضراً وإن تراجع في مناطق فقد تقدم في أخرى، إذ يحسب له منع سقوط نظام الأسد حتى وإن كان بلغ مرحلة قد يصبح عالية عليه، كما لا يمكن القول إن نهاية المالكى هي

(♦) كاتب جزائري.

نهاية نفوذ إيران في العراق، فضلاً عن تقدم الحوثي في اليمن والذي قد يؤدي إلى انهيار الدولة هناك، وما قد يترتب عنه من تداعيات. والمفاوضات لا زالت مستمرة حول البرنامج النووي، ورغم اتجاهها نحو عقد صفقة ما مع القوى الغربية إلا أنها في الوقت نفسه لم تفرط في المنطقة، ولا زالت تحاول إيجاد التبريرات لذلك.

وبغض النظر عن هذا الجانب الاستشرافي للمشروع الإيراني فإن حجم الدمار الذي أحدثه على المستوى الاجتماعي والسياسي خلال العقود الأربعة الماضية، خاصة في سوريا، وكيف جبرت القوى الشيعية لخدمته في كل الدول العربية، يوجب على كل القوى السياسية المباشرة في أسرع وقت ممكن لإيجاد الطرق والوسائل لمجابهته.

وتأتي الحركات الإسلامية العربية في مقدمة القوى المعنية بهذا الخطاب لسببين رئيسيين كونها القوى الأكثر قدرة على النشاط والحركة، ولأنها أكثر المتضررين من المشروع الإيراني الذي جعلها على امتداد الجغرافيا العربية أداة له يوظفها كيفما يشاء مع استثناءات بسيطة.

ويفترض أن تكون الحملة الإعلامية التي شنّها أتباع إيران على حركة المقاومة الإسلامية حماس عقب نهاية العدوان على غزة لعدم تخصيص خالد مشعل إيران وحزب الله بالشكر كما كان

في الرئيس السابق محمد مرسي، فلم تتوقف عند النكاية في الإخوان بعد الانقلاب بل راحت تهاجمهم وتستنصر للانقلاب بفلول النظام السابق تارة، وبعض الرموز الإخوانية السابقة تارة أخرى، وتيارات إسلامية تارة ثالثة.

جرائم إيران وأوزار الحركة الإسلامية:

حاولت إيران التغطية على دورها في ما يجري للشعب السوري من قتل وتككيل وإبادات جماعية، وسعت لتوظيف حركات إسلامية في ذلك، غير أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، فحتى جرائم تنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام إذا لم تكن إيران تتحمل مسؤوليتها إلى جانب الأسد من خلال تسهيل تمده في سوريا فإن المليشيات الشيعية التكفيرية التي دفعت بها إلى الساحة السورية وما تقوم به من جرائم خلقت مناخا منتجا للفكر التكفيري أو نوعا من التعاطف معه بحثا عن أي قوة تحمي من جرائم لواء أبي الفضل العباس وحزب الله والنصيرية.

بكل تأكيد ليس غريبا عن إيران ومليشياتها هذه الجرائم، فهذه هي أهدافها ومعتقداتها، ولكن السؤال الذي يُطرح يتعلق بحجم مسؤولية حركات إسلامية في تلك الجرائم، والتي سهلت ووفرت بمواقفها المتساهلة سابقا مجالا للنفوذ الإيراني في المنطقة، حيث خاضت الكثير من المعارك لصالحه، وراح قادتها يبررون سياساتها، بل ويدافعون عنها، وهي بذلك تتحمل أيضا جزءاً من المسؤولية في ما يجري في سوريا والعراق وغيرها من الدول، إضافة إلى ما تعرض له البعض منها بشكل مباشر سابقا وحاليا، وحتى مستقبلا.

بين التجريبتين الماليزية والسودانية:

يباهي الإسلاميون العرب ويشيدون في كل المحافل بالتجربة الماليزية الرائدة، والتي استطاعت أن تجمع بين ثنائية الأصالة والمعاصرة، وجعلوا منها

يفعل سابقا، والتي ثبت من خلالها حجم وطبيعة الدعم الإيراني للمقاومة وموقفها الحقيقي من القضية المركزية للأمة، القشة التي تقصم ظهر علاقات إيران بالحركة الإسلامية. غير أن ردود فعل الأخيرة لم تخرج عن إطار مواقع التواصل الإعلامي، والتي تراشق فيها مؤيدو كل طرف الاتهامات والجدل حول المواقف. فما هي الأوراق التي تستطيع الحركة الإسلامية توظيفها في مجابهة المشروع الإيراني؟

خبرة الحركة الإسلامية مع إيران:

اجتمعت في مواقف إيران من الحركة الإسلامية ما ينكث كل عناصر وأسس فكرة التعاون بين الطرفين والتي كان محورها وشعارها الوحدة الإسلامية من أجل القضية الفلسطينية، بداية من الهجمة على الشيخ يوسف القرضاوي الذي أعلن تأييده لهذا المشروع مع بداية تحذيره من خطر نشر التشيع قبل أكثر من ست سنوات، وانتهاء بالموقف من حماس في العدوان الأخير على غزة. وقبل هذين الحدثين كانت هنالك الكثير من المحطات التي كشفت حقيقة المكر والخداع الإيراني للحركات الإسلامية^(١).

ولكن العبث الإيراني بالحركات الإسلامية لم يتوقف عند هذا الحد خاصة بعدما استطاعت اختراقها وخلق لوبي موالٍ لها داخلها، والذي أصبح دائم الحضور على منابرها الإعلامية، ويوظف للهجوم على أي فصيل إسلامي يخرج عن خط التأييد الإيراني. فبينما كان الإخوان في مرحلة سابقة أداة إيرانية لضرب السلفيين، توظف إيران الآن من انشق عن جماعة الإخوان لضربها بعد مواقفها في مصر من سياسات إيران في سوريا ممثلة

(١) تأكيداً لقرارها بمنع التشيع: الحكومة الماليزية تعتقل إمام مسجد بتهمة التشيع وحيازة ترب حسينية!!، شعبة أون لاين، ٢٠١٣/١٠/١٥، على الرابط:

<http://shia-online.ir/ar/article.asp?id=2664>

نبراسا يحاولون الاقتداء به، وكتابات زعيمها ورئيس وزرائها السابق مهاتير محمد حاضرة في كل مكتباتهم، وتجربته في تحويل ماليزيا من دولة متخلفة إلى دولة متطورة، ونمرا من النمرور الآسيوية محل استلهاهم.

غير أن التجربة الماليزية في مكافحة التشيع والتي حظرت نشر تعاليم الشيعة الإثني عشرية في المجتمع الماليزي منذ ١٩٩٦ لم يلتفت لها من قبل الحركات الإسلامية العربية على الإطلاق، بل المتتبع لخطابهم حول مشكلة التشيع لا يستطيع أن يخرج الحكومة الماليزية من دائرة العمالة للصهيونية بسبب موقفها من هذه القضية كما كان سائدا بينهم لوقت قريب.

والمفارقة تكمن في التعدد الإثني الذي يميز المجتمع الماليزي ما يجعله من حيث المبدأ أكثر «انفتاحا» وتقبلا لتيارات جديدة غير أن الحكومة الماليزية لم تترك مجالا للشيعة للنشاط والتمدد في مجتمعا، واعتبرت ذلك تهديدا لأمنها المجتمعي.

وحتى رئيس الوزراء السابق «مهاتير محمد» نفسه أعرب عن خوفه الشديد من انتشار فكرة المذهب الشيعي في ماليزيا، وطالب بمنع انتشاره. طبعاً مثل هذا الكلام لم يصدر تقريبا من شخصية سياسية سنية عربية تنتمي للحركة الإسلامية - مع استثناءات محدودة دائماً -

والحكومة الماليزية لم تتراجع بعد قرابة العقدين عن قرارها السابق ورفضت اعتباره انتكاسة في مجال الحريات وحقوق الإنسان، بل وعلى العكس من ذلك شدته ووصفته على لسان وزير الدولة للشؤون الإسلامية جميل خير بحروم بأنه نابع من أساس دستوري ولا علاقة له بحقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأي مثلما تدعي بعض الأوساط في البلاد. وتمثلت أهم الخطوات الرسمية الأحدث في

هذا الصدد في ما يلي^(١):

١- في حال ثبوت تحول المواطن الماليزي إلى التشيع فإنه يعتبر مرتدّاً عن الدين الإسلامي.

٢- هدم كل حسينية ودور عبادة خاصة بالرافضة ومنع أي نشاط مالي إعلامي ثقافي تحت أي مسمى.

٣- كل تجمع رافضي بحجة إحياء طقوس التشيع فإنه يعامل كمعارضة سياسية غير نظامية يعاقب عليها القانون أشد العقوبات، وقد تكون بالسجن المؤبد.

٤- إلغاء كل العقود التعليمية مع المحاضرين الرافضة وترحيلهم من البلاد فوراً.

٥- منع أي شكل من أشكال التعاون الثقافي مع إيران.

إذا التجربة الماليزية في مكافحة التشيع هي تنفيذ عملي لأطروحات الكثير من الحركات الإسلامية العربية التي جرّت كثيراً وراء سراب الوحدة والتقريب، وموقف الحكومة السودانية (الإسلامية) مؤخراً بإغلاق المستشارية الثقافية الإيرانية جاء متأخر كثيراً عن نظيرتها الماليزية، كما أنه ضعيف جداً مقارنة به، إذ لا يعدو مجرد مسكنات سرعان ما ستجد إيران والشيعة طرقاً لتجاوزها، ما لم يرفق بقوانين رادعة كتلك التي سُنّت في ماليزيا، ولكنها مع ذلك خطوة تستحق الإشادة، والتفاته نأمل محاكاتها في دول أخرى، خاصة مع الأنباء الواردة من هناك والتي تحدثت عن سعي البرلمان السوداني لسنّ قوانين تجرم التشيع، ولكن كل تأخير سيكون ثمنه دماء أخرى ستسفك في مواطن جديدة بسبب السياسات الإيرانية.

(١) أبو بشرى مصطفى الهوساوي، شكرا ماليزيا، موقع لجينيات، ٢٠١٣/١٠/١٩، على الرابط:

[/http://lojainiat.com/c-105904](http://lojainiat.com/c-105904)

وخطوة مشابهة من طرفها لا شك ستكون لها انعكاسات سلبية على المشروع الإيراني.

٢- المقاطعة السياسية: يتوجب على كل قيادات الحركات الإسلامية بشكل متزامن مقاطعة كل الأنشطة الإيرانية، كالمؤتمر الدولي لنصرة الانتفاضة الفلسطينية والمؤتمرات حول الوحدة الإسلامية والتي تحضرها قيادات من الحركة الإسلامية، وفي مقدمتها المقاومة الفلسطينية، وتستغلها إيران كثيرا، وإذا ما فكرت طهران في مؤتمرات مماثلة يجب أن لا تتوقف الحركة الإسلامية عند عدم المشاركة، وإنما بشن حملات إعلامية ضدها تفرغها من محتواها، وهذا ما يجب أن يعمم على كل النشاطات الإيرانية المماثلة، إلى جانب مقاطعة الأنشطة الثقافية والسياسية التي تنظمها السفارات الإيرانية.

٣- تحييد المصالح الإيرانية: استثمرت إيران في العلاقة السيئة والمتدهورة بالمجمل بين الأنظمة العربية والحركة الإسلامية، ولم تتمكن الأخيرة من صياغة إستراتيجية تفصل بين الاعتراضات على السياسة الداخلية وبين المشروع الإيراني، حيث لم تُجد قراءة اللعبة الإقليمية والدولية، وسخرت نفسها خلال كل هذه العقود لتنفيذ الإستراتيجية الإيرانية عن قصد أو غير قصد، إذ تطوعت للدفاع عن إيران مجانا بالرغم انكشاف حقيقة مشروعها الطائفي دون أي موارد منذ الاحتلال الأمريكي للعراق.

ولكن الحركة الإسلامية ظلت حتى قبيل الثورة السورية تنزع هذه الصفة عنه وتتهم من ينعتة بها بالعمالة، وتستنصر به على الأنظمة معتقدة أنه حليف في مواجهة المشروع الأمريكي. وأمام تطورات الملف النووي الإيراني وتشابك المصالح الدولية في ظل الانتفاضات الشعبية، فإن الحركة

تعاني الكثير من الحركات الإسلامية في الدول العربية من تضيق كبير عليها، وبعضها يعيش أزمات داخلية، وحتى التي وصلت للسلطة مثل حركة النهضة التونسية فإنها تواجه تحديات كبيرة، لذلك ليس من المنطقي وحتى اللائق مطالبتها بتنفيذ ما هو أكبر من طاقتها، ولكن مع كل هذا الواقع المريع هناك بعض الأفكار التي يمكن أن تعيق المشروع الإيراني في هذه المرحلة على الأقل، ولربما تكون خدمة كبيرة يمكن للحركات الإسلامية أن تقدمها لحركة حماس التي تشن عليها حملة إعلامية وسياسية مضادة من إيران، والتي تحسن مع أتباعها لعبة تبادل الأدوار وتوزيعها.

حيث على سبيل المثال تعمل قناة الميادين على الاستثمار في دعم حماس بينما هناك أطراف أخرى تشن حملة إعلامية عليها، تهدف إلى تشويه صورتها لدى الرأي العام العربي، بالحديث عن الانقسام داخلها وما شابه ذلك، ومن أهم هذه الخطوات:

١- المراجعات الصريحة: فبينما كان جل قادة الحركة الإسلامية في العالم العربي مع استثناءات قليلة جدا يجتروا أسطوانة «الطائفية» التي كان يرفعها الإعلام الإيراني في وجه كل من يضع أصبعه على سياساتها نجدهم الآن يتحدثون عن طائفية إيران وحزب الله الذي كان بالأمس القريب المقاوم الممانع، وهذا الانتقال من النقيض إلى النقيض مع الإشادة به كونه انتقالا طبيعيا بعد كل ما أظهره حزب الله وإيران من سلوك طائفي إلا أن عدم الوقوف عنده وقفة محاسبة وتأمل ربما يكون خطأ لا يقل جسامته عن خطأ تصديق إيران في المرحلة السابقة، فباستثناء الشيخ يوسف القرضاوي الذي اعترف وأقر بخطأ موقفه من إيران سابقا لم تحد أي من القيادات الإسلامية حذوه،

الإسلامية في أمس الحاجة أكثر من أي وقت مضى لمرونة خطاب تنتزع من نضالها الداخلي كل ما يمكنه خدمة المشروع الإيراني.

٤- الإجراءات القانونية: مطالبة البرلمانات في الدول السنية الخالصة بسن قوانين تجرم التشيع كونه يمس المبادئ الإسلامية التي أوكل للدستور حمايتها، كما أنه يهدد الأمن المجتمعي والوحدة الوطنية، خاصة في ظل انتقال بعض رموز التشيع للنشاط العلني ومحاولة تأسيس أحزاب سياسية وحسينيات، واستغلال المنابر الإعلامية المختلفة للترويج للمعتقدات الشيعية بطرق غير مباشرة، وللأسف فإن المتتبع نادرا ما يرصد مواقف «مؤسسية» من طرف الحركات الإسلامية في هذا الصدد، ولا زالت الجهود فردية ومعزولة في هذا الإطار.

٥- النشاط العلمي والإعلامي: تنظيم مؤتمرات حول الخطر الشيعي وسياسات إيران الطائفية، ويمكن على الأقل أن يُعقد مؤتمر تتناول فيه كل حركة تجربتها مع إيران بالتحليل والنقاش، للاستفادة منها، وتعميمها على الحركات الأخرى. إضافة إلى نشر كتب في هذا المجال، وفتح نوافذ في مواقعهم الإلكترونية تكشف السياسات الطائفية لإيران وحزب الله، وتبين عقائد الشيعة أو على الأقل مكارم الصحابة وآل البيت، وجعل هذه المواضيع أساسية في المؤسسات الدعوية للحركة الإسلامية، ودعم الناشطين الميدانيين في محاربة التشيع.

فعلى سبيل المثال يجد القائمون على فضائية الصبح والآل في مصر صعوبة كبيرة جدا في انطلاقها، ويعانون من قلة الدعم لهم، في مقابل الدعم الكبير الذي يحظى به المتشيعون من طرف إيران، وهناك صفحات لناشطين في بعض الدول في هذا المجال كصفحة الفاضح لشيعة الجزائر، والزحف الأسود الإيراني في تونس، يحتاج هؤلاء

لدعم من الحركات الإسلامية، وتحويل نشاطهم إلى عمل مؤسساتي، مع وجود قانونيين ومختصين في مجالات أخرى لتصويب وتوجيه الناشطين، من أجل فاعلية أكثر.

٦- مواقف موحدة: بلورة الحركات الإسلامية التي تضررت بشكل مباشر من إيران أو تعاونها مع بعضها بخصوص الأزمة السورية وإعلانها موقفا موحدا من إيران وسياساتها، كفيل بإحداث اضطراب كبير في المشروع الإيراني، وجعلها قضية رأي عام من خلال تنظيم - على سبيل المثال - وقفات احتجاجية متزامنة أمام السفارات الإيرانية لما تفعله حكومة طهران في سوريا، وهذا ما لم نسمع به، وكأن النصر متوقفة فقط على فلسطين دون غيرها، والدم السوري ليس بغال أيضا. بل كيف السبيل لتحرير الأقصى، والشام على هذا الحال؟

فقد أثبتت المواقف الإيرانية الأخيرة من حماس ومحاولة تعزيز فكرة الانقسام داخلها أن إيران تهدف إلى التفرقة داخل الحركة والتنظيم السياسي الواحد، وليس فقط الحركات المتباينة، وقد استثمرت كثيرا في هذه التباينات، ولذلك فإن من أهم الردود عليها، المواقف الموحدة منها بحد ذاتها والذي لا يمنع من استمرار الاختلاف والتباين في المجالات الأخرى، وذلك من خلال التأكيد وبشكل مستمر أن تلك الخلافات لا تنفي الموقف الموحد من إيران ومشروعها الطائفي.

٧- الردع الإعلامي: بمقاطعة وسائل الإعلام الإيرانية والشيعة والتي أصبحت لا تستضيف من تعرف تغير موقفه من إيران، سواء تعلق الموضوع بقضية داخلية أو خارجية، وحبذا لو يكون القرار مفاجئا وعلى الهواء مباشرة بكشف حقيقة أهداف وسائل الإعلام تلك، وإعلان قائمة سوداء بأسماء القنوات والبرامج والإعلاميين العرب الذين منهم من انتقل إلى التشيع، حتى يصبح الكل على بينة،

فعلى سبيل المثال يدير الإعلامي الجزائري يحيى أبو زكريا برنامجا على قناة الميادين اسمه «أ ل م»، شعاره الوحدة الإسلامية، ولكن محتواه يتركز فقط في الهجوم على أهل السنة والجماعة وإبراز الشيعة في موقف العقلاني المظلوم، والكثير من ضيوفه ينتمون للحركات الإسلامية والمؤسسات الدينية السنية، وبعض هؤلاء يفعل ذلك عن حسن نية، والبعض الآخر موالٍ لإيران ومشارك في تنفيذ مشروعاتها، ومثل هذه الأصوات الداعمة لإيران من داخل الحركات الإسلامية العربية يتوجب تحييدها.

الخلاصة:

تعمدنا وضع كل الحركات الإسلامية بمختلف اتجاهاتها وتياراتها في سلة واحدة أمام الموقف الإيراني، نظرا لأن جميعها وبدون استثناء شربت من كأس المكر والخداع الإيراني. ويجد المتابع نفسه مضطرا للأسف لاستعمال تعابير قاسية من قبيل الاستغناء والاستحمار الإيراني للحركات الإسلامية العربية طيلة العقود الثلاثة ونيف المنصرمة، والذي ما زال للأسف مستمرا بشكل من الأشكال.

وجلّ ردود الفعل لم تتجاوز إدانة السياسات الإيرانية، رغم أنها تملك الكثير من الأوراق للعبها ضدها، وللأسف نجد هذه الحركات تعيب على الحكومات «الشجب» و«التديد» الذي تقابل به العدوان الصهيوني، وفي المقابل ترد على «العدوان الإيراني» بشجب وتديد أقل بكثير، ولم يحدث أي تضامن بين الحركات الإسلامية حوله، ابتداء من إخوان سوريا خلال الثمانينات الذين نعتهم الخميني بإخوان الشياطين، وهذا السلوك نفسه يتكرر مع إخوان سوريا ومصر وغيرهم الآن، ولكن لا ردود فعل في المشرق أو المغرب عن ذلك، باستثناء الحركات الإسلامية الخليجية.

وبجردة حساب سريعة فإننا نجد أن إيران لم تقدم أي شيء للحركات الإسلامية العربية بل على العكس كانت تقابل الحسنة بعشر سيئات، وبما أن إيران تتعامل مع الحركات الإسلامية بمختلف أشكالها المعترف بها وغير المعترف، وجلها معارضة للأنظمة الحاكمة، فهل تقبل طهران أن تتعامل هذه الحركات مع الحركات المماثلة لها في إيران؟

لماذا تتعامل الحركات الإسلامية مع إيران الرسمية فقط؟ هل سمح لقادتها خلال مشاركاتهم في النشاطات التي نظمتها الحكومة الإيرانية الاحتكاك بأهل السنة هناك وزيارة مساجدهم ولقاء علمائهم كما يفعل قادة إيران وغيرهم من علماء الدين؟ لماذا لا يتحدث قادة الحركات الإسلامية عن واقع أهل السنة في إيران كما تفعل الحكومة الإيرانية مع الشيعة العرب؟

هل هناك جمعيات خيرية وثقافية سنية تابعة للحركات الإسلامية تنشط في إيران كما هو حال الجمعيات الشيعية التابعة لها؟ هل يمكن أن نسمع مثلا عن جمعية حسن البناء الخيرية في إيران؟ هل هناك فروع للمؤسسات الخيرية والدعوية العربية في إيران؟ لا ندري إذا ما كان قادة الحركات الإسلامية فكروا بمثل هذه الأسئلة!

تأسيسا على هذا الواقع وفي ظل غياب أي مشروع عربي موحد في مواجهة المشروع الإيراني فإنه يتوجب عدم الوقوف مكتوف الأيدي في انتظاره، وإنما العمل بما هو متوفر من إمكانيات، وهي كثيرة إذا ما تواجدت إرادة لذلك، والحركة الإسلامية تستطيع فعل الكثير في هذا المجال إذا امتلكت الإرادة أيضا.

قراءة للمنطقة بعد الحلف الأمريكي الجديد

صباح العجاج^(*) - خاص بالرائد

المطاف لن تقضي أمريكا أبداً على داعش، كما أنها لم تقضِ على القاعدة من قبل، فوجودها ذريعة لعشرات الأعمال القذرة.

سينحسر وجود داعش في العراق وسوريا،

لكنها ستظهر في أماكن أخرى، وربما سيكون مكانها الجديد في ليبيا؛ لأنها مخزن الأسلحة الكبير الذي تركه القذافي، وسيدعم وجودها، ومبرره السياسات المعادية للإخوان والثوار الإسلاميين الذين حاربوا في مصر وليبيا واليمن وسوريا حيث الجو الطائفي أصبح معدا هو الآخر لظهور المنقذ لتمهيد تقسيم اليمن وليبيا، إذ أن أمريكا تريد أن تشعر الدول العربية الصديقة بالخطر الماحق لداعش وأنها أصبحت ندا لها في المنطقة.

كيف ستكون حرب داعش في العراق؟

ظهرت داعش وبرزت بعد أن مهد لها بتحطيم الجيوش القوية في كل من العراق وسوريا، وأصبحت داعش تشكل خطراً داخل تلك الدول، ولا بد لتلك الدول من أن تستعين بأمريكا للتخلص من هذا الخطر الجديد؛ لذلك سيكون سلاح الجو الأمريكي هو المنقذ للعراق وسيكون على العرب السنة في البر بواسطة التشكيلات التي استعدت أمريكا لتشكيلها، وقوات البشمركة الكردية هزيمة داعش على الأرض؛ يعني سنيا ستعيد أمريكا تجربة الصحوات بآليات جديدة بعد أن تطمئن العرب السنة ببعض المكاسب، ولتنفيذ هذا الأمر عينت أمريكا الجنرال جون ألن مسؤول القوات الأميركية في الأنبار (٢٠٠٦ - ٢٠٠٨) منسقا وممثلاً لوزير خارجيتها جون كيري في التحالف الدولي.

لكن على السنة في العراق ألا يعتمدوا على وعود الأمريكيان التي ثبت كذبها، بل يجب أن يحققوا سيطرة حقيقية على الأرض، ومن ثم يشاركون أمريكا في مخططها حتى لا يُعاد سيناريو ٢٠٠٧ مع الصحوات بتركهم في العراق.

حشدت أمريكا ٤٠ دولة في مواجهة تنظيم

داعش مدعومين بـ ٥٠٠ مليار دولار، والمدة المفترضة ٣ سنوات، هذا هو مشروع أمريكا هذه الأيام.

لكن داعش ليست بهذا الحجم فالأخبار

تقول إن جيش البغدادي من حيث المقاتلين الناشطين قريب من ١٠ آلاف شخص منتشرين في العراق، أما في سورية فيبلغ عدد من يباشر القتال هناك ١٣ ألف مقاتل منتشرين فيها، ولهم مؤيدون أكثر من ذلك.

وهؤلاء ليسوا بحاجة لمثل هذا التحالف

الكبير، فأمريكا في سنة ١٩٩٠ حشدت ضد العراق بعد غزوه للكويت ٣٢ دولة بتكلفة ١٠٠ مليار دولار، ولمدة شهرين، رغم أن الجيش العراقي والحشد المساند له تجاوز ثلاثة ملايين جندي، مع ترسانة متكاملة وفي جبهة قتال واحدة هي (الكويت)، وهُزم الجيش العراقي في أقل من شهرين. والسؤال لماذا كل هذا التحشيد؟

من يقرأ الأمور عن كذب لا بد له من القناعة

التامة بأنه لن يُقضى على داعش في هذه الحرب تماماً كما يتمنى المتمنون، فداعش أداة (وُطِّقت بذكاء) لأغراض كبيرة واستراتيجية، وأحد مهماتها هو رسم خارطة جديدة للمنطقة، سواء كانت الخارطة الجغرافية أو مواقع القوى العالمية؛ أي الصراع الأمريكي الغربي مع روسيا والصين.

لن تقاتل أمريكا مباشرة في هذه الحرب؛

لذلك وسَمَّتها بالطويلة لأنها ستكون حرباً بالنيابة في كل شيء، فقط ستكون مهمة أمريكا توجيه استخباراتي أمني، وسيطرة من الجو، وفي نهاية

(*) كاتب عراقي.

في سوريا المعركة لها بعد آخر:

إذ حرص النظام السوري وروسيا والصين فضلا عن إيران على وجود داعش؛ لذا ستكون مواجهة داعش مواجهة لهم؛ لذلك سارعت روسيا وإيران على الاعتراض على ضرب داعش بحجة أنه تدخل في شؤون سوريا الداخلية؛ وأن أمريكا تريد الهيمنة على سوريا بحجة داعش وضربها.

ربما ستزيد الضربات الأمريكية من تعاطف بعض الإسلاميين مع داعش؛ لذلك سيكون الحلفاء المفضلون لأمريكا الجيش الحر وبعض الكتائب الإسلامية، الذين يؤمنون أن القضاء على داعش مقدمة لسحق بشار الأسد وبعض الكرد، لذا تعد منذ أكثر من سنة قوات سورية دريتهم في الأردن لهذه المهمة، على غرار السيناريو الأمريكي في أفغانستان، باستخدام أمريكا حلفاء من نفس البلد للقضاء على عدوِّها، مع ضربات ودعم مسلح جوي، لذلك ستنتهي هذه المرحلة في سوريا مهما طال الوقت عند القضاء على بشار، لكن أمريكا ستواجه عددا من المشاكل، هي:

كيف تضمن أمن إسرائيل؟ وما هو البديل غير الإسلامي عن بشار؟ وكيف لا تغم الفوضى سوريا بعد ذهاب بشار، كما حصل في العراق؟

موقف إيران:

منذ اجتياح داعش والعشائر للموصل في ١٠/٦/٢٠١٤، وإيران في حالة قلق وترقب، فهي تعلم أن أمريكا كانت وراء تحركات داعش والثوار من العشائر، حيث تكبدت إيران وحلفاؤها خسارة مناطق كبيرة، واضطرت للتنازل عن نوري المالكي، وحدث تغيير ليس بالهين في قواعد اللعبة السياسية العراقية الجديدة، فقد أمر رئيس الوزراء الجديد حيدر العبادي بإيقاف قصف المدنيين، وهو وإن تحول من قصف جوي إلى قصف بالمدفعية إلا أنه يشكل خطوة جيدة، كما أنه أعطى رسميا للسنة ٢٥٪ من الحكومة.

خوف إيران من التحالف الأمريكي واضح لذا

تمنعت في البداية من دخول التحالف، وحين استبعدت من المشاركة في مؤتمر جدة لمكافحة الإرهاب؛ صرح نائب الرئيس السابق محمد علي أبطحي^(١): «عقد السعودية مؤتمرا ضد داعش كأن تعقد إيران مؤتمرا ضد حزب الله».

لكن تبقى العقلية السياسية الإيرانية مستعدة لكل التغيرات؛ وهي ترى اليوم واضحا أن ثلث العراق بيد داعش، وثلث سوريا بيد داعش وقسما آخر بيد الثوار، لذا هي تسعى اليوم إلى أن تدخل التحالف وتوظف شيئا منه إلى صالحها.

في العراق سيكون هناك تمثيل واسع للسنة كان المالكي يعالجه بشراء ذمم السنة، لكن العبادي جديد وليس بيده أوراق يساوم بها السنة، فمن المتوقع أن تكون سياسة إيران تجاه السنة العرب كما يلي:

إرضاء الأمريكان بالموافقة على العبادي بديلا للمالكي، وقبول مرشح السنة لوزارة الدفاع لأنهم اليوم بحاجة للسنة لضرب داعش في العراق، لأنهم (إيران والشيعية) فشلوا في التصدي لهم وتكبدوا خسائر جسيمة، مع الضغط على العبادي ومن حوله لتحويل الملف الأمني إلى وزارة الداخلية، أما الجيش الذي سيتحطم في المعارك مع داعش فسيحول بعد انتهاء المهمة لحماية الحدود والمعسكرات، والجيش الشيعي العقائدي سيتسلم قوات الشرطة الاتحادية ومكافحة الإرهاب وأفواج الطوارئ. وهي تجربة إيران مع جيش الشاه عندما أنشأت الحرس الثوري. وهو نفس ما فعلته في لبنان، فحزب الله اليوم أقوى من الجيش اللبناني، وهو ما نفذوه اليوم في اليمن فالجيش انهار أمام الحوثيين! فنظرية إيران أنه لا ينبغي أن يكون للسنة في العراق وزير أو مسؤول أمني حقيقي.

تعويض إيران لخسائرها:

في الحرب الباردة بين السعودية وإيران، إيران

(١) هو صاحب التصريح الشهير: «لولا إيران لما سقطت كابول وبغداد».

تحارب بالقوة الميدانية والمعارضة المسلحة، والسعودية تحارب بالقوة المالية، هدف إيران دفع أمريكا للتفاهم معها إقليمياً، والسعودية تتحرك لدفع أمريكا لمواجهة إيران ولعلّ في هذا تفسير للأحداث الأخيرة في اليمن!

تفوق الحوثيين في اليمن يصب في صالح إيران ويجعل السعودية تقدم مزيداً من التنازلات سواء في سياستها الداخلية تجاه الشيعة في المنطقة الشرقية أو في البحرين لأن شهية الشيعة بالبحرين فتحت بعد انتصار الحوثيين.

ردة فعل داعش في سوريا والعراق:

صحيح أن داعش توظّف وتُستخدم من قبل عدة جهات سورية وإيرانية وروسية وأخيراً أمريكا، لكن لها أجندتها الخاصة، فداعش تستشعر اليوم بالخطر تجاه وجودها؛ لذلك بدأ سلوك داعش داخل العراق يتغير، فمن الظهور العلني إلى الظهور غير المعلن (لبس الثام في بعض المناطق) وتغيير مناطق تواجدهم المعروفة، وبعد امتناع داعش عن دخول بغداد بعد سقوط الموصل برغم أن الطريق كانت ممهدة أمامها لدخول بغداد، فإنها اليوم تقوم بضربات بداخل بغداد وفي حزامها كما حدث في هجوم مدينة الكاظمية، لكسب شعبية سنوية وإظهار قوتها.

السياسي وزعيم البهرة... ماذا وراء اللقاء؟

أسامة الهتمي^(*) - خاص بالرائد

أثار اللقاء الذي جمعه الرئيس المصري المشير عبد الفتاح السيسي مؤخراً بزعيم طائفة البهرة الدكتور مفضل سيف الدين برهان يرافقه نجله جعفر الصادق وطه سيف الدين وعبد القادر نور الدين زوج ابنته ومفضل حسن ممثل سلطان البهرة بالقاهرة دهشة الكثيرين كون السيسي الذي لم يكن قد أكمل مائة يوم بعد على توليه سدة

(*) كاتب مصري.

الحكم في مصر في ظل أجواء سياسية شديدة التعقيد يحرص كل هذا الحرص على أن يلتقي بزعيم طائفة دينية وغير مصرية ولا يتجاوز عدد أتباعها في مصر عدة آلاف وهو الأمر الذي حمل الكثير من الدلالات والمعاني السياسية التي تحتاج للكثير من البحث والتقصي للوصول إلى حقيقتها وكنهها خاصة وأن الوجود السياسي الظاهري لهذه الطائفة يكاد يكون غير معلوم الأهداف بل ومعدوم الذكر أيضاً ومن ثم فليس ثمة ما يدعو السياسي أو غيره من القيادات السياسية المصرية أو غير المصرية إلى اللقاء الذي يبدو أن الطائفة تحسن استغلاله إلى درجة كبيرة في توظيفه لصالح مراميها التي يكتنفها الكثير من الغموض الذي هو السمة الغالبة على المذهب الباطني.

وعلى الرغم من أنه تم الإعلان عن أن اللقاء جاء في إطار الحملة التي تقودها السلطات المصرية لجمع تبرعات لما يسمى بصندوق «تحيا مصر» حيث تبرع زعيم طائفة البهرة بنحو عشرة ملايين جنيه مصري للصندوق إلا أنه بقي أن لقاء السياسي بزعيم البهرة التي هي أحد المذاهب الشيعية جاء في ظل حالة من الالتباس الشديد حول الدور الشيعي بشكل عام والإيراني بشكل خاص والمتعلق بمسار الحياة السياسية المصرية إذ لا يمكن لمتابع أن ينكر أو يقلل من شأن ودور مسألة العلاقات المصرية - الإيرانية ووضع الشيعة المصريين في التطورات السياسية التي شهدتها البلاد وهو ما يبقى على حالة الجدل السائدة حول مدى توغل إيران في الحالة السياسية المصرية كونها أحد اللاعبين فيما يجري والذي هو بالتأكيد لا يعمل إلا لصالح الأهداف الإيرانية وصراع طهران على تعميق نفوذها في المنطقة العربية السنية.

سيرة السابقين

بالفعل ربما يكون لقاء رئيس مصري بزعيم طائفة البهرة ليس أمراً جديداً فقد سبق وأن التقى الرئيس المصري جمال عبد الناصر عام ١٩٦٠ وخلال زيارته للهند بزعيم الطائفة وذلك للتنسيق

بهدف رعاية الطائفة في مصر ثم أوفد سيف الدين ابنه محمد برهان الدين إلى القاهرة سنة ١٩٦٦م لتفقد وضع القبة الذهبية التي أهدتها الطائفة لمصر لقبور آل البيت المزعومة مثل مقام السيدة زينب والإمام الحسين بن علي فكرمتها الحكومة ومنحته الدكتوراه الفخرية في العلوم الإسلامية وذلك بتاريخ ٢١ مارس عام ١٩٦٦م من إحدى الجامعات المصرية بدعوى تقدير جهوده الخيرة في العمل على توثيق الروابط الكريمة بين المسلمين.

كما كرم الرئيس محمد أنور السادات نفس الزعيم عام ١٩٧١م حيث منحه وشاح النيل كما التقاه قبل اغتياله عام ١٩٨١ وذلك خلال افتتاح مشروع ترميم الجامع الأنور بالقاهرة - أحد المساجد الفاطمية وأضخمها - والذي تراجعت منظمة اليونيسكو عن ترميمه نظرا لحالته السيئة.

وكما هو واضح فإن تطور علاقة البهرة بالسادات مثلت بالنسبة لهم فتحا عظيما خاصة في تلك الفترة التي أعقبت توقيع كامب ديفيد حيث كان يسعى السادات إلى أن يبدو وكأنه الزعيم الذي يمكنه وحده أن يتجاوز الكثير من الحدود السياسية والاجتماعية وأنه وحده القادر على أن يمنح الأقليات حقهم في ممارسة طقوسهم دون أية معوقات.

لكن وكما كان في محاولة اغتيال عبد الناصر تراجع عن تحقيق أهداف البهرة في مصر كان في اغتيال السادات في سبتمبر من نفس عام لقائه بزعيم البهرة إجهاضا جديدا لطموحاتهم حيث اتخذت الأجهزة الأمنية آنذاك موقفا متشددا للغاية من كل التجمعات الدينية.

كذلك فقد قام الرئيس المعزول محمد حسني مبارك وكسابقه السادات بمنح زعيم الطائفة وشاح النيل فيما زاد مبارك على سابقه بأن التقى زعيم البهرة مرتين كانت إحداها عام ٢٠٠٥ في مدينة شرم الشيخ والتي عدها البعض بمثابة محاولة تمهيدية لإعادة العلاقات بين مصر والبهرة فيما التقاه المرة الأخرى عام ٢٠٠٧ فاستقبله في المطار

وهو اللقاء الذي أثار الكثير من علامات الاستفهام حول مدى علاقة مبارك بالبهرة وهل هو عضو بها أم لا؟ حيث ارتدى مبارك وقتها الوشاح الخاص بالطائفة والذي لا يرتديه إلا قادة الطائفة وكبار المقرئين منهم فقط ما دعا الصحف الرسمية إلى أن تنشر الخبر مقتضبا وعلى استحياء فيما قامت أجهزة الأمن بمصادرة مطبوعتي «الجريمة» و«كارت أحمر» عقابا على نشر صورة مبارك بالوشاح.

وتوثقت العلاقة بين مبارك والبهرة فتم منح البهرة كامل الحرية عام ٢٠٠٥ في الظهور وممارسة أنشطتهم بكل قوة فشهد رمضان من ذلك العام ظهور أبناء الطائفة بملابسهم التقليدية كما شهد مسجد الأنور تجمعهم للمرة الأولى فيما كان يصطحب زعيمهم الملقب بالسلطان برهان الدين معه سيارات الرئاسة الخاصة للمرور على المزارات الفاطمية ورعاياه من أبناء الطائفة في مصر مع توفير حراسة مشددة في جميع تحركاته وحول مقر إقامته في شارع الأحرار بالمهندسين والذي يسكنه الكثير من أفراد الطائفة.

كما كان يقوم زعيم الطائفة السابق والذي يتخذ من الهند مقرا له كون الهند تضم أكبر عدد من أتباع الطائفة حيث تنتشر في ٥٠٠ مدينة وقرية في الهند فيما يقدر عددهم بنحو من ٢ إلى ١٠ ملايين عضو على مستوى العالم يقوم بزيارة مصر بشكل دوري وذلك للاحتفال بيوم مولده الموافق الحادي عشر من مارس من كل عام فضلا عن زيارة عدد من المساجد والأضرحة التابعة للفاطميين الذي هم قادة دين البهرة ومؤسسه ليقيموا بعضا من الشعائر والطقوس التي تحمل الكثير من المخالفات الإسلامية ومع ذلك فقد كانت ولا تزال تحظى بحماية السلطات التي لم تكتف بتوفير هذه الحماية داخل المساجد الفاطمية فحسب بل امتدت إلى توفيرها لهم في الفندق الذي يتخذه قادة البهرة لهم مقرا خلال زيارتهم في مصر والمسمى بـ «دار الفيض الحكمي» في منطقة «الدراسة» بالقاهرة

فضلاً عن المسيرات التي يقوم بها البهرة في بعض المواسم والتي يرتدون فيها زياً مميزاً فالرجال يرتدون قمصاناً بيضاء طويلة وتحتها سراويل بيضاء وقبعات مميزة ويطلقون لحاهم فيما ترتدي النساء ملابس تشبه ملابس الصلاة التي ترتديها المصريات لكنها في الغالب ملابس زاهية ومزركشة.

التجارة ستارا

لا يفتأ يردد البهرة على مستوى القيادة والقاعدة أنه لا شأن لهم بالسياسة وأنهم بعيدون عن الممارسات السياسية ومن ثم ليست لديهم أية أطماع سياسية وهو ما أخذ به الكثيرون دون تبين للحقيقة خاصة وأن ظاهر وواقع البهرة وحالهم ربما يدعم مثل هذه الدعاوى .. إلا أن نظرة تأمل ومتابعة لسلوكهم تكشف عن الكثير من الخداع حول هذه المسألة ففي مصر - التي هي محور حديثنا - تمكن البهرة من السيطرة على العديد من المساجد التاريخية أمثال مسجد الأقمر واللؤلؤة والأنوار والجيوشي والحاكم بأمر الله الذي يعتقدون خروج المهدي المنتظر من تحت أحد أبياره التي تقع في صحن المسجد الأمر الذي يتضمن معنى خطيراً إذ يعني ذلك أن هؤلاء يسعون ولو بطرق ملتوية إلى استعادة الخلافة الفاطمية التي امتدت أكثر من ٢٠٠ سنة وطال نفوذها المحيط الأطلسي وشمال أفريقيا ومصر والشام واعتنق مذهبهم أهل العراق وزالت دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي بعد أن فروا منه واتجهوا إلى الهند وأقاموا فيها.

كما تردد أن البهرة هم الذين يقفون وراء مشروع تطوير القاهرة الفاطمية الذي تبناه وزير الثقافة زمن حسني مبارك وهدفوا من ورائه إلى إخلاء القاهرة الفاطمية من السكان وهو المشروع الذي تم التراجع عنه بعد أن وجد معارضة شديدة من أهالي المنطقة.

بل إن ما أشار إليه أستاذ التاريخ الحديث الدكتور محمد عبد المتجلي من أن نشاط البهرة في مصر تزامن مع دخول الهيريين لمصر وهو المادة التي كانت تستخدم في عهد نابليون بونابرت - قائد

الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م - لتتشتت الخيول لكن البهرة أدخلوها منطقة الجمالية بعد أن استوطنوها يحمل دلاله خطيرة إذ لو ثبت ذلك فإن من بين مخططات هؤلاء تدمير الشعب المصري.

ونجح البهرة إلى حد كبير في أن يوهموا الجميع بأن جل تركيزهم هو على ممارسة النشاط التجاري فحسب في حين كان تحركهم في منطقة «القاهرة الفاطمية» مثيراً للشك والريبة حيث صرح جلال الدين دراز أحد كبار طائفة البهرة في مصر عام ٢٠١٠ بأن الطائفة اشترت على مدار ٢٠ عاماً نحو ٧٥٪ من المحلات والبيوت في مناطق الجمالية والحسين والدراسة والدرب الأحمر والموسكي إضافة إلى شراء رجال الأعمال البهرة حوالي ٨٪ من المحال التجارية بمنطقة الحسين والقاهرة الفاطمية ما يطرح تساؤلاً مهماً للغاية حول السبب وراء إصرار هؤلاء على أن يتركز نشاطهم في هذه المنطقة بالذات إذا كان الهدف تجارياً بحتاً؟.

وفي هذا الإطار لا نستبعد تفسير أحد قادة الشيعة الإثني عشرية في مصر وهو المستشار الدمرداش العقالي الذي قال في تصريحات صحفية سابقة إن طائفة البهرة طائفة منقرضة وهم أشبه باليهود فهي طائفة منغلقة على نفسها غير أننا نضيف على العقالي أن هذا الانغلاق ربما يكون نقطة الانطلاق نحو تحديد الهدف الأكبر الذي أشرنا إليه في السطور السابقة.

ويأتي في السياق ذاته ما تردد حول أن الطائفة وخلال افتتاحها مسجد الحاكم بأمر الله عقب التطوير والتجديد زمن الرئيس السادات قامت بإهداء زوجة السادات حقيبة من الذهب الخالص أملاً في الحصول على مفتاح المسجد وهو الأمر الذي خيبه السادات حيث أودع المفتاح لدى وزارة الأوقاف المصرية لتكون مسئولة عن شئونه وتعيين إمام له ليس من البهرة كما كانوا يريدون.

يضاف إلى ذلك ما أشارت إليه بعض المصادر التي تحدثت عنهم والتي أكدت أن للطائفة طموحات وخططاً لبناء دولتهم والسيطرة على

الأنظمة مستندة في ذلك إلى تاريخهم السياسي وصراعاتهم مع الدول الإسلامية عبر التاريخ سواء كان ذلك في اليمن أو خارجها فضلا عن الاستناد إلى حقائق قائمة ومن ذلك ما ذكره علوي طه الجبل في كتابه «الشيعية الإسماعيلية .. رؤية من الداخل»:

- يطلق محمد برهان الدين على نفسه اسم «السلطان» وعلى أبنائه اسم «الشاه زاده» أي: الأمراء وعلى بناته «الشاه زادي» أي الأميرات ويسمى مبعوثه الهندي الذي ينوب عنه في إدارة شؤون أتباعه في الأقطار الأخرى «بالأمير».

- يؤكد محمد برهان الدين عند زيارته للدول الإسلامية على ضرورة مقابلة رئيس الدولة وكبار الحكومة وقد كان الاستعمار البريطاني يستقبل والده بواحد وعشرين طلقة مدفع كما يستقبل الملوك والرؤساء كما يصير الداعي على أن تصحبه المواكب الضخمة وسيارات الرئاسة في البلد المضيف والموسيقى العسكرية التي تعزف بالنشيد البهري الخاص.

- أنشأ الداعي حكومة يرأسها رئيس وزراء وتضم وزراء المالية والداخلية والخارجية والإعلام والعلاقات العامة.

- لهم علم خاص وقوات مسلحة خاصة مدربة تدريباً عسكرياً.

- لهم دستور خاص تم إرسال نسخة منه إلى اليمن في السبعينيات.

وأخيراً فإن ثمة شكوكاً تحوم حول ما يقوم به أتباع الطائفة في مصر من عمليات تنقيب داخل مرقد وآثار الفاطميين حيث البحث عن الذهب والمقتنيات وعشورهم على العديد منها في ظل حالة من صمت الدولة إزاء ذلك حتى امتدت أيديهم لغير الآثار الفاطمية.

الأهداف الحقيقية

بلا شك فإنه لا يمكن على الإطلاق استبعاد الجانب المالي والاقتصادي كأحد التفسيرات وراء حرص السلطات المصرية على تحسين العلاقات

وباستمرار مع طائفة البهرة إذ تعد المشكلة الاقتصادية في مصر أحد أهم المشكلات المزمنة والتي تسعى أي سلطة إلى التخفيف من حدتها عبر جذب رؤوس الأموال والمستثمرين الأجانب لهذا وبما أن الطائفة تمثل بأتباعها المنتشرين في عدة دول موردا هاما للسياحة الدينية في مصر حيث يقدر البهرة القاهرة الفاطمية تقديرا كبيرا كونها كانت دار خلافة قادتهم فإن السلطات تعمل على استمرار تدفق البهرة من دول العالم لزيارة المساجد الفاطمية في مصر خلال العديد من المناسبات الخاصة بهم فضلا عن السماح لهم بالمشاركة في الأعمال التجارية وإنشاء المصانع.

ويتبع ذلك ما يقوم به البهرة من الإنفاق ببذخ على عمليات تجديد وترميم بعض المساجد والمباني الأثرية التي تعود للعهد الفاطمي والتي ربما قدرت بعض الإحصائيات تكلفتها بنحو ٣٠٠ مليون جنيه، وهو ما خفف بلا جدال عن كاهل الحكومة المصرية عبء تحمل الملايين من الجنيئات للقيام بهذه العمليات بغض النظر عن تأكيدات بعض المتخصصين على أن ما يقوم به البهرة من عمليات ترميم تتم بطريقة غير علمية أخرج الأثر من الطراز المصري المعروف للمساجد فيما تحرص الطائفة على أن تقدم تبرعات سخية للحكومة المصرية وصلت في بعض الأحيان وبحسب تقديرات المدعو محمد الدريني أحد قيادات الشيعية المصريين إلى ٦٠٠ مليون دولار دفعها سلطان البهرة إلى حكومة الدكتور عاطف صدقي زمن الرئيس مبارك بالإضافة إلى تبرعهم في كل زيارة بما يقرب من ٥٠ مليون جنيه سنويا.

لكن في المقابل لا يمكن أن يستسيغ العقل حصر تفسير عمق العلاقات بين السلطة في مصر والبهرة في الجانب المالي والاقتصادي فحسب إذ لا يرقى ما سلف إلى حد أن تواجه الحكومات المصرية المتعاقبة حالة الرفض الشعبي لسلوك هذه الطائفة التي تمارس طقوسا تتعارض مع التعاليم الصحيحة في الإسلام وعليه فإن ثمة دوافع أخرى لا

يمكن غض الطرف عنها لتفسير هذه العلاقات تتجسد في العوامل السياسية التي ربما تكون هي المحرك الأساسي لبقاء هذه العلاقة.

وتتعدد العوامل السياسية بين مؤقتة وثابتة فالأولى تتعلق بموقف كل رئيس من طائفة البهرة فيما تتعلق الثانية بتوجهات إستراتيجية لدى النظام الحاكم في مصر.

وهنا يمكن القول بأن اللقاء الذي عقده جمال عبد الناصر بزعيم البهرة في الهند والترحيب الشديد به في القاهرة ومنحه الدكتوراه الفخرية ربما كان جزءا من خطة عبد الناصر لإحداث تقارب مع الهند كونها أحد الأضلاع الثلاثة التي أسست مجموعة دول عدم الانحياز التي كان يتزعمها عبد الناصر آنذاك في إطار جهوده لجعل من نفسه زعيما دوليا حيث كان يدرك مدى قوة وتأثير البهرة في الدولة الهندية وعليه فإنهم يمكن أن يشكلوا أداة ضغط على حكومتها للاستمرار في تحسين العلاقات المصرية الهندية.

وليس مستبعدا أن يكون السادات وفي إطار سيره على بعض خطى عبد الناصر لم يجد مانعا من أن تستمر علاقاته بهذه الطائفة كونها أحد وسائل التواصل مع الدولة الهندية في حين أدركت الطائفة جيدا طبيعة شخصية الرئيس السادات ومدى تأثير زوجته عليه وارتباطه بها ولهذا فإنها ووفق الكثير من الإفادات الصحفية قدمت هدايا خاصة لزوجة السادات ما كان له بطبيعة الحال أثره في العلاقة مع البهرة.

أما عن العوامل الثابتة فإن الإدارة المصرية تعلم مدى النفوذ الذي يتمتع به بعض أتباع طائفة البهرة في الأمم المتحدة والذين يمكن أن يثيروا حالة من الغضب العالمي تجاه البلاد حال أن تعرضت الطائفة أو قادتها لتعننت من السلطات المصرية.

ولهذا فإنه على ما يبدو ارتأت السلطات المصرية أن تضرب عصفورين بحجر: الأول أن تسعى للاستفادة الجيدة من تواجد الطائفة المعروفة بثراء أتباعها فيما الثاني هو الظهور وكأنها دولة تقبل

بتعايش الجميع وأنها تحترم الأقليات وتمنحهم حق ممارسة طقوسهم وشعائهم بمنتهى الحرية حتى لو كان ذلك على حساب مشاعر الأغلبية من المصريين خاصة وأن للطائفة اتصالات معلومة بالجانب الأمريكي لا يخفى بعضها عن السلطات ووسائل الإعلام ومن مثل ذلك الاجتماع الذي عقده بعض أعضائها في مصر مع سكرتير السفير الأمريكي بالقاهرة في نهاية عام ٢٠١١م وعليه فإن تقارب النظام مع البهرة يعد خيرا دعائيا للنظام المصري الذي يسعى إلى اعتباره نظاما يحترم الحقوق والحريات الدينية للأقليات.

وأخيرا فإن مسألة اللقاء لا تعدو عن كونها جزءا من حالة الغموض التي باتت تكتنف المشهد المصري على مدار ما يقرب من أربع سنوات ولغزا جديدا يضاف إلى ألغاز كثيرة تشهدها المنطقة برمتها حيث المحاولات الإيرانية التي لا تتوقف عن إثارة القلاقل والتوترات في العديد من البلدان العربية السنية لتحقيق المزيد من النفوذ والهيمنة الإيرانية الشيعية.

مشكلات المرأة المسلمة... مقارنة واقعية المرأة المطلقة... جدلية المشكلة والحل

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالراصد

مشكلة الطلاق واحدة من أهم المشكلات الواقعية التي تعانيها المرأة المسلمة وبينما تضغط المؤسسات النسوية لفك عرى الرابطة الزوجية كحل أساسي للضغوط والمشكلات التي تواجه الحياة الزوجية وتحقر من فكرة الصبر والتضحية وتجعلها قرينا بالضعف والفقر الذي تعيشه بعض القطاعات النسائية ولا تأبه هذه المؤسسات للمشكلات بالغة الصعوبة التي قد تعانيها المرأة المطلقة.

ففي سياق الصراع المحموم مع الرجل لا

(*) كاتبة مصرية.

تشغل النسويات بحقيقة ما تعانيه المرأة، ونحن

إذا نظرنا بصدق لواقع المرأة المسلمة ومشكلاتها الحقيقية التي تعانيها بعيدا عن نظرة النخبة النسوية في تضخيم بعض المشكلات أو اختلاقتها سنجد أن مشكلة الطلاق واحدة من أهم وأقوى المشكلات التي تعانيها المرأة، فمع التعقيدات العديدة التي صبغت حياتنا الاجتماعية ومظاهر الفرح المصطنع التي جعلت الزواج قضية ومشكلة (شبكة وهدايا وحفل عرس ومسكن فاخر وأثاث وأجهزة باهظة) أصبحت حركة الزواج بطيئة وصعبة بل وملغومة أيضا قد تنفجر في أي لحظة لتترك وراءها بيتا مهتما وامرأة مطلقة تجد صعوبة كبيرة في التكيف مع حياتها ويبدو بدء حياة جديدة حلما صعبا تكتنفه المشكلات.

الأمر بالغ الخطورة فمعدلات الطلاق في

تزايد مستمر، ففي مصر وحدها أكثر من مليون ونصف مليون مطلقة يواجهن مصاعب جمة لخوض تجربة الزواج الثاني في ظل نظام اجتماعي معقد. وفي بلد إسلامي كبير كالمملكة العربية السعودية ووفقا لبيانات صادرة عن وزارة العدل فإن حالات الطلاق في السعودية ارتفعت إلى أكثر من ٢٥ ألف حالة خلال عام ٢٠١٢، لتبلغ ٨٢ حالة في اليوم بينما هناك أربع حالات خلع يوميا على مستوى المملكة.

الفراق والشيطان

إذا كان هدف إبليس الأساسي هو تدمير حياة الإنسان في الدنيا والآخرة عن طريق فتنته بحيث يعيش حياة نكدة قلقة في الدنيا أما في الآخرة فالعذاب الأبدي هو الغاية النهائية لإبليس وجنوده ولاشك أنه بين الاثنين ترابطا عضويا فالحياة النكدة القلقة في الدنيا هي البوابة الكبرى للسخط وعدم الرضا اللذين يمهدان الطريق للكفر بنعم الخالق العظيم.

ومن أقوى الفتن التي يتعرض لها الإنسان في الدنيا ويلعب فيها إبليس وجنوده دورا محوريا الفراق

بين المرء وزوجه فعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ إبليس يضعُ عرشه على الماء ، ثمَّ يبعث سراياه ، فأدْنَاهُمْ منه منزلةً أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئا . قال : ثمَّ يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته . قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت» رواه مسلم.

وليس علينا أن نتعجب لاحتراف إبليس الشديد بذلك فالشيطان الذي نجح في غرس بذور الشقاق والفراق ومن ثم تحطيم رابطة الميثاق الغليظ وما يستتبع ذلك من ضغوط نفسية لدى الطرفين قد تقربه من الكثير من المحرمات فضلا عن مشكلة أبناء الطلاق الذين سيكونون هدفا لإبليس وجنوده لما يعايشونه من ضغوط وألم نفسي وإهمال وافتقار للرعاية التي تتم في وسط صحي آمن.

علينا إذن أن نقرر أنه وإن كان الطلاق في الأصل أمرا مباحا إلا أنه وبالتأكيد ليس بالأمر السار المرحب به فهو ضرورة من ضرورات الحياة والضرورة تقدر بقدرها ، إنه الدواء بالغ المارارة الذي قد يتم اللجوء إليه عند الضرورة ، ونظرة للعالم المسيحي الذي تعالى على هذه الضرورة نتبين من خلالها كم الفواحش والمصائب التي قد تترتب على غلق هذا الباب بصورة كلية.

مساحة من التعارف

إذا كان علينا أن نقترح حلا يقلل من قسوة انتشار الطلاق في المجتمع فإن علينا أن نميز بين نوعين مغايرين من الطلاق أحدهما يحدث في السنوات الأولى من الزواج خاصة في السنة الأولى منه وينتج غالبا عن عدم التناسب الكافي بين الزوجين وعدم القدرة على التكيف والتعايش بينهما.

بينما يحدث النوع الثاني من الطلاق بعد عدد طويل من السنوات وغالبا ما تكون المشكلات والضغوط المتراكمة وراء هذا الطلاق. النوع الأول يندرج تحت فكرة أن البدايات

الخاطئة ستؤدي غالبا لنهايات خاطئة فنحن لا يمكننا أن نتحدث عن أسباب الطلاق ولا نذكر سوء الاختيار كسبب رئيسي لوقوع الطلاق، ووفق الفلسفة الإسلامية يقع التدين على رأس قمة هرم أسباب الاختيار ويليه السلوك أو الأخلاق وفق الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فإذا كان السلوك والخلق جزءا من الدين إلا أنه تم الحديث عنه وحده لإبراز أهميته فقد يكون رجل صاحب صلاة وصيام ولكنه ليس لطيف المعشر كما سيأتي في قصة فاطمة بنت قيس حيث لم يعيب الرسول على خطابها دينهما وإنما تحدث عن أمور مرتبطة بالسلوك والواقع الحياتي، فأحدهما لا مال عنده، والآخر لا يضع العصا عن عاتقه بمعنى أن شخصيته تتسم بالعنف.

بعض الفقهاء تحدث عن الكفاءة، أي تقارب الوسط الاجتماعي، وهو إن لم يكن شرطاً لصحة الزواج ولكن النظرة الواقعية تجعله مطلوباً ومرغوباً فيه لجلب المنافع ودفع الضرر، ولذلك عندما تزوجت أم المؤمنين زينب بنت جحش زيدا كانت النهاية فشل هذا الزواج.

وهناك توجيهات إسلامية واضحة تدعو لقدر كاف من التعارف قبل إتمام الزواج فلا بد أولاً من النظر وهو الحد الأدنى في هذا الأمر «فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» رواه الترمذي.

وقد تدعو الحاجة للحوار المباشر كما حدث بين أم سليم وأبي طلحة عندما تقدم للزواج منها وأخذ يعرض عليها مهراً غالياً لكنها رفضت وقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً. أما تعلم يا أبا طلحة أن ألهتكم ينحتها آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها نارا لاحتقرت.

وعندما احتدم الحوار بينهما قالت له: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم

فذاك مهري ولا أسألك غيره.

هذا الحوار نموذج للتعارف النفسي والفكري لذلك فلا غرابة أن كان زواج أم سليم نموذجاً للنجاح في الحياة الزوجية.

أو يدور حوار عبر وسيط كما حدث مع أم المؤمنين أم سلمة، فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: إن أم سلمة لما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردّته، ثم خطبها عمر فردّته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحباً، أخبر رسول الله أني غيري (شديدة الغيرة)، وأنني مُصبية (ذات أولاد صغار)، وليس أحد من أوليائي شاهد. فبعث إليها رسول الله ﷺ: «أما قولك: إنني مصيبة، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إنني غيري فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي ..» رواه أحمد.

لا شك أن النبي ﷺ يعرف ظروف أم سلمة وعلى الرغم من ذلك فإنها رضي الله عنها ترسل له عبر الوسيط بنقاط بالغة الحساسية في مستقبل علاقتها الزوجية فهي لديها مسئوليات نحو صبية صغار وربما يؤثر ذلك على اهتمامها بالزوج كما أنها وهذه رسالة مهمة جداً امرأة شديدة الغيرة فهي بطاقة تعريف نفسية فهذه أمور لا يجوز إخفاؤها ثم نصدم بها الطرف الثاني.

وقد يكون الحل استشارة شخصية ثقة عارفة بالطباع وتمتلك مهارة في فهم النفسانيات، فعن فاطمة بنت قيس، قالت: لما حلت أتيّت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه من عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، ولكن انكحي أسامة بن زيد». قالت: فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة، فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به».

بين الضغوط والصبر

بينما يحدث النوع الثاني من الطلاق بعد عدد طويل من السنوات وغالباً ما تكون المشكلات

ما بعد الطلاق

ربما كانت مشكلة المرأة المطلقة في الماضي أكثر يسرا وبساطة حيث كانت المرأة المطلقة وبمجرد انتهاء عدتها يتقدم لها أكثر من خاطب كما رأينا في قصة فاطمة بنت قيس حيث كانت حركة الزواج تتسم بالمرونة والانسيابية، أما في مجتمعاتنا المعاصرة فأصبح الزواج لأول مرة يمثل صعوبة كبيرة وأصبح الزواج الثاني ليس بالأمر الميسور وبالتالي ففرص المرأة في للحصول على زوج ثانٍ أقل.

كما تنخفض أيضا المحددات التي يتم على أساسها القبول فكونها امرأة سبق لها الزواج يجعلها تتنازل عن بعض طموحاتها الشخصية في الزوج القادم .. البعض يتعامل مع المرأة المطلقة كأنما هي امرأة ناقصة بينما تحدث القرآن عن الشيبات والأبكار بمنطق التسوية حيث معيار التميز هو التقوى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَحِبُّنَّ عِلْدَاتٍ سَخِيحَاتٍ زِينَتٍ وَابْتِكَارًا﴾ [التحريم : ٥].

وليس كون المرأة مطلقة أنها ارتكبت خطأ ما أو أن لديها خلاا شخصيا وإلا فماذا تفعل زوجة المدمن والمقامر والعاث؟!

بعض النساء المطلقات يفضلن عدم الزواج إذا كان من يتقدم للزواج منها أقل من طموحها في الزوج الثاني وهو ليس بالخيار السهل فعلى المرأة في هذا الحال أن يكون لها دخل مادي كاف خاص بها وحتى في هذا الحال فإنها تعيش حياة تفتقد أحد عناصر الاستقرار والطمأنينة لأنها تفتقد الحياة الزوجية.

والضغوط المتراكمة وراء هذا الطلاق وهذه مسألة يحتاج علاجها للصبر والتضحية والتحلي بروح إيمانية وأخلاقية عالية، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء، غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنتم أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: إخ لي ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغبر الناس فعرف رسول الله ﷺ أنني قد استحييت فمضى فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه، قالت حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني»، رواه البخاري.

إنها الضغوط الحياتية القاسية التي جعلت وجود خادم بمثابة العتق من رق المسئوليات فأسماء تواجه الظروف الاقتصادية الطاحنة وطبيعة الزبير شديد الغيرة بل وبعض العنف الزوجي، فعن عكرمة أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدا عليها، فأنت أباهما فشكت ذلك إليه، فقال: «يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة». الطبقات الكبرى لابن سعد.

وأكرر: موضوع الكتاب هو انحراف تنظيم القاعدة وليس داعش، فالكتاب كُتب مع بدايات تشكل داعش وقبل إعلان الخلافة، وقد جاء للتحذير من أخطار تنظيم القاعدة في العراق أن تتكرر في الجهاد بسوريا، وهذه الأخطار والانحرافات هي سبب انشقاق أبي محمد الجولاني عن قاعدة العراق وزعيمها أبو بكر البغدادي، وإعلانه البيعة للظواهري، في محاولة لتجنب تكرارها في سوريا.

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

أهمية الكتاب
تتبع من ثلاث نواحٍ،
هي:

(*) کاتب اردنی.



وأخطاء العراق فحسب، بل زادت عليها كثيراً، وقسم بسيط بقي مع أبي محمد الجولاني لا يزال يتبع الظواهري، ولكنه كرر سياسة القاعدة المنحرفة بالانفصال عن بقية الفصائل بتنظيم مستقل وأعلن تبعيته للظواهري وحصلت منهم اشتباكات محدودة مع بعض الفصائل الأخرى، ولا يخفي رفضه وعداءه لاجتهادات الفصائل الأخرى التي تمزج المقاومة بالسياسة، والأيام كفيلاً بإظهار مدى اعتدال جبهة النصرة وتطورها عن القاعدة الأم.

الكتاب جاء في أربعة فصول، عالج الفصل الأول بعض الأسئلة حول القاعدة

ليبين حقيقة سياستها وفكرها بعيداً عن الشعارات والخطابات الرنانة «لم نعتد فيما كتبناه على الادعاءات والانتهاكات المطلقة، وإنما نظرنا في الأعمال والنتائج فحكمنا عليها وشخصنا الداء الكامن فيها» كما يقول السويدي.

ويرى السويدي أن القاعدة تتطلق من رؤية مغلوطة للواقع وصلت بها لرفض الإصلاح السلمي لحال الأمة وأنه لا حل إلا بالقتال، ولما رفض العلماء والعقلاء تهوور القاعدة، لم تراجع نفسها بل أسقطت العلماء وخونتهم واتهمتهم بالجبن والانبطاح والردة، ودغدغت عواطف الشباب بالشعارات والأناشيد والأفلام.

ولأن قادة القاعدة غالباً مجهولون ويغلب عليهم الجهل، انتشرت بينهم المفاهيم المضللة كمفهوم (النصر) الذي أصبح يعنى عندهم بقاء المسلمين يقاتلون، ولو كان هذا القتال بدون استعداد وقدرة فيقتلون دون ثمرة! فهذا غير مهم إذ المهم عندهم بقاء القتال قائماً!!

وهكذا تحولت القاعدة إلى أداة هدم

والظواهري للقاعدة، وقد أورد السويدي العديد من الرسائل الموجهة لابن لادن والظواهري من بعض التنظيمات الجهادية في العراق تعترض وتشتكي من جرائم أتباعهم في العراق، ثم كانت رسالة قاضي القاعدة في العراق أبي سليمان مؤكدة لهذه الجرائم، ولم يصدر عن ابن لادن والظواهري قرار يدين تلك الجرائم ويعمل على إعادة الحقوق ورد المظالم، بل بقي الظواهري لليوم يحتفظ بشعرة معاوية مع داعش برغم كل الاتهامات والمطاعن التي وجهت له شخصياً منهم، مما يحملهم وابن لادن مسؤولية هذه الجرائم بشكل مباشر.

٢- الاستناد إلى كثير من أدبيات تنظيم القاعدة ورموزه لبيان تجذر فكر التكفير والتخوين والاستعداد ومن ثم التهديد بالقتل لبقية المسلمين من العلماء والدعاة والجماعات والفصائل المجاهدة، فضلاً عن العامة والموظفين والجنود والحكومات و...، مما شكل جذور انحراف داعش والتي أخرجت ذلك وطبقته علناً حتى كفرت كثيراً من القاعدة ورموزها أنفسهم، فكما تدين ثدان!

٣- الرؤية المستقبلية للدور السيئ الذي ستلعبه القاعدة في الجهاد بسوريا لمصلحة النظام النصيري الطائفي تحت شعارات إسلامية وجاهدية.

فقد اعتمد السويدي على تحليل لواقع وحقيقة ثمار تنظيم القاعدة في العراق وبقية العالم ليستببط الدور السيئ الذي ستلعبه القاعدة في تخريب الثورة السورية، وقد صدقت استنتاجاته مع متغير صغير وهو انقسام القاعدة في سوريا إلى قسمين: غالبية التنظيم وعدة فصائل قاعدية في العالم انشقت على قيادة الظواهري وعُرفت باسم (داعش) وأعلنت الخلافة ولم تكرر جرائم

الخطابات العدائية بينهم فإن الواقع أكثر عقلانية وحيادية، فقد تجنبنا القاعدة أن تكون إيران وسوريا الطائفة مسرحة لجهادها طيلة المدة من نشأة القاعدة وحتى قيام الثورة السورية، رغم استباحتها الكثير من العواصم السنية بالتفجيرات والعمليات، فضلا عن تصريحات قيادات القاعدة بأن المعركة مع إيران وسوريا لم يحن وقتها بعد!

والفصل الرابع نبّه فيه السويدي على تسلسل فساد القاعدة في العراق للجهاد في سوريا، من خلال الانفصال عن الفصائل المجاهدة السورية والتي هي أسبق في الجهاد هناك، ومن ثم السعي في تزعم الجهاد وطلب المبايعة لها والانضواء تحت إمرتها والتي تطورت وأصبحت خلافة!

ثم شغلت الجهاد بالمعارك فيما بينهم بدلا من النظام النصيري، فلقد قتل الدواعش أبناء القاعدة من المجاهدين ما لم يقتل النظام النصيري، وكانت الثمرة الحقيقية هي عودة الروح لنظام الأسد وتفكك جبهة الثورة، وتدمير مناطق السنة إما بالبراميل المفخخة من النظام أو بجنود داعش.

في الختام الكتاب مليء بالأفكار ووجهات النظر غير السائدة عن تنظيم القاعدة، ومطالعة مهمة للباحثين في تجارب ومستقبل العمل الإسلامي، وإن كان الكتاب يحتاج في بعض المواطن إلى تقديم وتأخير لتتسجم الأفكار المتشابهة في مكان واحد مما يساعد على اكتمال الصورة عند القارئ.

للدول السنية فهي قامت لمحاربة الأمريكان والصليبيين، لكنها في الطريق كفّرت الأنظمة والعلماء والجماعات الإسلامية والمجاهدة والشعوب المسلمة، ودخلت مهم في صراع عسكري على اعتبار أن قتال المرتدين مقدم على قتال الكفار الأصليين، وهكذا كفّت القاعدة أعداء الأمة هدم بلادنا، وكفّت الأنظمة الطائفية في العراق وسوريا مقاومة الثورات الشعبية، فقد تكفلت القاعدة بهذا الدور!! وأصبحت الغاية الحقيقية للقاعدة السيطرة على بلاد المسلمين كحال الطغاة في عالمنا!!

الفصل الثاني خصصه المؤلف لقصة انقلاب القاعدة على أهل السنة والجهاد في العراق، حيث يسكت الإسلاميون على عدوان القاعدة بحقهم بحجة الأخوة والجهاد وهو الخطأ الذي تكرر في أكثر من بلد وكانت عواقبه وبيلة، فالقاعدة في العراق كانت بقيادة الزرقاوي الذي يصفه شيخه المقدسي بالسطحية والضحالة، فإن صدق المقدسي فهي مصيبة، وإن كذب المقدسي فهي مصيبة أيضا.

وبهذه القيادة الزرقاوية تم استعداد الحاضنة السنية التي كانت تواجه القتل على يد الأمريكان والشيعة، والتي لم تُطبق قتال العدو فاختارت مهادنة الأمريكان، فكفرها الزرقاوي وحاربها نيابة عن الشيعة والأمريكان!!

وفصل المؤلف في مواقف القاعدة من الفصائل المجاهدة وعدوانها عليهم كالجيش الإسلامي وجيش المجاهدين وجماعة أنصار السنة وجماعة أنصار الإسلام الكردية، وهو ما كررته داعش في سوريا!!

وجاء الفصل الثالث لبيان حقيقة موقف القاعدة من إيران والشيعة، وأنه بخلاف

لا نزال نعاني نفس المشكلة بعد نصف قرن!

قالوا: مشكلة الدعوة الإسلامية أن لها أعدادا هائلة من الأنصار لا قادة لهم، أو أن كثيراً من قادتهم ليسوا على مستوى الأحداث.

مصطفى السباعي رحمه الله،

هكذا علمتني الحياة

بشرى في وسط الظلام

قالوا: أخيراً تم إلغاء حظر الحجاب للطالبات في المدارس المتوسطة والثانوية في تركيا .. الحمد لله.

إسماعيل ياشا،

تغريدة ٢٠١٤/٩/٢٣

التلاعب بالإسلام

قالوا: افتتح أكاديمي جنوب إفريقي مسلم مسجداً في مدينة كيب تاون يسمح للمثليين بالصلاة فيه، رغم تسلمه تهديدات بالقتل وتعرضه لانتقادات شديدة من جانب بعض المسلمين في البلاد. وأطلق الأكاديمي تاج هارغي على المسجد الذي افتتحه، والذي يسمح أيضاً للنساء بإمامة الصلاة، اسم «المسجد المفتوح».

المصريون ، ٢٠١٤/٩/٢٠

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

قالوا: قبل أن نطالب الحكام بموقف إزاء التدخل الإيراني فيما يجري باليمن ومن قبله بسوريا والعراق .. لنطالب الحركات الإسلامية الصامتة.

د. أحمد موفق زيدان،

تغريدة ٢٠١٤/٩/٢١

من يفهم؟

قالوا: الشيعة الصفوي لما يصنع ميلشيات تجدها تتحرك وفق منطق استراتيجي ذكي جداً أما السني لما يتسلح يريد أن يفتح كل العالم مرة واحدة فيعاديها الجميع!

أنور مالك،

تغريدة ٢٠١٤/٩/٢٢

مصيبه أن تبث من بلادنا

قالوا: هناك مجموعة من القنوات التي تهاجم الإسلام والمسيحية بالإضافة للقنوات الخليعة تبث من دول الخليج والأردن ولندن من داخل نطاق القمر المصري، والواقع فيما يسمى بـ ٧ درجات غرب ويشاركنا فيها أكثر من ٣٠ قمراً فرنسياً، تقوم بتأجير القنوات التي تبث من الخليج والأردن وغيرها.

اللواء أحمد أنيس،

رئيس النيل سايت،

موقع كلمتي ٢٠١٤/٩/٢٣

قالوا:

طهران محقة عندما تقول إن التحالف الدولي ضد «داعش» يُضمر سوءاً للنظام في سورية. بدأت مؤشرات ذلك تلوح عبر إعلان الولايات المتحدة تدريب فصائل من المعارضة السورية في موازاة الغارات التي ستشنها على «داعش»، علماً أن الهدف من ذلك هو منع النظام السوري من الاستثمار في نتائج هذه الضربات.

ويبدو أن جيش النظام في سورية بدأ يتحرك وفقاً لهذه المعطيات. ففي الأسبوعين الفاتحين انتقلت غارات طيرانه إلى استهداف الفصائل المناوئة لـ «داعش» في إدلب وحلب. وما إضعاف خصوم «داعش» إلا بداية طريق لضخ المزيد من أسباب الصمود في شرايين «الخلافة». ثم إن مؤشرات أخرى بدأت تلوح لا يُمكن استبعادها عن هذا السياق. ففي الأسبوع الفائت أعلن «حزب الله» أنه سيُضعف نشاطه العسكري إلى جانب النظام في سورية، وأن المرحلة تقتضي مزيداً من القتال هناك، وهذا الإعلان جاء غير منسجم مع سياسة الصمت التي يضربها الحزب على دوره في دمشق، وغير منسجم أيضاً مع ما يُمكن أن نتوقعه لجهة تبريد الاحتقان المذهبي.

إعلان الحزب سيُقدم لـ «داعش» مزيداً من المقاتلين، وسيجعل من هذا التنظيم الجهة التي تتولى مواجهة المد الشيعي. الإعلان جاء فعلاً هدية قيّمة لـ «الخلافة» في ظل ادعائها دفع الظلامنة عن «أهل السنة». وفي السياسة لا يمكن توظيف هذا الإعلان إلا بالرغبة في دعم «داعش».

حازم الأمين،**الحياة ٢٠١٤/٩/٢١****قالوا:** إذا حقق معي سائبغ جهات التحقيق وبخاصة

الجهات السيادية بأسماء قيادات الأزهر والأوقاف التي زارت إيران على مدار العامين السابقين، هناك أساتذة مرموقون بجامعة الأزهر أعضاء بهيئة تحرير مجلات تصدر في إيران، وهناك شخصية مرموقة سابقة كانت تذهب لزيارة إيران.

د.أحمد كريمة،**المصريون ٢٠١٤/٩/٢٠****الخدلان الإيراني****قالوا:** في العدوان الأخير كان هنالك نوع من

الدعم الموجود، ولكن «لا نستطيع أن نقول أنه كان حقيقياً لغزة أو لحركة حماس والجميع يفتقد مثل هذا الأمر، لأن المشروع الإيراني ومشروع حزب الله تورط بعيداً عن فلسطين في معارك جانبية ذات طابعية طائفية أصبحت واضحة، وهذا عطل أن تكون أولوية البوصلة تجاه القدس».

يحيى موسى، القيادي في حركة**«حماس»، موقع النشرة ٢٠١٤/٩/٢٤****إخوة في الإرهاب****قالوا:** دعت البحرين إلى توسيع نطاق المواجهة

مع الجماعات المتشددة، والقضاء على كل ما وصفتها بـ «المجموعات الإرهابية في المنطقة التي تشكل خطراً لا يقل عن خطر ما يسمى بداعش» وحددت في هذا السياق حزب الله اللبناني، الذي وصفته بـ «الإرهابي» وذلك في كلمة المنامة بمؤتمر باريس الخاص بتحديد سبل مواجهة داعش.

موقع سى أن أن ٢٠١٤/٩/١٦

حقيقة لها ، وأنه يستطيع أن يتعاطى مع إيران والشيعية على سبيل التحديد من خلال مرجعيات موحدة ، أكثر من تعامله مع السنة الذين تختلف مرجعياتهم وقراراتهم ، ولم يستطيعوا أن يتوحدوا ويحققوا مصالحهم الخاصة ، فما بالك بالمصالح الكبرى مع الغرب.

هذا الشعور هو الذي أدى إلى ترشيح «إيران» كحليف استراتيجي في المنطقة ، وهو الذي جعل إيران تتعاون بشكل جيد مع أميركا في غزو بلدين سنيين ، العراق وأفغانستان ، حتى صرح كولن باول بأنه لولا دعم إيران لم نستطع السيطرة على أفغانستان ، وكذا التسهيلات التي تلقتها أميركا من إيران في حربها ضد صدام حسين ، ونقل جنودها إلى الشمال وغيرها من الدعم اللوجستي ، الذي أسهمت فيه إيران خدمة لاحتلال العراق ، ومن ثم تسريح في العراق وأخذة لقمة سائغة. إن إيران لن تسمح للغرب بالاستحواذ على اللقمة كلها في المنطقة ، فهي تساومه على حصة مقبولة في مقابل التعاون معه في رسم الخارطة الجديدة ، ولذلك سمح لها الغرب في التدخل في اليمن ، ولبنان ، والعراق ، واختلفوا في سورية التي تريد أن تنقسمها معهم حتى يكتمل الهلال الإيراني الذي يطوق الدول السنية ودول الخليج من أقصى بحر العرب مروراً بلبنان وسورية والعراق حتى يصل إلى طهران.

لقد عملت إيران على وجود الأقليات الشيعية في المناطق المستهدفة ، وأغرثهم بالدعم والمال في سبيل تنفيذ خططها في المنطقة ، ووجدت في «الحوثيين» في اليمن القبول التام ، واستطاعت أن تقللهم من الزيدية الجارودية إلى الإمامية الاثني

اليمن... موطن القدم الإيرانية!

بدر العامر - الوطن السعودية ٢٢/٩/٢٠١٤

النظرة التجزئية للأحداث ، ودراسة الأوضاع الخاصة كل على حدة بعيداً عن «الاستراتيجية» العامة للقوى الكبرى ، لن يجعلنا نفهم الأحداث بشكل جيد ، الأمر الذي يغيب النظرة الصحيحة للتعامل معها ورسم الخطط لمواجهةها.

هناك قواسم وقواعد عامة في الأحداث تحدد الدراسات التي تعتنى بصراع القوى العالمي ، وهي كليات ثابتة تتغير تكتيكاتها القصيرة ولكنها في النهاية تصب في الخطة النهائية التي رسمت معالمها عبر تفاوضات طويلة لرسم خارطة المنطقة التي نعيش فيها ، ومن هذه الاستراتيجيات العامة الحلف : «الصفوي / الصهيوني» الذي يظهر العداء الظاهري ويبطن الترتيب والتقسام الباطني ، وكل مشروعاته تصب في مصالحه الخاصة ، التي توالى منذ حرب أفغانستان الثانية ، مروراً بغزو العراق إلى أحداث الثورات العربية.

إن الغرب يدرك أن «إيران» معادلة صعبة في المنطقة ، فهي دولة تاريخية كبيرة ، ولها جيش واستخبارات ضخمة ، ولديها مشروع توسعي أيديولوجي مهدوي ، وفي نفس الوقت يرى أن مصالحه في الحلف معها كبيرة ، ويشعر أنها أقرب إلى روحه وتوسعه من السنة الذين لا يملكون مشروعاً ولا وحدة ، وأن إيران لا تملك مشروعاً منهاضاً للغرب ولا لإسرائيل إلا شعارات جوفاء لا

عشرية؛ حتى يكونوا أكثر اتساقاً وتعاوناً مع مشروعاتها في المنطقة، وكانت طريقتهما في التوسع والنمو تشبه كثيراً طريقة إسرائيل، فهي استحكمت على بعض الجزر القريبة من اليمن، وحولتها لأماكن دعم وتدريب، ورسمت الخطط التي استطاع الحوثيون أن يسيطروا على مناطق شاسعة من اليمن حتى سيطروا. تم لهم محاصرة صنعاء وربما سقوطها في أيديهم الأيام القادمة، وهذا يعني تحول اليمن الذي يعد بعداً تاريخياً واستراتيجياً للدول العربية إلى محافظة إيرانية في خاصرة السعودية ودول الخليج، وقد حركت جيوبها وأتباعها هناك حتى تساوّم الغرب وحلفاءه في خططهم الرامية إلى القضاء على «داعش» واستهداف النظام السوري بالضغط تجاه اليمن، وإرباك المشهد حتى يتحقق لها القوة في التفاوض وتحقيق المزيد من المكاسب الجغرافية والسياسية.

إن حالة «الفوضى» التي تتراد في المنطقة لا تستثني أي دولة، فالسعودية مستهدفة من أطراف عدة، سواء إيران أم الغرب أم إسرائيل؛ لأنهم كلهم يرون فيها الدولة القوية التي ماتزال متماسكة في مقابل المشروع الذي يستهدف تطييف المنطقة وتقسيمها وشرذمتها حتى تنفرد إسرائيل وإيران في المنطقة، وتتقاسم مع الغرب المصالح والثروات وتحوّل الدول العربية السنية إلى خدم يدورون في فلك سياساتهم ومخططاتهم، ولذلك خلقت في العراق وسورية واليمن ولبنان العملاء والحركات القتالية الغالية التي تكون مبرراً لتسريح أيدي القوى في تشكيل المنطقة بما يحقق قمع السنة والقضاء على أي عامل نهضوي، وتدمير الجيوش التي يمكن أن تهدد إسرائيل في أي يوم من الأيام، ومن دلالة هذا الحلف والتعاون، ما حصل أثناء حياة الخميني وفي قمة الغلواء الإيرانية تجاه الغرب، بما يسمى بفضيحة «طهران جيت» التي أظهرت التعاون الاستراتيجي الاقتصادي والعسكري بين إسرائيل وإيران، وماتزال هذه العلاقات قائمة إلى اليوم، إذ كشفت وسائل الإعلام الإسرائيلية في ٢٠١٠ عن صفقة من ١٣ ناقلة نفط رست في المرافئ الإيرانية خلال السنوات العشر التي يفرض فيه الغرب عقوبة

على إيران، وفي نفس الوقت كانت إسرائيل في ذلك الزمن تدعو الغرب إلى توجيه ضربات للنووي الإيراني، مما يؤكد أن للسياسة ظاهر وباطن، وأن إسرائيل تحارب إيران بالعلن وتتعاون معها في السر، وأن التصريحات العلنية ما هي إلا للتضليل وتوجيه الأنظار إلى غير الوجهة الصحيحة، وأن الشعور بالتوافق بين الدولتين ظاهر، ولذلك لم تتعرض لا إسرائيل ولا إيران لأي تهديد واقعي أو محتمل من «داعش» التي لم تسلم منها الدول السنية، خاصة السعودية.

إن الاستحكام الحوثي على اليمن، أو أنه أصبح معادلة صعبة في الواقع اليمني يعني تمدد إيران في منطقة مهمة بالنسبة للسعودية، ويعني تهديداً مباشراً لمصالحنا ولأمننا واستقرارنا. إنهم سيشكلون بلا شك حالة من الإرباك والقلق في الجنوب، مع تزامن تهديدات «داعش» التي يراد لها أن تسرح على حدودنا الشمالية، مما يعني دخولنا في حالة من الاستنزاف والإرباك، مع وجود حوثيين وداعشيين في الداخل ينتظرون ساعة الصفر لخلق الفوضى في بلادنا وإدخالها في فتنة محتملة، الأمر الذي يتطلب منا اليقظة والاستعداد، وبناء اللحمة الداخلية في مواجهة العاديّات، والعمل على خلق خطط مضادة من خلال دعم الجانب السني في اليمن، وإحداث حالة من التوازن السياسي في العراق وسورية مع جماعات وعصابات معدة لأهداف محددة، فمفهوم «الجيل الرابع للحروب» يجري على قدم وساق، والنظرية السياسية تطبق بحذافيرها في الواقع، وبث الوعي سبيل لتهيئة الشعور العام بالمواجهة للحرب التي تستهدفنا وأمننا وبلادنا، وقانا الله الفتن والشُرور.

صنعاء أخطر من دمشق

فسان شربل-٢٢/٩/٢٠١٤

سألت الرئيس عبد ربه منصور هادي عما تريده صنعاء من طهران فأجاب: «للأسف ما زال التدخل الإيراني قائماً، سواء بدعمه الحراك الانفصالي (في الجنوب) أو بعض الجماعات الدينية

في شمال اليمن (الحوثيين). طلبنا من أشقائنا الإيرانيين مراجعة سياساتهم الخاطئة تجاه اليمن لكن مطالبتنا لم تثمر. لا توجد لدينا أي رغبة في التصعيد مع طهران لكننا نأمل بأن ترفع يدها عن اليمن، وأن تعمل لإقامة علاقات أخوية وودية وتتوقف عن دعم كل التيارات المسلحة والمشاريع الصغيرة».

كان ذلك في حوار أجرته مع الرئيس اليمني علي هامش مشاركته في القمة العربية في الكويت في آذار (مارس) الماضي، ونشرته «الحياة» في حينه.

علّمتني المهنة أن الزعيم العربي لا يسمي الأشياء بأسمائها إلا بعد أن يغلق الصحافي آلة التسجيل، ويوافق على أن المقطع الأخير من اللقاء ليس للنشر بل لمساعدته على فهم المشكلة.

سألت الرئيس عما يريده الحوثيون فقال إنهم يبلورون كيانه تحت سيطرتهم، وينطلقون منه لتكبيد الدولة. وأضاف أن مطلبهم الفعلي هو الحصول على ميناء على البحر الأحمر. واستوقفني قوله إن مَنْ يُمْسِك بمفاتيح باب المندب ومضيق هرمز لن يكون محتاجاً إلى قنبلة نووية. وكان يشير بذلك إلى أن الاندفاع الحوثية جزء من البرنامج الإيراني الكبير.

كررت مطالبتي بأدلة ملموسة على الدور الإيراني. رد هادي بالقول: «موجودة وكثيرة وسأعطيك دليلاً لم نتحدث عنه علانية حتى الساعة. لدى الأجهزة اليمنية خمسة معتقلين من عناصر «حزب الله» بسبب قيامهم بأدوار أمنية في مساعدة الحوثيين. وقد تلقيت في شأنهم رسالة من الأمين العام للحزب السيد حسن نصرالله. على أي حال، واضح أن دور الحزب يتخطى لبنان وسورية، وكذلك دور أمينه العام». ولمّح إلى أن شخصية تدعم انفصال الجنوب تقيم في بيروت، وتحظى بدعم الحزب على صعد عدة في مقدّمها الإعلام. وكان يشير إلى السيد علي سالم البيض.

لم أنشر ما سمعته بعد إغلاق آلة التسجيل.

لكن اليمن بلد بلا أسرار. مطلب الميناء صار علنياً، والمصادر الأمنية اليمنية سرّبت قبل أسابيع خبر اعتقال عناصر من «حزب الله».

ذكرني بكلام الرئيس اليمني ما قاله صديق اتصلت بالراحة للطامئنان عليه، لأن منزله يقع في المنطقة المتنازع عليها بين الحوثيين وما تبقى من الدولة اليمنية في صنعاء. قال إن ما يجري على الأرض أهم بكثير مما يكتب على الورق، وإن محاولة الانقلاب الحوثية تقترب من النجاح وإن «الحوثيين سيطروا عملياً على الدولة». لكنه لاحظ أن الحوثيين «لا يستطيعون أن يحكموا البلد برمته، ولن يحكموا أجزاء واسعة منه إلا بالحديد والنار. إننا نشهد نهايات اليمن الذي تعرفه ونعرفه. واضح أن الجنوب سينفصل وسيسقط في أيدي الإسلاميين. وواضح أيضاً أن المناطق ذات الكثافة السنية لن تستسلم للحوثيين وأنها ستتمرد وتحاول العيش في ظل سلاحها. سيكون لدينا داعش أو دواعش».

ذهب الصديق بعيداً في التحليل ولفتني إلى خريطة اليمن. قال إن «الاندفاع الإيرانية-الحوثية للإمساك بصنعاء تحمل في طياتها رداً على دور السعودية في التحالف الدولي وموافقتها على تدريب الجيش السوري الحر، كما تعكس الاندفاع تخوفاً إيران من احتمال خسارتها دمشق بعد تأكيد واشنطن أن الحرب على «داعش» لن تعني إعادة تأهيل نظام الأسد».

قال إن الحوثيين يتقدمون في صنعاء وأحرقوا جامعة «الإيمان» انتقاماً من الداعية عبد المجيد الزنداني، وأن اللواء علي محسن الأحمر يقاثلهم ولكن بلا أمل. وصف ما يجري بأنه «انتقام مركّب. انتقام إقليمي ومذهبي ومناطقى وقبلي». ورأى أن الرئيس السابق علي عبد الله صالح «يمارس الانتقام بحرفية عالية. إنه ينتقم من الإخوان المسلمين ومن آل الأحمر وكل الذين تكاتفوا لإزاحته. أنصاره يقفون في الساحات إلى جانب الحوثيين».

ختم الصديق كلامه مؤكداً أن «صفحة

أشدّ خطورة فتحت في اليمن وستثبت الأيام أن صنعاء أخطر من دمشق».

أحزنتني كلام الصديق. تذكرت أنني كنت أغادر صنعاء دائماً متسائلاً عن موعد الانفجار الكبير. فعدد البنادق في اليمن يفوق عدد السكان. والدولة خيمة هشة منصوبة فوق دويلات القبائل والمناطق والمذاهب. كانوا يسمّونه «اليمن السعيد». تسرّعوا في التسمية.

سقوط صنعاء

هل وعى العرب حقيقة المعركة؟

د. طه الدليمي - موقع القادسية ٢٠١٤/٩/٢٢

بعد الأحواز سنة ١٩٢٤ كانت بيروت سنة ١٩٧٦. ثم تبعتها بغداد سنة ٢٠٠٣ لتلحق بها دمشق بعد ثماني سنوات. وها هي صنعاء تسقط اليوم بيد إيران في مشهد باهت لا طعم له.

استسلام سريع على جميع الصعد! كيف حصل هذا؟ أين القبائل التي تتأطح أنوفها السماء؟ وأين الخناجر التي تزين المغابن؟ أين الأسلحة التي تملأ البيوت والقرى والمنتجعات؟ أين الجيش؟ أين طلاب العلم الذين خرجتهم دار الحديث في (دماج)؟ وأين رجال (جامعة الإيمان)؟ أين مقاتلو القاعدة؟ أين السلفية؟ أين الإخوان؟ أين الزنداني؟ أين دول الخليج؟ أين الناس؟ فالدور القادم قادم لا سمح الله، وزمن التداعي في تسارع؛ فبين الأحواز وبيروت نصف قرن، تضاعل إلى ربع بين بيروت وبغداد. واختصر هذا إلى ثلثه بين بغداد ودمشق. ليتقزم إلى ثلاث سنوات بين دمشق وصنعاء! فكم سيكون بين صنعاء والمنامة أو الكويت؟ وما أبو ظبي أو الرياض - كما يبدو - عن طهران ببعيد.

وأسئلة كثيرة أخرى تبحث عن جواب. وأجوبة كثيرة تبحث عن منفخ فيها الحياة. ومع الأسئلة والأجوبة تبرز أمامي معالم مهمة في الدين والسياسة والاجتماع تشكل منطلقات أساسية للفهم والعمل ورسم خطط الحل، ألخص أهمها:

طال ليل العلمانية حتى كاد يستوعب الأمة،

وحتى شمل معظم الجماعات الإسلامية. وصار تحكيم شريعة محمد ﷺ بين أمة محمد نكرة وتهمة. وتكلل هذا الانحراف باعتبار الشيعة من المسلمين حتى صار أمراً مسلماً به؛ وذلك لضياغ معالم الدين: عقيدة وشريعة عن جمهور المسلمين! فحل عقاب الله سبحانه على هذا الجمهور في فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة.

توالي السقوط المدوي للفكر الوطني المسلوب العقيدة السنية في منطقة المشرق العربي المهددة بعدو يغزوها باسم العقيدة الشيعية. فالعقيدة الوطنية للجيش اليمني، وغياب العقيدة السنية الإسلامية مع وجود عدو يقاتل بجيش مدجج بالعقيدة الشيعية الاستتصالية، هي أحد الأسباب الرئيسة وراء الانهيار السريع لهذا الجيش الكارتوني. والسبب نفسه هو الذي أتاح المجال أمام الشيعة لاحتلال المنطقة السنية في العراق وسوريا ولبنان. وهذه النهاية متوقعة لبقية الجيوش العربية المهددة بالشيعة وظهرها إيران، ما لم تشحن هذه الجيوش بالإيمان والعقيدة السنية.

امتناع الحكومات العربية عن صنع أي ظهور شعبي للجيش في حال تخلخله أو هزيمته، ومنع الشعوب من تكوين ذلك ولو برعايتها وإدارتها. فإذا سقط الجيش سقطت الدولة وانتقل السلاح وقيادة المؤسسات إلى العدو ليقع الشعب في ورطة تتكرر باستمرار. على العكس من إيران والأنظمة المستسخرة عنها؛ فالجيش الإيراني له ظهور شعبي هو الحرس الثوري. والجيش الرسمي الشيعي في العراق له ظهور شعبي هو الميليشيات، والجيش السوري ظهوره الشعبي هو (حزب الله). ودور هذه الجيوش الشعبية العقائدية الظهيرة واضح في إسناد تلك الأنظمة والدفاع عنها ومنعها من السقوط. إن غياب الجهد الشعبي السني عن المشهد اليمني أوجد فراغاً تمدد فيه الحوثيون ليصلوا بأقدامهم إلى عقر العاصمة صنعاء. وإن تخلف السياسة العسكرية العربية وجمودها يقف حاجزاً أمام سعي الشعوب لحماية نفسها بنفسها. وجعل شبابها يعيش حالة مزمنة من الترهل والكسل والشيخوخة المبكرة. بل صار شيخ الدين يُسأل عن كارثة احتلال الشيعة لصنعاء: ماذا نصنع؟ فيجيب: عليكم بالدعاء! وهل يجهل الشيخ أن أوامر الدين

منظومة بناء متكاملة، لا قطع مفككة مبعثرة! فالدعاء بلا إعداد في صورته النهائية تقصير يستجلب عقوبة الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُ فَكَبُّوا فَاقْبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فالذكر والدعاء لا يستجاب للقاعدين والجبناء.

التنازلات أمام الشيعة لا تؤدي إلا إلى زيادة

خطرهم. وهذا شيء تجهله الأنظمة السياسية، والمنظومات الدينية، وكل المنظومات والشرائح العربية جهلهم بالتركيبة النفسية وإطار العقلية الشيعية. إنهم يسيرون على نمط جامد من التفكير الإسقاطي المتخلف؛ فيقيسون الشيعي على السني في دوافعه النفسية وطريقة تفكيره ومسارات سلوكه. وهذا يجعلهم يتبعون أسلوب التسامح والترغيب والاستجابة للمطالب الشيعية، متوهمين أن هذه الإجراءات تؤدي إلى علاج الحالة. ولا يدركون أن ذلك يغري الشيعة بالمزيد والمزيد من المطالب إلى ما لا نهاية. ولا ينتبهون إلى أن منحى جدوى التنازلات في هبوط وليس في صعود؛ فمن حالة الترغيب والاستجابة إلى حالة التنازلات والتراجع، إلى حالة السقوط، في ثلاثية مكررة. جرت في العراق على عهد صدام والحكومات التي سبقتها، وكانت في سوريا ولبنان، ونسختها جارية إلى نهاياتها في البحرين والكويت والسعودية. وسقوط صنعاء اليوم شاهد على هذا. ولن تنفع اليمنيين تلك المفاوضات البائسة برعاية الأمم المتحدة في إيقاف التدهور. سيجد الشيعة ألف حجة وحجة لنقض الاتفاقات وتجديد المطالبات. فالشيعي يفهم كل إحسان على أنه ضعف، وكل حل وسط يغريه بالعبور إلى نهاية الطرف دون اعتبار لحقوق الآخرين. فكل شيء له، وغيره لا شيء له. في علاقة عدمية تقوم على قاعدة (إما أنا أو أنت). وهذا بسبب عقد نفسية جمعية أساسها (عقدة النقص)، تسندها أساطير وفتاوى دينية. ومن المؤسف المؤسف أن السياسيين وشيوخ الدين بعيدون كل البعد عن فهم النفسية الشيعية. ومعظمهم يجهلون حقيقة الدين الشيعي. وما لم تعرف عدوك فمن الصعب أن تتصر عليه. فكيف وهؤلاء لا يعتبرون الشيعة عدواً من الأصل!

لا نرى ضرورة بقيت لربط مصير اليمن الجنوبي باليمن الشمالي الذي أثبت قادته ضعف مقدرتهم على الحفاظ على أمن وسيادة وإدارة وعدالة واقتصاد البلاد. وإذا كان الفشل نصيب دولة الوحدة القشرية التي أدت إلى كوارث تكللت باحتلال صنعاء، فقد جاء دور اليمن الجنوبي لاستلام زمام المبادرة. وإن الحدث يفتح الباب أمام الثقافة العربية لتغيير نظرتها القاصرة عن (الفدرالية أو الأقلمة)؛ فقد يكون التقسيم هو البديل عن غياب العدل وسوء التنظيم.

أن الأوان للثبته إلى خطورة نظرية (القضية

المركزية). فما دامت الأمة لا يجمعها كيان سياسي فإن لكل كيان صغير قضيته المركزية، وهي أهم إليه وأوجب عليه من أي قضية أخرى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۖ﴾ [الأنفال: ٧٥] حتى يقوم الكيان الكبير. وفي تقديري أن الغرب وإيران وراء إشاعة هذا المفهوم، واتخاذ فلسطين رمزاً له وتضخيمها مع تضخيم الخطر اليهودي أضعافاً مضاعفة؛ وذلك من أجل إشغال شعوب المنطقة عن قضاياها الخاصة، وانصرافها عن نصرته أي قضية غير فلسطين إلا بنسبة محدودة لا تكاد تذكر؛ كي تتمدد إيران في أي دولة تستهدفها من دول المنطقة دون صعوبة تقف حائلاً أمامها، ولا ضجيج يفضحها ويجلب الدعم لتلك الدولة، ويولد ضغطاً شعبياً على الحكومات للوقوف معها. حتى تحولت فلسطين إلى (ثقب أسود) يستنزف طاقات الشعوب العربية والإسلامية، بل وكثير من دول العالم ومنظماتها إليها دون غيرها. ثم لا ندري أين تذهب تلك الطاقات؛ فالفلسطيني البسيط ما زال يعاني ولا يستفيد إلا القليل. هل فكرتم لماذا يتم التأكيد في كل قمة على أن «فلسطين هي قضية العرب الأولى»؟ وهل أدركتم الآن السر في إلحاح إيران على تبني هذه المقولة، ورفع شعار «الموت لأمریکا.. الموت لإسرائيل.. اللعنة على اليهود» وذبح العرب تحت هذا الشعار؟

إن فلسطين إحدى قضايا الأمة وليست

قضيته: لا الوحيدة ولا المركزية. وإن خطر اليهود وإسرائيل لا يساوي كثيراً أمام خطر الشيعة وإيران؛ فاليهود لم يسقطوا عاصمة عربية واحدة، وها هي إيران وشیعته يسقطون العواصم العربية

إن الشيعة وإيران وحدة واحدة؛ فحيثما تمكن الشيعة مكنوا إيران من ذلك المكان. فهل وعت الأنظمة العربية أن «وطن الشيعة طائفته»، وأن إيران أمه وأمته؟ وإذا كان الأمر كذلك فعليهم اتباع وسائل استثنائية في معالجة خطر الشيعة، ومنه العزل الاجتماعي بإظهار حكم الإسلام فيهم، والعزل السياسي بالإقليم أو الجغرافي بالتقسيم. ولن يقر لدول المنطقة قرار ما لم يعيدوا النظر في شروط الجنسية والهوية الوطنية. وفي التجربة الماليزية والإندونيسية إفادة.

من بين غبار المعركة يلوح في أفق المستقبل النهاية المخيفة التي تنتظر الشيعة ومن ورائها إيران يوم تبلغ تداعيات التوسع الأفقي آمادها ليتردوا في نفق السقوط العمودي! واليمن ليست صعدة فعمران فصنعاء، إنما دون ذلك بحر من الأرض والبشر. والسنة هم الأمة غير أنها تنظر الآن إلى ما يحدث من تغول الشيعة بتشاؤب، وعقلية تقليدية لا ترى في الكون غير قضية واحدة قيل لها: إنها «القضية المركزية». فهي في حاجة - لكي تستيقظ وتتنبه وتتفض - إلى (سياط القدر) عبر دريلات وبراميل الفجر. وها هي قادمة إليهم؛ فويل للعرب - إن لم يثوبوا - من شرق اقترب! وعلى طول هذه المعالم يبرز سؤال واسع وعميق: أين دول الخليج من هذا الحدث الجلل؟! ونخاطب في مقدمتها المملكة العربية السعودية: أنتم تحاصرون الآن من ثلاث جهات: فالعدو من فوقكم وعن أيما نكم ومن أسفل منكم، وليس إلا البحر من غربيكم. وقد سقطت صنعاء؛ فماذا أنتم صانعون؟

هل يكرر الحوثيون باليمن تجربة حزب الله اللبناني؟

سمير حسن - الجزيرة نت ٢٠١٤/٩/٢٤

أثارت تحركات جماعة أنصار الله (الحوثيون) وتوسعاتها العسكرية في اليمن قلقاً لدى الكثير من اليمنيين، من سعي الجماعة لإقامة ما يمكن تسميته بالضاحية الشمالية في صنعاء على غرار الضاحية الجنوبية في بيروت،

خصوصاً بعد أن سيطروا على العاصمة صنعاء وسط انهيار كبير لمؤسسات الدولة العسكرية والسياسية.

وتسيطر الجماعة المتهمه بولائها لإيران على المشهد السياسي والعسكري في العاصمة اليمنية، إلى جانب سيطرتها على محافظتي صعدة وعمران في الشمال، وتسعى لبسط سيطرتها على محافظة الجوف النفطية المجاورة، بالتزامن مع اعتراضها على طريقة تقسيم البلاد إلى أقاليم وحرمان إقليم أزال الذي يضم صعدة وعمران وصنعاء وذمار من أي منفذ بحري.

وفيما يبدي محللون وخبراء مختصون في الشأن الأمني قلقاً من استغلال الجماعة لتنامي قوتها العسكرية لاستساخ تجربة حزب الله اللبناني، خاصة بعد عمليات نهب واسعة قامت بها لمخازن أسلحة الجيش في العاصمة صنعاء، يشكك آخرون في إمكانية تحقيق ذلك على الأرض وفي قدرة الحوثيين على الاستمرار في السيطرة.

التهام الدولة

ويرى الخبير العسكري والباحث في شؤون النزاعات المسلحة علي الذهبي أن الحوثيين أصبحوا يسيطرون فعلياً على الضاحية الشمالية الغربية من صنعاء، ولذلك فإنه لا يستبعد قيام الجماعة بتكرار سيناريو حزب الله في اليمن في حال تعثر تنفيذ الاتفاق الذي وقعته الأطراف السياسية مع الحوثيين.

وقال الذهبي في حديث للجزيرة نت إن الحوثيين ومن يقف وراءهم يسعون لما هو أبعد من ذلك، وهو السيطرة على السلطة برمتها، مستفيدين من بسط نفوذهم على العاصمة وما حصلوا عليه من أسلحة استحوذوا عليها من معسكرات القوات المسلحة والأمن.

وأكد المتحدث أن بحوزة الحوثيين تسليح لواءين، هما اللواء ٢١٠ مدرع، الذي كان مرابطاً في عمران، واللواء ٢١٤ الذي كان مكلفاً بحماية أغلب المقار السيادية داخل العاصمة، وهو لواء مدرع، فضلاً عن أسلحة قيادة المنطقة العسكرية السادسة التي كانت تتمركز في مقر ما كان

يسمى «الفرقة الأولى مدرع» بالعاصمة.

وقدر حجم وأنواع السلاح الثقيل الذي تمتلكه جماعة الحوثيين، بعد إضافة الأسلحة التي نهبتها في الحروب السابقة مع الدولة وما حصلت عليه إبان أحداث ٢٠١١ من الداخل والخارج، بأنه تسليح ثمانية ألوية كاملة ولا ينقصها سوى سلاح الطيران والسلاح البحري.

مستقبل ضبابي

من جانب آخر، اعتبر رئيس المنتدى العربي للدراسات الإستراتيجية نبيل البكري أن الحديث عن إقامة جماعة الحوثيين ضاحية شمالية في صنعاء لم يعد الآن بذلك القدر من الحديث عن أن الحوثيين التهموا الدولة بإسقاط عاصمة البلاد وقانونها ونظامها السياسي.

ورأى البكري في حديث للجزيرة نت أن كل السيناريوهات المحتملة للمرحلة المقبلة تنبئ بمستقبل ضبابي وتداعيات خطيرة، قد تكون من أبرز ملامحها أن يتجه اليمن إلى حالة تشظ، وفي أقل الاحتمالات سوءاً أن يستمر مسلسل الاقتتال وإن تأجل لبعض الوقت نتيجة الاتفاقية التي وقعها الأطراف السياسية.

وأضاف البكري «هذا الاتفاقية الموقعة مع جماعة الحوثيين تقضي على كل ما تم التوافق عليه في مؤتمر الحوار الوطني، وتنذر بحروب مؤجلة، وهي عبارة عن مباركة واعتراف رسمي بسقوط الدولة، وتسلم الحوثيين للشأن السياسي والأمني في العاصمة صنعاء ومحافظات شمال البلاد».

أمر مستبعد

غير أن الكاتب والمحلل السياسي عبد الناصر المودع استبعد إمكانية استنساخ جماعة الحوثيين نموذج حزب الله، مشيراً في تصريح للجزيرة نت إلى أن ذلك الأمر بعيد الاحتمال لسببين، هما اختلاف الظروف التي ساعدت حزب الله على إقامة مثل هذا المربع الخاص به في الضاحية الجنوبية، والشيء الآخر هو أن الأرضية التي يستند عليها الحوثيون هشة، ويصعب عليهم المحافظة على ما حققوه من انتصارات عسكرية على الأرض.

وقال المودع إن الحوثيين يسيطرون حالياً على معظم العاصمة عسكرياً وسياسياً، لكن من غير الممكن حتى الآن التوقع بما يمكن أن تؤول إليه الأمور على المدى البعيد، مشيراً إلى أن السيناريوهات القادمة الأكثر ترجيحاً ووضوحاً على المدى القصير هو مزيد من العنف والفوضى وضعف سيطرة الدولة وتخلخل أجهزتها.

هل دخلنا العصر الإيراني؟

إياد أبو شقرة - الشرق الأوسط ٢٤/٩/٢٠١٤

خلال هذه الفترة التي تشهد تطورات

متلاحقة بالكاد يمكن استيعابها، أحسب أن السؤال المهم الذي يستحق أن يطرح على مستوى الشرق الأوسط، هو «هل لدى الولايات المتحدة، ومن خلفها المجتمع الدولي، تصور جدي لما يمكن أن تؤول إليه الأمور؟».

ما شهدناه خلال الأيام القليلة الفائتة،

ونشهده اليوم في اليمن والعراق وسوريا ولبنان، يؤشر إلى أن الشرق الأوسط الذي عرفناه انتهى.. وبتنا على مشارف حقبة مختلفة تماماً. وبعيدا عن الخطابات النارية والتهديدات والتهديدات المضادة، لا بد من الإقرار بأن ثمة جدول أعمال فرض على المنطقة، وأن ميزان قوى يتجلى الآن بدفع دولي ورضوخ - أو قل تقبل - إقليمي.

خلال السنوات العشر الماضية منذ الزلزال

الجيوي - استراتيجي الذي أحدثه احتلال العراق، عشنا تبدلاً جوهرياً في ديناميكيات المنطقة على الأرض بينما ظل الخطاب السياسي على حاله.

لقد ظل محور «الصمود والتصدي» السابق،

الذي تحول بعد هيمنة «الحالة الإيرانية» على العراق إلى محور «ممانعة ومقاومة»، يحافظ لفظياً على شعارات العداء لأميركا، وطبعاً «الموت لإسرائيل».. يضاف إلى ذلك زيادة جرعات التخوين والإدانة بحق كل من يخالفه أو يحاول وقف زحفه.

كذلك برز دورٌ غريبٌ عجيبٌ للاعبين إقليميين يحارُّ المراقب في تصنيفه، يتراوح بين الحماسة الشديدة لفرض نهج «الإسلام السياسي» وجعله عنواناً للشرعية السياسية في المنطقة، وفي الوقت نفسه الاندفاع باتجاه علماني مناقض له تماماً تحت شعارات الراديكالية التغييرية - الثورية مع تركيز ملحوظ على إحداث التغيير في دول الخليج.

وفي هذه الأثناء، ساد المشهد العام في عدد من الدول العربية تراخٍ وميل لطمأننة النفوس..

بينما أدّت التراكمات والاعتمالات المكبوتة في دول ليست معنية مباشرة بقضية فلسطين، مثل تونس، إلى تفجّر شعبي كبير نبّه الإنسان العادي إلى أن له صوتاً يعلو، وحجارة تهتف، ويبدأ تكتب لافتات وتصب خيام احتجاج. وهنا يجب الإشارة إلى أن القضية الفلسطينية، على الرغم من مكانتها وعدالتها ومعياريّتها بالنسبة لشرعية النظام السياسي العربي، ما كانت هذه المرة القوة التي أطلقت «الربيع العربي» بصرف النظر عن المسمى والمآلات. بل إن ما أشعل الشارع في مطلع عام ٢٠١١، فهزّ الحاكمين والحكومات من تونس وليبيا إلى سوريا، ومن مصر إلى اليمن.. مشاعر السخط والغضب وكذلك الجوع والبطالة والاستخفاف بحقوق الناس وعقولهم. هذه العوامل أهملت الأظلمة الوراثة العربية ذات الوجه الجمهوري، التي استطابت السلطة المطلقة لأربعة عقود، وفي سبيل المحافظة عليها لم تتردّد في إسقاط أي بديل ديمقراطي متحضر ومعتدل، واضعة مجتمعاتها بين خيارين أحلاهما مرّاً: القبول بها وتحمل تجاوزاتها.. أو مواجهة المجهول عبر تسلّط الإسلام السياسي المتشدّد.. أو غول الفتنة الطائفية والتمزّق القبلي والعشائري والمناطقية. معظم الحكّام الذين أطاح بهم إعصار ٢٠١١، ومعهم بشار الأسد الذي خفّ لنجدته نظام طهران، مارسوا هذه السياسة التدميرية.. وها هي النتيجة واضحة ومأساوية.

نعم كان التراخي والسلبية السمة الغالبة على تفاعل النظام السياسي العربي خلال

السنوات الأخيرة. وهو ما خبرناه: أولاً إزاء سقوط العراق تحت الهيمنة الإيرانية، وثانياً، إزاء استغلال اليمين الانقسام الفلسطيني للأجهاز بصورة مُمنهجة على أي تسوية عادلة للقضية الفلسطينية، وثالثاً، إزاء ظاهرة بروز الإسلام السياسي في تركيا العلمانية. ما حصل في تركيا كان جديراً بالتوقّف عنده في منطقة يشكل غالبية سكانها المسلمون السنّة الذين أخذوا يعيشون تأقلماً صعباً مع مرحلة ما بعد سقوط الخيار العربي. أيضاً كان ضرورياً إدراك الحاجة إلى وقفة عربية حازمة في وجه إصرار اليمين الإسرائيلي على دفع الفلسطينيين أكثر فأكثر نحو التشدّد لتبرير رفض تقديم التنازلات لهم. وبطبيعة الحال، كان من الواجب تذكّر طبيعة النظام الإيراني الذي جعل علّة وجوده منذ تولي السلطة في طهران عام ١٩٧٩ «تصدير الثورة» إلى العالم العربي.

يُفترض أن الحرب العراقية - الإيرانية الأولى (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ما زالت ماثلة في الأذهان، على الرغم من خطيئة الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين القاتلة باحتلاله الكويت عام ١٩٩٠ واستعدائه المجتمع الدولي.. ما خفّف العزلة عن إيران، ومن ثم أعاد تأهيلها في أعقاب حرب تحرير الكويت. وكما نعلم، بمجرد نجاح إيران في إعادة تأهيلها دولياً، وبالأخص إبان فترة رئاسة رئيسها الأسبق «المعتدل» محمد خاتمي (١٩٩٧ - ٢٠٠٥)، أتاح لها وجه الاعتدال المفتعل تسريع وتيرة برنامجها النووي بصورة خفية، وتعزيز حضورها التنظيمي في مناطق الوجود الشيعي في العالم العربي. في لبنان تنامى وتضخم نفوذ «حزب الله» - التابع للحرس الثوري الإيراني - بعد الانسحاب العسكري الإسرائيلي من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠. وفي العراق أقنعت هجمات ١١ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١ الرئيس الأميركي جورج بوش الابن بدفع من «المحافظين الجدد» الليكوديين بغزو العراق وإسقاط حكم صدام، مع أن البديل البديهي له كان التيار الشيعي المحسوب على إيران.

برنامج إيران النووي جزء من مشروعها

السياسي الاستراتيجي الإقليمي القائم على استنهاض حلم الشاه محمد رضا بهلوي القديم، أي أن تكون إيران «شرطي الشرق الأوسط»، طبعاً، بالتفاهم مع واشنطن.. وتل أبيب. ولكن يبدو أن العقل العربي لم يستوعب أبعاد مشروع إيران الذي طرح نفسه عبر تشجيع ودعم كل أشكال الراديكاليات الدينية واللا دينية، والمزايدة في قضية تحرير فلسطين.

وفي هذه الساعات، مع بدء التدخل العسكري الدولي - العربي لضرب «داعش» والجماعات الإرهابية المشابهة المحسوبة على «القاعدة»، وبعد سقوط العاصمة اليمنية صنعاء بأيدي الحوثيين التابعين لطهران.. حان وقت التفكير جدياً بهوية هذا «الشرق الأوسط الجديد» وشكله.

الرابعان الكبيران هما: إسرائيل التي ما عادت تواجه أي خطر فعلي على وجودها وتوسّعها ولا حاجة لها للتدخل. وإيران التي وصل نفوذها إلى ساحل المتوسط وباب المندب... ولم يطلب منها التدخل.

أما المنطقة فتواجه خطر التفكيت.

كيف ترك المالكي العراق؟

د. عمران الكبيسي - البلاد البحرينية ٢٠١٤/٩/١٨

ثمانى سنوات نقدا وعدا حكم المالكي العراق حكما مطلقا، رئيسا للوزراء وقائدا عاما للقوات المسلحة، ووزيرا للدفاع والداخلية والأمن القومي، وبسط سلطته على البنك المركزي، ولجنة والنزاهة، ومجلس القضاء الأعلى، والمحكمة الاتحادية، والمفوضية العليا للانتخابات بالأقارب والمحسوبين ترغييا وترهييا، وعطل سلطة مجلس النواب ورفض الحضور للمسألة، وأصبح القائد المنظر، والأمر بالصرف، والحاكم بأمره.

لقد جنى العراق في حقبة المالكي من واردات بيع النفط ما يعادل أضعاف ما باعه العراق خلال ٩٠ سنة من اكتشاف ثروته النفطية

لارتفاع سعر البرميل ومعدل التصدير، فلا أحد يمكنه القول لم يسعفه الزمن، أو تنقصه الصلاحيات وقلة المال، فميزانية العراق السنوية تعادل ميزانيات مصر والأردن وسوريا واليمن ولبنان مجتمعة وعدد سكانهم مجتمعين نحو ١٧٠ مليون نسمة، بقدر سكان العراق خمس مرات، فما الذي فعله المالكي للعراقيين؟ وكيف ترك البلد...؟!

بعد ثمان سنوات خرج المالكي مرغما لا بطلا، تاركا العراق كأفقر دولة في القارة السوداء، بالإحصائيات الرسمية الموثقة، مليون و ٢٥٠ ألف أرملة، بحسب وزارة المرأة. وخمسة ملايين يتيم بتقدير وزارة التخطيط. وثلاثة ملايين شهيد وفق وزارة الصحة والطب العدلى، ونحو مليون مغيب مفقود بدعاوى مسجلة بوزارة الداخلية، وخرج الأمريكان وفي سجلاتهم ١٢٠ ألف سجين، ولدى حكومة بغداد وكردستان ٣٤٠ ألف آخرين، وازدادوا عددا بالسنوات التالية، وفي مديرية الجوازات خمسة ملايين طلب جواز سفر لمهجرين ومغتربين خارج العراق، وثلاثة ملايين ونصف مهجر في الداخل، وازداد عدد مرضى الايدز المسجلين بوزارة الصحة من ١١٥ حالة قبل الاحتلال إلى ٨٠ ألف!!!...

وكان سجل المخدرات في العراق قبل الاحتلال نظيفا تماما، وتؤكد التقارير تفاقم تداولها اليوم بين الشباب بنسب مخيفة، مهربة من إيران. ويعيش ٤٥٪ من العراقيين بمستويات فقر متدنية وثقّفها وزارة حقوق الإنسان، فارتفع حالات الطلاق لصعوبة الحياة الاقتصادية، وللشحن والفرز المذهبي الذي استجد وتفشى بين الأسر من ذوي المذاهب المختلفة حتى فاقت نسبته ٧٥٪ من مجمل حالات الزواج، أما البنية التحتية فشبه مدمرة بالكامل لما أصابها من تدمير مبرمج من قوات الاحتلال والحكومات التي تلتها، وبسبب شيوع الفساد وسرقة ما ينفق على المشاريع الجديدة وصيانة القديم منها، وتراجع مستوى التعليم والأساسى والعالى وبدأت بعض المنظمات كاليونسكو تفكر بسحب اعترافها بالشهادات

الأمن، وأسوأ المناطق للعيش، وقد استشرى فيه الاحتقان الطائفي والعنصري والطبقي، فكثُر الخطف والقتل والاغتصاب على الهوية، واغتصبت الأحزاب وكبار المسؤولين ١٢ ألف دار سكن، وبنية خاصة، ومقرر رسمي، وناد وشغلها بلا مقابل. أما السرقات النفطية وبيع الأراضي الحكومية المطارات والمصانع والبساتين والشواطئ والآثار فحدث ولا حرج.

هذه هي مكاسب السيد المالكى التى يريد أن يكافئ عليها بحصانة من جبل المشنقة، واسترجاع الأموال المنهوبة، ويريد منصبا سياديا قياديا يتبختر فيه أبو احمد ويكمل المشوار، فهل عفا عن طارق الهاشمى والبعثيين من الملاحقة والاجتثاث...؟ أم نسى قسَمَ رسول الأمة، «والله لو إن فاطمة بنت رسول الله سرقت لقطعت يدها» وليس حزب الدعوة، فمن العدل كما دان غيره يدان، وإلا كأنك يا أبا زيد ما غزيت، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

بروباغندا الخلاف الإيراني - الأميركي

عبد الرحمن الراشد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/٩/١٥

للخلاف الطارئ قصة. في البداية كانت كل الأطراف متوافقة على محاربة «داعش» وجبهة النصرة، التنظيمين الإرهابيين، وذلك في إثر الانتصارات السريعة التي حققها «داعش» في العراق. والمعني بالأطراف هنا، إيران، والولايات المتحدة، والمجموعة الأوروبية، وروسيا، ودول الخليج، وتركيا. وفعلا، بان التوافق في الانتقال السياسي السريع المدهش في بغداد، الذي كان يمكن أن تدوم أزمة الحكم هناك لأشهر طويلة، لكن في أقل من أسبوعين أزيح المالكى، وارتضى الجميع تنصيب ثلاثة رؤساء. وبعدها باشرت القوات الأميركية عملياتها العسكرية الجوية ضد «داعش»، وأخرجت مقاتليه من محيط سد الموصل وسنجار وفروا إلى مناطق أعمق في العراق وسوريا.

إنما تلك كانت مجرد معارك محدودة، و«داعش» يملك من الرجال والعتاد ما يجعله يعود

وعلى المستوى الأمنى المرتبط بالسياسة للعلاقة الوثيقة بين التنظيمات الحزبية والكيانات الانتخابية والمليشيات التى دمج أفرادها في قوات الجيش والشرطة، ففى العراق ٥٥٠ كيانا سياسيا بسجلات مفوضية الانتخابات، ونحو ١٢ ألف جمعية ومنظمة مجتمع مدنى، بسجلات وزارة الداخلية ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية، و ١٢٦ شركة أمنية مسجلة بوزارة الداخلية لا تخلو من الارتباط بأجهزة مخبرات أجنبية، و ٥٠ ميليشيا مسلحة مرتبطة بالأحزاب بحسب وزارة الدفاع ووزارة الداخلية ولجنة دمج المليشيات، أما الفوضى الإعلامية، فبلغ عدد الصحف الصادرة والمتوقفة ٢٥٠ صحيفة، و ٧٠ محطة إذاعة، و ٥٠ قناة فضائية تلفزيونية، موزعة على أقمار صناعية، بعضها مرتبط بـ إسرائيل، و ١٢ شبكة اتصالات لاسلكية قيمة كل شبكة ١٢ مليار دولار مملوكة لقادة الأحزاب والسياسيين داخل الحكومة كالطالبانى والبرزانى والحكيم والجلبى، وأكثرها ممول بطرق مشبوهة (المراجع: سجلات نقابة الصحفيين وهيئة الإعلام والترددات).

ويخدم في جهاز الدولة العراقية عشرات الآلاف من حملة الشهادات العامة والجامعية والعليا المزورة مسئولين ضباط، ونواب، ومديرين عامين، وحزبيين قياديين.. والعهد على هيئة النزاهة.. وأحتفظ لنفسى بأسماء ٤٥٠ أستاذًا جامعيًا بمختلف الاختصاصات اغتيلوا، و ٥٠٠ خطيب جامع وأمام ومؤذن اغتيل وفجر مسجده، أو صادرت جماعات أثنية أو أقفيل. في حين عُذَّ العراق عام ١٩٧٧ الأول عالميا بمحو الأمية باعتراف اليونسكو، واليوم يعاني العراقيون قلة المدارس والمقاعد وأسوأ حالا. أما جهاز الدولة الإداري والمالى فيسود هياكله ومفاصله فساد كامل، وهناك نحو ٢٠٠ إلى ٢٥٠ مليار دولار لا يعرف مصيرها، وانتشر الابتزاز والاحتيايل مجمل مؤسسات الدولة.. وتقارير منظمة الشفافية العالمية تصنف العراق على رأس قائمة الدول التي ينخرها الفساد، وينعدم فيها

«داعش» يخدم نظامي إيران والأسد، وتحديداً في سوريا وليس في كل العراق. ففي لحظة حرجية، بعيد سقوط مدينة الموصل، خاف كثيرون أن تكون بغداد هي التالية، لهذا احتاجوا إلى دعم الولايات المتحدة عسكرياً، والمملكة العربية السعودية سياسياً لإنقاذ النظام العراقي في العاصمة.

الآن تسمعون صدى طبول الدعاية الإيرانية في الصحف والتلفزيونات و«تويتر» وغيرها من الفضاءات المفتوحة، تردد نغمة التشكيك وتشويه الحقائق. تصوير مواجهة «داعش» أنه عمل يخدم الغرب، وهذه استعارة من التاريخ القريب تسهل عليهم تزوير الواقع. الحقيقة هي أن دول المنطقة منذ عامين ظلت تناشد المجتمع الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة، التعاون لمواجهة هذه الجماعات الخطيرة، وبكل أسف كان البيت الأبيض يرفض. وبعد أن انتشرت فظائع «داعش» والنصرة، وقُتل آلاف من المدنيين وشُردت مئات الآلاف على اختلاف طوائفهم وهوياتهم، وتحت الضغط الدولي اضطر الرئيس الأميركي للتحرك. والذي يخاف من هذا التحرك الدولي هما إيران ونظام الأسد، لأن «داعش» يلعب دوراً مخرباً على الثوار في سوريا، وثانياً لأن الأميركيين اقتنعوا لأول مرة بأن دعم الجيش الحر قد يكون السبيل الوحيد لتأسيس نظام سياسي يحارب الإرهاب، بديلاً عن نظام الأسد المهترئ. لهذا قررت إيران وروسيا شن حملة برباغندا إعلامية مضادة لتشويه مؤتمر جدة، وتشويه الحملة الدولية التي هي تحت التأسيس ضد الإرهاب، وصارت كتائب حزبية تردد الدعاية الإيرانية مثل الإخوان المسلمين وغيرهم.

لغز «داعش» والغرب

منار الشواني - الغد الأردنية ٢٠١٤/٩/١٥

فيما كانت التصريحات تصدر عن لندن متضاربة بشأن المشاركة العسكرية المباشرة في التحالف الدولي ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) في العراق وسورية، أقدم

ليهدد أمن العراق والمنطقة، وربما العالم. لهذا قررت الدول المعنية عقد مؤتمر، خصيصاً لمواجهة الخطر الأمني لأنه يهدد جميعاً، فتركيا مثلاً لا يزال لها عدد من موظفي قنصليتها في العراق مخطوفين عند «داعش» يهدد بقتلهم. والسعودية تعرف أنهم يختبئون خلف حدودها على الجانب العراقي. كما أدركت أوروبا أن مئات المقاتلين هم من حملة جنسياتها، وسيعودون غداً مدربين ويشكلون خطراً عليها، وروسيا كانت من أوائل المتحمسين لمحاربة «داعش» والنصرة.

لكن مع اقتراب عقد المؤتمر طالبت الحكومة الإيرانية بدعوة النظام السوري أيضاً للمشاركة، وكان من الطبيعي جداً أن ترفض السعودية، الدولة المضيفة، الطلب. فنظام الأسد هو السبب وهو المشكلة، فلو أنه ارتضى بالحل السلمي الذي أقر في مؤتمر جنيف الأول لما ولد «داعش» أصلاً، ولا صارت هذه الفوضى والدماء الغزيرة وملايين اللاجئين. وهو الذي فتح السجون لمعتقلي «القاعدة»، وهو من سلم «داعش» المناطق السورية الضعيفة التي عجز عن حمايتها لضرب الجيش الحر. وفوق هذا كله، إذا كان «داعش» قد قتل خمسة آلاف شخص، حتى الآن، فإن الأمم المتحدة قد وثقت مائتي ألف ضحية معظمهم مدنيون قتلهم النظام السوري. وبالتالي لا يمكن التعاون مع فريق ملطخة يده بالدم مثل نظام سوريا ليشارك في محاربة الإرهاب!

ومع هذا أصر الإيرانيون، مشترطين أن حضورهم مرهون بمشاركة نظام الأسد، وتضامن معهم الروس معلنين مقاطعتهم لمؤتمر مواجهة «داعش».

ومنذ تلك اللحظة تغيرت اللغة الاحتفالية التي كانت تبشر بمواجهة الإرهاب إلى الدفاع عن «داعش»، بتصوير المؤتمر أنه حرب على الشعبين العراقي والسوري، وأنه مشروع احتلال جديد، وغيره من الهراء الذي ملأ فضاء الإعلام خلال الأيام القليلة الماضية.

وهذا يجعلنا نشق أكثر من ذي قبل بأن بقاء

التنظيم على قطع رأس عامل الإغاثة البريطاني ديفد هينز أول من أمس؛ لكانه يطالب حكومة ديفيد كاميرون بحسم أمرها ، بغطاء شعبي مؤكد ، باتجاه المشاركة الكاملة والفاعلة في التحالف!

وتكاد تصبح نمطاً مثل هذه التصرفات التي يفترض أن تكون مخالفة للمنطق، عبر ما يظهر من رغبة لدى «داعش» لتكثير أعدائه وتوحيدهم ضده، منذ اتجاهه نحو كردستان مبرراً تدخلاً عسكرياً أميركياً، تقره إيران، مثلاً، وتدعمه ضمناً إن لم يكن صراحة، بل ولا تعترض على عمليات عسكرية أميركية مشابهة في سورية إلا لأنها لا تقوم على إعادة تأهيل نظام بشار الأسد، والذي لا يمل بدوره من تقديم أوراق اعتماده للانضمام للتحالف الغربي الإقليمي.

طبعاً، سيبدو مغريباً هنا لأنصار نظرية المؤامرة والمالكي والأسد، اتخاذ تصرفات «داعش» دليلاً قاطعاً على كون التنظيم صنيعة غربية صهيونية، بحيث يسمح للولايات المتحدة والغرب عموماً بالعودة إلى المنطقة، بل وبدعوة من أهلها هذه المرة، وتقسيمها أكثر على أسس دينية ومذهبية، تجعل من إسرائيل، الدولة اليهودية، بمثابة النموذج الرائد، بدلاً من أن تكون، حتى وقت قريب، الاستثناء إقليمياً ودولياً على حد سواء.

لكن إذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن تتوق إيران، مباشرة أو بشكل غير مباشر غالباً، من خلال حلفائها في العراق ونظام الأسد في سورية، إلى الانضمام إلى تحالف «الشيطان الأكبر» التأمري على المنطقة؟ أليس معنى هذا التوق الإيراني أن كل محور «المقاومة والممانعة» متآمر مع أميركا؛ لا فقط بسبب الرغبة في التحالف اليوم مع الغرب ضد «داعش»، بل كذلك عبر السماح بتضخم التنظيم في العراق بفضل رجل إيران نوري المالكي، وفي سورية التي ما تحرك حليف طهران، نظام الأسد، ضد «داعش» هناك إلا لإظهار أهليته للانضمام للتحالف الأميركي؟!

الخيار الآخر، الأكثر منطقية وخطورة، هو أن «داعش» يحشد أعداءه ضمن رؤية استراتيجية تضمن له، ونقيضاً للانطباع الأول، البقاء

والاستمرار وحتى التجدد. باختصار، ماذا يريد التنظيم أكثر من تصويره مقاتلاً للغرب الإمبريالي الذي يسعى إلى كل ما يضر بالمنطقة والمسلمين عموماً، بشهادة حتى الحلفاء الجدد لأميركا؛ إيران وبقية أعضاء محور «المقاومة والممانعة»، قبل سواهم؟ أوليس بهذه الذريعة يتم تبرير الاستبداد العربي الذي استباح كرامة الإنسان، وأهدر مستقبله كما حاضره؟ وعلى مستوى محلي، فإذا كان رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي قد تنبه ربما إلى أن قتل المدنيين عمداً أو خطأ تحت شعار استئصال «داعش» إنما يساعد التنظيم في المحصلة النهائية؛ فإن استهداف المدنيين السوريين، في المقابل، من قبل نظام الأسد بذريعة مواجهة «داعش» (أخيراً)، يكاد يكون أفضل هدية تُقدم للتنظيم؛ على مستوى الشرعية كونه صار يقاتل ضد الاستبداد، كما على مستوى إمداده بمزيد من الرجال والأنصار الذين يرونه في أسوأ الظروف أفضل أبشع الخيارات، طالما أن ذاك النظام لا يقدم للسوريين منذ عقود إلا الموت، بأبشع صوره ومن دون توثيق.

الخشية أن يكون صحيحاً ما حذر منه الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية بنيويورك، ليزلي غيلب، في مقال في الـ«ديلي بيست» الشهر الماضي؛ وهو أن يكون «داعش» الوحيد فقط الذي يدرك ما يجري في المنطقة، بل وأن يملك استراتيجية في مواجهة ذلك!

**فورين بوليسي:
أكثر من ٥٠ ميليشيا شيعية
تقطع الرؤوس في العراق...
لا يهتم بها أحد**

الإسلاميون - ٢٠١٤/٩/٢٢

الرجال المسلحون الذين يتباهون بحمل الرؤوس المقطوعة، والاعتماد الهائل على الجهاديين القادمين من الخارج، هي الأمور التي ترتبط عادةً بتنظيم «الدولة الإسلامية». **لكن،** ورغم ذلك، هذه هي أيضاً التصرفات

مباشر لإيران، قامت حتى باستخدام مروحيات الحكومة العراقية في عمليات تسليم الأسلحة والإمدادات الأخرى أثناء المعركة.

وتامماً كما استولى تنظيم «الدولة الإسلامية» واستخدم المركبات العسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة إلى الحكومة العراقية، قامت هذه الحكومة باستخدام دبابات AIM1 أبرامز أمريكية الصنع والمقدمة لها في دعم عمل الميليشيات الشيعية العراقية الطائفية، وفي دعم عمليات كتائب حزب الله.

وقد قادت إيران الطريق لتطوير الميليشيات الشيعية في العراق. منذ مايو عام ٢٠١٣، عززت طهران شبكتها من الجماعات الجديدة والقديمة الموالية لها في العراق لتوفير تدفق مستمر من المقاتلين إلى سوريا. وبعض هذه القوات العراقية، التي كانت تقاتل نيابةً عن نظام الرئيس بشار الأسد، تم إعادتها إلى العراق لتشكيل نواة لميليشيات شيعية جديدة تقاتل حالياً السنة من أعداء الحكومة في بغداد.

وبفضل جهود التجنيد الإيرانية التي ركزت على سوريا، كان وكلاء طهران أيضاً قادرين على تجنيد مقاتلين جدد من أجل الجبهة العراقية أيضاً، وفي أبريل، دعت الجماعات التي تدعمها إيران، مثل كتائب حزب الله، بدر، وعصائب أهل الحق، المجندين الجدد إلى القتال في العراق. وفي النهاية، أدت هذه الدعوات إلى نشوء ميليشيات شيعية عراقية جديدة.

وفي حين أن إنشاء العديد من المجموعات قد يبدو أمراً معقداً من دون فائدة، إلى أنه يساعد فعلاً في خلق صورة ذهنية تؤكد وجود دعم شعبي واسع النطاق للميليشيات التي تعمل على تعزيز سياسات وأيدولوجيات إيران.

وعلاوةً على ذلك، فإنه يسمح للمجموعات المنشأة حديثاً بفصل المتطوعين ممن لا يملكون الخبرة عن المقاتلين البارعين بطريقة أكثر سهولة. وعلى سبيل المثال، أعلنت كتائب حزب الله، وهي ميليشيا تشكلت بمساعدة من حزب الله اللبناني

التي تقوم بها الميليشيات الشيعية المتنامية في العراق، والتي تلعب دوراً متزايد الأهمية في مقاتلة الجهاديين السنة. هذه الجماعات، وكثير منها لديه روابط أيديولوجية وتنظيمية عميقة مع إيران، جرفت ما تبقى من فكرة وجود سلطة للحكومة في بغداد، وهي تمثل تحدياً كبيراً لهدف الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، المعلن بالعمل مع حكومة عراقية شاملة لإقصاء داعش.

وهناك أكثر من ٥٠ من الميليشيات الشيعية التي تقوم بالتجنيد والقتال في العراق الآن. وهذه الجماعات تقوم بعمليات التجنيد بنشاط، حيث تأخذ الرجال بعيداً عن الجيش والشرطة العراقية، وتوظفهم كمقاتلين في منظمات طائفية للغاية أيديولوجياً، ومعادية للولايات المتحدة بشكل متطرف. ومعظم هؤلاء المجندين لا يتم استخدامهم ببساطة في إبعاد الجهاديين السنة، ولكن، وفي كثير من الحالات، في تشكيل الحرس الخلفي المستخدم للسيطرة على المناطق التي من المفترض أن تكون تحت سيطرة بغداد.

وجعلت هذه الميليشيات الشيعية من نفسها جزءاً لا يتجزأ من هياكل الحكومة العراقية، وبالتالي أصبحت هذه الحكومة تعتمد على قوة هذه الميليشيات إلى الدرجة التي لا تستطيع معها حتى التفكير في تضيق الخناق عليها.

الحكومة والميليشيات الشيعية معاً ارتكبوا انتهاكات مروعة لحقوق الإنسان: في مطلع يونيو، ورد أن الميليشيات الشيعية، جنباً إلى جنب مع قوات الأمن العراقية، قامت بإعدام حوالي ٢٥٥ سجيناً، بينهم أطفال. ويظهر تقرير لمنظمة العفو الدولية من يونيو، كيف قامت الميليشيات الشيعية بانتظام بتنفيذ عمليات إعدام خارج نطاق القضاء، وذكرت المنظمة أن عشرات من السجناء السنة تم قتلهم داخل المباني الحكومية.

ولعبت الميليشيات الشيعية أيضاً دوراً رئيساً في تحرير البلدة التركمانية الشيعية المحاصرة، أمرلي. كتائب حزب الله، وهي جماعة إرهابية وفقاً لتصنيف الولايات المتحدة، وتعمل كوكيل

في ٢٠٠٧، مؤخرًا عن إنشاء شركات الدفاع الشعبي. وقد تمّ إنشاء المجموعة الجديدة لأخذ المتطوعين الشيعة العراقيين الجدد تحت إدارة كتائب حزب الله.

وأما منظمة بدر، وهي جماعة مسلحة تتكون من آلاف المقاتلين وأحد عملاء إيران الأساسيين في العراق، فهي دعامة أخرى لجهود طهران في تطوير الميليشيات الشيعية. وخلال حرب العراق، ومن خلال سيطرتها على المكاتب الحكومية، شغلت المجموعة عددًا من فرق الموت الطائفية. كما شاركت بدر في القتال في سوريا، وأنشأت «قوات الشهيد باقر الصدر» خصيصًا من أجل هذا الغرض. ولكن أكبر تأثير لمنظمة بدر ما زال في بغداد.

نفوذ الجماعة يمتد في عمق قوى الأمن الداخلي في العراق، حيث يقال بأنها تقوم مباشرة بإدارة العديد من أفراد الشرطة ومجموعات العمليات الخاصة هناك. ولدى بدر أيضاً تأثير كبير في المجال السياسي، حيث حصلت على مناصب رئيسة في الحكومة العراقية، وهي جزء رئيس من تحالف القانون الذي يضم رئيس الوزراء العراقي، حيدر العبادي، وهذا الأخير يريد حتى أن يعين قائدها، هادي العامري، كوزير داخلية البلاد.

وقد انتشر رجال ميليشيات بدر في صفوف كوكبة من الميليشيات الأخرى الوكيلة لإيران في العراق. حيث إنّ من خريجي بدر الذين يعملون اليوم مع الميليشيات الأخرى كل من زعيم كتائب حزب الله، جمال إبراهيمي؛ زعيم إحدى الميليشيات الشيعية التي تقاتل في سوريا وتسمى وحدة الخراساني، علي الياسري؛ وزعيم جيش المختار، وهي مجموعة شديدة الطائفية، واثق البطاط.

وتوغل بعض مقاتلي ميليشيات بدر السابقين أيضاً بعمق داخل القيادة السياسية في العراق وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منها، ومنهم الشيخ عدنان شاهماني، وهو عضو البرلمان العراقي، وعضو في اللجنة الوطنية للدفاع في البرلمان. وأحد مقاتلي بدر كذلك، وفي وقت مبكر من سبتمبر ٢٠١٣، كان شاهماني قد دعا الميليشيات الطائفية

لحماية الشيعة الذين يعيشون في المناطق السنية. **وعمل وكلاء إيران الأكثر نفوذاً في العراق معاً بشكل وثيق لدعم نظام الأسد في دمشق. كتائب حزب الله وميليشيات بدر شكلتا كتائب سيد الشهداء،** أو KSS، في أوائل عام ٢٠١٣ للقتال في سوريا. ويقود KSS جزئياً أبو مصطفى الشيباني، وهو قائد تابع لكل من ميليشيات بدر والحرس الثوري الإسلامي الإيراني «قوة القدس» في نفس الوقت. ويقال بأن الأمين العام للمجموعة، وهو مصطفى الخزعلي، قد أصيب خلال القتال في ضواحي دمشق.

والآن، يعود هؤلاء القادة الذين حاربوا في سوريا إلى المنزل للعب دور سياسي وعسكري في النضال من أجل العراق. فاز الخزعلي بمقعد في البرلمان خلال الانتخابات البرلمانية العراقية في أبريل/ نيسان، وذلك عندما بدأت جماعته بـ لعب دور الحزب السياسي، وشارك في الانتخابات في مدينة البصرة كمرشح في القائمة الانتخابية لتحالف «دولة القانون».

ويشارك قادة KSS أيضاً في القتال ضد أعدائهم المحليين، حيث قتل أبو مجاهد المالكي، وهو من قدامى المحاربين في KSS ومدير حملة الخزعلي في سوريا، أثناء القتال في العراق في أغسطس/ آب.

وشكلت عصابات أهل الحق وكيلاً آخر كبيراً لإيران في العراق. بدأت المجموعة خلال حرب العراق على أنها ميليشيا مدعومة من إيران ومنشقة عن جيش المهدي التابع لرجل الدين الشيعي مقتدى الصدر، وسرعان ما نمت كمجموعة قتالية هائلة.

خلال الحرب، حصلت أهل الحق على درجة من العار لقيامها بعمليات الخطف والإعدام للمتعاقدين البريطانيين والجنود الأمريكيين. وقد أرسل التنظيم العديد من المقاتلين إلى سوريا، وفي بداية ٢٠١٤، بدأ بالانتشار في محافظة الأنبار المضطربة في العراق لمحاربة أعداء الحكومة من السنة.

ويساعد نمو هذه الميليشيات الشيعية الموالية

تشتبك مع أيديولوجية إيران المطلقة قد استثمرت أيضاً في مجموعاتنا الخاصة.

سرايا السلام، أو «لواء السلام»، التابع لمقتدى الصدر، تأسست في يونيو هذا العام، وفي نفس الوقت تقريباً الذي أصدر فيه آية الله العظمى علي السيستاني فتوى تدعو إلى الجهاد ضد «الدولة الإسلامية». فتوى السيستاني، مع ذلك، أوضحت أن على العراقيين أن ينضموا إلى الجيش العراقي. وفي حين أن المقاتلين في لواء الصدر الجديد ليس لديهم ولائ للسيستاني، إلا أنه، ومع القدرة على الاعتماد على عشرات الآلاف من أنصار التيار الصدري، فإن سرايا السلام بالتأكيد لن تقتصر إلى المقاتلين.

وعندما تم تشكيل سرايا السلام في البداية، دعاها الصدر من أجل أن تشارك بشكل رئيس في الإجراءات الدفاعية. ورغم ذلك، استثمرت المجموعة بشكل أكبر في العمليات الهجومية خلال الشهر الماضي. واليوم، انتشرت عمليات المجموعة في جميع أنحاء العراق، من مدينة سامراء، إلى قرية أمربي التي تحررت مؤخراً، إلى مدينة جرف الصخر، لديالى في الشرق. وأرقام سرايا السلام الكبيرة تتزايد اليوم بنشاط من خلال الصراع، ولأن الجماعة كانت جزءاً من جيش المهدي في السابق، فإن هذا يقترح أنها قد تعود للانخراط في عمليات القتل الجماعي الطائفية.

والمليشيات الشيعية العراقية تسير أيضاً على مسار تصادمي مع المجتمع الكردي، وهو حليف الولايات المتحدة الرئيس في الحرب ضد «الدولة الإسلامية». حركة النجباء، وكتائب حزب الله اتهمتا رئيس كردستان، مسعود البرزاني، بالتنسيق مع أبرز البعثيين السابقين، وأصدرتا تحذيرات صارمة ضد أي تحركات كردية في كركوك. وذهب المتحدث باسم الحركتين أبعد من ذلك، للقول إن «صواريخ المقاومة الإسلامية سوف تضرب أربيل» إذا واصل بارزاني «التنسيق» مع الجهاديين.

وتنامي قوة هذه المليشيات هو علامة على

إيران، وغيرها الكثير، على إظهار أهداف إيران في تحقيق هيمنة الشيعة على العراق. هذه المجموعات لا تستفيد فقط من رعاية إيران وقدراتها التنظيمية، بل إنها كلها تسير أيضاً وفقاً للخط الأيديولوجي لطهران. إنهم موالون للمرشد الأعلى آية الله خامنئي، ولأيديولوجية إيران بولاية الفقيه المطلقة، والتي تمنح المرشد الأعلى السلطة السياسية والدينية في نهاية المطاف. كما إنهم يتبعون نموذج وكيل إيران اللبناني، حزب الله، وعازمون على تنفيذ إرادة إيران في المنطقة، وتعزيز مكتسبات «الثورة الإسلامية» الإيرانية.

وكما تهدف «الدولة الإسلامية» بشكل معلن إلى محو الحدود التي تم رسمها في الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، شاركت الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران أيضاً في هذه العملية. التلقيح المتبادل بين الميليشيات الشيعية السورية والعراقية قد أدى إلى تآكل الحدود الوطنية، تماماً كما فعلت الحملة الجهادية السنية.

حيث إنه، ومنذ بداية مشاركتها في كل الصراعات الإقليمية، اعتمدت الميليشيات الشيعية على السرد القائل بأنها «تدافع عن المقدسات» أو «تدافع عن الشيعة»، بغض النظر عن الموقع الجغرافي لهذه المقدسات أو أبناء المذهب.

وقد لعبت أقدم وأبرز الميليشيات الشيعية المؤلفة من مقاتلين أجانب في دمشق، وهي ميليشيا لواء أبي الفضل العباس، أو LAFA، دوراً رئيساً في تعزيز فكرة أن هذه الحرب هي حرب طائفية. وفي آب/ أغسطس، أعلنت المنظمة الموالية لإيران عن بدء عملها في العراق، وادعت بأنها تنتشر إلى الجنوب من بغداد، وربما قرب بلدة أمربي. وفي كثير من الأحيان، كانت فروع هذه الميليشيا ضبابية حول أيديولوجيتها، ولكن صلاتها بوكلاء إيران توحى بالتأكيد بأن لطهران نفوذ قوي عليها. ورغم أن لدى إيران صلات واسعة مع معظم، إن لم يكن كل، الميليشيات الشيعية في العراق، إلا أن العناصر الشيعية العراقية التي لا

عليها من القوى والطوائف والأديان والبلدان الأخرى؟

لقد ظهر تنظيم داعش في ٢٠١٣/٤/٩، وبدأ في تكفير وتخوين معظم فصائل الثورة السورية الإسلامية والوطنية، ومن ثم قام بالاعتداء عليها، وبعد فشل محاولات سلمية كثيرة ومتكررة لثني داعش عن عدوانها وإجرامها بحق المجاهدين والثوار الذين أشعلوا وحملوا الثورة السورية من إرهاب وداعشية النظام الطائفي الديكتاتوري، اضطرت بعض الفصائل لمقاتلة داعش التي أعملت فيهم المفخخات والاغتيالات والإعدامات، وبقي العالم يتفرج ولا يحرك ساكناً، وصدرت الفتاوى والبيانات الشرعية والسياسية من العلماء والهيئات بخطورة داعش ومستقبلها المظلم على الجميع، وبقي الجميع يتفرج، وبقيت سكين داعش ومسندسها يعملان في الثورة وأبنائها بمباركة وتسهيلات من النظام السوري الذي كسب كثيراً من ظهور داعش. فلماذا تعالت الاجتماعات اليوم لحرب داعش، وترك المجاهدون والثوار وحدهم ولليوم عاماً وأكثر يقاومون عدوان داعش؟

إسرائيل تمارس الداعشية بكل أصنافها وأشكالها تجاه الشعب الفلسطيني طيلة عشرات السنين، فتقتل الأطفال كمحمد الدرة (١١ عاماً) والذي قتل في قطاع غزة في ٢٠٠٠/٩/٣٠، والطفلة إيمان الهمص (١٣ عاماً) التي بعد قتلها أفرغ الضابط الإسرائيلي رصاص مسدسه في جسدها في قطاع غزة في ٢٠٠٤/١٠/٥، ولا يزال قتل الأطفال والرجال والنساء وهدم البيوت وتجريف الأراضي وسجن الشباب ديدنها، ولا يعيقها عن ذلك مبادرات سلام ولا اتفاقيات، وقد اعتدت قبل أسابيع على غزة فصبت حممها على رؤوس الأبرياء دون أن يطرف لها جفن، ولم يتحرك العالم ضدها، وقد كانت ولا تزال تفرض حصاراً قاتلاً على غزة، لم يفك، بينما فك حصار داعش للأقليات في العراق قرب كركوك، ولم يتحرك العالم بعد حتى لنجدة أهل غزة بعد الهدنة، فلماذا؟

وقبل هذا سكت العالم الحر وغيره على

أنه، ورغم إزالة المالك كرتيس للوزراء، لا تزال الحكومة العراقية تدين بالفضل لقوات طائفية عميقة. هذه الميليشيات حافظت عمومًا على استقلالية في العمل من بغداد، وقامت حتى باستغلال النظام الديمقراطي الناشئ في البلاد، وسيطرتها على الجهات الرسمية، في كسب التأييد لها. هذه الميليشيات ليست مجرد إضافة إلى الدولة، هي الدولة، وهي لا تعطي اعتباراً لأي سلطة في بغداد، ولكن فقط لزعمائها الدينيين أو لظهران.

وفي حين ركزت بشكل واضح على هزيمة «الدولة الإسلامية»، هذه الفصائل المسلحة سوف تكون أيضاً مؤثرة بشكل كبير في تشكيل مستقبل الطائفة الشيعية في العراق. أيديولوجيتها المتطرفة، وعلاقاتها التنظيمية، تشير إلى أنها سوف تسمح لإيران بامتلاك نفوذاً أكبر في العراق من أي وقت مضى. وإذا لم تتخذ واشنطن خطوات الآن لإيقاف نمو هذه الميليشيات، فإنها قد تكتشف بعد فوات الأوان أنها قد تنازلت فعلياً عن بغداد لظهران، وأنه لم يعد هناك من طريق للعودة إلى الوراء.

وماذا عن دواعش الآخرين؟

أسامة شحادة - الغد ٢٠١٤/٩/١٣

تكاد غالبية عقلاء الأمة الإسلامية تتفق على انحراف وضلال تنظيم داعش من الناحية الفكرية وإجرامه وخيانتته من الناحية السياسية والعسكرية بحق الأمة الإسلامية، وقد بنى عامداً صورة ذهنية بشعة عنه لدى الجماهير، تتمثل بالمبالغة في التشدد والتكفير والقتل بوحشية لكل مخالف من أهل السنة أو الطوائف والأديان الأخرى.

برغم هذا فإن الكثير منهم يتساءل عن سبب الحماس الدولي لمحاربة التنظيم الآن وليس سابقاً من جهة؟ وعن سبب تفرد إرهاب داعش بالمحاربة والتحالف الدولي بحيث يتنافس الفرقاء المتشاكسون على الدخول في حلف لمحاربة داعش دون سواها من التنظيمات الداعشية السابقة

الفرنسية والأممية، ولم يتحرك أحد أو يتحالف ضد الدواعش المسيحيين الأفارقة!!

وفي بورما يقوم الدواعش البوذيون من الجنود والرهبان (المسلمون) منذ عامين واليوم بحرق وذبح وقتل وتهجير المسلمين صغاراً وكباراً، جهاراً ونهاراً، تحت سمع وبصر العالم، حتى قتل منهم الآلاف وشرّد أكثر من نصف مليون مسلم في داخل بورما وخارجها، ولم يتداع العالم لحرب إرهاب داعش البوذية، فلماذا؟؟

وفي الصين لا تزال الدولة تمارس داعشيتها على الأقلية المسلمة في تركستان المحتلة، فتهجّرهم من أراضيهم وتتفدّ فيهم المجازر تلو المجازر، فضلاً عن أحكام الإعدام بحق الكثير من ناشطيهم، ومنعهم من شعائر الإسلام كالصيام والحجّاب، وهدم المساجد، ولم يقتصر هذا الإرهاب الصيني على مسلمي الصين بل تعداهم لدعم الصين لكل الطفّة في عالمنا العربي، وعلى رأسهم معمر القذافي وبشار الأسد، حيث يساهم الدعم الصيني لبشار الأسد بالسلاح والمال والاستشارات والتصويت في مجلس الأمن مساهمة فاعلة في قتل الشعب السوري، ولا أحد يتحدث عن داعشية الصين!!

ويبقى السؤال: ماذا عن هؤلاء الدواعش، هل هم مشمولون بالتحالف الدولي؟؟ وهل هم مدانون بالإرهاب كما ندين داعش؟؟ أم سيكون بعض هؤلاء الدواعش الإرهابيين كإسرائيل ونظام بشار والعراق وإيران ضمن حلف محاربة إرهاب داعش؟؟ أم هناك موازين مائلة هي التي تحدد الإرهاب المذموم والإرهاب المدلل؟؟

وطالما بقي هؤلاء الدواعش أحرار يمارسون الإرهاب والعدوان دون عقاب عادل، فلا تتخيلوا القضاء على داعش، بل انتظروا داعش القادمة داعش ٢، داعش ٣ وهكذا، وهذا سيكون حديثنا في المقال القادم.

إجرام نظام الأسد بحق شعبه طيلة ثلاث سنوات استخدم فيها مختلف أنواع الأسلحة حتى الكيماوية المحرمة منها! حتى قتل مئات الألوف منهم، وقد عاونه في هذا عدة دواعش طائفية من الميليشيات الشيعية العراقية واللبنانية والأفغانية والهندية والباكستانية والبحرينية واليمنية وغيرها، وقاموا بكافة الجرائم التي ارتكبتها تنظيم داعش، ولم يتحرك العالم لحرب هؤلاء الداعشين الأقدم فلماذا؟؟

وفي العراق يعاني أهل السنة من ثماني سنوات من داعشية نظام المالكي الطائفي والذين ملئت السجون والمقابر منهم ظلماً وعدواناً، وقد فاق المالكي وأعوانه في إجرامه وعدوانه بحق أهل السنة كثيراً من الأنظمة الديكتاتورية العريقة، بل حتى داعش لم نجد أنها استخدمت المثقاب في قتل الناس أو شي أطفالهم في الأفران وتقديمها لذويهم مع بعض الخضراوات!! ومع ذلك لم يتحرك العالم!! وبعد تحرير بعض المناطق قرب كركوك من قبضة داعش، يمنع الأكراد والشيعية السكان السنة الذين هربوا من داعش من العودة لقراهم، فما الفارق بين تهجير داعش للأيزيديين وتهجير الأكراد والشيعية للسنة في نفس المنطقة؟؟

وفي اليمن تقوم داعش الحوثية بعدة حروب مع الدولة والنظام والشعب وبعض الدول المجاورة وتكاد اليوم تحتل العاصمة بقوة السلاح القادم عبر البحار من إيران، ولكن لا يحفل بردهم أحد، وتكتفى الدول العشر الراعية للمصالحة ببيان صادر عن سفرائهم، فلماذا؟؟

وفي دولة أفريقيا الوسطى لا زالت الميليشيات المسيحية المسلحة تقطع رقاب المسلمين فيها علناً بالشوارع، حتى قُتل أو هُجر أغلب المواطنين المسلمين منها والذين تبلغ نسبتهم ١٥٪ من السكان، وكأن المسلمين إذا كانوا أقلية لا حقوق لهم ولا كرامة بخلاف الأقليات الأخرى في العالم، هذا الإرهاب كله جرى بحضور القوات

ضجة كبيرة امتلأت بها مواقع التواصل الاجتماعي والعديد من الصحف بعد زيارة قام بها وفد أزهرى إلى إيران ، والتقى فيها بقيادات السلطة والأجهزة والمراجع الدينية وزار الحوزات المختلفة وخاصة في مدينة «قم» ، ثم التصريحات التي صدرت عن الوفد الذي ادعى أنه يمثل الأزهر الشريف ، التي أثبتت فيها بقوة على جهود إيران وتميز مؤسساتها الدينية وأنها «أسوة» يمكن أن ننقل تجربتها للقاهرة ، حسب ما نقلت وكالات أنباء إيرانية وصفت الوفد بأنه وفد رسمي ، وأن الوفد الذي رأسه الدكتور أحمد كريمة ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، قدم مشروعا للتعاون والعمل المشترك بين الحوزة الشيعية الإيرانية وجامعة الأزهر ، وذلك في مجالات كثيرة ، إضافة إلى اقتراح إقامة المؤتمرات المشتركة لمواجهة التطرف الإسلامي ، على حد قوله ، وأن الحوزة العلمية الدينية الشيعية من جانبها طرحت على الوفد الأزهرى مشروعاً لتبادل البعثات الدراسية بين مصر وإيران ، معلنة عن استعدادها لاستقبال الطلبة المصريين وغيرهم للدراسة بالجامعات والحوزات الشيعية في إيران.

الأزهر لم يمكنه الصمت أمام هذا الجدل الخطير الذي يضر بسمعته كقيادة دينية هي الأبرز في العالم السني ، وثبتت هذه الواقعة بهز الثقة به هذا عنيفا ، والأزهر لا يتحمل المزيد من الخبطات والضربات بعد الجدل والاتهامات الواسعة التي تعرض لها على خلفية الصراع السياسي الأخير وإطاحة الرئيس الأسبق محمد مرسي وظهور شيخ الأزهر في مشهد العزل والإعلان عن النظام الجديد ، جامعة الأزهر أصدرت أمس الاثنين بيانا شديد اللهجة صدر عن المركز الإعلامي لجامعة الأزهر قالت فيه ما نصه : « تداولت وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي سفر وفد من جامعة الأزهر برئاسة الدكتور أحمد كريمة الأستاذ

المتفرغ بالجامعة ، فى زيارة رسمية إلى الحوزات الشيعية » ، ثم أضاف البيان قائلًا : « وإذ تعبر الجامعة عن استيائها الشديد من هذا الخبر فإنها تعلن للكافة أنها لم توفد أحداً أو مجموعة فى مهمة رسمية إلى الجهة المذكورة ، وأنه إذا صح ذلك فإنه يعد افتئاتا صارخا على الأزهر وجامعته وتصرفا مخالفا للقانون ، وأن أى حديث يصدر عن الوفد فإنه لا يعبر إلا عن صاحبه فقط وتحفظ الجامعة بحقها فى اتخاذ كل الإجراءات القانونية اللازمة فى هذا الشأن».

بيان الأزهر مهم ، وواضح من صيغته حجم الحرج الذي استشعرته المؤسسة ، غير أن مجرد إصدار بيان تبرؤ من الوفد المبشر بالإنجازات الشيعية ، والحديث عن أنه يمثل نفسه فقط وليس الأزهر ، وأن الجامعة تحتفظ بحقها في اتخاذ الإجراءات القانونية ، هو كلام غير مقنع ، ويعني أن «الأزهر عينه مكسورة» في هذه الواقعة ، فإصدار البيان يعني أن الأزهر استشعر الخطر الذي يتعرض له ، وأن هناك من تاجر باسمه في إيران ، وانتحل صفة الوفد الرسمي الأزهرى ، وهو ما يستدعي إحالة الوفد بكامله للتحقيق فورا ، واتخاذ الإجراءات القانونية مباشرة تجاهه ، وليس الاحتفاظ بالحق في اتخاذها ، كما أنه يتوجب على الأزهر أن يكشف للرأي العام دوافع سفر هذا الوفد الذي يرأسه شخصيات أزهرية بالفعل وما زالت تعمل بجامعة الأزهر ، ومن الذي وجه إليهم تحديدا الدعوة الرسمية من الجانب الإيراني ، ومن الذي منحهم التأشيرة ، وهل كانت الجهات الأمنية المصرية التي تراقب حاليا بدقة متناهية حركة السفر والوصول إلى ومن عواصم مختلفة نظرا لحساسية اللحظة التي تعيشها مصر ، هل تابعت سفر الوفد المشبوه ، وعلى أي أساس وافقت على سفر وفد أزهرى إلى إيران في الوقت الذي يتهم فيه القضاء المصري والأمن المصري بتنظيمات إيرانية أو تابعة لها بالتآمر على مصر وتهديد أمنها القومي ، وهو ما تكرر في أكثر من قضية أعدها جهاز الأمن الوطني نفسه ، فكيف سمح الجهاز بسفر هذا الوفد إلى عاصمة توصف بأنها مهددة للأمن

ينكر أحد من المراقبين حجم المطامع الفارسية والشيعية في #مصر قلب العالم الإسلامي بصفة عامة، وشعور #الشيعية بأحقيتهم في الأزهر الشريف وأن صلاح الدين الأيوبي حرّمهم منه، بقراراته التي استهدف من خلالها تطهير مصر من معتقداتهم الفاسدة.

إنه حقاً تناقض عجيب ومحير بين موقف الأُمس واليوم، فبالأُمس القريب وفي ظل أوضاع سياسية لم ترق لبعض علماء الأزهر، تعالت صرخات البعض في مصر ومنهم علماء بالأزهر للتحذير من المد الشيوعي الذي يغزو البلاد، بصورة بدت فيها المبالغة واضحة، وأعطى الأمر أكبر من حجمه بكثير، مما دفعنا حينها لتناول الموضوع بصورة بحثية بعيداً عن التهوين والتهويل، واضعين للأمة استراتيجيات وآليات المدافعة وسد ثغرات التغلغل الشيوعي إلى مصر.

وانقلبت الأمور وتغيرت الأوضاع السياسية في مصر، وتحول موقف بعض القائمين على الأزهر الشريف الآن بمعدل مائة وثمانين درجة، بصورة قد تكون مفاجئة للشيعية أنفسهم، وانتهت عند هؤلاء فجأة مخاطر المد الشيوعي على الأمن القومي، بل وقدمت الدعوات للشيعية كي ينظموا فعاليتهم في مصر كما يشاءون. فما الذي حدث في أشهر قليلة؟ ولماذا زيارة جس النبض الأزهرية على كافة الأصعدة في هذا التوقيت تحديداً؟ ولما اللعب بهذه الورقة الحارقة الآن؟.

تساؤلات رئيسية تفتح لنا مزيد من التساؤلات الفرعية التالية:

١- هل زيارة هذا الوفد الأزهرية (غير الرسمية) ذات دوافع علمية دعوية أم أن دوافعها سياسية في ظل تفاعلات ومعطيات دولية وإقليمية معينة؟.

٢- السؤال الذي يفرض نفسه بقوة فيما يتعلق بتلك الزيارة المريبة هو: من تحمل تكاليف رحلة سفر أعضاء الوفد الأزهرية المصري المعمم (غير الرسمي) من سفر بالطيران، وإقامة فندقية في إيران، وتنقلات داخلية، وزيارات للمشاهد المقدسة

القومي المصري، وعلى أي أساس اختارت «الأجهزة» الإيرانية هؤلاء الأشخاص تحديداً، ما هي صلتهم بالأجهزة الإيرانية والمؤسسات الإيرانية، لأن الاختيار لا يأتي عشوائياً، وإنما تسبقه تمهيدات وتقارير ومقابلات وثقة خاصة بالأشخاص، كل ذلك ينبغي أن لا يمر مرور الكرام على الأزهر والجامعة، لأن مؤسسة عريقة تمثل الدولة المصرية وتمثل ملايين المسلمين السنة ينبغي تطهيرها من تلك الاختراقات الخطيرة، وأن تصارح الرأي العام بأي موقف مشابه، وثبتت أنها قامت بردد المستهترين وتصويب المسار، أما الاكتفاء بالخطب العصماء عن «الاحتفاظ بالحق في اتخاذ الإجراءات القانونية» فهو هشاشة وضحالة وهوان لا يليق.

الشيعية والزيارة الأزهرية المريبة

الهيم زفان- صفحة مركز الاستقامة ١٤٣٥/١١/٢١هـ

طالعتنا وسائل الإعلام بخبر زيارة وفد مصري من جامعة #الأزهر برئاسة الدكتور أحمد كريمة لإيران، وذلك للتباحث حول سبل التعاون بين الأزهر والحوزات الشيعية في #إيران؛ وتعزيز وتعميق العلاقة بين الطرفين واقتراحات بمؤتمرات وبعثات دراسية مشتركة وبرامج للزيارات المتبادلة، وغير ذلك من وسائل التعاون التي قد تبدو للبعض أنها بريئة المظهر، ولكن الشواهد والتجارب لا تعفيها من أن تكون فاسدة المخبر. وعلى الرغم من أن مشيخة الأزهر قد نفت أن تكون الزيارة (رسمية)، إلا أنها لم تبرر هذه الصور المتداولة للوفد الأزهرية المصري المعمم، والزائر للحوزات الشيعية، والعتبات والمقامات والأضرحة المقدسة عند الشيعية بإيران، بل والتحدث باسم الأزهر فيما يعمق سبل التعاون بين الطرفين؛ ولم نسمع تحويل أطراف الزيارة إلى التحقيق أو التقاعد عقاباً على هذه الجريمة النكراء في حق أهل السنة والجماعة. الأمر الذي يستدعي وقفة حازمة من كل غيور على منهج أهل السنة والجماعة؛ فلا

عندهم، وبدلات يومية، وغيرها من الامتيازات؟ هل هي على نفقة الوفد الخاصة فليعلنوا ذلك وليخرجوا الأزهر من الموضوع؟ وإن كانت النفقات من ميزانية الأزهر فينبغي محاسبة المسؤولين عن إهدار هذه الأموال، وأسباب انفاقها في هذا الجانب المريب، وإن كانت الدعوة للرحلة إيرانية فينبغي المكاشفة والمحاسبة في ضوء التطبيع مع الكيانات التي تتربص بدول المنطقة. وإن كان التمويل من جهة ثالثة فينبغي أيضاً معرفتها، لأنه في ضوء التمويل سيتم التعرف على كثير من أهداف الزيارة، وستتقرب مسافات الفهم والإدراك لدى المراقب والمحلل.

٣- لماذا لم تتخذ الجهات الرسمية في مصر موقفاً حاسماً من أعضاء هذا الوفد الأزهري المعمم على غرار ما تم مع بعض مقرئي القرآن الكريم الذين رفعوا الأذان الشيعي في إيران؟

٤- إذا مرت زيارة وفد الأزهر غير الرسمي هذا بسلام دون عقوبات رادعة، فمن يضمن لنا ألا يقوم مكتب رعاية المصالح الإيرانية في مصر بتنظيم برامج للزيارات يختارون فيها بعناية فائقة أساتذة من الجامعات المصرية لزيارة الحوزات الشيعية، والعتبات الشيعية المقدسة بإيران، ويكون ذلك مدخلاً جديداً لخلخلة العقيدة السنية في مصر؟

٥- إذا كان من بين أعضاء الوفد الأزهري المصري أساتذة بالكلية الشرعية بجامعة الأزهر، ويحملون بين صدورهم كل هذا الود والانبهار بالشيعية كما وضع من الصور المسربة، وكذلك التصريحات العقديّة الخطيرة المنسوبة لهم، والكاشفة عن جوانب من اعتقاداتهم في الفرقة الشيعية؛ فكيف تأمن مشيخة الأزهر على عقيدة طلابها من تدريس هؤلاء الأساتذة لهم مستقبلاً؟ ولماذا لا يتخذ شيخ الأزهر قراراً بمنعهم من التدريس حفاظاً على عقيدة أبنائنا في الأزهر الشريف؟

٦- وفي السياق التوجيهي ذاته؛ إذا كان من بين أعضاء الوفد الأزهري المصري الزائر لإيران من يتصدر للفتوى والتحليل بوسائل الإعلام العربية، فمن يضمن لنا ألا يسقط أرائه ومعتقداته على

فتاويه ويبثها لجمهوره من أهل السنة والجماعة فيحدث الافتتان، وتتخلخل عقائد البعض داخل المجتمعات السنية؟ وفي ضوء ذلك لماذا لا يكون هناك موقفاً حازماً من هؤلاء، وذلك بمنعهم من الظهور في الفضائيات حفاظاً على عقيدة المجتمع وأمنه؟

٧- من يضمن لنا عدم تعرض أحد أعضاء هذا الوفد الأزهري المعمم للابتزاز الشيعي، على غرار ابتزاز الأسد العلوي لوفد جامعة الدول العربية بسوريا، لتكون الأزمة حينها كبيرة ومخجلة لمنسوبي الأزهر؟

٨- لماذا لا تعقد جلسة طارئة لمجمع البحوث الإسلامية لمناقشة تداعيات هذه الزيارة المريبة والمسيئة للأزهر الشريف، واتخاذ قرارات حازمة ورادعة لأعضاء ذلك الوفد الأزهري الزائر للشيعية؟

٩- لماذا لم تتعامل الكيانات الأهلية والدعوية والدعاة المهتمون بالشأن الشيعي في مصر مع هذه الزيارة المريبة بالقدر المتوازن مع خطورته على المجتمع المصري، وطلاب الأزهر ومنسوبيه؟

١٠- ماذا لو قام وفد شيعي من الحوزات الشيعية برد الزيارة كما وعد ووضع القائمين على الأزهر في حرج بروتوكولي، هل ستكتفي إدارة الأزهر حينها بالقول بأنها زيارة غير رسمية؟

إن هذا الوفد الأزهري مطالب أمام أهل السنة والجماعة بأن يكشف أمامهم كافة ملابسات هذه الزيارة المريبة، بدءاً من الدعوات واختيار الوفد ودوافع الرحلة، مروراً بتكاليف الرحلة والجهة الراعية، انتهاءً بفعاليات الرحلة، وما تم فيها من مشاورات وتحضيرات لتداعيات مستقبلية، فقد سمعنا من الجانب الإيراني الشيعي، ونريد أن نسمع من الجانب المصري الأزهري السني.

بقي أن نؤكد في الختام على أنه قد كثرت في الآونة الأخيرة الزيارات المصرية لإيران وبخاصة في قطاعات قارئ القرآن الكريم، والإعلاميين والكتاب ومن يطلق عليهم مثقفين وغيرهم، والآن تقوم إيران بتسريب زيارة هذا الوفد الأزهري لها، ومؤكّد أن الخفي أكثر من المعلن في

إن هذا موقف و كلام خطير و كارثي
وتكمن خطورته في أنه يصدر ممن يضع نفسه
في مواجهة العدو اليهودي في فلسطين.. وسوف
يبرر الكثير من العاطفين لهذا الحدث ويدعي أن
القوم في ضرورة ولا بأس من كيل قليل من المدح
للإيرانيين وحلفائهم وأذنائهم للحصول على الدعم
اللازم للمعركة في وجه العدو اليهودي المجرم
وسوف يقول آخرون.. ماذا فعلتم أنتم أمام صمود
هؤلاء وقاتلهم للعدو الصهيوني.. وهذا التبرير هو
أخطر من موقف مقاتلي الجهاد الذين مدحوا دولة
الشر إيران... لأن فيه ثغرات خطيرة كثيرة..

ولتوضيح الأمر ووضع النقاط على الحروف
هنالك تعريفات وموازن لتقييم أي عمل بميزان
الشرع .

ليس كل من قاتل عدوا كافرا يكون
هذا تزكية له:

فعن أبي موسى قال سئل النبي ﷺ عن الرجل
يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فقال رسول
الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله. [١]

وقد روى البخاري رحمه الله: عن سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنه
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ
فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ
الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاةً وَلَا فَاةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا
بِسَيْفِهِ فَقَالَ مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ رَجُلٌ
مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ
وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجَرِحَ الرَّجُلُ
جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ فَوُضِعَ نَصْلُ سَيْفِهِ
بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ
نَفْسَهُ... الحديث .

فهذا رجل شجاع وذو بأس وقاتل مع الرسول ﷺ
ولكن خاتمته كانت إلى سوء بسبب عدم صبره

هذه الزيارات المتكررة، الأمر الذي يجعلنا نشدد
على ما ذكرناه مراراً وتكراراً بالتحذير من
الأفخاخ الإيرانية المتربصة بمصر، ونؤكد على أنه
إذا أردنا معية الله في مدافعة المد الشيوعي فينبغي أن
تكون المنطلقات عقدية، أما محاولة إدارة الملف
بمنطلقات سياسية فقط واستبعاد الشق العقدي من
المعركة، فأحسب أن موازين القوة والمصالح
الدولية والإقليمية والضغط المكثف في المرحلة
الراهنة ستصب جميعها في صالح الكيان الفارسي
الذي يتخذ المنهج الشيوعي غطاءً لأغراضه الدنيئة،
خاصة وأن الغرب فاطن مبكراً إلى أن أفضل ورقة
لتقويض أهل السنة والجماعة، هي الورقة الشيعية
الماكرة.

خطر عظيم وجلل..
مقاتلون من حركة الجهاد
يمدحون بشار وخامني...

ياسر البعلبكي - موقع الحقيقة ٢٠١٤/٩/١٦

في إستعراض عسكري لمقاتلي الجهاد
الإسلامي بمناسبة إنتهاء الحرب على غزة ..
سأل مراسل قناة العالم عدد من مقاتلي حركة
الجهاد المشاركين بالإستعراض عن إيران فأجاب
أحدهما:

شكر جزيل وكبير في دور الجمهورية
الإسلامية الإيرانية في دعم القضية الفلسطينية
لوجستيا وماليا وإعلاميا وروحيا وعسكريا
أيضا ولوجستيا هذا الشكر مكلل لقائد الثورة
الإيرانية سماحة السيد علي خامنئي ...

وأجاب الآخر:نشكر الجمهورية الإيرانية
الشقيقة التي أمدت المقاومة بالسلاح والتي كانت
معها في جميع الميادين أيضا نشكر سوريا الأسد
وحزب الله..!!

...طبعا كانت خلف أحد المقاتلين وهو
يتكلم صورة المتشيعغسان بن جدو....وعبارة
مكتوب عليها قناة الميادين

وروى مسلم: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرِ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِئْتُ لَأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ قَالَتْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَالَ فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ قَالَ ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلِقْ....

والشاهد من هذا الحديث إن هذا رجل مشرك لكنه ذو جرأة وبأس ونجدة بالرغم من شركه.. إذا القتال والشجاعة ليست لها علاقة بالعدالة والتزكية إلا إذا أضيفت إليها الإخلاص لله تعالى وتطبيق شرعه واتباع سنة رسول الله ﷺ.

نستنتج من هذه الأحاديث أن ليس كل من قاتل كافرا يعتبر عدلا مقبولا فقد يقاتل المرء رياء أو حمية، وقد يكون المقاتل مشركا وقد تؤول عاقبته إلى سوء كمثل هذا الرجل الذي قتل نفسه.

ومن واقعنا ما يثبت هذا فكم قاتلت التنظيمات اليسارية الفلسطينية مثل الجبهة الشعبية وغيرها العدو الصهيوني في فترة السبعينيات وبداية الثمانينات وفيهم من يعتقد الإلحاد ولا يؤمن بوجود اله لكن كان عندهم من الشجاعة والبأس قريبا من شجاعة مقاتلي غزة من نكاية بالعدو وصمود أمامه في مخيمات لبنان وعند حصار بيروت من قبل اليهود عام ١٩٨٢م وكم كانت عندهم من أعمال بطولية افتحموا فيها مستوطنات العدو في عمقه ...

لكنها في ميزان الشرع كان هذا هباء منثورا

لأن الغاية ليست رضا الله تعالى ولا القتال من أجل إعلاء كلمتهقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (الفرقان).[

بل ووجدنا من الكفار من لديه من الأعمال البطولية الشيء العجيب مثل طياري الكميزاكي اليابانيين الذين فجروا أنفسهم بالطائرات الأمريكية كذلك المقاتلين الشيوعيين مثل جيفارا وغيره والمقاتلين الروس الذين فعلوا الأعاجيب بالجيش الألماني عندما غزا الاتحاد السوفيتي مثل صمودهم في لينينغراد وستالينغراد وغيرها لكن ماهو الفاصل بيننا وبينهم الفاصل ..ان تكون كلمة الله هي العليا هذا الحد الفاصل ليكون جهادا إسلاميا ناصعا وصافيا ومقبولا عند الله.. أو غيره حسب الرايات المرفوعة وإلا فكيف يقال إن إيران قد وقفت، ، روحيا، معنا وما تفسير هذه العبارة وهل من يطعن بعمر ويقول إنه كسر ضلع الزهراء ويكفر خيار الصحابة عنده دعم روحي لنا فالدعم الروحي لا يأتي إلا من الأتقياء والأصفياء ولا يقال هذه كلمة عابرة بل هي كلمة تأتي في سياق منهج متكامل بنى لبناته فتحني الشقاقي عندما ألف كتاب... خميني الحل الإسلامي والبديل..

هكذا يعظمون رؤوس الشيعة حتى قال بعض المغفلين في نصر اللات إنه صلاح الدين العصر ونسي المسكين أن الشيعة يلعنون صلاح الدين، كيف وهو يعتقد عقيدة الرفض وسب الصحابة ويتخذ من الزنديق خميني مرشدا له كيف يقال هذا وهل يرضى من يتفوه بهذا أن يكون رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر خصمائهم يوم القيامة .

إن من أهم محبطات النصر هي الذنوب: ففي معركة حنين دخل شيء من العجب إلى النفوس فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة. فأصابتهم الهزيمة في أول المعركة ثم انتصروا بعد ذلك.. فسنن الله لا تحابي أحدا فهؤلاء صحابة وفيهم رسول الله ﷺ ولا يشك أحد في أن نواياهم نصره دين الله عز وجل ولكن حصل ما حصل

حتى أنزل الله فيهم آيات تتلى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة].

فكيف بمن يمدح ويشني على طواغيت العصر الغلاة سبابي صحابة رسول الله وزاهقي أنفس أهل السنة ومنتهكي أعراضهم وهادمي مساجدهم ..

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : « من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله - عز وجل - على محمد - صلى الله عليه و سلم - ، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع».

وقال الشاطبي: فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحدهما: التفات الجهال والعامّة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنّه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنّه إذا وقّر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه».

واظن كلام السلف واضح ومفهوم فمن مدح خامئي وبشار فقد عبد الطريق للشيعية في نشر شركهم وبدعهم ومنها سب أبي بكر وعمر محرري بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك وهذا من أعظم الذنوب.

فقد مرت جولة مع اليهود وسوف تتبعها جولات فنخشى أن يتخلى الله عنا بسبب ذنوب بعض الذين يهرفون بما يعرفون ولا يدركون خطورة ما يخرج من أفواههم من عظيم الزلل وسوء الخطاب .

فقد عذب الله بني إسرائيل وغضب عليهم بكلمة ..قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَرِّزُوا

الْمُحْسِنِينَ﴾ [فصل آل عمران] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة]...

قال الإمام السعدي: (قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله، واستهزاء وإذا بدلوا القول مع خفته فتبدلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أدبارهم، ولما كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال: (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) منهم (رِجْزًا) أي: عذابا (مِنَ السَّمَاءِ) بسبب فسقهم وبغيهم..هـ.

ضعف البناء العقائدي عند حركة الجهاد:

من أهم مقومات الجهاد في سبيل الله هو البناء العقائدي الصحيح عند المجاهدين..قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرُّرٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [١٠] تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [١١] [الصف].

فقدم الله الإيمان بالله ورسوله ثم بعد ذلك الجهاد ...

ومن قواعد العقيدة وأسسها هي عقيدة الولاء والبراء أي موالاتة المؤمنين ومحبتهم وبغض الكافرين والمنافقين ومفارقتهم .

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة].

وَأَعْلَنَها مُدوية إلى يوم القيامة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام فقال الله تعالى عنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [٤] [المجادلة]..

ومن أعظم المحادة لله والرسول هو الطعن

بعرض رسول الله ﷺ والغلو بالأئمة حتى قال المقبور خميني: إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا

يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل .. وقد ورد عنهم (ع) أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل ... انظر الحكومة الإسلامية ص ٥٢ .. ويقول: فإن للإمام مقاماً محموداً و خلافة تكوينية تخضع لولايتها و سيطرتها جميع ذرات الكون .. وغيرها من الكفريات وسب الصحابة الشيء الكثير وهذا الخميني واحد من علماء الشيعة الكثر الذين يتخذون نفس هذا المنهج والطريق ..

فلما يتبجح أحد مقاتلي حركة الجهاد بمدح بشار الأسد وخامنئي وحسن نصر اللات ماذا يعني هذا ؟؟؟

بالنسبة لبشار فهو ينتمي للفرقة النصيرية وهذه الفرقة أجمع علماء المسلمين على تكفيرها بل إن الشيعة أنفسهم قد كفروها .. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيهم :- هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين، وهم يتظاهرون بمحبة آل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين.

يضاف إلى ذلك فإنها فرقة قد أعلنت

الحرب على الله والرسول منذ استولت على الحكم في سوريا وما نراه الآن من مجازر وهدم للمساجد كالشمس في رابعة النهار ، وهذه الفرقة قد حمت حدود اليهود لأربعين عاما من حكمهم ويدها ملطخة بدماء الفلسطينيين في لبنان فعلى ماذا تشكر (سوريا الأسد) يامقاتل (حركة الجهاد) أعلى الدماء التي سفكت أم على الحرمات التي انتهكت أم على المساجد التي هدمت؟؟ فلا فرق عندنا بين السوري أو الفلسطيني الذي يقتل في سوريا أو في فلسطين.. ونفس الكلام يسحب على خامنئي وذنبه حسن نصر اللات فهم ينتمون إلى الفرقة الإثني عشرية التي تناصب صحابة رسول الله العدا و خاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاهر الفرس والروم ومحرر (بيت المقدس) فلو كان هنالك أدنى شعور بالمسؤولية أو العلم بالدين أو العقيدة لما مُرِحَ هؤلاء عتاة الكفر والزندقة..

فكيف يُمدح من يسب الفاروق رضي الله عنه: كذلك نقول في عصر المعلومات هذا بإمكان أطفالنا التعرف على مدى كره الشيعة للصحابة وعداوتهم لهم..

فإن التربية العقائدية لعناصر حركة

الجهاد؟؟ وإن اعتذر البعض وقال هي كلمات تقال لتحقيق بعض الأموال فإننا نقول ..أين عقيدة التوكل على الله ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، ، وأن النصر بيد الله لا بيد خامنئي ولا بيد بشار ...

ضعف البناء التربوي عند حركة الجهاد:

لو تجاوزنا البعد العقائدي أو الشرعي وكل الكلام السابق .. فهناك بعد تربوي وأخلاقي يجتمع فيه كل البشر مؤمنهم وكافرهم ، وكما قال المثل فلأجل عين ألف عين تكرم.

إن بشار ونظامه قد ناصب أهل السنة العدا ومنهم وعلى رأسهم الإخوان المسلمون ومن يحكم غزة الآن هم الإخوان المسلمون المتمثلون بحماس ، بل هنالك مشكلة بين نظام الأسد وحماس وعلى إثرها تعرض إعلام النظام السوري إلى خالد مشعل مباشرة بالسب والتشهير .. وللعلم فإن حماس هي من وفرت أجواء المقاومة في غزة وسهلت للمقاومين الحصول على الأسلحة وغيرها وهي غطاء لكل مقاوم فكيف يستقيم الأمر بمدح من يسب قائد حماس ، وأنتم ياحركة الجهاد تعيشون في ظل حركة حماس وفي كنفها أهكذا يكون جزاء المعروف وأنتم تعتبرون أنفسكم رفقاء درب المقاومة ، أفلا تراعون مشاعر العمود الفقري للمقاومة في غزة ، ، والحق يقال ..قد بان الفرق الشاسع بين مقاومة القسام وبقيّة فصائل المقاومة ولانبعد أن نقول: إن كتائب القسام أنجزت ٨٠ بالمئة من الجهد المقاوم ومنها عمليات نوعية انضردت بها و ٢٠ بالمئة لبقية الفصائل .والأمر لا يقتصر على حماس بل جل الشعب الفلسطيني يرى بشار خائن وقاتل وهو موقف حراس الأقصى وفلسطيني ٤٨ أفلا يُراعى مشاعر هؤلاء أم نضرب بمشاعرهم عرض الحائط لقاء بعض الدعم من هنا وهناك ..

ثم أليس الشعب السوري هو شعب مسلم وشقيق

وقد ضحى بالغالي والنفيس من أجل فلسطين.. والمجرم بشار يقوم بسحق هذا الشعب فهل من الأدب والخلق والمروءة مدح من يقوم بالمجازر المروعة لاجتثاث هذا الشعب السني الأصيل، كذلك ماتقوم به إيران واذنابها من حزب اللات والحوثيين ومعارضة البحرين من سفك لدماء أهل السنة الأمنين ...

ثم إن كان هؤلاء المقاتلين لا يؤمنون بما يقولونه وإنما هو مجاملة لتحصيل الدعم من إيران فكيف يربى جيل الجهاد على خلق ذي الوجهين إن لم نقل النفاق وهو أن يُظهر عكس ما يُبطن... فليس هذا بخلق الصحابة الكرام الذين كانوا يقفون أمام كفار قريش ويعلن أحدهم بكلمة التوحيد ولا يخشى في الله لومة لائم ويعلم أنه سيلاقى أشد العذاب، كذلك كان سلفنا الصالح فعذب الكثير منهم ومات بعضهم في السجون لقاء كلمة حق قالوها وما مواقف سعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة وأبي حنيفة والإمام النابلسي والإمام أحمد وابن تيمية وغيرهم عنا ببعيد.

خلاصة القول:

إن هذا المنهج جدٌ خطير.. وهو غريب عن منهج النبوة ومنهج صالحى هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم.. وهو أن يُمدح الزنادقة والقتلة المجرمون.. لذا يجب أن لا يرى أبنائنا على مدح عتاة المجرمين والكفار والمشركين الذين ينادون صحابة نبينا وزوجاته الكرام وخيار هذه الأمة، ويعتقدون تحريف القرآن ويغالون بأهل البيت حتى يرفعوهم إلى درجة الألوهية بل ويتآمرون على هذه الأمة، فلم يعرف التاريخ فتحاً للشيعية أو تحريرهم شبرا من الأرض بل كيدهم منصب على أهل السنة وإن تصدقوا على الفلسطينيين ببعض التومانات المغمسة بدماء أهل السنة فالهدف منه تحسين صورتهم وتحصيل موطيء قدم لهم على أرض فلسطين الطاهرة لنشر تشيعهم ...

إن معركتنا مع اليهود هي معركة عقائدية قبل أن تكون من أجل وطن أو تراب فهل يعقل أن يبدل قتلة الأنبياء اليهود بأعداء الصحابة محرري بيت المقدس،

وهل من أجل التراب نفتح أبواب بلادنا على مصراعها لتوغل الرافضة الغلاة، أهكذا تكون المعادلة؟؟ أم هكذا يكون الميزان إن هذا الأمر جد خطير ويجب أن يؤخذ على أيدي هؤلاء ومن يقودهم، لأن هذا الأمر قد كرر والبلاء والفتنة اذا وقعت سوف تشمل الجميع وتعم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال].

وكدليل على عمق فهم الصحابة فإن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها لما سمعت بمقتل عثمان وهي مقبلة من مكة الى المدينة رجعت وخافت أن يصيب المدينة بلاء بسبب ذنب قتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان أهل المدينة النبوية على عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أحسن أهل المدائن حالا، ونعمة الله عليهم أعظم النعم لكونهم كانوا مطيعين لله ورسوله، وكانت الخلفاء تسوسهم سياسة نبوية، فلما تغيروا وقتل بينهم عثمان رضي الله عنه تغير الأمر وحصل لهم من الخوف والذل، ثم أصابهم من السيف ما أصابهم ...

وكانت حفصة أم المؤمنين تتأول فيهم قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢] الآية كما رواه ابن أبي حاتم وغيره من حديث ابن وهب، حدثنا ابن شريح، عن عبد الكريم بن الحارث، سمعه يحدث عن مشر عن هاعان، عن سليم بن عتر قال: صحبت حفصة زوج النبي ﷺ وهي خارجة من مكة إلى المدينة، فأخبرت أن عثمان قد قتل. فرجعت حفصة فقالت:

ارجعوا بي عن المدينة؛ فو الذي نفسي بيده إنها للقريّة التي قال الله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢] الآية «١». ولم ترد حفصة رضي الله عنها أن الآية خصّت المدينة بالذكر، بل هذا مثل ضربه الله لمن كان كذلك. وكان أهل مكة لما كانوا كفّارا كذلك

«المحافظ» بين عرقية الإيغور في المنطقة، وتم اعتقال نساء يرتدين الحجاب على نطاق واسع، والعديد من الشبان اعتقلوا لأتفه الأسباب، وفقا لما قاله السكان.

كما أكره الطلاب وموظفو الخدمة المدنية

على تناول الطعام بدلا من الصوم، والعمل أو حضور الدروس بدلا من حضور صلاة الجمعة. كما شنت الشرطة الصينية حملة على إغفاء اللحية وارتداء الحجاب في محافظة شينجيانغ ذات الغالبية المسلمة.

وكشفت تقارير أن الشرطة أطلقت النار

على الحشود الغاضبة في الأسابيع الأخيرة في مدن Elishku وAlaqagha، ومنذ ذلك الحين، فرضت السلطات الصينية تقييدا كاملا على المنطقتين، حتى أكثر حدة من تلك المفروضة في معظم أنحاء شينجيانغ.

وقطع الانترنت عن مقاطعة Shach وعُطلت

خدمات الرسائل النصية، كما مُنع الأجانب. ولكن بعض الاتصالات القليلة كشفت حقيقة ما يجري هناك. الشرطة في كل مكان، كما قال أحد اليوغور المقيمين. وقال آخر: «كأننا نعيش في السجن».

في ١٨ يوليو، تجمع مئات الأشخاص خارج مبنى حكومي في بلدة Alaqagha يحتجون على اعتقال عشرين من الفتيات والنساء الذين رفضوا خلع الحجاب، وفقا لتقرير أعده راديو آسيا الحرة.

وقد ألقى المتظاهرون الحجارة والزجاجات والطوب على البناية، وسرعان ما فتحت الشرطة النار عليهم، ما أسفر عن مقتل شخصين على الأقل، وإصابة آخرين.

وفي ٢٨ يوليو، اليوم الأخير من شهر رمضان، تعرض احتجاج في Elishku لبطش أشد وأعنف، فقد هاجم مئات من اليوغور مركزا للشرطة بالسكاكين والفؤوس والعصي، لتفتح الشرطة، مرة أخرى، النار، وقتلت العشرات من الناس.

وادعت حينها وكالة أنباء شينخوا الرسمية الصينية أن الشرطة قتلت ٥٩ من اليوغور

فأصابهم ما أصابهم، فلما قتل عثمان علمت حفصة أنه سيصيب أهل المدينة من البلاء ما يناسب حالهم بعد ما كانوا فيه من الأمن والطمأنينة، وإتيان رزقهم رغدا من كل مكان، فذكرت ذلك على سبيل التمثيل بالمدينة، لا على سبيل الحصر فيها. ٢.

فكيف بمن يمدح طغاة وعتاة الكفر ومن يطعن بعثمان وعمر وأبو بكر بل وبعلي ويطعن بعرض رسول الله ﷺ، وشتان بين مدينة رسول الله ﷺ وغزة وقد خافت حفصة رضي الله عنها أن ينزل العذاب في المدينة وهذا من فقهها رضي الله عنها وأرضاها ونسأل الله أن ينتقم ممن يطعن بها وبحبيبة رسولنا ﷺ عائشة رضي الله عنها وأرضاها..

فيجب على حركة حماس وهي من تقوم بإدارة غزة وولاية الأمر فيها أن تأخذ على أيدي هؤلاء وعدم التهاون بهذا الأمر فإن العذاب إذا نزل سوف يشمل الجميع، فقد لعن بني إسرائيل بسبب أنهم كما قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرِمِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

تقرير يفضح حملة الصين للقضاء على الإسلام في شينجيانغ

مفكرة الإسلام- ٢٠١٤/٩/٢٠

ذكر تقرير إخباري أمريكي أن الصين تشن حملة شاملة على الإسلام المحافظ تحت مظلة القضاء على الإرهاب والانفصاليين.

وذكرت صحيفة واشنطن بوست في تقرير لها عن وضع مسلمي الإيغور بمقاطعة شينجيانغ الصينية، أن شهر رمضان والذي من المفترض أن يكون شهر الصيام والصلاة، إلا أنه كان في العديد من البلدات والقرى في جنوب إقليم شينجيانغ كان زمن الخوف والقمع والعنف.

وذكر التقرير أنه خلال شهر رمضان، كثفت الشرطة حملتها من منزل الى منزل بحثا عن الكتب أو الملابس التي تكشف المعتقد الديني

«الإرهابيين» في الحادث، رغم أن تقارير أخرى أشارت إلى أن عدد القتلى قد يكون أعلى بكثير.

أزمة الهوية وقضية تريف الوعي الجمعي بتاريخ الأمة الإسلامية - غرب إفريقيا نموذجا -

عبد الله موسى أحمد الفلاني -

موقع مجتمع الأفارقة ٢٠١٤/٦/٢٥

مدخل: إن المتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم، يجد أن الغالب منها يعيش حالة من التشويش والتغيب في الوعي التاريخي مما تسبب في أزمة هوية وانتماء، أصبحت هذه الأزمة هي دعامة التخبیط والتبعية والفرقة و الفشل .

قد لا يعلم البعض أن غياب مفهوم الهوية العامة للأمة هو أهم أسباب تدهور حالها اليوم. وقد تيقظ المستعمر الصليبي لقضية الهوية الجامعة لأبناء الأمة الإسلامية، مع الفروقات والبون الشاسع بين أبنائها، عرقيا ولغويا وجغرافيا، فعمل على قصد وإصرار مسبق على تشويه معالم هذه الهوية الجامعة والتي نشأت عن الإيمان بالله تعالى واعتناق الدين الإسلامي، ذلك الدين الذي روض أعتا الأمم وأقساها قلوبا وأقحطها مشاعرا، روض القبائل العربية قبل غيرها من الأعراق والتي كانت في يوم من الأيام وفي عمق جاهليتها، تتعمد دفن الوليدة حية دون ذنب اقترفته بحجة الحفاظ على الشرف وكأن هذه الوليدة الضعيفة قد ولدت و مكتوب على جبينها عاهرة !!

يااااه أي قسوة تحملها هذه القلوب !!
وكانت هذه القبائل إبان جاهليتها تعيش جوا من التنازع والاحترا ب) فرضت عليها بسبب الجاهالة والعنصرية وغيرها من الأسباب، ولم تشفع لهذه القبائل ما كانت تحمله في جاهليتها من فضائل، من كرم وشهامة وغيرها، لم يشفع لها ذلك عن ممارسة قسوتها الصحراوية والجبالية وفق لمنطق جفاف المشاعر وتدني درجة الحس الإنساني وغياب الإيمان الواعي.

جاء الإسلام بلا إله إلا الله محمد رسول الله وبدأ عملية استئصال لهذه الجاهليات، ومن أهم مفاصل هذه العملية الإستئصالية (المعقدة) هي عملية إعادة صياغة الهوية على أساس غيبي غير ملموس حقيقة، هو أساس الإيمان بالله تعالى، نعم هذا الأساس السماوي الروحاني الرباني هو ما ذوب بقية الأساسات الجاهلية من ولاءات عرقية قبلية قومية ضيقة، أو ولاءات أرضية طينية فانية، أو حتى تلك الولاءات المصلحية المادية البحتة.

عمل الإسلام على تذويب أساسات النزاع والفرقة.. أساسات التمييز والمغايرة، عمل على نزع كل ما يفضي إلى التناقص ومن ثم التشاحن والتنازع إلى درك الفرقة والفشل وذهاب الهيبة والقوة والمنعة.

فتأسست أمة مسلمة تستوعب جميع الأعراق وتنتشر على كافة الرقعة الجغرافية، التوحيد دينها والعدالة رايتها واللاتمييز سمتها وسموها الأخلاق هدفها ورضى الرحمن والجنة غايتها، بهذه الميزات تأسست الحضارة الإسلامية وانتشرت بالسلم أكثر منه بالحرب والمقارعة و الجهاد والفتح.

عندما فطن المستعمر الصليبي لهذه القضية - أعني الهوية الإسلامية الجامعة - شمر عن ساعديه ليستلبها من خصمه التقليدي فأرسل المستشرقين، وأنشأ يشوه ويزور معالم التاريخ، حتى استطاع زرع أول بذرات التفرقة بين أبناء الأمة وذلك على أساس استهداف هويتها الجامعة، وبدأ العد التنازلي في الإرتكاس والانتكاس والهبوط إلى القاع !.

كانت البداية بالعودة إلى أساسات الجاهلية، وتبنى أبناء الأمة الإسلامية قضية القومية العرقية بإيعاز من المستعمر الصليبي، فتعصبت كل عرقية لنفسها، وحصل الافتراق الأولي على أساس العرق، وبعد انهيار الرجل المريض - السلطنة العثمانية - غدا العالم الإسلامي غنيمة كبيرة للمستعمر الصليبي، تصور معي حجم

خارطة هذه الغنيمة،

من أقاصي بلاد ما وراء النهر شرقا إلى أبعد مدى مغاربي غربا، ومن أعالي بلاد القوقاز شمالا إلى أدنى نقطة في غرب أفريقيا جنوبا، ماذا تتوقع من المستعمر أن يفعل بهذه الغنيمة وقد حوت الثروات الجمة..ثروة زراعية، ثروة حيوانية، ثروة سمكية، ثروة معدنية، ثروة بيئية وجغرافية، ثروة بشرية وعمرانية و...و...و إلخ .

لا بد أنه سيستهدف الهوية و يدمرها من أساسها كي تسهل عليه عملية التهام هذه الغنيمة العظيمة، دون أي مقاومة أو مقارعة تذكر من قبل أبناء الأمة الإسلامية .

سأضرب مثال يبين مدى تغييب الوعي الجمعي عن حقيقة تاريخ الأمة الإسلامية:

الخليج العربي هو ميدان هذا المثال: غالب أبناء الخليج تلقوا تعليمهم في المدارس الحكومية ووفق مناهج تمت صياغتها ووضعها من قبل النظم القائمة في الخليج العربي، يرتل الطالب والطالبة يوميا النشيد الوطني حين تلاوته في طابور المدرسة الصباحي تعريزا لهويته وانتماءه لقطره و بلده ووطنه وملكه او أميرة أو سلطانة أو رئيسه !!؟

لو طرحنا تساؤلا بسيطا هنا ومن ثم استأنفنا توصيف المثال:

في مادة التاريخ التابعة للمناهج الحكومية، هل تم تدريس حقبة ما بعد انهيار «الرجل المريض» واستفراد المستعمر الصليبي في إعادة خارطة المنطقة وما صاحبها من أحداث وتفاصيل إلى تاريخ تأسيس دولتك ووطنك - ١٩٢٢م - وما دون ٩٠٠ ؟

الخليج العربي: عندما يحتفل أبناء الخليج العربي بأعيادهم الوطنية، ويقومون بتلاوة وترتيل الأناشيد الوطنية و يفرحون و يبتهجون و يعيشون نشوة الأمجاد و حب الوطن.

تكتشف حقيقة وهي: إما أن تكون الشعوب الخليجية مغبية تماما عن حقيقة تاريخها وأمجادها، أو أن هذه الشعوب فعلا لا تحمل تاريخا ولا أمجادا سواء ما تحتفل به أيام أعيادها الوطنية.

لأنك لو تأملت فيما يحتفلون به من أمجاد

لوجدته لم يتجاوز المائة سنة بمعنى من ١٩٢٢م وما بعد ذلك من تاريخ و المشوه أساسا، وفي الحقيقة صياغة استعمارية بحته .

لماذا؟ لأن شعوب الخليج العربي لهم امتداد تاريخي إلى أكثر من ١٤٠٠ سنة، قد أسسوا حضارة امتدت إلى أقاصي الشرق والغرب، وإلى أعلى الشمال وأدنى الجنوب، حضارة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، حضارة لم تنعم بمثلها الإنسانية قط على مدى قرون !!كيف بهذه الحضارة أن تختزل في تاريخ لا يتجاوز المائة سنة ؟ وكيف تختزل الأمجاد برموز وأسر معاصرة ؟ هنا يظهر جليا مدى التزييف والتشويه في الوعي الجمعي الخليجي للتاريخ، وعلى ذلك يمكن القياس على بقية أقاليم الأمة الإسلامية .

غرب أفريقيا العنوان العريض والتاريخ المشوه و المنسي

بعد أن تعرفنا على أهم معالم التزييف و التشويه للوعي الجمعي تاريخيا، وضررنا مثالا بدول الخليج، نسقط ذلك على غرب أفريقيا، ونطرح التساؤل التالي:

هل فعلا كانت غرب أفريقيا تعيش عصور الظلمات إلى أن وصلها المستعمر فأخرجها من الظلمات إلى النور، أم أنها كانت تعيش أوج حضارتها فأناها المستعمر وأخرجها من النور إلى الظلمات !!..

للإجابة على هذا السؤال لابد من الإستعانة بمؤرخي الاستعمار أنفسهم:

يقول المؤرخ الغربي أكافور: «عند ما جاء المستعمر الأوروبي إلى غرب إفريقيا في القرن التاسع ١٩٠٠م، كان المثقفون الإفريقيون يكتبون باللغة العربية، وكانت جميع المدونات والسجلات التاريخية عن غربي إفريقيا وهي التي عثر عليها المستعمرون، كانت جميعها مكتوبة باللغة العربية».

وبعضد هذا القول قيام ممالك إسلامية ونشأة حضارات على غرار ما نشأ في الشمال والشرق الأفريقي وامتدت لفترات من الزمن وتركت على إثرها رصيда جما من الإثراء المعرفي والفكري والأدبي ناهيك عن الديني و الأخلاقي .

من هذه الممالك:

- ١- مملكة مالي (في كنجايا) ١٣٠٠ - ١٧٠٠م - ٤ قرون .
- ٢- مملكة برنوا و كانم (شرقي نيجيريا) ١٢٨٠ - ١٨٩٣م - ٦ قرون .
- ٣- مملكة صنغاي (في تنبكتو) ١٤٩٣ - ١٥٢٨م - قرن واحد تقريبا .
- ٤- مملكة باجرمي (تشاد) ١٦٠٠ - ١٩٠٠م - ٣ قرون .
- ٥- مملكة وادي (شرق تشاد) ١٦١٥ - ١٩٠٩م - ٣ قرون تقريبا .
- ٦- مملكة هوسا و الفلان (شمال نيجيريا) ١٨٠٤ - ١٩٠٣م قرن واحد تقريبا .

ابتداء من القرن الثالث عشر ميلادي وربما قبل ذلك أيضا وغرب أفريقيا تزخر حقيقة بحضارات إسلامية راقية، تعتبر امتداد مطرد لتلك النواة الحيوية التي أسسها خير خلق الله عليه الصلاة والسلام في دولة الإسلام الأولى « طيبة الطيبة »،

ترعرعت ونشأت وازدهرت وامتدت ووتحولت إلى أنموذجا حضاريا فريد من نوعه على مدى التاريخ الإنساني، عملت به الكثير من الكيانات والتجمعات فنتج عن ذلك حضارات إسلامية راقية خلد التاريخ أهم إيجابياتها وانعكاساتها على بني الإنسان، وعملت على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأسست لقيم ومبادئ وعادات وتقاليده إسلامية صرفة، إلى أن وصلها المستعمر الصليبي، في بدايات القرن التاسع عشر، حاملا على عاتقه معاول الهدم و التهجير والسلب والنهب، وتشويه العقائد والفطر وتغييب التاريخ والأمجاد، فتحولت غرب أفريقيا إلى صراعات وصولات وكرات وفرات بين شعوبها المسلمة والمستعمر الوافد، ومن ثم تحول الصراع إلى الداخل، بين العرقيات وبين أصحاب الأديان المختلفة والمذاهب المختلفة والإثنيات والأقليات، وتحولت أرض غرب أفريقيا إلى بؤرة تنذر بخطر مستقبلي كارثي !!!

في حال لم يتم تدارك الأمر بوحي ويقضه

فكرية وذلك وفقا لسنة الله تعالى في الأمم على مدى بدأ خلق الخليقة .

نحن كأبناء غرب أفريقيا مغيبون عن ذلك الإرث الثقافي والحضاري الإسلامي في مناهجنا الدراسية الحكومية، والمؤسسات التعليمية، إلا من بعض الجهود الفردية التي أرخت لتلك الحقبة القاتمة، والتي أطلقت عليها اسم (حقبة النكبة الغرب أفريقية) !!

وهذا التغييب تسبب في غياب المحرك الأساس لهمم الأجيال الناشئة، الهوية الداعمة والانتماء الفطري والديني الطبيعي، فلا أمجاد تذكر ولا قدوات تحتذا ولا عزة فطرية ولا بناء فكري.

قد يستغرب الباحث من أن أكبر القبائل المسلمة في غرب أفريقيا، من البرنو والهوسا والفلان والقرعان والكامبوا والطوارق وغيرهم، كانوا يتراسلون بلغاتهم الأم مدونة - بالألف باء- العربية.. وهذا بسبب تأثرهم وتشربهم وتشبعهم باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، أما واقع الحال اليوم وفي ظل دويلات الاستقلال الوظيفية المشبوهة،

ذلك الاستقلال والذي اعتبره شخصا عملية درامية قام بها المستعمر للانسحاب ميدانيا من هذه المناطق، والبقاء سلطويا وإداريا من خلال من تربوا في أروقتهم وتعلموا في جامعاته، ومن ثم الاستمرار في عملية التشويه وتزييف الهوية، ونهب وسلب خيرات ومقدرات هذه البلدان لكن بأيدي أبناءها الخونة ربيبي الاستعمار وراضعي فكرة وثقافته، يستدعي ذلك لكن واقع المسلمين في غرب أفريقيا واقع جد أليم واقع جد محزن واقع جد يندى له الجبين واقع جد يجعل الحليم حيرانا .. جهل وفقر وجوع وعطش وظلم وهضم وتباغض وتدابير واحتراب وقتل وكل معاني المهجبة والإنحطاط الإنساني إلا في قلة قليلة .

المسلمون في غرب أفريقيا:

رغم كثرتهم في غرب أفريقيا إلا أنهم تفرقوا طرائق قديدا وليس لهم لا قوة ولا كلمة .. المسلمون في غرب أفريقيا .. رغم ما يعيشون فوقه من

والدكتور لبيب حنا الأستاذ بجامعة القاهرة.

وقد تناول اللقاء عدة مشكلات لازالت تقف عائقا أمام البهائيين المصريين مما ينتقص من حقوقهم كمواطنين ويتعارض مع مواد الدستور التي أكدت على عدم التمييز بين المصريين بسبب الدين أو الجنس أو المعتقد.

ونالت مشكلة «خانة الحالة الاجتماعية» حيّزا كبيرا من التداول والنقاش حيث لا تزال مصلحة الأحوال المدنية ترفض إثبات حالات الزواج والطلاق في خانة الحالة الاجتماعية ببطاقة الرقم القومي للبهائيين وتصرّ المصلحة على وضع كلمة (أعزب) أو (آنسة) للبهائيين المتزوجين وهو ما يسبب مشاكل بالجملة لهم.

وأكد الدكتور محمد فايق على ضرورة إيجاد حل لتلك المشكلة وأن الوقت بات مناسباً لحلها ووعد بالتواصل مع وزير العدالة الانتقالية وفي لقاء يجمعهم جميعاً لإيجاد مخرج وخاصة أن هناك تصور قانوني كان قد تم إنجازه من قبل ثلاث سنوات لحل تلك المشكلة، مشدداً على ضرورة بذل كل الجهد لمواجهة هذه المشكلة وفي حالة تعذر إيجاد مخرج فعلى البهائيين اللجوء للقضاء .

وتطرق الحوار مع الوفد البهائي لموضوع تأثير أخيرا بخصوص مسودة مشروع حذف خانة الديانة من الأوراق الرسمية، و أوضح الدكتور رءوف هندي، أن المشروع في ظاهره جيد ولكنه يفرض على كل مواطن استخراج شهادة هوية دينية وهنا مكنم الخطورة

واستطرد هندي قائلاً ، أن المواطن المسلم سيستخرج تلك الشهادة من مشيخة الأزهر والمسيحي من الكنيسة ولكن ماذا عن بقية المواطنين من غير المسلمين والمسيحيين فليس لهم جهات رسمية تعترف بها الدولة فمن أين يأتون بشهادة الهوية الدينية ؟ وهذا القانون بمسودته المعروضة سيسبب مشاكل كثيرة لكل المواطنين وليس للبهائيين فقط وأوضح الدكتور فايق رئيس المجلس بأن مسودة هذا القانون قد تم صرف النظر عنه تماماً فلا داعي للقلق.

وطالب الوفد البهائي في الجلسة بضرورة

خيرات وكنوز إلا أنهم متسولون فقراء عند بقية أمم الأرض ..المسلمون في غرب أفريقيا ..عاجزون عن التخلي عن التبعية للعدو الصليبي و خلق قيادة ذاتية .. المسلمون في غرب أفريقيا ..عاجزون عن وقف تهريب خيرات و مقدرات بلدانهم إلى العدو الصليبي ..المسلمون في غرب أفريقيا ..للأسف وبكل أسف قطعان من البشر في يدي عدوها يقلبها كيف يشاء ..لا هوية ولا إرادة ولا همّة ولا غيرة ، حالة اللا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء الحضارية ..حالة التخبط الديني والفكري والعلمي والثقافي والاجتماعي والحضاري ..حالة العجز التام حقيقة والانبطاح و التسليم لواقع الحال للأسف !!!!

وبعد: فإنني بهذه الورقة المتواضعة لأشحن همم أخواني أبناء غرب أفريقيا العاملين في مجال الدعوة و التدريس والباحثين و المربين والمتقنين والأكاديميين وغيرهم،

إني لأشحن همهم لفتح باب هذه القضية على مصراعيه: « قضية أزمة الهوية وتزييف الوعي الجمعي للتاريخ » ، وسبر أغوارها وتقصي حقائقها ومن ثم العمل على تدارك ما يمكن تداركه، والعمل على إنشاء جيل واعى بما يدور حوله متيقظ لما يحاك ضده منيع أمام كل هجمات الاستهداف مدافع فكريا و ميدانيا عن هويته الإسلامية الخالدة .

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لقاء الوفد البهائي مع رئيس القومي لحقوق الإنسان

علي رجب- الدستور المصرية ٢٠١٤/٩/٣

ينفرد موقع الدستور بتفاصيل لقاء وفد من البهائيين المصريين بالدكتور محمد فايق، رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان، لمناقشة ومتابعة عدة ملفات هامة تتعلق بمشاكل لا تزال عالقة بخصوص حقوق البهائيين المدنية وقد ضم الوفد البهائي الدكتور رءوف هندي البهائي المعروف وصاحب قضية البهائيين المصريين، والدكتورة بسمة موسى الناشطة البهائية،

على ضرورة أخذ التدابير اللازمة التي تحول دون بقاء آثار هذا المد الشيوعي الطائفي الذي يخترق مجتمعاتنا ليوحد فيها أذرعه له مقطوعة عن أهلها وبيئتها وتاريخها وثقافتها ، تكفر بثوابته العقيدية ، وتخون ولاءه ومصالحه ، وتمزق نسيجه الاجتماعي ، وتهدد أمنه القومي لما تخلفه عقائده وأفكاره من تعزيز ثقافة الحقد والكراهية بين أفراد أبناء المجتمع المسلم الواحد بعد شرعنتها بنصوص مزورة على أئمة أهل البيت .. والتاريخ خير شاهد على الدور الوظيفي الفاعل للتشيع في صالح مخططات أعداء الأمة الإسلامية.

لقد مثلت سفارات حكومة إيران الطائفية منذ وصول الثورة الخمينية إلى سدة الحكم عام ١٩٧٩م مراكز متقدمة لتصدير الثورة المسلحة إلى مجتمعات مسلمة ، تحت ستار التبشير الشيوعي وأنشطة ثقافية وفكرية ومنح علمية وغطاء سياحي.

وحيث أن السودان بلد مسلم يدين بالإيمان بالله ورسوله ، والولاء لأصحابه وآل بيته ، بعيدا عن الغلو والجفاء ، على عقيدة أهل السنة والجماعة ، فقد مثل هدفا لحكومة إيران. مستغلة الظروف السياسية والاقتصادية التي يعاني منها هذا البلد العريق في إسلامه وتدينه.

وقد استطاعت إيران إيجاد أذرع لها في أكثر من بلد في المنطقة العربية والإسلامية ، كما هو الحال في لبنان والعراق وسوريا واليمن ، بل وحتى بعض دول الخليج. وقد بدأت تتخذ من هذه الأذرع أياد تستهدف زعزعة الأمن والاستقرار وتلعب بمصالح الأطراف السنية لصالح الطائفة والسلطة النافذة في طهران. ما أوقع بعض هذه البلدان في حروب وصراعات أهلية طائفية تآكل الأخضر واليابس.

وقد كانت الهيئة العالمية للسنة النبوية من أوائل الذين دقوا جرس الإنذار مبكرا في سبيل التصدي أمام هذا الزحف الطائفي ، وحذروا من مخاطره. فعقدت عدة مؤتمرات وندوات ودورات ، وأصدرت عددا من البحوث والكتب والنشرات.

وضع حقوق البهائيين كمواطنين موضع اعتبار في كل نقاش تشريعي يخص الأحوال الشخصية وطالبوا المجلس القومي بضرورة توجيه الدعوات لهم في كل حوار أو ملتقى يخص المواطنة والإصلاحات التشريعية المتعلقة بالأحوال الشخصية .

وقام الوفد البهائي بإهداء الدكتور فائق بعض الكتب البهائية التي تشرح طبيعة ديانتهم واتفق الجميع على ضرورة مواصلة الحوار ..

وقد وصف الدكتور روف اللقاء بأنه كان مثمرا ووديا ولاسيما أنهم كبهائيين يثقون ثقة مطلقة في المجلس القومي المصري لحقوق الإنسان بصفته مؤسسة مصرية عريقة تحاول إيجاد حلول لمشاكل كل المصريين وهذا ما أكد عليه الدكتور محمد فائق في حديثه من أن الهدف الرئيسي من إنشاء المجلس القومي هو مساعدة كل المصريين لإيجاد حلول لمشاكلهم ..

وفي نهاية اللقاء قام الوفد البهائي بتوجيه الشكر للدكتور فائق ومن قبله الدكتور بطرس غالي على كل ما بذلوه من جهد من أجل إيجاد حلول لمشاكل البهائيين المدنية ويتمنون من المجلس القومي استمرار تلك الروح التي تعزز حقوق المواطن.

بيان من الهيئة العالمية للسنة النبوية بشأن موقف حكومة السودان من التشيع بيان تأكيد وشكر

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه .وبعد:

فقد تلقينا في الهيئة العالمية للسنة النبوية بسرور وشكر لله تعالى قرار الحكومة السودانية بإغلاق الملحقة الثقافية في السفارة الإيرانية ، وما يتبعها من مكاتب وأنشطة ، محافظة على هوية الشعب السوداني وسلمه الاجتماعي وأمنه السياسي.

وإننا إذ نعرب لحكومة السودان عن تأييدنا لهذه الخطوة المباركة ، رغم تأخرها ، لنؤكد

واليوم تلتقي إرادة مفكري الأمة وعلمائها ومثقفوها مع الإرادة السياسية في أكثر من بلد إسلامي، كما حصل في ماليزيا ويحصل اليوم في السودان.

إننا نهنئ الشعب السوداني بهذا القرار الحكيم، وندعوه للاصطفاف وراء حكومته لدعم كافة الجهود الهادفة لمكافحة الأفكار الضالة والعقائد المنحرفة والولاءات الطائفية الضيقة ودعوات الفتنة والخراب.

وندعو الجميع للتكاتف والتعاون من أجل معالجة الآثار التي نتجت عن السنوات السابقة من الجهود الإيرانية المختلفة، تعليمية وثقافية واقتصادية وغيرها. فهذا أدعى للاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي والأمن القومي.

وقد عهدنا حكومة الرئيس المشير عمر البشير مؤيدة لقضايا الإسلام المسلمين ونصرتها، في أكثر من محطة تاريخية وموقف إنساني، ما يبعث فينا الأمل بإذن الله لاستكمال هذه الخطوة المباركة بخطوات تالية تحقق للسودان حكومة وشعباً الوحدة والأمن والتنمية.

والله تعالى نسأل أن تحذوا بقية الحكومات العربية والإسلامية حذوا هذه المواقف، وأن يتم ترسيخها مؤسسياً عبر الجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، بما يحد من تغفل المشروع الشيعي الإيراني بالدول العربية والإسلامية.

والله تعالى ولي التوفيق، ، الأمانة العامة للهيئة العالمية للسنة النبوية

السودان وإيران: تبعات انهيار التحالف

د. فاطمة الصمادي - الجزيرة نت ٢٠١٤/٩/٢٢

(تم حذف الهوامش لضيق المساحة، وهي متوفرة بالموقع الإلكتروني للراصد نت والجزيرة نت)

حمل قرار السلطات السودانية مؤخراً، بإغلاق عدد من المراكز الثقافية الإيرانية في السودان، والطلب من القائمين عليها مغادرة الأراضي السودانية، في طياته مؤشرات عدّة على أن العلاقات القوية بين البلدين لم تعد بمستواها

السابق، وأن المسألة تتجاوز «القلق السوداني من انتشار الفكر الشيعي» لتصل إلى صلب العلاقات الدبلوماسية والمكاسب والتبعات التي يتحملها كل طرف، وذلك على الرغم من الحملة المنظمة التي يقودها التيار السلفي ضد ما يُسمى بـ«التغلغل الشيعي في السودان» والذي احتفى بالقرار واعتبره تنويعاً لجهوده.

ويبدو وجيهاً ما أوردته بعض الصحف السودانية من أن «قرار إغلاق المركز الثقافي

بالسودان وكافة فروعه بالولايات يعود إلى عدم رضا الخرطوم عن مجمل العلاقات بين البلدين»، ويمكن ربط ذلك بتراجع مكانة السودان ومستويات العلاقة معه في حكومة حسن روحاني التي اتبعت منذ وصوله إلى رئاسة إيران سياسة تقوم على التخفيف من كثير من الملفات التي تثقل كاهل مفاوضاتها مع الغرب والولايات المتحدة الأميركية فيما يتعلق بالملف النووي والعقوبات. ومن الملاحظ النبرة الهادئة التي قابلت بها إيران قرار إغلاق مراكزها الثقافية في السودان، وإن كانت قد اتهمت جهات بـ«محاولة تخريب العلاقات» وحذرت من تغفل أفكار «التكفير والتخريب» بالسودان. تسعى هذه الورقة إلى بحث العلاقات السودانية-الإيرانية ومساراتها، وتحاول رصد الاحتمالات المستقبلية للعلاقة على ضوء القرار الأخير.

خلفيات القرار وتبعات العلاقة

كانت العلاقات الإيرانية- السودانية خلال العقد الماضي توصف بالعلاقات الدافئة والعميقة، ويرجع بعض الدبلوماسيين الإيرانيين السابقين أن يكون للقرار خلفيات أمنية. ويرون أن العلاقات السياسية الجيدة مع السودان انعكست وتركت تأثيراً ملحوظاً في العلاقات التجارية والعسكرية والثقافية. ويسوق أصحاب هذا الرأي حجة على صحة ما ذهبوا إليه بأن نشاط هذه المراكز ليس جديداً وهي تعمل منذ سنوات تحت سمع الحكومة السودانية وبصرها، ويعتقدون أن العنوان الثقافي استُخدم غطاء لنقل أسلحة على أنها منتجات ثقافية.

ويظهر أن علاقات السودان مع الجار الشمالي،

مصر، وتطورات هذه العلاقة خلال الأسابيع الماضية لم تكن بعيدة عن مجريات القرار السوداني بشأن المراكز الثقافية الإيرانية، خاصة مع التقارب الذي بدأت تشهده علاقات السودان مع مصر، فقد باتت الحاجة ملحة بالنسبة للسودان لتحسين علاقاته معها، خاصة مع تعاظم القلق من عدم الاستقرار الذي تمر به الدول المجاورة للسودان وفي مقدمتها ليبيا. ومن الواضح أن تحسن العلاقة مع مصر سيؤثر بشكل كبير على العلاقة مع المملكة العربية السعودية.

وفي مقابل ردود الفعل الإيرانية الهادئة، شهدت الساحة السودانية تنامي المواقف المؤيدة للقرار الحكومي، وبرز في هذا السياق تأكيد مجمع الفقه الإسلامي دعمه لإغلاق المركز الثقافي الإيراني ووصف الخطوة بـ«المباركة» وأن الجهود يجب أن تستمر «للمحد من تمدد الخطر الشيعي بالبلاد، واتخاذ التدابير التي تكفل ذلك» وأعاد مطالبه السابقة، وبينها التأكيد على سنية السودان وإغلاق الحسينيات الشيعية. ورحبت جماعة «أنصار السنة المحمدية» بالقرار واعتبرت أنه «سيفتح باب التعامل مع دول الخليج التي أبدت في عدة مناسبات قلقها من أنشطة تلك المراكز... وستشهد لعودة العلاقات السودانية- الخليجية إلى سابق عهدها». لكن مسؤول التنظيم بحزب المؤتمر الوطني الحاكم حامد صديق لا يرى في القرار تأثيراً كبيراً على علاقة السودان بإيران، فالقضية وفق ما يراه «لا ترقى لمستوى التأثير على علاقات البلدين الثنائية»، ونفى وجود ضغوط اقتصادية مورست على السودان من دول الخليج والسعودية.

ويمكن تقديم مجموعة من الأسباب التي تشكل خلفيات للقرار السوداني، نجلها بالتالي:

حركة التشيع: فالإيرانيون باتوا يتوسعون في الدعوة إلى التشيع دون مراعاة لكون السودان بلداً سنياً؛ مما دفع الكثير من المؤسسات والشخصيات السودانية إلى المطالبة بوضع حد للأنشطة الإيرانية في السودان. لكن السؤال الذي يطل برأسه هنا:

لماذا انتفضت هذه المؤسسات الدينية السنية في هذا الوقت بالذات، ولم تكن لها مواقف واضحة في انتقاد النظام الحاكم أو توجيهه في أشد القضايا وأكثرها إلحاحاً مثل قضايا الفساد والفقر وغيرها؟ وهو ما يجعل الكاتبة منى عبد الفتاح ترى أن هناك صراعات مشتعلة بين هذه المؤسسات من جهة والطرق الصوفية التي تشبه إلى حد كبير المعتقد الشيعي فيما يتعلق بطقوس التبرك بقبور الأولياء الصالحين وتقديس الأحياء منهم والقيام ببعض الشعائر الأخرى.

الظرف السياسي: ويتلخص بشكل كبير في اتساع عزلة السودان الدولية؛ فعندما اتجه السودان صوب إيران كان بدافع هذه العزلة التي خلقتها العقوبات الأميركية والقرارات الدولية بتصنيفه من ضمن الدول الراعية للإرهاب ومكوته في هذه القائمة بمعية إيران. وتفاقم هذا الخطر لأن العزلة أصبحت في محيطه الإقليمي ومن الدول المجاورة ودول الخليج.

الضغط الاقتصادي: فعندما اتجه السودان نحو إيران كان يعول عليها اقتصادياً خاصة بعد انفصال الجنوب، وقد وجد السودان توجهاً مماثلاً وإغراءات من إيران في هذا الشأن اعتمدت على استراتيجية تقديم دعم محدود من أجل إنفاذ برامجها، ولكن لم يكن المقابل بحجم ما وفرتة الحكومة من تسهيلات، وكان ما تلقاه السودان زهيداً بل تعالت الشكوى السودانية أكثر من مرة من الفوائد المفروضة على الديون، ويشير إلى الجزئية الباحث جمال الشريف بقوله: «في الأزمات لا يقدم الإيرانيون المساعدة المطلوبة.. لقد كنت ضمن لجنة المفاوضات في ملف الديون مع الإيرانيين.. حين يحين موعد السداد لا يمهلوننا يوماً واحداً».

الضغط الإقليمي: لم يظفر السودان من التعاون مع إيران إلا بمقترحات لمشاريع عسكرية، ووظفت إيران ما قدمته للسودان في خدمة مصالحها وخططها للتوسع نحو إفريقيا. وكانت هذه العلاقة مكلفة للسودان على صعيد علاقاته العربية فقد خسر دعم دول الخليج. وهناك من يري أن الجالية

السودانية الكبيرة الموجودة في الخليج ما زالت متنافسة اقتصادي، وقد لعبت هذه الجالية دوراً كبيراً في إصدار القرار الأخير.

الشيعية في السودان

تشير المعادلة الحسائية للشيعية في السودان، وفق أكثر من مصدر إلى أن عددهم قد يصل إلى ١٢ ألفاً، أي ما يعادل ٣ بين كل ١٠ آلاف سوداني. وتتعدد مؤشرات تنامي المد الشيعي في السودان، ومنها: تزايد أعداد الشيعية السودانيين، فعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية دقيقة لأعداد الشيعية في السودان؛ إلا أن التقديرات غير الرسمية تشير إلى وجود ما بين ١٠ و ١٢ ألف شيعي. وطبقاً لتقديرات أخرى غير رسمية أيضاً وصل عددهم ١٣ ألفاً عام ٢٠١٣؛ حيث يضم هذا التمدد فئات تُعتبر متعلمة ومثقفة إلى حد بعيد. وربما يفسر ذلك ما ورد على لسان الصادق المهدي في خطاب في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٣ الماضي، من أن المكون الشيعي أصبح يُشكل طرفاً مهماً في المعادلة السياسية في السودان، وأن السودان اليوم يشهد ثلاثة اشتباكات، من بينها الاشتباك السني- الشيعي.

وهناك من يشكك في هذه النسبة ويحصر الشيعية السودانيين في عدد لا يتجاوز ثلاثة آلاف شخص.

ويعد انتشار الحسينيات الشيعية، ملمحاً لازدياد التشيع فوصل عددها في الآونة الأخيرة إلى ما يقرب من ١٥ حسينية، وفقاً لتقديرات غير رسمية، ذلك فضلاً عن عدد من المساجد والزوايا في مختلف أرجاء الدولة. وفق تقرير صادر عن المركز الإقليمي للدراسات في القاهرة. ويتسم التواجد الشيعي في السودان بالتمدد الجغرافي؛ إذا لم يعد يقتصر على منطقة جغرافية بعينها، ويمتد ليشمل العديد من المناطق أبرزها مناطق واسعة من العاصمة الخرطوم وشرق النيل والنيل الأبيض وكردفان، ويتم التوسع بشكل أفقي، في إشارة إلى زيادة عددهم، فيما يُعرف بـ«لا مركزية التشيع».

تاريخ الوجود الثقافي الإيراني في السودان

يرجع أول ارتباط ثقافي غير رسمي بين إيران

والسودان إلى العام ١٩٧٩ وكان ذلك على يد الحركة الطلابية السودانية التي احتفت برسالة بعث بها الخميني إلى الطلاب السودانيين. وقد شهد السودان مظاهرات حاشدة مؤيدة للثورة الإسلامية. أما أول مؤسسة ثقافية إيرانية في السودان فقد أنشئت من قبل وزارة الإرشاد عام ١٩٨٤ حين أرسلت أول ممثل ثقافي للوزارة إلى السودان.

وحتى العام ١٩٩٥ كان الكثير من المؤسسات الإيرانية يعمل بصورة منفصلة عن بعضها في السودان، ومن أبرزها: وزارة الإرشاد، وحرس الثورة، وحوزة قم العلمية، ومكاتب بعض مراجع التقليد، والمركز العالمي للعلوم الإسلامية وغيرها من المؤسسات. وفي عام ١٩٩٥ جاء القرار الإيراني من مرجعيات عليا، بتوحيد عمل الكثير من المؤسسات وإسناد عملها إلى المستشارية الثقافية ووزارة الاستخبارات ووزارة الخارجية، وحتى وقت قريب كانت هناك مؤسسات ثقافيتان إيرانيتان فعالتان في السودان:

المستشارية الثقافية بممثل عن مؤسسة الثقافة والاتصال الإسلامي.

معهد الإمام الصادق: ويضم ممثلين عن مؤسسة المدارس والحوزات العلمية في الخارج.

ويعود الوجود الثقافي الإيراني في السودان بشكله المنظم إلى فترة الثمانينات من القرن العشرين، وإن كان أول مركز ثقافي إيراني بالخرطوم قد أنشئ عام ١٩٨٨ في عهد رئيس الوزراء الصادق المهدي. ومع وصول عمر البشير إلى الحكم، شهدت العلاقات الإيرانية- السودانية نشاطاً للمراكز الثقافية الإيرانية حيث افتتح مركز جعفر الصادق ومركز فاطمة الزهراء التي يمتد نشاطها وسط السودان ونهر النيل وكردفان.

ويأتي التواجد الثقافي الإيراني في السودان ضمن مشروع أكبر يتعلق بالتواجد الثقافي الإيراني في إفريقيا. ووضعت الجمهورية الإسلامية لتواجدها الثقافي في إفريقيا بعد الثورة الإسلامية، عدداً من الأهداف، أبرزها:

نشر الإسلام بالتزامن مع نشر أفكار الإمام الخميني.

تبيين فلسفة الجمهورية الإسلامية في الحكم.

خلق حالة من التعاطف والدعم للتوجهات والقرارات الإيرانية بين المثقفين وقادة الرأي في بلدان العالم وبلدان إفريقيا.

وبعد الثورة الإسلامية كانت الدعوة إلى الإسلام، وعلى وجه الخصوص وفق المذهب الشيعي على الصعيد الدولي وخاصة في الدول الإسلامية، سبباً في جعل الفعاليات التي تأتي ضمن الإطار المذهبي السياسي تتقدم على ما سواها من الفعاليات في القارة الإفريقية.

يرجع معظم المؤسسات والفعاليات الثقافية الإيرانية في تاريخه إلى الثورة الإسلامية؛ حيث نشأ بعد الثورة الكثير من المؤسسات التي لم تكن موجودة من قبل. ومن أبرز المؤسسات الفاعلة في السودان وإفريقيا:

مؤسسة المدارس والحوارات العلمية خارج إيران: وتقوم ببناء وتأسيس المدارس والحوارات الدينية والجامعات، ومن أبرز مؤسساتها: معهد الإمام جعفر الصادق في السودان، وجامعة غانا الإسلامية في غانا. ومن منشوراتها، دورية تشيع الحياة الطيبة في مصر، وتعرف بأنها مجلة فكرية شيعية ولديها إذنٌ بالطباعة والتوزيع.

المركز العالمي للعلوم الإسلامية: وهو من المؤسسات الفعالة التي تهدف إلى جذب الطلبة، وتعليم التشيع لشباب الدول التي يتواجد فيها المركز، ويلتحق بالمركز طلاب من أكثر من مئة بلد حول العالم، ويخضعون لدورة دراسية لمدة ستة أشهر.

ولأن هاتين المؤسستين كانتا تتقاضيان مخصصات منفصلة لكل منهما، رغم اشتراكهما في الأهداف، تم دمجهما في مؤسسة واحدة هي جامعة المصطفى العالمية عام ٢٠٠٧. وبدمجهما صارت هذه المؤسسة تقدم العلوم المعاصرة إلى جانب العلوم الدينية.

المجمع العالمي لتقريب المذاهب الإسلامية: ويعد من المؤسسات المؤثرة والناشطة في السودان وعدد من بلدان العالم الإسلامي، ويسعى إلى تعزيز

المشتركات بين المذاهب الإسلامية والتعامل مع مشاكل الاختلاف.

المجمع العالمي لأهل البيت: وهو من المؤسسات الإيرانية الناشطة في إفريقيا، وقد قام منذ العام ١٩٩١ بنشر وترجمة عشرات الكتب بلغات مختلفة، وفي عام ٢٠٠٤ أنشأ المجمع جامعة تحمل الاسم نفسه ومن أبرز أهدافها نشر فكر التشيع بلغة بسيطة وقابلة للفهم، وفي السنوات الأخيرة بدأت الجامعة تستخدم الإنترنت على نطاق واسع، للتواصل مع الطلبة، وتقديم الدروس لهم.

مؤسسة التبليغات الإسلامية: وتحرص هذه المؤسسة على تأكيد العلاقة بين إيران والإسلام. مؤسسة الثقافة والعلاقات الإسلامية: أنشئت هذه المؤسسة بموافقة مباشرة من مرشد الثورة الإسلامية ١٩٩٥، وتم فيها دمج أربع من المؤسسات التي تحمل نفس الأهداف، ومن أهم أهدافها: التعريف بثقافة الجمهورية الإسلامية، وأهداف الثورة وأصول الإسلام والتشيع، إضافة إلى التعريف بالثقافة الإيرانية والفن الإيراني. وكان مجمع التقريب والمجمع العالمي لأهل البيت من المؤسسات التي أدمجت فيها، لكنها ما لبثت أن استقلت وعادت للعمل بشكل منفرد. يخطط لهذه المؤسسة فريق من ١٢ شخصية، هم مندوبون عن: وزارة الثقافة والإرشاد، ومؤسسة المدارس والحوارات العلمية في الخارج، ووزارة الخارجية، والمجمع العالمي لأهل البيت، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومؤسسة النهوض بالتعليم، ومؤسسة التبليغ الإسلامي، وممثلون عن مرشد الثورة.

إسلاميو السودان وإيران: فتنة النموذج

وترتبط قضية العلاقات الإيرانية- السودانية بشكل وثيق بالحركة الإسلامية في السودان. ويعود تطور العلاقات السودانية- الإيرانية إلى انتصار الثورة الإسلامية في إيران في أواخر عقد السبعينات من القرن الماضي، حيث لا يمكن الحديث عن علاقات بمستويات عليا في فترة حكم الشاه، وقد شهد السودان تظاهرات طلابية حاشدة

مؤيدة للثورة الإسلامية، وفي أواخر حكم الرئيس السوداني جعفر نميري شهدت العلاقات الإيرانية- السودانية انتكاسة كبيرة قادت إلى قطع العلاقات مع إيران، بعد أن انضم نميري إلى ركب أنور السادات الذي استضاف الشاه محمد رضا بهلوي الهارب من بلاده. وفي الحرب العراقية الإيرانية أرسل نميري قوات سودانية إلى العراق للمشاركة في القتال ضد إيران. غير أنه وبعد وقت قصير سحب القوات السودانية من العراق.

في مقطع تاريخي معين، رأى مجمل الحركة الإسلامية في العالم العربي أن إيران حليف إسلامي مهم، يشكل قوة داعمة، في مواجهة الاستكبار العالمي. ويميل الباحث السوداني النور حمد إلى النظر إلى علاقة السودان وإيران، بوصفها علاقة بين حركة سياسية راديكالية إسلامية سنية، تمثلها الحركة الإسلامية في السودان، وبين حركة سياسية راديكالية شيعية تمثلها الثورة الإسلامية في إيران التي أطاحت بحكم الشاه في العام ١٩٧٩، لكنه يسجل ملاحظة مفادها: أن العلاقة بينهما ليست راسخة على الرغم مما يُطلق عليه: «الخاصية الإسلامية الراديكالية المشتركة بين السودان وإيران»، ويُرجع السبب إلى غياب الإجماع السوداني فيما يتعلق بهذه العلاقة. ويبدو النور حمد مصيباً فيما ذهب إليه، فالوقف من التطورات الأخيرة - موضوع البحث - كشف عن عمق حالة الانقسام وغياب الإجماع حتى داخل صفوف الحركة الإسلامية السودانية نفسها.

وُتَهم الحركة الإسلامية السودانية بقيادة حسن الترابي، بأنها «أكثر من رُوح لإيران داخل السودان»؛ وذلك بعد أن وصل بجماعته إلى الحكم في السودان، عقب الانقلاب العسكري في العام ١٩٨٩، وسجلت الحركة إعجابها الشديد بثورة الخميني وكانت ترى فيها مصدر إلهام كبير لها. لكن الباحث السوداني جمال الشريف يصف سلوك الترابي السياسي بأنه براغماتي، وليس له مواقف ثابتة وأن مواقفه السابقة من إيران جاءت ضمن سياقات سياسية تختلف عما هو موجود اليوم.

وأطلقت الحركة، التي رأت في قيام دولة إسلامية أنها الأولى في العالم على الإطلاق، فعاليات مؤيدة للثورة الإسلامية، ويعتبرها البعض أنها كانت الأولى في العالم العربي وإفريقيا، وكان الإعجاب واضحاً في طروحات الكثير من قادة الحركة الإسلامية ومفكرها، وهو الإعجاب الذي تطور إلى لقاءات واجتماعات وترويج لطروحات الخميني.

إن متابعة تاريخ العلاقة بين الحركة الإسلامية السودانية وإيران يكشف عن إعجاب كبير داخل صفوف الحركة بالثورة الإيرانية. لقد كان هذا التأثير واسعاً وملحوظاً في صفوف الطلبة المنتمين للحركة في جامعة الخرطوم. ولا تخفي الحركة نفسها تأثيرها الكبير بشعارات الثورة الإيرانية، وشخصية الإمام الخميني، الذي كانت صورته تنتشر في السكن الجامعي لطلاب جامعة الخرطوم.

ويذهب حيدر طه، إلى أن إيران خلقت علاقات وثيقة مع قادة تنظيمات الإخوان المسلمين، وكانت تهدف إلى إحداث تغييرات راديكالية في المجتمعات الإسلامية، واجتذاب مجموعات عسكرية من كل قُطر تربطها به صلات قوية.

ولابد هنا من التفريق بين علاقة الإسلاميين بإيران بوصفهم «حركة» قبل انقلاب ١٩٨٩، وبوصفهم «نظاماً» بعد ذلك، حيث طغى منطق الدولة في العلاقة بين الجانبين، والملاحظة التي تسجل هنا أن الحركة الإسلامية (كحركة) كانت معجبة بالنموذج الثوري الإيراني من منطلقات القدرة على مواجهة الاستبداد والظلم والسعي نحو استقلالية القرار، لكنها لم تكن معجبة بنظام الدولة القائم على ولاية الفقيه، ولحسن الترابي آراء واضحة على هذا الصعيد.

العلاقة: منعطفات وتقاطعات

يمكن القول على هذا الصعيد: إن تعميق العلاقات مسألة لا تُعزى إلى الحركة الإسلامية وحدها، فقد بدأ هذا التحرك نحو إيران قبل وصول الإسلاميين إلى الحكم في السودان، وتم تعزيز أرضيته في فترة حكومة الصادق المهدي ما

بين (١٩٨٦ - ١٩٨٩م)، وما زالت شخصية المهدي الذي زار إيران أكثر من مرة تحظى بالاحترام في الأوساط السياسية الإيرانية. ورغم الحديث عن موقفه المحايد من الحرب العراقية - الإيرانية إلا أن الإيرانيين يزعمون أنه كان مؤيداً لهم في هذه الحرب، وتقديراً له جرى الإفراج عن عشرات الأسرى السودانيين الذين أُسروا على الجبهة مع العراق، وكانوا قد أرسلوا للقتال إلى جانب العراق في زمن نميري. ومهما يكن من شأن موقف السودان من الحرب فقد أغضبت زيارات الصادق المهدي لتهران، الدول الخليجية، بغض النظر عما إذا كان محايداً أو منحازاً في النزاع العراقي- الإيراني؛ فلقد كانت دول الخليج العربية ملقية بثقلها وراء العراق آنذاك.

وصلت حكومة الإنقاذ إلى الحكم عام ١٩٨٩، ويبدو أن حاجتها الملحة إلى الاعتراف والدعم الاقتصادي والسياسي من قبل الدول الأخرى خاصة الخليجية، جعلتها تدخل في أزمة مع إيران بعد فترة قصيرة من مجيئها، وتطورت الأزمة إلى قطع العلاقات مع إيران، واستدعاء السفير السوداني من طهران. ويرى البعض أن هذه الأزمة كانت مفتعلة، وهو ما يجد بعض التأكيدات من داخل الحركة الإسلامية السودانية. وما يؤكد مسألة الافتعال هنا أن القطيعة ما لبثت أن انتهت وأرسلت حكومة الإنقاذ، سفيراً إلى طهران.

لقد كانت ثورة الإنقاذ، ترى في التجربة الإيرانية «نموذجاً أمنياً، يمكن أن تستعين بخبراته في تأمين ثورتها الإسلامية، وتأمين نظامها الوليد، المستهدف.

في العام ١٩٩٢ تلقى السودان مساعدات نفطية من إيران، وجرى خلال السنوات التي تلت ذلك تبادل الكثير من الزيارات بين مسؤولين كبار من كلا البلدين، من أبرزهم: عمر البشير ومحمود أحمد نجاد وهاشمي رفسنجاني، ووقعت إيران مع السودان عدداً من الاتفاقيات شملت الاقتصاد، والأمن، والدفاع.

شهدت العلاقات بين إيران والسودان تطورات في

المجالين: العسكري الاستراتيجي والاقتصادي خلال حكم نظام الإنقاذ، تجلت بتوقيع اتفاق للتعاون العسكري والأمني في عام ٢٠٠٨. وفي عام ٢٠٠٩ تكثفت الزيارات بين الدولتين، وأدان رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني أثناء زيارته للخرطوم مذكرة الاعتقال التي صدرت من المحكمة الجنائية الدولية بحق الرئيس عمر البشير واعتبرها إهانة مباشرة للمسلمين، كما عبرت الحكومة السودانية عن دعمها للمشروع النووي الإيراني.

ودعمت إيران الحكومة السودانية بالمال والسلاح والتدريب في قطاعات مختلفة، بما في ذلك الأمن والقضاء. وعكست الزيارة التي قام بها محمود أحمد نجاد مطلع ٢٠١٣ أهمية العلاقة بالنسبة لكلا البلدين، واهتم الإعلام الإيراني بالزيارة، ونشر صوراً تبين مدى الترحيب الذي لقيه نجاد، وجرى التركيز على لافتة باللغة الفارسية تحمل عبارة: «صل على محمد... جاءت رائحة الخميني»، وإن كان مسؤولون في الخارجية السودانية قد عبّروا صراحة عن أن الارتباط بإيران «عقبة في طريق الفوز بمزيد من الاستثمارات من دول الخليج العربية؛ وهي من أكبر مانحي المعونات للسودان».

العلاقة مع حماس: الدعم السوداني

أسهم السودان بشكل كبير في تدريب وتسليح حركة المقاومة الإسلامية حماس، واتخذ هذا الدعم زخماً كبيراً في الفترة (٢٠٠٥ - ٢٠١٣)؛ حيث نشطت حركة نقل الأسلحة الإيرانية إلى قطاع غزة بمحاذاة الساحل الغربي للبحر الأحمر في الأراضي السودانية، لتواصل سيرها بمحاذاة الساحل المصري على البحر الأحمر، لتصل إلى سيناء، ومنها إلى غزة.

مثلت الضربة الإسرائيلية التي استهدفت مصنع اليرموك للسلاح في الخرطوم في نهايات أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٢، مؤشراً على القلق من تنامي الدور السوداني على هذا الصعيد. وجرى توجيه نقد ومعارضة لهذا الدور داخل السودان،

الخارجية والعلاقة مع إيران تشكلاً منذ سنوات ومازالت حالة التجاذب بينهما قائمة. يتشكل التيار الأول من أقطاب المؤسسة الأمنية والعسكرية والعقائديين والذين يرون في التحالف مع إيران ضرورة لتعزيز قوة السودان الأمنية والعسكرية. أما التيار الثاني فيضم بعض العقائديين الذين عملوا خلال العقدين الماضيين في إدارة ملف الخارجية والذين توصلوا لحقيقة أن التعاطي مع العلاقات الخارجية يجب أن يتم على أساس المصلحة.

بدأ هذا التيار ينمو عقب تولي وزير الخارجية السابق د. مصطفى عثمان إسماعيل لمنصبه. وينطلق هذا التيار في تفكيره فيما يتعلق بالعلاقة مع إيران من عدة نقاط رئيسية: أولها أن التحالف مع محور إيران سيلحق الضرر بعلاقات السودان الإقليمية، خصوصاً مع الدول الخليجية الذين يعتبرون أن أي وجود إيراني على مياه البحر الأحمر هي بمثابة محاصرة للجغرافيا الغربية للخليج. كما أن التحالف مع طهران هو بعيد كل البعد عن الاحتياجات والمصالح التي يمكن تحقيقها للسودان، حتى ولو كانت مصالح عسكرية. وبالتالي فإن العمل في خضم هذا المحور يعود بالفائدة على إيران أكثر من السودان حيث تستغل الأولى لكسر عزلتها.

أبعاد القرار: خلاصات ونتائج

تطرح التفاصيل السابقة أسئلة حول أبعاد القرار السوداني والمدي الذي من الممكن أن يصل إليه مستقبلاً، ويأخذ ذلك محاور عدة لعل أهمها: القضية الدينية والتركيبية الاجتماعية، وهنا يحق للحكومة السودانية أن ترفع مخاوفها من نشوب صراع طائفي بين السنة من جهة والشيعية من جهة أخرى وحتى بين السلفية الوهابية التي ارتفع صوتها في السودان مؤخراً والطرق الصوفية من جهة ثانية .

سيُدخل ذلك السودان في حالة من الاستقطاب السياسي/الديني، خاصة إن نجحت جهود المجموعات التي تتبنى التصعيد وتطالب بحظر المذهب الشيعي وقطع العلاقة مع إيران. وربما يكون القرار بداية لظهور معارضة سياسية في

واعتبره نواب في جلسة خاصة للمجلس الوطني سبباً في فشل السودان في جلب قروض من الخارج، وأن هذا الفشل يعود بالأساس إلى علاقته مع حماس وحزب الله وإيران، وعبر عنه أحد النواب بالقول: «فقدنا كل الدول الصديقة والشقيقة». وتصاعدت الانتقادات للبشير لما قيل من أنه أعطى موافقة لإقامة قواعد بحرية إيرانية حول ميناء بورتسودان، وهو ما نفته الحكومة السودانية أكثر من مرة.

وفي مارس/آذار ٢٠١٤ جرى توقيف سفينة «كلوس سي» في البحر الأحمر قبالة الحدود السودانية- الأريتيرية، وكانت السفينة محملة بقذائف صاروخية طراز «إم ٣٠٢» تم إخفاؤها في أكياس للأسمنت وجرى الزعم بأنها في طريقها إلى قطاع غزة عبر السودان على أن يتم تهريبها عن طريق سيناء. وعلق آدم محمد أحمد، أستاذ العلوم السياسية ومدير مركز الدراسات السودانية الدولية، قائلاً: «من المؤكد أنها كانت في طريقها لحماس عبر السودان، وأن هذا هو الطريق الوحيد لوصولها إلى قطاع غزة عبر سيناء ليتم تهريبها عبر الأنفاق»، رغم أنه تم توقيفها قبل أن تدخل المياه الإقليمية للسودان.

انقسام وغياب للإجماع

كانت العلاقة مع إيران موضوع جدل ونقاش في السودان على مدى تاريخ هذه العلاقة، وعبر ذلك عن نفسه في شكل انقسامات داخل المؤسسة السياسية والنخب الحاكمة، ووصل ذلك إلى المؤسسة العسكرية التي ما زالت تدافع عن العلاقة مع إيران وتتمسك بها إلى اليوم، واشتكى مسؤولون سودانيون أكثر من مرة من عدم علمهم بإجراءات وترتيبات عسكرية مع إيران، كان لها تبعات سياسية ووضعت وزارة الخارجية السودانية في مواقف محرجة. ومن اللافت أن الخلاف في هذا المجال لا ينصب على قضايا ثانوية وإنما يأتي في صلب التخطيط الاستراتيجي للسودان، وموقفه من التحالفات الدولية والعلاقات الإقليمية.

ويمكن الحديث عن وجود تيارين رئيسيين وسط حزب المؤتمر الوطني الحاكم تجاه السياسة

السودان ذات صبغة شيعية، خاصة وأن هذا الوجود بات حقيقة واقعة والتصدي له اليوم سيكون له ثمنه، حتى في العلاقة مع المنظمات الدولية لحقوق الإنسان والمدافعين عن الحريات الدينية.

هناك تخوف من أن يكون القرار فاتحة لسعي إيراني لخلق تحالفات جديدة ضد الدولة السودانية في الشريط الإفريقي المدعوم من إيران، خاصة وأن العلاقة مع السودان خلال العقد الماضي، مكّنت إيران من أن تكون لاعباً مهماً في الملف الفلسطيني، وأعطتها ثقلاً إسلامياً لم يكن يتوافر لها لولا هذا الدور؛ فالسودان الذي شكّل معبراً مهماً لإرسال الأسلحة لقطاع غزة، منح في الوقت ذاته لإيران الدور الذي تبحث عنه. لكن في الوقت ذاته يتعين قراءة ردة الفعل الإيرانية ضمن التغيير الذي طال السياسة الخارجية الإيرانية منذ مجيء روحاني إلى سدة الرئاسة، وهو التغيير الذي طال الملف الفلسطيني أيضاً، ومؤشرات ذلك كثيرة أهمها رد الفعل الإيراني خلال العدوان الأخير على غزة .

من المنطقي أن نتوقع في الوقت ذاته نشوء تحالفات جديدة بين السودان والمحيط السنّي متمثلاً في دول الخليج، ويعزز من هذه التحالفات أن يحصل السودان على دعم ملموس من الدول الخليجية. أن ما يؤشر على أن القرار السوداني لن يقف عند حدود إغلاق المراكز الثقافية ما صرّح به رئيس البرلمان السوداني، الفاتح عز الدين، من أن «لجنة التشريع والعدل بالبرلمان تتجه بالتنسيق مع هيئة علماء السودان ومجمع الفقه الإسلامي لسنّ تشريع قانون يجرّم أفعال الشيعة»، و«القانون المقترح إجازته في الدورة البرلمانية القادمة سيجرّم الفعل بالقانون وليس بالقرار السياسي».

أن سعي البرلمان السوداني لإعطاء هذا الحظر صبغة قانونية، وتجرّم التشيع من شأنه أن يُدخل السودان في صراعات سياسية اجتماعية لن تكون تبعاتها بالهينة.

أن الانقسام الذي رافق هذه العلاقة داخل الصف السوداني مؤهل للتزايد، ولا يمكن هنا

تجاهل دور المؤسسة العسكرية، وكذلك موقف حزب المؤتمر الشعبي الذي يرأسه الترابي؛ حيث اعتبر قرار إغلاق المركز الثقافي الإيراني وفروعه في الولايات بالخطأ، وطالب الحكومة بالتراجع عن القرار.

سيكون السودان ملزماً بدفع ثمن مضاعف إذا لم يجد رداً على خطوته بقرارات تُتهي أو تخفف عزلته الدولية والإقليمية، خاصة مع الأزمة الاقتصادية الخطيرة التي اشتدت بعد انفصال الجنوب.

يا أهل السنة كفى

عبد الرحمن الجميعان -

موقع منتدى المفكرين الإسلاميين ٢٠١٤/٩/٢٢

عند تأمل حياة أهل السنة، منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وما بعد سقوط الخلافة، تشعر باللوعة والأسى والألم، فتمزيق شملهم، واستعبادهم، وتفتيت أي خيط وحدة بينهم، صفات دائمة وملزمة لهم.

فالمتضرر الأكبر في كل ما يجري للأمة، وفي حوادث العالم، هم السنة بكل فصائلهم وتياراتهم، خذ من العراق وإيران وأفغانستان وبورما وسوريا ولبنان والقائمة طويلة جداً، ألا يحق لنا أن نتساءل لم؟ وما الذي جناه هؤلاء حتى تصب عليهم الويلات والعذاب ويتألموا كل هذه الآلام؟

فهذا واقعنا الأليم اليوم، لا تجد أمامك إلا صوراً ومشاهد لمآسيهم، ولعثراتهم ولحرمانهم، من المحيط إلى الخليج، لا تكاد تخطئ العين مأساة ولا تلك الآلام، فهل لهذا الحدث الجلل من سبب أو أسباب؟ أم إنها الصدفة المحضة؟ ونحن نعلم أن لهذا الكون أسباب وسننا يمضي عليها، وتسير عليها الحياة، فهل لهذا الأمر من سبب أو أسباب جعلتها هكذا في مؤخرة الركب؟ أم هناك أمور مختبئة وخافية لا نعلمها؟

عند التأمل والوقوف على حالنا اليوم نلاحظ عدة من الأسباب، أراها تدور عليها كل النتائج

والتحليلات، من هذه الأسباب:

السبب الأول: غياب المشروع السياسي لأهل السنة، فأهل السنة فوق كل الأرض، لا يحملون مشروعاً سياسياً يطمحون من خلاله بناء دولة قوية تحميهم وتدافع عنهم ويستظلوا بظلها، كما الشيعة مثلاً لهم دولة، والبوذيون لهم دولة وهكذا!

وفوق هذا وذاك، فالسنة يعيشون بلا أهداف واضحة، يعملون لأجلها، ولا غايات يحاولون إدراكها، وإنما هم قطعان شاردة يمنية ويسرة، لا تكاد الوي على شيء فطمع فيها البعيد والقريب، والقوي والضعيف.

السبب الثاني: غياب القيادة العامة لأهل السنة على مستوى الفتوى والعلم الشرعي، وعلى المستوى السياسي الأممي!

حتى في أحلك الظروف والآلام تراهم لكل تجمع أو فصيل قائده، فها هي اليمن، بلا قيادة سننية واحدة تدير شؤونهم وتدبر أمرهم، وها هو العراق وها هي سوريا يعيشون أوزاعاً متفرقين، والعدو واحد والمأساة متقاربة.

ومن هنا نقول أن هذه القيادة عليها أن ترفع راية أهل السنة فقط، فالمشاريع واضحة، المشروع الغربي والصهيوني والفارسي وغيرها، إلا المشروع السنني العام لم ترتفع له راية واضحة ناضجة!

السبب الثالث: التنازع والاختلاف:

يقول تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال]

عوامل إضعاف للأمة، فعلى مستوى الجانب السلفي مثلاً تجد تكتلات كثيرة، وكل كتلة تدعي الحق، وتعمل لا ضعاف أختها والنيل منها، وكل واحدة تريد الخطوة عند الغرب والشرق!

وتجد الإخوان والتحرير وتجمعات كثيرة تحارب وتسفه كل واحدة أختها، فيؤسفنا أن تكون - في مثل هذا الوقت - هذه التجمعات متباينة بينها ومتحاربة ومختلفة أشد الاختلاف والحرب مستعرة بينها.

إن مصيبة المصائب، أن يكون الاختلاف في ادعاء الصوابية وتجهيل أو تضليل الآخر، ولو أنك تفحصت البنى الفكرية لكل فصيل لما اختلفت عن الآخر في كثير من أمورهم، ولكن الأهواء وحظوظ النفس وضيق الأفق وضبابية الرؤية ومال عوامل تساهم كثيراً في هذا التمزق والانشطار والتنازع.

وتأمل في التاريخ لن تجد دولاً ولا أمماً تسقط إلا والتنازع والتشاجر سبباً قوياً في السقوط.

السبب الرابع: غياب التفكير الاستراتيجي

لغياب التفكير الاستراتيجي، تجد مؤسساتنا وقواعدنا وأموالنا نصرفها لعمل إطفاء الحرائق وانقاذ ما يمكن انقاذه، فقد أضعنا العراق، ودمرنا سوريا، وابتعدنا عن البحرين، وها هي اليمن تتوخ أمام سكين الحوثيين، بعد دماج وغيرها، وما من فعل إلا رد فعل إغاثية إطفائية!

إنه لمن العيب والضعف أن لا يكون لدى أهل السنة مراكز استراتيجية، ولا بحثية، تستشعر النازلة قبل وقوعها، ولا لديها دراسات مستقبلية، ولا استشراف للمستقبل، ومن ثم فليست هناك مدارس تعلم وتدرب على هذا الأمر الهام جداً، والذي ما تقدم غيرنا إلا من خلاله!

وأخيراً أقول: ماذا تنتظرون يا أهل السنة،

فلسنا خرافاً ننتظر الجزار يأتينا ليذبحنا من رقابنا! وماذا تنتظرون يا أهل السنة وهامهم الشرق والغرب يسنون عليكم الرماح ويقصدونكم من دون العالمين!

وماذا تنتظرون يا أهل السنة سوى الذل والاهانات والتمرغ في التراب!

فإما أن نستقيم ونلتفت إلى أنفسنا وواقعنا، وإما السكين قادمة ولات حين مناص!

كفى كفى سذاجة وبراءة وغباء يا... أهل السنة!!!!

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر



منهج اليسار في
التعاطي مع قضايا
المرأة المسلمة

٢١

تطورات الأحداث
وصورة إيران لدى
المصريين

١٧

فكرة الحرس
الوطني السني
في العراق

١٥

صِلْ الرَّادَّ



رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٩)

محرم - ١٤٣٦ هـ

www.alrasheed.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

❖ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ٢

فرق ومذاهب

❖ حزب الله الحجاز هل تستيقظ الخلايا النائمة؟ ٤
معتز بالله محمد

سطور من الذاكرة

❖ الوجه الآخر: ١٢- محمد حسين كاشف الغطاء ٨
هيثم الكسواني

دراسات

- ❖ الطائفية ومطبات استدعائها في السياق المغربي ١١
بوزيدي يحيى
- ❖ فكرة الحرس الوطني السني في العراق ١٥
علي عبد الهادي
- ❖ تطورات الأحداث وصورة إيران لدى المصريين ١٧
أسامة الهتمي
- ❖ منهج اليسار في التعاطي مع قضايا المرأة المسلمة ٢١
فاطمة عبد الرؤوف
- ❖ القاعدة والجهل بفقہ الصراع الإسلامي - الشيعي ٢٥
سعيد السويدي
- ❖ من خلف الفوضى في باكستان ٢٩
جودي أصف لقمان
- ❖ استراتيجيّة الصد: مواجهة شبكة العمل الإيرانية ٣٢
إيمان سويد

كتاب الشهر

❖ رواية الهروب إلى العاصفة ٥١
أسامة شحادة

قالوا

..... ٥٤

جولة الصحافة

- ❖ ٣ حقائق تكسر الأساطير عن تنظيم "داعش" ٥٦
علي حسين باكير
- ❖ الخليج: بيتبعث شيعته خارجيا وإيران "تشنق" سنتها داخليا ٥٨
نايف العصيمي
- ❖ تداعيات انخفاض أسعار النفط على خليفة الصراعات ٦٠
د. خطاب أبو دياب
- ❖ حزب الله والإرهابي السعودي! ٦٢
طارق الحميد
- ❖ عمامتان بيضاوان وعمامة سوداء غامضة ٦٣
أمير طاهري
- ❖ ماذا كتبت الصحف الإيرانية عن التمرد الحوثي ٦٥
مصطفى حسين
- ❖ ولاء الأتراك لنظام بشار ٦٧
علي محمد طه
- ❖ كاتب شيعي يكشف اللقب الذي يتنافس عليه "نصر الله والحوثي" ٧٠
منار الشواني
- ❖ "هل القاديانية دين أم مذهب إسلامي؟!" ٧١
أمجد سقلاوي

عدم قطف ثمرة كثير من الابتلاءات التي عانت منها أمتنا، وذلك أنه في خضم المعاناة والمحنة والألم يلجأ البعض من الدعاة والجماعات بفرض التخفيف عن الأمة لتحالفات أو صفقات مع جهات منحرفة وضالة من أهل الأهواء والبدع كالشيعة أو الخوارج وغيرهم.

ومقابل هؤلاء يحدث للبعض صدمة وتغير في القناعات، والخطير هنا التغيير نحو الأسوأ والتفريط أو الإفراط، وذلك بسبب ضعف في العلم الشرعي أو ضعف في الإيمان والثبات وعدم القدرة على الصبر على المحنة.

واليوم الأمة ودعاتها أمام اختبار الثبات والصبر على الحق والإيمان، على عدة أصعدة، منها:

١- الشيعة والرافضة وإيران وحزب الله وغيرهم الذين لا يزالون يغرون البعض من الجماعات الإسلامية كجماعة الجهاد الفلسطينية بإمكانية التعاون معاً، وكأن كل الحقائق والجرائم التي كشفت للعالم أجمع عن عدائهم وبغضهم لنا لم يوقظنا، وكأن سيول الدم المسفوحة من دمائنا في إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين وغيرها، لم تحرك فيهم عرقاً ينبض بالحياة والخجل!

وآخرون يرون تمدد محور إيران بالغدر والخيانة والعدوان والظلم في المنطقة، فيحدثون أنفسهم بخطأ إهمال العلاقة مع نظام صاعد وأن ذلك

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

يحل علينا عام ١٤٣٦ للهجرة والأمة الإسلامية تعاني من أوضاع صعبة ومؤلمة تمر بها في هذه المرحلة، نرجو الله أن تكون هذه هي آلام المخاض للولادة الجديدة للأمة التي تخرج منها بجيل جديد يفرح قلبها ويسعد أيامها.

وإننا لنرجو الله أن تكون هذه الأوجاع والمحن من باب قوله ﷺ (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة) فالأئمة، يُبتلى المرء على قدر دينه، ومن يقارن ارتفاع تدين الأمة اليوم عن قرن مضى يتفائل بشدة الابتلاء اليوم ونذكر قوله تعالى: ﴿حَقِّقْ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ۖ﴾ [يونس: ١١٠] وهذا أملنا بالله عز وجل.

وهنا يجب التيقظ لأمر في غاية الأهمية وهو أن الأمة الإسلامية قد قطعت نصف الطريق وهو الالتزام بأمر الله (مع تقصير)، ودخلت مرحلة التمييز والغريزة، وبقي أمامها الثبات على الحق والصبر على الاستقامة، حتى تصل للنصر والنجاة والفوز والسعادة، وهذا الثبات والصبر شرط للحصول على الثمرة، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وعدم التنبه لهذه القضية كان السبب في

الماركسي والرأسمالية وتواجههما، وبدرجات متفاوتة، بذريعة فشل كثير من المحاولات والتجارب الإسلامية.

واللافت للنظر أن هذه الاتجاهات المختلفة

تعالج أخطاءها القديمة بأخطاء جديدة، فلا يتولد عن ذلك إلا خطأ جديد يجعلنا نبقي ندور في متاهة لا تنقطع، مع الأسف.

خلاصة المراد: اليقظة في هذه المرحلة لمركزية الثبات والصبر على منهج الحق، وأن لا تززعهم المحنة والفتنة والشبهات فيتسامحوا مع أهل البدع من الشيعة والخوارج الذين هم رأس جسر لأعداء الأمة من العلمانيين والكفار عبر التاريخ، وكما يكشف الواقع اليوم.

لا مخرج للأمة إلا بأن يشد الدعاة أيديهم على منهج السلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر مع عدم الانزلاق لحروب داخلية أو تأييد جماعات ضالة، بل لنسد أمرنا بالحفاظ على القوة الموجودة للأمة مهما شابها من انحراف، معا للتغيير التدريجي للأفضل، ولكن أيضا لا نعين الظلمة والمفسدين على باطلهم.

بل نناصح وندع ونعلم ونعمل ونتعاون ونصبر على رفض واتهامات الجماعات الإسلامية المنحرفة والمفرطة والتائهة وكذلك اتهامات الفجرة الطغاة من العلمانيين المثقفين والسياسيين المعادين لكل التيار الإسلامي.

ولكن على يقين أن عاقبة الثبات والصبر على منهج السلف هو التمكين في الدنيا والرفعة في الآخرة، فالؤمن لا يمكّن حتى يُبتلى.

تضييع لفرصة سانحة، خاصة إذا كانوا من بلد مخالف لإيران، دون اهتمام لسلامة عقيدة ومنهج أو مصداقية أخلاقية وسياسة رشيدة، في انتهازية رخيصة تكشف عن رقة ديانة.

إن التفريط بدماء مئات الآلاف من المسلمين، فضلا عن جريمة التفريط في تعظيم حقائق الإيمان بزعم تحريف القرآن الكريم والشرك بالله عز وجل وتكفير الصحابة والغلو في آل البيت، لن تجلب إلا الهزيمة والفشل، فاتقوا الله يا عباد الله.

٢- وبعكس هؤلاء رأينا البعض ينقلب على عقبيه ويعود ليؤيد تنظيم داعش أو القاعدة، بعد أن كان رافضا لغلوها وانحرافها وإجرامها، وذلك بحجة أنهما يحاربان الشيعة والرافضة أو لأنهما يتعرضان لهجمة صليبية كافرة، وأن الولاء للمسلمين يلزمهم بتأييد المسلمين.

والعجيب أن هؤلاء يُغفلون حالة الهدنة والتقاطع في المصالح على الأقل والتي اعترف بها العدناني الناطق باسم دولة داعش، كما أن هؤلاء لم يسقطوا داعش والقاعدة حين حاربت المجاهدين في الوقت الذي كانوا يهاجمون الكفار كالنظام السوري، كما يفعلون اليوم مع مخالفي داعش!

ولذلك إن زيادة شعبية داعش والقاعدة اليوم في العراق وسوريا واليمن، سيكون باب شر على الأمة، ويعرف ذلك العقلاء وأهل العلم، ويثبت صدق تحذير العلماء والعقلاء من خطر الخوارج فكما صدق تحذير العلماء من خطر التشيع العقدي والسياسي والأمني على دولنا، برغم معارضة كثير من العازفين وأصحاب الحناجر المرتفعة، حتى لطمهم الواقع الطائفي للمحور الإيراني على وجوههم، فلماذا يستمر هؤلاء في تكرار تجاربهم الفاشلة، وما أصدق مقولة أهل العلم: (الفتن إذا أقبلت رآها العلماء، فإذا أدبرت رآها الجهلاء).

٣- وبخلاف هؤلاء هناك من يكون انحرافه لخارج دائرة أهل البدع نحو العلمانية بشقيها

١٩٧٩، وذلك على خلفية احتلال جماعة الحوثيين الزيدية للعاصمة اليمنية صنعاء، واقترب حركة التمرد الحوثية من الحدود السعودية، وما أثاره ذلك من مخاوف السعودية بأن تكون إيران قد شرعت في فتح جبهة جديدة في حربها الباردة معها في الشرق الأوسط.

بيد أن الحكم بإعدام النمر قد أشعل على ما يبدو غضب غالبية الشيعة شرق المملكة، الذين خرجوا في تظاهرات غاضبة تندد بالحكم، وتؤكد أنه سيفتح على النظام السعودي «أبواب الجحيم».

تلك التهديدات يجب أن تؤخذ على محمل الجد، لاسيما في ظل وجود تنظيم عسكري شيعي خطير في المنطقة يحمل اسم «حزب الله الحجاز» أو حزب الله السعودي، تحول خلال الفترة الأخيرة بفعل العمليات الأمنية الواسعة - وفقا لمعظم التقديرات - إلى خلايا نائمة، ربما على درجة عالية من الجاهزية لتنفيذ عمليات إرهابية ضد أهداف سعودية، خاصة في ظل تمتع هذا التنظيم بحاضنة شعبية واسعة بالمنطقة الشرقية، علاوة على أن عناصره مدربون جيدا على خوض السلاح والتعامل مع المتفجرات.

ورغم تجميد التنظيم نشاطاته وعدم وجود

حزب الله الحجاز... هل تستطيع الخلايا النائمة؟

معتز بالله محمد^(*) - خاص بالراصد

جاء الحكم بالقتل تعزيرا على الناشط الشيعي الشيخ نمر باقر أمين النمر بالمملكة العربية السعودية، في ١٥ أكتوبر ٢٠١٤ على خلفية مطالبته بـ «ولاية الفقيه» في البحرين والمملكة والطعن في بعض الصحابة، بالإضافة لسبّ رجال الدولة، لينقل رسالة شديدة اللهجة لشيعة السعودية في محافظتي القطيف والإحساء شرق البلاد، مفادها أن الدولة لن تتوانى عن التعامل ضد أي نشاطات شيعية مستقبلية معادية لها.

الحكم بإعدام النمر المعتقل منذ ٨ يوليو ٢٠١٢ والذي سبق ودعا في عام ٢٠٠٩ إلى انفصال القطيف والإحساء وإعادتهما إلى البحرين جاء في وقت

تشهد فيه الجماعات الشيعية بالمملكة نشوة غير مسبوقة منذ نجاح ثورة الخميني في إيران عام

(*) كاتب مصري.



متحدثين رسميين بلسانه، وما إلى ذلك من نشاطات إعلامية، إلا أن النطق بالحكم على النمر، الذي يرى البعض أنه كان مصدر إلهام للحزب، دفع حزب الله الحجاز للخروج عن صمته، ونشر بيانات تحريضية ضد المملكة عبر حسابه الرسمي على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» بعد أن وضع صورة النمر أو «داعي الفتنة» كما تصفه أجهزة الدولة الرسمية خلفية لصفحته.

والحزب تاريخ زاخر بأعمال العنف التي راح ضحيتها عشرات السعوديين والأجانب منذ

تأسيسه قبل ما يقارب من ثلاثة عقود، وحتى إعلانه من قبل وزارة الداخلية السعودية في ٧ مارس ٢٠١٤ كحركة إرهابية يُجرم من يؤيدها أو يمولها أو يُبدي التعاطف معها أو يستخدم شعاراتها ورموزها ومن يتبنى أفكارها.

البداية

لنشأة الحزب قصة طويلة، تتلخص في سفر عدد من الشيعة السعوديين ومعظمهم من الإحساء والقطيف لتحصيل العلم بمدينة النجف العراقية، خلال السبعينيات من القرن الماضي، وبعد أعوام قليلة من الثورة الخمينية وتحديداً في منتصف الثمانينيات انتقل هؤلاء إلى مدينة قم، حيث أسسوا هناك تنظيمًا باسم «تجمع الأمة» ثم ما لبث أن تغير اسمه بناءً على توصية الخميني نفسه خلال إحدى زيارته لحوزات قم، إلى «تجمع علماء الحجاز».

إلى سوريا

نشبت خلافات فقهية في إيران بين مؤيدي المرجع الشيعي الإيراني محمد الحسيني الشيرازي والخميني، حيث رأى الأول ضرورة أن يكون الحكم لتجمع من الفقهاء في حين كانت نظرة الثاني تنص على أن الحكم يجب أن يكون للولي الفقيه الواحد.

وضعت هذه الخلافات الشيعة السعوديين في موقف حرج، ومن هنا قررت غالبيتهم من مؤيدي الشيرازي الانتقال إلى سوريا التي كانت ملاذاً

للمعارضة السعودية آنذاك بشقيها اليساري والإسلامي الشيعي. وهناك أسسوا تنظيمًا معارضا للحكم السعودي حمل اسم «حركة الطلاب الرساليين»، بقيادة المرجع محمد تقي المدرسي، شقيق عالم الدين الشيعي العراقي هادي المدرسي، وابني أخت الشيرازي.

ثم ما فتأ أن تغير إلى «منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية» وافتتح مكاتب في كل من دمشق وطهران وبغروت ولندن وواشنطن. وبطبيعة الحال اعتبرت المنظمة نفسها جزءاً من ثورة الخميني، وهو ما جاء اعترافاً على لسان حسن الصفار، والذي أُعتبر آنذاك مرشد المنظمة، حيث قال في تصريح له: «نطالب ونتوقع من إيران أشياء بحجم الأهداف التي رفعتها الثورة».

وتم الإعلان عن تأسيس جناح عسكري للمنظمة باسم «حزب الله الحجاز» ويستخدم مصطلح «الحجاز» هنا للتعبير عن شبه الجزيرة العربية كاملة لتقويض اسم الدولة الرسمي إذ لا يعترفون بالسعودية تماشياً مع ما كان يفعله الخميني، رغبة في عدم الاعتراف بالكيان السعودي، والتقليل من مكانة آل سعود الدينية، وعدم الاعتراف بحكمهم للمنطقة.

يشار إلى أن حسن الصفار من مواليد القطيف عام ١٩٥٨، تلقى تعليمه الديني بين القطيف والنجف والحوزة العلمية في مدينة قم ومدرسة الرسول الأعظم في الكويت لمدة ثلاث سنوات، وواصل دراساته العلمية في طهران من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٨. شارك فيما بعد في مؤتمرات الحوار الوطني بالسعودية، ومؤتمرات مركز الشباب المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض مؤتمرات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت. وهو عضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وفي الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وقيم حالياً بالمنطقة الشرقية، وقد تحول منذ عدة سنوات لتقليد السيستاني.

وانقسم الحزب إلى قسمين: مجموعة لندن وتتألف من حمزة آل حسن وتوفيق السيف وجعفر الشايب، إضافة إلى الدكتور محمد جعفر هاشم آل حسن. وقد عاد الأخير إلى السعودية فيما بعد لينشأ «التحالف الوطني من أجل الديمقراطية» في بريطانيا، كواجهة جديدة يتحركان من خلالها، حيث أصدر التحالف مجلة معارضة حملت اسم «شئون سعودية»، صدر عددها الأول في فبراير ٢٠٠٣. أما القسم الثاني فتمثل في مجموعة واشنطن وتتكون من صادق الجبران وعيسى المزعل الذي رجع إلى السعودية بعد ذلك.

نبذة إيران

وتقول دراسة عن «حزب الله الحجاز» أعدها معهد الشرق الأوسط بواشنطن عام ٢٠١٠، وتحمل عنوان (حزب الله الحجاز.. تاريخ أكثر الجماعات الشيعية السعودية المعارضة تطرفاً)، إن الإعلان عن تأسيس الحزب جاء بعد أحداث الحج الدامية التي وقعت عام ١٩٨٧، والتي أسفرت عن مقتل ٤٠٠ شخص، عندما هاجم حجاج إيرانيون رجال أمن سعوديين وحجاجاً آخرين، (وبحسب العديد من المصادر فإن الحجاج الإيرانيين الذين قاموا بالاعتداء كانوا خليطاً من عناصر بالحرس الثوري الإيراني وعناصر من تجمع علماء الحجاز) حيث ارتأت طهران ضرورة تشكيل جناح مسلح من الداخل السعودي، ليكون معول هدم وتهديد تستخدمه متى أرادت ذلك. وبالفعل بعد نهاية موسم الحج بأسبوع واحد تم الإعلان عن تأسيس «حزب الله الحجاز» في بيان رسمي.

بدأ الحزب في استقطاب كوادر وكفاءات شيعية سعودية من مناطق شرق المملكة، وبعض الطلبة الذين كانوا يدرسون بالولايات المتحدة الأمريكية، كذلك قام بتجنيد أعداد كبيرة من السعوديين الشيعة الذين يزورون ضريح السيدة زينب بسوريا، كذلك استخدموا الضريح غطاء لسفرهم للخارج بشكل متكرر.

بدأت مرحلة التدريب على السلاح والتي جرت في سوريا وإيران وجنوب لبنان على يد حزب الله اللبناني،

حيث تعلم أعضاء الحزب استخدام مختلف أنواع الأسلحة، وابتوا خبراء في التعامل مع المتفجرات، ليصبح كل شيء جاهزاً للبدء في الخطوة التالية والمتمثلة في تنفيذ عمليات عسكرية في الداخل السعودي، تنوعت بين تفجير منشآت نفطية، وهجمات ضد الأجانب واغتيال دبلوماسيين في الخارج.

عملية صدف

استغل الحزب وجود عناصر تابعين له في المنشآت النفطية ونفذ ضربته بالجبيل بتفجير إحدى منشآت شركة صدف البتروكيماوية في مارس ١٩٨٨ على يد أربعة من عملائه من جزيرة تاروت بمحافظة القطيف، من بينهم علي عبد الله الخاتم الذي كان يعمل بالشركة، وقاتل في السابق مع حزب الله اللبناني، وهناك تدريب على عمليات التفجير، وقد أسهم بتواطئه في التخوف من تشغيل الموظفين الشيعة في المشاريع البتروكيماوية.

بعد ذلك مباشرة وبفتيش شركات البترول والبتروكيماويات في شرق السعودية اكتشف الحراس العديد من المتفجرات في معمل التكرير في رأس تنورة والجمعية. ووجهت قوات الأمن السعودي ضربة قوية للحزب باعتقال عدد كبير من أعضائه، وتنفيذ حكم الإعدام ضرباً بالسيف بحق منفذي تفجير الصدف الأربعة.

وفي أول إعلان رسمي بتبني عمليات، أصدر حزب الله الحجاز من دمشق إضافة إلى تجمع علماء الحجاز - بعد عملية الإعدام مباشرة لعناصره الأربعة - بيانين منفصلين وصفوا فيها المعدمين بالشهداء، ما دفع إيران للخروج والتصل من العملية ومنفذها.

نهج الاغتيالات

نفذ التنظيم الكثير من العمليات في الخارج ضد دبلوماسيين سعوديين، تعرضوا لاعتداءات في أكثر من ٢٠ عملية في بلدان مختلفة بدأت باغتيال السكرتير الثاني في السفارة السعودية في تركيا عام ١٩٨٨، وفي العاصمة التايلاندية بانكوك حيث قتل السكرتير الثالث بالسفارة السعودية عبد الله المالكي في الرابع من يناير ١٩٨٩. وفي الأول من فبراير ١٩٩٠ قتل الدبلوماسيون

تجميد مؤقت

التبعات الأمنية لتفجير الخبر على الشيعة السعوديين دفعتهم إلى الاعتراض على توجه التنظيم، واتهامه بتنفيذ أجندة إيرانية، دون النظر لمصالح وأمن الشيعة العرب في السعودية، الأمر الذي دفع منذ ذلك الوقت إلى تحول غالبية النشاطات الشيعية في المملكة للنهج السلمي، وإعلان التخلي عن العنف، وفتحت المملكة أبوابها لعدد من القادة الفكريين والسياسيين من الشيعة السعوديين بالخارج ومن بينهم مفكرون بالحزب وبـ «منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية» أعلنوا تبرئهم من العنف، ساعد على ذلك اتفاق إيراني سعودي عام ٢٠٠١ يقضي بمنع السعودية أي عمل عسكري أمريكي ضد إيران انطلاقاً من أراضيتها مقابل أن توقف إيران دعمها للعمليات التي تقودها المعارضة الشيعية بالسعودية، بحسب تقرير لمركز راند الأمريكي.

مستقبل التنظيم

إن تصنيف الداخلية السعودية في مارس من العام الجاري التنظيم كحركة إرهابية، يتم تجريم من يؤيدها أو يمولها أو يُبدي التعاطف معها أو يستخدم شعاراتها ورموزها ومن يتبنى أفكارها، يؤكد أن هناك معلومات لدى أجهزة الأمن والاستخبارات في المملكة باستعدادات وتحركات معينة لحزب الله الحجاز، لاسيما في ظل التغيرات المتلاحقة التي تشهدها المنطقة، والتجاذبات بين السعودية وإيران، وحلفائهما. ولا شك أن الحزب كان ولا زال أداة طيعة تحركها إيران كيفما ومتى أرادت، ومن هنا يمكن القول إن احتمالات خروجه من تحت السطح مجدداً بقيادة أحمد المغسل وعبد الكريم الناصر واردة بشكل كبير، وإن كان من المستبعد لدى البعض إعلان أي نشاط للحزب رداً على الحكم بإعدام النمر مع تصاعد الحراك الشيعي بالقطيف والإحساء، فإن ذلك قد يحدث في ظل تزايد التوتر الذي تشهده المنطقة التي تموج بالتغيرات، خاصة بعد سيطرة الحوثيين الزيديين على صنعاء، وسعيهم للسيطرة على أجزاء واسعة من البلاد، بالشكل الذي يشكل تهديداً على حدود المملكة السعودية.

السعوديون الثلاثة، عبد الله البصري، وفهد الباهلي، وأحمد السيف، بفارق نحو ٥ دقائق بين كل واحد منهم. ولم يُلق القبض على أي مشتبه به. وبعد أحد عشر يوماً اختفى رجل الأعمال السعودي محمد الرويلي، صديق الدبلوماسيين القتلى.

واستخدم الحزب أسماءاً لتنظيمات وهمية مثل «جند الحق» و«منظمة الحرب المقدسة» أعلنت مسئوليتها عن تلك العمليات، وسارعت إيران لنفي أي صلة لتلك التنظيمات بحزب الله الحجاز.

تعرض الحزب لشبه تجميد في نشاطاته العسكرية المعلنة بعد غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠ وذلك بناءً على أوامر إيرانية على خلفية التقارب الذي حدث آنذاك بين كل من طهران والرياض. لكن في المقابل استغل هذه الفترة في تصعيد نشاطاته الإعلامية لتجنيد مزيد من الأتباع، فأنشأ دار نشر وأصدر مجلة «رسالة الحرمين»، وتحول نشاطه إلى إصدار النشرات والحملات الإعلامية ضد النظام السعودي.

تفجير الخبر

لكن سرعان ما عادت ريمة لعادتها القديمة، فبعد انتهاء حرب الخليج وخروج صدام من الكويت، رأت إيران أن تنامي الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة سيشكل عائقاً أمام تنفيذ مخططاتها التوسعية هناك، لذلك وجهت أحمد المغسل، القائد العسكري لحزب الله الحجاز، بتنفيذ عمليات عسكرية ضد الأمريكان، فكان ما يعرف بتفجير أبراج الخبر في ٢٥ يونيو ١٩٩٦ والذي قتل فيه ١٩ أمريكياً وأصيب المئات من جنسيات مختلفة، لتعتقل السلطات السعودية العشرات من أعضاء التنظيم بمن فيهم اثنان من قادته الكبار، تم اعتقالهما بالخارج وتسليمهما للمملكة، فيما لا يزال اثنان آخران هاربين هما المغسل وعبد الكريم الناصر الذي يوصف بأنه رئيس الحزب حالياً، وقد أدرجهما مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكي «إف بي آي» ضمن قائمة أبرز الإرهابيين التي تضم ٢٦ مطلوباً بتهمة الإرهاب، معلناً عن رصد ٥ ملايين دولار لقاء رأس كل واحد منهم.

والشيعة، ولا شك بأن غض الطرف عن الانحرافات من شخص كان المرجع الأعلى للشيعة في العراق في زمنه أو أحد أهم مراجعهم هو مما يعيق الوحدة بين السنة والشيعة، التي طالما تحدث عنها كاشف الغطاء وطالب بتحقيقها.

نشأته وحياته

ولد محمد الحسين آل كاشف الغطاء في مدينة النجف بالعراق في سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦ م)، وفيها تعلّم ودرس على يد عدد من شيوخها، مثل: الآخوند الخراساني ورضا الهمداني ومحمد كاظم اليزدي وحسين النوري وأحمد الشيرازي ومحمد رضا النجف آبادي.

أصبح كاشف الغطاء المرجع الأعلى للشيعة في العراق عقب وفاة شيوخهم محمد كاظم اليزدي سنة ١٣٣٧ هـ. ولكاشف الغطاء الكثير من المؤلفات فاقت الثمانين، منها: الآيات البيّنات، وأصل الشيعة وأصولها، والأرض والتربة الحسينية، وزاد المقلدين. أما وفاته فكانت في إيران سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) لكن جثمانه



الوجه الآخر

١٢- محمد حسين كاشف الغطاء

هينم الكسواني (*) - خاص به «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبت حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

ارتبط اسم المرجع الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء لدى بعض

الأوساط السنية بدعوته الدائمة للوحدة بين المسلمين، ونبذ خلافاتهم، ومشاركتة في مؤتمرات دعم القدس وفلسطين، وغضبه من الاستعمار الذي احتل بلاد المسلمين.

لكن الصورة السابقة لكاشف الغطاء ليست «كل» الصورة، إذ أنه في المقابل تبني عقائد الشيعة، ودافع عنها، وزين بعضها لكي يسهل على الآخرين قبولها، وهو صاحب قلم «سليط» لمن ينتقد التشيع

(*) كاتب أردني.

نقل إلى النجف ودفن فيها^(١).

رأيه في التشيع

يقدم كاشف الغطاء رأياً مضللاً في نشأة التشيع، فبدلاً من إجراء مراجعة لما يحتويه التشيع من انحرافات وضلال يربطه بالنبي ﷺ، زاعماً أنه هو الذي وضعه ورعاه، يقول كاشف الغطاء: «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام^(٢)، جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته...»^(٣).

رأيه في تحريف الشيعة للقرآن

ينكر كاشف الغطاء اعتقاد الشيعة - كطائفة - بتحريف القرآن الكريم، وإن كان لا ينكر أن هناك من الشيعة من قال بوجود نقص أو تحريف في القرآن، لكنه يمر على القضية مروراً سريعاً ولا يخبرنا بحكم هؤلاء، بل ولتخفيف وقعها وأثرها يدعي أن هناك من اعتقد التحريف من الطوائف الإسلامية الأخرى.

وهو يقول: «... وإن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم (أي

(١) نور الدين الشاهرودي، المرجعية الدينية ومراجع الإمامية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ص ١٦٥ - ١٦٦، وموقع شبكة النجف الأشرف الإلكتروني.

(٢) ينبه الشيخ الدكتور ناصر القفاري إلى أن هذه العبارة من كلام كاشف الغطاء «اعتراف منه بأن بذرة التشيع غير بذرة الإسلام» أصول مذهب الشيعة، ٧٩/١، دار الرضا، مصر، ط ٣، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٣) أصل الشيعة وأصولها، منشورات البزاز، طبعة دار مواقف عربية، المملكة المتحدة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ٥٢.

الشيعة) ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ يردّه نصّ الكتاب العظيم (إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون).

والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يُضرب بها الجدار^(٤).

رأيه في الإمامة

يتبنى رأي طائفته القائل بأن الإمامة منصبة إلهي، وهو يعرفها بقوله: «الإمامة منصبة إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة... فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أي يقوم بها»^(٥).

ويرى كاشف الغطاء أن أهم ما امتازت (افتترقت) به الشيعة عن باقي فرق المسلمين القول بإمامة الأئمة الإثني عشر، وهو يعتبرها ركن الإسلام الخامس (بعد التوحيد والنبوة والمعاد والعمل بالدعائم الخمس التي بُني عليها الإسلام - الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد -).

رأيه في المتعة

يقدم كاشف الغطاء صورة «وردية» لزواج المتعة عند الشيعة، فبدلاً من تسمية الأشياء باسمها والتبرؤ من هذه العلاقة الآثمة، يجعله حلاً للعهر والزنا، وسبباً لصلاح المجتمع! إذ يقول: «لو أن المسلمين أخذوا بقواعد الإسلام ورجعوا إلى نواميس دينهم الحنيف وشرائعهم الصحيحة (لفتحنا عليهم بركات من السماء

(٤) المرجع السابق، ص ٧١ - ٧٢.

(٥) السابق، ص ٦٨.

والمختلف عن أتباع حكمه رادُّ على الله تعالى، ولا يجوز لغيره بعد حكمه أن ينظر في تلك الدعوى...»^(٤).

رأيه في الصحابة

كشأن الشيعة، ينتقص كاشف الغطاء من شأن أصحاب النبي ﷺ، وينفي عنهم العدالة، ويقول إن ما يروونه عن النبي ﷺ من الأحاديث ليس لها أي اعتبار أو قيمة، كما في قوله: «إنهم (أي الشيعة) لا يعتبرون من السنة النبوية (أعني الأحاديث النبوية) إلا ما صحَّ لهم من طرق أهل البيت عن جدهم، يعني ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً.

أما ما يرويّه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة»^(٥).

أما معاوية رضي الله عنه، فإن كاشف الغطاء لا يدع مناسبة إلا ويستخدمها لسببه وتصويره بأقبح الصفات، كما في قوله: «تغلب معاوية على الأمة وابتزها الأمانة عليها بغير رضا منها وصار يتلاعب بالشرعية الإسلامية حسب أهوائه...»^(٦).

والأرض) ولعاد إليهم عزهم الدائر ومجدهم الغابر.

ومن تلك الشعائر مشروعية المتعة، فلو أن المسلمين عملوا بها على أصولها الصحيحة من العقد والعدة وحفظ النسل منها لانسدَّت بيوت المواخير، وأوصدت أبواب الزنا والعهار، ولا ارتفعت أو قلَّت ويلات هذا الشر على البشر، ولأصبح الكثير من تلك المومسات المتهتكات مصونات محصنات، ولتضعف النسل وكثرت المواليد الطاهرة واستراح الناس من اللقيط والنبيد (المنبوذ) وانتشرت صيانة الأخلاق وطهارة الأعراق إلى كثير من الفوائد والمنافع التي لا تُعد ولا تُحصى»^(١).

بعض آرائه الفقهية

يقر كاشف الغطاء بمخالفة الشيعة لأحكام الشريعة المتعلقة بالميراث وانفرادهم بحرمان الزوجة من العقار ورقبة الأرض عيناً وقيمة، ومن الأشجار والأبنية عيناً لا قيمة، ويبرر ذلك بوجود أخبار وردت عن الأئمة يروونها عن النبي ﷺ^(٢).

كما يقرّ بانفراد الشيعة بمحاربة الابن الأكبر بميراث والده.

موقفه من القضاء والحكم

يرى كاشف الغطاء أن لولاية القضاء والفصل بين الناس «منزلة رفيعة ومقام منيع، وهي عند الإمامية شج من دوحه النبوة والإمامة ومرتبة من الرياسة العامة وخلافة الله في الأرضين»^(٣). ويجعل كاشف الغطاء حكم الفقيه الشيعي كحكم الله سبحانه وتعالى، وأنه لا تجوز مخالفته أو الاعتراض عليه، كما في قوله: «وإذا حكم الحاكم الجامع للشرائط المتقدمة فالرادُّ عليه

(١) المرجع السابق، ص ١١٠ - ١١١.

(٢) السابق، ص ١٣٠.

(٣) السابق، ص ١٣٢.

(٤) السابق، ص ١٣٤.

(٥) السابق، ص ٨٥.

(٦) السابق، ص ١٤٩.

وما يجري حالياً لا يعدو أن يكون حلقة متجددة من سوابق تاريخية، فالطائفية ظاهرة تعد «سمة مشرقية» ليست وليدة اليوم، وإنما هي قديمة قدم التعدد والتباين «الطائفي» هناك، والذي عرف جولات من الصراع الدموي والتعايش أيضاً، لكن ذلك لم يمنع من انتقال الظاهرة إلى المغرب الإسلامي كما حصل مع الدولة الفاطمية، غير أن هذه المحطة التاريخية مع سلباتها، لم تؤثر على الانسجام شبه الكلي دينياً ومذهبياً الذي تعرف به مجتمعات الدول المغاربية السنية المالكية في غالبها الأعم.

ولكن في المرحلة الأخيرة باتت الأوساط النخبوية المغاربية توظف مصطلح «الطائفية» في العديد من السياقات، ومن بينها توصيف بعض الظواهر في هذه المجتمعات بل وحتى وسم فئات محددة بها، خاصة لما يتعلق الأمر بالمسألة الشيعية السنية. فالإلى أي مدى يصلح توظيف مصطلح الطائفية «المشرقي» في البيئة المغاربية؟

الجدل المشرقي حول مشكلة الطائفية:

أول ما يقف عليه الباحث أن مصطلح «الطائفية» كغيره من المصطلحات يشهد تبايناً في التعريفات ربما لا يقل جدلاً عن مصطلح الإرهاب، بل إن المفردتين متلازمتان حالياً حيث يمكن اعتبار القيم أو الأفكار «الطائفية» مقدمات موضوعية

الطائفية ومطبات استدعائها في السياق المغاربي

بوزيدي يحيى^(٥) - خاص بالرائد

أضحى مصطلح «الطائفية» من بين المفردات الأكثر تداولاً في الساحة السياسية والإعلامية، وحتى الأكاديمية والفكرية العربية، وقد ارتبط في العقد الأخير، وخاصة بعد احتلال العراق، بالإشكال السني الشيعي، وتفاقم أكثر بعد الثورة السورية التي جلت حقائق لطالما جرت عمليات ممنهجة لطمسها حول التنظيمات الشيعية الطائفية، التي كانت تتحرك في إطار هذه الأجندة منذ الثورة في إيران سنة ١٩٧٩ التي بدأت معها الإرهاصات الأولى لجرف الشيعة باتجاه مشروع سياسي خارج حدود الدولة الوطنية القطرية.

وقد فشلت محاولات بعض الأطراف العربية السنية لتطويقها من خلال التفاعل مع دعوات التقريب بين المذاهب، حيث عقدت في هذا الإطار الكثير من الندوات، والمؤتمرات. ولكن بالموازاة مع ذلك استمرت الظاهرة في منحى تصاعدي حتى أصبح الهلال الشيعي الإيراني بدراً طائفيًا كاملاً الآن.

(٥) كاتب جزائري.

للسلوكيات «الإرهابية»، ولكن كلا المفردتين يجري توظيفهما بطريقة انتقائية لا تخطئها العين^(١).

والمسألة الطائفية في المشرق لها سياقها التاريخي وإشكالياتها وجدلها، ولعل أهم جزئياته خاصة حول ثنائية السنة والشيعة، رفض السنة وسُمهم بالطائفة لأسباب عديدة أهمها أنهم هم الأكثرية، وهم الأمة بينما الشيعة هم الأقلية وبالتالي تنطبق عليهم صفة الطائفة^(٢).

وحتى إذا تجاوزنا البعد الاجتماعي إلى الطائفية السياسية من الزاوية (السنية/ الشيعة) كظاهرة مرتبطة بالدولة الوطنية فإن الوقائع تثبت كيف أن الشيعة تدثروا بغطاء الطائفية لتبرير سياساتهم، من حزب الله إلى الحوثيين في اليمن مروراً بالمليشيات العراقية التي تقاتل في سوريا.

والأمر نفسه ينطبق على النظام السوري، الذي كان الاستقطاب الطائفي جزءاً من استراتيجيته لتقسيم الرأي العام وحرف الأنظار عن المنحى السياسي للصراع وتخفيف الضغط عليه، واستنفار المتطرفين الإسلاميين الذين يتذرع بهم منذ زمن طويل لتبرير سياساته القمعية. ومن ثمّ، جاءت أحداث العنف الطائفي كرد فعل على هذه الاستراتيجية بأدواتها المختلفة (الشيعة والمتطرفون الإسلاميون)^(٣).

(١) هناك من يفرق بين الطائفة والطائفة، فالأولى هي تكوين اجتماعي ديني يقوم على نمط محدد للممارسة الدينية. أما الثانية فهي نزعة تعصبية تجعل الفرد يقدم ولاه الكلي أو الجزئي للقيم والتصورات الطائفية. انظر: رياض زكي قاسم وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) يعترض الباحث كاظم حبيب على صفة «الأقلية» في الطائفة، ويعتبر ذلك خطأ، لكنه هو الآخر يقع في خطأ التعميم أو ضرب أمثلة استثنائية، فما ذهب إليه يصلح لربط المفهوم بالدولة وليس الأمة، حيث قد يكون السنة أقلية أو الشيعة أقلية في دولة ما، ولكن على مستوى الأمة فلا شك أن الشيعة هم الأقلية، وبالتالي هم الطائفة. لتفاصيل أكثر، انظر: كاظم شبيب، المسألة الطائفية: تعدد الهويات في الدولة الواحدة، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ص ٣٩.

(٣) وحدة الدراسات السورية في المركز العربي، أبعاد العنف الطائفي في الساحل السوري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يناير

فقد اتهم النظام الثورة منذ أسبوعها الأول بالفتنة الطائفية، وأخذ إعلامه الرسمي وغير الرسمي يبيث خطاباً طائفيًا في محاولةٍ حثيثةٍ لدفع المحتجين للرد بصورة طائفية. كما ارتفعت وتائر المشكلة الطائفية مع إفراط النظام ومليشياته باستخدام القوة، وإضفاء طابع طائفي مقصود على عنفه في محطات عديدة^(٤).

الطائفية في عيون المغاربة:

يشير المفكر المغربي الراحل محمد عابد الجابري إلى موقف يعكس إلى حد كبير جدا جهل المغاربة التام بالطائفية عندما يسرد موقفًا حصل له في سوريا سنة ١٩٥٨ عندما كان طالبا هناك لسنة واحدة، باندھاشه لِمَا حل بدمشق لأول مرة من تحية الناس لبعضهم البعض بكلمة «مرحبا»، ومصدر الاندھاش اعتياده في المغرب استعمال هذه الكلمة في مقام الترحيب فقط، أما مقام التحية فالبعبارة المستعملة هي: «السلام عليكم».

ولم يفهم السر في اختلاف عبارة التحية في المشرق عنها في المغرب إلا عندما مرّ وقت كافٍ ليكتشف أن في الشام طوائف غير مسلمة، وأنه بالتالي كان لابد من كلمة محايدة تتبادل بها التحية. أما في المغرب حيث السكان كلهم مسلمون فالبعبارة الإسلامية في التحية بقيت سائدة لا تثير أي إشكال^(٥).

وما حصل مع الجابري يحصل مع جلّ المغاربة في احتكاكاتهم بالمشاركة، فهم ينظرون إلى المشرقي سواء كان خليجيا أو عراقيا أو مصرياً أو شاميا بأنه مسلم، ولا ينتبهون حتى إذا كان مسيحيا أو قبطيا، فما بالك أن يكون شيعيا أو

(٤) ٢٠١٤، ص ٧٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٠.

(٥) حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٠، ص ١٧.

سنيًا. والجهل بهذه الخلفية كان من بين الأسباب التي ساهمت في انتشار التشيع في المغرب الإسلامي من قبل الأساتذة الذين استقدموا إلى الجزائر بعيد الاستقلال بشكل خاص حيث كان منهم شيعة استغلوا عفوية المغاربة وجهلهم بهذه الخلفيات في نشر معتقداتهم.

وأيضا تشيع الكثيرون في أوساط الجاليات المغاربية في الدول الغربية متأثرا بالشيعة من المشرق، وإلى الآن يتعاملون مع مختلف وسائل الإعلام من فضائيات ومواقع دينية بنفس العفوية، لذلك يستغلها الشيعة في نشر معتقداتهم في الأوساط المغاربية.

الاستساخ الإعلامي:

لا يقتصر إشكال الجهل بالطائفية عند هذا المستوى وإنما يمتد حتى إلى الأوساط الإعلامية التي تتعامل مع «المشكلة الطائفية» بكل حمولتها المشرقية دون أي قراءات موضوعية مستقلة، ويعتبر المجال الإعلامي من بين أبرز الشواهد على ذلك، إذ المتلقي المغاربي للأخبار والتحليلات السياسية لا زال يعتمد على الفضائيات المشرقية بمختلف اتجاهاتها، خاصة مع تمركز أهم التطورات الدولية في تلك المنطقة، التي تعطيها القضية الفلسطينية والأهمية الدينية للأقصى بعدا إضافيا، وتجعلها محط اهتمام المغاربي بحكم الانتماء للدائرة العربية والإسلامية.

وحتى الفضائيات المغاربية وكل وسائل الإعلام الأخرى لا تتعامل مع الأحداث بمفردات خاصة بها، وإنما تعيد تكرار نفس المصطلحات رغم التحيزات الحاصلة فيها، وأبرز الأمثلة على ذلك ما يجري في سوريا، حيث يتم الحديث عن جماعات متطرفة في المجال السني ونعت سلوكها بالطائفي، ونزع هذه الصفة عن التنظيمات الشيعية الموالية لإيران، ورغم تصريح حزب الله بمشاركته في الحرب لا زالت تنسب الممارك وتحصرها بين الجيش النظامي

والمعارضة في أفضل الأحوال.

وحتى الآن هناك من لا يستسيغ نعت الحزب بالطائفي رغم كل القرائن الذاتية والسلوكيات خلال العقد الأخير على الأقل، وتحديدًا منذ الثورة السورية.

وهناك من يعتبر أن الخطاب الإعلامي المشرقي ينقل إلى المجتمعات المغاربية خطاب الطائفي ويزرع فيها التطرف والانقسام، غير أن ما ينبه له هؤلاء ويحذرون منه نجدهم يقعون فيه بشكل أو آخر، ذلك أنهم ينقلون الخطاب الطائفي بل ويستعملون مفرداته وتحديدًا «الطائفية» دون الوقوف عند معانيها. فما يجري في السياق المغاربي من طرف بعض النخب هو نعت كل من ينتقد الشيعة بالطائفي، ونجد هؤلاء يتحدثون كثيرا عن الخصوصيات المغاربية والتهديد القادم من المشرق من قبل المذاهب الأخرى^(١).

فهذا الموقف السلبي منها رغم عدم خروجها عن دائرة أهل السنة ونعتها «بالخطورة» يطرح سؤالاً حول طبيعة الخشية والخطورة من ماذا؟ ولماذا مصطلح الخطورة؟، أليس هذا سلوكا طائفيًا بعينه؟ ما الذي يميز هؤلاء عن غيرهم إذا؟

الإسقاطات الاجتماعية في المجال المغاربي:

لم تتوقف المحاكاة المرتجلة عند هذا الحد، إذ لم تقتصر هذه التوصيفات على القضايا المشرقية فقط، وإنما درج الباحثون المغاربة على توصيف بعض الظواهر المغاربية بالطائفية، خاصة الاتجاه

(١) نلاحظ هذا في الخطاب الرسمي الذي يحذر من المخاطر التي تهدد المجتمعات المغاربية، ومن ذلك ما يتردد في الإعلام الجزائري على سبيل المثال لا الحصر لا تخرج كتابات الدكتور بومدين بوزيد الذي يشغل منصب مدير الثقافة بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالجزائر وتصريحاته عبر وسائل الإعلام عن هذا الإطار، وأيضا كتابات الباحث المغربي عبد الحكيم أبو اللوز الذي يصف التدين السلفي بالطائفي، انظر مثلا هذا الحوار معه: باحث في الحركات الدينية: السلفيون فرضوا سيطرتهم على الساحة بفعل تنظيمهم الطائفي، جريدة الوطن الآن، على الرابط: <http://cutt.us/xHik8>

الخلاصة:

لا يمكن إنكار ظاهرة الطائفية من الأساس، ولكن عندما تصبح سلعة رائجة في البازار السياسي، فإنه من الحري بنا عدم استعمالها في المجال الاجتماعي والسياسي المغربي، خاصة وأن هذا المفهوم يُحدث الكثير من الارتباك عند المتلقي الذي تتجاذبه مختلف التيارات عبر وسائل الإعلام المفتوحة على مصراعيها دون ضابط محدد. وإذا كانت التنشئة الاجتماعية للمشرقي فضلا عن الحياة السياسية وتمايز المحاور السياسية والإعلامية تجعل من هذه المسألة محسومة النتائج بالنسبة له حيث الاصطفاف في النهاية خلف الانتماء الأصلي، أما في الحالة المغربية حيث استطاع الخطاب الشيعي النفاذ من خلال الترويج لنفسه على أرضية أطروحة المظلومية وتحت غطاء محاربة الصهيونية، وبمعية الكثير من رموز الحركة الإسلامية المغربية التي تصدرت وتصدر المشهد الديني والسياسي، مما أربك المغربية ليس بنقل الطائفية كمفهوم بعلاته المشرقية فحسب، وإنما ساهمت في الانتصار لأطروحة مضادة، بل أكثر من ذلك استثمرت فيها لتحقيق انتصارات وهمية على أطيايف منافسة لها في الحقل الديني المغربي، وكل ذلك على حساب الهوية الإسلامية السنية المالكية.

بناءً على كل هذا فإن توظيف مصطلح الطائفية على المستوى الاجتماعي حتى وإن كان مبررا «أكاديميا» إلى حد ما إلا أن استدعائه من بيئة مشرقية معروفة به تاريخيا ومنذ قرون عديدة لدرجة أصبح يحمل الكثير من الحمولة السلبية تتطلب عدم توظيفه في البيئة المغربية التي لم تشهد أو تعيش حالة طائفية مماثلة.

والنخب السياسية والإعلامية عليها مسؤولية تاريخية في التأسيس لخطاب قد تستثمر فيه أطراف خارجية أو داخلية، وليس معنى هذا عدم الانتصار

السلفي الذي يتصدر مواجهة خطر التشيع، ما يسهل نعتة بهذه الصفة لدرجة وضعهم في سلة واحدة مع المتشيعين. وهنا نقف عند الملاحظات التالية:

١- الذي يميز جلّ الطوائف ولا نجده ينطبق على الحالة السلفية هو إضافة إلى المنظومة الأيديولوجية اجتماع البعد العرقي أو العشائري أو القبلي وشغل حيز جغرافي محدد، وقد يغيب أحد العنصرين ولكن لا ينعقد كلاهما، والآراء والمواقف الدينية التي يتميز بها هؤلاء ليست متناقضة تماما مع ما هو موجود في المجتمعات المغربية، بدليل استنادهم على أقوال المالكية في محاجباتهم الفقهية.

٢- المنطلق في التصنيف يجعل كل الحركات الإصلاحية السابقة والحالية وحتى اللاحقة مجرد مظهرات طائفية نتيجة عوامل خارجية بدرجة أولى أو داخلية، فالطائفية يمكن أن تقال أيضا بأثر رجعي على جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي انتهج هو الآخر مسارا إصلاحيا مخالفا لما هو سائد من تدين رسمي وشعبي في تلك المرحلة، ويمكن تعميم ذلك على كل الحركات الإصلاحية المغربية.

٣- ألا يمكن أن نعتبر الدفاع عن الهوية المغربية ممثلة في المرجعية الوطنية المالكية تعصبا وطائفية؟ لماذا يحق لنا الدفاع عن هويتنا ومذهبنا وننتهم من يفعل ذلك في المشرق بالطائفية؟ ثم إذا نظرنا للأحداث في المشرق العربي فمن هو الطرف المهاجم والطرف المدافع؟ حتى الحوثيين في اليمن الذين كانوا في السنوات الماضية يدعون المظلومية ويبررون حروبهم بالدفاع عن مناطقهم في صعدة، ها هم اليوم يسيطرون على صنعاء ويتحالفون مع من يفترض أنه كان يضطهدهم.

للمعتقدات السنية أو قطع الصلة مع المشرق التي يعد مجرد الحديث عنها ضرباً من الخيال، وإنما بغربلة المفاهيم ومعالجة القضايا بموضوعية تسمح بها المسافة الجغرافية بين المشرق والمغرب التي تمكن من قراءة جيدة لمختلف المشكلات.

فكرة الحرس الوطني السني في العراق

علي عبد الهادي^(١) - خاص بالرائد

يدور في الأوساط العراقية حد يُتحول مشروع أمريكي لتشكيل حرس وطني سني للمحافظات السنية، ويتم الآن جس نبض الشارع السني تجاه هذا المشروع.

وتدور فكرة المشروع على إيجاد قوى محلية شعبية تتبع للحكومة ولكنها ليست من قوات الجيش ولا الشرطة في أربع محافظات سنية هي: نينوى والأنبار وصلاح الدين وديالى، كنوع من الحل للقضية السنية في العراق، لكن لا تزال البنية القانونية والإدارية للمشروع هشة وغير واضحة الملامح.

هذه المحاولة تأتي في أعقاب معاناة السنة في العراق من السياسات الطائفية ضدهم بعد احتلال العراق وخاصة خلال ولاية نوري المالكي، الذي أقصى السنة من الأجهزة الأمنية، وقام بشراء ذمم الكثير من قياداتهم صاروا يُعرفون بـ(سنة المالكي).

لم يُطرح مشروع الحرس الوطني بشكل رسمي في مجلس النواب وإنما طرحه بعض السنة في وسائل الإعلام، وفي هذا المقال سنلقي بعض الضوء على هذا المشروع بما له وعليه:

(♦) كاتب عراقي.

هذا المشروع هو جزء من مشروع أمريكي لإعادة تأهيل الأجهزة الأمنية العراقية بعد هزيمتها أمام تنظيم داعش، ووضوح مدى هشاشة وفساد الجهات الأمنية العراقية، وقد عبّر جون كيري وزير خارجية أمريكا عن المشروع بقوله: إننا بحاجة لنزج ميلشيات سنية للجيش، ولكن بحيث تكون قوات احتياطية تحت إمرة مجالس المحافظات السنية، وهي صيغة لا مركزية للجيش، وعلى الحكومة العراقية (الشيعية) أن تلتزم برواتب هذا الحرس وصلاحياته، وكذا أن تعطي في ذات الوقت صلاحيات سياسية أكثر للمحافظات السنية.

فوائد هذا العمل من وجهة النظر الأمريكية هو تخفيف الإحتقان الطائفي في العراق؛ لذلك تؤكد أمريكا أن هذا العمل يحتاج إلى طمأنه العراقيين أن الجيش القادم لن يتدخل في الشأن السياسي العراقي.

تاريخ تجربة الجيوش المؤقتة في العراق:

في مطلع تأسيس الدولة العراقية عمل الإنكليز على تشكيل جيش من الأقليات سمي قوات (Levies / الليفي) من مسيحيي العراقي من الطائفة الآثورية في الشمال، ومن قوات الشبابة في الجنوب الذين استخدمهم الإنكليز لحمايتهم، وكان هذا قبل تأسيس الدولة العراقية.

وبعد ثورة ١٩٥٨م وتحول العراق من الملكية إلى الجمهورية، ظهرت قوات سميّت (قوات الدفاع الشعبي) غالبيتها تشكلت من الشيوعيين.

ثم بعد انقلاب ١٩٦٣ شكل حزب البعث قوات الحرس القومي.

وفي زمن صدام حسين شكل الجيش الشعبي. هذه تجارب كلها كانت سيئة السمعة والصيت عند المواطن العراقي، وهي وجدت أصالة لحماية الحاكم وسلطته ونظامه عندما ينعدم الولاء له في

قوات الجيش والشرطة، فيسعى لنوع من التوازن بإيجاد جيوش شعبية رديفة تتبع له.

تجربة قوات الصحوات ما بعد الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣:

أسست الأحزاب الشيعية ميليشيات طائفية منها ما تأسس منذ الثمانينيات من القرن الماضي في إيران كقوات بدر التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى، ومنها ما تأسس في العراق عقب الاحتلال الأمريكي كجيش المهدي ومليشيات التيار الصدري، ومنها ما ظهر مؤخراً كعصائب أهل الحق، وكتائب أبي الفضل العباس، وهذه نشأت لتنفيذ أجندة إيران بالعراق أو أجندة الأحزاب الشيعية، واستطاع المالكي في سني حكمه الأخيرة ومن خلال التمويل أن يستعملها لخدمة كتلتها ولتجديد رئاسته للحكومة ومحاربة خصومه من الشيعة والسنة.

في المقابل، وفي سنة ٢٠٠٦، وبعد جرائم هذه الميليشيات الشيعية بحق السنة بعد تفجير القبتين في سامراء، تولد رد فعل عند أهل السنة خلاصته: أن أهل السنة أصبحوا بين نارين وبين احتلالين (أمريكي وإيراني) وأن هناك جهة سنية مقاتلة (القاعدة) تستهدف أهل السنة مع ذلك لبناء دولتها الخاصة دون مراعاة مصالح سنة العراق، وأن مشروع القاعدة هو مشروع في أحسن أحواله مشروع عالمي لا يخدم سنة العراق؛ لأنه يمارس التكفير والإقصاء ومحاربة العشائر والحركات السنية المجاهدة والمقاومة، وفي ذات الوقت يفجر في المناطق الشيعية ولا يسيطر عليها مما تسبب في تهجير مئات الآلاف من السنة.

هذا الواقع استدعى قيام عدة جهات سنية بالاتفاق مع الأمريكيين بتشكيل قوات سميت (بالصحوات) وهو تعبير عن إعادة نظر في تحديد مصالح سنة العراق الحقيقية من القتال والمقاومة، كان من أشهرها صحوة عبد الستار أبو ريشة التي

استطاعت القضاء على القاعدة في محافظة الأنبار خلال أشهر، لكنها اشترطت عدم دخول الحكومة (الجيش أو الشرطة) في هذه المناطق كي ينجح عملها، وقدر عدد عناصر الصحوات بين ٦٠ - ٨٠ ألفاً وقليل أصبحوا أكثر من ١٠٠ ألف شخص من أبناء العشائر السنية.

لكن المالكي أدرك خطورة هذه القوات عليه مستقبلاً، فتنصل من الوعود والاتفاقات بدمج الصحوات مع الجيش والشرطة، وعمل على شراء ذمم أكثر قياداتها حتى نخرها الفساد المالي، وعمل المالكي على تمكين القاعدة من قتل وتصفية الآلاف من عناصر الصحوات بغض الطرف عن تحركاتهم وتسهيل فرارهم من السجون، مما أفشل الصحوات.

تجربة الصحوات الثانية:

بعد أن تكونت داعش في سوريا سنة ٢٠١٣، وبعد أن هاجم المالكي ساحات الاعتصام في الأنبار قبل سنة تقريباً معتقلاً النائب الدكتور أحمد العلواني، شأناً للحرب على أهل الأنبار بحجة محاربة داعش، وفشل الجيش الحكومي بتحقيق شيء على الأرض تم اللجوء إلى بقايا الصحوات من أمثال أحمد أبو ريشة، وعشائر البو نمر، والجفايفة وغيرهم من عشائر الأنبار الذين أصبحوا عملاء للحكومة العراقية؛ لذلك لم يلقوا أي قبول داخل الوسط السني، وفشلت المحاولة.

تجربة الحرس الوطني اليوم:

لا تعدو تجربة الحرس الوطني أن تكون صحوة جديدة، لمواجهة داعش لكنها هذه المرة بثمن مختلف، وذلك أن أفرادها سيكونون من يمثل مناطقهم ويحميها، وهذا نوع من الإغراء الحكومي للسنة بدلاً من الفيدرالية، إذ أن السنة شعروا بالإقصاء والتهميش والحرب الطائفية طوال فترة حكم المالكي.

وتقوم فكرة المشروع على تشكيل مجموعات

مسلحة تتنظم خارج الجيش والشرطة الرسميين، للعمل كاحتياطي محلي تحت سيطرة حكام المحافظات، ولكن التفاصيل لا تزال غير واضحة بل غامضة، أما هيكليتها العسكرية فهي تتأسس على هيكلية عسكرية لامركزية، لكن نجاحها يتطلب التزامات من حكومة حيدر العبادي بأن تسمح بنقل سلطات سياسية حقيقية إلى المجتمعات المحلية، في المحافظات السنية.

هناك قبول بالمشروع من بعض العشائر السنية؛ بسبب سوء سلوك داعش وعدم الرغبة بالعودة لحكم القاعدة، والطمع بالمكاسب السياسية والمالية من الدولة.

من عوامل نجاح هذه الفكرة أن الدول المجاورة للعراق كالأردن ودول الخليج تشجعها وتعتبرها القوة السنية التي ستوازي إيران، والتي ستحارب داعش التي تشكل قلقاً للمنطقة، وهي كذلك بالنسبة لبعض دول الخليج قوة عشائرية غير إسلامية.

لكن هذا الاحتضان العربي للمشروع سيكون مبرراً لقلق إيران وشيعة الحكم منه، نظراً إلى أنه يُتوقع أن يتراوح عدد أفراد الحرس الوطني بين ١٢٠ و ٢٠٠ ألف، الأمر الذي سوف يجعل هذه القوة تشكل تهديداً محتملاً للجيش النظامي والشرطة العراقيين، اللذين بلغ عدد عناصرهما التقريبي ٧٥٠ ألفاً (كجيش فقط) في بداية العام ٢٠١٤. وقد انخفض هذا العدد كثيراً بعد ٢٠١٤/٦/١٠ أي بعد أحداث نينوى، بسبب كثرة الهروب والانشقاقات داخل الجيش منذ ذلك الحين وبسبب خسائر المعارك، وأنها قوة على كثرتها مشلولة بسبب المحسوبية والفساد والطائفية.

تحاول إيران أن تبقي الملف الأمني في العراق بيدها، لأنها تخشى من ظهور أي قوة سنية، ولذلك هي تسعى لتسخير المشروع ليصبح أداة لقتال داعش، فيضعف الطرفان ثم تقلص الصلاحيات

العسكرية لها وتحولها إلى قوة منزوعة الدسم. للوصول لذلك تتبع إيران سياسة التلاعب بالعشائر السنية فتمنح هذه أكثر وتقدم هذه وتؤخر تارك وتشعل المنافسات حول العقود والمال للإفساد بين العشائر السنية.

مصير الفكرة:

عملية الفكرة طبقت قبل وجودها، فالصحوات موجودة بالتحديد في الأنبار وصلاح الدين، وداعش لم تترك لهؤلاء فرصة للتفاوض فقد شنت عليهم حملة لا هوادة فيها وقتلت منهم الكثير وأصبحت قضيتهم قضية مصير لذلك دافعوا ووقفوا ضد داعش بصلاية، وقوة، وشعرت الحكومة بحاجتها لأولئك، في مناطق الأنبار وصلاح الدين لكنها فشلت في محافظة كركوك والحويجة.

واليوم وبعد سقوط ٨٠٪ من الأنبار بيد داعش، وتهديد بغداد، يقوم الجيش العراقي مصحوبا بالميليشيات، مع الصحوات بمواجهة قوية في محوريين ويحقق تقدماً ملحوظاً. مما يعني أن هؤلاء سيمثلون السنة في محافظاتهم، أي أن مستقبل الحرس الوطني والصحوات هو حكم المناطق السنية الأربع ويبقى الصراع حول كركوك وديالى.

تطورات الأحداث

وصورة إيران لدى المصريين

أسامة الهتمي^(١) - خاص بالرائد

ليس من شك في أن الشارع المصري شهد وعلى مدار سنوات طويلة حالة من الاستقطاب الفكري الحاد بين وجهتي نظر متباينتين تجاه الدولة الإيرانية الشيعية كانت إحداها وعلى طول الخط منحازة لما يسمى بالتقارب مع إيران حتى لو

(*) كاتب مصري.

وتنظيماته المتعددة الموقف من التقارب مع الشيعة حيث كانت انحيازاته العقيدية واضحة وحاسمة بما لا يسمح له بقبول ما لا يمكن قبوله على مستوى العقيدة انطلاقاً من أن ذلك المنهج مما يفتح الباب على مصراعيه للفتنة وإثارة البلبلة التي تكون مقصودة في ذاتها لتحقيق مآرب وأهداف تكشف ملامحها عدة مرات في التاريخ البعيد والقريب وهي الرؤية التي توافقت معها بعض الاتجاهات غير الإسلامية وإن اختلفت منطلقاتها حيث تكشف لدى هذه الاتجاهات أن الدولة الإيرانية التي تقود الشيعة لا يعدو المذهب الشيعي لديها إلا ستارا تتخفى خلفه من أجل استعادة مجد الإمبراطورية الفارسية ولو على حساب الحقوق العربية والإسلامية وهو ما يبرر إصرار إيران على أن تسمي الخليج العربي بالخليج الفارسي وتواصل احتلالها للجزر الإماراتية الثلاث فضلاً عن إدعاءات بتبعية مملكة البحرين لها وغير ذلك من الأحداث التي بات معلوما لدى القاصي والداني أن محركها لا يستهدف مطلقاً استقرار هذه الأمة أو تحقيق نهضتها حيث الاستغراق في صراعات لاستنزاف الطاقة وإنهاك القوى.

لكن في المقابل وكما أشرنا هناك من يرى أن الدولة الإيرانية بما قدمته من دعم كانت سندا لبعض فصائل المقاومة الأمر الذي كان شوكة في حلق مخططات فرض الهيمنة التي يقودها الحلف الأمريكي الصهيوني في المنطقة، في الوقت الذي تخلفت فيه القوى العربية والإسلامية السنية عن هذا الدور ومن ثم فإن مجرد افتراض غياب هذا الدور الإيراني الشيعي كفيل بأن يجعل الصورة مختلفة تماماً - ووفق نظرهم - عما هي عليه الآن حيث الأرض مهمدة للحلف الأمريكي الصهيوني للتحرك عابثاً في المنطقة دون سقف محدد.

وعلى الرغم من كل الأدبيات الجدلية والفاعليات المتباينة التي قدمها كل طرف في

كان ذلك على حساب غض الطرف عن الكثير من الإشكاليات العقيدية التي يثيرها الشيعة إذ تجاوز عن ذلك في سياق تحقق شكل من أشكال التوحد الإسلامي في مواجهة الإمبريالية الأمريكية والغربية هو مما يعود بالنفع على الأمة الإسلامية بأكملها والتي تتعرض لمحاولات دؤوبة لهدم كياناتها وتضييع هويتها.

فيما لم تستطع ذاكرة أصحاب الرؤية الثانية الرافضة لهذا التقارب السني الشيعي أن تتناسى تاريخ الشيعة البغيض على مر العصور وهم الذين كانوا دائماً يعملون لغير صالح هذه الأمة بل كانوا ووفق الحوادث والوقائع معول هدم حقيقي لقوتها ووحدتها، فما من دولة شيعية إلا وكانت سيوف مقاتليها موجهة للأقاليم والولايات الإسلامية السنية دون أن يفكر قادتها ولو للحظة واحدة في أن يشاركوا في التوسعات الإسلامية خارج حدود الدولة الإسلامية التي بذل المسلمون الكثير من التضحيات والدماء حتى تصبح جزءاً من كنف الأمة الإسلامية.

وبطبيعة الحال ليس سهلاً كما أنه ليس من المنطقي إقامة حاجز يميز بين أصحاب الرؤيتين من حيث الدوافع وراء تبني وجهة دون وجهة إذ اختلطت الدوافع لدى هؤلاء وهؤلاء ما بين سياسية ودينية إلا أن ما يشغلنا بالأساس هو النتيجة النهائية التي على أساسها تشكلت رؤية خاصة إزاء تلك القضية والتي ظلت منذ أربعينيات القرن الميلادي الماضي واحدة من القضايا الجدلية التي نشأت بادئ الأمر بين النخبة الثقافية والفكرية ثم اتسعت شيئاً فشيئاً لتشغل بها الكثير من القوى والتيارات السياسية والفكرية بل وتصبح واحدة من أهم القضايا التي على أساسها تحدث حالة الاستقطاب الثقافي والسياسي.

الرؤية الغالبة

منذ البداية حسم التيار السلفي باتجاهاته

محاولة لإقناع الطرف الآخر إلا أن ذلك لم يكن مقنعا لأيهما بتبني وجهة النظر الأخرى خاصة وأن إيران نفسها لم تكن بعيدة عن الساحة حيث كانت وما زالت على خط الدعم المادي والمعنوي لأصحاب الرؤية القريبة منها حتى كان ما كان من إقالة الرئيس الدكتور محمد مرسي وإزاحته عن حكم البلاد ومن ثم انكشاف الموقف الإيراني الذي وبعد سويغات قليلة من إعلان طهران عن رفضها لتدخل الجيش المصري في الحياة السياسية سارعت وأعلنت موافقتها وقبولها لما حدث في مصر بل واعتبارها أن ما حدث في الثلاثين من يونيو ٢٠١٢م هو ثورة شعبية وليس انقلابا عسكريا الأمر الذي كان سببا ودافعا قويا إلى أن يعيد قطاع كبير من التيار المحسوب على الرأي القائل بالتقارب مع إيران النظر من جديد في تقييمه للدولة الإيرانية وحقيقة أهدافها والانحياز للرؤية الراضية لهذا التقارب.

والواضح أن منطلقات تغيير الرؤية كانت في بداياتها سياسية لكنها بعد فترة سعت إلى ترسيخ وتأسيس هذه الرؤية الجديدة على المستوى الديني والعقدي ومن ثم فقد حدث بشكل أو بآخر توافق بين الكثير من أبناء الحركات الإسلامية الذين كانوا وحتى وقت قريب ضمن حالة الاستقطاب الفكري فيما يخص الموقف من إيران فبدت صورة جديدة تقاربت فيها رؤيتهما من إيران وافترقت بهما المواقف السياسية الداخلية.

كما شمل هذا التغيير الفكري تيارات وقوى غير إسلامية تكشف لها أن إيران بالفعل دولة برجماتية تتعاطى مع القضايا العربية والإسلامية وفق مصالحها القومية وبعيدا عما ترفعه من شعارات قيمية أو مبدئية ليست سوى وسائل خداع واستخفاف بالعقول فبدا لها أن إيران لاعب أساسي وفاعل في إحداث حالة التوتر سواء كان ذلك في الداخل المصري أو في المنطقة برمتها وهو الأمر

الذي ينعكس سلبا على الأوضاع في كل بلد عربي على حدة.

في هذا السياق وفي ظل المتوقع من السقطات السياسية الإيرانية التي تسقط قناع طهران يوما بعد يوم ستوسع حتما دائرة الراضين والناقمين على السلوك الإيراني، الأمر الذي يخصم من رصيدها الشعبي والنخبوي الذي بذلت في صنعه طيلة العقود الماضية جهدا كبيرا لا شك أنه كلفها الكثير لتخسر بذلك الجهد والهدف.

ولعل التطورات الراهنة التي تشهدها المنطقة في الوقت الحالي تعكس إلى أي مدى سقطت الدولة الإيرانية في مستنقع التعري الذي لا يمكن لها مطلقا أن تخرج منه على تلك الهيئة التي ما فتأت تحاول أن تظهر عليها ومن ذلك:

التبجح الذي تبديه إيران في دعم رجالها ودعاة التشيع في مصر حيث إعلان التشيع عبر الفضائيات الشيعية وبصيف تحقّر من شأن صحابة الرسول ﷺ بل وتلعن الصديق أبا بكر والفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعا دون إبداء أي تحسب لإثارة مشاعر أهل السنة.

ويبرز في هذا الصدد مقطع فيديو مقتطع من حلقة تلفزيونية بإحدى القنوات الفضائية الشيعية يظهر فيه ذلك المدعو ياسر الحبيب وهو يتواصل هاتفيا مع أختين شابتين من مصر وقد أعلن أنهما اهتديا إلى المذهب الشيعي ليقوم هو بدوره بتلقينهما الشهادة الجديدة التي على أساسها تصبحان مسلمتين متشيعتين بما يعني صراحة أنهما لم تكونا على الإسلام الصحيح الأمر الذي يحمل رسالة مفادها أن الأغلبية المسلمة في مصر ليست على الدين الصحيح إن لم تتبن المذهب الشيعي.

والمستمع لكلمات التلقين التي طلب المدعو الحبيب من الفتاتين ترديدهما تحملاً كماً كبيراً من الحقد الدفين لصحابة النبي ﷺ فمما جاء فيها: أشهد أن أمير المؤمنين علياً ولي الله .. أشهد أن فاطمة الزهراء وأبناءها المعصومين حجج الله .. أبرأ إلى الله من أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وسائر أعداء أهل بيت رسول الله .. أشهد أن أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة في النار».. ثم يهنئ المدعو الحبيب الفتاتين بعد ترديد الشهادة الجديدة ويبارك لهما ولأبيهما الذي أحسن تربيتهما.

وتعود أهمية هذا المقطع الخاصة بالمدعو ياسر الحبيب إلى كونه شهادة قاطعة على حقيقة الموقف الشيعي من خلفاء النبي ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين بما يرد على دعاوى ومزاعم الشيعة بأن ذلك ليس من أصل مذهبهم وأنهم لا يقولون في أبي بكر وعمر وعثمان وأمهات المؤمنين إلا ما يقول أهل السنة الأمر الذي يجرح أيما إحراج هؤلاء المخدوعين من أهل السنة.

وعلى المستوى السياسي كان للأحداث المتصاعدة في اليمن أثر كبير في تغيير الصورة الذهنية عن إيران حيث الدعم المالي واللوجستي الذي تقدمه للشيعة الحوثيين هناك من أجل فرض سيطرتهم على كامل التراب اليمني في إطار محاولات طهران لتشنيد الخناق على المملكة العربية السعودية وممارسة أشد الضغوط عليها غير أن هذه الخطوة ستشكل في جوهرها تهديداً حقيقياً للأمن القومي المصري على الرغم من بعد المسافات والحدود الجغرافية بين مصر واليمن، فسيطرة الحوثيين على اليمن تعني سيطرة إيران على اليمن بما يتبع ذلك من إمكانية السيطرة على مضيق باب المندب الذي هو مدخل لقناة السويس.

ومع خطورة الوضع يحاول البعض التخفيف من

حدثه متعللين بأن مضيق باب المندب مضيق دولي تحكمه قوانين وأمر دوليه قوية كونه منفذاً مائياً حيوياً ومؤثراً وبالتالي يصعب تقبل المجتمع الدولي شيئاً من هذا، وهو مبرر يتهافت أمام الموقف الإيراني مثلاً من برنامجها النووي وتحديها للمجتمع الدولي أو أمام إصرارها على التدخل في العراق أو التحرك بقواتها لمساعدة بشار الأسد في سوريا أو حتى تقديم الدعم المادي إلى قوات الحوثيين ومساعدتهم على هز استقرار وأمن الدولة اليمنية.

ويتناسى هؤلاء أنه حتى ولو بافتراض أن الحوثيين ومن ثم إيران لم تقصد عامدة بشكل مباشر تعطيل مرور السفن من مضيق باب المندب فإن حالة الانفلات الأمني والتوتر في اليمن وبالمضيق كفيلة بأن تقلل من مرور السفن وهو ما سيؤثر بشكل سلبي على حركة التجارة في قناة السويس وبالتالي التأثير على إيراداتها أو تعطل التوسعات الجديدة في القناة التي تحتاج إلى ضخ استثمارات ضخمة في السنوات المقبلة.

ويأتي من بين عوامل تشكل رؤية سلبية حول إيران في المرحلة المقبلة أن النظام السياسي الجديد بقيادة عبد الفتاح السيسي يتجه في جميع سياساته بما يتوافق مع التحالف الخليجي وليس التحالف الإيراني حتى وإن بدا الآن وجود توافق إيراني - خليجي - أمريكي فيما يخص الحرب المعلنة على ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في كل من سوريا والعراق فهي حرب يدرك الجميع أنها مؤقتة لكن يبقى في النهاية أن الإستراتيجيات الخليجية والإيرانية متناقضة إلى حد كبير.

أخرى مجموعة من الأيديولوجيات الشديدة التباين، التي لا يجمع بينها سوى رفض الحل السياسي الذي يقترحه التيار الإسلامي^(١).

ولاشك أن الهجوم على وضعية المرأة المسلمة

داخل المشروع الإسلامي تأتي في القلب من هذه النظرية وترتكز منهجية تعاطيهم مع قضايا المرأة المسلمة على النحو التالي:

١- الهجوم الواضح والصريح، بل والبالغ الوقاحة، على النصوص الدينية وليس فقط على الممارسات أو السلوكيات أو حتى التأويلات والتفسيرات لهذه النصوص، وهم في هذا السياق يختلفون مع أصحاب الاتجاه العلماني والليبرالي بمدارسه المتنوعة حيث ينصب هجومهم على الممارسة أو التأويل بينما يحيط النصوص الدينية بقدر كبير من الاحترام والتقدير الظاهري وهو تباين مقصود من اليساريين، فهذا الغلو في النقد والهجوم اللاذع والتجبرؤ على المقدسات يمنحهم المزيد من الظهور على الساحة الثقافية حتى لو حملوا المزيد من كراهية الجماهير لهم.

٢- التدليس الثقافي، فهم يدرسون التراث الإسلامي بحثاً عن أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو روايات غير ثابتة وردت في بعض الكتب حيث يتعاملون معها على أنها نصوص ثابتة وصحيحة ويحاكمون الفكر الإسلامي وفقاً لهذه النصوص بل ويعمدون إلى تأويلها بأسوأ صورة ممكنة وأشدّها تنفيراً.

٣ - الاستعانة بجميع روافد الفكر النسوي الغربي الليبرالي ومقرراته الأممية وبجهوده والتوافق معه في هذه الجزئية تحديداً، أي قضايا المرأة.

٤- على الرغم من التوافق مع الفكر النسوي الليبرالي خاصة في صورته المتطرفة من قضايا المرأة

(١) السابق.

منهج اليسار في التعاطي مع قضايا المرأة المسلمة

كتابات سناء المصري نموذجاً

فاطمة عبد الرؤوف^(٢) - خاص بالرائد

على الرغم من أن الضربات الموجهة التي تلقاها التيار اليساري على مستوى النظرية أو التطبيق كانت بالغة القسوة وذلك منذ نهايات القرن المنصرم وحتى الآن إلا أن ذلك لم يمنع أتباع هذا المنهج من الإصرار على التواجد على نحوٍ ما، خاصة في محيطنا العربي.

ولكنهم وكبدل للدفاع عن أفكارهم المهزومة والمنبوذة في آن واحد والتي لا تلقى أي قدر من القبول وسط الجماهير العريضة استخدموا تقنية الهجوم على الفكر الإسلامي كنظرية جديدة لليساير العربي استعارها من المنهج العلماني الأوسع حتى أصبحت لصيقة به، وهو ما اعترف به الدكتور فؤاد زكريا: «لقد أصبحت العلمانية دفاعية قبل كل شيء، إنها تستهدف مقاومة التيار الإسلامي الجارف، ولا تستهدف بناء مشروعها الخاص، إنها الآن علمانية سلبية».

ويوضح اعترافه أكثر بقوله: «هكذا نلمس بوضوح الفارق بين التيار الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني الذي يتصدى له، فالتضاد بينهما ليس تضاداً بين مشروعين، إنما هناك مشروع إسلامي من ناحية، ومحاولات دفاعية لنقد هذا المشروع وبيان ضعفه من ناحية أخرى، وهو ليس تضاداً بين أيديولوجيتين، لأن هناك أيديولوجية إسلامية تختلف تياراتها في التفاصيل، ولكن الاتجاه العام والاستراتيجية بعيدة المدى متقاربة، وهناك من جهة

(٢) كاتبة مصرية.

إلا أن الفكر اليساري يقدم إضافة خاصة به - وهي آخر ما تبقى من ملامح مشروعه الفكري - وهي إشكالية المرأة والطبقة حيث يركز فكرهم على قضية الصراع الطبقي.

٥- رفض مؤسسة الأسرة وشن هجوم عليها والدعوة لإلغائها باعتبارها العمود الفقري للمجتمع الإسلامي.

خلف الحجاب

هل يمكننا القول إن علينا كإسلاميين أن نقرأ الآخر قراءة عميقة متأنية نبحث فيها عن صورتنا في عيونه وعن تلك الصورة التي يريد أن يسوقها عنا؟ أظن أن قراءة كهذه تمنحنا فرصة أفضل للمواجهة والرد ووضع منهجية استراتيجية في التعامل مع أعداء المشروع الإسلامي، وفي هذا السياق أقدم كتابات اليسارية سناء المصري كنموذج لمنهج اليسار في التعاطي مع قضايا المرأة المسلمة.

سناء المصري يسارية ماركسية وناشطة في مجال حقوق المرأة ووجه معروف في الوسط الماركسي، عرفت طريقها للشهرة عندما حضرت المناظرة الشهيرة بين الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي من جهة، والدكتور فؤاد زكريا من جهة أخرى. تلك المناظرة التي حملت عنوان (بين الإسلام والعلمانية) في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي تحديدا في عام ١٩٨٦م في مقر نقابة الأطباء .. في ذلك اليوم تحدثت سناء المصري في مداخلة صغيرة عن أوضاع النساء في ظل الإسلام وعن الأقباط بطريقة مستفزة وحادة وهاجمت الإسلاميين بضراوة .. بعدها قررت سناء التفرغ لعمل دراسة عن أوضاع النساء في ظل تعاليم الإسلام أطلقت عليها «خلف الحجاب» أنجزتها بعد المناظرة بثلاث سنوات أي في العام ١٩٨٩م، وفي عام ١٩٩٦م أصدرت دراستها الثانية بعنوان «هوامش الفتح العربي» هاجمت فيه الفتح الإسلامي

واعتمدت على مصادر نصرانية غير موثقة تتحدث عن مقاومة الأقباط وتوحش المسلمين.

رحلت سناء المصري عام ٢٠٠٠م عن عمر يناهز الثانية والأربعين.

بعد مرور أربعة عشر عاما على وفاة المصري وربع قرن على صدور كتابها «خلف الحجاب» أعادت مكتبة الأسرة وهي مؤسسة مصرية حكومية نشر الكتاب وتوزيعه بسعر رمزي (خمسة جنيهات مصرية) وهو ما يثير علامات استفهام كثيرة جدا عن المغزى من إعادة نشر هذه الكتابات التي تهاجم الإسلام مباشرة وبوقاحة منقطعة النظير كمنهجية اليساريين عموما وهو ما سيتضح في السطور التالية.

هجوم وقح

منهجية الكاتبة اليسارية هي الهجوم الحاد على الفكر الإسلامي الذي تصفه في أكثر من موضع بالديماجوجية (كلامٌ فضفاضٌ لا منطوقٌ له، يُحاولُ صاحبه أن يَسْتَمِيلَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورَ بِالْإِغْرَاءِ) أي أن الفكر الإسلامي مجرد ترهات إنشائية تلهب المشاعر وتغيّب العقل (إن الدعاية الإسلامية الإنشائية تلجأ في الحقيقة إلى أكبر قدر من الديماجوجية في مخاطبة جمهورها بهدف استثارته ضد المحولات العقلانية في التاريخ)^(١).

والدعوة الإسلامية علاوة على كونها ديماجوجية فهي عنصرية وجمهورها العريض الذي انفص من حول التيار اليساري هو ذلك الجمهور المنهك العاجز، أوليس الدين أفيون الشعوب كما قال زعيمها الملهم!

(وبين الدعوة للتحرر والدعوة للتحجب قرابة تسعين عاما حققت فيها البرجوازية بعض مهامها ومُنيت الكثير من الهزائم ليعلن لسان حالها أنها لا تستطيع إنجاز بقية المهام .. فانكفأت على ذاتها مرة

(١) خلف الحجاب .. سناء المصري ص ٢٦٧.

أخرى وراحت تبحث عن حل يخرجها من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تطبق على صدر جمهورها من الموظفين والموظفات والتكنوقراط وصغار التجار والحرفيين وزوجاتهم راحت تبحث عن حل ينفي عنها العجز.. ووجد هذا الجمهور المتعب والمثقل بالهزائم في أشد الدعوات عنصرية وديماجوجية ما يظن أنه الحل^(١).

انتكاس الفطرة

لا أظن أنه من التجني في شيء القول بأن الماركسيين قد انتكست فطرتهم إلى الحد الذي يجعلهم يخلطون بشكل يثير الدهشة والتعجب بين طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة عموماً وبين العلاقة الخاصة بين الزوجين فبينما يطالبون بجعل علاقة الرجل والمرأة بلا حدود طبيعية كما الحيوانات يطالبون بوضع التحفظات والحدود بين الزوجين، تقول المصري وهي تنعي على الإسلاميين استقامة فطرتهم:

(وهم عندما يطالبونها بإخفاء جسدها العورة ويسبونها بأقذع الشتائم وأبشع الصفات يغازلون لديها في الوقت نفسه المثيرات الحسية ويطالبونها بأن تكون عاهرة للزوج في مواضع أخرى ... والمادة التي تدور حول تصورهم هذا من الغزارة والفجاجة بحيث كان يكفي تجميعها ووضعها جوار بعضها البعض لتعطي صورة صارخة عن هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن المرأة ويتحدثون باسم الحفاظ عليها)^(٢).

فالكاتبة ترى أن كل حديث الإسلاميين عن تكريم الإسلام للمرأة هو كلام ديماجوجي وغير صادق وترى أن الإسلاميين يسبون النساء بأقذع الشتائم وعندما تبحث عن هذه الشتائم لا تجد بغيتها إلا في مثل «النساء سفهاء إلا التي أطاعت

زوجها» وهو حديث منكر ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة أو كحديث «للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات» الذي ذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء وذكر ضعفه ولكن المصري تستغل الحديث وتعتبره صحيحاً كما لو كان في البخاري وتعلق عليه بقولها:

(فكيف ستتعامل المرأة مع نفسها إذا صدقت أنها عورة لا ليست عورة واحدة بل عشر عورات؟ وكيف سيتعامل معها الرجل إذا صدق أنها عورات مركبة وأنه حتى إذا تكرم وتعطف عليها بستر عورة واحدة فستظل أبداً حياتها تنوء بالتسع الأخريات لا تعرف كيف تغطيها أو تواربها؟ وأي حالة من الكراهية للذات تلك التي يسببها تصور أنه لن يسترها إلا الموت وإهالة التراب فوق جسدها مبعث الشرور والمفاسد من وجهة نظر الجماعات الإسلامية ...)^(٣).

وعندما تتعرض الكاتبة لحديث وافدة النساء تعكس المعنى المقصود منه فبينما يتم الحديث عن أن تأمين الجبهة الداخلية للبيت يعدل كل أعمال الرجل الشاقة تأبى الكاتبة إلا اعتبار أعمال الرجل ذات شأن اجتماعي بينما أعمال المرأة تكرر من خفض قيمتها (إذن فهذا التصور الذي يرفع مكانة الرجل إلى حد التقديس والاعتراف بحقه وتبجيله لاحتكاره المهام ذات الشأن الاجتماعي هو نفسه الذي يخفض من قيمة المرأة ويقلل شأنها وشأن قدراتها العقلية والنفسية)^(٤).

المرأة والطبقة

الركيزة الأساسية في الفكر اليساري هي الصراع الطبقي الذي تتمحور حوله الحياة البشرية في رأيهم وهم يرون في الفكر الإسلامي صورة

(٣) السابق ص ٣٠٤، ٣٠٣.

(٤) السابق ص ٢٩٥.

(١) السابق ص ٢٨٥، ٢٨٤.

(٢) السابق ص ٢٨٩، ٢٨٨.

أخرى للرأسمالية المتوحشة ترتدي رداء الدين وليس ذلك إلا لأن الإسلام احترام الملكية الخاصة طالما أن الثري يقوم بدفع زكاته المستحقة وطالما أن شروط العمل عادلة وغير ظالمة يأخذها العامل دون ممانعة (اعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

وللمرأة أن تعمل على ألا يمس العمل كرامتها ويتأكد ذلك في حالة احتياجها للعمل أو في بعض التخصصات التي تكون الحاجة لها ماسة، ولقد كانت السيدة خديجة ثرية وتعمل في التجارة بينما كانت أم المؤمنين زينب أم المساكين تعمل في غزل الصوف، وكان من نساء المؤمنين من لها بستان من نخل تعمل فيه وبعضهن تعمل في مجال التجميل كماشطة للنساء والمجال واسع ولكن سناء المصري ابتكرت شرطاً وحيداً وادعت أن هذا هو ما جاء به الفكر الإسلامي وهو أن تكون المرأة معدمة حتى يسهل استغلالها:

(فشرط عمل المرأة في الفكر الإسلامي أن تكون امرأة تحت خط الفقر لا تملك ما تأكله هي ومن تعمل .. لا تملك ما تغطي به جسدها، لا تملك أن تفكر في شيء سوى الحصول على لقمة العيش أو الحد الأدنى من لقمة العيش...عند هذه الدرجة من الحاجة الماسة التي لا تسمح بأن تفكر أو أن تختار شروطاً أفضل للعمل والحياة .. عند هذه الدرجة التي لا تجعلها تشعر حتى بأدميتها يمكن فقط أن يسمح الفكر الإسلامي للمرأة أن تنزل ميدان العمل ذليلة .. ضعيفة .. مذعورة .. تتلفت حول نفسها .. تنظر إلى ثيابها الرثة فتشدها حتى يمكن أن تغطي أعضائها الموصومة بالحرمة في نظر السادة الإسلاميين)^(١).

ويبدو أن سناء المصري لم تلتق طبيبات وكاتبات وأستاذات بالجامعة وسيدات أعمال

مسلمات فضلت رهينة اليد العاملة التي تعيش تحت خط الفقر حتى تقرر أنه (ليس مسموحاً لها أن تخترق الميادين ذات الشأن الاجتماعي ولكن أن تعمل في المجالات التي تمكن هذا المجتمع الإسلامي الفاضل من تكثيف درجة استغلالها كيد عاملة تقبل سعراً أقل وساعات عمل أكبر وظروفاً أسوأ)^(٢).

إنها تتناقض مع نفسها ومع المنطق عندما ترفض الاستفادة إنسان من عمل إنسان آخر فترفض أن تشتري سيدة ثرية ثوباً من صناعة سيدة فقيرة لأنها بمثابة «خدمة» وتقوم بالربط بطريقة مستفزة بين العمل الصناعي وبين العلاقة الزوجية التي تجعلها بمثابة سلعة بعد أن أطلقت على الرجل مصطلح السيد الرأسمالي المسلم (وسواء كانت الصناعات منزلية كأنواع الحرف في التطريز والحيافة التي تخدم حاجات السيدات المسلمات من الطبقات الأعلى .. واللاتي يخدمن بدورهن فيما استهلاكية وجنسية ويرضين حاجة السيد الرأسمالي المسلم صاحب الزوجات الأربع وربما المئات من الجوار)^(٣).

إنها تُصور صاحب العمل المسلم بطريقة بشعة وتتناسى كل القيم الخلقية التي جاء بها الإسلام فساوت بين صاحب العمل المسلم صاحب الخلق الرفيع والرأسمالي المتوحش (الرأسمالي الإسلامي سيفتح مصانع خاصة للنساء يحافظ فيها على أجسامهن بطحنها في العمل وتحقيق فائض القيمة وإحداث تراكم رأسمالي سريع. السيد الإسلامي يحرم حق الإضراب وحق التظاهر وحق دخول النقابات والاشتراك في الانتخابات وانتزاع الحقوق السياسية من النساء)^(٤).

ربما يكون الشيء الوحيد في كلام المصري هو

(٢) السابق ص ٣٣٠.

(٣) السابق ص ٣٣١.

(٤) السابق ص ٣٣٢، ٣٣١ بتصرف يسير.

(١) السابق ص ٣٣٠، ٣٢٩.

أن مشرونا الإسلامي بحاجة لكتابات اقتصادية متخصصة وتفصيلية فيما يتعلق بحقوق العمال وآليات الحصول على هذه الحقوق إذا لم تؤد وباجة أشد للبحث عن حقوق النساء العاملات حتى تصان كرامتهن ولا تتضرر الأسرة جراء عمل المرأة المأجور أقول هذا الكلام من منطلق القوة والثقة في الذات الحضارية التي تسمح لها بالتجدد وفقا لمقتضيات كل عصر ونحن نستلهم مقولة عمر الشهيرة رحم الله امراً أهدي إلي عيوي، وهذه كلمات المصري:

(إن من بين مئات الكتب التي طبعتها الجماعات الإسلامية لتدين المرأة المعاصرة وتنادي بعدم اختلاطها بالرجال من بين آلاف الخطب التي يلقيها دعائهم لتؤكد على حق الرجل كسيد قوام - ومن باب أولى الرجل الغني في المجتمع الإسلامي - لا حديث عن وسيلة واحدة تدافع بها المرأة الفقيرة التي سمحوا لها بالنزول إلى سوق العمل وإلى بيع قوة عملها - مصورين لها ذلك على أنه مطلق السماحة والعدل - لا حديث عن وسيلة واحدة تدافع بها عن حقوقها ضد الاستغلال المكثف ذلك لأنها وبمقتضى تلك القوانين الإسلامية يجب أن توضع بين فكي الرحي لتعصر مرة لأنها امرأة وأخرى لكونها امرأة عاملة)^(١).

عرش من الأشواك

إن المنهج اليساري يرفض مؤسسة الأسرة ويغضها ويجاهر بذلك، لذلك يشن هجومه على البيت المسلم الآمن حتى يقوم بتفكيكه سعياً لحالة من السيولة المقصودة فسناء المصري تردد نفس الأفكار القديمة: المهر ثمن العروس.. النفقة ثمن الطاعة.. الزواج يشبه سوق النخاسة:

(ثمن تمكين الزوج من قضاء شهوته الجنسية هو المهر وتمكينه من التحكم في الزوجة

(١) السابق ص ٢٢٢، ٢٢٣.

والاستمتاع بطاعتها الدائمة هو النفقة. ومن يدفع أكثر يستطيع أن يخضع زوجته أكثر فتتحول العلاقات الخاصة إلى سوق يصول فيه أصحاب الدنانير الذهبية والعملات الأجنبية.

فيا لها من مملكة تكون الغلبة فيها لمن يدفع أكثر.. وبإلها من ملكة يملكها الرجل لقاء الثمن المادي^(٢).

إنها تلح على فكرة أن الإسلاميين يرون في المرأة نصف إنسان وفي رأيها أن استقلال المرأة الاقتصادي سيجعلها إنساناً كاملاً (يبدو أن المزعج في موضوع الاستقلال الاقتصادي للمرأة بالنسبة إلى الجماعات الإسلامية يكمن في أن تجرب المرأة نفسها ككائن كامل لا كنصف إنسان يعتمد على الرجال دائماً)^(٣).

ولكن السؤال الملح: هل عاشت المرأة اليسارية كإنسان كامل عندما خاضت تجربة الاستقلال الاقتصادي وكفرت بالأسرة.. سؤال تعرف إجابته جيداً هؤلاء الناشطات اللاتي عرفت بعضهن عن قرب وانتهى الحال ببعضهن للانتحار من جراء العنت الذكوري الذي عايشنه مع المثقف الماركسي^(٤).

القاعدة والجهل بفق

الصراع الإسلامي - الشيوعي

سعيد السويدي^(٥) - خاص بالراصد

تتعلق السياسة الإيرانية من مرتكزات عقائدية قائمة على تعظيم الأئمة الإثني عشر

(٢) السابق ص ٣٥٦.

(٣) السابق ص ٣٥٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن الحياة البائسة لليساريات مراجعة مقال سماح عادل.. أروى صالح مناضلة أحبطها العنت الذكوري.

(٥) كاتب عراقي.

وتحويل مراقدهم إلى مقدسات ومعابد تهوي إليها أفئدة العوام، وتهدف من تعميق حب هذه الأضرحة وتوثيق صلة الناس بها، أن يلتف الناس حول ساسة إيران - رغم فسادهم وسوء إدارتهم- ويصبح التحام الجمهور الشيعي مع قيادته من لوازم تعظيم الأئمة وحماية مذهبهم.

فتعظيم ورعاية وحماية القبور المقدسة عند الشيعة من أهم وسائل إيران للتوسع والتمدد من خلال استنفار همم عوام الشيعة للدفاع عنها، ولم تتمكن إيران من السيطرة على بغداد ودمشق ولم تتربسح هيمنتها الظاهرة فيها إلا بذريعة الدفاع عن المراقد.

فبجحة تفجير مرقد العسكريين في سامراء (٢٠٠٦/٢) قام الشيعة بطرد السنة من بغداد وتحويلها إلى مدينة شيعية و«عاصمة موالية لآل البيت»، كما أن التذرع بحماية مرقد زينب في ريف دمشق ملأ العاصمة السورية وبعض ضواحيها بالآلاف المقاتلين الشيعة من لبنان والعراق وإيران وأفغانستان.

أما تنظيم القاعدة فسياسته خلاف ذلك تماماً، فهو أولاً يتهم المسلمين في عقيدتهم لأن صحة العقيدة عنده مرهون بالثورة على النظام السياسي، فتستعدي الناس فتتفرهم عن دينهم وتوحيدهم أولاً، وتبعدهم عن مناصرتهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم لا يفقهون التوحيد كما يفقهه السلفيون، فالتوحيد عندهم فقط صدام ومفاصلة مع قوى الكفر، والتوحيد عند السلفيين مع ذلك دعوة وتصحيح مفاهيم ورد شبهات، وهذا الخلاف يتجسد في التفريق فيما يعرف بشرك القبور وشرك القصور (كناية عن الأنظمة).

إن شرك القبور الذي يحذر منه السلفيون

والذي يصفه المقدسي بأنه (توحيد ناقص مجزأ)^(١) هو سر تفوق الإيرانيين وسياستهم، ولذلك لما أغفل تنظيم القاعدة هذا الأصل العظيم، لم يستطع أن يقاوم الإيرانيين بعقلية «شرك القصور والدساتير الوضعية».

وسياسة إيران المتعمدة على شرك القبور لا تواجه تهديداً حقيقياً من جعجة الإسلاميين السنة الذين يكثرون من الكلام عن شرك القصور وعمالة الأنظمة العربية وفسادها بل هي تلتقي معهم في عداوة الأنظمة (الموالية للغرب)، وإنما يكمن التهديد الحقيقي لإيران والشيعة في العقيدة الوهابية كما يسمونها لأنها وحدها دون غيرها تولي اهتماماً خاصة بالتوحيد والخطر السياسي للاعتقاد القبوري عند الشيعة.

ونسرد فيما يأتي كلام لبعض مفكري ومنظري القاعدة عن شرك القصور وشرك القبور، لتتضح أمام القارئ الصورة الذهنية التي تحكم القاعدة وتعيقها عن فهم إيران ومعتقداتها وأسباب قوتها وكيفية مقاومتها.

يقول أبو قتادة الفلسطيني: (هل وقعت أمة الإسلام في الشرك والكفر؟ وفورا سيقفز للذهن التهم التقليدية نحو أهل التوحيد: خوارج، جماعات الغلو، المارقين وغيرها إلى آخر هذه القائمة السوداء).

أما أن أمة محمد ﷺ يصيبها ما أصاب الأمم السابقة من الشرك والكفر فنعم وألف نعم، والقائلون ببراءة الأمة المنتسبة للإسلام من الشرك هم جاهلون بحقيقة التوحيد، لا يعرفون منه إلا لفظه، ثم فرق بين أنواع الشرك فقال: (الشرك الأول: وهو شرك عبادة الأوثان، والشرك الثاني: شرك الدساتير والقوانين الوثنية...وقد لحقت

(١) ملة إبراهيم (ص ١٦).

طوائف من أمتنا بهذا الشرك والكفر، ودخلت فيه إلى أعناقها، وهذا شرك الناس هذه الأيام وأغلبه... وهذا النوع من الشرك قد كثر هذه الأيام وتعاضم أكثر من غيره من صور الشرك الأخرى، وهو بلا شك صورة جديدة بهذه الكثرة لم تعهدها أمتنا من قبل على هذه الشاكلة من الكثرة والوضوح، ولأن كثيراً من الناس قد مات لديهم الإبداع في اكتشاف صور الشرك وتجده في حياة الناس، فإنهم ما زالوا يحاربون الشرك بصوره التي حاربها الأوائل من عبادة قبور وغيرها، وأما ما أحدث الناس من شرك جديد وهو شرك الطاعة والتحاكم لغير الله فهم لا يقيمون له وزناً، ولا يرفعون له رأساً.

فإلى جانب إصرارهم العجيب على حصر مفهوم «الشرك» في «شرك القبور» تحديدًا، تحولت دعوة «التوحيد» بين أيديهم إلى وسيلة عملية لتفريق الأمة وتمزيقها وبث الصراعات في جنباتها، ذلك في الوقت التي اتحدت فيه باقي الأمم لترميها عن قوس واحدة فياتحاد نادر الحدوث في التاريخ البشري، فلم يكذب يشذ عنه دين أو ملة أو تكتل سياسي، حتى شمل أغلبية مسلمة معتدلة من الحكام وأصحاب الثروات وعلماء الدين.

هناك عقائد إسلامية عظيمة تأخذ مصاديق جديدة مع كل عصر طبقاً للتطور المستمر في حياة الناس، ذلك التطور يعطى مصاديق جديدة حتى للإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك. فلا يعقل أن يظل «التوحيد» ذلك المبدأ الأعظم في الإسلام منصرفاً إلى مكافحة «شرك القبور»، ذلك الشرك الموهوم في أكثر الأحوال، فلدى الصوفية والشيعية ما يستحق الإنصات إليه. أما ممارسات العوام فالكثير منها يعود إلى (شرك الجهل والفقر والحاجة والقهر السياسي وهي «موبقات» يجب أن تنقشع عن المجتمعات)، الأمر الذي سيستلزم القضاء على الفقر والاستبداد واحتكار السلطة والثروة.. وقبل كل شيء التحرر من السطوة الخارجية المباشرة (الاحتلال) أو غير المباشرة (تحالفات السلام والصداقة والتعاون المشترك).

وإذا كان هناك من الجماعات الإسلامية ممن لم تكتشف شرك القبور، بل دخل بعض أفرادها فيه، فإن هناك طوائف من الجماعات الإسلامية لم تكتشف شرك القصور بل دخل بعض أفرادها فيه^(١).

وإذا كان هناك من الجماعات الإسلامية ممن لم تكتشف شرك القبور، بل دخل بعض أفرادها فيه، فإن هناك طوائف من الجماعات الإسلامية لم تكتشف شرك القصور بل دخل بعض أفرادها فيه^(١).

لكن هناك رؤية جديدة لم تنتشر كثيراً وهي رؤية مصطفى حامد أبو الوليد المصري أحد رموز الجهاد الأفغاني وله كتب كثيرة، فقد كتب تحت عنوان (من شرك القبور إلى شرك الشركات متعددة الجنسيات): (يتباهى إخواننا السلفيون بعقيدة يتعالون بها على باقي «الفرق» الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بالتوحيد وفهمهم الخاص لها، ويضعون ذلك الفهم في مقابلة الشرك الذي لا يكاد ينجو منه مسلم في نظرهم، مع

(١) (بين منهجين -سلسلة مقالات) المقال السابع، وقد طبعت مقالاته البالغ عددها (٩٨) في كتاب.

ولذلك جاء نقده لدعاة التوحيد أشد من نقد المقدسي وأبي قتادة على أن الجميع مشتركون في ذات الغاية والمقصد.

وأبو الوليد المصري الذي يرى عدم الصدام مع إيران والاستفادة منها قدر المستطاع في صالح الجهاد، وربما هذا عائد لعدم اطلاعه على كتب السلفيين وأدبياتهم فالحاجز العقائدي والنفسي ضد إيران غير موجود لديه، لكن من العجب أن يلتقي معه في ذات النظرة - إلى حد ما - عطية الله الليبي الذي يفترض أنه تشرب عداوة الشيعة من كتب السلفيين ويملك وعياً عقائدياً يمنعه عن التورط مع إيران ولو تحت ستار المصلحة الجهادية!!

يقول عطية الله: (النصارى الصليبيون (أمريكا والغرب) عدو، والرافضة ومجوس إيران عدو، ونحن المسلمين والحركة الجهادية التي هي طليعة أمة الإسلام اليوم، تعرف بحمد الله تعالى وتفقه كيف تتصدى لأعدائها وتجاهدهم على بصيرة وعن وعي وعلم وفقه وحكمة، ومن ذلك المعرفة بمن تقدم ومن تؤخر، ومن تحارب ومن تواضع، والمعرفة بخطر كل عدو وحجمه، وسائر ما يتعلق بهذا الشأن.

وأحكام الجهاد قتالاً وصلاحاً وهدنة، وأحكام العلاقات مع الأعداء على اختلاف طبقاتهم سلماً وحرماً، وكل ما يتعلق بأفعال المكلفين من أحكام، متضمن في الشريعة الإسلامية، وهي أعم من أن تؤخذ من هذا الحديث الفرد أو غيره من آحاد الأحاديث^(٢)، هي شريعة متكاملة، والحمد لله.

ومما ينبغي التفطن له أن دينك العدوّن

(٢) يقصد حديث (تصالحون الروم صلحاً آمناً)، وقد كان السؤال عن مخالفة واقع القاعدة للحديث بالوقوف إلى جانب إيران ضد الروم، نص السؤال (حديث تصالحون الروم صلحاً آمناً)، بعض الناس أيضاً يقولون إن هذا قد يكون المقصود به أن المسلمين يصالحون أمريكا والغرب وهم الروم، ويقاثلون معاً عدواً واحداً هو الرافضة ومجوس إيران؟.

المشكلة الحقيقية التي تهدد التوحيد ليست في المقابر بل في القصور التي تحولت إلى سماوات للآلهة تقضي وتحكم في كل شيء. تعطي وتمنع، تحيي وتميت، تعز وتذل. هنا الشرك الحقيقي الذي لا شبهة فيه بجهل أو بنص غير ثابت. ومع ذلك يرقد أكثر العلماء على أعتاب حكام الجور في انتظار «الجرية» والرضا الحكومي.

فلماذا يظل مفهومنا للتوحيد والشرك سجيناً في القبور تاركا الأرض لهؤلاء الشياطين؟

فهل يمكن أن نسأل أنفسنا: لمصلحة من هذا الإصرار على صرف أنظار المسلمين عن الاتجاه الصحيح لفهم عقائدهم وفقاً لمعطيات العصر؟

إلى متى نبقي بين القبور نبضاً عن معنى التوحيد والشرك تاركين الأرض والبحر والفضاء لشركات الجبابرة متعددي الجنسيات وتاركين الحاضر والمستقبل بأيدي أشد الناس عداوة للناس ولرب الناس ولجميع الأنبياء والرسل؟

كيف نفهم التوحيد والشرك وقد باع الجبابرة عندنا مفاتيح الثروة لتلك الشركات وتلك البنوك. وفتحوا لها الأسواق. ويمهدون باقي ثرواتنا من أرض زراعية وماء شرب لبيعها لهم في القريب العاجل. وتبقى شعوبنا بلا أوطان ومجرد باحثين عن وظائف لدى تلك الشركات، التي ستري في معظمنا مجرد عمالة زائدة يجب طردهم خارج ممتلكاتها، واستيراد عمالة ماهرة من بلاد أخرى أكثر تطوراً لها ديانات غير إرهابية أو حتى بلا ديانات أصلاً.

أم أن التوحيد يستدعي فهماً آخر.. وعملاً آخر لتحقيقه على أرض واقعنا الحالي؟ وأن هناك أصناماً جديدة ينبغي تحطيمها^(١).

وهذا الطرح المختلف واللغة الجديدة لفكرة قديمة تظهر أن صاحبها لم يقرأ كتب السلفيين،

(١) من كتابه: السائرون نياماً.

الإلحاق والربط بين المشروعين «الأمريكي والإيراني» يذهب بشكل تلقائي لصالح التهوين من خطر إيران، لأن العقل الإسلامي العربي المعاصر قد تركب على اعتبار مركزية أمريكا في صناعة الشر وتوليد الفساد في هذا العالم! لذلك فكل ما يقترن بها ويتحالف معها يصغر شره أمام تعاضم النظرة إلى شدة مكرها وتمحور الشر حولها!

من خلف الفوضى في باكستان

جوادي آصف لقمان(*) - خاص بالرائد

يمكن تلخيص الواقع الباكستاني بوجود

تعددية سياسية، وتنوع عرقي ضمن هامش الحرية المصطنع، في ظل سيطرة الجيش على النظام الجمهوري وجميع مقدرات البلد، مع علاقات قلقة مع الجيران مثل العداء الباكستاني الهندي، وأطماع الجار الإيراني في باكستان، واضطراب أوضاع أفغانستان بسبب الحراك العسكري الطالباني والأمريكي، كما أن الصلات العسكرية بالسعودية، والصلات الاقتصادية مع الصين جعلت باكستان كما دبي تتوجس من مستقبل باكستان الاقتصادي، وهذا الواقع جعل من باكستان مرتعا للمخابرات العالمية والإقليمية، وجعل كل الجهات الباكستانية تجري وراء مصالحها الخاصة ولكن يدفع الشعب مقدراته ومستقبله ثمنا لذلك!

شهدت فترة حكم آصف علي زرداري

(الرئيس السابق) من حزب الشعب، حليف إيران، نمو النفوذ الإيراني إذ استغلت إيران فرصة وجود حليفها السياسي «حزب الشعب» بالحكم فعززت نفوذه في البلد، وعملت على زرع عناصره في مفاصل الدولة وجميع وزاراتها وأسست مراكز

(*) كاتب باكستاني.

بينهما خلافاً وصراعاً، وكلاهما في حال خوفٍ وفي أوضاع صعبة، وكلاهما يسعى لكسب أعداء أعدائه ما استطاع أو تحييدهم، والوضع معقد أشد التعقيد، والمنطقة على حافة انفجار محتمل في أية لحظة، والفتن عظيمة، والأعداء ليسوا هيّنين بل هم متمرسون بالمكر والخديعة، كفانا الله شرهم، والأمريكان في العراق الآن من أخطر فتنهم أنهم ساعون في كسب طوائف وجماعات من أهل السنة إلى صفهم بذريعة مواجهة عدو مشترك هو إيران والرافضة، وتحت طائلة التخويف من الرافضة وإيران يسعون حثيثاً إلى تحييد بعض الطوائف السنية واكتسابها وربما حتى التحالف معها، وهذا موردٌ فتنة كبير!

وهم يجتهدون في ذلك من الأولياء ومن فنون

المكر والدهاء والإغراء ما لا يعلمه إلا الله.

ولهذا تلاحظ عند بعض الناس تضخيما

كبيراً للخطر الرافضي، وإي والله إنه لخطرٌ عظيم، لكنني أشعر أن هناك مبالغة بالفعل عند بعض الناس في تصوير هذا الخطر وتصوير أولويته.

في نظري -والله أعلم بالصواب- أن على

الحركة الإسلامية الجهادية أن تثبت وتحافظ على استقلالها ونقائنها، ولا تُستفَزَّ لا تُستَجَرَّ إلى الكون مع أحد الطرفين أصلاً مهما استطاعت، ولا سيما مع العدو الأكبر والأقوى وهو العدو الأمريكي الصليبي وأولياؤه وحلفاؤه^(١).

فالتهويل من الخطر الأمريكي مقابل

التهوين من الخطر الإيراني مرده تقديم خطر ما يسمى شرك القصور على شرك القبور، بل حتى خطر إيران عند القاعدة خطر عارض طارئ سببه التحالف مع أمريكا والاستقواء بها، أي أنها في نهاية المطاف مرتبطة بالخطر الأمريكي! وهذا

(١) لقاء الشيخ عطية الله مع مركز اليقين الإعلامي (يونيو ٢٠٠٧).

الذي نشط أخيراً في المجال السياسي واستطاع أن يشكل مع الجماعة الإسلامية حكومة إقليم «بشتونخواه» الشمالية، و«طاهر قادري» من مشايخ الصوفية والذي يقود تياراً مذهبياً يدعى «منهاج القرآن».

التقى الرجلان في لندن وتعاهدا على تحريك الجماهير للقضاء على حكومة نواز شريف
المحسوب على السعودية لوهناك أقاويل عن زيارة سرية لإيران قام بها طاهر قادري المقيم في كندا قبل هذا اللقاء لسوء صحت هذه الأخبار أم لم تصح فقد كان التواجد الشيعي بارزاً في هذا الحلف، ومازال الشيعة يشكلون اليد اليمنى لطاهر قادري في جميع الأنشطة السياسية التي يقوم بها.

وفي حين رفع «عمران خان» دعاوى تزوير الانتخابات التي أجريت قبل أكثر من عام ونصف، عزف طاهر قادري من مقره في كندا على أوتار معاناة وأوجاع الشعب الفقير فأخذ يتغنى بنصرة الفقراء وأنه سيقود ثورة عارمة تكتسح كل المفسدين وتقلع جذور الفساد، وأخذ يردد شعارات ثورية على غرار الخميني يوم أن كان في باريس «فرنسا».

وكان طاهر قادري بحاجة إلى تقديم بعض البراهين عبر الإعلام عن صدق ثورته، ففي ١٤ يونيو الماضي أمر أنصاره بالتجمع في لاهور عاصمة إقليم البنجاب حيث يقع أكبر مراكز حزبه، فتجمع عدد كبير من النساء وطلاب العلم والعمال الذين يعملون في المؤسسات الخدمية والتعليمية والخانات الصوفية في حي «مادل تاون» وأخذوا يقومون ببعض أعمال الشغب مما دعا إلى تواجد الشرطة في المنطقة. وبعد ثلاثة أيام أي: في ١٧ يونيو على حين غرة من الجميع حدثت اشتباكات بين الجماهير الغاضبة والشرطة، أسفرت عن مقتل ١٧ متظاهراً قتلوا بالرصاص الحي الذي لم تكن تملكه الشرطة المتواجدة هناك، والتي استعمل

تعليمية لصناعة قادة المستقبل، ونجحت في تثبيت عملائها في مراكز الشرطة والجيش، وركزت على الإعلام بشكل خاص فأنشأت قنوات إعلامية ضخمة، بجانب شراء ذمم في كل القطاعات، ولاسيما بين الحركات والأحزاب السياسية والإسلامية ورجالات الإعلام والجيش بغية إخراج الجيش الباكستاني من الخندق السعودي.

وبعد أن انتهت فترة حكم حزب الشعب، هرع الناس إلى صناديق الانتخاب ليختاروا «مسلم ليك» - حزب الرابطة الإسلامية - عسى أن ينجيهم من الويلات والمصائب التي أذاقتهم إيها حكومة حزب الشعب وقائده «زرداري» المتهم بقضايا الاختلاس والسرقات وقيادة جزء من مافيا الإجرام في البلد.

لكن مجيء «نواز شريف» صاحب المشاريع الاقتصادية والتنموية وصاحب العلاقات الودية مع السعودية إلى الحكم لم تسعد الجار الإيراني كما لم تفرح «دبي» التي تعتبر من أهم المراكز الاستثمارية للرئيس السابق «أصف علي زرداري».

من جهة أخرى حاولت أجنحة متعاطفة مع الجنرال مشرف المتهم بقضايا القتل والخيانة للبلد مع الجيش أن تحول بين نجاح «مسلم ليك» في الانتخابات ولكنه نجح، وإن كان النجاح دون توقعات الحزب.

ساهم اختيار نواز شريف «جنرال رحيل شريف» لقيادة المنظومة العسكرية، في إثارة حفيظة كثير من الجنرالات المتنافسين على المنصب، ورافق هذا حصول الجيش على مساعدات عسكرية من أمريكا لضرب طالبان والقاعدة في شمال البلاد، فكان بحاجة إلى إثارة مشكلة داخلية مصطنعة ليتجه صوبها الإعلام وينشغل الشعب بها ليقوم الجيش بحملة عسكرية هناك !

وهنا اختارت أصابع الإجراء لهذه المسرحية **المأساوية «عمران خان»** رئيس حزب الإنصاف

حيث تشير أصابع الاتهام إلى جماعة

«قادري» أنفسهم في قتل هؤلاء لتصنع ذريعة

للثورة التي ينادي بها قائدهم، وهنا قرر طاهر

قادري أن يدخل العاصمة ويقود ثورته من هناك، لكن الحكومة لم تسمح للطائرة الإماراتية التي كانت تقله بالهبوط في «إسلام آباد» وغيرت وجهتها لتهبط في «لاهور»، وظل قادري الذي تلبسه الخوف لمدة ٥ ساعات لا يخرج من الطائرة لئلا يتم القبض عليه، وأخيرا خرج بضمان أمير ولاية البنجاب من الحزب الحاكم.

وظلت الأجواء هادئة خلال شهر رمضان،

وبعد عيد الأضحى بدأ قادري يجمع حوله الأحزاب والجماعات المعارضة للتحالف معه، فسانده «مجلس وحدة المسلمين» الشيعي، و«سني تحريك» من الصوفية البريلويين وبعض الشخصيات السياسية على العلن وبعض أجنحة الجيش خفية، ولم يغب الإيرانيون والإماراتيون عن المشهد لحظة.

تحرك «عمران خان» نحو العاصمة زاعما أنه

سيقيم احتفالات الحرية بمناسبة ١٤ أغسطس

(يوم الاستقلال)، ورافقه «قادري» رافعا شعارات

الثورة، وقد سمحت الحكومة لهما بدخول العاصمة على أن تكون مسيراتهم سلمية وفي إطار القانون وعلى ألا تتجاوز حي «آب باره» حيث البرلمان، أحضر «قادري» معه رافعتين لحمل الأتقال إلى الحد المتفق عليه، ظلت الجماهير المرافقة له لمدة ٤ أيام في «آب باره» تطالب الحكومة بالرحيل، ثم خالفت العهد واتجهت نحو البرلمان وأبنية الوزارات وتحصنت هناك.

لوحظ أن الجماهير التي استجابت لهم

تكونت من مجموعة من الموظفين والطلاب من

المؤسسات الخدمائية ومراكز الصوفية التي

يقودها «قادري»، وعدد قليل من المخدوعين

يرافقون عمران خان والذين كان عددهم يتناقص يوميا، ومجموعة كبيرة من العاطلين عن العمل تم توظيفهم مقابل رواتب لمجرد التواجد الدائم في المكان، و٢٠٠٠ من الميليشيات الشيعية المدربة على استعمال السلاح وقد ظهرت حقيقتهم في أعمال الشغب والهجوم على البرلمان والتلفزيون بشكل واضح، حيث قامت مجموعة كبيرة من البنات الشيعيات بإقامة حفلات الرقص والمجون والمتعة ليجمعن حولهن العاطلين والتائهين من الشباب.

بعد هذه الاحتجاجات المخالفة للقانون طلبت

الحكومة من الجيش بناء على قانون ٢٥٠ لأمن

الدولة أن يتولى حماية البرلمان والوزارات ومبنى

التلفزيون ومقر رئاسة الجمهورية، لكن الجيش

المتواطئ معهم لم يحرك ساكنا، فدخلت جماهير قادري وعمران خان ومن رافقهم من الشيعة وهم يهتفون «يا حسين» ويحملون الرايات السوداء المعروفة وبيارق الأصابع الخماسية - التي تعبر عن أصحاب الكساء - مبنى التلفزيون وكسروا بوابة البرلمان، وهجموا على مقر رئاسة الجمهورية مما أسفر عن ٢٥٠ جريح بين صفوف الشرطة.

لما ظهرت حقيقة المحتجين والجماهير

المتجمعة حول البرلمان انسحبت جميع الشخصيات

الوطنية التي لها وزن سياسي وجماهيري بعد أنخدعتها الشعارات الزائفة.

فيما يبدو أدركت بعض قيادات الجيش

الباكستاني حقيقة سيناريو هذه المسرحية وأن

الغاية هي الإطاحة بنواز شريف، وأن أطرافا أخرى أهمها إيران والإمارات العربية ركبت الموجة، بل وسيطرت على خشبة المسرح وأخذت في تغيير بوصلتها ومجرياتهما نحو أهدافها الخاصة، فسحب الجيش تعاطفه المباشر مع الأحداث، وأخذ يترقب لعل الأيام القادمة تهدئ من حدة الموقف فيتم التوصل إلى حل سياسي كالعادة.

إذ تُتهم «دبي» بدعم الفصائل البلوشية الداعية للانفصال لتحول بين باكستان وإقامة ميناء تجاري في منطقة «جواد» البلوشية التي سوف تؤثر سلبيًا على تجارة دبي، حيث بدأ «نواز شريف» بعقد صفقات في هذا الاتجاه مع الصين مما أثار حفيظة الإمارات.

كما أن «إيران» الطائفية تسعى لتقوية ميليشياتها وعملائها وأجندتها في باكستان والسيطرة على الجيش الباكستاني وإخراجه تمامًا من الخندق السعودي، حتى لا يناصر السعودية عندما تبدأ جحافل الحوثيين وحزب الله وشيعة المملكة بالتحرك صوب الحرمين.

استراتيجية الصد:

مواجهة شبكة العمل الإيرانية

Center for a New American Security

سكوت مودل^(*) - ديفيد آش^(**)

ترجمة إيمان سويد

مقدمة

ركزت سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران، أساساً، على التصدي للتحدي النووي، لكنها تغاضت عن التهديد الذي تشكله الشبكة الثورية العالمية الإيرانية. إن الاستراتيجية النووية الأميركية، التي تقوم على ركيزتين مزدوجتين من العقوبات والدبلوماسية، تقوم على أسس واقعية، وذات موارد جيدة وتشغيل فعال بقدر ما يمكن أن يكون متوقعاً. في كل الأحوال، إن برنامج إيران النووي مجرد رأس الرمح الثوري الممتد في جميع أنحاء العالم والذي يهدد المصالح الأميركية الرئيسية.

(*) مشارك أول غير مقيم في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
(**) زميل مساعد في مركز الأمن الأمريكي الجديد.

سعت إيران، لأكثر من ثلاثة عقود، إلى الحفاظ على الثورة الإسلامية في الداخل، والترويج لها في الخارج، من خلال شبكة من المنظمات الحكومية وغير الحكومية نسميها «شبكة العمل الإيرانية» (آيان). ويشارك أعضاء تلك الشبكة في صياغة وتنفيذ العناصر السرية لأجندة السياسة الخارجية الإيرانية، بدءاً من الإرهاب والتخريب السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ وصولاً إلى التمويل غير المشروع والأسلحة والاتجار بالمخدرات؛ إضافة إلى المشتريات والانتشار النووي.

تمتلك مبادرات السياسة العامة في ثلاثة مجالات - العمل السري، والحرب المالية وإنفاذ القانون - القدرة على دحر الجهاز الثوري الإيراني في جميع أنحاء العالم. ويمكن إنجاز هذه المبادرات بإجراءات عسكرية محدودة مع مجموعة واسعة من التدابير غير التقليدية غير العنيفة، بما في ذلك العقوبات والإجراءات المالية لمكافحة التهديدات؛ وحملة تطبيق قانون منسقة ومنظمة بشكل استراتيجي، وعمليات معلومات ونفوذ، وزيادة العمل السري والدبلوماسية القسرية النشطة، وإنشاء ائتلاف من الدول ذات التفكير المماثل بغرض الاحتواء، والمكافحة، والتعطيل والردع. ويصف هذا التقرير أهم ثلاث جهات فاعلة في «آيان»: فيلق الحرس الثوري الإسلامي - قوات القدس، وزارة الأمن والاستخبارات الإيرانية وحزب الله اللبناني. ثم يصف التقرير كيفية عمل هذه الجهات الفاعلة في العديد من المناطق الحساسة في جميع أنحاء العالم وأنواع التهديدات التي تشكلها. ويختتم التقرير بتوصيات سياسية مفصلة، والتي سوف تساعد، مجتمعة، على التقليل من تلك التهديدات.

كيف تصدر إيران الثورة؟

تعتمد إيران على منظمتين من المنظمات المحلية الرئيسية للتنسيق والإشراف على الترويج للثورة

دولياً: وزارة المخابرات والحرس الثوري - فيلق القدس. ويعمل كلاهما بشكل وثيق مع حزب الله اللبناني ومع شبكة معقدة من الوكلاء والكيانات المعتمدة، بما في ذلك حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وحماس وحتى تنظيم القاعدة. وقد انتشر الجهاز الثوري الإيراني في كل القارة، على الرغم من أنه مركز على الشرق الأوسط ومتداخل بعمق مع كيانات سياسية، وثقافية وتجارية موجودة لتوفير الدعم للثورة، بما في ذلك التمويل، فضلاً عن تعزيز انتشاره.

فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني

في حين أن جميع الجهات الحكومية الإيرانية في الخارج مسؤولة عن الترويج للثورة الإسلامية، فإن أنشطة تخريبية في الخارج كالاغتيالات وتقديم الدعم لجماعات المعارضة العنيفة قد تأتي تحت قيادة قوات القدس، وهي فرع النخبة في الحرس الثوري المسؤولة عن الحرب غير النظامية والعمليات غير المتماثلة. ورغم ما تتمتع به من سمعة العمل السري العنيف، فإن المهمة الثورية لقوات القدس واسعة بشكل ملحوظ. وكما وصف مسؤول في وزارة الخارجية مهمة هذه القوات، «إنها مثل أخذ وكالة المخابرات المركزية القوات الخاصة ووزارة الخارجية ولفها جميعاً بلفة واحدة».

أما المهمات الرئيسة لفيلق القدس فهي:

- إجراء العمليات السرية وجمع المعلومات الاستخبارية التكتيكية، مع عمليات تهدف إلى تنظيم، وتدريب، وتجهيز وتمويل الحركات الإسلامية والمتشددون الموالين لإيران في جميع أنحاء العالم.

- توجيه ودعم الاغتيالات، وبشكل أساسي ضد أهداف غربية وإسرائيلية.

- إدارة الدبلوماسية السرية.

- الإشراف على تخطيط ونشر قوات الحرس

الثوري في المقدمة باعتبارها الجزء المركزي في

عقيدة الحرب غير المتماثلة.

- الانخراط في النفوذ السري ونشر المقاومة الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، عبر المؤسسات والكيانات التجارية.

- بناء جهاز تجاري عالمي مصمم للحصول على التكنولوجيا الجديدة، ومساعدة الحكومة في برامج العمل السري، وخلق مصادر جديدة من العائدات والعمل على الإضافة إلى شبكات تسهيل التهديدات القائمة.

كانت أهمية العمل السري لاستراتيجية تصدير الثورة الإيرانية واضحة جداً: منذ مايو ٢٠١١، كان هناك أكثر من ٢٠ مؤامرة إرهابية تورطت فيها إيران. فبدلاً من محاولة اغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة وصولاً إلى إحباط مؤامرة تفجير قبلية في كينيا، تواصل إيران اعتبار العمل السري بمثابة أداة هامة للسياسة الخارجية.

إن قوات القدس منخرطة في غطاء واق من الأنشطة غير الحركية التي تلعب دوراً محورياً في مهمة المقاومة الخارجية. إذ يعمل ضباط قوات القدس ضمن مجموعة لاقتة من الشركات الوهمية، والمؤسسات الدينية، والمراكز الثقافية، والجمعيات الخيرية والمنظمات شبه الحكومية. فعلى سبيل المثال، لقد تم تأسيس جمعية أهل البيت العالمية (ABWA) في الظاهر للترويج للأيديولوجية الثورية الإيرانية في الخارج ولتكون بمثابة العلاقة بين المؤسسة الدينية الإيرانية ورجال الدين الشيعة الأجانب. في كل الأحوال، لقد عملت جمعية أهل البيت العالمية (ABWA) أيضاً كغطاء فعال للمساعدة في جمع المعلومات الاستخبارية؛ واكتشاف وتجنيد الطلاب الأجانب، ونقل الأموال والعتاد الموجه لعمليات فيلق القدس (ووزارة المخابرات).

إن رئيس جمعية أهل البيت العالمية (ABWA)، محمد حسن أختري، هو سفير إيران في سوريا،

ولمرتين، مع عقود من الخبرة في المشرق العربي التي يرجع تاريخها إلى فترة تشكيل حزب الله. إنه يفهم أهداف إيران في سوريا والعراق ولبنان كأى شخص و يدمج جمعية ABWA مع قوات القدس على نحو فعال حيثما يكون ذلك ضرورياً لدفع برامج العمل السري في المنطقة.

ويعتمد قادة فيلق القدس على كيانات مثل جمعية أهل البيت العالمية (ABWA) للمساعدة في عمليات معلومات تهدف إلى صياغة الرأي العام المحلي لصالح إيران، وذلك للحفاظ على خطوط الاتصال والامدادات مع جماعات شيعية بديلة؛ وكوحدات في الخارج لجمع المعلومات. أما إحدى الجمعيات الخيرية الإيرانية الأكثر فعالية في الداخل وفي الخارج فهي لجنة إمداد الإمام الخميني (IKRC). فكأداة رئيسة للقوة الناعمة المستخدمة لتعزيز أهداف إيران الأيديولوجية والسياسية، تعتبر لجنة إمداد الإمام الخميني منظمة مساعدات إنسانية تنظم أيضاً الاحتجاجات المناهضة للولايات المتحدة، وتروج للإسلام الشيعي وقد عرفت بالعمل عن كثب مع قوات القدس. في الواقع، وبعد سقوط طالبان في أفغانستان في أواخر عام ٢٠٠١، قامت لجنة إمداد الإمام الخميني بتنسيق أنشطتها بانتظام مع القنصلية الإيرانية في هرات، بإدارة قائد فيلق القدس آنذاك القائد الرفيع حسن كاظمي قمي. وتستخدم لجنة إمداد الخميني وجودها الراسخ، وخاصة في مناطق هزارة ذات المركزية الشيعية في غرب ووسط أفغانستان، للمساعدة في استيراد وتوزيع المال والإمدادات نيابة عن قوات القدس.

من الجدير بالملاحظة أيضاً عن قوات القدس استخدامها لكيانات تبدو مشروعة والتي تتوخى الربح كجزء من اختراقها السري واستراتيجية نفوذها على الصعيد العالمي. وتستخدم إيران عادة شركات حقيقية، بدلاً من الوهمية، للدفع

بعملياتها قديماً، كما تستخدمها لتوليد الدخل لعملياتها فضلاً عن توفير وسيلة مشروعة لعناصرها للوصول إلى النظام الدولي. أما أحد أشهر الكيانات السيئة السمعة فهي ماهان للطيران، خطوط النقل الجوي الوطنية رقم ٢ في إيران. وقد سمت وزارة الخزانة الأمريكية ماهان للطيران كواجهة إرهابية وذلك في ١٢ تشرين أول / أكتوبر ٢٠١٢. وكما هو موضح من قبل وكيل وزارة الخزانة لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية ديفيد كوهين:

«إن تنسيق «ماهان» للطيران الوثيق مع فيلق القدس التابع للحرس الثوري - نقل العملاء، والأسلحة والأموال سراً على متن رحلاتها - يكشف حتى الآن جانباً آخر من التسلسل الواسع النطاق للقطاع التجاري الإيراني للحرس الثوري لتسهيل دعمه للإرهاب ... لقد قدمت ماهان للطيران خدمات السفر لأفراد الحرس الثوري - قوات القدس جواً من وإلى إيران وسوريا لتلقي تدريبات عسكرية.

كما سهلت «ماهان» للطيران السفر السري لضباط مشتبه بهم من الحرس الثوري - فيلق القدس إلى داخل العراق وخارجه من خلال تجاوز الإجراءات الأمنية العادية وعدم تضمين معلومات عنهم في قائمة ركاب الرحلة للتخلص من سجلات سفر الحرس الثوري - قوات القدس. وقد سهلت الأطقم الجوية في «ماهان» شحنات الأسلحة للحرس الثوري - قوات القدس. كما تم نقل الأموال أيضاً عن طريق «ماهان» للطيران لشراء السلع التي يسيطر عليها الحرس الثوري - قوات القدس».

وزارة الاستخبارات والأمن

تشارك وزارة الاستخبارات والأمن (وزارة المخابرات) بكثافة في جمع المعلومات الاستخبارية الأجنبية وبرامج العمل السري، وخاصة في الشرق الأوسط. إن وزارة المخابرات لاعب رئيس في جهود

إيران العالمية لتصدير ثورتها، وفي المرتبة الثانية فحسب بعد فيلق القدس. في كل الأحوال، إن قسماً كبيراً مما تقوم به وزارة المخابرات، ليس موجهاً نحو بناء قوة خارج إيران. وتكرس وزارة المخابرات موارد هائلة لمراقبة واختراق وتفكيك المعارضة السياسية في الداخل، والتي تتضمن الاستخبارات المضادة ومكافحة التجسس.

يعهد لوزارة المخابرات بعض مهمات العمل الأكثر سرية وحساسية حول العالم، مثل العمل مع الحرس الثوري لتشغيل محطات سلاح الإشارة الاستخبارية في سوريا، بغرض توفير المعلومات الاستخبارية التكتيكية لحزب الله على ما يبدو. وتساعد وزارة المخابرات على تصدير الثورة بواسطة تحويل المساعدات الإيرانية القاتلة إلى وكلائها بدءاً من اليمن وصولاً إلى لبنان؛ وتساهم في شبكة إيران لتسهيل التهديد العالمي باستخدام الضباط العاملين والمتقاعدين في وزارة المخابرات؛ وتساعد إيران في الحصول على التكنولوجيا العسكرية، التقليدية والنووية على حد سواء؛ وتبني شبكات نفوذ بظل مجموعة متنوعة من الأغذية - جميعها بغرض الترويج للثورة الإسلامية. أما على الصعيد الدفاعي، فتخترق وزارة المخابرات جماعات المعارضة الإيرانية وتتسرب إليها، وتكافح أجهزة الاستخبارات الأجنبية وغيرها من التهديدات الخارجية.

يعمل ضباط وزارة المخابرات انطلاقاً من السفارات الإيرانية ويستفيدون من المراكز الثقافية ولجان البناء والمنظمات غير الحكومية والشركات الحقيقية. مع مرور الوقت، قام ضباط وزارة المخابرات بتوسيع مشاركتهم في العمليات التجارية، والاستفادة من الدفع الإيراني للحصول على مزيد من النفوذ خارج منطقة الشرق الأوسط، كما هو الحال في أميركا اللاتينية وأفريقيا. ويشغل ضباط المخابرات شركات في جميع أنحاء

العالم، والتي تعمل كمصادر غير مشروعة للمال، وهي نقاط التقاء في شبكات تسهيل التهديدات الدولية مثل شركات الشحن وكلاء الشحن والمسؤولين الحكوميين الفاسدين. ولا يقتصر دور وزارة المخابرات في الخارج على أشكال قاتلة من العمل السري. فهو يشمل النفوذ السري، أو حرب إيران الناعمة لتعزيز نفسها والترويج للثورة، وتشويه سمعة الولايات المتحدة والغرب.

لطالما أكدت وزارة المخابرات أيضاً على قوة الحرب الناعمة العالمية ضد إيران وعلى شرعية الثورة الإسلامية. وفي أحدث تقييم لها، تلمح وزارة المخابرات إلى نضال إيران بالتعامل مع انتشار الجهات الفاعلة غير الحكومية التي أضرت بمكانتها الدولية. وتقر وزارة المخابرات بالتعقيدات في مواجهة هجمات حرب الغرب الناعمة وحاجتها إلى مقاربة أكثر دقة. وبحسب ما تؤكد، فإن مثل هذا النهج ينبغي أن يبدأ بإنشاء مقرر قيادة متعدد الوكالات.

إن دائرة قسم التضليل في وزارة المخابرات، والمعروفة بالنفاق، لاعب مهم في الحرب الإيرانية الناعمة. فهي المسؤولة عن التقليل من أهمية تورط إيران في العمل السري في الخارج، والحد من الحريات السياسية في الداخل وتوليد التقارير السلبية حول جماعات المعارضة السياسية، مثل مجاهدي خلق وجند الله. وتشرف دائرة النفاق على «منظمة الدعاية الإسلامية»، المعروفة أيضاً باسم «منظمة نشر العقيدة الإسلامية». إن «منظمة الدعاية الإسلامية» هي المسؤولة عن العمليات النفسية المصممة لتشكيل المجتمعات المسلمة حول العالم. وفي الماضي، تحدث أحمد الخميني، نجل مؤسس الجمهورية الإسلامية، عن منظمة الدعاية الإسلامية ودورها في خلق «خلايا المقاومة الثقافية» في جمهوريات آسيا الوسطى بعد تفكك الاتحاد السوفياتي. أما اليوم، فإن كل هذه المساعي هي

جزء من جهد أكبر يُشار إليه في إيران على أنه صعود المقاومة».

في أفغانستان، تواصل وزارة المخابرات وقوات القدس الإشراف على علاقة إيران مع طالبان وشبكات التهريب وغيرها. وغالباً ما يعزو مسؤولون أفغان كبار، مثل رئيس مديرية الأمن الوطني السابق أمرالله صالح، امتداد إيران إلى حركة طالبان إلى الخوف من هجوم أميركي والحاجة إلى وسائل الانتقام.

حزب الله اللبناني

كان حزب الله أقوى حليف غير حكومي لإيران منذ إنشائه بعد بضع سنوات من قيام الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩. تقليدياً، يرتبط دور حزب الله بالعرض الأكبر للقوة الإيرانية بهدف محاربة إسرائيل، وحماية لبنان ودعم الشيعة في لبنان وعلى امتداد المنطقة. أما اليوم، فإن هذا الدور يشمل القتال على الخطوط الأمامية في سوريا، إلى جانب مستشارين في قوات القدس ومدربين في وحدات الجيش السوري. ويعترف حزب الله الآن علناً بدوره العسكري في سوريا، منتقلاً من قرية إلى قرية في شكل مناورات عسكرية كاسحة مصممة لتطهير مدن رئيسة والامساك بها مثل القصير على طول الحدود بين لبنان وسوريا.

يتألف فيلق القدس من إدارات مختلفة تشرف على العمليات في مناطق جغرافية ووظيفية معينة. إن قسم ٢٠٠٠ التابع له هو حلقة الوصل الحاسمة بين إيران وأقرب حلفائها في العالم العربي. وهو يدير علاقة إيران مع حزب الله، التي تنطوي على تدفق بعض منظومات الأسلحة الإيرانية الأكثر تطوراً، مثل متفجرات خارقة للدروع (EFPs)، صواريخ موجهة مضادة للدبابات (ATGMs) ومختلف الصواريخ وقذائف المدفعية القصيرة والمتوسطة المدى، مثل فجر ٥ وزلزال ٢. وقد أجبرت العقوبات الاقتصادية الشديدة والحرب في سوريا وتعطل

خطوط الإمداد القسم ٢٠٠٠ على الاعتماد بشكل متزايد على شركات تجارية وهمية. إن هذه الدائرة، التي كانت مسؤولة تقليدياً عن تسليح وتدريب متشددين عراقيين في مخيمات في جنوب لبنان وإيران، ستبقى إحدى أهم وحدات قوات القدس. إن خبرتها في استخدام العبوات الناسفة (IEDs) والمتفجرات الخارقة للدروع (EFPs)، فضلاً عن عمليات الاختطاف، والاتصالات وعمليات الوحدات الصغيرة، ستظل مفيدة لمصالح إيران في كل من لبنان وسوريا.

تقليدياً، عاش حزب الله على التمويل من إيران. برغم أن هذا الاعتماد قد انخفض خلال السنوات. وكان على حزب الله أن يجد مصادر دخل أخرى، ويرجع ذلك أساساً إلى العقوبات الاقتصادية على إيران (والتي تسببت في خفض الميزانية الإيرانية بما نسبته ٣٦٪ منذ العام الماضي)، ولكن أيضاً بسبب الانخراط المتزايد والمريح لحزب الله في الجريمة المنظمة العابرة للحدود. ويستفيد حزب الله أيضاً، وإلى حد كبير، من سيطرته على الموانئ والطرق والمطار وغيرها من البنى التحتية، وهي سيطرة تسفر عن رشاوى وخدمات الجمارك، الخ. مع ذلك، لا تزال إيران المصدر الرئيس للأسلحة الأساسية والمتقدمة، على حد سواء، لحزب الله، مثل المضادة للدبابات، المضادة للطائرات، أنظمة الصواريخ المضادة للدبابات، المضادة للطائرات، وفي الآونة الأخيرة، منظومات الصواريخ المضادة للسفن.

أصبح حزب الله منظمة عالمية يعمل في كل قارة من القارات، معتمداً على الشبكات اللبنانية. إنه يعمل بشكل وثيق مع وزارة المخابرات على جمع المعلومات الاستخباراتية الخارجية، وغالباً ضد إسرائيل. وتدعم وزارة المخابرات، بدورها، حزب الله، من خلال توفير معدات الاتصالات الحساسة وغيرها من الدعم المادي.

توفر منظمة الأمن الخارجي لحزب الله (ESO) أيضاً الدعم لبرامج العمل السري القاتلة التي تديرها قوات القدس. وهذا يشمل الاغتيالات والتفجيرات الاستهدافية وغيرها من الحوادث الإرهابية المرتبطة بإيران. ولطالما دعمت « منظمة الأمن الخارجي لحزب الله (ESO) العمليات التي تقودها قوات القدس، باعتبارها عنصراً أساسياً في شبكة التهديد العالمية التابعة لإيران، بدءاً من المشاركة المباشرة في هجمات إرهابية واسعة مثل تفجيرات السفارة الأميركية وثكنات مشاة البحرية في لبنان في الثمانينات وتفجيري عام ١٩٩٢ و ١٩٩٤ ضد أهداف إسرائيلية في بوينس آيرس، الأرجنتين، وصولاً إلى حوادث أصغر مثل جرائم القتل الأخيرة في بلغاريا.

عمل عماد مغنية، القائد الراحل لمنظمة الأمن الخارجي لحزب الله (ESO) بشكل وثيق مع رجال الأعمال اللبنانيين حول العالم لإنشاء جهاز تجاري عالمي دعماً لأنشطة حزب الله الإجرامية والإرهابية. وقد اتسع نطاق المشاريع التجارية غير المشروعة ونمت هذه وأصبحت أكثر تعقيداً، لدرجة أن الكثيرين يصفون حزب الله اليوم بأنه منظمة إجرامية عابرة للحدود فضلاً عن كونه منظمة إرهابية.

أما اليوم، فيقود طلال حمية، الذي عمل بشكل وثيق مع مغنية وكان مساهماً رئيساً في صعود حزب الله في عالم الجريمة، منظمة الأمن الخارجي لحزب الله (ESO). ويعتمد حمية على مصطفى بدر الدين، وهو قائد قديم آخر في حزب الله يشرف على العمليات الإرهابية الخارجية. إن هؤلاء الأفراد يلعبون دوراً رئيساً في الإشراف على دعم حزب الله لنظام بشار الأسد، والذي يتضمن صيانة شبكات الدعم التجاري في العراق، ولبنان وإيران، وكذلك الخطوط داخل وخارج المنطقة التي تحمل المقاتلين الشيعة إلى سوريا.

يعتمد حزب الله أيضاً على مجلسه التنفيذي، بقيادة هاشم صفي الدين، الذي يقدم تقاريره مباشرة إلى قائد حزب الله حسن نصر الله (ابن خالة صفي الدين) ويشرف على أهم العمليات العسكرية والإرهابية. ويعمل شقيق صفي الدين سفيراً لحزب الله في طهران، ما يشير إلى الطريقة العائلية التي يدير بها حزب الله روابطه مع طهران. أما الأنشطة الإرهابية والعسكرية فتحدث في إطار المجلس الجهادي، الذي يرأسه نصر الله. ولدى حزب الله مجالس أخرى كذلك، مثل المجلس السياسي، الذي ينسق أنشطة أعضاء حزب الله في النظام السياسي اللبناني، ومجلس السلطة القضائية، الذي يشرف على النظام القضائي في المناطق التي يسيطر عليها حزب الله في لبنان. لكن أهمها، من وجهة نظر «أيان»، المجلسان التنفيذي والجهادي.

وجود التهديد الإيراني العالمي

على الرغم من أن قوات القدس، ووزارة المخابرات و حزب الله يعملون في جميع أنحاء العالم، فإن أنشطتهم في الشرق الأوسط وأفغانستان، أفريقيا وأميركا اللاتينية بصورة خاصة، ينبغي أن تشكل هاجساً لصناع السياسة الأميركيين.

الشرق الأوسط وأفغانستان

العراق: الضغط غرباً

إن القسم ١٠٠٠، المعروف باسم معسكر (فيلق) رمضان، مسؤول عن العمليات في العراق ولا يزال أكبر قيادة لقوات القدس خارج إيران. ومن بين وحدات أخرى، تشرف هذه الدائرة على منظمة بدر، وهي مجموعة من ١٠٠٠٠ رجل عراقي من المنشقين الذين تم تدريبهم من قبل إيران لتعزيز المقاومة العنيفة ضد صدام حسين والتسلل إلى الدولة العراقية، والصناعة والمجتمع العراقيين

عندما كان صدام على وشك السقوط. وعندما غزت الولايات المتحدة العراق، كذلك فعلت منظمة بدر (المعروفة آنذاك باسم كتائب بدر أو فيلق بدر)، بدأت بسرعة تنفيذ مهمتها المحددة في الدولة والأجهزة الرئيسية للحكومة.

لطالما كلفت إيران، من خلال القسم ١٠٠٠، متمرسين متشددين موالين لها في العراق، مثل أبو مصطفى الشيباني الأمين العام لمنظمة بدر، باستهداف القوات والديبلوماسيين والمرافق الأميركية. ومن العام ٢٠٠٣ وحتى العام ٢٠٠٩، قاد شيباني، متصرفاً بسيطرة من جانب فيلق القدس، شبكة من النشاط في «المجموعات الخاصة» الشيعية العراقية المدعومة من إيران المتخصصين في مهاجمة القوات الأميركية والبريطانية في العراق بالقذائف الخارقة للدروع، وهو نوع مميت من العبوات الناسفة الشديدة، الأسلحة غير التقليدية الأخرى. وشاركت هذه المجموعات أيضاً في عمليات الاختطاف والاغتيالات الاستهدافية (ضد قوات التحالف والسياسيين العراقيين الذين عارضوا إيران). أما أعداد القتلى من القوات الحليفة التي يمكن أن تنسب إلى شبكة شيباني وغيرها من هجمات المجموعة، خاصة بالعبوات الناسفة وغيرها من الأنشطة الحاقدة خلال الحرب العراقية، فتصل إلى مئات القتلى مع عدد أكبر بكثير من الجرحى. تبدو الأولوية الأساسية للقسم ١٠٠٠ اليوم إعادة إنشاء المجموعات الخاصة العراقية في سوريا وتجنيد الشيعة العراقيين للمشاركة في الميليشيات الشيعية العاملة في الدفاع عن الأسد بالتنسيق مع فيلق القدس وحزب الله. ووفقاً لأحدث تقرير، فقد نقلت إيران على ما يبدو شبكة شيباني إلى سوريا، مع شيباني نفسه كقائد لكتائب سيد الشهداء، وهي قوة من ٢٠٠ رجل تبدو على غرار كتائب حزب الله، المجموعة الخاصة الأكثر إخافة وشراسة التي وجهها فيلق القدس من حرب العراق.

تتجاوز أنشطة قسم ١٠٠٠، في العراق العمليات الفتاكة وتمتد إلى كل جزء من الدولة والمجتمع. في الواقع، إن قسم ١٠٠٠، على ما يبدو، يخضع لسيطرة السفير الإيراني إلى العراق، حسن دناني، أحد كبار ضباط فيلق القدس «المتخصص في القوة الناعمة»، بحسب تعبير مايكل جوردون. ويفهم ضباط فيلق القدس كيف يمكن استخدام الشركات، المنظمات الثقافية، وسائل الإعلام، والحركات الاجتماعية لدعم وتشكيل عنصر أساسي للعمليات السرية. إن المخططات المستسخة في الرسمين ١ و ٢، والتي حصلت عليها قوات الجيش الأميركي في العراق في عام ٢٠٠٧، توضح المقياس والنطاق اللافت للقسم ١٠٠٠ وتحدد مدى وجود المنظمة في إطار القيادة المباشرة للقائد الأعلى.

ظلت «منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية» (ICRO)، والتي تدرج في إطار وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني، على الخطوط الأمامية في العراق، في الأماكن التي تتداخل فيها الإرادة الجيدة مع العمل السري. إن بناء مجتمع شيعي تابع لـ «منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية» (ICRO) يقدم الكثير للأمن الإيراني وبعثات الاستخبارات: إن منظمة ICRO هي بمثابة الغطاء الموفر لضباط فيلق القدس والمخابرات المسافرين إلى داخل العراق وخارجه، وتقوم بتوفير الآليات والأسلحة وغيرها من الإمدادات إلى الميليشيات الشيعية وتحديد المصادر المحتملة للمخابرات والمقاتلين المستقبليين والتسهيلات من كل الأنواع.

كانت وزارة المخابرات متورطة في العراق أيضاً. ففي شباط/فبراير ٢٠١٢، سمّت وزارة الخزانة الأميركية وزارة المخابرات الإيرانية لدعمها تنظيم «القاعدة في العراق». من الصعب فهم دعم وزارة المخابرات لتنظيم «القاعدة في العراق» نظراً لدور

هذا التنظيم في قتل الشيعة في العراق وعدم وجود قوات عسكرية أميركية، والذي كان هو ما جمعهما في الماضي. ويبدو أن ذلك تماشياً مع سياسة وزارة المخابرات في دعم جماعات عديدة في آن واحد، على الرغم من وجود القليل من القواسم الأيديولوجية المشتركة. هذا هو الحال في أفغانستان، حيث توازن إيران بين دعمها للحكومة الأفغانية مع دعمها المادي لشبكة حقاني وطالبان.

سوريا: الأرضية الحرجة

يشكل السقوط المحتمل لنظام الأسد أكبر تهديد لطموحات إيران الإقليمية. قد تنجح الحكومة السورية، بمساعدة من إيران وحزب الله، في إقامة علاقة دائمة بين دمشق والمناطق التي بيد العلويين - المناطق الواقعة على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط. مع ذلك، هذا سيكون بثمن باهظ، ليشمل الارتفاع المثير للعنف على أسس طائفية وفتاوى تحريضية من سنة موقرين. ويشمل هؤلاء الشيخ يوسف القرضاوي، الذي دعا كل السنة القادرين على العمل للانضمام الى القتال في سوريا ضد إيران وحزب الله، ورجل الدين السعودي الشيخ عايض القرني الذي قال إن لجميع السوريين الحق في اغتيال الأسد.

إن فيلق القدس هو المسؤول عن دعم إيران للقوات السورية والموالين للنظام. حتى الآن، لعبت إيران دوراً حاسماً في منع انهيار حكومة الأسد. ففي أيار/ مايو ٢٠١٢، قال نائب قائد فيلق القدس، الجنرال إسماعيل قاضي، إنه «لو لم يكن لفيلق القدس وجود في سوريا، لكانت تمت الاطاحة بحكومة بشار الأسد بالفعل». وفي حين أن هدف إيران هو الحفاظ على الأسد في السلطة، فإنه يبدو أنها تستعد، في نفس الوقت، لاحتمال سقوط النظام السوري إما كلياً أو انتهائه بصراع مطوّل لاستعادة ما خسره من أراضٍ. ووفقاً لمسؤولين أميركيين، فقد عزز قائد فيلق القدس، قاسم

سليمان، قوات الميليشيا الذين يبلغ عددهم عشرات الآلاف في محاولة للحفاظ على نظام الأسد. تلك القوات، بحسب اعتقاد المسؤولين، سوف تكون في المتناول إذا ما سقط الأسد وانهارت البلاد وأصبح البلد عبارة عن جيوب طائفية. ووفقاً لوزارة الخزانة الأمريكية، لقد قام ضباط فيلق القدس وحزب الله، بتسليح وتدريب وتنظيم مجموعات مختلفة مؤيدة لقوات الأسد، مثل مجموعة من العلويين والشيعة المتطوعين الذين تم تشكيلهم على غرار قوات الباسيج الإيرانية المعروفة بـ «الجيش الشعبي». والفكرة هي تحويل الجيش الشعبي، إلى ميليشيا أكثر تنظيمًا وأفضل تدريباً قادرة على تنفيذ أمن الأحياء، حياً بعد حي، إلى جانب القيام بوظائف شبه عسكرية. بهذه الطريقة يشبه الجيش الشعبي، كتائب عاشوراء - وحدات الباسيج المتخصصة المدربة رسمياً والمدمجة بشكل أعمق في العمليات العسكرية للحرس الثوري. وقبل اغتياله في شباط/ فبراير عام ٢٠١٣، علق حسن الشاطري، القائد الرفيع في فيلق القدس، على أهمية الباسيج، ووصفه بأنه «الإنجاز الأكثر أهمية للثورة الإسلامية، ولا تقتصر على جغرافية إيران الإسلامية؛ بل هو خارج إيران رمز مقدس لخلاص المظلومين. إن الباسيج اليوم في حالة العولمة، وقوات الباسيج الإسلامية العالمية هي التي ستحل مشاكل المظلومين».

في نفس الوقت، وبحسب ما يزعم، كانت هناك وحدة خاصة تابعة للحرس الثوري الإيراني في سوريا، المعروفة باسم الحرس الثوري في سوريا، في هذا البلد لأكثر من ٢٠ عاماً. وعن طريق عمله من قاعدة للحرس الثوري الإيراني قرب الحدود مع لبنان وإسرائيل، وفر الحرس الثوري في سوريا الدعم العسكري، اللوجستي، والاستخباراتي لأقرب شركائه في المنطقة: حزب الله، حماس، الجهاد الإسلامي الفلسطيني والجماعة الشعبية

لتحرير فلسطين . القيادة العامة. وفي الآونة الأخيرة، رفعت إيران وجودها في سوريا ليشمل القوات البرية في الحرس الثوري، قوات إنفاذ القانون وضباط مخابرات إضافية من وزارة المخابرات. إن الهدف من انتشارهم هو تمرير خبراتهم المتنامية في مكافحة التمرد، السيطرة على الشعب، والاضطرابات الداخلية. هذا الأمر هو انصراف غير مألوف عن مشاركتهم في الأمن الداخلي ويدل على الثقة الإيرانية عند يتعلق الأمر باستعراض القوة في مناطق النزاع في المنطقة. وتحقيقاً لهذه الغاية، شكلت إيران، سوريا وحزب الله اللبناني أولية أبو الفضل العباس، المكونة من حزب الله اللبناني، مقاتلين سوريين مؤيدين للأسد، ومسلحين متمرسين من الجماعات الشيعية العراقية مثل عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله.

دول الخليج: أرض الأعداء

كما أثبتت المعركة بين إيران والدول العربية حول القيادة في العالم الإسلامي، ولوقت طويل، الدم الفاسد عميق الجذور. فالمنافسة بين إيران والمملكة العربية السعودية اشتدت فحسب منذ بداية ما يسمى بالربيع العربي. إذ رفعت إيران، الحريصة على ربط الثورات العربية بثورتها، من مستوى العمل السري في محاولة لتشجيع حركات المعارضة الشيعية عبر الجزيرة العربية. إن القسم ٦٠٠٠، المسؤول عن شبه الجزيرة العربية، يمكن أن يزداد حجمه اعتماداً على الكيفية التي تواصل بها الديمقراطية وحركات التحرر والحركات السياسية في الخليج الفارسي تطورها. ولدى التاريخ الحديث أمثلة عديدة عن قدرة إيران على زعزعة الاستقرار في الخليج. ففي عام ١٩٨٧، على سبيل المثال، ساعد القسم ٦٠٠٠ على إنشاء حزب الله الحجاز، وهي مجموعة إرهابية شكلت بعد حزب الله اللبناني، وسعت إلى الإطاحة بعنف بالنظام الملكي السعودي.

رداً على دعم إيران وحزب الله المستمر لنظام الأسد، أصبح السنة البارزون أكثر تعبيراً، وبشكل متزايد، عن دعمهم للمعارضة. وتشير أنماط السلوك الإيرانية الراسخة في الخليج الفارسي إلى أن الطموحات الإقليمية للبلاد مستوحاة من سياسات القوة التقليدية بقدر ما هي مستوحاة من الدين. وغالباً ما تقلل إيران من أهمية الهوية الشيعية لثورتها لصالح رسالة أعم القصد منها عبور الانقسام الطائفي. إن الدعم للقاعدة وحركة طالبان وحركة الشباب الصومالي هي مجرد أمثلة قليلة. مع ذلك، هذا ليس الحال في الخليج، حيث كانت إيران أكثر عدوانية في محاولاتها استمالة حركات المعارضة الشيعية.

ظل أعضاء مجلس التعاون الخليجي مشككين بعمق في طموحات إيران الإقليمية منذ قيام الثورة عام ١٩٧٩. فلطالما اشتبهت دول مجلس التعاون الخليجي بحفاظ إيران على وجود خلايا نائمة لامركزية في جميع أنحاء منطقة الخليج تعمل على جمع المعلومات الاستخبارية، ودعم الجماعات الشيعية المتطرفة والبقاء على أهبة الاستعداد لتنفيذ مجموعة متنوعة من الأنشطة التخريبية . وكلها كجزء من خطة إيران لإعادة تعريف العالم الإسلامي عن طريق تصدير ثورتها. وتعود هواجس ومخاوف دول مجلس التعاون الخليجي بشأن التمرد الاسلامي في ايران بتاريخها إلى الثمانينات، عندما دعمت إيران معارضين شيعية منشقين في الخليج الفارسي مثل منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية، التي دعت علناً إلى الإطاحة بالحكومات الملكية الخليجية. وكان الخميني قد خلص، وبوضوح، إلى أن تحقيق إيران لقوة إقليمية أكبر، يلي ذلك صعودها كقوة عالمية، يجب أن يحدث بالقوة.

سعت إيران، مدفوعة بنجاح حزب الله اللبناني، إلى تكرار ذلك في السعودية والكويت والبحرين،

بداية مع حزب الله الحجاز في المملكة العربية السعودية في منطقة يهيمن عليها الشيعة شرق المملكة العربية السعودية (حيث يقع قسم كبير من النفط السعودي). وكان مقر حزب الله الحجاز في قم وتلقى التدريب والخبرة الميدانية وهو يقاتل الى جانب حزب الله اللبناني ضد إسرائيل. وقد مر ما يقرب من ٢٠ عاماً على آخر هجوم كبير للمجموعة، تفجير أبراج الخبر في الظهران عام ١٩٩٦. ومنذ ذلك الحين، ورغم الجهود المبذولة لإعادة بناء العلاقات، ظلت المملكة العربية السعودية على حذر من نوايا إيران في المنطقة. إن قدرة إيران على إثارة المعارضة الشيعية داخل المملكة والخوف من إيران النووية أبقتا السلطات السعودية على أهبة الاستعداد. وتفسر الاعتقالات الأخيرة للعديد من الجواسيس الإيرانيين، ودعم المتمردين السوريين الذين يحاربون نظام الأسد والتهديدات بالحصول على ترسانتها من الأسلحة النووية السبب بكون الجهود الإيرانية في المملكة العربية السعودية لا تبشر بالكثير في الوقت الراهن.

قامت إيران بمحاولات عديدة مماثلة لتعزيز قاعدة التأييد لديها بين الكويتيين الشيعة. وتلقى حزب الله الكويت التدريب في إيران واكتسب الخبرة العسكرية على خطوط الجبهة في الحرب ضد إسرائيل. مع ذلك، وخلال السنوات الماضية، لم يتكفل حزب الله الكويت في حركة سياسية مستدامة. وقاوم الحكام الكويتيون باستمرار محاولات إيرانية لكسب موطن قدم ثورية في المملكة، كما يتضح من تفكيك المخابرات للعديد من خلايا الحرس الثوري الإيراني في الكويت وعمليات الاعتقال لشخصيات رفيعة ومحاکمات لأعضاء في حزب الله. وقد ساعدت أيضاً علاقات التحالف للكويت مع الولايات المتحدة والغرب في منع إيران من كسب الأرض في الكويت.

بعد الثورة، ساعدت إيران في إنشاء حزب الله البحرين، وهي مجموعة عنف منشقة سعت إلى إسقاط النظام الملكي البحريني واستبداله بجمهورية إسلامية على غرار إيران. وأدى دعم قوات القدس لحزب الله البحرين إلى هجمات واغتيالات مسؤولين حكوميين بحرينيين. أما اليوم، فيؤكد البعض في الحكومة البحرينية على أن إيران تدعم الجماعات المنشقة الشيعية مثل الوفاق وحركة الحق. وقد اتخذت البحرين تدابير للحد من النفوذ الإيراني، باقصائها الشيعة من الخدمة في القوات المسلحة والأجهزة الأمنية، وزيادة قدرات الحرس الوطني البحريني للتعامل مع الاضطرابات المحلية ومراقبة المسؤولين الإيرانيين ومجتمع المغتربين الإيرانيين عن كثب.

مع ذلك، وعلى عكس الكويت والمملكة العربية السعودية، تنظر البحرين إلى إيران كحليف محتمل. إذ يؤكد العديد من المتشددين حتى على أن البحرين كانت تاريخياً جزءاً من إيران وستكون كذلك مجدداً عندما تتم الإطاحة بالنظام الملكي البحريني. وفي بعض الأحيان، تساهل مجتمع الشيعة في البحرين المجتمع مع قيادة قوات القدس ووزارة المخابرات للعمل السري، لكنه يبقى أن نرى إلى أي مدى إيران والشيعة البحرينيين على استعداد للمضي قدماً. وقد خلص البعض في البحرين بالفعل إلى أن إيران تقف وراء موجة الهجمات بالعربات الناسفة، وأحدثها، في أواخر أيار/مايو، التي خلفت وراءها ستة من رجال الشرطة البحرينية الذين أصيبوا بجروح خطيرة.

أفغانستان: توازن ثابت

في أفغانستان، تعتمد قوات القدس على القسم ٤٠٠٠، أو سلك الأنصار. وتم استعادة أسلحة إيرانية المنشأ خلال مدهمات منازل ومخابئ وآليات تابعة لطالبان، بما في ذلك صواريخ من عيار ١٠٧ ملم و ١٢٢ ملم، ومتفجرات بلاستيكية وقذائف هاون. أما

إحدى أهم وظائف سلك الأنصار فهي الحفاظ على شبكات تسهل النشاط غير القانوني عبر الحدود. وتحديث معظم المساعدات القتالة من إيران إلى أفغانستان على طول المنطقة الممتدة جنوب الحدود الإيرانية - الأفغانية. وهي تشمل كل شيء، بدءاً من الشاحنات المحملة بالعربات الناسفة أو بمقاتلي طالبان الذين يمرون من دون رادع من خلال المعابر الحدودية الرئيسية، وصولاً إلى أشكال أكثر ابتكاراً من التعاون الذي يتيح الاتجار بالأفيون والأسلحة وتمهد للمضي بالتهريب دون انقطاع خلال الفيضانات الموسمية في حوض هلمند. ويعتمد ضباط القسم ٤٠٠٠ على التجارة غير المشروعة لتنفيذ استراتيجية الحرب الإيرانية غير النظامية في أفغانستان. ويمكن أن يشاركوا أيضاً في صرف أكثر من ١٠٠ دولار مليون كل عام وتقديمها لوسائل الإعلام الأفغانية، مشاريع المجتمع المدني، والمدارس الدينية. وقد يؤدي تراجع القوات الأمريكية في عام ٢٠١٤ بقوات القدس إلى تخفيض عديد سلك الأنصار، ثاني أكبر وحدة لديها.

أفريقيا: شركاء الجريمة، الفساد والتوافق

لدى حزب الله وإيران شبكة متنامية لتقديم التسهيلات وتمويل التهديدات في أفريقيا، ويرجع الفضل بذلك في جزء كبير منه إلى جهود حزب الله، التي بدأت مع تحويلات بسيطة من الشتات اللبناني. فقد طورت الجاليات الاغترابية اللبنانية على امتداد أفريقيا مجموعة واسعة من مخططات تبييض الأموال القائمة على التجارة الدولية، والتي تشتمل على تبادل العملات، تهريب النقد، الاتجار بالمخدرات، مراكز الاتصالات والرحلات المباشرة إلى بيروت. إن الدول ذات معدلات الجريمة المرتفعة مثل الكونغو، غانا وبنين لديها أماكن حيث تعلم حزب الله كيفية المزج بين الأنشطة التجارية غير المشروعة والأعمال التجارية المشروعة. إن تجربة

حزب الله مع تجارة الماس في ليبيريا وسيراليون تسمح بإتقان السيطرة على تدفق الأموال من أفريقيا إلى لبنان.

حتى الآن تشمل أكبر مخططات حزب الله لتبييض الأموال تجارة السيارات المستعملة في غرب أفريقيا، حيث يتم شراء مئات الآلاف من السيارات المستخدمة من قبل شبكات يسيطر عليها حزب الله في الولايات المتحدة وأوروبا وشحنها إلى مزادات السيارات المستعملة في بنين وتوغو ودول أخرى. وتباع السيارات بعملة الدولار الأميركي ويتم دمج الأموال النقدية مع عائدات الكوكايين التي تباع لشبكات تهريب المخدرات الأوروبية، الشرق أوسطية والآسيوية وشحنها إلى لبنان، حيث يتم ايداعها في بنوك ومراكز الصرافة التي يسيطر عليها حزب الله. ووفقاً لشكوى تاريخية حول مصادرة أصول مدنية رفعت في كانون أول/ديسمبر ٢٠١١ ضد البنك اللبناني الكندي الذي يسيطر عليها حزب الله في منطقة جنوب نيويورك: إن أعضاء وأنصار حزب الله متورطون في نقاط مختلفة في مخططات تبييض الأموال. إذ يقوم أعضاء حزب الله ومؤيدوه بتسهيل تهريب النقد، بما في ذلك عائدات من بيع السيارات المستعملة المصدرة من الولايات المتحدة وعائدات المخدرات، من غرب أفريقيا إلى لبنان، كما يقوم هؤلاء بتمويل، وتسهيل شراء بعض السيارات المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية. ليست كل أنشطة حزب الله في غرب أفريقيا جنائية بطبيعتها، على الرغم من أن كثيراً منها يبدو كذلك اليوم.

في الماضي، اعتمد حزب الله على الشركات التجارية للبنانيين شائعة لتنفيذ الأعمال الحقيقية في حين القيام بتسهيل حركة النقد والسلع للكيانات ذات صلة بحزب الله في لبنان. وقد وفرت شركات تجارية في أماكن مثل أنغولا وغامبيا غطاءً ممتازاً لنشطاء حزب الله الساعين إلى إقامة ملاذات آمنة،

وإدارة أعمال مشروعة أو غير مشروعة، وتبييض الأموال.

اعتبر حزب الله أفريقيًا أيضاً كمكان لتكثيف انخراطه ومشاركته في إعادة شحن الأسلحة والمخدرات. لقد كشف هذا الأمر حزب الله وعلاقته بمنظمات الاتجار بالمخدرات في أميركا الجنوبية، أفريقيا والشرق الأوسط. أصبح غرب أفريقيا منطقة إعادة شحن رئيسية للمخدرات من أميركا اللاتينية إلى لبنان وأوروبا، وهو الأمر الذي تم توثيقه بتفصيل كبير في التحقيقات الجنائية الأخيرة من قبل إدارة مكافحة المخدرات الأميركية (DEA). وأثناء هذه العملية، طور حزب الله علاقاته مع منظمات الجريمة المختلفة العابرة للحدود، ما أدى إلى توسع شبكته الخاصة بالجريمة الدولية.

يشرف القسم ٧٠٠٠ على عمليات فيلق القدس في أفريقيا. فأفريقيا هي مصدر التحالفات السياسية والمواد التي تعاقب عليها الولايات المتحدة والأمم المتحدة، وتحسن قدرة الجيش على إبراز قوته (مثل تدريب الحرس الثوري في السودان). وبينما يشهد ضغط العقوبات، قد أصبح أفريقيا أيضاً ما أصبحت عليه بالنسبة لحزب الله: مكان أكثر جاذبية لتطوير مصادر التمويل غير المشروع وشبكات تقديم التسهيلات للتهديدات. لقد زاد القسم ٧٠٠٠ بالفعل من مشاركته في العمليات التجارية في أفريقيا. فالشركات الحقيقية يديرها ضباط سابقون ناشطون للتجارب على العقوبات، تطوير مصادر دخل جديدة قانونية وغير قانونية ودعم كل من جمع المعلومات الاستخباراتية والعمل السري. وفي كثير من الحالات، يضع الحرس الثوري قاداته السابقين كمسؤولين عن هذه الشركات. وهناك مثالان هما منظومتا Ofoh وSaberin Systems وGooya، وكلاهما ستمته وزارة الخزانة الأمريكية لشرائها أجهزة اتصالات

حساسة ومعدات مراقبة مثل الكاميرات والميكروفونات وأجهزة التنصت لصالح الأجهزة الأمنية الإيرانية مثل دائرة مكافحة التجسس التابعة للحرس الثوري.

بعد انشقاقه في منتصف عام ٢٠١٢، تحدث مترجم لدى وزارة الخارجية الإيرانية عن عدة لقاءات حضرها مع مسؤولين أفارقة، بما في ذلك اجتماع مع قائد فيلق القدس سليمان والريثيس اليريتري اسيس أفورقي. في الاجتماع، وبالإضافة إلى عرض إرسال فريق لوجستي من فيلق القدس لبناء مصنع ذخيرة وتوفير التدريب العسكري، تحدث سليمان عن الحاجة إلى السيطرة على باب المندب بين إريتريا واليمن كجزء من جهد أكبر لإضعاف الوجود الأميركي في القرن الأفريقي.

تعمل إيران على تعميق العلاقات بين دولة ودولة في جميع أنحاء أفريقيا. ووفقاً لوزارة الخزانة الأميركية، فقد كان قلاً أني، نائب الحرس الثوري - فيلق القدس مسؤولاً عن الإشراف على الجوانب المالية لشحنات الأسلحة السرية إلى دول في أفريقيا، وكذلك لبنان وسوريا. وبالإضافة إلى اتفاقيات اقتصادية حميدة وأقل خطراً في مجال الطاقة والبنية التحتية، أقامت إيران علاقات عسكرية أوثق كجزء من جهد علني لبناء وجودها العسكري في القارة. ودخلت إيران في اتفاق مع السودان لتدريب قوات الجبهة الإسلامية الوطنية السودانية وضباط الاستخبارات في طهران كجزء من جهود السودان لإنشاء قوات الدفاع الشعبي السودانية. في الوقت نفسه، أسس الحرس الثوري مخيمات التدريب خارج الخرطوم تماماً وأرسل سفن سلاح البحرية إلى الموانئ السودانية للمشاركة في التدريبات البحرية المشتركة.

من غير المستغرب أن تتضمن استراتيجية إيران بعداً سرياً. ففي السودان، بنت إيران، بحسب ما يزعم، مجمع اليرموك الصناعي العسكري، وهو

منشأة لتصنيع الأسلحة قصفت في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢، ودخلت بحسب ما قيل، في عدة مشاريع عسكرية مشتركة أخرى. وقد بدأت الشراكة في عام ١٩٨٩ عندما استولى السوداني عمر البشير على السلطة في انقلاب عسكري. وخلص الخبراء الاستراتيجيون الإيرانيون إلى أنه مع الأسلحة والنفط والمساعدات المالية، يمكن للسودان أن يصبح أهم حليف سياسي وعسكري لإيران في شمال أفريقيا، ويعمل كتعويض عن قوة الدول العربية السنية المنافسة مثل السعودية ومصر. أما اليوم، فقد أصبح السودان مركز منصة إيران الإقليمية لانتاج وتوزيع الأسلحة سراً. وينظر إلى الموانئ الأفريقية، وبشكل متزايد، على أنها نقاط لإعادة الشحن من قبل منظمات الجريمة العابرة للحدود، وبأنها تخدم أهداف إيران في أماكن أخرى في المنطقة. وقد نفت إيران مزاعم توريد الأسلحة إلى المتمردين الحوثيين الشيعة في شمال اليمن وحركة الشباب في الصومال.

أخيراً، وفي عام ٢٠١٠، ضببطت السلطات النيجيرية ١٣ حاوية مليئة بالأسلحة مثل قذائف مدفعية من عيار ١٠٧ مم ومدافع هاون وقنابل يدوية كانت في طريقها إلى غامبيا. ولتجنب الاعتقال، لجأ إيرانيان - قائد فيلق القدس في أفريقيا، علي أكبر طباطبائي، وضابط مزعوم في فيلق القدس يدعى عظيم آغا جاني - إلى السفارة الإيرانية في أبوجا. وكان طباطبائي في نيجيريا بجواز سفر دبلوماسي وتمكن من العودة إلى إيران، في حين أن آغا جاني كان قد دخل البلاد على ما يبدو بطريقة غير مشروعة من أجل تسهيل شحن الأسلحة. وفي أيار/ مايو عام ٢٠١٣، أدانت السلطات النيجيرية آغا جاني وشريكه النيجيري وحكمت عليهما بـ ٥ سنوات في السجن.

أميركا اللاتينية: منصة إطلاق

كانت أميركا اللاتينية عبارة عن موقع ناء

بالنسبة لإيران حتى انتخاب الرئيس محمود أحمدي نجاد في عام ٢٠٠٥. واختار أحمدي نجاد تشكيل تحالفات سياسية مع اثنين من الأبطال اليساريين في المنطقة، هوغو شافيز في فنزويلا وإيفو موراليس في بوليفيا. فقد وجدت إيران أن هناك قضية مشتركة في معارضة الولايات المتحدة. ولم تمض فترة طويلة حتى توسعت البعثات الدبلوماسية، وبدأ ضباط الحرس الثوري ووزارة المخابرات يطفون على السطح بأعداد أكبر، وجرى توقيع معاهدات أمنية واتفاقيات لتبادل المعلومات الاستخباراتية. وأوضحت إيران بسرعة أنها لم تكن تسعى فقط إلى سبل لاثارة الولايات المتحدة في فنائها الخلفي، وإنما إلى خلق مراكز سلطة بديلة لإضعافها. ويشير البعض إلى عضوية إيران الفخرية في نادي أميركا اللاتينية المناهض للولايات المتحدة المعروف باسم «التحالف البوليفاري للأمريكتين (ALBA)» كدليل على نجاح أحمدي نجاد المحدود.

في أيار/ مايو عام ٢٠١٣، تم اعتقال أحد أبرز أنصار حزب الله في أميركا اللاتينية، حمزة أحمد بركات، وذلك في جنوب البرازيل بتهم الاحتيال. وكانت السلطات الأميركية والبرازيلية تراقب منذ فترة طويلة أنشطة جماعة بركات، المتصلة بسلسلة من الشركات الوهمية التي يزعم مشاركتها في الاتجار بالأسلحة والمخدرات والمواد القاتلة الأخرى دعماً لحزب الله. وقد ثبتت إفادة الأفراد المتعاطفين مع حزب الله، المسهلين والأنصار مثل بركات في جمع التبرعات، وأحياناً في الإرهاب، ولا سيما خلال تفجيري عامي ١٩٩٢ و١٩٩٤ في الأرجنتين.

أما في فنزويلا، حيث يجمع حزب الله أكثرية الأموال في أميركا الجنوبية، فقد أنشأ الممولون لحزب الله شبكة تتضمن تبييض الأموال، التدريب شبه العسكري، الاتجار بالمخدرات وأنشطة أخرى غير مشروعة. وحسب بعض التقارير، قدم الرئيس

اللاتينية هي أكبر بكثير اليوم مما كانت عليه عندما زُعم تعاونها مع حزب الله خلال تفجيري عام ١٩٩٢، و١٩٩٤ في الأرجنتين، وينبغي أن تؤخذ على محمل الجد. وسواء كان بإمكان إيران في أي وقت، وعلى نحو فعال، نشر نسختها من المقاومة في الأمريكتين بنجاح أم لا، فإن أميركا اللاتينية تعتبر منصة إطلاق بالنسبة لأعمال «أيان» في مجال الإرهاب والجريمة في أميركا الشمالية.

الولايات المتحدة : مؤامرة أربابسيار

في ربيع عام ٢٠١١، تآمر منصور أربابسيار الإيراني - الأميركي مع أعضاء رفيعي المستوى من فيلق القدس لاغتيال السفير السعودي في الولايات المتحدة، عادل الجبير (الذي كان ولفترة طويلة المستشار الرئيس للسياسة الخارجية لدى الحكومة السعودية، بما في ذلك حول إيران). فقد وافق أربابسيار، الحامل للجنسية الأميركية والبالغ من العمر ٥٨ عاماً، على دفع مبلغ ١,٥ مليون \$ لمصادر DEA (إدارة مكافحة المخدرات) يتظاهر أفرادها بأنهم أعضاء كارتل مخدرات أميركية لقتل السفير. وخطط أربابسيار لتنفيذ الاغتيال بواسطة عبوة تفجير موضوعة في مطعم في واشنطن يرتاده الجبير عادة. وكما تكشف لائحة الاتهام لوزارة العدل، فقد أدرك أربابسيار والإيرانيون المتعاملون معه بأنه يمكن للتفجير، بما يتعدى قتل الجبير، أن يتسبب بسقوط أكثر من ١٠٠ قتيل أميركي، يحتمل أن يكون من بينهم بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي الذين يتناولون الطعام هناك أيضاً في كثير من الأحيان. وتصرف أربابسيار بتوجيه من ضابط كبير في قسم العمليات الخارجية التابع لفيلق القدس (الذي هو أيضاً ابن عمه / خاله)، ويدعى عبد الرضا شهالي، ونائبه غلام شاكوري.

كان سجل شهالي من التطرف والعنف ضد الأميركيين معروفاً جيداً لدى الحكومة

تشافيز لتجار المخدرات، مبيضي الأموال وآخرين مرتبطين بإيران وحزب الله شبكة تسهيل للتهديدات وأطلق العنان النسبي لها داخل أجزاء من الأراضي الفنزويلية. ومن الأمثلة الرئيسة على ذلك غازي ناصر الدين (الذي، بحسب ما ورد، يدير مخيم تدريب شبه عسكري في جزيرة مارغريتا الفنزويلية)، فوزي كنعان (الذي كانت الولايات المتحدة قد صنفته كمسهل سفر لحزب الله)، خالد بزي (مؤيد لحزب الله موجود في جزيرة مارغريتا) والحاج أبو عباس (قيادي في حزب الله في فنزويلا).

وفي الإكوادور، طور الرئيس رافائيل كوريا علاقة وثيقة مع أحمد نجاد إلى جانب فنزويلا، بوليفيا نيكاراغوا، وكوبا، وهي محاولات لتقويض وجود الولايات المتحدة في أميركا اللاتينية من خلال تحالف ALBA. ووفقاً لأوتو رايش، السفير الأميركي السابق في فنزويلا ومساعد وزيرة الخارجية لنصف الكرة الغربي، هناك دلائل مقنعة بأن كوريا قد أحدثت آليات مالية لتمكين الإكوادور من تبييض الأموال نيابة عن النظام الإيراني.

و في حين وجدت رسالة إيران السياسية جمهوراً متقبلاً من بلدان مناهضة لأميركا ظاهرياً، فإن الجزء الأكبر من اللاتينيين لم يرحبوا بحملة إيران للحصول على مزيد من النفوذ في المنطقة. مع ذلك، لقد بنت إيران وحزب الله بنية تحتية متعددة الطبقات عبر القارة تتضمن موظفين حكوميين إيرانية رسميين وغير رسميين، أعضاء من حزب الله، شبكة واسعة من المتعاونين المحليين والإقليميين، صلات بجماعات الجريمة المنظمة وعلاقات ارتباط رسمية مع عدد محدود من شرطة أميركا اللاتينية وأجهزة استخباراتها وجيوشها. وبالتالي، فإن قدرة إيران على تنفيذ هجمات إرهابية قاتلة ضد الولايات المتحدة في أميركا

السعودية قد اجتازتا الخط الأحمر من حيث مراكمة العقوبات الاقتصادية والإجراءات التي تستهدف برنامجها النووي.

هذه المؤامرة فُسرت كشكل من أشكال الانتقام (والتي أمل الإيرانيون، ربما، ألا تتسبب اليهم). ومهما كان الدافع، يتفق معظم الخبراء على أن إجراءً من هذا الحجم ينفذ من قبل ضباط فيلق القدس ضد الولايات المتحدة لم يكن من الممكن التخطيط له وتنفيذه دون علم ودعم قيادة الحكومة الإيرانية.

توصيات سياسية

لن توقف العقوبات والدبلوماسية الأنشطة المذكورة أعلاه، والتي لا تزال تشكل تهديدات كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة والأمن الدولي. ينبغي أن تتضمن السياسة الأميركية دعامة ثالثة - حملة صد لمكافحة نفوذ إيران الإقليمي والعالمي، التي لا ترقى إلى مستوى العمل العسكري. ليس هناك شك في أن حكومة الولايات المتحدة، بقيادة وكالة المخابرات المركزية تخطط وتنفيذ بالفعل عمليات تهدف إلى الضغط على شبكة العمل الإيرانية (أيان). في كل الأحوال، يمكن للحكومة الأميركية، ويجب عليها، بذل المزيد من الجهد للتصدي لهذه التهديدات من خلال تحسين تنسيق الحكومة الأميركية، دمج مقاربات ونهج تطبيق القانون واستهداف الشبكة المالية.

تحسين تنسيق الحكومة الأميركية

إنشاء فرقة عمل مكلفة بتعطيل وتفكيك شبكة العمل الإيرانية (أيان). يتعين على صناع القرار الأميركيين تجميع قوة مهمات (فرقة عمل) دولية ومشاركة بين الوكالات تكون مكلفة بتطوير ونشر حملة شاملة وعالمية ضد العمق التشغيلي والاستراتيجي لـ «أيان». إن قوة المهمات هذه سوف تستهدف نشاط «أيان»، القواعد التشغيلية وشبكات الدعم والتسهيلات (الواجهات المالية والشركات الوهمية خصوصاً). إن

الأميركية. فقد لعب الرجل دوراً محورياً في عمليات فيلق القدس السرية ضد الأميركيين واستهداف القوات الأميركية في العراق منذ الغزو عام ٢٠٠٣، وفي عام ٢٠٠٧، أشرف على اختطاف واغتيال خمسة أميركيين من أفراد الخدمة العسكرية في قاعدة أميركية في كربلاء، العراق. وفي عام ٢٠٠٨، سمّت وزارة الخزانة شهالي كارهابي بشكل خاص ووضعت على لائحةها بسبب أعماله في العراق. وكانت إيران مسؤولة عن مئات الهجمات على الأميركيين في الخارج، وحتى عن مهاجمة القوات الأميركية في العراق وأفغانستان بشكل منهجي. لكنها لم تشارك في هجوم على الأراضي الأميركية منذ جريمة قتل علي أكبر الطباطبائي، المناهض للثورة والموجود في منفاه في بيثيسدا بولاية ماريلاند في تموز/ يوليو ١٩٨٠.

كانت مؤامرة أربابسيار كبيرة بل ومذهلة، وذلك في خروج عن سياق الاغتيالات الماضية لمنشقين إيرانيين في أوروبا وعن التفجيرات التي قام بها وكلاء مسلمون موثوقون (وخاصة حزب الله). لقد شذبت إيران عملها السري الذي اعتمدته الأجهزة على مدى عقود، وخاصة منذ ٩/١١، لتجعل من الصعب علينا فهم سبب اختيار إيران فجأة كارتل المخدرات المكسيكية على حساب وكلاء لها موثوقين ومعتمدين مالياً عليها مثل حزب الله والمليشيات الإسلامية الموالية لإيران. مع ذلك، كانت هذه أخطر محاولة إرهابية إيرانية ضد الولايات المتحدة منذ تفجير أبراج الخبر في عام ١٩٩٦، ولو نجحت المحاولة (وإيران متورطة بها)، فقد كان من المرجح أن تكون الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية مضطرتين للرد على إيران بالقوة العسكرية. يمكن للمرء أن يتكهن فحسب بالدوافع الإيرانية، لكن يبدو، ومن منظور طهران، أن الولايات المتحدة والمملكة العربية

السنوات القليلة الماضية وحدها، تم طرد مسؤولين إيرانيين من العديد من دول الخليج. أما بما يتعدى الخليج الفارسي، فإن إيران لم تحقق نجاحاً أفضل بكثير. ومؤخراً، أعلن عن اثنين من الدبلوماسيين الإيرانيين كأشخاص غير مرغوب فيهم في البوسنة، التي لطالما كان يعتقد بأنها معقل إيراني نظراً إلى دعم إيران لمسلمي البوسنة. وينبغي أن تكون مبادرة النفوذ السرية أكثر تحديداً في استهداف الدولة والجهات الفاعلة غير الحكومية المشاركة في تصدير الثورة الإسلامية. وعلى أقل تقدير، ينبغي أن يشمل هذا الأمر الأنشطة التخريبية المرتبطة بفيلق القدس، وزارة المخابرات، وعملاء حزب الله؛ إنخراط «آيان» في أنشطة إجرامية، والمؤسسات الدينية والثقافية والخيرية التي لها أثرها الفعال في تسويق الثورة الإسلامية في الخارج، والتي تتداخل مع العمل السري.

الإسراع في عملية تبادل المعلومات. لجعل النفوذ السري فعالاً، يجب على الحكومة الأميركية إيجاد سبل تعجيل تقاسم المعلومات. لا يزال هناك الكثير من المعلومات السرية والتي يصعب الوصول إليها؛ وكذلك غير المصنفة سرية ولكنها ليست للنشر للأجانب؛ والحساسة ولكن غير سرية؛ والتي للاستخدام الداخلي فقط؛ وغير المصنفة سرية ولكن ذات حساسية في إنفاذ القانون؛ وهلم جرا. إن تقاسماً أفضل للمعلومات مع شركاء الولايات المتحدة من شأنه أن يرفع مستوى الوعي الخارجي حول «آيان»، والذي سيؤدي بدوره إلى تحسين جهود مكافحة «آيان» الثنائية والمتعددة الأطراف.

إن الاجراءات الموازية ضد شبكات تسهيل التهديدات (النقل، وكلاء الشحن، شركات الشحن، المستودعات، الطيارين وشركات الطيران، وغيرها) تجعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لـ «آيان» لجهة الحفاظ على الشبكات المالية واللوجستية غير المشروعة. هذا ينبغي أن يكون مجال وحدات تدقيق مؤلفة من أفراد متخصصين من وكالات حكومية أميركية وأجنبية. يشكل هذا الأمر أفضل فرصة للكشف عن أحدث

الهدف سيكون حملة تعطيل على غرار مبادرات الحكومة الأميركية بكاملها السابقة والناجحة في مقابل جهات حكومية جريئة تجمع بين العمل العلني والسري، إنفاذ القانون، العقوبات، عمليات مكافحة الشبكة والاحتواء. وتشمل السوابق محاولة لمعاقبة، عزل، اسقاط ومحاكمة نظام ميلوسيفيتش في عامي ١٩٩٨ و ١٩٩٩، ومبادرة ضد تمويل كيم جونج ايل غير المشروع لشبكات أسلحة الدمار الشامل ونشرها من ٢٠٠٢ - ٢٠٠٦؛ والجهد المبذول سراً في عهد ريغان لاستهداف الشرايين الاقتصادية ونقاط المراقبة للاتحاد السوفياتي لاتاحة الفرصة لنجاح هذا العمل، يجب أن يكون هناك حساب لمجموعة واسعة من المبادرات القائمة المشتركة بين الوكالات ومجموعات العمل والحوارات. فالعديد منها زائد عن الحاجة، تنسيقه ضعيف، وذو نتائج ضئيلة، في نهاية المطاف، في الجهود المستمرة ضد «آيان». هذه المبادرات يمكنها أن تنضوي ضمن «لجنة تنسيق سياسية شاملة واحدة» ذات مسؤولية مباشرة على الرقابة التشغيلية، على غرار «مجموعة أنشطة كوريا الشمالية» (٢٠٠٢ - ٢٠٠٦)، أو «مجموعة الأمن لمكافحة الإرهاب (CSG)» القديمة، بدلاً من ضم مطابخ متعددة على أساس المنطقة والوظيفة.

إنشاء مبادرة نفوذ سرية لمواجهة آيان. هناك حاجة لمبادرة نفوذ سرية لـ «شبكة عمل إيرانية» ضد «آيان» لتشكيل نظرة العالم للتهديدات النابعة من إيران ولأجندتها الثورية الخارجية. لن يكون الهدف الفوز في بالحرب الكلامية بين إيران والولايات المتحدة؛ تظهر معظم الاستطلاعات، وبوضوح، أن إيران، ونموذجها الشيوعي الممثل بالحكومة واتجاهاتها التوسعية لا تحظى بشعبية في معظم دول العالم، حتى في الشرق الأوسط. ومع ذلك، هناك طرق أخرى لاستخدام النفوذ السري ضد «آيان».

ينبغي أن تؤكد الحملة ضد برامج العمل السري الإيراني في دول الخليج الفارسي على التأثير المزعزع للاستقرار للتخريب الإيراني منذ عام ١٩٧٩. ففي

مخططات تبييض الأموال القائمة على التجارة وغيرها من الأنشطة حيث يتلاقى الإرهاب والجريمة.

زيادة عمليات المعلومات. إن الولايات المتحدة بحاجة لأن يكون لديها سلطات نفوذ سرية لتقويض، وبشكل أفضل، رسالة إيران إلى الجماهير التي كانت مقبولة نسبياً في أفريقيا، آسيا الوسطى وأميركا اللاتينية. ينبغي لسلك الاختصاصيين في مجال عمليات المعلومات من الذين لديهم فهم أعمق لإيران ولل فروق الدقيقة لحملة «خطها الاسلامي» أن يكون مصاحباً لهذه السلطات المعززة. وهذا يمكن أن يشمل فريق عمليات معلومات عن إيران وحزب الله الذي، وفقاً لمايكل آيزنشتات، سيسعى إلى «منع طهران من استغلال الغموض الذي يكتنف العديد من من سياساتها، سواء العمليات البديلة أو برنامجها النووي. إن المخابرات المفصلة والأنشطة الإعلامية الهجومية، والسياسة الانتقامية ذات المصادقية هي المفتاح ...».

دمج أنشطة إنفاذ القانون

هناك حاجة إلى مقارنة الشبكات التشغيلية الخارجية لإيران وحزب الله ومهاجمتها عن طريق إنفاذ القانون، وليس، وببساطة، عن طريق مكافحة العمليات الإرهابية. إن «مبادرة تسهيل مكافحة التهديد» عن طريق إنفاذ القانون ينبغي أن تستفيد من الاعتماد المتنامي لـ «آيان» (IAN) على الأعمال ومصادر الدخل غير المشروعة واستخدام عمليات إنفاذ القانون المخطط لها استراتيجياً، كشف الشبكات غير المشروعة واعتقال المرتكبين، تجميد الأصول ومهاجمة خطوط إمداد «آيان» للجريمة والإرهاب على الرغم من التجارة الدولية والنظام المصرفي. يمكن لعمليات إنفاذ القانون إيقاف الشبكات ولديها حتى شرعية عالمية وفعالية أكبر من تلك التي للعقوبات إذا ما طبقت بشكل شامل. إن التعامل مع «آيان» باعتبارها مشكلة جريمة منظمة عابرة للحدود يمكن أن تؤدي إلى إعادة كتابة قواعد اللعبة للابتكار في مجالات العمل السري والاحتواء.

اعطاء عمليات إنفاذ القانون الموارد وامكانية الوصول التي تحتاجها لتحقيق النجاح. ينبغي أن يكون

لدى عناصر عمل إنفاذ القانون لدى الحكومة الأميركية الدعم المالي والاستخباراتي والاستهداف في الذي يحتاجونه لبناء قضايا قانونية استراتيجية ضد المسهلين لارتكاب الجرائم والإرهاب - بدءاً من أفراد مثل سماسرة الأسلحة الاحترافية وصولاً إلى كيانات الشركات مثل البنوك التي تعمل في مجال تبييض الأموال أو تسهيل تمويل الإرهاب - و معاملتهم كجهات فاعلة جنائية كما هو الحال في حد ذاته. إن جهود مكافحة الإرهاب قد تكون قادرة على وقف الهجمات، لكن بإمكان عمليات إنفاذ القانون أن تهاجم كامل الشبكة وينبغي أن تتلقى دعماً أفضل من مجتمع الاستخبارات.

معاملة حزب الله باعتباره منظمة إجرامية عابرة للحدود. إن حزب الله، بالإضافة إلى كونه المنظمة الإرهابية شبه العسكرية الأكثر شراسة في العالم، مشارك ومنخرط أيضاً في فورة الجريمة العالمية، بما في ذلك تهريب الكوكايين، تبييض الأموال والابتزاز. إن اتهام حزب الله بصفته منظمة إجرامية ينطوي على وعود كبيرة. لقد أصبح «حزب الله»، على حد تعبير الباحث ماثيو ليفيت، «حزب الاحتيال» وينبغي مقارنته ومهاجمته من نقطة احترافية تتعلق باستراتيجية إنفاذ القانون العقوبات المالية ومحكمة العدل الدولية الجنائية (لاغتياله رئيس حكومة منتخب ديمقراطياً ولسجله العالمي الطويل والحافل بالإرهاب وجرائم الحرب والفضائح التي ترتكب في سوريا، وربما العراق الذي سيتبع سوريا قريباً). إن صورة حزب الله كمنظمة من النخبة وكمقاومة «صافية» سوف تتبدد بمجرد الكشف عن جهازه الاجرامي الغوغائي في المحكمة والقضاء القبض على قادته. وبالنظر إلى بصمته العالمية وتعقب سجله لصنع قضايا تهريب الكوكايين وتبييض الأموال ضد حزب الله، تعتبر وكالة مكافحة المخدرات الأميركية (DEA) في وضع جيد لقيادة مثل هذا الجهد.

ضمان الهزيمة في سوريا. يجب أن تكون الأولوية الأولى للإدارة الأميركية في مكافحة «آيان» ضمان أن تصبح إيران متورطة وغارقة في الوحل السوري وأن تخسر هناك بشكل حاسم، مما يجعل سوريا «فيتنام إيران». إن السلطات الموسعة ضرورية للسماح بإنشاء حملة

نشطة للتقليل من شأن خطوط الإمداد الإيرانية و قنوات الاتصال في البلدان ذات الأولوية العليا بالنسبة لإيران: سوريا والعراق ولبنان. فالممرات البرية الإيرانية الرئيسية للدعم اللوجستي تعبر المناطق التي يسيطر عليها السنة . بما في ذلك التضاريس الحليفة في تركيا والأردن . حيث يمكن أن تكون القوات المحلية متحفزة بسهولة لاعتراض العتاد والأفراد. إن إغلاق الحدود الغربية للعراق سيكون التحدي الأكبر، نظراً لعمق الشبكة التجارية بين إيران وحزب الله في العراق، التي لا تزال تنمو حجماً وتعقيداً. ولكن، نظراً للخواطر والدوافع بالنسبة للوكلاء والشركاء السنة، فإن التعاون بالكاد يكون مهمة مستعصية. وبنفس القدر من الأهمية، وقف نمو الجماعات السنية العربية المتحالفة مع تنظيم القاعدة في شمال ووسط سوريا، لتشمل جبهة النصرة وتنظيم القاعدة في العراق.

وبينما تواصل الإدارة وزن الخيارات السياسية في سوريا، بما في ذلك الضربات الحركية وحتى نشر القوات، ينبغي عليها أيضاً أن تتنظر في التأثير المحتمل لاقتراح القوة الجوية، منظومة الأسلحة المتقدمة والعمليات الجوية أو البحرية مع وسائل قسرية مثل العقوبات المالية، منع الجمارك، والحرمان من حقوق الهبوط المتبادلة لكيانات تسهل الدعم الإيراني في سوريا (شركات الطيران وخطوط الشحن، والشركات التجارية، الخ). وتعاني إيران من خطوط إمداد طويلة، خطوط اتصال ضيقة ومن الاعتماد على لبنان كقاعدة للعمليات (ولبنان عرضة للعقوبات نظراً لاقتصاده المعتمد على الدولار واعتماده على العلاقات المصرفية مع الولايات المتحدة من أجل النمو الاقتصادي والاستقرار).

استهداف الشبكة المالية

تعيين مسؤول عن التمويل غير المشروع لتمكين الخزينة من القيام بعملياتها. لوزارة الخزانة الأميركية دور رئيسي تؤديه في مهاجمة «أيان» عالمياً، وذلك عبر التعيينات المستهدفة، الحرمان من الوصول إلى الخدمات المالية من خلال قانون منظم (وخاصة من خلال المادة ٣١١ من «القانون الوطني الأميركي»/قانون باتريوت)،

وعقوبات ذات قاعدة وامتداد أوسع تصل إلى المجتمع المالي الدولي والمحلي. مع ذلك، إن وزارة الخزانة غير مؤسسة بغرض القيام بحرب مالية مالية واقتصادية أو الاندماج مع غيرها من الوكالات الشريكة التي تمتلك المستوى المطلوب من السلطات والقدرات التشغيلية المالية. ولتكون أكثر فعالية، فإن الخزانة بحاجة إلى عنصرها التشغيلي الخاص للعب دور أكبر في العمليات المالية عبر الحكومة، وخاصة وكالات إنفاذ القانون. إن مجلس الأمن الوطني بحاجة إلى تعيين مسؤول عن التمويل غير المشروع لتسهيل اندماج أعمق للخزانة في العمليات المالية وضمان كامل التنسيق الحكومي ضد «أيان» وغيرها من أولويات مكافحة التهديدات.

زيادة استخدام المادة ٣١١ من «قانون باتريوت الأميركي» ضد «أيان». إن استخدام المادة ٣١١ من قانون باتريوت الأميركي ضد البنوك والنقاط المالية غير المصرفية لـ «أيان» أمر ضروري. إن استخدام القسم ٣١١ يمنح وزير الخزانة سلطة لإلزام المؤسسات المالية المحلية و الوكالات المالية (مثل البنوك) باتخاذ بعض التدابير الخاصة «ضد أي كيان محدد بكونه يشكل مصدر قلق رئيس لتبييض الأموال». وهذا يشمل القدرة على منع مؤسسة مالية أجنبية من أن تكون قادرة على القيام بأعمال تجارية مع الولايات المتحدة. وقد تم استخدامها بنجاح معين ضد العلاقات المالية المتداخلة لكوريا الشمالية داخل مصرف بانكو دلتا آسيا في ماكاو في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥ وضد أنشطة تبييض الأموال لحزب الله عبر البنك اللبناني الكندي الموجود في بيروت في شباط/ فبراير ٢٠١١ ومراكز الصيرفة المتعددة. ففي هذه الحالات، عملت تسميات الخزانة كطلقة تحذيرية قوية للمؤسسات المالية في جميع أنحاء العالم، وردعتها عن قبول علاقات عمل مماثلة مع أمثال كوريا الشمالية وحزب الله.

لا يمكن لتسميات الخزانة الأميركية أن تكون مباراة فاصلة واحدة أو عبارة عن ردود أفعال. يجب أن يسبقها وضع خطط لحملة استراتيجية تهدف إلى تقويض وعرقلة وتعطيل شبكة «أيان» للدعم المالي على الصعيد

العالمي، لبناء حملتها وممارسة الضغط ضد النظام بسبب أنشطته النووية الجريئة. إن الخزينة بحاجة أيضاً إلى جهود التثبيت الهجومية وجهود التحقق من امتثال كيانات محددة في «أيان» ، بما في ذلك متابعة الأنشطة المستمرة للبنك المركزي الإيراني المعين بموجب قانون رقم ٣١١. وقد تم ضرب البنك اللبناني الكندي - الذي كان يسيطر عليه حزب الله والمستخدم من قبل إيران - بواسطة المادة ٣١١ من قانون باتريوت الأميركي التي كان لها تأثير دراماتيكي أولي (فصل البنك اللبناني الكندي من النظام المالي في الولايات المتحدة). مع ذلك لقد وضع العمل بالمادة ٣١١ البنك اللبناني الكندي خارج العمل اسمياً فقط لأنه سُمح بشرائه من قبل بنك سويسيتيه جنرال بنك لبنان (SGBL) بدلاً من إغلاقه. ويبدو أن بنك سويسيتيه جنرال (SGBL) لم يوفر القدرة للوصول الكامل إلى سجلات البنك اللبناني الكندي السابق، ولم يثبت أنه قد أغلق الحسابات المصرفية لحزب الله أو أوقف حزب الله، بشكل يمكن التحقق منه، عن القيام بتبييض الأموال أو مخططات إيران بالتهرب من العقوبات.

استهداف لبنان مالياً. يتبغى تطوير تسمية المادة ٣١١ للنظام المصرفي اللبناني بأكمله وإعدادها باعتبارها ذات مصداقية ورافعة قسرية. إن الخاصرة الرخوة ونقطة الضعف لآلة الحرب الإيرانية العالمية غير النظامية عرضة للاستهداف المالي المنهجي والتعطيل. إذ لا يزال لبنان قاعدة إيران - حزب الله الرئيسة لدعم منطقة الصراع في سوريا. ونظراً لانفضاح الأسس الجنائية لأموال حزب الله داخل النظام المصرفي اللبناني والمزاعم المنتشرة والواسعة عن الأموال الإيرانية والسورية المتداخلة بعمق في بنوك بيروت، فإن الاستخدام المنهجي لوسائل الحكومة الأميركية لحرمان إيران، سوريا وحزب الله من الوصول إلى النظام المالي لبيروت له ما يبرره، وإن درجة الاستهداف يستخف بها على نطاق واسع.

قد يكون لبنان أكبر بلد في العالم من حيث تبييض الكتلة المالية النقدية الكبيرة، مع المليارات المتدفقة جواً إلى مطار بيروت الدولي كل عام. إن الاقتصاد اللبناني المدولر بشدة مدعوم بواسطة فقاعة سوق السندات الحكومية الذي يعتمد على تدفق النقد المستمر وعمليات

نقل الأموال الإلكترونية من الخارج. ينبغي للولايات المتحدة أن تنظر أيضاً في تسمية مطار بيروت دولي بظل المادة ٣١١.

يجب على الولايات المتحدة أيضاً الاستفادة أكثر من الأصول البديلة للأحكام القانونية لفرض الإجراءات الجنائية والمصادرة المدنية ضد المصارف اللبنانية والمصارف الأخرى التي لا توافق على الامتثال للطلبات القانونية الأميركية لمصادرة الأصول. (يسمح هذا باستبدال الأصول تحت المادة ١٨ § 981 U.S.C. (ك)). وفي آب/أغسطس ٢٠١٢، فرضت المنطقة الجنوبية الأميركية من نيويورك اجراءاً قسرياً بظل المادة ٩٨١ (ك) بالمصادرة ضد بنك لبناني من خلال تجميد حسابات مراسله في الولايات المتحدة حتى امتثل للمطالبة بمصادرة ١٥٠ مليون \$ ضد عائدات من عمليات بيع يسيطر عليها البنك اللبناني الكندي الذي يسيطر عليه حزب الله. وخلال ٤٨ ساعة من هذا الإجراء، أرسل البنك برفقية بالمبلغ الكامل لحساب الأموال المصادرة التابع لمدير شرطة المدينة الأميركية (المال الذي جاء في جزء كبير منه من جيب حزب الله). لا ينبغي السماح للبنان أن يكون ملاذاً مالياً آمناً وبوابة دعم لوجستي ومادي لحزب الله، إيران وسوريا.

استهداف اعتماد «أيان» على السلع الأساسية والنفط المعادن الثمينة. تعتمد إيران بشكل كبير على استخدام الذهب والمعادن الثمينة الأخرى كذلك النفط للتسوية الاجمالية لتجارتها. لقد تمتع الحرس الثوري - فيلق القدس، وزارة المخابرات، تاريخياً، بالقدرة على الوصول المباشر إلى الأموال المتولدة من خلال مخططات التهرب من العقوبات، التي ساعدوا، بحسب المزاعم، في تأسيس قسم كبير منها. هذه المخططات يمكن استهدافها بدورها عبر التحديد الاستراتيجي، المنع الشامل، العقوبات والهجوم التقني. هناك حاجة لاطلاق مبادرة دولية ضد تملص إيران من العقوبات القائمة على التجارة، العمل مع دوائر الجمارك وكذلك حرس السواحل، وعناصر البحرية لاعتراض تدفق الوسائل غير النقدية للتهرب من العقوبات وتقديم الدعم للعملاء والشبكات (بما في ذلك في سوريا).

عالم الرواية مبكراً، فأول رواية عربية «مناظر ريفية» صدرت في عشرينيات القرن الماضي، ولم تتأخر الرواية الإسلامية فصدرت بعد سنوات معدودة روايات محمد فريد أبو حديد وعلي أحمد باكثير، وسرعان ما احتلت مكاناً مرموقاً بل منافساً، حيث حصل أبو حديد على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٣، ويذكر هنا أن علي باكثير تقاسم جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفةً مع نجيب محفوظ، لكن نجيب محفوظ (الذي اكتشف مواهبه وأظهره للناس سيد قطب) حظي بمن يسلط عليه الضوء بينما باكثير- بسبب ميوله الإسلامية- عانى من التعتيم والإهمال!

للرواية الإسلامية اليوم رواج وانتشار يتوسع في القراء والمواضيع والقضايا

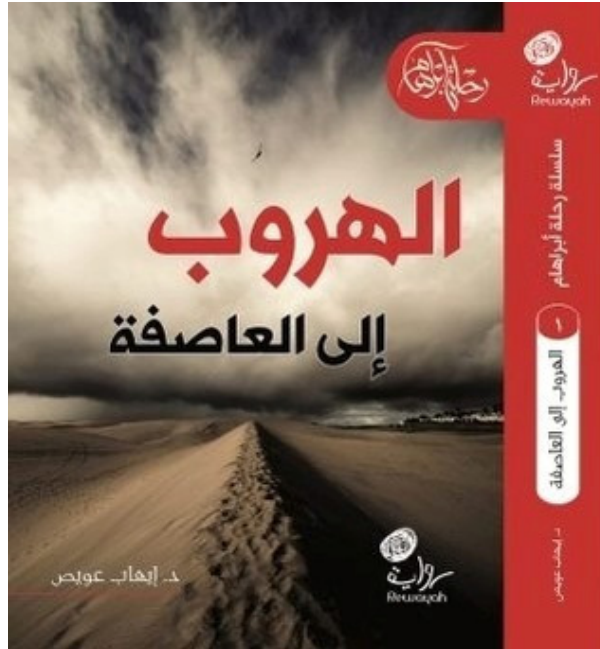
التي يعالجها، فضلاً عن الأسلوب وطريقة المعالجة.

رواية الهروب إلى العاصفة

د. إيهاب عويص

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

يصف كثير من أعضاء النخبة الثقافية عصرنا بأنه عصر الرواية لا عصر الشعر،



والرواية جنس أدبي غربي، وهو نثر خيالي يعتمد على السرد والحوار، له مكونات متعددة أهمها الأحداث والشخصيات والزمان والمكان والرؤية الروائية، وتتميز عن الأسطورة بكون مؤلفها معروفاً، وقد أصبحت الرواية ذات رواج كبير، والمميز منها يجد طريقة لعالم السينما والتلفزيون،

ومن هنا ينبع تأثيرها الواسع في المجتمعات.

وقد عرفت الدعوة الإسلامية المعاصرة

(*) كاتب أردني.

الصهيونية بالمسيحية واليهودية، وخلافات فرق اليهود السياسية في فلسطين اليوم وانعكاساتها على قرارات الحكومة الإسرائيلية ومواقفها، فضلاً عن تناول جوانب من كشف عمليات الموساد.

ولأن المادة والمعلومات التي يقدمها إيهاب في تجربته دسمة للغاية، رأى أن تقديمها في صورة رواية سيجعلها أسهل في القراءة والفهم والانتشار، ولكن مع الحفاظ على الدقة والموضوعية والأمانة العلمية في نقل الأقوال والمواقف الخاصة بكل دين أو فرقة أو طائفة.

وهذه نقطة القوة والتميز الأولى في «رحلة أبراهام» التي جعلت منها أول رواية في مقارنة الأديان مع الالتزام بالواقعية والدقة في معلوماتها ومواقفها، فهي مستقاة من المصادر الأصلية والمعتمدة لكل دين أو فرقة، أو من خلال المواقع الإلكترونية الخاصة بكل جماعة بما يتعلق بمواقفهم السياسية والعملية.

أما نقطة التميز الثانية فهي في الحبكة الروائية لبطل القصة «الحاخام الشاب أبراهام» الذي ينزعج من تناقضات فرقته اليهودية (ناطوري كارتا)، فيصطدم بفتاة من عبدة الشيطان لتفتح في قلبه نافذة الشك في صحة عبادة الله، لكنه بالدراسة يكتشف زيف وبطلان فكرة عبادة الشيطان.

ثم يصادف في رحلته في البحث عن الحقيقة دعاء البوذية النشطاء في هذه المرحلة، ليتعرف عليها ويدرك مقدار الخلل والتناقض الكامن في تجمعاتها بحسب البلد الذي تتواجد فيه.

«الهروب إلى العاصفة» هي الرواية الأولى من ثلاثية «رحلة أبراهام» الحاخام الأرثوذكسي الروسي التابع لجماعة ناطوري كارتا، التي تمتد عبر «الهروب إلى العاصفة» و«بشارات هائمة» و«كهولة قبل البلوغ»، والتي تجاوزت صفحاتها ٢٠٠٠ صفحة.

«رحلة أبراهام» التي سجلها لنا د. إيهاب عويس، وهو طبيب الأسنان الفلسطيني المولود في دمشق سنة ١٩٦٩، والذي تنقل للدراسة بين ألمانيا الغربية وهنغاريا وأخيراً روسيا، حيث تزوج هناك وأكمل دراسة الطب وعمل بها، ثم عاد لدمشق، وعقب الثورة السورية غادرها للسعودية.

وقد مرت بتجربة واقعية حول سلامة الدين ووجود الإله وصحة الإسلام، جعلته يطوف في عالم المعرفة حول الأديان والعقائد والمذاهب والفرق، حتى عاد للإسلام باقتناع ويقين عن دراسة وتمحيص، بل كانت هذه التجربة سبباً لإسلام زوجته أميرة نيكولايفنا، والتي كانت ألحت عليه بتسجيل هذه الرحلة.

وفعلاً دون إيهاب تفاصيل بحثه في الأديان والفرق والمذاهب في الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، حتى أصبحت الرواية دائرة معارف في تفاصيل هذه العقائد وتشعبات فرقها ومذاهبها، وأيضاً تناول حقائق جماعة عبدة الشيطان وعقيدة البوذية. ولكن بأسلوب جذاب وشيق، بعيداً عن الصيغة الأكاديمية الجافة، التي تستصعب على قطاعات واسعة من الناس.

ولم يقتصر إيهاب على النواحي العقائدية بل تناول الجوانب السياسية لهذه الأديان في عالمنا المعاصر، فتناول علاقة

الرواية تشد القارئ من جهة المواضيع والمعلومات التي تمتلئ جنباتها بها على غرار روايات «دان براون»، ومن جهة سلاسة اللغة ووضوح التعميمات برغم موضوعها العالي، ومن جهة الغموض والمفاجآت في تطورات الأحداث، وقد لقيت رواجاً كبيراً في معرض الرياض الدولي للكتاب.

يلخص المؤلف هدفه من هذه الروايات بأنها موجهة لثلاث فئات: للقراء المسلمين لمساعدتهم على تحقيق فهم أكثر واقعية لطبيعة الآخر، وأن يزيلوا الغموض عن حقيقة العلاقة بين اليهود والمسيحيين، وللقراء المسيحيين واليهود لمساعدتهم على فهم الإسلام من خلال كتبهم المقدسة بعد أن تشوهت رؤيتهم لنا، وللقراء العلمانيين ليصل بهم من خلال اكتشافات العلم الحديثة إلى تأكيد وجود الحياة الآخرة بالمنطق الدنيوي الذي يتبعونه.

أظن أن كثيراً من شبابنا اليوم بحاجة لقراءة هذه السلسلة في خضم الأجواء المفتوحة على العقائد والأديان والأفكار، والتي تروج بينهم من خلال روايات ووسائل التواصل الاجتماعي، فجاءت هذه الروايات لتسد ثغرة مهمة في ثقافة الشباب المصري، وكم نحتاج من المؤلف أن لا يقف عند هذه الروايات، بل يواصل تقديم روايات جديدة تعالج الأفكار والعقائد الوافدة التي تغري الشباب لخوض مستنقع الأفكار المنحرفة والضالة.

ثم يدخل في حوار مع جاره اليهودي الملحد الماركسي حول حقيقة الدين ووجود الإله، وبعد قراءات مطولة في المادية والإلحاد، يوقن بعقلانية الإيمان وعلمية الخلق الإلهي للكائنات.

فيعود للإيمان باليهودية ولكن مع البحث عن الحقيقة في فرق وطوائف اليهود الأخرى، ولذلك يقرر السفر لإسرائيل، وهناك يلتقي بشخصيات يهودية من طوائف متعددة ويدخل معهم في حوارات وسجلات، ولكن لا يصل معهم للحقيقة، حول سبب اختلافات الفرق اليهودية حول التوراة والتلمود، وقضايا العصر، فضلاً عن تمكنهم من إثبات سلامة نص التوراة والتلمود المتداول أصلاً.

وقد تصدع رأسه من دراسة خلافات اليهود التي نتجت عنها ظهور الصهيونية، ثم من الخلافات حول التعامل مع الفلسطينيين والعرب، مروراً بتشابكات اليهود والغرب السياسية.

وفي تلك الأثناء أتيج له الاحتكاك بفلسطيني عربي مسلم «أحمد الكاشف» ويسكن معه! وهنا يكتشف الحاخام حقيقة النظرة الإسلامية تجاه اليهود ويطلع على جوانب من القضية الفلسطينية من الطرف الآخر، وفي هذا السياق يتعرف أبراهام على فتاة يهودية لها عشيق وهو ضابط كبير في الموساد، فيطاردهما فيفران للقاهرة بعد أن يصطلي أبراهام بمؤامرات ومكائد الموساد في القدس والقاهرة، وهنا تنتهي «الهروب إلى العاصفة»، لتبدأ «بشارات هائمة»، تتناول رحلة «أبراهام» في البحث عن الحقيقة في الديانة المسيحية.

هل نعيش زمن يهود الدونمة ٢٠١٤؟

قالوا: أكدت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في عددها الصادر، الخميس، أن أكثر من ألف مواطن يهودي فرنسي، تركوا البلاد والتحقوا بتنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وذلك بناء على التصريحات التي أدلى بها مسؤول كبير بالحكومة الفرنسية.

وأوضحت الصحيفة، في سياق تقرير لها، نشر عبر موقعها الإلكتروني، نقلاً عن وزارة الداخلية الفرنسية أن هؤلاء اليهود اعتنقوا الإسلام، وذهبوا للانضمام لصفوف المجاهدين بالدولة الإسلامية، مشيرة إلى أن هذه التصريحات جاءت بعيد أيام قليلة من تقارير تفيد بأن مراهقة يهودية فرنسية كانت من بين ١٠٠ فتاة غادرن فرنسا للانضمام للجهاد.

فيما نقلت الصحيفة عن «ماير حبيب» وهو عضو يهودي في البرلمان الفرنسي، ادعاءه بأنه لا توجد أية أدلة رسمية تؤكد انضمام هذه الفتاة أو غيرها لصفوف المجاهدين بالتنظيم، قائلاً للقناة الثانية الإسرائيلية: «إذا كانت الفتاة قد انضمت للدولة ... إنها حق ستكون للعالم».

بوابة الشرق ٢٠١٤/١٠/١٧

حتى شيعة تركيا يفضلون المستنقع الإيراني!!

قالوا: تظاهر عشرات الشيعة الأتراك في مدينة إسطنبول أمس، محتجين على انتقادات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان للمرشد الإيراني علي خامنئي، ورفع المحتجون شعارات ضد الرئيس التركي مهددينه «بقطع لسانه». وكان الرئيس التركي قد وجه انتقاداً لاذعاً

للمرشد الإيراني، لما وصفه بدور إيران الداعم لنظام الرئيس السوري بشار الأسد، وأكد أن تركيا ليست لديها أطماع في أراضي الدول الأخرى، ولا تتدخل في شؤونها الداخلية.

جاء ذلك في كلمة خلال مشاركته بافتتاح العام الدراسي الجديد بجامعة مرمرة في إسطنبول، حيث قال الرئيس التركي إنه يؤيد فتح ملف الحدود المرسومة في الأذهان والقلوب للنقاش بصورة مطلقة، غير تلك الحدود الجغرافية المعروفة.

وحول الصراع الطائفي، ذكر أردوغان أن كافة المسلمين يشعرون بالحزن، عندما يقتل الشيعة والسنة بعضهم البعض بوسائل وحشية، لكن المخططين لهذا الصراع يفرحون به منذ ١٠٠ عام، على حد قوله.

تركيا بوست - ٢٠١٤/١٠/١٧

الرضى الليبرالي بالإرهاب الحوثي الشيعي!

قالوا: المعتاد أن الحركات الدينية المتطرفة حين تزحف وتسيطر على العواصم فإن ذلك يستتفر كل الدول ويثير القلق حول أمرين: الأمر الأول: أمن هذه العواصم والمدن التي تقتحمها هذه الميليشيات المتشددة، والأمر الثاني: الأثر الخطير للصبغة الطائفية التي ستحكم بها هذه الميليشيات المدن التي تدخلها، ثم اتساعها وتمدها في محيطها الإقليمي بعد ذلك.

هذان الأمران يكادان يكونان غائبين تماماً في الصحافة والإعلام العربي والخليجي والمحلي على وجه الخصوص عند الحديث عن الحوثي واقتحاماته المتتالية للمدن اليمنية، إذ لا أحد

يتحدث عن خطورة التغفل الحوثي أمنياً في اليمن وعاصمتها ومدنها الرئيسية، كما أنه لا أحد أيضاً يتحدث عن خطورة التطرف الحوثي التكفيري المعادي للتيار السني والعربي بجميع أطرافه، والحليف الجبري لإيران.

علي عامر -

موقع المثقف الجديد ١٤٣٥/١٢/١

الاعتراف سيد الأدلة

قالوا: نصر أبو زيد قال أشياء كنت أتمنى أن أقولها، ولكن ربما استخدامي لآليات التخفي حال دون فهم ما أردت أن أقول، نحن مجموعة من الأفراد، لو اصطادونا لتمت تصفيتنا واحداً واحداً، ولذلك أرى أن أفضل وسيلة للمواجهة هي استخدام أسلوب حرب العصابات، اضرب واجر، ازرع قنابل موقوتة في أماكن متعددة، تنفجر وقتما تنفجر، ليس المهم هو الوقت، المهم أن تغير الواقع والفكر، ولذلك يسموني المفكر الزئبقى، لا أحد يستطيع أن يمسك علي شيئاً.

حسن حنفي

الصوفية سلاح الغرب القادم

قالوا: انطلق المؤتمر العالمي الرابع للتصوف من مدينة أورفا التركية بمشاركة أكثر من ٢٠ طريقة صوفية ممثلة لعشرين دولة من العالم العربي والإسلامي، بداية من ١٨ الشهر الجاري حتى ٢١، تحت مسمى «الإسلام دين محبة وسلام». وتتمثل أبرز الطرق المشاركة في النقشبندية والشاذلية والكركية والقادرية والكتانية والحسينية والدرقاوية والرفاعية وغيرها من الطرق من الشرق والغرب.

وكشف منظمو المؤتمر، في بيان حصلت «المصريون» على نسخة منه، سر اختيار ذلك الاسم قائلين: «يحمل المؤتمر هذا العام اسم الإسلام دين المحبة في ظل الهجمة البربرية من قبل أذعياء الإسلام، وبعض من نصبوا أنفسهم أوصياء على الدين، بالتزامن مع ظهور الجماعات التكفيرية في مناطق مختلفة من بلدان العالم الإسلامي. وأضافوا: «وانطلاقاً من ذلك حرصت الطريقة الرفاعية الحديديّة لشيخها محمد العجان الحديدي أن تكون رسالة المؤتمر هذا العام جديدة المعنى وقوية المبنى، تعمل على توحيد الصف الإسلامي لمواجهة التطرف والتكفير من جهة، والعمل والسعي في آن معاً على انبعاث الحالة الصوفية الوسطية من مكنها وسكونها مرة أخرى.

وتابعوا «ويعد الشيخ العجان من القلائل داخل الحالة الصوفية العربية الأكثر نشاطاً وحراكاً على المستوى الصوفي ويلقب بمجدد الرفاعية على المستوى الخاص وباعث الصوفية من مرقدها في المشرق بوجه عام، حتى أوضحت الطريقة الرفاعية الحديديّة الأولى في الدولة التركية ما دفعها بأن تنافس بقوة عبر مشاريعها التعليمية والتي تتجلى بشكل واضح في رواق الإمام الرفاعي ومنشوراتها العلمية التي تقترب من الأكاديمية في الطرح والتحليل وتبعد عن العشوائية التقليدية التي منيت بها المنشورات الصوفية القائمة الآن والتي تسببت في تراجع الحالة الصوفية كثيراً.

المصريون ٢٠١٤/١٠/١٦

وقد ترافق مع ذلك سياسات «الأسد» الفاشية وإجرامه المتواصل طيلة أكثر من ثلاث سنوات في سورية، واشتراك الميليشيات الشيعية من بيروت إلى صنعاء في وقف ثورة الشعب السوري، وارتكاب المذابح بحق الأطفال والنساء والشيوخ، كل ذلك بتخطيط ودعم وإشراف وتنفيذ إيران على الجبهات الثلاثة.

لقد خلقت هذه المعطيات البيئة المثالية لإيجاد تنظيم «داعش»، ولإنتاج المزيد من العناصر المتطرفة، وتجنيد المزيد منهم. ولا يفوتنا أن نقول أن تلك المجتمع الدولي، وتهريبه من تحمل مسؤولياته في سورية والعراق، بالإضافة إلى تهريب الولايات المتحدة من الأزمة السورية، ودعمها حتى اللحظة الأخيرة لـ «المالكي» الذي أوصلته إلى الحكم بمساعدة إيران قد عزز من وجود البيئة وسرّع من ولادة التنظيم.

النواة الصلبة لـ «داعش» في سورية والعراق اليوم ممن أسسوا التنظيم هم من المسجونين السابقين الذين أطلق «بشار الأسد» سراحهم، ومن الذين فروا من سجون «المالكي» الأكثر تحصيناً قبل أكثر من عام. هل يمكن لأحد أن يفسر لنا لماذا يطلق «الأسد» سراح هؤلاء، بينما يقوم بقتل الناشطين السياسيين والحقوقيين في سجونهم؟ وكيف يمكن أن يفر في يوم واحد فقط أكثر من ٥٠٠ عنصر من أخطر المنتسبين لتنظيم «القاعدة» من أكثر سجون «المالكي» تحصيناً، في حين يقوم بإعدام من هم أقل خطراً منهم ويرفض

٣ حقائق تكسر الأساطير عن تنظيم «داعش»

علي حسين باكير - تركيا بوس ٢٠١٤/١٠/١٧

تنظيم «داعش» ثوب فضفاض يمكن لأي جهة اتهام أي جهة أخرى بأنها مسؤولة عن صناعته ودعمه! وفي عصر تكثّر فيه الـ «بروبجندا»، ويقل فيه تحليل الوقائع والمعلومات من السهل تمرير ادعاءات كاذبة على أنها حقائق بينة! لكن.. ولكسر الأساطير المنتشرة حول «داعش» لا بد من تحليل ثلاثة معطيات مهمة ورئيسية تتعلق بالتنظيم؛ وهي: التجنيد، والتمويل، والتسليح.

هذه العناصر تعد مفتاح تشكيل أي جماعة مسلحة، وبالرغم من ذلك، لا يكفي أن تتوافر كلها حتى يتشكل لدينا مجموعة مقاتلة مسلحة، إذ لا بد قبل كل هذا أن تتوافر البيئة المناسبة لوجود المجموعة أو التنظيم، ولتأمين العناصر الثلاثة المذكورة أعلاه؛ للحفاظ على شريان حياة التنظيم.

أما البيئة المناسبة والمثالية لتنظيم «داعش» فقد أمنتها سياسات حكومة «المالكي» الطائفية والإجرامية خلال السنوات الماضية، والتي عزلت الملايين من أبناء البلد وهمشتهم واستباحتهم، وقد عزز من النتائج السلبية لهذه السياسات: الإثخان في الخصوم السياسيين، وعامة الناس على حد سواء تحت مسمى «اجتثاث البعث».

أما عن التمويل، فنسمع عن نظريات هنا وهناك، ويتم إهمال الوقائع الأكثر أهمية بخصوصها؛ الوقائع مرة أخرى تقول إن أبرز مصادر التمويل لدى «داعش» عندما نشأت تمثلت في بيع النفط والكهرباء إلى نظام «الأسد»، ولأن «الأسد» كان ولا يزال يعيش على الإعانات والمساعدات المالية الإيرانية والعراقية، فإن التمويل كان يأتي بطريقة غير مباشرة عبر هؤلاء.

بالإضافة إلى ذلك، شكل استيلاء تنظيم «داعش» على بنك الموصل مصدراً مهماً لتأمين حوالي ٤٥٠ مليون دولار، كانت كافية لنقل التنظيم نقلة نوعية، ناهيك عن مصادر الدخل الأخرى؛ ومنها: التهريب، والجمارك، والفدية، والتبرعات.

وعندما نأتي إلى موضوع التسلح، فنسلاحظ أن الجزء الأهم من ترسانة التنظيم أميركية وصينية الصنع كما أشار إلى ذلك تقرير حديث نشرته الـ«نيويورك تايمز» في ٥ أكتوبر ٢٠١٤. بمعنى آخر وإذا ما أردنا تفسير ذلك، فمن الواضح أن مصدر الأسلحة الأميركية هو الجيش العراقي، الذي قام بتنظيم الدولة بالاستيلاء على معداته ومخازنه وآلياته بعد انهياره أمام التنظيم بسرعة قياسية قبل عدة أشهر.

أما الأسلحة الصينية فمصدرها مخازن النظام السوري، التي كانت تمتد حتى اللحظة الأخيرة عبر إيران، والتي استولى التنظيم على أعداد هائلة منها. بمعنى آخر، فإن المصدر الأساسي والرئيسي للقسم الأكبر والأكثر أهمية لتنظيم «داعش» إنما جاء مرة أخرى من الحكومة العراقية والنظام السوري!

وللمفارقة، فإن أحداً ممن يرفعون الصوت الآن لمحاربة تنظيم «داعش» لم يأبه له عندما كان يتشكل.. ومن ثم يكبر.. ومن ثم يقوى.. ويستولي على المناطق التي حررها الثوار السوريون بدمائهم

من النظام السوري!.. كما أن أحداً لم يأبه للتنظيم عندما كان يقاتل المعارضة السورية، ويفتك بقادتها وعناصرها، وهي التي كانت مضطرة لأن تخوض حرباً على عدة جهات مع التنظيم، والنظام السوري، والمليشيات الشيعية، والعناصر الإيرانية!

وللمفارقة فإن المعارضة السورية بقيت أكثر من ثلاث سنوات تستصرخ العالم تزويدها بالأسلحة لتمكينها من الدفاع عن الثورة والمدنيين وعن نفسها، وكانت الحجة دوماً الخوف من أن تقع الأسلحة بأيدي آخرين، وإذا بأسلحة تلك الدول التي اتجهت بسخاء غير محدود إلى حكومة «المالكي» و«الأسد» تقع بين أيدي «داعش».

لم يأبه أحد لتنظيم «داعش» خلال كل تلك المراحل! والآن يدعون أن التنظيم فاجأهم - كما عبر عن ذلك الساذج «أوباما»، الذي كان يعرف قبل غيره ماذا يجري بالضبط في سورية والعراق، ولكنه كعادته أحب التهرب من تحمل المسؤولية ومواجهة الحقائق؛ ليرمي بمشكلاته على المخابرات المركزية ومسؤولي الـ«بنتاجون»، وكما قال أحدهم «لقد فضل «أوباما» أن يلعب الـ«جولف» على ما يبدو بدلاً من أن يقرأ تقارير الاستخبارات!».

لقد بلغ الأمر مبلغاً حتى أنه لا يوجد على الساحة من هو قادر بشرياً على مواجهة تنظيم «داعش»! الطائرات لا تكفي، وعندما يتم دك التنظيم وحتى مع افتراض نجاح التحالف، فإن السيطرة الميدانية على الأرض ستكون في النهاية للإيراني بعد «داعش»!.. من بيروت إلى صنعاء! وحده يمتلك جيوشاً على الأرض.. لقد أورثوهم العراق من قبل، والآن يورثوهم المنطقة برمتها؛ بسبب سياساتهم الخرقاء خلال السنوات القليلة الماضية!

الخليج "يبتعث" شيعته خارجياً

وإيران "تشنق" سنتها داخلياً

نايف العصيمي، سعود النشمي -

الوطن السعودية ٢٠١٤/١٠/١٩

اتهم باحث سعودي في الشأن الإيراني،

طهران بأن تدخلاتها في الشؤون الخليجية هي من أجل توسيع نفوذها في المنطقة، وليس حرصاً على أبناء الطائفة الشيعية، طبقاً للمادة ١٥٤ من قانونها. في حين قارن أكاديمي بجامعة الملك سعود بين حرص دول الخليج على ابتعاث الطلبة الشيعية، وسوق طهران مواطنيها السنة إلى المشانق.

ويرصد الباحث في الشؤون الإيرانية

الدكتور محمد السلمي، في تصريحه لـ «الوطن»، مفارقة كبيرة بين الادعاءات الإيرانية وتصويرها كحرص على الغير في الخارج، في وقت لا تجد فيه شريحة كبرى من الإيرانيين، أبسط مقومات العيش الكريم.

ويستعرض أستاذ الإعلام السياسي الدكتور

فهد الخريجي ركض دول الخليج، وعلى رأسها المملكة في تعليم أبنائها بصرف النظر عن طوائفهم، التعليم العالي وإرسالهم لبعثات خارجية، في حين أن إيران تتجهج التصفيات السياسية على أساس عرقي ومذهبي مقيت، لا سيما بحق عرب وسنة إقليم الأحواز.

بعين مجردة، بعيدة كل البعد عن التمييز

المذهبي والطائفي، الذي تتجهجه الجمهورية الإيرانية الإسلامية نهجاً وسلوكاً منذ عشرات السنين، يلمس أبسط متابع للأوضاع في منطقة الخليج، والسعودية تحديداً، فروقات كبيرة في العيش الكريم، ما بين دولة كإيران تتجهج الطائفية مرتكزاً سياسياً ومعيشياً، ودول كدول الخليج تضع المواطنه أساساً للتعامل مع أبنائها، أياً كانت مذاهبهم، ما دامت المواطنة أيضاً نهج حياة بالنسبة للمواطن.

وبأبسط منظور، وبمقارنة أقل من بسطة، يلمس الجميع سياسة المملكة العربية السعودية، ودول الخليج، كيف تسعى للزج بمواطنيها إلى الصفوف الأولى العالمية، من خلال برامج تعليم كبرى، وتوظيف، مقروناً بأمن اجتماعي ليس له مثيل في منطقة تشوبها الصراعات، وبين دولة - إيران - تضع كل ثقلها في تأجيج الصراعات الخارجية، مالياً وسياسياً ونفطياً، وأكثر من ذلك، فيما تتقلص أبسط مقومات العيش الكريم للمواطن الإيراني شيئاً فشيئاً، حتى بلغت مستوى الدول الأقل من نامية.

ويبرز أن التدخل الإيراني الصارخ على خلفية

إصدار حكم الإعدام بحق ما يسمى برأس فتنة

العوامية نمر النمر، ليس له تفسير إلا المادة ١٥٤ التي تزعم فيها إيران بأنها مسؤولة عن «المستضعفين في الأرض»، كأحد أبرز أوجه تدخل طهران في شؤون الغير، ما يعكس توتراً سياسياً، ومالياً، واجتماعياً، يرتكز على تناقضات إيران، والضحية في هذا الأمر هو الإنسان على الأراضي الإيرانية، سواء كان عربياً أحوازيماً، أو إيرانياً فارسياً.

الدفاع بـ«مذهبية»

الخبير في الشؤون الإيرانية الدكتور محمد السلمي، يجد في حديثه لـ «الوطن»، أن سبب تدخلات طهران في شؤون البلاد الأخرى، يعود لأن حكومة طهران تنصب نفسها المدافع الأول عن الشيعة في أنحاء العالم، وأن هناك مادة في الدستور الإيراني (المادة ١٥٤) تزعم فيها إيران أنها مسؤولة عن «المستضعفين في الأرض». وأشار السلمي إلى أن هذه المادة المعني فيها هم الشيعة دون غيرهم، مضيفاً «هذه المادة تعني أن النظام الإيراني يسمح لنفسه قانونياً بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ولا يوجد دولة في العالم، بما فيها إيران، تسمح لدولة أخرى بالتدخل في شؤونها الداخلية أو شؤون رعاياها، وما هذا التدخل الإيراني إلا انتهاك صارخ يجب على طهران التوقف عنه. أو أن الدول

الخارج على حساب الداخل

من جانب آخر، وصف السلمي هذا التدخل الإيراني السافر في شؤون الآخرين ودفاعها عن الشيعة خارج إيران، بأنه يثير غضب المواطن الإيراني بالدرجة الأولى، لا سيما وأن الحكومة الإيرانية تنتهك حقوقه، بينما تدافع عن حقوق الآخرين. فيما يرى الدكتور الخريجي أن حكم الإعدام بحق ما يسمى رأس الفتنة، ليس ردة فعل سعودية للحرية المسلوبة من العرب والتي تمارسها حكومة طهران، بل تم فيه تطبيق الشرع لارتكاب النمر أعمال الخيانة العظمى بالتصريح بولاية الفقيه ومقاومة الدولة وسب الصحابة والتجديف، في دولة موحدة بالله، تعظم الصحابة، وتؤمن بالمواطنة أساساً للحكم ومذهبها سلمي يرفض الخروج على الحاكم وشق عصاه أو إثارة الفتنة في الأمة.

تهميش السنة والخطأ التاريخي

وأضاف أستاذ الإعلام السياسي قائلاً «لقد ارتكبت إيران خطأ فادحاً بتهميش السنة واضطهادهم وقتلهم والتضييق عليهم، مع أنهم كانوا السند والظهر الذي أسهم في رفع الظلم عن الشيعة في عهد الشاه، وكانت لهم مواقف يشهد بها التاريخ في الوقوف صفاً واحداً مع بقية الإيرانيين؛ لكن الحرس الثوري والخميني قاما بذبذبهم وتشريدهم فور سقوط الإمبراطورية. واستغرب الخريجي من أن إيران الجديدة لم تستفد من التجربة الخليجية في معاملة الأقلية الشيعية كمواطنين، بغض النظر عن مذهبهم، رغم بعض الصراعات التي كان سببها تحريض الحرس الثوري والدعوة إلى ولاية الفقيه والولاء لغير دولهم برفع شعارات الخميني أو الدولة الفارسية، وهذا ما لا تقبله الدول لمساسه بسيادتها. وفي مقارنة بسيطة، أوضح الخريجي أنه إذا كانت إيران قد ألقت بعشرات الآلاف من السنة الأحواز في غياهب السجون وعلقت الآلاف على أعمدة المشانق، فإن دول الخليج قد أسهمت في ابتعاث أبنائها من الشيعة

قد تعامل إيران بالمثل، وبالتالي تتدخل في شؤونها الداخلية، لا سيما أن هناك الكثير الذي يمكن الحديث عنه في الداخل الإيراني».

قطع رأس «العمالة»

من جانبه، لم يكن أستاذ الإعلام السياسي بجامعة الملك سعود الدكتور فهد الخريجي بعيداً عما ذهب إليه السلمي من حيث مسببات هذا التدخل، مشيراً إلى أن رأس الفتنة وبعد التدخلات الإيرانية ثبت بما لا يجعل مجالاً للشك أنه عميل لها ضد مصالح المملكة، مضيفاً «حكم الإعدام هو الصواب في حقه لخيانته الأمانة، وإذا كان النمر مواطناً إيرانياً، فعلى إيران أن تقدم الدليل على ذلك من خلال القنوات الدبلوماسية، مع العلم أن الجريمة التي ارتكبتها النمر كانت على الأراضي السعودية، وعليه فإن الأعراف الدولية تؤكد أن المحاكمة تكون في مقر وقوع الجريمة أو ارتكابها، فالأمن والاستقرار هما رصيد المملكة الثابت الذي لن تتخلى عنه».

شيعية الخليج.. الحلقة الأضعف

وبالعودة إلى السلمي قال: «إيران بتدخلها تحت شعار الدفاع عن الشيعة، يدفعها في ذلك تركيبتها وتوجهاتها الطائفية، وتضع الشيعة خارج إيران في حرج كبير أمام حكوماتهم وأبناء وطنهم، فهؤلاء الشيعة لم يقوموا بتوكيل إيران بالدفاع عنهم، إن كانت لهم مظالم، فما بالك بأوضاع ممتازة يعيشها الشيعة، خاصة في الدول الخليج، يحلم المواطنون في إيران، الشيعة قبل السنة، بالحصول على ربيعها، من رغد عيش، وعدم استهداف على الهوية، والمساواة في المواطنة».

وفي حديث السلمي والدكتور الخريجي اتساق وتوافق، حيث وصف الأخير مواطني المذهب الشيعي في الخليج بأنهم ينعمون بالخيرات ويأخذ بأيديهم لطلب العلم في برامج الابتعاث، بينما السنة في إيران لا يأخذهم نظام طهران إلا إلى المشنقة والهالك بحجة تهم ليس لها أساس من الصحة.

لطلب العلم في دول العالم ، حيث إن المملكة نموذج رائد في ابتعاث عشرات الآلاف من أبنائها الشيعة لأميركا وأوروبا وغيرهما ، ولم تقصر الابتعاث على غالبية أبنائها من السنة.

قناة إيران المستهلكة

الخبير في الشؤون الإيرانية السلمي بين أن إيران لا تستطيع التدخل في شؤون دولنا الداخلية الخليجية ، إلا عبر رفعها شعار الدفاع عن الشيعة ، فهو بالنسبة لها القناة التي ترغب في استمرارها متاحة لإثارة الفوضى والقتل في دول الجوار ، مشيراً إلى أن التصريحات الصادرة من شخصيات رسمية محسوبة على النظام الإيراني في البرلمان الإيراني ووزارة الخارجية ومستشاري الولي الفقيه ، وقادة عسكريين في الجيش والحرس الثوري الإيرانيين وغيرهم ، ليست مجرد تقارير صحفية أو اجتهادات إعلامية ، بل ذات أهداف واضحة ، ما دعا السلمي للمطالبة بضرورة معاملة مثل هذه التصريحات بمحركات الدبلوماسية السعودية.

سنة إيران وسنوات الإقصاء

وأكد السلمي أن أبناء المذهب السني في إيران والذين يشكلون أكثر من ثلث سكان البلاد ، يعانون من حالة إقصاء وتمييز طائفي كبيرين ، كما أن الإعدامات السياسية والمذهبية التي تستهدف السنة في إيران تحدث شهرياً ، إن لم تكن أسبوعياً ، وبعيداً كل البعد عن المحاكمات المفتوحة أو أبسط حقوق السجناء من تعيين محامين ونحو ذلك ، بل إن الأمر قد بلغ بإيران أن تمنع تسليم جثامين من تنفذ في حقهم الإعدام لأهلهم وذوهم وتمنع في كثير من الأحيان إقامة مراسم العزاء أيضاً.

وأوضح السلمي أن مثل هذه الأوضاع حدثت وتحدث حتى في ظل الحكومة الإيرانية الحالية التي تقدم نفسها بـ«المعتدلة» ، في المقابل ، نجد أن محاكمة نمر النمر تم إجراؤها في أجواء بعيدة عن التشنج الطائفي ، وهناك محام يرافع عن المتهم أمام القضاة ، شأنه شأن أي متهم آخر ، مردفاً بالقول:

«هذه الاعتراضات الإيرانية تضر بقضية النمر أكثر مما تنفعها وتثير الشكوك حول أسباب هذا الدفاع الإيراني المستमित عنه ، كما أن إيران تحاول من وراء ذلك إثارة الفتنة الطائفية في البلاد ، لكن هذا الأمر لن ينطلي على أبناء الشيعة في المملكة ، لأنهم يدركون مدى خطورة هذا الوضع ، وأن إيران هي المستفيد الأكبر من التأجيج الطائفي. كيف لا وهو مشروع طهران الأول في المنطقة. وعلينا التذكر أن محاكمة المنتمين إلى الفئة الضالة لا تفرق بين سني وشيعي ، ومن تمت محاكمتهم من السنة أكثر من الشيعة فأين البعد الطائفي والمذهبي في ذلك؟».

تداعيات انخفاض أسعار النفط على خلفية الصراعات الجيوسياسية

د. خطر أبو دياب - صحيفة العرب ٢٠١٤/١٠/١٨

عندما صمم بعض الزعماء العرب على أن يكون «بتترول العرب للعرب» تبخروا ، وعندما حاول مصدق إيران تغيير قواعد اللعبة في سوق الطاقة ، جرى إبعاده. هكذا بدل أن يكون النفط نعمة ومصدر قوة ، كان ، غالباً ، نقمة جعلت المنطقة العربية والشرق الأوسط مسرح مطامع كبار المستهلكين. ومنذ سنوات مع تحول الغاز الطبيعي إلى سلعة رئيسية في سوق الطاقة نرى تمركز صراعات وتجاذبات من روسيا وآسيا الوسطى ، إلى إيران وقطر وشرق المتوسط ، وذلك بموازاة دخول الغاز الصخري الأميركي على الخط. ومن هنا تشكل الإحاطة بديناميكيات إنتاج الطاقة وحاجات القوى الصناعية الكبرى من الصين والهند واليابان ، إلى دول الاتحاد الأوروبي ، مدخلا لفهم الاستراتيجيات الدولية والتوازنات قيد البلورة في ظل مناخ حرب باردة متجددة وغياب الحوكمة والزعامة في المنظومة الدولية.

منذ حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ واستخدام العرب لسلاح النفط ، قررت واشنطن تغيير

العربية السعودية يقضي بزيادة إنتاج النفط كوسيلة ضغط على إيران، التي تحاول زيادة إنتاجها لتغطية العجز الحاصل في اقتصادها، ويذهب البعض إلى حد الكلام عن ترتيب أميركي - سعودي للضغط أيضا على روسيا التي تعاني من العقوبات الاقتصادية الغربية.

يمكن افتراض استخدام الرياض سلاح الطاقة في وجه طهران، حيث أن الحرس الثوري الإيراني له حصة في قطاع النفط، مما سيؤثر على ميزانيته للعمليات الخارجية. لكن انعكاس الانخفاض السلبي على الاقتصاد الإيراني (الذي يعاني أصلا من وطأة العقوبات الدولية المفروضة عليه) يمكن أيضا أن تتضرر منه الرياض واقتصادها، ولا يعتقد أن ربط الأمر بالاشتباك الإقليمي هو ربط منطقي.

نتيجة ارتفاع إنتاجها من النفط الصخري انتزعت الولايات المتحدة الموقع الأول في الإنتاج متقدمة على روسيا والمملكة السعودية، وهذا الانقلاب في خارطة الإنتاج بالإضافة إلى احتمال العودة القوية لإيران في حال رفع العقوبات عنها، زاد من البلبلة في السوق، وهذا يفسر رفع السعودية إنتاجها خدمة لمصالحها الاقتصادية في المقام الأول. تحرص الرياض على حفظ حصتها في الإنتاج لضمان دورها المركزي في منظمة أوبك.

وفي سياق قراراتها ونتيجة اعتمادها، أكثر فأكثر، على الأسواق الآسيوية، لا يستبعد أن تكون الرياض قد قررت استهداف صناعة النفط والغاز الصخري في الولايات المتحدة، إذ أن السعر المنخفض للنفط سيعطل الاستثمار لفترة (مقابل أقل من خمسة دولارات لاستخراج برميل الخام، يكلف برميل النفط الصخري استخراجا ونقلًا حوالي ٨٠ دولارا).

إستراتيجيتها كي تكرر هيمنتها الإقليمية وسبقها الدولي (السيطرة على البحار ومنابع الطاقة وممراتها). وقد أثار «التحدي العربي» العم سام إلى حد كشف وثيقة سرية بريطانية عن تفكير الولايات المتحدة الجاد، حينها، في إرسال قوات محمولة جوا للسيطرة على حقول النفط في المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات خلال الحظر على صادرات النفط الذي فرضته الدول العربية عام ١٩٧٣ خلال حرب أكتوبر. وما لم يحصل حينها تم تحقيقه لاحقا إذا تابعنا الرعاية الأميركية لمسار الأحداث التاريخي من الحرب العراقية - الإيرانية في الثمانينات، إلى حرب تحرير الكويت في بداية التسعينات، وحرب العراق عام ٢٠٠٣.

تميزت السياسة الأميركية التقليدية حيال الشرق الأوسط بأبرز ثوابتها وهي حماية أمن إسرائيل وحماية أمن الطاقة، ولذا كان للرياض وزنها الدائم في الحسابات الأميركية، ولم يتأثر ذلك بالعلاقة الحميمة بين واشنطن وطهران الشاه. واليوم على ضوء الصراعات المحتمدة من أوكرانيا إلى البحر الأحمر وبلاد الشام، تبرز من جديد أهمية الطاقة في حروب اليوم، ويبدو الدور السعودي مركزيا للدفاع عن المصالح الذاتية في لعبة السوق، مع أن البعض يلمح إلى استخدام سلاح النفط من جديد في مواجهة التحدي الإيراني والروسي، كما في مواجهة الإهمال الأميركي.

بالرغم من الحروب والصراعات المستعرة في ليبيا واليمن والعراق وسوريا، وخلافا للعادة في زمن التوتر، يستمر انخفاض أسعار البترول ووصل سعر البرميل هذا الأسبوع إلى ٨٣ دولارا، وهو أدنى مستوى خلال أربعة أعوام، والتفسير الواقعي يعزو ذلك إلى الزيادة الكبيرة في العرض، واستمرار المنحى التصاعدي للدولار. بيد أن خبراء اقتصاديين ومحللين سياسيين يفترضون وجود قرار من المملكة

حزب الله والإرهابي السعودي!

طارق الحميد - الشرق الأوسط ٢٠١٤/١٠/١٨

انظروا من يتحدث، ويصدر بيانا يطالب فيه «الهيئات الدولية المعنية بحقوق الإنسان» بضرورة التدخل، إنه حزب الله الإرهابي، وذلك تعليقا على صدور حكم قضائي في السعودية يقضي بالإعدام بحق الإرهابي نمر النمر الذي يصفه بيان حزب الله بـ«العالم المجاهد»، فأى سخرية أكثر من هذه؟

دفاع حزب الله هذا عن إرهابي مدان في السعودية هو دليل على طائفية الحزب، ودليل على أن هذا الحزب أبعد ما يكون عن احترام الدول، أو فهم مفهوم الدولة، بل هو حزب إيراني مهمته تقويض دولنا، وإذكاء الطائفية فيها. الإرهابي نمر النمر مثله مثل أي إرهابي آخر، الفارق الوحيد عند حزب الله، وكل طائفي، هو أن «نمر» شيعي، وحزب الله، والطائفيين على غرارهم، يعتقدون أن الانتماء إلى الطائفة الشيعية يعني الحصانة، وضرورة التباكي عند المنظمات الحقوقية الدولية، بينما إعدام إرهابي سني يعد أمرا طبيعيا، ومطالبة به الدول العربية، ومنها السعودية، ولذا دائما ما نسمع رأس التطرف الشيعي بمنطقة حسن نصر الله يتحدث عن السنة كونهم التكفيريين!

اليوم، وبألها من سخرية، يصدر حزب الله بيانا يدافع فيه عن الإرهابي النمر، متحدثا فيه عما سماه «اقصائية والقمعية» ومتحدثا، أي حزب الله، عن الضيق من «الكلمة الحرة والنضال السلمي»! يقول حزب الله ذلك وهو من احتل بيروت، وعطل الديمقراطية فيها، ويقول ذلك وهو من يقوم بقتل السوريين الذين طالبوا بالحياة الكريمة، والنجاة من مجرم فاسد اسمه بشار الأسد، واليوم يقول حزب الله ما يقوله بحق السعودية وهو يعطل عملية انتخاب رئيس لبناني، ويقول ما يقوله وهو متورط في العراق، واليمن، وذلك خدمة للمشروع الإيراني

لكن العامل السياسي في القرار السعودي غير مستبعد تماما، نتيجة تزامن انخفاض أسعار البترول مع ازدياد التوتر الجيوبولوتيكي في المنطقة، وتقدم تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وما يجري في اليمن من تقدم أنصار إيران نحو البحر الأحمر وباب المندب.

من خلال رفع الإنتاج وخفض الأسعار، تعتمد الرياض إستراتيجية تحاول من خلالها الحد من اندفاع قطاعي النفط والغاز الصخري المنافسين، أما الأهداف السياسية فأبرزها الضغط على إيران التي كانت عادة تطالب برفع الإنتاج، أما الآن فهي تطالب بخفضه لتحسين الأسعار وعدم تأثر ميزانيتها.

وفي هذا السياق يمكن أن يكون لبعض الدوائر الأميركية دور في محاولة الضغط على روسيا (التي تستخدم بدورها سلاح الغاز في أوروبا) من خلال زيادة الإنتاج والتصدير للخارج والضغط على مواردها النفطية. أما الصين التي تعتبر المستورد الأول لطاقة الخليج، فأخذت تسجل حضورا عسكريا مع إرسالها منذ فترة بسيطة مدمرتين إلى إحدى الموانئ الإيرانية.

إزاء هذه التحولات في سوق الطاقة، ومعركة واشنطن ضد «داعش»، واختبار القوة مع روسيا، يمكن لواشنطن التمسك بوجودها في الشرق الأوسط الكبير إلى جانب استدارتها نحو المحيط الهادئ وآسيا، وربما تهدف من وراء الصفقة المرتقبة مع إيران إلى إعادة رسم استراتيجيتها كي تبتعد طهران عن موسكو، مقابل اكتفاء إيران بلعب دور الشرطي الإقليمي في جوارها القريب والابتعاد عن إسرائيل والبحر المتوسط. إنها مفاتيح اللعبة الكبرى المستمرة التي لن تتفكك ألغازها وأسرارها بسرعة، والتي تحاول الرياض وشقيقاتها ألا تكون من ضحاياها.

المقبلة في إيران أشخاصا مثل «ذلك الرجل» إلى السلطة.

وفي وقت سابق، نقل وزير الخارجية جواد ظريف الرسالة ذاتها إلى مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك، حين حذر قائلا «إذا لم تساعدونا، فيمكن أن تجدوا ذلك الرجل مرة أخرى».

ولكن من هو «ذلك الرجل» الذي يحاول روحاني وظريف تصويره على أنه شخص مكروه للأميركيين؟

إنه الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد.

من المؤكد أن أحمدي نجاد لا يملك قاعدة

انتخابية خاصة به، ومن غير المرجح أن يفوز في أي انتخابات من دون تعليمات من «الدولة العميقة»، المقصود بها الجهاز الأمني العسكري، وشبكة الملالى السياسية، وجماعات المصالح في مجتمع الأعمال.

ولكن يأمل روحاني، ومستشاره السياسي

الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني، في أن يمنحهم إبرام اتفاق مع الولايات المتحدة دفعة تسمح بسيطرتهم على مجلس الشورى الإسلامي، البرلمان المصطنع، في العام المقبل، ثم الاستحواذ على مجلس الخبراء الذي بدوره يختار «المرشد الأعلى». لا شك في أنه داخل المؤسسة الخمينية، يعد الفصل الذي يقوده رفسنجاني هو الأقل عداء تجاه الولايات المتحدة. وكان رفسنجاني دائما ما يتخيل أنه النسخة الإيرانية من الزعيم دينغ زياو بينغ الذي أنهى فصول الثورة الماوية ومهد الطريق أمام دخول الصين إلى النظام العالمي.

يتعلق موقف رفسنجاني بفكرة أن الولايات

المتحدة ليست لديها أي مشكلة مع الطبيعة الإسلامية لنظام الخميني. وفي الواقع، تملك أربع «جمهوريات إسلامية» أخرى علاقات طبيعية وأحيانا ما تكون وثيقة مع واشنطن. وفي حالة عدم تهديد نظام الخميني للمصالح الأميركية، فلن يقل اهتمام واشنطن بما يفعله النظام داخل إيران.

الطائفي التوسعي بالمنطقة، ثم بعد ذلك يأتي حزب الله لمحاضرة السعودية، ومثلما فعل بحق مصر قبل سنوات، التي رأينا بعد ذلك كيف أقدم الحزب، وبمساعدة من الإخوان المسلمين، على تهريب إرهابيه من السجون المصرية إبان الثورة!

وعليه فإن بيان حزب الله هذا يؤكد،

وللمرة الألف، على أنه من الضرورة أن يرتفع الصوت الشيعي العاقل، والمعتدل، لمجابهة التطرف الإرهابي الشيعي، سواء حزب الله، أو غيره بالمنطقة، والقصة ليست قصة بيان يصدر هنا أو هناك، بل ضرورة أن تكون الأصوات الشيعية المعتدلة منظمة، ومثابرة، على قول كلمة الحق، والوقوف بوجه الإرهاب الشيعي، وللأسف فإن المرء يجد نفسه مضطرا هنا للقول، وبكل مباشرة، إنه مثلما نتصدى، وتصدينا، للإرهاب السني، فإن على عقلاء الشيعة التصدي للإرهاب الشيعي، وهو واضح جلي من بيروت إلى العراق مروراً بسوريا، ومن البحرين إلى اليمن، فإذا كان حزب الله، ومن خلفه إيران يهددون عقلاء الشيعة ويرهبونهم فإن ذلك لا يقل خطرا عن تهديد «القاعدة»، وقبلها صدام حسين، لعقلاء السنة الذين ما فتئوا يحاربون التطرف بكل أنواعه، السني والشيعي، وعلى رأس كل هؤلاء العقلاء تأتي المملكة العربية السعودية.

عمامتان بيضاوان

وعمامة سوداء غامضة

أمير طاهري- الشرق الأوسط ٢٠١٤/١٠/٣

أثناء فترة إقامته في نيويورك، استضاف

الرئيس حسن روحاني «عشاء خاصا» لعدد من المسؤولين الأميركيين السابقين، ورؤساء شركات نفط، وجماعات ضغط. ووفقا لعدد من المشاركين، حاول روحاني توصيل رسالة بسيطة، بأنه إذا لم تساعد الولايات المتحدة على انتزاع اتفاق بشأن المسألة النووية، فقد تعيد الانتخابات

الرئيس السابق بتسسيق «خدع قذرة» ضد الملالي الذين اعتبرهم خصوما محتملين على المنصب الأعلى.

وفي الوقت الحالي، أصبح هدف الرئيس هو آية الله محمد تقى مصباح يزدي عضو مجلس الخبراء، الذي اتهم جماعة رفسنجاني علنا بالتخلي عن الثورة وبيع إيران إلى أميركا «الشيطان الأكبر». ومن جانبه، اتهم رفسنجاني مصباح يزدي بأنه عارض اتخاذ إجراء ثوري ضد الشاه. وكان رد مصباح يزدي باتهام رفسنجاني بإقامة تعاملات سرية مع حركة «مجاهدين خلق» الإسلامية المسلحة التي نشطت داخل إيران في السبعينات وما بعدها في معارضة للخميني.

زاد دخول خامنئي إلى المستشفى لفترة قصيرة من قوة الصراع على من يخلفه. وقد أثارت شخصيات مقربة من رفسنجاني، وأبرزهم الملا قربان علي دوري نجف آبادي، القضية علنا. لا تقلل حقيقة أن خامنئي أصغر سنا من رفسنجاني ومصباح يزدي من التكهّنات المتعلقة بوفاته في النهاية. وحتى إذا طال عمره إلى السن التي توفي فيها الخميني، فسيكون أمامه ١٣ عاما أخرى. كما أنه قد يجري تعديلا دستوريا ليحل رئيس الوزراء محل الرئيس. وقد أثّرت المسألة علنا مما يشير إلى أن هذه الخطوة قد تكون في جدول الأعمال في غضون أربع سنوات. وعلى أي حال، يمكن أن يظل مجلس الخبراء التالي في موقعه حتى عام ٢٠٢٤، وحينها سيكون عمر كل من خامنئي ورفسنجاني ومصباح يزدي ٩٠ عاما. وسيكون من الحماقة أن تتورط الولايات المتحدة في الصراعات بين الفصائل في طهران.. فجمهورية الملالي في إيران ليست جمهورية الصين الشعبية، وفكرة «أوباما في طهران» قد تكون مجرد صورة كاريكاتيرية أخرى مثل «نيكسون في بكين».

في سعيهما إلى السلطة العليا، يواجه كل من رفسنجاني ومصباح مشكلة أخرى. فهما على عكس خامنئي، يرتدي كل منهما عمامة بيضاء،

ولكن رغم أن الصين تحتل المرتبة الأولى في عمليات الإعدام، فإن ذلك لم يمنعها من أن تصبح أكبر شريك تجاري لواشنطن (ويشار إلى أن جمهورية إيران الإسلامية تحتل المرتبة الثانية).

على مدار أكثر من عقدين، ذرف رفسنجاني الدموع مجازا بسبب خطأ ارتكبه بعد وفاة الخميني في عام ١٩٨٩ بدعمه لعلّي خامنئي الملا الصغير ليصل إلى موقع «المرشد الأعلى». في الوقت ذاته، اعتقد رفسنجاني أنه بتولي منصب الرئيس فسوف يتحكم في آليات النفوذ في الدولة، في حين سوف تتحسر سلطة خامنئي، وهو شخصية غير بارزة يهتم بالشعر وآلة السيّات. كان مخطئا. لا يمكن أن يتخلى نظام يقوم على مفهوم «ولاية الفقيه» عن مبدئه التنظيمي. كما أن رفسنجاني استخف في تقديره لخامنئي الذي اتضح أنه قائد صارم مخلص لفكر الخميني.

بعد نحو ربع قرن، يحاول رفسنجاني تصحيح خطئه بأن يكون «المرشد الأعلى». وقد فاز الفصيل الذين ينتمي إليه بالرئاسة، ويأمل في الفوز بمجلس الشورى في العام المقبل. إذا نجح الأمر، فقد يصبح الطريق مفتوحا أمام الفوز بمجلس الخبراء في مايو (أيار) ٢٠١٦. وحينها، من يدري ماذا سيحدث؟

لهذا السبب كان رفسنجاني يخوض حملة دعائية طوال العام الماضي أو نحوه. وبأقصى سرعة نشر عدة أجزاء من مذكراته، بهدف تذكرة الناس بصلاته القديمة مع الخميني الراحل والنجاحات المفترض أنه حققها في فترتيه الرئاسيتين. كما أدلى بما يزيد على ٤٠ لقاء، من بينها حوارات مع وسائل إخبارية غربية. وبعد أعوام لم يسمح له فيه بالخروج من طهران، سافر رفسنجاني إلى جميع أنحاء بلاده، مقدما ذاته في صورة المنقذ المحتمل للأمة. وصدرت أوامر إلى طهران بإدراج مقابلة مع رفسنجاني في برامج جميع الوفود الأجنبية القادمة إلى الجمهورية الإسلامية. وهكذا أصبح وجه رفسنجاني يتصدر الصفحات الأولى في طهران يوميا. إضافة إلى ذلك، قام

مما يعني أنهما ليسا من نسل فاطمة وعلي، أي أنهما ليسا من آل البيت. وهكذا ربما تظهر عمامة سوداء من خلف الظلال لتصبح الحصان الأسود الرابع في هذا السباق

ماذا كتبت الصحف الإيرانية عن التمرد الحوثي

مصطفى حسين - موقع المثقف الجديد ١٤٣٥/١٢/٢٠

كتب ديفيد هيرست في مقدمة مقاله عن «الشأن اليمني في «ذي هافنغتون بوست» : «توجد هناك عند نقاط تقاطع الطرق مع خطوط السكة الحديد في فرنسا ، يافطة موجهة لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم يقطلين مكتوب عليها : «يمكن لقطار أن يخفي وراءه قطاراً آخر». وكان قد أخذ منها الكاتب استنتاجه، بينما نحن نأتي باستنتاج آخر حيث ينبغي لمثل هذا التنبيه الجيد أن ترفع به يافطات، يكتب فيها: «يمكن لتدخل إيران في اليمن أن يخفي وراءه تدخلاً آخر». لذلك تتراعى الأمور أن ثمة تدخلاً آخر تنتظره طهران. فيا ترى من يكون البلد العربي التالي؟

إذن في هذه الحلقة نسلط الضوء على الزحف الحوثي المتلبس بالعباءة الإيرانية، فالمتابع والراصد للحراك الإيراني وطموحات التوسع في المنطقة يجد ذلك يظهر جلياً على الصحافة الإيرانية الرسمية وغيرها والتي تؤكد تلك المطامع اعتمادهم على الحوثيين في اليمن، حيث وصفوا على لسان أحد مراجع الشيعة في قم «أنهم سيكونون الطوق الذي يسعون من خلاله إلى الامتداد والسيطرة على كل المنطقة».

عقب التمرد الأخير للحوثيين في اليمن ظهرت مجموعة من الصحف الإيرانية اهتمامها بشكل واسع بشأن اليمني، وقامت بتعزيز الإستراتيجية الإعلامية الإيرانية معتمدة على ما يلي:

- التسويق والتبرير للسياسة الإيرانية ومعها

الترويج للحوثيين.

- استهداف القوى التي يعتقد الحوثيون والإيرانيون أنها تشكل عوائق للمشروع الإيراني، والمشروع الحوثي.

وكان الهدف من هذا الخطاب الإعلامي،

أولاً: تحريف مسار الثورة الشعبية في اليمن، ثم إسقاط المبادرة الخليجية، وأخيراً إسقاط النظام «نظام ما بعد توقيع المبادرة».

وبدأت تبرز ملامح التصعيد والتدخل

الإعلامي والصحفي الإيراني في المشهد اليمني الأخير، ووفقاً لوكالة فارس الإيرانية حذر خطيب الجمعة في طهران خاتمي الحكومة اليمنية من المساس بجماعة الحوثيين التي تصعد عملها في العاصمة صنعاء ومداخلها، مشيراً إلى أن الرئيس عبدربه منصور هادي تم التواطؤ معه، وتم اختياره من قبل أمريكا. ودافع خاتمي في خطبته، بشكل يثير الاستفسار، عن جماعة الحوثيين المسلحة، وادّعى بأن تظاهراتهم «سلمية كاملة»، موجهاً خطاباً يحتوي على التحذير والتهديد لحكومة الوفاق الوطني.

وفي نفس السياق تفاخر ممثل مدينة طهران

في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني، وهو من المقربين من المرشد علي خامنئي، بأن إيران باتت الآن تتحكم بأربع عواصم عربية: بغداد، دمشق، بيروت وصنعاء، قائلاً: «ثلاث عواصم عربية أصبحت اليوم بيد إيران، وتابعة للثورة الإيرانية الإسلامية»، مشيراً إلى أن صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي في طريقها للالتحاق بالثورة الإيرانية.

وأعتبر زاكاني الثورة اليمنية امتداداً طبيعياً

لثورة الإيرانية، وأضاف: «بالتأكيد فإن الثورة اليمنية لن تقتصر على اليمن وحدها، وسوف تمتد بعد نجاحها إلى داخل الأراضي السعودية، وإن الحدود اليمنية السعودية الواسعة سوف تساعد في تسريع وصولها إلى العمق السعودي».

وفي ترجمة لحالة التمرد الحوثي التي برزتها

الصحافة الإيرانية، وصفت صحيفة «كيهان» الإيرانية، التمرد الحوثي بالثورة اليمنية السلمية وذكرت إنها قد تتحول قريباً إلى حسم عسكري مسلح، مشيرة إلى أن المنطقة بدأت تسجل تاريخها من جديد بين الأمم منذ اندلاع ثورات الربيع العربي التي سمّتها كيهان بالصحوّة الإسلامية.

وتابعت صحيفة المرشد، اتهامها المستمر

للحكومة اليمنية ووصفتها بالفساد وبعدم التحرك «لتصحيح أخطائها من خلال التشاور مع الحوثيين»، بحسب تعبيرها. وفي تدخل جديد يعزز من التأكيد على ارتباط جماعة الحوثي المسلحة بالمشروع الإيراني الفارسي التوسعي في المنطقة. دعا نائب رئيس أركان القوات المسلحة الإيرانية العميد مسعود جزائري الولايات المتحدة وحلفاءها إلى الالتفات إلى مطالب المتظاهرين الحوثيين. ونقلت العديد من الصحافة الإيرانية هذا الخبر. وأضاف أن «الشعب اليمني لا يسمح للأجانب، من ضمنهم الأمريكيون والرجعيون العرب، بالتدخل في الشؤون الداخلية لبلادهم».

وفي الحديث عن الإخوان المسلمين في اليمن

اعترفت صحيفة «طلاعات» الإيرانية الرسمية

منذ عدة أيام، بفشل ثورة حلفائها الحوثيين في اليمن، متهمة حزب الإصلاح اليمني بأنه وراء فشل جهود الحوثيين بإسقاط الحكومة اليمنية. وقالت: إن الإخوان المسلمين المتمثلين بحزب الإصلاح هم أكبر عقبة أمام نجاح ما وصفته بـ«ثورة الحوثي الإسلامية» في اليمن. وحول تقدم جماعة الحوثي وسيطرتهم على مداخل العاصمة اليمنية صنعاء قالت الصحيفة إن «أنصار الله ومناصري الثورة الإسلامية بقيادة زعيم الحوثيين عبد الملك الحوثي تقدموا ميدانياً في الأيام الأخيرة، ولكن الحشود الكبيرة للإخوان المسلمين في صنعاء تعتبر العائق الأهم والأكبر الذي يواجه الحوثيين ومناصريهم لإسقاط الحكومة» على حد قولها.

ومن جهة أخرى عكست حالة القلق الإيرانية

مما يجري في اليمن في تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني اللواء محمد علي جعفري في عدة صحف إيرانية رسمية وشبه رسمية والتي أشار فيها إلى أن إيران على استعداد للدخول في حرب شاملة مع الدول العربية التي وصفها بأنها معادية للثورة الإسلامية الإيرانية، وهي التدخلات التي أشار إليها مجلس الأمن الدولي عندما دعا جميع الدول إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية لليمن وإثارة النزاعات وعدم الاستقرار.

وترى شبكة تابناك الإخبارية الهدوء الحذر

التي يسود العاصمة عبارة عن السكون الذي

يسبق العاصفة. ومن جهتها اعتبرت الشبكة عبد الملك الحوثي، ملك اليمن غير المتوج حسب وصفها. وأضافت أن هناك مستشارين من العيار الثقيل فكريا وسياسيا يحيطون بالحوثي، ويقدمون له استشارات.

ركزت جريدة «كيهان العربي» على

استجواب لئائب كويتي بعد تغريدات يربط فيها

«انتصار» الحوثيين بالمعارضة البحرينية. وكان عبد الحميد دشتي (الموالي لإيران في مجلس الأمة الكويتي) قد غرد عبر حسابه الرسمي بموقع تويتر بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء قبل أيام. وقام بـ«سب وقذف حكام وحكومة البحرين وتوجيه السب والشتم لوزير خارجية مملكة البحرين الشيخ خالد الخليفة، قائلاً إن الشعب البحريني «سينتصر ويرحل الغزاة» وتوجه بـ«التهنئة إلى اليمنيين على ما وصفه بـ«الانتصار»».

فيما قالت صحيفة «سياسة روز» : ان «الثورة

الحوثية قد اثبتت أن جذوة الصحوّة الإسلامية لم تنطفئ وستستمر في تنوير الطريق أمام الشعوب الإسلامية».

وعنونت صحيفة «جوان» مقالها تحت عنوان

«تحركات سلحفاتية» مقابل الثورة اليمنية،

وقالت: «مع أن التوقيع على اتفاقية السلام والشاركة الوطنية قد أوجد أجواء مفعمة بالأمل في اليمن لإعادة الثورة إلى مسارها الحقيقي، إلا أنه

الحكومة في هذا البلد عدة مرات. وتعتبر هذه التصريحات تأكيداً رسمياً من أعلى موقع حكومي إيراني على الدعم الإيراني للتمرد الحوثي.

كما يكشف هذا التقرير الموقف الرسمي للنظام الإيراني العدائي تجاه اليمن والمنطقة
وبتلقائية إعلامية فاضحة.

ولاء الأتراك العلويين لنظام بشار

علي محمد طه - موقع المثقف الجديد ١٤٣٥/١٤/٤

تشكل طائفة العلويين في تركيا قوة سكانية لا يستهان بها ، وهي إحدى الفرق المنشقة عن الدين الشيعي الصوفي، ويعتقد الكثير من علويي تركيا أنهم دين مستقل تماماً عن الإسلام لهم فكرهم ومعتقدهم المستقل ويختلفون مع المسلمين السنة في ثوابتهم وفروع دينهم ، ويعيش العلويون منتشرين في عدة مناطق من تركيا موزعين بين عدة أعراق: فمنهم الترك والعرب والعرب.

ويرفض العلوية الكثير من المسلمات الأساسية في الدين الإسلامي والأديان السماوية مثل (الصلاة ، الجنة والنار ، الحج ، صوم رمضان).

ويتصف الفكر الديني العلوي عموماً بالغموض ، لذا لا توجد جمعيات علوية تعمل على نشر فكرهم الديني والتبشير به ، ويؤمنون بقدسية علي بن ابي طالب رضي الله عنه والأئمة الاثني عشر، ومعظمهم يوصل قدسية علي رضي الله عنه لمرتبة الألوهية ، كما يؤمنون بتناسخ الارواح ، ولا يصلون في مساجد المسلمين ولهم معابد خاصة تسمى (بيت الجمع) ، ويتميز العلويون عن الشيعة بتقديسهم لشخص (محمد بن نصير النميري) الذي يعتبرونه أحد نواب الإمام المهدي في فترة الغيبة

وفي المقابل برزت تحركات سلحفاتية خفية من قبل الأوساط العربية والغربية لمصادرة الثورة. وقد لاحت بوادرها من تصريحات الرئيس عبد ربه منصور هادي الذي أشار بعد يومين من توقيع الاتفاقية إلى أن البلد يواجه خطر حرب أهلية. ونشرت صحيفة «كيهان العربي» المتطرفة عنوانها: «اليمن السعيد وإحياء مجده المندثر» حيث قالت: إن هذا التحول التاريخي... لا يعجب الكثيرين ويزعجهم بشدة لأنهم أقصوا من هذا المشهد، وقد يلجؤون إلى التكفيريين والإرهابيين كما فعلوا في سوريا والعراق لافشال هذه المسيرة الوطنية. وأضافت أن إيران التي تمتاز بعلاقات مميزة وفريدة وتاريخية مع اليمن، لم ولن تبخل يوماً بأي جهد لدعم هذا البلد واستقراره وتقدمه من خلال تعزيز العلاقات وتعميقها في كل المجالات.

وأخذت صحيفة «حمایت» منهجاً سياسياً مأكراً في التعامل مع التمرد الحوثي، ونشرت مقالاً تحت عنوان «ماذا حصل في اليمن؟» وقالت: مع أن الماكينة الإعلامية الغربية تسعى للترويج إلى أن الحراك في اليمن والتجمعات الشعبية في العاصمة صنعاء خاصة بالحوثيين، ويتمحور حول القضايا الاقتصادية، إلا أنه ومن خلال ملاحظة سريعة لتركيبية المشاركين في الحراك والتجمعات تبرز حقائق كبرى. فالمظاهرون ليسوا فقط من الحوثيين الشيعة، بل هم من كافة الطوائف. وأوضحت الصحيفة: «في ضوء هذه المعطيات تبرز حقيقة كبرى وهي أن الحراك الشعبي الأخير هو استمرار للصحو الإسلامية التي بدأت عام ٢٠١١ في اليمن. وبمؤازاة الصحو الإسلامية التي برزت من جديد في اليمن والبحرين.

وفي نهاية المطاف وصف الرئيس الإيراني حسن روحاني الأحداث الأخيرة في اليمن بأنها «شجاعة و كبيرة» واعتبرها جزءاً من «النصر المؤزر والباهر» الذي تدعمه إيران. وقد أثارت مثل هذه التوصيفات الإيرانية للأحداث في اليمن اعتراض

الصغرى، ويعتبر علويو تركيا امتداداً طبيعياً لعلوية سوريا ولبنان فهم يقطنون سلسلة جبال متصلة من منطقة عكار في شمال لبنان مروراً بسوريا وانتهاء بمنطقة جبال طوروس في تركيا، وحتى الربع الأول من القرن العشرين كان الاسم السائد عنهم في كتب التاريخ هو (نصيرية)، وقد كان للاستعمار الفرنسي في بدايات القرن الماضي لبلاد الشام دور كبير في تغيير مسماهم من نصيرية الى علوية.

العلويون في تركيا

تشير التقارير وتثبت الوقائع والممارسات، أن هناك أصنافاً متعددة لعلويي تركيا، فمنهم الشيعي الاثني عشري الصرف، ومنهم العلوي النصيري (الخصيبي) بدرجات وفئات، ومنهم البكتاشيون، ويبلغ تعدادهم ما يزيد على ربع سكان تركيا، أي حوالي ١٨/ مليوناً، ويسعى العلويون للاعتراف بحقهم في أن يمثلوا في رئاسة الشؤون الدينية أسوة بالمسلمين السنة، أو السماح لهم بإنشاء مجلس ديني خاص بهم، وفي إلغاء مادة الدين الاسلامي الإلزامية من المدارس والتي تقتصر على تدريس المذهب الحنفي أو إدراج العلوية كجزء من مناهج مادة الدين.. بالإضافة إلى التطبيق الكامل للعدالة في تولي المناصب الحساسة في الجيش والأمن العام.

ويوحّد علوية العالم، لا علوية تركيا وحسب، تقديس الإمام علي بن أبي طالب وموالاته! كما يجمعهم نظرُهم إلى علويتهم أنها: ثقافة وفلسفة حياة.

توجس رسمي من مستقبل العلوية وخطر

التبعية للمشروع الإيراني.

لا تخفي الحكومات ذات التوجه الإسلامي في تركيا توجسها من تبعية علويي تركيا لإيران، وسيرهم خلف المشروع الإيراني خاصة بعد أن أعلنت بعض مراجع إيران اعترافهم بهم كطائفة تتبع للمذهب الجعفري، وقد بدأ تأثيرهم واضحاً بمشروع إيران من خلال ترتيب الزيارات الدينية لهم

للأضرحة في قم والنجف وكربلاء وزيارتهم في مناطق وجودهم في جنوب وغرب ووسط تركيا، ومحاولة جهات تعليمية ودينية شيعية رسمية وخاصة تغيير فكرهم الفلسفي ومعتقدهم الديني إلى الفكر الجعفري الاثني عشري.

وفي تصريح مثير وجريء قال رئيس وزراء تركيا السابق رجب أردوغان عام ٢٠١٣م موجهاً خطاباً لعلوية تركيا بعد الثورة السورية وجهاً بتأييدهم الواضح لبشار الأسد وللمشروع الإيراني في المنطقة (أنه إذا كانت العلوية تعني محبة علي - رضي الله عنه -، فأنا من العلويين) وقال: إنه من الواضح أنه لن يترك علياً (رضي الله عنه) للعلويين.

وفهم هذا الموقف من قبل العلويين المتنفذين في المجال الثقافي والسياسي في تركيا على أنه محاولة لـ«تسني» أو «مسجدة» العلويين، ونبذ أولئك الذين سيرفضون الإذعان لذلك.

وحاول نائب رئيس الوزراء التركي (إيمرله ايسلر) تفسير تصريحات أردوغان تجاه علوية تركيا قائلاً: لا يمكننا أن نعتبر دور عبادة العلويين هي دور عبادة؛ لأننا نعتبر العلوية تابعة للإسلام، وما دام العلويون يعتبرون أنفسهم مسلمين، فإن دار العبادة في الإسلام هو المسجد. وفي ذلك رد على بعض قيادات العلويين الدينية التي صرحت بأن العلوية دين مستقل، ولا علاقة لهم بالمسلمين.

دور العلويين في تركيا

يتغلغل العلويون في كثير من مناحي الدولة التركية، ولهم نفوذ قوي في الإعلام والثقافة والفن والجيش، وكثير من قيادات تركيا السياسية قبل تولي حزب العدالة والتنمية الحكم تعود للطائفة ومن أشهر الشخصيات العلوية في تركيا تلك الزعامات المترأسة لحزب (الشعب) وهي شخصيات مناهضة لسلطة حزب العدالة والتنمية وغالبية من (العلوية) ويتزعمه العلوي كمال قليتش دار أغلوا، ومن أشهر الزعامات العلوية أيضاً الزعيم الكردي عبد الله أوجلان الكردي وهو (علوي) و(صالح

وعلوية تركيا هم من يتحكم بالجناح الكردي المسلح تحت شعار القومية الكردية، وقد كان لهم بالتعاون مع القومية العربية دور كبير للترويج لمسمى الاحتلال العثماني والدعوة لمناهضته، وينشط علوية تركيا في الإعلام العلماني في تركيا وجل إعلامهم مناويء لسلطات الحكم في تركيا ويسير ويواكب تطلعات المشروع الإيراني.

العلويون ومناصرة سلطة بشار الأسد.

لم يعرف الكثير من العرب بوجود الطائفة العلوية في تركيا إلا بعد تفجر الثورة السورية، وما أفرزته من تحزبات وتكتلات مع وضد النظام السوري، فكان ممن أيد النظام السوري علوية تركيا وهم في جلهم مجاورين لمناطق علوية سوريا في جنوب غرب ووسط تركيا، ويعتقد الكثيرون منهم أن أصولهم عربية سورية وأن الاستعمار الفرنسي وحكومة تركيا في بدايات القرن العشرين هم من انتزعتهم من حضن وطنهم الأصلي ليفصلهم عنها لضمهم لدولة تركيا الحديثة، ويناصر النظام السوري حسب دراسات تركية غالبية الطائفة العلوية التركية التي ترى في ثورة سوريا مؤامرة على نظام الأسد، وقد كانت لهم ردات فعل كثيرة ضد سياسة بلادهم المؤيدة للثورة السورية منها خروج مظاهرات عارمة ضد نظام الحكم عمت بعض المناطق في بلادهم نددت بسياسة بلادهم المناهضة للحكم في دمشق، وقد كان أشهرها مظاهرات دوار تقسيم الشهيرة في إستيول التي ساهمت في تحقيق شيء من مقولة الأسد (بأن نار حربه ستطال كل دول الجوار)، وقد ثبت في التحقيقات التي نشرتها الصحف التركية أن هذه المظاهرات تم التنسيق والاستعداد لها بالتعاون بين قيادات علوية تركية والنظام السوري وإيران بهدف زعزعة استقرار وأمن تركيا، وتكررت زيارات قيادات حزب الشعب التركي لدمشق خلال الثورة السورية معلنة تأييدها التام ومساندتها لنظام

دمشق في حربة على ما يسمونه بالإرهاب والمؤامرة الكونية، وقد ساهمت وسائل إعلامهم بدعم سياسات الأسد الوحشية القمعية ضد المتظاهرين السوريين، وعلى النطاق الشعبي قام المؤيدون العلويون بالتوجه إلى الساحل السوري للدفاع عن الطائفة وسلطتها هناك، ولعل القيادي (معراج أورال) قائد مذبحة بانياس الشهيرة ضد أهل السنة يعد من أشهر القيادات العسكرية العلوية التركية التي ساهمت مباشرة في قتل وذبح السوريين، والكثير من علوية تركيا قتل ومنهم من بقي في الساحل السوري إلى اليوم يدافع عن الطائفة وعن ما تبقى من النظام السوري هناك.

وقد أثبتت التحقيقات القضائية العسكرية التركية أن رجال الأمن من الطائفة العلوية في منطقة (هاتاي) القريبة من الحدود السورية هم من قام بالتغريب بالقيادي السوري المنشق (حسين هرموش) وزميله (مصطفى قاسم) ليتم تسليمه للسلطة السورية، ونقلت وكالة الأناضول التركية بياناً عن مكتب النائب العام في منطقة أضنة في جنوب تركيا جاء فيه أن الضابطين اللذين كانا يقيمان في مخيم (التينوزو) للاجئين في محافظة هاتاي قرب الحدود مع سوريا، سلما «بالقوة» إلى أجهزة الأمن السورية، وكان المقدم حسين هرموش قد أسس بعد انشقاؤه عن الجيش السوري ما يعرف الآن بالجيش السوري الحر، وتشير تقارير إعلامية إلى أن النظام السوري قد نفذ فيه حكم الإعدام بعد استلامه من تركيا، وبعد حادثة التسليم هذه قامت الحكومة التركية بوضع الضباط السوريين المنشقين في أماكن خاصة محمية من قبل ضباط أمن لا ينتمون للطائفة العلوية، ولم تكن هذه هي الحادثة الوحيدة من قبل علويي تركيا ضد الضباط السوريين، فقد حدثت حالات قتل وخطف لناشطين وإعلاميين سوريين في تركيا وبعدها، وصف بأنه جرى في ظروف غامضة.

ظهوره، ومن هنا استمد الحزب شرعية وجوده بسوريا.

وأشار قميحة إلى أن المصدر الأول لهذه الثقافة «المهدوية» كان ولا يزال بلاد فارس وبالأخص في العهد الصفوي، واستمرت وارتفع منسوبها بعد قيام الثورة الخمينية وشهوة تصديرها الى خارج الحدود.

وعلى صعيد آخر اعتبر الكاتب أن سيطرة الحوثيين على صنعاء بوصفهم جزءاً أساساً من حركة الولي الفقيه، أن عبد الملك الحوثي يمثل شخصية اليماني وفق المرويات الشيعية أيضاً، وهو ما لم يشر إليه حزب الله أو يردده، عازياً ذلك إلى أن الحزب يروج لسنوات طويلة لأن الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله إنما هو اليماني الموعود.

وأضاف أنه بناء على ذلك، إذا استطاع عبد الملك الحوثي انتزاع هذا اللقب من امام السيد حسن، وبالأخص إذا ما اعتبرنا (حسب الروايات) ان راية اليماني هي الراية الاهدى وهي راية خالق التي ستلعب الدور الأكبر في مرحلة التمهيد للظهور، فعندها سيخرج السيد وخلفه حزب الله من المشهدية المهدوية، ما يُعتبر أمراً في غاية الخطورة.

واختتم قمحية بقوله: أكاد أجزم بأنّ العقل الإيراني يستطيع ان يجد دائماً الحلول الناجعة لإشكاليات عقائدية كهذه، بحيث يعمل على تقسيم فكرة خروج اليماني وتوزيعها بين لبنان واليمن، ويعطي كل بلد نصيبه منها، بما يخدم في النهاية مشروعه التوسعي.

يشار إلى أنه ورد من آثار الشيعة ما يفيد باندلاع ثورة في اليمن تكون مهددة لظهور المهدي، كما يقول الكوراني العاملي في كتاب عصر الظهور، من خلال ما زعم أنه أحاديث صحيحة عن آل البيت تؤكد حتمية حدوث هذه الثورة وتصفها بأنها راية هدى تمهد للمهدي وتؤكد على وجوب نصرتها بمثل تأكيدها على نصرته راية المشرق الإيرانية وأكثر، وأن عاصمتها صنعاء،

ولا تخفي الطائفة العلوية عموماً موقفها المناهض للسوريين المقيمين في مناطقهم، حيث تعرض الكثير منهم للضرب والترحيل والمضايقات، ويفضل الكثير من السوريين الرحيل للعيش في المناطق السننية الكردية والتركية والتركمانية على البقاء في مناطق ذات الأغلبية العلوية التي يشعرون فيها بالخوف وانعدام الأمن والتهديد بالخطف والتسليم للدولة السورية.

أخيراً، لا تفسير للموقف الشعبي العلوي في تركيا والمتماهي مع الموقف المماثل لعلوية وشيعة سوريا ولبنان وإيران والخليج في تأييدهم النظام القاتل في دمشق إلا أنه ينطلق من موقف طائفي أعمى، وقد فرقتهم المسميات وجمعهم الفكر والمصير الطائفي المشترك.

كاتب شيعي يكشف اللقب الذي يتنافس عليه "نصر الله والحوثي"

مفكرة الإسلام - ٢٠١٤/١٠/٢٠

أكد الكاتب اللبناني الشيعي والمسئول السابق المنشق عن حزب الله عماد قميحة، أن الموروثات المذهبية والروايات المنسوبة لآل البيت تمثل أهم مرتكزات البنية الفكرية عند حزب الله، خاصة تلك التي تتعلق بالإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، والمرتبطة بمقدمات ظهور المهدي لدى الشيعة.

وذكر قميحة والذي انشق عن الحزب وشكل تيار المواطن اللبناني، إن المهدي يمثل بالوجدان الحزبي الركيزة الأساسية التي يبني عليها منظومته الفكرية والعقائدية، مضيفاً أن فكرة ولاية الفقيه ترجع أهميتها بالنسبة للحزب لأنه يمثل نائباً عن المهدي، ومن هنا يستحوذ على كل القدسيات والصلاحيات.

وذكر الكاتب اللبناني أن دخول الحزب في الحرب بسوريا كان باعتبار أنه مقدمات لظهور السفيناني العدو المفترض للمهدي وأحد إرهابات

وقائدها المعروف في الروايات باسم اليماني، واسمه حسن أو حسين.

وفي من جهة أخرى فإن المهدي الذي ينتظره الشيعة شخصية وهمية اخترعها الشيعة عندما اكتشفوا أن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري كان عقيماً، وبذلك يتم نسف عقيدة الإمامة التي يتجمع عليها الشيعة، ومن ثم زعموا أن للحسن ولدا صغيراً دخل سرداب سامراء وسوف يخرج قبل يوم القيامة لمحاربة النواصب وهم أهل السنة في المصطلحات الشيعية، وليس هذا المهدي الذي ذكره رسول الله في الأحاديث الصحيحة والذي يملأ الأرض عدلاً.

”هل القاديانية

دين أم مذهب إسلامي؟!

أحمد سقاوي - موقع سوايف ٢٠١٤/١٠/١٣

لقد حاول قادة الدين الباطني القادياني وعلى مر قرن من الزمان إلصاق أنفسهم بالإسلام، بل تمادوا أكثر من ذلك فتجدهم في كل أدبياتهم وحواراتهم وصحفهم يرفعون شعار (الجماعة الإسلامية الأحمدية الإسلام الأصيل) ليوهمو الناس بانتسابهم للإسلام.

والميرزا مؤسس الدين الباطني القادياني يعتقد اعتقاداً راسخاً بكفر كل من لم يبايع و لم يدخل في دينه، وهذا يصرح به الميرزا غلام القادياني في مؤلفاته البالغ عددها ٨٣ كتاباً مجموعة في ٢٣ مجلد جمعها أتباعه من بعده و أطلقوا عليها اسم (الخزائن الروحانية)، يقول ابن الميرزا غلام القادياني وخليفته الثاني الملقب بـ (المصلح الموعود) في كتابه أثنيها صداقت (مرآة الحقيقة) في تكفير كل المسلمين : إن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود (أي والده ميرزا غلام أحمد) سواء سمع باسمه أو لم يسمع، هو كافر وخارج عن الإسلام. انتهى

لذلك فهم لا يصلون وراء المسلمين ولا يحل للمرأة الأحمدية أن تتزوج من غير أبناء دينها ولكن يحل للرجل الأحمدية أن يتزوج من البنت المسلمة والنصرانية واليهودية.

ولا يحل في ديانتهم الصلاة على أموات المسلمين ولا على أطفال المسلمين الأموات. لهذا لم يصل الميرزا غلام القادياني على ابنه الميرزا فضل أحمد عندما مات لأنه كان كافراً بأبيه.

ولقد قذف الميرزا غلام القادياني كل من لم يؤمن بنبوته واعتبرهم أولاد زناة (والعياذ بالله) و بذلك قد ارتكب جريمة شنيعة وهي قذف كل نساء و أمهات المسلمين البالغ عددهم فوق المليار ممن لم يؤمنوا بنبوته فيقول الميرزا غلام القادياني في كتابه الموسوم أثنيها كمالات الإسلام المندرج في الخزائن الروحانية ٥٤٧ - ٥٤٨ في حق مخالفيه ما نصه: تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها ويقبلني ويصدق دعوتي، إلا ذرية البغايا الذين ختم الله على قلوبهم. اهـ

ولقد صدر في الباكستان قراراً بعد جلسات في المحكمة سمع فيها القضاء العادل هناك للمدعي والمدعى عليه وكان يمثل تلك الجلسات في المحكمة خليفة الميرزا غلام القادياني الثالث وحفيده وهو الميرزا ناصر أحمد وكان هذا القرار هو تكفير القاديانية واعتبارها أقلية غير مسلمة وبناء عليه يحرم عليهم استعمال كافة الرموز الإسلامية ويمنع عليهم إطلاق لفظة (المسجد) على معابدهم، وذلك لئلا يتركوا لهم فرصة في التلبس على الناس بإظهار كونهم مسلمين فيغرر بالعامّة من الناس فيلتحقوا بهم. وكان هذا القرار نابعاً مما بينه المدعي من أدلة واضحة من خلال اعترافات الميرزا ناصر رئيس تلك الطائفة في تلك الفترة وكذلك من خلال كتابات مؤسس الديانة الباطنية (الأحمدية).

إن علماء الإسلام وعلى مر التاريخ قد أفتوا

و من كافة المدارس الإسلامية بكفر كل من ادعى النبوة و كل من تابعه على ذلك فيقول العلامة الإمام ابن حجر المكي الشافعي في كتابه (خيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان): تنبأ في زمنه (أي الإمام أبي حنيفة) رجل قال: أمهلوني حتى آتي بعلامة، فقال (أي الإمام أبو حنيفة): من طلب منه علامة كفر، لأنه بطلبه ذلك مكذب لقول النبي: (لأنبي بعدي) انتهى النقل.

وهذا الحكم منوط بمن يطلب علامة من المتنبئ وهو شاك في كونه نبياً أو لا؛ وأما من طلب العلامة على سبيل الإفحام للمتنبئ فهو غير كافر بل قد يكون طلب العلامة واجباً أو مستحباً حسب الحال، وهذا دليله قصة سيدنا إبراهيم مع النمرود عند طلبه منه العلامة على ادعائه بالألوهية.

وهذا الحكم بالكفر على من ادعى النبوة قد عقد الإجماع عليه من القرن الأول وحتى الساعة فلا يعرف في تاريخ العلماء من قال بغير هذا.

لقد درس علماء الإسلام منذ تأسيس هذا الدين كل ما يختص بالميرزا غلام القادياني من ادعاءات وقرأوا كتبه وخرج علماء الإسلام بإجماع من كل الفرق الإسلامية باعتبار الميرزا غلام القادياني كافراً بالله وبرسالة الإسلام وكفر كل أتباعه من غير تفريق بينهم ومن تلك الفتاوى الصادرة فتوى مجمع الفقه الإسلامي، فتوى مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، اللجنة الدائمة للبحوث، دار الإفتاء المصرية، الأزهر الشريف، فتوى دار الإفتاء الأردنية.

وجاء في قرار المجمع الفقهي ما يلي (قرر المجلس بالإجماع: اعتبار العقيدة القاديانية المسماة أيضاً بالأحمدية، عقيدة خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً، وأن معتقديها كفار مرتدون عن الإسلام، وأن تظاهراً أهلها بالإسلام إنما هو للتضليل والخداع، ويعلن مجلس المجمع الفقهي أنه يجب على المسلمين حكومات، وعلماء، وكتاباً ومفكرين، ودعاة وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم) انتهى.

و مثال العلماء الذين كفروهم لا على الحصر (سماحة قاضي القضاة في الأردن الشيخ نوح القضاة، مفتي مصر الدكتور علي جمعة، فضيلة الشيخ العلامة سعيد فودة، فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، فضيلة الشيخ ابن باز، الشيخ الألباني) والقائمة تطول من أهل السنة والجماعة. و أما من الفرق الإسلامية فمفتي سلطنة عُمان الشيخ الخليلي قد أفتى بكفرهم و كذا بقية الفرق الإسلامية من شيعة و غيرهم فلقد أجمع الجميع على كفرهم بوضوح تام.

من هذا كله نخرج بنتيجة واحدة أن ما يسمى بـ (الجماعة الإسلامية الأحمدية) هي دين مخترع، اخترعه الميرزا غلام القادياني وهو دين باطني بكل ما تحمل الكلمة من معنى هدفه هدم الإسلام و تحريف معانيه لصالح أعداء الإسلام.

اليهود يعتدون والفرق الضالة تنهشنا



القاديانية وثائق
ومشاهدات

٤٢

قراءة في واقع
"صوفية مصر" بعد
أحداث ٣٠ يونيو

١٥

"حركة صابرين" في
غزة.. التشيع في
عبادة المقاومة

٤



**رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد
(١٤٠)**

صفر - ١٤٣٦ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

- ٢ اليهود يعتدون والفرق الضالة تنهشنا ❁

فرق ومذاهب

- ٤ "حركة صابرين" في غزة... التشيع في عباءة المقاومة معتز بالله محمد ❁

سطور من الذاكرة

- ٧ الوجه الآخر: ١٣- جعفر السبحاني هيثم الكسواني ❁

- ١٠ الشوكاني والرافضة د. عمر الأشقر ❁

دراسات

- ١٥ قراءة في واقع "صوفية مصر" بعد أحداث ٣٠ يونيو أسامة الهتمي ❁

- ١٩ الاختلاط في التعليم وصراع الهوية فاطمة عبد الرؤوف ❁

- ٢٣ الطاقات المهدورة: القوة الناعمة في مجابهة المشروع الإيراني - الشيعي بوزيدي يحيى ❁

- ٢٨ الأثر السياسي لجهود الصحابة في نشر الإسلام د. محمد المنصور إبراهيم ❁

- ٣٤ سنة العراق في تقارير المنظمات الحقوقية الدولية لعام ٢٠١٤ خاص بالراصد ❁

- ٣٧ كيف أصبح العراق دولة شيعية؟ عبد العزيز بن صالح المحمود ❁

كتاب الشهر

- ٤٢ القاديانية وثائق ومشاهدات أسامة شحادة ❁

قالوا

- ٤٥ ❁

جولة الصحافة

- ٤٧ مكاشفات قاعدية ❁

- ٥٤ مقال وتقريعات من وحي "منهج رشيد" مزجر الشام ❁

- ٥٧ ماذا فعلت داعش؟ د. محمد السعيد ❁

- ٥٨ تفاعل الشارع الإيراني مع (وصال) و(صفا) مصطفى حسين ❁

- ٦٠ أحوازي شيعي "يتسنن" وطهران تصادر حريته نايف العصيمي ❁

- ٦٤ صناعة التحول اليمني من الزيدية للجعفرية د. محمد بن صقر السلمي ❁

- ٦٨ الحقيقة والوهم في فتوى خامنئي بتحريم إنتاج الأسلحة النووية د. محمد السلمي ❁

- ٦٩ واشنطن تبيع الوهم لحلفائها في الملف السوري علي حسين باكير ❁

- ٧١ "الجهاد الإسلامي" هل تصبح حوثية فلسطين؟ أسامة شحادة ❁

ورغم أن الشيعة يتسللون إلى البلاد السنية تحت ستار الوحدة الإسلامية، إلا أن التفريق والانقسام هو ما حققوه بجدارة وسابق تخطيط، فهم باسم الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب تسللوا لصفوفنا واستمالوا بعضاً من المسلمين، ثم جعلوا لهؤلاء المتشيعات والشيعة الأصليين مراكز للقوة والتأثير، ثم فصلوهم عن بقية المجتمع باسم الأوقاف الشيعية والمجالس الحسينية في الجانب الديني، ثم تمددوا في الساحة السياسية فكوّنوا لهم هيئات وأحزاباً طالبت بداية بكونها لأنهم أقلية، ثم تضخم وزنهم السياسي باستخدام السلاح، واحتفظوا اللعبة السياسية تحت شعار التثالث الضامن /المعطل في لبنان، أو المطالبة بالحقوق في البحرين، أو الأغلبية المظلومة في العراق، أو عجز الدولة في اليمن، فكانت المحصلة تفتيت المفتت، وتجزئة الجزأ، وعاشت شعارات الوحدة والأخوة الإسلامية، التي يجترها الأغبياء من المسلمين للآن!!

وأيضاً نجد اليوم الإباضية أحفاد الخوارج الأولين، ماضين بقوة لدعم وتمرير التسلسل الإيراني الشيعي لداخل الجزيرة العربية، إما باتفاقيات ثنائية اقتصادية وسياسية، أو برعاية المفاوضات الأمريكية الإيرانية مع تهميش شركائها في مجلس التعاون!!

وبرغم أن عُمان جزء من مجلس التعاون الخليجي، إلا أنها ترفض وبشدة مواصلة الطريق للوحدة الكاملة، وتهدد بالانفصال إذا فرضت الوحدة!!

والعجيب هو هذا التناغم العجيب بين الرافضة والخوارج، برغم التاريخ الطويل من الصدام والقتال بسبب التناقض الكامل في الأسس والمنطلقات العقديّة.

لكن يبدو أن عداوتهم للمسلمين تفوقت على عداوتهم لبعضهما البعض، فمتى يفيق المسلمون لما يجري حولهم، ويدركون خطورة الفرق الضالة على دينهم وديارهم؟
أما الخوارج الجدد من تنظيم داعش وجماعات التطرف كالقاعدة والسلفية الجهادية، فهي مصيبة جديدة تتزيا بزّي الدين والالتزام، لكنها تورطت في التكفير

اليهود يعتدون والفرق الضالة تنهشنا

تتصاعد الاعتداءات اليهودية والصهيونية على المسلمين في غزة وسيناء وتتواصل جرائم اليهود والمستوطنين وممثليهم في الحكومة والبرلمان على المسجد الأقصى والمرابطين فيه، في ظل تفاقم وتضاعف العدوان المستمر للفرق الضالة على الأمة الإسلامية في عدد من البلاد.

ومما يزيد المشهد بؤساً وسخريّة زعم قادة وخطباء الفرق الضالة أن تحرير فلسطين والأقصى هو هدفهم، وهو سبب ما يقومون به من عمليات وتفجيرات وصدامات!!

فها هم الشيعة من مختلف الأقطار ويزعمون إيران لا شعار لهم إلا (الموت لأمريكا والموت لإسرائيل)، ومنذ ٣٥ عاماً لم يتجاوز قتلى الأمريكان واليهود على يد الشيعة والإيرانيين بضعة مئات، إلا أن عدد القتلى على أيديهم من المسلمين في إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين والسعودية والكويت يقرب من مليون!! ومن الفلسطينيين وحدهم قتل الشيعة منهم عدة آلاف في مخيمات لبنان على يد حركة أمل، وفي حي البلديات ببغداد على يد الميليشيات الشيعية، وفي مخيم اليرموك بدمشق على يد شبيحة الأسد وجيشه، ثم يتشدقون ويكذبون بملء أفواههم أنهم المجاهدون الحقيقيون لنصرة فلسطين وأهلها والقدس والأقصى.

والثمرة الحقيقية هي أن جرائم الشيعة تجاه المسلمين في عدد من البلاد تعد أكبر مشغلة لهم عن العدوان اليهودي بحق المسلمين والمسجد الأقصى، ولن يجد اليهود وإسرائيل وسيلة إلهاء لشغل المسلمين عن جرائمها ووحشيتها، أفضل مما يقوم به الشيعة.

كان العرب يعولون على العراق وسوريا لنصرة فلسطين، وكانوا يخافون من التدمير اليهودي لهما، فتكفل الشيعة بهذه المهمة، حتى أصبحا في حالة يرثى لها من الدمار والخراب والفشل والتفتت.

للخصوم ثم القتل والتفجير والتتكيل، فضلاً عما جلبته من كوارث ومحن للأمة، وكل هذا بسبب الجهل والطيش والتهور وقلة الخبرة عند المخلصين، وبسبب الخيانة والعمالة للمدسوسين بينهم وخاصة على مستوى القيادات.

فقد هب هؤلاء الشباب غالباً ونواياهم سليمة لدينهم

وأمتهم، بل قاموا لخدمتها ونصرتها والدفاع عنها، لكن ضلت بهم الطريق فقد خدعهم العملاء أصحاب اللحي من عناصر الاستخبارات من عدة دول، فاصطدموا بالمسلمين من شعوبهم بدلاً من المعتدين من الكفار، وما نعيشه اليوم في سوريا أصدق شاهد على ما نقول، فقد حاربت داعش فصائل المجاهدين أكثر من حربها للنظام النصيري، وقتل من الثوار والمجاهدين أضعافاً مضاعفة الشبيحة، واحتلت من أراضي الثورة أكثر بكثير مما أخذت من النظام، وللأسف يبدو أن جبهة النصرة بدلاً من أن تتعلم من جرائم داعش، أخذت تقلدها، وهي في سبيلها لإعلان إمارتها الخاصة وتكرار كل خطايا داعش!!

وحين هبّ الشباب للجهاد كانوا يحملون بنصرة

الأقصى وحرب اليهود، والصراع مع الصليبيين الذين يدعمون إسرائيل، ومقاومة الرافضة الذين يعتدون على المسلمين.

لكن شياطين الإنس والجن صرفوهم عن مرادهم،

ورتبوا لهم أولويات جديدة، تبدأ بحرب الأنظمة السنية وتكفير المجتمعات الإسلامية، قبل الحرب والجهاد لليهود، ولا مانع من السلم مع الرافضة حالياً واللجوء إلى ديارهم، حتى تترتب أمورهم.

ثم تطور بهم الحال حين فضحهم العدوان الإسرائيلي

المتكرر على غزة، ولم يتحرك الرافضة من إيران وحزب الشيطان، ولا تحركت القاعدة ولا نطق خليفة داعش، فتفتق لهم الشيطان عن مبرر عجيب، وهو: أن الأولوية في القتال هي لقتال حركة حماس المرتدين في غزة، ثم نحارب اليهود، ولا أظن أن اليهود بحاجة إلى أصدقاء إذا كان هذا منطق وأولوية أعدائهم من المجاهدين زعموا!!

ولا يتوقف هدم الفرق الضالة لنسيج الأمة عند

هؤلاء، بل نجد اليوم نشاطاً محموداً لفرقة الأحباش الضالة لنشر بدعها وخرافاتاها بين العامة، وهي التي رعتها المخابرات السورية طيلة عقود في بيروت، ثم تحالفت مع حزب الله بعد خروج السوريين من لبنان، وبعد أن كانت محصورة في لبنان، أصبح لها حضور في عدد من البلاد العربية والأوربية.

وأيضاً الأحمديون القاديانيون المرتدون،

فهم بترديد الشهادتين وقراءة القرآن الكريم ومشابهة المسلمين في الشكل يخدعون بعض البسطاء والجهلة من المثقفين! عبر قناتهم الفضائية أو دُعائهم، وزيادة على كفرهم بادعاء النبوة

لزعيمهم وتحريف معاني القرآن، فهم طابور خامس لليهود، ويحظون بكل رعاية واهتمام من قيادة إسرائيل التي تحتضن مركزاً مهماً لهم في منطقة الكباير داخل منطقة الـ ٤٨.

ويلحق بهم شياطين الإلحاد وعبد الشيطان وأتباع الإيمو وأمثالها من الصرعات الفكرية أو الكفرية لا

فرق، كل هؤلاء ينخرون في صلب أمتنا الرخو - وللأسف - وهم يزعمون أنهم لا يهدفون إلا إلى نصرتها وحمايتها أو الخروج بها من وهدة الضعف والتخلف والخرافة! وأن السعي لتحرير فلسطين أميتهم الكبرى.

إلا أن الحصيلة الحقيقية لسعي هؤلاء وأشباههم ما

هو إلا زيادة ضعف الأمة وبلبله صفوفها، وزرع الخلافات والنزاعات في ربوعها وأرجائها، أو تسهيل تغفل الأعداء بين صفوفنا عبر علاقاتهم المشبوهة مع الكثير من الجهات المعادية.

وعلى الصعيد الخارجي فهذه الفرق تشغلنا بصد

عدوانهم المعنوي ببث الشبهات والشكوك وزرع خلايا

فاسدة في مجتمعاتنا، أو صد عدوانهم الإجرامي الدموي على أطفالنا ونسائنا ورجالنا، والذين سالت دماؤهم على أيديهم حتى تجاوز القتلى منا على أيديهم أضعافاً مضاعفة ما قتل اليهود منا!! ناهيك عن مئات الآلاف من المعتقلين والجرحى والمصابين.

شغلت هذه الفرق الضالة بعدوانها الكثير من

المسلمين عن مقاومة العدوان اليهودي المتواصل

والمتكرر، لأنهم مشغولون بحماية أنفسهم، فأهل سوريا والعراق واليمن ولبنان وغيرهم مشغولون بحماية أنفسهم عن نصرة إخوانهم في فلسطين اللذين يعتدي عليهم اليهود، ولانشغال العالم بجرائم داعش تستمر إسرائيل بالعدوان على الأقصى وغزة، وتحتج إسرائيل بما تمتاز به من كذب وخبث بجرائم وغلو داعش لإدانة جهاد ومقاومة الفلسطينيين وأنهم يصدر عن مشكاة واحدة.

والواجب على العقلاء من المسلمين الانتباه لخطورة

الفرق الضالة على المسلمين وأنها تخدم المشروع اليهودي

الصهيوني، ويجب التوبة علناً من دعوات البعض سابقاً للتحالف مع أهل الضلال سواء الشيعة أو الغلاة، فمقاومة أهل البدع خطوة لازمة لمقاومة اليهود، وأن التصدي للخطر اليهودي لا بد أن يبقى قائماً ولا تنتشت عنه بمقاومة عدوان أهل الضلال.

الخلاصة: سبيل النbeh والفتناء المزوجة بين صد ضلال

وعدوان الضلال المبتدعة من كل الأطياف في الداخل، وعدم الغفلة عن جرائم وكيد اليهود والصهيونية وغيرهم من أعداء الأمة في الخارج.

وأحيانا الموافقة تلميحا على الجرائم الصهيونية، وجدت إيران طريقها لقلوب الكثير من سكان القطاع عبر الجمعيات الخيرية التي تقدم المعونات أو من خلال دعمها لحركات المقاومة، لاسيما حركة الجهاد الإسلامي، وهو ما ليس خفيا على أحد.

شكلت هذه الأجواء الأرض الخصبة للتمدد الشيعي الذي عبر عن نفسه كما قلنا عبر العمل الخيري، ليقطع مسافة كبيرة بعد ذلك ويتم الإعلان عن أول جماعة شيعية مسلحة في قطاع غزة، تحمل اسم «حركة الصابرين نصراً لفلسطين» (حصن)، التي ظهرت بشكل رسمي، أواخر مايو بمناسبة تشييع أحد عناصرها، وهو نزار سعيد عيسى الذي قضى بانفجار داخل مخزن للصواريخ في مخيم جباليا، واعتبرته (حصن) «شهيداً» الأول وأحد قادتها الميدانيين.

سالم رأس الأفعى

كثير من قيادات الحركة وعناصر صفها الأول كانوا أعضاء في حركة الجهاد الإسلامي، وفي مقدمتهم أمينها العام هشام سالم، والذي تحدث خلال حفل تأبين عيسى قائلاً: «لسنا بديلاً لأحد، بل مكملين للجميع في هذا الطريق الشاق والطويل».

ويقول سالم الذي يعمل مدرسا حكوميا في حديث مع صحيفة «دنيا الوطن» الالكترونية

«حركة صابرين» في غزة...

التشيع في عبادة المقاومة

معتز بالله محمد^(٥) - خاص بالرائد

يُنظر لقطاع غزة على أنه حصن من حصون أهل السنة، فقد ظل بمنأى عن ظهور وتمدد الجماعات والفرق المختلفة، التي غزت معظم البلدان العربية والإسلامية خلال العقود الأخيرة.

لكن بدا واضحا أن الحصار الذي يفرضه كل من الكيان الصهيوني ولحققت به مصر على القطاع - والذي اختلفت

حدته على مدى سبع سنوات، منذ سيطرة حركة حماس على القطاع ما بين شديد إلى خانع - لم يحل دون استمرار اختراق المد الشيعي لهذا الحصن، بل إن أغلب الظن أن هذا الحصار كان سببا رئيسيا في زيادة تدرج العمامة السوداء إلى الداخل الغزاوي.

فمع مقاطعة معظم الدول العربية للقطاع لأسباب سياسية بحتة، وتغاضيهما إن لم يكن مشاركتها في تشديد الحصار، وغض الطرف

(٥) كاتب مصري.



الفلسطينية بتاريخ ١- ٦- ٢٠١٤ إن الحركة- التي تتخذ شعارا مشابها إلى حد بعيد لشعار «حزب الله» اللبناني- هي حركة فلسطينية وطنية مقاومة، هدفها مقاومة المحتل ودحره عن الأراضي الفلسطينية من البحر إلى النهر. ونفى أن تكون الحركة تتبع المذهب الشيعي قائلًا: «نحن نؤمن بالوحدة الإسلامية لا نؤمن بالتشردم، ففي وحدتنا واعتصامنا بالله قوة، أما من يرموننا بأننا، نتبع المنهج الشيعي إنما هم يخدمون الأعداء الصهاينة وقوى الاستكبار العالمي لكننا نؤكد أننا حريصون على الوحدة الإسلامية».

لكن وتحليل مضمون هذا التصريح يتضح أنه لا يحوي نفيًا قاطعًا وإنما يأتي من باب المواربة وربما ممارسة النقيّة، وهو ما يؤكده الحوار الذي أجرته صحيفة «الأخبار» اللبنانية قبل يوم واحد من الحوار السابق أي بتاريخ ٣١ مايو ٢٠١٤ مع المتحدث باسم الحركة المعروف بـ «أبو يوسف» حيث قال: «موقفنا الداخلي لا يمنع أيًا من عناصرنا من حرية اختيار مذهبه الذي يتعبد عليه الله في إطار المذاهب المتعارف عليها في الشريعة الإسلامية، لكن إبراز هذا الموضوع على أنه مشكلة هو أسلوب الذين يتعاملون بسياسة الاصطياد في الماء العكر والبحث عن فتيل الفتنة».

حقيقة دامغة

قد يدفع البعض بأنه لا يمكن بحال الإقرار بحقيقة ما اعتمادا فقط على تحليل لتصريح قد يجاء في الموضوعية، وربما يكون مبنيا على وجهة نظر شخصية لصاحبه، لكن المفاجأة أن الأمين العام للحركة هشام سالم سبق وأكد بما لا يدع مجالاً للشك انتماءه للمذهب الشيعي، عندما كان رئيساً لجمعية «ملتقى الشقاق» الخيرية والتي سبق وأحييت ذكرى قيام ما يسمى بالثورة الإسلامية في إيران، شمال القطاع.

ففي تحقيق صحفي لموقع قناة «فرانس برس» منشور بتاريخ ٦- ٤- ٢٠١١ حول المد الشيعي في القطاع التقى المراسل به، حيث أكد سالم أن جمعيته «تتلقى دعمها المالي من إيران» التي زارها في ٢٠٠٧ مضيفاً «أحدث أحيانا باسم الشيعة في

النقاشات فأنا مقتنع بما يطرحه المذهب الشيعي ولا نعتبر هذا جريمة لكن مذهبي علاقة مع الله»، فضلا عن المقاطع الكثيرة له في موقع يوتيوب والتي يمجّد فيها الخميني وخامنئي على الطريقة الشيعية. وتشير المصادر إلى أن سالم كان أحد المسؤولين البارزين في حركة الجهاد الإسلامي المعروفة بعلاقتها الوثيقة مع إيران، واعتقلته حركة حماس في مارس ٢٠١٣ بتهمة جمع الأموال لإحدى الجمعيات الخيرية.

وبحسب القناة تحوي غرفة الاستقبال في منزل سالم «صوراً كبيرة للإمام الخامنئي وأخرى لحسن نصر الله وثالثة لفتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي التي كان ينتمي إليها قبل أن ينفصل عنها قبل خمسة أعوام «بسبب إشكاليات تنظيمية من طرف الحركة»، ولا يمكن الجزم هل هذا الفصل هو نوع من التكتيك للحفاظ على سمعة حركة الجهاد من أن توصف بالعمالة لإيران والتشيع، أم هو صراع داخلي على من يخدم إيران أكثر!

وخلال اللقاء اتهم سالم حركتي حماس والجهاد الإسلامي بـ «التقصير تجاه الشيعة»، مضيفاً أن الحركتين أكثر من تعامل مع إيران ومن ثم فإن «الواجب الأخلاقي يحتم عليهما أن تتصدى للمغالطات ضد الشيعة في القطاع». زاعماً أن طهران هي «أكثر من قدم دعماً سياسياً وعسكرياً ومالياً للقضية الفلسطينية من أجل تحريرها من الكيان الصهيوني».

مجلس شوري الحركة

وبخلاف سالم فإنه لا يُعرف الكثير عن قيادة هذا التنظيم المسلح، كما لم تكشف الحركة عن حجمها أو قدر الأسلحة التي تمتلكها، فيما يدور الحديث عن قيام محمود جودة القائد السابق لجماعة التكفير والهجرة في غزة بلعب دور كبير في التنظيم، وذلك بعد أن أعلن تشييعه قبل سنوات بزعم انتسابه لآل البيت، وتصدره للمشهد الشيعي في القطاع.

كما كشفت «الأخبار» اللبنانية عن بعض تفاصيل آلية عمل «الصابرين»، وذلك على لسان

أمين مجلس الشورى بالحركة، وكنيته «أبو محمد» المطلوب لإسرائيل منذ ١٨ عاماً حيث يقول: «هناك مجلس شوري يتخذ القرار في التنظيم. وهذا المجلس ليس جديداً، لكنه تأخر في الإعلان لظروف معينة سبقتها مرحلة كمون طويلة».

حماس وضبابية الموقف

ولا يُعرف تحديدا طبيعة العلاقة بين حركة حماس وبين «الصابرين»، بحكم أن الواقع الأمني في غزة يفرض على أي فصيل عسكري أو سياسي التنسيق مع حماس كونها تمسك بزمام الأمور هناك، إضافة إلى أنها أكبر فصائل المقاومة.

ورغم تأكيد مصادر أمنية في القطاع أن أجهزة الأمن التابعة لحماس ألقت القبض على عدد من عناصر الحركة فور الإعلان عن نفسها في أعقاب مقتل «نزار عيسى» أثناء إعدادة عبوة ناسفة، إضافة إلى محاولتها تضيق الخناق على الشيعة ومداهمة منازلهم واعتقال من ثبتت إدانته بنشر التشيع، نقلت «الأخبار» اللبنانية عمّن وصفوها بـ «مصادر أمنية مطلّعة على التنسيق بين الفصائل الفلسطينية» أن جلسة عُقدت بين «الصابرين» والمعنيين في حركة «حماس» لترسيم وضع الأولى بصفتها حركة فلسطينية مقاومة ستعمل انطلاقاً من قطاع غزة، على أن تلتزم الإطار العام للتفاهات بين التنظيمات العاملة.

هذه الضبابية تطرح تساؤلات مشروعة حول ما إذا كانت عودة التقارب الذي حدث بين حماس وإيران في أعقاب سقوط نظام الإخوان المسلمين في مصر، وتشديد الحصار على القطاع قد دفع بحماس للقبول بظهور مثل هذه الحركات الشيعية علناً؟ وإلا فلماذا لم تفتح تحقيقاً موسعاً في الأمر، مع قادة «الصابرين» المعروفين كهشام سالم، وتضع جماهيرها أمام الحقيقة كاملة؟

الخروج من الظل

انتشار التشيع في غزة بدأ بشكل سري خلال السنوات الماضية، ثم بدأ الكثيرون يعلنون تشيعهم. ويلقي تقرير لوكالة «فرانس برس» بالضوء على هذه الظاهرة، لافتاً إلى أن الشيعة في غزة يعتبرون أنفسهم امتداداً لإيران و«حزب الله»، كما يعتبرون

إيران مرجعيتهم.

وفي تقريرها المنشور في أبريل ٢٠١١، نقلت الوكالة عن عبد الرحيم حمد، الذي أعلن تشييعه عام ٢٠٠٦، قوله إن المستقبل للشيعة، وإن حزب الله هو من سيحرر فلسطين ولن يكون للسنة دور في هذا النصر». مضيفاً «نحن الآن في طور الإعداد في غزة، عددنا بلغ المئات، وسنبداً بالقيام بنشاطات سياسية قريباً».

مجموعات عماد مغنية

الجدير بالذكر أنه خلال عام ٢٠٠٨ ظهرت مجموعة مسلحة في قطاع غزة حملت اسم «مجموعات عماد مغنية» نسبة للقائد بـ «حزب الله» الذي يُتهم الموساد الإسرائيلي باغتياله في سوريا، وكانت هذه الحركة تتبع «كتائب شهداء الأقصى» التي تتبع بدورها حركة فتح. واعترف قائد هذه المجموعات سالم ثابت في حديث لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية آنذاك بأن مجموعاتته تتلقى دعماً مباشراً من «حزب الله». ورداً على سؤال حول شكل هذا الدعم؟ قال: «مادي ولوجستي».

استهداف الأطفال

لا شك أن الشيعة نجحوا في اختراق قطاع غزة عبر بوابة الجمعيات الخيرية كما أسلفنا في البداية، وكما اعتادت إيران أن تفعل في كل المجتمعات السنية. وكشف تقرير مصور لقناة العالم الإخبارية التابعة لإيران، عن حجم الخطر الذي تشكله هذه الجمعيات التي باتت تستهدف النشء الصغير وتربطه بإيران.

ويظهر في التقرير الذي تم تصويره قبل شهور قليلة في مخيم صيفي لأبناء الشهداء في غزة- نظمته جمعية دار الهدى بدعم من لجنة إمداد الإمام الخميني الإيرانية التي تحرص على دعم إقامة مثل هذه الأنشطة- أطفال يقولون «نشكر الجمهورية الإسلامية» ولجنة الإمداد والإمام الخميني. في مشهد ربما يكشف نتائج التخلي العربي والإسلامي السني عن القطاع المحاصر، وتركه على طبق من ذهب لإيران بأموالها ومخططاتها لتفعل به ما تشاء.

التقريب والوحدة بين المسلمين، أو فتاوى هنا وهناك تنفي ما عليه الشيعة من بدعة وانحراف، إذ تطفح كتابات الرجل بعقائد الشيعة وانحرافاتهم، والإساءة إلى أهل السنة وعقيدتهم.

أولاً: حياته ونشأته

ولد الشيخ جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي في مدينة تبريز الإيرانية في سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٣٠ م)، وفيها نشأ، ودرس في حوزتها على يد عدد من شيوخ الشيعة، ومنهم والده. وفي الرابعة عشرة من عمره دخل المدرسة الطالبية في تبريز ودرس فيها مرحلتي المقدمات والسطوح. وقد استمرت فترة دراسته هذه خمس سنوات (أي إلى عام ١٣٦٥ هـ).

وبسبب الاضطرابات التي قامت في تلك الفترة في محافظة أذربيجان، التي تعتبر تبريز أهم مدنها، انتقل في العام التالي إلى مدينة قُم، وواصل دراسته هناك على يد عدد من شيوخها مثل: محمد حسين البروجردي ومحمد الحجة الكوهكمري ومحمد حسين الطبطبائي وروح الله الخميني.

وإضافة إلى الدراسة، مارس السبحاني التدريس في قُم، وطُبعت محاضراته ودروسه في كتب مستقلة، كما أنه أصدر - مع آخرين - مجلة باللغة الفارسية تسمى «درسهای از مکتب اسلام»

الوجه الآخر

١٣- جعفر السبحاني

هينم الكسواني^(١) - خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة التبت حقيقتها على أهل السنة. فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها. ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الشيخ جعفر السبحاني من الوجوه

البارزة في دعوة التقريب بين السنة والشيعة ومؤتمرات الوحدة الإسلامية، وصار وجهاً مألوفاً في بعض الدول السنيّة كالأردن والمغرب وتركيا، وهو ما أدى إلى انخداع بعض السنة بشخصيته، لا سيما وأن السبحاني انتهج منهج البحث والتحقيق، وأسس مؤسسة متخصصة لذلك، ما أدى إلى ظهوره بمظهر العالم الجاد والمنصف الباحث عن الحقيقة والدليل، يُضاف إلى ذلك صدور بعض الكتابات والفتاوى منه يخالف فيها آراء الشيعة وعقائدهم.

لكن الصورة التي نحن بصدد عرضها عن السبحاني «أشمل» من مجرد عبارات جميلة حول

(❖) كاتب أردني.

أي: «دروس من مكتب الإسلام» وهي مجلة شهرية، صدر العدد الأول منها في جمادى الأولى عام ١٣٧٨ هـ، وما زالت تصدر إلى الآن.

وفي سنة ١٤٠٠ هـ، أسس السبحاني في مدينة قم «مؤسسة الإمام الصادق» وهي مؤسسة ثقافية تربوية يتركز نشاطها في مجالات التأليف والتحقيق وتربية الكوادر المتخصصة في علم الكلام.

وللسبحاني عدد كبير جداً من المؤلفات، منها: الأئمة الإثنا عشر، سيرة الأئمة عليهم السلام، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان، الوهابية في الميزان، الخمس في الشريعة الإسلامية الغراء، مع الشيعة الإمامية في عقائدهم^(١)..

الوجه الآخر

عند البحث في سيرة السبحاني ومؤلفاته، يتضح مدى التزامه بعقيدته والدعوة إليها، وتزيين ما بها من باطل، والانتقاص من مذهب أهل السنة، ومن الصحابة والتابعين والعلماء، ومن ذلك:

١- مشاركته في صياغة القانون الأساسي

في إيران بعد قيام الثورة سنة ١٩٧٩م^(٢):

ومعروف ما احتواه الدستور الإيراني من طائفية وإصرار على تبني التشيع، فقد نصت إحدى مواد على أن «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام، والمذهب الجعفري الإثني عشري، وهذا الأصل يبقى إلى الأبد غير قابل للتغيير».

ويلفت الشيخ الدكتور ناصر القفاري إلى أن الدستور الإيراني لم يعترف بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أن يجعلها من مصادر التشريع، فقد جاء فيه: «يقوم نظام الجمهورية الإسلامية على أساس الاجتهاد المستمر من قبل الفقهاء جامعي الشرائط على أساس الكتاب وسنة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين»^(٣).

ولا عجب أن يحوي الدستور هذه الطامات، ففي كتب السبحاني ما يؤيد ما جاء في المادة المشار إليها آنفاً، من أن مرجع الشيعة بعد القرآن الكريم هو أئمة أهل البيت، وليس السنة النبوية، يقول السبحاني:

«... إلا أن الأمر الجدير بالذكر هو أن المرتكز الأساسي لبناء العقيدة الخاصة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأن الإمام علياً منصوص عليه بالوصاية على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه وعترته الطاهرة هم المرجع الأعلى بعد الذكر الحكيم»^(٤).

٢- رأيه في الإمامة

يرى جعفر السبحاني أولاً أن الإمامة منصب إلهي، كما في قوله: «إن تقييم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأن خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن يعين من جانب الله تعالى، ولا يصح أن يوكل هذا إلى الأمة...»^(٥).

ويقول: «هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتمدة تثبت صحة الموقف والرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبي والرأي العام»^(٦).

ويعتقد السبحاني -كما هي عقيدة الشيعة- بعصمة أئمتهم، وينقل هنا رأي شيخ الطائفة الطوسي، فيقول:

«يجب أن يكون الأئمة معصومين مطهرين من الذنوب كلّها، صغيرة وكبيرة، عمداً وسهواً، ومن السهو في الأفعال والأقوال، بدليل أنه لو فعلوا المعصية لسقط محلهم من القلوب، وارتفع الوثوق،

الثالثة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م، ص ١٤٢٢.

(٤) جعفر السبحاني، مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، نسخة إلكترونية على الموقع الرسمي للسبحاني، ص ٤.

(٥) جعفر السبحاني، الأئمة الإثنا عشر، ص ٢٨، نسخة إلكترونية.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٢.

(١) الموقع الرسمي للسبحاني على شبكة المعلومات (مؤسسة الإمام الصادق).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أصول مذهب الشيعة، ناصر القفاري، دار الرضا، الجيزة، الطبعة

وكيف يهدون بالضالين المضلين، ولا معصوم غير الأئمة الإثني عشر إجماعاً، فثبت إمامتهم»^(١).

٣- موقفه من الصحابة والتابعين

يحمل السبحاني موقفاً سلبياً من الصحابة رضي الله عنهم، فمن ذلك تشكيكه بمغفرة الله لأهل بدر، الذين ذكرهم النبي ﷺ في الحديث (... لعلّ الله أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، ..)، إذ يقول السبحاني:

«هذا الحديث وإن أخرجه البخاري وأسنده إلى علي عليه السلام ولكنا نجلّ الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن رواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ مضمونه يشهد على كذبه، إذ كيف يمكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يُعطي الضوء الأخضر لجماعة من الصحابة يناهز عددهم الثلاثمائة، ويسمح لهم أن يفعلوا ما يشاؤون، وإن اقتصروا الكبائر وارتكبوا المعاصي وإن سفكوا الدماء وخضبوا بها وجه الأرض»^(٢).

ويتهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالكذب والغدر، في أعقاب الصلح الذي أبرمه مع الحسن بن علي رضي الله عنهما، إذ يقول السبحاني: «ولما تمّ الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحبوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي هاتين لا أفي بشيء منها له»^(٣).

واستمر حقد السبحاني ليشمل من جاء بعد الصحابة من التابعين وأتباعهم، منتقداً أهل السنة أنهم استندوا في التفسير على أقوالهم، فيقول: «لكن المؤسف أنّ أهل السنة والجماعة لم

يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أئمة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنّما استعانوا في تفسيره بأناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفى عام ١٠٤هـ)، وعكرمة البربري (المتوفى عام ١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان اليماني (المتوفى عام ١٠٦هـ) وعطاء بن أبي رباح (المتوفى عام ١١٤هـ)، ومحمد بن كعب القرظي (المتوفى عام ١١٨هـ)، إلى غير ذلك من أناس لا يبلغون في الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم...»^(٤).

٤- رأيه في التقية

يقدم السبحاني صورة «وردية» للتقية، فإضافة إلى ما درج عليه الشيعة من القول بأنهم لجأوا للتقية بسبب ما عانوه من اضطهاد على مرّ العصور، يزعم السبحاني أن التقية كانت لغايات نزيهة! وحرصاً من الشيعة على وحدة المجتمع الإسلامي، وحفظاً للود الذي بينهم وبين بقية المسلمين، فيقول:

«أضحت شيعة الأئمة من آل البيت مضطرة في أكثر الأحيان إلى كتمان ما تختصّ به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك، تبتغي بهذا الكتمان صيانة النفس والنفس، والمحافظة على الوداد والأخوة مع سائر إخوانهم المسلمين، لئلا تشق عصا الطاعة، ولكي لا يحسّ الكفار بوجود اختلاف ما في المجتمع الإسلامي، فيوسع الخلاف بين الأمة المحمّدية.

لهذه الغايات النزيهة كانت الشيعة تستعمل التقية وتحافظ على وفاقها في الظواهر مع الطوائف الأخرى، متبعة في ذلك سيرة الأئمة من آل محمد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: «التقية ديني ودين آبائي»، ...»^(٥).

٥- رأيه في نشأة التشيع

يقدم السبحاني فكرة مغلوطة لنشأة التشيع،

(١) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، ص ٣٠.

(٢) جعفر السبحاني، عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان، نسخة إلكترونية، ص ١٥٨.

(٣) الأئمة الإثنا عشر، ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٥) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، ص ٧٦.

وهذا الصنف من العلماء الذين يسلكون

هذا السبيل يُبتلون ويُختبرون، وتلك سنة الله في

عباده الذين سلكوا سبيله، ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ لسورة

العنكبوت، [١] وقد حدثنا الشوكاني - رحمه الله

- في كتابه (أدب الطلب) ^(٦) عن بعض ما أصابه

بسبب اشتغاله بعلوم الاجتهاد، ونبذه التقليد

والتعصب المقيت، فقد حسده علماء عصره، وثار

ضده المتعصبون الجهلة، واستعدوا عليه السلطان،

وزينوا له سجنه وسفك دمه، ولكنه ثبت ولم

تأخذه في الله لومة لائم، فأيده الله ونصره، وأذل

من أراد به شراً، ونحن ننقل إليك بعض ما ذكره

من تلك الوقائع.

قال الشوكاني: «ولقد اشتدّ بلاهم، وتفاقت

محنتهم في بعض الوقائع، فقاموا قومة شيطانية،

وصالوا صولة جاهلية، وذلك أنه ورد إليّ سؤال في

شأن ما يقع من كثير من المقصرين من الذم

لجماعة من الصحابة، صانهم الله، وغضب على

من ينتهك أعراضهم المصونة، فأجبت برسالة ^(٧)

ذكرت فيها ما كان عليه أئمة الزيدية من أهل

البيت، وغيرهم، ونقلت إجماعهم من طرق، وذكر

كلمات قالها جماعة من أكابر الأئمة، وظننت أن

نقل إجماع أهل العلم يرفع عنهم العماية، ويردّهم

عن طرق الغواية، فقاموا بأجمعهم، وحرروا

جوابات زيادة على عشرين رسالة ^(٨)، مشتملة على

الشتم والمعارضة بما لا ينفي إلا على بهيمة،

واشتغلوا بتحرير ذلك وأشاعوه بين العامة، ولم

(٦) ص ٣٠.

(٧) هي رسالته المسماة: إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي.

(٨) جمعت في كتاب بعنوان: إظهار الحبي، وانظر كتاب مصادر الفكر الإسلامي ص ١٤١.

إذ يربطه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه هو الذي أنشأه وغرسه في الناس، إذ يقول: «ليس للشيعة تاريخ غير تاريخ الإسلام وليس له مبدأ ظهور غير مبدأ ظهور الإسلام نفسه، وفي الحقيقة إنّ الإسلام والتشيع وجهان لعملة واحدة أو وجهان لحقيقة واحدة، وتوأمين ولدا في زمن واحد» ^(١). ويقول: «إنّ التشيع ليس وليد حوادث السقيفة ولا فتنة مصرع عثمان وغيرها من الأساطير، بل إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بذر بذرة التشيع لأول مرة وغرس غرسها في قلوب الصحابة بتعاليمه السماوية المكررة» ^(٢).

٦- رأيه في تحريف القرآن

ينفي السبحاني وقوع التحريف أو النقص في القرآن الكريم، وهو يحصر القائلين به من الشيعة بالفرقة الأخبارية، كما يرى بأن بعض ما أدخله الشيعة على الآيات هو من قبيل «التفسير» لها، وليس الإضافة أو الزيادة ^(٣).

وعلى مبدأ «الهجوم أفضل وسيلة للدفاع» يزعم أن أهل السنة أيضاً قالوا بالتحريف، كما في قوله:

«والعجب أنّ أهل السنة يتهمون الشيعة بالقول

بالتحريف ويشنون الغارة عليهم، وهم يروون

أحاديثه في أصح صحاحهم ومسانيدهم» ^(٤).

الشوكاني والرافضة

د. عمر الأشقر رحمه الله ^(٥) - خاص بـ «الراصد»

العلامة محمد بن علي الشوكاني المولود

سنة ١١٧٣هـ والمتوفى سنة ١٢٥٠هـ إمام مجتهد،

له باع طويل في علوم الاجتهاد، وقد قضى عمره في

(١) جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، نسخة إلكترونية، ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨١، ١٨٢.

(٣) جعفر السبحاني، مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه، نسخة إلكترونية، ص ٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٥) من كتابه: جولة في رياض العلماء.

(٦) كاتب أردني.

يجدوا عند الخاصة إلا الموافقة، تقية لشهرهم، وفراراً من معرفتهم، وزاد الشر وتفاقم حتى أبلغوا ذلك إلى أرباب الدولة والمخالفين للملوك من الوزراء وغيرهم، وأبلغوه إلى مقام خليفة العصر^(١) حفظه الله، وعظم القضية عليه جماعة ممن يتصل به، فمنهم من يشير عليه بحبسي، ومنهم من ينصح له بإخراجه من موطني، وهو ساكت لا يلتفت إلى شيء من ذلك، وقاية من الله وحماية لأهل العلم، ومدافعة عن القائمين بالحجة في عباده، ولم تكن لي إذ ذاك مداخلة لأحد من أرباب الدولة، ولا اتصال بهم، واشتد لهج الناس بهذه القضية، وجعلوها حديثهم في مجامعهم، وكان من بيني وبينهم مودة يشيرون عليّ بالفرار أو الاستتار، وأجمع رأيهم على أنني إذا لم أساعدهم على أحد الأمرين فلا أعود إلى مجالس التدريس التي كنت أدرس بها في جامع صنعاء، فنظرت ما عند تلاميذي، فوجدت أنفسهم قوية، ورغبتهم في التدريس شديدة إلا القليل منهم، فقد كادوا يستترون من الخوف، ويفرون من الفزع، فلم أجد لي رخصة في البعد عن مجالس التدريس، وعدت، وكان أول درس عاودته عند وصولي إلى الجامع في أصول الفقه بين العشائين، فانقلب من بالجامع، وتركوا ما هم فيه من الدرس والتدريس، ووقفوا ينظرون إليّ متعجبين من الإقدام على ذلك لما قد قرر عندهم من عظم الأمر وكثرة التهويل والوعيد والترهيب، حتى ظنوا أنه لا يمكن البقاء في صنعاء فضلاً عن المعاودة للتدريس.

ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس بالجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السماع جماعة، ويحضره من عامة الناس جمع جمّ لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة، وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد، وله تعلق بأمر الأجناد، فحمله ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه، فنصب له كرسيّاً في مسجد من مساجد صنعاء، ثم كان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد، حتى يصير عجباً من العجب، فتسامع به الناس، وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد به، والرجل الذي على الكرسي يملئ عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله، ثم لم يكتف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة، ودخلوا الجامع على هيئة منكرة، وشاهدتهم عند

ثم وصل وأنا في حال ذلك الدرس جماعة لم تجر لهم عادة بالوصول إلى الجامع، وهم متلفعون بشياهم ولا يعرفون، وكانوا ينظرون إليّ ويقفون

(١) هو المنصور علي بن العباس المتوفى سنة ١٢٢٤هـ.

مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة، وأهلكه الله في تلك الجزيرة لولا يظلم ربك أحداً (سورة الكهف: ٤٩)، وكان حدوث هذه الحادثة عليه ونزول هذه الفارقة به بمراً ومسمع من ذلك الوزير الراضي الذي ألف له تلك الرسالة استجلاباً لما عنده وطلباً للقرب إليه وتودداً له.

ومن جملة ما وقفت عليه من الرسائل المؤلفة بعناية هذا الوزير رسالة إلى بعض مشائخي الذين أخذت عنهم بعض العلوم الإلهية، وفيها من الزور ومحض الكذب ما لا يظن بمن هو دونه وما حمله على ذلك إلا الطمع في الوزير، فعاقبه الله بقطع ما كان يجري عليه من الخليفة، وأصيب بفقر مدقع، وفاقه شديدة، حتى صار عبرة من العبر، وكان يفد إليّ يشكو حاله وما هو فيه من الجهد والبلاء فأبلغ جهدي في منفعتيه وما يسدّ فاقته، وهكذا جماعة من المترسلين على المبالغين في إنزال الضرر بي أرجعهم الله إليّ راغمين، وأحوجهم لمعونتي مضطرين، ولم أعاقب أحداً بما أسلفه ولا كافيته بما قدمه.

وقد ذكر بعض ما جرى في هذه المحنة في موضع آخر من كتابه «أدب الطلب»^(١) فقال: ومن^(٢) أقرب حوادث الرفض في ديارنا هذه أنه كان جماعة من المتظاهرين بالعلم يملون على الناس في جامع صنعاء في شهر رمضان سنة ست وعشرة ومائتين بعد الألف في كتب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا نحو ثلاثة أو أربعة، كل واحد منهم قد اجتمع عليه جماعة كثيرة من العامة، وكان أحدهم يملّي على كرسّي مرتفع، وتسرح حوله الشمع الكثير، فيجتمع من الناس

وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري، فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله، وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لما شاهد وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب، ويقعقعون بالسلاح، ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه على هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة، واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم.

وحاصل ما في تلك الرسائل أني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه، ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة.

ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة، فرأيته يقول فيها مخاطباً لإمام العصر أن الذي ينبغي له، ويجب عليه، أن يأمر جماعة يكبسون منزلي، ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت والكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس.

وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم منه، فشرده أمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر

(١) ص ٧٤.

(٢) هذه الحادثة أشار إليها المؤلف في البدر الطالع.

العصر^(١) أعزَّ الله به الدين منع صاحب الكرسي من الإملاء في الجامع، وأمره بالعود إلى المسجد الذي كان يملي فيه.

فحضر أولئك المستمعون على عادتهم وكان

الإملاء قبل صلاة العشاء، فلما لم يحضر شيخهم ذهب بعضهم ليجيء به من بيته، فأخبرهم أن الإمام قد منعه، وأمره بالعود إلى حيث كان، فلم يعذروه، ولا سمعوا منه، ورجعوا إلى الجامع، ثم ثاروا ثورة شيطانية، وقاموا قومة طاغوتية، فمنعوا من الصلاة في الجامع، وما زال ينضم إليهم كل رافضي، ومن له رغبة في إثارة الفتنة، حتى صاروا جمعاً كثيراً، ثم خرجوا، فقصدوا بيت المؤذن الذي أظهر عليهم الرأي الإمامي فرجموه، حتى كادوا يهدمون، وفيه نساء وأطفال قد صاروا في أمر مريع، هذا وليس لذلك المؤذن المسكين سعي، ولا له قدرة على شيء، ولكنه أرسل بالرأي الإمامي والي الأوقاف إليه، ووالي الوقف أيضاً ليس له سعي في ذلك ولكنه أرسله إليه بعض من يتصل بالمقام الإمامي، ثم لما فرغوا من رجم بيت المؤذن ذهبوا ولهم صراخ عظيم وأصوات شديدة إلى بيت والي الأوقاف، وهو رجل من أهل العلم من آل رسول الله ﷺ، فرجموا بيته رجماً شديداً، حتى غشي على بعض من فيه من الشرائف، فقال لهم قائل: إن هؤلاء الشرائف المرجومات هن بنات نبيكم وبنات علي بن أبي طالب، ولم يكن بنات معاوية ولا بنات عمرو بن العاص وغيرهما ممن تعادونهم فما لكم ولهن؟ فلم يتلفتوا إلى ذلك، واستمرّوا على الرجم ثم دخلوا إلى بعض البيت ونهبوا بعض متاعه، وبلغهم أن والي الأوقاف وولده بمسجد قريب من بيته، فحاصوا حيصة حمر الوحش، وصرخوا صرخة

عدد كثير جداً لقصد الفرجة، كما يتفق في مثل هذا، وكانوا يشوبون المناقب بذكر مثالب بعض الصحابة، ويحطون من بعضهم، ويصرحون بسبب البعض، ويتوجعون من البعض، وكان ما يصدر من هؤلاء من هذه الأمور إنما هو مطابقة للوزير الرافضي الذي قدمت لك ذكره، ولا سيما صاحب الكرسي، وهذا الوزير لم يكن رفضه لوازع ديني، كما يتفق لكثير من أهل الجهل المتعلقين بالرفض، فهو أنذل من ذاك وأقل، ولكنه يفعل ذلك مساعدة لجماعة من شياطين المتفهمة المتعصبة، يدخلون إليه فيقولون: إنه لم يبق من يحامي على هذا الأمر سواك، وأنت ركن التشيع، وملجأ أهله، ونحو هذه العبارات، فيبالغ في التظاهر بهذه الخصلة، ويحب نسبة ذلك إليه، فكان الرفض مكماً لمثابه، متمماً لمعاييه، لأنه في كل باب من أبواب القبائح قريع دهره، ونسيج وحده.

فلما تكاثر ما يصدر من أولئك المشتغلين

بما لا يعنيهم من ثلب السلف مع ما ينضم إلى ذلك من إدخال الضغائن في قلوب العامة وإيمانهم أن الناس قد تركوا مذهب أهل البيت، وفعلوا وفعلوا، وكل ذلك كذب، فإن الناس هم في هذه الديار زيدية، وكثير منهم يجاوز ذلك فيصير رافضياً جلدأ، ولم يكن في هذه الديار على خلاف ذلك إلا الشاذ النادر، وهم أكابر العلماء، ومن يقتدي بهم، فإنهم يعملون بمقتضى الدليل، ولا ينتمون إلى مذهب، ولا يتعصبون لأحد، فهؤلاء هم الذين يقصدهم أولئك الراضية بكل فاقرة، ويرمونهم بالحجر والمدر، ويسمونهم بميسم النصب.

فلما تفاقم شر أولئك المدرسين، وصار الجامع ملعباً لا متعبداً، واشتغل بأصواتهم المصلون عن صلاتهم، والذاكرون عن ذكرهم رجح إمام

(١) هو الإمام المنصور علي بن العباس السابق ذكره.

الحرر الأهلية، وذهبوا إلى ذلك المسجد عازمين على قتله، فأغلق عليه بعض الناس مقصورة المسجد، فسلم.

ثم ذهبوا بصراخهم وجلبتهم إلى بيت بعض أهل العلم من أهل البيت النبوي، وكان يعظ

الناس بالجامع، ويتظاهر ببعض من السنة، فرجموا بيته رجماً شديداً، وفيه شرائف وأطفال. ثم ثاروا إلى بيت بعض وزراء الخليفة لا لذنوب إلا لكونه ينافسه ذلك الوزير الراضي، وكونه ينتسب إلى بعض بطون قریش، فرجموه رجماً شديداً ثم كسروا بعض أبوابه ودخلوا وكادوا يتصلون بمن فيه لولا أنه حماه جماعة بالرمي بالبنادق وآخرون بالسلاح، ويتصل ببيت هذا الوزير المرجوم بيت وزير آخر من أهل العلم فرجموه ورجمهم من في بيت الوزير حتى أصابوا جماعة منهم فتركوه، وسبب رجمهم لبيت الوزير هذا أنه من جملة من يتظاهر بعلم السنة، ثم لما كاد ينقضي الليل فارقوا ما هم فيه من آثار فتنة عظيمة، ومحنة شديدة.

ولما كان النهار جمع الخليفة أعوانه،

وطلبني واستشارني، فأشرت عليه بأن يحبس أولئك المدرسين الذين أثاروا الفتنة في الجامع بسبب ما يصدر منهم من نكاية القلوب وإثارة العوام، فحبسهم، ثم أشرت عليه بأنه يأمر بتتبع أولئك الذين رجموا البيوت، وفعلوا تلك الأفاعيل ومن وجدوه حبسوه، ويأمر بتتبع جماعة من شياطين الفقهاء المثيرين للفتنة، ففعل وحبسوا جميعاً، ولكن لم ينصح والي مدينة صنعاء لموافقة للوزير الراضي في الرفض ومهابته له ووقوفه عندما يختاره ويرتضيه.

وبعد ان اجتمع في الحبس جماعة كثيرة من

هؤلاء أرسل الإمام حفظه الله لجماعة من شياطينهم المباشرين للفتنة من الفقهاء، فجاء بهم من الحبس إليه، وضربهم بالعصي تحت داره وهو

ينظر، ثم أرسل في اليوم الآخر لجماعة من أهل السوق المباشرين للفتنة فصنع بهم ما صنع بأولئك، ثم جعل جماعة من شياطين الجميع في سلاسل وأرسل بهم إلى جزائر البحر على هيئة منكرة فسكنت الفتنة سكناً تاماً.

ولقد شاهدت من التعصبات في هذه الفتنة

ما بهرني من الخاصة والعامة، أما الخاصة فإني رأيت من أهل بيت الخلافة من أولاد الإمام وغيرهم ومن الوزراء والأمراء والقضاة وأهل العلم من ذلك ما يعجب منه، فإني لما أشرت على الخليفة بما أشرت خرجت من المكان الذي هو مستقر فيه إلى حجرته، وفيها أكابر أولاده، وهم إذ ذاك أمراء الأجناد، وعندهم جميع الوزراء وهم جميعاً في أمر مريع، فيهم من يعظم عليه حبس أولئك المدرسين ويراه خطأ في مرتبة الرفض، ونقصاً من الرافضة، وقد قتل منهم ذلك الوزير الراضي في الذروة والغارب، وأوهمهم أنها ستثور فتنة من العامة والأجناد، وما زال بعض أولاد الخليفة يردد عليّ ذلك ويرغبني في الرجوع عن الشور الذي أشرت به على الخليفة، ويذكر ما قد ألقاه إليه الوزير الراضي من خشية ثورة الأجناد والعامة، فما زلت أعرفه بالصواب، وأذكر له أن هذه الفتنة لو لم تحسم يومنا هذا بحبس المثيرين لها لهلك غالب الناس في الليلة الواصلة، ونهبوا الأموال جهاراً، وأنه سيصل الأمر إلى الخليفة وأولاده فضلاً عن غيرهم، وعرفته أنه ما سيثور بسبب ذلك أجناد ولا غيرهم، فإن هذا تسكين للفتنة لا إثارة لها، ولقد حمدوا هذه المشورة بعد حين وعرفوا أنها صواب، وأن بها كان سكون تلك الفتنة التي غلت مراجلها، وكادت تعم جميع أهل صنعاء ثم تسري بعد ذلك إلى سائر الديار اليمنية.

وتحصر الدين في بعض المظاهر والطقوس التي يغلب على أكثرها البدعية والانفصال بصاحبها عن حياته وواقعه حتى لو حاولت بعض هذه الطرق أن تظهر على العكس إذ يندر أن نجد في صفحات التاريخ ما يشير إلى مشاركة جادة وفاعلة من قبل من يصفون أنفسهم بالمتصوفة في دفع ظلم أو رفض عدوان، وإن كانت الموضوعية تفرض علينا الإشارة إلى أن ذلك لا ينطبق مطلقاً على أولئك الذين التزموا خط الزهد والتقشف في الحياة الدنيا دون أن يخرجوا عن حدود الكتاب والسنة.

كما يضاف إلى ذلك وعي هذه الطرق وقادتها بأن هذه الأنظمة المستبدة نفسها أحرص ما تكون على بقاء مثل هذه الطرق وانتشارها وتمدها كونها تتأى باتباعها عن المشاركة في العمل السياسي وإظهار تبعيتها التامة للنظام الحاكم مهما كان منهجه أو سلوكه أو حتى موقفه من الدين إذ المعيار الوحيد لدى هؤلاء هو منح هذه الطرق حرية ممارسة طقوسها وفعاليتها واحتفالاتها التي تكاد لا تتوقف في كل أنحاء البلاد فضلاً عن عدم الالتفات إلى أية مؤسسة تتجرأ على إبداء أية ملاحظات عقائدية أو حتى أخلاقية على سلوكيات الكثير من المنضوين تحت لافتات هذه الطرق وهو الأمر الذي يمكن أن يفسر لنا حجم الدعم المالي السخي الذي كانت وما زالت تجود به الأنظمة المستبدة على هذه الطرق بل والسماح لها أيضاً بالاستيلاء على جزء كبير مما يسمى بصناديق النذور إذ بات معروفاً أن كثيراً من قادة الطرق الصوفية يعيشون حياة الرغد نظير ما

قراءة في واقع "صوفية مصر"

بعد أحداث ٣٠ يونيو

أسامة الهتمي^(١) - خاص بالراصد

من المعلوم أن الطرق الصوفية في مصر والتي يبلغ عددها نحو ٧٤ طريقة لم تخف موقفها الحقيقي من ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م حيث ناصبتها ومنذ البداية وفي صراحة ووضوح معلنين العداء لها وذلك عبر بياناتها الصادرة عنها فضلاً عن تصريحات قياداتها والمتحدثين باسمها فقد كانت هذه الطرق مؤيدة بقوة للإجراءات التي كان يتخذها نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك من أجل توريث الحكم لنجله جمال وهو الحلم الذي أطاحت به هذه الثورة، بل وكان أحد أهم الأسباب الأساسية لاندفاع الجماهير ومشاركتها في فعاليات الثورة.

وعليه فلم يكن بمقدور تلك الطرق التي نمت وترعرعت في كنف الأنظمة المستبدة، ومن بينها نظام مبارك، أن تتقلب عليه أو تشور ضده فهي تدرك جيداً أن ازدهارها واستمرار حيويتها ينبع بالأساس من توفر أجواء سياسية خاصة تدفع بالناس إلى الهروب من واقعهم الأليم للانضواء تحت لواء طرق صوفية تساعد على تغييب الوعي،

(١) كاتب مصري.

يتحصلون عليه من نصيب من هذه الصناديق فيما تكتفي قواعد هذه الطرق بالاستمتاع بما ينالونه مما لذ وطاب من أطايب الطعام والشراب خلال ما يسمونه بحلقات الذكر التي تقام كل يوم إما في منزل أحدهم أو بأحد الأضرحة أو حتى في بعض المساجد الخاضعة لسيطرتهم فضلاً عن الموالد التي ليس خافيا على أحد ما يحدث فيها وما تشهده مما سجلته الكثير من وسائل الإعلام وأعين المراقبين.

الانحياز للعلمانيين

بمنتهى الموضوعية لا يمكن الأخذ بالمبررات التي أبداه الصوفية تفسيراً لموقفهم المتشدد من تمكن الإخوان المسلمين والرئيس محمد مرسي من الوصول للحكم والتي استتدت إلى دعوى أن الإخوان وأنصارهم تربصوا بالنشاط الصوفي وأعطوا الضوء الأخضر لبعض الشباب بهدم الأضرحة وغير ذلك مما كشف عنه الصوفية في تصريحاتهم المنتقدة لمرسي خلال العام الذي تولى فيه الحكم ..

وقد كان يمكن قبول تلك المزاعم لولا أن الواقع يخالف ذلك تماماً إذ أن هذا الموقف الصوفي الرافض لمرسي والإخوان سبق الانتخابات الرئاسية نفسها عندما أعلن الصوفية أنهم يدعمون وبكل قوتهم المرشح الرئاسي الفريق أحمد شفيق الذي خاض هو والدكتور مرسي معركة الإعادة على المقعد الرئاسي على الرغم من أن خيار الفريق شفيق لم يكن هو المرجح لدى أغلبية التيار الإسلامي الذي يفترض أن يكون الصوفية ضمن مكوناته كما لم يكن مرجحاً بالنسبة لكل مؤيدي وداعمي ثورة يناير وهو ما يؤكد صحة ما أشرنا إليه إذ الموقف المبدئي لهذا التيار الصوفي هو الانحياز لنظام مبارك بفكره ومنهجه دون إبداء أية رغبة في التطلع لتغيير الحالة السياسية بالشكل الذي تتطلع وتطمح إليه الجماهير.

يضاف إلى ذلك أن الملاحظات التي أبداه المتصوفة وُجّهت بالأساس إلى عناصر شبابية لا علاقة تنظيمية بينهم وبين الإخوان المسلمين إذ

عبرت في أغلبها عن سلوك غير منظم لدى بعض الأفراد الذين لا ينضوون تحت لواء تنظيمات إسلامية وهو ما يدركه الصوفية أنفسهم بل وعبروا عنه مراراً حيث كانوا دائماً ما ينسبون هؤلاء الشباب إلى التيار السلفي وليس إلى الإخوان.

كذلك ارتبط تصعيد حملة الصوفية ضد الإخوان ومرسي زمنياً بالحملة الشعواء التي شنّها المتشيعون المصريون والدولة الإيرانية مستهدفة مرسي وجماعته في أعقاب المؤتمر الذي عقده باستاد القاهرة واصطحب خلاله عدداً من العلماء والمشايخ والدعاة الذين شنوا بدورهم هجوماً حاداً على الرئيس السوري بشار الأسد وجرائمه بحق الشعب السوري الأمر الذي يثير الكثير من التحفظات عن مدى التوافق بين الصوفية والشيعة وإيران في الوقت الذي لم تفتأ تؤكد فيه بعض قيادات المتصوفة انعدام هذه العلاقة بين الطرفين بل والإعلان عن الاستعداد للتعاون مع أي جهة من أجل مواجهة محاولات نشر التشيع في المجتمع المصري من مثل ذلك الاتفاق الذي تم بين ائتلاف آل البيت والصحب والمجلس العالمي للصوفية والذي يتم بموجبه التعاون المشترك للتصدي للشيعة عموماً، والتصدي للشيعة أيام مولد الحسين على وجه الخصوص.

ولعل الدلالة الأخطر في موقف الصوفية السياسي من الإخوان والسلفيين على حد سواء هو الكشف عن وجود حالة من الخصام بين الصوفية وبين أية مشروع إسلامي للحكم بل والإصرار على تقديم فهم مبتور للإسلام وحصره كما أشرنا في شكيلات وشعائر دون حتى تبني رؤية حضارية يمكن بها مواجهة الأفكار والأيدلوجيات العلمانية وهو ربما الأمر الذي استحسنته القوى الغربية حتى أضحت الصوفية هي الخيار والبديل الأفضل الذي تروج له كثير من مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية ومنها مثلاً ذلك التقرير المطول الذي صدر مؤخراً عن لجنة الحريات الدينية بالكونجرس الأمريكي عن الحركات الإسلامية

وكيفية الاعتماد على الإسلام السياسي في إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الجديد حيث رصد التقرير المقدم للبيت الأبيض أربعة عناصر للإسلام السياسي على النحو التالي:

الأول: وهم الأصوليون الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية الراهنة ويعتبرها الشريعة الأخطر والتي من الواجب مواجهتها واستئصالها.

الثاني: وهم التقليديون الذين يسعون إلى خلق مجتمع محافظ وهي فئة التقليديين أو المحافظين وهي فئة يلحقها التقرير في المعاملة بفئة الأصوليين.

الثالث: وهم الحداثيون «أهل الحداثة» الذين يبنون عالمًا إسلاميًا مندمجًا في داخل الحداثة العالمية ويقدمها التقرير كخيار بديل للأصوليين والتقليديين وهو خيار المجتدين أو الإسلاميين الليبراليين.

الرابع: وهم العلمانيون الذين يريدون عالمًا إسلاميًا مختزلًا للدين في الدوائر الخاصة على غرار الديمقراطية الغربية.

أما الشريحة الخامسة فتشمل الحركات الصوفية حيث يطرح الإسلام الصوفي كبديل أقوى يملأ به أرض الواقع ويحل محل دعاة الأصالة والشريعة والخلافة.

ويوصي التقرير بضرورة تعزيز مكانة المذهب الصوفي وتشجيع الدول ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على الجزء الصوفي من تاريخهم وإدراجه في المناهج الدراسية المعتمدة في المدارس.

وينتهي التقرير بوصايا محددة كان أبرزها وأخطرها توصية الكونجرس الأمريكي بضرورة دعم وتأييد الاتجاه الصوفي ونشره والدعوة إليه وإدماج الصوفية في الحكم بهدف محاربة الإسلام الأصولي والعمل على مصالحة التصوف الإسلامي ودعمه لكي يستطيع ملء الساحة الدينية والسياسية وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة.

ومن ثم واستنادا إلى هذا الجزء الضئيل الذي نقلناه عن التقرير المطول فإن ما ذهبنا إليه لا يعد

افتراء على التصوف والصوفية في مصر إذ كانت ممارساتهم ومواقفهم بالفعل تعكس صوابية التقسيم الأمريكي بل إن هذه المواقف ربما تكون هي محاولاتهم من أجل إبقاء هذا التصور تجاههم ومن ثم ضمان استمرار دعمهم إذ وجود بيئة إسلامية تتمتع بالحرية يمثل تهديدا قويا لبقاء الزخم الصوفي على شاكلته التي هي عليها في مصر بل وفي كل البلدان العربية والإسلامية فالإسلام بطبيعته رؤية شمولية تمزج بين الدين والدنيا، بين العمل للأخرة والنظر في الدنيا لتحقيق سعادة البشرية.

دور مهم

حرص الرئيس السيسي وحتى قبل جلوسه الفعلي على كرسي الرئاسة المصرية على أن يلتقي بوفد يمثل التيار الصوفي في البلاد وهو ربما الإجراء الذي أراد به تحقيق عدة أمور منها:

- أن يكون ذلك رسالة للجميع بأنه منحاز لفهم خاص للإسلام وللتدين ومن ثم العمل على إزالة أي لبس يمكن أن يحدث خاصة وأن الإعلام قد روج عنه خلال عهد الدكتور مرسي من أنه شخصية متدنية حتى أن البعض وصفه بالإخواني وعليه تنقضي أي دوافع للقلق والخوف من أي جهة في الداخل أو الخارج.

- أراد السيسي أن يدفع عنه ما روجته التيارات والقوى الإسلامية المناهضة لكل ما ترتب على أحداث الثلاثين من يونيو من أن مواقفه وسلوكه معادية للإسلام إذ بدا أن لقاءه بوفد الطرق الصوفية يعني أن موقفه من الإخوان ليس موقفاً من الإسلام وإنما من توجهات إسلامية بعينها.

- كما لم ينس السيسي أن التيار الصوفي في مصر ينتسب له الكثير من العلماء المنتمين لمؤسسة الأزهر بينهم شيخ الأزهر نفسه الدكتور أحمد الطيب ورئيس جامعة الأزهر الأسبق الدكتور أحمد عمر هاشم ومفتي الجمهورية السابق الدكتور علي جمعة وغيرهم الكثير ممن لهم تأثير

بالغ على قطاعات شعبية لا يستهان بها ، وعليه فإن كسب هؤلاء هو جزء من الظهير الشعبي الذي يستند إليه السيسي في مواقفه ووجوده فضلاً عن انتخابه في الانتخابات الرئاسية التي جرت بعد اللقاء بأسابيع قليلة.

زمن السيسي

لاشك أن السنوات الثلاث التي أعقبت ثورة يناير ٢٠١١ كان لها دور كبير في حدوث تغييرات على واقع البنية السياسية والثقافية والاجتماعية ومكوناتها في عموم البلاد كلها وقد شمل ذلك الصوفية بطبيعة الحال ، وعليه وفي ظل ما سردناه من معطيات سابقة يمكن لنا أن نكشف عن ملامح الصورة التي عليها الصوفية الآن في مصر وبعد نحو عام ونصف على إقالة الرئيس مرسي.

- النظرة إليهم كونهم فئة انتهازية أو على حد قول شيخ الطريقة العزمية الدكتور علاء أبو العزايم أنهم من راكبي الموجة حيث اعترف في تصريح صحفي بأن الطرق الصوفية كانت أداة لخدمة أمن الدولة ضد الإخوان المسلمين إبان نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك واصفاً في الوقت ذاته - بحسب الإذاعة الألمانية «دويتشه فيله» - القيادات الصوفية بالفاشلة وعدم امتلاكها وزناً حقيقياً في المجتمع المصري لأنها تقبل بتوظيفها من قبل السلطة لاسيما إبان نظام مبارك.

وقال أبو العزايم إن السلطة حالياً هي من تستخدم الطرق الصوفية ولكن القيادات الصوفية هي من تقدم نفسها للسلطة لتحقيق مصالحها الشخصية معتبراً أن مساندتهم للمشير السيسي ليست عن قناعة شخصية بل لركوب الموجة لأنهم يستغلون النظام الحاكم أيّاً كانت توجهاته مبرهناً على ذلك بموقف الطرق إبان الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠١٢ قائلاً: «أكدت قيادات الطرق الصوفية حينها أنهم على مسافة واحدة من جميع المرشحين رغم أنهم كان عليهم تأييد أحمد شفيق ولكن لم يفعلوا ذلك خشية فوز الإخوان المسلمين.

- تصويرهم باعتبارهم إما مشعوذين أو دجالين أو داعرين أو أنهم لا يلتزمون بسمت المتدينين فمثلاً قدم التلفزيون المصري العام الماضي عدداً من المسلسلات خلال شهر رمضان وغيره حملت الكثير من الانطباعات التي اعتبرها الصوفية سلبية حول التصوف والصوفية في مصر ومن ذلك مثلاً مسلسل «خلف الله» بطولة نور الشريف والذي يقوم فيه بأداء شخصية رجل متصوف يدعى «خلف الله» غير أن المسلسل أظهره بعيداً عن الورع تماماً حيث يكثر النظر للنساء بلا خوف أو وجل من الله وكل ما يخشاه هو أن تتبته المرأة المنظور إليها من فعله لكن ومع ذلك يكون لمثل هذه الشخصية كرامات تذهل كل من حوله.

ومن هنا أيضاً مسلسل «تفاحة آدم» بطولة خالد الصاوي والذي جسّد فيه شخصية مدعٍ صوفي بالاشتراك مع داعرة تركت الدعارة لتدعي أنها شبيخة متصلة بالله وأنها يمكن أن تحقق أمانى الحيارى، فيما ربط مسلسل ثالث هو «السبع وصايا» بين المتصوفة وبين السحر والشعوذة.

- حالة الخوف والرعب التي انتابتهم بعد الإطاحة بالرئيس محمد مرسي والتردد قبل إقامة أي من احتفالاتهم في مختلف المحافظات بدعوى تعرض مواكبهم لعمليات مسلحة تستهدفهم.

- الاستغراق لكثير من الوقت في الصراعات الداخلية حول نتائج انتخابات المشيخة واعتراض بعض الطرق على ما تم بشأنها من إجراءات ومن ذلك ما كان قد أعلنه طارق الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية من أنه سيتقدم بدعوى قضائية ببطلان نتيجة انتخابات المجلس الأعلى للطرق الصوفية لأنها مبنية على بطلان ومخالفة للقانون موضحاً أن الشيخ عبد الهادي القصبي رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية وجّه الانتخابات لصالح قائمة محددة يتم تداولها بين الناحيين وتشمل القائمة (محمود أبو الفيض، شيخ الطريقة الفيضية -

أحمد الصاوي، شيخ الطريقة الصوفية - سالم الجازولي، شيخ الطريقة الجازلية - مختار

الاختلاط في التعليم وصراع الهوية

فاطمة عبد الرؤوف^(١) - خاص بالرائد

الاختلاط في التعليم أحد المستجدات التي يواجهها مجتمعنا الإسلامي كأحد النواتج المهمة لرياح ما أطلق عليه «الحداث» والتي استوردنا قشورها الخارجية والظاهرية وحصلنا على نصيبنا كاملا من عيوبها ومساوئها دون أن نجني أي فائدة تذكر من حقيقة تقدم تلك المجتمعات في مجالات التصنيع والتكنولوجيا وحتى في قواعد الإدارة.

ولابد في هذا السياق أن نميز بين أمرين بينهما من الخلاف فارق واضح فثمة تباين ضخم بين التعليم الحديث وما يتضمنه من علوم كان لها دورها الواضح في النهضة العلمية الحديثة وبين آليات هذا التعليم، فدعاة التغريب الذين يتحدثون كثيرا وطويلا عن التخلف الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية والإسلامية بينما يتحدثون بانبهار عن مظاهر المدنية والرقى والتقدم العلمي الفائق في الدول الغربية وهو كلام حقيقي لابد أن نعترف به ولا نبرره وندافع عن أنفسنا بإلقاء تبعه ذلك على الاستعمار والاستغلال أو نقوم بحيلة نفسية دفاعية بتمجيد ماضينا العريق الزاخر بالعلماء في شتى التخصصات وكلا الأمرين صحيح .

أي أننا بالفعل حملنا مشعل الحضارة العلمية المادية طيلة قرون طويلة بينما كان الآخر الغربي يغط في سبات التخلف كما أننا كنا نحمل في اليد الثانية مشعل القيم الخلقية النبيلة النابعة من ديننا ولم نحاول استغلال الشعوب الأخرى أو التحكم في مقدراتها ناهيك أن نخطط لتكريس حالة التخلف الذي كانت تعيشه، والتاريخ شاهد على ذلك وإن

محمد ، شيخ الطريقة المحمدية الصوفية -
مصطفى القاوري، شيخ الطريقة القاورية -
إبراهيم سلامة شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية -
محمد علي عاشور، شيخ الطريقة البرهامية -
سعيد الشناوي، شيخ الطريقة الأحمدية الشناوية -
محمد التفتازاني، شيخ الطريقة الغنيمية -
عصام زكي إبراهيم، شيخ الطريقة المحمدية الشاذلية).

- اضطرارهم ووفق تصريحات بعض قادتهم
- خاصة من أولئك الذي انخرطوا في الأحزاب المعبرة عنهم - إلى اللجوء للتحالف مع النصارى والعلمانيين من أجل الفوز بعدد من مقاعد البرلمان وهو ما كشف عنه عبد الحليم الحسيني المتحدث باسم الاتحاد العالمي للطرق الصوفية مشيرا إلى أن اتفاقا تم بين الاتحاد والأقباط لدعم كل منهم الآخر في الانتخابات البرلمانية المقبلة حيث أكد الأقباط دعمهم للقوائم التي سيعدها الاتحاد على أساس الكفاءة والورع في حين سيدعم الاتحاد المرشحين الأقباط إذا ما توافر فيهم الشرطان.

- تزايد الدعوات للخلاص منهم على نمط ما قامت به الدولة تجاه الإخوان وبعض التيارات الإسلامية ومن ذلك ما كان قد صرح به الدكتور جمال محمد مصطفى مدير آثار السلطان حسن من أن «الدولة قضت على جماعة الإخوان ولم يبق لنا سوى الصوفية».

- محاولات الحكومة استعادة هيمنتها على بعض المساجد التي يسيطر عليها الصوفية ومن ذلك ما تناولته وسائل الإعلام من نية الحكومة إخلاء مسجد سيدي أحمد الرفاعي الذي يضم ضريح الرفاعي وتسليمه إلى وزارة الآثار على اعتبار أنه مكان أثري.

(♦) كاتبة مصرية.

كان هناك بعض التجاوزات فهي لحالات فردية وليست وفق مخطط ممنهج كما هو الحال مع الحضارة الغربية الحديثة التي عملت - ولا تزال - على تكريس حالة التخلف والإفقار على كافة المستويات الممكنة.

على أن هذا كله لا يبرر الوضع بالغ السوء الذي تعيشه بلادنا والذي تبدأ أولى خطوات علاجه بالحصول على تعليم جيد وشامل فأيات المولى عز وجل مبثوثة في عالم الكون ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

إن قضية التعليم هي قضية جدية وبالغة الأهمية ولا يمكن أن تحتل المرتبة الثانية إذا أردنا فعلا العودة لذاتنا الحضارية المستلبة، ولا يمكننا الحديث عن التعليم وأهميته ونسبتي النساء اللاتي كرمهن المولى عز وجل واللاتي هن شقائق الرجال (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الإسراء: ٧٠. واللاتي شهدن جميع الأحداث الحيوية مع النبي ﷺ. ويمكننا أن نلاحظ العلاقة الطردية الوثيقة بين منح المرأة كافة حقوقها التي جاء بها الإسلام دون انتقاص بأي حجة وبين ارتفاع المستوى الحضاري العام للأمة.

جذور القضية

على الرغم من اهتمام الإسلام بقضية تعليم النساء وعلى رأس أولويات ذلك تعليمهن أمور الدين ومن ثم المعنى الحقيقي للحياة حيث كن يحضرن الكثير من الدروس في المسجد وعلى الرغم من ذلك طالبن بدرس خاص ربما ليطرحن الاسئلة بحرية أكبر فلقد كن يحضرن الدروس ويجلسن في مؤخرة المسجد فربما لم يستمعن بشكل واضح أو يلتبس عليهن بعض الأمور أو يرغبن في طرح بعض الاسئلة التي لايجمل بهن طرحها على مرأى ومسمع الرجال فعن أبي سعيد الخُدري - رضي الله عنه - قال: (قالت النساء للنبي ﷺ - : غَلَبْنَا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك؛ فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن) متفق عليه.

ولأسباب متعددة ليس هنا مجال تفصيلها أصيب منحنى الحضارة الإسلامية بهبوط في بعض الجزئيات المفصلية فعلى الرغم من ازدهار العلوم فيما تلى العصر النبوي من عصور خاصة في العصر العباسي إلا أن وضع المرأة وتعليمها انحط ولم يرتفع وانحصرت حياتها في زاوية محددة لم يكن التعليم يرفرف فيها - معظم النساء وبالطبع فإن لكل قاعدة شواذ - وازدادت الأمور سوءاً بتراجع المنحنى العام وهبوط قيمة العلم حتى أصبح مشعل العلم في يد حضارة أخرى تكاد تتكرر فضلنا على العلم واقتصرت التعليم على التعليم الديني بمعناه الضيق وبصورة تقليدية جداً حتى أفقنا على الغزوة الاستعمارية الحديثة فجاء نابليون يحمل أسلحته الحديثة ومطبعته الملهمة، جاء بجيش من المحاربين وجيش من العلماء فبدأنا ننتبه على استحياء ونرسل أبناءنا للبعثات ونطرح الأسئلة الكبرى على ذاتنا الحضارية، ويظهر تياران كبيران في الأمة أحدهما تيار الأصالة بمدارسه المتعددة، والثاني هو تيار التغريب بمدارسه المتعددة أيضاً.

وطرحت قضية المرأة وتعليمها على طاولة البحث كواحدة من أهم القضايا وأكثرها إلحاحاً وللأسف الشديد فإن تيار التغريب فاز بقصب السبق إلى الميدان ولعلت أسماء لطفي السيد وطه حسين في دعم قضية تعليم المرأة وطبعاً اصطبح التعليم بصيغتهم فكان لا مناص من الاختلاط وتقليد الغرب أو كما قال طه حسين: (أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها وممرها، وما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يعاب) (١).

حلول متنوعة

وفي البحث عن طريق للنهضة والصحة أدركنا قيمة العلم وقيمة تعليم النساء خاصة وكان للمرأة المسلمة الحديثة دور عظيم في عودة الإسلام ليحتل

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص ٥٥.

لجامعة عين شمس المصرية مثالاً لهذه النوعية من الكليات.

٣- وهذا الحل وإن لم يكن مثالياً إلا أنه واقعي جداً ومن السهولة بمكان تنفيذه بل يمكن للطلاب أنفسهم تنفيذه دون الحاجة لقرارات فوقية من الإدارة الجامعية خاصة في بعض الجامعات العلمانية وهو يقلل من مساحة الاختلاط للحد الأدنى، يكمن هذا الحل بتخصيص جزء من المدرج للطالبات وجزء آخر للطلبة كما يحدث في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة حيث تكون المقاعد الموجودة على يمين المدرج للطلبة بينما تكون المقاعد الموجودة على اليسار للطالبات فيستطعن السماع والمشاركة بمنتهى السهولة وإن كان هذا الحل لا يمنع الاختلاط خارج مدرجات الدراسة إلا أنه سيحمي الطلاب والطالبات الراضين للاختلاط كما أن سيضيق من مساحة الاختلاط خارجه وهو حل يصلح للكليات النظرية والعملية على السواء.

٤- ويبقى ما كان يحدث في المسجد النبوي من حضور النساء الدروس الدينية في الصفوف الخلفية من المسجد أو في الطابق الثاني كما يحدث في المساجد المعاصرة واستخدام التقنية الحديثة لرفع مستوى الصوت ووضوحه حتى يتسنى للنساء حصولهن على حقهن من إرث الأنبياء.

النساء العلماء

يحلو لكثير من الكتاب أن يسخر من نساء الأمة وأنه لم تظهر من بينهن مدام كوري أو ابن خلدون ومن ثم فلا داع أصلاً للبحث عن حل لمشكلة الاختلاط في التعليم الجامعي لأنه يكفي المرأة الحصول على قدر أولي من التعليم تتعلم فيه القراءة والكتابة ومبادئ الدين حتى تصح صلاتها وصومها وقدر من معارف الصحة ومنهج للتعامل مع الزوج وتربية الأطفال، هذا ما يردده للأسف البعض لحل إشكالية تعليم المرأة ولعلمهم يستعيدون تجربة محمد علي في تعليم البنات عن طريق إنشاء مدرسة الولادة لتخريج قابلات ماهرات ومسابهها. هذه الأفكار التي لا تزال تطرح بين الحين

مكانته في الحياة العامة، تلك المكانة التي حاول التيار التغريبي إغائها أو تهميشها، ولكن تعليم النساء سار وفقاً للنظام التغريبي وفي القلب منه الاختلاط في التعليم خاصة في المرحلة الجامعية، وأصبح لزاماً على المعنيين بقضايا المرأة المسلمة أن يبحثوا عن حلول تمنح المسلمة فرصاً أضخم للتعليم وتجنب مساوئ النظام التغريبي خاصة أطروحة الاختلاط التي أصبحت واقعا معاشا في معظم بلدان العالم الإسلامي وهذه مجموعة من الحلول العملية التي قد تساعد خطوة على طريق الحل.

ولعل المشكلة الحقيقية التي تحتاج إلى حل تكمن في مرحلة التعليم الجامعي فمرحلة ما قبل التعليم الجامعي حيث تنتشر المدارس يكون من السهل تخصيص مدارس خاصة للذكور وأخرى تخص الإناث من الابتدائي للثانوي أو على الأقل في المرحلتين الإعدادية والثانوية وفي بعض البيئات الريفية حيث يقل عدد المدارس من الممكن جعل الدراسة على فترتين إحداها للذكور والأخرى للإناث.

إذن المشكلة الجوهرية هي مرحلة التعليم الجامعي حيث أن عدد الجامعات محدود ولأن الجامعات بحاجة لمعامل وقاعات خاصة باهضة التكاليف وأعضاء هيئة تدريس على مستوى عال من العلم وهي أمور ليس من السهل توافرها وعلى الرغم من ذلك فهناك مجموعة من الحلول العملية التي تم تطبيقها بالفعل في تجارب من الممكن أن تعمم في بلدان العالم الإسلامي.

١- في حال توافر الإمكانيات يتم إنشاء جامعات خاصة للبنات كجامعة الأزهر فرع البنات بفروعها المنتشرة في أرجاء القطر المصري وجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن في المملكة العربية السعودية.

٢- إنشاء كلية خاصة بالبنات في جامعة مختلطة عادية وتكون هذه الكلية معنية بالدراسة التي تهتم بها أكبر شريحة من الطالبات كالدراسات التربوية، وتعد كلية البنات التابعة

والآخر تعزز من اتهام البعض للإسلاميين بأنهم لا يسعون بجدية لاستعادة المرأة لمكانتها عكس الخطوط العامة لأدبياتهم وهو أمر شديد الخطورة لأنه يعكس حالة التآرجح في الموقف من قيمة المرأة كإنسان لأن العلم هو المعيار الأساسي لقيمة الإنسان (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة: ٣١.

قد يكون من الصحيح أن عدد العلماء من النساء قليل ولكن هذا ليس مبرراً من الحرمان بل لعله حافز لإزالة العقبات التي تعترضهن وفي حديث أبي الدرداء: (إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود.

فليس لذكر فضل على الأنثى كي يرث وحده العلم وتبقى الأنثى في منزلة بين الإنسان الذكر العالم وبين عالم البهائم التي لا تعرف من العلم إلا ما يبقها على قيد الحياة.

وليست المسؤوليات الملقاة على عاتقها من بيت وزوج وأولاد بمانع لها عن تحصيل العلم والارتقاء في ذراه كما أن العلاقة بين العلم والعمل وإن كانت علاقة قوية إلا أنها ليست حتمية كما أن هناك الكثير من النساء يرغبن في العمل في طور من أطوار حياتهن وهناك نساء لا تمنعهن الظروف الاجتماعية من احتراف العمل وهذه النقاط كلها جديرة بالانتباه.

في عيون الغربيين

من السذاجة تصور أن قضية الاختلاط في التعليم هي قضية مسلم بها في المجتمع الغربي فبعيدا عن القيم الدينية يعيش المجتمع الغربي حالة من التجريب سواء على المستوى العلمي أو المستوى الإنساني ومن ذلك تجربة الاختلاط الشائعة في التعليم، فبعد سنوات طويلة من التعليم المختلط بدأت أصوات تتعالى بتأثيره السلبي على مستوى الخريجين وحتى لا يتهكم أحدهم بقوله ليت خريجينا بنفس مستوى الخريجين الغربيين فنبادر بالقول إنهم في سياق التنافس مع الذات والوصول لمستوى الأفضل دائما فه يقارنون بين مستوى

خريجي التعليم المنفصل والتعليم المختلط. فهذا هو رئيس كلية بوكسهل الاسترالية للبنات فرع الكويت الدكتور رونلد ويبر يقول: (إن هنالك دول عديدة متطورة توجد فيها كليات خاصة للطالبات فقط، مثلاً في أميركا وفي استراليا وفي بعض الدول الأوروبية، ويلاحظ أن مستوى التعليم في مثل هذه الكليات يكون أعلى وأفضل من غيرها من الكليات المختلطة) وأضاف قائلاً: (إن المتخرجات من كليات البنات يتفوقن في دراستهن كما يتميزن في سوق العمل أيضاً)^(١).

ومنذ فترة صدر كتاب «الغرب يتراجع عن الاختلاط» لمؤلفه بفرلي شو ومنه نقتبس الفقرة الآتية: (إن الفطرة البشرية السليمة تؤكد على ضرورة فصل الرجال عن النساء، خاصة في المؤسسات التعليمية) وفي فقرة أخرى يقول: (إن العرف قد جرى في كثير من بلدان العالم بغض النظر عن معتقداتها على عملية الفصل، وكان هذا هو النظام المعمول به في بريطانيا حتى ستينات القرن الماضي)^(٢).

الغرب إذن يراجع مواقفه ويعيد تقييم تجاربه، ألا يعني هذا شيئاً ليس من قبيل مجرد التقليد ولكن وفقاً للمبدأ الذي يقول إن السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره ولننصت لكلمات الرئيس الأمريكي السابق كينيدي وهو يتحدث عن الأضرار المترتبة على عدم تطبيق نظام الفصل بين الجنسين في قوله: (إن الشباب الأمريكي مائع ومترف وغارق في الشهوات، ومن بين كل سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد منهم ستة غير صالحين، وذلك لأننا سعينا لإباحة الاختلاط بين الجنسين في الجامعة بصورة مستهترة مما أدى إلى إنهاكهم في الشهوات)^(٣).

(١) حوار مع رئيس كلية بوكسهل الاسترالية للبنات، فرع الكويت، د. رونلد ويبر، نقلا عن مقال: الغرب نظرة جديدة للاختلاط، لخباب الحمد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

**هذا الدور وامتداد الأذرع الإيرانية في كل
أزمات المنطقة دفع - كما هو متداول في
الساحة السياسية الدولية وترجحه الكثير من
المؤشرات - الطرف الأمريكي إلى تمثيل الكفة
لصالح محاولة عقد اتفاق ما مع إيران بدل حلفائها
العرب. وما يثير الاهتمام في كل هذا أنه عند
الوقوف عند الدور العسكري الإيراني المباشر فإنه
يقتصر على خبراء وبعض الكتائب من الحرس
الثوري في سوريا التي تجادل طهران بنفي وجودها،
وحتى إن كان الرقم أكبر من هذا فإنه لا يمكن
مقارنته بحجم المكاسب التي حققتها إيران.**

**من هنا يتبين عظم مكاسب القوة الناعمة
التي استطاع نظام الملالي جنيها مقارنة مع
تواضع مكاسب القوة الصلبة طيلة العقود
الماضية برغم الطاقات المادية والبشرية الكبيرة
جدا التي جرى توظيفها خلال الحرب مع العراق
دون أن تكلل بأي نجاح^(١). والأهم من هذا وذاك أن
أدوات القوة الناعمة الإيرانية لم تقابل بأي جهود
عربية حقيقية، وما دام خيار الحرب أو القوة
الصلبة مكلفا جدا في مواجهة هذا المشروع، وغير
وارد في الأصل، فإن السؤال الذي يطرح الآن بإلحاح
هو: كيف يمكن توظيف القوة الناعمة في مواجهة
المشروع الإيراني الشيعي؟**

القوة الناعمة: التعريف والأسس

يرتبط مصطلح القوة الناعمة بعالم السياسة
الأمريكي جوزيف ناي الذي سعى إلى وضع أسسه
بالنسبة للدولة في كتابه: (القوة الناعمة وسيلة
النجاح في السياسة الدولية)، حيث قام بدراسة

لهذه الأسباب خصصت إدارة الرئيس جورج بوش
عام ٢٠٠٢م ما يزيد عن ٣٠٠ مليون دولار لتشجيع
التعليم غير المختلط، وإنشاء مدارس خاصة للبنين
وأخرى للبنات، وتطبيقاً لتلك الإستراتيجية بلغ عدد
المدارس الحكومية غير المختلطة في عام ٢٠٠٥م
(٢٢٣) مدرسة بمعدل زيادة سنوية قدرها ٣٠٪،
وبلغ عدد الولايات الأمريكية التي تقدم تعليمًا غير
مختلط ٣٢ ولاية، فهل يعتبر دعاة التغريب من هذه
المراجعات بدلا من إصرارهم الأعمى من اتباع
تجارب الغرب.

الطاقات المهدورة: القوة الناعمة في مواجهة المشروع الإيراني - الشيعي

بوزيدي يحيى^(٢) - خاص بالرائد

**وضع الخميني إسقاطاً نظام صدام حسين
هدفا لحربه مع العراق التي استمرت ثمانين
سنوات اضطر فيها المرشد الأعلى لإيران إلى تجرع
كأس السم ووقف الحرب بعدما أضحى نظامه هو
المهدد بالانهيار نتيجة للكلفة الكبيرة في شتى
المجالات المترتبة عن طول فترة الحرب. وبعد أكثر
من عقد أصبح لإيران نفوذ كبير في العراق مهده
الغزو الأمريكي الذي حقق حلم الخميني، حيث
اعتلت السلطة هناك المعارضة الشيعية التي نشأ
الكثير منها في طهران، وقدومها على ظهر الدبابة
الأمريكية لم يجعلها تدير ظهرها لإيران. وأصبحت
بغداد ابتداء من هذا التاريخ ورقة في يد الإيرانيين
يساومون بها على مصالحهم الإقليمية، لدرجة
تجنيد مليشيات شيعية (لواء أبي الفضل العباس)
للمقاتلة مع حزب الله اللبناني إلى جانب نظام الأسد
في سوريا.**

(٢) كاتب جزائري.

(١) لتفاصيل أكثر حول القوة الناعمة الإيرانية: انظر ملف مركز

الجزيرة للدراسات حول الموضوع على الرابط:

iranandstrengthfactors/files/net.aljazeera.studies://http/htm/2013/04/2013416105529173230

القوة الناعمة، وهي انجذاب غير ملموس يقنع بمسيرة أغراض الآخرين دون حدوث أي تهديد صريح أو مبادلة^(٧).

وفي ظل استمرار الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية الحالية للثورة المعلوماتية، ستصبح القوة الناعمة ذات الأهمية في المزيج الذي يجمعها بالقوة العسكرية والاقتصادية^(٨). وهي ليست عنصرا ثابتا بقيمة ثابتة، بل هي شيء يختلف باختلاف المكان والزمان، كونها عبارة عن رسائل وصور ينتقل جزء منها عن طريق سياسات الحكومة في الداخل والخارج، وجزء آخر عن طريق الثقافة الشعبية والثقافة العالمية، ولكن الرسائل نفسها يتم إنزالها وتفسيرها على متلقين مختلفين في سياق ظروف مختلفة فتترك آثارا مختلفة^(٩).

والبلدان التي يحتمل أن تصبح أكثر جذبا وأن تكسب قوة ناعمة في عصر المعلومات هي التي تملك قنوات اتصال متعددة تساعد على تأطير القضايا، والتي تكون ثقافتها المسيطرة وأفكارها أقرب إلى المقاييس والأعراف العالمية السائدة (الليبرالية، والنزعة الجماعية والاستقلال الذاتي)^(١٠)، وتتسع مصداقيتها بفعل قيمها وسياساتها المحلية والدولية^(١١).

فالسياسات الحكومية لبلد ما تعزز قوته الناعمة أو تبدها. ذلك لأن السياسات المحلية والخارجية التي تبدو منافقة، أو متغطرسة أو غير مبالية بالآخرين، أو قائمة على معالجة ضيق الأفق

مصادر القوة الناعمة للعديد من الدول، كما قدم توصيات في مختلف المجالات لرفد القوة الناعمة الأمريكية، وجادل بأهميتها مقارنة بالقوة الصلبة. وفي ثانيا الكتاب يقدم العديد من التعريفات لها فنجدته يقول: هي تعني جعل الآخرين يريدون ما تريد^(١). وفي موضع آخر: تعني حشد تعاون الآخرين دون تهديدات أو دفع أموال^(٢). وهي تتجاوز الإقناع إلى القدرة على الجذب، وعند تعريفها من خلال السلوك فإنها هي القوة الجذابة^(٣).

وتنشأ الموارد المنتجة للقوة الناعمة من القيم التي تعبر عنها منظمة أو بلد ما في ثقافته، وفي الأمثلة التي تضربها ممارساته الداخلية والسياسية، وفي الطريقة التي يعالج بها علاقته مع الآخرين^(٤). وإجمالا تركز بالنسبة لأي دولة على ثلاثة موارد هي^(٥):

١- ثقافته: في الأماكن التي تكون فيها جذابة للآخرين.

٢- قيمه السياسية: عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج.

٣- سياسته الخارجية: عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية وأخلاقية.

ومصادر القوة الناعمة كثيرا ما تعمل بصورة غير مباشرة عن طريق تشكيل البيئة السياسية، وتستغرق في بعض الأحيان أعواما كي تعطي النتائج المرغوبة^(٦)، خاصة في المجال الفكري، فالقرارات في سوق الأفكار كثيرا ما تشكلها

(١) جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، (ترجمة محمد توفيق البجيرمي)، ط. ٢، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠١٢)، ص ١٦٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٨) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٩) المرجع نفسه، ص ٧٧.

(١٠) إذا ما فتحنا قوسا آخر هنا فإن مسألة تقديم الإسلام بصورة إيجابية مسألة في غاية الأهمية هي الأخرى يتحمل المسلمون مسؤولية توصيله، والقيم كمادة خام متوفرة في الشريعة الإسلامية والمشكلة فقط في كيفية (تسويقها) لتصبح جذابة.

(١١) المرجع نفسه، ص ٦١.

للمصلحة الوطنية قد تقوض القوة الناعمة^(١).

الجادبية السياسية:

يمكن اختصار القوة الناعمة في (الجادبية السياسية)، وهذا ما تفتقده الدول العربية مجتمعة أو منفردة، إذ تعاني كلها من أزمات سياسية كبيرة جدا يدلل عليها حجم الحروب والاضطرابات الأمنية التي تعيشها، وهذه الأوضاع لا يمكن الحديث في ظلها عن جاذبية سياسية، لذلك فإن الاستقرار السياسي ومحاولة صياغة عقد اجتماعي جديد في كل الدول العربية ضرورة ملحة الآن للبدء في مشروع حضاري ينافس على المستوى العالمي.

وهذا الواقع المزري لا يعني الوقوف مكتوفي الأيدي والانتظار حتى ينجلي غبار الحروب في الدول العربية، وإنما لا بد من البحث في المجال السني بما قد يساهم على الأقل في إعاقعة المشروع الإيراني الشيعي كمرحلة أولى ريثما يتم التقدم في المجال العربي. وفي هذه الحالة فإن النموذجين التركي والماليزي يعدان من التجارب المهمة التي استطاعت مزاحمة المشروع الإيراني في جاذبيته، حيث أضحت الكثير من الحركات الإسلامية تجد في الحالتين النموذج الأحسن لمحاكاته، والمحاولات في هذا المجال أكثر وضوحا واهتماما مقارنة بالحالة الإيرانية التي ترتبت عنها ردود أفعال قوية.

غير أننا نقف عند تضارب كبير جدا في المواقف من النموذجين داخل الحركات الإسلامية بشكل خاص والتيارات السياسية الأخرى بشكل عام، ومع سلبيات ذلك إلا أنه من جانب آخر يمكن النظر إليه من زاوية إيجابية حيث سيثمر هذا الجدل قراءات نقدية معمقة للتجربتين تستطيع في الأخير المزاجية بينهما إضافة إلى التجارب العالمية

الأخرى لإبداع نموذج أو نماذج تتوافق مع خصوصيات كل دولة أو مجتمع عربي، وقد كشفت الانتفاضات العربية عن رفض قطعي ومباشر للنموذج الإيراني الذي كان يستجدي من الحركات الإسلامية تقليده، وبغض النظر عن الأوضاع الحالية فإن تلك المواقف مؤشر على رؤية في الاتجاه الصحيح.

كما يمكن العمل على إحداث قطيعة مع عناصر الجاذبية في النموذج الإيراني على المستوى العام، وعلى مستوى التجمعات الشيعية في المنطقة، وهنا يمكن استغلال السياسات الإيرانية الطائفية وتناقضاتها بين ما تصرح به وما تقوم به على أرض الواقع من خدمة لأعداء الأمة، ويجب أن يستهدف في مرحلة تالية المجتمع الإيراني، والجهود المبذولة في نشر العقائد الإسلامية الصحيحة على محدوديتها تبين أن لها تأثيرا يمكن أن يكون أكبر بكثير إذا ما وضع ضمن استراتيجية شاملة.

فإذا كانت العقائد الشيعية على علاتها استطاعت أن تجد لها موطن قدم في البيئة السنية، وتجذب في مرحلة من المراحل بعض النخب المثقفة وتجعلها في خدمة مشروعها، فإن عملية معاكسة يمكن أن تحقق أهدافا كبيرة جدا في ظرف قياسي، وهذا يتوقف على مدى الاجتهاد في رسم استراتيجيات تستثمر في التناقضات الشيعية/الشيعية، فضلا عن النشاط الدعوي الذي يبقى قاصرا عن تحقيق أهدافه إذا لم يكن بموازاته عمل يسد الثغرات في المجالات الأخرى، وأهمها هو فهم الطرف المستهدف بالخطاب والولوج إليه من خلال تلك المداخل، بل وفي ظل عصر المعلومات والمجالات المفتوحة فإنه يجب استحضار ذلك حتى في الخطاب الموجه للمتلقي الذي يحمل نفس القيم.

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦.

والعقائد السنية في انسجامها وترابطها تسهل هذه العملية، وتبقى فقط بعض الإشكالات التاريخية التي حدثت في العصر الإسلامي المبكر تحتاج لجهود أكثر في طريقة عرضها بحيث يؤخذ في عين الاعتبار الخطاب الآخر وما يروجه حول الموضوع، وحبذا لو يستحضر الواقع السياسي الحالي والمواقف الظالمة الطاغية من طرف أصحاب المشروع الشيعي التي تتعارض جملة وتفصيلا مع المظلومية التي تشكل مرتكزهم الأساسي.

وبما أن القوة الناعمة الآخذة في اكتساب أهمية أكثر في عصر المعلومات هي في جزء منها ناتج عرضي اجتماعي واقتصادي أكثر منها نتيجة للعمل الحكومي الرسمي وحده^(١).

وفي ظل العطب الذي تعاني منه جل الحكومات العربية، فمن هذه الزاوية فإن أي فرد في المجتمع بسلوكه وتمسكه بقيمه يمارس تأثيرا على الآخر، وأيضا على مستوى التنظيمات المجتمعية تستطيع الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والعلمية والمؤسسات الدعوية النشطة المساهمة بطريقة أو أخرى في رفض القوة الناعمة العربية/السنية، إذ لا شك أنه على المدى المتوسط ومن خلال المراكمة ستظهر الكثير من النتائج الإيجابية. غير أن هذه الجهود المبعثرة تحتاج إلى شكل من التنظيم والتعاون لاختصار الوقت والاستغلال الأمثل لكل الطاقات حيث توضع كلها في استراتيجية بعيدة المدى، وذلك بوضع أرضية عمل استراتيجية للقوة الناعمة تتمثل في خلق شكل من التعاون المؤسسي الذي يحقق الانسجام والتكامل بين كل الجهود المتواجدة على الساحة، باستحداث هياكل جديدة تقوم بهذه المهمة على المستوى الداخلي أو الخارجي.

السياسة الخارجية:

عند الوقوف على طبيعة النظام السياسي

الإيراني فإن أول ما يلفت الانتباه فيه هو منصب المرشد الأعلى للثورة، والذي يعتبر الرجل الأول في البلاد والأقوى فيها، ويستمد قوته من البعد الديني للمنصب باعتباره الولي الفقيه نائب الإمام، وخامنئي البالغ من العمر ٧٧ سنة يحتل هذا المنصب منذ قرابة ٢٥ سنة خلفا للخميني. كما أن أقوى المؤسسات بعده هي الحرس الثوري، وهو تشكيل عسكري يمارس القمع ضد المعارضة السياسية. هاتان الجزئيتان تنفيان (الجاذبية) عن النموذج الإيراني، كون ما يعاب على الأنظمة في المجال العربي يوجد ما هو أسوأ منه في الحالة الإيرانية، وعلى هذا الأساس فإن جوهر الانجذاب العربي خاصة مع بدايات الثورة في إيران يعود إلى سياستها الخارجية المعلنة، والمتمثلة في دعم القضية الفلسطينية، والذي بدأ يتآكل مع الموقف الإيراني من الثورة السورية وانكشافها على حقيقتها.

ولكن هذا الواقع لا يغير من حقيقة أخرى تتمثل في الموقف الرسمي العربي المتخاذل تجاه القضية الفلسطينية، والتي ستبقى لمركزيتها الدينية في الأمة أحد ثوابت القوة الناعمة التي لا يمكن الاستغناء عنها، وبحث الأنظمة العربية عن الشرعية الخارجية من خلال محاولة استرضاء الولايات المتحدة والغرب عموما لا يمكنه جلب المشروعية الداخلية، وكلما اقتربت هذه الأنظمة من الغرب عبر البوابة الفلسطينية فإنها تزيد بعدها عن شعوبها وتؤجل نهايتها لا أكثر.

فإذا كان الموقف الأمريكي من فلسطين والانحياز إلى الكيان الصهيوني أهم أسباب كره العرب للولايات المتحدة الأمريكية فإن كرههم للأنظمة العربية التي يفترض أنها تمثلهم ومعنية بالقضية مثلهم يكون بأضعاف مضاعفة. لذلك يتوجب على الدول العربية خاصة ذات الوزن الإقليمي إعادة النظر في سياستها الخارجية من القضية الفلسطينية أولا، ومن التحولات الجارية في المنطقة ثانيا، لأن محاولة تغيير مسار التطورات الكبيرة الجارية مع تصورات لمصالح ضيقة لبعض

(١) المرجع نفسه، ص ٦١.

الأنظمة هي حسابات خاسرة على المدى المتوسط والبعيد، ولا بد من التكيف مع هذه التحولات بما يخدم الشعوب.

فالسياسات الخارجية المنتهجة حالياً ليست تبديداً للقوة الناعمة فحسب وإنما تهديد للأنظمة التي تعيش استقراراً ولها فرص كبيرة جداً لتغيير هادئ وسلس يجنب الشعوب ويلات التغييرات العنيفة وما يترتب عنها من تدمير للمقدرات المادية والبشرية للأوطان. ففي الموقف من فلسطين والانتفاضات الشعبية وتدخل بعض الدول في الشؤون الداخلية لدول أخرى بشكل مباشر تجتمع كل عناصر تآكل القوة الناعمة إذ تتنفي المصادقية والقيم الأخلاقية في هذه السياسات.

الخلاصة:

رأت إيران في الانتفاضات العربية هبة أخرى إلى جانب هبة سقوط نظامي طالبان وصادم حسين، وحاولت الاستثمار فيهما كعادتها، إلا أنها اصطدمت بانتقال الحركات الاحتجاجية إلى حليفها السوري، الأمر الذي أربكها كثيراً وجعلها تضطر مكرهة إلى الانحياز بشكل علني إلى جانب نظام الأسد والكشف عن طائفيتها، وحتى دفع حزب الله الذي كان أداتها لكسب قلوب الشعوب العربية إلى خوض المعركة من أجل بقاء نظام الأسد بالرغم من ضربه في صميم قوتها الناعمة عربياً. ولكن مع كل هذا لم تستسلم طهران لمجريات الأحداث، وإنما عملت على تحويل الانتفاضة الشعبية هناك إلى مجرد حرب بين النظام والجماعات الإرهابية ووضعها في إطار صراعها (المزعوم) مع الشيطانين الأكبر والأصغر، ونجحت في تحقيق أهدافها مستغلة تضارب المصالح الإقليمية والدولية في سوريا.

على الجانب الآخر لا نجد في المقابل رؤية استراتيجية مماثلة واضحة عربياً سواء بشكل فردي أو جماعي، بل وأكثر من ذلك فإن سياسات بعض الأنظمة كانت تصب في صالح إيران، دون أن تحقق أي مكاسب، حيث ساهمت التناقضات العربية في تشتيت جهود المعارضة السورية على سبيل المثال لا الحصر فأحدثت شروخاً استغللتها إيران والنظام السوري أيما استغلال لدرجة أصبح فيها إسقاط نظام الأسد غير وارد بشكل نهائي في الخطاب الرسمي العربي، على عكس تركيا التي تعتبر معنية أكثر بالتهديدات الإرهابية هناك إلا أنها وضعت شروطاً للمشاركة في الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية، وكان رئيسها رجب طيب أردوغان يدافع عن وجهة نظره بلاده مبرزاً التناقضات في الخطاب الغربي وازدواجية المعايير لديه في المفاضلة بين إرهاب وآخر وضحايا وآخرين مما عزز القوة الناعمة لبلاده.

تأسيساً على كل هذا إذا لم تُعد الدول العربية على المستوى الحكومي وغير الحكومي النظر في ما يجري داخلها ومن حولها، فإن الحديث عن مواجهة المشروع الإيراني والشيعي بالتركيز على بعد واحد يتمثل في (الخطاب الدعوي الوعظي) يستحيل أن يحقق قيد أنملة من هذا الهدف، ولعل التمدد الحوثي في اليمن واندثار السلفيين من دماج مثال بسيط جداً على الفوارق الكبيرة بين المشروعين، والأخطر من هذا أن تنعكس الاختلالات في المجالات الأخرى خاصة السياسية منها على الخطاب الديني لأنها تنفي عنه البعد القيمي المتمحور حول المصادقية وتصوره على أنه مجرد أداة لأغراض مشبوهة أو خبيثة.

مقدمة

لا شك أن قارة إفريقيا وطيدة الصلة بالدين الإسلامي، ذلك أنها القارة الأولى التي تمت إليها الهجرة في عهد الرسول ﷺ، وقد استقبل ملك الحبشة آنذاك المهاجرين من الصحابة خير استقبال ووفر لهم الحماية اللازمة^(١).

ولقد كان للعلاقات الودية بين الرسول ﷺ وبين النجاشي ملك الحبشة والمعاملة الطيبة التي لقيها المسلمون المهاجرون إلى الحبشة أكبر الأثر في توثيق العلاقات بين الأفارقة وبين الإسلام. ثم توغل الإسلام في أعماق إفريقيا عن طريق الفتوحات التي كانت في عهد الدولة الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بقيادة وزيره ومساعدته الصحابي عمرو بن العاص وكذلك المجاهد الكبير عقبة بن نافع وعدد غير قليل من الصحابة والمجاهدين. وقد حصل بين الأفارقة وبين الصحابة الفاتحين من التزاوج والتناسل ما مكن للإسلام ووطد أركانه في البلاد المفتوحة.

ومن ضمن ذلك ما ذكرته الروايات التاريخية من زواج عقبة بن نافع من ابنة أحد ملوك الأفارقة وهو «برمندانا» ملك غانا، وتسمى زوجته الإفريقية هذه مريم، وتلقب بـ (بجو منقو) بمعنى البنت الفريدة التي لم يلد أبواها سواها. وقد أنجبت له ستة أولاد، منهم عثمان تورو، ومن ذريته خرج ذلك

(*) رئيس قسم البحوث بمركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا.

(١) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، طبعة رابطة العالم الإسلامي.

العالم المجاهد الذي نشر السنة وحارب مظاهر الشرك والوثنية في غرب إفريقيا، وهو الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله تعالى عليه^(٢).

المقصود من هذا البحث إلقاء الضوء على بعض الآثار السياسية الدينية لجهود الصحابة متمثلة في دولة أحد أحفاد الصحابي الفاتح عقبة بن نافع؛ الدولة التي ظلت تحكم بالشريعة الإسلامية قرابة مائة عام، وظلت صامدة أمام هجمات الأعداء طوال قرن كامل قبل أن تقع فريسة للاحتلال الصليبي الإنجليزي عام ١٩٠٣م.

انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء

كان هناك ثلاثة مسالك رئيسية للإسلام إلى إفريقيا السوداء:

١- عن طريق شمال إفريقيا عبر الصحراء إلى غانا القديمة.

٢- عن طريق النيل من مصر إلى السودان وما جاورها.

٣- عن طريق باب المنذب إلى الصومال والحبشة ومناطق الشرق الأقصى من إفريقيا.

ورغم أهمية المصبيين الأخيرين - عبر السودان والصومال - فإن مصب شمال إفريقيا عبر الصحراء نحو غرب إفريقيا ظل أكثر تأثيراً وأعظم مردوداً، ولعل السبب في ذلك هو التقاء شمال إفريقيا - التي تعربت في النهاية - بإفريقيا السوداء^(٣).

وقد لقي القادة المسلمون عناء وشدة في تحويل شمال إفريقيا إلى منطقة إسلامية حيث دفع ثلثة من خيرة رجالهم أرواحهم ثمناً لفتح هذه المنطقة. وما إن أتم الله للمسلمين فتح مصر حتى زحفوا متوغلين تلقاء أعماق الشمال، فدكت حوافر خيلهم برقة

(٢) محمد سمبو كلوي «kulwa» المتوفى عام ١٨٢٠ هـ «كنز الأولاد في تاريخ الذراري والأجداد»، مخطوط في مكتبي الخاصة والفلاتي، الأستاذ الطيب عبدالرحيم محمد: «الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان» الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، دار الكتاب الكويتي، ص ١٧.

(٣) صالح، عمر محمد: الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ١٩.

وطرابلس، واستمروا في تقديمهم داخل الشمال يفتحون البلاد وينشرون فيها الإسلام.

قيادة عقبة بن نافع لفتح شمال إفريقيا

أول من تولى قيادة خيول المسلمين نحو الشمال للجهاد هو القائد المعروف المشهور عقبة بن نافع الفهري بأمر من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وذلك حوالي عام ٥٠ هـ، فكان تحت قيادته ما يقدر بعشرة آلاف فارس من جند الإسلام، وقد أسلم على يديه كثير من البربر بعد مواجهات عنيفة^(١).

وعقبة بن نافع هو الذي بنى مدينة القيروان واتخذها قاعدة حربية تتطلق منها القوات الإسلامية، ويقال إنه قد توغل صوب الجنوب حتى وصل بلاد السودان الغربي وفتح بلاد التكرور وغانا القديمة^(٢).

زواج عقبة من ابنة ملك غانا

يذكر الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي في كتابه «الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان»، أن عقبة صاهر «برمندانا» ملك غانا الذي أسلم على يده، وانتشرت ذريتهم في أرجاء أفريقيا^(٣).

ويذكر الشيخ عبد الله بن فودي إجماع الفولان في غرب الأطلسي بأن جدهم هو عقبة بن نافع الفهري القرشي وأن أخواهم التروبي يرتفع نسبهم إلى «روم بن عيص»، يعني إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وينسبون الفولان الفوطيين إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. ويلاحظ أن الأسماء التي تطلق على الفولان كلها

(١) الربع، صالح بن علي: عقبة بن نافع الفهري: حياته وجهاده، بدون بيانات مطبعية، ص ٣٧.

(٢) حسن، إبراهيم حسن، الدكتور، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ١ / ٥٢١.

(٣) الفلاتي، الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد: «الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية في السودان»، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، دار الكتاب الكويتي، ص ١٧.

أسماء لبطون وأفخاذ قبائل عربية^(٤).

الشيخ عثمان بن فودي ودعوته الإصلاحية

اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام العلامة عثمان بن محمد فودي (المعْلَم باللغة الفلاتية) ابن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبّو بن محمد ثبو بن أيوب بن بابا بن موسى جُكُّو، الذي هاجر بجماعته من فوتاتورو إحدى عواصم الفلانيين الثلاث حينما وقعت ثورة عظيمة بتلك البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي، قاصدين الحجاز، فوصل بعضهم إلى دارفور وباغرمما واستوطنوها، وتأخر الباقيون في بلاد الهوسا واختلطوا بهم حتى ظهر بينهم الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله تعالى عليه.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ عثمان في يوم الأحد ٢٩ من صفر عام ١١٧٩ هـ الموافق ١٥ ديسمبر (كانون أول) عام ١٧٥٤م

في بلدة (طفل) على أطراف إقليم جوير في ولاية صكتو شمال نيجيريا الحالية. ونشأ في أسرة علمية، وفتح عينيه على العلم منذ نعومة أظفاره. تعلم على يد والده ووالدته وجدته، ثم أخذ العلم عن فقهاء بلاده، ودرس على علماء زمانه، وتأثر جدا بشيخه جبريل بن عمر الذي كان شديد التمسك بالتوحيد والسنة وحربا على الشراكيات والبدع. وكان الشيخ جبريل قد لقي عناء من قبل الطوارق فطرده إلى أرض غوبر ثم حج مرتين ولقي عددا من أهل العلم والصالح هناك وتأثر بالفكر الجهادي السائد هناك في ذلك الوقت، وقد لازمه الشيخ عثمان مدة في بلاد (آهير)، واستفاد من منهجه في الدعوة والتغيير، ومن محاسن الشيخ جبريل أنه أول من بايع تلميذه حينما تأهب لجهاد سلاطين بلاد

(٤) بن فودي، عبد الله: تزيين الورقات، ص ٢٠.

شخصيته وأخلاقه

عرف الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه بالتقوى والصلاح مع غزارة العلم ورحابة الصدر وسعة الأفق والتأني الحكيم والعزم الحاسم، وكان خطيبا بليغا، فاضلا، حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحة. وكان - رحمة الله عليه - غاية في التواضع، وقافا عند حدود الله.

عصره وبيئته

كانت حياة الشيخ عثمان رحمه الله في إمارة (غوبر) التي تعتبر أقوى إمارات الهوسا يومها، وشاهد ما يسود مجتمعه من فساد ديني وخلقي وسياسي. ورغم أن بلاد الهوسا قد دخلها الإسلام في وقت مبكر وعمل بعض سلاطينها على تحكيم الإسلام في شؤون حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلا أنه مع مرور الزمن بدأ تيار وثني يصاحب حركة التحول الواسعة التي شهدتها البلاد إلى الإسلام عبر مراحلها المختلفة^(٢).

وقد وردت إشارات مختلفة في مصادر متفرقة تدل على تقديسهم بعض الأشجار والأحجار وممارستهم السحر بنوعيه الأبيض والأسود وانتشار ذلك بين الناس. يقول أمير المؤمنين محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور: «لقد حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها، ويدبحون بها، ويرشون بالدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها، ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية. ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم لا يحضرها غيرهم، ويسمون ذلك عادة البلد، ويزعمون أن ذلك صدقات ليستعينوا بها على جلب المصالح ودرء المفاسد. فإذا

لم تُفعل تلك العادة بطلت معاشهم وقلت أرزاقهم وضعفت شوكتهم، وتوارثوا هذه العوائد كآبرا عن كآبر^(٣).

والذي يطالع كتاب الشيخ عثمان بن فودي المسمى «نور الألباب» يرى ما بلغ بهذه البلاد من الممارسات الشركية التي كادت تمحو آثار الإسلام بالكلية. ولذلك حكم على مجموعة من الأفعال بأن مرتكبيها كفار وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون^(٤).

أسلوبه في الدعوة والإصلاح

لقد اتبع الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية في هذه البلاد منهجا علميا دقيقا؛ وذلك بالتركيز على ثلاث قضايا رئيسة:

الأولى: العناية التامة بتعليم العامة أصول الدين ومسائل التوحيد، وإبعادهم عما يناقض هذه الأصول أو يناهز كمالها؛ فحذر من عادات جاهلية وممارسات وثنية كالسحر ونحوه.

الثانية: التحذير من البدع الشيطانية والعادات المخالفة للشرع الإسلامي الحنيف.

الثالثة: محاربة فساد سلاطين بلاد الهوسا، ورفع الظلم والحيث عن الشعوب المغلوبة.

ولقد سعى الشيخ عثمان رحمه الله في سبيل تحقيق هذه القضايا إلى استقطاب مجموعة من الأتباع المخلصين كان معظمهم من غير قبيلته - كما يذكر أخوه عبد الله بن فودي - لنشر أفكاره وآرائه وتعاليمه الإصلاحية ودحض دعاوى المناوئين من علماء السوء.

وكان للشيخ مجلسان للعلم: أحدهما للتدريس وتكوين الكوادر العلمية والدعوية، ويخرج إليه بعد صلاة العصر والعشاء، يدرس التفسير والحديث والفقه والسلوك وسائر فنون العلم.

(١) المصدر السابق، ص ٩٤، وللمؤلف نفسه أيضا: موجز تاريخ نيجيريا، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) عمر، الدكتور محمد الثاني: الشيخ عثمان بن فودي واستعادة الهوية، مجلة البيان عدد ٢٦/١٠/٢٠١٠م.

(٣) محمد بلو: إنفاق الميسور، ص ٣٤.

(٤) إبراهيم، الدكتور محمد المنصور: تحفة الأجيال بأدلة كتاب نور الألباب، مطبعة الإحسان، جوس، نيجيريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٩.

والمجلس الآخر: للوعظ والتذكير لشحذ همم عامة الناس إلى الالتزام بالإسلام وتطبيق تعاليمه، يخرج له كل ليلة جمعة، ويحضره خلق كثير، رجالاً ونساء.

كما كان يخرج إلى الأفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياماً، ثم يرجع إلى بلده، حتى صار له صيت وشهرة، وصار يقصده الداني والقاصي، وتكون من المستمعين إليه والحاضرين لمجالسه فئة منتظمة سماها (الجماعة)، وهم الذين صاروا له أنصاراً في دعوته الإصلاحية^(١).

وعني بتأليف الرسائل والكتب العلمية والدعوية التي يتبين للقارئ من خلالها منهجه في دعوته وطريقته في تجديده لمعالم الدين. فمنها على سبيل المثال:

- ١- إحياء السنة وإخماد البدعة
- ٢- إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى سواء الصراط
- ٣- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في هذا الزمان
- ٤- حصن الأفهام من جيوش الأوهام
- ٥- تمييز المسلمين من الكافرين
- ٦- تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان
- ٧- تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر والعصيان
- ٨- نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان^(٢).

مراحل دعوته

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ وجماعته اتبعوا في بداية دعوتهم أسلوب الابتعاد عن الاحتكاك بالسلطات السياسية، وعدم الاختلاط بها لكيلا تفرض عليهم هيمنتها و سطوتها السياسية ومنهجها الذي يخالف الشريعة الإسلامية، وحتى لا تدخل

أيضاً حالة من المواجهة مع هذه السلطات يكون ضحيتها الشيخ وجماعته. وتعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي مرت بها دعوة الشيخ عثمان بن فودي، وهي تحديداً ما بين عامي ١٧٧٤م و ١٨٠٣م.

ومن السمات المميزة لهذه الفترة تركيز الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله على دعوة الناس بكافة طبقاتهم إلى الله وتعليمهم المبادئ الأساسية للإسلام، ومحو الأمية الدينية ورفع مستوى الوعي الاجتماعي.

ويأتي في سياق هذه المرحلة مطالبة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله لحاكم غوبر (باوا جن غورزو) في

أول لقاء معه بعد صلاة عيد الأضحى في الفترة ١٨٨٩م بما يأتي:

- ١- أن يحترم الحاكم أصحاب العمائم (العلماء).
- ٢- ألا يقف في طريق أي شخص أو جماعة تريد الاستجابة لدعوته.
- ٣- أن يطلق سراح المسجونين.
- ٤- أن يمتنع الحاكم عن فرض الضرائب الباهضة على رعاياه.

ويرمي الشيخ من وراء هذه المطالب إلى أهداف سياسية بعيدة المدى، وليس في استطاعته أن يقوم بأكثر من الدعوة إلى الله، ثم إن مستوى التفكير والاعتقادات الدينية المخلوطة بالعادات الوثنية الجاهلية لا تسمح له أن يقوم بالخطاب السياسي في تلك الآونة؛ لأن عامة الناس تحتاج في تلك الفترة إلى تربية إسلامية صحيحة تبين لهم طبيعة وأركان الدين الإسلامية. ثم إن الدخول في معركة خاسرة مع دولة (غوبر) القوية وبقية ولايات الهوسا - في ذلك الوقت - تعني انتحار حركة الشيخ عثمان بن فودي قبل نضوج بذرتها، ويعني إخفاقها في الوصول إلى الأهداف السياسية التي رسمتها من قبل.

والمرحلة الثانية التي رافقت دعوة الشيخ عثمان

(١) عمر، الدكتور محمد الثاني: المصدر السابق.

(٢) إبراهيم، محمد المنصور: المصدر السابق، ص ٩.

رحمه الله والتي تبدأ من ١٨٠٤م إلى ١٨١٠م وبدأت بدخول الشيخ معركة مع سلاطين الهوسا بعد أن قويت شوكته، واستجاب لدعوته الشعب المقهور.

وكان الشيخ عثمان رحمه الله لا يتصل بالملوك في أول أمره، ولا يزورهم، لكن لما سمع أمير غوبر بأمره وبكثرة جماعته أرسل إليه يستحضره في جملة من العلماء، فحضره في جملة من حضره، ووعظه وطالبه بإقامة العدل بين رعيته وتطبيق أحكام الشريعة؛ فاستجاب له الأمير، وأدناه وقلده منصب الإفتاء، وبدأ بعض العلماء يضمرون له العداء والكراهية لما ناله من حظوة ومكانة عند الأمير، لكن مع ذلك استمر الشيخ يترقى عنده وتزداد جماعته، ويزداد تقديرهم له وطاعتهم إياه حتى بدأ الأمير يتوجس منه خيفة؛ فبدأ يغري الشيخ بالمال، ويستهو به بالعطاء، لكن الشيخ أبى أن ينساق وراء ذلك، فحاول اغتيال الشيخ في يوم عيد بعد أن استدعاه وبعض جماعته إلى قصره، لكن الله كفاهم شره فنجوا منه سالمين، إلا أن الملك استمر في استفزاز الشيخ للدخول معه في معركة مسلحة، وهاجم جماعة عبد الله الفلاني أحد أتباع الشيخ، ونكّل بهم، وقتل منهم الكثير، ونهب أموالهم، وهدد الشيخ بأن يفعل به مثل ذلك غير أن منيته عاجلته فمات (عام ١٧٨٩م) وخلفه ابنه يعقوب، وبعد وفاته (١٧٩٤م) ورث عرش الإمارة ابنه (نُفَاتا)، ولم يُخف هذا الأخير عداوته للشيخ إلى حد التفكير في قتله، لكن الله دحض خطته، ومات في بضع سنين، وبالتحديد عام (١٨٠١م). وخلفه ابنه (يُونُفا)، وهو أشدّ عداء لمنهج الشيخ الدعوي وأكثر كراهية للإصلاح، فأعلن عداؤه السافر للشيخ، وطالبه بالجلاء هو وجماعته، فخرج الشيخ مع جماعته من قرية (طُفل) عام ١٢١٨هـ إلى قرية (قُدُو) ومعه خمسمائة، ثم تتابعت الهجرة إلى الشيخ حتى بلغوا خمسة آلاف شخص.

أرسل الأمير (يُونُفا) إلى الشيخ يعلن عليه الحرب، فبايعت الجماعة الشيخ، وأصبح قائدا وأميرا بعد أن كان إماما موجّها. ومن هنا بدأ يدخل حروبا مع هذا الأمير إلى أن كتب الله له

النصر، وأقام دولة إسلامية عاصمة خلافتها (صكتو)، وأذعنت له باقي إمارات الهوسا، بعضها عنوة وبعضها سلما، وبقي يحكم بلاد الهوسا حتى وافاه أجله رحمه الله^(١).

وفاته وآثاره:

توفي الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله عام ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٨م بعد أن أعاد للإسلام مجده، وأدخل الدعوة السلفية المباركة إلى القلب الإفريقي، وأبقى للإسلام دولة قوية ظاهرة صامدة أمام هجمات الأعداء، حتى بعد وقوعها فريسة للاحتلال الصليبي بقيت القلوب حية مجاهدة، تقاوم الأعداء، وتحافظ على دينها وعزتها.

يقول الأستاذ أحمد محمد قاني رحمه الله عن حركة الشيخ عثمان المباركة: لقد تركت هذه الحركة بصمتها الفكرية والسياسية على مجتمعات غرب إفريقيا، وما زالت آثار هذه البصمات باقية وعالقة حتى الآن، ولا زالت معالمها تقف شامخة وشاهدة على عظمة هذه الدولة التي استمرت مائة عام منذ ١٨٠٤م وحتى دخول الاستعمار الأوروبي لتلك البلاد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ونتج عن ذلك تقسيم الخلافة الصكتية إلى مناطق نفوذ للدول الاستعمارية، وكانت الخلافة الصكتية في فترة قصيرة قد نجحت في السيطرة على مساحة جغرافية كبيرة؛ حوالي ١٥٠ ألف ميل مربع، واستطاعت أن تقيم دولة كبيرة شاسعة الأطراف من تشاد إلى مالي شرقا وغربا وإلى ولاية أويو جنوبا^(٢).

تراثه العلمي:

أما عن تراث الشيخ عثمان بن فودي وأنصاره فهناك كمّ زاخر من المؤلفات سعدت به المكتبة الإسلامية من يراع هؤلاء المجاهدين. فالشيخ مما يؤثر من المؤلفات ما لا يقل عن مائة وخمسين كتابا

(١) الأتوري، المصدر السابق، ص ١٠٥ - ١٠٨.

(٢) قاني، أحمد محمد: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا. وراجع أيضا: شريف، عبدالعزيز: الإمام عثمان بن فودي: أعظم أمراء إفريقيا، موقع صيد الفوائد www.saaaid.net

ورسالة أكثرها في مجال الدعوة إلى الإصلاح والعودة إلى التوحيد الصافي عن طريق منابع الإسلام الأصلية من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكثير آخر منها في مجال التعليم والتثقيف وتزكية النفوس. ولكل من وزريه ما يصل إلى هذا العدد أيضا من المؤلفات في شتى الفنون والعلوم. كما لابنته أسماء وغيرها من تلاميذه ما ينشر له الصدر من المشاركات العلمية.

فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، ورفع درجاتهم في المهديين، وجمعهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين.

الخاتمة:

الصحابه رضي الله عنهم اعتنوا بقارة إفريقيا وإدخالها في حظيرة الإسلام عناية فائقة، خاصة في عهد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، فزحفوا متوغلين في أعماق الشمال فدكت حوافر خيلهم برقة وطرابلس واستمروا في تقدمهم يفتحون البلاد وينشرون الإسلام، ثم توغلوا كذلك صوب الجنوب حتى وصلوا بلاد السودان الغربي وفتحوا بلاد التكرور ومملكة غانا القديمة. وقد استقر بعض الصحابة رضي الله عنهم في إفريقيا وانصهروا في البلاد المفتوحة وفي المجتمعات الإفريقية التي قبلت الإسلام، وهذا يتسق مع مبادئ الإسلام وأصوله التي منها المساواة بين البشر كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب. ألا لا فضل لعربي على عجمي..»

ولم يكن المسلمون الفاتحون مدمرين للبلاد مستعبدين الناس لأنفسهم كحال المستعمرين، ودليل ذلك أن قائد الفتح الإسلامي عقبة بن نافع رضي الله عنه بنى في إفريقيا مدينة القيروان التي

جعلها قاعدة حربية تنطلق منها الأعمال العسكرية للفاحين المسلمين.

كان ظهور عثمان بن فودي - رحمة الله عليه - في مجتمع مسلم يسوده فساد ديني وأخلاقي وسياسي، فاهتم بتعليم الناس ومحاربة البدع والفساد السياسي، وتمكن من تربية طلابه تربية صالحة ومنتجة، جعلت منهم أناسا ينشطون لنشر الإسلام الصحيح.

ولما طلب ملك غوبر من ابن فودي مغادرة أرضه هاجر معه ما يزيد على ٥٠٠٠ شخص، ثم كروا معه مجاهدين حتى فتح الله على أيديهم بلاد الهوسا كلها، فسقطت تحت أيديهم كل ممالك الهوسا وإماراتها، رغم أنه لم يشن حربا على المجتمع المسلم ولا على الحكام المسلمين وإن كانوا ظالمين، وإنما عني بالوعظ والنصح والتعليم.

عمت دعوة الشيخ عثمان الإصلاحية جل بلاد التكرور، فانتشرت إلى تشاد شرقا، وإلى مالي غربا، وجنوبا إلى ولاية أويو في آخر شمال نيجيريا الآن. وهي مساحة تزيد على ٢٥٠ ألف كيلو متر مربع. بل تأسست في مالي دولة ماسينة على يد تلاميذ الشيخ عثمان، ووضعت أولى لبناتها في عاصمتها «حمد الله» سنة وفاته وهي عام ١٢٣٣ هـ رحمه الله. وظلت دولة عثمان بن فودي قائمة على تطبيق الشريعة الإسلامية، وكانت لغتها الرسمية هي اللغة العربية؛ وساد الأمن في أرجاء البلاد، حتى إن كلابارتون لما ورد هذه الدولة كتب في تقريره أن المرأة في هذه الدولة تعبر من أول البلاد إلى آخرها وهي تحمل طبقا من ذهب ولا يعترضها أحد.

بعد عدة محاولات فاشلة نجح الاستعمار الإنجليزي في غزو مدينة سكتو عام ١٩٠٣م التي تأسست قبل ١٠٠ سنة، ومع ذلك فقد ظلت القلوب حية مجاهدة، تقاوم الأعداء، وتحافظ على دينها وعزتها. ولا زالت معالم التربية الإسلامية بارزة في أرضها.

سنة العراق في تقارير المنظمات الحقوقية الدولية لعام ٢٠١٤

خاص بالرصد

شهد العراق خلال عام ٢٠١٤ تطورات متسارعة بدأت بفض الاعتصامات السنوية بالقوة، واعتقال النائب أحمد العلواني في مدينة الرمادي، وبدأت الاشتباكات المسلحة بين العشائر والقوات الشيعية (الرسمية والمليشياوية) ثم دخول تنظيم داعش على خط المواجهة لتصبح محافظة الأنبار مسرحاً مفتوحاً لمواجهة دامية، ويتركز القصف شبه اليومي على مدينة الفلوجة.

وبعد سيطرة داعش على مدينة الموصل في ١٠ حزيران ٢٠١٤، ودعوة رئيس الحكومة آنذاك نوري المالكي لتشكيل جيش رديف من المتطوعين عُرف لاحقاً باسم (قوات الحشد الشعبي) تصاعدت عمليات العنف ضد السنة والتي جاءت أشبه ما تكون بردات فعل انتقامية أو في سياق مخطط تطهير معد سابقاً لكنه اتخذ من تمدد داعش ذريعة، كما حصل بعد تفجير مرقد سامراء في شباط ٢٠٠٦.

وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن حدة التوتر الطائفي في بغداد ارتفعت بعد سقوط مدينة الموصل بيد داعش، وأن مشرحة بغداد تتلقى يوميا الكثير من الجثث معظمها مصابة بطلقات نارية بالرأس وأغلبيتهم من السنة وبعض علامات التعذيب بادية عليها.

تقول الصحيفة: (حينما تأتي العائلات إلى المشرحة بحثاً عن ذويها، تتوجه إلى غرفة بها خمس شاشات تلفاز بعرض ٤٨ بوصة تعرض ما يمكن وصفه بأنه مشهد من الجحيم - حيث الجثث الممتلئة بالرصاص تعرض واحدة تلو الأخرى.

في الوقت الراهن، لم تصل وتيرة الاغتيالات الطائفية إلى حد المذابح الجماعية التي شهدتها عام

٢٠٠٥ وحتى عام ٢٠٠٧، حينما كانت المشرحة تتلقى ما يقرب من ١٠٠ جثة يوميا، ممن قتلوا خلال التفجيرات الانتحارية وأغلبها كان يعود إلى السنة الذين أعدموا بواسطة الميليشيات الشيعية. ومع ذلك، يطل شبح الماضي المريع ويكاد يفترس خواطر السنة في بغداد، الذين وجدوا أنفسهم وعلى نحو مفاجئ وسط المدينة التي يهيمن عليها الشيعة المهددون من قبل داعش.

خلال عمليات الاختطاف والقتل الأخيرة، يرى السنة في بغداد نذر الشر تلوح في الأفق، حيث يمكن للجدران التي بناها الأمريكيان لحمايتهم، أن تكون سببا في حصارهم، مما يجعلهم فريسة هينة للمليشيات الشيعية المتحمسة الآن، والتي كان بعضها قد اغتالوا السكان السنة بالجملة خلال السنوات العجاف الخالية.

لقد توقف الكثيرون من السكان السنة عن الذهاب إلى أعمالهم خشية من نقاط التفتيش، حين انضم رجال الميليشيات الشيعية إلى قوات الجيش والشرطة العراقية. ويقول الكثيرون إن السيارات المحملة بأفراد الميليشيات الشيعية تجوب شوارعهم وأحياءهم ليلا، وهم يقذعون السكان السنة بأحط السباب؛ في حين يحاول العديد منهم مغادرة العراق.

تتزايد أعداد الرجال المخطوفين الذين تصل جثثهم إلى مشرحة بغداد بشكل مثير للقلق. وخلال الأسبوع الثالث من شهر يونيو (حزيران)، عثر في بغداد على ما لا يقل عن ٢١ جثة مجهولة الهوية، ومعظمها مصاب بطلق ناري في الرأس، على حد تصريح أحد مسؤولي الأمم المتحدة.

وقال السكان السنة في ستة أحياء داخل بغداد إنهم تعرضوا لمعاملة قاسية منذ سقوط الموصل بأيدي «داعش» في العاشر من يونيو (حزيران) وبينما استمرت عمليات الاختطاف والقتل في صفوف السنة لعدة شهور، إلا أنهم بدأوا

عقب سقوط الموصل بالشعور بأنهم صاروا مستهدفين نظراً لوضعهم الطائفي^(١).

وقد أخذت هذه الأحداث حيزاً مهماً في تقارير المنظمات الحقوقية الدولية، وفي ما يلي نماذج منها:

الإساءة للسجينات السنيّات

ذكر تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش بعنوان (لا أحد آمن: انتهاك حقوق المرأة في نظام العدالة الجنائية العراقي) «أن السلطات العراقية تحتجز آلاف السيدات العراقيات دون وجه حق وتخضع الكثيرات منهن للتعذيب وإساءة المعاملة، بما في ذلك الانتهاك الجنسي.

وكثيراً ما يلجأ القضاء العراقي الضعيف، المبطل بالفساد، للاستناد في أحكام الإدانة إلى اعترافات منتزعة بالإكراه، كما تقصر إجراءات المحاكمات دون المعايير الدولية. وقد تعرض العديد من السيدات للاحتجاز طوال شهور أو حتى سنوات دون اتهام قبل العرض على قاض، وذكر التقرير أن الأغلبية الساحقة من السيدات الـ ٤٢٠٠ المحتجزات في مراكز تابعة لوزارة الداخلية والدفاع تنتمي للطائفة السنية.

قتل جماعي للسجناء السنة

قالت هيومن رايتس ووتش إن قوات الأمن العراقية ومليشيات موالية للحكومة قامت على ما يبدو بإعدام ما لا يقل عن ٢٥٥ سجيناً في ست مدن وقرى عراقية دون وجه حق منذ ٩ يونيو/حزيران ٢٠١٤.

وتتضمن الأغلبية الساحقة من أفراد قوات الأمن والمليشيات إلى الطائفة الشيعية، بينما كان السجناء المقتولين من السنة، وكان ثمانية منهم على الأقل صبية دون الثامنة عشرة.

قال جو ستورك، نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المنظمة: (يعد قتل

(١) نشر التقرير في بتاريخ (٢٥/٦/٢٠١٤) تحت عنوان (Shiite Violence Traps Baghdad's Sunnis, Haunted by a Grim Past).

السجناء مخالفة صارخة للقانون الدولي. وبينما يشجب العالم، عن حق، ما ترتكبه داعش من فظاعات، إلا أن عليه ألا يغضي الطرف عن نوبات القتل الطائفي التي ترتكبها القوات الحكومية والموالية لها).

مذبحة جامع مصعب بن عمير

وثقت منظمة هيومن رايتس ووتش أسماء ٣٤ سنياً قتلوا في هجوم مسلح على المسجد أثناء صلاة الجمعة يوم ٢٢/٨/٢٠١٤، وأسفر الهجوم حينها عن مقتل ٧٠ شخصاً فضلاً عن عشرات الجرحى^(٢)، ويقع المسجد في قرية إمام ويس غرب ناحية السعدية بمحافظة ديالى.

وقال جو ستورك نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المنظمة: إن المليشيات الموالية للحكومة تزداد جرأة وتتزايد جرائمهم فظاعة. وقد اشتركت السلطات العراقية وحلفاء العراق على السواء في تجاهل هذا الهجوم المروع، وبعد ذلك يتساءلون: لماذا اكتسب تنظيم الدولة الإسلامية المتشدد تلك الجاذبية وسط التجمعات السنية؟.

حكم المليشيات في العراق

في تقريرها المعنون بـ (Iraq: Absolute impunity: Militia rule in Iraq)^(٣) قالت منظمة العفو الدولية إن المليشيات الشيعية التي تسلحها الحكومة العراقية، وتحظى بدعم منها، قد قامت باختطاف وقتل العشرات من المدنيين السنة، خلال الأشهر الأخيرة، مع إفلاتها التام من العقاب على جرائم الحرب هذه.

يورد التقرير تفاصيل مروعة للهجمات الطائفية التي تشنها المليشيات الشيعية في بغداد وسامراء وكركوك، وهي التي ما انفكت تكتسب المزيد من القوة، وذلك ضمن ما يظهر أنه انتقام من

(٢) صحيفة الحياة اللندنية، السبت ٢٣/٨/٢٠١٤.

(٣) نشر التقرير باللغة العربية أيضاً (إفلات تام من العقاب: حكم المليشيات في العراق) على موقعها بتاريخ ١٤/١٠/٢٠١٤.

هجمات داعش، ويُعتقد أن قائمة الميليشيات الشيعية المسؤولة عن سلسلة عمليات الاختطاف والقتل تتضمن ميليشيا عصائب أهل الحق وفيلق بدر وجيش المهدي وكتائب حزب الله.

كما وجهت المنظمة رسالة لرئيس الوزراء العراقي الجديد حيدر العبادي بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٩، جاء فيها: (في العراق ثمة آلاف الأشخاص محتجزون بدون تهمة أو محاكمة؛ وقد احتُجز العديد منهم لعدة أسابيع أو أشهر، بينما احتجز آخرون لسنوات. وأغلبية المعتقلين هم من العراقيين السنة، الذين قبض عليهم للاشتباه بأنهم أعضاء في الجماعات المسلحة السنية أو مؤازرون لها، ممن يقاثلون الحكومة. كما كانت زوجات وقربيات المطلوبين المشتبه بهم ضحايا للاعتقال التعسفي والتهديدات.

في عام ٢٠١٣ اعترف نائب رئيس الوزراء السابق حسين الشهرستاني بأن السلطات استمرت في احتجاز بعض المعتقلين بدون محاكمة على الرغم من أن المحاكم أصدرت أوامر بإطلاق سراحهم، كما استمرت في احتجاز سجناء آخرين بعد قضاء مدد أحكامهم التي فرضتها المحاكم.

وفي يونيو/حزيران ٢٠١٣ قالت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) إن ١٦,٥١١ معتقلاً كانوا بانتظار المحاكمة.

ولا تزال قوات الأمن العراقية تنفذ عمليات اعتقال بدون مذكرات قضائية وبدون إبلاغ المعتقلين أو عائلاتهم بالتهمة الموجهة إليهم، ويُحتجز المعتقلون بمعزل عن العالم الخارجي لعدة أسابيع أو أشهر، بما يصل إلى حد الاختفاء القسري، وعلاوة على ذلك، فقد استخدمت سلطات الأمن بانتظام مراكز اعتقال سرية خاضعة لسيطرة وزارتي الداخلية والدفاع، وهي غير مفتوحة للتفتيش المستقل وغير محكومة بأنظمة رسمية لاحتجاز

المعتقلين^(١).

أما منظمة هيومن رايتس ووتش فقد أصدرت تقريراً بعنوان (مناطق الموت على يد الميليشيات الموالية للحكومة) وثقت فيه مقتل ٦١ رجلاً سنياً بين ١ يونيو/حزيران و٩ يوليو/تموز ٢٠١٤ ومقتل ٤٨ على الأقل من الرجال السنة في شهري مارس/آذار وأبريل/نيسان في القرى والبلدات المجاورة لبغداد والمعروفة باسم «حزام بغداد».

وقال شهود عيان ومصادر طبية وحكومية إن الميليشيات كانت المسؤولة في جميع حالات القتل، وقال شهود العيان في كثير من الحالات إنها ميليشيا عصائب أهل الحق التي يشار إليها باسم «العصائب».

استهداف السنة في جنوب العراق

أشار رئيس قسم حقوق الإنسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، فرانسيسكو موتا في هذا الشأن قائلاً: منذ ٢٣ حزيران ٢٠١٤، لقي ما لا يقل عن ١٩ مدنياً سنياً مصرعهم وأصيب ١٩ آخرون في موجة من عمليات القتل المستهدف والخطف، ولم يتم الإشارة إلى العديد من هذه الحوادث في الإعلام، غير أن البعثة كانت قد تحققت من كل منها عبر مصادر متعددة. وقد عبّر المجتمع المحلي عن رأيه بخصوص كل حادثة من تلك الحوادث وهو أن السبب في استهداف الضحايا لم يكن سوى لعقيدتهم. وقد سجلت السلطات تلك الحوادث ضد «مسلمين مجهولين» ولم تتم أي عمليات اعتقال على صلة بأي من تلك الحوادث.

وأضاف السيد موتا: «لقد صدرت تهديدات أيضاً من مصادر مجهولة ضد عدة جوامع ومنظمة سنية بارزة، محذرة السنة بضرورة مغادرة البصرة أو مواجهة الموت، وفي الأيام الأخيرة، تم وضع علامة (X) على منازل المواطنين السنة في بعض مناطق قضاء أبي الخصيب في محافظة البصرة وطلاء

(١) الرسالة موقعة من (آنا نيستات) المدير العام لبرنامج البحوث في المنظمة.

الفغار بالرضوانية - جنوب بغداد	دهش الكرغولي	
تشرين الثاني ٢٠١٤	عدنان جلال مزيد الفهداوي	إمام مسجد دار السلام - الخالدية / الرمادي

كيف أصبح العراق دولة شيعية؟

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) - خاص بالرائد

ما يجري في العراق اليوم من مأساة رهيبة تشمل القتل والذبح والتهجير وتغيير لديمغرافية السكان، ليس هو وليد حالة الاستعمار الأمريكي سنة ٢٠٠٣، أو أن دخول الأمريكان هو من صنع هذه الحالة فحسب، وإنما كان دخولهم هو من هيّج هذه الحالة وأيقظها من سباتها، إن توصيفا خاطئاً تمارسه نخب سياسية عراقية وعربية ترسخه في الوعي العام وفي العراقيين، وهو توصيف غير دقيق بعيد عن الواقع، فثمة مخطط شيعي في العراق قديم بدأ منذ قرنين من الزمان لتشجيع العراق، وقد رأيت أن ألخص هذا المخطط بكلمات يسهل تداولها، بعيداً عن البحوث الكبيرة التي لا غنى عنها إلا للمتخصصين، ووضعتها في نقاط كي يسهل تناولها:

١- بدأ المخطط الشيعي منذ نهاية القرن الثامن عشر في عهد الدولة القاجارية الإيرانية الشيعية وبدعم حكومي، وكذلك بدعم شخصي من قبل المراجع الشيعية من الفرس والعرب، بالتوجه نحو جنوب العراق لتشجيعه، وتشجيع القبائل العربية التي تقطنه، مستغلة حالة الفراغ والجهل التي كانت تعيشها المنطقة، ويعترف الكاتب اليهودي الأمريكي إسحاق النقاش في كتابه (شيعية العراق): أنه (ليس هناك دليل يشير إلى أن الشيعة اقتربوا ذات يوم من تشكيل أكثرية السكان في العراق قبل القرن التاسع عشر بل وحتى القرن

مصابيح الإنارة الخارجية باللون الأسود. ونتيجة لتلك التهديدات، فإن العديد من أبناء السنة أخذوا في مغادرة المنطقة^(١).

مذبحة قرية القراغول

وثّق مركز بغداد لحقوق الإنسان أسماء ١٤ شخصاً من عشيرة القراغول الذين يقطنون إحدى قرى قضاء الدجيل في محافظة صلاح الدين، وقد جرت المذبحة بعد هجوم لقوات الجيش ومليشيا الحشد الشعبي على قرية القراغول يوم الخميس ٢٠١٤/١١/١٣، وأسفرت عن تهجير كل عوائلها الذين ينتمون لعشيرة القراغول.

لجدول ببعض حوادث الاغتيال التي تعرض لها

علماء وأئمة أهل السنة خلال عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٤

٢٠١٣/١١/٨	فاروق سليمان كاظم الجوراني	مسجد محمد رسول الله - قضاء المقدادية (ديالى)
٢٠١٣/١٢/٢٨	د. بشار عواد البدراني	جامع المؤمن - الموصل الجديدة
٢٠١٣/١٢/٢٧	ماهر سالم المحمود	إمام وخطيب مسجد الحاج إياد - الموصل
٢٠١٤/١/٢١	إسماعيل الأركي	إمام مسجد الصديق - ناحية الوجيحية - ديالى
٢٠١٤/٢/١	عبد الله طه السامرائي	إمام مسجد المحمودية الكبير - جنوب بغداد
٢٠١٤/٤/٧	د. محمد جمعة أحمد السامرائي	إمام جامع الزبير، عميد كلية الإمام الأعظم - سامراء
٢٠١٤/٤/١٢	عبد المحسن زيدان الفهداوي	إمام جامع الصديق - منطقة زنكورة - الرمادي
حزيران ٢٠١٤	نهاد الجبوري	إمام مسجد الفتیان - السيدة - غرب بغداد
آب ٢٠١٤	كيلان عبد الله	إمام جامع العزيز

(١) نشر البيان الصحفي في موقع يونامي (www.uniraq.org) بتاريخ ٢٠١٤/٨/٢٠ بعنوان (المبعوث الأممي يحذر من ازدياد استهداف الأقلية السنية في محافظة البصرة).

(*) كاتب عراقي.

العشرين^(١)، وقد نجح المخطط بتحويل أكثر الجنوب العراقي إلى شيعة في مطلع القرن العشرين. ٢- رغم أن خبر المخطط لم يخفَ على الدولة العثمانية، فقد وصل لها وللسلطان عبد الحميد عبر تقارير المسؤولين العثمانيين، إلا أن الدولة والسلطان لم يحركا ساكناً، وهو ما يحتاج إلى مزيد بحث في الوثائق العثمانية^(٢).

٣- حاول الشيعة في ثورة العشرين أن يتولى المراجع الشيعة حكم العراق، وبعد تشكل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ رفضوا المشاركة إلا بشرط وهو أن تكون ملكية فيحصل ملكية دستورية مما يجعله تابعاً لقرار المرجعية الشيعية، وقد كان الشيعة يخططون لحكم العراق كله، لا الجنوب وحسب، أو تكوين دولة شيعية في الجنوب، لذا هددوا بالانفصال سنة ١٩٢٧ وليس تحصيل حقوقهم فقط كما يزعمون، وإنما أجهض ذلك المخطط سياسة أهل السنة لبقاء العراق موحداً، وكذلك الإنكليز لأغراض ذاتية.

٤- وبعد سنة ١٩٢١ وقيام الدولة الحديثة استمر المخطط لكن بوتيرة أبطأ؛ حيث بدأ زحف الشيعة نحو بغداد في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، بواسطة تهجير مجاميع كانت تتعرض لاضطهاد الإقطاعيين من المالكين، وسكنوا في الجانب الشرقي في بيوت مؤقتة بشكل عشوائي (منطقة خلف السدة) في منطقة الرصافة خلف سدة ناظم باشا، في عهد رئيس الوزراء الشيعي صالح جبر سنة ١٩٤٨م.

كان هؤلاء من طبقات مسحوقة، ومن مناطق متخلفة من منطقة الأهوار، أكثرهم جهلة من غير حملة الشهادات، يسمون في المجتمع العراقي (الشروك) والمعدان، فكان هذا أول إسفين شيعي يدق في بغداد بغفلة من الحاكم والمحكوم، ثم تلتها ثورة ١٩٥٨ حيث أمر الرئيس عبد الكريم قاسم^(٣) بتحويل المنطقة العشوائية إلى مدينة رسمية

وسميت مدينة الثورة^(٤)، وأصبحت هذه المدينة هي البؤرة المستقطبة للهجرات الشيعية الآتية من الجنوب، فظهر فيما بعد (حي التتلك)، (الأورفلي)، (سبع قصور)، وكان هذا مسمار جحا الشيعي وسط بغداد السنية والذي ستظهر نتائجه الكارثية فيما بعد.

وفي بداية عهد حزب البعث سنة ١٩٦٨ حاول الرئيس العراقي أحمد حسن البكر أن يعيد سكان (مدينة الثورة) إلى أماكنهم التي قدموا منها، بعد شكاوى حول كثرة المجرمين في هذه المدينة وأنها تهدد التركيبة الاجتماعية لبغداد وذلك في بداية السبعينيات، وتعويضهم ببيوت وأشغال في مناطقهم الأصلية وقد تم القضاء على الإقطاع وظلمه، لكن اعترض على ذلك صدام حسين الذي كان يشغل منصب نائب الجمهورية بتسارعه المهود، معللاً أنهم جزء من الشعب العراقي وأن الحزب غير طائفي^(٥).

وقد عملت المرجعيات والأحزاب والتوجهات الشيعية على خلق وزيادة الاحتقان الطائفي وبث روح الكراهية عند الجمهور الشيعي، وإنما منع ظهور ذلك الحكومات السنية منذ سنة ١٩٢١ والتي كبحت الطائفية ومنعت حصول أي احتكاك أو اقتتال بحزمها، حتى سقوط بغداد سنة ٢٠٠٣. لكنها لم توقف المخطط، وإنما ساهمت بتأخيرها.

٥- وبعد اندلاع الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م تحركت الحكومة الإيرانية والأحزاب الشيعية لتأسيس دولة شيعية في العراق، ونتج عن ذلك اشتعال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨).

ولما كان أكثر جنود الجيش العراقي في الحرب العراقية الإيرانية من الشيعة، قام صدام حسين بمحاولة استمالة الشيعة المهاجرين في بغداد، فحول اسم مدينة الثورة إلى مدينة صدام، ليعطيها بعداً جديداً في فصل جديد من غباوة السياسي السني عن حقيقة المشروع الشيعي، بل زاد الطين بلة

(٤) انظر مقال: أربعة مخططات أساسية لإحداث التغيير الديمغرافي في العراق (١)، عبد الهادي علي، الراصد العدد ١٠٧، سنة ١٤٣٣هـ.
(٥) هذه الحادثة رواها القيادي في حزب البعث ووزير الداخلية سمير الشخيلي.

(١) شيعة العراق، إسحاق النقاش.

(٢) أنظر مقالنا: السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من الشيعة وإيران، مجلة الراصد العدد ١٢٠، ١٤٣٤هـ.

(٣) سني والدته شيعية.

عندما أسس أحياء جديدة كلها لشيعة الجنوب، عندما منح رتب نائب الضابط في الجيش والشرطة قطعاً سكنية في بغداد، وهذه الرتب المتدنية هي أكثرها لأبناء الجنوب لأنهم غالباً بدون شهادات، وأصبحت مدن جديدة مثل: مدينة الأمين الأولى والثانية وحي الشرطة وغيرها من مدن بغداد، وكانت النتيجة صنع هجرة شيعية جديدة لبغداد.

٦- ساهم ضعف إدراك خطورة المخطط الشيعي والحس الأمني تجاهه عند الحكومة العراقية البعثية، في تهجير الشيعة لمناطق مدينة كركوك (محافظة التأميم)، ففي محاولة غبية لتعريب مدينة كركوك وتكثير العرب فيها، تم إصدار قرار بتشجيع سكنى العرب في كركوك، وكان أكثر الراغبين بذلك هم من الشيعة فتولدت بصورة شيعية جديدة في كركوك بذلكاء حزب البعث، وعمقه!!

٧- عقب هزيمة صدام في حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١، حاول الشيعة التحرر عبر الانتفاضة الشعبانية، وكان ذلك واضحاً في شعاراتها في أرجاء الجنوب، ومن أشهرها: (ماكو ولي إلا علي، ونريد قائد جعفري).

حينها انتعش الشيعة وأحس صدام حسين بخطر الشيعة على البلاد لكنه كان إحساساً متأخراً؛ لأن جناحه هضم وكسر بعد الحصار، وبدأ الضعف يدب إليه، فتحركت الأحزاب الدينية الشيعية في الجنوب، ورغم أن التقارير الأمنية كانت تتحدث عن تحركات لأحزاب شيعية، لكن لم يكن يُلقى لها بال؛ لأن الأهم عنده بقاؤه قائداً أوحداً ورمزاً، وقد كان الشيعة يلعبون دوراً خطيراً حتى داخل المنظومة الأمنية بتسليط الضوء على الخطر السني الوهابي، وقد تبنى هذه السياسة شخصية صوفية بعثية غبية هو الرفيق (عزت الدوري)، فأخذ بمساندة شيعية خفية بمحاربة التيار الوحيد في العراق الذي يحارب التشيع ويفهم خطره ويستطيع منازلته والقضاء

عليه، وهو التيار السلفي^(١).

حتى وصل الحمق بالحزب وزعيمه صدام حسين أن أصدر في سنة ٢٠٠١ قراراً بإعدام من ينتمي للوهابية، فهو يترك التشيع ينتعش في البلاد لضعفه عن مقاومته وأخذ يحارب من يحارب التشيع! وكانت عاقبته أن أعدمه الشيعة بأيديهم. وأصدروا قراراً باجتماع البعثيين السنة.

٨- عقب سقوط العراق سنة ٢٠٠٣م وظهور الحكم الشيعي واضحاً مسنوداً من قبل الأمريكان؛ لقبول المحتل بأكاذوبة الشيعة أنهم الأكثرية وأنهم مظلومون ومحرومون، لذلك كانت نسبة الشيعة في مجلس الحكم ١٥ عنصراً من ٢٥ شخصاً. جلهم أعضاء في أحزاب دينية حاكمة على السنة والعراق وتابعة لإيران.

وكانت حصة السنة ٥ أشخاص، كلهم لا يمتون للسنة بصلة، اللهم إلا الحزب الإسلامي، لكن بوجود قيادات غبية سنية دينية ووطنية ضاع أهل السنة أكثر وفقدنا حتى نسبة الـ ٢٠٪ من الحكم التي قررت للسنة.

٩- كان البعثيون وهيئة علماء المسلمين يرفضون المشاركة بالحكم تحت الاحتلال، كما فعل الشيعة سنة ١٩٢١، وهكذا خسروا، كما خسروا من قبل، فضعف الوجود السني في ظل الحكم الشيعي والكردي، ومعلوم أنه رغم سنية الأكراد، إلا أنهم نتيجة الاضطهاد الذي سلب عليهم يحملون عقداً قومية ولا يشعرون أنهم سنة، بل قوميتهم غلبت على هويتهم الدينية، وسيدرك الكرد خطر التشيع بعد حين. ولن تدعهم إيران حتى تشيعهم.

١٠- في سنة ٢٠٠٦ وبعد حادثة تفجير مرقد العسكري بسامراء المفتعل إيراني، بدأ مسلسل تهجير أهل السنة من بغداد، حيث هجر الملايين منها لخارج البلاد وداخلها، وكان التيار الصدري أكبر مكون شيعي في العراق، وهو منفذ عملية

(١) لأن تيار الإخوان غافل عن هذا الخطر مع الأسف. منذ تأسيسه ليومنا، ويمثله حزب التحرير، أما الصوفية فهم قنطرة التشيع.

التهجير بواسطة ميليشاياته (جيش المهدي)، واليوم ظهرت ثمار مدينة الثورة التي بدأ المسلسل لها منذ سنة ١٩٤٨ لتجني ثماره سنة ٢٠٠٣.

فهل استيقظ السنة بعد هذه الضربات؟

والجواب: لا! فهيئة علماء المسلمين لا تزال ترى أن حقيقة الخلاف هو خلاف سياسي وليس طائفيًا ولا دينيًا، وأن الإيرانيين لهم تواجد وليس نفوذًا، وإنما يروج الأمريكيان ذلك ليخلقوا حربًا طائفية!!!!!!

وحزب البعث وما شاكله من قوميين ووطنيين يؤمنون أن الشعب واحد وأن الاستعمار هو من فرق، وأنه لا حقوق للسنة فالجميع مظلوم حتى الكردي اليوم مظلوم!

أما الإخوان المسلمون فمعركتهم هي مع العلمانية، فهم ضد حزب البعث، ويعتبرون حزب الدعوة أقرب لهم (كما يزعمون) فكريًا، كما أن حزبيتهم منعتهم من التعاون مع غيرهم من السنة.

أما المقاومة السنية (وأكثرها توجهات سلفية) لم تفهم اللعبة، وكان همها مقاومة الأمريكيان لأداء واجب جهاد الدفع دون نظر للمآلات، فكانت الضربات للجيش الأمريكي والثمار للشيعية وإيران، وقامت سوريا باحتضانهم لتكمل معهم مسلسل سداجة الإسلاميين. ولتكمل الخطة مع إيران، بطرد الأمريكيان والسيطرة على العراقيين.

جاء ظهور القاعدة وأخواتها في العراق وكأنه أمر مدبر، فالثور الهائج كان من السهل جدا على إيران أن تروضه، وقد فعلت ذلك قبل الاحتلال الأمريكي للعراق (بعد احتلال أفغانستان سنة ٢٠٠١)، وأصبحت أفعال هؤلاء تساهم بقوة وتعجل في سيطرة القوى الشيعية الديمغرافية على مناطق أهل السنة، وأصبحوا الشماعة الجاهزة لتبرير المخططات ضد السنة في العراق وسوريا ليوثنا هذا، فيكفي الميلشيات الشيعية لتسيطر على منطقة ما أن تتواجد بها القاعدة، لتكون ذريعة لتواجد الميلشيات الشيعية وتهجير السنة، وهكذا دواليك.

١١- أصبح العراق بعد فوز المالكي بالولاية الثانية سنة ٢٠١٠م، شيعيًا بامتياز، فتعداد الجيش

والشرطة أكثر من مليون عنصر شيعي، والمقاومة توقفت تقريبًا وهي تجلس في سوريا تضرب أخماسًا بأسداس، وهيئة علماء المسلمين كانت تروج أنه بعد الانسحاب الأمريكي ستتهرب القوى التابعة للاحتلال، بينما كانت سوريا وإيران والشيعية في العراق يخططون بذلك بإيجاد طبقة سنية تابعة لهم من رؤوس العشائر ومن كل التوجهات، وهؤلاء هم سنة الحكم الشيعي اليوم إلا من رحم الله.

من جهة أخرى أبقى المناطق السنية رخوة تتواجد القاعدة فيها بشكل محدود وضعيف ومسيطر عليه، ولكن بقيت التفجيرات مستمرة لتكون ذريعة للاعتقال السني، حتى ضمت السجون أكثر من مائة ألف سجين سني (رجالًا ونساءً) تحت التعذيب والإهانة الجسدية والجنسية.

والهيئة كانت تنتظر سنة ٢٠١١ موعد الانسحاب الأمريكي من العراق لتبشّر الناس أن أتباع إيران وأمريكا سيخرجون بخروج المحتل، فكانت من أجمل نكات الموسم!!!!

وفعلا خرج المحتل وتمكّن المالكي أكثر من ذي قبل، وأصبح هذا الشعب السني المخدوع حيران، شعب بلا قيادة ولا انتماء. وحزب البعث يبشّر العراق بتحريره من زاخو إلى الفاو، ومعركتها هي الإنقاذ الشيعي والكردي لإنقاذ الوطن!!

١٢- مارس المالكي الدور بذكاء مع إيران فوجدت داعش في سوريا ثم العراق، كانت داعش تتمول في الموصل من أهلنا السنة رغم وجود ٣٠ ألف عسكري شيعي يضرب أهل السنة ويدع هؤلاء يجبنون أموالًا شهرية تصل إلى ٧ ملايين دولار، ويقتلون المخالف، ويفجرون ويمكنون للتشيع. بل كشف أن التفجيرات كانت تنفذ من قبل الحكومة وإيران وشماعة القاعدة جاهزة ومواقعها جاهزة لتبني أي هجوم.

١٣- بعد الثورة السورية كانت إيران في مأزق وهي تلاحظ أنّ البساط يُسحب من تحتها بسقوط حليفها بشار الأسد (النصيري) وعودة الحكم للسنة (الأكثرية)، وأن حزب الله يخسر، فكانت معركتها الأولى هناك، وأمرت إيران المالكي بأن

يدعم سوريا بالمال لسد العجز المالي، والبشرى، فكانت كتائب أبي الفضل العباس، وعصائب أهل الحق. لكن الأمر الأكبر كان صناعة نوع من أنواع القاعدة والمساهمة بذلك لإفشال الثورة السورية، كان أكثر قاعدة العراق الزرقاوية في السجون وعندها لعبت مخابرات المالكي لعبتها لتهربهم من السجون لينتجوا مكونا جديدا مساهما بإجهاض الثورة السورية. فقامت النصرة وداعش ربيبة القاعدة^(١) بتخريب الثورة السورية وإرجاعها لمربعات متأخرة، وكان هذا مصلحة مشتركة بين روسيا وأمريكا وإيران وإسرائيل، كل حسب مراده وهدفه.

١٤- في هذه المرحلة بدأت محاولات سنية للقيام بثورة من المظاهرات السلمية في المحافظات السنية مطالبة بحقوقها بداية من ٢٠١٢ استمرت سنة، ولم يُستجب لها، بل استخدموا القاعدة لإفسادها، وفعلا اعتقل النائب السني أحمد العلواني، وتحولت إلى حرب طاحنة بين الحكومة والسنة في الأنبار وذلك في بداية سنة ٢٠١٤.

١٥- تكونت داعش واخترقته قبل ذلك دول عربية وأجنبية وأصبحت متاحة، وهجمت في العراق يوم ١٠/٦/٢٠١٤ بترتيب عالمي أمريكي لخلط الأوراق في العراق لتعود من جديد لاحتلاله أو ترتيبه بما يصب في مصلحتها.

١٦- احتلت داعش مدينة الموصل وجميع محافظة نينوى، ومن ثم احتلت محافظة صلاح الدين، وقسما كبيرا من الأنبار وجزءا من ديالى، وكان بإمكانها أن تُسقط بغداد؛ لأن الجيش الشيعي هزم واندحر، وكان سقوط بغداد ممكنا عسكريا، لكن الأوامر لم تأت بهذا!!

كانت ردة الفعل الشيعية والعراقية الحكومية والإيرانية واسعة؛ فقد صدر القرار فورا من المرجعية

(١) ساهم حزب البعث العراقي بواسطة جناح يونس الأحمد العراقي في سوريا سنة ٢٠٠٧ بعد ظهور الصحوات في العراق وبالتعامل مع فوزي الراوي، والمخابرات السورية بتأسيس قاعدة لهم وإختراقها وآتت ثمارها، بعد الثورة. وقالوا يومها: سنقاتل بآخر مجاهد سلفي الأمريكي.

بتشكيل قوات الحشد الشعبي (الشيعي) لمقاومة داعش (السنة) وتحركات الميليشيات الشيعية والأحزاب كمصائب أهل الحق وأبي الفضل العباس، وسرايا السلام من الميليشيات، ودخلوا المناطق السنية ليهجروا أكثر من مليون ونصف داخل العراق، كلهم سنة، في حملة جديدة، من حرق جثث والتمثيل بها بذريعة محاربة داعش، والأمر مستمر لساعة كتابة هذه السطور!!

هذه مأساة أهل السنة في العراق، لكن كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، إن عدم الوعي الذي كان عند الدولة العثمانية أولاً، ثم ظهور الدولة الوطنية، والقومية، وتمرير المخطط الشيعي ببطء، ثم ظهور ثورة الخميني وبداية تصدير الثورة مع بروز الدور والحكم القومي (حزب البعث) ثم احتلال العراق سنة ٢٠٠٣م، وفي كل هذه الأدوار والعراقيون بكل أطيافهم نائمون على المخطط حتى أهل الدين منهم، فقيادات أهل الدين الشيعية واعية للمخطط الشيعي، لكن قياداتها الدينية والوطنية والقومية والعشائرية تغط في نومها، ولم تستيقظ من سنها بعد. وإلى الله المشتكى.

الفرصة التي قد لا تعوض:

إننا اليوم وقد اكتمل المخطط الغربي الذي يريد من هذه الحرب الشعواء الطائفية، أن يقسمنا إلى دويلات، وسيمعن بتسليط هؤلاء الشيعة علينا، إلى أن نرضخ إما بالفيدرالية أو التقسيم، التي تقاومها إيران والحكومة الشيعية، ويفرح لها الكرد، ونقاومه نحن السنة لأننا نطمح أن يرجع العراق بلدا واحدا بعيدا عن متناول الشيعة، بما يشبه أحلام العصافير.

بدأ العالم بمخطط حرب داعش للضغط لتنفيذ هذا المشروع في رؤيا غربية صهيونية مشتركة، والذي يهمننا في هذا، أن إيران فهمت اللعبة فقاومتها من جانب وتريد أن تحصل على حدود دولة أو منطقة شيعية كبيرة؛ لذلك تحتل مناطق وتهجر أخرى تمهيدا لتكبير أرضها، فهل يعني السنة هذا المخطط الأخير؟

د. خالد زهري من المغرب والمتخصص في الدراسات المقارنة بين المذاهب والأديان دوّن لنا تجربته الحديثة مع القاديانية عبر صفحات كتابه هذا، والذي صدر عن دار الفتح في عمان في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط وصدرت طبعته الأولى في عام ٢٠١٢.

وبرغم تخصص المؤلف في الفكر الإسلامي ومقارنة المذاهب والأديان، إلا أنه حين قابل دعاة القاديانية وطالع كتبهم المبشرة والداعية لدينهم ونحلتهم تحير في التوفيق بين ما دوّنه علماء المسلمين من كافة البلاد حول التحذير من كفر وزندقة الأحمدية وبين ما يقوله دعاة وكتب القاديانية، وظن أن كلام علماء المسلمين قد يكون فيه ظلم وتجنّ على القاديانية!

فلجأ د. زهري إلى مراسلة مركز القاديانية في لندن

ليرسلوا له كتبهم ومراجعهم، وكانت نتيجة مطالعته لها أن ما فيها يوحي بأنهم مسلمون، وأن تكفيرهم قد يكون لا وجه له!

فلجأ د. زهري إلى زيارتهم في مركزهم

القاديانية وثائق ومشاهدات

عرض: أسامة شحادة^(*) - خاص بالراصد

عادت القاديانية أو الجماعة الأحمدية من جديد لتغزو البلاد العربية بقوة عبر فضائيتها (mta) وعبر نشاطها المكثف تحت عدة يافطات لجمعيات ومؤسسات غير صريحة في بلادنا العربية.

ومما يساعد القاديانية أو الأحمدية على اختراق الوسط السنّي المظهر العام لهم والمثابه للمسلمين ورفعهم شعارات إسلامية ككلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ونقاشهم للنصارى في قناتهم وأحاديثهم، وهي أمور تخدع البسطاء من المسلمين.



(*) كاتب أردني.

بالكذب والتزوير عليهم، فجاء هذا الكتاب ليظهر لهم الحقيقة بالدليل، واقتصر فيه المؤلف على ما وقف عليه بنفسه من عقائد القاديانيين وليس كل عقائد القاديانية حتى لا يتضخم حجم الكتاب، واهتم بتدوين ما لم تتطرق له المؤلفات السابقة ووقف عليه من خلال مخالطتهم المباشرة.

فضح د. زهري خداع دعاة القاديانية في

نفيهم ادعاء الميرزا للنبوّة، حيث يلجأون لزعم أن المقصود هو النبوّة الظلية، التي تساوي الولاية أو الوراثة لعلم النبوّة، وهو أسلوب لجأ إليه الميرزا نفسه، لكن هذه كذبة صلعاء، فالميرزا ذكر هذه الحجة في كتاب زعم أنه وحى إلهي!! والصحيح أن القادياني والقاديانيين يؤمنون بأنه نبي ويصدر الأحكام، وقد صرح للمؤلف بذلك عدد من القاديانيين، وهو المتفق مع كثير من أقوال الميرزا وخلفائه، وقد قسم المؤلف ادعاء الميرزا للنبوّة لستة مستويات، هي: ادعاؤه أن الله تعالى أنزل عليه معجزات، ادعاؤه نزول جبريل عليه بالوحي، ادعاؤه أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، تصريحه أن الوحي الإلهي نزل عليه من الله تعالى مباشرة وأن الوحي أخبره أنه نبي، تصريحه أن الله تعالى أوحى إليه أنه رسول ومرسل، ادعاؤه أن ما يوحى إليه مساوٍ للقرآن الكريم.

وقد أورد المؤلف أمثلة من كلام الميرزا على

كل مستوى من المستويات، منها قول الميرزا: «إن الله سماني نبيا بوحي، وكذا سميت من قبل على لسان رسولنا المصطفى» (كتابه الاستفتاء، ص ١٤)، ثم توقف لفضح (الوحي) المزعوم فإذا هو سجع ثقيل، ومقاطع مسروقة من مقامات الهمذاني والحريري، ومصطلحات لابن عربي والحكيم الترمذي، وكتب الأمثال.

ويلجأ القاديانيون إلى نفي نبوة الميرزا من خلال إظهار مقاطع نادرة من كلام الميرزا ينفي

ومخالطتهم، ليقف على حقيقة التناقض بين كلام علماء المسلمين المخالطين لهم خاصة في باكستان حيث أظهر أحمد ميرزا القادياني دعوته في عام ١٨٨٠م تقريبا، وبين ما وصله من كتبهم ودعوتهم التي لا تظهر ما كفرهم عليه العلماء من ادعاء النبوة وتحريف القرآن الكريم بالتأويلات المنكرة.

وفعلا سافر المؤلف في صيف ٢٠٠٧ للندن

لحضور اجتماعهم السنوي والذي يسمى (جلسة سالانه) والذي يجتمع فيه القاديانيون من مختلف دول العالم، لتجديد البيعة لخليفة مهديهم، ثم اتبعها بزيارة ثانية في العشر الأواخر من رمضان من نفس العام، التقى فيها الخليفة وكبار زعمائهم.

تتبع أهمية الكتاب من مؤلفه المتخصص

بمقارنة الأديان وصاحب الخلفية الأشعرية المالكية، ومن كون الكتاب تسجيلا لوقائع علاقة مباشرة مع قادة القاديانية، وليس إعادة ترتيب للمعلومات عن القاديانية المبتوثة في الكتب الأولى في نقد وفضح القاديانية، وكون هذه اللقاءات حدثت قبل سنوات معدودة، يجعل معلوماته وأخباره طازجة وجديدة بخلاف الكتب والمصادر التي مضى عليها عشرات السنين، وميزة ثالثة هي فحص وتمحيص دعايات ومزاعم القاديانية مع واقعهم الحقيقي مما كشف مقدار الكذب والخداع والتلبيس الذي يمارسه القاديانيون، ودقة وسلامة كلام علماء المسلمين الذين كان لهم شرف المبادرة لحماية المسلمين من ضلالهم.

سبق للمؤلف أن كتب عن القاديانية مقالة

بعنوان «القاديانية: رؤية نقدية من الداخل» نشرها في جريدة المساء المغربية في عام ٢٠١٠، فتدفقت عليه رسائل تهديد من القاديانيين، واتهامات له

الفطر والصوم والخطأ والجهل لله جل جلاله،
 تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ثم يتجاوز
 القادياني كل الحدود ويدعي الألوهية في قوله:
 «رأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو،
 وكانت الألوهية نفذت في عروقي، وبينما أنا في
 هذه الحالة، كنت أقول: إنا نريد نظاما جديدا،
 سماء جديدة، وأرضا جديدة، فخلقت السماوات
 والأرض» (التذكرة ص ١٩٥).

ومن مصائب القادياني إلغاء فريضة الجهاد،
 وانضواؤه تحت لواء الاستعمار البريطاني في الهند،
 وتعاون أتباعه مع اليهود في فلسطين دون التفات
 لجريمة اليهود في احتلال فلسطين وتهجير وقتل
 أهلها، بل هم يزعمون أن استيلاء اليهود على
 فلسطين نبوءة للميرزا، وينقل المؤلف عن قادياني
 مغربي أنهم يعتقدون أن خلاص فلسطين هو بإيمان
 اليهود بالميرزا مسيحا مخلصا، وأن هذا هو سبيل
 تحرير فلسطين وليس الجهاد!

وينبّه المؤلف على قضية خطيرة وهي من
لوازم ادعاء الميرزا النبوة، وتلقب من وراءه بلقب
 الخليفة، أن هذا يجعل من القاديانيين جماعة
 منفصلة عن محيطها الوطني وتتبع مقر الخلافة،
 وتتبع قيادة خارجية تكفر كل من لا يؤمن
 بمهديها نبيا، فضلا عن تصريحهم بالعمل لإقامة
 حكومة عالمية، يقول خليفتهم الرابع: «وفقنا الله
 لرفع راية الإسلام فوق قصور أقوى حكومات
 العالم، وفي أقرب وقت ممكن»، (كتابه زهق
 الباطل، ص ٤٨٥).

وفي الختام يؤكد المؤلف أن القاديانية تعادي
الإسلام والمسلمين، وأن أكاذيبهم بحب العرب
 هي للخداع والتسلل بيننا، ولذلك يرى المؤلف بعد
 تجربته أن القاديانية أخطر من البهائية لأنها تتستر
 بالإسلام.

فيها النبوة عن نفسه، وواضح من تجربة المؤلف أنها
 مقاطع وضعت على سبيل التقية كالشيعة، لأن
 الكثير من القاديانيين صرحوا له بنبوة الميرزا،
 وعشرات المواضع في كلام الميرزا تصرح بنبوته،
 وكذلك كلام خلفائه وأتباعه، كما جاء في
 مقدمة كتاب «نبوءات لسيدنا أحمد عليه السلام
 يشكك فيها المعارضون: دراسة نقدية»، قول
 الناشر: «ولما كان الإمام المهدي، والمسيح الموعود،
 رسولا مكلفا من لدن الله جل جلاله، فقد تلقى
 حضرته كثيرا من الوحي الإلهي».

كما أن المؤلف لاحظ شدة حرص
القاديانيين على الصلاة على الميرزا كلما ذكر
دون بقية الأنبياء، وإنكارهم على المؤلف عدم
 الصلاة على الميرزا، فضلا عن أنهم ينكرون
 معجزات الأنبياء ويؤولونها تأويلات فاسدة، بخلاف
 الميرزا الذي يثبتون له آلاف المعجزات!

ثم تناول المؤلف تحريف القادياني للقرآن
الكريم بالتأويل الفاسد، فهو يزعم أنه هو
 المقصود في قوله تعالى: ﴿إني جاعلك في الأرض
 خليفة﴾، وأنه هو عيسى بن مريم الذي رفع إلى
 السماء، وأنه هو الذي أُعطي الكوثر وآيات
 عديدة، وهذا تحريف للقرآن الكريم، وتلاعب
 يدل على قلة دين وتقوى.

ثم تناول المؤلف معجزات الميرزا فإذا هي
خزعبلات وخرافات، فهو يزعم أن بعض كتبه
 وحي إلهي، ثم ينسى فيصفها بأنها أبحاث ونتائج
 جهود مضنية!! فضلا عن ركافة وحيه المعجز
 فهو مليء بالأخطاء النحوية، بخلاف القرآن
 الكريم الذي هو عمدة النحو العربي الفصيح،
 وتكثر الأخطاء في وحيه في الأسماء والأخبار.

وأورد المؤلف نصوصا من طامات القادياني
فيها وصف لله تعالى بصفات النقص كنسبته

غرسُ إيران بمصر لنشر التشيع، لكن بأسلوب مختلف وبتبليس على العوام بعمامة الأزهر».

وكان كريمة زار في إيران المرجع مكارم الشيرازي وقبّل رأسه، وهو مؤلف كتاب «الشذوذ الجنسي عند عمر بن الخطاب»، وصاحب فتوى إقامة مولد لأبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر.

الصفحة الرسمية لقناة وصال على تويتر

٢٠١٤/١١/١٦

الموازين المائلة

قالوا: اليوم ما يقارب ٢٤ مقالا عن حادثة الدالوة (الهجوم على حسينية بالإحساء) أغلبها تحت بند (الطائفية) أما إطلاق النار على جنود في العوامية بالأمس لا أسمع لا أرى لا أتكلم!!

الشيخ عبدالله زقيل،

تويتر ٢٠١٤/١١/١٣

متى يفهمون؟

قالوا: «الفصل بين الدين والدولة في إسرائيل مستحيل».

رئيس الدولة اليهودية شمعون بيريز،

٢٠١٤/١١/١٠

الطيور على أشكالها تقع

قالوا: ذكرت تقارير إعلامية برازيلية أن منظمة حزب الله اللبنانية لها علاقات وثيقة مع عصابات الجريمة المنظمة (المافيا) في البرازيل.

وأوضحت صحيفة «أو جلوبيو» البرازيلية، استناداً إلى مستندات تحقيق شرطية، أن منظمة حزب الله تتعاون منذ ٢٠٠٦ مع عصابة «بريميروكوماندو دو لا كابيتال»،

سنة إيران لا بواكي لهم

قالوا: في رسالة مفتوحة إلى المدير العام الجديد لهيئة الإذاعة والتلفزيون الإيراني محمد سرافراز، انتقد فيها «انتهاك حقوق الأقليات القومية والدينية في الإعلام الرسمي وعدم منحهم الفرصة لإبراز هويتهم القومية ومذاهبهم وأزيائهم المحلية ولغاتهم الأم وثقافتهم القومية». ويتمنى «أن لا تتم الإساءة للقوميات والأديان في الإعلام الرسمي (الإيراني) من خلال الأفلام والمسلسلات وسائر البرامج التي تبث في الإذاعة والتلفزيون». وقال «أرجو أن يتم بث أذان أهل السنة في أوقاتها في المناطق التي يقطنها السنة، كما يجب أن يتم إنتاج برامج للتعريف بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم الأم في برامج الإذاعة والتلفزيون». وأضاف: «يجب على مسؤولي الإعلام أن يبتعدوا عن النعرات الطائفية والفئوية والحزبية وأن يثبتوا حياديتهم تجاه جميع المواطنين». وتشير الإحصائيات إلى أن تعداد السنة في إيران يتجاوز الـ ٢٠ مليون نسمة، وينتمي هؤلاء إلى عرقيات مختلفة كالبلوش والتركمان والعرب والفرس.

موقع الشيخ عبد الحميد إسماعيل زهي، إمام

أهل السنة في زاهدان

عاصمة إقليم بلوشستان السني الذي تحتله إيران

الحول المدمر

قالوا: ١٣ مليون شهيد وجريح ومعتقل ومشرد على يد بشار، ولم يدخل بقائمة منظمات الإرهاب الإماراتية سوى لواء العباس بينما أدخلت ٢٢ جماعة مناصرة للسوريين!!

صويان الهاجري - تويتر ٢٠١٤/١١/١٦

عميل جديد

قالوا: «على غرار حسن شحاتة، أحمد كريمة،

المعروفة اختصاراً بأحرف «بي سي سي».

وأعطت النظام السوري هامشاً ليرحب به، وهذه لعبة تجيدها طهران منذ أيام «المقاومة» في العراق، لاسيما وأنه ترافق مع إفساح عملي في المجال لتواجد أمني واسع لها وغير مسبوق في العراق.

حازم الأمين،

الحياة ٢٠١٤/١١/٩

تقتل القتل وتمشي في جنازته

قالوا: إيران تستغل الخطاب والنهج والممارسات الطائفية التي أشعلتها وغذتها انطلاقاً من العراق، ولاحقاً سوريا ولبنان، واليوم أضيفت اليمن! ثم تقدم إيران نفسها اليوم مع حلفائها كرأس حربة لمواجهة التطرف والجماعات السنية الإرهابية! أخطر ما في التقارب الأميركي مع إيران حسب مسؤولين أميركيين هو طمأننة واشنطن لطهران عن طريق السيستاني والوسيط العراقي أن «العمليات العسكرية في سوريا والعراق لا تهدف لإضعاف إيران وحلفائها! لأن هدفنا داعش وليس احتلال العراق أو إضعاف إيران وحلفائها!»، وهذا ما يستفز ويزعج حلفاء واشنطن العرب في الخليج والشرق الأوسط ويفسره الشارع السني بأنه مؤامرة أميركية - إيرانية ضد السنة!

د. عبدالله الشايجي،

الخليج الجديد ٢٠١٤/١١/١١

العداء الصيني للإسلام

قالوا: فرضت السلطات الصينية على مدارس تركستان الشرقية المحتلة ذات الأغلبية المسلمة، قيوداً بموجبها يتم منع ممارسة الشعائر الدينية في المنازل. وأن أعضاء الحزب الشيوعي الصيني والمدرسين والقاصرين دون سن الثامنة عشرة «يجب أن لا يمارسوا الدين، سواء في المدرسة أو في منازلهم».

ويعيش في تركستان الشرقية أكثر من عشرة ملايين مسلم يشكلون أكبر جالية تنتمي إلى عرقية الأويغور الناطقين بالتركية، وقتل منها الآلاف في صراع مع السلطات الصينية من أجل الاستقلال والتخلص من الاحتلال الصيني.

مفكرة الإسلام ٢٠١٤/١٠/٣١

ووفقاً لهذه المستندات، فإن عصابة «بي سي سي» وفرت الحماية لأعضاء في الحزب مسجونين داخل سجون خاضعة لسيطرة العصابة مقابل إمداد الحزب لأفراد العصابة بالسلاح.

وتابعت المستندات أن التعاون بين الجانبين تركز في البرازيل والأرجنتين وباراغواي، ووصفت المستندات هذا التعاون بأنه «وثيق ودائم».

وتجري السلطات البرازيلية تحقيقات في ضلوع أعضاء من الحزب في تجارة مخدرات واردة من الولايات المتحدة في المنطقة.

موقع النشرة، ٢٠١٤/١١/٩

متى نبدأ بها؟

قالوا: لا ينبغي الركون إلى نظرية المؤامرة لتفسير قصور الأداء للأمة؛ إذ القرآن يؤكد خلاف ذلك: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ مخالفة الرماة. وينبغي دراسة غزوة أحد واستخلاص العبر منها. مخالفة الرماة لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم والهزيمة التي عقبها لم تكن مؤامرة.

من الطبيعي أن يتآمر عليك العدو، لكن هذا لا يفسر هذه القابلية المرضية للامتثال المتكرر لها عبر التاريخ. لنكن صرحاء: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾.

أعتقد أننا بحاجة ماسة لعملية (النقد الذاتي) لسد هذه الثغرات في جدار الأمة، وهي ثغرات مهلكة؛ لذا ينبهنا القرآن: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾.

د. عبدالله النفيسي -

مجلة المجتمع ٢٠١٤ / ١١ / ٨

الخبث الإيراني

قالوا: إيران كيّفت تحفظها على التحالف بما ينسجم مع مصالحها، وها هي اليوم تتحرك وفقاً للأجندة الميدانية للضربات، لكن أيضاً بما ينسجم مع قرارها حماية النظام في سورية. فلم يستعر خطاب تخويني ممانعاتي يدين الضربات ويؤسس لمزاج «مقاوم» يُثبت التحالف بصفته عدواناً. تحفظت طهران على التحالف

منذ عقلت الحروف، ولاحقاً حين تعلمت القراءة، كانت المواد المكتوبة متوفرة في تلك السن الطرية.

ثم كبرت وترعرعت في هذا الوسط، وشهدت خصوصاً مع بقية التيارات، ثم اطلعت على بعض دقائق ما جرى من الخصومات بين الجهاديين وبين خصومهم مما أتاحت لي ظروف الإطلاع عليه.

ثم دخلت ميادين الانترنت في ريعان الصبا، وكان لي فيها معارك طاحنة، رفعت فيها من شأن السلفية الجهادية إلى عنان السماء، وتعرضت لخصومها بالثلب والنقائص.

ثم في مستهل الشباب واصلت حرب القلم، وكنت ممن نافح عن تنظيم القاعدة في كل فروعه، وممن وقف يتلقى النبال ببيانه عن مسخ داعش حين كانوا يتسمون باسم الدولة الإسلامية في العراق، وقد ملكني الله زمام القلم فلم آل جهداً بخوض الحروب الكلامية والخسف بكل من عادى مشروعاً قاعدياً أو مشروع الدولة الإسلامية، حتى كانت ثورة الشام فانكشف الغطاء، وظهر المستور، وأبى الله إلا أن يظهر الحق الذي طالما تترس به كل جاهل سفيه، وشوه وجهه الحسن كل دعي متسلق.

وقد طُبع في فؤادي حب الوضوح الفكري المنهجي، وبغض إغلاق الجراح على فساد، وإن كان يشق على أقوام رجوعهم عن خطأ كانوا عليه، فإن أشق شيء أجده في نفسي أن أسير في طريق تيقنت عواره، وتبينت أشواكه، فأطأ الشوك بعد أن علمت مواقفه ضعفاً وانقياداً لسلطة التيار، وجبناً من تبعات المواجهة والمصارحة؟

مكاشفات قاعدية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

هذا حديث مفتوح، سأعرض فيه لبعض خطرات الذهن والفؤاد عن التيار السلفي الجهادي عامة وعن تنظيم القاعدة العالمي خاصة وحديثي هذا تلمس للفريضة الغائبة «فريضة الاعتبار»، كما كان يقول العبقري أبو يزن الشامي تقبله الله.

فأحب لنفسي وإخواني أن نعتبر من المسيرة، وأن نتوقف في مستراح للتأمل بعيداً عن كل ضغط ومناكفات، مخلصين لله بإرادة الاستفادة مما حدث ويحدث، وتهيئة أنفسنا لما سيحدث

وأجد دافعاً ملحاً يدفع بي للكتابة دفعاً، وذلك قياماً بحق الشهادة لله، وتحري العدل فيها، وتكفيراً عن بلاء أبليت فيه عصارة فكري وحشاشة فؤادي أدافع فيه بكل ما أوتيت من مقدرة على ما ارتأيت يوماً من الأيام حقاً ليس بعده إلا الضلال، فأبدت لي الأيام ما كنت أجهل، وأتاني بالأخبار من لم أزود! وتوجب البيان بعد تغير المعطيات.

أمهد هذه المكاشفات بأن أذكر عن نفسي معلومات مجانية للمشغبين الذين سيشغبون كما هي عادة كل ضيق أفق وقليل فهم، أنا ممن نشؤوا على أدبيات التيار السلفي الجهادي في سن مبكرة، بل في سن الطفولة المبكرة، كان كل ما حولي منذ سن السادسة يهيئ للفكر الجهادي الحاد، من مواد مرئية وسمعية، فكانت حاضنتي حاضنة جهادية صرفة وأدلجتي حدثت

(الراشدة) في العراق!

صدرت حينها بيانات من فصائل سنية عراقية كثيرة توضح أن جماعاتهم تتبرأ ممن انخرط في الصحوات وأنها لا تجيز الجلوس مع الأمريكيان لقتال أي فصيل مجاهد. لا أنسى حينها نظراتنا ونحن نتضاحك ونتغامز بالسخرية والاستهزاء فكنا نقول لن تتطلي علينا كذبات الصحوجية..!

كان بعض المشايخ يقول لنا إنه بلغه عن جماعتنا التي نناصرها كذا وكذا من الجرائم بحق أهل السنة، وإنه جلس مع بعض أفاضل الناس من أهل العراق فنبؤوه بما يشيب له الوليد من استحلالهم لدماء كل مخالف، فلم تتسنى الأيام موقفا قلت له فيه: يكذبون عليهم يا شيخ، فانظر لبياناتهم في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وانظر لاستكثارهم استحلال دماء المسلمين، وإنما أولئك المقتولين مرتدون لا شك!! فيتصاعد النقاش لينصرف كل منا بما يراه، وليقول بعض من شهد هذا الموقف بعد ذهاب الشيخ: هو سروري، فلم الاكتراث بما يقول! أليس السرورية داعمو جيش الصحوات الاستسلامي في العراق؟ فلا عجب أنه يرى حرمة دمائهم!!

وكانت لنا في مناصرة هؤلاء القوم أيام حمراء، مرت سنوات لا يهتز لنا فيها جفن كلما سمعنا نبأ تفجير من طرف الدولة في جموع الصحوات، وكنا نترقب مقاطع الاقتصاص من الخونة، وكانت مناظر الدماء الجارية تمر على أعيننا ولا يخیل إلينا واحدا بالمتة أن فيها قسطاً من الدماء المعصومة.

فالشيخ أسامة يقول أنها دولة الإسلام، والشيخ أيمن كذلك، وعطية الله وأبو يحيى، فهل يجتمع الأكابر على تزكية مشروع مشبوه مغشوش؟ حاشا لهم ذلك لوكيف يعقل أن يكذب علينا أهل الخنادق لنصدق المشايخ أهل الفنادق الحاسدين لدولة الإسلام؟ إن هذه لقسمة ضيزى!

إرهاصات الصدمة:

بعد استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، زعم الأمريكيان أنهم عثروا على وثائق لمراسلات بين الشيخ وبين قادات التنظيم، فلم نلق لهذا الخبر بالا، ومنذ متى ونحن نتلقى معلوماتنا عن المجاهدين من طرف

ما هذا بالقول الرشيد، ولا تلك سجية الأحرار بل هي لسجاياء العبيد أقرب رحماً لويا أسفاه على من جبروا قيمة الحق والحقيقة مطيةً لخصومات التيارات، فعزّت عليهم المكاشفة، وأخذتهم العزة بالإثم. ولسان حالهم: أيقال عنا كذا وكذا ونذعن للخصوم ببعض ما اتهمونا به، بعد أن كان وكان. وبعد مسيرة حافلة من المفصلات والردود والمباحكات؟

فاضحك حينها أخي القارئ، على جيل هذه صفات طلائعه، وهذا حظه من أمراض النفوس، ثم هو يرجو النصر والتمكين، ويرجو السيادة والصدارة، وهيئات هيئات أن يسلم الله ناصية الأمة إلى نفوسٍ اكتتزت بالعقد، وتعاطمت فيها الآفات، ومئت بجهادها فاستكثرت وقفة تصحيح وتوبة واعتراف، ومن يمنن فإن الله غني عن العالمين.

وإني قبل أن أدلف لخطراتي أوضح أنني لست من أهل الجحود، فقد تربيت على أدبيات تعلي شأن حاكمية الشريعة، والانتصار للمظلومين، وترفض الإذعان للمعتدين، وتشحذ النفوس للفداء والبذل والتضحية، وتوطنها على تقبل جحود الصديق، وتكالب العدو، وتجعل من تشرذم المسلمين همها العظيم وشاغلها الكبير، رافعةً راية الاصطفاف الإسلامي ضد كل طاغوت داخلي، ومعتدٍ خارجي، فأنى لي نكران هذا، أو الإزراء بقيمته؟ وكيف لمسلم أن يكون في خيرة من أمره إذا دعي لحاكمية الشريعة، ونبذ القوانين الوضعية، وإجابة داعي الله، ومواساة إخوانه في كل مكان بنفسه وماله وفكره؟

ولكن المحاسن لا تجيز استمراء المعاييب، والموفق من ثبت على ما كان عليه من خير، ورجع عما بدا له من شرّ وفساد رأي، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، جعلنا الله ومن آمن منهم.

سنوات التيه:

كنا أيام العراق لا نصدق في الدولة الإسلامية قولاً، كيف ومن يزكيها هم قادة الجهاد العالمي، ومرعبو الكفر وأهله؟ فكل عدو لها من أهل السنة هو لا شك صحوجي خبيث، والغ في نتن الردة، وكنا نهلل لله ونكبر كلما سمعنا عن ذبح أي معادٍ للدولة الإسلامية

حتى حدث الحدث الذي كان فتحاً من الله من حيث حسبه الكثير شراً محضاً. وكان فاتحة هداية لجموع الشباب المسكين المخدوع.

فسبحان من يكيّد للحق ويدلّ له الدولة، وسبحان من لا تعزّب عنه مثاقيل الذر، فكيف بدماء طاهرة سفكت ظلماً، وكيف بتهمج ووحشية باسم شريعته السمحة مُرّاً زوراً، ما كان الله ليذر هذا الأمر المريج حتى يميز الخبيث من الطيب، تعالت حكمته وجل شأنه.

أعلن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام، ففرحنا وهللنا في الليلة الأولى لخطاب القائد المظفر أبي بكر البغدادي لوقد تربينا في هذا التيار على تسفيه مشورة بقية الجماعات وتسفيه مشورة وجهاء الناس وعلمائهم، فمن خلال تجربة العراق، كان يكفي أن يزعم أبو حمزة المهاجر رحمه الله أن سبع جماعات بايعت لتقوم دولة الإسلام!

فلا عبرة بخلاف أنصار الإسلام ولا جيش المجاهدين ولا الجيش الإسلامي ولا غيرهم من الجماعات الكثيرة التي لم تباع ولم تستشر! ومن ناحية العلماء الذين خالفوا مشروع الدولة الإسلامية في العراق: لم نكن نلقي بالا للسواد الأعظم من العلماء الذين نلزمهم بالقعود ولنلزمهم بالسرورية، فأنى لهم تأييد مشروع جهادي سيسلب بريقهم وينافس قلوب الشباب عليهم، فهم أهل حسد للتيار السلفي الجهادي لهكذا تربينا ورضعنا المنهج!

وأما الشيخ الذي كنا نحفل به ونعده من مشايخ الجهاديين لما خالفنا ونطق بما لا تهواه نفوسنا خسفنا به الأرض، ونسينا سابقته، وسفهناء وحقرناه واتهمناه، ألا وهو الشيخ الكويتي الفاضل حامد العلي فكان إعلاناً لبيان يخالف فيه مشروع الدولة الإسلامية في العراق بوابة لفتح نار الحرب ضده واشتعلت منتدياتنا إبان ذلك بخزايا القول والسفه والجور فكأننا نتكلم عن صبي أحمق طائش، وعن عالم سلطان مأجور، وزاد وتيرة هجومنا عليه بياناً صوتي لأبي حمزة المهاجر حمل فيه حامد العلي مسؤولية الأعراض التي تنتهك بفتاواه ضد الدولة الراشدة، فلا تسل أي موجدة قامت في قلوبنا على الشيخ

الأمريكان؟ قال لي حينها بعض المشايخ أن أنظر لما ورد في المراسلات، وحججني بنظرة أن سنعلم جزءاً من الحقيقة المخفية التي كنا نجادله فيها! فثارت ثائرة الغضب في فؤادي، وتعجبت وحوقلت وأنكرت، وهتفت بانفعال: كيف لك يا شيخ أن تصدق كلام الأمريكيان الكفرة في قادة الجهاد؟ أين الإنصاف والتثبت؟ فكان يقول لي إنها وافقت بعضاً مما علمه من مصادره الخاصة، فغمغت بيني وبين نفسي بأن هؤلاء المشايخ يعانون عقدة تضخم الذات، ويعتقدون أنهم خبراء في كل مجال، وما عسى أن تكون مصادره إلا دراويش من دراويش الناس الحاقدين على أهل المنهج الصافي، هكذا بالحدافير كنت أفكر! لم ألق لتلك الوثائق بالا إطلاقاً. حتى كانت ثورة الشام، وكان الفخر يجللنا بإنجازات الفرع الجهادي الأبرز: «جبهة النصرة» وكنت أعلم كما يعلم بعض الجهاديين أن الجبهة تابعة لدولة العراق الإسلامية، ولكن ذلك لم يعلن رسمياً حينها.

في تلك الفترة كنت ممن شهد مطلع العمل الإعلامي لكتائب أحرار الشام، وشهدت صفحتهم في فيس بوك التي حذفت عشرات المرات، ورأيت أوائل عملياتهم، فأعجبني انضباطهم وإتقانهم ومظهرهم الجهادي الواضح، ولكنني كنت أتساءل عن هؤلاء من يكونون؟ بالدقة كان في خاطري سؤال ساذج «على المنهج هم أم خارجون من ربقته المقدسة؟»

فسألتهم مرة في تعليق فيسبوكي عن موقفهم من القاعدة وكأنني أريد اختبار إيمانهم بهذا!! فلم يجيبوني وأجابوا غيري ممن يعلق، رأيت بعدها في أحد منتدياتنا المنغلقة جندياً من أحرار الشام يعتب على تخلي المنابر الإعلامية الجهادية عن دعم الجماعات الخارجة من سلطان القاعدة والدولة، فوافق كلامه هوى في نفسي ولكنه هوى خجول، مقيدٌ بعقد الحزبيات.

إنما أذكر هذه المواقف لأتذكر كيف كنت أفكر، وأجزم أن كثيراً من الشباب الجهادي كان (وما زال) يفكر بنفس الآلية، مرت الشهور ورصيد الجبهة الشعبي يتزايد في قلوب عامة الشاميين سواء المؤدلجين منهم جهادياً أم حتى عوام الناس وكتائب الجيش الحر،

حينها لوللإنصاف أذكر أن الدكتور أيمن الظواهري رفض هذا الهجوم على الشيخ حامد وأثنى عليه خيرا وحفظ له سابقته، لكنني أشرح الوضع السائد عند شباب التيار آنذاك.

وخذ مثالا على موقف مضحكٍ مبكي، عندما أصدر الشيخ الفاضل حامد العلي فتواه ذهب جمع من الشباب للقائه، وكانوا خليطا بين عراقيين وكويتيين وغيرهم، وكان ذلك في درس الشيخ الأسبوعي، فانبهر شاب شامي من بينهم مبتدرا الشيخ فقال له: أليس ما ذكرته في فتواك يناقض قولك في نونية الجهاد؟ فقال له الشيخ: بالعكس!

فسكت الشامي وسكت الشيخ ليتدخل كويتي في المجلس ويقول: بما أن الموضوع فُتح فلنناقشك فيه يا شيخ! فانفعل الشيخ قليلا وكان يبدو عليه أنه سئم المناقشات الهزلية التي تكررت عليه فقال: لم أفتحه أنا، بل فتحه الأخ (وأشار للشامي)، وإن شئت إغلقه أغلقناه، لكن الشيخ لسعة علمه وحسن تأدبه، قد قبل بمناقشتهم، فناقشهم قرابة نصف ساعة كلما أوردوا موردا دمه بجهة حتى طرق الباب طارق فخرج الشيخ للقاء ضيفه، لينبهي جمع من العراقيين والكويتيين لاستلام زمام النقاش، فتحدث حينها ثلة من العراقيين أن إعلان الدولة تم بدون مشورة الجماعات، وأوردوا كذا وكذا من سائر الاعتراضات المعروفة التي تقال الآن في الاعتراض على التمدد، ولكن لم يصدقهم أحد! فكيف يصدقهم أحد وهم ينطقون بخلاف كلام قادة القاعدة؟ علت أصوات الشباب بعد دخول الشيخ حتى كان نقاشهم صراخا فأسكتهم الشيخ، وانفض المجلس وكان من أمر الشيخ وما لاقاه بسبب فتواه أنه وصلته تهديدات بالقتل من بعض الغلاة، ولا عجب!

كيف لهم أن لا يهددوه وأبو حمزة المهاجر يقول إن الأعراض تنتهك بسبب فتواه الظالمة؟

فهذا المنهج باختصار أدى بنا لتسفيه كل مخالف من أطراف العمل الإسلامي أجمع، بل وللهجوم عليه بضراوة، وأدى بنا للاعتقاد أنه كان يكفي أن تباع الجماعات المعتمدة بماء المنهج السلفي الجهادي المقدس لكي نقيم دولة لنا، فالسلفيون الجهاديون وحدهم هم

من يحق لهم تسلم قيادة الدولة وقطف ثمرة النصر لأنهم أعظم الناس تضحية! هكذا تعلمنا وإن لم يكن بلسان المقال نصاً وإفصاحاً إلا أننا تعلمناه بلسان الحال مفاداً ومؤدًى.

وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن بدعا من القول أن نتقبل التمدد فور إعلانه! فمن بني بناؤه على أصل فاسد كان انحرافه في الفروع أشد كما يقول العلماء، وظننا أن الرياح ستسير بما تشتهي السفن، وبتنا بأنعم ليلة فقد تمدد مشروعنا الجهادي واكتسحنا الساحة بهذا التوحد! حتى أصبح الصباح، وكان خطاب الفاتح الجولاني في مخالفة قرار التمدد، شرارة الصدمة الأولى، والإبرة التي فتقت رُقع المنهج الكثيرة! وأصبحنا في ليلة وضحاها حديث الناس، وبدا للجميع أن انقسامنا سيحدث في الصف السلفي الجهادي لأول مرة!

الاعتراف الأول: كان التخبط عندي واضحا بادئ الأمر، حتى أنعم الله علي بنصيحة مطولة من أخي وهو أحد «أبناء المنهج»، تكلم فيها بكلام من أحسن الكلام، ليس هذا موضع سرده بتفصيله، حدث عندي بسبب كلامه المقنع توقفاً في هذا الأمر وزادت حيرتي فيه!

كان مما قال لي: «أحرار الشام خمسة عشر ألفا، جيش الإسلام كذا وكذا ألفا كتائب كذا وكذا عددها بالآلاف، جبهة النصرة التي خالفت القرار تضم خلقا من الشباب، كل هؤلاء إسلاميون يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا، مشروعهم عادل، وشوكتهم ظاهرة، وكلمتهم معتبرة، يلغون ويشطب عليهم لصالح البغدادي؟ بأي حق وبأي منطق؟».

ذكرني باصطفاف الأمة في معاركها التاريخية مع كل بر وفاجر، وذكرني باصطفاف السلفيين مع الأشاعرة والصوفية، وقال لي: نحن لا نريد حتى دولة يتفرد فيها السلفيون بكافة أطرافهم، فما بالك بأن نظن إمكانية استفراد تيار صغير من تيارات السلفية بالأمر؟ فما بالك أن نظن إمكانية استفراد تنظيم صغير من تيار صغير من أطراف السلفية التي تمثل جزءاً من أجزاء الأمة بالأمر؟ الأمر أكبر منا جميعاً! الاصطفاف واجب الساحة، وتسفيه الناس حراماً وافتئات، واستفزاز الناس

بالوثوب عليهم دون مشورتهم يؤدي لكذا وكذا » ،
أطال لي النصيحة والموعظة ، فكأن دلو ماء انسكب
علي بعد كلامه.

حتى كان منه بعد أخذ وردّ أن سألني عن رأيي في
وثائق أبوت أباد ، فشرعت في قراءتها أخيراً ، وهالني ما
قرأت ، واطمأنت لمصارحته بما أعتقد في هذه الوثائق (
فهو من أهل المنهج ولا حرج من الإفضاء باعترافات الخل
أمامه!!) ، فقلت له إنني أعتقد استحالة تزوير حمير
الأمريكان لهذه الوثائق ، فما قرأته كلاماً مكتوباً
بأسلوب رفيع رصين ، مترابط الوحدات ، متماسك المتن ،
منطقي الدلالات ، محتشد بالاستشهادات الشرعية
وممتلئ بالفقه الواعي ، ولا أظن أن عملاء السي آي إليه
من العرب مجتمعين يقدرّون على كتابة هذا ونسبته
للمشايخ رحمهم الله!

فأراني حينها تركيةً لهذه الوثائق من أبرز قيادات
القاعدة الشرعيين في أفغانستان ، تركية أبي مريم
الأزدي لها نقلاً عن أبي يحيى وشهادتهما بصحتها نقلاً
عن كتاب ((الإعداد الشرعي والثقافي للمجاهد)) لأبي
مريم ، فأيقنت حينها بانكشاف الغطاء ، وطفقت أتفكر
في المسيرة كلها!

ظهور المستور:

كانت الوثائق تفيد أن وهم دولة العراق الإسلامية
إنما نشأ بقرار فردي من أبي حمزة المهاجر عفا الله عنه!
لم يستشر فيه قياداته ولم يستأمرهم ، وكانت قيادة
القاعدة في خراسان غير راضية عن هذا الأمر في
بدايته ولكنها جاملته بتزكيته ومسايرته فيما ذهب
إليه.

تحدث في الوثائق القائد عزام الأمريكي بغضب
وشنع على مشروع الدولة ورأى أن القاعدة ابتلت نفسها
بربط هؤلاء القوم بها وهم أهل تخبط وغلو ، وأنه ينبغي
على التنظيم تركهم.

ظهرت بعد ذلك رسالة القاضي العتيبي وشهادته على
فظائع دولته التي انشقت عنها ، وقد نشرها باجتهاد منه
شخص مجهول ، نشرها باسم مستعار بعد أن وقعت في
يديه ، ولم أنس فجيرة الشباب الجهادي الذي كان يعلم

بأمر هذه الوثيقة وأنها صحيحة في ليلة التسريب تلك ،
لقد دعونا جميعاً على من فعل ذلك بعظائم الأمور ،
فكيف يتجرأ على كشف سوءات (المجاهدين)؟ وطفق
بعضنا يسأل بعضاً ، كيف وقعت في يد هذا الشبح؟
وكانت ليلة عصيبة علينا جميعاً! بات جلياً أن خفايا
تيارنا وجماعاتنا تتناولها الأيدي وهي في طريقها
للانكشاف الكامل أمام ناظر الناس صديقهم وعدوهم!
فلم يعد مجدياً الاعتراض على هذه التسريبات ، بل
المكاشفة والمواجهة والمدارسة لما حدث ، هو السبيل
الأمثل.

تحدث القاضي العتيبي عن الطريقة الدرامية
المضحكة التي نشأت بها الدولة ، فهي لم تنشأ حتى
ببيعة السبع جماعات كما كنا نظن ، بل كانت بيعات
وهمية لجماعات ليست فاعلة على الأرض ، وبعض
الأسماء المذكورة بايعت بمقايضة تعطيلها مناصب في
الدولة مقابل البيعة ، وكان أبو حمزة المهاجر قد قرر
إعلان الدولة ولم يسم الأمير لها بعد ، فالدولة تأتي أولاً
ثم نختار أميرها!

فانظر أي فوضى وأي غش وأي خديعة أحدثها هذا
التخبط والجهل العريض ، وقد شهد بهذا القاضي العتيبي
فاستمر تنظيم القاعدة في تزكيته للدولة ، وقد أنكر
عزام الأمريكي على قاداته ورغم ذلك استمر تنظيم
القاعدة في تزكية الدولة ، وقد راسل أنصار الإسلام
حينها قيادة القاعدة وتظلموا من فظائع الدولة ضدهم
وراسلت عدة جماعات عراقية القادة في أفغانستان ،
فاستمر تنظيم القاعدة (رغم كل هذا) في تزكية الدولة
بذريعة أن ما يحدث في العراق غزو صليبي رافضي ، ومن
المخيف إعلان مفاصلة قد تشق الصف الجهادي في العراق
وتذهب ريحه.

ظهرت حينها رسائل صوتية ومرئية لتنظيم القاعدة من
الشيخ أسامة والشيخ عطية لدفع حرج تزكيتهم لهذه
الجماعة التي يوجد عليها إشكالات منهجية ، فتحدثا
عن حرمة الدماء وخطر التعصب ليعالجوا إشكالية
تزكيتهم للدولة بذكرهم انتقادات لهذه التصرفات ،
ولكنهم لم يسموا الجهات التي قامت بها ، حتى يفهم

الناس أن القاعدة وإن زكت الغلاة فهي لحسن الحظ تنتقد تصرفاتهم!!.

تساؤلات وحيهة: هاهنا يتساءل كل ذكي الفؤاد، متفتح الذهن، منعق من الكهنوت والتقديس :

ألم يخدمنا تنظيم القاعدة؟!

ألم يغش تنظيم القاعدة أمتة بتزكيته لمشروع مشبوه مغالٍ جاهل؟

ألم يدهن تنظيم القاعدة في حرمة الدماء المعصومة بنفخه وتزكيته للدولة التي أهدرت دماء بقية الجماعات العراقية واستباحتها ووصلت رسائل من هذه الجماعات ومن ضمنها أنصار الإسلام السلفية الجهادية إلى قيادة التنظيم، فتجاهلت القاعدة كل هذا لصالح الدولة الإسلامية التي ثبتت بيعتها للقاعدة سابقاً؟

تقول لي إن تنظيم القاعدة يتأول عدم إعلانه لمفاصلة مع فرع الدولة التابع له في العراق، لكيلا يشق الصف الجهادي، فأقول لك إذن لا يفهم تنظيم القاعدة أن استباحة الدولة لدماء مخالفها هو من صميم شق الصف الجهادي في العراق..؟ أليس تنظيم القاعدة بهذا الفهم، يعتبر أن ضمانه حفظ الصف الجهادي في العراق هو في بقاء هذه الجماعة المشبوهة المغالية في الصدارة، حتى ولو استباح دماء مخالفها؟

أليس الدكتور أيمن ترنم قائلًا إلى عهد قريب، قبل المفاصلة مع داعش، في عهد البغدادي الثاني:

جنود أبي بكر تصدوا لردة.. يسعها الدولار يغري ويحشر

يزينها للزائغين عمائم.. أسانيدها إفكٌ وزيفٌ ومنكرٌ؟
تقول لي إن القاعدة أصدرت بيان المفاصلة فيما بعد ووضحت أن داعش ليست تابعة لها، أقول لك: ألم يدلس علينا تنظيم القاعدة حين أوحى ببيانه عدم تبعية داعش له في يوم من الأيام، وقد شهد الجولاني أن أميرهم وأمير داعش هو الدكتور أيمن، وقد ظهرت شهادات سلسلة لمبرزين في جبهة النصرة تفيد بتبعية التنظيمين للدكتور أيمن، وظهرت شهادة صوتية لأبي بكر القحطاني شرعي داعش يعترف فيه بقبولهم لحكم الدكتور أيمن إذا صدر باعتباره أميراً لهم جميعاً..؟

وإنما بيانهم الذي أعلنوه هو براءة من داعش بعد أن

تواطأت الأمة على الإنكار على داعش وبعد عصيان داعش لقرار أميرها؟ أليسوا حين كانوا يفعلون ذات الجرائم في العراق لم يفصلهم التنظيم، وحينما عصوا قرار التنظيم في التمدد قام بمفاصلتهم؟

لقد انفضت الحاضنة الشبابية الفتية عن جماعة الإخوان المسلمين لاشتغال مواقف الجماعة بالتذبذب والمراوغة، وعدم الوضوح والشفافية، أحلال على تنظيم القاعدة أن يراوغنا ويغشنا ويخدعنا، حرام على غيره؟

تقول لي إن دولة العراق الإسلامية تختلف عن التمدد الحاصل، فوجود تلك مشروع، ووجود التمدد باطل، أقول لك كيف صار الوجود الأول مشروعاً وقد ثبت تجاهلهم لشورى بقية الجماعات بشهادة قاضيهم العتيبي نفسه؟ كيف صار وجود الأول مشروعاً وحدوث التمدد خاطئاً، وأمير جيش المجاهدين العراقي أبي عبد الله المنصور يقول للدكتور الظواهري: يا دكتور، إنك استدلت لصحة إعلان الدولة في العراق بسيطرتها على مساحات أوسع من مساحة المدينة في عهد النبي ﷺ، فإنها في الشام تسيطر على مساحات أوسع أيضاً من مساحة دولة النبي ﷺ، فلماذا تقرر الأولى وترفض الثانية؟ أليس هذا تناقضاً؟ قاله الشيخ بما معنى كلامه في كتابه الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم.

تقول لي، إن منهج الدولة الإسلامية في العراق ليس مغالياً والغا في الدماء مثل منهجها في الشام ولذلك زكتها القاعدة هناك ورفضتها هنا. فأقول لك هل تتكرر أن أبرز الجرائم التي حدثت في الساحة الشامية من طرف داعش، حدثت بسبب القيادات العراقية؟ وهذا يعني أنها كانت تفعل ذات الجرائم بأهل العراق ولكن الحقبة العراقية تأخر عنها تويترو فيس الذين امتلأ بالناشطين الإعلاميين الذين يوثقون كل فضيحة، فدُبح أهل العراق بصمت بسكاكين الغلاة، من ذات القيادات التي تذبح أهل الشام، وبلغت قيادة القاعدة هذه الفضائح بشهادة الجماعات التي راسلتها تشتكي حال فرعهم، فتم تجاهل كل هذا وتزكية الدولة؟

وكيف يكون فرعها في الشام مغالياً بينما يكون منبعها صحيحاً سليماً؟ هل يعقل أن يكون منهج القيادات العراقية هذه سليم في العراق لينقلبوا فجأة في الشام إلى

وحوش تقتل المسلمين وتكفرهم؟ تقول لي ثبت فساد فرع الشام بشهادات الكتائب الشامية المجاهدة الخيرة الطيبة، وبشهادة عوام المسلمين، بينما في العراق من كانت تحاربهم الدولة هم الصحوات حصرا، فشهادتهم مردودة.

أقول لك، فكيف تفعل بشهادات قادة الكتائب الجهادية العراقية بفساد فرع العراق، وتوالي مراسلاتهم التي ثبتت فيما بعد وظهرت لنا لقيادة القاعدة في أفغانستان بفساد هذا الفرع؟ أم أن غياب صوتهم وضعف الإعلام إبان ذلك يبيح تزكية أكابر المجرمين؟ وقد شهد بفساد الفرع العراقي وغلوه أنصار الإسلام في مراسلاتهم السرية وجيش المجاهدين وكتائب درع الإسلام التي انشقت عن الدولة ووو!

تقول لي إن الدولة الإسلامية في العراق أعلنت بشورى أكثر الجماعات في مجلس شورى المجاهدين، بينما التمدد لم يستشيروا فيه أحد، أقول لك، قد ثبت أن هذا باطل وكذب من أبي حمزة عفا الله عنه بشهادة القاضي العتيبي نفسه وإفادته أن تلك البيعات وهمية، ومن جماعات لا شوكة لها، تقول لي وما يدرينا أن شهادة العتيبي صحيحة؟ أفنعمت عليها وحدها مقابل تنظيم كامل؟

فأقول لك بل لم يثبت هذا بشهادته وحده، بل كانت شهادته مؤازرة لشهادة عدة جماعات جهادية عراقية معروفة مثل أنصار الإسلام ومثل جماعة جيش المجاهدين التي شهدت بإعلان الدولة في العراق بذات الطريقة التي أعلنت في الشام، وبشهادة أحد أعضاء مجلس شورى المجاهدين بأن قرار الإعلان كان استفرادا من أبي حمزة دون أن يتابعه عليه كل أعضاء مجلس الشورى، وهو القائد عبد الله.

تقول لي لماذا كل هذا التحامل على القاعدة؟ أقول لك بل لماذا حرمة الدم المعصوم واهنة في قلبك، وجناب الشريعة التي شوهاها الغلاة متهتك في نفسك لصالح التنظيمات؟

تقول لي أنككر جهاد القاعدة وبلائها بعد كل هذا لنصورها عصابة مجرمة تزكي المجرمين؟ أقول لك

حاشا لله ذلك، بل نتبع منهج أهل السنة والجماعة الوسط العدل، فهم يثبتون لكل طائفة ما فيها من صفات خير وشر، فقد تُدَمَّ الطائفة من وجه وتُمدَح لوجه آخر. وجهاد القاعدة إن كان يُذكر فيشكر، ولا يُكفر، فإن مصائبها أيضا تُذكر! أفلا تعارض بين شكرنا لجهادها الصليبيين في أفغانستان مثلا وجهادها للحوثة في اليمن وجهادها في كل مكان تتواجد فيه وبين ذكرنا لإشكالاتها المنهجية.

تقول لي ألا نتأول الأعداء لخيرة قيادات الجهاد فلعله لم يبلغهم الأمر على وجهه ولُبس عليهم؟ أقول لك، أما أنا فأني والله أتأول لهم الأعداء، ولكن من يقنع الأمة وبقية الناس بأن يتأولوا لهم كما تأولنا؟

وإن الأمر لا يخلو من أن يكونوا علموا بالحال ثم غشوا فيه فيجب إنكار هذه الطامة، أو أنهم تأولوا لتزكياتهم مراعاة مصالح ومفاسد أخطؤوا قياسها فهاقد ثبت جناية فعلهم وتمدد خطر مجاملاتهم ليس على الجهاد العراقي فحسب بل على الجهاد الشامي أيضا، وحينها يجب أيضا إنكار هذه التأولات التي أفرزت هذه المآلات الفاسد، وإما أن يكونوا لبس عليهم، وإذا كانوا لبس عليهم فلا يؤخذ من مثلهم تنظير وتزكيات لقصور آلتهم الإدراكية عن مواكبة ما يحدث في الساحات الجهادية الأخرى التي يبلغهم نبأها بالمراسلات ولا يعاينون فيها واقع الحال.

تقول لي ألا يُحتمل أن الفساد في العراق لم يكن بصورته الأخيرة لداعش فلم تزكي القاعدة جماعة إجرامية محضة في بادئ الأمر؟ أقول لك بلى، وهذا ظني بالقاعدة، ولكن المصيبة العظيمة أن تجعل مما تعلم طروء بعض الفساد والخلل عليه (باعتبارك لا تقرر أن أساس الدولة فاسد، أما أنا فأني أعتقد قيامها على أصل فاسد فالفساد فيها متأصل وليس طارئاً)، أقول إن المصيبة أن تجعل مما تعلم طروء بعض الفساد والخلل عليه صورةً لدولة الإسلام المشرقة وترفعه للسماء وتبتلي نفسك بتزكيته وتبنيه وقد كان لك مندوحة عن هذا كله بأن تقدر القدر المناسب، فلو كنت لا بد مزكياً

فإن بعض الشر أهون من بعض، وبعض التزكيات أقل من بعض.

والحاصل أن القاعدة قدمت جماعة الدولة في الصدارة وقطعت على نفسها كل خط للرجعة عن تزكيتها فكان تراجعها في نازلة الشام غير متسقا مع سابق مواقفها، والبنائية على أصل فاسد يجعل تبعات الفروع أعظم فسادا فكانت الدولة بعد التمدد أشنع إجراما من سابق عهدها وهذه سنة الله فيما بني على باطل، فماذا بقي من حجج ورقع واهية نستربها سوء ما حدث في حقبة العراق؟

تقول لي فما المطلوب من كل هذا؟ وما الهدف من ذكر هذه المكاشفات؟ إسقاط القاعدة؟ أقول لك أولا، هي شهادة واجبة، وتبيان الحق واجب.

ثانياً إن الدماء التي سفكت ليست (شراب فيمتو) حتى ننسأها لصالح القاعدة وصالح صورتها المشرقة! فكن وقافا عند حدود الله واعلم أن فاطمة بنت محمد لو سقرت لقطع رسول الله ﷺ يدها!

وثالثاً إن المطلوب هو ما اقترحه التنظيم نفسه في وثائق أبوت أباد من إعلان وقفة مراجعة وبيان واعتذار للأمة عما حصل في حقها من تجاوزات، كان هذا الاقتراح متداولاً بين قادة القاعدة أنفسهم ويقرون بمبدئه ولكن للأسف لم نر شيئاً حتى الآن.

أليس من حق الأمة بيان يوضح ملابسات الحوادث التي حدثت، ويعذر إلى الله بالبراءة من الكوارث المرتكبة، ويتعهد بعدم تكرارها في أي ساحة، ويشرع فعليا بإجراءات عملية لتصحيح المسار؟ كيف سنستعيد ثقة الأمة دون هذا؟ كيف نرجو القيام بحق الجهاد الحق دون هذا الوضوح ودون هذه الشفافية؟ من ينتصر للدماء التي سفحت بذرائع مجاملة الغلاة ونفخهم حتى تعملقوا سرطاناً يبتلع العالمين في كل ساحة جهادية، ويكادون يقضون على معقل آمال الأمة بإفسادهم لثورة الشام؟ وهل المصائب التي أحدثوها في الشام إلا امتداد للخطل والإجرام الذي حصل في العراق؟

وهل تكرر ذات الجرائم إلا دليل قاطع موضح للخلل العميق والأمراض الجسيمة التي تكتنف التيار السلفي الجهادي الذي أثبت أنه أسد على الحكومات العميلة

والكفرة، بينما هو نعمة مذعورة مستخذية لشياطين الغلو والجهل المجرمة؟

ليست قضيتنا تنظيم قاعدة أو إسقاط أو رفع شأن، إنما القضية أمانة لم نقم بحقها كما أوجب الله، وتجارب روينها للأمة زوراً، وتدليس رتقنا عليه جروحنا فلم نبال حتى تعفنت الجراح وأزكمت رائحتها الأنوف، فوجب علينا التوقف والمكاشفة والمصارحة والتوبة مما حصل ويحصل والتوقي مما نتوقع حصوله مستقبلاً، من شاء بضرب كل هذا الكلام عرض الحائط فهو وشأنه وما يشتهي.

أما أنا فإني أحترم عقلي ولا أستطيع تحميله كل هذا التناقض، وإن حرمة الدماء المسلمة تعظم في نفسي على كل مجاهد وشيخ وعالم، ولو سفكها بيده صحابي شهد بدرا لبقيت حرمتها في قلبي كما هي، وإنني لأجل نفسي عن الغضب للحزب والجماعة على حساب التجرد للحق والوقوف عند حدوده، فلتذهب التصنيفات للجحيم، كلنا آتي الله يوم القيامة فرداً، والشهادة عظيمة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه.

وللمكاشفات بقية.. وللشجون استطالة وتمادي، وما قلت من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وما قلت من صواب فمن الله وحده.. والحمد لله رب العالمين.

مقال وتغريدات من وحي «منهج رشيد»

مزيج الشام - تويتر

تكررت ظاهرة تمكّن الغلاة في الساحات الجهادية وضياع ثمرة الجهاد وهذا ليس «أخطاء فردية» كما يسميها البعض وليست سرقة لثمار الجهاد ولكن لأن التيار الجهادي في واقعه الحالي وما يعانيه من أخطاء وعيوب ومشاكل أدى إلى تكرار ذات النتائج المخيبة في كل ساحة جهادية.

ابدأ الحديث عن أخطاء التيار الجهادي وأنا ابن ذلك التيار قاتلت من أجله ونافحت، وما أقول ذلك إلا قطعاً للطريق على أصحاب المزادات، أكتب ذلك بعد أن رأيت أن التيار الجهادي مازال يتعمى عن الأخطاء و

يرفض الاعتراف بها، فضلاً عن محاولة تداركها و إصلاحها!

إن «السلفية الجهادية» التي تسودت ساحات الجهاد لثلاثين عاماً قد خلت فشلت فشلاً ذريعاً في حل مشاكل الأمة حالها كحال باقي التيارات، رغم أن السلفية الجهادية لم تبخل في تقديم التضحيات والدماء في مناصرة قضايا الأمة، وضربت في ذلك أمثلة في البطولة والشجاعة، فشلت السلفية الجهادية رغم تقديم التضحيات، لأنها لم تستطع أن تلتحم مع الأمة وتتوحد معها وتقنعها بقضيتها ومشروعها وتجربتها إليه، فتحولت السلفية الجهادية لمجرد حركات معزولة عن الأمة، وتنظيمات شاذة منبوذة من مجتمعاتها، ولعلنا هنا نذكر أهم الأسباب في ذلك:

أولاً: فلسفة السلفية الجهادية: والتي تقوم على مبدأ «جهاد النخب»، وقد أثبت فشله في كل ساحات الجهاد ولا زالت السلفية الجهادية تتبناه، فجهاد النخب الذي يحصر المشروع الجهادي في كوادرم معينة ومنهج ضيق وإطار فتوي لن يستطيع مواجهة التحديات الكبيرة التي تواجه الأمة، ولا شك أن نتيجة مواجهة «نخبة الأمة» مع أعداء الإسلام وأمم الكفر هي نتيجة خاسرة بالتأكيد! والمطلوب زج الأمة كلها في الصراع، فلا بد لأي عمل جهادي حتى ينتصر ويؤتي أكله أن تتبناه الأمة، وتساهم فيه، وهذا ما فشلت في تحقيقه السلفية الجهادية التي أبقتة منعزلاً.

ثانياً: الكبر والاستعلاء، وهو داء استشرى في السلفية الجهادية! فأصبح أبناء هذا التيار ينظرون لباقي أطياف الأمة نظرة فوقية، وذلك لقناعتهم أنهم هم أصحاب المنهج الحق وأن الباطل لا يأتيهم وأنهم على الصراط المستقيم والمحجة البيضاء وغيرهم إما ضال أو.. إلخ

ولعل من أوضح مظاهر الكبر والاستعلاء عند السلفية الجهادية - عدا العزلة التي تعيشها - هو رفض فصائلها مؤخراً لدعوات التحكيم المستقل، على مبدأ «أتسبقني وأنا ابن الأكرمين!» فكيف تتحاكم فصائل السلفية الجهادية مع فصائل اخوانية أو ضالة أو

منحرفة! ولكم في داعش مثال.

وهنا قصة في ذلك: ذات مرة انشأت أحرار الشام محكمة شرعية، وعينت فيها قضاة منها غير مؤهلين، علماً أن البلد تحوي كوادرم كثير...وعندما سألهم أحدهم لماذا لا تعينون فلان قاض وهو شخص كفؤ؟! قالوا له: هذا ليس من المنهج! هذا أشعري! ومن مظاهر الكبر والاستعلاء عند «السلفية الجهادية» أيضاً هو رفض كل صوت إصلاحي أو ناقد وكأنهم معصومون منزهون عن الخطأ!

ثالثاً: التحزب والولاء للتنظيم، وهذه من كبرى آفات الحركات والتيارات الإسلامية عامة، والسلفية الجهادية خاصة، ونتائجها مدمرة، فترى أبناء هذا التيار يأخذون أحاديث «التعاوض والرحمة» فيجعلوها في جماعتهم فقط ولأبناء منهجهم، فيعقد الولاء والبراء على الجماعة، ولعل التحزب والعنصرية عند السلفية الجهادية كان له أثر بارز في عزلة هذا التيار وابتعاده عن الأمة وعدم تعاونه مع باقي التيارات.

رابعاً: حصر الخير في منهجهم، فيظنون أنهم هم الطائفة المنصورة والراية الأتقى، وأنهم هم الوكلاء الحصريين للجهاد في الأمة، مما جعلهم يزدرون باقي أطياف الأمة والتيارات الأخرى. ومخطئ من ظن أن تياره وجماعته قادرة بمفردها على أن تقيم دولة الإسلام!

وهنا يجب أن تعلم أخي القارئ أن الثورة السورية قامت وتحررت عدة مناطق ولم تدخل السلفية الجهادية بعد، وكذلك في عدة ساحات أخرى، ويكفي أن تعلم - على سبيل المثال - أن أسطورة الصمود في سوريا وهي مدينة داريا التي لاتزال محررة، ليس فيها أي جماعة سلفية!

خامساً: الغلو والتتبع في السلوكيات والشكليات، فأصبح اللباس الأفغاني واجباً! والمدخن يطرد من الجماعة ويجلد وكأنه كبيرة لو أصبح لون الراية وشكلها دليلاً على صحة منهجك من عدمه! - علماً أنه لم يثبت في السنة أن النبي أخذ راية مكتوب عليها الشهادتين - والتشدد مع المخالف سنة! حيث تبرع السلفية الجهادية في مناطق مخالفيها واسقاطهم وانظر

كيف جعلوا الإخوان المسلمين شر من العلمانيين، بل إن بعض منظري السلفية الجهادية أجتهد فكفر حكومة حماس والقسام! وآخر يرى السروورية شر من اليهود! عدا التهم والتخوين والسباب!

سادساً: غياب المرجعيات وقلة العلماء، فقد

اجتهدت السلفية الجهادية في إسقاط معظم علماء الأمة المعاصرين بحجة «لا يفتي قاعد لمجاهد»، فتصدر الإفتاء والتتظرة ثلة من حدثاء الأسنان الجهلة، فهذا يفتي بقتل ذراري الشرطة، وهذا يفتي بتكفير كل من شارك في الانتخابات، وأصبحت السلفية الجهادية تتخبط لقلة العلماء الراسخين عندها، وتحول الشرعيون في الجماعات إلى ما يشبه علماء السلاطين! مهمتهم التسويغ، فتحول الشرعيون في الجماعات اليوم إلى ما يشبه علماء السلاطين! مهمتهم تسويغ أفعال الأمير وشرعنة جرائم وأخطاء الجماعة وتبريرها! وانظر كيف تسابق شرعيو داعش لحشد التسويغات لتمددهم للشام وإعلان الدولة وحقيقة الأمر أن البغدادي فعل ذلك خوفاً من انشقاق الجولاني.

سابعاً: الجهل المركب، وقد انتشر في أوساط

السلفية الجهادية وكثر حتى طمى وتعاضم، ونكتفي بالدلالة عليه بثلاث مسائل:

١- إسقاط أحاديث آخر الزمان والطائفة المنصورة والفرقة الناجية على جماعتهم وواقعهم، حتى ظهرت انحرافات سلوكية وفقهية وحتى عقدية! فالقاعدة بالعراق قبل سنوات جهزت منبر المهدي المنتظر ظناً منهم أنه هذا زمان ظهوره! بل توقف الجهاد ببعض القواطع انتظاراً له!

وهذه جماعة قرأت أن الإسلام سيعود غريباً فعزلت نفسها عن الأمة حتى يقال عنهم غرباء! وتطبق عليهم نبوءة النبي رغم أن الغربية مذمومة، وهنا لا بد من التذكير بقول الشاطبي أن الخوارج هم أكثر الفرق استشهاداً بأحاديث الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وآخر الزمان.

٢- مسألة الولاء والبراء: حيث يعتبر كثير من

السلفية الجهادية أن الجهر بتكفير الحكومات والأنظمة واستعدادها هي من «ملة إبراهيم»، بل تعدى ذلك إلى لزوم

تكفير كل من يجتمع مع الكفار أو يتعامل معهم! وإعلان عدواته لهم. وانظر كيف اشترطت داعش على الثوار الجهر بتكفير قطر وتركيا كشرط أولي لقبول التحاكم الشرعي مع باقي الجماعات! وهنا يصح سؤالهم: لماذا التركيز على تكفير قطر وتركيا بالذات؟! هل لأنهما أكثر دولتين وقفوا مع الشعب السوري في محنته؟!؟

٣- البيعات: فالجهل المركب عند السلفية الجهادية أخرج لنا نماذج «مضحكة» من البيعات، وهذا بسبب التوسع في مسألة البيعة والجهل فيها، وانظر كيف كان الجولاني مثلاً يبيع أمير المؤمنين البغدادي وأمير المؤمنين يبيع أمير تنظيم (الظواهري) والظواهري يبيع أمير مؤمنين، فانظر لهذا النموذج الفريد من البيعات التي تشبه معادلة تفاضلية من الدرجة الثالثة!! وسبب هذا الجهل والغلو بمسألة البيعة.

ثامناً وأخيراً: الكذب والتضليل، وللأسف فقد

انتشر مؤخراً عند السلفية الجهادية، حتى ضجت فيه المنتديات وضاق به ذرعا قادة الجماعات، ولعل وثائق أبوت أباد وما فيها من اعترافات لقادة القاعدة أن بعض فروع القاعدة مارست الكذب والتضخيم في نقل الواقع والمعطيات للقيادة، ولعل الصورة المشوهة والمكذوبة التي كانت تنقل للشيخ بن لادن رحمه الله والظواهري الآن كانت سبباً في عدم صوابية قرار القاعدة الأم، وإلا فإنني أعتقد أن الشيخ بن لادن يحمل من الوعي أكثر بكثير مما يحمله من يدعي انتسابه للقاعدة اليوم. وكذب الفروع ضلل الشيخ.

أما التضليل والتضخيم فهو يحصل عادة في تقديم واقع المجاهدين وانتصاراتهم وكم المبالغة فيها، وظروف الساحة! وهذا شواهد كثيرة، ولعل من أقيح ما طرأ في منهج السلفية الجهادية اليوم هو ما نراه من «كذب المصلحة» فقد استحل أقوام منهم الكذب بحجة أنه لمصلحة التنظيم، وقرأوا حديث الحرب خدعة ففهموا منه جواز خديعة الأمة بدلاً من خديعة الأعداء! وانظر كيف كذبت داعش على الأمة بمسألة اغتصاب المهاجرات.

أخيراً: لا أريد أن يفهم من كلامي الطعن بمنهج السلف، وإنما مرادنا كشف عيوب وأخطاء من يدعي

ماذا فعلت داعش؟

د. محمد السعيد - ٢٠١٤/١١/١٨

حين نشرتُ مقالة أنور مالك عن اختراق داعش

تواردت الأسئلة: بعد كل ما فعلته داعش تقولون إنها مخترقة فأزمنت كتابة تغريدات عن (ماذا فعلت داعش؟).

إبان الاحتلال الأمريكي للعراق وبعده بقليل كان

اسم داعش القاعدة في الرافدين ثم إمارة العراق الإسلامية ومما فعلته في العراق ما يلي:

بعث عداوة السنة في قلوب عوام الشيعة وهو هدف إيراني لتكوين الاصطفاف الشيعي وتقويته وإشعارهم بالخوف والجائهم لقبول الاستغلال بإيران.

نجحت إيران في تحقيق هدفها بطريق تفجيرات غير مبررة يقوم بها عناصر التنظيم في تجمعات الشيعة وربما قامت إيران ببعضها ونسبتها لهم وتبنوها.

نجحت المخابرات الإيرانية بإعلامها وصنيع القاعدة بإيقاظ روح العداة الرفضية ضد السنة وتكونت كتائب الموت الرفضية والتي لا تزال تعمل حتى اليوم.

كتائب الصفوية كانت تقتل السنة وإمارة العراق كانت تقاتل المقاومة السنية أيضاً بحجة عمالتهم أو كفرهم والمقاومة السنية تنهزم أمام شراستهم.

استطاع الأعداء الثلاثة إمارة العراق والصفويون والجيش الأمريكي كل فيما يخصه إخمد جميع فصائل المقاومة السنية العراقية.

قليلاً ما يقع التحام قتالي بين عناصر الإمارة وكتائب الصفويين أو الأمريكان، ومعظم نشاط الإمارة تفجيرات ينفذها أبنائنا لا تحسم المعركة.

بعد تصفية المقاومة وتسليم الأرض للصفويين ذابت إمارة العراق وسجن المخلصون من أتباعها وكانوا آلات تتحرك أما المحركون فلا يعرف من أمرهم شيء.

بعد نجاح الثورة السورية ظهرت داعش بمراحلها المعروفة وأعظم إنجازاتها تعطيل الثورة وإنقاذ النظام

وإيجاد الشقاق بين الثوار والاعتداء عليهم.

من إنجازات داعش إيجاد الحجة للنظام العالمي للصلمت عن جرائم الأسد أمام الرأي العام الغربي ثم تحويل الأولوية من إسقاط الأسد إلى إسقاط الثورة.

من إنجازات داعش تفريق اعتصام أهل الأنبار الذي دام عاماً وكاد يودي بالمالكي ودخلت داعش وفرقتها ثم ذابت وبدأ المالكي يضرب السنة محتجا بداعش.

من إنجازات داعش إيقاف ثورة العشائر بإعلان الخلافة وتهديد كل من يخرج على الخليفة المزعوم فتوقفت العشائر خوف الاقتتال وتم إنقاذ الحكومة.

من إنجازات داعش إنقاذ النظام الصفوي العراقي من العشائر وترك بغداد والانصراف نحو الأكراد أعداء النظام الإيراني.

من إنجازات داعش المساهمة في تأمين وصول مقاتلي عصائب أهل الباطل والمليشيات الصفوية إلى أعماق سوريا لدعم النظام وحزب اللات.

من إنجازات داعش محاولة إحداث الفوضى في الشمال الكردي الذي يعد حتى وقت قريب ملاذاً آمناً للفارين من أهل السنة من نير الحكم الصفوي.

أحياناً تقاتل داعش الجيش العراقي ذي الغالبية الشيعية العربية لكون إيران لا تريد جيشاً عراقياً حتى ولو كان شيعياً وداعش أداة جيدة لإضعافه.

من إنجازات داعش إشغال العالم باليزيديين وكوباني عن مجازر الأسد وحصار الغوطة وتقديم حزب اللات، ضوضاء عند الأبواب ليقفز المجرم من النافذة.

يحرص الدواعش على أخذ الشريط الحدودي بين تركيا وسوريا من يد الثوار السوريين لا من يد النظام ليحولوا بين الثوار وأي دعم من جهة تركيا.

حماس المنتمين للفكر الداعشي لحادثة الأحساء يتفق مع رغبة تنظيمهم إحداث الفوضى في المملكة العربية السعودية وجعلها عراقاً ثانية.

من إنجازات داعش دعم المشروع الإيراني في إثارة رافضة السعودية لتحقيق الفوضى هنا، إيران وداعش يعملان الشيء نفسه وليست أول نقاط الالتقاء.

إعلان البغدادي في خطابه طموحه في التمدد نحو

السعودية مع أنه لم يتقدم لفك الحصار عن الغوطة منذ أكثر من سنة دليل على أولويات إيران لديه - الطريق نحو تحرير فلسطين يمر عبر الأردن وليس عبر السعودية ، لماذا لم يعلن تمده تجاهها؟ ذكرني بصدام حسين الذي غزا الكويت ليحرر فلسطين.

داعش التي تزعم نصرتها للسنة كـم جزرت من عشيرة آل بو نمر السنية في العراق وكم قتلت من قبيلة الشيعيات في سوريا ويقولون لا نستهن بالدماء. تصفح تاريخ المواجهات بين جيش الأسد والثوار السوريين تجد نصيب داعش مواجهتين فقط وفيها مقال ، أما البقية فكلها انسحابات للنظام لتمكين داعش.

كم مرة قصفت طائرات النظام الأسد مواقع داعش؟ الجواب ولا مرة ، طبعاً هذا لا يثير استغراب المتعاطفين مع داعش.

وضعت داعش لنفسها قاعدة قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي لتبرر للمتعاطفين تركها الأسد وعصابته والتفافاتها للمسلمين ، والحكم بالردة جاهز. المطلوب من داعش أمريكياً وإيرانياً وصهيونياً هو المشاركة في خطتهم إحداث الفوضى في دول السنة ولذلك اقتصر تهديد البغدادى عليها.

حتى القوات المشتركة التي تزعم أنها تضرب داعش ، لا تضربها حقاً ، وإنما تمنعها من الوصول إلى المناطق التي لا تريد منها أن تصل إليها فقط.

الحق الذي في كلمة البغدادى هو سلامة مقراتهم من ضربات الطيران الأمريكي وهذا لو تأمله المتأمل بعقل لعرف أنه من أوضح الأدلة على تأمرهم معها. لو كانت أمريكا صادقة في قتال داعش لكانت المشاركة معها مثل المشاركة في قتال البعث وقتال بشار لكن أمريكا كاذبة في عداوتها لها.

كانت فكرة القاعدة هي القيام بأعمال من شأنها جر الصليبيين لجزيرة العرب وبلاد الإسلام ليتمكنوا بزعمهم من سحقهم ، أي انهيار استراتيجي هذا.

حرصت داعش على الشئ نفسه وهو إعادة الصليبيين إلى العراق والشام ، ثم يعلو صراخهم بالمنادة بقتال الصليبيين ، ولا يستفيدون من التجارب الفاشلة.

فكرة جلب الصليبيين لمناطق الصراع للقضاء عليهم

ثبت فشلها فما هي أفغانستان علمانية محطمة والصومال واليمن وتريد داعش للسعودية أن تكون كذلك. حديث الرسول ﷺ بغزو الجزيرة ثم فارس ثم الروم ثم كما وصف وبالترتيب الذي أخبر به فتتزلزل الحديث على مؤامرة داعش لعب بالعقول.

غزا أبو بكر رضي الله عنه أنحاء الجزيرة وقمع الردة ووطد دولة الإسلام ثم اتجه للعراق وأتم الله على يد عمر فتح بلاد فارس ثم بلاد الروم.

استكمل فتح آسيا الصغرى في عهد السلاجقة الأتراك في القرن الرابع الهجري ثم فتحت القسطنطينية وشرق أوربا على يد العثمانيين.

أهل البدع أشد الناس حرصاً على تنزيل أحاديث الفتن على الواقع ليثبتوا شرعية وجودهم ولا نعلم فرقة فعلت ذلك إلا انتهى الأمر على خلاف قولها

يدعي أنصار داعش أن الإعلام العالمي عدو لهم ويشوه صورتهم والحقيقة عكس ذلك فالإعلام العالمي هو الذي ضخمهم وهو المستفيد من ذلك.

هذه مواقع التواصل الكبرى التي لا تبعد عن المخابرات الأمريكية (قوقل وتويتر وفيس بوك ويوتيوب) لا تحاول حجب الإعلام الداعشي.

أيها الشباب المحب لدينه اتباع نبيكم في تجنب الفتن (فمن كانت له إبل فليذهب إلى إبله ومن كانت له غنم فليذهب إلى غنمه ...) الحديث.

وأخيراً فإن متابعة ردود أنصار داعش على من ينتقدها تنبيك عن معادتهم وأخلاقهم وعقولهم وستكشف لك فهمهم الضيق للإسلام ، تابع معنا.

تفاعل الشارع الإيراني مع (وصال) (وصفا)

مصطفى حسين - موقع المثقف الجديد ١٤٣٦/١/١٥

لعب وهن الإعلام العربي دوراً بارزاً في قوة التدخل الإيراني ونشاطه في الدول العربية ، ولا يتعلق هذا فقط بالأفكار النمطية الضعيفة التي تتبناها وسائل الإعلام العربية ، بل غالباً يرجع ذلك إلى أن هذا الإعلام يخضع لإكراهات ومصالح الاقتصاد الإعلامي ، ولعلاقاته

وأظهر أن الإعلام العربي لم يبن حتى القليل من

الاستراتيجيات تجاه هذا الإرهاب.

بالحديث عن العمل النضالي للشعوب غير الفارسية المعادية للنظام الفارسي، كما تفعل إيران ضد البلدان العربية. بينما يملك العرب قنوات فضائية متنوعة بلغت حتى عام ٢٠١٠ ما يزيد عن ٦٩٦ قناة، فضلاً عن آلاف الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية المتخصصة والشاملة، ومواقع الإنترنت الإخبارية والإعلامية وغيرها.

حقيقة قناة «وصال وصفا» ومكانتها في الإعلام

العربي

واقع الامر أن هذه القنوات رفعت الستار عن استبداد النظام الفارسي وأسقطت ورقة التوت، وكشفت العورة الإيرانية، وانكشف معها الخبث الفارسي في أوساط الشعوب غير الفارسية والجالية الشيعية في دول العربية. وتجلّى ذلك بوضوح أكبر في الاقاليم غير الفارسية التي تفجرت فيها عوامل الحراك السياسي والاحتقان الاجتماعي منذ عقود، وربما تكون «الأحواز وبلوشستان» من أبرز تلك الأقاليم. فقد سمحت ظروف الهامش الإعلامي لهذه القنوات المتاحة لديها بتحفيز «الشعب العربي والبلوشي» للمساهمة في الإعلام والفضائيات. وأدى إلى التمرد على ثوابت الإعلام الرسمي الفارسي، وتحرير قطاعات واسعة من هذه الشعوب من سطوة النظام سياسياً وعقائدياً. ومن غير المبالغة في هذا السياق القول بأن التضايف والتلاحق الذي نشأ بين هذه القنوات، وبين تقنية الإعلام في شبكات التواصل الاجتماعي أدى الى عجز النظام الإعلامي الفارسي عن احتوائها. كما ساهمت هذه القنوات «وصال وصفا» في تأسيس أجيال واعية وبلورة توجهاتها السياسية والعقائدية والمجتمعية.

يمكننا عن حق أن نستنتج بأن الخطاب الإعلامي الراهن حول إيران في قناة «وصال وصفا» هو نابع عن حقيقة واضحة ويتلخص في معالجة موضوع «وحدة الخطر الفارسي العنصري» ضد الدول العربية، وخاصة المملكة العربية السعودية الركن الركين للعالم الإسلامي

والعربي. ومن طبيعة هذه القنوات أن لها تأثيراً موحها نحو التواصل الاجتماعي بشأن القضايا الحساسة لدى الشعوب غير الفارسية في جغرافية إيران، وتملك تأثيراً إزاء ما يفكر به الناس حول مواضيع مثل «الهوية الوطنية للشعوب غير الفارسية والعقيدة الإسلامية».

واستطاعت هذه القنوات بتوفير عدة شروط أو محددات رئيسية أعطتها مكانتها في الشارع الإيراني، منها:

أ: القدرة على تمثيل الاتجاهات المختلفة داخل المجتمع الإيراني، حيث إنه توجد في جغرافية إيران عدة اتجاهات وشعوب ذات أهداف واحتياجات معينة. واستطاعت هذه القنوات أن تمثل عدة جهات من الشعوب غير الفارسية في جغرافية إيران رغم تنوعه.

ب: حماية مجتمعات الشعوب غير الفارسية المضطهدة في جغرافية إيران، حيث قامت هذه القنوات بحماية هذه المجتمعات بالتغطية الإعلامية، حتى أصبحت مصالح هذه المجتمعات والشعوب في مواجهة مصالح الأنظمة الحاكمة المستبدة.

ج: توفير المعلومات للشعوب غير الفارسية: حيث إن توفير وسائل الإعلام للمعرفة السياسية والعقائدية والاجتماعية يتم لصالح الأفراد والمجتمعات في الوقت نفسه، لكي يستطيعوا أن يتخذوا القرارات الصحيحة. ومن الضروري الإشارة إلى نقطتين لعبتا تأثيراً كبيراً في جذب المشاهدين للقنوات الفضائية مثل وصال وصفا، منها:

أ. أن القنوات الفضائية أصبحت ضرورة إعلامية للشعوب غير الفارسية. بينما لا تملك هذه الشعوب أي اعلام مهني يهتم بها.

ب. تفهم قادة النظام الفارسي، أن الإعلام ليس أمر محتكراً، ولا يمكن غش الشعوب واستعبادها لا سياسياً ولا اجتماعياً. وأن وسائل الاتصال الجماهيري لها تأثير على الشعوب في جغرافية إيران، فقد أصبحت ذات أهمية بالغة الأثر، ليس على الصعيد الإعلامي السياسي فحسب، وإنما على أنماط الحياة العقائدي ايضاً، فهي

تعمل بطريقة أو بأخرى في التأثير على النظام الفارسي، وترك أثراً كبيراً في تشكيل مفاهيم الناس وتصوراتهم عن كذب النظام بكل أشكاله وفي كافة شئون الحياة.

وأبرز مظاهر التغيير التي تمارسه هذه القنوات الفضائية على الشعوب في جغرافية إيران: أ. لا توجد خطورة تبثه هذه القنوات الفضائية في البلدان أو الشعوب التي تستقبلها، ولا تحتكم على ذلك الزخم من المواد الإعلامية الذي يسبب فتنة اجتماعية وثقافية، بل ولا حتى سياسية أو أمنية.

ب. ترفض إقصاء الثقافات المحلية. ج. القنوات الفضائية التي تدافع عن الشعوب المضطهدة في جغرافية إيران تعتبر خطوة ملحوظة لحفظ الثقافات الوطنية لهذه الشعوب في مواجهة الإعلام الفارسي الذي يسعى لتذويب، وطمس معالمها في ظل هذا الفيض الإعلامي الموجه لصالحه.

د. التأثير المباشر على التنشئة الاجتماعية، فالأمر الملحوظ أن تأثير القنوات الفضائية أمثال «وصال وصفا» قد بدأ بارزاً، حيث دخلت القنوات الفضائية المجتمعات المضطهدة واقتحمت الإعلام الفارسي. ما اضطر النظام الفارسي إلى تصدير موجات للتشويش على الفضائيات، وأدى ذلك إلى جدل في إيران حول التأثيرات الصحية لموجات التشويش على الفضائيات، حيث قالت معصومة ابتكار وزيرة الصحة: إن الإشعاعات الصادرة عنها تؤدي إلى خلل في جهاز المناعة (جريدة شرق الأوسط).

ونستطيع أن نجمل أهم إيجابيات هذه القنوات اجتماعياً وسياسياً في الشارع الإيراني على النحو التالي: أ: لها دور في التثقيف والتوعية المجتمعية.

ب: رفع العزلة المفروضة على الشعوب غير الفارسية المضطهدة وتحطيم قيود تلك العزلة.

ج: التشهير بممارسة الحكومات الفارسية التي تمارس الظلم والفساد والقهر على هذه الشعوب.

د: جلب الاهتمام العالمي بالقضايا الإنسانية والحقوقية والاضطهاد بحق الشعوب المضطهدة.

ه: تطوير وسائل الاتصال المحلية لمواجهة النظام

الفارسي.

ز: التقليل من السيادة الإعلامية الكونية التي يسيطر عليه النظام في طهران وقم من خلال الإعلام التي تتحكم وتسيطر عليه، الأمر الذي يتضمن مزيداً من الدعوة إلى التحرر والانطلاق، لتزويد المجتمعات والشباب بالبرامج والمعلومات التي تساعد على معرفة حقيقة النظام. أما الآثار الإيجابية للبث المباشر لقنوات وصال وصفا على مجتمعات الشعوب المضطهدة في جغرافية إيران يمكن تحديد أهمها في المجالات التالية:

أ- الأخبار السياسية والاجتماعية، حيث أتاحت هذه القنوات المشاهد فرصة التعرف على الأنباء والأحداث الواقعة في محيطه، والتعاش مع الحدث والخبر مباشرة. ب- التعرف على كنه التشيع الفارسي واستخدمه لأغراض وأهداف النظام.

ج - ساعدت هذه القنوات الفضائية على تلاقح النضوج الاجتماعي للشعوب المضطهدة، أو ما يمكن أن نسميه بالتفاعل الاجتماعي السياسي بين هذه الشعوب.

وأخيراً لابد من البحث في قضية إغلاق هذه القنوات هل يخدم الاستراتيجية الأمنية الإيرانية. وهل ستفوز إيران إعلامياً وسيخفي الإعلام المقاوم للمد الفارسي في الخليج!

هل وجود الملاحظات على خطاب وأداء هذه القنوات لا يمكن التعامل معها إلا بالإغلاق؟
أسئلة لابد من التمعن في إجاباتها.

أحوازي شيعي «يتسنن»

وطهران تصادر حريته

نايف العصيمي- الوطن السعودية ٢٠١٤/١١/١٤

التحول من مذهب إلى آخر، قد يكلف الكثير، في بلد مثل إيران.. تلك المعاناة لم يتمكن عبدالحميد سهيل الناصري التميمي أحد أبرز شيوخ السنة في الأحواز من تجاوزها، بعد أن قرر ترك المذهب الشيعي والتحول إلى السني.

الأنصاري، وفي حوار مع «الوطن»، كشف عن الكثير من العذابات التي عاشها بعد قصة التحول التي دفعت به لمواجهة تهمة كاذبة ألصقتها به النظام الإيراني وأتبعها بمحاكمة جائرة، اختار عقبها الهروب إلى الملجأ للخلاص مما آلت إليه أوضاعه.

الأنصاري، والبالغ من العمر ٤٥ عاماً، أكد على ضرورة دعم الدول العربية، الشعوب غير الفارسية الموجودة تحت طائلة الظلم الفارسي بأسرع وقت، مشيراً إلى أن ذلك من شأنه أن يقلب معادلة التمدد، لتصبح تقهقراً فارسياً بأياد عربية، موضحاً أن نجاح العرب في هذه المهمة أرجح من النجاح الإيراني لبلوغ مبتغياتها للهيمنة على المنطقة.

أحوازي سني في الـ ٤٥ من عمره، أحد أبرز شيوخ السنة في الأحواز عبد الحميد بن سهيل الناصري التميمي، يروي لنا تفاصيل معاناة أهل السنة والجماعة في إيران مع الاستبداد الطائفي الإيراني، محذراً من انجراف شيعة الخليج العربي خلف «الكذبات الفارسية» واللعب على مشاعر العرب من الطائفة الشيعية من باب الدفاع عن «المذهب».

ليس هذا وحسب بل إن الناصري، كشف عن تجربته عندما كان من أبناء الطائفة الشيعية في الأحواز، وما عاشه من تناقضات، جعلته يبحث عن خلفيات المذهب الشيعي، حتى استقر به القرار إلى أن يتخلى عن كل تلك المعتقدات، ليصبح من أهل السنة والجماعة، وذلك قبل ٢٧ سنة.

وفي عام ٢٠٠٦ وجد الشيخ عبد الحميد التميمي نفسه أمام تهمة كاذبة ومحاكمة جائرة بسبب تحوله مذهبياً من الطائفة الشيعية وانتمائه للسنة، فاختار الهروب إلى الملجأ للخلاص من التهمة والسجن الذي سيحول إلى إعدام.

وأكد التميمي في حديثه لـ «الوطن»، على ضرورة دعم الدول العربية بكل ما أوتيت من قوة، الشعوب غير الفارسية الموجودة تحت طائلة الظلم الفارسي بأسرع وقت، مشيراً إلى أن ذلك من شأنه أن يقلب معادلة التمدد

الفارسي، لتصبح تقهقراً فارسياً بأياد عربية، موضحاً أن نجاح العرب في هذه المهمة أرجح من النجاح الفارسي لبلوغ مبتغياتها للهيمنة على المنطقة.

الحوار الذي أجرته الصحيفة مع عبد الحميد التميمي الأحوازي يحمل الكثير من التفاصيل والحقائق، حول الوضع الذي يعيشه الأحواز في إقليمهم المحتل وإيران عموماً، وإلى التفاصيل:

محاكمة جائرة

من هو عبد الحميد الأحوازي وما قصته مع الحكومة الإيرانية؟

عبد الحميد بن سهيل الناصري التميمي الأحوازي، ولد في الأحواز العربية وبالذات في قصبة جزيرة الصلбоخ التابعة لمنطقة المحمرة شط العرب، وذلك في اليوم الثامن من شهر رجب سنة ١٣٨٩ من الهجرة المصادف ٢١ أيلول سبتمبر ١٩٦٩ ميلادية، متزوج ولدي ٣ أولاد وبناتان.

كنت على دين ومعتقد الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وتحولت إلى عقيدة أهل السنة والجماعة. كان ذلك قبل ٢٧ سنة تقريباً، بعد مروري بفترة شكوك بعقيدة قومي وأجدادي حيث كانوا من الشيعة ووصلت لنا هذه العقيدة عن طريقهم أيضاً.

وأقول وبعد فترة من الشكوك والمطالعة والدراسة في العقيدتين الشيعية وعقيدة أهل السنة والجماعة، ثبت لي بطلان معتقد قومي وصحة عقيدة أهل السنة والجماعة، فلذا تحولت بفضل الله تعالى إلى معتقد أهل البيت عليهم السلام الحقيقي، ألا وهو عقيدة أهل السنة والجماعة. وبسبب تحولي تعرضت إلى مضايقات وأذى من الناس وفي فترة التجنيد العسكري الإجباري، وكذلك في فترة دراستي الجامعية وبعدها حيث منعت من العمل في جميع الدوائر الحكومية والشركات الخاصة والعامة وباقي مؤسسات الدولة الإيرانية وكنت أعمل وأمارس التجارة الحرة في السوق.

وبعدها أي في عام ٢٠٠٦ تم اعتقالني برفقة مجموعة من إخواني المهتدين، وبعد ٤ أشهر من مكوثي عند أمن

إلى ٤٥ تحت الصفر. كنا نستعمل الفحم الحجري للتدفئة في البيوت وكان أهل أغري من إخواننا الأكراد، يعرفوننا ويعرفون سبب هجرتنا، ولكن للأسف كانوا قد خدعهم الدعاية الإيرانية ومحاربة الاستكبار العالمي وأميركا وغيرها من الشعارات التي تطلقها الدعاية الإيرانية، التي باتت مضحكة للناس أجمعين.

كانت هجرتي خشية من الفتنة في الدين وصدور حكم الحبس بحقي وقد ذكرته آنفا واحتمال تغيير هذا الحكم من ١٠ سنوات إلى شيء آخر، فإن الأحكام تتغير عادة خاصة بحق أهل السنة والجماعة، وقد حدث ذلك للأخ الناشط الكردي فتاحيان حيث حكموا عليه أولاً ١٠ سنوات، وبعدها تغير حكمه إلى الإعدام، وتم إعدامه في شتاء ٢٠١٠. نصحني بعض الإخوة وخاصة المحامين بترك البلاد، والهجرة وأن لا أبقى أنتظر، فلذا دفعت مبالغ الكفالة للكفيل وخرجت مهاجراً مع أهلي وأولادي وأنا مكره على ترك بلدي وبيتي وأبي وأمي وإخوتي، ولم أخرج طالبا للدنيا ولا لشيء لأنني كنت أمارس التجارة ولست محتاجا لشيء من هذا والحمد لله.

لشعبة الخليج: احذروا

ماذا تقول لأبناء الطائفة الشيعية في الخليج العربي وهل من مقارنة بينهم وبين شعبة الأحواز المحتلة من حيث الحياة الاجتماعية والاقتصادية؟

أقول لا توجد مقارنة بين الشيعة في الخليج وشيعة الأحواز أصلاً، حيث إن شيعة الأحواز تمارس عليهم العنصرية الفارسية، وهم محرومون من أبسط حقوقهم المعيشية والإنسانية، لا يسمح لهم بالدراسة بلغتهم ولا يسمح لهم بإظهار حتى لبسهم العربي ولم يسمح لهم بالوظائف والمناصب العليا في بلدهم، إلا من يترك العربية وأصوله ويصبح فارسياً كلياً ويغير حتى اسم أسرته من العربية إلى الفارسية ويصبح عميلاً يبيع أهله وقومه، ولا يسمح لهم حتى بأن يسموا مواليدهم بالأسماء التي يريدونها، كالأسماء العربية وهذا أبسط الحقوق، ولا يوجد لهم وقف خاص بهم ولا جمعية خيرية ولا محكمة ولا أحوال شخصية، في حين من أرضهم يستخرج ٩٠٪ من البترول الإيراني الذي هو عمود الاقتصاد الفقري،

الدولة والحبس المنفرد تم الإفراج عني بكفالة؛ وبعدها بعام واحد اعتقلوني أي في صيف عام ٢٠٠٧ ومن ثم أفرجوا عني بكفالة أيضاً، على أن تتم محاكمتي بعدها. واستمرت محاكماتي حتى عام ٢٠٠٩ وفي الشهر السادس من تلك السنة حكموا علي بالحبس النافذ ١٠ سنوات، وبالنفي ١٠ أعوام أيضاً خارج الأحواز، بعدما حاولوا عودتي إلى التشيع ولكن الله ثبتني على دينه.

وكان ذلك كله لأنني تحولت إلى عقيدة أهل السنة، مع العلم أنني لم انتم إلى أي حزب ولا أي حركة سياسية ولا قومية ولا ثقافية ولا اجتماعية. الكل يعرف هذا عني، هذا وقد وجهت لي تهمة تهديد أمن البلاد والدعاية ضد النظام. وبعدها هذا الحكم الجائر اضطرت إلى أن أهاجر بأهلي وأولادي وبرفقة إخواني الذين اعتقلوا معي أيضاً وحكم عليهم بالسجن لمدة ٥ سنوات لكل واحد منهم.

الهرب من الفتنة

ولماذا اخترت الهجرة؟

خوفاً من الفتنة في الدين. حيث إن السجون الإيرانية يمارس فيها ضغوط شتى في هذا الباب، وقد تجبر على ترك دينك خوفاً وتعود إلى التشيع، وهاجرنا إلى تركيا وسجلنا عند مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، وبعد مدة طويلة حوالي ٤ سنوات ونصف تم ترحيلي إلى جمهورية فنلندا، وأنا الآن موجود فيها وقد تم ترحيل إخواني الآخرين إلى بلدان أخرى.

كيف ذهبتم إلى تركيا؟

خروجي إلى تركيا كان عن طريق الجبال، حيث سحبت الدولة الإيرانية جواز سفري، وأصدر النائب العام في البلاد حكم بمنع سفري وقد تم سحب جوازي في مطار شيراز، لذا اضطرت أن أخرج مشياً على الأقدام، على يد بعض الإخوة الأكراد من حدود أرومية أذربيجان الغربية، برفقة اثنين من إخوتي، حوكما معي .

وبعد ١٦ يوماً، وصلت إلى مدينة أغري التركية، التي تبعد عن الحدود الإيرانية ١٢٠ كلم. لكن بسبب وجود الحواجز الأمنية كان ذلك يستوجب أن يتغير المسير والطريق. مدينة أغري من أبرد المناطق في العالم وتقع بالقرب من قمة أراارات التركية وتصل فيها درجة البرودة

لكن صلابة الجيش العراقي وقوة قيادته ودعم الدول العربية ووجود موقف عربي حازم وموحد، جعل الدائرة عليها وهزمت شر هزيمة وتجرع الخميني في إثرها كأس المرارة باعترافه بذلك، بعد قبول قرار مجلس الأمن ٥٩٨ مرغما ومن دون قيد أو شرط، وهذا يعرفه كل من عاصر تلك الأحداث.

وسبب تمدد إيران في المنطقة من جديد، هو الخلل الذي حصل في المنطقة، وذهاب توازن القوى فيها، والذي كان العراق أحد أطرافه. السبب في ذلك كله خطأ صدام حسين في غزوه دولة الكويت في أغسطس ١٩٩٠، الذي كان سببا رئيساً في حصار العراق ومن ثم احتلاله. هذا الخلل وبعده غياب موقف عربي حازم وموحد من قبل الدول العربية، ومغازلات أميركا والغرب عموماً لإيران واتفاقها السري معها من تحت الطاولة، يمثل إطلاق يد إيران، وتركها تلعب وتعبث في المنطقة العربية، ما جعل إيران تتماهى في غيها. لكن الثورة السورية كشفت خبث إيران وازدواجية المعايير لدى نظامها، وكشفت حقدتها ومكرها، ويعلم الجميع أن إيران منهكة اقتصادياً ولو تم دعم الثورة السورية وانتصر ثوار سورية وسقط عميل إيران، ستكون بداية سقوط المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة.

في السابق كانت شعوب المنطقة تعيش حالة عداوة موحد مع إسرائيل، الآن دخلت إيران على الخط، أليس كذلك؟

إيران أصبحت منبوذة في المنطقة مثل الكيان الصهيوني. هذا مؤشر على سقوطها. إيران جلبت لنفسها عداوة أمة الإسلام كلها، بعد ما كانت ترفع شعارات معاداة الاستكبار العالمي وغيرها من الأكاذيب. المشكلة الآن أن إيران لم تدخل بالكامل في المواجهة إلا نادراً، والذي ينفذ مخططات إيران هم بعض الشيعة العرب الموجودين في بلاد المسلمين، ممن تعمل على استغلالهم تحت شعارات الطائفية البغيضة، لتجعلهم مطية لتنفيذ مآربها، ولذلك أصبحت تسوقهم إلى المهالك في سورية والعراق واليمن، وهي لا تتحرك ولا يصيبها ضرر إلا قليل، ولولا هؤلاء المدفوعون بالحقن الطائفي لما

وكذلك الغاز أيضاً معظمه من أرضهم وبلادهم، ولم يكن نصيبهم منه سوى الدخان والتلوث البيئي. هم محرومون حتى من شرب الماء الصافي حيث تم سرقة ماء معظم الأنهار التي تجري في الأحواز مثل نهر الكارون والكرخة وغيرها وتحويل معظم روافدها إلى أصفهان ورفسنجان وباقي المناطق الإيرانية، والذي لا يصدق كلامي من شيعة الخليج فليقتضل يزور الأحواز ويرى بعينه ما نقول وليكن هو الشاهد والحكم.

أنا زرت في السعودية محافظة الأحساء والقطيف وبعض قراها، ورأيت بعيني أن تلك المدن والقرى في عمرانها وبيوتها وطرقها ومراكزها الصحية العالية التي تشبه مدن وقرى الدول المتقدمة في كل جوانب الحياة. وأخص بالقول شيعة السعودية، وأحثهم على أن يحمداوا الله لما هم عليه من نعمة ورخاء وحرية عقيدة ودين ولم يكرهوا على ترك عقيدتهم، وأقول لهم «لديكم المساجد والحسينيات والجمعيات والنوادي والتجارة ومعظم الأسواق في المنطقة الشرقية، ولديكم شركات ومؤسسات ومحكمة خاصة بكم، وتدرسون بلغتكم وأنتم تعتبرون مواطنين سعوديين كسائر المواطنين في الرياض والقصيم ومكة والمدينة وعسير وجازان وغيرها، تعملون في معظم الشركات وخاصة شركات النفط وغيرها من الشركات، يا شيعة السعودية أنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وأعراضكم وهذه نعمة لا يقدرها إلا من فقدها، فاحذروا دعاة الفتنة».

سقوط المشروع

كيف ترى أو تتوقع مستقبل إيران على الخريطة السياسية، مع كثرة الصراعات التي تسببت طهران بافتعالها؟

إيران بعد ما يسمى بالثورة، قامت بمحاولتين للسيطرة على المنطقة، الأولى في بداية الثمانينات وهي حرب الـ ٨ سنوات مع العراق، حيث كانت طرفاً مباشراً فيها .

وفي بدايتها رفضت إيران جميع الوساطات الدولية والإسلامية والإقليمية، وكانت تطمح في احتلال العراق عسكرياً وقد حشدت لهذا الجموع، وأعدت له عدتها.

استطاعت إيران أن تتمدد بهذا الشكل الذي نراه. أنا أقول إن إيران قد اجتازت الخطوط الحمراء، ولهذا يجب لجمها، واتخاذ موقف عربي حازم، والضغط عليها. ومن أهم هذه الضغوطات دعم القوميات الموجودة ضمن الخارطة الإيرانية التي تعاني التهميش والاضطهاد. أتوقع انهيار إيران وسقوط مشروعاتها الثاني كما سقط الأول في حرب الثمانية سنوات وستكون بداية انهيارها في سورية بعون الله.

القمع مذهبيا

حدثنا عن اعتقالات الشيوخ من أهل السنة والجماعة في إيران؟

بخصوص ما يجري على أهل السنة والجماعة في إيران عموماً، نقول إن البطش والتككيل للذين تمارسهما الحكومة الصفوية العنصرية لم يرى أهل السنة والجماعة مثله منذ مجازر إسماعيل الصفوي في القرن العاشر الهجري. وما قام به ذلك المجرم بحقهم في ذلك الزمان. وهذه الحكومة الطائفية اليوم ومنذ وصول الخميني إلى إيران قامت بأبشع الجرائم بحق أهل السنة والجماعة، ومارست عليهم شتى صنوف الاضطهاد والبطش والتككيل. هدمت المساجد وخربت المدارس وقتلت الكثيرين من العلماء وطلاب العلوم الدينية، وهجرت وسجنت وعذبت الآلاف منهم منذ عام ١٩٧٩ وإلى يومنا هذا .

وصل الحال بأهل السنة أن تمنى العديد منهم أن يحكمهم اليهود والنصارى وغيرهم، خير من هؤلاء الطائفيين، فالذي يتعرض له أهل السنة والجماعة في إيران من ظلم وعدوان، أبشع مما فعلته الشيوعية في حكمها للاتحاد السوفيتي سابقاً، وكوريا الشمالية، ولا حتى ميانمار ولا غيرها، أولئك كانوا يصفون خصومهم السياسيين ومعارضهم فقط، ولكن هؤلاء في إيران اليوم يمارسون الاضطهاد والتهميش والقتل لكل شيء وعندهم طرق في القتل والإرهاب لا يعرفها أحد غيرهم. قتلوا العديد من علماء السنة والجماعة، بدءاً بأحمد مفتي زاده الكردي، وبهمن شكوري، والعلامة محمد ربيعي الكردي إمام السنة في جوانرود كردستان، مروراً بالشيخ محمد صالح ضيائي الذي

عذبوه وبعدها قتلوه ورموا جسده في عقبة من الجبل ورموا سيارته في الوادي بالقرب منه، ليؤهموا الناس بأنه مات بحدوث، لكن الله فضحهم وخرج ضابط من جهازهم الأمني واعترف بالجريمة، وكيف قتلوا ضيائي رحمه الله.

هكذا فعلوا مع الدكتور أحمد صياد ميرين البلوشي عند ما خطفوه ورموا جسده في قارعة الطريق في مدينة ميناب شرق بندر عباس، وكذلك إبراهيم دامني وعلي مظفريان. هناك العشرات بل المئات من العلماء وطلاب العلوم الدينية من الذين قتلوههم ومثلوا بهم.

صناعة التحول اليمني من الزيدية للجعفرية

د. محمد بن صقر السلمي - مكة أون لاين ٢٠١٤/١١

الحالة اليمنية ليست أفضل من نظيرتها السودانية لناحية التدخل الإيراني، إذ إن هذا التوغل الإيراني في الداخل اليمني أكبر وأشد خطراً منه على الساحة السودانية، ولا سيما في وجود جماعة مسلحة وقيادة مؤدلجة ومبرمجة من قبل إيران.

وأعني هنا الحركة الحوثية، أو ما يعرف بـ«أنصار الله»، فبعد الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م، حظيت اليمن باهتمام إيراني كبير في الجانب الجغرافي والثقافي والديني بسبب وجود المذهب الزيدي الشيعي الذي يشكل أتباعه قرابة ثلث الشعب اليمني البالغ قرابة ٢٦ مليوناً، وبناء على ذلك يمكن عرض هذه القضية في قالب جغرافي ديني.

تقاتل إيران في المنطقة مدفوعة بهوس الزعامة الإسلامية وتصدير الثورة ومشروع سياسي توسعي تجاه المنطقة العربي، ويظهر هذا المشروع السياسي التوسعي بوجوه مختلفة حسب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذه الدولة أو تلك.

وترى إيران في الحركة الحوثية الشريك الجيد بالنسبة لها، ويمكن أن تلعب دوراً فعالاً في تحقيق طموحاتها السياسية والمذهبية في جنوب الجزيرة العربية،

إلى جانب أذرعتها في لبنان والعراق وسوريا.

دائما ما تحت إيران الحركة الحوثية بشكل

مباشر أو غير مباشر، على التمرد والعصيان وإطلاق صيحات الحرب مع العزف على وتر المظلومية والحرمان والظهور بمظهر الجانب المضطهد والمغلوب على أمره.

ويتناسى الجانب الإيراني أن أدبيات المذهب

الجعفري الاثني عشري، مليئة بالاتهامات لأتباع المذهب الزيدي، وأنهم ينكرون على من يلحق الزيدية بالإمامية، لأن الإمام زيد بن زين العابدين ليس ضمن أئمتهم الاثني عشر.

من جانب آخر، يشنّ علماء الزيدية على المذهب

الجعفري الاثني عشري ويعتبرونه منحرفا عن الطريق الحق، ومن هنا يبرز أن اهتمام إيران بالحركة الحوثية والمجتمع الزيدي في اليمن، نابع من أهداف سياسية بحتة، وليس أخوة دينية مذهبية كما تحاول طهران تصويرها.

مع هذا كله، يروج الإعلام الإيراني لتحركات

الحركة الحوثية في اليمن ودعمها من خلال تقارير ومتابعة دقيقة لما يجري على الساحة اليمنية، وقد تجاوز الأمر ذلك إلى الحديث صراحة عن ارتباط الحركات الحوثية بطهران، وأن أي نجاح لها يعد نجاحا لإيران وتحقيقا لأهدافها ومشاريعها السياسية في المنطقة.

وعلى الجانب الآخر، تحاول إيران «شيطنة» دور

مجلس التعاون لدول الخليج العربية وتحذيراتها من تطور الأوضاع في اليمن نحو حرب أهلية، والحديث عن أن دول الخليج العربي لا تريد الخير لليمن وأهلها.

تفكك اليمن يعد انهيار مشروع الوحدة اليمنية

والذي بدأ في منتصف عام ١٩٩٠، وبالتالي العودة إلى تقسيم اليمن إلى شمالي وجنوبي خيارا جيدا لإيران، حيث ستسعى طهران بكل قوتها إلى توطيد علاقتها من اليمن الجنوبي، نظرا للأهمية الجيو- استراتيجية التي تحظى بها وإطالاتها، كما تقدم، على بحر العرب وقربها من مضيق هرمز ومضيق باب المندب، وبالتالي يصبح مضيق باب المندب ومضيق هرمز بين كماشتي إيران.

أما بالنسبة لليمن الشمالي، فسوف تستمر إيران في

دعم الحركة الحوثية عسكريا (بعد وجود منفذ بحري تحت سيطرة الحركة) ولوجستيا واستخباراتيا، عليه، فإن إيران تحاول جاهدة أن تكون جاهزة لكل الخيارات المتوقعة، ولعل الدور الآن على دول المنطقة لقطع الطريق على إيران والتحرك في الاتجاه ذاته وفي الوقت المناسب.

تلميع الحوثيين يحاول الإعلام الإيراني تلميع صورة

الحركة الحوثية وتقديمها أمام القارئ الإيراني بصورة القيادة الحكيمة والمعتدلة البعيدة كل البعد عن الصراعات المذهبية والإيديولوجيات الإقصائية.

فعندما قامت الحركة الحوثية بافتحام العاصمة

صنعاء تحدث الإعلام الإيراني عن إقامة صلاة

الجمعة للشيعه خلف إمام واحد في منطقة سنية جنوب العاصمة صنعاء وحضرها عشرات الآلاف، كما تمت إقامة صلاة الجمعة لأتباع المذهب السني في المنطقة ذاتها.

وهذا دليل قوي على أن «أنصار الله» لديهم القدرة

الكاملة على قيادة جميع الشعب اليمني وتمثيله.

علاوة على ذلك، تروج إيران لشائعة تم تداولها في

الإعلام الإيراني تتحدث عن أن الحراك الحوثي لم يلجأ إلى استخدام الأسلحة أو رفعها أو حملها أيضا خلال المسيرات المناهضة للحكومة وإن ذلك يثبت حسن نية الشيعة في اليمن، على حد زعمها.

وتقارن إيران بين حركة الحوثيين في اليمن

وحزب الله في لبنان، وترى أن هاتين المجموعتين جزء

من حلفاء إيران، فحزب الله أدى إلى وجود إيران على الحدود الشمالية لإسرائيل، بالتالي أصبحت جارا شماليا للنظام المحتل، ووفقا لهذه القاعدة يمكن الزعم أن إيران قد تصبح قريبا الجار الجنوبي للمملكة العربية السعودية، في حالة تحقق ذلك، فإن إيران ستضع السعودية تحت ضغط مباشر فيما يتعلق بالمعادلات السياسية في المنطقة أكثر من أي وقت مضى.

هذا الأمر تحدث عنه علي أكبر ولايتي وزير

الخارجية السابق، رئيس مركز الدراسات

قامت إيران بتأسيس ودعم قنوات تلفزيونية في سوريا ولبنان للمعارضة اليمنية.

وعلى الرغم من الأدلة الدامغة التي قدمتها الأجهزة الأمنية اليمنية حول التورط الإيراني في الشأن الداخلي اليمني إلا أن إيران، وكما هو متوقع، تنفي دائما مثل هذه الاتهامات وتكذبها.

وترى إيران أنه في حالة انتصار الشيعة وحركة أنصار الله، فإن حدثين مهمين سيقعان في اليمن: أولا، ستتم الموافقة على تأسيس إقليم مستقل في شمال اليمن يحظى بصلاحيات كافية وسينجم عن ذلك منطقة آمنة تماما وتكوين دولة شبه مستقلة للحوثيين وعاصمتها صعدة. ثانيا، سيتم تشكيل حكومة يمنية مركزية تحت نفوذ الشيعة وستتحول صنعاء إلى حليف قوي لإيران.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاتجاه: هو كيف سيكون حجم الوجود الاستخباراتي الإيراني في اليمن إذا ما سيطرت الحركة الحوثية على الأوضاع في اليمن وتمكنت من الفوز بمنافذ مائية تسهل عملية التواصل مع الجانب الإيراني بعيدا عن أي مضايقات من الحكومة المركزية التي تعاني في الوقت الراهن من ضعف كبير في إدارة البلاد؟

المستوى التاريخي في تعاطيهم التاريخي مع الحالة اليمنية، يحاول الإيرانيون اللعب على مسارين رئيسيين، أحدهما يتمثل في التركيز على خلافات اليمن ومصر من جهة والمملكة العربية السعودية، من جهة أخرى، خاصة خلال النصف الثاني من القرن العشرين ومن نتائج ذلك الإطاحة بالإمامة في اليمن.

صور الإيرانيون هذا الحدث بالصراع بين الاتجاهات اليسارية والاشتراكية وبين القوى التي تطلق عليها إيران مسمى «القوى الرجعية»، إضافة إلى ذلك، يكرر الإعلام الإيراني أحداث التوتر في العلاقات السعودية اليمنية والمعاركة التي حدثت بين القوات السعودية والحوثيين في جبل دخان على الحدود السعودية - اليمنية في ٢٠٠٩، بهدف توطيد وترسيخ العداء بين اليمن (ممثلا في الحوثيين) والسعودية، وتم تقديم الحركة الحوثية بأنها خرجت منتصرة على الجيش السعودي، وأن ذلك خلق تعاطفا بين شرائح

الاستراتيجية التابع لمجلس تشخيص مصلحة النظام والمستشار السياسي للمرشد الأعلى علي خامنئي عندما قال إن هناك تحولا فريدا من نوعه في تاريخ اليمن، معتبرا «الانتصارات المتلاحقة للجماعة تدل على أنها جاءت بشكل مدروس ومخطط»، كما أعرب ولايتي في تصريحات نقلتها وكالة «إيرنا» الإيرانية الرسمية عن أمله بأن تقوم الجماعة الحوثية في اليمن بنفس الدور الذي يقوم به حزب الله في لبنان، وأوضح أن حزب الله يحارب إلى جانب جيش بلاده ضد أولئك الذين يستهدفون لبنان. وأضاف أن إيران تعتبر جماعة أنصار الله في اليمن «جزءا من الحركات الناجحة للصحة الإسلامية».

المستوى الفكري تعرض الحوثيون لعملية «أدلجة» تدريبية نتيجة التأثير بالنموذج الإيراني واستراتيجيات تصدير الثورة الإسلامية. لقد نجحت إيران خلال العقدين الماضيين في خلق وجود قوي لها في الداخل اليمني بدءا من استقطاب بعض الطلبة اليمنيين من أتباع المذهب الزيدي وتقديم المنح الدراسية في الجامعات الإيرانية، حيث يتم التأثير عليهم وأدلجتهم تبعا للتوجهات السياسية الإيرانية والمذهب الشيعي الاثني عشري المعتمد في إيران.

كما نجحت إيران في استقطاب أسماء كبيرة وقيادات مؤثرة داخل المجتمع الزيدي في اليمن مثل بدر الدين الحوثي وأبنائه، وبالتالي تم التحول الأيديولوجي لهذه القيادات من المذهب الزيدي إلى الاثني عشري ومن ثم الترويج لذلك في الأوساط الزيدية إضافة إلى عامل الدعم المادي والمساعدات العينية في المناطق ذات الغالبية الشيعية الزيدية بهدف استمالة قلوب أبناء هذه المناطق وحقق ذلك نجاحا ملموسا في تلك الأوساط، وفي إطار الأيديولوجية الشيعية الاثني عشرية تمثل اليمن أيضا أهمية قصوى لإيران فالمذهب الجعفري الإمامي يرى أن اليمني الذي يظهر قبل الإمام المهدي، ويكون من أنصاره عند ظهوره يخرج من أرض اليمن.

المستوى السياسي يدرك المتابع للحالة اليمنية مدى تورط إيران في الداخل اليمني من خلال دعم الجماعات الحوثية، وزرع خلايا تجسس إيرانية ومحاولات تهريب أسلحة وفقا لتقارير وتصريحات يمنية رسمية قبل الثورة التي أطاحت بالرئيس علي عبدالله صالح وبعدها. كما

المجتمع اليمني مع الحركة الحوثية ومنحت الحوثيين بعداً قومياً.

أما المسار الآخر فتمثل في استدعاء العلاقة بين

إيران واليمن عبر التاريخ، بدءاً من العصر الأخميني (القرن السادس قبل الميلاد)، فالساساني، ومروراً بالدولة الفاطمية، وانتهاءً بالبهلوية ثم الجمهورية الإسلامية، في هذا الإطار التاريخي بمساربه العربي والإيراني، كانت الفكرة الرئيسية تقديم إيران في ثوب الحريصة على دولة يمنية تقدمية ومستقلة والعزف على ما قدمته إيران من «خدمات إيجابية» لليمن عبر التاريخ، وفي المقابل، تصوير الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بالعدو الرجعي المتربص باليمن الذي يخشى ذكاء اليمنيين وقوتهم، وأن التطورات في اليمن سوف تنعكس بشكل أو بآخر على السعودية.

المستوى القومي ركز الإيرانيون في تعاطيهم مع

الأوضاع في اليمن على البعد القومي العربي والصراعات بين القبائل العربية، ممثلة في عرب الجنوب وعرب الشمال، قبل الإسلام وبعده، وأكدوا على أن اليمن هي أصل العرب وأن الشعب اليمني أناس أذكى، في محاولة لإثارة النعرات القبلية في اليمن تجاه القبائل العربية الأخرى في الجزيرة العربية، خاصة أن طهران تدرك مدى حساسية القبيلة وتاريخها والفخر بها في المجتمع اليمني على وجه التحديد.

أما فيما يتعلق بالبعد القومي الإيراني/ الفارسي،

فتم التركيز على آثار الحضارة الفارسية في اليمن والدول المطلة على البحر الأحمر، والتواجد الثقافي والحضاري للإمبراطوريات الفارسية في تلك المنطقة، من خلال دغدغة المشاعر القومية لدى الشارع الإيراني الذي يحلم بإعادة تشكيل الإمبراطورية الساسانية التي تعد دائماً حاضرة في الذهن الفارسية والحلم المأمول تحقيقه. في هذا الاتجاه، نعلم جيداً أن إيران تعتمد المذهب الشيعي، مذهباً رسمياً لها، وبالتالي أخذت المذهبية بعداً قومياً إلى جانب البعد الديني، لا سيما أن ذلك ينسجم مع فكرة تشكيل الدولة المهدوية (بقيادة الإمام الغائب، وفقاً للمعتقد الشيعي الإمامي) والذي تشكل اليمن فيه

جزءاً مهماً ومحورياً، كما أشرنا آنفاً.

المستوى الجيو- سياسي على مستوى البعد

الجيو- سياسي، تركز إيران على الموقع الاستراتيجي لليمن، وتتنظر طهران بعناية فائقة لأهمية اليمن البحرية، من الناحية الجغرافية، ذلك لأن نسبة عالية جداً من الملاحة البحرية في العالم تمر عبر مضيق باب المندب وخليج عدن كما أن السفن في البحر الأبيض المتوسط تدخل هذا البحر عن طريق قناة السويس ومن ثم تصل إلى مضيق باب المندب ومنها إلى بحر العرب.

وترى إيران أن أي تواجد لها في جنوب اليمن، يعني

مزيداً من سيطرتها على مضيق هرمز والتواجد في بحر العرب بهدف رفع عدد الأوراق التي تستطيع من خلالها التلميح بإغلاق الممرات المائية لكمية هائلة من الطاقة العالمية القادمة من الخليج العربي، وكذلك تحظى اليمن بأهمية بالغة بالنسبة لإيران نظراً لمجاورتها لمنافس إيران الأول في المنطقة، المملكة العربية السعودية، وبالتالي فطهران تسعى من خلال دعمها للحركة الحوثية التي تتمركز على الحدود السعودية- اليمنية أن تضع قدماً على مقربة من حدود هذا المنافس، ولعل بعض التصريحات الإعلامية وشبه الرسمية الإيرانية التي تحدثت عن أنه بسيطرة الحركة الحوثية على مساحات شاسعة في اليمن أصبحت إيران بمثابة الجار الجنوبي للسعودية، وبغض النظر أهداف إيران من وراء مثل هذه التصريحات إلا أنها تؤكد الأهمية الجيو- سياسية التي تمثلها اليمن للنظام الإيراني.

٦ عوامل أنجحت التوغل عملت إيران تبعاً

لاستراتيجية مدروسة بعناية، فهي تعلم أن السلطات اليمنية، ولا اعتبارات عدة، قد لا توفر لها المساحة التي ترغب بحيازتها في اليمن، فتجاوزت المستوى الرسمي إلى العمل على المستوى الشعبي من خلال عملائها وعناصرها في الداخل اليمني، خاصة في صنعاء ومحافظات شمال اليمن.

عبر تسهيلات قدمتها القيادات الحوثية للجانب

الإيراني، استطاعت طهران أن تخلق وجوداً لها في المجتمع الزيدي، وقد أدى هذا التوغل، إضافة إلى التأثير

إلى اتفاق شامل ودائم حول برنامج إيران النووي. يكرر الإيرانيون أن هذه الفتوى قد صدرت لأول مرة في عام ٢٠٠٣، وتم التأكيد عليها مجدداً في عام ٢٠٠٥.

الترويج لهذه الفتوى المزعومة تجاوز الترويج الإعلامي الإيراني إلى الترويج لها من قبل مسؤولين إيرانيين مثل الرئيس السابق محمود أحمددي نجاد، ثم الرئيس الحالي حسن روحاني، في محافل دولية مثل لقاءات الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي تعقد سنوياً في نيويورك. من جانب آخر، وفي أحد لقاءاته بوزير الخارجية الدنماركي ستيف مولر، أكد روحاني أن الأخذ بفتوى خامنئي «أكثر أهمية بالنسبة إلينا من بنود معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والبروتوكول الملحق بها». وأوضح روحاني أن فتوى المرشد تحرم إنتاج وتخزين واستخدام الأسلحة النووية، و«الفتوى في الجمهورية الإسلامية قانون ملزم»!!

وعلى مستوى أقل، يروج بعض الإيرانيين في فريق التفاوض مع الغرب، ومن بينهم الدكتور حسين موسويان، المتحدث السابق باسم المفاوض النووي الإيراني، لضرورة أخذ فتوى خامنئي كضمان لعدم إنتاج إيران للسلاح النووي. يقول موسويان في تصريح له لأحد المواقع الألمانية حول ضرورة التوصل إلى اتفاق بين إيران والقوى العظمى: «يوجد فرص واقعية للخروج من الأزمة، ومنها إمكانية الاستفادة من الفتوى الدينية التي أعلنها آية الله علي خامنئي، المرشد الأعلى لإيران، والتي تحرم أسلحة الدمار الشامل».

بل إن الأمر تجاوز الجانب الإيراني إلى الأميركي، حيث أكد على مدى أهمية هذه الفتوى الرئيس الأميركي الحالي باراك أوباما في مراحل التفاوض مع إيران، وخلال كلمته في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ٢٠١٣، زاعماً أن المرشد الأعلى في إيران، علي خامنئي، «قد أصدر فتوى ضد تطوير الأسلحة النووية». وقد كرر أوباما هذا الادعاء بعد ذلك بثلاثة أيام في البيت الأبيض.

وقبل أيام جاء الترويج لهذه الفتوى من جانب «رجال دين» أميركيين، فقد دعا الأساقفة الأميركيون

الإيديولوجي الاثني عشري على القيادة الحوثية الزيدية إلى دخول بعض الأدبيات الشيعية الإمامية إلى الزيدية ومن ذلك ما يلي:

- ١- شعار «الله أكبر.. الموت لأمريكا.. اللعنة على اليهود.. النصر للإسلام» على غرار الشعار الإيراني المعروف «الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل».
 - ٢- دخول بعض الأناشيد الطائفية في مدارس التعليم العام في محافظة صعدة وغيرها.
 - ٣- بروز بعض «رجال الدين» الذين ينالون من بعض الصحابة رضوان الله عليهم خاصة في احتفالات وطقوس عاشوراء.
 - ٤- إعادة إحياء احتفالات عيد الغدير، وقد كان الزيديون قد تخلوا عنه لسنوات طويلة.
 - ٥- الشعارات والمصطلحات المعادية لدول المنطقة، خاصة المملكة العربية السعودية.
 - ٦- التركيز على القضية الفلسطينية في الخطاب، واللعب على وتر النزاعات السياسية في الداخل اليمني بهذه القضية لأهداف سياسية بحتة، على النمط الإيراني.
- إضافة إلى ذلك،** ربما أن الجانب الخليجي قد ابتعد كثيراً عن المجتمع اليمني واكتفى بالعلاقة مع القيادات السياسية وشيوخ القبائل، الأمر الذي أوجد فجوة كبيرة بين طبقات المجتمع الدنيا ودول الخليج، خاصة في المحافظات الشمالية، وقد استفلت إيران هذا الفراغ عبر عملائها في اليمن وعملت على إشغاله واستثماره ضد دول المنطقة.

الحقيقة والوهم في فتوى خامنئي بتحريم إنتاج الأسلحة النووية

د. محمد السلمي - الشرق الأوسط ٢٠١٤/١١/٩

يتكرر بين الفينة والأخرى الحديث عن أن المرشد الأعلى والشخصية التي تتربع على رأس الهرم السياسي والديني في إيران، آية الله علي خامنئي، قد أصدر فتوى تحرم إنتاج واستخدام الأسلحة النووية وجميع أسلحة الدمار الشامل. وتحدثت وسائل الإعلام الإيرانية وبعض المواقع وبعض المسؤولين الغربيين عن هذه الفتوى وأنها تعد داعماً أساسياً لوصول المفاوضات الجارية بين إيران ومجموعة ١+٥

الكاثوليك المفاوضين إلى عدم الاستهانة بفتوى مرشد الجمهورية الإسلامية حول الأسلحة النووية. ويأتي هذا الموقف بعد زيارة غير مسبوقة قام بها وفد من مؤتمر الأساقفة الكاثوليك إلى مدينة قم للقاء زعماء روحيين من أجل ردم الهوة بين إيران والغرب.

الحقيقة المرة هي أن خامنئي لم يصدر هذه الفتوى

إطلاقاً، ولا يوجد ما يثبت ذلك إلا ما يروج له الإعلام الإيراني، ولم يقدم النظام الإيراني أو غيره ما يثبت صدور هذه الفتوى. وحتى الآن، يرفض الأوروبيون قبولها، وتحدثت بعض التقارير الصحافية عن أن المستشار القانوني في الاتحاد الأوروبي تقدم بطلب رسمي للنظام الإيراني في عام ٢٠٠٥ لتقديم نسخة من الفتوى، ولكن من دون جدوى.

حسناً، ماذا عن موقع خامنئي الشخصي على شبكة الإنترنت؟ لماذا لم يرد ذكر للفتوى؟ عدم ذكر للفتوى على مواقع الإنترنت له بالكاد يدحض كل الأدلة الأخرى للفتوى، وأن التفكير خلاف ذلك مجرد فكرة سخيفة. هل يعقل أن ينشر خامنئي فتاوى أقل أهمية على موقعه الشخصي على الإنترنت ويتجاهل هذه الفتوى رغم الشكوك الكثيرة التي تثار حول حقيقة وجودها؟ يعتقد النظام الإيراني، على ما يبدو، أن الإشارات المتكررة لهذه الفتوى المزعومة سوف تجعل قبولها كحقيقة لا تقبل النقاش أو التشكيك بصحة وجودها.

دعونا نتجاوز الفتاوى المزعومة التي قيل إنها

صدرت في عام ٢٠٠٣ أو التأكيد عليها في عام ٢٠٠٥، إلى تاريخ قريب وحدث له علاقة كبيرة بهذا الموضوع. على مدى يومين (١٧ - ١٨ أبريل/ نيسان ٢٠١٠) نظمت إيران «المؤتمر الدولي الأول لنزع وحظر انتشار الأسلحة النووية» الذي أقيم في العاصمة الإيرانية طهران، وشارك فيه ممثلو بعض الدول الإقليمية والدولية. بهذه المناسبة، بعث المرشد الأعلى في إيران آية الله علي خامنئي بكلمة إلى المشاركين في المؤتمر قال فيها ما نصه: «إن الأسلحة النووية وجميع أسلحة الدمار الشامل تعد تهديدا للبشرية، وإن استخدام هذه الأسلحة محرم». بعبارة أخرى، النص يقول إن خامنئي لم يحرم تصنيع هذه الأسلحة وإنتاجها، بل حرم استخدامها، وهناك فرق كبير بين العبارتين.

العجيب في الأمر أنه عندما طلب وفد الأساقفة

الأميركيين من الجانب الإيراني نص هذه الفتوى، ردوا بأنه ليس هناك نص مكتوب للفتوى، وهو إعلان عام ومحترم جداً لدى رجال الدين الشيعة والإيرانيين بشكل عام. حسناً، لنقبل بعدم وجود نص مكتوب، ومن الطبيعي جداً أن تكون هذه الفتوى صدرت في كلمة له صوتية أو متلفزة، وبالتالي فالسؤال المطروح: أين هذا التسجيل؟ ولماذا لا ينشر على الإنترنت والموقع الشخصي للولي الفقيه؟ وأخيراً لنفترض وجود هذه الفتوى التي يعتبرها الإيرانيون أمراً ملزماً ومطمئناً للغرب ولكن، لسبب أو لآخر، قرر خامنئي، أو من يأتي بعده، نقض هذه الفتوى بفتوى أخرى، وهذا أمر غير مستبعد، هل سيقول الغرب إن على إيران الالتزام بالفتوى الشرعية التي جعلتنا نفتتح بسلمية برنامجها النووي وعدم رغبتها في إنتاج السلاح النووي؟ وهل فعلاً الإسلام يحرم ذلك؟ ها هي باكستان تمتلك هذا السلاح وهي إحدى كبرى الدول الإسلامية وجارة إيران من الشرق!

الواقع أن الترويج لهذه الفتوى أو التصديق بجديتها

مجرد أضحوكة كبيرة تتوافق مع توجهات دول غربية وتمهد، فيما يبدو، لتسوية غربية - إيرانية حول برنامج طهران النووي، وأن التركيز على هذه الفتوى المزعومة مجرد تقديم لذلك وإخراج الاتفاق تحت غطاء التزامات دينية من الجانب الإيراني، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أن إيران لا تزال ترفض دخول مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية لبعض القواعد العسكرية المشكوك بأنشطتها، ومن بين ذلك موقع «بارشين» بالقرب من طهران.

واشنطن تبجح الوهم لحلفائها

في الملف السوري

علي حسين باكير - العرب القطرية ٢٠١٤/١١/٤

أصدر البيت الأبيض خلال السنوات الماضية العديد من التصريحات التي تفيد بموافقة واشنطن على دعم المعارضة السورية المسلحة (الجيش الحر)، لكن شيئاً منها لم يتحقق فعلاً حتى الآن. بل على العكس، فقد كان الموقف الأميركي متشدداً في بداية

الثورة السورية في متابعة أي عمليات تسليح نوعي تقوم / أو قد تقوم بها بعض الدول لدعم المعارضة السورية.

والحقيقة أن واشنطن كانت قد قامت مراراً -

بالتعاون مع إسرائيل ودول أخرى - في إفشال وصول شحنات أسلحة إلى المعارضة السورية لاسيما خلال السنة الأولى والثانية للثورة السورية، وقد أرسلت الإدارة الأميركية مرات عديدة رسائل تتضمن تحذيرات وحتى تهديدات مباشرة لبعض الدول لمتنعها من القيام بتسليح الجيش الحر لاسيما عندما يتعلق الأمر بأسلحة من الممكن أن تمكن هذه المعارضة من كسر تفوق النظام الجوي وتعمل على تغيير موازين القوى على الأرض لصالحها.

وفي كل خطوة كان البيت الأبيض يتقرب فيها

من إيران في المفاوضات النووية أو يتزايد فيها بطش النظام السوري تجاه المدنيين، كان أوباما يبيع حلفاءه في المنطقة بعض الوعود والكلام، ويجدد الحديث عن دعم المعارضة السورية المسلحة المعتدلة.

بعد المجزرة الكيماوية في أغسطس ٢٠١٣، سمعنا

تأكيداً من البيت الأبيض على قرار تقديم دعم «غير قاتل» للمعارضة، تبين فيما بعد أنه عبارة عن مجموعة من الأحذية والخوذ وبعض مستلزمات الإسعاف الأولية وربما بعض وسائل الاتصال، وهي أدوات غير كافية حتى لمن يقوم برحلة صيد وليس مواجهة طائرات وصواريخ سكود وأسلحة كيماوية!

ومع ذلك، فقد انتهى برنامج الدعم المزعوم هذا في

ديسمبر ٢٠١٣ بإغلاق الوحدة الأميركية المسؤولة عن تأمين وإيصال المساعدات للجيش الحر بسبب مشاكل في التمويل، علماً أن المساعدات «غير القاتلة» التي أمنتها لم تتجاوز الـ ١٥ مليون دولار فقط!

في يونيو ٢٠١٤، قرر أوباما طلب مبلغ ٥٠٠ مليون

دولار لدعم المعارضة المسلحة المعتدلة، لكن هذا المبلغ لم يصرف إلى الآن! ومع التحضير لانطلاق حملة «العزيمة الصلبة» ضد تنظيم الدولة «داعش»، عاد أوباما من جديد لاستخدام ورقة «دعم المعارضة المسلحة المعتدلة»، ووافق على برامج دعم وتسليح المعارضة المسلحة المعتدلة، وقامت عدة دول عربية بالإضافة إلى تركيا بالتزام تنفيذ الدعم ضمن الخطة الأميركية.

لكن الحقيقة أن خطوة أوباما هذه ليست سوى

مناورة، فهو احتاج إلى تسويق هذا البرنامج مقابل الحصول على دعم هذه الدول للحملة من جهة، ولكي يبدو أنه يقوم بدعم المعارضة السورية في الوقت الذي يتغاضى فيه فعلاً عن نظام الأسد الذي تقوم الحملة العسكرية بتقويته عملياً على الأرض.

وفيما يصرح البيت الأبيض بهذا الدعم للمعارضة

المسلحة المعتدلة، يقوم موضوعياً بإفراغه من مضمونه. فعلى سبيل المثال، أنيطت مهمة بناء جيش جديد للثوار المعتدلين ضمن برنامج التدريب والتسليح الأميركي للجنرال «مايكل ناجاتا» مسؤول قيادة القوات الخاصة الأميركية، لكن البيت الأبيض لم يسمح له بالقيام بذلك عبر استغلال أو تجنيد الثوار المعتدلين الموجودين فعلياً على الأرض، مما يعني تقليص إمكانية نجاح مهمته واضطراره إلى البحث عن هؤلاء في مخيمات اللجوء في البلدان المجاورة.

أكثر من ذلك، فإن برنامج التدريب والتسليح سيتضمن

تدريب وتسليح ٥ آلاف عنصر فقط كل سنة! (مع بقاء الفيتو على الأسلحة النوعية)، وهذا يعني أن بناء مجموعة من ١٥ ألف على سبيل المثال ستتطلب ثلاث سنوات، علماً أن الأسد يستغل الحملة الحالية للتقدم على الأرض، ومن غير المعروف أصلاً - في حال بقي الوضع على ما هو عليه الآن - إذا ما كان سيكون هناك معارضة في سوريا في ذلك الوقت أو حتى مناطق تابعة للمعارضة!

وحتى إذا ما افترضنا نظرياً أن التحالف نجح في

تدريب وتسليح ١٥ ألف من هؤلاء في سنة واحدة، فإن الجنرال جون آلان منسق عمليات التحالف الدولي كان قد صرح بشكل واضح أن «مهمة هذه القوة لن تكون محاربة الأسد وإنما ستساعد على الوصول إلى حل سياسي»! وربما استخدامها فعلياً ضد تنظيم «داعش» فقط على اعتبار أن الرئيس أوباما كان قد قال الشهر الماضي: إن الهدف من برنامج التدريب والتسليح هو «تقوية المعارضة لتكون أفضل موازن للتطرف»!

الرئيس أوباما كان قد وعد سابقاً المعارضة

السورية ومجموعة أصدقاء سوريا وحلفاءه في المنطقة بمزيد من الدعم للملف السوري لكّنه كان يفشل في كل مرة في الإيفاء بوعوده لدرجة أن عدداً من المسؤولين

الأميركيين باتوا يؤمنون تماماً بأن أوباما لا يريد حقيقة القيام بأي شيء لصالح المعارضة، وأن عودته الحالية لن تؤدي إلى أي تغيير، فهي أشبه ببيع الوهم لحلفائه في المنطقة.

«الجهاد الإسلامي»

هل تصبح حوثية فلسطين؟

أسامة شحادة جريدة الغد ٢٠١٤/١١/٧

يقف المواطن العربي والمسلم اليوم مذهولاً بعد احتلال الحوثيين أو (أنصار الله) لكثير من محافظات اليمن وليس العاصمة صنعاء فحسب، وذلك بعد سبع أو ثماني حروب عسكرية مع الدولة، وعدة معارك مع القبائل والتيارات اليمنية المخالفة لها، وسبب الدهول هو السلسلة التي تمّ بها هذا الاحتلال الحوثي لليمن، وبقاء الجميع يتفرج سواء مؤسسات الدولة اليمنية من الرئاسة والحكومة والجيش وقوى المعارضة، أو من دول الجوار والعالم، أو جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

وسبب آخر لذهول المواطن العربي والمسلم هو الموقف الرسمي العربي والإقليمي والعالمي من الجماعات الإسلامية السنية المنافسة سواء بالعمل السياسي كجماعة الإخوان المسلمين في مصر وتونس أو بالعمل العسكري كتتنظيم داعش والنصرة في سوريا والعراق أو القاعدة في اليمن أو الثوار في ليبيا وغيرهم، هذا الموقف الذي يتشكل من حرب إعلامية صريحة وقذرة وقمع وبطش أمني غير مسبوق وحرب عسكرية معلنة، بينما الجماعات الشيعية السياسية والعسكرية التي تمارس نفس الممارسات في الدول العربية والعالمية، معترف بها وبغض الطرف عن طائفيتها وإجرامها، ومقبول التواصل معها عربياً وعالمياً وعلى كل الأصعدة سواء كانت جماعات معارضة أو مشاركة في الحكم أو مستولية عليه!!

ومن تابع مسار نشأة وتطور الحوثيين منذ سنة ١٩٩٢ يجد تشابهاً كبيراً مع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ويمكن أن نعدد من أوجه

الشبه أن الجهاد الإسلامي وجماعة الحوثيين يعلنان تحالفهما مع النظام الإيراني والقبول بالفكر الشيعي الإمامي في مفارقة لجذور الجهاد السنية أو جذور الحوثيين الزيدية، وإذا كانت علاقة الحوثيين بإيران والتشيع واضحة للكثيرين، فإن علاقة الجهاد بإيران والتشيع تحتاج إلى تذكير القارئ بعدد من الحقائق منها:

أن مؤسس حركة الجهاد الدكتور فتحى الشقاقي كان من أوائل الفلسطينيين والإسلاميين الذين أعلنوا انبهارهم بمشروع الخميني والسير على خطاه، ولذلك قام بتأليف كتاب «الشيعية والسنة ضجة مفتعلة»، وكتاب «الخميني والحل الإسلامي البديل» منذ صعود نجم الخميني في نهاية السبعينيات، وقد شاركه هذا المسار الرئيس الحالي للحركة الدكتور رمضان شلح، الذي نسخ مسودات هذه الكتب وقدمها للطباعة.

ولم يقف الأمر لدى الشقاقي وشلح والحركة عند حد التقاطع السياسي والمعروف بمصطلح (التشيع السياسي)، وتمجيد الخميني وخليفته خامنئي واعتبارهما القدوة والنموذج للقيادة الإسلامية المطلوبة، بل وجدنا قطاعات في الحركة وقيادات ومؤسسات تابعة لها تعلن تشيعها العقدي، مثل هشام سالم وعبدالله الشامي وعمر شلح وأحمد حجازي، وهم من قيادات الحركة في غزة، أو بعض ما ينشر في جريدة الاستقلال وإذاعة القدس التابعة لهم من ترديد لسب الصحابة والطعن فيهم.

وبخلاف حركة حماس التي تمرت على الرؤية الإيرانية المعادية للثورة السورية، حيث آثرت قيادة حماس مغادرة دمشق وعدم تأييد إجرام بشار الأسد ضد الشعب السوري، فإن حركة الجهاد بقيت في العباءة الإيرانية والسورية، وأعلنت عداها للثورة السورية، وأصبح رمضان شلح وقيادات الحركة ضيوف مؤتمرات الصحوة الإسلامية في طهران والفضائيات السابحة في المدار الإيراني.

ومؤخراً وعقب العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وبقاء إيران وحزب الله متفرجين على ضرب غزة في نوع من التشفي بحماس، حتى صرح عدد من قادة حماس مثل موسى أبو مرزوق ضد موقف إيران وحزب

الله وزعيمه حسن نصر الله، بأن غزة لا تحتاج نصرة ودعماً بالهاتف! برغم كل هذا نجد حركة الجهاد تقوم بدعاية ضخمة لإيران في الفضائيات الإيرانية وفي داخل غزة من خلال لوحات إعلانية كبيرة تشكر فيها إيران على دعم غزة! في تكرار لما فعلته قبل عدة سنوات من تلميع لإيران، وكأن مهمة شلح وإخوانه اليوم هي إعادة تبييض صفحة إيران في الأوساط الفلسطينية والعربية والإسلامية.

بعد هذه الحقائق السريعة عن علاقة الجهاد القديمة والوطيدة والمستمرة مع إيران، نعود لمواصلة الحديث عن أوجه الشبه بين حركة الجهاد والحوثيين.

منها أن الجهاد و«الحوثيين» برغم انخراطهما في المحور الإيراني، إلا أن الأنظمة العربية لا تقاطعهما وتعاديهما بحدة مقاطعة الإخوان وحماس برغم أن المبرر لهذه المقاطعة والعداء كونهما يتبعان المحور الإيراني.

ومنها أن الجهاد والحوثيين يشعلون حرباً كل حين ودون مبرر حقيقي إلا رغبات ومخططات إيران، ومع هذا لا يتم تجريمهم كما حصل مع حماس، لا من قبل السلطة السياسية ولا من قبل النظام العربي، وبرغم كل هذا نجد أن الجهاد والحوثيين لا يُستهدفون من إسرائيل وأمريكا على غرار استهداف حماس في فلسطين من قبل إسرائيل، والقاعدة في اليمن من قبل أمريكا.

ومنها أن الحوثيين والجهاد يعتدون بالضرب والاغتيال والقتال العسكري على مخالفيهم وخاصة من يحذرون من تبعيتهم لإيران وتشيعهم، ولا يتم معاقبتهم أو كف عدوانهم وضمان أن لا يتجدد.

ومنها أنهم توجهوا مؤخراً للمشاركة في الفعاليات السياسية والطلابية أكثر، لكن، وهم يضعون السلاح على الطاولة، فإما أن تقبل مطالبهم وإما أن يقلبوا الطاولة، فالحوثيون وقعوا على ميثاق السلم ولكنهم لا يزالون يقتحمون المحافظات اليمنية بحجة حرب القاعدة، والجهاد يدعون للحوار الوطني لكنهم يرفضون دخول اللعبة السياسية بالكامل.

ومنها أن الحوثيين والجهاد يستغلون الصراع بين النظام الحاكم والإقليمي ومنافسيه وخصوصاً الإخوان لتقوية نفوذهم وانتشارهم.

الخلاصة: الجهاد الإسلامي والحوثيون مجموعة محلية شذت عن السياق العام لمجتمعاتها وانسأقت خلف السياسة الإيرانية والفكر والعقيدة الشيعية، وأصبحت كياناً منفصلاً عن التيار العام ويراعي المصالح الإيرانية على حساب المصالح الوطنية، ثم بسبب الولاء الفكري والسياسي بداية ثم التبعية المالية أصبحت الحركتان أدوات للسياسة الإيرانية في المنطقة.

وبفضل التوجيه والدعم المالي والإحتضان الإيراني وإرسال الخبراء والمستشارين لهم، تم تقوية كيان المجموعتين وتوسيع دائرة نفوذهم، خاصة عن طريق تكثيف حضورهم الإعلامي عبر فضائية فلسطين اليوم التابعة للجهاد، وفضائية المسيرة التابعة للحوثيين.

ومن خلال براعة إيران في حماية ورعاية وكلائها في المنطقة تجاوز الجهاد والحوثيون كثيراً من المطبات والمضائق التي وقعوا فيها، كما أن براعة إيران في الاستفادة من تناقضات الخصوم مكنت الحوثيين والجهاد من الاستمرار في التقدم في ظل الخلاف الإخواني - الحماسي مع السلطة في اليمن وفلسطين والمنطقة العربية.

اليوم وصل الحوثيون لقمة الهرم بعد التحالف مع علي عبدالله صالح الرئيس السابق والذي تظاهم مع الخليج على التفاوضي عن تقدم الحوثيين في اليمن للقضاء على حزب الإصلاح، لكن الحوثيين وإيران غدروا بعلي صالح الذي غدر بالخليج، وكان الرابع هم الحوثيين وإيران.

وفي غزة نجد نظام السيسي يتعاطى مع الجهاد بأريحية نكائية في حماس والإخوان، ونجد الجهاد تتمدد في الفراغ القائم بين السلطة والحكومة المقالة، وكلا الطرفين يخطب ودها، لكن الجهاد تعمل ومن خلفها إيران على بناء وضعها الخاص، عبر إحياء الكتلة الطلابية التابعة لها في الجامعات تمهيداً لخوض انتخابات الطلبة، وحرصها على البقاء على مسافة من حماس، لتستفيد من العداء العربي الرسمي تجاهها.

وبعد هذا كله، هل ستطول المدة التي نرى فيها حركة الجهاد تسيطر على غزة، وترفرق فيها أعلام وصور إيران وقادتها كما شاهدنا في صنعاء؟